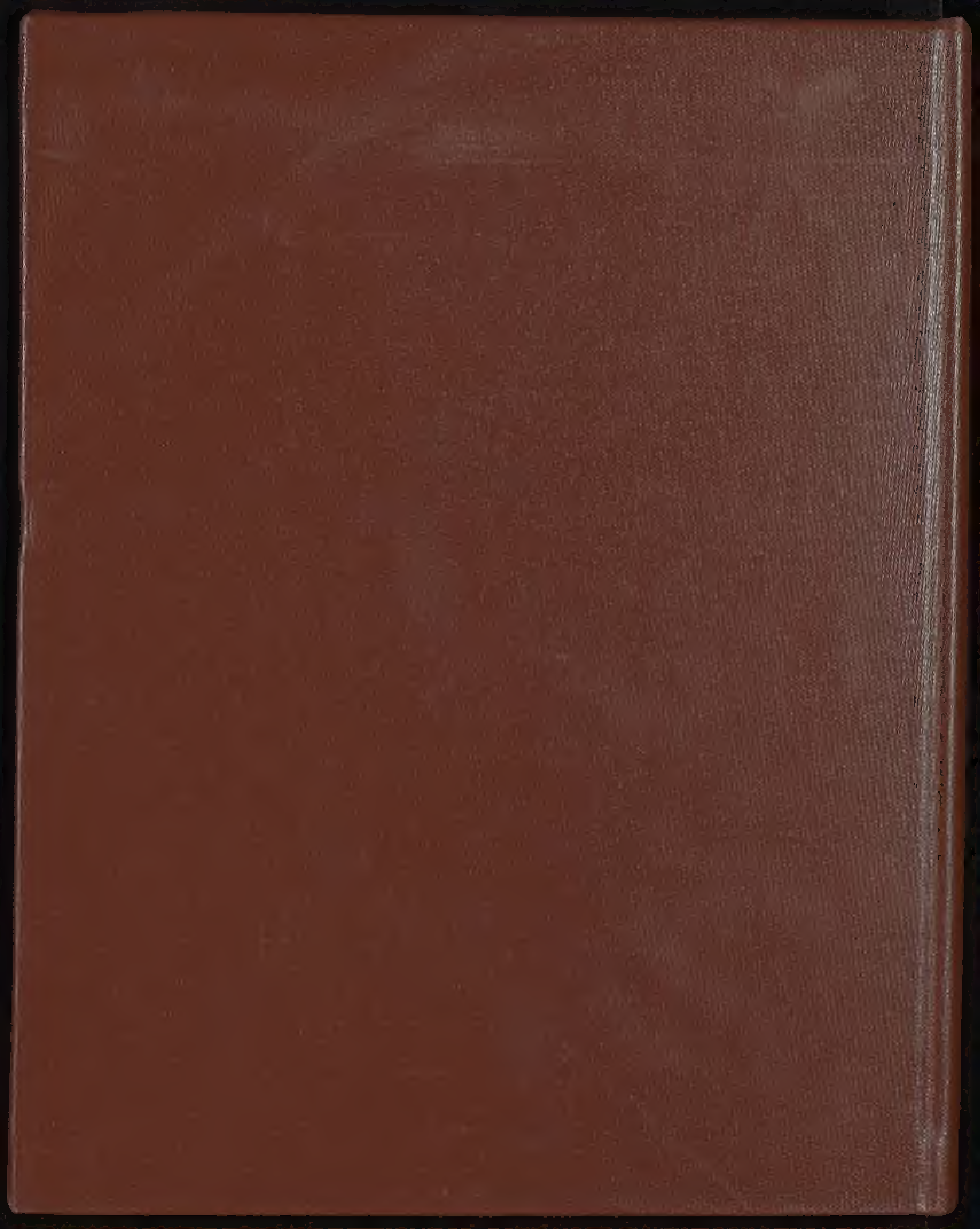

CORNELL UNIVERSITY LIBRARY
3 1924 097 311 835

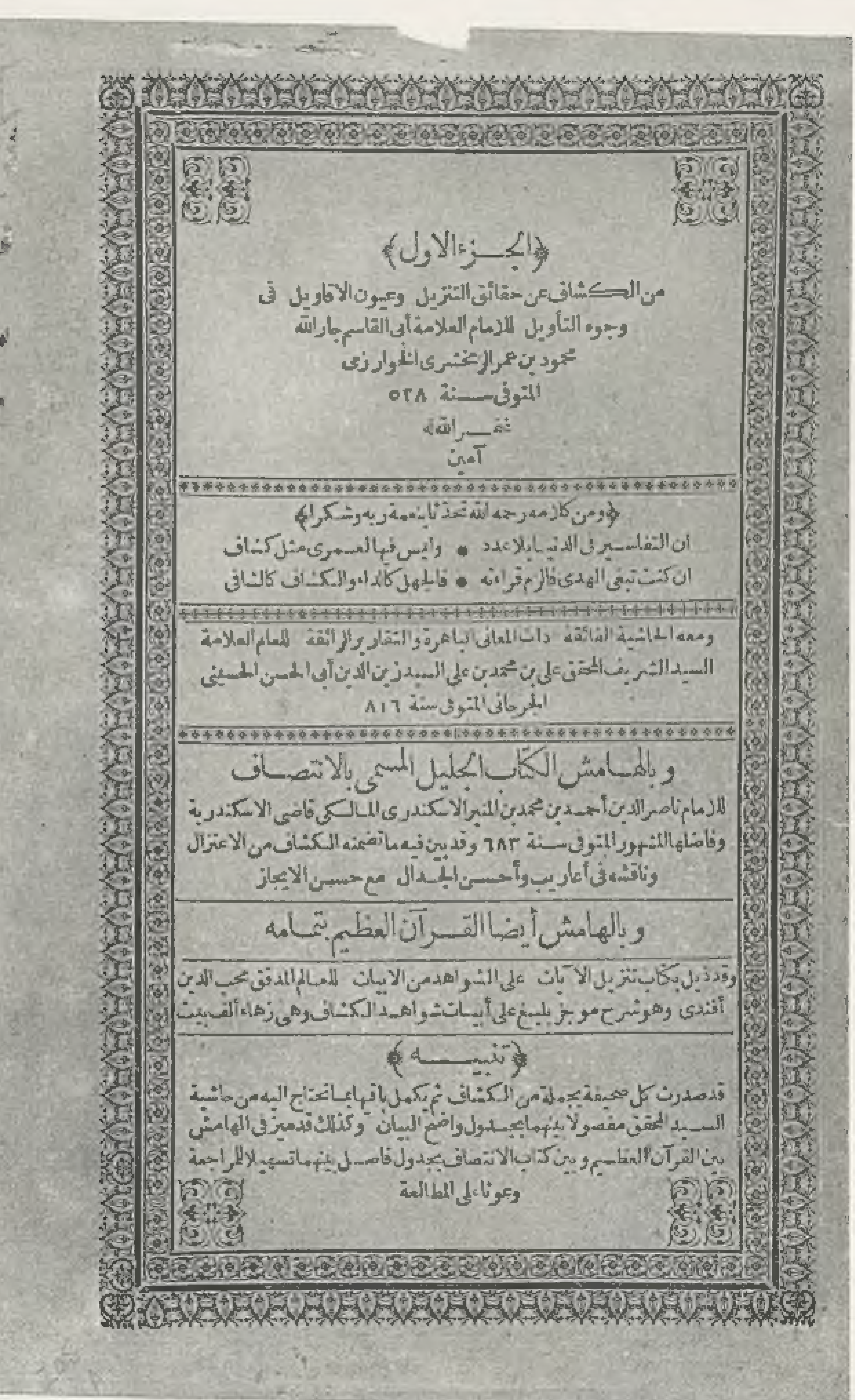

﴿الجـزء الاول﴾

من الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الاقاويل فى
وجوه التأويل للامام العلامة أبى القاسم جار الله
محمود بن عمر الزمخشرى الخوارزمى
المتوفى سـنة ٥٣٨
غفـر الله
آمين

﴿ومن كلامه رحمه الله تحدثا بنعمة ربه وشكرا﴾

ان التفاسـير فى الدنيا بلا عدد • وليس فيها لعمرى مثل كشاف
ان كنت تبغى الهدى فالزم قراءته • فالجهل كالداء والكشاف كالشافى

ومعه الحاشية الفائقة ذات المعانى الباهرة والتقارير الرائقة للعلامة
السيد الشريف المحقق على بن محمد بن على السيد زين الدين أبى الحسن الحسينى
الجرجانى المتوفى سنة ٨١٦

وبالهـامش الكتاب الجليل المسمى بالانتصـاف

للامام ناصر الدين أحمد بن محمد بن المنير الاسكندرى المـالكى قاضى الاسكندرية
وفاضلها المشهور المتوفى سـنة ٦٨٣ وقد بين فيه ما تضمنه الكشاف من الاعتزال
وناقشه فى أعاريب وأحسن الجـدال مع حسن الايجاز

وبالهامش أيضا القـرآن العظيم بتمامه

وقد ذيل بكتاب تنزيل الآيات على الشواهد من الابيات للعالم المدقق محب الدين
أفندى وهو شرح موجز بليغ على أبيات شواهد الكشاف وهى زهاء ألف بيت

﴿تنبيــــه﴾

قد صدرت كل صحيفة بجملة من الكشاف ثم يكمل باقيها بما تحتاج اليه من حاشية
السـيد المحقق مفصولا بينهما بجدول واضح البيان وكذلك قد ميز فى الهامش
بين القرآن العظيم وبين كتاب الانتصاف بجدول فاصـل بينهما تسهيلا للمراجعة
وعونا على المطالعة

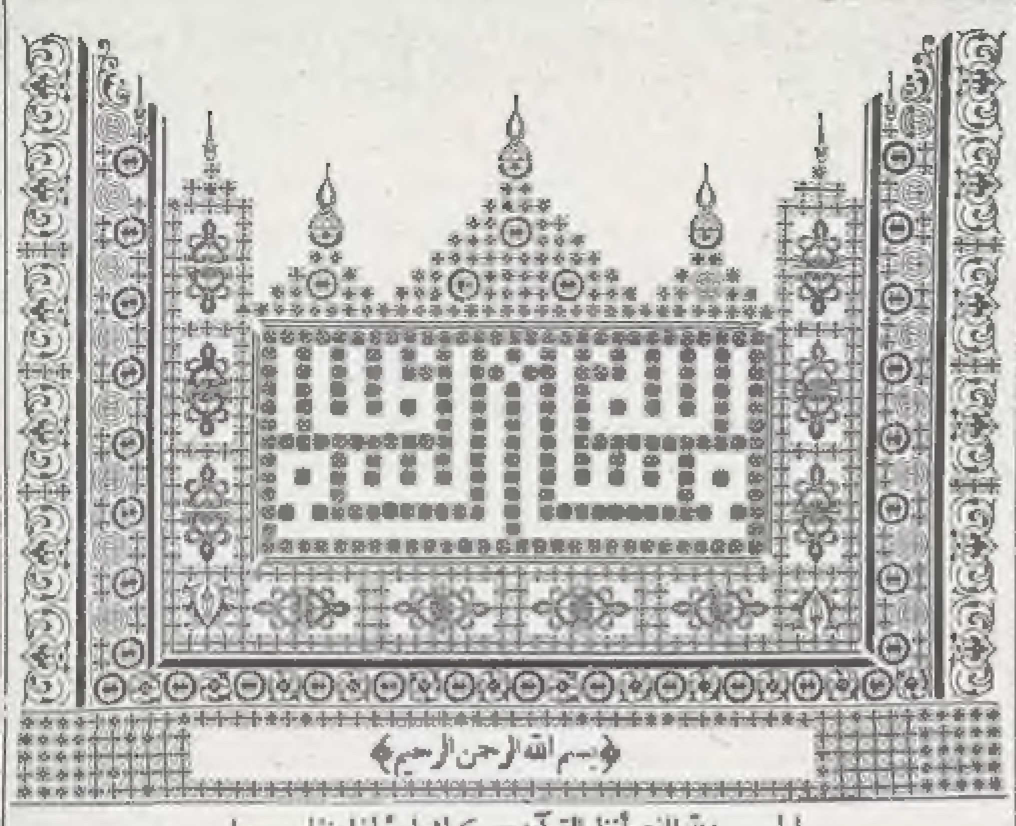

الحمـــدلله الذى أنزل القرآن ـــكلاما مؤلفا منظـــما

بسم الله الرحمن الرحيم

قال جار الله العلامة أحسن الله اكرامه فى دار المقامة (الحمد لله الذى أنزل القرآن كلاما مؤلفا منظما) دل بلامى الجنس والملك على اختصاص الحمد به تعالى ثم وصفه بانزال القرآن وتنزيله وما أردفهما به رعاية لبراعة الاستهلال وتنبيها على أنه نعمة جزيلة تستحق أن يحمد عليها وذكر للقرآن أوصافا كمالية تناسب اعجازه الذى سيصرح به ويشد من أعضاد كونه نعمة محمودا عليها ولما كانت هذه الصفات تدل على حدوثه كما هو مذهبه وكان معتنيا باظهاره ومفتخرا به أشار اليه بجملة اعتراضية ونبه أن الحدوث انما لزمه لتنزه ذاته سبحانه عن الشركة فى صفة القدم لا للنقصان فيه وهذه جمل من مقاصده ستردّ عليك تفاصيلها وبالله التوفيق (قوله أنزل) يروى أنه وقع فى أم النسخ خلق مكان أنزل ثم غيره المصنف فان صح ذلك فالتغيير لفوائد (الاولى) ان الخلق اذا نسب الى ما هو جنس القول فقد يراد به معنى الاختلاق يقال خلق هذا الكلام واختلقه أى افتراه فلا يحسن استعماله فى هذا المقام وان أريد به معنى آخر (الثانية) أن كون القرآن حادثا أمر شنيع عند الخصم فاراد أن يكتمه أولا ثم أن يظهره بعد سوق مقدمات مسلمة عنده ومستلزمة للحدوث فى نفس الامر فان ذلك أقوى فى استدراجه الى التسليم من حيث لا يشعر به (الثالثة) الاحتراز عن التكرار اذ قد حكم فيما بعد بحدوثه (الرابعة) ان الانزال أدخل فى كون القرآن نعمة علينا وأقرب الينا لتأخره عن الخلق (الخامسة) أن الحمد على انزاله وارد فيه دون الحمد على خلقه (السادسة) أن أنزل أحسن التئاما مع نزل لما بينهما من الصنعة الاشتقاقية (السابعة) أن فى الجمع بين الانزال والتنزيل اشارة الى كيفية النزول على ما روى من أن القرآن أنزل جملة من اللوح المحفوظ الى السماء الدنيا وأمر السفرة الكرام بانتساخه ثم نزل الى الارض نجوما فى ثلاث وعشرين سنة وذلك ان الانزال وان كان مطلقا لكنه اذا قوبل بالتنزيل الدال ههنا على التدريج فيما بين أجزاء القرآن اما لدلالته على التكثير واما لما قيد به من

المتجسم تبادر منه الانزال دفعة (فان قلت) الموصوف بالحركة حقيقة هو المتحيز بالذات من الجواهر الافراد وما يتركب منها دون الاعراض فانه يمتنع فيها ذلك سواء كانت أجزاؤها مجتمعة كاللون أو سيالة كالصوت الذي هو جنس الكلام فكيف يتصور انزال القرآن وتنزيله مع أنهما تحرك من علو الى سفل (قلت) ذلك مبني على متعارف أهل اللغة حيث يصفون الكلام بما يوصف به مبلغه فيقولون نزل الينا من القصر حكم الامير وكلامه على سبيل الاسناد المجازي وصاحب الكشف جعل وصفه بالتنزيل من هذا القبيل وحمل الانزال على اظهاره في اللوح المحفوظ زاعما أن للقرآن حركة معنوية وهي الظهور بعد الكمون لا زمانا بل ذاتا وان تلك الحركة من الاعلى رتبة وشرفا لان علو مرتبة واجب الوجود تعالى واسم الاعلى على اللوح لا يخفى وتفسير كلامه على ما نقل عنه أن القرآن كان كامنا في العلم الالهي ثم أظهره الله تعالى بواسطة القلم الذي هو العقل الاول في اللوح المحفوظ الذي هو النفس الكلي وهذا الظهور ليس زمانيا لان الزمان مقدار حركة الفلك الاعظم وهو متأخر عما ذكر من المراتب ويرد عليه أنه مبني على قواعد الفلسفة وان كونه في علم الله لا بد أن يكون أزليا فاذا لم يتأخر الظهور في اللوح عن الكمون زمانا بل ذاتا كان أزليا اذ لو كان حادثا لكان متأخرا زمانا اتفاقا فيلزم قدم اللوح والقلم وذلك باطل قطعا (والقرآن) في اللغة مصدر بمعنى الجمع يقال قرأت الشيء قرآنا أي جمعته وبمعنى القراءة يقال قرأت الكتاب قراءة وقرآنا ثم نقل الى هذا المجموع المقروء المنزل على الرسول صلى الله عليه وآله المنقول عنه تواترا فيما بين الدفتين وهو المراد ههنا وقد يطلق على القدر المشترك بينه وبين بعض أجزائه الذي له نوع اختصاص به (وما يقال) من أن اثبات القرآن لما كان بالشرع وقد دل الشرع على اتصافه بصفات توجب حدوثه وكان مقصود المصنف تفسير ذلك الحادث صدر كتابه ببعض تلك الصفات مراعاة لبراعة الاستهلال ودلالة على ما هو أشهر مقاصد المعتزلة في علم الكلام أعني مسئلة حدوث القرآن فليس بشيء (أما أولا) فلان القرآن عند المصنف هو هذه العبارات المنظومة وهي معجزة اتفاقا ومن شرط المعجزة أن تكون صادرة من الله تعالى لانها تصديق فعلي منه يجري مجرى التصديق القولي كما بين في موضعه فهذه المعجزة ما لم تعلم أنها من الله تعالى وتصديق لمدعي الرسالة لم تثبت النبوة التي يتفرع عليها الشرع فكيف يجوز اثباتها به وتحصيله ان وجود العبارات معلوم بحسب السمع واعجازها اما بالذوق السليق أو المكتسب واما بالاستدلال كما ستعرفه واذا علم اعجازها علم أنها ليست بكلام البشر وانها كلام خالق القوى والقدر كما نص عليه العلامة فيما بعد فتكون هي معجزة من عند الله دالة على صدق مدعي النبوة والعلم بثبوت الشرع يتوقف على العلم بثبوتها واعجازها وكونها من الله فلا يصح اثبات شيء من ذلك بالشرع (لا يقال) نحن نثبت الشرع بمعجزة أخرى ثم نثبت به القرآن أو نثبته ببعض القرآن ثم نثبت به البعض الآخر (لانا نقول) الاول باطل محض لانه بناء الشيء على ما هو دونه فان القرآن أشهر المعجزات وأظهر الدلائل والثاني تحكم بحت والتشبث بامثال ذلك كتمسك الغريق بما لا يعتد به معا اذ لا يشتبه على احد أن المعجزة لان تثبت بها الشرع لا لان تثبت بالشرع (نعم) اثبات القرآن بمعنى الكلام النفسي عند القائل به انما هو بالشرع (وأما ثانيا) فلان اتصاف القرآن بما ذكر من التأليف والتعظيم والتفخيم مثلا أمر ظاهر مكشوف ليس مما يستفاد من دلالة الشرع عليه (واعلم) أن للمعتزلة على حدوث القرآن دليلا عقليا هو تركبه من أجزاء يمتنع اجتماعها في الوجود كما سيأتيك تقريره ودليلا سمعيا كقوله تعالى ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث فالاول استدلال على حدوثه بما علم اتصافه به عقلا والثاني استدلال بما ورد في الشرع ودل على حدوثه لا على اتصافه بما يوجب حدوثه كما توهمه هذا القائل (فان قيل) اذا كان القرآن عندهم حادثا لم يكن قائما بالله تعالى لاستحالة قيام الحوادث بذاته فلا يكون كلاما له (قلنا) انهم يجوزون قيام كلام الله بغيره ويقولون هو متكلم بمعنى انه موجد للكلام لا انه محل له ويرد عليه أن المتكلم على قاعدة اللغة في المشتقات كالمتحرك والاسود من قام به الكلام لا من أوجده ومن ههنا ينتظم برهان على اثبات الكلام

قوله بحسب المصالح منجما وجعله بالتحميد مفتتحا وبالاستعاذة مختتما وأوحاه على قسمين متشابها ومحكما

المعنى والكلام في اللغة اسم جنس يقع على القليل والكثير وعرفه بعض الاصوليين بأنه المنتظم من الحروف المسموعة المتميزة وقد يراد قيدان آخران فيقال المتواضع عليها اذا صدرت عن قادر واحد ويطلق في عرف النحاة على ما يفيد فائدة تامة والمراد ههنا المعنى الاول الذي باعتباره يوصف صاحبه بأنه متكلم ويقابل الاعجم والاخرس و (كلاما مؤلفا) اما حال موطئة كما صرح به الزمخشري في قوله انا أنزلناه قرآنا عربيا واما حال مؤكدة تقرر ما تضمنه القرآن خصوصا على زعمه ولا بعد في مجيء المؤكدة بعد الجملة الفعلية كقوله تعالى قائما بالقسط على ما صرح به أيضا واما النصب على البدلية أو على المدح ففيه فوات الملاءمة مع ما ينتظره في القرينة الاخرى أعني مفصلا فانه حال قطعا (والتأليف) جمع أشياء متناسبة كما يرشد اليه اشتقاقه من الالفة والمراد به مطلق التركيب من المفردات والجمل (والتنظيم) فوق التأليف لانه من نظم اللؤلؤ ونحوه فيراعى فيه امر المناسبة الحسية وضع أنيق وترتيب بهيج والمراد جودة التركيب وحسنه برعاية مقتضى الحال ولتطبق على الاغراض فهو من باب عالم نحرير والاشبه أن يراد بالتأليف فيما بين المفردات تحصيل جمل مفيدة والتنظيم فيما بين الجمل اذ قد يحتاج فيها الى مزيد تأنق فيكون من قبيل التأسيس بخلاف الاول ويتضمن أيضا اشعارا بمظاهرة بين آحاد الجمل المتناسبة التي يستقل كل منها بفائدة مستقلة وبين فوائد الآي المتناسقة (قوله بحسب المصالح) أي بقدرها وعددها يقال ليكن عملك بحسب ذلك أي على قدره وعدده والسين فيه مفتوحة وربما سكنت في ضرورة الشعر والظرف أعني (بحسب) متعلق بقوله (منجما) أي موزعا مفرقا بعدد المصالح والنجم في الاصل الكوكب ثم نقل الى الوقت المضروب المعين اذ يتعرفون الاوقات بالنجوم فقيل نجوم الكتابة للاوقات المعينة لاداء حصصها ثم استعمل في تلك الحصص المؤداة في تلك الاوقات ثم شتق منه فقيل نجم الكتابة والدية أي وزعها حصصا وأداها فيما (قوله وجعله بالتحميد) أي جعله مفتتحا بالسورة المشتملة على التحميد ولذلك سميت السورة فاتحة الكتاب وجعله مختتما بالسورة المشتملة على الاستعاذة فكانت خاتمة الكتاب قياسا على فاتحته ولم يرد أن لفظ التحميد أول جزء منه ليدل على أن التسمية ليست جزأ من سورة الحمد ولا أن لفظ الاستعاذة آخر جزء منه ليحتاج في توجيهه الى أن ما بعد الاستعاذة الى آخر السورة متعلق بها ومن تتمتها وفي نسبة الجعل الى الله سبحانه اشارة الى أن ترتيب القرآن في المصحف على هذا الوجه المطابق لما في اللوح المحفوظ كان بأمر من الله وتعليم الرسول (قوله وأوحاه) تقول وحيت اليه كلاما وأوحيت اذا كلمته بكلام تخفيه عن غيره (قوله على قسمين) ظرف مستقر وقع حالا عن المفعول وقوله متشابها ومحكما معادل عن الحال أي أوحاه متشابها ومحكما ويجوز النصب على التمييز من قسمين لنوع ابهام فيه أو على المدح واستعماله منكرا أكثر أو على أنه حال من المستتر في على قسمين وفيه بعد لان تقييد كونه على قسمين بأنه في حال كونه قسمين مخصوصين مما لا يرتضيه ذوق سليم أو على أنه حال أخرى مرادفة للاولى ولا يخفى ان الابدال أوقع في المعنى من جعل الاولى مقصودة بذاتها أو على انه بدل من محل المجرور فانه منصوب المحل بايصال الجار معنى الفعل اليه كما عطف على محله في قولك مررت بزيد وعمرا أي جاوزت زيدا وعمرا وفيه ضعف ظاهر اذ ليس لتقدير الناصب ههنا ظهور كما في المثال المذكور ومنهم من قدر الكلام في الوجه الاخير هكذا أوحاه على متشابه ومحكم واعترض عليه بان هذا التقدير انما هو على الابدال من لفظ المجرور ولو كان صحيحا لا على الابدال من محله فاجاب بان المنصوب المحل هو المجرور وحده والتابع للمحل بمنزلة الواقع بعد حرف الجر أو لا ترى ان معنى قوله * يذهبن في نجد وغورا غائرا * في غور وهو مردود بان التابع المنصوب لفظا انما هو منصوب محلا لا يحتاج الى تقدير عامل ينصب المتبوع أولا ثم ينصب التابع اما بانسحاب أو بتقدير مثله فالتابع للمنصوب بمنزلة متبوعه من حيث هو منصوب لا من حيث

وفصله سورا وسوره آيات وميز بينهن بفصول وغايات وما هي الا صفات مبتدا مبتدع وسمات منشا مخترع

هو مجرور فلا محل له لاعتبار الجار في تتبع المذكور من حيث هو كذلك واما ان قوله غور امعناه في غور ولانه ظرف لا بد فيه بحسب المعنى من تقدير في سواء كان معطوفا على محل المجرور كما في البيت أو على منصوب لفظا كما لو قيل يذهبن نجدا وغورا غائرا وقد مر في آل عمران المحكم ما أحكمت عبارته بان حفظت عن الاحتمال والاشتباه والمتشابه بما تكون عبارته مشتبهة محتملة فقوله والاشتباه عطف تفسيري كما تشعر به عبارته في تفسير المتشابه فالمحكم عنده ما ليس فيه اشتباه والتباس أي هو المتضح المعنى والمتشابه خلافه فيندرج في المحكم النص والظاهر وفي المتشابه المجمل والمؤول كما هو المصطلح عليه في أصول الشافعية ولتقابلهما يشملان جميع أقسام النظم المذكور في أصول الحنفية ﴿وفصله سورا وسوره آيات وميز بينهن بفصول وغايات﴾ سورا اما حال أو معمول ثان على التضمين أي جعله سورا أو صيره أي فصل سوره وسيرد عليك في الكتاب معنى السورة في تفسير قوله فأتوا بسورة من مثله وهناك نذكر ما قيل في معنى الآية والضمير في بينهن للسور والآيات معا وأراد بالفصول أواخر الآي لانها تسمى فواصل وبالغايات أواخر السور والمعنى أوقع التمييز بين السور بعضها مع بعض بالغايات وبين الآيات بعضها مع بعض بالفصول وقد يقال الضمير للآيات وحدها وأراد بالفصول الوقوف وبالغايات فواصل الآي (فان قلت) مساق الكلام يقتضي أن يكون لما وصف به الله تعالى كالانزال والتنزيل ولما وصف به القرآن من التأليف والتنظيم مدخل في اقتضاء الحمد فما وجهه (قلت) لما كان القرآن مرشدا للعباد الى مصالح المعاش والمعاد كان انزاله عليهم نعمة جزيلة وكونه مؤلفا منظما من مفردات وجمل على أحسن وجوه البلاغة وسيلة الى ان تدرك منه مقاصد دينية ودنيوية على أبلغ وجه وأكمله فيوجب زيادة في تلك النعمة وتنزيله منجما على حسب الحوادث فيه تسهيل ضبط الاحكام والوقوف على دقائق نظم الآيات وفي الافتتاح بالتحميد تنبيه للتالي على ان يحمد الله على نعمة التوفيق استجلابا للمزيد واستدامة للمستفيد وفي الاختتام بالاستعاذة حمل لمن ختم القرآن على ان يستعيذ ربه من وسوسة الشيطان ونفخه واشارة لطيفة الى ان العود الى بدئه أحمد واما ايجاده محكما ومتشابها ففي المحكم سهولة الاطلاع على المقصود مع طمأنينة قلب وثلج صدر وفي المتشابه فوائد أشار اليها العلامة يعني المصنف ههنا ما في تقادح العلماء واتعابهم القرائح في استخراج معانيه ورده الى المحكم من الفوائد الجليلة والعلوم الجمة ونيل الدرجات واما تفصيله سورا وسوره آيات فسيأتي في الكتاب ان فيه تنشيط القارئ واغتباط الحافظ وتلاحق الاشكال والنظائر الى غير ذلك (قوله وما هي الا صفات مبتدا مبتدع وسمات منشا مخترع) أشار به الى أن هذه الصفات المذكورة للقرآن من كونه مؤلفا منظما وكونه منزلا منجما وصيرورته منقسما الى متشابه ومحكم وكونه مميزا مفصلا تدل على حدوثه لاستلزامه تركيبه من أجزاء يمتنع اجتماعها في الوجود فالمتأخر عند وجود المتقدم معدوم والمتقدم عند وجود المتأخر منعدم وكل واحد منهما حادث لان العدم ينافي القدم سابقا ولاحقا وأيضا المتأخر مسبوق بعدمه المقارن لوجود المتقدم فهو حادث قطعا والمتقدم لا يتقدمه الا بزمان قليل فيكون حادثا أيضا وكذا المركب منهما لا يقال الاستدلال بهذا الطريق يكفيه تركبه من الحروف والكلمات الممتنعة الاجتماع كما هو المشهور في الكتب الكلامية فأي فائدة لسائر الاوصاف لانا نقول قد سبق ان هذه الصفات كلها مسرودة لكونها أوصافا كمالية للقرآن مناسبة للاعجاز مقتضية للحمد عليه فليس اثبات حدوثه مقصودا بالذات ولذلك جعله جملة معترضة فلا استدراك على ان الاستظهار في اثباته مطلوب عنده فكأنه قال لا يجتمع من القرآن مفرد مع مفرد ولا جملة مع جملة ولا ما نزل في حادثة مع ما نزل في أخرى ولا فاتحة مع خاتمة ولا متشابه مع محكم ولا سورة مع سورة ولا آية مع آية وفي ذلك مع رعاية تلك المقاصد مبالغة في ذكر الصفات

فسبحان من استأثر بالاولية والقدم ووسم كل شئ سواه بالحدوث عن العدم أنشأه كتابا ساطعا تبيانه قاطعا برهانه وحيا ناطقا ببينات

المستلزمة للتغير كانا اغنى فى اقتضائها الحدوث بقوله وماهى لخ وقد وجه الكلام بان دلالة الازل على الحدوث من حيث ان الحركة المكانية مختصة بالاجسام وما يحل فيها وهى حادثة اتفاقا وان دلالة سائر الاوصاف من حيث انها مستلزمة للتركيب المستلزم للامكان الذى يلزمه الحدوث بناء على امتناع تعدد القديم ورد عليه بان الحصر لا يساعده على ان كل ممكن حادث ويجوز تعدد القدماء ثم ان الاستدلال بهذه الصفات انما هو على حدوث العبارات المنظومة مفردا على الحنابلة ومن يحذو حذوهم حيث زعموا انها قديمة قائمة بذاته لا على القائلين بالكلام النفسى لاعترافهم بحدوث هذه العبارات ويسمونها كلاما لفظيا لكنهم يدعون ان هناك كلاما نفسيا قديما قائما بذاته تعالى ولا يخفى ان الصفات التى استدل بها على الحدوث مخصوصة بالقرآن اللفظى ولا دلالة لها على انتفاء القرآن بمعنى الكلام النفسى ومن حكم بان قوله وماهى لا صفات من قصر الصفة على الموصوف فقد نظر الى حاصل المعنى كأنه قال محصول كلامه ان هذه الصفات مختصة بالحادث لا توجد فى غيره وكل ما يوصف بها كان حادثا فاندفع عليه بانه من قصر الموصوف على الصفة دون العكس قصور على ظاهر مفهوم العبارة (المبتدأ) ما له بدء زمان أى أول زمان وجود (والمبتدع) ما اخرج عن العدم بديعا أى ممتازا بنوع حكمة فيه (والمنشأ) المحدث من النشء وهو الظهور والارتفاع (والمخترع) ما روعى تأنق وتعمل فى اخراجه من العدم مأخوذ من الخرع وهو الشق واذا استعمل بالنسبة اليه تعالى ما يدل على تكلف وطلب يراد به ما يلزمه من كمال الصنع وجودة المصنوع لانه تعالى منزه عن التروى والاعمال (قوله فسبحان من استأثر بالاولية والقدم ووسم كل شئ سواه بالحدوث عن العدم) هذه الفاء فصيحة من باب فقد جئت خراسانا أى اذا كان القرآن مع علو شأنه ورفعة مكانه وكونه أقرب الاشياء اليه تعالى محدثا فليتعجب المتعجبون من تفرده تعالى بصفة القدم ووسم جميع ماعداه بنقيصة سبق العدم واذا كان كذلك فأنزهه عن كل وصمة وابرئه عن كل نقيصة وفيه رمز تام الى ان الحدوث انما لزم القرآن لاقتضاء ذاته تعالى التنزيه عن الشركة فى صفة القدم لا لنقصانه فى نفسه بل هو كامل فى بابه كما نبه عليه حيث أردف المبتدأ بالمبتدع والمنشأ بالمخترع (والاستئثار) التفرد والاستبداد (والاولية) السبق على ما سواه (والقدم) عدم المسبوقية بالعدم وهما متلازمان وجودا لا مفهوما فان ما كان سابقا على جميع ماعداه كان قديما ولو كان حادثا لم يكن سابقا مطلقا الوجود القديم وما كان قديما كان سابقا على جميع ما سواه لامتناع تعدد القدماء المغايرة ولما كان القدم هو المقصود جعل الاولية توطئة له ترقيا فى الكلام (والشئ) فى اللغة كما صرح به فى سورة البقرة والامام يقع على المحال والمستقيم والجرم والعرض فيختص ههنا بالموجود بقرينة الحدوث عن العدم كما خص بالمستقيم فى قوله تعالى والله على كل شئ قدير بقرينة القدرة واما الشئ بالمعنى المذكور فى علم الكلام فمما لا يلتفت اليه فى أمثال هذا المقام وفى دعوى استئثار الذات بالقدم واتسام كل موجود سواه بالحدوث زيادة مبالغة فى حدوث القرآن ورد على مثبتى صفات زائدة على ذاته تعالى قديمة والمراد بالسبق والقدم والحدوث ما هو بحسب الزمان لانه المتبادر عند الاطلاق فقوله (بالحدوث عن العدم) تنصيص على المراد بمنطوره ورعاية للسجع (قوله أنشأه كتابا) هو مع ما فى حيزه بدل من أنزل وما عطف عليه رجع به الى ما كان فيه من بيان اتصاف القرآن بصفات الكمال بعد ما وقع فى البين من اثبات الحدوث وما يتبعه من تنزيه الله تعالى وقصد فى هذا البدل ان اتصافه بتلك الاوصاف الجليلة من التأليف والتنظيم والتنجيم والافتتاح والاختتام والتفصيل والتمييز انما كان ليكون نظمه فى افادة معناه كاملا بسطوع تبيانه ومعناه وافيا بما قصد به من الغرض بقطعية برهانه واشتماله على بينات المنقول وحجج المعقول وتباعده عن شوائب العوج وكونه مفتاحا للمنافع الدارين ومصدقا لسائر الكتب المنزلة قبله بل ليكون نظمه البديع

وحيا قرآنا عربيا غير ذي عوج مفتاحا للمنافع الدينية والدنيوية مصداقا لما بين يديه من الكتب السماوية
معجزا باقيا دون كل معجز على وجه كل زمان دائرا من بين سائر الكتب على كل لسان في كل مكان أفحم
به من طولب بمعارضته من العرب العرباء وأبكم به من تحدى به من مصاقع الخطباء فلم يتصد للإتيان

في إفادة ذلك المعنى لوافي بلطف حسن الاعجاز ويشترك بالشوهد كونه تنبيها لكل شيء بالاعجاز وبما قيل
أنشأه أي أحدثه انها حاجة أثبته من معتقده وان كان المقصود الاصلي هو القصود المذكورة لا كونه
محدثا وهذه المنصوبات أعني كتابا ووحيا وقرآنا ومفتاحا ومصداقا أحوال مترادفة أو متداخلة أو مفاعيل ثانية
بأن يضمن انشأ معنى جعل وصير والمراد انشاؤه على هذا الوجه لا نقله من وجه آخر اليه وفي ترك العطف
اشارة الى أن كل واحدة منها صفة كمال على حدة وقوله معجزا اما أن ينخرط معها في سلكها واما أن يكون
بدلا منها باسرها كأنه قال انشأه معجزا يقال سطع الصبح يسطع سطوعا اذا ارتفع شبه تبيان القرآن
تباشير الصبح المرتفعة في الوضوح والاعتلاء وأثبت له السطوع تخييلا وعبر عن الدلائل العقلية بالبينات
لظهورها وعن النقلية بالحجج لأنها الغالبة على المخالف مطلقا وقدم الاولى لانها أكثر في القرآن وللترقي
ورعاية السجع وقيل ما يثبت به الدعوى يسمى بينة من حيث افادته البيان وحجة من حيث يغلب به على
الخصم فالعاطف بينهما حينئذ قد توسط بين صفات ذات واحدة والقرآن مفتاح ينفتح به باب الشريعة
المشتملة على كل خير وسعادة في الآخرة والاولى ومصداق الشيء ما يصدقه ويبين صدقه كأنه آلة لصدقه
والقرآن باعجازه مستغن في صدقه عن شهادة غيره وبتصديقه لما تقدمه من الكتب السماوية شاهد
صدق لها ومصداقها (بين يديه) حقيقة في المكان ثم اشتهر للزمان المقدم مستعارا (قوله دون كل معجز)
ظرف مستقر وقع حالا من المستكن في باقيا أي متجاوزا في البقاء سائر المعجزات وكذا قوله من بين مستقر
وقع حالا من المستقر في دائرا أي متفردا في الدوران من بين سائر الكتب الالهية اذ لم يعهد جريان باقي
الكتب على ألسنة أرباب اللغات المتخالفة في الدهور المتطاولة (قوله وجه الزمان) استعارة بالكناية
وتخييل شبه الزمان لظهور بعض الاشياء الموجودة فيه دون بعض بشيء له ظاهر يبدو ما عليه وباطن يستتر
ما فيه فأثبت له الوجه من قولهم وجه الارض لظاهرها فانه شائع الاستعمال فيه وجعل القرآن
موضوعا عليه مبالغة في ظهوره وقد تخيل بعضهم ان الوجه اما تخييل واما مستعار للظاهر المكشوف
من الزمان وذهب عليه ان الزمان لا ينقسم الى ظاهر مكشوف والى باطن مستور فاذا جعل الوجه بمعنى
الظاهر كان تخييلا لا قسيما له (قوله أفحم به) اما صفة ثالثة لمعجزا اعدل فيها الى الجملة الفعلية للاشعار
بالحدوث وجاز وصفه لكونه بمنزلة الاسم كالممكن ونظائره واما استئناف بيان لاعجازه على سبيل الاجمال
كأنه قيل لم ثبت انه معجز وبم عرفت ذلك فاجاب بانه أفحم أي اسكت ثم ترقى فقال أبكم وأخذه من بكم قياسا
ولم يشتهر فعل بني منه سوى منقول في الاساس من قوله تكلم فلان فبكم عليه اذا ارتج عليه وقد يجعل
استعماله اياه بمنزلة روايته له فانه ثقة في اللغة (المعارضة) ان يأتي الى صاحبه بمثل ما أتى به (والعرب العرباء)
هم الخلص منهم كالعرب العاربة أخذ من لفظه ما أكد به كقولك ظل ظليل وليل أليل وفائدة لفظة به
بعد أفحم وأبكم الاشعار بان اعجاز القرآن كما هو المختار المشار اليه بسياق كلامه انما هو بكمال بلاغته
لا بالصرفة كما يتوهم من اسناد الافحام والابكام اليه تعالى لولا تقييدهما بالظرف والتحدي طلب المعارضة
وأصله في الحادين يقال خطيب (مصقع) أي بليغ مجهر بخطبه مأخوذ من صقع الديك اذا صاح واما من
الصقع بمعنى الجانب لانه يأخذ في كل جانب من الكلام واما من صقعه اذا ضربه بصوقعته أي وسط
رأسه كما يأتي في قراءة من قرأ من الصواعق حذر الموت (فلم يتصد) يتعلق بالجملتين أفحم وأبكم وتلخيص
معناه انه طولب بمعارضته فصحاء العرب فأفحمهم فلم يتعرض للاتيان بما يساوي القرآن أو يقاربه واحد
منهم وتحدى به بلغاؤهم فأبكمهم به فلم يقم بمقدار أقصر سورة ناهض منهم في الكلام ترقى حيث نسب

بما يوازيه أو يدانيه واحد من فصحائهم ولم ينهض لمقدار أقصر سورة منه ناهض من بلغائهم على أنهم كانوا أكثر من حصا البطحاء وأوفر عددا من رمال الدهناء ولم ينبض منهم عرق العصبية مع اشتهارهم بالافراط في المضادة والمضارة والقائهم الشراشر على المعازة والمعارة ولقائهم دون المناضلة عن أحسابهم الخطط وركوبهم في كل ما يرومونه الشطط ان أتاهم أحد بمفخرة أتوه بمفاخر وان رماهم بمأثرة رموه بمآثر وقد جرد

لا تحجم في فصحائهم وأظهر عجزهم عن مجموعه ثم نسب الانكام الى بلغائهم وبين قصورهم عن أقصر سورة (على أنهم) حال من ينهض لانه عامل في المعنى أي لم ينهض ناهض على انهم كانوا والضمير لهم أي من البلغاء والفصحاء معا والضمير لهما جميعا والعامل في الحال على الوجهين معنى النفي أي تركوا التصدي والنهوض حال كونهم كذا لا المنفي لفساد المعنى وجدوى هذه الحال ازالة ما عسى ان يتوهم من انهم ربما كانوا قليلا لم يمكن ان يقاوم عليهم واحد من فصحائهم ولا يثبت الاعجاز لعجزهم وكلمة على في على انهم تدل على رسوخهم في صفة الكثرة واستقرارهم واستعلائهم عليها فقد قيل ان على بمعنى مع وهو حاصل المعنى وسيأتيك في نظيره تمام زيادة تحقيق لها (والبطحاء) مسيل واسع فيه دقاق الحصا (والدهناء) بالمد وقد تقصر أرض في بلاد تميم ذات رمال كثيرة (ولم ينبض) أي لم يتحرك عطف على لم يتصد مع ما عطف عليه والضمير في (منهم) للفصحاء والبلغاء معا فهما عبارتان عن العرب العرباء كأنه قيل ولم ينبض من فصحائهم وبلغائهم فيظهر رجوع الضمير في قوله مع اشتهارهم وما بعده الى العرب العرباء مطلقا على ما ينبغي من غير تكلف يبهم في اسطم (والعصبية المحاماة واضافة العرق لادنى ملابسة أي العرق الذي يتحرك عندها وجاز أن يكون عرق العصبية استعارة مكنية وتخييلا ولم ينبض ترشيحا (مع اشتهارهم) حال من الضمير المجرور في (منهم) وفائدتها دفع ما ربما يتخيل فيهم من المساهلة في تلك المعارضة والمحاماة (المضادة) المعاداة (والمضارة) الضرار (والشراشر) الاثقال واحدها شرشرة يقال ألقى عليه شراشره أي نفسه ومحبته حرصا ومحبة (المعازة) بالزاي المعجمة المغالبة وبالراء المهملة المعارة من قولهم فلان يعر قومه أي يدخل عليهم مكروها أراد أنهم كانوا أعلاما في المغالبة والعصبية يتحركون في المحاماة موصوفا بالمكابرة ثم لم يتحرك في معارضة القرآن أضعف عرق منهم لتناهي عجزهم في هذه القضية وانما تتجلى هذه النكتة على تقدير الاضافة لادنى ملابسة لا على التخييل لان العرق حينئذ للعصبية لا لهم (دون المناضلة) أي قدام المراماة والمدافعة وفي أدنى مكان منها (والحسب) ما يحسبه الانسان أي يعده من مفاخر نفسه أو آبائه (والخطط) عظائم الامور وشدائدها جمع خطة بالضم (والشطط) مجاوزة الحد (والمفخرة) بفتح الخاء وضمها أو كسرها كل خصلة يفتخر بها (والمأثرة) بالضم وفتح المكرمة لانها تؤثر أي تذكر والشرطيتان أعني ان أتاهم وان رماهم بيان وتحقيق لما تقدم من الافراط في المضادة والقاء الشراشر على المعارة والقاء الخطط في المحاماة على الاحساب والذب عنها وركوب الشطط في كل مرام ولفظة أحد يعني الواحد من العدد وجاز أن يكون الاسم الذي يصلح أن يخاطب به مطلقا اذ أول الكلام بالنفي أي ما أتاهم أحد بمفخرة الا أتوه بمفاخر اذ لا يستعمل في الاثبات الا مع لفظة كل قوله (وقد جرد) جملة معترضة ذيل بها الكلام تقريرا وتأكيدا لجميع ما تقدم من أول الى هذا المقام وفائدتها نفي أن يتوهم انهم أهملوا في المعارضة طريقتهم المعهودة قلة مبالاة بها اذ لا يتصورون انهم مهاجمون لجائهم عليها وقيل جملة حالية وعاملها اسأحجم أي أسكتهم عن المعارضة قاسرا لهم عليها تجريد السيف عقيب الحجة وأما لم يتصد أي لم يتعرضوا لها حال كونهم مقسورين عليها وفيه بحث لان قوله فلم يعارضوه معطوف على وقد جرد فهو حينئذ من تتمة الحال وتقييد الاحجام أو ترك التصدي بعدم المعارضة مما لا طائل فيه وتجريد الحجة تعريتها عن ملابس الشبهات وتجريد السيف انتضاؤه وتعريته عن غمده فاريد به القدر المشترك بينهما وأسند الى الله مجازا لانه الآمر به وقيل تجريد الحجة منسوب الى الله حقيقة وفي المعطوف فعل مثله

لهم الحجة أولا والسيف آخرا فلم يعارضوا الا السيف وحده على أن السيف القاضب مخراق لاعب ان لم تمض الحجة حده فما أعرضوا عن معارضة الحجة الا لعلمهم أن البحر قد زخر فطم على الكواكب وأن الشمس قد أشرقت فطمست نور الكواكب والصلاة على خير من أوحى اليه حبيب الله أبي القاسم محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم ذي اللواء المرفوع في بني لؤي وذي الفرع المنيف في عبد مناف بن قصي المثبت بالعصمة المؤيد بالحكمة الشادخ الغرة الواضح التحجيل

ويسند اليه مجازا وجاز أن يراد بالتجريد الاظهار مجازا ويسند الى الله حقيقة أي أظهر الحجة على لسان رسوله والسيف على يده اي يد رسول الله صلى الله عليه وآله و (أولا) نصب على الظرفية بمعنى قبل أي ابدأ به أول فيضم على الغاية كقوله افعله قبل وأما الذي مؤنثه الاولى فغير منصرف (الا السيف وحده) من قبيل وضع المظهر موضع المضمر زيادة تصوير لتمام المعارضة وأما قوله (على أن السيف) فليس من هذا القبيل اذ المراد به الجنس لا السيف الذي جرد الظرف حال يبين أن معارضتهم بالسيف مع الخلو عن الحجة مما لا يعتد بها وقد أحاطوا بذلك علما والعامل فيها لم يعارضوا بعد انتقاض المنفي أي عارضوا بالسيف وحده حالين بهذه القضية مشتملين عليها لشبه مالهم في العلم بها واتقانها بحال من اعتلى الشيء وركبه فاستعير لها الكلمة على هذا وما عداه تحقيقه (والقاضب) القاطع (والمخراق) منديل يلف ليضرب به عند اللعب (وامضاء الحجة حد السيف) تقويته شأنه وترجيح جانبه كأنها تجعل حده أي غراره قاصما أي قاطعا ولا يخفى على كل ذي مسكة أنهم اذا آثروا المحاربة بالسيف والسنان وبذل الارواح على المقاولة باللسان مع علمهم بأنهم لم يلبسوا في ذلك على شيء فقد شاهدوا عجزهم عن المعارضة بالمرة وأحاطوا به علما فلذلك فرعه عليه قائلا (فما أعرضوا الخ) (زخر البحر) أي ماج وامتلأ وطم أي غلب وعلا يقال طم السيل فطم على الركية أي دفنها وسواها (والكوكب) الاول جمع كوكب الماء وهو مجتمعه والثاني جمع كوكب السماء مثل أولا حالهم في تلاشي شبههم واضمحلال مزخرفاتهم لظهور المعجزة الباهرة والحجة البالغة الظاهرة بحال كواكب المياه وغدرانها في اندراسها بزخر البحر الخضم وطمه عليها وثانيا بحال الكواكب حين أشرقت عليها الشمس وطمست أنوارها ومحت آثارها وقد يقال استعير البحر والشمس لبلاغة القرآن والكواكب بالمعنيين لبلاغاتهم ثم رشحت باستعارة الزخر والاشراق لظهورها واستعارة الطم والطمس لغلبتها عليها وهو تكلف مستغنى عنه (قوله والصلاة) معطوف على التحميد الذي بناه على الانزال والابعاث واستقصد زيادة الملاءمة بينهما قال (خير من أوحى اليه) دون أرسل وليس في أوحى ضمير راجع الى القرآن لفساد المعنى بل الظرف قائم مقام فاعله فضله أولا على الانبياء ثم وصفه بعناه ومنشأ كل سعادة وكمال ثم كناه وسماه استلذاذا وتبركا ثم ذكر نسبه العالي الى هاشم ثم شرع في حسبه فذكر علو شأنه وظهور سلطانه وقدم فيه الجد الاعلى وهو لؤي على الادنى وهو قصي لان رفعة القدر ونفاذ الامر في أعلى القبائل أدل على عظم المكانة ثم عقبه بذكر باقي أحسابه من كونه (مثبت بالعصمة مؤيد بالحكمة) أي العلم المشفوع بالعمل واشتهار مصالته وكونه نبيا مبشرا به في الكتب السابقة اللواء العلم وذي اللواء المرفوع في بني لؤي كناية عن سيادته عليهم وكونه مطاعا فيهم (ذي الفرع) أي ذي العلو والرفعة من قولهم فرعت القوم علوتهم بالشرف أو بالجمال و (المنيف) المشرف العالي من أناف على كذا أشرف عليه ويجوز أن يراد بالفرع الغصن فشبه النبي صلى الله عليه وآله بشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء مستظل بها فذي استعارة مكنية والفرع تخييل والمنيف ترشيح وان يراد به السيد يقال هو فرع قومه أي سيدهم فيكون تجريدا مبالغة في سيادته وقد يقال الفرع مستعار لاولاده اشارة الى شرف فروعه كأصوله أو للنبي وذي الفرع صفة لؤي بن ذي اللواء صفة هاشم ولا يخفى بعدهما (الغرة) البياض في جبهة الفرس يقال شدخت الغرة اتسعت (والتحجيل) البياض في قوائمه

النبي الامي المكتوب في التوراة والانجيل وعلى آله الاطهار وخلفائه من الاختان والاصهار وعلى جميع المهاجرين والانصار * (اعلم) أن متن كل علم وعمود كل صناعة

يقال فرس محجل وقد تجيء قوائمه مع بياض وهما أعني الغرة والتحجيل مستعاران ههنا للشرف والكمال كما أن الشدوخ والوضوح مستعاران لاشتهارهما فقد أشير الى اشتهار جميع أنواع فضائله وكمالاته من قرنه الى قدمه وتستعمل الغرة وحدها في الشرف مستعارا مشهورا يقال رجل أغر أي شريف وفي الاشتهار وفي الامتياز مجازا مرسلا كقوله مبارك الاسم أغر اللقب أي مشهور اللقب دون التحجيل وحده وأما قوله عليه السلام ان أمتي يأتون يوم القيامة غرا محجلين من أثر الوضوء فمن استطاع منكم أن يطيل غرته فليفعل فالظاهر منه أن المراد الانوار المتلألئة من آثار الوضوء على تلك المواضع وقد يحمل على امتيازهم واشتهارهم بين الامم في ذلك اليوم بسبب هذه العبادة و (الامي) من لا يكتب منسوب الى أمة العرب المشهورين فيما بين الامم بعدم الخط والكتابة أو الى أم القرى لان أهلها كانوا أشهر بذلك أو الى الام أي كما ولدته أمه وكونه عليه الصلاة والسلام أميا صفة مدح له تشهد بنبوته وتنفي ارتياب المبطلين حيث أتى بالعلوم الجمة والحكم الوافرة واخبار القرون الخالية بلا تعلم خط واستفادة من كتاب وقد طابق بين الامي والمكتوب أي ليس بكاتب بل هو مكتوب (قوله وعلى آله) أراد أهل بيته لتبادره عند الاطلاق (والاطهار) جمع طهر بمعنى طاهر كعدل بمعنى عادل فان فعلا لا يجمع على افعال كما نص عليه الجوهري (من الاختان والاصهار) في الصحاح أن الختن عند العامة زوج الابنة وعند العرب كل من كان من قبل المرأة كالاب والاخ والصهر أهل بيت المرأة وأراد الزمخشري بالاختان متعارف العامة وبالاصهار حقيقته وتقديم الاختان للسجع ومن للتبعيض لان الخلفاء الراشدين كانوا بعض اصهاره وأختانه وجاز أن تجعل للبيان لان أقل الجمع عنده اثنان (وعلى جميع المهاجرين والانصار) أي على جميع أصحابه كما يقال الله خالق السموات والارض أي خالق كل شيء وفي تخصيص الخلفاء من بينهم وتقديمهم عليهم تنويه بشأنهم (قوله اعلم ان متن كل علم) شرع في آخر من الكلام فلذلك وصله بما تقدمه وغير صدره بالامر مؤكدا بان حثا على التشمر لتحقيقه وانه أساس لما هو بصدده من الحصر وبيان تفاوت الرتب في الكتب والمتن هو الظهر وهو قوام البدن يبتنى عليه سائر أعضائه فاستعير لاصل العلم وهو أمهات مسائله اذ بتقوم بها نكته ولطائفه (والعمود) الخشبة التي في وسط الخيمة يستند اليها قيامها فاستعير لعمدة الصناعة لانه يتفرع عليها سائرها ودقائقها والعلم ان لم يتعلق بكيفية عمل كان مقصودا في نفسه ويسمى علما وان كان متعلقا بها كان المقصود منه ذلك العمل ويسمى صناعة في عرف الخاصة وينقسم الى قسمين ما يمكن حصوله بمجرد النظر والاستدلال كالطب مثلا وما لا يمكن حصوله الا بمزاولة العمل كالخياطة وهذا القسم يختص باسم الصناعة في عرف العامة والوجه في التسمية على العرفين ان حقيقة الصناعة صفة نفسانية راسخة يقتدر بها على استعمال موضوعات ما نحو غرض من الاغراض على وجه البصيرة بحسب الامكان كما يشعر به كلام المصنف حيث قال كل عامل لا يسمى صانعا ولا كل عمل يسمى صناعة حتى يتمكن فيه ويتدرب ولا شك ان العمل المقصود من العلم لا يتم كماله الا بان يتمرن صاحبه في ذلك العلم ويصير العمل ملكة له ولما كان علم التفسير مشتملا على المعارف الالهية والاحكام العملية جاز أن يطلق عليه كل من هذين الاسمين واطلاق العلم أولى لانه الاكثر والاشهر والاشرف ثم الظاهر ان المراد بالصناعة ههنا متعارف العامة وان ذكر الصناعات لتشابه بها العلوم في ان تفاضل مراتب أصحابها بحسب الدقائق دون الاصول (فان قلت) علم الكلام لا تعلق له بكيفية عمل فكيف سماه صناعة (قلت) ذلك على سبيل التشبيه لانه لدقته وغموضه لا يتحصل الا بمطالعات متعاقبة وممارسات متطاولة ولذلك سمي كلاما فانه نوع تعلق بالعمل وقد يقال كل علم مارسه الرجل حتى نسب اليه وصار كالحرفة له

طبقات العلماء فيه متدانية وأقدام الصناع فيه متقاربة أو متساوية ان سبق العالم العالم لم يسبقه الا بخطا يسيرة أو تقدم الصانع الصانع لم يتقدمه الا بمسافة قصيرة وان الذي تباينت فيه الرتب وتحاكت فيه الركب ووقع فيه الاستباق والتناضل وعظم فيه التفاوت والتفاضل حتى انتهى الامر الى أمد من الوهم متباعد وترقى الى أن عد ألف بواحد

يعني صناعة سواء كان متعلقة بالعمل أولا (طبقات العلماء) درجاتهم (فيه) أي في متن العلوم (واقدام الصناع) منازلهم (فيه) أي في عمود الصناعات وقد أشار بتخصيص كل من الطبقات والاقدام عوضه الى اناقة العلوم على الصناعات واقتصر في طبقات العلماء على التداني وردد في اقدام الصناع بين التقارب والتساوي تنبيها على استبعاد التساوي في قواعد العلوم دون الصناعات (لا يقال) قوله طبقات العلماء مع ما في حيزه خبر عن المعطوف عليه وحده أعني متن وقوله واقدام الصناع مع ما في حيزه خبر عن المعطوف وحده أعني عمود كل صناعة وكيف جاز عطف أحد الخبرين على الآخر (لانا نقول) قد صرح النحاة بان الخبر ذا تعدد لتعدد المخبر عنه حقيقة وان كان متحد اللفظ لا يستعمل الخبران بغير عطف كقوله

يداك يد خيرها يرتجى ● وأخرى لاعدائها غائظه

واذا كان المخبر عنه متعددا حقيقة ولفظا معطوفا بعضه على بعض كان العطف في الخبر أولى ليكون على وتيرة المخبر عنه والسر في العطف ان مآل المعنى وان كان الى التوزيع الا ان القصد بحسب الظاهر لامن الالباس الى ربط المجموع بالمجموع ولا بد من اداة الجمع كانه قيل مراتب العلماء والصناع في أصول العلوم والصناعات متقاربة وقد توهم انه نظير قولك زيد وعمرو قام أبوه وذهب أخوه على ان يكون أحد الضميرين لزيد والآخر لعمرو وانه لا بد فيه من اعتبار تقديم وتأخير وهو منظور فيه لانه اذا اعتبر تقديم خبر المعطوف عليه على المعطوف لم يبق للواو في خبر المعطوف وجه وجعلها لتأكيد لصوق الخبر بالمخبر عنه فمردود وعلم ان المثال المشبه به اعتبار صحيح اذ لم يكن القياس في اختصاص كل خبر بما هو له ويكون حينئذ محمولا على ما قدرناه من ربط المجموع بالمجموع اعتمادا على فهم السامع (ان سبق) هو مع ما عطف عليه بيان وتأكيد للتداني والتقارب المذكورين واختار صيغة الماضي لان الماضي على المضي أوقع كانه قيل ان كان سبق ويشهد له قوله تباينت وتحاكت واستعملت ان دون اذا لان الشك في السبق أقرب الى قلة التفاوت وثبوت التقارب وذكر الخطا والمسافة تشبيها للسبق في المراتب العقلية بالسبق في المسافات الحسية تصويرا له وتمكينا في الاذهان ولا شبهة في ان الخطا أنسب بالاقدام والمسافة بالطبقات الا انه لاحظ جانب المعنى فقط (قوله وان الذي) هذا الخ معطوف على ان علم وما في حيزه عطف قصة على قصة لا بلاحظ فيه مناسبة لخصوص جملة مع أخرى ولك ان تقول كلمة ان علم حث على التوجه نحو الخبر الذي هو المقصود فهو عطف بحسب المعنى على ذلك المقصود ومحرر هذه الكلمة كانه قال ان متن كل علم وعمود كل صناعة ليس فيه تفاوت يعتد به وانما الذي تباينت وهذا أدق وأحسن وقد يتخيل ان الهمزة مفتوحة عطفا على ما بعد اعلم وفيه وجوه من المبالغة لتخصيص فانه بالقياس الى القواعد والاصول وقد علم انتفاء التباين فيهما ودلالة ان على ظهور الحصر وايراد المبتدا موصولا تشتمل صلته على ما يشوق الى الخبر تشويقا تاما وتأكيد الخبر بينهما وتعقيبه بالتفسير (تحاكت) أي تماكت كناية عن شدة السعي وفرط المجاهدة في المسابقة وقيل كناية عن تحاكي المتناظرين في المباحثة وبعده ظاهر وقوله حتى انتهى الامر أي في التباين والتفاضل غاية لقوله تباينت وما عطف عليه أو لقوله عظم التفاوت والتفاضل وحده وقوله (الى ان عد) ناظر الى قول البحتري

ولم أر امثال الرجال تفاوتا ● لدى المجد حتى عد ألف بواحد

وفي عد ألف بواحد مبالغة ليست في عكسه حيث جعل الواحد أصلا قوبل به الالف مع ان اللفظ لعد

ما فى العلوم والصناعات من محاسن النكت والفقر ومن لطائف معان يدق فيها مباحث الفكر ومن غوامض أسرار محتجبة وراء أستار لا يكشف عنها من الخاصة الا أوحدهم وأخصهم ولا واسطتهم وفصهم وعامتهم عماة عن ادراك حقائقها بأحداقهم عناة فى يد التقليد لا يمن عليهم بجز نواصيهم واطلاقهم * ثم ان أملأ العلوم

بالكثير أولى (المحاسن) جمع حسن على غير القياس كأنه قيل محسن (والنكتة) من النكت كالنقطة من نقط ونكت الكلام أسراره ولطائفه لحصولها بالفكرة التى لا يخلو صاحبها عن نكت فى الارض بنحو لا صبع بل لحصولها بالحالة الفكرية الشبيهة بالنكت (والفقر) جمع فقرة بسكون القاف وهى فى الاصل حلى يصاغ من ذهب على هيئة فقار الظهر يستعار أولا لدقائق المعانى الشبيهة بذلك المصوغ وثانيا لما هو فى النثر بمنزلة البيت اذ لا يخلو عن دقيق معنى غالبا عبر عن دقائق العلوم والصناعات بعبارات مختلفة نظرا الى جهات متفاوتة فسماها أولا بمحاسن النكت والفقر وثانيا بلطائف معان وثالثا بغوامض أسرار ونكر الاخيرين قصدا الى التفنن بايراد طريقى التعريف والتنكير وأبعد المنكر بالوصف أولا وكرر الجار أعنى كلمة من تنزيلا لتغاير الجهات منزلة تغاير الذوات وقوله (لا يكشف) تأكيد وتقرير لمعنى الاحتجاب ومفعوله محذوف أى لا تكشف الاستار عنها أى عن غوامض الاسرار ومن ههنا يعلم ان مؤدى تلك العبارات ذات واحدة والا اختل نظام الكلام (من الخاصة) صفة مقدر هو فاعل أى لا يكشف عنها أحد من الخاصة و(أوحدهم) بدل منه وقد يجعل هو فاعلا ومن الخاصة حالا منه قدمت من حيث الضمير ووجه ان الاوحدى المضاف الى ضمير الخاصة لا محالة يكون بينهم ولا فائدة فى هذه الحال سوى تأكيد نسبته اليهم وياء النسبة فى الاوحدى للمبالغة كالاحمرى منسوب الى اللفظ تنبيها على انه عريق فى معنى الوحدة يستحق ان يعبر عنه بالاوحد وينسب اليه (واسطتهم) أى خيرهم وأفضلهم من واسطة القلادة لاجود جوهرة فى وسطها (وفصهم) أى مختارهم من فص الخاتم عقب الاوحدى بالاخص والواسطة بالفص لشدة الملاءمة بينهما وأعاد كلمة الا فى الاخيرين اشارة الى انه باعتبار اتصافهم بما كأنه شخص آخر يستحق أن يستثنى مرة أخرى مبالغة فى اثبات الحكم له من جهات متعددة أو الى انه قصد لاستثناء آخر فلم يجد غيره فاستثناه بحسب صفة أخرى تأكيدا لنفى الحكم عن غيره وقيل الاعادة لعدم مجانستهما للاولين فلا يحسن انخراطهما فى سلكهما وهو قصور على ملاحظة اللفظ والضمير فى (عامتهم) للخاصة أى أكثر الخاصة عماة والعمى يستعمل فى البصر يقال رجل أعمى وقوم عمى وفى البصيرة يقال رجل عمى القلب وقوم عمون فان حمل على الاول كان مستعار العمى للبصر (والاحداق) ترشيحا وان حمل على الثانى كان الاحداق مستعارا للبصائر وانما عدل عن قياس الجمع الى عماة جمع عام ليشاكل عناة وضمير (لحقائقها) لغوامض الاسرار (وباحداقهم) متعلق (بالادراك) أى لا يظهر لهم ظهور المحسوس (وعناة) جمع عان وهو الاسير أى هم أسراء فى يد التقليد لا خلاص لهم أصلا وكانت عادة العرب فى اطلاق أسراهم جز نواصيهم اهانة واذلالا وقوله (ثم ان أملأ العلوم) عطف على ان مع ما عطف عليه وفيه مبالغات من وجوه لتقرير ما يدعيه فى ذهن السامع ونفى الشبهة عنه التأكيد بان وايراد المسند اليه مبهما مشوقا الى المسند مع الاطناب فيه وتوصيف المسند اجمالا اعبارا بدء تفخامة ويحل موقعه فى الاذهان وارادفه بتفصيله مبسوطا ومشروحا وفائدة لفظ ثم التنبيه على انه ينبغى ان يتئد السامع فى تحقيق ما قدمناه من ان التفاوت بنكت العلوم لا باصولها حتى يصير منه على ثقة فوطمأنينة ثم يتحقق ان أشمل العلوم على النكت واللطائف علم التفسير فيكون الاختلاف بين مراتب المفسرين أكثر (أملأ) افعل من ملئ بالكسر أى امتلأ فهو ملآن على ما ذكره فى المقدمة أى أشد العلوم امتلاء وأخذه من ملؤ بالضم أى غنى بعيد لاستلزامه تشبيه النكت بالاموال وكذا أخذه من ملأ بالفتح على انه للمفعول لانه قليل وأما كونه بمعنى الفاعل أى أملأ

بما يغمر القرائح وأنهضها بما يبهر الالباب القوارح من غرائب نكت يلطف مسلكها ومستودعات أسرار يدق سلكها علم التفسير الذى لا يتم لتعاطيه واحالة النظر فيه كل ذى علم كما ذكر الجاحظ فى كتاب نظم القرآن فالفقيه وان برز على الاقران فى علم الفتاوى والاحكام والمتكلم وان بز أهل الدنيا فى صناعة الكلام وحافظ القصص والاخبار وان كان من ابن القرية أحفظ والواعظ وان كان من الحسن البصرى أوعظ والنحوى وان كان أنحى من سيبويه واللغوى وان علك اللغات بقوة لحييه لا يتصدى منهم أحد

العلوم للقرائح بما يغمرها فلا منع منه لان ملأت الاناء من الماء او بالماء كلاهما صحيح لان الملاء يتعدى منه وهو آلة له ولعله أظهر وذلك لان ملأ بالفتح أشهر استعمالا من ملئ بالكسر وان جعل العلوم ظرفا للدقائق فهو على خلاف ما هو المعتاد من ان المظروف ليس جزأ من الظرف وان الغمر الذى هو ترشيح الاستعارة حيث كان منسوبا الى القرائح فالظاهر ان الامتلاء منسوب اليها ايضا فانها تمتلئ أولا ثم تصير مغمورة أى مستورة وان لطائف العلوم تحيى القلوب وهى بالقياس اليها أشبه بالماء منها بالاقتباس لى العلوم و (القريحة) الطبيعة وهى فى الاصل أول ما يستخرج من البئر لحصوله بالكدح والتأثير وأطلقت على ما يقع فى القلب بغتة بعد سابقة طلب ثم نقلت منه الى محله أى القلب (وأنهض) أفعل من نهض بالامر قام به (يبهر) يغلب و (القوارح) الكوامل الشوامخ جمع قارح وهو من ذى الحافر ما تكامل سنه ودع أشده (يلطف مسلكها) أى يدق طريق الوصول اليها فلا يسلك الا بفكرة صائبة (والسلك) الخيط ودقته كناية عن لطافة الجواهر المنظومة فلا يدرك الا ببصيرة ثاقبة جمع بين غرابة النكت ولطف المسلك اشارة الى معنى قوله من محاسن النكت ومن لطائف معان وجعل قوله ومستودعات أسرار بازاء قوله ومن غوامض أسرار * التفسير علم يبحث فيه عن أحوال كلام الله المجيد من حيث دلالته على مراده وينقسم الى تفسير وهو ما لا يدرك الا بالنقل كأسباب النزول والقصص فهو ما يتعلق بالرواية والى تأويل وهو ما يمكن ادراكه بالقواعد العربية وهو ما يتعلق بالدراية فالقول فى الاول بلا نقل خطأ وكذا القول فى الثانى بمجرد التشهى وان أصاب فيهما واما استنباط المعانى على قوانين اللغة فمما يعد فضلا وكمالا (لا يتم) أى لا يكمل ولا يصلح (لتعاطيه) لتناوله (كما ذكر) نصب على المصدر أى ذكر ذلك عدم صلاحية كل ذى علم لتعاطيه ذكرا مثل ذكره ولا نقل ههنا لكلام الجاحظ أصلا بل انما ادعى اجمالا انه لا يتم لتعاطيه (كل ذى علم) اشارة الى أن الجاحظ ذكر هذا المعنى فى كتابه تأييدا لما ادعاه ثم فصل كلامه بمجمل قوله (فالفقيه الخ) وهذه العبارة أعدل شاهد لما ذكرناه عند من له دربة بأساليب الكلام وذكر بعض من أثق به انه رأى كتاب نظم القرآن ولم يكن شئ من هذه العبارات فيه وعلى هذا فقد سقط مؤنة تعيين منتهى كلامه وتوجيه ما قيل فيه (برز عليه) أى فاق و (الاقران) الاكفاء جمع قرن بالكسر وفى المغرب ان اشتقاق الفتوى من الفتى لانه جواب فى حادثة أو احداث حكم أو تقوية لبيان مشكل يعنى انه يلاحظ فى الفتوى ما ينبئ عنه الفتى من الحدوث والقوة (بز) غلب (والقصص) بكسر القاف جمع قصة و (ابن القرية) بكسر القاف وتشديد الراء المكسورة أحد فصحاء العرب واسمه أيوب والقرية اسم أمه وهى فى الاصل حوصلة الطائر كان من الحفظ بقول الكتب القديمة الى العربية قتله الحجاج فقال عند القتل لكل جواد كبوة ولكل شجاع نبوة ولكل حكيم هفوة فصارت أمثالا (الحسن البصرى) هو المكنى أبا سعيد من أكابر التابعين لقى عليا عليه السلام فى المدينة وكان مشهورا بالحكم والمواعظ فاذا أطلق الحسن فى الكتاب فهو المراد قدم المصنف كلمة من على أفعل التفضيل فى موضعين محافظة على السجع و (أنحى) من نحا ينحو اذا تطرق فى النحو وتكلم فيه ومنه النحاة جمع ناح واللحى منبت اللحية عبر بعلك اللغات عن ضبطها واتقانها ودل على سهولة مأخذه أى يكفى فيها تحريك اللحيين باستعمال اللسان و (لا يتصدى) خبر لقوله فالفقيه وما عطف عليه وهذه الشروط أعنى قوله وان برز

السلوك تلك الطرائق ولا يغوص على شيء من تلك الحقائق الا رجل قد برع في علمين مختصين بالقرآن وهما علم المعاني وعلم البيان وتمهل في ارتيادهما آونة وتعب في التنقير عنهما أزمنة وبعثته على تتبع مظانهما همة في معرفة لطائف حجة الله وحرص على استيضاح معجزة رسول الله بعد أن يكون آخذا من سائر العلوم بحظ جامعا بين أمرين تحقيق وحفظ كثير المطالعات طويل المراجعات قد رجع زمانا ورجع اليه ورد ورد عليه فارسا في علم الاعراب مقدما في حملة الكتاب وكان مع ذلك مسترسل الطبيعة منقادها مشتعل القريحة وقادها يقظان النفس دراكا للمحة وان لطف شأنها منتبها على الرمزة وان خفي مكانها لا كزا جاسيا ولا غليظا جافيا

واخواته وقعت أحوالا وقد جردت عن معنى الشرط فلا تحتاج الى تقدير جزاء فان جوزت انتصاب الحال من المبتدا فالمعنى ان انتساب الخبر اليه في حال كونه كذا مثلا كل واحد من المعطوف وما عطف عليه صاحب الحال التي تليه والا فصاحب الحال هو أحد بحسب تفصيل معناه أي لا يتصدى منهم لفقيه مبرز على قرنه وهكذا وابراز الحال في صورة الشرط يدل على ان هذه الامور غير واقعة بل مفروضة كأنه قيل مهر وصار أبرز به على أقرانه وغلبته على أهل زمانه وفي التقييد بأهل الدنيا اشعار بعظم التفاوت في صنعة الكلام و(تلك الطرائق) اشارة الى قوله مسالكه و(تلك الحقائق) الى قوله مستودعات أسرار يقال غاص في الماء على اللؤلؤ أي حصله واستولى عليه (الا رجل) مستثنى من أحد فهو في المعنى استثناء من كل ذي علم (برع) بالضم والفتح فاق والباء في قوله (مختصين بالقرآن) ان كانت داخلة على المقصور عليه كما هو أصل اللغة فالمعنى ان استعمالهما في القرآن أكثر وكان مدارهما معرفة أسرار بلاغته ودلائل اعجازه فهما للقرآن لا لغيره وان جعلت داخلة في المقصور كما هو المشهور في الاستعمال فالمعنى ان الاطلاع على فرائده والكشف عن وجوه فوائده لا يحصل الا بهما وفيه الا بغيرهما (تمهل) أي اتأد من المهل بسكون الهاء أو سبق من المهل بفتحها (والارتياد) من راد الكلأ وارتاده اذا طلبه (آونة) وأزمنة جمعا أوان وزمان لكن أي أوانا بعد أوان وزمنا بعد زمن كقوله تعالى أولئك عليهم صلوات من ربهم أي صلاة بعد صلاة كما يعني ولا نظر الى كونهما جمعا قلة اذ لا يناسب المقام أصلا (التنقير) عن الامر البحث عنه و(مظنة الشيء) مألفه الذي يظن كونه فيه ومظان لطائف تراكيب البلغاء والقرآن حجة الله على خلقه ومعجزة رسوله في اثبات نبوته فيستحق أن يعتنى بشأنه ويستعمل الهمة في معرفة لطائفه واستيضاح اعجازه (بعد أن يكون) ظرف لبرع وما عطف عليه (بحظ) معمول آخذا يقال أخذ الطعام وأخذ بالطعام وترك العطف بين الاخبار ليكون تنبيها على ان كل واحد منها أمر مستبد بنفسه يستأهل ان يثبت استقلالا (قد رجع) بيان لقوله (طويل المراجعات) أي رجع زمانا طويلا في العلم (ورجع اليه) في التعليم (ورد) على غيره في المناظرات (ورد عليه) و(فارسا في علم الاعراب) تخصيص للعموم من بين سائر العلوم أي يكون مع أخذه من الحظ وافر كاملا في علم الاعراب فانه العمدة في هذا الباب (مقدما) في معرفة كتاب سيبويه على جملته فانه أحسن كتاب وضع فيه قال السيرافي ما سبقه مثله من قبله ولا لحقه من بعده (وكان) عطف على قد برع (مع ذلك) أي مع ما ذكر من براعته في العلمين بعد كونه كذا وكذا (مسترسل الطبيعة) أي سلس الطبيعة في الحركات الفكرية نحو دقائق العلوم سهل القبول لها لانقيادها من قولهم بعير رسل بفتح الراء سهل السير وناقة رسلة فيه أيضا (مشتعل القريحة) في استجلاء الدقائق واستقدها عند الوصول اليها وقوله (وقادها) دفع لتوهم الخمود كالجمر بعد سرعة الاشتعال كما ان منقادها دفع لتخييل الضعف من الاسترسال وقد يقال حاصله ان له طبيعة كالماء في السلاسة والقبول وكالنار في النفوذ والتوقد (اللمحة) الاشارة الخفية (والرمزة) الايماء بالشفتين والحاجبين و(الكزازة) الانقباض واليبس يقال رجل كز وقوم كز بالضم وفرس كزة اذا كان في عوده يبس عن الانعطاف و(الجاسي) الصلب من جسأت يده من العمل أي صلبت (الجافي) الذي من الجفاء وهو الغلظة في العشرة

متصرفاً ذا دراية بأساليب النظم والنثر مرتاضاً غير ريض بتلقيح بنات الفكر قد علم كيف يرتب الكلام ويؤلف وكيف ينظم ويرصف طالما دفع الى مضايقه ووقع في مداحضه ومزالقه (ولقد رأيت) اخواننا في الدين من أفاضل الفئة الناجية العدلية الجامعين بين علم العربية والاصول الدينية كلما رجعوا اليّ في تفسير آية فأبرزت لهم بعض الحقائق من الحجب أفاضوا في الاستحسان والتعجب واستطيروا شوقاً الى مصنف يضم أطرافاً من ذلك حتى اجتمعوا اليّ مقترحين أن أملي عليهم الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الاقاويل

وترك الرفق في المعاملة والكلام وأثبت أولا سلاسة الطبيعة وصفاءها وجودة القريحة وذكاءها بحسب الفطرة ثم في أضداد دهاءها العقل في أثنائها ثم شرع بقوله (متصرفا) في الصفات العملية المتفرعة على تلك الامور الحقيقية ولا شبهة في أن ذلك ترتيب أنيق لا فتور فيه ولا التباس فمن لا يجد مثل هذا التركيب فبقيم فهمه (والدراية) العلم والتجربة (أساليب الكلام) فنونه (والمرتاض) ما تمت رياضته (والريض) ما كان اهلا لها ولم يرض بعد وقوله (غير ريض) دفع لتوهم التجوز في المرتاض (بنات الفكر) اما المقدمات وتلقيحها ترتيبها على وجه يؤدي الى المطلوب واما النتائج كما اشتهر في الاستعمال أو يراد استخراج نتيجة من أخرى دلالة على قوة فطانته وكمال الرياضة أو يراد التلقيح لاحداها و(قد علم) بيان وتقرير لقوله مرتاضا بتلقيح بنات الفكر أي قد علم كيف يرتب أجزاء الكلام ويؤلف بينها وكيف ينظم أفرادها ويرصف في نظمها أي علم كيفية التلقيح في المقدمات وأجزائها (الترصيف) الضم والاحكام (طالما) تأكيد لقوله قد علم وكلمة ما في طالما وقلما اما مصدرية أي طال اندفاعه واما كافة تكفهما عن طلب الفاعل لعطاء زيهما شبه لو وقوع الفعل بعدهما ويؤيده أنها كتبت موصولة كما في انما وجاز الفصل بينها وبين الفعل قال الكميت

* وقد طال ما يا آل مروان ألتم *

(ولقد رأيت) هو الى آخر الخطبة معطوف على قوله ثم بأملأ العلوم عطف القصة على قصة علم التفسير أي كان طبقات المفسرين في غاية التباين لكثرة نكته وتوقف دراكه على شرائط قلما تجتمع في واحد وكنت أنا في أعلى طبقة منهم قادرا على كشف أسرار هذا الفن وفوائده ووجدت الناس محتاجين الى ذلك غاية الاحتياج مطبقين عليّ في وضع هذا الباب فتصديت لوضع هذا الكتاب فأتمه الله على يدي في أدنى مدة واللام في لقد جواب قسم مقدر دفعا لما عسى يختلج في وهم من له ريبة في صدقه وتوحيد الضمير في رأيت لان الرؤية له خاصة وجمعه في (اخواننا) لارادة أنهم اخوة للامة لعدلية عامة وبيان (الاخوة) الذي هو جمع قلة (بالافاضل) الذي هو جمع كثرة تنبيه على أنهم وان قلوا صورة فهم الكثيرون حقيقة أي شرفا وفضلا وذكر (الفئة الناجية) اشارة الى أنهم الذين حكم في الحديث بنجاتهم وقوله (في الدين) ظرف لاخواننا لتضمنه معنى الموافقة والمعاونة (الجامعين) صفة الافاضل (وعلم العربية) يتناول أقسامها من اللغة وغيرها و(الاصول الدينية) علم الكلام والشرطية أعني (كلما رجعوا) مفعول ثان لرأيت وفي هذا التعميم مبالغة (بعض الحقائق) أي بعض حقائقها أو بعض ما عندي منها (أفاضوا) أي شرعوا دفعة في استحسان ما أبرزته لهم وفي التعجب مني (استطيروا) استفزوا كأنهم حملوا على الطيران (شوقا) مفعول له لا تمييز اذ لا معنى لقولك استطير شوقه (أطراف) المدينة نواحيها وسوادها فاستعيرت لجوانب الكلام أي يضم أشياء كثيرة من ذلك أي من جنس ما أبرزت لهم وقد يقال أراد ضم ذلك المبرز المتفرق (حتى اجتمعوا) أي أدى تعجبهم وشوقهم الى الاجتماع (والاقتراح) السؤال من غير روية ويدل على كمال الشغف (والاملاء) متعد فاما أن يقدر مفعوله أي أملي كتابا في الكشف أو نزل منزلة اللازم أي أفعل الاملاء في الكشف (حقائق التنزيل) معانيه التي ينساق اليها بلا صرف عن ظاهره (وتأويله) أن يصرف الى خلاف ظاهره لامارة تدل عليه (وعيون الاقاويل

في وجوه التأويل فاستعفيت فأبوا الا المراجعة والاستشفاع بعظماء الدين وعلماء العدل والتوحيد والذي حداني على الانشاء مع علمي أنهم طلبوا ما الاجابة اليه علي واجبة لان الخوض فيه كفرض العين ما أرى عليه الزمان من رثاثة أحواله وركاكة رجاله

خيارها عطف على حقائق التنزيل أي لكشف عن الحقائق بابرازها وعن العيون بتفصيلها وتوجيهها أو عطف على الكشف والاقاويل جمع أقوال جمع قول والظرف أعني (في وجوه) متعلق بالاقاويل وما أحسن هذه العيون في الوجوه (فاستعفيت) أي طلبت الاعفاء يقال اعفني من الخروج معك أي دعني منه (والاستشفاع) واستشفع به أي سأله ان يكون شفيعا له وعطف (علماء العدل) على (عظماء الدين) من قبيل عطف الصفات أو أراد بعظماء الدين الزهاد والعباد وبالمعتزلة علماء العدل سموا انفسهم أهل العدل لانهم أوجبوا على الله تعالى ما هو عدل عندهم من ثواب المطيع وعقاب العاصي وتيسير أسباب الطاعات وزواجر المعاصي ورعاية ما هو الاصلح للعباد ولم يجوز واشياء عايعد ظلما وأهل التوحيد لم يثبتوا لله تعالى صفات قديمة زائدة على ذاته لاستلزامه تعدد القدماء المنافي للتوحيد (والذي حداني) مبتدأ خبره (ما أرى عليه) وهو جملة معترضة بين المعطوف والمعطوف عليه أعني (فأبوا وطلبت) وفائدتها تأكيد حقية الاقتراح والاستشفاع واظهار ان استعفاءه لم يكن عن قصور بل عن استقصاره من يستضيء بنوره (حداني) ساقني وعدى بعلى لتضمينه معنى الحمل والبعث (على علمي) حال من المفعول وقسيمي لك حلية حالها كله (ما) موصولة والجملة الآتية صلتها أي طلبوا الامر الذي يجب على صاحبه الاجابة اليه (لان الخوض) تعليل لتخصيص الوجوب واشارة الى ان هذا الامر وان كان من فروض الكفايات الا انه صار عليه كفرض العين اذ كان متعينا له في زمانه (ما أرى) اما موصوفة أي شيء أرى عليه و(من رثاثة) بيان لما وصفة أخرى له واما موصولة ومن رثاثة بيان للضمير في عليه وحال منه لا للموصولة اذ لا ينتصب حال من خبر المبتدأ وقيل المعنى لا يساعد على جعله حالا من ضمير عليه فالاولى ان المعنى ما أرى الزمان على رثاثة حاله وهو مردود بان المبين ليس في حكم الساقط بالمرة وهذا ممنوع في البدل فكيف في البيان واما لان تقييد الرؤية بحال كونه رثاثة لا فائدة فيه وجوابه ان ما يرى عليه الزمان يتناول بعمومه ما لا يكون من رثاثة كان الجنس يتناول بعمومه ما لا يكون وثنا فكما ان من الاوثان حال من الرجس مقيدة للعامل بكون الرجس وثنا كذلك من رثاثة حال من الضمير في عليه مقيدة للرؤية بكون المرئي رثاثة وهي البذاذة يقال ثوب رث أي خلق (والركاكة) الضعف قال رحمه الله الركة والرقة من باب واحد الا ان الركة غلبت في ذم المعاني والاقوال يقال معنى ركيك وقول ركيك واستعيرت لذم الاعيان ورجل ركيك أي ضعيف لا عقل له (فضلا) مصدر يتوسط بين أدنى وأعلى للتنبيه بنفي الادنى واستبعاده عن الوقوع على نفي الاعلى واستحالته أي عدم محالا عن فانبقع بعد نفي اما صريح كقولك فلان لا يعطي الدرهم فضلا عن أن يعطي الدينار فاعطاء الدرهم منفي عنه ومستبعد فكيف يتصور منه اعطاء الدينار واما ضمني كقوله وتقاصر هممهم الخ يعني ان هممهم تقاصرت عن بلوغ أدنى عدد هذا العلم وصار منفيا مستبعدا عنهم فكيف يترقى الى ما ذكر من الكلام المؤسس وهو مصدر وذلك فضل عن المال كذا اذا ذهب أكثره وبقي أقله ولما اشتمل على معنى الذهاب والبقاء ومعنى الكثرة والقلة نظر بعضهم الى معنى الذهاب والبقاء فقال تقدير الكلام في المثال الاول فضل عدم اعطاء الدرهم عن الدينار أي ذهب اعطاء الدينار بالكلية وبقي عدم اعطاء الدرهم وفي المثال الثاني فضل تقاصر هممهم عن بلوغ أدنى العدد عن الترقي بالمرة أي ذهب الترقي بالمرة وبقي التقاصر فالباقي هو نفي الادنى المذكور قبل فضلا والذاهب نفس الاعلى المذكور بعده وحينئذ يتوجه شيئان من أصل الاستعمال الاول كون الباقي من جنس الذاهب اذ ليس انتفاء الادنى من جنس الاعلى الثاني كون الباقي أقل من الذاهب ولا معنى لكون انتفاء الادنى أقل من نفس الاعلى (فان قلت) المفهوم من فضلا حينئذ ان ما بعده

وتقاصر هممهم عن أدنى عدد هذا العلم فضلا أن تترقى الى الكلام المؤسس على علمى المعانى والبيان فأمليت عليهم مسئلة فى الفواتح وطائفة من الكلام فى حقائق سورة البقرة وكان كلاما مبسوطا كثير السؤال والجواب طويل الذيول والاذناب وانما حاولت به التنبيه على غزارة نكت هذا العلم وأن يكون لهم منارا ينتحونه ومثالا يحتذونه فلما صمم العزم على معاودة جوار الله والاناخة بحرم الله فتوجهت تلقاء مكة وجدت فى مجتازى بكل بلد من فيه مسكة من أهلها وقليل ماهم عطشى الاكباد الى العثور على ذلك المملى متطلعين الى ايناسه حراصا على اقتباسه فهز ما رأيت من عطفى وحرك الساكن من نشاطى

ذاهب متنقص تمامه ولما أنه أدخل فى الانتفاء وأقوى فيه مما فى قبله كما هو المقصود فلا (قلت) قد يفهم ذلك من كونه أعلى وأدنى اذ الاعلى أولى بالانتفاء من الادنى ونظر آخرون الى معنى القلة والكثرة فقالوا التقدير فى المثال الاول فضل عدم اعطاء الدرهم عن عدم اعطاء الدينار أى العدم الاول قليل بالقياس الى العدم الثانى فان الاول عدم ممكن ويستبعد وقوعه والثانى عدم مستحيل فهو أكثر وقوعا وأرجح من الاول وفى المثال الثانى فضل تقاصر الهمم عن الادنى عن تقاصرها عن الترقى أى التقاصر الاول قليل بالقياس الى الثانى فان التقاصر عن الترقى واجب وعلى هذا التوجيه يفوت من أصل الاستعمال معنى الذهاب والبقاء ويلزم أن لا تكون كلمة عن صلة له بحسب معناه المراد بل بحسب أصله ويحتاج الى تقدير النفى فيما بعد فضلا ولبعضهم توجيه ثالث مبنى على اعتبار ورود النفى على الادنى بعد توسط فضلا بينه وبين الاعلى كأنه قيل يعطى الدرهم فضلا عن الدينار أى فضل اعطاء الدرهم عن اعطاء الدينار على معنى ذهب اعطاء الدينار وبقى من جنسه بقية هى اعطاء الدرهم ثم أورد النفى على البقية واذا انتفت بقية الشئ كان ما ذهب أولى بالانتفاء ويرجع حاصل المعنى الى أن اعطاء الدينار انتفى أولا ثم تبعه فى الانتفاء اعطاء الدرهم وهكذا بلوغ الهمم الى أدنى العدد بقية من جنس الترقى فاذا تقاصرت عن البلوغ كان تقاصرها عن الترقى مقدما عليه وناصب فضلا محذوف وهو بالجر به مجرى تتمة الاول عند لا يستعمل ولا يحمل لذلك المحذوف من الاعراب وانبرم بعضهم أنه حال ولا يلتبس عليك ان فاعل ذلك الفعل المحذوف هو الادنى على الوجه الاخير ونفيه على الوجهين الاولين (قوله أدنى عدد هذا العلم) هو اللغة والصرف والنحو مما يتوصل به الى المعانى الوضعية (الى الكلام المؤسس) أى الى ادراكه بتحصيل عدده ويريد به كلامه فى الكشف عن حقائق التنزيل لانه بصدد ابداء عذر الاستدعاء عن املائه وأيضا قوله (وطائفة من الكلام) يرشد اليه فمن قال المراد به القرآن فقد سها (فى الفواتح) أى الحروف المقطعة فى أوائل السور وقيل أراد الفاتحة وصيغة الجمع تعظيم لها وهو بعيد جدا والاولى أن يراد فاتحة الكتاب مع فواتح السور (وكان) أى المملى (حاولت به) قصدت بذلك المبسوط (منارا) علما (ينتحونه) يقصدونه و (يحتذونه) يقتدون به ويقيسون عليه (صمم العزم) أى خلص عن التردد وصار ماضيا لا فتور فيه يقال صمم السيف اذا مضى فى العظم وقطعه وصمم فلان على أمره أى مضى على رأيه فيه (وجدت) جواب لما (فى مجتازى) اما مصدر فيتعلق به الجار أى فى اجتيازى بكل بلد واما مكان فيتعلق الجار بوجدت (والمسكة) مقدار ما يتمسك به من عقل أو علم أو قوة والضمير فى أهلها للبلد بتأويل البلدة ولقد تفنن بايراد معنى واحد فى صور مختلفة فوحد الضمير مذكرا فى قوله فيه نظرا الى اللفظ من وجمعه فى (قليل ماهم) نظرا الى معناه وأفرد قليل مع أنه خبر لقوله (هم) قدم عليه اهتماما به بناء على أنه صفة اقدر لفظه مفرد ومعناه جمع مثل فوج أو حزب وقال (عطشى الاكباد) لانهم جماعة واستعمل جمع السلامة والتكسير (التطلع) التشوف (والايناس) الابصار (العطف) الجانب وهز العطف كناية عن السرور لان الفرحان يتحرك جانباه نشاطا و (من) للتبعيض ومن (عطفى) مفعول هز أى حصل فى بعض الارتياح لان تمامه كان باستدعاء الشريف وقد يقال هز

فلما حططت الرحل بمكة اذ أنا بالشعبة السنية من الدوحة الحسنية الامير الشريف الامام شرف آل رسول الله أبي الحسن علي بن حمزة بن وهاس أدام الله مجده وهو النكتة والشامة في بني الحسن مع كثرة محاسنهم وجموم مناقبهم أعطش الناس كبدا والهوم حشى وأوفاهم رغبة حتى ذكر أنه كان يحدث نفسه في مدة غيبتي عن الحجاز مع تزاحم ما هو فيه من المشاده بقطع الفيافي وطي المهامه والوفادة علينا بخوارزم ليتوصل الى اصابة هذا الغرض فقلت قد ضاقت علي المستقى الحيل وعيت بي العلل ورأيتني قد أخذت مني السن وتقعقع الشن وناهزت العشر التي سمتها العرب دقاقة الرقاب فأخذت في طريقة أخصر من الاولى مع ضمان التكثير من الفوائد والفحص عن السرائر ووفق الله وسدد ففرغ منه في مقدار مدة خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه وكان يقدر تمامه في أكثر من ثلاثين سنة

لعطف كناية عن ازالة الغفلة فان الغافل ينبه بتحريك جانبه والمقام ناب عنه (اذ) للمفاجأة أي فاجأت زمان أنا متلبس (بالشعبة) فاذا معمول به لفاجأت وهو جواب لما (السنية) الرفيعة (والدوحة) الشجرة العظيمة (والامير) بدل من الشعبة أو بيان وبه خرج الكلام عن الاستعارة الى التشبيه كقوله تعالى من الفجر (والنكتة) كل نقطة من بياض في سواد أو عكسه (والشامة) الخال يقال هو النكتة والشامة في قومه أي العلم المشار اليه (أعطش الناس) قيل حال والغي يصح عند من يعمل اضافته لفظية ولم يذهب اليه المصنف فالاولى أن يكون معمولا لما دل عليه المفاجأة من معنى وجدت وهذا جائز عند الكوفية مطلقا وعند البصرية في مثل هذا المحل لتقدم قوله وجدت (المشاده) المشاغل وقياس واحده مشده بضم الميم وكسر الدال من أشده كأن المشاغل جمع مشغل من أشغله وهو لغة ضعيفة في شغله الا أن مشده لم يستعمل أصلا وغير المستعمل شده الرجل أي شغل أو دهش فهو مشدود وجاز أن يكون من اشذ في جمع مشده بفتح الميم والدال أي محل الشده فان المشاغل مظان الحيرة والدهش كما يقال الولد مجبنة مبخلة أي محلة ومظنة لذلك (الفيافي) الصحراء الملساء (والمهامه) المفازة البعيدة وجمع الفيافي والمهامه (والوفادة) الاتيان على الامير أي وردت عليه رسولا في خطب من تهنئة ونحوها وجمع الضمير في (علينا) تعظيم المناسب لعظم الوفادة وا قول بأنه للتواضع والاشارة الى أن وفادته لا تكون علي وحدي بل مع اخواني من الافاضل يدفعه قوله ليتوصل الى هذا الغرض فانه منحصر فيه كما مر والقصد الى حمل الاخوان شهوة بعيدة لا يلائم المقام (فقلت) عطف على جواب لما أعني وجدت (على المستعفى) أراد نفسه والتفت لان الحيل والعلل يناسبان وصف الاستعفاء لا ذات المتكلم يقال عيي بالامر اذا لم يهتد لوجهه فمعنى عيت به العلل أنها لم تهتد اليه ولم يكن له التمسك بها وهذا أبلغ من أن يقال عيي بالعلل أي لم يهتد اليها كان عدم الاهتداء يسري منه اليها وقد تجعل الباء للتعدية أي أعجزته العلل ولم يجد ما يتعلل به وحينئذ تفوت تلك المبالغة والاستعمال المشهور أعني كون الباء صلة للفعل (ورأيتني) معطوف على قلت وبيان لسبب العدول عن طريقة الملي والاخذ في طريقة أخصر منها (أخذت مني السن) أثرت في وأخذت من قواي ونقصت منها (الشن) القربة البالية وتقعقع الشن تصوته ليبسه أراد استيلاء اليبس على جلده لكبر سنه (ناهزت) شارفت وقاربت و(العشر) المسماة (بدقاقة الرقاب) ما بين الستين الى السبعين وقد يسمى البرايا بأنها معترك المنايا (فأخذت) عطف على رأيتني (مع ضمان) حال من أخذت أي مقارنا لضمان كونه التي بذلك دفعا لما يتوهم في الاختصار من فوت الفوائد (السرائر) جمع سريرة بمعنى السر (سدد) أي وفق للسداد وهو الصواب من القول والعمل (ففرغ منه) أي من الكتاب لدلالة السياق عليه بل لكونه مذكورا معنى لان قوله طريقة أخصر عبارة عنه ولم يصرح باسناده الفراغ الى نفسه تنبيها على أن الفراغ منه في مثل ذلك الزمان لا يتصور من انسان بل هو محض موهبة من عند الله المنان (مدة خلافة أبي بكر رضي الله عنه) سنتان وأربعة أشهر أو ثلاثة أشهر وتسع ليال أي

وما هي الا آية من آيات هذا البيت المحرم وبركة أفيضت على من بركات هذا الحرم المعظم أسأل الله أن يجعل ما تعبت فيه منه سدا يحجبني ونورا لي على الصراط يسعى بين يدي وبيمني ونعم المسؤل

﴿سورة فاتحة الكتاب﴾

كان يقدر تمامه في أكثر من مدة خلافة الاربعة فاتفق في مدة خلافة أقصر مدة (وما هي) أي الفراغ في تلك المدة القليلة وتأنيث الضمير باعتبار الخبر الذي هو (آية) وقوله (من آيات هذا البيت المحرم) ناظر الى قوله تعالى فيه آيات بينات (ما تعبت فيه منه) الضمير الاول لما والثاني للكتاب فتجعل من بيانية لا تبعيضية لانه تعب في مجموعه لا في بعضه فقط وقيل بالعكس أي ما تعبت منه في تصنيف الكتاب وقيل الاول لله والثاني لما أي ما تعبت فيه أي في ذات الله ومرضاته كقوله تعالى جاهدوا فينا وقيل بالعكس فيكون منه صفة لسببا فلما قدمت صارت حالا أي يجعل المتعوب فيه وهو الكتاب سببا من الله تعالى وقد يقال الاول للحرم والثاني لما أي ما تعبت منه في الحرم والباقي (بيمني) يعني في أي يسعى بين يدي وفي يميني وهو مقتبس من قوله تعالى يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم (ونعم المسؤل) عطف على أسأل الله فاما أن يجعل أسأل انشاء كالاول أو يقدر فقول في نعم أي وأقول نعم والمخصوص بالمدح محذوف أي نعم المسؤل أي المدعو هو أي الله تعالى أو نعم المطلوب هو أي الجعل المذكور

﴿سورة فاتحة الكتاب﴾

فاتحة الشيء أوله فقيل الفاتحة في الاصل مصدر بمعنى الفتح كالكاذبة بمعنى الكذب ثم أطلقت على أول الشيء تسمية للمفعول بالمصدر لان الفتح يتعلق به أولا وبواسطته يتعلق بالمجموع فهو المفتوح الاول وقيل الفاتحة صفة ثم جعلت اسما لاول الشيء اذ به يتم في الفتح بمجموعه فهو كالباعث على الفتح وأدخل التاء علامة للنقل من الوصفية الى الاسمية تاء الطبيعة وهذا هو الوجه لان فاعلة في المصادر قليلة وقس على الفاتحة حال الخاتمة (قوله الكتاب) كالقرآن يطلق على مجموع المنزل المكتوب في المصحف وعلى القدر المشترك بينه وبين أجزائه المخصوصة ومعنى فاتحة الكتاب أوله ثم صارت بالغلبة علما لسورة الحمد وقد نطق عليها الفاتحة وحدها فاما أن يكون علما آخر بالغلبة أيضا لكون اللام لازمة واما أن يكون اختصار الفاتحة الكتاب واللام كالخلف عن الاضافة الى الكتاب مع لمح الوصفية الاصلية ﴿قال صاحب الكشاف رحمه الله تعالى﴾ وهذه الاضافة بمعنى من لان أول الشيء بعضه ورد عليه بأن البعض قد يطلق على ما هو فرد الشيء كما يقال زيد بعض الانسان وعلى ما هو جزء له كما يقال اليد بعض زيد واضافة الاول الى الشيء بمعنى من دون الثاني ومن ثمة اشترط في الاضافة بمعنى من كون المضاف اليه صادقا على المضاف صادقا عليه وجعل من بيانية كما في خاتم فضة ﴿فان قلت﴾ لم لا يجعل الكتاب بمعنى القدر المشترك الصادق على سورة الحمد وغيرها أي فاتحة هي الكتاب ﴿قلت﴾ يأباه أن كونها فاتحة أولا بالقياس الى مجموع المنزل لا القدر المشترك ﴿فان قلت﴾ جوز العلامة في سورة لقمان الاضافة بمعنى من التبعيضية وجعلها قسيم الاضافة بمعنى من البيانية حيث قال معنى اضافة اللهو الى الحديث التبيين وهي الاضافة بمعنى من كقولك باب ساج والمعنى من يشتري اللهو من الحديث واللهو يكون من الحديث ومن غيره فبين بالحديث والمراد بالحديث الحديث المنكر كما جاء في الحديث الحديث في المسجد يأكل الحسنات ويجوز أن تكون الاضافة بمعنى من التبعيضية كأنه قيل ومن الناس من يشتري بعض الحديث الذي اللهو منه فنقول على التقدير الثاني ان أريد بالحديث مطلقه كان جنس اللهو صادقا عليه كما ان الحديث المنكر يصدق عليه وكانت الاضافة بيانية كما في باب ساج فلم جعلها مقابلة لها وان أريد بالحديث العموم والاستغراق فقد ثبت اضافة الجزء الى الكل بمعنى من التبعيضية وان كانت غير مشهورة ﴿قلت﴾ الظاهر أن المراد مطلق الحديث لكنه دقق النظر في اضافة الشيء الى ما هو صادق عليه

مكية وقيل مكية ومدنية لانها نزلت بمكة مرة وبالمدينة أخرى وتسمى أم القرآن لاشتمالها على المعاني التي في القرآن من الثناء على الله تعالى بما هو أهله ومن التعبد بالامر والنهي ومن الوعد والوعيد وسورة الكنز والوافية لذلك وسورة الحمد والمثاني لانها تثنى في كل ركعة وسورة الصلاة لانها تكون فاصلة أو مجزئة

ف كان فيه المضاف اليه يحسن جعله بيانا وتمييز له ف كالساج للباب وكالحديث للمتكلم ولو جعله بيانية وما لم يحسن ذلك فيه كالحديث لمطلق للهو جعله تبعيضية ميلا الى جانب المعنى (قوله مكية) ذكر المصنف في سورة العلق ان أكثر المفسرين على أن الفاتحة أول سورة نزلت ثم القلم فتكون مكية وانها نزلت مرة أخرى بالمدينة حين حولت القبلة كما نزلت بمكة حين افترضت الصلاة فهو قول البعض وقد يتوهم انها مدنية فقط ويرده اتفاق الاكثر على انها متقدمة في النزول على سورة القلم وان كان صدر القلم أول منزل وسيأتيك تحقيقه عن كثب ولما كانت تسمية هذه السورة بفاتحة الكتاب وسورة الحمد ظاهرة وكذا تسميتها بسورة الشفاء والشافية اذ قد ورد انها شفاء من كل داء لم يتعرض لها وأما تسميتها بأم القرآن وسورة الكنز والوافية فلاشتمالها على أصول معاني القرآن وهي ثلاثة الاول الثناء على الله بما هو أهله الثاني تعبد العباد وتكليفهم بالامر والنهي الثالث الوعد والوعيد بالترغيب والترهيب أما الثناء أعني ذكر صفات الكمال على الله تعالى فظاهر وأما العبادة ففي قوله تعالى اياك نعبد فان العبادة قيام العبد بحق العبودية وما تعبد به من امتثال أوامر المولى ونواهيه أو في قوله الصراط المستقيم اذ أريد به ملة الاسلام المشتملة على الاحكام أو في قوله الحمد لله لانه لتعليم العباد فمآل معناه قولوا الحمد لله والامر بالشئ ايجابا يستلزم النهي عن ضده وأما الوعد والوعيد ففي قوله أنعمت عليهم والمغضوب عليهم أو في قوله يوم الدين أي الجزاء فانه يتناول الثواب والعقاب ووجه في حصر مقاصد الكتاب المجيد في الاصول الثلاثة أن القرآن أنزل ارشادا للعباد الى معرفة المبدأ والمعاد ليؤدوا حق المبدأ بامتثال ما أمر ونهى ويحرزوا بذلك المعاد مثوبة وكرامة وبعبارة أخرى أنزل القرآن كله لاسعادة الانسان وذلك بأن يعرف مولاه ويتوصل اليه بما يقربه منه وينفصل عما يبعده عنه ولابد في التوصل من باعث هو الوعد وفي التنصل من زاجر هو الوعيد ولولاهما لاستولى الكسل الطبيعي على النفوس وتسلط عليها داعي الهوى وتعبث عن حضرة النور بظلمات بعضها فوق بعض وقد يظن أن ههنا مقصدا رابعا هو الدعاء والسؤال في قوله اهدنا ويجاب بأنه متفرع على ما ذكر فان المقصد به من الدعاء ما كان في أمر الآخرة وأداء الطاعة وترك المعصية ﴿لا يقال﴾ كثير من السور تشتمل على هذه المعاني ولم تسم أم القرآن ﴿لانا نقول﴾ لما كانت هذه السورة متقدمة على سائر السور وصفا بل نزولا على قول الاكثر وكانت مشتملة على تلك المعاني مجملة على أحسن ترتيب ثم صارت مفصلة في السور الباقية فنزلت منها منزلة مكة من سائر القرى حيث مهدت أرضها أولا ثم دحيت الارض من تحتها وكما أن مكة أم القرى كذلك الفاتحة أم القرآن على أن ما ذكرناه وجه التسمية ولا يجب اطراده (المثاني) جمع مثنى على صيغة المفعول من التثنية بمعنى مرددو مكرر ويجوز أن يكون جمع مثنى مفعل من الثنى بمعنى التكرير والاعادة كذا في سورة الزمر وقال في سورة الحجر واحدها مثناة وفي بعض النسخ على صيغة المفعول من التثنية كان الوجه الاول في الزمر وفي أكثرها بفتح الميم مفعلة من الثني كان الوجه الثاني فيها وسميت الآيات السبع التي هي الفاتحة بالمثاني لانها تثنى في كل ركعة أي صلاة تسمية للكل باسم الجزء وقد صرح بذلك في سورة الحجر وقال المثاني من التثنية وهي التكرير لان الفاتحة مما تكرر قراءتها في الصلاة وغيرها وهذه العبارة أعني لانها تثنى في كل ركعة وردت في صحاح الجوهري أيضا ولعل فائدة المجاز المبالغة في أن كل صلاة كأنها واحدة كركعة وقد تعددت الفاتحة فيها فيصح تكررها زيادة ايضاح وربما يقال انها تتكرر في كل ركعة بالقياس الى أخرى في

قراءتها فيها وسورة الشفاء والشافية وهي سبع آيات بالاتفاق الا أن منهم ٣ من عد أنعمت عليهم دون التسمية ومنهم من مذهبه على العكس (بسم الله الرحمن الرحيم) قراء المدينة والبصرة والشام وفقهاؤها على أن التسمية ليست بآية من الفاتحة ولا من غيرها من السور وانما كتبت للفصل والتبرك بالابتداء بها كما بدئ بذكرها في كل أمر ذي بال وهو مذهب أبي حنيفة رحمه الله ومن تابعه ولذلك لا يجهر بها عندهم في الصلاة وقراء مكة والكوفة وفقهاؤهما على أنها آية من الفاتحة ومن كل سورة وعليه الشافعي وأصحابه رحمهم الله ولذلك يجهرون بها وقالوا قد أثبتها السلف في المصحف

الثانية بوقوعها مرة في الاولى وفي الاولى عند ضم السورة اليها ولا يرد على الوجهين التنفل بركعة واحدة فليس من مذهب المصنف ﴿فان قلت﴾ هل يمكن لمن جوز التنفل بها أن يعلل التسمية بأنها تثنى في كل ركعة على أحد التأويلين ﴿قلت﴾ نعم على أن يجعل عاما مخصوصا فان تكررها في أكثر الصلوات والركعات كاف في تسميتها بالمثاني وأما صلاة الجنازة فلا يرد على أحد في هذه العبارة لانها لا تسمى ركعة أصلا قال رحمه الله تعالى والاشبه أن يراد بيان محل التكرر على معنى أن الفاتحة مما تكرر بحسب الركعة لا بحسب أركانها كالطمأنينة ولا بحسب كل ركعتين كالتشهد في الرباعية ولا بحسب كل الصلاة كالتسليم فان تعددت الركعة تكررت الفاتحة والا فلا كأنه قيل لانها تثنى باعتبار تعدد الركعة ويتجه عليه أن هذا المعنى وان كان صحيحا في نفسه الا أن دلالة هذه العبارة عليه في غاية الخفاء كما لا يخفى السابق قوله (بقراءتها) للتسمية أي قراءتها في الصلاة سبب لفضيلتها على مذهب أبي حنيفة وسبب لاجزائها على مذهب الشافعي فقد توقفت فضيلة الصلاة أو اجزاؤها على التوقف لمسبب على السبب فسميت سورة الصلاة لهذه العلاقة وقد يتوهم ان الاولى أن يقال لانها لا تكون فاضلة أو مجزئة الا بقراءتها فيها ليتم ما قصده من توقف الفضيلة أو الاجزاء على الفاتحة بيانا للمذهبين وجوابه أن التوقف مفهوم من السببية فلا حاجة الى القصر في العبارة ﴿ولا يقال﴾ لعل هناك سببا آخر ﴿لانا نقول﴾ الاصل عدمه وهذا القدر واف بتأدية المقصود في متعارف أهل اللغة (قوله من عد أنعمت عليهم) آية أراد صراط الذين أنعمت عليهم الا أنه اختصر لظهور ان الصلة دون الموصول والمضاف اليه بدون المضاف لا يعد لان الكل في حكم كلمة واحدة (قوله قراء المدينة) أجمعت الامة على ان التسمية في سورة النمل بعض آية منها فهي من القرآن قطعا واختلفوا في التسمية في أوائل السور فقال بعضهم انها آية من كل سورة وهي من أوائلها مائة وثلاث عشرة آية من القرآن وهو سعيد بن جبير والزهري وعطاء وابن المبارك وعليه الشافعي وأصحابه وقال آخرون انها ليست من القرآن أصلا وهو مذهب ابن مسعود ومذهب مالك والمشهور من مذهب أبي حنيفة رضي الله عنه وأتباعه وذهب المتأخرون من علماء الحنفية الى أن الصحيح من المذهب أنها آية واحدة من القرآن ليست جزأ لشئ من السور بل أنزلت للفصل بينها تبركا بها فنشأ من ذلك اختلاف آخر وهو أنها آيات بعدد كل سورة مصدرة بها أو آية واحدة منفردة عنها ونقل بعض الناس أنها بعض آية من واحدة من تلك السور والمصنف لم ينقل الا الخلاف الاول ولم يعتد بما عداه ويدل على ذلك أمران الاول أنه نسب القول الاول الى قراء المدينة والبصرة والشام وفقهائها ومذهبهم أنها ليست من القرآن أصلا حتى قال مالك لا ينبغي أن تقرأ في الصلاة لا جهرا ولا سرا الثاني أنه قال وانما كتبت للفصل والتبرك ولم يقل انها نزلت ويؤيد ذلك أنه شبه اثباتها في أوائل السور بذكرها في أول كل أمر ذي بال فتعين ان يكون قوله على أن التسمية ليست بآية من الفاتحة ولا من غيرها من السور محمولا على المشهور من مذهب أبي حنيفة أعني أنها ليست من القرآن وان كان بحسب المفهوم متناولا أيضا لما اختاره المتأخرون من الحنفية وعولوا عليه في الفتوى وكان حق العبارة أن يقول على أن التسمية ليست من القرآن لكن عدل عنه لفائدتين الاولى أن يرد النفي في هذا القول على ما هو مذهب المخالف لاظهار التقابل الثانية أن يرد على من قال انها آية منفردة عن

(بسم الله الرحمن الرحيم)

٣ قوله من عد أنعمت عليهم الظاهر أن يقول غير المغضوب عليهم كما هو واضح فليتأمل اه مصححه

مع توصيتهم بتجريد القرآن ولذلك لم يثبتوا آمين فلولا أنها من القرآن لما أثبتوها وعن ابن عباس من تركها فقد ترك مائة وأربع عشرة آية من كتاب الله تعالى (فإن قلت) بم تعلقت الباء (قلت) بمحذوف تقديره بسم الله أقرأ أو أتلو لأن الذي يتلو التسمية مقروء كما أن المسافر إذا حل أو ارتحل فقال بسم الله والبركات كان المعنى بسم الله أحل وبسم الله أرتحل وكذلك

سورة بناء على ما قدمه من أن القرآن مفصل سورا وسوره آيات أي إذا كانت آية من القرآن كانت من سورة قطعا وإذا تحققت ما تلوناه انكشف لك أمور الأول أن تفريع ترك الجهر بالتسمية على القول بأنها ليست بآية من الفاتحة ولا من غيرها مستقيم لأن حاصله أنها ليست من القرآن على رأيهم ولا يجهر بها عندهم ولا يتوجه عليه أنه لا يلزم مما ذكر أن لا يجهر بها لجواز أن تكون آية منفردة أو بعض آية من كل سورة وقد دفعه بعض بأن قوله ولذلك لا يجهرون بها عندهم ليس في معرض الاستدلال بل إخبار لما بنوا عليه ترك الجهر وهو مدفوع بأن المؤول أيضا إخبار بأن ذلك لمبنى مذهبهم غير منتظم كما تقدم بيانه الشافعية الجهر بها على كونها آية من كل سورة لتسني الاستدلال بإثبات السلف إياها في المصحف على أنها من كل سورة صحيح ولا يرد عليه أن ذلك إنما يدل على كونها من القرآن لا على أنها من كل سورة لما عرفت من أنه لم يتعد بهذين الاحتمالين وإذا كانت من القرآن كانت آية من كل سورة الثالث أن التمسك بقول ابن عباس في إثبات ذلك المدعى تام لما أشرنا إليه ولا يتجه عليه أنه إنما يدل على أنها ليست آية واحدة وأما على أنها آية من كل سورة فلا لأن ينتهي إلى أن التسمية مائة وثلاث عشرة آية لا من السور مما لم يذهب إليه أحد وإعراب الباء في قوله بالابتداء ليست صلة للتبرك لأن التبرك بنفس التسمية لا الابتداء به وإنما هي بيان للتبرك أي أتبرك بالتسمية بأن يبتدئ بها وإنما قال أولا بالابتداء بها ليحصل الابتداء متعلقا بالتسمية ونائب كما بدأ كرها لجملة متعلقا بذكر التسمية فلا يقتضي فرقا بما تقدم في المعنى (قوله مع توصيتهم بتجريد القرآن) اعترض عليه بأنه أثبت في المصحف أسماء السور وأعداد الآي وأجيب بأن من فعل ذلك فقد ميزه وأثبته بلون آخر (قوله وأربع عشرة آية) الظاهر ثلاث عشرة لخلو براءة عن التسمية وأجيب بوجوه الأول أنه اعتقد وجود التسمية في براءة ويؤيده أنه سأل عثمان رضي الله عنه عن ترك التسمية فيها كما نقله المصنف هناك الثاني أنه اعتبر نزول الفاتحة مرتين فيهما تسميتان مع آية فلو يرد عليه أن الفاتحة حينئذ أربع عشرة وقد مر أنها سبع آيات اتفاقا الثالث أنه أراد ترك التسمية مطلقا فيتناول ما في أثناء سورة النمل وهي وإن كانت بعض الآية ينتفي تركها واعترض عليه بأن النزاع بين الأئمة إنما وقع في التسمية في أوائل السور فالظاهر أن كلامه رضي الله عنه كان فيها الرابع أنه أراد إلحاق المعدوم بالمتروك تغليبا وتوبيخا ويتجه عليه أن حمله من باب التغليب يسقط الاستدلال به على المطلوب لجواز أن يكون التغليب في أكثر من سورة واحدة وردا أيضا بأن عكسه أعني إلحاق المتروك بالمعدوم أدخل في التغليط والتوبيخ وفيه بحث لأن تغليب المعدوم على المتروك يوجب فوات نسبة الفعل إلى التارك صريحا إذ يصير حينئذ نظم الكلام هكذا من تركها فقد أعدم مائة وأربع عشرة آية ولا شك أن التصريح بنسبة الفعل الشنيع إليه أبلغ في ذمه وأقوى في زجره من أن يجعل سببا للعدم في الجملة ولا مجال لاعتبار الإعدام بأن يقال فقد أعدم منه وأربع عشرة آية إذ ليس منه إعدام أصلا وكيف يتصور التسبب (قوله بم تعلقت الباء) الأدوات التي تفضي بمعاني الأفعال إلى ما بعدها فروع لها ومتعلقة بها وكذلك المعمول من حيث هو معمول فرع على عامله ومتعلق به فلذلك قال بم تعلقت الباء وتراهم يقولون أحوال متعلقات الفعل بكسر اللام وإذا نظر إلى جانب المعنى قيل تعلق الفعل بكذا إما بنفسه أو بواسطة حرف (قوله أقرأ أو أتلو) تنبيه على أن المعتبر خصوص المعنى دون اللفظ (قوله لأن الذي يتلو التسمية مقروء) بيان للقرينة المعينة فإن حرف الجر

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(قال محمود رحمه الله تعالى الباء في البسملة تتعلق بمحذوف تقديره بسم الله أقرأ أو أتلو) قال أحمد رحمه الله تعالى الذي يقدره النحاة أبتدئ وهو المختار لوجوه الأول أن فعل الابتداء يصح تقديره في كل بسملة يبتدئ بها فعل ما من الأفعال خلاف فعل القراءة والعام صحة تقديره أولى أن يقدر ألا تراهم يقدرون متعلق الجار الواقع خبرا أو صفة أو صلة أو حالا بالكون والاستقرار حيث ما وقع ويؤثرونه لعموم صحة تقديره والثاني أن تقدير فعل الابتداء مستقل بالغرض من البسملة إذ الغرض منها أن تقع مبدأ فتقدير فعل الابتداء أوقع بالمحل وأنت إذا قدرت أقرأ فمعناه أبتدئ القراءة والواقع في أثناء التلاوة قراءة أيضا لكن البسملة غير مشروعة في غير الابتداء ومنها ظهور فعل الابتداء في قوله تعالى اقرأ باسم ربك وقال عليه السلام كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه باسم

لذابح وكل فاعل يبدأ فى فعله بسم الله كان مضمرا ما جعل التسمية مبدأ له ونظيره فى حذف متعلق الجار قوله عز وجل فى تسع آيات الى فرعون وقومه أى اذهب فى تسع آيات

وان اقتضى فعلا يتعدى معناه الى مجروره لكن لا تتخطى دلالته مطلق الفعل فاحتيج فى تعيينه الى قرينة أخرى ولقد بالغ فى تقرير الجواب حيث بين أولا حال المسؤل عنه ثم زاده بيانا بالكشف عن حال مثالين كثيرى الوقوع مشاركين له فى خصوص الجار والمجرور واعتبار التقديم ثم أشار الى ضابطة لنوع المسؤل عنه ثم أورد نظيره من جنسه فى حذف متعلق الجار اما مخالفا له فى خصوص الجار والمجرور معا كالاول والرابع أو فى المجرور فقط كالثانى والثالث وليس فى شئ من هذه النظائر الجنسية تقديم الجار والمجرور على ما يتعلق به وقدم النظير من التنزيل لانه أقوى وعقبه بما هو أقرب منه فى القوة فالاقرب كقول العرب عامة وقول بعض الاعراب خاصة وقول الشاعر المعين ﴿فان قيل﴾ الانسب أن يقول الذى يتلو التسمية قراءة لان المقصود افتتاح القراءة بالتسمية كما دل عليه قوله وكل فاعل يبدأ فى فعله بسم الله ﴿أجيب﴾ بان المقصود من تلو المقروء تلو بعض القراءة لاستلزامه اياه واختير ذكره ودل عليه رعاية المناسبة بين التالى والمتلو اذا أمكنت وبيانه ان المراد بالتسمية هى هذه العبارة المخصوصة التى عدت آية لا المعنى المصدرى ويتلوها ما شيآن أحدهما من جنسها ويتلو ذكره ذكرها وهو المقروء أعنى الحمد لله مثلا والثانى من غير جنسها ويتلو وجوده ذكرها وهو القراءة وتلو كل واحد منهما يستلزم تلو الآخر فصرح بتلو الاول ايماء الى ان الثانى مع المحافظة على التجانس واعلم انما قلنا هنا اذا أمكنت الرعاية لان التسمية للذابح مثلا لا يتلوها لا الذبح فانه يتبع وجوده ذكرها واما المذبوح فلا يتبع ذكره الا فى الوجود ولا فى الذكر فلا يستقيم أن يقال الذى يتلو التسمية مذبوح (قوله كان مضمرا ما جعلت التسمية مبدأ له) التسمية جعلت مبدأ للفعل الحقيقى أعنى الحدث كالقراءة والحلول والارتحال وليس الاضمار متعلقا به بل بالفعل النحوى الدال عليه فى الكلام فصار أى كان مضمرا اسم ما جعل وزعم بعض النحويين ان تقدير الابتداء ولى فيقال مثلا بسم الله أبتدئ القراءة أو الحلول أو الارتحال واستشهد لذلك بوجهين الاول ان الابتداء أعم من خصوصيات تلك الافعال فهو بالتقدير أولى ألا ترى أن النحاة يقدرون متعلق الظرف المستقر فعلا عاما كالحصول والكون الثانى ان فعل الابتداء مستقل بما قصد بالتسمية من وقوعها مبتدأ بها فتقديره أوقع فى المعنى قال ولا يرد علينا قوله تعالى اقرأ باسم ربك لان الاهم هناك فعل القراءة لا الابتداء بها فلذلك صرح بها وقدمت ابتداء بالاهم كما فى البسملة وأجاب غيره بان تقدير خصوصيات الافعال أمس بالمقام وأوفى بتأدية المرام فانك اذا قدرت اقرأ دل على تلبس القراءة كلها بالتسمية على وجه التبرك أو الاستعانة وان قدرت أبتدئ القراءة أفاد تلبس ابتداء القراءة بها والاستشهاد بقول النحويين لا يجديه نفعا فان ما ذكروه تمثيل وتقريب فانك اذا قلت زيد على الفرس أو من العلماء أو فى البصرة كان المقدر راكب ومعدود ومقيم وان فوتت الغرض ووقوع التسمية مبتدأ بها حاصل بان يبتدئ بها فى أوائل الافعال سواء قدر لفظ الابتداء أو ألفاظ خصوص تلك الافعال وبذلك خرج الجواب عن قوله لا الابتداء بها كما فى البسملة قال الفاضل اليمنى تقوية لمذهب النحويين يقدرون فى الظرف المستقر فعلا عاما اذا لم توجد قرينة الخصوص واما اذا وجدت فلا بد من تقديره لانه أكثر فائدة وأقول تحقيقه ان هذا القسم من الظرف انما سمى مستقرا لانه استقر فيه معنى عامله وفهم منه فان لم يفهم منه سوى الافعال العامة كان المقدر منها وان فهم منه شئ من خصوص الافعال كان المقدر بحسب المعنى فعلا خاصا كما فى الامثلة السابقة وذلك لا يخرجها عن كونها ظرفا مستقرا لان معنى ذلك الخاص استقر فيها أيضا وجاز تقدير الفعل العام لتوجيه الاعراب فقط ولما كان تقدير الافعال العامة مطردا بخلاف الخاصة فلا يستقيم الامع قيام قرينة الخصوص نظروا ضابطا عبره النحاة وفسروا المستقر بما عامله

الله فهو أتم ولا يعارض هذا ما ذكره من ظهور فعل القراءة فى قوله تعالى اقرأ باسم ربك فان فعل القراءة انما ظهر ثم لان الاهم هو القراءة غير منظور الى الابتداء بها ألا ترى الى تقدم الفعل فيها على متعلقه لانه الاهم ولا كذلك فى البسملة فان الفعل المقدر كائنا ما كان انما يقدر بعدها ولو قدر قبل الاسم لفات الغرض من قصد الابتداء اذا علم انه الاهم فى البسملة فوجب تقديره وسياق الكلام على هذه النكتة

وكذلك قول العرب في الدعاء للمعرس بالرفاء والبنين وقول الأعرابي باليمن والبركة بمعنى أعرست أو نكحت ومنه قوله

فقلت الى الطعام فقال منهم * فريق نحسد الانس الطعاما

(فإن قلت) لم قدرت المحذوف متأخرا (قلت) لان الاهم من الفعل والمتعلق به هو المتعلق به لانهم كانوا يبدؤن بأسماء آلهتهم فيقولون باسم اللات باسم العزى فوجب أن يقصد الموحد معنى اختصاص اسم الله عز وجل بالابتداء

محذوف وعامله وقد يتوهم من قوله فيما بعد فوجب أن يقصد الموحد معنى اختصاص اسم الله تعالى بالابتداء ان المقدر هو أبتدئ فكأنه جوز كل واحد من التقديرين ولم يدع هناك ما يزيل عنك الشبهة (والعرب) هو هؤلاء الصنف المقابل للعجم والاعراب منهم سكان البادية خاصة والنسب الى الاعراب اعرابي لانه لا واحد له (أعرس) بأهله اذا بنى بها وكذا اذا غشيها (والرفاء) بالمد الالتئام وحسن المعاشرة من رفأت الثوب أصلحت ما وهى منه وربما ترك همزه وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن قولهم بالرفاء والبنين لانه من شعار الجاهلية (ومنه) فصل اما الاول فلانه لم يقع في الابتداء كما في سائر الامثلة واما الثاني فلانه اسم (الى الطعام) أي هلموا اليه والبيت للفرزدق وقيل لشمير بن الحرث الضبي وقبله

أتوا نارى فقلت منون أنتم * فقالوا الجن قلت عموا ظلاما

قال الجوهري قولهم عم صباحا كلمة تحية كأنه محذوف من نعم ينعم بالكسر فيهما وهى لغة شاذة في نعم ينعم بالضم فيهما والعومة أى صار ناعما لينا ويقال أنعم الله صباحك من النعومة ونقل عن الأزهري نعم الوعامة بمعنى السهولة وعن يونس انه من وعمت الدار أعمها اذا قلت لها انعمى و(فريق) فاعل و(منهم) حال من الفاعل و(الانس) بفتح الهمزة والنون رواية الجوهري وبكسر الهمزة وسكون النون رواية غيره (قوله لم قدرت المحذوف متأخرا) هذا السؤال لا يختص بتسمية القارئ بل يتناول تسمية القارئ والمسافر والذابح وكل فاعل جعلت التسمية مبدأ لفعله فانه قد صرح بتأخير المقدر في كلام المسافر وأشار الى ذلك في كلام غيره (قوله لان الاهم من الفعل والمتعلق به) من هذه تبعيضية والمعطوف في حكم الاستصحاب أى الذى هو أهم من صاحبه من هذين واللام في الاهم داخلة مقام من التفضيلية (قوله لانهم كانوا يبدؤن) بيان لوجه الاهتمام اذ لا يكفي ان يقال قدم للاهتمام بل لا بد ان يبين ما يقتضى الاهتمام بذكره والاعتناء بشأنه كما نص عليه الشيخ عبد القاهر رحمه الله تعالى أى كان المشركون يبدؤن في أعمالهم بأسماء آلهتهم فيقولون عند الشروع باسم اللات وباسم العزى وكان التقديم منهم لمجرد الاهتمام الناشئ من قصد التبرك والتعظيم لا للاختصاص اذ لم يكونوا ينفون التبرك به تعالى بل كانوا يتبركون به أيضا فوجب على الموحد أن يقصد بعبارته قطع شركة الاصنام كيلا يتوهم منه تجويز الابتداء باسمها ويكون قصر افراد (قوله معنى اختصاص اسم الله تعالى) اقحم لفظ معنى واضافه الى الاختصاص مبالغة في بيان المقصود أى ان قصد الموحد معنى هو اختصاص اسم الله تعالى وأيضا كله تنصيص على ان المقصود الدلالة على الاختصاص لا على فعل الاختصاص بان يبتدأ به لا بغيره ﴿فان قلت﴾ (قوله اختصاص اسم الله بالابتداء) يدل على ان المقدر أبتدئ وان يكون معنى قوله وذلك بتقديمه وتأخير الفعل ان اختصاص اسم الله يحصل بتقديمه وتأخير الفعل الذى هو أبتدئ لان اختصاص اسمه بالابتداء انما يحصل بذلك لا بتقديم اسم الله تعالى وتأخير الفعل الذى هو اقرأ اذ انما يحصل اختصاص اسمه بالقراءة لا بالابتداء وحينئذ لا يكون جوابه مطابقا لسؤاله لانه سأل عن سبب تقدير اقرأ متأخرا وأجاب بما لا يقتضى الا تقدير أبتدئ متأخرا ﴿قلت﴾ أراد بالابتداء الفعل الذى يبتدأ به ويشرع فيه كالقراءة ونحوها لا مفهومه الحقيق ولذلك قال وتأخير الفعل ولم يقل تأخير الابتداء وبهذا التقدير يتسق نظم الكلام فان المشرك لما كان يبتدئ في أعماله المخصوصة باسم آلهته وجب على الموحد ان يبتدئ في أعماله المخصوصة باسم

(قال محمود لم قدرت المحذوف متأخرا الخ) قال أحمد لانك لو ابتدأت بالفعل في التقدير لما كان الاسم مبتدأ به فيفوت الغرض من التبرك باسم الله تعالى أول نطقك وأما افادة التقديم الاختصاص ففيه نظر سيأتي ان شاء الله تعالى

وذلك بتقديمه وتأخير الفعل كما فعل في قوله إياك نعبد حيث صرح بتقديم الاسم إرادة للاختصاص والدليل عليه قوله بسم الله مجراها ومرساها (فإن قلت) فقد قال اقرأ باسم ربك فقدم الفعل (قلت) هناك تقديم الفعل أوقع لأنها أول سورة نزلت فكان الأمر بالقراءة أهم

الله تعالى ويدل أيضا على اختصاص اسم الله بتلك الأفعال رد على المشرك وإظهار للتوحيد فيطابق الجواب السؤال والباء في قوله بالتقديم داخلة على المقصور لا على المقصور عليه وتوجيهه أن الاختصاص وكذا التخصيص والخصوص يقتضي بحسب مفهومه الأصلي أن تدخل الباء على المقصور عليه فيقال اختص الجود بزيد أي صار مقصورا على زيد لا يتجاوزه إلى غيره ومنه قوله (وأما الله فمختص بالمعبود بالحق لم يطلق على غيره) وقوله بعد الدلالة على اختصاص الحمد به أي بالله وهذا عرف لأن الأكثر في الاستعمال إدخال الباء على المقصور وذلك لأن تخصيص شيء بآخر في قوة تمييز الآخر به واستعمل فيه مجاز مشهور فمعنى اختصاص اسم الله بالفعل تمييزه من الأسماء وإفراده عنها بذلك وهو حاصل معنى قصر ذلك الفعل عليه وقس عليه قوله واختص يا أي من المندوب عن المنادى بهذه الكلمة فتكون هي مقصورة عليه وقولهم في إياك نعبد نخصك بالعبادة أي غيرك أو نفردك من بين المعبودين بالعبادة لا غيره وقوله يختص برحمته من يشاء أي يميزه عن غيره بأن الرحمة مقصورة على من يشاء دون العكس (قوله كما فعل) أي تقديم الاسم وتأخير الفعل (قوله والدليل عليه) أي على تقديم اسم الله وتأخير الفعل في هذا الموضع قصدا لمعنى الاختصاص بين أولا أن المقام يناسب التقديم والتأخير ليتأدى ما يجب على الموحدين من الدلالة على الاختصاص واستشهد ثانيا بجملة اسمية شاركت المحذوف فيه في معناه وتمرها تلك الظرف المخصوص وقد قدم فيها الخبر لإفادة الاختصاص أي إجراؤها ومرساها بسم الله لا بهبوب الرياح وتقدير الملاحين كما يتوهمه أهل العرف فدل على أن المتعلق في المحذوف عنه مقدم على الفعل أيضا لإفادة الاختصاص والاستدلال بوقوع تقديم الظرف في أحد المتناظرين على تقديره في الآخر وإن افترقا في أن الظرف في المستشهد به مستقر قطعا وفي المستشهد عليه مستقر على وجه ولغو على آخر فإنه غير قادح والدلالة التقديم على الاختصاص في معونة حكم الذوق وهذا الاستشهاد على أن المراد حصول باسم الله تعالى خبر لمجراها وهو الراجح لا متعلق باركبوا (قوله فقد قال) نبه بالفاء على أن سؤال ثان متفرع على ما قبله ومسبب عنه أي لما وجب أن يقصد الموحد معنى اختصاص اسم الله بفعل القراءة وغيرها وهو بتقديم اسم الله عليها فكيف أخره في قوله اقرأ باسم ربك حتى فات ذلك الواجب (قوله لأنها أول سورة نزلت) أي إلى قوله ما لم يعلم كما دلت عليه الأحاديث الصحيحة وقرره الأئمة في مسألة تأخير البيان ولا ينافي ذلك قول الأكثرين أن أول سورة نزلت هي الفاتحة لأن الخلاف في السورة بتمامها (قوله فكان الأمر بالقراءة أهم) يريد أن كون اسم الله مهما أهم مما نشأ من قصد معنى الاختصاص يقتضيه المقام إذا كان الموحد يقول باسم الله لا باسم غيره دفعا لما عسى يختلج في وهم المخاطب من المشرك بسوق الكلام على أن القراءة أمر مسلم والمقصود بيان ما يبتدأ به فيها من الأسماء وها هنا لما كان أصل القراءة فيها غير معلومة لوجوب لأنها أول سورة نزلت لا يعصم أن المخاطب ليس عنده توهم فيه تجويز الشركة وكان الفعل أي الأمر بالقراءة أهم فقدم لذلك رعاية للأصل الذي هو تقديم العامل (لا يقال) اسم الله أهم عند المؤمن على كل حال (لأنا نقول) اسم الله من حيث إنه اسمه يتعلق به عناية وقد يعرض له بحسب المقامات عناية أخرى كما إذا قصد الاختصاص فإذا اجتمعت العنايتان قدم كالتسمية وإذا انفردت الأولى عن الثانية فإن لم يعارضها ما هو أولى بالاعتبار قدم أيضا وإلا فلا وفي قوله اقرأ باسم ربك عارضها العناية بالقراءة فكانت أولى بالاعتبار ليحصل ما هو المقصود من طلب أصل القراءة ولو قدم اسم الله فيه أدى إلى فوات الغرض الأصلي وأفاد أن المطلوب كون القراءة مفتتحة

(فإن قلت) ما معنى تعلق اسم الله بالقراءة (قلت) فيه وجهان أحدهما أن يتعلق بها تعلق القلم بالكتبة في قولك كتبت بالقلم على معنى أن المؤمن لما اعتقد أن فعله لا يجيء معتداً به في الشرع واقعاً على السنة حتى يصدر بذكر اسم الله لقوله عليه الصلاة والسلام كل أمر ذي بال لم يبدأ فيه باسم الله فهو أبتر إلا كان فعلاً كلا فعل جعل فعله مفعولاً باسم الله كما يفعل الكتب بالقلم والثاني أن يتعلق بها تعلق الدهن بالإنبات في قوله تنبت بالدهن على معنى متبركاً باسم الله أقرأ وكذلك قول الداعي للمعرس بالرفاء والبنين معناه أعرست ملتبساً بالرفاء والبنين وهذا الوجه أعرب وأحسن

باسم الله تعالى لا باسم الأصنام ولا يخفى بعده عن هذا المقام قال المصنف معناه متبركاً باسم ربك أي قل باسم الله ثم اقرأ فالفعل وإن قدر في هذه العبارة لكن طلب فيه القراءة مصدرة باسم الله تعالى كما هو المقصود والحاصل أن القراءة يجب تصديرها باسم الله تعالى رداً على المخالف وأما طلب القراءة المصدرة في نفسه تفصيل فإن كانت القراءة مقصودة أصالة وقيدها تبعاً كما في اقرأ باسم ربك لم يجز تقديم الاسم وإن عكس الأمر وجب التقديم (قوله ما معنى تعلق اسم الله تعالى) جعل المتعلق به محل هذه المجرور وحده وفي قوله ثم تعلق الدهن بالإنبات وحده وفي قوله لأن الاهتمام من الفعل والمتعلق به مجموع الجار والمجرور وذلك لأن الجار أداة لإفضاء معنى الفعل إلى المجرور ومعمول له بواسطة الجار فكل واحد منهما متعلق به كما مر وكذا المجموع وأما وجه تخصيص كل موضع بما وقع فيه فهو أن الباء إذا دخلت على اسم الله تعالى أو على غيره تقتضي معنى الفعل والمسئول في السؤال طلب المتعلق هو الباء وأما لم يكن معنى تعلق اسم الله بالقراءة بواسطة الباء ظاهراً كان منشأ السؤال هو المجرور والمتقدم على الفعل هو مجموع الجار والمجرور وهو المتعلق في المشهور والقول بأن الأمر في ذلك سهل لأن المقصود واحد غير [illegible] (قوله حتى يصدر) غاية للمنفي لا للنفي أي عدم مجيئه معتداً به ينتهي عند التصدير بذكر اسم الله وقوله لقوله عليه السلام دليل لذلك النفي المغيا فإنه يدل على أنه إذا لم يبدأ فيه باسم الله كان أبتر مقطوع الذنب ناقصاً وإذا بدئ به لم يكن ناقصاً وزاد المصنف لفظ ذكر حيث قال حتى يصدر بذكر اسم الله تصريحاً بالمراد فإن تصدير الفعل باسم الله لا يكون إلا بذكر اسم الله ويقع على وجهين أحدهما أن يذكر اسم خاص من أسمائه تعالى كلفظ الله مثلاً والثاني أن يذكر لفظ دال على اسمه فإن لفظ اسم مضاف إلى الله يراد به اسمه تعالى فقد ذكر هنا أيضاً اسمه لكن لا بخصوصه بل بلفظ دال عليه مطلقاً فيستفاد أن التبرك أو الاستعانة بجميع أسمائه وأما الباء فهي وسيلة إلى ذكره على وجه يؤذن بجعله مبدأ للفعل فهي من تتمة ذكره على الوجه المطلوب وتندفع ما يتوهم من أن الابتداء بالتسمية ليس ابتداء باسم الله لأن الباء والاسم ليس شيء منهما اسماً لله (فإن قلت) ما فائدة الاسم وهلا قيل بالله الرحمن الرحيم (قلت) فائدته الفرق بين التيمن واليمين وذلك لأن التيمن باسم الله لا بذاته وكذا اسمه يجعل آلة للفعل لا ذاته بخلاف اليمين فإن الحلف به لا بأسمائه التي هي الألفاظ (البال) الحال والشأن وأمر ذو بال أي شريف يهتم به والبال أيضاً القلب كأن الأمر ملك قلب صاحبه لاشتغاله به وقد شبه بذي قلب على الاستعارة المكنية وفي هذا الوصف فائدتان الأولى رعاية تعظيم اسم الله تعالى إذ قد يبتدأ به في الأمور المعتد بها والثانية التيسير على الناس في محقرات الأمور (قوله كلا فعل) قيل كلمة لا هنا اسم بمعنى غير إلا أن إعرابها ظهر فيما بعدها لكونه على صورة الحرف كما في لا بمعنى غير (قوله على معنى متبركاً باسم الله) لم يرد أن الباء صلة التبرك ليكون الظرف لغواً بل أراد التلبس على وجه التبرك وقد سبق تحقيقه (قوله أعرب وأحسن) أما أنه أعرب أي أدخل في لغة العرب وأفصح وأبين فلأن باء المصاحبة والملابسة أكثر استعمالاً من باء الاستعانة لا سيما في المعاني وما يجري مجراها من الأقوال وأما أنه أحسن أي أوفق لمقتضى المقام فلوجوه الأول أن التبرك باسم الله تأدب معه وتعظيم له بخلاف جعله آلة فإنها مبتذلة وغير مقصودة بذاتها الثاني أن ابتداء المشركين بأسماء آلهتهم كان على وجه التبرك

(قال محمود فإن قلت ما معنى تعلق اسم الله تعالى بالقراءة الخ) قال أحمد وفي قوله إن اسم الله هو الذي صير فعله معتبراً شرعاً حيد عن الحق المعتقد لأهل السنة في قاعدتين إحداهما أن الاسم هو المسمى والأخرى أن فعل العبد موجود بقدرة الله تعالى لا غير فعلى هذا تكون الاستعانة باسم الله معناها اعتراف العبد في أول فعله بأنه جار على يديه وهو محل له لا غير وأما وجود الفعل فيه فبالله تعالى أي بقدرته تعليماً لله في أول كل فعل والزمخشري رحمه الله لا يستطيع هذا التحقيق لاتباعه الهوى في مخالفة القاعدتين المذكورتين فيعتقد أن اسم الله تعالى الذي هو التسمية معتبر في شرعية الفعل لا في وجوده إذ وجوده على زعمه بقدرة العبد فعلى ذلك بنى كلامه أقول دعواه أن عند أهل السنة الاسم غير المسمى ممنوعة وتحقيقه قد ذكر في غير هذا الكتاب

(فإن قلت) وكيف قال الله تبارك وتعالى متبركا باسم الله أقرأ (قلت) هذا مقول على ألسنة العباد كما يقول الرجل الشعر على لسان غيره وكذلك الحمد لله رب العالمين إلى آخره وكثير من القرآن على هذا المنهاج ومعناه تعليم عباده كيف يتبركون باسمه وكيف يحمدونه ويمجدونه ويعظمونه (فإن قلت) من حق حروف المعاني التي جاءت على حرف واحد أن تبنى على الفتحة التي هي أخت السكون نحو كاف التشبيه ولام الابتداء وواو العطف وفائه وغير ذلك فما بال لام الإضافة وبائها بنيتا على الكسر (قلت) أما اللام فللفصل بينها وبين لام الابتداء وأما الباء فلكونها لازمة للحرفية والجر

ثم اليسعى أن يرد عليهم في ذلك . الثالث أن الباء إذا حملت على المصاحبة والملابسة كانت أدل على ملابسة جميع أجزاء الفعل لاسم الله منها إذا حملت داخلة على الآلة . الرابع أن التبرك باسم الله تعالى معنى مكشوف يفهمه كل أحد ممن يبتدئ به في أموره والتأويل المذكور في كونه آلة لا يهتدي إليه إلا بنظر دقيق الخامس أن كون اسم الله تعالى آلة للفعل ليس إلا باعتبار أنه يتوصل إليه ببركته فقد رجع بالآخرة إلى التبرك وليس في اعتباره زيادة معنى يعتد به وقد يقال جعله آلة مشعر بأن له زيادة مدخل في الفعل ويشتمل على جعل الموجود المفقود كأنه بمنزلة المعدوم ومثله يعد من محسنات الكلام (قوله وكيف قال الله تعالى) تفريع على الوجه المختار وإن كان السؤال متوجها على الوجهين (قوله كيف يتبركون) أي بأي عبارة يتبركون ولا يرد أن ذلك تعليم للتبرك باسمه لا تعليم لكيفيته (قوله من حق حروف المعاني) أراد بها ما يقابل الأسماء والأفعال فإنها موضوعة للمعاني وأما الألفاظ المبسوطة التي يتركب منها الكلم فتسمى حروف المباني (قوله التي هي أخت السكون) لما كان البناء لا يختلف باختلاف العوامل كان الأصل فيه السكون لخفته فإن لم يتيسر فالفتح أولى وأيضا لما كان مقابلا للإعراب الذي أصله أن يكون وجوديا لكونه أثر العامل وعلم المعنى كان أصله أن يكون عدميا وقد امتنع البناء على السكون في حروف المعاني التي جاءت على حرف واحد من حيث إنها كلم برأسها منفصلة لوقوعها في ابتداء الكلام وقد رفضوا الابتداء بالساكن فحقها أن تبنى على الفتحة التي هي أخت السكون في الخفة وإن كانت الكسرة أختا له في المخرج لأنها أدوات كثيرة الدوران على الألسنة فاستحقت الأخف لأن لام الإضافة إذا دخلت على المظهر بنيت على الكسر فصلا بينها وبين لام الابتداء سيما فيما لا يظهر فيه إعراب فأجريت لام الابتداء على الأصل وكسرت لام الإضافة لتوافق حركة العامل أثره وإذا أدخلت على المضمر كانت مفتوحة لأن الفرق حاصل بجوهر المدخول عليه فإن لام الابتداء لا تدخل إلا على المرفوع وكذا باء الإضافة بنيت على الكسر (لأنها لازمة للحرفية والجر) أي غير مفارقة لهما بمعنى أنها لا توجد بدونهما يقال لزم فلان بيته إذا لم يفارقه ولم يوجد في غيره ومنه قولهم أم المتصلة لازمة لهمزة الاستفهام وكل واحدة من الحرفية والجر يناسب الكسر أما الجر فلموافقة حركة الباء أثرها وأما الحرفية فلاقتضائها السكون الذي هو عدم الحركة والكسر بمنزلة العدم لقلته إذ لا يوجد في الأفعال ولا في غير المنصرف من الأسماء ولا في الحروف إلا على الندرة بخلاف غيره وقيل هما وجهان ونقض الأول بواو العطف وفائه اللازمتين للحرفية والثاني بكاف التشبيه اللازمة للجر وقيل المجموع دليل واحد ونقض أيضا بواو القسم وتائه وأجيب بأن عملهما بنيابة الباء فكان الجر ليس أثرهما ﴿لا يقال﴾ اعتبار الحرفية احتراز عن كاف التشبيه مستدرك لأن الكاف إذا كانت اسما لا تعمل جرا في المضاف إليه فإن العامل فيه هو الحرف المقدر على ما ذكره في المفصل ﴿لأنا نقول﴾ احتراز عنها فيه للإشارة إلى أنه جار على مذهب من جعل المضاف عاملا ومن الناس من دفع النقض بواو القسم وتائه بأن اعتبار خصوصية القسم ليس بلازم فالواو وإن لزمت الحرفية لا تلزم الجر إذ قد تكون عاطفة والتاء لا تلزم شيئا منهما إذ قد تكون حرفا كضمير الخطاب فورد عليه أن الكاف أيضا لا يعتبر فيها خصوصية التشبيه ولم تكن لازمة للجر أيضا كضمير المخاطب فهو قيد لزوم الحرفية لأنه احتراز عن الكاف إذا كانت اسما إلى أن قال وكلام الزجاج أن الباء

* والاسم أحد الاسماء العشرة التي بنوا أوائلها على السكون فاذا نطقوا بها مبتدئين زادوا همزة لئلا يقع ابتداؤهم بالساكن اذ كان دأبهم أن يبتدئوا بالمتحرك ويقفوا على الساكن لسلامة لغتهم من كل لكنة وبشاعة ولوضعها على غاية من الاحكام والرصانة واذا وقعت في الدرج لم تفتقر الى زيادة شيء ومنهم من لم يزدها واستغنى عنها بتحريك الساكن فقال سم وسم قال * باسم الذي في كل سورة سمه * وهو من الاسماء المحذوفة الاعجاز كيد ودم

بنيت على الكسر فصلا بين ما يجر وقد يكون حرفا كالكاف مما يجر وقد يكون حرفا كالباء وشبهه فلا يكون هذا مراد المصنف وفيه بعد لان لقوم اعتبروا خصوصيات لمعاني فقالوا كاف التشبيه اما حرف واما اسم بمعنى مثل ولم يلتفتوا الى مجرد صورة الكاف ولم يقولوا أيضا انها تكون ضميرا أو حرف خطاب وقول المصنف نحو كاف التشبيه ولام الابتداء الخ يدل على اعتبار خصوصيات المعاني وكيف لا وبذلك يعد همزة مدة للامين وكون أحدهما مفتوحة والاخرى مكسورة (قوله أحد الاسماء العشرة) في المفصل أحد عشر وما ان لا يعد منها ايم الله لانه منقوص ابن واما ابنم لانه مزيد ابن والاول أولى لان منقوص قد يكون على وزن أصله فيقال ايم اومل كافعل وكانه هو علاف المزيد اذ لا يكون ابنم وزن ابن اصلا (قوله بنوا أوائلها) أي سوى الثلاث تخفيفا واستعمالا وان كان يعتبر تحريك أوائلها تقديرا وقياسا فان أصل اسم سمو وكذا يقال أصل ابن بنو واصل الكلمة في وضعها كذلك فمنهم من في الوضع وطلب الخفة في لكثرة استعمالها في الدرج وقوله لئلا يقع تعليل للزيادة مطلقا وأما خصوصية الهمزة فلتصريحهم بقولهم وكونها من أقصى المخرج فهي سكون أو شبه وضعا (قوله اذ كان دأبهم) التعليل بذلك دون الامتناع اشارة الى جواز الابتداء بالساكن وهو الحق ومن قال بامتناعه لا يسمع منه الا حكايته عن لسانه ﴿اسم﴾ فيسمع الابتداء بالمتحرك الا ان ذلك الابتداء بالسكون واذا استقريت لغة العجم وجدت فيها الابتداء بالساكن ايضا ثم وقد يستدل على الجواز بانه لو لم يمكن لتلفظ بالحرف المبتدأ به موقوفا على التلفظ بالحركة فيدور لان الحركة موقوفة على الحرف في التلفظ توقف العارض على المعروض ويجاب بان امتناع الابتداء بالساكن يستلزم امتناع الامكان الحركة عن الحرف المبتدأ به واما توقفه على الحركة فلا لجواز ان تكون الحركة تابعة غير ممكنة واعلم ان الحركة والسكون بالمعنى المشهور مختصان بالاجسام وان المراد بحركة الحرف كونه بحيث يمكن ان يتلفظ بعده باحدى المدات الثلاث وسكونه كونه بحيث لا يمكن فيه ذلك (قوله لسلامة لغتهم ولوضعها) نشر لما سبق فالاول علة للابتداء بالمتحرك دون الساكن اذ في الابتداء بالساكن (لكنة) وهي عي في اللسان (وبشاعة) أي الحدق لحق أو كراهة في السمع يقال شيء بشيع أي كريه الطعم يأخذ بالحلق وكراهة من السامع لسمعه والثاني علة للوقف على الساكن لان الوقف كالمراح من ابتداء واعياء يكون عاما فلا قوة فيه ولا اضطراب فغاية الاحكام والرصانة تقتضي ان لا يوقف على المتحرك لان الحركة تقلق الحرف وتزعجه من مخرجه كما يشهد له الوجدان وقيل الثاني أيضا علة لتخصيص الابتداء بالمتحرك فان الابتداء للكلام كالاس للبناء فكان البناء الحاذق لا يبني الاعلى أساس محكم كذلك المتكلم اذا أراد احكام كلامه ورصانته لا يبنيه الا على متحرك ليتقوى بالحركة الوجودية دون الساكن لتطرق الضعف اليه لسكونه العدمي واما الوقف على الساكن فلانه ضد للابتداء فجعل علامته ضد العلامة (قوله من لم يزدها) أي في الابتداء واستغنى عن الهمزة بتحريك الساكن في الابتداء وحمل الدرج عليه فحرك فيه أيضا كما في المستشهد به واذ ثبت التحريك في الدرج مع الاستغناء عنه كان في الابتداء أولى فتارة يحرك بالكسر لانه الاصل في تحريك الساكن ولانه حركة أصله الذي هو سمو بكسر السين وتارة يحرك بالضم لانه أقوى ولانه أيضا حركة أصله الذي هو سمو بضم السين قال ابن الانباري في الاسم خمس لغات اسم واسم بكسر الهمزة وضمها وسم وسم بكسر السين وضمها وسمى على وزن هدى (قوله باسم الذي) قال رحمه الله هو لرؤبة وبعده

وأصله سمو بدليل تصريفه كأسماء وسمي وسميت وسموة فهو من السمو لأن التسمية تنويه بالمسمى وإشادة بذكره ومنه قيل للقب النبز من النبز بمعنى النبر وهو رفع الصوت والنبز قشر النخلة الأعلى (فإن قلت) فلم حذفت الألف في الخط وأثبتت في قوله باسم ربك (قلت) قد اتبعوا في حذفها حكم الدرج دون الابتداء الذي عليه وضع الخط لكثرة الاستعمال وقالوا أطولوا الباء تعويضا من طرح الألف وعن عمر بن عبد العزيز أنه قال لكاتبه طول الباء وأظهر السينات ودور الميم (والله) أصله الإله قال * معاذ الإله أن تكون كظبية * ونظيره

أرسل فيها بازلا يقرمه * فهو بها ينحو طريقا يعلمه

وحمل الصاحب المعنى هذا البيت مقدما على قوله باسم الذي وأيا ما كان فالباء تتعلق (بأرسل) أي باسمه أرسل الراعي في الإبل (بازلا يقرمه) أي يتركه عن الاستعمال بالركوب والحمل ليتقوى للفحلة فالجملة صفة بازلا وقد يجعل حالا من المرسل لأن الوصف بصيغة الماضي أولى فهو أي البازل يقصد بتلك الإبل طريقا يعلمه لاعتياده تلك الصفة (قوله وأصله سمو) كعلو وصنو ذاهب إلى تصغيره في طرفيه لكثرة استعماله بحذف آخره ولم يحذف أوله تسديدا بأن الإعجاز بالحذف حركته (قوله بدليل تصريفه) رد به على الكوفية حيث زعموا أنه من الأسماء المحذوفة الأوائل وأصله وسم ولو صح لكان جمعه أوساما وتصغيره وسيم ولما كان المأخوذ منه وسميت وهذا تنبيه من دلالة أن الاسم يوافق المسموق لتركيب ولما لم يكن كالفياق اشتقاقه منه بل لابد معه من التناسب في المعنى أشار إليه بقوله (لأن التسمية تنويه) يقال نوه بنوه إذا رفع وتوهمه رفعته (والإشادة) رفع الصوت بالشيء وتشييد بذكر رفع قدره وفي التسمية رفع للمسمى عن حضيض الخفاء إلى منصة الظهور والتجلي بأعين البصائر وإعلاء قدره حيث جعل معتدا به ونصب علامة بإزائه (ومنه) أي ومن التسمية تنويه بالمسمى (والنبز بمعنى النبر) بالراء المهملة ومنه المنبر وأما القشر الأعلى من النخلة فهو النبز بالزاي المعجمة وكذا المنبر (قوله فلم حذفت) وأراد أن وضع الخط على حكم الابتداء دون الدرج إذ الأصل في كل كلمة أن تكتب على صورة لفظها بتقدير الابتداء والوقف عليها فكان يجب أن تكتب الهمزة هنا لثبوتها في الابتداء كما كتبت في باسم ربك وجعلها بالألف إذ هي هنا على صورتها في الخط (فإن قلت) لم لا يسأل لأن حذف الألف في الخط لكثرة الاستعمال مما في الكلام مستدركا (قلت) ينبغي أن يجاب بأن وضع الخط على الابتداء دون الدرج تصريحا بالقدمة التي طواها في السؤال ولا بد منها لتتميم تقريره بناء عليه قوله وذكر حديث التعويض وتأيده بقول أعدل بني مروان إشارة إلى أن الأصل أيضا مرعي بقدر الإمكان جمعا بين قاعدة الخط والاستعمال ثم إن في تطويل الباء وإظهار السين وتدوير الميم تحسينا للخط محافظة على تعظيم الاسم نظرا إلى أن الإله ما يريد به من أسماء الله المعظمة بكبريائه معها والموجود في نسخ المتيرة السينات جمع كل سنة سينة مجاز مبالغة في إظهارها كأنه قال اجعل كل سنة منها سينة في الظهور وقال وهذه أصح رواية وقد ورد به رواية على من قال السينات أصح رواية والسينات بدالها أصح دراية (قوله أصله الإله) ما ثبوت الهمزة في الإله أصله فلوجودها في تصاريفه وأما كونه على الصيغة المخصوصة أعني الإله فلاستعمالها في معناه كما في قوله معاذ الإله وتمامه

* ولا دمية ولا عقيلة ربرب * الدمية بالضم الصورة المنقوشة من العاج ونحوه وعقيلة كل شيء أكرمه والربرب السرب من بقر الوحش استعاذ بالله من تشبيه الحبيبة بهذه الأشياء التي جرت عادة الشعراء على تشبيه المحبوب بها ولك حمل الاستعاذة على معنى النفي أي لا تشبه كما في قوله

* أبى الله أن أسمو بأم ولا أب * وذكر الجوهري أن سيبويه جوز أن يكون أصله لاها من لاه يليه إذا استتر ثم أدخلت عليه الألف واللام فجرى مجرى الاسم العلم كالعباس والحسن إلا أنه يخالف الأعلام من حيث كان غير صفة وقولهم يا الله بقطع الهمزة إنما جاز لأنه ينوى به الوقف على حرف النداء تفخيما للاسم وبضعفه استعمال الإله بمعنى المعبود وإطلاق الإله على الله سبحانه (قوله ونظيره) أي في ثبوت الهمزة في أصله

الناس أصله الأناس قال إن المنايا يطلعن على الأناس الآمنينا
فحذفت الهمزة وعوض عنها حرف التعريف ولذلك قيل في النداء يا الله بالقطع كما يقال يا إله والإله من أسماء
الأجناس كالرجل والفرس اسم يقع على كل معبود بحق أو باطل ثم غلب على المعبود بحق كما أن النجم اسم
لكل كوكب ثم غلب على الثريا وكذلك السنة على عام القحط والبيت على الكعبة والكتاب على كتاب
سيبويه وأما الله بحذف الهمزة فمختص بالمعبود بالحق لم يطلق على غيره

(الناس وأصله الأناس) أما ثبوت الهمزة في أصله فلورودها في وجوه تصريفه وأما صيغة الأناس فلكونها
سماعية وقيل لما كان الإله والناس مع اللام قليلين في الاستعمال أورد لكل استشهادا على أنه مستعمل
في الجملة (قوله فحذفت الهمزة من إله) حذفا من غير قياس ويدل عليه وجوب الادغام والتعويض فإن
المحذوف قياسا في حكم الثابت وقوله لاه أبوك نادر واختار أبو البقاء أنه على قياس التخفيف فلزوم الحذف
والتعويض مع وجوب الادغام من خواص هذا الاسم التي يمتاز بها عن نظائره امتياز مسماه عن سائر
الموجودات بما لا يوجد إلا فيه (قوله وعوض عنها لام التعريف) أي الألف واللام معا كما هو مذهب
الخليل وسيبويه وقطع الهمزة لا من جزء العوض من الحرف الأصلي أو اللام لما كتبه وحدها لأن
همزة الوصل لما اجتلبت للنطق بالساكن جرت مجرى الحركة فلما وضعت اللام من حرف متحرك كان
للهمزة مدخل ما في التعويض فلذلك جاز قطعها وعلى حسن القطع بالنداء إذ هو اللائق بتمحض حرف
الموضعية ولا يلاحظ معه شائبة تعريف أصلا حذرا من اجتماع أداتي التعريف وأما في غير النداء فيجري
الحرف على أصله ويدل على أن قطعها في النداء لكونها عوضا لا لعدم ورودها وصيرورتها جزءا اسم الجمع وأيضا
وبين النداء في نحو يا التي على الشذوذ لم يجوز قطعها وإن كانت من أصل الكلمة مصحح لاعتبار معنى
التعريف وذلك لأن المحافظة على الأصل واجبة ما لم يعارضه موجب أقوى كالتعويض فيما نحن فيه
وتوهم أبو علي في الاغفال أن اللام في الناس أيضا عوض من همزة إذ لا يجتمعان في الأناس إلا ضرورة وورد
بكثرة استعمال ناس كثيرا منكرا دون لاه وامتناع يا الناس دون يا الله (قوله والإله من أسماء الأجناس)
علم أن العقلاء كما تاهوا في ذات الله وصفاته لاحتجابها بأنوار العظمة وأستار الجبروت كذلك تحيروا في
لفظ الله كأنه انعكس إليه من مسماه أشعة من تلك الأنوار فبهرت أعين المستبصرين عن دراكه
فاختلفوا أسرياني هو أم عربي اسم أو صفة مشتق ومم اشتقاقه وما أصله أو غير مشتق علم أو غير علم واختار
العلامة أنه عربي وأنه كان في الأصل اسم جنس ثم صار علما للذات المعبود بالحق وأصله لإله وأنه مشتق
من إله بمعنى تحير (قوله اسم يقع على كل معبود بحق أو باطل) لم يرد أنه مرادف للمعبود ليكون صفة منافية
لما اختاره من أنه اسم غير صفة وسيأتيك تحقيقه هنالك (ثم غلب على المعبود بحق) أي على الذات
المخصوصة فصار علما له بالغلبة مصرفا إليه عند الاطلاق كسائر الأعلام الغالبة ثم أريد تأكيد الاختصاص
بالتغيير بحذف الهمزة وصار الله بحذف الهمزة مختصا بالمعبود بالحق فالإله قبل حذف الهمزة وبعده علم
لذات المعينة إلا أنه قبل الحذف أطلق على غيره إطلاق النجم على غير الثريا وبعده لم يطلق على غيره أصلا
﴿قال الله أضل لبيني﴾ جعل الله مختصا بخلاف الإله مع أنه غالب والغالب أيضا مختص بناء على أن الإله في
أصل وضعه قبل غلبته كان يستعمل في المعبود مطلقا وأما بعدها فلم يستعمل إلا في المعبود بحق وزعم بعضهم
أن المراد بغلبته على المعبود بحق أنه غلب على هذا المفهوم الذي هو أخص من معناه الأصلي وأراد باختصاصه
بالمعبود بالحق أنه اختص بذاته تعالى علما واستشهد لذلك بتنكير حق في الأول وتعريفه في الثاني قال وأما
تشبيه الإله بالنجم وغيره من الأعلام فليس في العلمية بل في مجرد الغلبة سواء انتهت إلى حد العلمية أولا
ألا ترى أن السنة ليست علما شخصيا ولا جنسيا إذ لا ضرورة تدعو إلى علميته وجوابه أن الإله يتبادر منه
الفرد المعين عند اطلاقه تبادر الثريا من النجم فلذلك شبه به أولا يحمل أحدهما على الآخر كم

ومن هذا الاسم اشتق تأله وأله واستأله كما قيل استنوق واستحجر في الاشتقاق من الناقة والحجر (فإن قلت) الاسم هو أم صفة (قلت) بل اسم غير صفة ألا ترى أنك تصفه ولا تصف به لا تقول شيء إله كما لا تقول شيء رجل وتقول إله واحد صمد كما تقول رجل كريم خير وأيضا فإن صفاته تعالى لا بد لها من موصوف تجري عليه

وأما السنة فتم مانع معه ومن يخرجه عما يقتضيه ظاهر التشبيه من كونه أعلى إذ لا يفهم منه معنى تقتضي لنجيه بها من أعلام الأشخاص ولا ضرورة في جعلها أعلاما جنسيا وما استشهاده بتنكير الحق وتعريفه فلا يعتد به فإن المتعين تعيين ذات المعبود هو تعريفه ولا مدخل لتعريف الحق وتنكيره في ذلك كقولك الذي عليك حق أو عليك الحق على أن القصد من قوله على كل معبود هو الذات المعبودة لا المفهوم واللام في المعبود بحق تكون إشارة إلى بعض تلك الذوات المعبودة وأما الحق فقد أريد به مفهومه المقابل للباطل ولا تعدد فيه فلا حاجة إلى تعريفه فذكره تارة منكرا أيضا كقوله تعالى هو الذي في السماء إله وفي الأرض إله واعترفه بأن الشامع جواز تنكيره في معاني العبارة وكان الثالث أولى لتقدم ذكره مرتين ولو عرف الأول وقال على كل معبود بالحق أو بالباطل لم يتعين المقصود من المعبود (قوله ومن هذا الاسم) أي الإله قد اشتهر أن الإله فعال بمعنى المألوه أي المعبود مشتق من الإلاهة بمعنى العبادة واختار المصنف أن الإلاهة وتصاريفها من نحو تأله أي تعبد وأله بالفتح أي عبد واستأله استعبد مشتقة من الإله وإن كان اسم عين فإن الاشتقاق قد يكون من الأعيان وجعل الإله مشتقا من أله بالكسر إذا تحير ودهش واعترض عليه أولا بأنه تحكم لجواز العكس وأجيب بأن اللفظين إذا توافقا في التركيب وكان أحدهما أشهر في المعنى المشترك بينهما كان أولى بأن يكون مشتقا منه ولا شك أن الإله بمعنى المعبود أشهر من الإلاهة ومتصرفاتها وأن أله في معنى التحير أشهر من الإله ولذلك احتيج إلى بيان اشتماله على معنى الحيرة ولا يقدح فيما ذكرنا كون الإله بمعنى عبد أشهر وأكثر استعمالا من أله بمعنى تحير وقد يجاب بأن المصنف رحمه الله لعله نقل أو تتبع أنه لم يوجد في اللغة إصابة واستعمالات الأقدمين بخلاف الإله ثم جوز اشتقاقه منهم ويدفعه قراءة ابن عباس ويذرك وإلاهتك وثانيا بأن الاشتقاق من الأصل من الأعيان على خلاف القياس سيما في الثلاثي المجرد فإنه نادر كقولهم أبل بالإبل على وزن شكس شكاسة إذا تأنق في رعيه الإبل وأحسن القيام عليها وثالثا بأن معنى المشتق منه يجب أن يعتبر في المشتق وليس معنى الإله أي المعبود موجودا في الإلاهة أي العبادة بل الأمر بالعكس وأجيب بأن معنى العبادة خدمة الإله كما أن أبل بمعنى خدم الإبل ورعايته بل لا يجب أن يوجد معنى المشتق منه بتمامه في المشتق ولا يمتنع اشتقاق الاسم كضارب من الفعل كضرب وفيه بحث لأن الظاهر في الاشتقاق الصغير أن يعتبر في المشتق معنى أصله بتمامه وبذلك يرجح اشتقاق الفعل من المصدر على عكسه ومعنى قولهم ضارب مشتق من ضرب أنه مشتق من مصدره وإنما اختار صيغة الماضي على المصدر تنبيها على أن الحروف المعتبرة في الاشتقاق دون بعض المصادر كالخروج والقبول تشتمل على حروف لا تعتبر فيه (قوله بل اسم) أورد كلمة الإضراب ردعا للسائل عن شكه في مبحث هو معترك الأنظار كأنه قال أعرض عن التردد وجزم بأنه اسم وقوله (غير صفة) مبالغة في تعيين المراد فإنه لا يتوهم من الاسم ما يقابل الفعل ويعم الصفة (فإن قلت) ذكر أولا أن الإله بمعنى المعبود فيكون صفة فكيف قطع بنفي الوصفية ههنا (قلت) لم يذكر أنه بمعناه بل قال (هو اسم يقع على المعبود) ولا يلزم من ذلك كونه صفة كما أن الكتاب اسم يقع على المكتوب وليس بصفة وبيانه أن الاسم قد يوضع لذات مبهمة باعتبار معنى معين يقوم به فيتركب مدلوله من ذات مبهم لم يلاحظ معه خصوصيته أصلا ومن صفة معينة فيصح إطلاقه على كل متصف بتلك الصفة ومثل ذلك يسمى صفة وذلك المعنى المعتبر فيه يسمى مصحح الإطلاق كالمعبود مثلا ويلتزم ذكر موصوف معه لفظا أو تقديرا تمييزا للذات التي قام بها المعنى وقد يوضع لذات معينة ولا يلاحظ معها شيء من معانيها فيكون اسما لا يشتبه بالصفة قطعا كفرس وإبل وقد يوضع لها ويلاحظ في الوضع معنى له نوع تعلق

فلو جعلتها كلها صفات بقيت غير جارية على اسم موصوف بها وهذا محال (فإن قلت) هل لهذا الاسم اشتقاق (قلت) معنى الاشتقاق أن ينتظم الصيغتين فصاعدا معنى واحد وصيغة هذا الاسم وصيغة قولهم أله إذا تحير

صار ذلك على قسمين الاول أن يكون ذلك المعنى خارجا عن الموضوع وسبب عنا تعيين الاسم من له كالحمر ذا حمل عقلا لونه فيه حمرة وكالدبة ... الاربع في نفسه ... للوضع لا جزأ من مفهوم اللفظ والثاني أن يكون ذلك المعنى داخلا في الموضوع له مركب من ذات ... ومعنى مخصوص كاسماء الآلة والمكان والزمان وكالدابة ... القسمين ايضا من الاسماء والمعنى المعتبر فيهما مرجح للتسمية لا مصحح للاطلاق ولا يطرد إن في كل ما وجد فيه ذلك المعنى ولا يعد صفة لشيء ولكن ... يشتبهان بالصفات والقسم الاخير أشد ... الا أن المعنى المعتبر في الوضع داخل في مفهوم كل منهما ... والفرق ... يوصفان ولا يوصف بهما على عكس الصفات وحيث وجد في الاستعمال اله واحد ولم يوجد شيء له مع كثرة وراثه على الالسنة عرف انه من الاسماء دون الصفات وهكذا حكم كتاب ... مع خصوصية ... (قوله فلو جعلتها كلها صفات) اعترض عليه تارة بأن الكلام في الله ... قوله ... ويقول ... أن يكون له صفة ويكون الله اسما ... غير جارية على موصوف وأخرى بأنه لم لا يجوز أن يوضع لذاته باعتبار قيام معانيه ... ولا يوضع لخصوصية ... ولا ... في ذلك ... المستحيل أن توجد صفات في نفس الامر ولا يكون ... لذات موصوفة بها ... تعالى هو ... بحذف الهمزة ... كان ... صفة ... ضرورة ... والمقصود أن ... لو كان صفة لم يكن لله تعالى في أصل الوضع اسم تجري عليه صفاته ... لو كان اسما لم يكن لله أيضا في أصل الوضع اسم تجري عليه صفاته ... في أصل وضعه اسما له ... ومشترك ... أن ... الاستقراء دال على أن كل حقيقة يتوجه الاذهان الى ... أهل اللغة قد وضع لها اسم يجري عليه صفاتها وأحكامها وفي ذلك ... حيث قال إذا كان ... صفة وسائر أسمائه صفات يلزم أن العرب لم تبق شيئا من الاشياء ... ولم تسم خالق الاشياء ... محال وفيه بحث لانه ان أراد أن الله اسم ... انه تعالى لا يقصد به معنى الصفة حال اطلاقه عليه كما هو الظاهر من عبارته ... ولا يجدي ... الجواز أن يكون صفة في اصله ... أراد انه اسم في أصله فيتأتى مشكل لما عرفت من ان ... اسماء ... موصوف ... ذاته تعالى ولو كان الاختصاص لعارض للاسم العام كما في ... تعالى في ... كان الاختصاص العارض للصفة كافيا (لا يقال) الاسم قبل الاختصاص امكن أن يطلق عليه فتجري عليه صفاته ... الصفة قبل اختصاص ... صفة حينئذ غير جارية على الموصوف (لانا نقول) ... في اجراء الصفات ... اسم ... عنه باسم آخر كلفظ الشيء مثلا ولا يحصل لمن يزعم انه اسم في أصله الا أن يقول لا بد لجنس المعبود من اسم تجري عليه صفاته فانه معنى متعارف وليس له اسم سوى ... ولك أن تقول الضمير في قوله (اسم هو او صفة) راجع الى الله لا انه بين اسميته في الدليل الاول ... الصفة عن أصله وفي الدليل الثاني ... الوصفية ... حال اطلاقه عليه تعالى سواء كان اسما في أصله أو صفة ... مشكل ... وعلى هذا الانسب أن تكون الاشارة في قوله (ومن هذا الاسم اشتق) وقوله (هل لهذا الاسم اشتقاق) راجع الى الله تعالى كما أن الضمير في قوله (هل تسمى لاسمه) راجع اليه (قوله هل لهذا الاسم) أي الاله أو الله (اشتقاق) من شيء فانه المتبادر من العبارة وأيضا قد فرغ من بيان كونه مشتقا منه فبقي الا كونه مشتقا (فإن قلت) لم يذكر في الجواب الا اثبات الاشتقاق بين لاه واله ولم يبين مشتقا ولا مشتقا منه (قلت) ... على مفهوم السؤال وسياق الكلام وأيضا بين أن الاله يتضمن معنى اله فقد أذن أن لاه مشتق من اله فان المشتق هو الذي يشتمل فيه معنى المشتق منه مع خصوصية دون العكس (قوله معنى الاشتقاق)

ومن أحواته دله وعله يتنظمهما معنى التحير والدهشة وذلك أن الاوهام تتحير في معرفة المعبود وتدهش الفطن ولذلك كثر الضلال وفشا الباطل وقل النظر الصحيح ﴿فان قلت﴾ هل تفخم لامه ﴿قلت﴾ نعم وقد ذكر الزجاج أن تفخيمها سنة وعلى ذلك العرب كلهم واطباقهم عليه دليل أنهم ورثوه كابرا عن كابر

قال رحمه الله تعالى عدل عن الجواب الظاهر وهو نعم اشارة الى ان المبحث محل اختلاف لا يتعين الا بالتلخيص لتمييز الحق عن الباطل ولم يرد بهذا ذكره تحديد الاشتقاق حتى ينتقض بمثل نصر واعان بل أراد ان الاشتراك في المعنى كاف في اشتقاق الاله من اله لتوافقهما تركيبا وقيل أراد تحديده واستغنى عن قيد التناسب في التركيب لشهرته وقد يقال لصيغتان هما اللفظتان المختلفتان وزنا وفيه دلالة على تعدد الوزن فامل اختياره على الكلمتين أو اللفظتين اشعار باتحاد التركيب كأنه قال أن ينتظم اللفظتين المتخالفتين وزنا المتوافقتين تركيبا والقول بأن الصيغة مجرد الهيئة العارضة لجوهر الحروف فالمعنى أن ينتظم الصورتين اللتين لهما مادة واحدة مردود بقوله صيغة هذا الاسم وصيغة قولهم اله لان معنى التحير والدهشة ليس مدلولا للصورتين العارضة لمادتهما (قوله ومن أحواته) جملة اعتراضية أشار بها الى الاشتقاق الاكبر في اثنائه لان الاشتقاق الصغير فيه الهمزة والعين تنة ربان مخرجا والهمزة والدال يتشاركان في صفة الجهر ﴿ولا يقال﴾ اشتقاق الاله من اله أيضا اشتقاق اكبر لان همزة اله منقلبة عن الواو كما نص عليه الجوهري والهمزة تشارك الواو في الجهر فقوله هل لهذا الاسم (اشتقاق) سؤال عن الاشتقاق الاكبر والجواب مطابق له ولذلك قال ومن اخواته ﴿لانا نقول﴾ الاشتقاق اذا أطلق يتبادر منه الصغير والنزاع بين أئمة اللغة انما وقع في ان الاله مشتق اشتقاقا صغيرا أولا فلا مجال لحمل كلام المصنف على غيره كيف وقد حمل بيان الاشتقاق الاكبر اعتراضا مقصودا من الكلام وأما قول الجوهري فمعارض بقول غيره من أئمة اللغة ولو سلم فقد يكون همزة الاله واوا وان جعلها الجوهري أصلا (قوله في معرفة المعبود) أي لذي يعبد فاعتقد الناس آلهة وزعم كل ان الحق ما هو عليه (وكثر الضلال) في الافكار (وفشا الباطل) في الاعتقاد (وقل النظر الصحيح) وما يؤدي اليه من الحق وان جعلت الاشارة في السؤال راجعة الى الله فالمعنى ان الاوهام تتحير في معرفة ذاته وما يجوز عليه من أفعاله وصفاته ﴿فان قلت﴾ هل يقصد بلفظ الله تعالى لاطلاقه عليه الدلالة على معنى التحير ﴿قلت﴾ لا لانه علم لا يقصد به الا الذات (قوله هل تفخم لامه) أي لام الله دون الاله ﴿فان قلت﴾ الضمير في السؤال الاول والاشارة في الثاني ان ارجعا الى الاله ورجع الضمير في الثالث الى غيره تفكك نظم الكلام ﴿قلت﴾ المراد الله هو الاله بحذف الهمزة فالمعنى على ذلك التقدير هل يفخم لام الاله بعد حذف همزته اذ لا يتصور تفخيمها قبله وأريد بالتفخيم ههنا ضد الترقيق وهو التغليظ وقد يطلق على ما يقابل الامالة وعلى امالة الالف نحو مخرج الواو كالصلوة والزكاة (قوله قلت نعم) اعترض عليه بانه على جريان التفخيم في اللام مطلقة ولا تفخيم بعد الكسرة اتفاقا لاستثقال علو التفخيم بعد الكسرة وأجيب بأن السؤال عن جريانه على سنن الاستقامة أو تولده من تحريفات العامة لا عن محله لشهرته فأجاب بصحته وانه سنة أي طريقة مسلوكة ثم بين انها قديمة (قوله وعلى ذلك العرب كلهم) أي الذين شاهدناهم أو نقل الينا كلامهم واطباقهم على التفخيم دليل على انهم وجدوا عليه آباءهم الاقدمين فهم على آثارهم مقتدون (قوله كابرا عن كابر) قيل حال وقعت حالا فنصب صدرها كثر ولزم بابه بدابة وكلمة عن الى في قال الشاعر

فتلقاكروها آخرا عن أول * وتوارثوها كابرا عن كابر

وقيل مفعول ثان كقولك ورثت زيدا مالا أي ورثوه من كابر بعد كابر كقوله طبقا عن طبق أي بعد طبق واعترض عليه بفوات المقصود أعني وصف كل واحد من الوارث والموروث منه بالكبر ورد بأن ذلك انما يقصد في الكبر بمعنى العز والشرف وأما في كبر السن فلا ولعله المقصود ههنا ويؤيده ما نقله من انه قد يقال ورثوه صاغرا عن كابر على أن الغرض الاصلي بيان القدم وجعله مفعولا ثانيا أدل عليه كما يقال ورثوه

و(الرحمن) فعلان من رحم كغضبان وسكران من غضب وسكر وكذلك الرحيم فعيل منه كمريض وسقيم من مرض وسقم وفي الرحمن من المبالغة ما ليس في الرحيم ولذلك قالوا رحمن الدنيا والآخرة ورحيم الدنيا ويقولون ان الزيادة في البنا لزيادة المعنى وقال الزجاج في الغضبان هو الممتلئ غضبا ومما طن على أذني من ملح العرب أنهم يسمون مركبا من مراكبهم بالشقدف وهو مركب خفيف ليس في ثقل محامل العراق فقلت في طريق الطائف لرجل منهم ما اسم هذا المحمل أردت المحمل العراقي فقال أليس ذاك اسمه الشقدف قلت بلى فقال هذا اسمه الشقنداف فزاد في بناء الاسم لزيادة المسمى وهو من الصفات الغالبة كالدبران والعيوق والصعق لم يستعمل في غير الله عز وجل

من أب بعد أب وقيل كابر معمول وقع حالا كما كان صاغرا كذلك أي ورثوه كابرين عن كابرين أو صاغرين عن كابرين والافراد لكونه بمعنى جمعا كابرا أو صاغرا كما في قوله تعالى سامرا تهجرون أي جماعا سامرا أو يرد عليه ان هذه العبارة كما لا يختلف جمعا وافرادا كذلك لا يختلف تأنيثا وتثنية فيقال ورثته كابرا عن كابر وتورثه كابر عن كابر ويجوز صاغر أن يكون تمييز أي ورثه صاغرهم عن كابرهم وجاز أن يكون مثل كابرا صدر الجملة الحالية والكابر بمعنى الكبير كالصاغر بمعنى الصغير قال الجوهري قولهم كابرا عن كابر أي كبيرا عن كبير وفي الأساس انه من كبره أي غلبه في الكبر فانا كابر (قوله والرحمن فعلان من رحم) (فان قلت) الرحمن صفة مشبهة ولا تشتق الا من فعل لازم فكيف اشتق من رحم وهو متعد وكذا القول في رحيم لا تحت عدا صفة مشبهة وأما الرحيم فان جعل صيغة مبالغة كما نص عليه سيبويه في قولهم هو رحيم فلا نزاع فيه كل وان جعل صفة مشبهة كما شعر به تمثيله بمريض وسقيم توجه عليه السؤال أيضا (قلت) الفعل المتعدي قد يجعل لازما بمنزلة الغريزة فينقل الى فعل بضم العين ثم يشتق منه الصفة المشبهة وهذا مطرد في باب المدح والذم نص عليه في تصريف المفتاح وذكره المصنف في نحو فائق في رفيع ونظيره الا ترى الى قوله تعالى رفيع الدرجات لا رافع الدرجات (قوله وفي الرحمن من المبالغة ما ليس في الرحيم) تلك المبالغة اما بحسب شمول الرحمن للدارين واختصاص الرحيم بالدنيا كما في الأثر المذكور وما بحسب كثرة أفراد المرحومين كما ورد يا رحمن الدنيا ورحيم الآخرة واما بحسب جلالة النعم ودقتها كما اختاره في التسمية والمعنى أن في الرحمن مبالغة في الرحمة ليست في الرحيم فيقصد به رحمة زائدة وجه ما لا يناسبه ما روي من قولهم يا رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما لجواز أن يراد ثم ههنا جلائل النعم ودقائقها (قوله ويقولون) استدل أولا بالمأثور عن السلف بصيغة الماضي وهو استدلال بالاستعمال وثانيا بالقول الدائر فيما بين العلماء فعبر عنه بالمضارع وهو استدلال بالقياس ويستشهد ثالثا بما ذكره الزجاج في نظير رحمن غضبان لا تلك القاعدة المذكورة وايماء الى قياس الرحمن عليه في معنى الا نعية ونقضت القاعدة بمثل حذر فانه أبلغ من حاذر وأجيب بأن الشرط في ذلك بعد تلاقي الكلمتين في الاشتقاق اتحادهما في النوع كصد وصديان وغرث وغرثان وفرح وفرحان فاندفع النقض لان حذر وحاذر مختلفان نوعا وقد يجاب بأن القاعدة أكثرية لا كلية فلا نقض وبأن حذرا انما كان أبلغ لالحاقه في الثبوت بالامور الجبلية كشره ونهم وفطن وذلك لا ينافي كون حاذر أبلغ بوجه آخر بأن يدل على زيادة الحذر وان لم يدل على ثبوته ولزومه (قوله وهو من الصفات الغالبة) أي تقديرا اذ مقتضى القياس استعماله في غيره تعالى لان معناه البالغ في الرحمة وجب اختصاصه به ولم يستعمل في غيره فكأنه غلب عليه من بين ما اقتضى القياس اطلاقه عليه وكذلك غلبة (الدبران والعيوق) تقديرية أيضا اذ لم يستعمل في غير هذين الكوكبين أصلا لكن لما اعتبر فيهما معنى الدبور والعوق كان مقتضى القياس أن يستعملا في غيرهما أيضا وحيث اختصا بهما كأنهما غلبا عليهما بخلاف الصعق فان غلبته تحقيقية ومن ههنا أي من أجل انقسام الغلبة الى التقديرية والتحقيقية تراهم يقولون الغلبة اما بالنظر الى القياس والاستدلال واما بالنظر الى الواقع والاستعمال (فان قلت) الرحمن صفة أو يوصف

(قال محمود وفي الرحمن من المبالغة ما ليس في الرحيم الخ) قال أحمد لا يتم الاستدلال بقصر البناء وطوله على نقصان المبالغة وتمامها ألا ترى بعض صيغ المبالغة كفعل أحد الأمثلة أقصر من فاعل الذي لا مبالغة فيه البتة وأما قولهم رحمن الدنيا والآخرة ورحيم الدنيا فلا دلالة فيه أيضا على مبالغة رحمن بالنسبة الى رحيم فان حاصله ان الرحمة منه بالدلالة على تمامها ألا ترى ان ضاربا لما كان أعم من ضراب كان ضراب أبلغ منه لخصوصه فلا يلزم اذا من خصوص رحيم أن يكون أقصر بالغة من رحمن لعمومه

(قال محمود رحمه الله تعالى فإن قلت كيف تقول الله رحمن أتصرفه أم لا الخ) قال أحمد ليت شعري بعد امتناع فعلانة وفعلى ما الذي عين قياسه على عطشان دون ندمان مع أن قياسه على ندمان معتضد بالأصل في الأسماء وهو الصرف أقول الذي عينه هو أن باب سكران وعطشان أكثر من باب ندمان وإذا احتمل أن يكون من كل واحد منهما فحمله على ما هو الأكثر أولى ولأن رحمن وعطشان مشتركان في عدم وجود فعلانة بخلاف ندمان فلهذا كان حمله على عطشان أولى ثم قال وقد نقل غيره خلافا في صرف رحمن مجردا من التعريف وبناه على تعيين العلة في منع صرف عطشان هل هي وجود فعلى فيصرف رحمن أو امتناع ٣٥ فعلانة فيمتنع الصرف وهو أيضا نظر قاصر والأتم منهما أن يقال امتنع صرف عطشان وفاقا وامتناع صرفه معلل بشبه زيادتيه بألفي التأنيث والشبه دائر على وجود فعلى وامتناع فعلانة فإما أن يجعل الأمرين وصفي شبههما مجموعهما مستقل أو كل واحد منهما مستقلا بيان الشبه أو أحدهما دون الآخر على البدل فهذه أربع احتمالات فإن كان مقتضى الشبه المجموع أو وجود فعلى خاصة انصرف رحمن وإن كان كل واحد من الأمرين مستقلا أو الشبه بامتناع فعلانة خاصة منع رحمن من الصرف فلم يبق إلا تعيين ما به حصل الشبه في عطشان بين زيادتيه وبين ألفي التأنيث من الاحتمالات الأربعة وعليه يبنى الصرف وعدمه والتحقيق أن كل واحد من الأمرين المذكورين مستقل باقتضاء الشبه فيمنع صرف رحمن لوجود احدى العلتين المقتضيتين للشبه وهي امتناع فعلانة على هذا التقدير واعتقاد الثلاث امتناع فعلانة فيه حاصله امتناع دخول تاء التأنيث على زيادتيه كامتناع دخولها على ألفي التأنيث فحصل الشبه من هذا الوجه ووجود فعلى يحقق أن مذكره مختص ببناء ومؤنثه مختص ببناء آخر فيشبه الألفين في اختصاص كل واحد منهما ببناء غير الآخر فهذا وجه آخر من الشبه ومن تأمل كلام سيبويه فهم منه ما قررته (فإن قيل) حاصل ذلك مناسبة كل واحد من الأمرين المذكورين لاقتضاء الشبه فالذي دل على استقلال كل واحد منهما علة في الشبه وهلا كان المجموع علة وحينئذ ينصرف رحمن وهو أحد الاحتمالات الأربعة المتقدمة (قلنا) امتناع صرف عمران لم يدل على استقلال كل واحد من الأمرين

كأن نظيره من الأسماء خاصة وأنشد قول بني حنيفة في مسيلمة رحمن اليمامة وقول شاعرهم فيه
* وأنت غيث الورى لا زلت رحمانا * فباب من تعنتهم في كفرهم (فإن قلت) كيف تقول الله رحمن أتصرفه أم لا (قلت) أقيسه على أخواته من بابه أعني نحو عطشان وغرثان وسكران فلا أصرفه (فإن قلت) قد شرط في امتناع صرف فعلان أن يكون فعلان فعلى واختصاصه بالله يحظر أن يكون فعلان فعلى لم تمنعه الصرف (قلت) كما حظر ذلك أن يكون له مؤنث على فعلى كعطشى فقد حظر أن يكون له مؤنث على فعلانة كندمانة فإذا لا عبرة بامتناع التأنيث للاختصاص العارض فوجب الرجوع إلى الأصل قبل الاختصاص وهو

به ولا يوصف ولأن الله يوم يمسه باسم الرحمة وقد حصل به إلى معرفة وصكر ولبس ثم فصه وكيف شبهه بالأعلام التي يوهم الإمام (قلت) أراد بالتشبيه الاشتراك في معاني التسمية والاختصاص سواء كانت تقديرية أو تحقيقية مع اللام أو بدونها على وجه الغلبة أو الوصفية (قوله كان لله تعالى من الأسماء الحسنة) يعني تقدير أعلا يشار إليه وأما الله فمختص بالمعبود بالحق لم يطلق على غيره تعالى فلو كما لك دليلا على ذلك أنه جعل الرحمن من الصفات الغالبة وحكم بأنه لم يستعمل في غير الله تعالى يريد كان غلبة الرحمن تقديرية غير اسمية لعدم استعماله في غيره تعالى كذلك غلبة الله تقديرية إذ أصله الإله وقضى القياس صحة إطلاقه على غيره كأصل الإله لم يطلق الأعلى به تعالى وقد تقال هذه الكلمة من أول وصفها في أن صرت علما اسم وحده فأوردت في عقد به الرحمن وحكم عليها بالغلبة التحقيقية من جهة وذلك لاتصافها في بعض أطوارها أعني قبل حذف الهمزة وأما الحكم بالاختصاص وعدم الإطلاق على غيره تعالى فعهو إلى هذه الكلمة مقيدة بحذف الهمزة في مقابلة مقيدة بوجودها ولذلك قال (وأما الله بحذف الهمزة) (قوله وأنت غيث الورى) أوله * سموت بالمجد يا ابن الأكرمين أبا *
وبردى الأكثرين بدا (فباب من تعنتهم في كفرهم) حيث بالغوا فيه حتى خرجوا عن طريقة اللغة أيضا والتعنت بطلب الإيقاع في أمر شاق والنعت يراد به إيقاع بعضهم معاني أمر شاق أو إيقاع كل واحد منه (قوله كيف تقول الله رحمن) أوقعه في التركيب وجرده عن اللام ليستحق الإعراب ويظهر حكم الانصراف وعدمه (قوله أقيسه على أخواته من بابه) أي من فعلان بالكسر فإن كان فعلان من ذلك فإنه غير منصرف (فإن قلت) هذا منقوض بندمان فإنه فعلان من ندم وهو منصرف لمجيء ندمانة (قلت) المأخوذ من ندم بمعنى الندم غير منصرف كسكران ومؤنثه ندمى كسكرى وأما الذي هو منصرف ومؤنثه ندمانة فهو من المنادمة في الشراب بمعنى النديم فلا يوجد فعلان من فعل بالكسر إلا غير منصرف وما ذكره المبرد وغيره من أن الصفة من خشي بالكسر خشيان فهو خشيانه معارض بقول الجوهري أن الصفة منه خشيان وخشيا وهو أرجح قياسا على الصفات المأخوذة من هذا الباب على أنه لو صح كان نادرا فلا يلحق به الرحمن في الصرف بل بالأعم الأغلب في منعه ولما قال في الجواب أقيسه على أخواته لأن وجود علة منع صرفه لا يظهر بذلك كما ستعرفه إن شاء الله تعالى (قوله قد شرط) يريد أن فعلان إذا كان صفة

لقيس على نظائره (قوله فان قلت) ما معنى وصف الله تعالى بالرحمة ومعناها العطف والحنو ومنه الرحم لانعطافها على ما فيها (قوله قلت) هو مجاز عن انعامه على عباده لان الملك اذا عطف على رعيته ورق لهم أصابهم بمعروفه وانعامه كما انه اذا أدركته الفظاظة والقسوة عنف بهم ومنعهم خيره ومعروفه

شرطه في منع صرفه أن يكون مؤنثه فعلى وقد انتفى هذا الشرط في رحمن لاختصاصه بالله تعالى فوجب أن لا يمنع صرفه والجواب ان هذا الشرط غير معتبر لتحقق انتفائه لانه اذا انتفى انتفى تحقق مصارعتهما لا الى التأنيث و لاختصاص العارض كما منع وجوده على منع وجوده فان نظر الى انتفاء فعلى وجب أن لا يمنع صرفه لان وجود فعلى هو الشرط ومناط الحكم في الظاهر وان نظر الى انتفاء فعلانه وجب أن يمنع صرفه لان انتفاءه هو مناط الحكم في الحقيقة لانه علته جعل وجوده امارة عليه ومناطا لحكمه وباعتبار الاختصاص وجب أن يكون مختصا بالصرف غير ممنوع منه وهو محال فوجب أن لا يعتبر امتناع التأنيث أي انتفاء فعلانة وانتفاء فعلى بسبب الاختصاص العارض وأن يرجع الى أصل هذه الكلمة قبل الاختصاص ويتصرف حالة فيه وذلك بالقياس على نظائره أمام أي فعل بالكسر فاذا كانت كلها ممنوعة من الصرف لتحقق وجود فعلى فيها علم ان هذه الكلمة أيضا في أصلها مما يتحقق فيه وجود فعلى فيمنع من الصرف أيضا وقيل المراد انه لان صيغة فعلان اذا قابله فعلان الذي مؤنثه فعلى أكثر من فعلان الذي مؤنثه فعلانة ولهذا يلحق بالاعم الاكثر ومن أساس من قرر الجواب بان وجود فعلى شرط لعدم الانصراف ووجود فعلانة شرط للانصراف فان المتفق على صرفه ما يكون مؤنثه فعلانة فالرحمن لا عبرة بانتفاء الشرط للاختصاص العارض لان معنى الاشتراط انه اذا أطلق اللفظ على مؤنثه فان كان على فعلى فعلانة غير منصرف وان كان على فعلانة فمنصرف وههنا لم يطلق على مؤنث لم يعلم ان مؤنثه فعلانة لينصرف أو فعلى فيمنع فوجب الرجوع الى الاصل وهو الالحاق باخواته وهذا فاسد بوجهين الاول انه يلزم منه أن يستدرك التعرض لانتفائه لانه اذ يكفيه أن يقول لا عبرة بانتفاء الشرط الذي هو وجود فعلى بسبب الاختصاص لان معنى الاشتراط انه اذا أطلق على مؤنث كان على فعلى وحيث لم يطلق هو ولا على مؤنث لم يعلم ان الشرط حاصل أو ليس بحاصل فوجب أن يرجع الى الاصل الثاني ان عدم العبرة بانتفاء الشرط لما علل بقوله لان معنى الاشتراط الخ ما ذكره كان الحاصل منه عدم انتفاء الشرط لانه حاصل من الاشتراط الاطلاق ولو لم يدل لازم من كلامه عدم العلم بانتفاء الشرط لا انه غير معتبر لان عدم الاعتبار بالشئ فرع لتحققه وقد تقرر الجواب بأن هناك مذهبين اشتراط وجود فعلى واشتراط انتفاء فعلانة ولا ترجيح لاحدهما على الآخر فوجب أن لا يعتبر انتفاء التأنيث لاجل الاختصاص والا يلزم أن لا يحكم بالصرف ولا بعدمه تفاديا عن التحكم فتعين الرجوع الى الاصل وقد يقال حال الاختصاص وجد الشرط على مذهب واتفق على آخر فقد ارتضاه تساقطا فصار الى ما قبل الاختصاص (قوله ومعناها العطف والحنو) أراد الميل النفساني أي الشفقة والرقة وهي من الكيفيات التابعة للمزاج والله تعالى منزه عنها وقيل أراد الميل الجسماني أي الانعطاف والانحناء وليس بصحيح فانه ليس معنى الرحمة وان كان مشابها بمعناها ومسببا عنه ومدلولا لبعض ما يلائمها في الاشتقاق كالرحم أولا ترى انه جعل الانعام مسببا عن الرقة لا عن الانحناء (قوله هو مجاز عن انعامه) أي مجاز مرسل فان الرحمة والرقة سبب للانعام كما بينه ولو جعل مجازا مرسلا عن ارادة الانعام لجاز فان الرحمة سبب للارادة أولا وبواسطة الارادة للانعام ثانيا ويجوز أن يجعل استعارة على سبيل التمثيل كما اختاره في الغضب وقد يتوهم ان جعل الرحمة مجازا عن الانعام والغضب عن ارادة الانتقام اشارة الى ان رحمته سبقت غضبه فهو للانعام فعل وللانتقام مبتدأ وان كانت ارادة مفضية الى فعله قطعا وسيرد عليك تفصيل الكلام وتحقيقه هناك بعون الله وتوفيقه (الفظاظة) (عنف) بضم النون مخففة من العنف وهو ضد الرفق يقال عنف عليه وعنف به وقد يوجد في بعض النسخ بالتشديد من التعنيف وهو التعيير واللوم فيحتاج الى تضمين معنى العنف أي عيرهم عنيفا بهم

بالشبه المانع من الصرف اذ عمرانا علما لا فعلى له وهو غير منصرف وفاقا أقول قد عثر ههنا رحمه الله وان الجواد قد يعثر لان اعتبار وجود فعلى أو انتفاء فعلانة انما كان في الصفة أما في الاسم فشرطه العلمية لا وجود فعلى ولا انتفاء فعلانة (قال محمود رحمه الله فان قلت ما معنى وصف الله بالرحمة الخ) قال أحمد رحمه الله فالرحمة على هذا من صفات الافعال ولك أن تفسرها بارادة الخير فترجع الى صفات الذات وكلا الامرين قال به الاشعرية في الرحمة وأمثالها مما لا يصح اطلاقه باعتبار حقيقته اللغوية على الله تعالى فمنهم من صرفه الى صفة الذات ومنهم من صرفه الى صفة الفعل

(فإن قلت) فلم قدم ما هو أبلغ من الوصفين على ما هو دونه والقياس الترقي من الأدنى إلى الأعلى كقولهم فلان عالم نحرير وشجاع باسل وجواد فياض (قلت) لما قال الرحمن فتناول جلائل النعم وعظائمها وأصولها أردفه الرحيم كالتتمة والرديف ليتناول ما دق منها ولطف. الحمد والمدح أخوان وهو الثناء والنداء على الجميل من نعمة وغيرها. تقول حمدت الرجل على إنعامه وحمدته على حسبه وشجاعته وأما الشكر فعلى النعمة خاصة وهو بالقلب واللسان والجوارح قال: أفادتكم النعماء مني ثلاثة * يدي ولساني والضمير المحجبا

قوله (فلم قدم ما هو أبلغ من الوصفين) تفريع على ما ذكر من أن الرحمن أبلغ في المعنى من الرحيم وكلمة من هذه تبعيضية أو تفصيلية مقدرة أي ما هو أبلغ من صاحبه من هذين الوصفين وتلخيص الجواب أن الأبلغ إذا كان أخص مما دونه ومشتملا على مفهومه تعين هناك طريقة الترقي إذ لو قدم الأبلغ كان ذكر الآخر عاريا عن الفائدة كما في الأمثلة المذكورة فإن النحرير يشتمل على مفهوم العالم وزيادة وكذلك الباسل والفياض بالقياس إلى الشجاع والجواد وأما إذا لم يكن الأبلغ مشتملا على مفهوم الأدنى كالرحمن والرحيم إذا أريد بالأول جلائل النعم وبالثاني دقائقها جاز سلوك كل واحد من طريق التتميم والترقي نظرا إلى مقتضى الحال ولما كان الملتفت إليه ما قصد أولا في مقام العظمة والكبرياء جلائل النعم وعظائمها دون دقائقها قدم الرحمن وأردف بالرحيم كالتتمة تنبيها على أن الكل منه وأن عنايته شاملة لذوات الوجود كيلا يتوهم أن محقرات الأمور لا تليق بذاته فيحتشم عنه من سؤالها وقيل الرحمن ناسب اسم العلم من جهة الاختصاص والدلالة على زيادة المعنى فكان تقديمه أولى وقيل تأخير الرحيم للترقي فإنه أبلغ من الرحمن فإن فعيلا للأمور الغريزية كشريف وكريم وفعلان للأمور العارضة كسكران وغضبان واعترض بأن ذلك من باب فعل بالضم لا من صيغة فعيل (قوله والحمد والمدح أخوان) أي مترادفان ويدل على ذلك أنه قال في الفائق الحمد هو المدح والوصف بالجميل وأنه جعل ههنا نقيض المدح أعني الذم نقيض الحمد لا يقال نقيض المدح هو الهجو لا الذم لأنا نقول المدح يطلق على الثناء الخاص أي الوصف بالجميل ويقابله الذم وقد يخص بعد الممات ويقابله حينئذ الهجو وأي عند ذلك أن الكلام في المعنى الأول وقيل أراد أنهما أخوان في الاشتقاق الكبير ويشهد له وجهان الأول أن الشائع في كتب المصنف استعمال الأخوة فيما بين المتناسبين بالاشتقاق في الاشتقاق الكبير أو الأكبر أما الكبير فبأن يشتركا في الحروف الأصول من غير ترتيب مع اتحاد في المعنى أو تناسب فيه كالجذب والجبذ وكالحمد والمدح وأما الأكبر فبأن يشتركا في أكثر تلك الحروف فقط ويتناسب الباقي مع الاتحاد أو التناسب في المعنى كأله ووله وكالفلق والفلج الثاني أن الحمد مخصوص بالجميل الاختياري والمدح يعمه وغيره يقال مدحت اللؤلؤة على صفائها ولا يقال حمدتها فاختير ههنا الحمد على المدح ليشعر بالاختيار وعلى الشكر ليتناول الفضائل والفواضل ورد الأول بأن ما ذكرناه من الدليلين أوجب حمل الأخوة على الترادف والثاني بأن المصنف صرح في تفسير قوله تعالى ولكن الله حبب إليكم الإيمان بأن المدح لا يكون بفعل الغير وتأول المدح بالجمال وحسن الوجه فالمدح عنده أيضا مخصوص بالاختياري وتفاوت قيد الاختياري في تفسير معنى الحمد اعتمادا على الأمثلة فإنها اختيارية وأما أنه أراد بالجميل العمل الجميل وهو بالاختيار فقوله من نعمة أي إنعام فنعمة واعترض بأن الحمد إذا خص بالأفعال الاختيارية يلزم أن لا يحمد الله على صفاته الذاتية كالعلم والقدرة والإرادة سواء جعلت عين ذاته أو زائدة عليها بل على إنعاماته الصادرة عنه باختياره اللهم إلا أن تجعل تلك الصفات لكون ذاته كافية فيها بمنزلة أفعال اختيارية يستقل بها فاعلها (قوله وهو الثناء) أي الحمد لأنه المقصود بالتفسير والثناء هو الذكر بالخير وقيل (والنداء) هو رفع الصوت إظهارا لما دعاه من اختصاصه باللسان وكونه أشيع وأدل (قوله وأما الشكر) لما فسر الحمد وكان الشكر قريبا منه في المعنى وقرينا له في الاستعمال كان هناك مظنة أن يقع في ذهن السامع أن الشكر ما ذا هل هو هذا المعنى أو شيء آخر يقرب منه فأورد كلمة أما تفصيلا للمجمل الواقع في ذهنه وإزالة للتردد والشكر أما بالقلب فبأن يعتقد اتصاف

﴿ الحمد لله ﴾

(قال محمود رحمه الله فإن قلت فلم قدم ما هو أبلغ من الوصفين على ما هو دونه الخ) قال أحمد رحمه الله إنما كان القياس تقديم أدنى الوصفين لأن في تقديم أعلاهما ثم الإرداف بأدناهما نوعا من التكرار إذ يلزم من حصول الأبلغ حصول الأدنى فذكره بعده غير مفيد ولا كذلك العكس فإنه ترق من الأدنى إلى مزيد بجزئه الأعلى لم يتقدم ما يستلزمه ولذلك كان هذا الترتيب خاصا بالإثبات وأما النفي فعلى عكسه تقدم فيه الأعلى تقول ما فلان نحريرا ولا عالما ولو عكست لوقعت في التكرار إذ يلزم من نفي الأدنى عنه نفي الأعلى وكل ذلك مستمد من عموم الأدنى وخصوص الأبلغ وإثبات الأخص يستلزم ثبوت الأعم ونفي الأعم يستلزم نفي الأخص

﴿ القول في سورة الفاتحة ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(قال محمود رحمه الله الأصل في الحمد النصب الخ) قال أحمد رحمه الله

والحمد باللسان وحده فهو إحدى شعب الشكر ومنه قوله عليه السلام الحمد رأس الشكر ما شكر الله عبد لم يحمده وإنما جعله رأس الشكر لأن ذكر النعمة باللسان والثناء على موليها أشيع لها وأدل على مكانها من الاعتقاد وآداب الجوارح لخفاء عمل القلب وما في عمل الجوارح من الاحتمال بخلاف عمل اللسان وهو النطق الذي يفصح عن كل خفي ويجلي كل مشتبه والحمد نقيضه الذم والشكر نقيضه الكفران وارتفاع الحمد بالابتداء وخبره الظرف الذي هو لله وأصله النصب الذي هو قراءة بعضهم بإضمار فعله على أنه من المصادر التي ينصبها العرب بأفعال مضمرة في معنى الإخبار كقولهم شكرا وكفرا وعجبا وما أشبه ذلك ومنها

الذم بصفات الكمال وأنه ولي النعم مقرا بها باللسان بأن يثني عليه بلسانه وبالجوارح بأن يديب نفسه في طاعته وانقياده وقوله أفادتكم النعماء استشهاد معنوي على أن الشكر يطلق على أفعال الموارد الثلاثة وبيان ذلك أنه جعل بإزاء النعم جزاء لها متفرعا عليها وكل ما هو جزاء لنعمة عرفا يطلق عليه الشكر لغة ومن لم ينتبه لذلك زعم أن البيت مجرد تمثيل لجميع شعب الشكر لا استشهاد على أن لفظ الشكر يطلق عليها فإنه غير مذكور ههنا ﴿ومن قبله﴾ البيت وجعل المجموع بإزاء النعمة والشكر يجب أن يطلق عليه وأما على أن ذلك واحد من الثلاثة فلا ﴿قلت﴾ لا شبهة في أن الشكر يطلق على فعل اللسان اتفاقا وإنما الاشتباه في إطلاقه على فعل القلب والجوارح حتى توهم كثير من الناس أن الشكر في اللغة باللسان وحده وإنما جمع الشاعر الأول مع الأخيرين وجعلها لأنه علم أن كل واحد شكر للنعمة على حدة كأنه أراد أن نعماكم كثرت عندي وعظمت فاقتضت استيفاء أنواع الشكر وبالغ في ذلك حتى جعل مواردها وقفا في مقابلة النعماء ما كالإحجام المستعد لهم كأنه قال يدي ولساني وقلبي لكم فيدي في القلب لاعتقادكم ومحبتكم ولساني للثناء عليكم ومحمدتكم ولا في لسائر الجوارح لمكافأتكم وخدمتكم وفي وصف الضمير بالمحجب إشارة إلى أن الشكر ظاهره وباطنه (قوله فهو إحدى شعب الشكر) أي باعتبار الموارد وإن كان الشكر باعتبار المتعلق إحدى شعب الحمد ويمكن أن لا يراد بالشعب الأقسام بل ما يتشعب عن منبعها (قوله ما شكر الله عبد لم يحمده) فإنه إذا لم يعترف بإنعام المولى ولم يثن عليه بما يدل على تعظيمه وإكرامه لم يظهر منه شكر ظاهر وإن كان معتقدا وعاملا لم يعد شاكرا لأن حقيقة الشكر إظهار النعمة والكشف عنها كما أن كفرانها إخفاؤها وسترها والاعتقاد أمر خفي في نفسه وعمل الجوارح وإن كان ظاهرا إلا أنه يحتمل خلاف ما قصد به ولذلك قد خفي تعظيم الأحد لعدم أمر آخر لم يتعين للتعظيم بخلاف النطق فإنه ظاهر في نفسه ومعين لما أريد به وضعا (قوله وأما النطق فهو الذي يفصح عن كل خفي) ولا خفاء فيه (ويجلي عن كل مشتبه) فلا احتمال له بل هو ظاهر في نفسه ومعين لما أريد به وضعا كما كان الرأس أظهر الأعضاء وأعلاها وهو أصل لها وعمدة لبقائها كذلك الحمد أظهر أنواع الشكر وأشهرها وأشدها إلى حقيقة الشكر والإبانة عن النعمة حتى لو فقد كان ما عداه بمنزلة العدم (قوله وارتفاع الحمد بالابتداء) ربما توهم أن المجرور معمول للمصدر واللام للتقوية كما في قولك أعجبني حمد الله فذكر ارتفاعه بالابتداء مع ظهوره ليتبين أن الظرف هنا مستقر وقع خبرا له وليرتبط به بيان أصله أعني النصب واعلم أن الجار والمجرور مطلقا يسمى ظرفا لأن كثيرا من المجرورات ظروف زمانية أو مكانية فأطلق اسم الأخص على الأعم وقيل سمي بذلك لأن معنى الاستقرار يعرض له في تقدير الكلام الحمد مستقر لله وكل ما يستقر به غيره فهو ظرف له قال المصنف ولأن الحمد لما اختص بالله صار كأنه مستقر وكل مستقر ظرف وأنت تعلم أن اعتبار عروض الاستقرار في مثل قولك رميت عن القوس مستبعد جدا فيصح إلى تسمية الأعم بالأخص (قوله وأصله النصب) المصادر أحداث متعلقة بمحالها كأنها تقتضي أن يدل على نسبتها إليها والأصل في بيان النسب والتعلقات هو الأفعال فهذه مناسبة تستدعي أن تلاحظ مع المصادر أفعالها الناصبة لها وقد تأيدت هذه المناسبة في مصادر مخصوصة بكثرة استعمالها منصوبة بأفعال مضمرة فلذلك حكم بأن أصله النصب وأيده بأنه قراءة بعضهم واعلم أن (في معنى الإخبار) لأن منها ما في معنى الإنشاء كقوله سبحان الله

وأن الرفع أثبت اختار سيبويه في قول القائل رأيت زيدا فإذا له علم علم الفقهاء الرفع وفي مثل رأيت زيدا فإذا له صوت صوت حمار النصب والسر في الفرق بين الرفع والنصب أن في النصب إشعارا بالفعل وفي صيغة الفعل إشعار بالتجدد والطروء ولا كذلك الرفع فإنه إنما يستدعي أن ذلك الاسم صفة ثابتة ألا ترى أن المقدر مع النصب نحمد الله الحمد ومع رفع الحمد ثابت لله أو مستقر

سماعية ومعناه الله ينزلونها منزلة أفعالها ويسدون بها مسدها ولذلك لا يستعملونها معها ويجعلون استعمالها كالشريعة المنسوخة والعدول بها عن النصب إلى الرفع على الابتداء للدلالة على ثبات المعنى واستقراره ومنه قوله تعالى قالوا سلاما قال سلام رفع السلام الثاني للدلالة على أن إبراهيم عليه السلام حياهم بتحية أحسن من تحيتهم لأن الرفع دال على معنى ثبات السلام لهم دون تجدده وحدوثه والمعنى نحمد الله حمدا ولذلك قيل إياك نعبد وإياك نستعين بيانا لحمدهم له كأنه قيل كيف تحمدون فقيل إياك نعبد (فإن قلت) ما معنى التعريف فيه

ومعاذ الله ولذلك أصلهما أو فعل الفصل لأن المصدر فيهما معرفة أو لأنه غير متصرف أي لا يستعمل لا منصوبا (قوله ينزلونها) بيان وتأكيد لقوله (تنصب) أي ينزلون تلك المصادر (منزلة أفعالها) لفظا (ويسدون بها مسد أفعالها) معنى فقد استوفت الأفعال حقوقها في اللفظ والمعنى فلا يستعملون المصادر مع أفعالها ولا يستعملون أفعالها معها ويجعلون استعمال أحدهما مع الآخر كاستعمال الشريعة المنسوخة في أنه خروج عن طريقة مسلوكة إلى طريقة مهجورة تستنكرها المتدينون بمذاهب اللغة في قواعدها (قوله والعدول بها) أي العدول بتلك المصادر (قوله رفع السلام الثاني) أي حكى رفعه في القرآن (للدلالة) على ذلك وأما رفع إبراهيم عليه السلام فلتكون تحيته أحسن من تحيتهم لا للدلالة عليه (دون تجدده) أي كان الرفع دالا على الثبوت مجردا عن قيد التجدد والحدوث ناسب أن يقصد به الثبات والدوام بمعونة المقام بخلاف النصب فإنه مستلزم لتقدير الفعل الدال بوضعه على الحدوث والتقضي (قوله والمعنى نحمد الله حمدا) أراد به أن أصل المعنى ذلك أي الفعل المقدر حال كون حمدا منصوبا هو المضارع لدلالته على الحال الذي هو أهم الأزمنة وأولاها بالاعتبار ههنا وهو واقع فيها ولإنبائه عن الاستمرار في الحمد مع أن الحكاية لما مر من أنه مقول على ألسنة العباد ولم يرد معنى الماضي لكونه مرورا ولا الآتي لكونه مرجوا نكتة العدول إلى الرفع لأن المضارع لا يفيد إلا الاستمرار التجددي في بعض المواضع والمقصود بالعدول استمرار ثبوتي ولذلك قال أولا على ثبات المعنى واستقراره وقال ثانيا على معنى ثبات السلام وأيضا لو أفاد الفعل المقدر ما يستفاد من الرفع لم يكن للعدول معنى (قوله ولذلك) استدلال بقوله تعالى إياك نعبد وإياك نستعين على ما ذكره من أن أصل معنى الكلام وتقديره نحمد الله حمدا وقوله لأنه بيان لوجه دلالته عليه وقدم الأول تقديم المبين لتبين مطابقة البيان بحسب الصيغة للذي ذكر البيان بعد بقية المبين بحسب المقصود بلا دور (قوله كأنه قيل كيف تحمدونه) هذا السؤال عن كيفية الحمد لا عن ماهيته فصح أن يجاب بالعبادة المشتملة على الحمد وعلى غيره لأن ضم غيره إليه بيان لكيفيته أي حال حمدنا أنا نجمعه بسائر عبادات الجوارح والاستعانة في المهمات ونخص مجموعها بك وقيل صح كون العبادة بيانا للحمد مع اختصاصه باللسان من حيث أن أقصى غاية الخضوع يقتضي اعترافا تاما بالإنعام ووصف المنعم بصفات الجلال والإكرام وذلك أتم حمدا وأكمله غاية ما في الباب أن الجواب يشتمل على زيادة في البيان قال رحمه الله لي كان حق الجواب بك نحمد أي حال حمدنا أنا لا نشرك فيه غيرك فعدل عنه تنبيها على أن الحمد أصل العبادة ورأسها كما مر فإن حقيقة العبادة شكر المنعم الحقيقي أي إظهار الانقياد بقدر الإمكان قال وجعل إياك نعبد بيانا لما استأنس بتقدير الأصل في الحمد لله وتطبيق لقراءة النصب بأن الفعل المحذوف في الرفع يحمد في الجملة حيث بين بالجملة الفعلية والأرجح أن يجعل استئنافا فأجيب بالسؤال بقصيده أمر تلك الصفات العظام على الموصوف بها أزلا وأبدا كأن سائلا يقول ما شأنكم مع هذا الموصوف وكيف توجهكم إليه فأجيب بحصر العبادة والاستعانة فيه وقيل لما قطع حديث الغيبة إلى الخطاب ترك العاطف لافتراق الحالتين (قوله ما معنى التعريف فيه) ذكر أولا معنى الحمد وإعرابه وما يتعلق بهما ثم شرع في معنى اللام الداخلة عليه وبينه بطريق السؤال والجواب بناء على أنه مما يدق فهمه ويستحق أن يتوجه نحوه ويحرص على حدة وقال ما معنى التعريف فيه ولم يقل ما معنى اللام

﴿قلت﴾ هو نحو التعريف في أرسلها العراك وهو تعريف الجنس ومعناه الاشارة الى ما يعرفه كل أحد من أن الجنس ماهو والعراك ماهو من بين أجناس الافعال

تنبيها على ان اللام للتعريف اتفاقا وان وقع اشتباه في معنى التعريف وقال في الجواب (هو نحو التعريف في أرسلها العراك) أى في قول لبيد

فأرسلها العراك ولم يذدها ❊ ولم يشفق على نغص الدخال

فشبهه بمثال من المصادر مشهور بعيد عن توهم الاستغراق ثم أشار الى ان القدر المشترك بينهما معنى تعريف الجنس ثم فصل معنى القدر المشترك على وجه تصح به حال كل منهما بخصوصه وعرفه أيضا معنى تعريف الجنس مطلقا بمعرى عما يعتبر به أحدهما عن الآخر وفاعل ارسل ضمير راجع الى العير ومفعوله راجع الى الاتن والعراك اما حال أى ارسلها معتركة واما مصدر وناصبه حال أى تعترك العراك يقال أورد ابله العراك اذا أوردها الماء جميعا دفعة ونغص البعير بالكسر نغصا اذا لم يتم شربه والدخال في الورد ان يشرب البعير مرة ثم يرد من العطن الى الحوض فيدخل بين بعيرين عطشانين ليشرب مرة أخرى (قوله ومعناه الاشارة) فيه تصريح بان معنى تعريف الجنس الاشارة الى حضور الماهية في الذهن وتميزها هناك من سائر الماهيات فان النكرة وان دل على ماهية معقولة متميزة في الذهن حاضرة عنده الا انه لا اشارة فيه الى تعينها وحضورها فاذا عرف بلام الجنس فقد أشير الى ذلك والفرق بين حضورها وتعينها في الذهن وبين الاشارة الى ذلك الحضور مما لا يخفى وتوهم كثير من الناس ان معنى تعريف الجنس هو الاستغراق وبطلانه ظاهر لان معنى التعريف الاشارة الى المعرفة والحضور وليس هذا من الاحاطة والاستغراق في شئ وكما انه لا دلالة على ذلك استغراق نحو لا رجل وتمرة خير من جرادة فقد يتحقق الاستغراق في النفي والاثبات وليس معه تعريف أصلا ﴿وان قلت﴾ ان المصنف قد حمل المعرف بلام الجنس في مواضع من هذا الكتاب على الشمول والاحاطة وهو معنى الاستغراق فيه فكيف جعله هنا موهما ﴿قلت﴾ توهم كون الاستغراق معنى تعريف الجنس لا كونه مستفادا من المعرف باللام مع قرينة المقام فقوله يتوهم أى يتوهم ان معنى تعريف الجنس بدليل قوله ما معنى التعريف فيه وقوله ومعناه الاشارة وتحقيق الكلام ان معنى التعريف مطلقا هو الاشارة الى أن مدلول اللفظ معهود أى معلوم متعين حاضر في ذهن السامع ويرشدك الى ذلك ما صرح به المصنف في تعريف الجنس هنا وما صرح به الشيخ ابن الحاجب في الايضاح من ان زيدا موضوع لمعهود بين المتكلم والمخاطب وان غلام زيد لما هو معهود بينهما بحسب تلك النسبة المخصوصة وقول الادباء المعرفة ما يعرفه مخاطبك والنكرة ما لا يعرفه واجماعهم على أن الصلة يجب ان تكون جملة معلومة الانتساب للسامع واذا استقريت كلامهم تحققت محصوله استقر بنفسه ما ذكرنا وقد صرح به بعض المحصلين حيث قال التعريف يقصد به تعين عند السامع من حيث هو معين كانه اشارة اليه بذلك الاعتبار وأما النكرة فيقصد بها التفات النفس الى المعين من حيث ذاته ولا يلاحظ فيها تعينه وان كان معينا في نفسه لكن بين مصاحبة التعيين وملاحظته فرق جلي ومهد في تصوير ذلك مقدمة هي ان فهم المعاني من الالفاظ بمعونة الوضع والعلم به فلا بد ان يكون المعاني متصورة ممتازة بعضها عن بعض عند السامع فاذا دل باسم على معنى فلا يخلو اما ان يكون ذلك الاعتبار أى كون المعنى معينا عند السامع متميزا في ذهنه ملحوظا أولا فالاول يسمى معرفة والثاني نكرة ثم الاشارة الى تعيين المعنى وحضوره ان كانت بجوهر اللفظ تسمى علما ماجنسيا ان كان المعهود الحاضر جنسا وماهية كاسامة وما شخصيا ان كان فردا منها كزيد واما كثر كابانين والا فلا بد من خارج عنه يشار به الى ذلك مثل الاشارة في اسماء الاشارة وكقرينة التكلم والخطاب والغيبة في الضمائر وكالنسبة المعلومة جملية في الموصولات والمضاف الى المعارف وكحرف اللام والنداء في المعرفات بهما فاللام اذا دخلت على اسم فاما ان يشار بها الى حصة معينة من مسماه

(قال محمود رحمه الله وتعريف الحمد نحو التعريف في أرسلها العراك وهو تعريف الجنس ومعناه الخ) قال أحمد رحمه الله تعريف التكرار باللام اما عهدي واما جنسي والعهدي اما أن ينصرف العهد فيه الى فرد معين من أفراد الجنس باعتبار تميزه عن غيره من الافراد كالتعريف في نحو فعصى فرعون الرسول واما أن ينصرف العهد فيه الى الماهية باعتبار تميزها عن غيرها من الماهيات كالتعريف في نحو أكلت الخبز وشربت الماء والجنسي هو الذي ينضم اليه شمول الآحاد نحو الرجل أفضل من المرأة وكلا نوعي العهد لا يوجب استغراقها وانما يوجبه الجنسي خاصة فالزمخشري جعل تعريف الحمد من النوع الثاني من نوعي العهدوان كان قد عبر عنه بتعريف الجنس لعدم اعتنائه باصطلاح أصول الفقه وغير الزمخشري جعله للجنس فقضى بافادته لاستغراق جميع أنواع الحمد وليس ببعيد

والاستغراق الذى يتوهمه كثير من الناس وهم منهم وقرأ الحسن البصرى الحمد لله بكسر الدال لاتباعها اللام وقرأ ابراهيم بن أبى عبلة الحمد لله بضم اللام لاتباعه الدال

فردا كان أو أفرادا مذكورة تحقيقا أو تقديرا وتسمى لام العهد ونظيره العلم الشخصى واما ان يشار بها الى مسماه وتسمى لام الجنس وحينئذ اما ان يقصد المسمى من حيث هو كما فى التعريفات ونحو قولك الرجل خير من المرأة وتسمى لام الحقيقة والطبيعة ونظيره العلم الجنسى واما ان يقصد المسمى من حيث هو موجود فى ضمن الافراد بقرينة الاحكام الجارية عليه الثابتة له فى ضمنها فاما فى جميعها كما فى المقام الخطابى اذ لا ابهام ان القصد الى بعضها دون بعض ترجيح لاحد المتساويين على الآخر وتسمى لام الاستغراق ونظيره كلمة كل مضافة الى النكرة واما فى ضمن بعضها كما فى المقام الاستدلالى كقولك ادخل السوق حيث لا عهد وتسمى لام العهد الذهنى ومؤداه مؤدى النكرة ولذلك تجرى عليه أحكامها وظهر ان اللام أيضا لتعريف الجنس أو لتعريف العهد كما ذكر فى المفصل وان الاستغراق ليس معنى تعريف الجنس وان كان مستفادا من التعريف الجنسى فى المواضع الخطابية بقرائن الاحوال وما نقل عن المصنف من أن اللام لا تفيد سوى التعريف والاشارة والاسم لا يدل الا على مسماه فاذن لا يكون ثمة استغراق أراد به أن ليس ثمة استغراق هو مدلول الاسم أو اللام لا انه لا استفادة له من الامور الخارجية واقتضاء المقام ﴿فان قلت﴾ اسم الجنس ان كان موضوعا للماهية من حيث هى فكيف يستعمل فى فرد معين كما فى العهد الخارجى أو غير معين كما فى العهد الذهنى أو فى جميع الافراد كما فى الاستغراق وان كان موضوعا للفرد المنتشر منها أشكل استعماله فى الماهية وفرد معين منها وجميع أفرادها ﴿قلت﴾ اما على الاول وهو المختار فلا اشكال فى الاستغراق والعهد الذهنى لما عرفت من ان الاسم فيهما مستعمل فى طبيعة الجنس فقط وانما يفهم فرد غير معين أو جميع الافراد من أمور خارجة واما المعهود الخارجى فالظاهر ان الاسم مستعمل فيه وان له وضعا آخر بازاء خصوصية كل معهود ومثله يسمى وضعا عاما وأما على الثانى فالحال فى الخارجى على ما ذكرنا وكذا فى الاستغراق فان الفرد المنتشر كالماهية يصدق على كل فرد منها واما استعماله فى الماهية فمجاز وهناك وضع آخر بازائها ﴿فان قلت﴾ هلا جعلت العهد الخارجى كالذهنى والاستغراق راجعا الى الجنس ﴿قلت﴾ لان معنى معرفة الجنس غير كافية فى تعيين شىء من افراده بل يحتاج فيه الى معرفة أخرى وهذا الكلام وقع فى البين فلنرجع الى ما كنا فيه فقول المصنف جعل الحمد محمولا على الجنس دون الاستغراق لانه اقتصر ههنا على ذكر جنس الحمد ومنافاته من بين أجناس الافعال ولم يتعرض لشموله واحاطته لافراده ولانه قال فيه بعد الدلالة على اختصاص الحمد به ولم يقل على اختصاص المحامد والتمسك فى ذلك بقوله والاستغراق الخ لا يجدى نفعا لجواز أن لا يكون الاستغراق معنى التعريف مع انه مستفاد من المعرف بمعونة المقام كما نبهت عليه والاستغراق الذى يتوهمه الخ وهم قد كشف عنه غطاؤه فقيل اختياره الجنس على الاستغراق مبنى على خلق الاعمال على طريقة الاعتزال فان أفعال العباد لما كانت مخلوقة لهم كانت المحامد عليها راجعة اليهم فلا يصح جعل المحامد كلها مختصة به تعالى وفساده ظاهر لان اختصاص الجنس به تعالى مستلزم لاختصاص افراده أيضا اذ لو وجد فرد منه لغيره لثبت الجنس له فى ضمنه وقيل مبنى على ان هذه المصادر نائبة مناب افعالها الساد مسدها والافعال لا تعدد دلالتها على الحقيقة الى الاستغراق ورد بان ذلك لا ينافى قصد الاستغراق بمعونة المقام واقتضاء الحال وقيل انما اختاره بناء على ان الجنس هو المتبادر الى الفهم الشائع فى الاستعمال لا سيما فى المصادر وعند خفاء قرائن الاستغراق وهو أيضا مردود لان المحلى بلام الجنس فى المقامات الخطابية يتبادر منه الاستغراق وهو الشائع فى الاستعمال سواء هناك مصدرا كان أو غيره وأى مقام أولى بملاحظة الشمول والاحاطة من مقام تخصيص الحمد بالله تعالى تعظيما له وتمجيدا فقرينة الاستغراق فيه بمرأى فيه كنار على علم والحق ان السبب فى الاختيار هو ان اختصاص الجنس مستفاد من جوهر الكلام ومستلزم لاختصاص جميع الافراد فلا حاجة فى تأدية المقصود الذى هو ثبوت

(قال محمود رحمه الله العالم اسم لذوى العلم من الملائكة الى آخره) قال أحمد رحمه الله تعليله الجمع بافادة استغراقه لكل جنس تحته فيه نظر فان العالم كما قرره اسم جنس عرف باللام الجنسية فصار للعالم وهو مفرد أدل على الاستغراق منه جمعا قال امام الحرمين رحمه الله التمر أحرى باستغراق الجنس من التمور فان التمر يسترسل على الجنس لا بصيغة لفظية والتمور ترده الى تخيل الوحدان ثم الاستغراق بعده بصيغة الجمع وفى صيغة الجمع مضطرب انتهى كلامه والتحقيق فى هذا وفى كل ما يجمع من أسماء الاجناس ثم يعرف تعريف الجنس انه يفيد أمرين أحدهما ان ذلك الجنس تحته أنواع مختلفة والآخر انه مستغرق لجميع ما تحته منها لكن المفيد لاختلاف الانواع الجمع والمفيد لاستغراق جميعها التعريف ألا ترى انه اذا جمع مجردا من التعريف دل على اختلاف الانواع ثم اذا عرف أفاد الاستغراق غير موقوف على

والذي حسنه على ذلك والاتباع انما يكون في كلمة واحدة كقولهم منحدر الجبل ومغيرة تنزل الكلمتين منزلة كلمة لكثرة استعمالهما مقترنتين وأشف القراءتين قراءة ابراهيم حيث جعل الحركة البنائية تابعة للاعرابية التي هي أقوى بخلاف قراءة الحسن * الرب المالك ومنه قول صفوان لابي سفيان لأن يربني رجل من قريش أحب الي من أن يربني رجل من هوازن تقول ربه يربه فهو رب كما تقول نم عليه ينم فهو نم ويجوز أن يكون وصفا بالمصدر للمبالغة كما وصف بالعدل ولم يطلقوا الرب الا في الله وحده وهو في غيره

الحمد لله تعالى وانتفاؤه عن غيره الى ان يلاحظ الشمول والاحاطة ويستعان فيه بامر خارج عن اللفظ بل نقول على ما حررناه يكون اختصاص جميع الافراد ثابتا بطريق برهاني أقوى من اثباته ابتداء ﴿فان قلت﴾ وكيف صح على مذهبه تخصيص جنس الحمد لله تعالى ﴿قلت﴾ صح ذلك بناء على ان افعالهم الحسنة التي يستحقون بها الحمد عندهم انما هي بتمكين الله تعالى واقداره عليها فمن هذا الوجه يكون جميع الحمد راجعا اليه تعالى أيضا وقد أشار الى ذلك حيث قال في سورة التغابن قدم الظرفان ليدل بتقديمهما على اختصاص الملك والحمد بالله تعالى ثم قال واما حمد غيره فاعتداد بان نعمة الله تعالى جرت على يديه ولا يرد على ذلك افعالهم القبيحة التي يستحقون بها الذم أيضا باقدار الله تعالى وتمكينه فتكون مذمة أيضا راجعة اليه لما تبين في علم الكلام ان اقدار المختار على الافعال الحسنة حسن وعلى القبيحة ليس بقبيح وربما يجاب بان حمل الجنس في المقام الخطابي منصرفا الى الكامل كأنه كل الحقيقة من باب ذلك الكتاب وحاتم الجود وقيل ومن ههنا يظهر ان الحمل على الجنس دون الاستغراق محافظة على مذهبه وفيه نظر لجواز الحمل على الاستغراق دون الجنس أيضا بتنزيل محامد غيره تعالى منزلة العدم بالقياس الى محامده فلا فرق بين اختصاص الجنس والاستغراق في انه مما ينافي ظاهر الطريقة الاعتزال وان ما يندفع به يندفع باحدى الوجهين المذكورين (قوله والذي حسنه) قيل فيه جسارة لاشعاره بان قراءتهما نشأت عن متابعة احكام اللغة بلا رواية والسلف مبرؤن عن ذلك فان قراءتهم مأخوذة بخصوصياتها من روايات وصلت اليهم لكن المصنف لا يتحاشى عن امثال ذلك بناء على ما روي من الاذن بقراءة القرآن بسبع لغات فلا يجب النقل في خصوصية كل قراءة على انه لا يبالي من اسناد القراءة المتواترة الى صورة الكتابة في المصحف فاسناد غيرها الى قاعدة اللغة أولى (قوله وأشف القراءتين) أي أفضلهما والشف من الاضداد يطلق على الزيادة والنقص والحركة الاعرابية مع طريانها أقوى من الحركة البنائية مع دوامها لان الاعرابية موضوعة لمعان مقصودة بتمييز بعضها عن بعض والاخلال بها يؤدي الى التباس المعاني بخلاف البنائية فانها لمجرد الخفة وهي العرض الاصلي من وضع الالفاظ وهيآتها اعني الابانة عما في الضمير (قوله ومنه قول صفوان) وهو صفوان بن أمية بن خلف الجمحي هرب يوم الفتح ثم رجع الى النبي صلى الله عليه وآله وشهد معه حنينا وهو كافر فلما أعطاه رسول الله صلى الله عليه وآله من غنائم حنين ما استكثره وقال لا يطيب به الا قلب نبي فآمن ولما انهزم المسلمون يوم حنين في أول القتال استبشر أبو سفيان بن حرب وقال غلبت والله هوازن اذن لا يردهم شيء الا البحر فرد عليه صفوان فقال بفيك الكثكث لأن يربني الخ الكثكث بكسر الكافين وفتحهما وضمهما دقاق الحجارة والتراب ومعنى يربني يكون مالكا لي يقال ربه كان مالكا له كقولك ساده كان سيدا له وصفوان أراد برجل من قريش محمدا صلى الله عليه وآله وبرجل من هوازن كان رئيسهم مالك بن عوف (قوله فهو رب) يشعر انه صفة مشبهة من فعل متعد الا أنه أراد تحديدها بعد جعله لازما بالنقل الى فعل بالضم كما سلف قيل ولما كان مجيء الصفة على فعل من باب فعل يفعل بفتح العين في الماضي وضمها في المضارع غريبا استشهد له بمثاله يقال (نم) الحديث ينمه بالضم والكسر فهو نم ولا بد فيه من النقل أيضا وكان في ترك المعمول نوع اشارة اليه (قوله ويجوز) عطف على قوله الرب المالك أي الرب بمعنى المالك اما على انه صفة مشبهة واما على انه وصف بالمصدر (قوله ولم يطلقوا الرب) أي ولم يستعملوا لفظ رب في غير الله تعالى مجردا عن الاضافة

الجمعية اذ هذا حكم مفرده اذا عرف فقول الزمخشري اذا فائدة جمع العالمين الاستغراق مردود بثبوت هذه الفائدة وان لم يجمع وقول امام الحرمين ان الجمع يؤيد الاشعار بالاستغراق لما تضمنه من رد الى الوحدان مردود بان فائدة جمع الاشعار باختلاف الانواع واختلافها لا ينفي استغراقها بصيغة المفرد المقرون بتعريف الجنس وان أراد ان الجمع يفيد الاشارة الى أنواع معهودة فهذا الخيال بعينه في المفرد فائدة

﴿رب﴾

اذا جمع ليفيد اختلاف الانواع المندرجة تحته من الجن والانس والملائكة وعرف ليفيد عموم الربوبية لله تعالى في كل أنواعه وتوضيح هذا التقرير انا لو فرضنا جنسا ليس تحته الا آحاد متساوية وهو الذي يعنيه غير الصالح للنوع الاسفل لما جاز جمع هذا بحال لا معرفا ولا منكرا وبهذه الفائدة يرد قول امام الحرمين ان التمور جمع من حيث اللفظ لا معنى تحته جمع الجمع في عمو

على التقييد بالاضافة كقولهم رب الدار ورب الناقة وقوله تعالى ارجع الى ربك انه ربي أحسن مثواى وقرأ زيد بن علي رضي الله عنهما رب العالمين بالنصب على المدح قيل بما دل عليه الحمد لله كأنه قيل نحمد لله رب العالمين ♦ العالم اسم لذوي العلم من الملائكة والثقلين وقيل كل ما علم به الخالق من الاجسام والاعراض (فان قلت) لم جمع (قلت) ليشمل كل جنس مما سمي به

ولو استعمل كان نادرا كقول الحارث بن حلزه

وهو الرب والشهيد على ♦ يوم الحيارين والبلاء بلاء

وما لفظ الارباب بحيث لم يطلق على الله وحده فلا يقيده بالاضافة واطلاقه كما يقال رب الارباب وقال تعالى أأرباب متفرقون (قوله بما دل عليه الحمد) لم يعمل المصدر عاملا فيه لقلة اعمال المصدر المحلى باللام ولانه يلزم الفصل بينه وبين معموله بالخبر واعترض عليه الحمد لله رب العالمين لان الرب في المعنى صفة لا بد له من موصوف فاشار الى أن العامل فيهما واحد (قوله العالم) يريد كأن الطابع والخاتم مع اشتقاقهما من الطبع والختم اسم لما يطبع ويختم به كذلك العالم مع اشتقاقه من العلم اسم لذوي العلم أي هو اسم يطلق على كل جنس من أجناس ذوي العلم لا على فرد منهم حتى يقال عالم الملك وعالم الانس وعالم الجن ولا يقال عالم زيد مثلا وقيل هو اسم يطلق على كل جنس مما يعلم به الخالق أي ما سوى الله سبحانه وتعالى فيقال أيضا عالم الافلاك وعالم العناصر وعالم النبات وعالم الحيوان وعالم الاعراض الى غير ذلك فهو اسم للقدر المشترك بين أجناس ذوي العلم وأجناس ما يعلم به الخالق فيصح اطلاقه على كل واحد منها او على مجموعها أيضا ولم يرد انه اسم لمجموع ذوي العلم أو لمجموع ما يعلم به الخالق من حيث هو مجموع والا استحال جمعه فلا تعدد في شيء من المجموعين ويدل على ذلك شيآن الاول انه سأل عن فائدة الجمع فقال لم جمع ولو قصد به اسم المجموع لسأل عن صحته وقال كيف جمع الثاني قوله ليشمل فانه تصريح باسناد الشمول الى الجمع فلا يكون العالم اسما للمجموع والا لم يكن للجمع مدخل في الشمول أصلا وحاصل الجواب أن الافراد وان كان أصلا واحق الا انه لو أفرد معرفا باللام لربما توهم أن القصد الى استغراق أفراد جنس واحد مما سمي به أو الى الحقيقة أي القدر المشترك بين الاجناس فلما جمع وأشير بصيغة الجمع الى تعدد الاجناس واستغراق أفرادها بالتعريف زال الوهم والشبهة وفهم المقصود بلا مرية ﴿فان قلت﴾ العالم لا يطلق على واحد من أفراد الجنس المسمى به كزيد مثلا فاذا عرف باللام امتنع استغراقه لافراد جنس واحد فان اللفظ المفرد لا يستغرق الا أفرادا يطلق على كل واحد منها وكذا اذا جمع وعرف لم يتناول الا الاجناس التي يطلق عليها دون أفرادها ﴿قلت﴾ لما كان العالم مطلقا على الجنس بأسره كما هنالك عليه ينزل منزلة الجمع ومن ثمة قيل هو جمع لا واحد له من لفظه وكما أن الجمع اذا عرف استغرق آحاد مفرده كما سبق أي حقيقة ان شاء الله تعالى وان لم يكن صادقا عليها كقوله تعالى والله يحب المحسنين أي كل محسن وكقولك لا أشتري العبيد أي كل واحد منهم كذلك العالم ينزل منزلة الجمع المعرف فيشمل جميع أفراد الجنس المسمى به وان لم يكن مطلقا عليها كالشمول آحاد مفرده المقدر وعلى هذا فالعالمون بمنزلة جمع الجمع وكما أن لفظ الاقاويل يتناول كل واحد من آحاد الاقوال كذلك العالمون يتناول كل واحد من آحاد الاجناس فقوله ليشمل كل جنس أي أفراد كل جنس من الاجناس المسماة به ومن الناس من حمل كلامه على شمول الاجناس أنفسها وتوهم أنه ظاهر العبارة ولم يرتض ارادة شمول أفرادها بناء على أن العالم لا يطلق عليها وقرر الجواب بأنه لو أفرد لتبادر منه هذا العالم المشاهد بشهادة العرف فجمع ليشمل كل جنس سمي بالعالم وهما مدخولان أما الاول ولأن المقام يقتضي ملاحظة شمول آحاد الاشياء المخلوقة كلها ويشهد بذلك قوله ههنا مالك العالمين لا يخرج منهم شيء عن ملكوته وقوله في تفسير وما الله يريد ظلما للعالمين نكر ظلما وجمع العالمين على معنى ما يريد شيأ من الظلم لاحد من خلقه وتقييد ذلك آخرا وجه شمولها وأما

العالمين الرحمن الرحيم

توق ونياق وأنيق واما تعليل الزمخشري جمعه بالواو والنون باشعاره بصفة العلم فيلحق بالصفات من يعقل فصحيح اذا بني الامر على انه لا يتناول الا اولي العلم وأما على القول بانه اسم لكل موجود سوى الله فيحتاج الى مزيد نظر في تغليب العاقل في الجمع على غير العاقل

(فإن قلت) هو اسم غير صفة فكيف جمع بالواو والنون صفات العقلاء أو ما في حكمها من الأعلام

الثاني فلان المقابل للعالم المشاهد العالم الغائب وذلك الآخر موهوم أن المقصود هو الأول فقط فناسب أن يثنى ليتناولهما معا فان الكل مندرج فيهما وربما يقال تخصيص الجمع أنه لما قصد به شمول الاجناس وشمول أفرادها مبالغة اختير لفظ ينبئ عن تناول المتعدد بوجهين فالجمعية لشمول الاجناس بمساعدة التعريف والتعريف لشمول الافراد بمعونة المقام فالمعنى رب كل جنس من الاجناس ورب كل فرد منه وقيل في توجيه نظم القرآن ان التعريف للاستغراق والجمع للدلالة على أن العالم أجناس مختلفة كما قيل في جمع السموات وتوحيد الارض وبيان المناسبة أن العالم أنواع مختلفة اذ اشتركت في مفهوم اسم فهي من حيث اختلافها تقتضي أن يعبر عن كل واحد بلفظ على حدة ومن حيث اشتراكها في ذلك المفهوم تقتضي أن يعبر عن الكل بلفظ واحد فروعي الجهتان بصيغة الجمع فانها متحدة صورة والفاظ متعددة معنى ولو أفرد وقيل رب العالم لم يعلم أن الربوبية شاملة لاجناس مختلفة ومن أراد الاستقصاء في مباحث استغراق المفرد والجمع منكرا أو معرفا فعليه بكتابنا المسمى بالمصباح في شرح المفتاح (لا يقال) قد اشتهر في كلامهم أن استغراق المفرد أشمل من استغراق الجمع فهذا منشؤه وما الحق فيه (لانا نقول) أما منشؤه فهو أن المفرد اذا استغرق أفراد مدلوله أعني الآحاد لم يخرج عنه شيء من تلك الآحاد وهي هذا القياس اذا عم الجمع ينبغي أن يستغرق أفراد مدلوله أعني الجموع وذلك لا يأبى أن يخرج منه واحد أو اثنان على كل قول أو ثلاث على قول ومن ههنا قال ابن عباس الكتاب أكثر من الكتب ونبه عليه المصنف بأنه اذا أريد بالواحد الجنس والجمعية قائمة في وحدان الجنس كلها لم يخرج منه شيء وأما الجمع فلا يدخل تحته الا ما فيه معنى الجنسية من الجموع واذا كان معنى الجمع المستغرق كل جمع جمع فما ثبت له حكم فهم أنه ثابت للمجموع فان كان من الاحكام التي يستلزم ثبوتها لكل فرد منه فهم ثبوته للآحاد والا كانت باقية على الاحتمال وأما الحق فهو أن هذا المعنى يقتضي تكرارا في مفهوم الجمع المستغرق فان مراتب الجموع متفاوتة يندرج بعضها تحت بعض فالثلاثة تكون معتبرة فيه بنفسها وفي الاربعة والخمسة وما فوقهما بل في الكل من حيث هو وكل جمع من الجموع يندرج فيه مع اشتماله على سائر الجموع والظاهر أنه غير مقصود وأما قولهم لا رجال فلم يقصد به نفي كل جماعة بل نفي مفهوم المركب من الجنس والجمعية فيلزم منه انتفاء ما صدق عليه هذا المفهوم من الجموع دون الآحاد كما أن لا رجل لم يقصد به الا نفي الجنس ولزم منه نفي ما صدق عليه من الآحاد فليس العموم مقصودا منهما ابتداء بل هو لازم لما قصد بهما من مفهوميهما وما لزم من مفهوم المفرد أشمل مما لزم من مفهوم الجمع فالحكم بأن استغراق المفرد أشمل انما يصح ههنا على الوجه الذي قررناه وأما الجموع المستغرقة فتستعمل على وجهين أحدهما أن يراد بها الكل من حيث هو ويكون الحكم مستندا اليه دون كل واحد كقولك للرجال عندي درهم فان اللازم درهم واحد بخلاف قولك ان لكل رجل عندي درهما والثاني وهو الاكثر والاشهر استعمالا أن يراد بها كل واحد من أفرادها فيكون الحكم مستندا الى كل فرد سواء كان ثبوتا كقوله تعالى والله يحب المحسنين أي كل محسن أو نفيا كقولك لا أشتري العبيد أي لا هذا ولا ذاك ولما استفيد منها انتساب الاحكام الى كل فرد كما في المفردات المستغرقة حكم بعض الاصوليين بأن الجمع المعرف بلام الجنس بطل عنه الجمعية وصار للجنسية (لا يقال) فلا فائدة حينئذ لصيغة الجمع (لانا نقول) صيغة الجمع أظهر في قصد الافراد وأولى بالشمول والاحاطة كما يظهر من المباحث السابقة (قوله فهو اسم) اشارة بالفاء الى تسببه عما تقدم من أنه اسم لذوي العلم أو لكل ما علم به الخالق فعلى الاول يتحقق شرط واحد أعني كونه صفة أو ما في حكمها من الاعلام فان العالم مؤول بالمسمى بهذا الاسم اختصاص مسماه فيصح جمعه وعلى الثاني ينتفي الشرطان معا وقدم السؤال الاول لانه سؤال عن فائدة الجمع مطلقا سواء كان مصححا كالعالمين أو مكسرا كالعوالم ولا نظر فيه الى خصوصية جمع التصحيح ولذلك أطلق وقال لم جمع والثاني سؤال عن وجه

(فقد) ساغ ذلك لمعنى الوصفية فيه وهى الدلالة على معنى العلم * قرئ ملك يوم الدين ومالك وملك بتخفيف اللام وقرأ أبو حنيفة رضى الله عنه ملك يوم الدين بلفظ الفعل ونصب اليوم وقرأ أبو هريرة رضى الله عنه مالك بالنصب وقرأ غيره ملك وهو نصب على المدح ومنهم من قرأ مالك بالرفع وملك هو الاختيار لانه قراءة أهل الحرمين ولقوله لمن الملك اليوم ولقوله ملك الناس ولان الملك يعم والملك يخص ويوم الدين يوم الجزاء ومنه قولهم كما تدين تدان وبيت الحماسة

ولم يبق سوى العدوا * ن دناهم كما دانوا

(فان قلت) ما هذه الاضافة (قلت) هى اضافة اسم الفاعل الى الظرف على طريق الاتساع مجرى مجرى المفعول به كقولهم يا سارق الليلة أهل الدار

صحة خصوصية الجمع بالواو والنون وبيان فائدة الاطلاق مقدم على وجه صحة المقصود من لم يهتد لذلك زعم أن الاول قدم على الثانى مع أن طلب فائدة الجمع متأخر عن صحته اهتماما بشأن الفوائد والمعانى (قوله ساغ ذلك) أى هو اسم شابه الصفة فى دلالته على الذات باعتبار معنى هو كونه علما أو دليلا به فساغ لذلك جمعه بالواو والنون مع شذوذه أما على المعنى الاول فعلى الحقيقة لاختصاصه بأولى العلم وأما على الثانى فعلى تغليب العقلاء على غيرهم (قوله قرأ أبو حنيفة) هى قراءة حسنة تحتمل معنى المالك والملك وملك هو المختار أما أولا فلانه قراءة أهل الحرمين وهم أولى الناس بأن يقرؤا القرآن غضا طريا كما أنزل الله أو قراؤهم الاعلون رواية وفصاحة وقد وافقهم قارئ بصرة والشام وحمزة من الكوفة وأما ثانيا فلقوله تعالى لمن الملك اليوم فقد وصف ذاته بأنه الملك يوم القيامة والقرآن يتعاضد بعضه ببعض وتتناسب معانيه فى الموارد وأما ثالثا فلقوله ملك الناس فى خاتمة الكتاب المشرح من وصفه تعالى بالربوبية الى وصفه بالملكية ناسب أن تكون فاتحته كذلك وأما رابعا فلان الملك بالضم يعم والملك بالكسر يخص وذلك لان ما تحت حياطة الملك من حيث انه ملك أكثر مما تحت حياطة المالك من حيث انه مالك فان الشخص يوصف بالمالكية بالنظر الى أدنى قليل ولا يوصف بالملكية الا بالنظر الى أكثر كثير وأيضا الملك أقدر على ما يريد فى متصرفاته وأكثر تصرفا فيها وسياسة لها وأقوى تمكنا منها واستيلاء عليها من المالك فى مملوكاته ولا يقدح فى الاول أنه يقال مالك الدواب والانعام ولا يقال ملكهما لان ذلك ليس من حيث ان حياطته قاصرة عنهما بل من حيث ان الملك عما يضاف عرفا الى ما ينفذ فيه التصرف بالامر والنهى ولا فى الثانى ان المالك له التصرف فى مملوكه بالبيع وأمثاله وليس ذلك للملك فى رعاياه لان الكلام فى الموضوع اللغوى دون العرف الفقهى فالملك أن يتصرف فيهم بما شاء وأما كون التصرف حقا أو ليس بحق فمما لا يعتبر فى الملك ولا فى المالك لغة بل شرعا (قوله ويوم الدين يوم الجزاء) قيل فى اختيار يوم الدين على يوم القيامة وعلى سائر الاسامى رعاية للفاصلة وافادة للعموم فان الجزاء يتناول جميع أحوال الآخرة الى السرمد (قوله كما تدين تدان) أى كما تعمل تجازى (ودناهم كما دانوا) أى جزيناهم بمثل ما اعتدوا به (قوله ما هذه الاضافة) أراد اضافة مالك ولذلك قال هى اضافة اسم الفاعل وفرع عليه قوله فاضافة اسم الفاعل وأما اضافة ملك فلا اشكال فيها لانها اضافة المشبهة الى غير معمولها كما فى رب العالمين فتكون حقيقية ﴿لا يقال﴾ ما أضيف به مفعول به فى المعنى فتكون لفظية ﴿لانا نقول﴾ الصفة المشبهة لا تعمل النصب أبدا ألا ترى الى قولهم واضافة الصفة المشبهة الى فاعلها فى تمثيل الاضافة اللفظية ولا يرد على ذلك هو رحيم فلانا وجليس زيد لان الاول صيغة مبالغة كما مر والثانى بمعنى مجالس والالم يكن متعديا وأما ان الصفة المشبهة لا تشتق الا من فعل لازم والملك والرب مشتقان من متعد فجوابه ما عرفت من أن المتعدى يجعل لازما بالنقل ثم يشتق منه الصفة ولا اضافة فيهما كما فى قولك ملك العصر وكريم الدهر وحسن البلد فتكون حقيقية قطعا (قوله مجرى مجرى المفعول به) الاول صيغة مفعول من الاجراء وقعت حالا من الظرف والثانى يروى بالضم والفتح اما مصدر أو مكان والاتساع فى الظرف

مالك يوم الدين

والمعنى على الظرفية ومعناه مالك الامر كله في يوم الدين كقوله لمن الملك اليوم (فان قلت) فاضافة اسم الفاعل اضافة غير حقيقية فلا تكون معطية معنى التعريف فكيف ساغ وقوعه صفة للمعرفة (قلت) انما تكون غير حقيقية اذا اريد باسم الفاعل الحال أو الاستقبال فكان في تقدير الانفصال كقولك مالك الساعة أو غدا فأما اذا قصد معنى الماضي كقولك هو مالك عبده أمس أو زمان مستمر كقولك زيد مالك العبيد كانت الاضافة حقيقية كقولك مولى العبيد

أن لا يقدر معه في توسعا فينتصب نصب المفعول به كقوله ويوم شهدناه أو يضاف اليه على وتيرته كمالك يوم الدين وسارق الليلة حيث جعل اليوم مملوكا والليلة مسروقة وأمثال مكر الليل والنهار فان جعلا ممكورا بهما كما يقتضيه سياق كلامه في المفصل كان مثالا لما نحن فيه من اجراء الظرف مجرى المفعول به وان كان بواسطة حرف جر وان جعلا ماكرين كان تنبيها على اعطاء الظرف حكم غيره والاضافة في الكل بمعنى اللام ولم يعتد المصنف بالاضافة بمعنى في وان كانت رافعة مؤنة الاتساع وما يتبعه من الاشكال اما لان اجراء الظرف مجرى المعول به قد تحقق في الشعر بلا خلاف فصورة الاضافة لما احتملت وجهين كانت محمولة على ما تحقق والاضافة بمعنى في وأما لان الاتساع يستلزم فخامة في المعنى فكان بالاعتبار عند أرباب البيان أولى وأما النحوي فقد عدم القصور نظره في تصحيح العبارة على ظاهرها وأهل الدار منصوب بسارق لاعتماده على حرف النداء كقولك يا ضاربا زيدا ويا طالعا جبلا وتحقيقه أن النداء يناسب الذات فاقتضى تقدير موصوف أي يا شخصا ضاربا (قوله والمعنى على الظرفية) يريد أن الظرف وان خرج في الصورة عن تقدير في وأوقع موقع المفعول به الا أن المعنى المقصود الذي سيق الكلام لاجله على الظرفية لان كونه مالكا ليوم الدين كناية عن كونه مالكا فيه الامر كله فان تملك الزمان كتملك المكان يستلزم تملك جميع ما فيه وقوله لمن الملك استشهاد على ارادة العموم المناسب لمقام العظمة والكبرياء فان معناه أن لا تصرف أصلا في ذلك اليوم لاحد فلا مالك ولا ملك يومئذ الا هو ومن قال ان الاضافة في مالك يوم الدين مجاز حكمي ثم زعم أن المفعول به محذوف عام شهد لعمومه الحذف بلا قرينة خصوص ورد عليه أن هذا المحذوف مقدر في حكم الملفوظ فلا مجاز حكميا حينئذ كما في سأل القرية اذا كان الاهل مقدرا (قوله فاضافة اسم الفاعل) أي اذا كان الظرف متسعا فيه جاريا مجرى المفعول به كانت اضافة اسم الفاعل اليه غير حقيقية فلا يتعرف بها المضاف فلا يسوغ وقوعه صفة لله تعالى فأجاب بأن اضافة اسم الفاعل انما تكون غير حقيقية اذا أريد به الحال والاستقبال ليكون عاملا وفي تقدير الانفصال وأما اذا قصد به الماضي أو الاستمرار فاضافته حقيقية كاضافة الاسم الذي لا يدل على زمان أصلا ولا ينصب مفعولا به قطعا كمولى العبيد وأورد المضاف اليه في مثال الماضي مفردا الكمية فيه وقيد بأمس تحقيق للمضي واشارة الى جواز عمله في الظروف حال كون اضافته حقيقية وفي مثال المستمر جمعا لانه انسب بالاستمرار وأظهر في تصوره واعترض عليه بأنه ذكر في قوله تعالى جاعل الليل سكنا ان جاعلا دل على جعل مستمر في الازمنة المختلفة ومع ذلك جعله عاملا في المضاف اليه ناصبا له حيث جوز عطف والشمس والقمر في قراءة النصب على محل الليل وفيه تصريح بأن اسم الفاعل اذا أريد به الاستمرار كان عاملا فتكون اضافته غير حقيقية وهذا مناف لما ذكره ههنا ﴿وأجيب﴾ بأن الزمان المستمر يشتمل على الماضي وعلى الحال والاستقبال فجاز أن يعتبر جانب الماضي فلا يكون الاسم عاملا وكانت اضافته حقيقية وان يعتبر جانب الحال والاستقبال فكان الاسم عاملا واضافته غير حقيقية وكل واحد من الاعتبارين يتعين بحسب اقتضاء المقامات وقرائن الاحوال ﴿وأجيب﴾ أيضا بأنه لا منافاة بين أن يكون المستمر عاملا واضافته حقيقية ووجه بأن المستمر لما احتوى على المضي ومقابليه روعي الجهتان معا فجعلت الاضافة حقيقية نظرا الى الاولى واسم الفاعل عاملا نظرا الى الثانية فجعل اضافته حقيقية مع

وهذا هو المعنى في ملك يوم الدين ويجوز أن يكون المعنى ملك الامور يوم الدين كقوله ونادى أصحاب الجنة ونادى أصحاب الاعراف والدليل عليه قراءة أبي حنيفة ملك يوم الدين وهذه الاوصاف التي أجريت على الله سبحانه من كونه ربا مالكا للعالمين لا يخرج منهم شيء من ملكوته وربوبيته ومن كونه منعما بالنعم كلها الظاهرة والباطنة والجلائل والدقائق ومن كونه مالكا للامر كله في العاقبة يوم الثواب والعقاب بعد الدلالة على اختصاص الحمد به

أنه عامل ولا منافاة بين كلاميه وفيه نظر لان مدار الاضافة في كونها معنوية ولفظية على كون الصفة عاملة وغير عاملة كما هو المشهور ويمكن أن يقال الاستمرار في مالك يوم الدين ثبوتي وفي جاعل الليل تجددي متعاقب أفراده وكان الثاني عاملا والصفة لفظية لورود المضارع بمعناه دون الاول وستزيد لك هنالك تبيان لهذا المعنى ان شاء الله تعالى (قوله وهذا هو المعنى في ملك يوم الدين) أي المقصود منه الزمان المستمر لا الحال او الاستقبال والحصر بالقياس اليهما فلا ينافي تجويز الماضي وجاز أن يحمل بالقياس الى الكل اشارة الى أنه المختار الذي لا يلتفت معه الى غيره ثم كأنه تنزل عن ذلك وجوز قصد الماضي ﴿فان قيل﴾ اذ لم يكن يوم الدين وما فيه مستغرقا جميع الازمنة لم يكن هو ومتعلقه على الاستمرار ﴿وأجيب﴾ بأنه مالك الاشياء كلها ازلا وابدا ولا يتغير بوجودها وعدمها الا التعلق مسكه ما كما قيل في التكوين ويرد عليه ان الماضي لا يحتاج الى أن يؤول ويحمل من قبل ونادى وقد يجاب بأن معنى الاستمرار هو الثبوت من غير أن يعتبر معه حدوث في أحد الازمنة وذلك يمكن في المستقبل كأنه قيل هو ثابت المالكية في يوم الدين واذا لم يعتبر في مفهومه حدوث لم يكن عاملا لانتفاء مشابهة الفعل ويدفعه ان الاستمرار صريح في الدوام والاولى ان يوم الدين لتحقق وقوعه وبقائه ابدا جعل كأنه متحقق مستمر لا انه لم يصرح بذلك اعتمادا على ما ذكره من التأويل في الماضي وهو ان يجعل المستقبل المتحقق وقوعه بمنزلة الماضي الواقع مبالغة في تحقق وقوعه فيستعمل فيه اسم الفاعل على انه ماض ادعاء وان كان مستقبلا حقيقة ومثله لا يعمل كالماضي حقيقة فاضافته معنوية واستدل على ارادة الماضي المؤول بقراءة أبي حنيفة رحمه الله فانه اعتبر الماضي مؤولا وانه قصد بالاستدلال نوع تقوية له لاختياره على الاستمرار ﴿لا يقال﴾ الحكم بكون الصرف منساقه فائتا ما تقدم لمعمول به حكم بكون اسم الفاعل عاملا لانه ناصبا له فكيف يتصور ان اضافته اليه حقيقية وهل هذا الا تناقض ﴿لانا نقول﴾ لا تناقض لانه انما حكم كونه مفعولا له من حيث المعنى لا من حيث الاعراب أي يتعلق المالك به تعلق المملوكية حتى لو كانت شرائط العمل حاصلة لعمل فيه ألا ترى انك تقول في مالك عبده أمس انه مضاف الى المعمول وتريد انه كذلك معنى لا انه منصوب محلا لان شرط العمل مفقود (قوله وهذه الاوصاف) يعني لما دل بلام التعريف والاختصاص على ان جنس الحمد مختص به تعالى وحق له اجراء تلك الصفات بعظائم ليكون حجة واضحة على انحصار الحمد فيه واستحقاقه اياه فذكر أولا ما يتعلق بالابتداء من كونه ربا أي مالكا للاشياء كلها لا يخرج شيء من الاشياء عن ملكوته أي سلطنته الشاملة ومن ربوبيته الكاملة يتصرف فيها بواجب حكمته على وفق مشيئته ويربيها أي يرقيها مدارج الكمال على مقتضى عنايته بافاضة الوجود واعداد الاسباب الكاملة وثانيا ما يتعلق بالبقاء من اسباغه عليهم انعاما ظاهرة وباطنة جليلة ودقيقة وثالثا ما يتعلق بالاعادة من كونه مالكا للامر كله يوم الجزاء كأنه قيل الحمد لله الذي منه الابتداء واليه الانتهاء وبه البقاء فهو الحقيق بالثناء وظهر بذلك ان هذه الاوصاف ليست أجنبية فاصلة بين الحمد وما بين به من العبادة وقوله هذه الاوصاف مبتدأ خبره دليل ولم يؤنثه لانه صار في عداد الاسماء وافراده اشارة الى أن المجموع دليل واحد فلا يتوهم شائبة اشتراك أصلا في استحقاق الحمد وكرر من في قوله ومن كونه منعما ومن كونه مالكا تنبيها على التفرع في وصف آخر وقيل ذكرها اشعارا باستقلال كل وصف بكونه دليلا على حدة وقوله بعد الدلالة ظرف لاجريت فوجب أن يكون قوله من كونه ربا الخ بيانا للمستتر في أجريت لا لقوله هذه

وأنه به حقيق في قوله الحمد لله دليل على أن من كانت هذه صفاته لم يكن أحد أحق منه بالحمد والثناء عليه بما هو أهله (إيا) ضمير منفصل للمنصوب واللواحق التي تلحقه من الكاف والهاء والياء في قولك إياك وإياه وإياي لبيان الخطاب والغيبة والتكلم ولا محل لها من الاعراب كما لا محل للكاف في أرأيتك وليست بأسماء مضمرة وهو مذهب الاخفش وعليه المحققون وأما ما حكاه الخليل عن بعض العرب اذا بلغ الرجل الستين فإياه وإيا الشواب فشيء شاذ لا يعول عليه وتقديم المعمول لقصد الاختصاص

الاوصاف لئلا يقع فصل بين اجزاء الصفات وغيرها ﴿ودن قت﴾ اختار أولا مدركا على مالك فلا يسعني أن يقول ههنا ومن كونه مالكا الامر كله في العاقبة ﴿قلت﴾ النظر ههنا الى مآل المعنى فكونه مالكا للامور كلها يوم الدين في قوة كونه ملكا فيه كما أن كونه مالكا للعالمين في قوة كونه ملكا لهم ولذا قال لا يخرج منهم شيء من ملكوته وما تقدم من اختياره انما كان نظرا الى اللفظ والى محض المفهوم (قوله وانه به حقيق) قيل الضمير الاول للحمد والثاني لله تعالى كما يشعر به قوله على اختصاص الحمد به أي الحمد حقيق بالله لا غيره ويفهم من كون الحمد حقيقا به كونه حقيقا بالحمد ولذلك قال لم يكن أحد أحق منه على معنى انه أحق من كل أحد فان قولك ليس أحد أفضل من زيد وان دل على نفي الافضل فقط لغة الا أن نفي المساوي مفهوم منه أيضا عرفا ﴿ودن قت﴾ المناسب لكون الحمد حقيقا به دون غيره وما يفهم منه أن يقول لم يكن أحد غيره حقيقا بالحمد لان قوله أحق يدل على ان غيره حقيق في الجملة ﴿قلت﴾ أشار أولا الى انحصار الحمد فيه سبحانه واستحقاقه اياه ثم نبه على أن ذلك تعالى على سابق من التأويل أداه الى مدحه وقيل الضمير الاول لله والثاني للحمد ويوافقه قوله وكان حقيقا بأقصى غاية الخضوع وفيه حقيق بالشيء وردبان تقديم الظرف يستلزم قصره تعالى على الحمد وأجيب بان تقديمه لمحض الاهتمام بما يتعلق به لا استحقاق (قوله إيا ضمير منفصل) قال الزجاج ومتابعوه إيا اسم مظهر مبهم مضاف الى المضمرات الواقعة بعده من الكاف ونحوه خصت اضافته الى المضمر فانه مبهم يتعين بالمضاف اليه كأن إياك بمعنى نفسك استدلوا على ذلك باضافته الى المظهر في قوله وإيا الشواب وقال الخليل انه ضمير مضاف الى ما بعده من الاسماء واستشهد على كونه مضافا باضافته الى المظهر في ما حكاه عن بعض العرب واستضعف بان الضمير لا يضاف وذهب بعض الكوفيين وابن كيسان من البصرية الى ان الكاف واخواته هي الضمائر التي كانت متصلة وإيا دعامة لها مصيرة منفصلة وقال قوم من الكوفة إياك بكماله هو الضمير وزيف بانه ليس في الاسماء المضمرة ولا المظهرة ما يختلف آخره كافا وهاء وياء وذهب الاخفش وجمهور المحققين الى ان إيا ضمير منفصل واللواحق التي تلحقه حروف تدل على أحوال المرجوع اليه قال الشيخ ابن الحاجب والدليل على ذلك انا قد علمنا اتصالها بلفظه واحد ويتعين بها ما يرجع اليه فوجب أن تكون حروفا كاللواحق بأنت في أنت أنتما أنتم فانها حروف مبينة لاحوال المرجوع اليه فجعلها مقيسا عليها في انتفاء الاعراب المحلي ولم يتعرض لنقل مذهب الفراء بان الضمير هو أنت بكماله ولا لما قاله بعضهم من ان اللواحق هي الضمائر التي كانت موضوعة متصلة وأن دعامة لها دعمت حين أريد انفصالها لتستقل لفظا (قوله كما لا محل للكاف) الكاف واخواتها في أرأيتك أرأيتكما أرأيتكم بمعنى طلب الاخبار حروف اجماعا تدل على أحوال المخاطب ويتعين بها ما أريد بالتاء فكانت أولى بجعلها مقيسا عليها في انتفاء الاعراب محلا من اللواحق بان قال المصنف لما كانت مشاهدة الاشياء ورؤيتها طريقا الى الاحاطة بها علما وصحة الخبر عنها استعملوا أرأيت بمعنى أخبروهذا يدل على انها من رؤية البصر وذكر في سورة القلم ما يدل على انها من رؤية القلب وايا ما كان فالاستفهام مستعمل في معنى الامر (قوله فاياه وايا الشواب) بالغ في التحذير وأدخل إيا على الشواب لانه توهم ان كلا منهما يحذر من الآخر أي عليه ان يقي نفسه عن التعرض للشواب ويقيهن عن التعرض له وعليهن مثل ذلك وانما قال فشيء شاذ ولم يقل فشاذ زيادة استحقاره واستضعاف مبالغة في انه لا معول عليه أصلا ولا يستدل به على

إياك نعبد وإياك نستعين

كقوله تعالى قل أفغير الله تأمروني أعبد وأغير الله أبغي ربا والمعنى نخصك بالعبادة ونخصك بطلب المعونة وقرئ اياك بتخفيف الياء وأياك بفتح الهمزة والتشديد وهياك بقلب الهمزة هاء قال طفيل الغنوي

فهياك والامر الذي ان تراحبت * موارده ضاقت عليك مصادره

* والعبادة أقصى غاية الخضوع والتذلل ومنه ثوب ذو عبدة اذا كان في غاية الصفاقة وقوة النسج ولذلك لم تستعمل الا في الخضوع لله تعالى لانه مولى أعظم النعم فكان حقيقا بأقصى غاية الخضوع (فان قلت) لم عدل عن لفظ الغيبة الى لفظ الخطاب (قلت) هذا يسمى الالتفات في علم البيان قد يكون من الغيبة الى الخطاب ومن الخطاب الى الغيبة ومن الغيبة الى التكلم كقوله تعالى حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم وقوله تعالى والله الذي أرسل الرياح فتثير سحابا فسقناه

انه مظهر مضاف الى المضمرات ولا على انه مضمر مضاف الى ما بعده كما مر من مذهبي الزجاج والخليل (قوله كقوله تعالى قل أفغير الله) قيل الهمزة في الآية للانكار فلو أفاد التقديم الاختصاص لدلت الاولى على انكار اختصاص غير الله بالعبادة والامر بها والثانية على انكار اختصاص غيره باتخاذه ربا ولا يفهم منهما انكار الشركة بل تجويزها لان الانكار في حكم النفي في ان الحكم يتوجه الى القيد بعد ثبوت أصل الحكم فاذا دخل على الامر بعبادة الغير مقيدة بالاختصاص دل على ان المنكر قيد الاختصاص دون أصل العبادة والامر بها (وأجيب) بان ذلك انما يلزم اذا اعتبر التقديم أولا ودخول الهمزة ثانيا فيكون الانكار واردا على الاختصاص وأما اذا عكس كان الاختصاص واردا على الانكار وأفاد الكلام ان انكار العبادة والامر بها مخصوص بغيره تعالى وقد تعين هذا المعنى بقرينة المقام أولا ترى ان قوله تعالى لو يطيعكم محمول على استمرار الامتناع لا على امتناع الاستمرار كما صرح به في المفتاح وان قوله وما هم بمؤمنين بعيد تأكيد النفي لا نفي التأكيد وان قولك ما أنا قلت هذا يدل على معنى لم أقله وقاله غيري لا على معنى لم أقله وحدي بل قلته أنا وغيري والضابط ان النفي وما في حكمه اذا كان مع قيد في الكلام يجعل تارة قيد النفي فيرد النفي على المقيد ويتبادر منه عرفا انتفاء القيد وثبوت أصله وأخرى قيد النفي ويتعين كل واحد من الاعتبارين بقرينة تشهد له (قوله ومعنى نخصك بالعبادة) وقد سبق في تحقيقه ما فيه غنية عن اعادته (قوله قال طفيل الغنوي فهياك) قال رحمه الله تعالى هكذا رواية الكشاف وفي الحماسة لمضرس بن ربعي

فاياك والامر الذي ان توسعت * موارده ضاقت عليك المصادر

وقبل البيت الذي رواه المصنف من قصيدة مطلعها

تحمل من وادي أشيقر حاضره * وألوى بمائي الخيام أعاصره

والموارد مواضع الورود والدخول والمصادر مواضع الصدور والرجوع أي احذر ان تلابس أمرا ان توسعت مداخله ضاقت عليك مخارجه والمقصود الحث على التدبر في عواقب الامور قبل الشروع فيها (قوله أقصى غاية الخضوع) للخضوع حدود ومراتب ولفظ الغاية شامل لكونها اسم جنس مضاف فصح اضافة أقصى اليها كأنه قيل أقصى غاياته قال الراغب العبودية اظهار التذلل والعبادة أبلغ منها لانها غاية التذلل (قوله لانه مولى أعظم النعم فكان حقيقا بأقصى غاية الخضوع) بيان لوجه استعمال العبادة في الخضوع لله تعالى لا لحصر استعمالها فيه كأنه جعل مقتضى الاستعمال ظاهر الانتفاء عن غيره فلم يتعرض للحصر لا في المقتضي ولا في مقتضى الاستعمال فبطل ما يقال من ان الصواب ان يقال وكان هو الحقيق (قوله هذا يسمى الالتفات) لما كان السؤال عن فائدة العدول مشتملا على نوع استبعاد واستنكار له لمخالفته مقتضى الظاهر الذي تتسارع الطباع الى قبوله وتتباعد عما يخالفه أزال الاستبعاد أولا بانه فن من فنون البلاغة مشهور فيما بين علماء البيان له اسم مخصوص وأنواع كثيرة وأمثلة غير محصورة وثانيا بانه عادة مألوفة للعرب العرباء فقد تعودوا افتنان أساليب كلامهم وأشار في ضمنه الى فائدة

وقد التفت امرؤ القيس ثلاث التفاتات في ثلاثة أبيات

تطاول ليلك بالاثمد ✱ ونام الخلي ولم ترقد ✱ وبات وباتت له ليلة

كليلة ذي العائر الارمد ✱ وذلك من نبإ جاءني ✱ وخبرته عن أبي الاسود

وذلك على عادة افتنانهم في الكلام وتصرفهم فيه ولان الكلام اذا نقل من أسلوب الى أسلوب كان ذلك أحسن تطرية لنشاط السامع وايقاظا للاصغاء اليه من اجرائه على أسلوب واحد وقد تختص مواقعه بفوائد

عامة للالتفات من جهة المتكلم وهي التصرف والافتنان في وجوه الكلام واظهار القدرة عليه والتمكن منها وبفائدة أخرى له أيضا من جهة السامع وهي تطرية نشاطه في سماع الكلام واستدرار اصغائه اليه بحسن الايقاظ ثم ذكر ان له بحسب مواقعه فوائد مخصوصة وبين الفائدة المختصة بهذا الموضع فكأنه قال ليس العدول من طريق الى آخر بتبديل هو مشهور ومعتاد وله فوائد عامة وخاصة فكان الجواب منطبقا على السؤال حق الانطباق وأشار بقوله هذا يسمى الالتفات الى ما يفهم من الكلام السابق من مطلق العدول الواقع بين الطرق الثلاثة وصرح من أنواعه الستة الحاصلة من ضرب الثلاثة في اثنين بثلاثة أولها ما يندرج فيه المسؤول عنه أعني الالتفات من الغيبة الى الخطاب ولذلك لم يذكر له مثالا وثانيها ما شارك الاول في طرفيه على التبادل وثالثها ما يشاركه في الطرف الاول وأشار بقوله (وقد التفت امرؤ القيس) الى نوع رابع هو الالتفات من التكلم الى الخطاب في ليلك واقتصر على هذه الاربعة لانها أكثر الانواع وأشهرها وأراد بها لبيان ههنا كما في خطبة المفصل العلوم الثلاثة ﴿وقال بعض الافاضل﴾ يبحث عن الالتفات في كل واحد منها أما في علم المعاني فباعتبار كونه على خلاف مقتضى الظاهر وأما في البيان فباعتبار انه ايراد المعنى الواحد في طرق مختلفة في الدلالة عليه جلاء وخفاء وهذين الاعتبارين يفيد الكلام حسنا ذاتيا بالبلاغة وأما في البديع فمن حيث ان فيه جمعا بين صور متقابلة في معنى واحد فكان من المحسنات المعنوية ويؤيده ان صاحب المفتاح أورده تارة في المعاني وأخرى في البديع وفي عده خلاف مقتضى الظاهر كناية ايماء الى انه من البيان أيضا (قوله ثلاث التفاتات في ثلاثة أبيات) يجري مجرى النص على ان في كل بيت التفاتا فيكون ليلك التفاتا من التكلم الى الخطاب فتبين ان الالتفات عنده مخالفة الظاهر في التعبير عن الشئ بالعدول عن احدى الطرق الثلاث الى أخرى منها اما تحقيقا واما تقديرا كما اختاره الامام السكاكي ومنهم من اشترط سبق التعبير بالطريق المعدول عنه وحاول تطبيق كلام المصنف عليه وزعم ان الالتفات الاول في بات من الخطاب الى الغيبة والثاني في ذلك من الغيبة الى الخطاب والثالث في جاءني من الخطاب الى التكلم ورد بان حرف الخطاب جار على أصله من كونه لمن يتلقى منه الكلام لانه خاطب به نفسه ولذلك لم يعد السكاكي في الابيات الثلاثة أربع التفاتات وربما قيل ان في جاءني التفاتين نظرا الى الغيبة والخطاب السابقين وفساده ظاهر ﴿واعلم﴾ ان قوله تطاول ليلك ان حمل على الالتفات لم يكن تجريدا وان عد تجريدا كقوله

✱ وهل تطيق وداعا أيها الرجل ✱ لم يكن التفاتا لان مبنى التجريد على مغايرة المنتزع للمنتزع منه ليترتب عليه ما قصد به من المبالغة في الوصف ومدار الالتفات على اتحاد المعنى ليحصل ما أريد به من ايراد المعنى في صورة أخرى غير ما يستحقه بحسب ظاهره ويؤيد ذلك ما نقله الفاضل اليمني من ان أبا علي وابن جني وابن الاثير حكموا بان ليلك تجريد وليس بالتفات فمن ادعى ان أحد أقسام التجريد أعني مخاطبة الانسان نفسه التفات وانه لا منافاة بينهما فقد سها والاثمد بفتح الهمزة وضم الميم اسم الموضع وبكسرهما كذلك على ما نقله رحمه الله تعالى ولا ينافي ذلك كونه اسما للحجر يكتحل به والخلي الخالي من الهم والطرف أعني له حال من ليلة أخرى اذ لا معنى لتعلقه ببات العائر بمعنى العوار وهو القذى الرطب الذي تلفظه العين عند الوجع وبمعنى الرمد أيضا قال رحمه الله تعالى يطلق العائر على ما به العوار فيحتاج حينئذ الى تقدير أي ذي الجفن

(قال محمود رحمه الله وقد التفت امرؤ القيس ثلاث التفاتات في ثلاثة أبيات الخ) قال أحمد رحمه الله يعني أنه ابتدأ بالخطاب ثم التفت الى الغيبة ثم الى التكلم وعلى هذا فهما التفاتان لا غير وانما أراد الزمخشري والله أعلم انه أتى بثلاثة أساليب خطاب لحاضر وغائب ولنفسه فوهم بقوله ثلاث التفاتات أو نحمل الاخير ملتفتا التفاتين عن الثاني وعن الاول فيكون ثلاثا والامر فيه سهل

ومما اختص به هذا الموضع أنه لما ذكر الحقيق بالحمد وأجرى عليه تلك الصفات العظام تعلق العلم بمعلوم عظيم الشأن حقيق بالثناء وغاية الخضوع والاستعانة في المهمات فخوطب ذلك المعلوم المتميز بتلك الصفات فقيل إياك يا من هذه صفاته نخص بالعبادة والاستعانة لا نعبد غيرك ولا نستعينه ليكون الخطاب أدل على أن العبادة له لذلك التميز الذي لا تحق العبادة إلا به (فإن قلت) لم قرنت الاستعانة بالعبادة (قلت) ليجمع بين ما يتقرب به العباد إلى ربهم وبين ما يطلبونه ويحتاجون إليه من جهته

العائر والارمد صمة ذي والبأ هو خبر قتل أبي الاسود لان القصيدة مرثيته وقوله ولان الكلام طرف مستقر عطف على مثله أعني على عادة أي وذلك كائن على عادة وكائن لان الكلام (قوله ومما اختص به) إشارة الى ان العائدة المختصة به لا تنحصر فيما ذكره بل هنالك فوائد جمة وفي المفتاح ان فائدة الالتفات التنبيه على ان القراءة انما تكون معتدا بها اذا كانت صادرة عن قلب حاضر وتأمل وافر بحيث يجد القارئ من نفسه في أول قراءته محركا نحو الاقبال على منعمه الذي أجرى حمده على لسانه ثم يزداد قوة ذلك المحرك بحسب اجراء تلك الصفات العظام حتى اذا آل الامر الى خاتمتها أوجب اقباله عليه وخطابه اياه بحصر العبادة والاستعانة فيه فتطبق قراءته على المنزل ومن فوائده الايذان بان الحمد والثناء ينبغي أن يكون على وجه يوجب ترقي الحامد من حضيض بعد الحجاب والمغيبة الى ذروة قرب المشاهدة والمخاطبة ومنها الاشارة الى ان العبادة المستطابة والاستعانة المستجابة انما تكون في مقام الاحسان الذي هو أن تعبد ربك كأنك تراه وتخاطبه (قوله لما ذكر الحقيق بالحمد) حاصله انه لو قيل اياه نعبد واياه نستعين كما يقتضيه سياق الكلام بظاهره لم يكن فيه دلالة على ان العبادة له والاستعانة به لاجل اتصافه بتلك الصفات المجراة عليه وتميزه بها عن غيره لان ذلك الضمير راجع الى ذاته بمقتضى وضعه وليس فيه ملاحظة الصفات وان كان متصفا بها اذ الحكم متعلق بالذات ولا يفهم منه سببية عرفا واذا قيل اياك بدل اياه فقد نزل الغائب بواسطة أوصافه المذكورة الموجبة لتميزه وانكشافه حتى صار كأنه تبدل جهاء غيبته بجلاء حضوره منزلة المخاطب في التميز والظهور ثم أطلق عليه ما هو موضوع للمخاطب ففي اطلاقه عليه ملاحظة لاوصافه التي جعلته كالمخاطب فصار الحكم مرتبا على الوصف المناسب بمنزلة أن يقال أيها الموصوف المتميز نعبدك ونستعينك فيتبادر منه في المتعارف ان العبادة والاستعانة لتميزه بتلك الصفات ونظير اياك هاهنا اسم الاشارة في قوله أولئك على هدى من ربهم وسيأتي تقريره ان شاء الله تعالى ومعنى قوله (فخوطب) أريد خطابه فقيل أو تقول هو مجمل عقب بتفصيله وتقديم (اياك) في قوله (يا من هذه صفاته نخص) لموافقة المنزل ونخص تصريح بفائدة التقديم فيه وقوله (لا نعبد غيرك ولا نستعينه) تأكيده ولو جعل تقديم اياك في هذه العبارة للتخصيص أي إذا ما نعملك ولا نخص غيرك وهو فاسد من وجهين الاول ان هذه ليس معنى اياك نعبد الثاني انه لا يوافقه قوله لا نعبد غيرك ﴿فإن قلت﴾ (قوله ليكون الخطاب أدل) تصريح بان الغيبة لها دلالة على ذلك وما قدرناه من وجه الدلالة ينافي دلالتها ﴿قلت﴾ ضمير الغائب لجريانه على أصله ورجوعه على الذات ليس فيه ما يقتضي فهم الصفات لكن لتقدم ذكرها ربما يفهم معه لانه وهذا القدر كاف لاشعاره بالعلية في الجملة ولما كان صفاته تعالى عين ذاته أو مستندة اليها وحدها وكانت أفعاله متفرعة عن صفاته الذاتية كان استحقاقه العبادة لصفاته وأفعاله راجعا الى الاستحقاق الذاتي (قوله لم قرنت الاستعانة بالعبادة) أراد لاي مناسبة وتعلق جمع بينهما فأجاب بان العبادة أمر يتقرب به العباد الى ربهم والاستعانة طلب ما يحتاجون اليه من جهته أي من جهة الرب وهو اعانته اياهم في حوائجهم ومهماتهم ولا يخفى ان تقربهم اليه وطلبهم منه المعونة في مهماتهم متناسبان غاية التناسب فقرن أحدهما بالآخر ولو جعل في تقريع السؤال حينئذ ان العبادة لما كانت تقربهم الى مولاهم بأفعالهم والاستعانة طلب الفعل المولى كان تقديمها على العبادة أولى

(فإن قلت) لم قدمت العبادة على الاستعانة (قلت) لأن تقديم الوسيلة قبل طلب الحاجة ليستوجبوا الإجابة إليها (فإن قلت) لم أطلقت الاستعانة (قلت) ليتناول كل مستعان فيه والأحسن أن تراد الاستعانة به وبتوفيقه على أداء العبادة ويكون قوله اهدنا بيانا للمطلوب من المعونة كأنه قيل كيف أعينكم فقالوا اهدنا الصراط المستقيم وإنما كان أحسن لتلاؤم الكلام وأخذ بعضه بحجزة بعض

لم قدمت عبادته والجواب أن الاستعانة طلب الحاجة والعبادة وسيلة إليه فقدم الوسيلة على مجرى العادة ليستحقوا الإجابة وقيل الضمير في قوله من جهته راجع إلى ما يتقرب به على معنى أن الاستعانة تتعلق ويحتاج إليها من جهة العبادة ولا حاجة إلى تحصيلها فيصير على هذا التقدير تفريع السؤال إلا أن طلب ما يحتاج إليه في حصول العبادة ينبغي أن يتقدم عليها وتحصيلها من وجوه الأول أن قوله ليتناول كل مستعان فيه يأباه الثاني أنه يصير هذا الوجه راجعا إلى الأحسن الذي سيذكره وقد جعله المصنف مقابلا له الثالث أن الجواب لا يطابقه فإن العبادة حينئذ مقصودة بذاتها والإعانة وسيلة إليها على عكس ما ذكره في الجواب فينبغي حينئذ أن يجاب بأن الإعانة مطلوبة لتكميل العبادة بازديادها أو بثباتها يدل على ذلك جعل اهدنا بيانا له وطلب ما يراد به الشيء أو يستمر متأخر عنه ولو جعلت الإعانة مطلوبة لتحصيل العبادة ابتداء وأجيب على هذا التقدير بأن تقديم المقصود على طلب وسيلة تحصيله للاهتمام لكان له وجه وجيه والحاصل أن الضمير للرب كما هو الحق لكنه وجه التفريع أن الاستعانة لما كانت شاملة لكل مستعان فيه دخلت فيه الاستعانة على العبادات دخولا أوليا إذ كانت الإعانة أمرا مطلوبا محتاجا إليه في أداء العبادات كما في سائر المهمات فالأولى أن تقدم طلبها على العبادة وفيه نظر لأن ذكر تناول الاستعانة كل مستعان فيه متأخر عن هذا السؤال وكيف يبني عليه مع أنه أيضا إذا كانت الإعانة على تحصيل العبادة أو تكميلها داخلة في المطلوب لم تكن العبادة وسيلة إليه مطلقا بل هي مقصودة بالقياس إلى بعضه وهو الإعانة على العبادة تحصيلا أو تكميلا ووسيلة إلى بعضه وهو الإعانة فيما عداها وذلك خلاف المفهوم من قوله لأن تقديم الوسيلة الخ ﴿لا يقال﴾ العبادة متعددة أنواعا وأشخاصا فجاز أن يكون بعضها وسيلة إلى الإعانة على بعض ﴿لأنا نقول﴾ لا اختصاص لقوله نعبد ونستعين ببعض العبادات دون بعض بل هما مطلقان ينصرفان إلى الكل على السوية والذي يلوح من كلامه أنه أراد بالمهمات في قوله وغاية الخضوع والاستعانة في المهمات ما لا يتناوله غاية الخضوع أي العبادة فإنه المتبادر من العبارة والمناسب للعرف العام وحينئذ يستقيم تفريع السؤال كما وجهنا ولا يظهر صحة الجواب مطلقا ويراد بإطلاق الاستعانة تناولها لكل مستعان فيه من تلك المهمات (قوله لم أطلقت) أي لم ترك تقييدها بما تقتضيه من المفعول بواسطة حرف الجر أجاب بأن حذف المفعول لإفادة العموم بناء على أن الحمل على بعض دون بعض ترجيح بلا مرجح وهكذا معنى قوله وأطلق الاستعانة ليشمل كل لا يتم والعموم مستفاد من الإطلاق بمعونة المقام فمن شنع عليه بأنه لم يفرق بين المطلق والعام فقد تعلق بما زل عن إدراك المرام (قوله كل مستعان فيه) أي يستعان عليه يقال أعانه على كذا وأعانه في كذا ومحصولهما واحد (قوله والأحسن الخ) عطف بحسب المعنى على جميع ما سبق من كلامه الدال على أن الاستعانة متعلقة بالمهمات وعامة فيها كأنه قال هي مطلقة في المهمات غير مقيدة بالعبادة والأحسن أنها مقيدة بها وإنما أطلقت وحذف معمولها لمجرد الاختصار مع وجود القرينة الدالة على تقييدها بالعبادة وهو قربها منها وطلب ورا احتياجه إلى الإعانة عليها (وبتوفيقه) من باب أعجبني زيد وكرمه (قوله لتلاؤم الكلام) أي لتناسب الجمل الواقعة فيه وانضمام بعضها مع بعض حيث دل بإياك نستعين على طلب الإعانة على العبادة وصار اهدنا بيانا للإعانة المطلوبة وتنظمت الجمل الثلاث انتظاما تاما لمزيد ارتباط بينها ورعاية إياك نعبد بيانا للحمد أو استئنافا نشأ من إجراء الأوصاف على المحمود وكانت الجمل الأربع التي في الفاتحة

(قال محمود رحمه الله فإن قلت لم قدمت العبادة على الاستعانة الخ) قال أحمد رحمه الله معتقد أهل السنة أن العبد لا يستوجب على ربه جزاء تعالى الله عن ذلك والثواب عندنا من الإعانة في الدنيا على العبادة ومن صنوف النعيم في الآخرة ليس بواجب على الله تعالى بل فضل منه وإحسان في الحديث أنه عليه الصلاة والسلام قال لا يدخل أحدكم الجنة بعمله قيل ولا أنت يا رسول الله قال ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته مضافا إلى دليل العقل الجلي أن يجب على الله تعالى شيء لكن كما قام الدليل عقلا وشرعا على أنه تعالى لا يجب عليه شيء فقد قام عقلا وشرعا على أن خبره تعالى صدق ووعده حق أي يجب عقلا أن يقع فإما أن يكون الزمخشري تسامح في إطلاق الاستيجاب وأراد وجوب صدق الخبر وإما أن يكون أخرجه على قواعد البدعية في اعتقاد وجوب الخير على الله تعالى للحيوان لم يكن وعد

وقرأ ابن حبيش نستعين بكسر النون * هدى أصله أن يتعدى باللام أو بالى كقوله تعالى ان هذا القرآن يهدى للتي هى أقوم وانك لتهدى الى صراط مستقيم فعومل معاملة اختار فى قوله تعالى واختار موسى قومه ومعنى طلب الهداية وهم مهتدون طلب زيادة الهدى بمنح الالطاف كقوله تعالى والذين اهتدوا زادهم هدى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وعن على وأبى رضى الله عنهما اهدنا ثبتنا وصيغة الامر والدعاء واحدة لان كل واحد منهما طلب وانما يتفاوتان فى الرتبة وقرأ عبد الله أرشدنا (السراط) بالسين من سرط الشئ اذا ابتلعه لانه يسترط السابلة اذا سلكوه كما سمى لقما لانه يلتقمهم والصراط من قلب السين صاد

اهدنا الصراط المستقيم

لملاصقة مع لاحقة والاحتياج الى جرة وهى مقعد الذات وموضع الكة من السراويل عبارة عن شدة الاتصال واذا جعلت الاستعانة عامة لم يكن هذه بيانا للمعونة المطلوبة ولا المعونة مخصوصة بالعبادة فلم يكن الاتصال بين الجمل بتلك المثابة (قوله هدى أصله أن يتعدى) فيه اشعار بان لا فرق بين المتعدى بنفسه والمتعدى بالحرف لكنه فرق بان هداه لكذا والى كذا انما يقال اذا لم يكن فى ذلك فيصل بالهداية اليه وهداه كذا لمن يكون فيه فيرد دون يثبت ولم لا يكون ويصل وقد يقال لا نزاع فى الاستعمالات الثلاثة ومنهم من فرق بان المتعدى بنفسه معناه الايصال الى المطلوب ولا يكون الا فعل الله فلا يسند الا اليه كقوله تعالى لنهدينهم سبلنا والمتعدى بالحروف معناه الدلالة على ما يوصل الى المطلوب فيسند تارة الى القرآن كقوله يهدى للتي هى أقوم وتارة الى النبي صلى الله عليه وآله وانك لتهدى الى صراط مستقيم (قوله ومعنى طلب الهداية) أى طلبهم الهداية فهو على المصدر محذوف وقوله وهم مهتدون حال منه وتقريره ان كل ان من حصل الحمد لله تعالى وأجرى عليه تلك الصفات المشتملة على أحوال المبدأ والمعاد وما بينهما وحصر العبادة والاستعانة فيه كان مهتديا فكيف يطلب الهداية وما هو الا طلب لتحصيل الحاصل والجواب ان الحاصل أصل الاهتداء والمطلوب زيادته أو الثبات عليه (فان قلت) المؤمنون كانوا مهتدين فى اعتقادهم وعباداتهم الا أن عباداتهم ليست مقصودة بذاتها بل هى وسيلة الى مطالبهم الحقيقية التى هى السعادات الابدية ولما لم تكن كافية فى حصول تلك المطالب بل لا بد معها من الاستعانة بهداية الله اليها قالوا اهدنا الصراط المستقيم طلبا للهداية لها فلا حاجة الى شئ من التأويلين (قلت) لما حمل المصنف الصراط المستقيم على ملة الاسلام احتاج الى أحدهما أى ان طلب الهداية الى تلك المطالب راجع الى طلب زيادة الهدى فان حمل الهدى على التثبت كان مجازا ولو حمل على زيادته فان جعل مفهوم الزيادة داخلا فى المعنى المستعمل فيه كان مجازا أيضا وان جعل خارجا عنه مدلولا عليه بالقرائن كان حقيقة لان الهداية الزائدة هداية وما ذكره فى قوله يا أيها الناس اعبدوا ربكم من ان الازدياد من العبادة عبادة فلا يلزم الجمع بين الحقيقة والمجاز فهو على هذا الوجه الاخير (قوله بمنح الالطاف) وهى المصالح التى عندها يطيع المكلف أو تكون أقرب الى الطاعة ولا تفضى الى الالجاء ولفسره ردا على من قال هداية الله لعباده ايجاده الاهتداء فيهم وأريد هنا ايجاد زيادته أو الثبات عليه (قوله زادهم هدى) استشهاد معنوى حيث صرح فيه بزيادة الهدى بعد اثبات الاهتداء (قوله لنهدينهم سبلنا) نظير لاهدنا فانه لما أثبت لهم المجاهدة بصيغة الماضى وجعل ضمير الذات طرفا لها مبالغة فى اخلاصهم دل على ثبوت الهداية فحمل على الزيادة وكما أيد الوجه الاول بنظائر الآية أشار الى تأييد الثانى بالنقل عن الصحابة (قوله لان كل واحد منهما طلب وانما يتفاوتان فى الرتبة) اشارة الى ان تلك الصيغة موضوعة لطلب الفعل مطلقا لكنه من الاعلى أمر ومن الادنى دعاء ومن المساوى التماس والامر فى الاحوال كلها مستعمل فى معناه الحقيقى واعتبر أبو الحسين فى الامر الاستعلاء وفى الدعاء التضرع وفى الالتماس عدمهما وهو أولى (قوله وقرأ عبد الله) هو اذا أطلق أريد به ابن مسعود كما ان الحسن اذا أطلق أريد به الحسن البصرى (قوله لانه يسترط السابلة) أى يبتلعهم والسابلة أبناء السبيل المختلفة فى الطرقات قال الراغب سمى بالصراط بناء على توهم انه يبتلع سالكه أو يبتلعه سالكه بقال أكلته المفازة

لأجل الطاء كقوله مصيطر في مسيطر وقد تشم الصاد صوت الزاي وقرئ بهن جميعا وفصحاهن اخلاص الصاد وهي لغة قريش وهي الثابتة في الامام ويجمع سرطا نحو كتاب وكتب ويذكر ويؤنث كالطريق والسبيل والمراد به طريق الحق وهو ملة الاسلام (صراط الذين أنعمت عليهم) بدل من الصراط المستقيم وهو في حكم تكرير العامل كأنه قيل اهدنا الصراط المستقيم اهدنا صراط الذين أنعمت عليهم كما قال للذين استضعفوا لمن آمن منهم (فان قلت) ما فائدة البدل وهلا قيل اهدنا صراط الذين أنعمت عليهم (قلت) فائدته التوكيد لما فيه من التثنية والتكرير والاشعار بأن الطريق المستقيم بيانه وتفسيره صراط المسلمين ليكون ذلك شهادة لصراط المسلمين بالاستقامة على أبلغ وجه وآكده كما تقول هل أدلك على أكرم الناس وأفضلهم فلان فيكون ذلك أبلغ في وصفه بالكرم والفضل من قولك هل أدلك على فلان الأكرم الأفضل لأنك ثنيت ذكره مجملا أولا ومفصلا ثانيا وأوقعت فلانا تفسيرا وايضاحا للأكرم الأفضل فجعلته علما في الكرم والفضل فكأنك قلت من أراد رجلا جامعا للخصلتين فعليه بفلان فهو المشخص المعين لاجتماعهما فيه غير مدافع ولا منازع

صراط الذين أنعمت عليهم

اذا أحصرته أو أهلكته وأكل المارة ذلك فصحها ولذلك سمي باللقم لأنه يلتقمهم أو يلتقمونه (قوله لأجل الطاء) فانها مجهورة مستعلية والسين مهموسة منفتحة واجتماعهما لا يخلو عن ثقل فأبدلت صادا لأنها تناسب الطاء في الاستعلاء والسين في الهمس وقد تشم الصاد صوت الزاي ليكتسي بذلك نوع جهر فيزيد قربها من الطاء (قوله كما قال للذين استضعفوا) استدل بتكرير العامل أعني اللام ههنا على أن البدل في حكم التكرير واعترض عليه بجواز أن يكون مجموع الجار والمجرور بدلا عن جميع الجار والمجرور فلا تكرير للعامل حينئذ لأنه الفعل حينئذ وأجيب بأن ابدال المفرد من المفرد أكثر فكان أولى ورد بأن الحمل عليه مستلزم تكرير العامل لفظا وهو أقل قليل بل جميع صوره متنازعة فيه ونحن نقول لما اعتبر في البدل أن يكون مقصودا بالنسبة وقد علم أن حروف الجر أدوات لافضاء معاني الافعال الى ما بعدها تبين أن اللام ليست جزءا من المنسوب اليه فلا تكون جزءا من البدل (قوله ما فائدة البدل وهلا قيل) هذا سؤال واحد أي ما فائدة جعل صراط الذين أنعمت عليهم بدلا وتابعا وهلا ذكر استقلالا واصالة مع أنه المقصود حقيقة والجواب أن له فائدتين احداهما التأكيد بذكر الصراط مرتين وتكرير العامل وبالتكرير عبر عن التأكيد وعطف البيان على الجار وبكونه مقصودا بالنسبة يمتاز عنه مطلقا والثانية الايضاح بتفسير المبهم. قوله (والاشعار) بالرفع عطف على التأكيد وقد روي مجرورا وبخط المصنف والفائدة على هذا هي التأكيد من الوجوه الثلاثة فان ذكر الشيء مبهما وتفسيره يفيد تقريره وتأكيده (قوله ليكون ذلك شهادة) متعلق بالتأكيد والاشعار معا أي أكد بوجوه وأشعر بكذا ليكون الكلام المشتمل عليه شهادة لصراط المسلمين بالاستقامة على وجه أبلغ وآكد من أن يوصف صراطهم بالاستقامة اما أولا فبتثنية ذكره ليتمكن المشهود له في ذهن السامع وأشار اليه في المثال بقوله لأنك ثنيت ذكره وذلك لأن المراد بأكرم الناس وأفضلهم هو الذات كما أريدت بفلان وأما الأكرم والأفضل التابعان لفلان فأريد بهما مفهوماهما لا الذات وأما ثانيا فبالتفصيل بعد الاجمال فانه أوقع في البيان وأقوى في الشهادة وأشار اليه بقوله (مجملا أولا ومفصلا ثانيا) وتقدير الكلام ثنيت ذكره فذكرته أولا مجملا وثانيا مفصلا وأما ثالثا فبتكرير العامل تقديرا وله مع افادة تأكيد النسبة فائدة أخرى تقوي أركان الشهادة المذكورة وقد قصد بقوله وأوقعت فلانا الى آخر الكلام يعني وأوقعته تفسيرا وايضاحا فقصد تكرير العامل كأمر دل جعله علما وكونه شخصا معينا لما ذكر انما يترتب على تقدير العامل المؤذن باستئناف القصد كأنه قيل هل أدلك على زيد فينبغي أن يكون علما في الكرم والفضل في ذلك (غير مدافع ولا منازع) ليكون أوفى بتأدية ما هو المقصود أعني كونه أكرم وأفضل فيستحق أن يستأنف القصد اليه وقد يتوهم من ظاهر عبارته أن

غير المغضوب عليهم ولا الضالين

والذين أنعمت عليهم هم المؤمنون وأطلق الانعام ليشمل كل انعام لان من أنعم الله عليه بنعمة الاسلام لم تبق نعمة الا أصابته واشتملت عليه وعن ابن عباس هم أصحاب موسى قبل أن يغيروا وقيل هم الانبياء وقرأ ابن مسعود صراط من أنعمت عليهم (غير المغضوب عليهم) بدل من الذين أنعمت عليهم على معنى أن المنعم عليهم هم الذين سلموا من غضب الله والضلال أو صفة على معنى انهم جمعوا بين النعمة المطلقة وهي نعمة الايمان وبين السلامة من غضب الله والضلال (فان قلت) كيف صح أن يقع غير صفة للمعرفة وهو لا يتعرف وان أضيف الى المعارف (قلت) الذين أنعمت عليهم لا توقيت فيه كقوله

* ولقد أمر على اللئيم يسبني *

قوله ليكون متعلقا بالاشعار وحده ووجوه البلاغة راجعا الى كونه بيانا وتفسيرا فيلزم ان يشاركه فيه عطف البيان مع ان اقتضاءه تعيين فلان وتشخيصه بالاضافة لا يخلو عن منازعة وقوله غير منصوب على الحال اما من الضمير المجرور في الظرف واما من المرفوع المستكن في المعين (قوله وأطلق الانعام) أي لم يقيده بمفعوله الذي يتعدى اليه بالباء ليستغرق بمعونة المقام كل انعام بنعمه ولما كان هذا الشمول ادعائيا قال (لان من أنعم الله عليه الخ) فان نعمة الاسلام لاشتمالها على سعادة النشأتين هي النعمة كل النعمة فكأنه من أنعم الله عليه بالكل (قوله على معنى ان المنعم عليهم) أي اذا جعل غير المغضوب عليهم بدلا أريد بالثاني أيضا الذات مع قصد تكرير العامل وتفسير المبهم فيوجد فيه تلك المبالغات وليس دل في الآية أوقع من النعمة قال رحمه الله قوله هم الذين سلموا اظهر قوله فهو المنتخب المعين (قوله على معنى انهم جمعوا) لان النعمة المطلقة تثبت لهم بطريق الصلة والسلامة بطريق الصفة ويفهم من ذلك انهم جمعوا بينهما وقوله وهي نعمة الايمان مع قوله سابقا بنعمة الاسلام يدل على ان الايمان متحد بالاسلام ومشتمل على الاعمال كما هو مذهب الاعتزال وحينئذ كان الوصف بالسلامة عن الغضب والضلال بعد اثبات الايمان تأكيدا لا تقييدا اللهم الا اذا حمل الايمان على مجرد التصديق اما وحده أو مع الاقرار كما ذهب اليه غيره (قوله لا توقيت فيه) أي لا تعيين يقال وقت اذا حدد وعين فان تعيين الحوادث بالاوقات أي لم يرد بالذين أنعمت عليهم قوما باعيانهم فان الموصول في حكم المعرف باللام فاذا أريد به الجنس من حيث وجوده في ضمن بعض افراده لا بعينه كان في المعنى كالنكرة وهو المسمى بالمعهود الذهني فتارة ينظر الى معناه فيعامل معاملة النكرة كالوصف بالنكرة وبالجملة وأخرى الى لفظه فيوصف بالمعرفة ويجعل مبتدأ وذا حال (فان قلت) ذكر أولا انهم المؤمنون مطلقا ثم نقل انهم أصحاب موسى صلى الله عليه وسلم قبل تحريف التوراة ونيرها أحكامها أو الانبياء وعلى الاخيرين عهد خارجي تقديري فيكون معينا وعلى الاول مستغرق للكل وهو أيضا أمر معين لا تعدد فيه أصلا فليس هناك معنى لا توقيت فيه (قلت) يحتمل أن يريد بالمؤمنين طائفة منهم لا باعيانهم فاذا حمل على الاستغراق كما هو الظاهر من السياق تعين انه في الجواب وجه رابع وهو العهد الذهني كما يدل تشبيهه بقول الشاعر وقيل الكل لكثرته لا يحيط العلم بحصره فأشبه المنكر فعومل معاملته وهذا مع انه احداث قول بلا ثبت في الاستعمال يدفعه ذلك التشبيه دفعا ظاهرا (قوله على اللئيم) لم يرد الكل اذ لا مرور عليه ولا فردا معينا اذ لا دلالة عليه ولقصوره عن افادة ما هو المقصود من وصفه بكمال الحلم وقوة الاناة ولا الحقيقة من حيث هي اذ لا يناسبها المرور بل هي باعتبار وجودها في ضمن فرد لا بعينه أي على لئيم والجملة صفة لا حال منه فان المعنى ليس على تقييد المرور بحال السب بل على ان له مرورا مستمرا في أوقات متعاقبة على لئيم من اللئام اتخذ سبه دأبا ومع ذلك يعرض عنه صفحا وانه أدل على اغضائه عن السفهاء واعراضه عن الجاهلين وتمامه فمضيت ثمت قلت لا يعنيني * أي فأمضي ثم أقول على قصد الاستمرار كما في قوله ولقد أمر وانما عدل الى صيغة الماضي تحقيقا لاتصافه بالحلم والاغضاء وثمت حرف عطف لحقتها التاء قيل وذلك مخصوص بعطف الجمل

(قال محمود رحمه الله وأطلق الانعام ليشمل كل انعام) قال أحمد رحمه الله ان اطلاق الانعام يفيد الشمول كقوله أن اطلاق الاستعانة يتناول كل مستعان فيه وليس بعلم فان الفعل لا عموم لمصدره والتحقيق ان الاطلاق انما يقتضي ابهاما وشيوعا والنفس الى المبهم أشوق منها الى المقيد لتعلق الامل مع الابهام بكل نعمة تخطر بالبال

ولأن المغضوب عليهم والضالين خلاف المنعم عليهم فليس في غير إذن الإبهام الذي يأبى عليه أن يتعرف وقرئ بالنصب على الحال وهي قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمر بن الخطاب وروت عن ابن كثير وذو الحال الضمير في عليهم والعامل أنعمت وقيل المغضوب عليهم هم اليهود لقوله عز وجل من لعنه الله وغضب عليه والضالون هم النصارى لقوله تعالى قد ضلوا من قبل (فإن قلت) ما معنى غضب الله (قلت) هو إرادة الانتقام من العصاة وإنزال العقوبة بهم وأن يفعل بهم ما يفعله الملك إذا غضب على من تحت يده نعوذ بالله من غضبه ونسأله رضاه ورحمته.

ومعنى ثم التراخي في الرتبة أي فصعب لم تستقل بمكافأته وترقيت الى مرتبة على وقت لا ينبغي بالعبد فكأنه نسي نفسه تلك الحالة وتصورها بصورة أخرى تنكرها وذلك غاية التؤدة والوقار والتباعد عن الخرق للعار (قوله ولأن المغضوب عليهم) عطف بحسب المعنى على ما تقدم أي صح ذلك لأن الذين أنعمت عليهم لا توقيت فيه ولأن المغضوب عليهم أجاب أولا بأن الموصوف نكرة معنى وثانيا بأن الصفة معرفة فعلى الأول يجب أن يحمل المغضوب عليهم والضالين على اليهود والنصارى تحقيقا لمعنى غير على إبهامه نكرة مثل موصوفه فيظهر التشبيه باللئيم وعلى الثاني يجب أن يحمل على مطلق المغضوب عليهم والضالين ليكون المضاف مشتهرا بمغايرة المضاف اليه فيتعرف غير ويكون الموصوف حينئذ محمولا على الوجوه الثلاثة المذكورة أولا فيتوافقان تعريفا لفظا ومعنى وجاز أيضا أن يراد بالموصوف ما لا توقيت فيه على ما مر ويوصف بالمعرفة نظرا الى لفظه وبعض المتفلسفين كشفه عن أسرار الكتاب طرا وإحاطته بما فيه خبرا تحير في تحقيق هذا المقام فتشبث بأذيال الجدل قائلا إن حاصل الجواب إما لا نسلم أن الموصوف معرفة ولو سلم فلا نسلم أن الصفة نكرة فإنه قيل من أن المضاف إذا كان مشتهرا بمغايرة المضاف اليه كان معرفة فصحاه فلا يكون كقوله على اللئيم يسبني خارج عن قانون التوجيه ﴿ثم﴾ يتجه أن الموصول هنا لما لم يرد به معين مبهم ليصح وصفه بالنكرة كاللئيم بل أريد به العموم وأنت خبير بأن مساق كلام المصنف يأباه كثيرا من إصلاحه بإرادته وقد حققنا ما لا غبار عليه هذا وأما إذا قرئ غير بالنصب على الحال فلا بد أن يكون نكرة كما أشرنا اليه وجعله بمعنى مغايرا لتكون إضافته لفظية كما يشهد له دخول اللام عليه في عبارة كثير من العلماء مما لا ترتضيه الأدباء ولم نجد شاهدا في كلام يستشهد به (قوله وهي قراءة رسول الله صلى الله عليه وآله) أي عادته قبل العرضة الأخيرة والا فكل القرآن قراءته وقيل كل واحدة من السبع المتواترة تنسب الى واحد من الأئمة لاشتهاره بها وتفرده فيها بأحكام خاصة في الأداء وأما غيرها فإذا ظهر فيها أمر الرواية ولم يشتهر بها أحد تنسب الى النبي صلى الله عليه وآله ولا يلزم من ذلك عدم تواترها وهذا أولى (قوله وذو الحال الضمير في عليهم والعامل) في الحال هو (أنعمت) ﴿لا يقال﴾ فقد اختلف العامل في الحال وذي الحال لأن العامل في الأول هو الفعل وفي الثاني هو الجار ﴿لأنا نقول﴾ العامل فيهما هو الفعل لأن حرف الجر أداة توصل معنى الفعل الى مجروره والمجرور وحده منصوب المحل بالفعل وبهذا الاعتبار وقع حالا وهكذا نقول المرفوع المحل في عليهم الثانية هو المجرور لا مجموع الجار والمجرور ولا يرد الإشكال بأن المجموع ليس باسم والإسناد اليه من خواصه والقول بأن الجار والمجرور في محل النصب أو الرفع مسامحة في العبارة اتكالا على ما تقرر من القواعد ﴿فإن قلت﴾ محل المستقر متعلق بمجموعه الواقع موقع عامله فإن الواقع خبرا هو مجموع في الدار لا الدار وحدها ﴿قلت﴾ لا نزاع في ذلك لوقوع مجموعه موقع عامله الذي هو حاصل الكلام في النصب أو في الرفع الذي أوجبه معنى الفعل الذي أوصله حرف الجر الى ما بعده كالنصب اللازم من تعلق الحصول بالدار بواسطة الجار والرفع الذي اقتضاه تعلق المنصوب بواسطة على فإنهما للمجرور وحده (قوله هو إرادة الانتقام) لما امتنع وصفه تعالى بحقيقة الغضب كما في الرحمة لأنهما من الأعراض النفسانية المستحيلة عليه سبحانه وجب صرف الكلام عن ظاهره وذلك من وجوه

(قال محمود رحمه الله ومعنى الغضب من الله تعالى إرادة الانتقام الخ) قال أحمد رحمه الله أدرج في هذا ما يقتضي عنده وجوب وعيد العصاة وليس مذهب أهل السنة بل الأمر عندهم في المؤمن العاصي موكول الى المشيئة فمنهم من أراد الله تعالى عقوبته والانتقام منه فيقع ذلك لا محالة ومنهم من أراد العفو عنه وأما نصه فضلا منه تعالى على أن المغضوب عليهم والضالين واقعان على الكفار ووعيدهم واقع لا محالة ومراد والله الموفق ❊ أقول قول الزمخشري رحمه الله الغضب من الله تعالى إرادة الانتقام من العصاة الخ لا يدل على ما فسره فإن وجوب وعيد العصاة لا يعلم منه والغضب من الله عند أهل السنة والمعتزلة عبارة عما ذكره الزمخشري رحمه الله الا أن عند أهل السنة أن الله تعالى إن شاء عذب صاحب الكبيرة وإن شاء غفر له وعند المعتزلة وجوب عذابه فعند المعتزلة ظاهر أن الغضب عبارة عن إرادة الانتقام وعند

(فان قلت) أى فرق بين عليهم الاولى وعليهم الثانية (قلت) الاولى محلها النصب على المفعولية والثانية محلها الرفع على الفاعلية (فان قلت) لم دخلت لا فى ولا الضالين (قلت) لما فى غير من معنى النفى كأنه قيل لا المغضوب عليهم ولا الضالين وتقول أنا زيدا غير ضارب مع امتناع قولك أنا زيدا مثل ضارب لانه بمنزلة قولك أنا زيدا لا ضارب وعن عمر وعلى رضى الله عنهما أنهما قرآ وغير الضالين وقرأ أيوب السختيانى ولا الضألين بالهمز كما قرأ عمرو بن عبيد ولا جأن

الاول ان يجعل الرحمة مجازا عن ارادة الانعام والغضب عن ارادة الانتقام من باب اطلاق السبب على مسببه القريب الثانى ان يجعلا مجازين عن الانعام والانتقام اطلاقا لاسم السبب على المسبب البعيد فانهما مسببان عن الارادة المسببة عنهما الثالث ان يحمل الكلام على الاستعارة التمثيلية والمصنف اختار فى الرحمة الوجه الثانى حيث قال هو مجاز عن انعامه وبين العلاقة السببية بقوله لان الملك اذا عطف على رعيته ورق لهم اصابهم بمعروفه وانعامه وأشار فى الغضب الى التمثيل وهو ان يشبه حال الله تعالى مع العصاة فى عصيانهم اياه وارادته الانتقام منهم وانزال العقوبة بهم بحال الملك اذا غضب على من عصاه وأراد أن ينتقم منهم وانزال العقوبة بهم ويشهد لقصد التمثيل انه أشار الى علاقة المشابهة حيث قال وان يفعل بهم ما يفعله الملك أى مثل ما يفعله الملك اذا غضب على من تحت يده واعتبر التركيب فقال هو ارادة الانتقام وانزال العقوبة برفع اللام كما فى النسخ المعول عليها فيكون قوله وان يفعل مرفوع المحل أيضا ويعلم من سريان التمثيل ههنا جريانه فى الرحمة كما يعلم من جعلها مجازا عن الانعام جواز كون الغضب مجازا عن الانتقام ومن زعم ان اللام مجرورة وان المصنف جعل الغضب مجازا عن الارادة دون الانتقام مع جعله الرحمة مجازا عن الانعام دون ارادته اشارة الى سبق رحمته على غضبه كما من تقريره فقد خالف تلك النسخ ولزمه ان لا يكون لقوله وانزال العقوبة بهم فائدة اذ ليس فى الانتقام اشتباه ليعطف عليه ما يفسره وان يكون التعرض للتشبيه مستدركا اذ كان الواجب حينئذ أن يقول ان الملك اذا غضب على من تحت يده أراد أن ينتقم منهم على ان تلك النكتة خيالية لا تحقيقية فان ارادة الله تعالى اذا تعلقت بانعامه افضت اليه اتفاقا والظاهر ان المصنف لم يلتفت فى شئ منهما الى التجوز عن الارادة لان الوصف بالانعام والانتقام أقوى فى الترغيب والترهيب من الوصف بارادتهما قال ابن جنى لما ذكر النعمة صرح بالخطاب تقربا بذكر نعمته واسنادها اليه ولما ذكر الغضب زوى عنه اسناده تأدبا أى أنت ولى الانعام وهو المانح من جنابك وهؤلاء يستحقون أن يغضب عليهم (قوله محلها الرفع على الفاعلية) مفعول مالم يسم فاعله فاعل عنده وهو مذهب عبد القاهر وقدماء البصرة قال أبو البقاء لا ضمير فى المغضوب عليهم لقيام الجار والمجرور مقام الفاعل ولذلك لم يجمع كما جمع ولا الضالين (قوله لم دخلت) يعنى لا المسماة بالمزيدة عند البصريين مع انها انما تقع بعد الواو العاطفة فى سياق النفى للتأكيد والتصريح بتعلق النفى بكل من المعطوف والمعطوف عليه كيلا يتوهم ان المنفى هو المجموع من حيث هو مجموع فيجوز حينئذ ثبوت أحدهما وليس ههنا ما يصحح دخول لا فالسؤال عن وجه الصحة كما يدل عليه جوابه لا عن الفائدة كما توهمه اللام كأنه قال لاى سبب صح دخلت لا والجواب ان كلمة غير تتضمن معنى النفى فجاز وقوع لا فى سياقها (فان قلت) كلمة لا فى قوله لا المغضوب عليهم ليست عاطفة اذ لم يرد اهدنا صراط الذين أنعمت عليهم لا صراط المغضوب عليهم بل اريد وصف المنعم عليهم بمغايرة المغضوب عليهم فلا وجه له سوى ان يكون بمعنى غير فلا فائدة حينئذ لتبديل غير بها الى تصوير معنى النفى وتحقيقه (قلت) لفظة لا فى أصلها موضوعة للنفى واشتهرت بهذا المعنى كما اعترف له فهى وان جعلت بمعنى غير أظهر دلالة على النفى وأرسخ قدما فيه (قوله وتقول أنا زيدا غير ضارب) استدلال على ان غير فى حكم لا حيث جوز فيه تقديم معمول ما أضيف اليه بناء على انه بمنزلة لا فكأنه لا اضافة ههنا ولم يجوز ذلك فى مثل لان الاضافة فيه ليس فى حكم العدم واذا امتنع من تقديم المضاف اليه على المضاف

أهل السنة ان غفرله فلاغضب وان لم يغفر له فغضبه عبارة عما ذكره

وهذه لغة من حذق في العربية لتلقاء الكتب ومنها ما حكاه أبو زيد من قولهم شأبة ودأبة (آمين) صوت سمي به الفعل الذي هو استجب كما أن رويد وحيهل وهلم أصوات سميت بها الأفعال التي هي أمهل وأسرع وأقبل وعن ابن عباس سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن معنى آمين فقال افعل وفيه لغتان مد ألفه

كانت لتقديم معموله على المضاف أمنع فإن المعمول لا يقع إلا حيث يصح أن يقع عامله فيه وتلخيص الكلام أن غيرا وضعت للمغايرة وهي مستلزمة للنفي فتارة يراد بها إثبات المغايرة كما في الآية فتكون أنها أفادت حكم النفي لتضمنه إياه فيجوز تأكيده بلا وأخرى يراد بها النفي كقولك أنا غير ضارب زيدا أي لست ضاربا له لا أني مغاير لشخص ضارب له فيكون نفيا صريحا ولا إضافة بمنزلة العدم في المعنى فيجوز تقديم المعمول أيضا ولذلك قال في الأول كأنه قيل لا المغضوب عليهم وفي الثاني لا عبرة لها فقولك أنا زيدا لا ضارب ﴿فإن قيل﴾ صرح السخاوي بأن لا في مثل قولك أنا لا ضارب زيدا اسم بمعنى غير إلا أنه لما كان على صورة الحرف أجرى إعرابه على ما بعده كما في لا نقول جئت بلا شيء ورأيت لا رجلا كما قال الله تعالى لا فارض ولا بكر ولا بارد ولا كريم فوجب أن يمتنع تقديم المعمول فيه أيضا ﴿أجيب﴾ أولا بمنع الاسمية وثانيا بأنه يجوز التقديم نظرا إلى صورة الحرفية المقتضية لانتفاء الإضافة المانعة من التقديم ﴿لا يقال﴾ هناك مانع آخر وهو أن ما في حيز النفي يمتنع أن يتقدم عليه ﴿لأنا نقول﴾ إنما يمتنع ذلك إذا كان النفي بما أو أن فإنهما لما دخلا على الاسم والفعل أشبها الاستفهام فلم يجز تقديم ما في حيزهما عليهما بخلاف لم ولن فإنهما لاختصاصهما بالفعل وعملهما فيه صارا كالجزء منه فجاز أن يعمل ما بعدهما فيما قبلهما وأما كلمة لا فإنما جاز التقديم معها وإن دخلت على القبيلين لأنها حرف يتصرف فيها حيث عمل ما قبلها فيما بعدها كقولك جئت بلا شيء وأريد أن لا تخرج فجاز أيضا إعمال ما بعدها فيما قبلها بخلاف ما إذ لا يتخطاها العامل أصلا والكوفيون جوزوا تقديم ما في حيزها عليها قياسا على أخواتها (قوله لغة من حذق في العربية) حيث هرب من التقاء الساكنين على حده مع كونه مغتفرا ومن إعطائه الفرق في الوقف على المفرد (قوله آمين صوت) أي لفظ أنه اختاره لما قرب من الأفعال من الأصوات ولذلك جمعهما في المفصل في فصل واحد وأما إلا أنهم يعبرون عن أسماء الأفعال التي لا تصرف لها تصرف واشتقاق بالصوت كأنهم قصدوا بها أن مرتبتها أخواتها انحطت درجتها عن درجة الأسماء بل عن المطيعة واستحقت أن يعبر عنها بالصوت الذي هو أعم (قوله سمي به الفعل الذي هو استجب) إشارة إلى أن أسماء الأفعال موضوعة بإزاء الأفعال كاستجب وأسرع وأمهل وأقبل من حيث يراد بها معانيها إلا من حيث يراد بها أنفسها فإذا قلت آمين فهم منه لفظ استجب أو ما يرادفه مقصودا به طلب الاستجابة كما في قولك اللهم استجب لا مقصودا نفسه كما في قولك استجب صيغة أمر وبذلك صح كونها سماء وإن استندنا من المعاني لا الأفعال لأن مدلولاتها التي وضعت هي لها ألفاظ ولم يعتبر معها اقترانها بزمان وأما المعاني المقترنة بالزمان فهي مدلولة لتلك الألفاظ فتنتقل من الأسماء إليها بواسطتها وهذا تأويل مناسب لتسميتها أسماء الأفعال وقال بعض النحويين إنها في الحقيقة أسماء المصادر السادة مسد أفعالها فصه معناه سكوتك بالنصب أي اسكت سكوتك فهي بمعنى المصادر لا الأفعال ومن ثم كانت أسماء والقول بأنها أسماء الأفعال مفيد فلم بها أقصر للسفة وقد نص الزجاج على أن كلمة آمين موضوعة موضع الاستجابة كما أنه موضوع موضع السكوت لأن بناءها على هذا القول لا يتضح إيضاحها على القول الأول وذكر بعض المحققين من النحاة أن الذي حملهم على أن قالوا هذه الكلمات ليست بأفعال مع تأدية معانيها بل أسماؤها وارتكبوا تأويلا في تسميته أمر لفظي هو أن صيغتها مخالفة لصيغ الأفعال فإنها لا تتصرف فيها تصرفها وتدخل اللام في بعضها والتنوين في بعض ونقل بعضهم أن آمين كلمة أعجمية على وزن قابيل وهابيل وجوز أن يكون أصلها القصر فتكون عربية مصدرا على وزن النذير والنكير ثم جعلت اسم فعل ومن الشارحين من تصدى لبيان مدلولات أسماء الأفعال فقال وتحقيق ذلك أن كل لفظ وضع لمعنى اسما كان أو فعلا أو حرفا فله اسم

وقصرها قال ● ويرحم الله عبداً قال آمينا ● وقال ● آمين فزاد الله ما بيننا بعدا ● وعن النبي صلى الله عليه وسلم لقنني جبريل عليه السلام آمين عند فراغي من قراءة فاتحة الكتاب وقال انه كالختم على الكتاب وليس من القرآن بدليل أنه لم يثبت في المصاحف وعن الحسن لا يقولها الامام لانه الداعي وعن أبي حنيفة رحمه الله مثله والمشهور عنه وعن أصحابه أنه يخفيها وروى الاخفاء عبد الله بن مغفل وأنس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعند الشافعي يجهر بها وعن وائل بن حجر أن النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا قرأ ولا الضالين قال آمين ورفع بها صوته وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال لأبي بن كعب ألا أخبرك بسورة لم ينزل في التوراة والانجيل والقرآن مثلها قلت بلى يا رسول الله قال فاتحة الكتاب انها السبع المثاني

عم هو مسمى ذلك اللفظ من حيث دلالته على ذلك الاسم أو الفعل أو الحرف ألا ترى انك تقول في قولك خرج زيد من البصرة خرج فعل ماض وزيد اسم ومن حرف جر فتجعل كل واحد من الثلاثة محكوما عليه قال لكن هذا وضع غير قصدي لا يصير به اللفظ مشتركا ولا يفهم منه بذلك معنى مسماه وقد اتفق ان وضع لبعض الافعال اسماء غير ألفاظها كنطلق ويراد بها الافعال من حيث دلالتها على معانيها كما مر وسموه اسماء الافعال وفيه نظر لان دلالة الالفاظ على نفسها ليست مستندة الى وضع أصلا لوجودها في المهملات بلا تفاوت وجعلها محكوما عليها لا يقتضي كونها اسماء لان الكلمات بأسرها متساوية الاقدام في جواز الاخبار عن ألفاظها بل هو جار في الالفاظ المهملة كقولك جسق مركب من حروف ثلاثة ودعوى ان الواضع وضع المهملات بازاء نفسها وضعا قصديا أو غير قصدي وانها أسماء مما لا اعتداد به خروج عن الانصاف ومكابرة في قواعد اللغة على ان اثبات وضع غير قصدي أمر لا يساعده نقل ولا عقل وما ارتكبه تفصيا عن لزوم الاشتراك في جميع الكلام والتحقيق انه اذا أريد الحكم على لفظ بلفظ مخصوص فان تلفظ به لم يحتج هناك الى وضع ولا الى دال على المحكوم عليه للاستغناء بذاته عما يدل عليه فتشترك الالفاظ كلها في صحة الحكم عليها عند التلفظ بها أنفسها واعا يحتاج الى ذلك اذا لم يكن المحكوم عليه لفظا أو كان ولم يتلفظ به نفسه فينصب هناك ما يدل عليه ليتوجه الحكم اليه وما وقع في عبارة بعضهم من ان ضرب ومن واخواتهما أسماء لالفاظها الدالة على معانيها أو اعلام لها فكلام تقريبي قالوا بذلك لقيامها مقام الاسماء والاعلام في تحصيل المرام وسيأتيك تتمة لذلك في تفسير قوله واذا قيل لهم لا تفسدوا (قوله ويرحم الله عبدا قال آمينا) أوله ● يا رب لا تسلبني حبها أبدا ● روي أن قيس بن الملوح لما قدم مكة قال له أبوه تعلق بأستار الكعبة وقل اللهم أرحني من ليلى وحبها فقال اللهم من علي بليلى وقربها فضربه أبوه فأنشأ يقول يا رب البيت (قوله وقال آمين فزاد الله الخ) أوله ● تباعد عني فطحل اذ دعوته ● وروى الزجاج اذ لقيته وروى سألته وفطحل على وزن جعفر اسم رجل وحق آمين ان تؤخر عن الدعاء أعني قوله فزاد الله لان طلب الاستجابة انما يكون بعده الا أنه قدم اهتماما بالاجابة (قوله كالختم على الكتاب) لانه يمنع الدعاء عن فساده الذي هو الخيبة كما ان الختم يمنع الكتاب عن فساده الذي هو ظهوره على غير من كتب اليه (قوله لا يقولها) أي كلمة آمين (الامام) أنثها تأويل الكلمة أو اللفظة لانه الداعي أي بقوله اهدنا (قوله ورفع بها صوته) قيل كان رفعه تعليما لاصحابه ثم انه خافت فخافتوا (قوله ألا أخبرك) هذا حديث صحيح وقول بعض المحدثين ان من الموضوع الاحاديث المروية عن أبي بن كعب في فضائل السور أراد به أكثرها قال الصغاني وضعها رجل من عبادان واعتذر بان الناس لما اشتغلوا بالاشعار وفقه أبي حنيفة وغير ذلك ونبذوا القرآن وراء ظهورهم أردت أن أرغبهم فيه وأكثر المفسرين أوردوا الفضائل في أوائل السور ترغيبا والمصنف أخرها نظرا الى انها أوصاف فحقها ان تتأخر عن موصوفها (قوله لم تنزل) أنث الفعل المسند الى المثل لاكتسابه التأنيث مما أضيف اليه أو لانه أريد به سورة أخرى تماثلها في الفضيلة قيل لم يذكر الزبور اما لانه لم يكن حينئذ متلوا كتلاوة الكتب الثلاثة واما لانه تابع للتوراة (قوله قلت بلى) الذي يقتضيه سياق الحديث أن يقال قال

والقرآن العظيم الذي أوتيته وعن حذيفة بن اليمان أن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن القوم ليبعث الله عليهم العذاب حتما مقضيا فيقرأ صبي من صبيانهم في المكتب الحمد لله رب العالمين فيسمعه الله تعالى فيرفع عنهم بذلك العذاب أربعين سنة

﴿سورة البقرة مدنية وهي مائتان وسبع وثمانون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(الم) اعلم أن الألفاظ التي يتهجى بها أسماء مسمياتها الحروف المبسوطة التي منها ركبت الكلم فقولك ضاد اسم سمي به ضه من ضرب إذا تهجيته وكذلك ألف با تا ثا لأولك ره يه وقد روعيت في هذه التسمية لطيفة وهي أن المسميات لما كانت ألفاظا كأساميها وهي حروف وحدان والأسامي عدد حروفها مرتق

أي في جوابه بين فيه حتى لي تعديد أي أو عن أبي أنه قال فيه لي ... أنه لما ذكره وروى عنه صلى الله عليه وآله كذا سأل سائل ما روي عن أبي فأجاب بأنه روي عنه أنه قال قلت لكنه اختصر في العبارة ولا يخفى تقدير قال وحده كما توهم الذي فسر المعنى قال أبي في جواب رسول الله صلى الله عليه وآله قلت يعني وفساده بين وقوله صلى الله عليه وآله اسم السبع المثاني إشارة إلى تفسير قوله تعالى ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم (قوله في المكتب) بضم الكاف وتشديد التاء يطلق على الكتبة وعلى المكتب أيضا وهو وإن ادعاه وخطأ المبرد إطلاقه على المكتب ورد بقول الليث إياه فإما أن يكون حقيقة بالاشتراك وإما مجازا لأنه موضع الكتاب بمعنى الكتبة جمع كاتب

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الم

(القول في سورة البقرة)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

﴿سورة البقرة﴾

(قوله يتهجى بها) التهجي تعداد الحروف بأسمائها يقال هجوت الحروف وهجيتها وتهجيتها مقصورة ومهموزة أي عددتها بأسمائها وفي الأساس ومن المجاز هجوه أي عدد معايبه قال رحمه الله تعالى في هم لتضمين معنى الإتيان أي يؤتى بها مهجوة قيل عليه إنه سهو لأن المهجوة هي المسميات لا الأسماء فالباء للصلة والآلة أي الألفاظ التي يعدد بها على حذف المعمول بلا واسطة أي الحروف وقامة الجار والمجرور مقام الفاعل كما في قولك الخشب الذي يضرب به وفيه بحث لأن التهجي لو كان بمعنى عد الحروف مطلقا لكان الباء صلة وآلة على قياس قولك عددت الحروف بأسمائها لكنه عد الحروف بأسمائها لأن الحروف إذا عددت ملفوظة بأنفسها لم يكن ذلك تهجيا كما ل عليه قوله فيتهجى إن شاء الله تعالى وإن الألفاظ بها غير متهجاة لا يعلم بطائل وعلى هذا فقولك تهجيت الحروف معناه عددتها بأسمائها فلا تتعلق به الباء صلة وآلة ولا يقال تهجيت بأسمائها إلا أن المقصود التهجي عن التقييد بالأسماء وجعله بمعنى عد الحروف مطلقا وضمن معنى الإتيان أي أتيت بأسماء الحروف متهجيا بها وكلاهما خلاف الأصل فجاز الحمل على الثاني وإن كان الأول أظهر وأما قوله مهجوة فمعناه مهجوة مسمياتها أو يشبه قول المصنف والسعد في أن قصرت متهجاة إذا حمل على أن المعنى قصرت الأسماء متهجى مسمياتها ومع هذا الاحتمال لا وجه للجزم بكونه سهوا ﴿لا يقال﴾ ربما يحمل تهجيت الحروف بأسمائها من قبيل أضمرته في نفسي فلا حاجة إلى ما ذكرتم من التجريد والتضمين ﴿لأنا نقول﴾ هذا على تقدير صحته مخالف للظاهر أيضا بعيد عن مناسبة المقام فلا اعتبار معه أيضا على أنه كان التضمين (قوله المبسوطة) أي المفرقة المنثورة التي تجمع وتنتظم منها الكلم (قوله تسمى به ضه) أي تذكره من قولك سميت زيدا باسمه إذا ذكرته به وأما التسمية في قوله روعيت في هذه التسمية فمعناه وضع الاسم للمسمى ﴿لا يقال﴾ كيف يصح ذلك وهذه التسمية إشارة إلى مصدر سمي ﴿لأنا نقول﴾ كلا بل هي إشارة إلى ما دل عليه قوله أسماء مسمياتها الحروف لأن المقصود بيان رعاية تلك اللطيفة في أسماء الحروف مطلقا لا في أسماء هذه الحروف المخصوصة ولفظة ضه بغير إشباع الهاء في التلفظ وكتبت الهاء على تقدير الوقف كما هو قاعدة الخط والضمير في تهجيته راجع إلى ضرب أي تهجيت حروفه (قوله

إلى الثلاثة اتجه لهم طريق إلى أن يدلوا بالتسمية على المسمى فلم يغفلوها وجعلوا المسمى صدر كل اسم منها كما ترى إلا الألف فإنهم استعاروا الهمزة مكان مسماها لأنه لا يكون إلا ساكنا ومما يضاهيها في إيداع اللفظ دلالة على المعنى التهليل والحوقلة والحيعلة والبسملة وحكمها ما لم تلها العوامل أن تكون ساكنة الأعجاز موقوفة كأسماء الأعداد فيقال ألف لام ميم كما يقال واحد اثنان ثلاثة فإذا وليتها العوامل أدركها الإعراب تقول هذه ألف وكتبت ألفا ونظرت إلى ألف وهكذا كل اسم عمدت إلى تأدية ذاته فحسب قبل أن يحدث فيه بدخول العوامل شيء من تأثيراتها فحقك أن تلفظ به موقوفا ألا ترى أنك إذا أردت أن تلقي على الحاسب أجناسا مختلفة ليرفع حسبانها كيف تصنع وكيف تلقيها أغفالا من سمة الإعراب فتقول دار غلام جارية ثوب بساط ولو أعربت ركبت شططا (فإن قلت) لم قضيت لهذه الألفاظ بالاسمية وهلا زعمت أنها حروف كما وقع في عبارات المتقدمين (قلت) قد استوضحت بالبرهان النير أنها أسماء غير حروف فعلمت أن قولهم خليق بأن يصرف إلى التسامح وقد وجدناهم متسامحين في تسمية كثير من الأسماء التي لا يقدح إشكال في اسميتها كالظروف وغيرها بالحروف مستعملين الحرف في معنى الكلمة

وهي أن المسميات) لا حاجة إلى أن تلفظ بها في الدلالة على المسمى بجعله صدر الاسم إلا أنه أدرج في تفسيرها بيان إمكانها بأن المسميات أنفسها كأسمائها في المسمى لو لم يكن لفظا لم يمكن جعله جزأ من اسمه وبأنها أقل من عدد حروف الأسماء إذ لو كان المسمى مساويا للاسم لاتحدا ولم يمكن جعله صدر الاسم كما إذا كان أريد منه وبهذا القدر ظهر إمكانها وأن المسميات حروف وحدان واقعة في أدنى درجات الألفاظ وأن الأسامي مرتقية إلى أعدل أوزان الكلمات المشتملة على الابتداء والوسط والانتهاء فبيان الواقع لا مدخل له في بيان الإمكان فإن الاسم لو كان على حرفين مثلا أو المسمى أزيد من حرف واحد لأمكن جعل المسمى صدر الاسم أي أوله وإنما قال مرتق إلى الثلاثة ولم يقل ثلاثة لأنه ملوح إلى ما ذكرناه وقيل لأنه لم يتبين بعد أن مثلوا ثلاثي أم لا وهو وهم ولأن المحكوم عليه لما كان شاملا لجميع الأسامي وقد حكم بأن عدد حروف كل واحد منها مرتق إلى الثلاثة كان هذا مما يكون الكل ثلاثيا كما لو قال ثلاثة بقي اتجه له رأي أوضح وظهر (قوله فلم يغفلوها) أي لم يهملوا تلك التسمية عن سمة الدلالة على المسمى من قولهم غنم أغفال لا سمة عليها وأغفلتها إذا لم تسمها أو لم يتركوا تلك الطريقة غير مسلوكة إذ تلك الدلالة غير منسية من أغفلت الشيء إذا تركته واعتبر جعلوا المسمى صدرا ليكون هو أول ما يقرع السمع من الاسم (قوله إلا الألف) هي تطلق على الساكنة التي هي المدة كما وسط حروف قال وبهذا الاعتبار استثناها وتطلق على المتحركة التي هي الهمزة وبهذا الاعتبار شاركت سائر الأسماء في كونها مصدرة بالمسمى ولم يستثن الهمزة مع خلوها عن تصدير المسمى لأنه اسم مستحدث كما نص عليه ابن جني والكلام في الأسماء الأصلية (قوله ومما يضاهيها) أي يشابه أسماء الحروف في إيداع اللفظ دلالة على معنى زائدة على ما يقتضيه الوضع ناشئة عن مناسبة الاسم للمسمى باشتماله عليه أو على بعض حروفه (قوله كأسماء الأعداد) خصها بالذكر لمشاركتها أسماء الحروف في كثرة استعمالها غير مركبة ثم عمم الحكم في الأسماء كلها (قوله فإذا وليتها العوامل) أي قاربتها وتعلقت بها سواء تقدمت عليها أو تأخرت عنها (قوله إلى تأدية ذاته) أي مدلوله الإفرادي مجردا عن المعاني الطارئة فإن الألفاظ المفردة تؤدي معانيها إلى ذهن السامع بإحضارها فيه إن سبق منه إدراكها بالعلم بالوضع (قوله شيء من تأثيراتها) من إما تبعيضية فالمصدر بمعنى المفعول أي أثرا من آثارها وإما ابتدائية أي أثرا ناشئا من تأثيراتها (قوله أغفالا عن سمة الإعراب) أي خالية عنها جمع غفل يقال أرض غفل ليس بها عمارة وفلاة غفل لا علم بها ودابة غفل لا سمة عليها (قوله ركبت شططا) أي تجاوزت عن حد اللغة وتباعدت عنه (قوله كما وقع) ما كافة وفاعل وقع ضمير يرجع إلى أنها حروف والتشبيه في مضمون الجملتين وقد تجعل ما موصولة أو موصوفة أي هلا زعمت فيها زعما مثل الزعم الذي وقع أو مثل زعم وقع (قوله قد استوضحت) ذكر الاستيضاح وعبر عن الدليل

وذلك أن قولك ألف دلالته على أوسط حروف قال وقام دلالة فرس على الحيوان المخصوص لا فصل فيما يرجع إلى التسمية بين الدلالتين ألا ترى أن الحرف ما دل على معنى في غيره وهذا كما ترى دال على معنى في نفسه ولأنها متصرف فيها بالإمالة كقولك با تا وبالتفخيم كقولك يا ها وبالتعريف والتنكير والجمع والتصغير والوصف والإسناد والإضافة وجميع ما للأسماء المتصرفة ثم إني عثرت من جانب الخليل على نص في ذلك قال سيبويه قال الخليل يوما وسأل أصحابه كيف تقولون إذا أردتم أن تلفظوا بالكاف التي في لك والباء التي في ضرب فقيل نقول با كا فقال إنما جئتم بالاسم ولم تلفظوا بالحرف وقال أقول كه به وذكر أبو علي في كتاب الحجة في يس وإمالة يا أنهم قد قالوا يا بدفى السداه فأمالوا وإن كان حرفا قال فإذا كانوا قد أمالوا ما لا يمال من الحروف من أجل الياء

(قال محمود رحمه الله وقد سأل الخليل أصحابه كيف ينطقون بالكاف الخ) قال أحمد رحمه الله وسألهم أيضا كيف ينطقون بالقاف من يقل فقالوا قاف كقولهم الأول فأجابهم كجوابه الأول وقال أما أنا فأقول اقه فالحق رضي الله عنه أولا هاء السكت لأن الحرف المنطوق به متحرك وثانيا همزة الوصل لأنه ساكن

الذي أسند إليه عنه البرهان ووصفه بالنيرة أكد كونها أسماء بقوله غير حروف مبالغة في تبقيته بدلك ورد الشبهة عنه بالكلية ثم رتب عليه قوله فعلمت وأيده بأنهم قد تسامحوا وأمثال هذا التسامح في مواضع أخر فاستعملوا الحروف في معنى الكلمة إطلاقا للخاص على العام ولعل فائدة التسامح في أسماء الحروف رعاية الموافقة بين الاسم والمسمى في التعبير عنها بالحرف وإن اختلف معناهما فيما يجوز أن يكون من باب إطلاق اسم المدلول على الدال وأمثاله لنظرف ونحوها من أسماء الإشارة وغيرها والتسمية على نوع قصور فيها عن مرتبة الأسماء الكاملة ووصف بهذه الحروف (قوله وذلك) إشارة إلى البرهان النير استدل على اسمية هذه الألفاظ بصدق حد الاسم عليها دون حد الحرف وبوجود علامات الاسم فيها ولما كان المقصود قطع توهم حرفيتها بالاشتباه حكم هنا بأنها أسماء غير حروف واقتصر هنا في الحد على التصريح بتعبيرها عن الحرف أعني الاستقلال ولم يصرح بعدم الاقتران الذي يميزه عن الفعل بل رمز إليه بشارة بقوله لا فصل فيما يرجع إلى التسمية بين الدلالتين وأورد في العلامات ما هي خاصة للاسم إما مطلقا أو بالإضافة إلى الحرف (قوله ولأنها) إلى قوله (والإسناد) عطف على ما تقدم بحسب المعنى أي هي أسماء لصدق حد الاسم عليها ولأنها متصرف فيها أو عطف على قوله إن قولك ألف بناء على أن ذلك إشارة إلى أنها أسماء أي كونها أسماء ثبت لأن قولك ولأنها (قوله والتفخيم) اعترض عليه بأنه إن أراد به ما يقابل الإمالة كما يدل عليه ذكره عقيبها فهو ليس مختص بالاسم لا مطلقا ولا بالإضافة إلى الحرف لجريه في حرفية أيضا فلا استدلال به أصلا وإن أراد إمالة الألف نحو مخرج الواو وهي التي تجري في الألف المنقلبة عنها وأجيب بجريانها في غير المنقلبة عن الواو أيضا كما جيء في كهيعص من ابن الحسن قرأ بضم الهاء والياء وبهذا يضم لانقلاب الألف واوا من عيل إليه هكذا قيل والحق أن جريانها في غير المنقلبة عنهم تثبت وأما الضم المقول عن الحسن فدلالته على قلب الألف واوا أظهر من دلالته على إمالتها إلى الواو كما في الصلوة والزكوة ويمكن أن يقال أراد بالتفخيم ضد الإمالة واعتد بذكره معها تنبيها على أنها أيضا حالها كيلا يتوهم من كثرة إمالتهم هذه الألفاظ في وضعها على صورة الإمالة وأراد به الحد بالعلامة وتعديده علامات مخصوصة تفصيلا وتعقيبه إياه إجمالا بذكر جميع ما يثبت للأسماء المتصرفة من الخواص كالنسبة والتثنية ودخول الجر إمارة للبرهان فإنها راهين منه ضده (قوله ثم إني عثرت) أشار به إلى الترقي عن مقام الاستدلال على كونها أسماء بالحد والعلامات إلى التمسك بالنص الوارد من متقدم أصحاب العربية رواية من هو أعلى كعبا فيها كأنه قال هذا نص يستغني معه عن مؤنة ذلك البرهان وإن كان نيرا ومن قال البرهان لم يصدق حد الاسم عليها ووجود العلامات فيها وتصريح الأئمة الموثوق بهم بأنها أسماء فقد وقع عن درك لطائف فتنبه في عبارته على مراحل وفي لفظ جانب تعظيم للخليل كما أن في لفظ النص تعظيما للكلام وإشارة إلى علو درجته في الكشف عن المطلوب (قوله وذكر أبو علي) كما تبع الحد بالعلامة أتبع كلام الخليل بكلام أبي علي وكتاب الحجة كتاب له في توجيه القراآت وجعها (قوله قال) أبو علي فإذا كانوا أي العرب ومن في قوله من الحروف

ولأن يميلوا الاسم الذي هو يس أجدر ألا ترى أن هذه الحروف أسماء لما يلفظ بها (فإن قلت) من أي قبيل هي من الأسماء أمعربة أم مبنية (قلت) بل هي أسماء معربة وإنما سكنت سكون زيد وعمرو وغيرهما من الأسماء حيث لا يمسها إعراب لفقد مقتضيه وموجبه والدليل على أن سكونها وقف

ان كانت مبنية كان المعنى انهم أمالوا الحروف مع انها من شأنها أن لا تمال وأرادوا بامالة الحروف تعلق الامالة بما في الجملة كما التزم ياء في النداء وان كانت تبعيضية كانت عبارة عن حروف النداء في يا زيد والمعنى انهم أمالوا هذه الكلمة التي هي بعض الحروف وحقها أن لا تمال لكونها بعض الحروف ومن الامالة لا تجرى في الحروف لا نادرا على التشبيه والالحاق بغيره (قوله الاسم الذي هو يا سين) أي الذي هو يا من ياسين فانه المقصود كما صرح به المصنف في قوله ياسين وامالة يا فقد حكم أولا بأن يا اسم ثم عمم الحكم فقال ألا ترى ان هذه الحروف أي يا وسين وأخواتهما أسماء عبر عنها بالحروف وصرح بأنها أسماء وهذا أن اطلاق الحروف عليها تسامح على اصطلاح الوجه بين كلامه قال بعض الشارحين الاستشهاد في قوله سمع الامالة في قوله الاسم الذي هو ياسين اذ ربما يتوهم انه أراد به أن مجموع ياسين اسم للسورة لكن بعد التأمل انه لو أراده لم يبق لقوله الا ترى الى قوله لما يلفظ بها معنى وأنت تعلم ان التوهم الذي يدفعه أول الكلام وآخره لا عبرة به ولا يقدح في الاستشهاد قال أيضا وكان الاولى أن يقول الاسم الذي هو يا وكأنه حاول أن يصحح الامالة على تقدير كون الفواتح أسماء السور فان يا حينئذ جزء من الاسم وقد عرفت ان ذلك التقدير مناف لقوله ألا ترى ان هذه الحروف هذا القائل فلا وجه لاعتباره لا وحده ولا مع غيره (قوله لما يلفظ بها) أي للحروف الملفوظة بها في مقام القول ولفظ به كلاهما بمعنى واحد والضمير في بها راجع الى ما والظرف قائم مقام الفاعل وما يلفظ بها كناية عن حروف المباني فانها هي الملفوظة حقيقة في تراكيب الكلام ومفرداته دون ما يراد به لفظ يريد منه الا يتلفظ بحروفه على وضع معين وهيئة مخصوصة وقيل في بها ضمير مذكر ضمير بالهذه الحروف أي ما يصير ملفوظا بهذه الحروف أعني مسمياتها أي يعبر عنها بتلك الاسامي ولا يجوز رجوعه الى ما لفساد المعنى اذ ليست هذه الالفاظ اسماء لما يلفظ بها في الجملة من الملفوظات بعينها وفيه مخالفة للاستعمال المشهور من ان الباء صلة وان الملفوظ به هو الملفوظ وأن كان بمعنى ركيك وهو جعل الالفاظ مخصوصة ملفوظة بالتلفظ بألفاظ أخر هي أسماؤها ومنشؤه العدول عن وجه الكتابة (قوله من أي قبيل) أجمل في السؤال أولا ثم فصل بقوله أمعربة أم مبنية وأتى في الجواب بحرف الاضراب تنبيها على انه بحث فيه دقة وغموض وشائبة ريبة وقد سبق منا كلام في نظيره (فلا يقال) فقد علم ان هذه الاسماء اذا وليتها العوامل أدركها الاعراب فقد علم انها معربة والسؤال مستدرك (لانا نقول) المعرب يطلق على معنيين أحدهما معمول من أعربت الكلمة والثاني ما يقابل المبني اصطلاحا والذي علم من قوله أدركها الاعراب انها اذا دخلت عليها العوامل كانت معربة بالمعنى الاول والمقصود من السؤال والجواب بيان كونها معدودة مفردة ساكنة لا باعجاز معربة بالمعنى الثاني والعلم بالاول لا يستلزم العلم بالثاني كيف وقد ذهب ابن الحاجب الى ان هذه الاسماء وغيرها مبنية قبل التركيب على انه لو استلزم لم يكن استدراكا أيضا اذ قد بينه قصدا بعدما علم ضمنا وقرن به حجاجا بل مع شبهة البناء (واعلم) ان المصنف وجمهور المحققين من النحاة حصروا سبب بناء الاسماء في مناسبة ما لا تمكن له وسموا الاسماء الخالية عن تلك المناسبة معربة وجعلوا سكون عجزها قبل التركيب وقفا لا بناء قالوا والدليل على ان سكونها وقف ان العرب جوزت في الاسماء قبل التركيب التقاء الساكنين على طريقة الوقف فقالوا زيد عمرو صاد قاف ولو كان سكونها بناء لما جمعوا بينهما كما في سائر الاسماء المبنية نحو كيف وأخواتها (فان قلت) ربما عددت الاسماء ساكنة الاعجاز متصلا بعضها ببعض فلا يكون هناك وقف (قلت) هي قبل التركيب في حكم الوقف سواء كانت متفاصلة أو متواصلة فان الوقف قطع الكلمة عما بعدها اما لضرورة التنفس أو لتحسين اللفظ أو لعدم ما يوجب

وليس بناؤها لو بنيت لحذي بها حذو كيف وأين وهؤلاء ولم يقل من قال مجموعا فيها بين الساكنين
(فإن قلت) فلم لفظ المتهجي بما آخره ألف منها مقصورا الطاء أعرب ... فقال هذه باء وياء وهاء، وذلك يحيل أن
وزنها واو ان قولك لا مقصورة وإذا جعلتها اسما مددت فقلت كتبت لاء

لو صدقه من التركيب فالموصلة فيها ... لوقف وسكون ساكنة بخلاف كيف وأين وحيث وحين
إذا عددت وصلا فإن حركاتها كونها لازمة لا تزول إلا بوجود الوقف حقيقة وبقرينة من مالك به قال أي
من جعل الاسم قبل التركيب معربا حكما لا يبعد عن الصواب ولو كان مبنيا لم يكن وصلا في التعديد
ولم يرد معنى كمالك هؤلاء عند كدعوى كون الاسم معربا باصطلاح آخر ... من قبول الاعراب
ولم يشترطوا وجود مقتضيه وعدمه لم يعرب بخلاف آخر باختلاف العوامل في أوله وآخره ... فيه
الاختلاف على قانون اللغة ... النصب به بالفعل أو كان من شأنه ذلك إذا قرينة كما وقع في التركيب
ولم يعرب وما قيدنا بما ذكر في ... اشترط في المعرب وجود ... مقتضي فقد اشتهر لا أتصف بالعمل
والغريب منه ولا مشاحة في الاصطلاحات إلا أن ما آثره المصنف أولى لأن المذهب الآخر يحتاج فيه إلى
الفرق بين ... للبناء أعني عدم المقتضي ووجود المانع بخروج الأسماء الساكنة مع الأول دون الثاني وهو
عكس لو زعكسه وقد يدفع بأن تلك الأسماء قد استحقها السكون قبل التركيب فأشبهت الوقوف ... عند
ميها ... جارية (قال) البناء المناسبة بعارض بعد التركيب كالإعراب وكان بالحركة أولى ... على
... كمخالف الإعراب والبناء (لأنا نقول) المناسبة حاصلة قبل التركيب أيضا ... رحمه الله تعالى
وعبارته مذهب الجمهور ... لا تفرق بين زيد وعمرو وبين هؤلاء وأين في إيجاب السكون قبل التركيب
ولاشك أن سكون الآخرين وقف لأنهما مبنيان على الحركة ... سكون الأولين (لا يقال) هما قبل
التركيب مبنيان على السكون لعدم المقتضي للإعراب ... على الحركة لوجود المانع (لأنا نقول)
إن وجود المانع أي المناسبة مع ... الأصل ... فاسد ... في وقت آخر ترجيح
بلا مرجح والقول بأن البناء المانع إنما استمر مع وجود المقتضي لا يناسب مقتضى عرف اللغة وسيأتي زيادة
تأييد في آل عمران إن شاء الله تعالى (قوله لحذي بها) قيل المشهور في كتب اللغة حذوت النعل بالنعل
إذا قدرتها بها فيعني أن يقال لحذيت كيف وأين وهؤلاء ... بالأسماء ... الآية قد
وأدخل الباء في المقدر ... الأمس ... الضمير المستتر بارزا ... وأضيف المصدر إلى المقدر ثم
ومال جماعة إلى أن أصل التعدي بل ... اللازم ثم عدي بالباء وكأنه ... تعدد تركيب والثاني أضعف
من الأول وقيل هو من قولهم حذا ... ويدل ... اتبع أثره ... سيرته على أن ... والمراد طرف
أي سلك طريقته وأما مصدر مضاف إلى المعمول أي اتبع ... تماما ومامعمول به أي اتبع سيرته كقوله
تعالى اتبعوا ملة إبراهيم والباء التعدية أي لجعلت ... كيف ... في ... على الحركة
(والأظهر أن يقال) بالضمير أي لذهب بها الحذوة حذو كيف أي ... وبعد ... يقولون
لا يحذو بها حذوان (قوله فلم لفظ بها المتهجي) يريد إذا ذكرتم من أنها أسماء ... سكون أعجازها
وقع ينافي كونها مقصورة تارة وممدودة أخرى فإن ذلك يحيل أن طريقة هذه الألفاظ في قصرها ومدها
طريقة قولك لا مقصورة حرف وممدودة اسم ... حروف ... لأن المشاركة في
بعض الأحوال تتصور مع المخالفة في الحقيقة ولأن هذه المخالفة مختصة ببعض تلك الأسماء (قوله كتبت
لاء) من ذلك قوله

كأنك في الكتاب وجدت لاء * محرمة عليك فلا تحل

وقوله في مدح النبي صلى الله عليه وآله

ما قال لا قط إلا في تشهده * لولا التشهد لم تسمع له لاء

فالممدود اسم للمقصور وليس من قبيل كون اللفظ علما لنفسه بل من باب اشتمال الاسم على المسمى

(قلت) هذا التحصيل يحصل بما لخصته من الدليل والسبب في أن قصرت متهجاة ومدت حين مسها الإعراب أن حال التهجي خليقة بالأخف الأوجز واستعمالها فيه أكثر (فإن قلت) قد تبين أنها أسماء لحروف المعجم وأنها من قبيل المعربة وأن سكون أعجازها عند الهجاء لأجل الوقف فما وجه وقوعها على هذه الصورة فواتح للسور (قلت) فيه أوجه أحدها وعليه إطباق الأكثر أنها أسماء السور وقد ترجم صاحب الكتاب الباب الذي كسره على ذكرها في حد ما لا ينصرف بباب أسماء السور وهي في ذلك على ضربين أحدهما ما لا يتأتى فيه إعراب نحو كهيعص والمر والثاني ما يتأتى فيه الإعراب وهو إما أن يكون اسما فردا كص وق ون أو أسماء عدة مجموعها على زنة مفرد كحم وطس ويس فإنها موازنة لقابيل وهابيل وكذلك طسم يتأتى فيها أن تفتح نونها وتصير ميم مضمومة إلى طس فيجعلا اسما واحدا كدارابجرد فالنوع الأول محكي ليس إلا وأما النوع الثاني فسائغ فيه الأمران الإعراب والحكاية

كأسماء الحروف وفي قوله مدا جعلتها أسماء مددت إشارة إلى أن المقصورة ليست أسماء وإن أريد بها لفظها كما في قوله مد قال لا أو معناها وفي ذلك تقوية لما شيدنا أركانه فاتكن على ذكر لك (قوله متهجاة) أي متهجى مسمياتها فحذف المضاف واستتر المضاف إليه في الصفة من تهجيت الحروف عددتها بأسمائها وقد ذكرناه وقيل أي معدودة تعديدا غير مركبة تركيبا أو المراد متهجى بها فحذف الجار واستكن الضمير (قوله أن حال التهجي حقيقة بالأخف) لأن التهجي إنما يكون غالبا لتعليم المبتدي ولأن استعمال هذه الأسماء في التهجي أكثر فناسب الأخف الأوجز أي المقصور وإنما وقعت في الفواتح مقصورة لأنها على نمط التعديد أو مأخوذة منه (قوله فقد تبين أنها أسماء) حقق أولا معاني هذه الألفاظ لغة وما يتعلق بها ثم شرع يبين وجه وقوعها على هذه الصورة أي على صورة الهجاء والتعديد فواتح للسور من القرآن وإنما كرر ذكر ما تبين تلخيصا لما تقرر وضبطا لحصول ما تقرر (قوله لحروف المعجم) قال الجوهري العجم النقط بالسواد وغيره مثل التاء عليها نقطتان تقول أعجمت الحرف وعجمته مشددا ولا تقول عجمته مخففا ومنه حروف المعجم وهي الحروف المقطعة التي يختص أكثرها بالنقط من بين سائر حروف الأمم ومعناه حروف الخط المعجم كما تقول مسجد الجامع وصلاة الأولى وناس يجعلون المعجم مصدرا بمعنى الإعجام كالمدخل والمخرج أي من شأن هذه الحروف أن تعجم أي تنقط وقال الأزهري عن الليث أن الحروف المقطعة سميت معجمة لأنها أعجمية أي لا بيان لها وإن كانت أصلا للكلام كله وأما كتاب معجم فمعناه قد أبين عجمته فتكون الهمزة للسلب والاعتماد على ما نقله وقيل حقيقة أعجمت الحرف أزلت عجمته بنقطه فالمعنى حروف الإعجام أي إزالة العجمة (قوله وقد ترجم) أي لقب وسمى وأصل الترجمة تفسير لسان بلسان آخر كسره على ذكرها أي رتبه وجعله مشتملا عليها يقال كسر الطائر جناحيه أي ضمهما للوقوع في حد ما لا ينصرف أي في بحثه وبيانه وكثيرا ما يستعمله سيبويه بهذا المعنى (قوله وهي في ذلك) أي في كونها أسماء السور وإنما اعتبر هذا القيد لأنها من حيث هي أسماء الحروف مفردات يتأتى الإعراب في كل واحد منها (قوله أن تفتح نونها) فتصير طاسين بمنزلة اسم واحد كهابيل ثم تركب مع اسم آخر وهو ميم ونظيره دارابجرد علم بلدة بفارس فإنه معرب دارابكرد فهو مركب من كلمتين أحدهما دارا اسم ملك بناها والثانية بكرد وقيل هو معرب داراب كرد فتكون ثلاث كلمات في العجمية لأن داراب معناه دار آب سمي بذلك لأنه وجد في الماء وصار بالعلمية اسما واحدا ضمت إليه كلمة أخرى وجعلت كبعلبك وعلى هذا تتأكد المشابهة بينه وبين طاسين ميم فإنه في التحقيق مركب من ثلاث كلمات وقد وجد في نسخة المصنف درابجرد بلا ألف بعد الدال وإنه سهو من طغيان القلم والأثبت المقصود من إثبات موازن له في كلامهم (قوله وأما النوع الثاني فسائغ فيه الأمران الإعراب والحكاية) قيل الحكاية في الأعلام إنما تجري في الجمل كتأبط شرا رعاية صورها المنبئة عن أسباب نقلت لأجلها وفي الألفاظ التي وقعت أعلاما لأنفسها كقولك ضرب

قال قاتل محمد بن طلحة السجاد وهو شريح بن أوفى العبسي

يذكرني حاميم والرمح شاجر ● فهلا تلا حاميم قبل التقدم

فأعرب حاميم ومنعها الصرف وهكذا كلما أعرب من أخواتها الاجتماع سببي منع الصرف فيها وهما العلمية والتأنيث والحكاية أن تجيء بالقول بعد نقله على استيفاء صورته الاولى كقولك دعني من تمرتان وبدأت بالحمد لله وقرأت سورة أنزلناها قال

فعل ماض وكم للتكثير ومن حرف جر لحفظ الجد بمقام المسمى والاشعار بأنها ليست منقولة عن الاصل بالكتابة وأما في غيرهما فلا وجه للحكاية سواء كان مفردا أو مركبا اضافيا أو مزجيا أولا ترى ان ضرب مجردا عن الضمير اذا سمي به رجل لم يكن محكيا وما نحن فيه من هذا . فسقيل فينبغي ان يتعين فيه الاعراب ولا تسوغ فيه الحكاية وأما النوع الاول فلما لم يكن فيه الاعراب أصلا وجب أن يحكى ضرورة ولا ضرورة في النوع الثاني وهكذا تقول في النوع الاول وأجيب بان أسماء الحروف كثر استعمالها معدودة ساكنة الاعجاز وموقوفة حتى صارت هذه الحالة كأنها أصل فيها ولو بعد اسمائها وحيث جعلت أسماء للسور جوزت حكايتها على تلك الهيئة الراسخة فيها سيما على ان فيها نوعا من ملاحظة الاصل لان مسمياتها مركبة من مدلولاتها الاصلية أعني الحروف المبسوطة ومقصود من التسمية بها الاية ط وفرع لهما فتجوير الحكاية مخصوص بهذه الاسماء حال كونها اعلاما للسور فلو سمي بها رجل بصادا وسورة بأنا تعينت لم تعرف حكاية قال رحمه الله تعالى ومما يشهد لهذه الاسماء بصفة الحكاية أسماء الاصوات المحكية فانها لما غلب استعمالها مفردة حكيت على حالها من حركة أو سكون اذا وقعت مركبة الا أن تلك مبنية وهذه موقوفة وفيه بحث لان عاق اذا جعل علما لشخص كان معربا لا محكيا وأما في قولك عاق حكاية صوت الغراب فقد أريد به لفظ فلذلك حكي . . . (قوله محمد بن طلحة) هو طلحة بن عبيد الله القرشي يتصل نسبه بالاب السابع من آباء النبي صلى الله عليه وآله أعني مرة بن كعب لقب بالسجاد أمره أبوه يوم الجمل ان يتقدم للقتال فنثل درعه بين رجليه وكلما حمل عليه رجل قال نشدتك بحم يريد بها في حمعسق من قوله تعالى قل لا أسألكم عليه أجرا الا المودة في القربى ويظهر من ذلك انه من القرابة الذين وجبت محبتهم وكف الاذى عنهم وقيل كان شعار حرب الحق في ذلك اليوم حم لتلك الآية وكان محمد يدعي بذلك انه ليس من حرب المخالفين فلما قتله العبسي أنشأ مفتخرا

وأشعث قوام بآيات ربه ● قليل الكرى فيما ترى العين مسلم

شككت له بالرمح جيب قميصه ● فخر صريعا لليدين وللفم

على غير شيء غير ان ليس تابعا ● عليا ومن لا يتبع الحق يظلم

يذكرني حم البيت ويروى ان عليا رضي الله عنه لما رآه بين القتلى استرجع وقال ان كان لشابا صالحا ثم قعد كئيبا أي رب أشعث وشككت أي شققت وقوله على غير شيء يتعلق بشككت أي خرقت جيب قميصه بلا تسبب وغير ان نصب على الاستثناء من شيء لعمومه بالنفي وجاز أن يجعل بدلا عن محله أي لم يوجد شيء من الاسباب غير هذا الا أنه فتح للبناء والرمح شاجر أي طاعن أي ذو طعن من شجرته بالرمح طعنته وقيل أي مختلف من شجر الرمح اختلف والتشاجر التخاصم وكل شيء دخل بعضه في بعض فقد تشاجر ومعنى قوله فهلا تلا حم على الاول انه تلاها بعد تقدمي اليه لطعنه وعلى الثاني هلا تلاها قبل تقدمه الى الحرب وتردد الرماح وعمل بها ليرتدع عن محاربة العترة الطاهرة فسلم اذ ذاك من طعني وقوله يظلم أي يجازى بظلمه في عدم اتباع الحق ظلم (قوله ان تجيء بالقول) أي باللفظ مفردا كان أو مركبا وقد مثل بها وكثر الامثلة تقريرا للحكاية وانها باب مطرد في نوعي الجمل والمفردات معلوم من اللغة بالاستقراء فأمكن اجراؤها في أسماء الحروف اذا جعلت أعلاما للسور وان لم تكن مسموعة فيها بخصوصها (قوله دعني من تمرتان) في جواب ألك تمرتان

وجدنا في كتاب بني تميم * أحق الخيل بالركض المعار

وقال ذو الرمة

سمعت الناس ينتجعون غيثا * فقلت لصيدح انتجعي بلالا

وقال آخر

تنادوا بالرحيل غدا * وفي ترحالهم نفسي

وروى منصوبا ومجرورا ويقول أهل الحجاز في استعلام من يقول رأيت زيدا من زيدا وقال سيبويه سمعت من العرب لا من أين يا فتى (فإن قلت) فما وجه قراءة من قرأ ص وق ون مفتوحات (قلت) الاوجه أن يقال ذلك نصب وليس بفتح وانما لم يصحبه التنوين لامتناع الصرف على ما ذكرت وانتصابها بفعل مضمر نحو اذكر وقد أجاز سيبويه مثل ذلك في حم وطس ويس لو قرئ به وحكى أبو سعيد السيرافي أن بعضهم قرأ يس ويجوز أن يقال حركت لالتقاء الساكنين كما قرأ من قرأ ولا الضالين

أو يكميل تمرتان أو ما أشبههما ومعناه دعني من هذا الحديث ولو قيل من تمرتين لم يؤد هذا المعنى (قوله أحق الخيل بالركض المعار) هذه جملة محكية وقعت معمول وجدنا الاول وقيل من باب الالغاء مع كون العامل مقدما أو بتقدير اللازم المعلقة أو ضمير الشأن ورد بشذوذها وبأن تقييد الوجدان بالظرف أعني في كتاب بني تميم فإن المكتوب فيه هو العبارة وان كانت لاداء المعنى فهو قرينة للحكاية والمراد بالمعار المضمة من عار الفرس اذا ذهب عينا وشمالا من المرح او نشاطا او أعاره صاحبه والموجود في كتاب بني تميم

أعيروا خيلكم ثم اركضوها * أحق الخيل بالركض المعار

وانما كان أحق لانه اذا أعيرتها وارتاح للعدو وقال أبو عبيدة ومن الناس من يعتقد انه من العارية وهو خطأ وروى المضمر بالغين المعجمة ومضمر بالمهملة من أغرت الحبل فتلته فتلا محكما فقيل صدره على هذه الرواية أغيروا بالغين المعجمة أيضا وقيل بالمهملة كما في الاول على معنى ضمروها بترديدها من عار يعير اذا ذهب وجاء (قوله سمعت الناس ينتجعون غيثا) جملة من مبتدا وخبر وقعت معمول سمعت حكيت على حالها أي سمعت هذا الحديث كانه يقول أطبق الناس على انتجاع غيث واشتهر وانه وأسمعهم بذلك سمعته منهم واخترت الممدوح بدلا عنه فالحكاية أبلغ من أن ينصب الناس على انه من قبيل سمعت زيدا يقول بناء على تضمين الانتجاع معنى القول أي يسألونه ويطلبون منه لفوات الاشتهار واستفاضة الاخبار بسمعهم وربما يقال ادراك المبصرات كان ادعاء أقوى من ادراك الخبر والصيدح بالصيم طائر الكلام في موضع يقال الصيدحة ولانا اذا أتيته تطلب معروفه وصيدح علم ناقته وبلال هو ابن بردة ابن أبي موسى الاشعري قاضي البصرة ممدوح ذي الرمة كان جوادا (قوله تنادوا بالرحيل) الرحيل مرفوع بالابتداء وخبره غدا أي حاصل فيه كقولك الصلح يوم الجمعة أي تنادوا بهذه الجملة وروى منصوبا على انه مصدر أي ارحلوا الرحيل أو مفعول به أي ألزموه حكى الرفع والنصب بعد الباء وأما اذا روى مجرورا فلا حكاية فيه (قوله وفي ترحالهم نفسي) أي هلاكها لجعل ترحالهم طرداله مبالغة وقيل جعل نفسه وروحه في ترحالهم فاذا ارتحلوا وارتحلوا فارقته وقيل أراد بنفسه محبوبه (قوله لا من أين يا فتى) أي لا تسألني هذا السؤال وان هنالك ما هو اهم منه حكى كلام السائل وادخل عليه لا ولولا الحكاية لم يكن لدخولها وجه صحة (قوله فما وجه) جاء بالفاء لانكار ما علم سابقا من ان الموقع الذي جاز فيه الاعراب والحكاية بني أن لا اعراب في هذه القراءة ولا عامل يقتضيه وأين الحكاية وحقها السكون ولا سكون ههنا فهي تدل على انها مبنية محذو بها حذو أين وكيف في بنائها على الفتح أجاب أولا بالاعراب وتقدير العامل مع منع الصرف وثانيا بالحكاية الا انها حركت للجد في الهرب من التقاء الساكنين وان كان مغتفرا في الوقف اغتفاره اذ كان على حده بقوله ويجوز أن يقال مقابل لقوله الاوجه أن يقال ذلك نصب وليس بفتح وانما جعله أوجه لان الجد في الهرب لغة قليلة وأيضا تحريك الساكن بالكسر أولى وقيل السؤال نشأ من قوله بل هي أسماء معربة أي كيف يكون كذلك وقد رأيت هذه المواقع في صورة المبني حيث حركت فتحا بلا تنوين وفيه بعد

(قال محمود رحمه الله فان قلت فما وجه من قرأ ص وق ون مفتوحات الخ) قال أحمد رحمه الله تعالى كلامه على الوجه الاول يوجب كونها معربة وعلى الوجه الثاني يحتمل أن يكون أراد أن الفتحة لالتقاء الساكنين نشأت عن سكون الحكاية فهي اذا تحكي ساكنة مجردة من سمة الاعراب فلا تكون الحركة اذا اعرابا اذ لا مقتضى له مع الحكاية ولا بناء اذ هي معربة عنده على هذا التقدير ويحتمل أن يكون أراد انها مبنية فتكون الحركة مثلها في أين وكيف حركة بناء والاول هو الظاهر من مراده اذ حتم قبل انها معربة على ان سيبويه نص في كتابه على ما أورده بلفظه قال وأما ص فلا يحتاج الى أن يجعل اسما أعجميا لان وزنه في كلامهم ولكنه يجوز أن يكون اسما للسورة فلا يصرف ويجوز أن يكون أيضا يس وص اسمين غير متمكنين فيلزمان الفتح كما لزمت الاسماء غير المتمكنة الحركات نحو كيف وأين وحيث وأمس اه كلام سيبويه وفيه رد على

(فإن قلت) هلا زعمت أنها مقسم بها وأنها نصبت نصب قولهم الله لأفعلن وآي الله لأفعلن على حذف حرف الجر وإعمال فعل القسم وقال ذو الرمة * ألا رب من قلبي له الله ناصح * وقول آخر * فذاك أمانة الله الثريد * (قلت) إن القرآن والقلم بعد هذه الفواتح محلوف بهما فلو زعمت ذلك لجمعت بين قسمين على مقسم واحد وقد استكرهوا ذلك قال الخليل في قوله عز وجل والليل إذا يغشى والنهار إذا تجلى وما خلق الذكر والأنثى الواوان الأخريان ليستا بمنزلة الأولى ولكنهما الواوان اللتان تضمان الأسماء إلى الأسماء في قولك مررت بزيد وعمرو والأولى بمنزلة الباء والتاء قال سيبويه قلت للخليل فلم لا تكون الأخريان بمنزلة الأولى فقال إنما أقسم بهذه الأشياء على شيء ولو كان انقضى قسمه بالأول على شيء لجاز أن يستعمل كلاماً آخر فيكون كقولك بالله لأفعلن بالله لأخرجن اليوم ولا يقوى أن تقول وحقك وحق زيد لأفعلن

عن سياق الكلام (قوله هلا زعمت) زاد أن هذا وجها آخر في الإعراب والإدغام ولم يذكره مع رجحانه على ما ذكره من الأقسام بالسورة قبله إما لأنه لم يكن راجحا ولا أقل من المساواة (قوله ألا رب من قلبي له الله ناصح) وتمامه * ومن قلبه لي في الظباء السوانح * هو في أماليه وفيه عطف الصفة على الصفة أي رب شخص قلبي له ناصح وقلبه لي في الظباء السوانح وعاد الموصوف مبالغة في اتصافه بكل واحدة من الصفتين السابقة لا لأنه يستحق أن يذكر ذاته مع كل منهما ونظيره تكرير الموصول في قوله

أمسو الذي أبكي وأضحك والذي * أمات وأحيا والذي أمره الأمر

والمعنى قلبي ناصح له يحبه ويأنفه وقلبه نافر عني نفور الظباء اللاتي تمر ض وغير مستوحشة من سنح لي سانح أي عرض وقيل معناه وقلبه أيضا ناصح لي كالسانح من الظباء فإن العرب تتيمن به وهو ما يمر من مياسرك إلى ميامنك كما تتشاءم بالبارح وهو ما يمر من ميامنك إلى مياسرك لأنه لا يمكنك أن ترميه حتى ينحرف وهذا معنى ما يقال السانح ما ولاك ميامنه من ظبي أو غيره والبارح ما ولاك مياسره وفي المثل من لي بالسانح بعد البارح نقل الأزهري عن شمران العرب قد تتشاءم بالسانح والتسنح عمناه وأنشد لعمرو بن قميئة * وأشأم طير الزاجرين سنيحها * قال رحمه الله في كتاب السبب في ذلك اختلاف تفسير السانح حيث قال شمر هو ما ولاك مياسره فينبغي أن تتيمن بالبارح إلا أنه لم يقل فرجع المعنى حينئذ إلى أن قلبه ليس بناصح لي (قوله فذاك أمانة الله الثريد) أوله * إذا ما الخبز تأدمه بلحم * أي الخبز المأدوم باللحم هو الأشق بأن يحلف بأمانة الله عليه في تريد الاستعارة الجمهور من الخبز المكسور في المرقة ونحوها (قوله قلت إن القرآن) تلخيص الجواب أن هذه الفواتح إن جعلت مقسما بها منصوبة بنزع الخافض وإيصال الفعل إليها فالواو في القرآن بعد صاد وقاف وفي القلم بعد نون إما أن تكون للقسم أو للعطف لا سبيل إلى الأول لاستلزامه الجمع بين قسمين على مقسم عليه واحد ولا إلى الثاني لمخالفتهما في الإعراب لكن المصنف بنى الجواب على أن الواو للقسم وجزم بأنه يلزم اجتماع قسمين على شيء واحد وقال هو مستكره ونقل عن الخليل ما يدل على استكراهه مع الإشارة إلى وجهه ثم تعرض لإبطال العطف (قوله قال الخليل) لم يحكم أن الواوين الأخيرين ليستا للقسم بل للعطف سأله سيبويه عن ذلك فقال إذا كانت الأولى بمنزلة الباء والتاء فلم لا تكون الأخريان كذلك وأجاب عنه واستدل عليه أنهما للعطف ووجه الأول قوله إنما أقسم بهذه الأشياء الخ فقيل معناه أن المقسم عليه الذي هو جواب القسم إذا كان شيئا واحدا والمقسم به أشياء متعددة كان المقصود هناك قسم واحد تشترك فيه تلك الأشياء وحينئذ لا بد من أداة التشريك ليفهم المقصود على ما هو عليه ولو كان القسم متعددا يستقل كل واحد بجوابه لجاز أن لا يدل على تشريك أصلا كما في قوله بالله لأفعلن بالله لأخرجن أما إذا اتحد المقسم عليه كقوله وحقك وحق زيد لأفعلن فلا يقوى أن تجعل الواو الأخيرة للقسم دون العطف بل يستكره وذلك لقصور العبارة عما قصد من وحدة القسم واشتراكه بين المتعدد الذي وقع مقسما به بل لإيهامها خلافه من تعدد القسم واقتضاء كل واحد جوابا برأسه لكنه لا يمتنع وإنما لم يمتنع لجواز أن يفهم المقصود بشواهد القرائن وقيل معناه أنه أقسم بهذه الأشياء على شيء واحد فلو جعل الواوان

الزمخشري رحمه الله في ختمه أن تكون معربة وإن فتحها نصب أو لالتقاء الساكنين العارض للحكاية على ما ظهر من قوله آنفا وسيأتي له أيضا ما يدل على أنه لا يجوز بناؤها البتة * أقول بعد تسليم أن الأول هو الظاهر من مراده في ذكره حكاية عن سيبويه فغير وارد عليه لأنه اختار أحد الوجهين (قال محمود رحمه الله هلا زعمت أنها مقسم بها الخ) قال أحمد رحمه الله وله البقاء على أنها منصوبة على القسم وجعل الواو عاطفة على مذهب الخليل وسيبويه في أمثاله ويسلك حينئذ في العطف سبيل * ولا سابق شيئا إذا كان جائيا * فإن المقسم به وإن كان منصوبا لأنه محل به فهو وفيه الجر محذوف بالجر رعاية لذلك المهد وههنا أولى بالصحة منه في بيت زهير المذكور لأن انتصاب المقسم به إنما نشأ عن حذف حرف الجر الذي هو أصل في القسم وانتصاب خبر ليس أصل في نفسه ليس ناشئا عن حذف غايته أن حرف الجر قد يصحب خبرها

الاخيرتان

الاخيرتان للقسم كان كل واحد منهما مستقلا بقسم مستأنف يقتضي ارتباط الجواب به ارتباط الجزاء بشرطه فيلزم الانتقال من كلام الى آخر قبل اتمامه فان القسم الاول انما يتم بالمقسم عليه وقد فصل بينهما بالقسم الثاني فاقتضى انقباض متابعة الاول لثاني لما كان متوجها الى ما توجه اليه الاول لم يكن أجنبيا عنه من كل وجه فلم يمتنع الانتقال اليه والفصل به بين الاول وجوابه بل كان ضعيفا مستكرها، ولو كان القسم الاول مستوفيا لجوابه مستوفيا حقه الذي هو المقسم عليه لم يكن هناك انتقال وفصل وجاز استعمال القسم الثاني على انه كلام آخر عقيب تمام الاول كما في صورة تعدد المقسم عليه ﴿ولا يقال﴾ اذا اجتمع قسم والشرط على جواب واحد جعل ذلك الجواب لاحدهما لفظا ومعنى وللآخر معنى فقط واعتمد في ذلك على القرينة ولم يستكره أصلا مع ان العبارة قاصرة في صورة عن تأديته ما أريد من اشتراك الجواب بينهما والفصل واقع بين أحدهما وجوابه فيمكن مثله في اجتماع القسمين على هذا المنوال ﴿لانا نقول﴾ ثم ضرورة هي اختلاف القسم والشرط وتنافي جوابيهما في الاحكام اللفظية دعت الى ارتكاب ما ذكر ولا ضرورة في القسم المذكورة فيستقبح فيه العدول عن الظاهر المستحسن أعني جعل الواو عاطفة ليكون المجموع قسما واحدا على مقسم عليه واحد سواء اعتبر العطف أولا وتعلق الاقسام ثانيا أو بالعكس ولا يلزم قصور الدلالة عن المرام ولا فصل بين جزء الكلام وبذلك يندفع أيضا ما يورد على المعنى الثاني وحده من حذف جواب القسم الاول فانه أيضا عدول عن الظاهر بلا ضرورة تدعو اليه الوجه الثاني في ان الواو للعطف لا للقسم تقريره ان ثم والفاء قد يقعان موقع الواو في مثل هذا التركيب أعني ان يكون المقسم عليه متحدا مع تعدد في المقسم به كقولك وحياتي ثم حياتك لافعلن وقوله تعالى والصافات صفا فالزاجرات زجرا ولا يتفاوت المعنى الا بما يفيده هذان الحرفان من التراخي والتعقيب الزائدين على معنى الواو وكانت ثم والفاء للعطف والتشريك دون القسم كذلك الواو ﴿فان قلت﴾ المقصود من هذا كلام الخليل أن يستدل على أن الجمع بين قسمين على مقسم عليه واحد مستكره وقد تم بالوجه الاول فلا فائدة في نقل الثاني اذ لا تعلق له بحديث الاستكراه ﴿قلت﴾ هو تتميم لما نقله عنه أولا وفيه تمهيد لذكر العطف كأنه قال لو كانت تلك الواوات مقسما بها لكانت الواو بعدها للعطف قياسا على نظائرها لكنه متعذر للمخالفة في الاعراب وأيضا المحذور في العطف مندفع في استقباح تعدد القسم على شيء واحد كما عرفت ﴿ولا يقال﴾ المخالفة في الاعراب لا يمنع العطف لجواز أن يكون على توهم الجر في المعطوف عليه باضمار الجار كقولك لست مدرك ما مضى ولا سابق ﴿لانا نقول﴾ هذا التوهم انما يعتبر فيما كثر وجوده كالباء في خبر ليس وأما اضمار الجار في القسم فقليل جدا فلا عبرة بتوهمه بل هو أشد استكراها وقد يجاب بأن الجار في البيت مفروض لا مقدر وحين فرض فرض عاملا في المعطوف عليه وفيما نحن بصدده مقدر وقد عزل عن العمل في الاقرب فلا يحسن اعماله في الابعد واعترض على قول الخليل بأن الواو في والنهار اذا تجلى ان كانت عاطفة لزم العطف على معمولي عاملين مختلفين فان الليل مجرور بواو القسم واذا يغشى منصوب بفعله وقد عطف النهار واذا تجلى عليهما بعاطف واحد أجاب عنه المصنف بأن واو القسم يطرح معها ابراز الفعل اطراحا كليا بخلاف الباء حيث أبرز معها الفعل وأضمر فالواو نائبة مناب الفعل والباء معا وحدث معهما فصارت كأنها هي العاملة نصبا وجرا معا في الليل والظرف فالعطف حينئذ على معمولي عامل واحد كقولك ضرب زيد عمرا وبكر خالدا ورد بعدم اطراده فيما اذا صرح بالفعل مع الباء كقوله تعالى فلا أقسم بالخنس الجوار الكنس والليل اذا عسعس والصبح اذا تنفس فان الصبح معطوف على الليل المجرور بالباء واذا تنفس معطوف على اذا عسعس المنصوب بالفعل ﴿وههنا اشكال آخر﴾ وهو تقييد القسم بالظرف مع انه مطلق اذ ليس المعنى في القسمين على انه أقسم بالليل وقت غشيانه أو عسعسته والصبح وقت تنفسه وهو لازم سواء جعل الظرف مفعولا لفعل القسم أو الواو النائبة مقامه وجعل الظرف حالا كما اختاره ابن الحاجب لا يدفعه فان الحال قيد للعامل أيضا والاولى أن يجعل اذا اسما بدلا من الليل أي أقسم بالليل بوقت غشيانه وبالنهار وقت تجليه

دخيلا فرعاية الاصل أجدر من مراعاة العارض فقد عرفت أن في نحو من وجهان أحدهما أن يكون اعرابا وهو اما جرى على الوجه الذي أبداه الزمخشري أو ذهب على الوجه الذي نقلته عن سيبويه ثانيهما أنه لا اعراب ولا بناء وهو عروضه على الوقف في الحكاية

والواو الاخيرة واو قسم لا يجوز الا مستكرها قال وتقول وحياتى ثم حياتك لافعلن فثم ههنا بمنزلة الواو هذا
ولا سبيل فيما نحن بصدده الى أن تجعل الواو للعطف لمخالفة الثانى الاول فى الاعراب (فان قلت) فقدرها
مجرورة باضمار الباء القسمية لا بحذفها فقد جاء عنهم الله لافعلن مجرورا ونظيره قولهم لاه أبوك غير أنها فتحت
فى موضع الجر لكونها غير منصرف فقد وجه لو والعطف ؛

وبالصبح وقت تنفسه أو يجعل طرفا وتقدير مضاف قبل الليل أى وعظمة الليل وقت غشيانه فاضاف المقدر
هو اما مل خفضا ونصبا فيندفع الاشكالان معا وتقدير المضاف وان كان بعيدا الا أنه لا يعدى ظ تلا
بحسب المعنى (قوله والواو الاخيرة واو قسم) جملة حالية عاملها تقول وقوله (لا يجوز الا مستكرها) بيان
وتأكيد له ولا يقوى وقوله هذا فصل بين كلامى الخليل والمصنف معناه مضى هذا أو خذ هذا أوهذا
كما ذكرت وجه له اشارة الى الواو صفة أو بدلا يؤدى الى ترك الفصل الذى هو الالبق بسياق كلامه
على ما الانسب حينئذ ان يقال هذه لمناسبة قوله لو والاخيرة (قوله فقدرها مجرورة) أى ذلك
المانع من كون تلك الواوات مقسما بها جملها منصوبة اذ ذلك يخالف اعرابها الاعراب الذى هو مقتضى العطف فامتنع
العطف ولزم الجمع بين القسمين على مقسم عليه واحد اذ بامتناع العطف يتعين القسم المستكره فازل هذا
المانع وقدرها مجرورة باضمار الجار واجعل الواو للعطف حتى يتم لك المصير الى ما أشرت اليه بضم التاء
على التكلم كما فى النسخ المعول عليها اذ ما أشرت اليه عبارة عن كونها مقسما بها منصوبة فانه الذى اشار اليه
السائل ولام على تركه اذ كره قوله هلا زعمت ونحوه عبارة عن كونها مقسما بها مجرورة بمعنى اذ لم يتم لك
المصير الى ما طلبنا أولا لمانع فى طريقه فاحتر طريقة أخرى ليتم لك المصير الى نظيره المشارك له فيما هو
المقصود الاصلى أعنى كونه مقسما بها فان هذا المصير أيضا وجه من الاعراب مع تركك كونها منصوبة
بتقدير اذكر وقرأه بعض المتأخرين بفتح التاء على الخطاب كما وقع فى بعض النسخ وفسر ما أشرت اليه بعدم
الجمع بين القسمين وهو منظور فيه اما أولا فلان المفهوم من قوله حتى يستتب لك المصير الى نحو ما أشرت
اليه ان هناك مطلوبا لم يستتب المصير اليه لمانع واذا خير ما ذكره هما زال المانع واستتب له المصير
الى ما هو نحوه وقائم مقامه وعدم الجمع بين القسمين ليس أمرا مطلوبا بهذه الصفة عرض له مانع من المصير
اليه بل هو عدم مانع فى طريق المطلوب وهذا مما لا يشتبه على من له فى معرفة التراكيب وتقييد المعانى
قدم راسخ وصبر من قاطع واما ثانيا فلان لفظة نحو لا يبقى لها على هذا التفسير معنى أصلا لكونها
لا يخفى على من له أدنى مسكة وحملها على الكناية كما فى مثلك لا يبخل مما لا يلتفت اليه واما ثالثا فلان
قوله وبعد مار وا عن ابن عباس رضى الله عنهما ينبه فان المروى عنه لا يقصد عدم الجمع بين القسمين
بل لا تعلق له بذلك انما يقصد كونها مقسما بها (ولا يقال) انه يجعل لفظة نحو على العطف كما يظهر من
كلام غيره (لانا نقول) فحينئذ يصير المعنى واجعل الواو للعطف حتى يتم لك المصير الى العطف وذلك مما
بعد لغو وأيضا يبعده الوجه الاول لان العطف ليس مطلوبا بعينه بل وسيلة اليه وكذا الوجه الثالث
فان قول ابن عباس أقسم الله بهذه الحروف لا يتعلق بالعطف وتأييده أصلا على ان لفظة نحو عما انطاق على
المشابه والعطف مستلزم لعدم الجمع بين القسمين فهما لا مشابهة (قوله باضمار الباء) خصها بالاضمار
دون الواو والباء لاصالتها فى القسم وكثرة استعمالها فيه وقوله (لا بحذفها) اشارة الى ان المضمر يبقى
أثره دون المحذوف وقال هلا وانما نصب نصب قولهم الله لافعلن وقال هنا فقد جاء عنهم الله لافعلن
مجرور تنبيها على كثرة النصب بحذف الجار وقلة الجر باضماره (قوله لاه أبوك) أصله لله أبوك
أضمرت الجارة وحذفت الزائدة المدغمة فى الاصلية لئلا يلزم الابتداء بالساكن وقيل حذفت الاصلية
لان الزائدة محتاجة لمعنى فهى بالابقاء أولى وربما يقال حذفت الزائدة والاصلية معا وفتحت الجارة
وحينئذ لا تكون نظير الماعن فيه ومعنى لله أبوك مدح وتعجب أى هو لعظمته وغرابة شأنه مختص بالله

حتى يستتب لك المصير إلى نحو ما أشرت إليه (قلت) هذا لا يبعد عن الصواب ويعضده ما رووا عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال أقسم الله بهذه الحروف (فإن قلت) فما وجه قراءة بعضهم ص وق بالكسر (قلت) وجهها ما ذكرت من التحريك لالتقاء الساكنين والذي يبسط من عذر المحرك أن الوقف لما استمر بهذه الأسامي شاكلت لذلك ما اجتمع في آخره ساكنان من المبنيات فعوملت تارة معاملة الآن وأخرى معاملة هؤلاء (فإن قلت) هل تسوغ لي في المحكية مثل ما سوغت لي في المعربة من إرادة معنى القسم (قلت) لا عليك في ذلك وأن تقدر حرف القسم مضمرا في نحو قوله عز وجل حم والكتاب المبين كأنه قيل أقسم بهذه السورة وبالكتاب المبين إنا جعلناه وأما قوله صلى الله عليه وسلم حم لا ينصرون فيصلح أن يقضى له بالجر والنصب جميعا على حذف الجار وإضماره

الذي توحد بكمال قدرته عظائم الأمور العجيبة الشأن (قوله يستتب) أي يتم من التباب وهو الهلاك فإنه يتبع التمام ويردفه فكان ما تم يطلبه ومنه * إذا تم أمر دنا نقصه * (قوله أقسم الله بهذه الحروف) قال الفاضل اليمني وذلك لشرفها الإنها مباني كتب الله وأسمائه ويرد عليه أنه يستلزم أن يكون لهذه الأسماء حال كونها مسرودة على نمط التعديد أي مراد بها حروف المباني محل من الإعراب وقد نص المصنف على خلافه فالصواب عنده أن يحمل على الأقسام بهذه الكلمات حال كونها أعلام السور (قوله فما وجه قراءة بعضهم) أي ما ذكرته في قراءة الفتح من إضمار الجار مع كون الفواتح غير منصرفة لا يتأتى في قراءة الكسر ولا يمكن أيضا جعلها منصرفة لسكون وسطها والأكثر منونة فما وجهها أجاب بأن وجهها ما ذكرناه على سبيل الاحتمال في قراءة الفتح من التحريك للجد في الهرب من التقاء الساكنين فإنه متعين في هذه القراءة لا وجه لها غيره (قوله والذي يبسط من عذر المحرك) أي فتحا وكسرا وفي ذكر هذا البسط نوع تقوية لهذا الوجه أعني التحريك للجد في الهرب كيلا يتمسك بقراءة الكسر بل بالفتح أيضا على أن الأسماء قبل التركيب مبنية إذ لو كانت موقوفة لما حركت هذه الفواتح لالتقاء الساكنين فإنه مغتفر في الوقف سائغ وحاصل الاعتذار أن هذه الأسماء لكثرة استعمالها غير مركبة موقوفة ساكنة الأعجاز كأنها موضوعة على حالة لا تختلف فأشبهت بذلك تلك المبنيات التي يجتمع في آخرها ساكنان لو بقيت على السكون فعوملت معاملتها فتارة حركت بالفتح طلبا للخفة كالآن وتارة حركت بالكسر على ما هو الأصل في تحريك الساكن كهؤلاء (قوله هل تسوغ لي في المحكية) في ذكر التسويغ إشعار بضعف إرادة معنى القسم في الفواتح ومن ثم قال هذا لا يبعد عن الصواب وأيده بالأثر وقوله لا عليك أي بأس والمراد بالمعربة ههنا ما أدركه الإعراب كصاد وقاف ونون مفتوحات إذا قدرت مجرورة بإضمار الباء وبالمحكية ما يقابلها فيندرج فيها ما لا يتأتى فيه الإعراب كالمر فإنه يحكى على السكون وجوبا وما يتأتى فيه ذلك لكنه لم يعرب بل حكي على الحالة الوقفية سواء لم يغير عن سكونه كحم أو غير بالتحريك للجد في الهرب كصاد وقاف ونون في قراءة الكسر مطلقا وفي قراءة الفتح على وجه والضابط أن المحكية ما سكن آخره أو تحرك لالتقاء الساكنين في قسميها اللذين ذكرت على طريق الحكاية من غير حركة في الآخر وقد زلت قدمه (قوله لا عليك في ذلك) أي لا بأس عليك في حمل المحكية على إرادة معنى القسم منها وقوله أن تقدر عطف على قوله ذلك يعني إذا كان بعد المحكية مجرور مع الواو كقوله حم والكتاب المبين وجعلتها مقسما بها فقدرها مجرورة المحل بإضمار حرف القسم لا منصوبة بحذفه وإلا امتنع العطف للتخالف ولزم الجمع بين قسمين على شيء واحد وأما إذا لم يكن بعدها مجرور مع الواو كقوله صلى الله عليه وآله لا ينصرون فلك إذا جعلتها مقسما بها أن تحكم لها بالنصب والجر جميعا على حذف الجار وإيصال الفعل وإضماره إذ لا محذور في النصب حينئذ بل هو أولى لكثرته قال رحمه الله تعالى هذا التسويغ مختص بما يكون بعده قسم أو ما يصلح أن يكون جوابا للقسم وأما نحو الم ذلك الكتاب والم الله فلا تسويغ فيه ومنهم من عمم على حذف جواب القسم

(قال محمود رحمه الله فإن قلت فما وجه قراءة بعضهم ص وق بالكسر الخ) قال أحمد رحمه الله وهذا تحقق لك مخالفته لما نقلته من نص سيبويه من أنها غير متمكنة ويدلك على أن فتحها التي قال قبل إنها لالتقاء الساكنين فتحة بناء أنه إنما أراد السكون العارض في الحكاية لا سكون البناء وهو مخالف لنص سيبويه كما نبهت عليه أيضا (قال محمود رحمه الله هل تسوغ لي في المحكية إرادة القسم كما سوغت لي في المعربة الخ) قال أحمد رحمه الله وقد منع الزمخشري أن يكون ص منصوبا على القسم لما تقدم وأجاز أن يكون حم في الحديث المذكور منصوبة على القسم بخلاف حم في القرآن فتلك يتعين أن يكون نصبها على إضمار الفعل أو مجرورة على القسم وأما النصب مع القسم فلا يجيزه إلا في الحديث والفرق عنده أن المانع من إجازته في القرآن مجيء المعطوف بعده مخالفا له في الإعراب إذ المعطوفات

(فان قلت) فما معنى تسمية السور بهذه الالفاظ خاصة (قلت) كأن المعنى في ذلك الاشعار بأن الفرقان ليس الا كلما عربية معروفة التركيب من مسميات هذه الالفاظ كما قال عز من قائل قرآنا عربيا (فان قلت) فما بالها مكتوبة في المصحف على صور الحروف أنفسها لا على صور أساميها (قلت) لان الكلم لما كانت مركبة من ذوات الحروف واستمرت العادة متى تهجيت

نحو انه لحق لكن اللفظ لما لم يكن صريحا في القسم ليجعل دليلا على اقتضاء الجواب كان حذفه صحيحا جدا والتعويل في ذلك على ان كثيرا من المواضع قد عطف عليه قسم وذكر معه ما يصلح أن يكون جوابا لا يدفع ضعفه بل يصححه في الجملة وتمثيل المصنف في تجويز النصب والجر بما قول النبي صلى الله عليه وآله حم لا ينصرون دون نحو القرآن من نحو الم ذلك الكتاب لا ريب فيه لما اختاره رحمه الله أي التخصيص وذكر في الفائق ان حم لا ينصرون كان شعار قوم يوم الاحزاب وذلك اشارة الى ان السور المصدرة بالحواميم شأنها حقيقة بأن تنزل نصرة المؤمنين وفل شوكة الكفار فلو حم اسم منصوب بقول مضمر أي قولوا حم ولا ينصرون استئناف كأنه قيل ماذا يكون اذا قيل هذه الكلمة فقيل لا ينصرون واما قسم على حذف المضاف أي ورب حم ومنزل حم ولا ينصرون جواب القسم ولم يتعرض في الكشاف لتقدير المضاف اذ لا احتياج اليه لان القسم بالفواتح أنفسها وزعم بعضهم ان حم من أسماء الله تعالى أي اللهم لا ينصرون وتمسك بما ورد في المروي عن النبي عليه السلام يا كهيعص يا حم عسق قال رحمه الله تعالى هو وجه مستقل في الفواتح كلها لكنه ضعيف لان أسماءه تعالى تدل على معنى تعظيم وتنزيه وما أشبه ذلك علم ذلك بالاستقراء والفواتح لا تدل على شيء منها وما الدعاء فعلى تأويل يا رب أو يا منزل حم (قوله في معنى تسمية السور) أي قد تحقق بما ذكرت وفصلت ان الفواتح أسماء السور فما بال ما وجه تسميتها بهذه الالفاظ دون غيرها مع تساويهما فيما يقصد بالاعلام من الدلالة على المسمى وحاصل الجواب ان الوجه في ذلك الاشعار بأن القرآن ليس الا كلما عربية معروفة التركيب من مسميات هذه الالفاظ على قوانينهم فيكون فيه ايماء الى الاعجاز والتحدي على سبيل الايقاظ ووجه الاشعار ان الاولى في الاعلام المنقولة أن تراعى فيها ان أمكنت مناسبة بين معانيها الاصلية والعلمية عند التسمية ورعاية لاحظت تلك المناسبة حال الاطلاق بحسب المقامات ولما كانت السور كلها مركبة من حروف مخصوصة لها أسماء في لغة العرب وجعلت تلك الاسماء أعلاما للسور كان ذلك لتركبها من تلك الحروف على قاعدة اللغة التي هذه الاسماء منها فاذا أطلقت عليها لوحظ هذا المعنى لاقتضاء المقام اياه ولما كان القرآن نوعا واحدا من لغة واحدة كان الاشعار بكون بعض سوره منها عربية معروفة التركيب من مسميات هذه الالفاظ اشعارا بأن مجموعه كذلك وبه قال كان ولم يجزم لان رعاية المناسبة في الاعلام غير واجبة واقتصر على ذكر الاشعار بان الفرقان عربي واستشهد له ولم يذكر الايماء الى الايقاظ اعتمادا على ما سبق له من الوجه الثاني فانه قصد فيه اصالة بقصد في الاول تبعا كما نبهناك عليه ومن ثم توهم انه اراد مجرد الدلالة على كونه عربيا (قوله فما بالها) أراد ان هذه الالفاظ التي جعلت أعلاما للسور هي أسامي الحروف لا نفس الحروف وقياس الخط أن يكتب كل لفظ على صورته فلماذا خولف القياس ولم تكتب هذه الالفاظ على صورها أي أنفسها بل كتبت على صورة الحروف وقوله لا على صور أساميها أصله لا على صورها على ان الضمير لهذه الالفاظ كما في فما بالها فوضع الاسامي موضع ذلك الضمير وأضيف الى ضمير الحروف تصريحا بأن هذه الالفاظ أسامي الحروف فحقها أن تكتب على صورة الاسامي والجواب بوجوه الاول ان الكلم كلها مركبة من ذوات الحروف لا من أسمائها وذلك يقتضي كثرة وقوع صور الحروف في الخط واعتياد الكاتب بها دون صورة أساميها وانضم الى ذلك انه استمرت العادة بأنه اذا أريد ان يؤمر بتصوير ذوات الحروف تهجى أي تعدد تلك الحروف بأساميها فيقال له مثلا اكتب ألف با تا فيكتب ا ب ت فيقع في التلفظ الاسماء وفي

كلها محصورة ويتعذر عده القسم في التوالي نحو فاصل جمع قسمين على مقسم واحد ولا كذلك الحديث فانه لم يات بعده ما يأباه فذلك شرط جواز هذا الوجه بالحديث وأما على الوجه الذي أوجبته فيجوز ذلك في القرآن والحديث جميعا (قال محمود رحمه الله فان قلت فما بالها مكتوبة في المصحف على صورة الحروف الخ) قال أحمد رحمه الله على هذا المعنى من خروج خط المصحف عن قياس الخط اعتمد القاضي رضي الله عنه في كتاب الانتصار في الجواب عما نقل عن عثمان رضي الله عنه أن عكرمة لما عرض عليه المصحف وجد فيه حروفا من اللحن فقال لا تغيروها فان العرب ستقيمها بألسنتها لو كان الكاتب من ثقيف والمملي من هذيل لم يوجد فيه هذه الحروف قال القاضي وانما قال عثمان رضي الله عنه ذلك لان ثقيفا كانت أبصر بالهجاء وهذيلا كانت تظهر الهمزة والهمزة اذا ظهرت في لفظ المملي كتبها الكاتب

ومتى قيل للكاتب اكتب كيت وكيت أن يلفظ بالاسماء وتقع فى الكتابة الحروف أنفسها عمل على تلك الشاكلة المألوفة فى كتابة هذه الفواتح وأيضا فان شهرة أمرها واقامة ألسن الاسود والاحمر لها وان اللافظ بها غير متهجاة لا يحلى بطائل منها وان بعضها مفرد لا يخطر ببال غير ما هو عليه من مورده أمنت وقوع اللبس فيها وقد اتفقت فى خط المصحف أشياء خارجة عن القياسات التى بنى عليها علم الخط والهجاء ثم ما عاد ذلك بضير ولا نقصان لاستقامة اللفظ وبقاء الحفظ وكان اتباع خط المصحف سنة لا تخالف

الكتابة الحروف أنفسها فكتب مكانه ما قيل لكاتب الفواتح كتب ألف لام ميم مثلا عمل على تلك الطريقة المألوفة من ذوات الحروف على ما هو قاعدة للتأليف تنبيها على هذا الضمير فى تهجيت راجع الى الحروف وقد يتوهم رجوعه الى الكلام والمعنى انه اذا أريد ان يؤمر بتصوير الكلام تتهجى حروفها على الترتيب فيقال فى الامر بتصوير ضرب مثلا اكتب ضاد را با فيكتب هكذا ضرب وفيه انه لا تصح حينئذ دعوى استمرار العادة بذلك فان التلفظ بنفس الكلام فى الامر بكتابته أكثر من ان تتهجى حروفه (قوله ومتى قيل للكاتب) عطف يجرى مجرى التفسير لقوله متى تهجيت وكيت وكيت كناية عن الحروف وان يلفظ متعلقة باستمرت وعمل جواب له وهو مسند الى الظرف الذى بعده والشاكلة الطريق والجهة (قوله وأيضا) اشارة الى الوجه الثانى وحاصله انه اختير فى كتابة الفواتح ما هو أخف وأختصر أعنى صور الحروف أنفسها من الالتباس ولا شبهة فى التلفظ فى أوائل تلك السور هى الاسامى دون الحروف والسبب فى عدم الاشتباه أمور الاول شهرة أمر الفواتح واقامة ألسن العرب والعجم بها والثانى ان التلفظ فى الفواتح بالحروف أنفسها لا أسمائها عارعن الفائدة فان حروف المبانى لا معانى لها أصلا بخلاف أسمائها ﴿لا يقال﴾ ربما يتوهم من تلك الحروف فى الفواتح أنها مستعملة كأم فى الم وحم فى حم ﴿لانا نقول﴾ المقصود الامن من وقوع اللبس بذوات الحروف لتقارنها أى الحروف وأسمائها الى كلمة مركبة منها فانه مستفاد منها ولو حصل فى الامن من الالتباس مطلقا فيحصل التلفظ بالفواتح لا على وجه تعدد حروفها المكتوبة أسمائها لا يشتمل على كبير فائدة اذ لا يحصل منها الا ألفاظ تفيد معانيها لا يعتد بها الثالث ان بعض الفواتح مفرد لا يخطر ببال أحد غير مورده وهو ان يلفظ باسم الحرف كصاد وقاف ودال ولما كانت الفواتح من نسق واحد لم يبق شبهة فى الباقى وتخاص المفردات بعدم الاختلاط بها اذ لا يتوهم منها الفاظ موضوعة لمعنى فى بعض المركبات ولو كانت ق مثلا أمرا من الوقاية لكتبت بالهاء فقوله واقامة عطف على شهرة تجرى مجرى التفسير له (قوله وان اللافظ بها وان بعضها) عطف على اسم ان ويجوز عطف أن المفتوحة مع ما فى حيزها على اسم ان المكسورة وان لم يجز نقع اسمها بلا فصل وضمير بها راجع الى الفواتح المصورة بصورة الحروف وغير متهجاة حال منه أى غير معددة حروفها المكتوبة باسمائها وذلك بان يؤتى بالحروف أنفسها (قوله لا يحلى بطائل) أى لا يحظى بفائدة فى الاساس ما حليت منه بطائل أى بفائدة وقال الجوهرى لم يحل منه بطائل أى لم يستفد منه كبير فائدة ولا يتكلم به الا مع الجحد أى النفى وقوله لا يحلى بضم الياء وكسر اللام وفاعله ضمير راجع الى مفرد فى جملة صفة له أو الى بعض فالجملة خبر ثان وضمير هو ومورده للبعض وضمير عليه لما وأمنت خبر لقوله فان شهرة وما عطف عليه (قوله وقد اتفقت) اشارة الى الوجه الثالث أى لا يجب فى كتبت الفواتح الى اعتذار فان خط المصحف خالف القياس فى مواضع كثيرة وليس فى ذلك مضرة لحصول المقصود من الكتابة وهو استقامة الالفاظ وبقاؤها محفوظة على حالها والخط تصوير اللفظ بحروف هجائية وقد عرفت ان الهجاء فى أصله تعديد الحروف بأسمائها لكنه استعمل فى تصوير الحروف ههنا وعطفه على الخط كالتفسير له على ان علم تصوير الالفاظ وتصوير الحروف وقوله (سنة) أى طريقة مسلوكة لا تخالف وقد حكم مالك رحمه الله تعالى بحرمة مخالفة فيما يقصد به البقاء كالمصاحف وأما ما لا يقصد به الا التفهيم كلوح الصبيان ومن يجرى مجراه فيجوزان

على صورتها اذا أراد عثمان رضى الله عنه الآن تلك الحروف كتبت على خلاف قياس الخط مثل كتابة الصلوة والزكوة بالواو لا بالالف قال القاضى وانما أخذ الله على الحفظة ان لا يغيروا التلاوة وأما الخط فلم يأخذ عليهم وربما بينه حتى لا يسوغ الخروج من قياس رسم خاص من رسوم الخط انه كلامه

قال عبد الله بن درستويه فى كتابه المترجم بكتاب الكتّاب المتمم فى الخط والهجاء خطان لا يقاسان خط المصحف لانه سنة وخط العروض لانه يثبت فيه ما أثبته اللفظ ويسقط عنه ما أسقطه والوجه الثانى أن يكون ورود هذه الاسماء هكذا مسرودة على نمط التعديد كالايقاظ وقرع العصا لمن تحدى بالقرآن وبغرابة نظمه وكالتحريك للنظر فى أن هذا المتلو عليهم وقد عجزوا عنه عن آخرهم كلام منظوم من عين ما ينظمون منه كلامهم ليؤديهم النظر الى أن يستيقنوا أن لم تتساقط مقدرتهم دونه ولم تظهر معجزتهم عن أن يأتوا بمثله بعد المراجعات المتطاولة وهم أمراء الكلام وزعماء الحوار وهم الحراص على التساجل فى اقتضاب الخطب والمتهالكون على الافتنان

(قال محمود رحمه الله الوجه الثانى أن يكون ورود هذه الاسماء هكذا مسرودة على نمط التعديد الخ) قال أحمد رحمه الله انما أردت هذا الفصل فى كلام الزمخشرى لانه غاية الصناعة ومنتهى البراعة لولا الاخلال بالطبعة لو سلكها لتمت فصاحته وهى انه بنى أول الكلام على الدق وطول فيه حتى انتهى الى الاثبات فكان أول الكلام وهى الآخر يفهم على الضد حتى ينتهى على ما هذه وكانتقد على أبى الطيب قوله فى الخيل

ولا ركبت بها الا الى ظفر
ولا وصلت بها الا على أمل

فانه صدّر الصدر والعجز بما صورته الدعاء على المخاطب فى العرض مستدركا بعد وانتقد أحدهما مثل أبى الطيب والزمخشرى لان لهما فى مراتب الفصاحة علوا يفطن السامع لمثل هذا النقد

لا تكتب على قانون الخط (قوله بكتاب الكتاب) أى كتاب الكتبة قال الفاضل اليمنى وفى بعض النسخ الكتّاب بالتشديد وخط المصحف وخط العروض مبتدا خبره خطان لا يقاسان قدم عليه تشويقا ولو جعل خطان لا يقاسان مبتدا خبره محذوف أى هو أولما كان أوفق فى المعنى ﴿ق والقلم﴾ لما دخل سؤال كتابة المجموع على صورة الحروف بتقدير كونها أسماء السورة ﴿ق ن﴾ لانه اذا أريد بها التعديد لحروف التهجى أو الاعراب لم يستبعد كتابتها على صورها لان المعتاد فى الهجاء أن تكتب ذوات الحروف وبناؤها على اسمائها كما عرفت فى الوجه الاول من الجواب (قوله هكذا) قيل صفة مصدر محذوف أى ورودا هكذا ومسرودة حال والاولى انه حال أى كائنة على الهيئة التى وردت عليها ومسرودة بدل منه أو بيان لها وكالايقاظ خبر ليكون وقرع العصا كناية عن التنبيه وأصله ان عامر بن الظرب العدوانى كان أحد فرسان العرب وحكامهم لا يعدل بفهمه فهم فلما طعن فى السن أنكر من عقله فقال لابنته اذا كبرت سنى وعرض لى سهو فاذا رأيتنى خرجت من كلامى وأخذت فى غيره فاقرعى لى العصا فقيل ان العصا قرعت لذى الحلم (قوله وكالتحريك) عطف على الايقاظ على معنى انه قصد ورودها هكذا ايقاظهم وازالة نومهم وغفلتهم عن حال القرآن وتحريكهم للنظر فيما يؤدى الى معرفة انه كلام الله تعالى (قوله وقد عجزوا) حال عن الضمير المجرور فى عليهم أو من المرفوع المستكن فى المتلو (قوله عن آخرهم) صفة مصدر محذوف أى عجزا صادرا عن آخرهم وهو عبارة عن الشمول والاستيعاب فان العجز اذا صدر عن الآخر فقد صدر أولا عن الاول وقيل معناه عجزا متجاوزا عن آخرهم فيدل على شموله اياهم وتجاوزه عنهم وهو أبلغ من نسبة العجز الى كلهم ورد بان التجاوز بمعنى التعدى والمجاوزة يتعدى بنفسه والذى يتعدى بعن معناه العفو ويمكن ان يدفع بتضمين معنى التباعد عنه وبان المقام ادل بحال القصد العفو وقيل يتعدى بكلمة عن أيضا الورود واستعماله عن يؤذن به وقيل عجزا صادرا عن آخرهم الى أولهم ورد بان مقابل الى هو من لا عن (قوله ليؤديهم) تعليل للتحريك (والمقدرة) بضم الدال وفتحها وكسرها القدرة (والمعجزة) بفتح الجيم وكسرها العجز (ودونه) أى دون هذا المتلو فى أدنى مكان وسيأتى تحقيقه ان شاء الله تعالى (وبعد المراجعات) ظرف ليأتوا (وهم أمراء الكلام) حال من المضاف اليه فى معجزتهم والعامل هو المضاف أى عجزوا وهم على صفة تنافى عجزهم وذلك له مدخل فى الاستيقان لا من فاعل يأتوا لفساد المعنى ويجوز ان يجعل حالا من الفاعل المقدر للمراجعات فانه يؤكد عجزهم وأما كونه حالا من الضمير المجرور فى مقدرتهم ومعجزتهم على ان العامل هو الفعل الذى قام بجمع لوجاز حذف المضاف وأقام المضاف اليه مقامه ففى ملة ابراهيم حنيفا وتقدير لن يسقطوا عن القدرة ولم يظهروا أى شئ العجز تكلف جدا (قوله وزعماء الحوار) أى رؤساء المكالمة والمحاورة (قوله وهم الحراص) وصفهم بكمال الارادة بعد وصفهم بكمال القدرة فكرر المسند اليه تنبيها على انه صفة أخرى تستحق ان تلاحظ معها الذات ويثبت لها استقلالا (والتساجل) التفاخر بان يصنع مثل صنعه وأصله من السجل أى الدلو والمغالبة فى مائه (واقتضاب) الكلام ارتجاله (والمتهالك) على الشئ المبالغ فى الحرص عليه كانه يهلك من نفسه لا لكلمته وذلك بيان لمزيد اهتمامهم بالنطق فقال افتن الرجل فى حديثه وفى خطبته اذا جاء بالافانين

في القصيد والرجز ولم يبلغ من الجزالة وحسن النظم المبالغ التي بزت بلاغة كل ناطق وشقت غبار كل سابق ولم يتجاوز الحد الخارج من قوى الفصحاء ولم يقع وراء مطامح أعين البصراء إلا لأنه ليس بكلام البشر وأنه كلام خالق القوى والقدر وهذا القول من القوة والخلافة بالقبول بمنزل والناصر له على الأول أن يقول إن القرآن إنما نزل بلسان العرب مصبوبا في أساليبهم واستعمالاتهم والعرب لم تتجاوز ما سموا به مجموع اسمين ولم يسم أحد منهم بمجموع ثلاثة أسماء وأربعة وخمسة والقول بأنها أسماء السور حقيقة يخرج إلى ما ليس في لغة العرب ويؤدي أيضا إلى صيرورة الاسم والمسمى واحدا

(والقصيد) جمع قصيدة من الشعر كالسفين والسفينة وفي الأساس أصله من القصيد وهو المخ المتكسر الذي يتقصد أي يتكسر لسمنه ما استخرج من قصبته فنقلوه إليه وسموه به كما استعير السمين للجزل من الكلام والغث للردي وقيل هو فعيل بمعنى مفعول فإن الشاعر يقصده لينقحه ويحرره (والرجز) ضرب من الشعر سمي به لتقارب أجزائه وقلة حروفه وتصور اضطراب في اللسان عند إنشاده من الرجز وهو داء يصيب الإبل في أعجازها فإذا ثارت الناقة ارتعشت فخذاها ساعة ثم تنبسط يقال رجز البعير بالكسر رجزا فهو راجز وناقة رجزاء (قوله ولم يبلغ) أي هذا المتلو عطف على لم يتساقط وقوله (من الجزالة) إما بيان للمبلوغ أي من أحدها وإما حال من المبالغ وهي المراتب التي تبلغ إليها وأيا ما كان فهو إشارة إلى أن إعجاز القرآن بلاغته وجزالة معانيه وفخامته وحسن نظمه وعبارته (وبزت) أي غلبت (قوله وشق الغبار) كناية عن الوصول والسبق وهو من قول قصير لجذيمة فاركب العصا فإنه لا يشق غباره لأن قصيرا كنى عن السبق بعدم شق الغبار وهو ظاهر نفسه والمصنف رحمه الله تعالى كنى عنه بشقه ولم يظهر عقوبته (والمطامح) من طمح بصره إلى الشيء ارتفع وطمح إليه ببصره إذا رفعه إليه ولا يخفى أن تجاوز القرآن الحد الخارج ووقوعه وراء المطامح يدل على إعجازه من بلوغ تلك المبالغ (قوله إلا لأنه) استثناء من قوله لم يتساقط وما عطف عليه من المنفيات أي لم يكن سقوط المقدرة ولا ظهور العجز ولا البلوغ إلى غاية الجزالة ولا تجاوزه الحد الخارج عن قوى أرباب الفصاحة ولا وقوعه وراء ما تقع إليه أعين أرباب البلاغة لشيء من الأشياء إلا لأنه (قوله وهذا القول) قال رحمه الله تعالى في جعل اسم الإشارة مبتدأ ووصفه بالقول واستعمل لفظ القوة ثم لفظ الخلافة المنبئة عن كونه مخلوقا للقبول ونكر الخبر أي كونه بمنزلة دلالة على أنه أرجح من الأول وذلك من وجوه الأول أنه أوفق بلطائف القرآن ورموز إشاراته وأليق بأساليبه ووجوه اختصاراته الثاني أن الأصل عدم النقل الثالث أن المقصود من الأعلام غير مسمياتها وأكثر الفواتح تشترك فيها عدة من السور كالم الرابع أن التسمية بأسماء منثورة على وجه التعديد لم توجد في كلامهم وما ذكره سيبويه مجرد قياس الخامس أن ارتكاب الحكاية فيما عدا وقوعها في التركيب المقتضي للإعراب مخالف للظاهر وما ذكرناه في توجيهها مجوز لها في الجملة هذا وفرع الأول على الثاني بأن العلمية أكثر فائدة ويستفاد منها الإيقاظ أيضا كما مر وبأن اختيارها موافقة للجمهور والجواب عن الأول أن الإيقاظ مع العلمية تبع غير لازم وهما على تقدير التعديد مقصود أصالة وعن الثاني أن قولهم مؤول على ما سيأتي على أن المتبع هو الدليل لا كثرة القائلين وأما الوجه الثالث فهو قريب من الثاني وقد بعد من توابعه وفوائده وإيراده في الأول لا يخلو عن تكلف (قوله من القوة) إما حال من المجرور مع تقدمها عليه وإما صفة لمحذوف يفسره قوله بمنزلة (قوله لم يتجاوز) تذكير الفعل على أن ما سموا به فاعله ومجموع اسمين مفعوله ويروى بتأنيثه على معنى لم تتجاوز العرب فيما سموا به مجموعهما (قوله حقيقة) احتراز عما سيأتي من القول بأنها أسماء للسور مجازا أي يطلق عليها أسماؤها على سبيل المجاز لمشابهتها الأعلام فيما يقصد بها من إفادتها التمييز (قوله إلى ما ليس في لغة العرب) أي من التسمية بثلاثة أسماء كالم وبأربعة كالمر وبخمسة كحمعسق (قوله ويؤدي أيضا) محذور آخر وتوجيه الأول على ما توهم أن الجزء لا يغاير كله والإغاير جميع أجزائه فكان

فإن اعترضت عليه بأنه قول مقول على وجه الدهر وأنه لا سبيل إلى رده • أجابك بأن له محملا سوى ما يذهب إليه وأنه نظير قول الناس فلان يروي قفا نبك وعفت الديار ويقول الرجل لصاحبه ما قرأت فيقول الحمد لله وبراءة من الله ورسوله ويوصيكم الله في أولادكم والله نور السموات والأرض وليست هذه الجمل بأسامي هذه القصائد وهذه السور والآي وإنما تعني رواية القصيدة التي ذاك استهلالها وتلاوة السورة أو الآية التي تلك فاتحتها فلما جرى الكلام على أسلوب من يقصد التسمية واستفيد منه ما يستفاد من التسمية قالوا ذلك على سبيل المجاز دون الحقيقة وللمجيب عن الاعتراض على الوجه الأول أن يقول التسمية بثلاثة أسماء فصاعدا مستنكرة لعمري وخروج عن كلام العرب ولكن إذا جعلت اسما واحدا على طريقة حضرموت فأما غير مركبة منثورة نثر أسماء العدد فلا استنكار فيها لأنها من باب التسمية بما حقه أن يحكى حكاية كما سموا تأبط شرا وبرق نحره وشاب قرناها وكما لو سمي بزيد منطلق أو بيت شعر وناهيك بتسوية سيبويه بين التسمية بالجملة والبيت من الشعر وبين التسمية بطائفة من أسماء حروف المعجم دلالة قاطعة على صحة ذلك وأما تسمية السورة كلها ببعضها فلست بتصيير الاسم والمسمى واحدا لأنها تسمية مؤلف بمفرد والمؤلف غير المفرد ألا ترى أنهم جعلوا اسم الحرف مؤلفا منه ومن حرفين مضمومين إليه كقولهم صاد فلم يكن من جعل الاسم والمسمى واحدا حيث كان الاسم مؤلفا والمسمى مفردا • الوجه الثالث أن ترد السور مصدرة بذلك ليكون أول ما يقرع الأسماع مستقلا بوجه من الإعراب

مغاير لنفسه وكون الاسم متحدا مع المسمى باطل لأن الشيء لا يكون علامة موضوعة لنفسه (قوله فإن اعترضت عليه) أي على ناصر الوجه الثاني بأنه أي بأن القول بكونها أسماء للسور مقول على وجه الدهر أي مشهور فيما بين الناس وقد صار شبيهه في الحطابة لا سبيل إلى رده لشهرته وقربه من الإجماع (قوله سوى ما يذهب إليه) من كونها أسماء لها حقيقة ويذهب على الخطاب وفي بعض النسخ بالغيبة على صيغة ما لم يسم فاعله (قوله على طريقة حضرموت) أي على وجه المزج والتركيب بحيث يصير المجموع اسما واحدا يصح أن يجري الإعراب على آخره (غير مركبة) أي غير مجعولة اسما واحدا على الطريقة المذكورة وهو نصب على الحال و (منثورة) بدل منه أو بيان له وتقدير الكلام فأما التسمية بها أي ثلاثة أسماء فصاعدا حال كونها غير مركبة وقيل معمولا وتقديره فأما إذا جعلت غير مركبة وبعده بحسب المعنى (قوله وناهيك بتسوية سيبويه) أي حسبك وكافيك تسويته وهو اسم فاعل من أنهى كأنه ينهاك عن تطلب دليل سواه يقال زيد ناهيك من رجل أي هو ينهاك عن غيره بجده وغنائه عن طلب غيره وتحول الى المطر إلى ما آل المعنى كأنه قيل اكتف بتسويته (قوله دلالة قاطعة) نصب على التمييز من ناهيك (قوله والمؤلف غير المفرد) أي فهما متغايران فالمقصود أنه لا يلزم من تسمية المؤلف بالمفرد اتحاد الاسم مع المسمى كما لا يلزم ذلك من عكسه في أسماء الحروف والشبهة مندفعة لأن مغايرة الشيء لآخر لا تستلزم مغايرته لكل جزء منه حتى يلزم ذلك المحذور وأما أن الجزء قد يطلق عليه الغير فهو اصطلاح مخالف للعرف واللغة والكلام فيما ليس مبنيا على الاصطلاح ﴿لا يقال﴾ جزء الشيء متقدم عليه واسمه متأخر عنه فلا يكون جزء الشيء اسما له وإلا لكان متقدما عليه ومتأخرا عنه ﴿لأنا نقول﴾ ذات الجزء متقدم على ذات الكل في الوجود العيني والعقلي وأما ذات الاسم فلا يجب تأخره عن ذات المسمى في شيء منهما بل ربما كان جزءا للمسمى كما في المواضع فيجب تقدمه وربما كان بخلافه كما في أسماء الحروف فيجب تأخره عنها وربما لم يكن شيئا منهما فلا يوصف بالتقدم والتأخر بالقياس إلى مسماه ﴿نعم﴾ وصف الاسمية متأخر عن ذات المسمى مطلقا ﴿فإن قيل﴾ وقوعها أجزاء السور من حيث إنها أسماء لها فإذا كانت الاسمية متأخرة يلزم تأخر الجزء ﴿قلنا﴾ يلزم من ذلك تأخر وصف الجزئية عن ذات الكل ولا محذور فيه (قوله ليكون أول ما يقرع الأسماع) أي من السور المصدرة بها مستقلا أي مستبدا بوجه من الإعراب أي مستبدا به غير محتاج

ومقدمة من دلائل الإعجاز وذلك أن النطق بالحروف أنفسها كانت العرب فيه مستوية الأقدام الأميون منهم وأهل الكتاب بخلاف النطق بأسامي الحروف فإنه كان مختصا بمن خط وقرأ وخالط أهل الكتاب وتعلم منهم وكان مستغربا مستبعدا من الأمي التكلم بها استبعاد الخط والتلاوة كما قال عز وجل وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذا لارتاب المبطلون فكان حكم النطق بذلك مع اشتهار أنه لم يكن ممن اقتبس شيئا من أهله حكم الأقاصيص المذكورة في القرآن التي لم تكن قريش ومن دان دينها في شيء من الإحاطة بها في أن ذلك حاصل له من جهة الوحي وشاهد بصحة نبوته وبمنزلة أن يتكلم بالرطانة من غير أن يسمعها من أحد * واعلم أنك إذا تأملت ما أورده الله عز سلطانه في الفواتح من هذه

فيه إلى ما بعده من الكلام يقال أغرب الرجل إذا جاء بشيء غريب (قوله ومقدمة من دلائل الإعجاز) أي أمارة فيه إشارة إلى أن المقصود من الإغراب في أوائل السور أن يكون دليلا على إعجاز ما يرد بعدها ومقدمة منبهة عليه فالفواتح على الوجه الثاني قصد بها التنبيه على أن هذا المتلو أي القرآن المتركب من الحروف التي يتركب منها كلامهم عن فرط عجزهم ليس إعجازه ببلاغته الفائقة إلا لكونه من الله وعلى الوجه الثالث قصد بها التنبيه على أنها باستقلالها بوجه من الإغراب من الافتتاح من حيث صدورها عمن لا يتوقع منه أمارة على أن الكلام الوارد بعدها معجز بالنسبة إلى حال من ظهر على لسانه فيكون تكلمه بما يستغرب منه دلالة على كون تكلمه بما بعده معجزا والوجهان حينئذ مدارهما إلى ما ذكر من قوله تعالى فأتوا بسورة من مثله من أن الضمير له أو لعبدنا وقد يجعل الإعجاز المشار إليه بالإغراب إعجاز المنزل إليه متصفا أو في نفسه وقد لوحظ ههنا حال المتكلم المنزل عليه في إغراب الفواتح كما لوحظ هناك حالة إعجاز ما نزل عليه والأول أحسن وأنسب واعترض صاحب التقريب بأن النطق بأسامي الحروف لا إغراب فيه لأنه يمكن تعلمه ولو بسماع من صبي في أقصر مدة فليس في النطق بها إغراب وتقدمة لأمارة إعجاز وأجيب بأنه وإن كان في نفسه ممكنا إلا أن صدوره عمن اشتهر أنه لم يسمع ولم يقتبس من قوم أميين ولم يخالط أحدا ممن قرأ وخط مستغرب قطعا وقيل إن قوله واعلم الخ من تتمة هذا الوجه وجواب لهذا السؤال بأن المستغرب هو النطق بأسامي الحروف مع رعاية تلك اللطائف التي لا يمكن رعايتها من الأمي إلا بالوحي لا بمجرد التلفظ بها ورد بأن صريح كلام المصنف دل على أن المستغرب هو النطق بأسامي الحروف مطلقا لا النطق بالأسامي المخصوصة مع الاشتهار بعدم الاقتباس وأيضا المقصود بيان الفائدة في كل فاتحة وتلك الرعاية إنما هي في الفواتح بأسرها وأيضا لا يفهمها إلا ماهر في أوصاف الحروف وأحوالها بعد تأمل بليغ ورب عالم يعجز عنه فهل المصنف أحد من حذاق العلماء المتبحرين في معرفة أحوال الحروف فضلا أن يعجز عنه غيرهم فكيف يكون أول ما يقرع أسماع المخاطبين بها مستقلة بوجه من الإغراب وتقدمة من دلائل الإعجاز وأيضا جعل المصنف نتيجة ما فصله قوله اعلم أن الله تعالى عدد على العرب الألفاظ التي تركب منها كلامهم تبكيتا لهم وإلزاما للحجة عليهم بأن المتحدى به مؤلف منها لا من غيرها فليس إعجازه إلا لكونه من الله تعالى يدل على أنه مزيد تحقيق وتفصيل بالوجه الثاني المختار عنده وإن أمكن أن يجعل تأييدا لاختيار التسمية بهذه الألفاظ المخصوصة وتقوية للإغراب في النطق بها وحدها نظرا إلى جميعها وبالجملة فدعوى اختصاصه بالوجه الثالث لا وجه لها (قوله وأهل الكتاب) أراد به أهل الكتابة (قوله كما قال تعالى) استشهاد معنوي يدل على أن كونه أميا لا يتلو ولا يكتب ينفي الارتياب ويقلعه من أصله إذ لا يتصور منه الإتيان بمثل القرآن ولو كان يتلو كتابا ويخطه بيمينه لكان للمبطل في ارتيابه شبهة يتعلق بها وكذا أسماء الحروف يستغرب من الأمي التكلم بها لا من غيره (قوله في أن ذلك) يتعلق بقوله وكان حكم النطق بذلك حكم الأقاصيص أي كحكمها في أن ذلك الخ وهو وجه التشبيه وقوله (وبمنزلة أن يتكلم) عطف على حكم الأقاصيص أي كان النطق بذلك (بمنزلة أن يتكلم بالرطانة) أي العجمية بفتح الراء وكسرها وقيل عطف على

(قال محمود رحمه الله واعلم أنك إذا تأملت ما أورده الله عز سلطانه في الفواتح من هذه الأسماء وجدتها نصف أسامي حروف المعجم الخ) قال أحمد رحمه الله بقي عليه من الأصناف الحروف الشديدة وقد ذكر تعالى نصفها الهمزة المعبر عنها بالألف والكاف والقاف والطاء والمطبقة وقد ذكر تعالى نصفها الصاد والطاء والمنفتحة وقد ذكر نصفها الألف والحاء والراء والسين والعين والقاف والكاف واللام والميم والنون والهاء والياء وحروف الصفير لما كانت ثلاثا السين والصاد والزاي لم يكن لها نصف فذكر منها اثنين السين والصاد وتلك العادة المألوفة فيما يقصد إلى تنصيفه فلا يمكن فيه الكسر ألا ترى طلاق العبد وعدة الأمة ونحو ذلك والحروف اللينة وهي ثلاثة الألف والياء والواو وذكر منها اثنين الألف والياء كحروف الصفير والمكرر وهو الراء والهاوي وهو الألف والمنحرف وهو اللام وقد ذكرها ولم يبق من أصناف الحروف خارجا عن هذا النمط إلا

الاسماء وجدتها نصف أسامي حروف المعجم أربعة عشر سواء وهي الالف واللام والميم والصاد والراء والكاف والهاء والياء والعين والطاء والسين والحاء والقاف والنون في تسع وعشرين سورة على عدد حروف المعجم ثم اذا نظرت في هذه الاربعة عشر وجدتها مشتملة على أنصاف أجناس الحروف بيان ذلك أن فيها من المهموسة نصفها الصاد والكاف والهاء والسين والحاء ومن المجهورة نصفها الالف واللام والميم والراء والعين والطاء والقاف والياء والنون ومن الشديدة نصفها الالف والكاف والطاء والقاف ومن الرخوة نصفها اللام والميم والراء والصاد والهاء والعين والسين والحاء والياء والنون ومن المطبقة نصفها الصاد والطاء ومن المنفتحة نصفها الالف واللام والميم والراء والكاف والهاء والعين والسين والحاء والقاف والياء والنون ومن المستعلية نصفها القاف والصاد والطاء ومن المنخفضة نصفها الالف واللام والميم والراء والكاف والهاء والياء والعين والسين والحاء والنون ومن حروف القلقلة نصفها القاف والطاء

حاصل فيندرج في وجه الشبه (قوله أربعة عشر) سواء جعل أسامي الحروف ثمانية وعشرين مع ان الحروف تسعة وعشرون كما صرح به بناء على ان الالف تتناول المدة والهمزة ومن ثمة قيل ان الالف اما ساكنة أو متحركة والف الوصل تسقط في الدرج والالف واللام للتعريف وقد مر قول المصنف في بسم الله ﴿فان قلت﴾ لم حذف الالف في الخط وبينا انهم استعملوا اسم الهمزة بل المتحركة عن الساكنة ولذلك لم يذكر الهمزة في التهجي بل اقتصر على الالف ولم تستثن عن حكم تصدير الاسم بالمسمى فأربعة عشر نصف الاسامي تحقيقا وان قال هو أي وجدتها نصفها سواء بلا زيادة عليه ولا نقصان عنه دفعا لتوهم كون الاسماء على عدد المعجمات وقيل الاسم الا بمناسبة وعشرون الا انه أراد نصفه تقريبا لامتناع اعتبار الكسر كما في المستعلية وحروف القلقلة وسواء صفة لاربعة عشر تأكيد لا حال او تأكيد من نصف الاسامي ولا من ضمير وجدتها اي مستوية أو متساوية للنصف لا زائدة ولا ناقصة وصفة لا يخفى وقال رحمه الله تعالى الهمزة والالف حرف واحد عند الفقهاء وحرفان في عرف العامة حيث قال نصف الاسامي أربعة عشر بناء على الاول وحيث أظهر المناسبة بين أعداد السور والحروف بناء على الثاني فنبه على الطرفين في ضمن ذكر فائدتين ولا خفاء في انه تأويل لا ضرورة في ارتكابه ﴿وان قلت﴾ قوله الا الالف وتوهم استعمار والهمزة مكان مسماها الا انه لا يكون الا ساكنا دل على اختصاص الالف بالمدة فاما الساكنة أبدا وان الهمزة مغايرة لمسماها ﴿قلت﴾ قد مر هناك أن استثناء الالف انما هو باعتبار أحد مسمييه فقط أعني الساكنة وأما ههنا فقد اعتبرت من حيث انه اسم لهما مشتركا بينهما (قوله ثم اذا نظرت) أي بعد ان عرفت ان المورد في الفواتح نصف الاسامي على عدد الحروف اذا نظرت في هذا النصف وجدته مشتملا على أنصاف أسماء أجناس الحروف اما تحقيقا كما في المهموسة فانها عشرة مجموعة في قولك ستشحثك خصفه وقد عد منها خمسة وكما في المجهورة التي هي ما عداها فان أسماء حروفها ثمانية عشر وان كانت هي تسعة عشر وقد ذكرها تسعة وكما في الشديدة المجموعة ثمانية في أجدك قطبت وقد أورد منها أربعة وكما في الرخوة المغايرة لما يقابل الشديدة فان أسماء حروفها عشرون ان اختص الالف بالهمزة اختص بالشديدة كما يظهر من كلامه وقد ذكر منها عشرة وكما في المطبقة المنحصرة في أربعة وقد عد منها اثنان وكما في المنفتحة وهي التي تقابلها فان أسماءها أربعة وعشرون والمورد منها اثنا عشر واما تقريبا كما في المستعلية فانها سبعة لا نصف لها صحيحا فاقتصر منها على ثلاثة وتدورك هذا النقصان في أسماء المنخفضة التي تقابلها فذكر منها احدى عشر وترك عشرة وكما في حروف القلقلة المجتمعة في قد طبج والمذكور منها اثنان ثم أراد بأجناس الحروف أكثرها لان المذكور في حروف الذلاقة ستة مجموعة في قولك مر بنفل وقد ذكر من هذا أربعة بعد الاكثر منها ونقص من المصمتة المقابلة لها فجيء من أسمائها بعشرة من اثنين وعشرين وحروف الصفير ثلاثة ذكر منها اثنان الصاد والسين وقد ذكر أيضا ما لا عدد له نصفه كالمكرر والمنحرف قال رحمه الله تعالى ولذا كان الفي مكثورا

ما بين الشديدة والرخوة فانه لم يقتصر منها على النصف لان ما ذكر منها زائد على النصف تدرج في غيرها من الاصناف فيمكن الاقتصار لها كالشديدة والرخوة فلم يكن بها عناية وأما الحروف الذلاقة والمصمتة فالصحيح أن لا يعدا صنفين وان عدهما صنفين متميزين خبط عشواء في جهة غيرهما حتى أبعد الزمخشري في مفصله في غيرهما فقال حروف الذلاقة التي يعتمد الناطق فيها على ذلق اللسان أي طرفه وهو تمييز مردود بدلالة من جملتها الميم والباء والفاء ولا مدخل لطرف اللسان فيها ثم لا ينتظم على هذا امر مطابقتها للمصمتة اذ المصمتة مفسرة عنده بانها حروف تكون عن تركيب كلمة رباعية فاكثر منها حتى يدرج معها أحد حروف الذلاقة فكيف المقابلة بين الخروج من طرف اللسان وبين الصمت فالحق انهما صنفان ضعيف غيرهما لم يعتبر جريانهما على النمط المستمر في غيرهما من الاصناف البين اعتبارها وعد الزمخشري في هذا النمط حروف القلقلة

ثم اذا استقريت الكلم وتراكيبها رأيت الحروف التي ألغى الله ذكرها من هذه الاجناس المعدودة مكثورة بالمذكورة منها فسبحان الذي دقت في كل شيء حكمته وقد علمت أن معظم الشيء وجله ينزل منزلة كله وهو المطابق للطائف التنزيل واختصاراته فكأن الله عز اسمه عدد على العرب الالفاظ التي منها تراكيب كلامهم اشارة الى ما ذكرت من التبكيت لهم والزام الحجة اياهم * ومما يدل على أنه تعمد بالذكر من حروف المعجم أكثرها وقوعا في تراكيب الكلم أن الالف واللام لما تكاثر وقوعهما فيها جاءتا في معظم هذه الفواتح مكررتين وهي فواتح سورة البقرة وآل عمران والروم والعنكبوت ولقمان والسجدة والاعراف والرعد ويونس وابراهيم وهود ويوسف والحجر

بالمذكور لفظا ومعنى وربما يقال من الاجناس المهتوت أعني التاء المهموسة وحدها اذ لم تذكر أصلا ومع الهاوي كالالف بمعنى المدة ولم تذكر على توجيه المصنف ﴿لا يقال﴾ ما ذكرتم من الاوصاف اصطلاحات استحدثها أرباب العربية من دونها فكيف يقصد ما دون القرآن المتقدم عليها ﴿لانا نقول﴾ المستحدث هو الاسامي والعبارات لا المعاني المرادة وهي المقصودة ههنا وانما جعلنا اوصاف الاجناس على اتصاف أسمائها لانه أسهل في تعداد ذكره يشتمل عليه أعني نصف الاسامي الذي هو المراد بقوله هذه الاربعة عشر ولو جاءت على اوصاف الاجناس أنفسها لم يصح النصف تحقيقا في متقابلين معا اذ لا يصح في المهموسة بعض في المجهورة وان جعل الرخوة هي المتناولة لما عدا الشديدة والرخوة هي حروف لم يروعه محافظة على النصف اذ لو خصت الرخوة بما عداها لم يصح ذكر النصف في شيء منهما ولدلالة أيضا حمل الالف على الهمزة وعدها حيث عدها في الشديدة المشتملة على الهمزة دون الرخوة المتناولة للمدة ودعوى ان اسم الالف أشهر في الهمزة غير مسموعة (قوله ثم اذا استقريت) بين أولا انه ذكر من الاسامي في سور على عدد الحروف وفي ذلك اشارة الى مجموع الحروف مع اختصار وعدل وثانيا ان ما ذكر مشتمل على انصاف اجناس الحروف وفيه تقوية لتلك الاشارة على انه مقصود في نفسه فتكون اعانة على الايقاظ وامارة والاعجاز اتجه منه وثالثا ان المذكور من هذه الاجناس أكثر في تراكيب الكلم مما ألغي منها فصار المذكور كذلك معظم ما تركب منها كلامهم وجله فينزل منزلة كله (قوله مكثورة) أي مغلوبة في الكثرة من كاثرته فكثرته أكثره أي غلبته في الكثرة (قوله وقد علمت) أي هو معلوم لك والجملة حال وعاملها رأيت واعترض بها وما بعده قوله فسبحان (قوله فكأن الله عدد) متعلقة بجميع الفواتح من حيث هي متفرعة عما تقدم من ذكر الحروف المشتملة على انصاف الاجناس النازلة منزلة كلها ولم يجر مجرى الاحتمال والتأدب وأراد بالالفاظ التي منها تراكيب كلامهم حروف التهجي بأسرها ومعنى تعدادها ذكرها بأسمائها الا ان نصف الاسامي ههنا قائم مقام جميعها (قوله الى ما ذكرت) أي من الوجه الثاني بقوله تبكيته بالحجة أي غلبهم (قوله والزام الحجة اياهم) يعني ان المتلو كلام الله (قوله لما تكاثر) أي لما كان وقوع الالف واللام في تراكيب الكلام من بين الحروف الغالبة على غيرها في الاستعمال أكثر من وقوع ما عداهما جاءتا متكررتين في معظم هذه الفواتح أي في عدد كثير منها وهو ثلاث عشرة كما صارا بل لم يرد معظمها أكثرها لان المجموع تسع وعشرون ﴿فان قيل﴾ كرر الميم في سبع عشرة منها ﴿قلنا﴾ أريد تكررهما مجتمعين كما في تركيب الكلام وليس في الفواتح حرفان كررا كذلك مثلهما وحيث نسب تكررهما الى مجموع المعظم لا الى كل واحد منه فلا حاجة فيه الى تأويل كما في تكرير الفاتحة في كل ركعة من الصلاة (قوله وهي فواتح) الضمير للمعظم أنثه نظرا الى الخبر أو الى ان معنى المعظم فواتح كثيرة ولقد راعى في عد الاسامي والاربع عشرة ترتيب السور الواقعة هي فيها كما ترى واما ههنا فقد عقب الزهراوين بأربع سور توافقهما في الفاتحة وعقب الاعراف بالرعد لاشتراكهما في الزيادة على الم بحرف واحد ثم لاحظ ترتيب المصحف الا انه قدم ابراهيم على هود ويوسف فان كان ذلك لمصلحة فالاولى ان يقدم على يونس أيضا (قوله

وذكر أن المذكور منها النصف لقاف والطاء ووهم فانها خمسة أحرف لم يذكر منها في الفواتح سوى الحرفين المذكورين وفي الجملة فلا يقدم العاقل تخريج ما لم يجر على هذا النمط من الاصناف على وجه يمكن الاستئناس اليه (قال محمود رحمه الله ومما يدل على انه تعمد بالذكر من حروف المعجم أكثرها وقوعا في تراكيب الكلم ان الالف واللام الخ) قال أحمد رحمه الله الالف المذكورة في الفواتح يتعين ان يكون المراد بها الهمزة الالفية وقد اضطرب فيها كلام الزمخشري في هذا الفصل فعد من الحروف أربعة عشر حرفا في الفواتح وقال انها نصف حروف العربية فهذا يدل على أن جملتها ثمانية وعشرون حرفا فلا بد من سقوط أحد الحرفين من هذا العدد ما الالفية أو الهمزة والا كانت تسعة وعشرين والظاهر ان الساقط الهمزة وعند ما قال في تسع وعشرين على عدد الحروف اقتضى هذا دخول الالفين في العدد

(فإن قلت) فهلا عددت بأجمعها في أول القرآن وما لها جاءت مفرقة على السور (قلت) لأن إعادة التنبيه على أن المتحدى به مؤلف منها لا غير وتجديده في غير موضع واحد أوصل إلى الغرض وأقر له في الأسماع والقلوب من أن يفرد ذكره مرة وكذلك مذهب كل تكرير جاء في القرآن فمطلوب به تمكين المكرر في النفوس وتقريره (فإن قلت) فهلا جاءت على وتيرة واحدة ولم اختلفت أعداد حروفها فوردت ص وق ون على حرف وطه وطس ويس وحم على حرفين والم والر وطسم على ثلاثة أحرف والمص والمر على أربعة أحرف وكهيعص وحم عسق على خمسة أحرف (قلت) هذا على عادة افتنانهم في أساليب الكلام وتصرفهم فيه على طرق شتى ومذاهب متنوعة وكما أن أبنية كلماتهم على حرف وحرفين إلى خمسة أحرف لم تتجاوز ذلك سلك بهذه الفواتح ذلك المسلك (فإن قلت) فما وجه اختصاص كل سورة بالفاتحة التي اختصت بها (قلت) إذا كان الغرض هو التنبيه والمبادي كلها في تأدية هذا الغرض سواء لا مفاضلة كان تطلب وجه الاختصاص ساقطا كما إذا سمى الرجل بعض أولاده زيدا والآخر عمرا لم يقل له لم خصصت ولدك هذا بزيد وذاك بعمرو لأن الغرض هو التمييز وهو حاصل أية سلك ولذلك لا يقال لم سمي هذا الجنس بالرجل وذاك بالفرس ولم قيل للاعتماد الضرب وللانتصاب

فهلا عددت وما لها جاءت) سؤال وارد على الوجه الثاني الذي استحسنه أولا واختاره آخرا كما يدل عليه جوابه يعني أن المقصود بالفواتح الإيقاظ والتحريك للنظر فهلا ذكرت مجتمعة فإنه واف بالغرض في أول القرآن فإنه أولى من غيره وأي فائدة في تفرقتها على السور وإن أريد تفريعه على ما ذكر في مجموع الفواتح بأن يقال لما كان ذكر نصف الأسامي عد الجميع الحروف تبكيتا وإرغاما فهلا عددت الحروف بأسرها ونصف أساميها مجتمعة في أوله لم ينطبق عليه الجواب لأن التنبيه المستفاد من عد جميع الحروف بنصف الأسامي لم يتكرر إنما المتكرر التنبيه الحاصل بعد شيء من جنس الحروف فإنه أيضا يدل على أن المتحدى به مؤلف منها أي من الحروف لا غير وإن كان عد الجميع أدل على ذلك اللهم إلا أن يؤول بأنه اعتبر التفريق ليتكرر أحد التنبيهين في مواضع متعددة وفي ذلك رعاية لهما على أحسن وجه (قوله وتجديده) عطف على إعادة والضمير للتنبيه (قوله أوصل) أي أشد إيصالا إلى الغرض وهو ما نبه عليه من أن المتحدى به كذا وما يتوصل به إليه وأقر أي أشد إقرارا أي تقريرا وتثبيتا له أي للغرض وكلاهما اسم تفضيل بني من المزيد والضمير في ذكره راجع إلى التنبيه (قوله وكذلك مذهب كل تكرير) أي تكرير سائر المعاني كإعادة التنبيه مع طلب التمكن إما مع تعدد اللفظ كما في سورة الرحمن وويل يومئذ للمكذبين وإما بدونه كص وحم والقصص المكررة بعبارات مختلفة ولك أن تورد السؤال على الوجه الثالث ونقول لما كان تصدير السور بهذه الألفاظ يوجب الإغراب فهلا عددت مجتمعة ويجاب عنه بأن إعادة الإغراب وتكرير أمارة الإعجاز أوقع بالطلب ولا ورود للسؤال على الوجه الأول فإن المقصود الأصلي هناك الدلالة على مسميات مخصوصة بأسمائها هي أجزاؤها وأما الإيقاظ فرع يقصد تبعا (قوله فهلا جاءت ولم اختلفت) هذان سؤالان أي هلا كانت الفواتح على طريقة واحدة مع أن ما قصد بها من إعادة التنبيه وتجديده حاصل بذلك وأيضا لم كان اختلافها على الكيفية المخصوصة والضميران في جاءت وحروفها للفواتح بأجمعها (قوله فوردت الخ) تفصيل لاختلاف أعداد حروفها المعددة بها وقيل الضميران للصور المكتوبة في الفواتح فإن الحروف الملفوظة في ص مثلا ثلاثة وهو سهو وقيل هي أدوات الحروف المعددة بأساميها وفي صحة الحروف إلى ضميرها نوع سماجة (قوله وكان أبنية كلماتهم) جواب عن السؤال الثاني والمعنى على التوزيع أي بعض الأبنية على حرف واحد وبعضها على حرفين كما في الحروف وغير المتمكنة من الأسماء وهكذا يرتقي إلى خمسة أحرف أصول ويقتصر عليها (قوله لم تتجاوز) أي الأبنية ذلك أي كونها على خمسة أحرف والجملة حال من ضمير الأبنية في الظرف ويجوز أن تكون خبرا آخر لأن ولا يخفى عليك ورود السؤالين على الوجه الأول والثالث وتطبيق الجواب عليهما (قوله فما وجه) أي عرفنا الوجه في مجيئها مفرقة على

والظاهر من كلامه أن الألف عنده هي اللينة فلذلك علل تسميتها بالألف بأن النطق لما تعذر به أولا استقرت الهمزة مكانها وفاء برعاية تلك اللطيفة التي قدمها من جعل مسمى الحرف أول اسمه وأما عند النحاة فالألف المعدودة في حروف المعجم مفردة هي الهمزة وأما اللينة فهي المعدودة مع اللام حيث يقولون لام ألف ويكتبونها على صورة لا

القيام ولنقيضه القعود (فان قلت) ما بالهم عدوا بعض هذه الفواتح آية دون بعض (قلت) هذا علم توقيفي لا مجال للقياس فيه كمعرفة السور أما الم فآية حيث وقعت من السور المفتتحة بها وهي ست وكذلك المص آية والمر لم تعد آية والر ليست بآية في سورها الخمس وطسم آية في سورتيها وطه ويس آيتان وطس ليست بآية وحم آية في سورها كلها وحم عسق آيتان وكهيعص آية واحدة وص وق ون ثلاثتها لم تعد آية هذا مذهب الكوفيين ومن عداهم لم يعدوا شيأ منها آية (فان قلت) فكيف عد ما هو في حكم كلمة واحدة آية (قلت) كما عد الرحمن وحده ومدهامتان وحدها آيتين على طريق التوقيف (فان قلت) ما حكمها في باب الوقف (قلت) يوقف على جميعها وقف التمام اذا حملت على معنى مستقل غير محتاج الى ما بعده وذلك اذا لم تجعل أسماء للسور ونعق بها كما ينعق بالاصوات أو جعلت وحدها اخبار ابتداء محذوف كقوله عز قائلا الم الله أي هذه الم ثم ابتدأ فقال الله لا اله الا هو

السور متفاوتة في اعداد الحروف فهو مما وجه اختصاص كل سورة بفاتحتها واختصاص السور بفاتحتها على الاطلاق اذ لا يوجد فيها فاتحة أخرى واختصاص الفاتحة بسورتها اما على الاطلاق واما بالاضافة الى بعض السور والسؤال يعم الاوجه الثلاثة وقوله اذا كان الغرض هو التنبيه جواب على الوجه الثاني المرضي عنده وفي قوله كما اذا سمى الرجل تقوية له واشارة الى الجواب على الوجه الاول ويعرف منهما بالمقايسة الجواب على الوجه الثالث (قوله آية) هي مجردة عن معنى الاستفهام وقعت طرفا لحاصل وتنوينها عوض عن المضاف اليه والجملة أعني مع ملاحظة لها أي التمييز حاصل في انه طريقة سلكها الرجل ولا يقدح في ذلك عروض الاشتباه لاجل الاشتراك في الاعلام كما في بعض الفواتح أيضا اذ قد يزول بالقرائن وقيل التمييز عن الكل حاصل بالنظر الى الوضع لعلى قبل اعتبار الاشتراك وردبان الغرض تمييزه حال اطلاقه عليه وليس بحاصل (قوله) ان كان الوضع متعددا كان لعشر واحد بخلاف ما اذا كان واحدا كما في الفواتح (قوله وكذلك) لا يقال ذكر حديث الاعلام واردفه بذكر الاجناس واورد له أمثلة من الاجرام والاعراض زيادة تأييد لما هو فيه (قوله ما بالهم) أي القراء والعلماء على الاطلاق ومعنى عدوا أي وجد هذا العد فيما بينهم لا من كل واحد منهم فلا ينافي قوله ومن عداهم لم يعدوا شيأ منها آية (قوله هذا مذهب الكوفيين) قيل هذه رواية المصنف والذي يعلم من كتب المرشدين ان الفواتح بأسرها آيات عندهم في السور كلها بلا فرق بينها وفي بعض الحواشي اعتراض على قوله اما الم فآية حيث وقعت بانها في آل عمران ليست آية عندهم والوجه في الترتيب في ذكر الفواتح انه ابتدأ بالم وأتبعها بما زيد عليها حرف ثم بما نقص منها حرف واحد أعني الر ثم بما يوافقها في عدد الحروف فقط أعني طسم ثم ذكر ما هو على حرفين وقدم يس لمشاركتها طه في كونها آية ثم انتقل الى ما هو على خمسة أحرف وقدم حم عسق لمناسبة الحواميم ثم ذكر ما هو على حرف واحد (قوله والمر لم تعد آية) قيل صوابه أن يقول ليست بآية فان أجيب بانه أراد التنبيه على أن قياسها على المص يقتضي ان تكون آية لكنه خولف ولم يعد آية رد بقوله ثلاثتها لم تعد آية اذ لم يخالف فيه قياس والظاهر انه تفنن في العبارة وتصريح بانه المرادف للنفي والاثبات في هذه الاحكام كما يدل عليه قوله ما بالهم عدوا وقوله لم يعدوا وقوله فكيف عد وهو استنكار واستبعاد لان يعد آية ما هو في حكم كلمة واحدة كحم وطس وأجاب بان هو كلمة واحدة وقد عد آية اتفاقا (قوله وقف التمام) الوقف على ما لا يفيد معنى مستقلا قبيح وعلى ما يفيده حسن فان استقل ما بعده أيضا سمي تاما والا سمي كافيا وحسنا غير تام فالوقف على بسم قبيح وعلى الله تعالى وعلى الرحمن كاف وعلى الرحيم تام واشترط بعضهم في الكافي أن يتعلق الموقوف عليه ما بعده تعلقا اعرابيا وسيأتي ما فيه (قوله أو جعلت) عطف على لم تجعل ويقابل لم على معنى اذا جعلت أسماء للسور وجعلت مع ذلك أخبار ابتداء محذوف وانما قال وحدها احترازا عما اذا جعل ما بعدها أيضا خبرا آخر لذلك الابتداء أو بدلا منها فان الوقف حينئذ غير تام لان ما بعدها غير مستقل واما اذا جعلت وحدها

(فإن قلت) هل لهذه الفواتح محل من الاعراب (قلت) نعم لها محل فيمن جعلها أسماء للسور لانها عنده كسائر الاسماء الاعلام (فان قلت) ما محلها (قلت) يحتمل الاوجه الثلاثة أما الرفع فعلى الابتداء وأما النصب والجر فلما مر من صحة القسم بها وكونها بمنزلة الله والله على اللغتين ومن لم يجعلها أسماء للسور لم يتصور أن يكون لها محل فى مذهبه كما لا محل للجمل المبتدأة وللمفردات المعددة (فان قلت) لم صحت الاشارة بذلك الى ما ليس ببعيد (قلت) وقعت الاشارة الى الم بعد ما سبق التكلم به وتقضى والمتقضى فى حكم المتباعد وهذا فى كل كلام يحدث الرجل بحديث ثم يقول وذلك ما لا شك فيه ويحسب الحاسب ثم يقول فذلك كذا وكذا وقال الله تعالى لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك وقال ذلكما مما علمنى ربى ولانه لما وصل من المرسل الى

كما انك كل من الموقوف عليه وما بعده مستقلة لا كما اذا جعلت بمنزلة الاصوات فقد أشار فى التمثيل الى اعتبار الاستقلال فيما بعد الموقوف عليه وقف تام وان لم يصرح به أولا ﴿فان قلت﴾ كيف حصر استقلالها فيما اذا نعق بها أو جعلت وحدها أخبارا مع انها اذا قرئت منصوبة بنحو اذكر أو قسما بمحذوف الجواب كانت مستقلة أيضا والوقف عليها تاما ﴿قلت﴾ لا حصر هنا بل أورد على كل واحد من تقديرى جعلها أسماء وعدمه مثالا ولو سلم كان الحصر بالقياس الى ما ذهب اليه المصنف فيما سيأتى وما ذكرتم ليس من مذهبه للاستقلال وان جوز (قوله هل لهذه الفواتح محل من الاعراب) فان السؤال مستدرك اذ قد علم مما سبق اعرابها عند المصنف فانه جوز فى ص وق ون فيمن قرأها منصوبات ان تكون معربة اما منصوبة بمعنى مضمر واما مجرورة على اضمار حرف القسم أو محلا حيث سوغ ارادة معنى القسم فى المحكية أيضا فعلم أن لها محلا من الاعراب اما نصبا واما جرا ثم ذكر ان الفواتح تجعل أخبارا لمبتدأ محذوف فعلم انها مرفوعة محلا وأجيب بان ما تقدم من بيان اعرابها كان على تقدير كونها أسماء السورة وهذا سؤال عن حالها مطلقة ولذلك قال فى الجواب ومن لم يجعلها الخ ولا استدراك ولا حاجة الى ان يقال اعاد ذكره هذا السؤال عنه وان كان معلوما ليبنى عليه السؤال المتعقب له وهو قوله ما محلها (قوله لانها عنده كسائر الاسماء الاعلام) يعنى فوقعت فى التركيب وامتنع ظهور اعرابها حيث كانت محكية على وقفها الساكنة أو متحركة بالجد فى الحرب فلابد ان يكون مقدرا فى محلها واما اذا ظهر الاعراب فلا حاجة الى محل (قوله اما الرفع فعلى الابتداء) يتناول الابتداء والخبر فان العامل فيهما عنده هو الابتداء (قوله واما النصب والجر فلما مر من صحة القسم بها) فيه تفصيل سبق تقريره فى بحث التسوية ثم ان الاوجه الثلاثة جارية بلا ضعف فى كل فاتحة تصلح فى الظاهر ان تكون قسما اما الرفع والجر فظاهر واما النصب فبشرط ان لا يلزم اجتماع قسمين كما أشرنا اليه آنفا واما فى غيرها فلا يجرى النصب بالقسم بل بفعل مضمر ولا الجر مطلقا الا على وجه ضعيف وهو ان يقدر جواب القسم من نحو لنه لجن وما شاكله فاما ان يريد بان كلا فى كل فانه كثيرا ما يذكر فى هذا الكتاب الوجه الراجح والمرجوح معا من غير تفرقة بينهما عمادا على فهم الشارع فيه واما ان يريد التوزيع على معنى ان بعضا من الفواتح يجرى فيه الاوجه كلها والباقى منها يجرى فيه بعضها ويشكل فى ذلك أيضا على ما ذكر وان كان المتبادر من العبارة هو الاول (قوله ومن لم يجعلها) عطف على قوله نعم لها محل فيمن جعلها أسماء السور وتتمة للجواب عن قوله هل لهذه الفواتح محل من الاعراب والفاصل بينهما ليس أجنبيا بل هو تفصيل للمعطوف عليه فلا اشكال (قوله كما لا محل للجمل المبتدأة) أى التى وقعت فى ابتداء الكلام فلم تقع موقع مفرد ليظهر أعلم ما يقتضى اعرابا فى محلها (قوله وللمفردات المعددة) أى الواردة على نمط التعديد فلم تقع فى تركيب يتصور على ما يوجب اعرابها لفظا أو محلا والحاصل ان هذه الالفاظ اذا سردت على طريقة التهجى لم يكن لها اعراب أصلا لفقد المقتضى والعامل فقيل انما ورد مثالين تنبيها على ان ما انتفى اعرابه لفقد مقتضيه قسمان جملة ومفرد مع رعاية المناسبة فان بعض الفواتح كالجملة فى تعدد كلماته وبعضها كالمفرد فى انه كلمة واحدة (قوله الى ما ليس ببعيد) هو ما دل عليه الم أعنى

(قال محمود رحمه الله فان قلت ما محل هذه الفواتح من الاعراب الخ) قال أحمد رحمه الله وانما جاز النصب مع القسم فيما لا يستقبله معطوف مجرور فما بعده قبله معطوف مجرور مثل ص وق ون فانه لا يجيز فيه النصب مع القسم لئلا يحمل على اضمار فعل أو على أن تقع فى موضع الجر واما على وجه بديع فى تقدم فيجوز النصب مع القسم فى جميعها بعد ما عهد او على النصب باضمار فعل أعرى ساسيبويه فى كتابه قوله تعالى ذلك الكتاب (قال محمود رحمه الله ان قلت لم صحت الاشارة بذلك الى ما ليس ببعيد الخ) قال أحمد رحمه الله ولان البعد هنا باعتبار علو المنزلة وبعد مرتبة المشار اليه من مرتبة كل كتاب سواه كما يقطعون بثم للاشعار بتراخى المرتب وقد يكون المعطوف سابقا فى الوجود على المعطوف عليه وسيأتى أمثاله

السورة أو المنزل المؤلف من هذه الحروف على الوجهين الاولين واما الوجه الثالث فكأنه من تتمة الثانى
ويريد ان الم ذكر آنفا فلو لم يكن ليس ببعيد فكيف صح ان يشار اليه بما وضع للبعيد أجاب أولا بانه اشارة اليه
لكنه فى حكم البعيد من وجهين أحدهما انه تقضى ذكره والمتقضى بمنزلة المتباعد وأشار بقوله فى كل كلام
الى انه مطرد فى العرف أى جعل المتقضى فى حكم المتباعد والاشارة اليه بلفظ البعيد جار فى كل كلام وثانيهما
انه لما وصل الخ وأشار أيضا الى اطراده عرفا بقوله كما تقول واعترض عليه بانه قبل الوصول الى المرسل اليه
كان كذلك وأجيب بانه لم يرد بالمرسل اليه النبى صلى الله عليه وآله بل من وصل اليه اللفظ حال ايجاده
كالسامع لكلامك وفيه بحث لانه خلاف الظاهر ولا يفهم من العبارة وأيضا ان أراد اللفظ الذى وصل
الى السامع لفظ الم فذلك ليس اشارة اليه بل الى ما دل به عليه وان أراد جميع السورة أو المنزل فقبل ان
يصل اليه هذا كان لفظ ذلك على حاله والصواب ان المتكلم اذا ألقى كلاما يلقيه على غيره ووصله اليه ربما
لاحظ فى تركيبه وصوله اليه وبنى كلامه عليه وأجاب ثانيا بان ذلك ليس اشارة الى الم بل الى الكتاب
الموعود على لسان موسى وعيسى عليهما السلام وقيل بقوله سنلقى عليك قولا ثقيلا وفيه ان الانسب
حينئذ ان يقول الذى وعد به وههنا ابحاث الاول قال بعضهم السؤال مخصوص بما اذا كان الم اسما للسورة
وقد عرفت عمومه ويؤيده قول المصنف فيما بعد أى ذلك الكتاب المنزل هو الكتاب الكامل وقوله أى
هو يعنى المؤلف من هذه الحروف ﴿نعم﴾ رعاية الى ما كان مجموع المنزل مرموزا اليه لا مصرحا به
كالسورة يتنزل بذلك أيضا منزلة البعيد الثانى قوله ولانه لما وصل عطف على قوله وقعت الاشارة اذ معناه
لانه وقعت بقرينة قوله لم صحت وأما قوله وقيل فعطف على قلت ولما لم يكن مختارا عنده أخره وان قضى
ترتيب الصحة تقديمه بان يقال ليس ذلك اشارة الى الم وان سلم فهو فى حكم البعيد الثالث ذكر الامام
السكاكى ان المشار اليه باسم الاشارة اما مدرك بالبصر أو منزل منزلته وتحقيقه على ما فصل فى بعض شروح
الكافية من ان المعتبر فى أسماء الاشارة هو الاشارة الحسية فالاصل فيها أن يشار بها الى محسوس مشاهد
قريب أو بعيد فان أشير بها الى مستقبل احساسه نحو ذلكم الله أو الى محسوس غير مشاهد نحو تلك الجنة
فلتصييره كالمشاهد وان كل غائب عينا كان أو معنى اذا ذكر جاز أن يشار اليه بلفظ البعيد نظرا الى ان
المذكور غاب نحو جاءنى رجل فقال ذلك الرجل وتضاربوا ضربا شديدا فهالنى ذلك الضرب وجاز على قلة
ان يشار اليه بلفظ القريب نظرا الى قرب ذكره فيقول هذا الرجل وهذا الضرب وكذلك يجوز لك فى
القول المسموع عن قريب ان تشير اليه بلفظ البعيد لانه زال سماعه فصار فى حكم البعيد كقولك بالله الطالب
وذلك قسم عظيم لافعلن كذا والاغلب فى مثله ان يؤتى بالقريب فيقال وهذا قسم وبالجملة كان اسم
الاشارة موضوعا للمشار اليه اشارة حسية فاستعماله فيما لا تدركه تلك الاشارة كالشخص البعيد مثلا مجاز
بان تجعل الاشارة العقلية كالحسية لما بينهما من المناسبة اذا عرفت هذا فنقول لفظ ذلك ان كان اشارة الى
الم فمدلوله سواء كان اسما للسورة أو رمزا الى المنزل ليس مدركا بالبصر بل منزل منزلته فان نظر الى ابتداء
نزوله كان لمعنى حاضر جعل كالمشاهد لذكره وفى حكم البعيد لزوال ذكره وتقضيه وان نظر الى انه لم ينزل
بعد كان لمعنى غائب غير مشاهد ابعد المذكور وجاز ان تعلل مشاهدته بالذكر وبعده بتقدير وصوله
الى المرسل اليه ووقوعه بذلك فى حد البعد من المرسل وان كان اشارة الى الكتاب الموعود فهو لبعده ذكره
بمنزلة مشاهد بعيد وقيل انما صحت الاشارة اليه مع انه ليس بمحسوس لانه جعل كالمحسوس اشارة الى صدق
الوعد والقول بانه لا حاجة الى تأويل لان المحققين على ان المشار اليه اذا كان مذكورا مع اسم الاشارة صفة
له لم يلزم ان يكون محسوسا غلط منشؤه ان من نقلنا كلامه فى تحقيق أسماء الاشارة ذكر فى موضع
آخر ان اسم الاشارة مبهم الذات وانما تتعين الذات المشار اليها اما بالاشارة الحسية أو بالصفة وأراد ان ازالة
الابهام اما بالاشارة الحسية وحدها أو بالصفة معها يدل على ذلك انه صرح فى كلامه المنقول آنفا بان
المذكور فى حد اسم الاشارة هو الاشارة الحسية فقط وانه موضوع لما يشار اليه اشارة حسية واستعماله

لمرسل اليه وقع فى حد البعد كما تقول لصاحبك وقد أعطيته شيأ احتفظ بذلك وقيل معناه ذلك الكتاب الذى وعدوا به (فان قلت) لم ذكر اسم الاشارة والمشار اليه مؤنث وهو السورة (قلت) لا أخلو من أن أجعل الكتاب خبره أو صفته فان جعلته خبره كان ذلك فى معناه ومسماه مسماه فجاز اجراء حكمه عليه فى التذكير كما أجرى عليه فى التأنيث فى قولهم من كانت أمك وان جعلته صفته فانما أشير به الى الكتاب صريحا لان اسم الاشارة مشار به الى الجنس الواقع صفة له تقول هند ذلك الانسان أو ذلك الشخص فعل كذا وقال الذبيانى

نبئت نعمى على الهجران عاتبة * سقيا ورعيا لذاك العاتب الزارى

(قال محمود رحمه الله فان قلت لم ذكر اسم الاشارة الخ قال أحمد رحمه الله ولو مثل ذلك بقول القائل حصان كانت دابتك لكان أقوى وأسلم من الغرق عما فى لفظ من من الابهام الصالح للذكر والمؤنث ومثل هذا قوله تعالى يحسبون كل صيحة عليهم هم العدو فى وصل الكلام بجعل هم العدو جملة فى موضع المفعول الثانى للحسبان وعدل عن أن يقول هى العدو نظرا الى المفعول الثانى الذى هو فى المعنى خبر عن الصيحة فذكر وجمع لما كان المبتدأ هو الخبر فى المعنى وقد وجهه الشيخ أبو عمرو قول الزمخشرى وتسمى الجملة بالشاة والباء عقيب قوله والكلام هو المركب من كلمتين بهذا التوجيه * قوله تعالى هدى للمتقين)

فى غيره مجاز ﴿ثم﴾ دعوى أن لفظ ذلك شاع استعماله فيما هو من المعانى والمعقولات مع ذلك تأويل وان المصنف لم يذهب الى ان ذلك للتعظيم تنزيلا لبعد درجته فى الهداية كما اختير فى المفتاح لان ما ذكره أشهر فى العرف وأجرى فى الموارد وأقرب الى الحقيقة مما يتخيل انه صار فيه حقيقة هذا والرابع ذكر بعض الافاضل ان الكتاب الموعود ان أريد ما وعدوا به فى التوراة والانجيل أعنى القرآن لم يصح أن يكون ذلك الكتاب خبر الم لان المسمى القرآن لا هو الآن وان أريد بالم القرآن كله بناء على انه اسم له أو جعل موعود فى ضمن كله وداخل على الموعود لا بمن صح ذلك فيه وان أريد ما وعده النبى صلى الله عليه وآله جاز أن يكون خبرا له الخامس انه اذا ذكر لفظ مفرد أو مركب ونزل منزلة جاز أن يشار بلفظ القريب والبعيد الى كل واحد من اللفظ والمعنى ولا تفاوت بينهما فى ذلك (قوله لم ذكر اسم الاشارة) هذا السؤال انما يتجه اذا كان الم اسما للسورة فلذلك صرح به ﴿فان قلت﴾ الم علم لنوع مخصوص وليس هناك تأنيث لا فى لفظه ولا فى معناه فحقه أن يشار اليه بمذكر وأما ان لفظة السورة تطلق عليه فلا يقتضى تأنيثه ﴿ثم﴾ لو عبر عنه بالسورة كان مؤنثا كما اذا عبر عن زيد بالنسمة ﴿قلت﴾ لما اشتهر فى المعارف التعبير عن ذلك المنزل بالسورة واستمر ذلك حتى صار كأن حقه أن يعبر عنه بها فيقال سورة البقرة مثلا وقصد بوضع العلم تمييزه عن سائر السور كان اعتبار كونه سورة ملحوظا فى وضعه له وكان كونه الم فى قوة قوله هذه السورة فحقه أن يؤنث وأما اعلام الامكنة والقبائل حيث يعبر عن مدلولاتها تارة بألفاظ مذكرة وأخرى بألفاظ مؤنثة ولم يستمر فيها شئ منها جاز تأنيثها وتذكيرها وهذا اعتبار مناسب لانتشارهم فى أحوال الالفاظ (قوله فان جعلته) أى ان كان الكتاب خبر ذلك كان ذلك فى معنى الكتاب ومسماه مسمى الكتاب أى يصدقان على شئ واحد وان تغاير مفهوما جاز اجراء حكم الكتاب الذى هو الخبر على ذلك الذى هو المبتدأ فى التذكير كما أجرى حكم الخبر على المبتدأ فى التأنيث فى قولهم من كانت أمك حيث أنث الضمير الراجع الى من وهو مذكر نظرا الى الخبر أعنى أمك واعترض بان من اذا أريد به مؤنثا جاز تذكير ضميره وتأنيثه للفظه ومعناه سواء كان هناك خبر مؤنث أولا وأجيب بانه تمثيل لا استدلال ولا تنافى بين الاعتبارين اجتماعا وانفرادا وقيل ما ذكره المصنف ههنا هو بعينه تأنيث من نظرا الى ما هو عبارة عنه وهو من دون ان ما ذكره أخص منه وقيل الحمل على اللفظ أكثر فاعتبار الخبر وهو ضعيف لجواز أن يكون هذا من قبيل ما ليس بأكثر (قوله وان جعلته) أى جعلت الكتاب صفة لذلك هو اشارة الى الكتاب صريحا لا ضمنا كما فى الوجه الاول فالواجب ان يطابقه فى تذكيره وان كان المجموع عبارة عن مؤنث وأما ان السورة سميت بالكتاب فجاز تذكير الاشارة اليه لذلك مع قطع النظر عن الخبر فهو وجه آخر توهم بعضهم ان قوله صريحا اشارة اليه (قوله نبئت نعمى) أورد المصراع الاول لان الاستشهاد بالثانى اعانة به وبعضهم نعم الموت اسم امرأة صرف لانه ثلاثى ساكن الاوسط كدعد ويروى نعمى على وزن حبلى وذكر اسم الاشارة لان المعنى لذلك الانسان أو الشخص والى هذا التأويل أشار المصنف بقوله هند ذلك الانسان الخ وقيل ذكر لانه اشارة الى العاتب الزارى على معنى النسبة كما تقول هند لابن أى ذات لبن يقال عتب عليه اذا غضب وزرى عليه اذا عابه وقوله على

(فإن قلت) أخبرني عن تأليف ذلك الكتاب مع الم (قلت) ان جعلت الم اسما للسورة ففي التأليف وجوه أن يكون الم مبتدأ وذلك مبتدأ ثانيا والكتاب خبره والجملة خبر المبتدأ الاول ومعناه أن ذلك الكتاب هو الكتاب الكامل كأن ما عداه من الكتب في مقابلته ناقص وأنه الذي يستأهل أن يسمى كتابا كما تقول هو الرجل أي الكامل في الرجولية الجامع لما يكون في الرجال من مرضيات الخصال وكما قال
* هم القوم كل القوم يا أم خالد * وأن يكون الكتاب صفة ومعناه هو ذلك الكتاب الموعود وأن يكون الم خبر مبتدأ محذوف أي هذه الم ويكون ذلك خبرا ثانيا أو بدلا على أن الكتاب صفة وأن يكون هذه الم جملة وذلك الكتاب جملة أخرى وان جعلت الم بمنزلة الصوت كان ذلك مبتدأ خبره الكتاب

الهجران طرف لعتبة وجوز أن يكون حالا من نعمى أو من ضميرها في عاتبة وقبله

عوجوا فحيوا النعم دمنة الدار * ماذا تحيون من نؤى وأحجار
لقد أراني ونعمى لاهيين بها * والدهر والعيش لم يهمم بامرار

العوج عطف زمام البعير ليقف وقوله ماذا تحيون كأنه يرد به على نفسه قوله حيوا (قوله والجملة خبر المبتدأ الاول) والعائد فيها هو اسم الاشارة القائم مقام الضمير (قوله ومعناه ان ذلك هو الكتاب) أدخل ضمير الفصل بين المبتدأ والخبر ايذانا بان التركيب يفيد الحصر بناء على ان اللام للجنس حيث لا عهد ووصف الكتاب بالكامل تنبيها على ان المقصود من حصر الجنس حصر الكمال والا لم يكن الحصر صحيحا وقال كأن ما عداه تصريحا بتضمنه حصر الكمال فيه من ثبوت النقصان لما يقابله من الكتب تأكيدا وفي لفظ كأن نوع تأدب مع سائر كتب الله تعالى وقيل هو اشارة الى ان الحصر على وجه المبالغة دون الحقيقة وليس بشئ فانه لو جزم بنقصان ما عداه لكان الامر كذلك ولما فرغ من بيان المعنى المقصود الذي هو حصر الكمال اثباتا ونفيا شرع في وجه افادة حصر الجنس اياه بقوله وانه الذي معطوف على قوله ان ذلك يريد انه لكماله في بابه ونقصان ما سواه من جنسه هو الذي يستحق به أن يسمى كتابا كأنه الجنس كله وما عداه خارج عنه ثم مثل له مثالا مشهورا في العرف أعني قوله هو الرجل وأردفه بما صرح فيه بحصر كل الجنس في الكامل أعني قوله هم القوم كل القوم ازالة لما عسى يختلج في الاوهام من استبعاد حصر الجنس في بعض افراده وأوله * وان الذي حانت بفلج دماؤهم * أراد الذي حانت من الحين مفتوح الحاء بمعنى الهلاك أي هلكت دماؤهم وأريقت بفلج وهو موضع قريب من البصرة وقيل من الحينونة والمعنى حان سفك دمائهم (قوله يستأهل) أي يستحق قال في الاساس استأهل فلان لكذا أي هو أهل له وأهل الحجاز يستعملونه استعمالا واسعا وفي الصحاح ودرة الغواص في أوهام الخواص أن المستأهل من يأخذ الاهالة أو يأكلها (فان قلت) اذا كان الم اسما للسورة وذلك اشارة اليها كان حصر الكمال فيها بيانا للنقصان في سائر السور لانها المقابلة لها لا الكتب المتقدمة (قلت) هذا انما يلزم اذا لوحظت السورة من حيث خصوصها وأما اذا لوحظت من حيث انها قرآن فلا لان مقابلها من هذه الحيثية هو الكتب المتقدمة لا سائر السور وأيضا يجوز أن يراد باسم السورة القرآن كله مجازا (قوله وان يكون الكتاب صفة) أي لذلك فيكون حينئذ ذلك الكتاب على هذا التقدير خبرا مفردا والكلام جملة واحدة ومعناه ما ذكره وقد سبق تحقيقه وجعل اللام في الكتاب للعهد على تقدير كونه صفة لذلك لانه المتبادر عند الاشارة اليه وأيضا لا فائدة في الاخبار عن السورة بصدق جنس الكتاب عليها وان قصد الحصر كان اسم الاشارة لغوا وأما ان ذلك الكتاب بدل من الم على تقدير كونه مبتدأ وما بعده خبره فلم يلتفت اليه اذ لم يقع الابدال فيه موقعه لا في المعهود ولا في الجنس بشهادة الفطن السليمة (قوله على ان الكتاب صفة) أي لذلك سواء كان خبرا ثانيا أو بدلا من الخبر الاول يعني الم وأما اذا جعل ذلك مبتدأ والكتاب خبره والجملة خبرا بعد خبر أو بدلا من الخبر المفرد فذلك غير ما ذكره المصنف لان الخبر الثاني أو البدل هو مجموع الجملة

أى ذلك الكتاب المنزل هو الكتاب الكامل أو الكتاب صفة والخبر ما بعده أو مقدر مبتدأ محذوف أى هو يعنى المؤلف من هذه الحروف ذلك الكتاب وقرأ عبد الله الم تنزيل الكتاب لا ريب فيه وتأليف هذا ظاهر • والريب مصدر رابنى اذا حصل فيك الريبة وحقيقة الريبة قلق النفس واضطرابها ومنه ما روى الحسن بن على قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول دع ما يريبك الى ما لا يريبك فان الشك ريبة وان الصدق طمأنينة أى فان كون الامر مشكوكا فيه مما تقلق له النفس ولا تستقر وكونه صحيحا صادقا مما تطمئن له وتسكن ومنه ريب الزمان وهو ما يقلق النفوس ويشخص بالقلوب من نوائبه ومنه انه مر بظبي حاقف فقال لا يريبه أحد بشئ (فان قلت) كيف نفى الريب على سبيل الاستغراق وكم من مرتاب فيه (قلت) ما نفى أن أحدا لا يرتاب فيه

ذلك الكتاب لا ريب فيه

لا ذلك وحده والمقدر خلافه (فان قلت) كيف صح الاخبار عن هذه بالم (قلت) صح ذلك على معنى ان هذه السورة هى السورة المشهورة فضلا وكمالا وبلاغة وهداية وعلى انها مسماة بهذا الاسم (قوله أى ذلك الكتاب المنزل) يريد ان ذلك اشارة الى ما نزل اليه بتحديه بهذه الاحرف وكذا قوله يعنى هو المؤلف من هذه الحروف اشارة الى ان الضمير المقدر راجع الى ذلك المرموز اليه وهذا ظاهر فى الوجه الثانى أعنى فى رفع الصاد وأما اذا قصد بذكر حروف الاعراب كان دلالتها على المنزل المؤلف منها تبعا اذ قصد فيدفع بذلك رجوع الاشارة والضمير اليه وفيه خفاء (قوله وتأليف هذا ظاهر) فانك اذا جعلت الم اسم للسورة فهو مبتدأ بتقدير مضاف أى تنزيل الم تنزيل الكتاب أو هو خبر مبتدأ محذوف أى هذه الم وان جعلته تعديدا فتنزيل الكتاب اما خبر مبتدأ محذوف أو مبتدأ خبره لا ريب فيه أو هو اعتراض والخبر هدى للمتقين وأى جملة ظاهر للاحاطة بالوجوه السابقة فى القراءة المشهورة وقيل لقلتها بالقياس عليها (قوله والريب مصدر رابنى اذا حصل فيك الريبة) هو فى أصله كذلك الا أنه استعمل فى هذا الوضع ونحوه بمعنى الريبة والشك ولو أريد هنا معناه الاصلى لقيل لا ريب له كما يقال لا ضرب لزيد (قوله وحقيقة الريبة) يريد ان الريبة وان شهرت فى معنى الشك الا ان حقيقتها ومعناها الاصلى قلق النفس واضطرابها ومنه أى ومما ورد فيه الريبة على حقيقتها استشهد بقوله صلى الله عليه وآله فان الشك ريبة على ان الريبة غير الشك والا لم يكن فى الكلام فائدة وبجعلها مقابلة للطمأنينة على انها القلق ومعنى الحديث دع ما يريبك أى يقلقك واذهب الى ما تطمئن به فان كون الشئ فى نفسه مشكوكا فيه غير صحيح مما تقلق له النفس الزكية وتضطرب معه وكونه صحيحا صادقا مما تطمئن له أى اذا وجدت نفسك مضطربة فى أمر فدعه واذا وجدتها مطمئنة فيه فاستمسك به لان اضطراب قلب المؤمن فى شئ علامة كونه باطلا محلا لان يشك فيه وطمأنينته فيه علامة كونه حقا وصدقا وقيل معناه دع ما تشك فيه الى ما تعلمه فان العمل بالمشكوك فيه يقتضى قلقا وترددا وفى ذلك مشقة بخلاف العمل بالمعلوم فانه يقتضى سكونا وراحة والاول أقوى وعبارة الكتاب محمولة عليه واعلم ان الحديث من رواية الترمذى والنسائى وفيها فان الكذب ريبة فتوهم بعضهم ان ما ذكره المصنف لا يصح رواية لذلك ولا دراية لان الريبة هى الشك بعينه فلا فائدة فى الاخبار بها عنه وأجاب بان صحة احدى الروايتين لا ينفى صحة الاخرى وأما فائدة الاخبار فقد حققها العلامة بما لا مزيد عليه (قوله ويشخص بالقلوب) أى يقلقها من شخص به اذا أورد عليه أمر يقلقه كأنه يجعله شاخصا ببصره فلا يطرف من حيرته وقيل أى يذهب بالقلوب يقال شخص من بلد الى بلد أى ذهب والباء للتعدية (قوله بظبي حاقف) هو الذى ينثنى وينحنى فى نومه لا يريبه أى لا يقلقه ولا يزعجه بالتعرض له روى انه صلى الله عليه وآله مر هو وأصحابه بظبي حاقف فى ظل شجرة وهم محرمون فقال يا فلان قف ههنا حتى يمر الناس لا يريبه أحد بشئ (قوله كيف نفى الريب) أى الشك كاملا على سبيل الاستغراق فان معنى لا ريب فيه لا شك فيه من أحد (قوله ما نفى ان أحدا لا يرتاب فيه)

وانما المنفي كونه متعلقا للريب ومظنة له لانه من وضوح الدلالة وسطوع البرهان بحيث لا ينبغي لمرتاب ان يقع فيه ألا ترى الى قوله تعالى وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله فانه ما أبعد وجود الريب منهم وانما عرفهم الطريق الى مزيل الريب وهو أن يحزروا أنفسهم ويروزوا قواهم في البلاغة هل تتم للمعارضة أم تتضاءل دونها فيتحققوا عند عجزهم أن ليس فيه مجال للشبهة ولا مدخل للريبة (فان قلت) فهلا قدم الظرف على الريب كما قدم على الغول في قوله تعالى لا فيها غول (قلت) لان القصد في ايلاء الريب حرف النفي نفي الريب عنه و اثبات أنه حق وصدق لا باطل وكذب كما كان المشركون يدعونه ولو أولى الظرف

الظاهر يرتاب بدون لا لان وجودها يفسد المعنى لان نفي نفي الريب اثبات له فقيل هي زائدة وقيل نفي مسند الى مستتر راجع الى الريب كما يدل عليه السؤال وحرف الجر محذوف أي ما نفي الريب لان أحدا أو على معنى ان أحدا لا يرتاب فيه ورد بان النفي حينئذ يتوجه الى العلة أو المصيرة لا يبة له قوله وانما المنفي كونه متعلقا للريب بل الوجه انه قال وعما نفي الريب لكذا أو على معنى كذا وقيل النفي بمعنى الاتيان بالضمير معنيا أي ما أتى بان أحدا لا يرتاب فيه معنيا أي ليست الجملة التي هم امتنفية هي هذه ومحصوله ان ليس المنفي الارتياب فتصح المقابلة الا ان في الكلام في استعمال النفي بهذا المعنى على ان الحكم بزيادة لا أقل منه تكلفا (قوله وانما المنفي) جمع بين تعريب المسند اليه وكلمة انما للمبالغة في الحصر أي ليس المنفي ههنا الا كون القرآن محلا صالحا في نفسه لتعلق الريب به ومظنة له أي لا هو في نفسه بل هو لوضوح الدلالة وسطوع البرهان على كونه حقا منزلا من عند الله تعالى بحيث لا ينبغي لاحد أن يرتاب فيه يجب على كل واحد أن يكون منه على يقين وهذا معنى صحيح صادق لا يقدح في صدقه ارتياب جميع الناس فيه فضلا عن ارتياب بعضهم وفي اختيار انما اشعار بان كون المنفي ما ذكره أمر مكشوف يتبادر من العبارة فانك تقول بعد تلخيص الحق في المسئلة بعد تردد المخاطب بعد وهذا الامر لا شك فيه ولا يشتبه على أحد انك تريد بذلك كونها يقينية في نفس الامر لا أن يتعلق شك بها لان أحدا لا يشك فيها وكذلك اذا قلت لمن ينكر أمرا هذا لا انكار فيه أو ليس هذا محلا للانكار أردت انه ليس خليقا بالانكار ومظنة لصلاحه ولا ينبغي أن يرتاب فيه وبهذا التحقيق يندفع ما يقال من ان القرآن مظنة للريب فكيف ينفي كونه مظنة له (قوله ان يقع فيه) الضمير للارتياب الذي دل عليه مرتاب أي لا ينبغي لصاحب ارتياب أن يقع فيه وقيل للقرآن على معنى ان يطعن فيه من قولهم وقع في فلان اذا اغتابه وطعن فيه ورد بان المفهوم حينئذ ان الطعن من المرتاب مما لا ينبغي لا ما هو المقصود يعني ان ارتيابه مما لا ينبغي الا أن يجعل الارتياب طعنا وانه تمحل عنه غنى (قوله ألا ترى) استشهاد على ان المنفي ليس هو الارتياب بل كونه متعلقا للريب بالمعنى المذكور (قوله فما أبعد) ما فيه نافية لا تعجبية أي لم يبعد وجود الريب منهم ولم ينفه عنهم بل أرشدهم الى ما يزيل ريبهم ويوصلهم الى أن يتحققوا ان القرآن مما لا ينبغي أن يرتاب فيه (قوله فهلا قدم) لما بين ان المقصود بالنفي ههنا ليس هو الريب بل كونه متعلقا له توهم ان النفي لم يتوجه الى أصل الريب بل الى متعلقه الذي هو الظرف فكان أهم فهلا قدم أجاب بان النفي متوجه الى الريب لا الى متعلقه لكن لم يقصد بنفي الريب عنه انه لم يرتب فيه أحد بل قصد اثبات أنه حق وصدق وان الريب فيه غير واقع موقعه ومن المعلوم ان هذا القصد لا يقتضي تقديم الظرف على ان ثم مانعا عنه وهو انه لو قدم لافاد معنى بعيدا عن المراد وهو ان الريب ثابت في كتاب آخر لا في هذا الكتاب وهذا المعنى وان فرض استقامته لا يناسب المقام اذ المقصود ان القرآن حق لا مجال فيه للريبة رد الما زعمه المشركون لا ان الريب منتف عنه وثابت في غيره اذ لم تكن هناك مزاعمة في ذلك وفي المفتاح امتنع تقديم الظرف لدلالته على ان ريبا في سائر كتب الله وانه باطل ولا خفاء في انه توجيه آخر (قوله في ايلاء الريب حرف النفي) أي جعله بحيث يلي أي يقرب منه ويعقبه بلا فصل وعلى هذا فقوله ولو

لقصد الى ما يبعد عن المراد وهو أن كتابا آخر فيه الريب لا فيه كما قصد فى قوله لا فيها غول تفضيل خمر الجنة على خمور الدنيا بأنها لا تغتال العقول كما تغتالها هى كأنه قيل ليس فيها ما فى غيرها من هذا العيب والنقيصة وقرأ أبو الشعثاء لا ريب فيه بالرفع والفرق بينها وبين المشهورة أن المشهورة توجب الاستغراق وهذه تجوزه والوقف على فيه هو المشهور وعن نافع وعاصم أنهما وقفا على لا ريب ولا بد للواقف من أن ينوى خبرا ونظيره قوله تعالى قالوا لا ضير وقول العرب لا بأس وهى كثيرة فى لسان أهل الحجاز

أولى الظرف بالرفع ويحتمل النصب على معنى ولو جعل حرف النفى بحيث يلى الظرف أى يقرب منه ويتقدمه بلا فاصل (قوله أن كتابا آخر فيه الريب لا فيه) هذه عبارة جزلة لا غبار عليها فالريب مبتدأ قدم عليه خبره للتخصيص وقوله لا فيه عطف على ذلك الخبر المقدم وتصريح بما تضمنه التخصيص من النفى تأكيد له والمجموع خبران وقد روعى فيها الطريقة هى ان التخصيص يتألف من اثبات ونفى وقد يصرح بهما أو بأحدهما على ما يقتضيه الحال ونظم التنزيل على تقدير التقديم أى لا فيه ريب يقتضى تخصيصا صرح فيه بالنفى وحده لكن بعده عن المرام ونبوه عن مناسبة المقام اذ ما هو للارتياب فى غيره فلذلك اختار العلامة التصريح به مع المحافظة على طريق التقديم واستبقاء الظرف على صورته واستدرك بالعطف ما فاته من كون النفى مصرحا به فى ذلك النظم وقيل حق العبارة ان كتابا آخر فيه الريب لا اياه أى القرآن أو ان فى كتاب آخر الريب لا فيه وكلاهما مردود اما الثانى فلفوات بقاء الظرف على هيئته فى النظم المقدر وأما الاول فلان قوله فيه الريب ان كان جملة مفيدة للحصر كما بيناه كان المعنى ان الريب مخصوص بكتاب آخر لا بالقرآن وانه فاسد وان كان محمولا على ان الريب فاعل للظرف لم يوافق النظم فى افادة التخصيص بالتقديم وكان تعريف الريب مستدركا وكأن هذا القائل توهم فى عبارة الكتاب ان الظرف خبر ان والريب فاعله ولم يعرف ان عطف عليه قوله لا فيه خال عن ضمير فجعل عنه فاستبدل الذى هو أدنى بالذى هو خير (قوله لا فيها غول) ان نظر الى حاصل المعنى كان قصرا للصفة الاغتيال على خمور الدنيا وان روعى قاعدة القائلين ان تقديم المسند يفيد حصر المسند اليه فيه قصر الموصوف على الصفة أى الغول مقصور على عدم الحصول فى خمور الجنة لا يتعداه الى عدم الحصول فيما يقابلها أو عدم الغول مقصور على الحصول فيها لا يتجاوزه الى الحصول فى هذه الخمور وبالجملة تجعل حرف النفى جزأ أو جزأ من جزء المسند أو المسند اليه وقس على ذلك نظائره (قوله أبو الشعثاء) هو تابعى مشهور اسمه سليم بن أسود المحاربى (قوله ان المشهورة توجب الاستغراق وهذه تجوزه) بيان ذلك أن المشهورة لنفى الجنس أى الحقيقة ويلزمه نفى افرادها بأسرها اذ لو ثبت شئ منها كانت الحقيقة ثابتة فى ضمنه ولا تحتمل معنى آخر فهى نص فى الاستغراق توجبه فاذا قيل لا رجل فى الدار بالفتح لم يصح بل رجلان أو رجال وغير المشهورة محتملة للاستغراق على معنى انها ظاهرة فيه ومحتملة لمعنى آخر أما الاول فلان المتبادر من النكرة المنفية فردا معينه وهو مساو للحقيقة فاذا نفى استلزم نفى جميع الافراد وأما الثانى فلانه قد يقصد بذلك نفى الوحدة المفردة أى المجردة عن العدد فيقال لا رجل فى الدار بل رجال أى الجنس موصوف بالتعدد لا بالوحدة وأما اذا زيدت لفظة من الاستغراقية وقيل لا من رجل زال ذلك الاحتمال وصار نصا فى الاستغراق كالمبنى الا ان مفهوم المبنى نفى الحقيقة ومفهوم لا من رجل نفى فرد لا بعينه حتى اذا فسرت الاول بالفارسية قلت نيست مرد در ين جاى والثانى قلت نيست هيج مردى درين جاى وأما لا رجل بالرفع فمعناه نيست مردى وقيل استغراق النفى لتضمنه معنى من مقدرة فيجب ان لا يفترقا مفهوما (لا يقال) صحة الاستثناء من لا رجل ولا من رجل يقدح فى نصوصيتها (لانا نقول) لا قدح لجريانه فى الالفاظ الناصبة نفاقا كأسماء العدد وقد حقق فى موضعه (قوله هو المشهور) فعلى هذا يكون الكتاب نفسه هدى وعلى الآخر ظرفه والاول أبلغ فالمشهور أولى (قوله من أن ينوى خبرا) وذلك ليكون الموقوف عليه

والتقدير لا ريب فيه (فيه هدى) الهدى مصدر على فعل كالسرى والبكى وهو الدلالة الموصلة الى البغية بدليل وقوع الضلالة فى مقابلته قال الله تعالى أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى وقال تعالى لعلى هدى أو فى ضلال مبين ويقال مهدى فى موضع المدح كمهتد ولان اهتدى مطاوع هدى ولن يكون المطاوع فى خلاف معنى أصله ألا ترى الى نحو غمه فاغتم وكسره فانكسر وأشباه ذلك (فان قلت) فلم قيل هدى للمتقين والمتقون مهتدون

مصيدا معنى تاما والا كان بلوغ قيمة ناقصا (قوله بدليل وقوع الضلالة فى مقابلته) استدل على ان الهدى هو الدلالة الموصلة الى البغية أى المطلوب لا مطلق الدلالة على ما يوصل اليها بوجوه ثلاثة الاول انه يقابل الضلالة استعمالا كما فى الآيتين ولا شك ان الخيبة وعدم الوصول الى المطلوب معتبر فى مفهوم الضلالة فلو لم يعتبر الوصول اليه فى مفهوم الهدى لم يصح التقابل واعترض بان المذكور فى مقابلة الضلالة هو الهدى اللازم بمعنى الاهتداء مجازا واما اشتراكا كما قال فى الصحاح هدى واهتدى بمعنى والكلام فى المتعدى ومقابله الاضلال والاستدلال به لا يتم اذ يعتبر فيه بالدلالة على ما لا يوصل الى المرام لا يجعله ضالا أى غير واصل وأجيب بانه لا فرق الا بالتأثر والتأثير فالهدى لانه مطاوعه فلا يعقل الا بانه تأثير ومطاوعة تأثر واذا اعتبر الوصول فى اللازم كان معتبرا فى المتعدى أيضا وأما اعتبره فى مقابلته الراجع الى اللازم فسيأتى الاستخدام ويرد عليه ان التمسك بالمطاوعة وجه مستقل وذكر المقابلة حينئذ يكون مستدركا لان اعتبار الوصول فى الاهتداء مستغن عن الدليل الثانى انه يقال فى موضع المدح ولان مهدى كما يقال فلان مهتد ولا مدح الا بالوصول الى الكمال المطلوب ولو فسر بان استعداد الكمال والتمكن من الوصول اليه أيضا فضيلة يستحق عليها المدح وبان الهدى فى مقام المدح يراد به المنتفع بالهدى مجازا فان من لم ينتفع بالهدى كان فى حقه كانه معدوم اذ لا اعتداد بالوسيلة عند فقدان المقصود وأجيب عن الاول بان التمكن مع عدم الوصول فيه نقيصة يذم بها وعن الثانى بان الاصل فى الاطلاق الحقيقة فمتى استعمل الهدى هناك فى الواصل كان حقيقة فيه الثالث ان اهتدى مطاوع هدى يقال هديته فاهتدى والمطاوعة عبارة عن حصول الاثر فى المفعول بسبب تعلق الفعل المتعدى ولا يكون المطاوع مخالفا لاصله الا فى انه تأثر وأصله تأثير فان المنكسر مثلا فيه حالة هى تحصيلها كسر وقبولها انكسار فلو لم يكن فى الهدى ايصال الى المطلوب لم يكن فى الاهتداء وصول اليه ونقض بنحو أمرته فلم يأتمر وعلمته فلم يتعلم ورد بان حقيقة الائتمار صيرورته مأمورا وهو بهذا المعنى مطاوع للامر ثم استعمل فى الامتثال مجازا حتى صار حقيقة عرفية وليس هذا بمعنى الامتثال مطاوعا للامر وان كان مرتبا عليه فى الجملة على صورة المطاوعة قال الفاضل اليمنى هو مطاوع لكنه نادر لا يلحق به غيره بل بالاعم الاغلب فاما علمته فى المثال المذكور فلم يرد به ما هو حقيقته أى حصلت فيه العلم بل أريد به معناه المجازى أى وجهت نحوه ما يفضى الى العلم غالبا وليس التعلم مطاوعا لا لمعناه الحقيقى قال رحمه الله وبذلك يندفع ما يقال ان المتأثر ان كان مختارا لم يجب أن يكون مطاوعا موافقا لاصله وان لم يكن مختارا وجب (ثم) قد كثر فى قسم المختار استعمال الاصل فى معناه مجازا أعنى توجيه ما يفضى الى الفعل غالبا وقيل فى جواب النقض بالائتمار ان حقيقة الامر لغة لا تثبت الا الامتثال لكن منع من ذلك لزوم الجبر وسقوط الاختيار فيتخلف عنه لمانع مخصوص وفيه ان هذا المانع موجود فى الاهتداء فيتخلف عن الهدى وعورضت الوجوه الثلاثة بقوله تعالى وأما ثمود فهديناهم وأجيب بانه مجاز عن ازاحة العلل واقامة أسباب الاهتداء بقرينة قوله تعالى فاستحبوا العمى على الهدى أى آثروه عليه ولولاها لتبادر منه الايصال ورد بان الاصل الحقيقة ودفع بانه لولا تلك القرينة وما أشبهها لتبادر منه غير ذلك المعنى وهو كونه غير مجاز فيه هذا وأما قوله ويقال مهدى وقوله ولان اهتدى فمعطوف على قوله بدليل وقوع الضلالة بحسب المعنى أى لان الضلالة واقعة فى مقابلته ولانه يقال ولان اهتدى (قوله مم قيل) الفاء مؤذنة بالاستنكار

(قال محمود رحمه الله ان قلت فلم قيل هدى للمتقين والمتقون مهتدون الخ) قال أحمد رحمه الله الهدى يطلق فى القرآن على معنيين أحدهما الارشاد وايضاح سبيل الحق ومنه قوله تعالى وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى وعلى هذا يكون الهدى للضال باعتبار انه رشد الى الحق سواء حصل له الاهتداء أولا والآخر خلق الله تعالى الاهتداء فى قلب العبد ومنه أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده فاذا ثبت وروده على المعنيين فهو فى هذه الآية يحتمل أن يراد به المعنيان جميعا وأما قول الزمخشرى ان القرآن لا يكون هدى للمعلوم بقاؤهم على الضلالة فانما يستقيم اذا أريد بالهدى خلق الاهتداء فى قلوبهم وأما اذا أريد معناه الاول فلا يمتنع ان الله تعالى أرشد الخلق أجمعين وبين للناس ما نزل اليهم فمنهم من اهتدى ومنهم من حقت عليه الضلالة هذا مذهب أهل السنة

(قلت) هو كقولك للعزيز المكرم أعزك الله وأكرمك تريد طلب الزيادة الى ما هو ثابت فيه واستدامته كقوله اهدنا الصراط المستقيم ووجه آخر وهو أنه سماهم عند مشارفتهم لاكتساء لباس التقوى متقين كقول رسول الله صلى الله عليه وسلم من قتل قتيلا فله سلبه وعن ابن عباس اذا أراد أحدكم الحج فليعجل فانه يمرض المريض وتضل الضالة وتكون الحاجة فسمى المشارف للقتل والمرض والضلال قتيلا ومريضا وضالة ومنه قوله تعالى ولا يلدوا الا فاجرا كفارا أى صائرا الى الفجور والكفر

أى ما ذكرتم فى تفسير الهدى يقتضى أن يكون هدى للمتقين دالا على تحصيل الحاصل كأنه قيل دلالة موصلة الى المطلوب للمتقين الواصلين اليه ولو فسر الهدى بالدلالة على ما يوصل اليه كان هناك محذور آخر وهو أن تعلقه بالمتقين عار من الفائدة فان من اهتدى الى المقصود كانت دلالته على ما يوصل اليه لغوا (قوله هو كقولك) يعنى أريد بالهدى زيادة الهدى الى مطالب أخرى غير حاصلة والتثبت على ما كان حاصلا كما فى قوله تعالى اهدنا أو أريد بالمتقين المشارفون للتقوى والاول هو المختار الملائم لنظم القرآن وسيأتى اشارة اليه فقدمه لذلك ولئلا يفصل به بين التنافى وما يتفرع عليه من السؤال الآتى ﴿لا يقال﴾ قد سبق ان الهدى فى التثبت مجاز وفى الزيادة حقيقة أو مجاز فكيف يجمع بينهما ههنا ﴿لانا نقول﴾ لم يرد ان اللفظ مستعمل فيهما معا بل فى الزيادة فقط والتثبت لازم تبعا وان صح أن يجعل مقصودا بنفسه ويستعمل اللفظ فيه وحده ﴿فان قلت﴾ نحو قولك أعزك الله وأكرمك يحتاج الى التأويل المذكور لانه طلب مختص بالاستقبال ولو لم يؤول لزم طلب تحصيل الحاصل وأما هدى للمتقين فلا حاجة فيه الى التأويل أصلا اذ لا دلالة على زمان قطعا بل معناه هدى للمتقين المهتدين بذلك الهدى فلا اشكال أولا ترى انك اذا قلت السلاح عصمة للمعتصم على معنى انه سبب لها لم يتوهم ان هناك عصمة أخرى مغايرة لما كان عليه الشخص المعتصم ممتنعا ﴿قلت﴾ انك اذا عبرت عن شئ باعتبار معنى وصفية واقعة به المعنى المصدرى فى صيغة فعل أو غيره فهم منه فى عرف اللغة ان ذلك الشئ موصوف بتلك الصفة حال تعلق ذلك المعنى لا بسببه مثلا اذا قلت ضربت مضروبا تبادر الى الفهم فى ذلك العرف انه موصوف بالمضروبية قبل زمان تعلق ضربك به لا بسبب ضربك اياه والسر فى ذلك انك فى بيان تعلق ضربك به تلاحظ ما هو عليه فى زمان التعلق وتعبر عنه بما هو متصف له ويستحق ان تعبر به عنه وان لم يتعلق به ضربك سمى كان أو صفة فاذا عبرت عنه بالمضروب كانت مضروبيته صفة مسلمة له مأخوذة على انها حقه وان لم تضربه ولا شك ان مضروبيته بهذا الضرب صفة متفرعة على ما أنت متصد لبيان ثبوته فى ذلك الزمان فلا تكون مسلمة فيه مستحقة له فاذا أردت انه مضروب بضربك هذا كان مخالفا للظاهر مجازا باعتبار المآل فقولك هديت الهادى أو المهتدى أو أضللت الضال أو الهادى جار على ظاهره بخلاف قولك هدى للمتقين واضلال الضال وأما حديث العصمة فلا يجديك نفعا اذ لم يرد بها المعنى المصدرى المتضمن للتجدد والحدوث بل أريد الحاصل بالمصدر وهو معنى مستقر ثابت يضاف الى المعتصم وينسب اليه باللام على ان الظرف مستقر أى عصمة كائنة للمعتصم وان جعلت مصدرا واللام لتقوية العمل كما هو الظاهر من هدى للمتقين احتيج هناك أيضا الى أحد التأويلين وقس على ذلك نحو قولك صحة للصحيح ومرض للمريض وعكسهما ﴿فان قلت﴾ متعلقات الافعال وأطراف النسب هل حقها على الاطلاق ان يعبر عنها حال التكلم أو تستحق ان يعبر عنها بما حال التعلق والنسبة لا حال الحكم حتى لو خولف ذلك كان مجازا ﴿قلت﴾ لا فان قولك عصرت هذا الخل فى السنة الماضية مشيرا الى خل بين يديك ليس فيه مجاز مع انه لم يكن خلا زمان العصر وقولك سأشرب هذا الخل مشيرا الى عصير عندك مجاز باعتبار المآل وان كان خلا حال الشرب فمن قال المعتبر فى المجاز بحسب الصيرورة والمشارفة هو حال النسبة لا حال الحكم فقد سها بل الواجب فى ذلك ان يرجع الى موضع الكلام وطريقته فتارة يعتبر زمان النسبة

(فإن قلت) فهلا قيل هدى للضالين (قلت) لأن الضالين فريقان فريق علم بقاؤهم على الضلالة وهم المطبوع على قلوبهم وفريق علم أن مصيرهم الى الهدى فلا يكون هدى للفريق الباقين على الضلالة فبقى أن يكون هدى لهؤلاء فلو جىء بالعبارة المفصحة عن ذلك لقيل هدى للصائرين الى الهدى بعد الضلال فاختصر الكلام باجرائه على الطريقة التى ذكرنا فقيل هدى للمتقين وأيضا فقد جعل ذلك سلما الى تصدير السورة التى هى أولى الزهراوين وسنام القرآن وأول المثانى بذكر أولياء الله والمرتضين من عباده * والمتقى فى اللغة اسم فاعل من قولهم وقاه فاتقى والوقاية فرط الصيانة ومنه فرس واق وهذه الدابة تقى من وجاها اذا أصابه ضلع من غلظ الارض ورقة الحافر فهو يقى حافره أن يصيبه أدنى شئ يؤلمه وهو فى الشريعة الذى يقى نفسه تعاطى ما يستحق به العقوبة من فعل أو ترك * واختلف فى الصغائر

كما فى لامثلة المتقدمة وتارة بعد مرزمان ثباتها كما فى هدى امثالى ثم المجاز بحسب المآل قد يكون بطريق المشارفة كما فى من قتل قتيلا وعرض لمريض ونصل الصلاة فانه قبيل ومريض عقيب تعلق القتل والمرض به بلا تراخ وكذلك حال الصلاة وقد يكون بطريق الصيرورة مجردة عن المشارفة كما فى قوله ولا يلدوا الا فاجرا كفارا فان لا اتصاف بالفجور والكفر متراخ عن تعلق الولادة بالمولود فسلك فصله عما تقدمه بقوله ومنه (قوله فهلا قيل) سؤال تفريع على الوجه الثانى أى اذا أريد بالمتقين ما ذكرتم فهلا جىء بما هو حقيقة فى المراد وأى فائدة فى العدول الى المجاز وأجاب بان هناك فائدتين الاولى الاختصار الذى هو من باب الايجاز والثانى تصدير السورة الكريمة بذكر أسماء أولياء الله تعالى رعاية لحسن المطلع (قوله على الطريقة التى ذكرنا) أراد طريقة المشارفة المصرحة فيما تقدم الا ان المناسب لقوله علم ان مصيرهم الى الهدى وما بعده ان يكتفى بطريق الصيرورة ولكنه أشار به الى ذلك واختار المشارفة لكونها أوفق للصفات المدحية للمتقين (قوله وأيضا فقد جعل) عطف على قوله فاختصر ولا بد من تقدير أى وأيضا اذا كان كذا فقد جعل أو يقول أيضا فقد جعل ذلك الاجراء المؤدى الى الاختصار سلما الى فائدة أخرى فهى على منه وتطبيقه تقدير أجرى الكلام على تلك الطريقة للاختصار والتصدير وقيل هو عطف بحسب المعنى على قوله لان الضالين بناء على ان ذلك لتقسيم له مدخل فى تفريع الاختصار دون التصدير ولعل ذلك اشارة الى ترك الضالين الى المتقين وأما عطفه على فقيل فقتضى اندراجه فى تفصيل الاختصار (قوله أولى الزهراوين) أى المنيرتين من قوله صلى الله عليه وآله اقرأوا الزهراوين البقرة وآل عمران الحديث قيل سميتا بذلك لانهما زهراوين فى الاعجاز وسميت البقرة سنام القرآن لانها أعظم سورة منه وأرفعها كما ان السنام أعظم أعضاء الابل وأعلاها وسميت أيضا أول المثانى أى السبع الطوال التى تثنى فيها صفات المؤمنين والكفار والوعد والوعيد وغيرها وهى البقرة والاعراف وما بينهما ويونس ولا يصح حمل المثانى ههنا على مجموع القرآن والفاتحة كما لا يخفى وذكر لفظ أول على معنى مثنى هو أول المثانى (قوله بذكر أولياء الله) أى بذكرهم وهو لفظ المتقين الذى أبدل مكان لفظ الضالين الصائرين الى التقوى مع اتحاد المراد منهما وقد غلط من زعم ان المصنف جعل هؤلاء أولياء الله نظرا الى ظاهر لفظ المتقين والا فالضال وان كان مصيره الى التقوى لا يكون وليا لله تعالى الا على القول بان السعيد من سعد فى بطن أمه والشقى من شقى فى بطن أمه وهى مسئلة موافاة الاشعرى (قوله من وجاها) أى من أجل وجع فى حافرها يقال وجى الفرس بالكسر اذا وجد وجعا فى حافره والضمائر فى قوله يؤلمه للفرس وأما لو أحد من الفرس أو الدابة لا ضمير يصيبه فانه للحافر وفى قوله أدنى شئ اشارة الى فرط الصيانة (قوله من فعل أو ترك) اعترض بان صوابه وترك لان ما يستحق به عام متناول لهما معا والجواب انه مطلق مفسر باحدهما لا انه لو قوعه مع تفسيره بعد ما يتضمن نفيا أفاد استغراقا كانه قيل لا يفعل ما يستحق به العقوبة من فعل وترك (قوله واختلف فى الصغائر) هل يعتبر اجتنابها فى المتقى فقيل نعم لان فرط الصيانة يقتضى

(قال محمود رحمه الله واختلف فى الصغائر الخ) قال أحمد رحمه الله ومن غلو القدرية على الله تعالى اعتقادهم أن الصغائر مغفورة عنهم ما اجتنبوا الكبائر وانه يجب أن يعفو الله عنها لمجتنب الكبائر كما يجب عندهم أن لا يعفو عن مرتكب الكبائر وهذا هو الخطأ الصراح والمحادة لآيات الله البينات وسنن رسوله صلى الله عليه وسلم الصحاح والحق أن غفران الصغائر وان اجتنبت الكبائر موكول الى المشيئة كما أن غفران الكبائر موكول اليها أيضا ومن لا يعتقد ذلك وهم القدرية يضطرون الى الوقوف عند قوله تعالى فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره فانه ناطق بالمؤاخذة بالصغائر ويتحيرون عند قوله تعالى ان الله يغفر الذنوب جميعا فانه مصرح بمغفرة الكبائر أما أهل السنة فقد ألفوا بين هاتين الآيتين بقوله تعالى ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فان التقييد بالمشيئة فى هذه يقضى على الآيتين المطلقتين

وقيل الصحيح أنه لا يتناولها الا ما تقع مكفرة عن مجتنب الكبائر وقيل يطلق على الرجل اسم المؤمن لظاهر الحال والمتقى لا يطلق الا عن خبرة كما لا يجوز اطلاق العدل الا على المختبر ومحل هدى للمتقين الرفع لانه خبر مبتدا محذوف أو خبر مع لا ريب فيه لذلك أو مبتدأ اذا جعل الظرف المقدم خبرا عنه ويجوز أن ينصب على الحال والعامل فيه معنى الاشارة أو الظرف والذى هو أرسخ عرقا فى البلاغة أن يضرب عن هذه المحال صفحا

ذلك ويؤكده قوله صلى الله عليه وآله لا يبلغ العبد أن يكون من المتقين حتى يدع ما لا بأس به حذار ما به البأس فى تفسير المتقى بعد ذكر وقيل الصحيح انه أى المتقى لا يتناول الصغائر أى لا يعتبر فى مفهومه اجتنابها وعلى هذا يفسر بتفسير آخر ويقال هو من يجتنب الكبائر ولا يقدح فى ذلك ان الاصرار على الصغائر يسلب فى العدالة فكيف بالتقوى لان الاصرار عليها كبيرة انه اقول وليس بداخل تحت التكفير فان الاجتناب عنه داخل فى الاجتناب عن الكبائر وقد نقل الاختلاف فى ان ما يستحق به العقوبة هل يتناول الصغائر أم لا فمن قال يتناولها تشبث بان احتياجها الى التكفير دل على كونها سببا لاستحقاق العقوبة ومن قال لا يتناولها تشبث بانها اذا وقعت مكفرة لم يظهر للاستحقاق بها أثر فكانه لا استحقاق فلا يندرج فيما يستحق به العقوبة عند الاطلاق (قوله وقيل يطلق) ليس هذا قولا آخر مقابلا لما تقدم بل هو نقل كلام يتضمن نوع بيان حال اسم المتقى ويشير الى الفرق بينه وبين اسم المؤمن اذ اشترط دخول الاعمال فى الايمان وأما اذا لم يشترط فالفرق أظهر من ذلك (قوله أو خبر مع لا ريب فيه لذلك) أورد المعية فى كون كل منهما خبرا له على حدة (قوله والعامل فيه معنى الاشارة) كانه قيل أشير الى الكتاب حال كونه هاديا فالعامل فى الحال وصاحبه واحد لان المنصوب المحل بالفعل المذكور هو المجرور وحده على ما حقق وهو بهذا الاعتبار وقع ذا حال قال المصنف فى قوله تعالى هذا بعلى شيخا العامل فى شيخا ما فى حرف التنبيه أو اسم الاشارة من معنى الفعل فاعترض عليه بلزوم اختلاف العامل لان صاحب الحال معمول للابتداء فأجاب بان التقدير انبه أو أشير اليه شيخا فذو الحال هو ذلك الضمير المنصوب محلا بالفعل الناصب للحال فاتحد العامل فيهما وقصد بذلك التقدير ابراز معنى الفعل الذى يتضمنه حرف التنبيه أو اسم الاشارة أى معنى هذا بعلى انبه على بعلى أو أشير اليه ولم يرد ان هناك فعلا محذوفا كما ظن بعضهم واعترض بان العامل حينئذ ليس ما فيهما من معنى الفعل (قوله أو الظرف) بالرفع اى العامل فى الحال الظرف أعنى فيه ويروى مجرورا أى معنى الظرف وذو الحال هو الضمير المجرور لانه معمول معنى لا المضمر المستتر فى الظرف الراجع الى الريب لفساد المعنى وقيل الاولى ان كونه حالا من المجرور أيضا ليس بسديد من جهة المعنى الا أن غرضه بيان وجه الاعراب بحسب ما يحتمله ظاهر اللفظ وانه باطل اذ لا وجه لبيان محتملات الالفاظ مع قطع النظر عن سداد المعنى بل المراد أن العامل فى الحال هو حاصل معنى الظرف أعنى انتفاء حصول الريب كانه قيل لم يحصل فيه الريب حال كونه هاديا على انه قيد للمنفى لا للنفى حتى يرد ان القيد والمقيد متنافيان ظاهرا وان النفى حينئذ متوجه الى القيد فيفسد المعنى (قوله والذى هو أرسخ عرقا فى البلاغة) أى أدخل فيها وذلك لاشتماله على ما هو مدار البلاغة ومبعوها من رعاية جانب المعنى ومحاسنه واعتبار الدلالات العقلية والروابط المعنوية وفيما عداه من الوجوه روعى جانب الالفاظ وارتباط بعضها ببعض ارتباطا صوريا مع سداد المعنى وصحته (قوله ان يضرب) أى يعرض عن هذه المحال يريد عن اعتبار مجموعها الا عن كل واحد منها فان بعضها أعنى كون الم خبر مبتدا محذوف وكون ذلك مبتدا خبره الكتاب وكون هدى فى محل الرفع على انه خبر مبتدا محذوف وكون فيه خبر لا ريب مقرر على حاله فى هذا الوجه المختار وقوله صفحا ظرف أى ذا صفح وجانب واما مصدر أى اعراضا قال رحمه الله تعالى فى الكلام اشارة الى ان الواجب على مفسر كلام الله تعالى ان يلتفت

وأن يقال ان قوله الم جملة برأسها أو طائفة من حروف المعجم مستقلة بنفسها وذلك الكتاب جملة ثانية ولا ريب فيه ثالثة وهدى للمتقين رابعة وقد أصيب بترتيبها مفصل البلاغة وموجب حسن النظم حيث جيء بها متناسقة هكذا من غير حرف نسق وذلك لمجيئها متآخية آخذا بعضها بعنق بعض فالثانية متحدة بالاولى معتنقة لها وهلم جرا الى الثالثة والرابعة بيان ذلك أنه نبه أولا على أنه الكلام المتحدى به ثم أشير اليه بأنه الكتاب المنعوت بغاية الكمال فكان تقريرا لجهة التحدى وشدا من أعضاده ثم نفى عنه أن يتشبث به طرف من الريب فكان شهادة وتسجيلا بكماله لانه لا كمال أكمل مما للحق واليقين ولا نقص أنقص مما للباطل والشبهة وقيل لبعض العلماء فيم لذتك فقال فى حجة تتبختر اتضاحا وفى شبهة تتضاءل افتضاحا ثم أخبر عنه بأنه هدى للمتقين فقرر بذلك كونه يقينا لا يحوم الشك حوله وحقا لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ثم لم تخل كل واحدة من الاربع بعد أن رتبت هذا الترتيب الانيق ونظمت هذا النظم السرى من نكتة ذات جزالة

لفى المعانى ويحافظ عليها ويعمل الالفاظ تبعا لها (قوله جملة برأسها) أى مع قطع النظر عما بعدها (قوله مستقلة بنفسها) أى غير محتاجة الى غيرها فى افادة ما أريد بها من الايقاظ أو تقدمة الاعجاز فنزلت لذلك منزلة جملة لا محل لها فكان ذلك الكتاب جملة ثانية على هذا التقدير أيضا (قوله مفصل البلاغة) بالنصب أى جعل ترتيبها مصيبا اياه فالباء للتعدية وقد تزعم على انها للسببية والآلة هكذا معمول أى هذا النوع من التناسق (قوله وذلك) أى المجىء بها غير متعاطفة (لمجيئها متآخية) متناسبة غاية التناسب وقوله آخذا بعضها بعنق بعض تأكيد للتآخى وأقوى فى الدلالة على كمال الاتصال مما تقدم من أخذ بعض الكلام بحجزة بعض (قوله وهلم جرا) أى تعال على هينة وسهولة وهو من أمثال العرب وأصله من الجر فى السوق وهو أن تترك الابل ترعى فى سيرها وجرا مصدر وقع حالا أى جارا أو مجرورا وقيل منصوب على المصدرية لان فى هلم معنى جر وهو معطوف على مقدر أى فاحكم باتحاد الثانية بالاولى وهلم جرا الى ما بعدها (قوله بيان ذلك) أى بيان مجيئها متآخية متحدة كل لاحقة منها بسابقتها (قوله على ان الكلام المتحدى به) أى على ان المنزل هو الكلام الذى يحق ان يتحدى به وذلك على تقدير التعديد والايقاظ أو تقدمة ظاهر وأما على تقدير العلمية فظاهر من ان التسمية بهذه الالفاظ خاصة فيها اشعار بان القرآن ليس الا كلمات عربية معروفة التركيب من مسمياتها وفى الاخبار عن اسم الاشارة بانه القرآن يقتضى ذلك (قوله المنعوت بغاية الكمال) أى فى نظمه ومعناه بحيث لا يستحق غيره أن يسمى كتابا وفى ذلك تقرير وتحقيق لجهة التحدى وانه الحقيق بان يتحدى به (قوله وتسجيلا بكماله) أى حكما مقطوعا بذلك فيكون لا ريب فيه تأكيدا لذلك الكتاب كما ان هدى للمتقين تأكيد للا ريب فيه وكل واحدة من هذه الجمل الثلاث مؤكدة ومقررة معنى ما اتصلت به لفظا فلا مجال للعاطف بينها ﴿فان قلت﴾ اذا كان الم مفردات معددة لم يصح أن يعطف عليها جملة ذلك الكتاب وان لم يؤكد ما أريد بها فلا فائدة لبيان التقرير على هذا التقدير ﴿قلت﴾ فائدته الاشارة الى انه لو عبر عما أريد بها بجملة لم يصح العطف أيضا وجعل صاحب المفتاح لا ريب فيه تأكيدا لذلك الكتاب نفيا للتوهم المجازفة فيما بولغ فيه من وصف الكتاب بغاية الكمال حيث جعل المبتدا ذلك وعرف الخبر ثم قال هدى للمتقين تقريرا وتأكيدا للمجموع ذلك الكتاب لا ريب فيه وتحقيقه يعلم هناك (قوله ثم لم تخل) عطف على قوله قد أصيب ومن قال هو عطف على جىء بها متناسقة فقد أصيب وذلك لان جىء بها واقع فى حيز تعليل اصابة مفصل البلاغة بترتيب تلك الجمل بعضها مع بعض وعدم خلو كل واحدة فى نفسها عن نكتة لا مدخل له فى تلك الاصابة وأيضا (قوله بعد أن رتبت هذا الترتيب الانيق) أى المعجب (ونظمت هذا النظم السرى) أى الحسن ينادى على فساد جعل عدم الخلو جزأ من علة اصابة الترتيب المفصل وموجب حسن النظم

ففي الاولى الحذف والرمز الى الغرض بألطف وجه وأرشقه وفي الثانية ما في التعريف من الفخامة وفي الثالثة ما في تقديم الريب على الظرف وفي الرابعة الحذف ووضع المصدر الذي هو هدى موضع الوصف الذي هو هاد وايراده منكرا والايجاز في ذكر المتقين زادنا الله اطلاعا على أسرار كلامه وتبيينا لنكت تنزيله وتوفيقا للعمل بما فيه (الذين يؤمنون) اما موصول بالمتقين على أنه صفة مجرورة أو مدح منصوب أو مرفوع بتقدير أعني الذين يؤمنون أو هم الذين يؤمنون واما مقتطع عن المتقين مرفوع على الابتداء مخبر عنه بأولئك على هدى فاذا كان موصولا كان الوقف على المتقين حسنا غير تام واذا كان مقتطعا كان وقفا تاما (فان قلت) ما هذه الصفة أواردة بيانا وكشفا للمتقين أم مسرودة مع المتقين تفيد غير فائدتها

الذين يؤمنون بالغيب

وأيضا اذا جعل جزأين عليها فلا وجه للعطف بثم ولا فائدة للعطف بعدو أما على الوجه الذي ذكرناه فكأنه قيل تلك الاصلية كافية في حسن الكلام وعلو درجته ثم ان جاوزتها وطلبت وجها آخر لزيادة حسنه ورونقه لاحظت عدم الخلو بعدها اعتبار ذلك الترتيب وقوله كل واحدة لشمول النفي أي لم يجد واحدة منها خالية من نكتة ذات جزالة بل اشتمل عليها كل منها (قوله ففي الاولى الحذف) أي حذف المبتدا الذي هو هذه والرمز الى الغرض وهو ان المتحدى به معجزة من الله تعالى (قوله ما في تقديم الريب على الظرف) وهو انه يفيد نفي الريب بالكلية من غير تعرض لوجود ريب في غيره (قوله وايراده منكرا) لانه يدل على انه هدى لا يكتنه كنهه (قوله اما موصول واما منقطع) جعل المنصوب على المدح والمرفوع موصولا كالصفة المجرورة يدل على انهما تابعان حقيقة وان خرجا عن التبعية صورة وجعل المستأنف منقطعا يدل على انه ليس تابعا حقيقة كالمخصوص بالمدح وبيان ذلك ان الصفة اذ قطعت عن اعراب موصوفها مدحا أو ذما لم يتغير في المعنى مقصودها من اجرائها على موصوفها وأما المستأنف فقد قصد الاخبار عنه بما بعده لا اثباته لما قبله وان فهم ذلك ضمنا فليس هو جاريا عليه في المعنى حقيقة بل كالجاري عليه كذلك المخصوص قال أبو علي اذا ذكرت صفات للمدح أو الذم وخولف في بعضها الاعراب فقد خولف للافتتان ويسمى نحو ذلك قطعا فقد صرح بان الكل صفات والقاسمي قد ما نظر الى اللفظ فلا ينافي جعله موصولا نظرا الى المعنى ﴿فان قلت﴾ تغيير الاعراب نصبا أو رفعا من أي وجه يدل على ما قصد به من مدح أو ذم أو غيرهما ﴿قلت﴾ من حيث ان تغيير المألوف يدل على زيادة ترغيب في استماع المذكور ومزيد اهتمام بشأنه سيما مع التزام حذف الفعل أو المبتدا وذلك يقصد به ما يناسبه ويليق بالمقام من المدح أو الذم أو نحو ذلك ويتعين بمعونة المقام وذكر ابن مالك انه التزم حذف الفعل في المنصوب اشعارا بانه لانشاء المدح كالمنادى وحذف المبتدا في المرفوع اجراء للوجهين على سنن واحد (قوله أعني الذين أو هم الذين) نشرا لما تقدم (قوله حسنا غير تام) قد عرفت ان التام هو الوقف على مستقل يكون ما بعده أيضا مستقلا وان الحسن هو الوقف على مستقل سواء استقل ما بعده أولا وحيث كان المخصوص بالمدح تابعا حقيقة لم يكن مستقلا كيف وقد نبهوا على شدة اتصاله وعدم استقلاله بالتزام حذف الفعل والمبتدا ليكون في صورة متعلق بما قبله فالوقف على المتقين حينئذ غير تام ومن اشترط في ذلك ان يكون لما بعد الموقوف عليه تعلق اعرابي به قال المخصوص وصف في المعنى لما قبله فكأنه تابع في الاعراب (قوله كان وقفا تاما) لان المستأنف كلام مفيد مستقل وان كان من تطابب قبله ارتباطا معنويا بما بعد الصلوحية ان يعطف عليه قوله ان الذين كفروا وسيأتيك تحقيقه (قوله ما هذه الصفة) أجمل في الاستفهام ثم فصل مبالغة وتنبيها على ان هذه الصفة لها شأن بواسطته تحتمل وجوها وهنا وقدم الكاشفة ترجيحا لها وان كانت المخصصة أدور في الاستعمال وغير الاسلوب في المدحية بقوله أم جاءت لفظها كما يقال في الشعر وقد يجيء لمجرد الثناء ولذلك أشار الى مثلها وقوله (واردة) خبر مبتدا محذوف على معنى أهي واردة وقيل بدل من ما الاستفهامية وانما تصح اذا جعلت ما خبرا مقدما

* قوله تعالى الذين يؤمنون بالغيب

أم جاءت على سبيل المدح والثناء كصفات الله الجارية عليه تمجيدا (قلت) يحتمل أن ترد على طريق البيان والكشف لاشتمالها على ما أسست عليه حال المتقين من فعل الحسنات وترك السيئات أما الفعل فقد انطوى تحت ذكر الايمان الذى هو أساس الحسنات ومنصبها وذكر الصلاة والصدقة لان هاتين أم العبادات البدنية والمالية وهما العيار على غيرهما ألم تر كيف سمى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلاة عماد الدين وجعل الفاصل بين الاسلام والكفر ترك الصلاة وسمى الزكاة قنطرة الاسلام وقال الله تعالى وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة فلما كانتا بهذه المثابة

اذ لو كانت مبتدأ لم يجز أن تعطف أم جاءت على واردة فان الفعل لا يعطف على ما هو بدل من المحكوم عليه وبيانا اما مفعول له لكون واردة بمعنى موروده واما حال ويؤيده ان قوله تفيد حال والضمير فى فائدتها عائد الى الواردة بيانا كما تشعر به عبارة المفتاح أو الى المتقين بتأويل الكلمة أو اللفظة وهذا أولى لان معنى قوله بيانا وكشفا للمتقين انها لا تفيد غير فائدة لفظ المتقين بل تفصل مفهومها الذى يقابل ذلك انها تفيد غير فائدتها وأيضا قوله فيما بعد وتكون صفة برأسها معناه انها صفة مخصصة مفيدة غير ما أفاده موصوفها لا أنها مفيدة غير فائدة الكشف كما قيل (قوله أم جاءت على سبيل المدح والثناء) قال رحمه الله تعالى الفرق بين المدح صفة والمدح اختصاصا من وجهين الاول ان المقصود الاصلى من الاول اظهار كمال الممدوح والاستلذاذ بذكره ومن الثانى تخصيص بعض صفاته بالذكر اشارة الى تفوقها على سائر الصفات المسكوت عنها ومن الثانى اظهار ان تلك الصفة أقوى باستحقاق المدح من سائر الصفات الكمالية اما مطلقا أو بحسب ذلك المقام حقيقة أو ادعاء الثانى ان الوصف فى الاول أصل والمدح تبع وفى الثانى بالعكس (قوله تمجيدا) مفعول له اما على انه فعل للصفات مجازا أو على ان الجارية يدل على معنى الجراء (قوله يحتمل ان ترد على طريق البيان والكشف) يعنى ان المتقى فى الشريعة كما مر من يقى نفسه ما يستحق به العقوبة من فعل سيئة أو ترك حسنة ومحصله انه الذى يفعل الحسنات ويترك السيئات فحال المتقى مؤسسة على هذين الامرين وهذه الصفة أعنى الذين يؤمنون بالغيب الخ مشتملة عليهما فهى كاشفة لموصوفها على وجه لطيف وهو انه عدل من تلك العبارة الجامعة الى المفصل لفوائد الاولى ان الحسنات أساسا وعمدة وان واحدة منها وهى الصلاة تستتبع ترك السيئات الثانية انقسام الحسنات الى قلبية وقالبية ومالية الثالثة التنبيه بترتيب ذكرها على تفاصيلها الرابعة انه اقتصر من القلبية بالايمان ومن الاخريين بالصلوة والصدقة بناء على انها أصول وما عداها منطوية تحتها وفى قوله أساس الحسنات ومنصبها أى الاصل الذى نبتت هى منه وقوله أما العبادات البدنية والمالية دلالة على تفضيل الايمان عليهما من جهتين الاولى انه أصل للحسنات كلها وهما لبعضها الثانية انه أساس لهما لا توجد حسنة بدونه كما لا يوجد بناء دون أساسه بخلاف الصلوة للعبادات البدنية والصدقة للمالية فانهما ليستا شرطين لصحتهما وان كانتا أصلين لهما جعلتا بمنزلة الام اذ قد يستغنى عنها بعد الولادة (قوله وهما العيار) أى الشاهد يريد أن من أتى بهما كان آتيا بغيرهما ولم يقل وهما العياران نظرا الى أصله فانه مصدر عايرت المكاييل والموازين اذا قدرتها ثم نقل الى الآلة أعنى ما يقاس به ويعاير ثم أطلق على الدليل الذى يعرف به صحة الشئ من فساده تشبيها له بتلك الآلة ﴿فان قلت﴾ هما عيار على البدنية والمالية فما الشاهد على حسنات القلب ﴿قلت﴾ الايمان فانه مع كونه أصلا للكل له مزيد مجانسة معها (قوله عماد الدين) حيث قال فى حديث طويل رأس الامر الاسلام وعموده الصلاة وقال الصلاة عماد الدين فمن أقامها الحديث واذا كان ترك الصلاة فاصلا بين الكفر والاسلام لقوله صلى الله عليه وآله من تركها متعمدا فقد كفر كان الاتيان بها عمدة فى الاسلام واذا كان ترك الزكاة سببا للوعيد مع الاشراك كان ايتاؤها عدة صالحة فى تحصيل النجاة (قوله بهذه المثابة) اشارة الى كون الصلاة عمادا وعمدة فى الدين

كان من شأنهما استجرار سائر العبادات واستتباعها ومن ثم اختصر الكلام اختصاراً بأن استغنى عن عد الطاعات بذكر ما هو كالعنوان لها والذي اذا وجد لم تتوقف أخواته أن تقترن به مع ما في ذلك من الافصاح عن فضل هاتين العبادتين وأما الترك فكذلك ألا ترى الى قوله تعالى ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ويحتمل أن لا تكون بياناً للمتقين وتكون صفة برأسها دالة على فعل الطاعات ويراد بالمتقين الذين يجتنبون المعاصي ويحتمل أن تكون مدحاً للموصوفين بالتقوى وتخصيص للايمان بالغيب واقام الصلاة وايتاء الزكاة بالذكر اظهاراً لانافتها على سائر ما يدخل تحت حقيقة هذا الاسم من الحسنات * والايمان افعال من الامن يقال أمنته وآمنته غيري ثم يقال آمنه اذا صدقه وحقيقته آمنه التكذيب والمخالفة

وكون الزكاة فطرة وعمدة فيه (قوله كان من شأنهما) أي من شأن كل واحدة منهما استجرار ما يجانسها ويناسبها أي بدء مناسبة في البدنية والمالية فاستدل بالاحاديث على كونهما أمين مستتبعين لما عداهما ويلزم كونهما عياراً عليه والمقصود المتأثر به فلذلك قال ومن ثمة أي ومن أجل أنهما مستتبعان سائر العبادات وأشار الى كونهما عياراً بقوله كالعنوان وهو ظاهر الكتاب الذي يدل على باطنه اجمالاً (قوله والذي) عطف على ما هو وعدم توقف الاخوات في الاقتران راجع الى أداء معنى الاستجرار والاستتباع وقوله (ان يقترن) صح مع الياء وتشديد النون بادغام لام الكلمة في نون الضمير (قوله مع ما في ذلك) أي في ذكر هاتين العبادتين وجعلهما دليلاً فائدتان الاختصار والافصاح عن فضلهما بأنهما أصلان يتبعهما ما سواهما فلا احتياج الى ذكره معهما وعلى هذا فسائر العبادات وترك السيئات مفهومة تبعاً لا انها داخلان فيما استعمل فيه اللفظ وزعم بعضهم ان الايمان بالغيب واقام الصلاة وايتاء الزكاة كناية عن فعل جميع الحسنات وترك جميع السيئات وعلى هذا تكون الطاعات بأسرها مذكورة بلفظ بعضها فلا ينحصر المذكور فيما هو عنوان لها وهو خلاف المتبادر من عبارة الكتاب ولا حاجة اليه فان المعاني المقصودة تعالم تستعمل فيها الالفاظ وليست أجزاء لما استعملت هي فيها (قوله وأما الترك فكذلك) أي فقد انطوى تحت ذكر (قوله ويراد بالمتقين) قيل هذا معنى لغوي لان التقوى في اللغة هو الاحتراز وقيل المراد هنا احتراز خاص فلا يكون حقيقة لغوية وبالجملة لفظ المتقي يطلق على مجتنب المعاصي سواء أتى بالطاعات أولا وعلى هذا فالصفة مخصصة لموصوفها دالة على بعض أحواله الخارجة عنه كزيد العالم واعترض بان اجتناب المعاصي كلها مستلزم للاتيان بالطاعات فان ترك الطاعة معصية بقوله تعالى لا يعصون الله ما أمرهم فلا تكون الصفة مخصصة وأجيب بأنه أريد بالمعصية هنا ما اتفق بهم من صريح وترك المأمور به منهي عنه ضمناً وبان المعصية فعل ما نهي عنه والترك ليس بفعل فلا يندرج فيها (قوله اظهاراً لانافتها) أي لعلوها وزيادتها وذلك لما مر من ان تخصيصها بالذكر في مقام المدح من بين ما يشتمل عليه هذا الاسم يدل على انها أشرف مما عداها وأولى بان يمدح بها وليس هنا ملاحظة استجلابها لما سواها كما في الاول فلذلك ما اقتصر هناك بذكر الافصاح والفضل وأورد هنا الاظهار والانافة فتأمل والحاصل ان المتقي ان حمل على المعنى الشرعي وان جعل خطاباً بان عرف تفصيله كانت الصفة مادحة والا فكاشفة وان حمل على مجتنب المعاصي كانت مخصصة قال رحمه الله تعالى وحيث كان الاستئناف أرجح عنده فلا فائدة في الترجيح بين هذه الاقسام والتفريع عليها واعلم ان المتقين ان حمل على المشارفين لم يحسن أن يجعل الذين يؤمنون بالغيب صفة ولا مخصوصاً بالمدح نصباً أو رفعاً ولا استئنافاً أيضاً لان الصائرين الى التقوى لم يتصفوا بشيء مما ذكر وحمل الكل على الاستقبال والمشارفة يأباه مساق الكلام عند من له ذوق سليم وهذا ما وعدناك في ترجيح تأويل الهدى بالزيادة والثبات (قوله والايمان افعال من الامن) يتعدى الى مفعول واحد تقول أمنته فاذا عدي بالهمزة يتعدى الى مفعولين تقول آمنيه غيري ثم استعمل في التصديق فقيل مجازاً لغوياً واليه أشار بقوله (وحقيقته) أي حقيقة آمن بمعنى صدق

وأما تعديته بالباء فلتضمينه معنى أقر واعترف وأما ما حكى أبو زيد عن العرب ما آمنت أن أجد صحابة أي ما وثقت فحقيقته صرت ذا أمن به أي ذا سكون وطمأنينة وكلا الوجهين حسن في يؤمنون بالغيب أي يعترفون به أو يثقون بأنه حق

يعني أن الإيمان حقيقة في جعل الشخص آمنا ثم أطلق على التصديق لاستلزامه إياه فإنك إذا صدقته فقد آمنته التكذيب وقيل حقيقة لغوية كما يشعر به كلامه في الأساس وما ذكره من أن حقيقته كذا بيان للمعنى الحقيقي الأصلي الذي وضع اللفظ له أولا في اللغة ثم وضع ثانيا لمعنى آخر يناسبه وهكذا دأبه في تحقيق الأوضاع الأصلية ومناسبات المعاني اللغوية بعضها لبعض (قوله وأما تعديته) الإيمان بمعنى التصديق يتعدى بنفسه فإذا عدي بالباء كان لتضمينه معنى الاعتراف والإقرار فإنك إذا صدقت شيئا فقد اعترفت به (والتضمين) أن يقصد بلفظ فعل معناه الحقيقي ويلاحظ معه معنى فعل آخر يناسبه ويدل عليه بذكر شيء من متعلقاته كقولك أحمد إليك فلانا فإنك لاحظت مع حمده معنى الإنهاء ودللت عليه بذكر صلته أعني إلى أي أنهي حمده إليك وفائدة التضمين إعطاء مجموع المعنيين والفعلان مقصودان معا قصدا وتبعا قال المصنف من شأنهم أنهم يضمنون الفعل معنى فعل آخر فيجرونه مجراه ويقولون هيجني شوقا فيعدى إلى مفعولين مع أنه وإن كان هو يتعدى إلى الثاني بإلى يقال هيجه إلى كذا لتضمنه معنى ذكر وقال ابن جني لو جمعت تضمينات العرب لاجتمعت مجلدات ﴿فإن قلت﴾ اللفظ إذا كان مستعملا في معنيين معا كان جمعا بين الحقيقة والمجاز وإن كان مستعملا في أحدهما لم يتضمنه الآخر فلا تضمين ﴿قلت﴾ هو مستعمل في معناه الحقيقي فقط والمعنى الآخر مراد بلفظ محذوف يدل عليه ذكر ما هو من متعلقاته فتارة يجعل المذكور أصلا في الكلام والمحذوف حالا كما في قوله تعالى ولتكبروا الله على ما هداكم كأنه قيل ولتكبروا الله حامدين على ما هداكم وتارة يعكس فيجعل المحذوف أصلا والمذكور مفعولا كما مر من المثال وحالا كما يشير إليه قوله أي يعترفون به فإنه لا بد من تقدير الحال أي يعترفون به مؤمنين الإيمان لكن تضمينا لا مجازا عن الاعتراف ﴿فإن قلت﴾ إذا كان المعنى الآخر مرادا بلفظ محذوف لم يكن في ضمن المذكور فكيف قيل إنه مضمن إياه ﴿قلت﴾ لما كان مناسبة المعنى المذكور مع ذكر صلته قرينة على اعتباره جعل كأنه في ضمنه ومن ثم كان جعله حالا وتبعا للمذكور أولى من عكسه وقيل ذكر صلة المتروك يدل على أنه مقصود أصالة وذكره يدل على أنه مراد في الجملة فلولاه لم يكن مرادا أصلا ورعاية الأصل أن يراد كلا المعنيين معا في التضمين بلفظ واحد على أنه كناية يراد بها معناه الأصلي ليتوسل بفهمه إلى ما هو المقصود الأصلي الحقيقي ولا حاجة إلى تقدير إلا لتصوير المعنى وإبرازه فينقلب الحال وفيه ضعف لأن المكنى به في الكناية قد لا يقصد ثبوته وفي التضمين يجب أن يقصد ثبوت كل واحد من المضمن والمضمن فيه ولو قيل أريد بلفظ المذكور معناه قصدا وما يناسبه تبعا له وجعل ذكر صلته دليلا على أنه مقصود منه كذلك فلا يكون اللفظ مستعملا إلا في معناه حقيقة ولم يكن هناك محذوف لم يكن بعيدا بل كأنه أقرب إلى مفهوم التضمين (قوله وأما ما حكى أبو زيد) يريد أن الإيمان مستعمل بمعنى الوثوق مأخوذ من الأمن على أن الهمزة للصيرورة فإن من وثق بشيء صار ذا أمن وفسر الأمن بالسكون والطمأنينة فإن الآمن يجد عدم أمن نفسه كأن الخائف يجد قلقا واضطرابا وأشار بقوله حكى أبو زيد إلى قلة استعماله في هذا المعنى وكونه مجازا فيه كما أشار إلى كثرة استعماله في التصديق بقوله ثم يقال فيكون قوله فحقيقته صرت ذا أمن به مجرى على ظاهره والظرف أعني به مستقر صفة لأمن بخلافه في قولك وثقت به فإن الباء صلة للوثوق ولما ذكر أن الإيمان بمعنى التصديق يتعدى بنفسه كان مظنة أن يتردد في حال الباء الذي يستعمل معه ففصله وحققه بقوله وأما تعديته ولما بين أن حقيقة الإيمان بذلك المعنى ما هي اقتضى أن يعقبه ببيان حقيقته بمعنى الوثوق (قوله ما آمنت أن أجد صحابة) أي رفقاء وهذا الكلام يقوله من نوى سفرا ثم تأخر عنه لهذا العذر

ويجوز أن لا يكون بالغيب صلة للإيمان وأن يكون في موضع الحال أي يؤمنون غائبين عن المؤمن به وحقيقته ملتبسين بالغيب كقوله الذين يخشون ربهم بالغيب ليعلم أني لم أخنه بالغيب ويعضده ما روي أن أصحاب عبد الله ذكروا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وإيمانهم فقال ابن مسعود إن أمر محمد كان بينا لمن رآه والذي لا إله غيره ما آمن مؤمن أفضل من إيمان بغيب ثم قرأ هذه الآية (فإن قلت) فما المراد بالغيب إن جعلته صلة وإن جعلته حالا (قلت) إن جعلته صلة كان بمعنى الغائب إما تسمية بالمصدر من قولك غاب الشيء غيبا كما سمي الشاهد بالشهادة قال الله تعالى عالم الغيب والشهادة والعرب تسمي المطمئن من الأرض غيبا وعن النضر بن شميل شربت الإبل حتى وارت غيوب كلاها يريد بالغيب الخمصة التي تكون في موضع الكلية إذا بطنت الدابة انتفخت وإما أن يكون فيعلا فخفف كما قيل قيل في قيل والمراد به الخفي الذي لا ينفذ فيه ابتداء إلا علم اللطيف الخبير وإنما نعلم منه نحن ما أعلمناه أو نصب لنا دليلا عليه ولهذا لا يجوز أن يطلق فيقال فلان يعلم الغيب وذلك نحو الصانع وصفاته والنبوات وما يتعلق بها والبعث والنشور والحساب والوعد والوعيد وغير ذلك وإن جعلته حالا كان بمعنى الغيبة والخفاء (فإن قلت) ما الإيمان الصحيح (قلت) أن يعتقد الحق ويعرب عنه بلسانه ويصدقه بعمله فمن أخل بالاعتقاد وإن شهد

(قوله ويجوز أن لا يكون) عطف بحسب المعنى على قوله وكلا الوجهين حسن في يؤمنون بالغيب كأنه قيل يحسن أن يكون بالغيب صلة للإيمان إما أصالة أو تضمينا ويجوز أن لا يكون صلة له (قوله وحقيقته ملتبسين بالغيب) يريد أن ما ذكره أولا حاصل معناه وحقيقته هذا (قوله إن أصحاب عبد الله) قد مر أنه إذا أطلق يراد به ابن مسعود فالأنسب أن يقال فقال عبد الله وكأنه أراد مزيد توضيح واحترازا عن تكرير للاسم (قوله من إيمان بغيب) أي ملتبس بغيب عن المؤمن به وهو إيمان من آمن بمحمد صلى الله عليه وآله غائبا عنه ولم يره ولما استشهد بالآية دل على أنها محمولة على هذا المعنى (قوله فما المراد) تفريع على ما جوزه من كون الغيب صلة وغير صلة عنده فإنه يحرك السؤال عن معنى الغيب وأنه يتعدد بتعددهما أو يختلف (قوله تسمي المطمئن من الأرض) يروى بفتح الهمزة على أنه مكان وبكسرها على أنه صفة والتذكير باعتبار الموضع (قوله والخمصة) أراد بها الحفرة في موضع الكلية وأصلها الجوعة (قوله وإما أن يكون) عطف على تسمية على معنى أن الغيب إذا جعل بمعنى الغائب فإما لتسمية الفاعل بالمصدر وإما لكونه فيعلا بمعنى الفاعل (قوله والمراد به) أي من الغيب بمعنى الغائب سواء كان مصدرا أو مخففا من فيعل (قوله ما أعلمناه) بفتح الميم أي حصل للطيف الخبير علمنا به وهو إشارة إلى الدليل السمعي كما أن قوله أو نصب لنا دليلا إشارة إلى الدليل العقلي وقد يقال أراد بالأول ما نص عليه نفسه والثاني ما نصب عليه دليلا عقليا أو سمعيا يتوصل منه إليه (قوله ولهذا) أي لأن المراد بالغيب ما ذكر وأعلم بحر الإطلاق في غيره تعالى لأنه يتبادر منه تعلق علمه به ابتداء فيكون مناقضا وأما إذا قيد وقيل أعلمه الله تعالى الغيب أو أطلعه عليه فلا محذور فيه (وذلك) أي وذلك الخفي (قوله وما يتعلق بها) أي بالنبوات كأحوال المعجزات موضع ما قبله مثال لما نصب لنا دليلا عقليا وما بعده مثال لما أعلمناه بدليل نقلي وقد فسر ما يتعلق بالنبوات بالشرائع والأحكام فيتعلق بما بعده والأولى أن يبقى على عمومه ويترك التخصيص في الأمثلة فإن بعض الصفات قد تعلم بالسمع (قوله وغير ذلك) أي من الصراط وتطاير الكتب والميزان ونظائرها (قوله وإن جعلته حالا) قيل الفرق بين جعله صلة وجعله حالا أن الإيمان على الأول إما مضمن فيه معنى الاعتراف أو مجاز عن الوثوق والغيبة في المعنى صفة للمؤمن به أي يؤمنون بما هو غائب عنهم وعلى الثاني بمعنى التصديق بلا تضمين والغيبة صفة للمؤمن والمؤمن به محذوف للعموم أي يؤمنون حال الغيبة كما يؤمنون في حال الحضور لا كالذين نافقوا (قوله ما الإيمان) سؤال عن الإيمان الشرعي إذ قد فرغ من بيان معناه اللغوي ولذلك قيده بالصحيح أي المعتبر شرعا فاحترز به عن إيمان الفاسق (قوله أن يعتقد الحق) أي يجزم به ويذعن له بقلبه وهذا هو المعنى بالتصديق الذي اكتفى به

(قال محمود رحمه الله تعالى إن قلت ما معنى الإيمان الصحيح الخ قال أحمد رحمه الله يعني بالفاسق غير مؤمن ولا كافر وهذا من الأسماء التي سماها القدرية وما أنزل الله بها من سلطان ومعتقد أهل السنة أن الموحد لله الذي لا يخل في عقيدته مؤمن وإن ارتكب الكبائر وهذا الصحيح لغة وشرعا أما لغة فإن الإيمان هو التصديق وهو مصدق وأما شرعا فأقرب شاهد عليه هذه الآية فإنه لما عطف فيها العمل الصالح على الإيمان دل على أن الإيمان معقول بدونه ولو كان العمل الصالح من الإيمان لكان العطف تكرارا وانظر حيلة الزمخشري على تقريب معتقده من اللغة بقوله المؤمن من اعتقد الحق وأعرب عنه بلسانه وصدقه بعمله فجعل التصديق من خصائص العمل حتى يتم له أن من لم يعمل فقد فوت التصديق الذي هو الإيمان لغة ولقد أوضحنا أن التصديق إنما هو بالقلب ولا يتوقف وجوده على عمل الجوارح فحقق معتقد أهل السنة

وعمل فهو منافق ومن أخل بالشهادة فهو كافر ومن أخل بالعمل فهو فاسق * ومعنى إقامة الصلاة تعديل أركانها وحفظها من أن يقع زيغ في فرائضها وسننها وآدابها من أقام العود إذا قومه أو الدوام عليها والمحافظة عليها كما قال عز وعلا الذين هم على صلاتهم دائمون والذين هم على صلواتهم يحافظون من قامت السوق إذا نفقت وأقامها قال أقامت غزالة سوق الضراب * لأهل العراقين حولا قميطا

لأنها إذا حوفظ عليها كانت كالنافق الذي تتوجه إليه الرغبات ويتنافس فيه المحصلون وإذا عطلت وأضيعت كانت كالكاسد الذي لا يرغب فيه أو التجلد والتشمر لأدائها وأن لا يكون في مؤديها فتور عنها ولا توان من قولهم قام بالأمر وقامت الحرب على ساقها وفي ضده قعد عن الأمر وتقاعد عنه إذا تقاعس وتثبط أو أداؤها فعبر عن الأداء بالإقامة لأن القيام بعض أركانها كما عبر عنه بالقنوت والقنوت القيام وبالركوع وبالسجود وقالوا سبح إذا صلى

الأشعري وأتباعه في الإيمان وجعلوا الإقرار منشأ لإجراء الأحكام واعتبرت الحنفية منه لا غير وزادت المعتزلة العمل (قوله ومن أخل بالشهادة) أي من ترك الشهادة وما يقوم مقامها كالإشارة في الأخرس منه لا عامدا متمسكا سواء كان معتقدا أو لا فهو كافر أي ماحض مجاهر بكفره بخلاف المنافق فإنه خلط صورة الإيمان بحقيقة الكفر وأما الفاسق أي مرتكب الكبيرة فله عندهم مرتبة بين المرتبتين والسلف الصالحون قد اتفقوا على أنه مؤمن كما دلت عليه الأحاديث الصحيحة فنقل عنهم أن الإيمان معرفة بالجنان وإقرار باللسان وعمل بالأركان محمول على الإيمان الكامل (قوله ومعنى إقامة الصلاة) ذكر لإقامة الصلاة معاني أربعة فعلى الأولين فيه استعارة تبعية وعلى الأخيرين مجاز مرسل (قوله من أقام العود) القيام هو الانتصاب ولازمه الاعتدال منه والهمزة للتعدية فمعنى أقام الشيء جعله قائما أي منتصبا ثم قيل أقام العود إذا قومه أي سواه وأزال اعوجاجه فصار قويما يشبه القائم ثم استعيرت الإقامة من تسوية الأجسام فإنه حقيقة فيه لتسوية المعاني كتعديل أركان الصلاة على ما هو حقها الأمر تحصيل هيئة القيام فيه أمر أعاه زيادة المناسبة بين المعنى (قوله من قامت السوق) نفاق السوق كانتصاب الشخص في حسن الحال والظهور التام فاستعمل القيام فيه والإقامة في إنفاقها أي جعلها نافقة ثم استعيرت منه للمداومة على الشيء فإن كلا منهما يجعل متعلقه مرغوبا إليه متنافسا فيه واعترض بأن هذه المشابهة خفية جدا وأيضا الأصل أعني أقام السوق مجاز فالتجوز منه ضعيف وأجيب عن الأول بأنه مجاز مرسل لعلاقة اللزوم فإن الإنفاق يستلزم المداومة عادة ورد بأن الإنفاق لا يلزم المداومة ولا يستلزمها أيضا وأيضا هو خلاف كلام المصنف وعن الثاني بأنه صار بمنزلة الحقيقة (قوله أقامت غزالة) هي اسم امرأة شبيب الخارجي الذي قاتل الحجاج زوجها حاربته سنة كاملة (سوق الضراب) أي سوق المضاربة بالسيوف على التخييل أو التشبيه (والعراقان) الكوفة والبصرة (والقميط) كناية عن التمام كأنه شد بالقماط وعدل جانب (قوله بالأمر) يقال قام بالأمر إذا اجتهد في تحصيله وتجلد فيه بلا توان وحقيقته قام ملتبسا بالأمر والقيام له يدل على الاعتناء بشأنه ويلزمه التجلد والتشمر فأطلق القيام على لازمه ومنه قامت الحرب على ساقها إذا التحمت كأنها قامت وتشمرت لسلب الأرواح ولتخريب الأبدان واعترض بأن الإقامة إذا كانت مأخوذة من ذلك كان معناه على قياس التعدية جعل الصلاة متجلدة متشمرة لا كون المصلي متشمرا في أدائها بلا فتور عنها كما ذكره وأيضا لا يصح ذلك المعنى إلا إذا وصفت الصلاة بما هو لفاعلها على قياس باب جد جده ولا يخفى بعده ﴿لا يقال﴾ الناقل قام بالأمر للتعدية فالمستعمل بمعنى التجلد والاجتهاد هو الإقامة في الحقيقة ﴿لأنا نقول﴾ هي للملابسة كما أشرنا إليه يدل عليه قولهم تقاعد عن الأمر في ضده وأن القيام يناسب التشمير لا الإقامة كما أن القعود يلائم الكسل لا الإقعاد (قوله لأن القيام بعض أركانها) إن أراد أن القيام يطلق على الصلاة لكونه بعض أركانها ثم توجد منه الإقامة ورد عليه أن الهمزة إذا جعلت

ويقيمون

إن من آمن بالله ورسوله ثم اخترم قبل أن يتعين عليه عمل من أعمال الجوارح فهو مؤمن باتفاق وإن لم يعمل وأصدق شاهد على ذلك قوله عليه الصلاة والسلام إن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى إذا لم يبق بينه وبينها إلا فواق ناقة عمل بعمل أهل الجنة فكتب من أهل الجنة وإنما مثل عليه الصلاة والسلام بفواق الناقة لأنه الغاية في القصر ومثل هذا الزمان إنما يتصور فيه القصد الصحيح خاصة ومع ذلك فقد عده من أهل الجنة وإنما يدخل المؤمن الجنة باتفاق الفريقين والأدلة على ذلك تطرد كون الشرط فيه شطرا * أقول تفسير الفاسق بغير مؤمن ولا كافر كما هو مذهب المعتزلة غير موجه والشيء الذي هو لم يصرح به لا يجب علينا التصريح به وتعريفه فإن عندنا الضال من أخل بالعمل فهو فاسق قوله تعالى ومما رزقناهم ينفقون

لوجود التسبيح فيها ولولا أنه كان من السجين ۞ والصلاة فعلة من صلى كالزكاة من زكى وكتابتها بالواو على لغة المفخم وحقيقة صلى حرك الصلوين لان المصلي يفعل ذلك في ركوعه وسجوده ونظيره كفر اليهودي اذا طأطأ رأسه وانحنى عند تعظيم صاحبه لانه ينثني على الكاذتين وهما الكافرتان وقيل للداعي مصل تشبيها في تخشعه بالراكع والساجد

للتعدية كان معناها جعل الصلاة مقامة فان كانت الصلاة مفعولا به أو جعل نفسه مصليا ان كانت مفعولا مطلقا وان جعلت للصيرورة كان معنى أقام صار ذا صلاة فلا يصح ذكر الصلاة معه الا بان كانت مفعولا مطلقا ولكن بعيد وان أريد ان القيام لما كان ركنا منها كانت الاقامة التي هي معنى ركنها الخ أيضا اتجه عليه ان الركن فعل القيام في المصلي بمعنى تحصيل هيئة قيام فيه فان الصلاة لا تحصيلها في الصلاة وجعلها قائمة فان تجوز بهذا المعنى كان يقيمون وحده بمعنى يصلون فتكون الصلاة مفعولا مطلقا وهو مستبعد ﴿لا يقال﴾ أراد ان القيام لما كان جزأ منها كان ايجاده أي الاقامة جزأ من ايجادها الذي هو أداؤها الا ان ايجاد الجزء جزء لايجاد الكل فجاز أن يعبر عنه ﴿لانا نقول﴾ المحذور لازم فان معنى يقيمون حينئذ يؤدون الصلاة فيحتاج في ذكر الصلاة معه الى تأويل بعيد قال رحمه الله تعالى الاقامة قد تستعمل بمعنى جعل الشيء قائما في الخارج أي حاصلا فيه فان القيام بمعنى الحصول شائع الاستعمال منه القيوم فانه القائم بنفسه المقيم لغيره ومنه القوام وهو ما يقام به الشيء أي يحصل ومنه وأقيموا الصلاة من الاقامة بهذا المعنى أي حصلوها واثبتوها على الوجه المعتبر شرعا وهو معنى الاداء وما نحن فيه أعني يقيمون الصلاة ان كان في معرض المدح فلا دلالة على ايجاب كان حمله على تعديل أركانها كما ذكره المصنف أولى فانه المناسب بترتيب الهدى الكامل والفلاح الشامل ومن جعله بمعنى يؤدون الصلاة فوجهه ما ذكرنا لا ما ذهب اليه المصنف وأما المعنيان الاخيران أعني المداومة والتجرد فيعلو وجه تجريدهما عن خدشة (قوله لوجود التسبيح) أي اذا جاز التعبير عن الصلاة بالتسبيح لوجوده فيها وان لم يكن ركنا فيها فلان يعبر عنها بما هو ركن لها أولى (قوله على لغة المفخم) التفخيم هنا امالة الالف نحو مخرج الواو لا ما هو ضد الامالة أو الترقيق (قوله وحقيقة صلى) يريد ان صلى مأخوذ من الصلاة على معنى حرك الصلوين وهما العظمان الناتئان في أعلى الفخذين يقال ضرب الفرس صلويه بذنبه أي ما عن يمينه وشماله ثم استعمل بمعنى فعل الهيآت المخصوصة مجازا لغويا لان المصلي يحرك صلويه في ركوعه وسجوده ثم استعيرت منه للدعاء تشبيها للداعي بالمصلي في خضوعه وخشوعه وفيه ضعف من وجهين الاول ان الاشتقاق فيه ليس بحدث فليتأمل الثاني ان الصلاة بمعنى الدعاء شائع في اشعار الجاهلية ولم يعرف عنهم اطلاقها على ذات الاركان بل ما كانوا يعرفونها فأنى لهم التجوز عنها فالاولى ما ذهب اليه الجمهور من ان الصلاة حقيقة في الدعاء مجاز لغوي في الهيئات المخصوصة المشتملة عليه وفي هذا المقام كلام مشهور في أصول الفقه ﴿فان قيل﴾ اذا ثبت صلى بمعنى تحريك العضو كان الاسب أن يؤخذ منه لفظ الصلاة بمعنى الهيئة ثم يشتق منها صلى بمعنى أحد ثم فلم عكس ﴿قلت﴾ لان المناسبة بين تحريك العضو واحداث الهيئة أقوى منها بين تحريكه وبعض الهيئة على ان قوله الصلاة من صلى قد يراد به انها من جنسه أي انهما قد يتلاقيان في الاشتقاق بلا تعيين للمشتق منه فجاز ان يكون صلى مشتقا منها (قوله كفر اليهودي) أي حرك الكفرتين وهما الاليتان وأما الكاذتان فهما اللحمتان المكتنزتان بين الورك والفخذ في أعلى الفخذين في موضع الكي من جاعرتي الحمار وقيل الكاذة لحم ظاهر الفخذ أسفل من الجاعرة ويقرب منه ما قاله الجوهري من ان الكاذة ما نتأ من اللحم في أعلى الفخذ والمصنف لم يفرق بين الكاذتين والكافرتين ولا بعد فيه لعلاقة الجزئية قال رحمه الله تعالى استعمال التكفير في الخضوع والانقياد مشهور قال جرير

۞ وضعوا السلاح وكفروا تكفيرا ۞ أي خضعوا وانقادوا وفي الحديث ان الاعضاء كلها تكفر اللسان أي

الصلوة

* وإسناد الرزق إلى نفسه للإعلام بأنهم ينفقون الحلال المطلق الذي يستأهل أن يضاف إلى الله ويسمى رزقا منه وأدخل من التبعيضية صيانة لهم وكفا عن الإسراف والتبذير المنهي عنه وقدم مفعول الفعل دلالة على كونه أهم كأنه قال ويخصون بعض المال الحلال بالتصدق به وجائز أن يراد به الزكاة المفروضة لاقترانه بأخت الزكاة وشقيقتها وهي الصلاة وأن تراد هي وغيرها من النفقات في سبل الخير لمجيئه مطلقا يصلح أن يتناول كل منفق وأنفق الشيء وأنفده أخوان وعن يعقوب نفق الشيء ونفد واحد وكل ما جاء مما فاؤه نون وعينه فاء فدال على معنى الخروج والذهاب ونحو ذلك إذا تأملت

تبذو وتمزع الصاعة فالأوضح أن يشتق من الكفر من باب قردت البعير فهو بمعنى إزالته لأن الخضوع من باب الشكر ومن الكفر بمعنى الستر فإنه يستر فاعله عند من خضع له (قوله وإسناد الرزق) لا خلاف بين الجماعة والمعتزلة في أن المراد بما رزقناهم هو الحلال لأن الجماعة لم يسموا الحرام رزقا وأسندوا الأشياء كلها إلى الله تعالى تمسكوا في ذلك بأن المدح إنما يكون بالإنفاق من الحلال وبأن الاتصاف بالتقوى يقتضيه أيضا وبأن الإسناد إلى الله تعالى عند الإطلاق ينصرف إلى ما هو أفضل وأكمل وأما المعتزلة فلا يسمون الحرام رزقا لأنه ليس برزق لغة ولا يجوزون إسناده إلى الله تعالى لتعاليه عن القبائح فلفظ الرزق وإسناده إلى الله تعالى دليلان لهم على أن المنفق هو الحلال المطلق الخالص الطيب والمصنف تمسك بالإسناد فقط نظرا إلى أن الرزق لغة يتناول الحرام أيضا وتخصيصه بما عداه عندهم عرف شرعي ولهذا قال ويسمى رزقا منه وربما يبنى الكلام على الفرض أي لو فرض أنه يسمى رزقا شرعا ولغة فالإسناد إلى الله تعالى يخرجه قطعا واعلم أن الرزق لغة هو إخراج حظ إلى آخر لينتفع به ثم شاع استعماله عرفا شرعا على إعطاء الله تعالى الحيوان ما ينتفع به ويستعمل بمعنى المرزوق فتارة يراد به ما أعطاه الله تعالى عبده ومكنه من التصرف فيه وبهذا المعنى يمكن أن ينفق منه أو كلا وأخرى يراد به ما يتغذى به وهو بهذا المعنى خاصة فلا يتصور فيه إنفاق على غيره (قوله وكفا) عطف تفسيري لقوله صيانة فقد يتوهم أن الكف للمستقبل والصيانة للماضي أو الكف في الاستقبال والصيانة في الماضي أي أدخل من التبعيضية للدلالة على كونهم مصونين عن رذيلة الإسراف (قوله وقدم مفعول الفعل) سمى الجار والمجرور مفعول الفعل على الإطلاق تنبيها على أنه مفعول به في المعنى أي بعض ما رزقناهم ينفقون ولذلك قال يخصون بعض المال الحلال وأما بحسب اللفظ فيقدر هناك موصوف أي شيئا مما رزقناهم وإنما كونه أهم فيقصد معنى الاختصاص مع رعاية الفاصلة ﴿فإن قلت﴾ إدخال من التبعيضية يغني عن التقديم للتخصيص فإن إنفاق البعض يتبادر منه عدم الشمول ومن ثم كان فيه صيانة وكف ﴿قلت﴾ قد يجوز معه الشمول على أنه محتمل مرجوح فإذا قدم زال احتماله بالكلية يدلك على ذلك تأملك في الفرق بين قولك أنفق زيد بعض ماله وقولك بعض ماله أنفق (قوله وجائز أن يراد به) أي ببعض المال الذي خص بالتصدق أو بقوله مما رزقناهم (قوله بأخت الزكاة وشقيقتها) أي من حيث إنهما أمان لسائر العبادات البدنية والمالية ومن حيث إنهما يذكران في القرآن معا نحو أقيموا الصلوة وآتوا الزكوة وأما قولهم باب الصلوة وباب الزكوة وفلان يقيم الصلوة ويؤتي الزكوة فمتفرع على استعمال القرآن فلا يستشهد بهما ﴿فإن قلت﴾ تخصيص الزكوة بالإنفاق ينافي ما يقابلها من تطوع وصدقة الفطر والمقام يأباه ﴿قلت﴾ لما عرفها ببعض ما رزقنا كانت بهذا الاعتبار مقابلة لجميع المال فالمدح موجه نحوه حفظا عن منقصة التبذير (قوله لمجيئه) أي اللفظ وهو مما رزقناهم مطلقا أي غير مقيد بما يبين الزكوة وغيرها وقوله (يصلح) صفة لمطلقا وقد مر وجه الصلوح غير مرة ﴿فإن قلت﴾ الاقتران بالصلاة قرينة للزكاة ﴿قلت﴾ مقام المدح قرينة لقصد الإطلاق والعموم (قوله أخوان) أي بينهما الاشتقاق الأكبر لاشتراكهما في أصل المعنى وأكثر الحروف الأصول مع التوافق في الباقي (ويعقوب) حيث أطلق في كتب اللغة يريد به ابن السكيت صاحب إصلاح المنطق (قوله مما فاؤه نون وعينه فاء)

ومما رزقناهم ينفقون والذين يؤمنون

(قال محمود رحمه الله أضاف الرزق إلى نفسه للإعلام بأنهم إنما ينفقون من الحلال المطلق الخ) قال أحمد رحمه الله فهذه بدعة قدرية فإنهم يرون أن الله تعالى لا يرزق إلا الحلال وأما الحرام فالعبد يرزقه لنفسه حتى يقسمون الأرزاق قسمين هذا لله بزعمهم وهذا لشركائه وإذا أثبتوا خالقا غير الله فلا يأنفون عن إثبات رازق غيره أما أهل السنة فلا خالق ولا رازق في عقدهم إلا الله سبحانه تمسكا بقوله تعالى هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والأرض لا إله إلا هو فأنى تؤفكون أيها القدرية

(فان قلت) والذين يؤمنون أهم غير الاولين أم هم الاولون وانما وسط العاطف كما يوسط بين الصفات في قولك هو الشجاع والجواد وفي قوله

الى الملك القرم وابن الهمام • وليث الكتيبة في المزدحم

﴿وقوله﴾

يالهف زيابة للحارث الصـابح فالغانم فالآيب

(قلت) يحتمل أن يراد بهؤلاء مؤمنو أهل الكتاب كعبد الله بن سلام وأضرابه من الذين آمنوا فاشتمل ايمانهم على كل وحي أنزل من عند الله وأيقنوا بالآخرة ايقانا زال معه ما كانوا عليه من أنه لا يدخل الجنة الا من كان هودا أو نصارى وأن النار لن تمسهم الا أياما معدودات واجتماعهم على الاقرار بالنشأة الاخرى واعادة الارواح في الاجساد ثم افتراقهم فرقتين منهم من قال تجرى حالهم في التلذذ بالمطاعم والمشارب والمناكح على حسب مجراها في الدنيا ودفعه آخرون فزعموا أن ذلك انما احتيج اليه في هذه الدار من أجل نماء

نحو نمو ونقص ونمو ونمص ونعت وأمثالها (قوله كما يوسط بين الصفات) أشار بتكرير الامثلة للتوسط العاطف بين الصفات الى عطف بعض الصفات على بعض كثير في الكلام بناء على تغاير المفهومات وان كانت متحدة في الذات وقد تكون بالواو وقد تكون بغيرها على ما يقصد فيها من معاني الحروف العاطفة (القرم) هو السيد وأصله الفحل المكرم الذي لا يحمل عليه (والهمام) هو العظيم الهمة وهو من أسماء الملوك (وليث الكتيبة) أي الجيش مؤول بمعنى الصفة (والمزدحم) موضع الازدحام وهو المعركة (قوله يالهف زيابة) هو من الحماسة والشعر لابن زيابة أي يا حسرة أبي من أجل الحرث فيما حصل له من مراده واتصف بمعاني الاوصاف المتعاقبة قيل تهكم لان الحرث توعد ابن زيابة بالقتل ثم نكص عن حوائه وقيل هو على ظاهره والصابح هو المغير صباحا وعطف عليه بالفاء نظرا الى الترتيب في الاتصاف أي الذي صبح فغنم فآب سالما وبعده والله لو لاقيته وحده • لآب سيفانا مع الغالب

أراد مع الكنه تمت ادعاء الطهور وأن الغلبة له وقد يغلط فيه وقال زيابة هو الشاعر يتهكم لاجل الحرث وسلبه أو زيابة اسم أبي المهجو أو الممدوح والحرث اسمه (قوله وأضرابه) أي أمثاله قال المصنف أكثر الناس على انه جمع ضرب بفتح الضاد وعندي بكسرها فعل بمعنى مفعول كالطحن وهو الذي يضرب به المثل ولا بد أن يكون المضروب به مثلا مماثلا للمضروب فيه و بعضه مثل وشبه (قوله من الذين آمنوا) أي بالقرآن من أهل الكتاب فان جعل متعلقا بجميع المعطوف والمعطوف عليه كانت من بيانية وان خص بالمعطوف كانت تبعيضية والاول أوفق في المعنى (قوله فاشتمل) عطف على آمنوا أي الذين آمنوا منهم بالقرآن مع كونهم مؤمنين تكامل ايمانهم بذلك (على كل وحي) سابق ولاحق بصيغة الانفراد أي آمنوا بكل على انفراده حقا لا اتباعا كالذين آمنوا من غيرهم وان ايمانهم بالكتب السابقة في ضمن ايمانهم بالقرآن (وأيقنوا) عطف على آمنوا وفي قوله آمنوا وأيقنوا ايذان بأنهما الاصل وانما عدل في النظم الى المضارع للاستمرار وكذا الحال في يؤمنون ويقيمون وينفقون ان حمل لفظ المتقين على الحقيقة (قوله ايقانا زال معه ما كانوا عليه) قيد الايقان بوصف يخصصهم كما أشار الى اختصاص الايمان بأصالة يظهر بذلك كله وجه حمل الكلام على مؤمني أهل الكتاب (قوله واجتماعهم) يروى مجرورا عطفا على ما عدد من في قوله من انه لا يدخل الجنة ومرفوعا عطفا على ما كانوا وقوله ثم افتراقهم بالجر والرفع على اجتماعهم والمعنى زال عنهم اجتماعهم المستعقب للافتراق فان الى المتوجه نحو القيد الذي هو استعقاب الافتراق أي صاروا مجتمعين متفقين على الاعادة وجريان التلذذ على طريقة الحياة الدنيا والغاد كر الاجتماع مع انه لم يزل تنبيها على استبعاد ذلك الافتراق بعد الاجتماع على اعادة الارواح الى الاجساد ولذلك فسر النشأة الآخرة باعادة الارواح الى الاجساد وقال (ودفعه آخرون فزعموا) قال الفاضل اليمني أشار أولا الى زوال ما كانوا عليه من

الاجسام ولمكان التوالد والتناسل وأهل الجنة مستغنون عنه فلا يتلذذون الا بالنسيم والارواح العبقة
والاستماع للذيذ والفرح والسرور واختلافهم في الدوام والانقطاع فيكون المعطوف غير المعطوف عليه
ويحتمل أن يراد وصف الاولين ووسط العاطف على معنى انهم الجامعون بين تلك الصفات وهذه (فان قلت)
وان أريد هؤلاء غير أولئك فهل يدخلون في جملة المتقين أم لا (قلت) ان عطفتهم على الذين يؤمنون بالغيب
دخلوا وكانت صفة التقوى مشتملة على الزمرتين من مؤمني أهل الكتاب وغيرهم وان عطفتهم على المتقين
لم يدخلوا وكانه قيل هدى للمتقين وهدى للذين يؤمنون بما أنزل اليك

محض لبطل وثابت في زوال خلطهم الحق بالباطل أعني الاجتماع عما بعده (قوله واختلافهم) عطف على
جمعهم في وجه الا على ما بعده ثم و لافادة المقصود أعني التنصيص على زوال الاختلاف فان انتفاء
الاجتماع المستعقب للافتراق في الكيفية و لاختلاف في الكمية ربما كان بزوال أحدهما دون الآخر ولا
ضرورة في جعله قيد للاجتماع كافي لافتراق وقد يقال الافتراق المذكور مستبعد جدا بعد ذلك الاجتماع
دون لاختلاف فلا يحسن ادراجه في حيز الاستبعاد وأيضا الافتراق ضد الاجتماع فيحسن ايرادهما بينهما
وليس الاختلاف كذلك (والارواح) جمع ريح فان أصله واو ويقال عبق به الطيب بالكسر اذا لصق به ولزمه
(قوله فيكون) عطف على ان يراد (قوله ويحتمل ان يراد وصف الاولين) ﴿فان قلت﴾ لايمان بالكتب
المنزلة يندرج تحت الايمان بالغيب فلم خص بالذكر ﴿قلت﴾ للاعتناء بشأنه كأنه العمدة ﴿فان قلت﴾
لم أعيد الموصول ولم يكتف بعطف الصلات ﴿قلت﴾ للدلالة على استقلال هذه الصفات واستدعائها ان
يذكر معها موصوفها كان الموصوف بها مغاير للموصوف بما تقدم واما فائدة العطف فما أشار اليه من
معنى الجمع بين تلك الصفات وهذه تأتي لعطف بالواو في سائر الصفات قال رحمه الله تعالى هذا لاحتمال
أرجح من الاول لان الايمان بما أنزل الى النبي صلى الله عليه وآله وما أنزل من قبله مشترك بين المؤمنين
قاطبة ولا وجه لتخصيصه بمؤمني أهل الكتاب ﴿فان قلت﴾ ايمان غيرهم بما أنزل من قبله في ضمن ايمانهم
بما أنزل اليه وقد أفرد بالذكر في الآية فدل على الايمان بكل واحد منهما استقلالا وذلك مختص بهم
﴿قلت﴾ لا دلالة للافراد على الاستقلال ألا ترى الى قوله تعالى قولوا آمنا بالله وما أنزل الينا وما أنزل الى
ابراهيم الآية كيف أفرد بالذكر فيه الكتب المنزلة من قبل وأمر بالايمان بها والاقرار به ولم يقصد الايمان
بها على الانفراد وأيضا فالذكر في تقديم بالآخرة وبنا يوقنون على هم انما يقع موقعه اذا عم المؤمنين والا
لاوهم نفيه عن الطائفة الاولى وأيضا أهل الكتاب لم يكونوا مؤمنين بجميع ما أنزل من قبل استقلالا
فان اليهود ما آمنوا بالانجيل وأجيب عن ذلك بان اشتمال ايمانهم على كل وحي بالنظر الى المجموع بمعنى ان
ايمان اليهود يشتمل على القرآن والتوراة وايمان النصارى على القرآن والانجيل وهو ضعيف لان المفهوم
المتبادر من أمثال هذه المواضع ثبوت الحكم لكل واحد لا للمجموع من حيث هو هو والحمل على بعض
المنزل يخالف الظاهر ويوجب فك النظم وأيضا الصفات السابقة ثابتة لمؤمني أهل الكتاب فتخصيصها
عن عداهم تحكم وجعل الكلام من عطف الخاص على العام لا يلائم المقام واما ما يقال من ان الاصل
في العطف المغايرة بالذات فتعسف لان أداة العطف ان توسطت بين الذوات اقتضت تغايرا بالذات وان
توسطت بين الصفات اقتضت تغايرا في المفهوم وكذلك الحكم في التأكيد والبدل ونحوهما وان وقعت
فيما يحتملهما حمل الا على سواء كان الحمل على التغاير بالذات أولى فلا يحكم في مثل زيد عالم وعاقل بان الحمل
على تغاير الذات أظهر وقد ترجح هذا الصفة لان وضع الذي ليكون صفة مع ان ما تقدم من الوجوه يشهد
لها (قوله وكانت صفة التقوى مشتملة على الزمرتين) وكان المعنى للترجيح على تقسيم المتقين اليهما وهذا
العطف صحيح سواء جعل الذين يؤمنون بالغيب موصولا بما قبله أو منقطعا عنه وأما العطف على المتقين
فانما يصح على تقدير الوصل فقط قال رحمه الله تعالى والاول أرجح اذ لا وجه لاخراجهم عن المتقين مع

(فإن قلت) قوله بما أنزل إليك إن عنى به القرآن بأسره والشريعة عن آخرها فلم يكن ذلك منزلا وقت إيمانهم فكيف قيل أنزل بلفظ المضي وإن أريد المقدار الذي سبق إنزاله وقت إيمانهم فهو إيمان ببعض المنزل واشتمال الإيمان على الجميع سالفه ومترقبه واجب (قلت) المراد المنزل كله وإنما عبر عنه بلفظ المضي وإن كان بعضه مترقبا تغليبا للموجود على ما لم يوجد كما يغلب المتكلم على المخاطب والمخاطب على الغائب فيقال أنا وأنت فعلنا وأنت وزيد تفعلان ولأنه إذا كان بعضه نازلا وبعضه منتظر النزول جعل كأن كله قد نزل وانتهى نزوله ويدل عليه قوله تعالى إنا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى ولم يسمعوا جميع الكتاب ولا كان كله منزلا ولكن سبيله سبيل ما ذكرنا ونظيره قولك كل ما خطب به فلان فهو فصيح وما تكلم بشيء إلا وهو نادر ولا تريد بهذا الماضي منه فحسب دون الآتي لكونه معقودا بعضه ببعض ومربوطا آتيه بماضيه وقرأ يزيد بن قطيب بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك على لفظ ما سمي فاعله

تعاطوه بالتقوى لأن المراد المشار إليه بالتعريف العطف على المتقين لبعد الحمل على المشار إليه في المعطوف إذا تعدد الموصولات إذا كان جعل الموصول الأول مستقلا وجب أن يعطف الثاني عليه وإن جعل صفة أو مدحا كان ذلك أولى إلا أن يكتفى فيه بالموصوف عليه فيتأمل (قوله واشتمال الإيمان على الجميع سالفه ومترقبه واجب) لم يرد أن الإيمان تفصيلا بالمترقب واجب حال كونه مترقبا فإن ذلك إنما يكون بعد نزوله وتفصيله بل أراد وجوب الإيمان بأن كل ما سينزل فهو حق ولا خصاصهم ... وصفوا بالإيمان يجب أن يؤمن به وجب أن يشار إلى اشتمال إيمانهم على كله (قوله المراد المنزل كله) لأنه الأوفق بمقتضى الحال وأن تمحق السؤال وهو المناسب لما سيأتي من ترتيب الهدى الكامل والفلاح الشامل ويؤيده أيضا أن ما أنزل إليك قوبل بما أنزل من قبلك وإنما يقابل مجموع ما أنزل إليه لا بعضه وكذا قوله هم يوقنون فإنه يدل لأنه على الاستمرار يدل على حصول عدم الاقتصار على ما تحقق نزوله في الماضي كأنه قال يجددون الإيمان شيئا فشيئا على حسب تجدد الإنزال وأما التعبير عن الماضي والمترقب بصيغة الماضي ففيه وجهان أحدهما تغليب ما وجد نزوله على ما لم يوجد الثاني تشبيه مجموع المنزل بما نزل في تحقق النزول وذلك أن بعضه نازل وبعضه منتظر سينزل قطعا وقد أورد على الوجهين لزوم الجمع بين الحقيقة والمجاز إذ ليس هناك معنى ثالث يعمهما حتى يصدق عموم المجاز وأجيب بأن الجمع إنما يلزم إذا كان كل واحد منهما مرادا باللفظ وههنا أريد به معنى واحد تركب من المعنى الحقيقي والمجازي ولم يستعمل اللفظ في واحد منهما بل في المجموع مجازا ولا يلزم من جريان ذلك في جمع المعاني الحقيقية والمجازية جواز أن لا يكون هناك ارتباط يجعلهما معنى واحدا عرفا يقصد إليه بإرادة واحدة في استعمال اللفظ (قوله ويدل عليه) أي على ما ذكر من الوجهين فإن المراد بقوله كتابا هو المجموع لأنه المتبادر عند الإطلاق خصوصا إذا قيد بكونه منزلا من بعد كتاب موسى لا بعضه ولا القدر المشترك بينه وبين كله وقد عبر عن إنزاله بلفظ الماضي مع أن بعضه كان حينئذ مترقبا فوجب أن يؤول بأحد التأويلين وأما قوله سمعنا فالظاهر فيه تغليب المسموع على ما لم يسمع في إيقاع السماع ولما ذكر أن المراد بما أنزل إليك هو المنزل كله وبين وجهه واستشهد في ذلك بما ورد في التنزيل مما هو أظهر منه في الحمل على الكل واستدعاء التأويل أورد له نظيرا مما يتعارفه أهل اللغة ولا يشتبه على أحد تناوله للماضي والآتي معا لأن حمله على التغليب أولى من حمله على التشبيه في تحقيق هذه وقد اعترض على قوله أنا وأنت فعلنا فإن الضمير موضوع للمتكلم مع غيره وقد استعمل في معناه فلا تغليب وأجيب بأن ذلك إذا لم يعبر عن غيره بطريق الخطاب أو الغيبة وأما إذا عبر عنه بأحدهما فحقه أن يجري على تلك الطريقة لا أن يجعل تابعا للمتكلم وقوله ولأنه معطوف على تغليبا والضمير راجع إلى المنزل كله وكذلك المستتر في جعل وأما المجرور في نظيره فعائد إلى ما أنزل قوله لكونه معقودا تعليل لعدم إرادة الماضي فقط وإشارة إلى أن المترقب ارتبط بالماضي بحيث صارا معنى واحدا تعلق به الفعل المذكور كما

بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون

أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون

وفي تقديم الآخرة وبناء يوقنون على هم تعريض بأهل الكتاب وبما كانوا عليه من إثبات أمر الآخرة على خلاف حقيقته وأن قولهم ليس بصادر عن إيقان وأن اليقين ما عليه من آمن بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك والإيقان إتقان العلم بانتفاء الشك والشبهة عنه والآخرة تأنيث الآخر الذي هو نقيض الأول وهي صفة الدار بدليل قوله تلك الدار الآخرة وهي من الصفات الغالبة وكذلك الدنيا وعن نافع أنه خففها بأن حذف الهمزة وألقى حركتها على اللام كقوله دابة الأرض وقرأ أبو حية النميري يؤقنون بالهمز جعل الضمة في جار الواو كأنها فيه فقلبها قلب واو وجوه ووقتت ونحوه

لحب المؤقدان إلي مؤسى ٭ وجعدة إذ أضاءهما الوقود

(أولئك على هدى) الجملة في محل الرفع إن كان الذين يؤمنون بالغيب مبتدأ وإلا فلا محل لها ونظم الكلام

أو ما أنا مبينه (قوله وفي تقديم الآخرة) يريد أن هناك تقديمين الأول تقديم الظرف الذي هو بالآخرة وبه يفيد تخصيص إيقانهم بالآخرة أي إيقانهم مقصور على حقيقة الآخرة لا يتعداه إلى خلاف حقيقتها وفي ذلك تعريض بأن ما عليه غيرهم ليس من حقيقة الآخرة في شيء كأنه قال يوقنون بالآخرة لا بغيرها كأهل الكتاب الثاني تقديم المسند إليه أعني الضمير الذي بني عليه الفعل ويفيد أيضا اختصاص الإيقان بالآخرة مقصور عليهم لا يتجاوزهم إلى الذين لا يؤمنون من أهل الكتاب وفيه تعريض بأن اعتقادهم الذي يزعمون أنه إيقان بالآخرة ليس إيقانا أصلا بل هو جهل محض كأن معتقدهم خيال باطل وأن الإيقان ما عليه المؤمنون كأن الآخرة هي التي يعتقدونها فقوله بأهل الكتاب توطئة لما بعده أعني بما كانوا وإن قولهم عطف عليه على طريقة قولك أعجبني زيد وكرمه والكلام على اللف والنشر المرتب أي في تقديم الآخرة تعريض بما كانوا عليه وفي بناء يوقنون على هم تعريض بأن قولهم ليس بصادر (قوله وأن اليقين) معطوف على أن قولهم وتتمة له باعتبار ما يفيده من نفي اليقين عما عليه أهل الكتاب وبهذا الاعتبار صح وقوع مجموع المعطوف والمعطوف عليه معمولا للتعريض وأما إثبات اليقين بما هو عليه من آمن فصريح ومن ثمة توهم أنه معطوف على تعريض أي وفي بناء يوقنون تعريض بأن قولهم وتصريح بأن اليقين ورد بأن البناء لا مدخل له في ذلك التصريح إذ لو قيل يوقنون لكان التصريح باقيا على حاله (قوله بانتفاء الشك والشبهة) قيل أراد أن العلم الذي من شأنه أن يتطرق إليه الشك والشبهة إذا انتفيا عنه كان إيقانا ولذلك لا يوصف به العلم القديم ولا الضروري وللآية أن تقول إن الكلي أعم من الجزئي (قوله الذي هو نقيض الأول) صفة كاشفة أي الآخر الذي معناه الأخير المقابل للأول وهو اسم فاعل من آخر بمعنى تأخر لأنه لم يستعمل وكذلك الآخر بفتح الخاء أفعل تفضيل منه (قوله من الصفات الغالبة) قال المصنف رحمه الله الغالبة قد تكون في الأسماء كالبيت على الكعبة والكتاب على كتاب سيبويه وفي الصفات كالرحمن والرب من دون إضافته على الله تعالى وفي المعاني كالخوض على الشروع في الباطل خاصة والآخرة صفة غالبة على تلك الدار والدنيا على هذه ثم إنهما مع كونهما من الصفات الغالبة جريا مجرى الأسماء إذ قد غلب تركهما مع موصوفهما مثلهما كما في البطحاء من الصفات (قوله لحب) يروى بضم الحاء وضمها وأصله حبب على وزن شرف أي صار محبوبا فأدغم الباء بالإسكان أو بنقل ضمها إلى الحاء يقال حب إلي هذا وبه الأول على زيادة الباء أي ما أحبه إلي واللام جواب قسم محذوف ولم يؤت بقد على أنه ماض مثبت لأنه جرى مجرى المدح كقولك والله لنعم الرجل (قوله المؤقدان) أراد نار القرى فإنه المتبادر في استعمالات العرب خصوصا في مقام المدح ووصفهما بالكرم وكنى عنه بإيقاد النار وبالاشتهار به فكنى عنه بإضاءة الوقود وقد صح فيه ضم الواو وهو مصدر وأما فتحها فهو اسم لما يتوقد به والشعر لجرير على ما في الحواشي ومؤسى وجعدة ابناه وقيل لأبي حية النميري قال الفاضل اليمني روي عن سيبويه قلب الواو همزة في المؤقدان ومؤسى (قوله الجملة في محل الرفع) هذا مذكور فيما تقدم وإنما كرره ليرتبط به قوله وإلا فلا محل لها أي وإن لم يكن

على الوجهين إن ابتدئ بالذين يؤمنون بالغيب فقد ذهب به مذهب الاستئناف وذلك أنه لما قيل هدى للمتقين واختص المتقون بأن الكتاب لهم هدى اتجه لسائل أن يسأل فيقول ما بال المتقين مخصوصين بذلك فوقع قوله الذين يؤمنون بالغيب إلى ساقه كأنه جواب لهذا السؤال المقدر وجيء بصفة المتقين المنطوية تحتها خصائصهم التي استوجبوا بها من الله أن يلطف بهم ويفعل بهم ما لا يفعل بمن ليسوا على صفتهم أي الذين هؤلاء عقائدهم وأعمالهم أحقاء بأن يهديهم الله ويعطيهم الفلاح ونظيره قولك أحب رسول الله صلى الله عليه وسلم الأنصار الذين قارعوا دونه وكشفوا الكرب عن وجهه أولئك أهل للمحبة وإن جعلته تابعا للمتقين وقع الاستئناف على أولئك كأنه قيل ما للمستقلين بهذه الصفات قد اختصوا بالهدى فأجيب بأن أولئك الموصوفين غير مستبعد أن يفوزوا دون الناس بالهدى عاجلا وبالفلاح آجلا

الذين يؤمنون بالغيب مبتدأ بل موصولا بالمتقين صفة أو مدحا منصوبا بأعني أو مرفوعا بهم لا يحتمل إلا تلك الجملة يعني على ما سبق من جعل والذين يؤمنون معطوفا على المتقين أو على الذين يؤمنون بالغيب وأما إذا أجرى الموصول الأول على المتقين وجعل الثاني مرفوعا على الابتداء مخبرا عنه بأولئك فإنها تحتمل أيضا كما سيأتي قال رحمه الله تعالى في هذا الإطلاق تعريض بأن الوجه الآتي مرجوح كما سينكشف لك عن قريب (قوله إذ ابتدئ) استعمل في هذا الوجه إذ وفيما يقابله إن إشعارا برجحانه وبأن الثاني مجرد احتمال وذلك أن السؤال والجواب على الأول يفهمان في ما سبق فإنه إذا قيل هدى للمتقين فهم باللام الجارة على اختصاصهم بكون الكتاب هدى لهم اتجه أن يقال ما بال المتقين مخصوصين بذلك وهل هم أحقاء به فكأن السؤال عن كونهم مستحقين لما أثبت لهم من الاختصاص والجواب مشتمل على هذا الحكم المطلوب مع تلخيص موجبه بذكر صفات مختصة بهم استحقوا بها اختصاص الهدى وزيد فيه ضم نتيجة الهدى إليه وهو الفلاح تقوية للمبالغة التي تضمنها هدى وسلوكا لأسلوب الحكيم وأما على الثاني فلا وجه للسؤال لأن الأوصاف التي أجريت عليهم مقتضية لذلك الاختصاص فيصاحبها ظاهر لكن السائل قد غفل عن مقتضاها فسأل ولذلك أجيب بإعادة الدعوى بعينها تنبيها على أن التأمل فيما سبق يغنيه عن مؤنة السؤال لكن غير وجه النسبة بين الهدى والمتقين وزيد التصريح بالنتيجة احترازا عن شائبة التكرار (قوله فوقع) عطف على اتجه وإنما قال كأنه جواب إذ ليس هنالك سؤال بل إنما هو سؤال يحتمل لذلك كأنه مقدر (قوله صفة المتقين) أراد بها جميع ما ذكر من أحوالهم وحمل عليه لاستحقاقهم وفي قوله خصائصهم إشارة إلى أن كل واحدة من تلك الأحوال مما يصلح أن تكون سببا فكيف إذا اجتمعت (قوله استوجبوا) أي استحقوا أما عند أهل السنة فعلى سبيل تلك مستلزم مجرى العادات (قوله أي الذين هؤلاء عقائدهم) أي الذين كانوا اعتقادا وعملا أحقاء بأن يختصوا بالهدى في الدنيا والفلاح في الآخرة فيعلم من الجواب أنهم يستحقون الاختصاص وأن السبب في ذلك تلك الأوصاف المخصوصة بهم التي رتب عليها الحكم واستغني عن تأكيد النسبة ببيان علتها وقيل المقصود في السؤال هو السبب فقط أي ما هو سبب اختصاصهم واستحقاقهم إياه لكنه بين في الجواب مرتبا عليه مسببه فإن ذلك أوصل إلى معرفة السبب فمن ثمة لم يحتج إلى تأكيد الجملة وربما يقال قصد مجموع الأمرين أي هل هم أحقاء بذلك وما السبب فيه حتى يكونوا كذلك وقس على ما ذكرنا حال قولك أحب رسول الله الأنصار (قوله وإن جعلته) عطف على إذا ابتدئ أي جعلت الذين يؤمنون تابعا صفة أو مدحا نصبا أو رفعا (قوله غير مستبعد) إشارة إلى سقوط السؤال وأنه نشأ من استبعاد السائل كون تلك الصفات موجبة لاستحقاق الاختصاص وليس ذلك مستبعدا (فإن قلت) صفة التقوى كافية في الاستحقاق والسببية وكيف لا وتلك الأوصاف بيان وتفسير للمتقين فيكون السؤال على الوجه الأول أيضا ساقطا (قلت) إن سلم كونها بيانا كان المفهوم من المتقين معنى مجملا يتجه معه السؤال وأما إذا فصلت بتلك المعاني وخصت فالسؤال ساقط كما لا يخفى (قوله دون الناس) إشارة إلى الاختصاص الحاصل من ترتب الحكم على الوصف

* واعلم أن هذا النوع من الاستئناف يجيء تارة بإعادة اسم من استؤنف عنه الحديث كقولك قد أحسنت إلى زيد زيد حقيق بالإحسان وتارة بإعادة صفته كقولك أحسنت إلى زيد صديقك القديم أهل لذلك منك ويكون الاستئناف بإعادة الصفة أحسن وأبلغ لانطوائها على بيان الموجب وتلخيصه (فإن قلت) هل يجوز أن يجري الموصول الأول على المتقين وأن يرتفع الثاني على الابتداء وأولئك خبره (قلت) نعم على أن يجعل اختصاصهم بالهدى والفلاح تعريضاً بأهل الكتاب الذين لم يؤمنوا بنبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم ظانون أنهم على الهدى وطامعون أنهم ينالون الفلاح عند الله

لأن المعنى كما سيأتي تحقيقه أولئك الموصوفون بتلك الصفات على هدى وإذا كان الحكم مترتباً مسبباً عن الوصف انبنى بانبنائه (فإن قلت) على الوجه الأول يلزم التكرار في ذكر الأوصاف (قلت) لا بعد في أن تذكر الصفات مفصلة ثم يشار إليها مجملة ليتعلق بها الحكم من وجه ثم يربط بها ما هو مسبب عنها فإن ذلك أوفى بتأدية الغرض وأنت خبير بتحقيق مثل الإشارة على هذا الوجه أيضاً وأن المطلوب بالسؤال فيه ما هو ذكر السبب أو هما معاً على قياس ما تقدم (قوله أن هذا النوع من الاستئناف) يريد به ما يشتمل على إعادة ذكر من استؤنف عنه الحديث جواباً عن سؤال استحقاقه لما نسب إليه فإذا قيل أحسنت إلى زيد اتجه أن يقال هل هو حقيق بذلك فإن أجيب بأنه حقيق بالإحسان فقد زيد له تأكيد جرياً على خلاف مقتضى الظاهر وإن أجيب بذكر الصفة فقد أفاد الحكم المطلوب مع بيان سببه القائم مقام تأكيده وقيل أراد بهذا النوع ما يكون مشتملاً على تلك الإعادة جواباً للسؤال عن سبب الحكم فيخرج ما لا يكون جواباً عن السبب أو يكون جواباً عنه ولا يشتمل على إعادة الذكر كقوله سهر دائم ثم إن إعادة الذكر تدل إجمالاً على أن هناك سبباً فكان الاستئناف بإعادة الصفة أتم لاشتماله على تفصيل السبب وتلخيصه وفيه بحث لأنه إذا قيل ما سبب الإحسان إليه واستحقاقه إياه كان طلباً لمعرفة سبب معين بعد أن عرف أن له سبباً جملة فلا يصح أن يجاب بالإعادة المشعرة بسبب مخصوص ومن ههنا يعلم امتناع الحمل على السؤال عن الحكم مشفوعاً بسببه تبعاً له ومعنى قوله بإعادة اسمه وبإعادة صفته أنه يعاد ذكر من استؤنف عنه الحديث إما باسمه أو بصفته فالمعاد هو ذكره لا أن الصفة غير مذكورة أولاً فكيف يعاد والمقصود في هذا التقسيم أن الاستئناف بدى في التقريب سواء وقع على الذين يؤمنون بالغيب أو على أولئك وارد على هذا الوجه الأحسن الذي هو إعادة الصفة وإن كان الأول أرجح عند النحاة وقد يتوهم أنه على الثاني من إعادة الاسم ولذلك كان مرجوحاً وهو مدفوع بقوله وأجيب بأن أولئك الموصوفين وقوله في اسم الإشارة (قوله نعم على أن يجعل اختصاصهم) الموصول الثاني إن اتحد بالأول ذاتاً فحقه أن يجري على ما جرى عليه الأول فإن قطع عن ذلك وجعل مبتدأ فإما أن يجعل الاختصاص الحاصل من تعليق الحكم بالوصف المناسب الذي يتضمنه المبتدأ أثراً بما اعتبر أولاً فعلى الثاني قطع عما هو حقه وامتنع فائدة الاستئناف بلا غرض يدعو إلى ذلك مع أنه نوع تكرار لما تقدم وعلى الأول كان التعريض فائدة مطلوبة يرتكب له خلاف الظاهر ووجهه أنه لما عبر عن المؤمنين بأنهم جامعون في الإيمان بين ما أنزل على محمد صلى الله عليه وآله وبين ما أنزل من قبله قابلهم بهذا الاعتبار من تفرد بأحدهما أعني كفار أهل الكتاب فعرض بأن ظنهم بكونهم على هدى ظن كاذب وأن طمعهم في نيل الفلاح طمع فارغ ومعنى الكلام حينئذ أن الكتاب هدى للذين آمنوا به والذين لم يؤمنوا به ليسوا على هدى وإن ظنوه ولا فلاح لهم وإن طمعوا فيه فالجملتان بحسب المعنى وإن توافقتا في الطرف وتقابلتا في الإعراب إثباتاً وسلباً على حد يحسن العطف بينهما كل الحسن فإن الأولى في وصف الكتاب بكمال الهداية للمؤمنين والثانية لسلب الاهتداء عن طائفة أخرى لم يؤمنوا به وقيل المعنى على التعريض أن الكتاب هدى للمتقين وليس هدى لمن عداهم والمعطوف والمعطوف عليه متناسبان غاية التناسب وفيه نظر لأن سلب كونه هدى لطائفة أخرى ليس صفة كمال له

وفي اسم الاشارة الذي هو أولئك ايذان بأن ما يرد عقيبه فالمذكورون قبله أهل لاكتسابه من أجل الخصال التي عددت لهم كما قال حاتم ولله صعلوك ثم عدد له خصالا فاضلة ثم عقب تعديدها بقوله

فذلك ان يهلك فحسنى ثناؤه * وان عاش لم يقعد ضعيفا مذمما

ولا يلائم تلك الاوصاف الماضية التي يشيد بعضها بعضا بخلاف سلب الهداية عمن لم يؤمن به فان فيه اشارة الى كماله وان اختلف الموصولان ذاتا فالاولى بالثاني ان يعطف على الاول تقسيما للمتقين واذا جعل مبتدأ فان لم يجعل الاختصاص تعريضا فقد ترك ما هو أولى لا سيما وقد فات نكتة السؤال المقدر وكان التخصيص الموجود في المعطوف مما يناقض الظاهر فيصدق المعطوف عليه من التخصيص وان جعل تعريضا كان وجهه هما أظهر ولم يكن التخصيص في المعطوف مقصودا بل وسيلة اليه وتعين أن يكون بالقياس الى المعرض بهم والحال في العطف كما سلف (قوله وفي اسم الاشارة) توهم بعضهم ان الايذان بان المذكور مختص بما وقع لاستئناف في أولئك وهو باطل وانه جار في جميع الاوجه وذلك لما عرفت من ان أسماء الاشارة حقها أن يشار بها الى محسوس مشاهد ولما يتنزل منزلته في تمييز وظهوره ولما كان الصفات الجارية على المتقين مميزة لهم جاعلة اياهم كأنهم حاضرون مشاهدون وضع أولئك موضع الضمير اشارة اليهم من حيث انهم موصوفون بها كأنه قيل أولئك المتميزون بتلك الصفات فهم فالكلام من ترتيب الحكم على الاوصاف المناسبة وافادة العلية بخلاف الضمير فانه راجع الى الذات وليس فيه ملاحظة أوصافها وان كانت متصفة بها في نفسها فلا ترتيب هناك على وصف مناسب (وان قلت) قد تقدم مثل في توجيه قوله فيكون الخطاب أدل على ان العبادة له بذلك التمييز فيدل على ان الضمير يدل في الجملة وسبق كلام ههنا بما فيه (قلت) ادعى ان الضمير في ايذان على العطف بزيادة المنفعة (قوله فالمذكورون) ادخل الفاء في خبران المفتوحة على معنى السببية حسب الاعتبار وعلى ما قال أهل لاكتسابه لان الهدى والفلاح نتيجة المكسب (قوله ولله صعلوك) أوله

لحا الله صعلوكا مناه وهمه * من العيش أن يلقى لبوسا ومطعما
ينام الضحى حتى اذا ليله انتهى * تنبه مسلوب الفؤاد متيما
ولله صعلوك تساوره همه * ويمضي على الاحداث والدهر مقدما
فتى طلبات لا يرى الخمص ترحة * ولا شبعة ان نالها عد مغنما
اذا ما رأى يوما مكارم أعرضت * تيمم كبراهن ثمت صمما
يرى رمحه أو نبله ومجنه * وذا شطب عضب الضريبة مخذما
وأحناء سرج قاتر ولجامه * عتاد أخي هيجا وطرفا مسوما
ويغشى اذا ما كان يوم كريهة * صدور العوالي وهو مختضب دما
اذا الحرب أبدت ناجذيها وشمرت * وولى هدان القوم أقبل معلما
فذلك ان يهلك فحسنى ثناؤه * وان عاش لم يقعد ضعيفا مذمما

قال لحاه الله أي قبحه ولعنه والصعلوك الفقير وصعاليك العرب متلصصوهم واللبوس بالفتح ما يلبس ولله كذا كلمة تعجب ومدح عند استغراب الشيء واستعظامه أي هو صنعه ومخصوص به اذ له القدرة على خلق أمثاله والمشاورة المواثبة والهم القصد والعزيمة وقوله على الاحداث متعلق بيمضي أي لا تشغله الاحداث والدهر عن الاقدام على ما هو المرام وفتى اما بدل من صعلوك أو صفة له أو مخصوص بالمدح نصبا أو رفعا واضافته الى طلبات اشارة الى علو همته والخمص الجوع والترحة الشدة وشبعة معمول عد أعرضت أي استبانت وظهرت وثم للتراخي في الرتبة بين القصد والتصميم وعطف النبل على الرمح باو دلالة على انه قلما يجمع بينهما ومجنه معطوف على مدلول ما تقدم أعني أحدهما وشطب السيف بضم الشين وفتح الطاء

ومعنى الاستعلاء

وصمم أيضا طرائقه التي في متنه جمع شطبة والعضب القاطع وله ضريبة المضروب بالسيف وانما دخلت
التاء وان كان بمعنى مفعول لانه في عداد الاسماء كالنطيحة والمحذم القاطع والوالد المجمتين وقد يروى بالحاء
المهملة من الحذم وهو القطع السريع والاحناء جمع حنو بالكسر وهو ما فيه اعوجاج من السرج
والقتب ومعرج الجبل وغيرها والسرج فارسي والقاف ولا يعقر ظهر الفرس وقد ثنى معمولي يركب
وأولهما رجحه وما عطف عليه وقد طابق المصراع في مراد المتعدد لان الكل منه واحد وفي اضافته الى
حي اهتداؤه به وفي حمل المعرف بالنكرة والكريم من الخيل عتاقها على حذفه بقوله وطرد
معطوف على أول المعمولين أعني رجحه ومعطوف عليه والموسوم المعلم شهير اشتقه من السومة وهي
العلامة أو المسيب أبوه ولا يركب الا في الحرب والجذاب بالكسر الالحاح الثقل وحسنى مصدر بمعنى
حسن ويروى حسن ثنائه على العدا (قوله ومعنى الاستعلاء) يريد أن كلمة على هذه استعارة تبعية
شبه تمكن المهتدي بالهدى باستعلاء الراكب على مركوبه في التمكن والاستقرار فاستعير له الحرف الموضوع
للاستعلاء كما شبه استعلاء المصلوب على الجذع باستقرار المظروف في الظرف بجامع الثبات فاستعير له
الحرف الموضوع للظرفية في قوله تعالى ولاصلبنكم في جذوع النخل وعلى ما قال يكون معنى الاستعلاء دون
معنى على لان الاستعارة في الحروف تقع أولا في متعلق معانيها كالاستعلاء والظرفية والابتداء مثلا
ثم تسري اليها بتبعيته وقوله مثل أي تصوير اذ المقصود في الاستعارة تصوير المشبه بصورة المشبه به ابرازا
لوجه الشبه في جانب المشبه به في صورته في جانب المشبه مبالغة في شأنه كأنه هو فانك اذا قلت رأيت
أسدا يرمي فقد صورته في شجاعته بصورة الاسد وجرأته وعلى قياسه تصوير الهدى بالتمكن والاستقرار أعني وجه
الشبه على تصوير التمسك أي المشبه لانه المقصود الاصلي بالقياس اليه وزعم بعض الناس أن الاستعارة
ههنا تبعية تمثيلية قال اما كونها تبعية فلجريانها أولا في متعلق معنى الحرف وتبعيتها في الحرف وأما كونها
تمثيلية فلكون كل من طرفي التشبيه حالة منتزعة من عدة أمور واعترض عليه بان انتزاع كل من طرفي
التشبيه من أمور عدة يستلزم تركبه من معان متعددة ولاشك أن متعلق معنى الحرف هو الاستعلاء
ونحوه من المعاني مفردة كالضرب وأمثاله فلا يكون مشبها به في التشبيه الذي يركب طرفاه ثم يتبعه
هذا التشبيه تشبيه آخر يحصل منه بمجموعه هو المشبه به واذا لم يكن معنى الاستعلاء مشبها به في ذلك التشبيه
سواء كان جزأ منه أولا فكيف يسري التشبيه والاستعارة منه الى معنى الحرف وحاصله أن معنى كون
على استعارة تبعية يستلزم كون معنى الاستعلاء مشبها به وان تركب الطرفين يستلزم أن لا يكون مشبها به
فلا يجتمعان في واحد فحمل على تبعية لم تكن تمثيلية مركبة الطرفين بل كانت استعارة في المفرد كما بيناه
فأجاب بان انتزاع كل من طرفي التشبيه من عدة أمور لا يوجب تركبه في نفسه بل تقتضي تعددا في مأخذه
ورد عليه بان المشبه مثلا اذا كان منتزعا من أشياء متعددة فاما أن ينتزع بتمامه من كل واحد منها
وذلك باطل لانه اذا أخذ بتمامه من كل واحد منها كان أخذه مرة ثانية من شئ آخر لغوا بل تحصيلا
للحاصل واما أن ينتزع من كل واحد منها بعض منه فيكون مركبا بالضرورة واما أن لا يكون هذا
لا هذا ولا ذاك وهو أيضا باطل اذ لا انتزاع حينئذ للمشبه منها أصلا فتعين القسم الثاني ولزم المطلوب
وكيف لا وقد صرح هذا الزاعم في تفسير قوله تعالى كمثل الذي استوقد نارا بانه لا معنى للتشبيه المركب
الا أن ينتزع كيفية من أمور عدة ويشبه بكيفية أخرى مثلها فيقع في كل واحد من الطرفين
أمور متعددة وأيضا قد اتفقوا على أن وجه التشبيه في التمثيل يجب أن يكون مركبا وما ذاك الا لكونه
منتزعا من متعدد وأمثال ذلك مما لا يلتبس على ذي فطنة نافذة وفكرة صائبة وكأني بك قد تطلعت
وارغم من قبلك الى ما يشفي قليل صدرك من تحقيق المقام الذي زلت فيه الاقدام فنقول وبالله التوفيق

في قوله على هدى مثل لتمكنهم من الهدى واستقرارهم عليه وتمسكهم به شبهت حالهم بحال من اعتلى الشيء وركبه ونحوه هو على الحق وعلى الباطل وقد صرحوا بذلك في قولهم جعل الغواية مركبا وامتطى الجهل واقتعد غارب الهوى

(قوله على هدى) يحتمل وجوها ثلاثة الاول ان شبهت التمسك بالهدى باستعلاء الراكب كما سلف الثاني ان شبه هيئة منتزعة من المتقي والهدى وتمسكه به بالهيئة المنتزعة من الراكب والمركوب واعتلائه عليه فيكون هناك استعارة تمثيلية مركب كل واحد من طرفيها الا انه لم يصرح من اللفظ الذي هو بإزاء المشبه به الا بكلمة على فان مدلولها هو العمدة في تلك الهيئة وما عداها تبع له يلاحظ معه في ضمن ألفاظ منوية متعددة وليس حينئذ في على استعارة أصلا بل هي على حالها قبل الاستعارة كما اذا صرح بتلك الالفاظ كلها الثالث انه شبه الهدى بالمركوب على طريقة الاستعارة بالكناية وتجعل على قرينة لها على عكس الاول كما اختاره الامام السكاكي وحينئذ من اعتبر في طرفي التشبيه تلك الهيئة الوحدانية وحكم بان الاستعارة تبعية فقد اشتبه عليه الوجه الاول بالثاني وقد وقع ذلك من ذي تكرره في الكشاف وهو بريء منه وتوهم ان عبارة المفتاح في تقرير الاستعارة التبعية في لعل بينة في اجتماع التبعية والتمثيلية فيما ادعاه وليس فيها الا تشبيه حال المكلف بحالة المرتجي والحال أعم من المفرد والمركب كما لا يخفى (فان قلت) اذا جوز في التمثيل أن يكون طرفاه مفردين مع تركب وجهه أمكن ان يجامع الاستعارة التبعية في الحروف والافعال (قلت) نعم لكن الحق استلزام التمثيل تركب طرفيه فان المتبادر من قولهم التمثيل ما وجهه منتزع من عدة أمور انتزاع وجهه من عدة أمور في كل من الطرفين وان أمكن أن يراد انتزاعه من أمور هي أجزاؤه كما في الهيئة المنتزعة التي تجعل مشبها أو مشبها به (ولا يقال) تركب طرفيه واجب بحسب المعنى وأما بحسب اللفظ فلا اذ ربما يطلق لفظ واحد على قصة كقوله تعالى مثلهم كمثل الذي استوقد نارا (لانا نقول) المراد بكون المعنى مفردا أن يلاحظ ملاحظة واحدة في ضمن لفظ واحد سواء لم يكن له أجزاء أو كانت له أجزاء متعددة لوحظت دفعة اجمالا وبكون المعنى مركبا أن يلتفت الى أشياء عدة كل على حدة ثم يضم بعضها الى بعض وتصير هيئة وحدانية وكل معنى ذي أجزاء عبر عنه بلفظ واحد لم تكن تفاصيلها ملحوظة ولم يعد مركبا وأما التشبيه بالمثل فلا يعني به شيأ فان الحالة المختصة المشبهة بما تضمنتهم من ألفاظ مقدرة أي مثلهم فيما ذكر من اظهار الايمان وابطان الكفر وما يترتب عليه من الخداع المستتبع للمنافع كما ان الحالة المشبهة بها تضمنتهم من جميع الالفاظ المذكورة هناك (قوله ونحوه هو على الحق) تجري فيه الوجوه الثلاثة (قوله وقد صرحوا بذلك) لما ذكر ان كلمة على مستعارة للتمسك بالهدى لزم من ذلك تشبيه الهدى ونحوه بالمركوب وربما يتبادر بعض الاوهام الى استبعاده فأزاله بان هذا التشبيه فيما ذكرناه تبع غير مقصود من الكلام وقد صرحوا به في مواضع أخر وجعلوه مقصودا منه اما في صورة التشبيه كما في قولهم جعل الغواية مركبا فانه في قوة قولك الغواية مركب أي كالمركب وأما في صورة الاستعارة كما في قولهم اقتعد غارب الهوى فقد شبه الهوى بالمطية على طريقة الاستعارة بالكناية ورمز اليها باثبات الغارب ورشح بذكر الاقتعاد وأما قولهم امتطى الجهل فان كان بمنزلة قولك ركب مطا الجهل كان استعارة بالكناية كغارب الهوى وان كان في قوة قولك اتخذ الجهل مطية كان تشبيها كالاول وأيا ما كان فتشبيه الجهل بالمطية مقصود من الكلام وهو المراد بكونه مصرحا به ومنهم من قال هو استعارة تبعية شبه اتصافه بالجهل واستقراره عليه بامتطاء المطية واستعير اسم المشبه به للمشبه وسرت الاستعارة الى الفعل وذكر المفعول أي الجهل قرينة لها ويرد عليه انه لا فرق حينئذ بينه وبين قوله على هدى في ان تشبيه الهدى والجهل بالمركوب ليس مقصودا منهما والتشبيه المقصود مستفاد من الاستعارة التبعية فجعله في أحدهما مصرحا به دون الآخر تحكم

ومعنى هدى من ربهم أي منحوه من عنده وأوتوه من قبله وهو اللطف والتوفيق الذي اعتضدوا به على أعمال الخير والترقي الى الأفضل فالأفضل ونكر هدى ليفيد ضربا مبهما لا يبلغ كنهه ولا يقادر قدره كأنه قيل على أي هدى كما تقول لو أبصرت فلانا لأبصرت رجلا وقال الهذلي

فلا وأبي الطير المربة بالضحى ٭ على خالد لقد وقعت على لحم

٭ والنون في من ربهم أدغمت بغنة وبغير غنة فالكسائي وحمزة ويزيد وورش في رواية والهاشمي عن ابن كثير لم يغنوها وقد أغنها الباقون الا أبا عمرو فقد روى عنه فيها روايتان ٭ وفي تكرير أولئك تنبيه على أنهم كما ثبتت لهم الأثرة بالهدى فهي ثابتة لهم بالفلاح فجعلت كل واحدة من الأثرتين في تمييزهم بها عن غيرهم بالمثابة التي لو انفردت كفت مميزة على حيالها (فان قلت) لم جاء مع العاطف وما الفرق بينه وبين قوله أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون (قلت) قد اختلف الخبران ههنا فلذلك دخل العاطف بخلاف الخبرين ثمة فانهما متفقان لأن التسجيل عليهم بالغفلة وتشبيههم بالبهائم شيء واحد فكانت الجملة الثانية مقررة لما في الأولى فهي من العطف بمعزل

والفرق بان معنى الاستعلاء خارج عن معنى الحرف ومعنى المصدر داخل في لفظ غير صحيح وعلى تقدير صحته فلا ظهر انه لا يوجب الاختلاف المذكور وقد توهم ان مناط ذلك في قوله وقد صرحوا بذلك اشارة الى التشبيه المدلول عليه بقوله شبهت أعني التشبيه المقصود بالاستعارة في على وهو بعيد لا ينطبق عليه شيء من الامثلة وقيل اشارة الى ارادتهم معنى الاستعلاء والركوب وهذا أبعد (قوله أي منحوه) زاد حرف لتفسير بين المبتدا والخبر تأكيدا للاتحاد وزيادة في البيان والمقصود ان من ابتدائية (ومن ربهم) صفة الهدى وتفسيره باللطف والتوفيق رعاية لمذهبه وأما عند الجماعة فهو خلق الاهتداء فيهم والتوفيق هو اللطف الداعي الى أعمال الخير كما ان العصمة هو اللطف الزاجر عن أعمال الشر (قوله الى الافضل فالافضل) قيل الفاء هذه للتعقيب على سبيل الاستمرار والمعنى انه اذا ساعدهم اللطف على عمل فاقد مواعيه استنزلوا لطفا آخر أكمل من الاول فيجدونه عملا أفضل وهكذا كل لطف يدعو الى عمل يستجلب لطفا فلا يزالون يترقون في الاعمال الفاضلة (قوله الهذلي) هو أبو خراش يرثي خالد ابن زهير ولا زائدة في أول القسم كما في فلا أقسم ولقد وقعت في جواب القسم والخطاب للطير على طريقة الالتفات وتنكير لحم للتعظيم أي على لحم أي لحم استعظم لحم خالد اعظمه فاستعظم الطير لوقعة عليه وأباها حيث أقسم به ولا حاجة الى ما توهم من ان أبي ههنا جمع على الشذوذ نظرا الى كثرة الطير وقيل الاب مقحم أريد به خالد نفسه وأضيف اليه لوقوعها عليه ولا يستدعيها كما يقول أبو الثريد وأبو تراب (والمربة) الملازمة بالمكان من أرب بالمكان أقام به ولزمه وعن المصنف أنه كان يقول ما أفصح بيت المربة (قوله وبغير غنة) المشهور عند القراء انه لا غنة مع اللام والراء وقد وردت عنهم في بعض الروايات الغنة معهما على تفصيل يقرب مما ذكره المصنف وأما بحسب العربية فلا ريب في جوازها (قوله كما ثبتت) في موضع المصدر لقوله ثابتة (والاثرة) بفتح الهمزة والثاء التقدم والاستبداد والمراد الدلالة على ان الاثرة بالهدى سبب للاثرة بالفلاح وقد سبق تحقيقه في نظيره وقوله (في غيرهم) اما متعلق بجعلت أو بالظرف الذي وقع موقع المفعول الثاني أعني بالمثابة أي المنزلة وسيأتي بيان أصله في قوله تعالى مثابة للناس ﴿والحاصل﴾ ان تكرير أولئك أفاد اختصاصهم بكل واحد منهما على حدة ليكون كل منهما مميزا لهم عمن عداهم ولو لم يتكرر لربما فهم اختصاصهم بالمجموع فيكون هو المميز لا كل واحدة على حيالها يقال لشيء وحواله وحوله بمعنى أي كفت مميزة على انفرادها مستقلة في ذلك مع ما حولها وفي حيزها (قوله قد اختلف الخبران ههنا) أي على هدى والمفلحون يريد انهما مع مناسبتهما معنيان متغايران لفظا وهو ظاهر ووجودا لأن الهدى في الدنيا والفلاح في العقبى وان اثبات كل منهما

* وهم فصل وفائدته الدلالة على أن الوارد بعده خبر لا صفة والتوكيد وإيجاب أن فائدة المسند ثابتة للمسند إليه دون غيره (أو هو مبتدأ) والمفلحون خبره والجملة خبر أولئك ومعنى التعريف في المفلحون الدلالة على أن المتقين هم الناس الذين عنهم بلغك أنهم مفلحون في الآخرة كما إذا بلغك أن إنسانا قد تاب من أهل بلدك فاستخبرت من هو فقيل زيد التائب أي هو الذي أخبرت بتوبته

أمر مقصود في نفسه فالجملتان المذكورتان وإن اتحدتا في الخبر متوسطتان بين كمالي الاتصال والانقطاع فلذلك أدخل العاطف بينهما وأما الخبران أعني على هدى والمفلحون فهما متحدان معنى مقصودا إذ المعنى للتشبيه بالمفلحين فالمفلحون لا يحتاج الجملة الثانية مشاركة للأولى في المحكوم عليه مؤكدة لها فلا مجال للعطف بينهما (قوله وفائدته) وبيان الضمير الفصل فوائد الأولى الدلالة على أن ما ورد بعده خبر لا صفة ولذلك سمي فصلا الثانية توكيد الحكم للدلالة على ربط المسند بالمسند إليه وقيل توكيد المحكوم عليه لأنه راجع إليه وهو تكرير له الثالث الدلالة على حصر المسند في المسند إليه معرفا كان أو منكرا فإن قولك زيد هو أفضل من عمرو معناه بالفارسية زيد است كه أفضل است از عمرو ومنهم من استشهد على إفادته الحصر بالاستعمال في مثل إن الله هو الرزاق وكنت أنت الرقيب ثم قال وهذا الذي يراد استفادته التخصيص من كل الخبر به نكرة ولا تعريف الخبر بالاسم المستفاد هو المسند الحصر على المبتدأ وإن لم يكن هناك فصل كقولك زيد الأمير (قوله أو هو مبتدأ) قيل هذا دائر على تقديري العهد والجنس وأما كونه فصلا فمخصوص بالجنس (قوله على أن المتقين هم الناس الذين) فاللام حينئذ لتعريف العهد الخارجي ولا حاجة إلى اعتبار قصر كما في قولك زيد هو المطلوب إشارة إلى معهودين بالإطلاق لا أن تجعل كلمة هم فصلا مقصدا إلى حصر المسند على المسند إليه ليفيد نفي ما عداه أي من توهم من تناول المعهودين بالفلاح في الآخرة غير المتقين أيضا (قوله فقيل زيد التائب) اعترض عليه بأنه غير مستقيم فإنك قد عرفت أن إنسانا قد تاب فالسؤال عن ذلك المعلوم من المحكوم عليه فالمفيد إلا المطلوب المطابق التائب زيد حتى لو اقتصر على ذكر زيد كان خبر المبتدأ المحذوف أي المسند خبره محذوف وأجيب بأن الضمير في قولك من هو راجع إلى التائب أي من التائب في مبتدأ والتائب خبره كما هو مذهب سيبويه والمعنى أزيد التائب أم عمرو أم غيرهم فمطلوب السائل أن يحكم على التائب بخصوصية من تلك الخصوصيات فالصحيح ما ذكره العلامة ليكون الجواب مطابقا للسؤال وما ذكره المصنف الموافق التنزيل في كون الخبر معرفة باللام للعهد ثم إن جعل كلمة من خبرا مقدما كان الجواب ما ذكره المعترض الأول وتم موافقته للمقصود واعلم أن هذا أمر شديد الوضوح فخفي على كثير من الأذهان وأعجب منه أن بعضهم نبه على ما قررناه ولم يتنبه له وزعم أن دعوى وجوب المطابقة منقوضة بأن من قام جملة اسمية وقد يجاب بجملة فعلية كقوله من يحيي العظام وهي رميم قل يحييها الذي أنشأها أول مرة في جواب من يحيي العظام وقوله تعالى ليقولن خلقهن العزيز العليم في جواب من خلق السموات والأرض ولم يدر أن المحكوم عليه حقيقة في زيد قام هو زيد فتقدم أو أخر والسائل عن قائم طالب أن يحكم على قائم بأنه زيد أو عمرو فإذا أجيب بقام زيد طوبق سؤاله في المعنى وإن خالفه في اللفظ بكونه جملة فعلية لاسم دل على ذلك لم يدرك أن تقديمه خلاف زيد التائب فإن التقديم فيه يوجب اختلاف المحكوم عليه فتفوت المطابقة المعنوية التي تجب المحافظة عليها كما أن قولك أخوك زيد ليس زيد أخوك ثم إن هذا الزاعم تحير في توجيه هذا المقام وذكر أن الشيخ عبد القاهر في دلائل الإعجاز كلاما يؤيد أوله كلام المصنف وآخره كلام المعترض وهذا أيضا حيرة أخرى فإن محصل ما أورده الشيخ هنا أنك إذا عهدت إنسانا بالانطلاق وجوزت أن يكون زيدا أو غيره فإذا قيل زيد المنطلق أو المنطلق زيد كان بيانا للإيجاد بعد أن تشخص المعهود لا بيانا للانطلاق فإنه معلوم ولم يرد أن

أو على أنهم الذين إن حصلت صفة المفلحين وتحققوا ما هم وتصوروا بصورتهم الحقيقية فهم هم

تقديم زيد على المنطلق وتأخيره عنه يجوز أن معنى حالة واحدة بل أريد أن كل واحد منهما اتفاقا هو بحسب ما يقتضيه مقام الكلام وحالك من طلب الحكم على هذا بذاك أو على ذاك بهذا لا أنه لم يتعرض ههنا لهيئة وقوله في آخر كلامه وإذا قيل المنطلق زيد فالمعنى على أنك رأيت إنسانا ينطلق بالبعد منك فلم تعلم أزيد هو أم عمرو فقال صاحبك المنطلق زيد أي هذا الشخص الذي تراه من بعيد هو زيد ليس فيه إشارة إلى تقدير السؤال من المخاطب بل قوله أزيد هو أم عمرو بيان في الحقيقة لعدم تمييز ذات الشخص المعهود وأمثال هذه المباحث لا تزال من له قدم راسخ في قواعد المعاني واستخراج نكتها مؤسسة على تلك المباني (قوله أو على أنهم الذين إن حصلت) إشارة إلى المعنى الثاني لتعريف المفلحين وهو تعريف الجنس المسمى بتعيين الحقيقة لأن الخبر المعرف بلام الجنس قد يقصد به تارة حصره على المبتدأ إما حقيقة أو ادعاء نحو زيد الأمير إذا انحصرت الإمارة فيه أو كان كاملا فيها كأنه قيل زيد كل الأمير وجميع أفراده فيظهر الوجه في إفادة الجنس وقد يقصد به أخرى أن المبتدأ هو عين ذلك الجنس ومتحد به لا أن ذلك الجنس مفهوم آخر مغاير له فيحصر في المبتدأ بحيث لا يوجد في غيره كما في الحصر الحقيقي أو كامل فيه بحيث لا يعتد في غيره كما في الحصر الادعائي فهذا معنى آخر للخبر المعرف بلام الجنس غير الحصر وهذا هو الذي ذكره الشيخ في دلائل الإعجاز وملخص ما أورده فيه أن الخبر المعرف باللام قد يراد به العهد كما في قولك زيد المنطلق لمن يعلم أنه كان انطلاق ولم يعلم ممن كان وقد يراد به حصر مفهومه في المبتدأ على أنه لم يحصل لغيره أصلا أو على الكمال كما في زيد الشجاع وقد يراد به ظهور اتصاف المبتدأ بمفهومه كما في قوله ووالدك العبد أي ظاهر اتصافه بالعبدية وقد يراد به معنى آخر دقيق يكون المتأمل عنده كما قال يعرف وينكر كقولك هو البطل المحامي فإنك لا تريد به العهد ولا حصر جنس ولا ظهور اتصاف بل تريد أن تقول لصاحبك هل سمعت بالبطل المحامي وهل تصورت حقيقته ما هي فإن قتلته علما وأحطت به خبرا فعليك بفلان اشدد به يدك فهو ضالتك وعنده بغيتك وطريقته طريقة قولك هل سمعت بالأسد وهل تعرف ما هو فإن كنت تعرفه فزيد هو هو بعينه لا حقيقة له وراءه ثم إن دعوى كون زيد حقيقة الأسد مثلا غاية ما يتأتى إذا تصورت تلك الحقيقة في الوهم بصورة تناسب تلك الدعوى فلو تركت على حالها لم يكن ادعاء مجازفة بل يكون مستحسنا مقبولا ولذلك قال الشيخ بعد توضيح هذا المعنى وتكثير أمثلته هذا كله على معنى الوهم والتقدير وأن تصور في خاطره شيئا لم يره ولم يعلمه ثم تجريه مجرى ما علمه وليس بشيء أعجب على هذا الضرب الموهوم من الذي فإنه يجيء كثيرا على أنك تقدر شيئا في وهمك ثم تعبر عنه بالذي كقوله

أخوك الذي إن تدعه لملمة * يجبك وإن تغضب إلى السيف يغضب

فتخيل من ذلك بعض الناس أن تعريف الخبر في هذا المعنى ليس تعريف الجنس وقال أطبق الناظرون في هذا الكتاب على أنه يريد بذلك تعريف الجنس وينبغي أن تعلم أنه إشارة إلى معنى آخر لتعريف الخبر وهو فاسد إذ قد تبين لك أنه تعريف جنس اعتبر معه تصوير الحقيقة بصورة وهمية توصلا إلى دعوى الاتحاد بينها وبين ما أخبر عنها فهو من فروع الجنس كالحمل على الكمال وكيف لا والتعريف باللام منحصر في العهد والجنس (فإن قلت) ظهور الاتصاف بمضمون الخبر ليس شيئا منهما (قلت) هو راجع إلى الجنس أيضا كأنه بعد ما جعل خبرا عرف باللام إشارة إلى حضور الجنس في الأذهان من حيث أنه صفة للمخبر عنه وهذا معنى ظهور اتصافه به وقد اختار العلامة في تعريف المفلحون ذلك المعنى على حصر الجنس لأنه أدق وأبلغ بقوله (ما هم) مفعول ثان لتحققوا ومثله لا يسمى تعليقا لوجود العمل في المفعول الأول وقوله (وتصوروا بصورتهم الحقيقية) إشارة إلى تصوير حقيقة المفلحين بالصورة التي حقها أن يكونوا عليها وقوله (فهم هم) فيه إشارة إلى الاتحاد والضمير الأول للمتقين والثاني للمفلحين

لا يعدون تلك الحقيقة كما تقول لصاحبك هل عرفت الاسد وما جبل عليه من فرط الاقدام ان زيدا هو هو فانظر كيف كرر الله عز وجل التنبيه على اختصاص المتقين بنيل ما لا يناله أحد على طرق شتى وهي ذكر اسم الاشارة وتكريره وتعريف المفلحين وتوسيط الفصل بينه وبين أولئك ليبصرك مراتبهم ويرغبك في طلب ما طلبوا وينشطك لتقديم ما قدموا ويثبطك عن الطمع الفارغ والرجاء الكاذب والتمني على الله ما لا تقتضيه حكمته ولم تسبق به كلمته اللهم زينا بلباس التقوى واحشرنا في زمرة من صدرت بذكرهم سورة البقرة والمفلح الفائز بالبغية كأنه الذي انفتحت له وجوه الظفر ولم تستغلق عليه والمفلج بالجيم مثله ومنه قولهم للمطلقة استفلحي بأمرك بالحاء والجيم والتركيب دال على معنى الشق والفتح وكذلك أخواته في الفاء والعين نحو فلق وفلذ وفلى * لما قدم ذكر أوليائه وخالصة عباده بصفاتهم التي أهلتهم لاصابة الزلفى عنده وبين أن الكتاب هدى ولطف لهم خاصة قفى على أثره بذكر أضدادهم وهم العتاة المردة من الكفار الذين لا ينفع فيهم الهدى ولا يجدي عليهم اللطف وسواء عليهم وجود الكتاب وعدمه وانذار الرسول وسكوته (فان قلت) لم قطعت قصة الكفار عن قصة المؤمنين ولم تعطف كنحو قوله ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم وغيره من الآي الكثيرة (قلت) ليس وزان هاتين القصتين وزان ما ذكرت لان الاولى فيما نحن فيه مسوقة لذكر الكتاب وأنه هدى للمتقين وسيقت الثانية لان الكفار من صفتهم كيت وكيت

(قوله لا يعدون تلك الحقيقة) تأكيد لما سبق لا تصوير لبيان حصر المسند اليه في الخبر كما ظن حيث قيل اذ جعل اللام للعهد أريد قصر الفلاح عليهم واذا جعلت للجنس أريد قصرهم على صفة الفلاح فانه مخالف للقاعدة المقررة من ان تعريف الخبر بلام الجنس يفيد قصره على المبتدأ لا عكسه وان أشعر به كلامه في الفاتحة حيث قال معنى قوله الحمد لله هو ان الله هو الحامد للمحامد لا غير الحامد وذهب رحمه الله تعالى الى ان الحصر في الوجهين بالنسبة الى المسند اليه أو على العهد فقصر افراد أو على الجنس فقصر قلب ولا حاجة هنا الى ما هو المعول عليه (فان قلت) اذا ادعى ان المتقين عين حقيقة المفلحين فلا يتصور هناك حصر أصلا فكيف استعمل فيه ضمير الفصل (قلت) قد يجيء لتمييز الخبر عن النعت وتأكيد الحكم اما مطلقا ولا حصر هناك وكذا اذا أريد حصر المبتدأ في الخبر وتوسط بينهما كقولك الكريم هو القوي أي لا الكريم لا القوي وأما اذا كان الخبر المعرف مفيدا لحصر الجنس في المبتدأ كان الفصل مؤكدا كقولك زيد هو الامير (قوله فانظر كيف) لما كان النظر وسيلة الى العلم كان متضمنا لمعناه فلذا علقه على الاستفهام معلقا عنه وقوله عز من قائل كقولك عز قائلا وهو تمييز عن النسبة أي عز قائليته أو حال على ان المراد فرد الجنس أي عز قائلا من القائلين (قوله على طرق شتى) متعلق بكرر التنبيه باسم الاشارة وتكريره لما عرفت من انه بمنزلة اعادة الوصف وتعليق الحكم به وان تكريره يدل على اختصاص كل واحد من الهدى والفلاح بهم وأما بتعريف المفلحين على العهد فظاهر سواء اعتبر فيه حصر أولا وأما على الجنس فلان المقصود هو الاتحاد بتلك الحقيقة وذلك أبلغ من الاختصاص وأما توسط الفصل فمن حيث دلالته على الحصر وتأكيد الحكم (قوله ويثبطك الخ) يشير الى أن أصحاب الكبائر لا يفوزون لشمول الفوز للنجاة من العقوبة ودخول الجنة وانهم مخلدون في النار تعريض بأهل السنة حيث يطمعون في ذلك والجواب ان المقصود اختصاصهم بالكامل من الهدى والفلاح فلا يلزم من ذلك ان لا يكون لغيرهم هدى ولا فلاح أصلا (قوله استفلحي) من كنايات الطلاق أي فوزي واستقلي بأمرك (قوله على معنى الشق) يقال فلحت الارض أي شققت والحديد بالحديد يفلح أي يشق ويقطع ومنه الفلاحة بمعنى الحراثة (قوله فلق) شق وفلذ قطع وفلى فرق الشعر لطلب القمل (قوله قفى على أثره) يقال قفيته وقفيت به على أثره أي اتبعته اياه وفي قوله سواء عليهم وجود الكتاب وعدمه اشارة الى التناسب بين القصتين الذي حسن به تعقيب احداهما بالاخرى زيادة حسن وان لم يصح

فبين الجملتين تباين في الغرض والأسلوب وهما على حد لا مجال فيه للعاطف (فإن قلت) هذا إذا زعمت أن الذين يؤمنون جار على المتقين فأما إذا ابتدأته وبنيت الكلام لصفة المؤمنين ثم عقبته بكلام آخر في صفة أضدادهم كان مثل تلك الآية المتلوة (قلت) قد مر لي أن الكلام المبتدأ عقيب المتقين سبيله الاستئناف وأنه مبني على تقدير سؤال فذلك إدراج له في حكم المتقين وتابع له في المعنى وإن كان مبتدأ في اللفظ فهو في الحقيقة كالجاري عليه

مصحح للعطف بينهما (قوله فبين الجملتين تباين في الغرض والأسلوب) أما التباين في الأول فلأن الغرض من الأولى بيان بلوغ الكتاب غاية الكمال في الهداية تقريرا لكونه يقينا لا مجال فيه للشك وتحقيقا لكونه ذلك الكتاب الكامل في جنسه المتحدى بأقصر سورة منه وأن الثانية بيان إصرار الكفار على ما هم عليه من الكفر والضلال وأنه لا يجدي عليهم الإنذار والإنذار وأما التباين في الثاني أي الأسلوب وهو الفن والطريق فلأن طريق الأداء في الأولى أن يحكم على الكتاب مع مدحه بإعطاء حال المتقين قيدا للحكم عليه وفي الثانية أن يحكم على الكفار فيما مع ذكرهم لفظا وصدرت بإن إشعارا بالانقطاع والشروع في فن آخر لا يقال الجملتان مسوقتان لبيان حال الكتاب فالأولى لبيان أنه هدى للمتقين والثانية لبيان أنه ليس هدى لأضدادهم فهما على حد يحسن العطف بينهما (لأنا نقول) الذي سيق له الثانية هو الحكم على الكفار بالإصرار وأن وجود الإنذار وعدمه سواء عليهم وأما أن الكتاب بحيث لا يجديهم فمعلوم تبعا لا قصدا ولو كان مقصودا لم يحسن العطف أيضا لأن الانقطاع بصفة كمال به يؤيد ما سيق له الكلام في المقام من تفخيم شأنه وإعلاء مكانه بخلاف عدم الانتفاع (قوله فهو في الحقيقة كالجاري عليه) يعني أنه وإن كان في صورة كلام مستقل منقطع عما قبله حيث جعل مبتدأ مخبرا عنه بأولئك لكنه مرتبط به ارتباطا معنويا صار به من تتمة ما قبله متصلا به اتصال التابع بمتبوعه وكما لا يصح العطف على تقدير كونه موصولا بما قبله صفة مجرورة أو مخصوصا منصوبا أو مرفوعا لم يصح أيضا على تقدير كونه مقطوعا وإنما قال كالجاري عليه إشارة إلى الفرق بين المستأنف والمخصوص نصبا أو رفعا فإن المخصوص وإن لم يكن جاريا على متبوعه صورة فهو جار عليه حقيقة فإنه مسوق لإثبات مفهومه للموصوف الذي قطع هو عن إعرابه بخلاف المستأنف الذي سيق للحكم عليه بالهدى والفلاح وإعطائهما ثبوته للمتقين فما هو كالجاري في الاتصال وعدم الاستقلال وذلك لأنه مبني على السؤال المبني على ما نشأ منه أي من مستتبعاته ولذلك لم يصح لذلك ما هو من توابعه ورود به لم يصح هو لذلك (فإن قلت) يرد عليه الوجه الأخير وهو أن يجعل الذين يؤمنون مبتدأ خبره أولئك على هدى فإنها حينئذ جملة مستقلة من وصف المؤمنين جاءت معطوفة على ما تقدمها فليعطف عليها جملة في وصف الكافرين (قلت) يندفع بأنه بنى الكلام ههنا على الوجه المرضي وما ذكرته وجه ضعيف لم يلتفت إليه بل ربما يستدل بهذا البناء على ضعفه وأيضا قد عرفت أن هذه جملة مجعولة على التعريض وإن معناها على ما حققناه يناسب وصف الكتاب بالكمال ولذلك جاز عطفها على سابقتها وأما قوله إن الذين كفروا فلا مدخل لها في ذلك فلا وجه للعطف فيها هذا وقد زعم بعضهم أن خلاصة الجواب المذكور في الكتاب أن الذين يؤمنون بالغيب الى آخره استئناف وقع جوابا عن سؤال وقوله إن الذين كفروا لا يصلح أن يكون جوابا عن ذلك السؤال فامتنع العطف لذلك ورد بأنه مع كونه غير كلام المصنف غير مستقيم فإنه إذا قيل ما بال المتقين مخصوصين بكون الكتاب هدى لهم دون من عداهم حسن عنه الجواب بأن يقال لأن الموصوفين بتلك الصفات أحقاء بذلك والكفار المصرين لا ينتفعون به بل مستو عليهم وجود الكتاب وعدمه فإن هذا المعطوف يؤكد اختصاصهم بالهدى عن غيرهم وتوهم آخرون في الآية أنه ترك العطف لأنه استئناف آخر كأنه قيل ما بال غيرهم لم يهتدوا به فأجيب بأنهم لإعراضهم وزوال استعدادهم لم تنجع فيهم دعوة الكتاب إلى الإيمان ورد بأنه يدفعه تقرير تلك

• والتعريف في (الذين كفروا) يجوز أن يكون للعهد وأن يراد بهم ناس بأعيانهم كأبي لهب وأبي جهل والوليد بن المغيرة وأضرابهم وأن يكون للجنس متناولا كل من صمم على كفره تصميما لا يرعوي بعده وغيرهم ودل على تناوله للمصرين الحديث عنهم باستواء الانذار وتركه عليهم و(سواء) اسم بمعنى الاستواء وصف به كما يوصف بالمصادر ومنه قوله تعالى تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم في أربعة أيام سواء للسائلين بمعنى مستوية وارتفاعه على أنه خبر لان وأأنذرتهم أم لم تنذرهم في موضع الرفع به على الفاعلية كأنه قيل ان الذين كفروا مستو عليهم انذارك وعدمه كما تقول ان زيدا مختصم أخوه وابن عمه أو يكون أأنذرتهم أم لم تنذرهم في موضع الابتداء وسواء خبرا مقدما بمعنى سواء عليهم انذارك وعدمه والجملة خبر لان (فان قلت) الفعل أبدا خبر لا مخبر عنه

لاوصاف مخصصة هي المقتضية لذلك السؤال لم يبق لهذا السؤال وجه وقيل ترك العطف لغاية الاتحاد والاتصال وهو أيضا مردود بأن شرح تمرد الكفار يؤكد كون الكتاب كاملا في الهداية (قوله والتعريف في الذين كفروا) وذلك أن تعريف الذي من باب الموصولات كتعريف ذي اللام في كونه للعهد تارة والجنس أخرى سواء جعلت من المعرف باللام كما ذهب اليه شرذمة من النحاة أو لا كما عليه المحققون والوجه في العهد أن هؤلاء أعلام الكفر المشهورون به فهم لذلك كالحاضرين في الأذهان فاذا أطلق اللفظ انصرف اليهم واذا حمل على الجنس يعم الكفار الا أن الخبر يدل على الاصرار دل على أن المراد هم المصرون فقط فيكون اللفظ عاما مقصورا على بعض أفراده بقرينة نظير ﴿لا يعقل﴾ والمصنف لم يذهب الى أن الجمع المحلى بلام الجنس للاستغراق بل هو عنده للاطلاق الصالح للكل والبعض حيث صرح في قوله تعالى اذا طلقتم النساء أنه لا عموم ولا خصوص في النساء ولكنه اسم جنس وفي قوله تعالى والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء بأن اللفظ مطلق في تناول الجنس صالح لكله وبعضه فجاء في أحد ما يصلح له يعني في ذوات الاقراء كالاسم المشترك ﴿وذا قولهم﴾ هو لا يمنع صلوحه للعموم بل يمنع ظهوره فيه كما هو مذهب أصحاب الاصول فذهب ههنا المصنف الى أن هذا الصالح للعموم مستعمل فيه ومقصور على البعض بواسطة القرينة وفيه أنه تطويل للمسافة بلا طائل وقيل المختار عنده أن مثل هذا الجمع للعموم وأما كونه للاطلاق فشيء ذكره في بعض المواضع من هذا الكتاب وهو مردود بنص المنقول منه وأما تفسيره الجمع المعرف باللام على الاستغراق فذلك لاستفادته من معونة المقام لا لظهوره فيه ولا معونة للمقام ههنا فالصحيح أنه أراد كونه مطلقا في تناول الجنس صالحا بحسب مفهومه لأن يراد به كله وبعضه لكن الخبر دل على تقييده بقوله متناولا كل من صمم لم يرد به الشمول بل التناول بحسب الاطلاق نظرا الى اللفظ وحده واذا اعتبرت القرينة معه دلت على تناوله بحسب الارادة للمصرين فقط ومعنى لا يرعوي لا ينزجر ولا يمتنع (قوله كما يوصف بالمصادر) أي كما تجري المصادر على ما اتصف بها كذلك سواء يجري على ما يتصف بالاستواء أي يجعل له وصفا معنويا بأنه مستو يا كان كلمة سواء وأربعة أيام سواء بالجر والمشهور هو النصب وأما غيره كما في هذه الآية فان سواء فيها في موقع مستو مخبرا عما قبله ومسندا الى ما بعده كما يسند الفعل الى فاعله فيجب حينئذ توحيده وأما اخبارا عما بعده فيكون ترك تثنيته لرعاية المصدر وكأنه نبه على ذلك حيث قال أولا مستو عليهم وثانيا سواء عليهم واختار بعضهم الوجه الثاني لأنه اسم غير صفة فالاصل فيه أن لا يعمل وأيضا المقصود من الوصف بالمصادر المبالغة في بيان محاله كأنها صارت غيره قائمة مقامه في قولنا زيد عدل أنه عين العدل كأنه تجسم منه واذا أولت بمعنى اسم الفاعل كمستو مثلا فات ذلك المقصود وكذا ان حملت على حذف المضاف (قوله الفعل أبدا خبر) المحكوم بأن قوله تعالى أأنذرتهم أم لم تنذرهم مرتفع المحل اما على الفاعلية أو على الابتداء مع تقدم الخبر توجه عليه أسئلة الاول أن الفعل كيف وقع مخبرا عنه ومسندا اليه الثاني أن ما ذكره يبطل تصدر الاستفهام الثالث

• قوله تعالى سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم (قال محمود رحمه الله والهمزة وأم مجردتان لمعنى الاستواء الخ) قال أحمد رحمه الله وحاصل هذا النقل استعمال الحرف في أعم معناه فالهمزة المعادلة لأم موضوعة في الاصل للاستفهام عن أحد متعادلين في عدم علم لتعين فنقلت الى مطلق المعادلة وان لم يكن استفهاما واستعملت في [illegible] وكذلك حرف النداء موضوع في الاصل لتخصيص المنادى بالدعاء ثم نقل الى مطلق التخصيص ولا نداء كما يكون المجاز بالتخصيص والقصر مثل تخصيص الدابة بذوات الاربع وان كانت في الاصل لكل ما دب فقد يكون بالتعميم والتعدي مثل تسمية الرجل الشجاع أسدا نقلا لهذا الاسم من موصوف بالشجاعة مخصوص وهو الحيوان المعروف الى كل موصوف بتلك الصفة غير مقصورة على محله الاصلي • قوله تعالى ختم الله على قلوبهم الآية

فكيف صح الإخبار عنه في هذا الكلام (قلت) هو من جنس الكلام المهجور فيه جانب اللفظ إلى جانب المعنى وقد وجدنا العرب يميلون في مواضع من كلامهم مع المعاني ميلا بينا من ذلك قولهم لا تأكل السمك وتشرب اللبن معناه لا يكن منك أكل السمك وشرب اللبن وإن كان ظاهر اللفظ على ما لا يصح من عطف الاسم على الفعل والهمزة وأم مجردتان لمعنى الاستواء وقد انسلخ عنهما معنى الاستفهام رأسا قال سيبويه جرى هذا على حرف الاستفهام كما جرى على حرف النداء قولك اللهم اغفر لنا أيتها العصابة يعني أن هذا جرى على صورة الاستفهام ولا استفهام كما أن ذلك جرى على صورة النداء ولا نداء ومعنى الاستواء استواؤهما في علم المستفهم عنهما لأنه قد علم أن أحد الأمرين كائن إما الإنذار وإما عدمه ولكن لا بعينه

ان الهمزة وأم موضوعتان لأحد الأمرين وما بعد لفظ سواء يجب أن يكون متعددا فصرح بالسؤال الأول وأجاب عنه وعقبه بما هو جواب عن الأخيرين (قوله فكيف صح الإخبار عنه) أي عن الفعل قيل المخبر عنه ههنا والجملة لا الفعل وحده فقصد جعل الفعل مع فاعله المضمر فيه لا وهو شائع في عباراتهم ولا حاجة إلى ذلك لأن الإخبار فيما نحن فيه إنما هو عن الفعل وأما فاعله فهو قيد للمعبر عنه لا جزء منه (قوله المهجور فيه جانب اللفظ) فإن الفعل إذا نظر إلى لفظه واعتبر معناه على ما يقتضيه ظاهره امتنع الإخبار عنه لكن هجر ههنا مقتضى لفظه وأول بمعنى مصدر مضاف إلى فاعله فلذلك صح أن يخبر عنه وقوله (مع المعاني) من قبيل التضمين أي يميلون ذاهبين معها ولا يلتفتون إلى ما تقتضيه ظواهر ألفاظها (قوله من ذلك قولهم) فإنه إن أجري على ظاهره لزم عطف الاسم وهو تشرب بالنصب على الفعل بل عطف مفرد على جملة لا محل لها فهو من قبيل ما هجر فيه جانب لفظه إلى معناه من حيث إنه أول لا تأكل السمك بما فيه معنى المصدر لأن يعطف عليه أن تشرب أي لا يكن منك أكل السمك وشرب اللبن لا من حيث إنه جعل لا تأكل في تأويل المصدر على قياس قوله أأنذرتهم فإن الفرق بين ﴿فإن قلت﴾ هذه الواو بمعنى مع إذ المنهي عنه هو الجمع فلو جعل ما بعدها مفعولا معه كما في قولك ما صنعت وأباك لاستغنى عن التأويل ﴿قلت﴾ بل يحتاج إليه أيضا لأن ما بعد الواو لا يصلح لمصاحبة معمول لا تأكل بل المصاحبة معمول فعل عمل فيه أي لا يكن منك أكل السمك مع شرب اللبن (قوله والهمزة وأم) هذا مع كونه تفسيرا للمعنى الآية يتضمن فائدتين الأولى تأكيد الجواب عن السؤال الأول وذلك لأن تجريد الهمزة وأم لما ذكره من معنى الاستواء هجر عن جانب اللفظ الثانية دفع السؤالين الباقيين تقريره أن هاتين الكلمتين قد انسلخ عنهما ههنا معنى الاستفهام بالمرة حتى زال عنهما الدلالة على أحد الأمرين وصارتا لمجرد معنى الاستواء فإن اللفظ الحامل لمعنيين قد يجرد لأحدهما ويستعمل فيه وحده كما في صيغة النداء فإنها كانت للاختصاص الندائي جردت لمطلق الاختصاص وفي هذه الآية كما خولف لفظ الفعل وأريد به الحدث مضافا إلى فاعله فصح الإخبار عنه كذلك خولف لفظ الهمزة وأم فجردتا عن معنى الاستفهام لمعنى الاستواء فبطل اقتضاء صدر الكلام وزال كونهما لأحد الأمرين ﴿لا يقال﴾ فعلى ما ذكرتم يؤول المعنى إلى أن المستويين سواء وهو تكرار لا حاصل ﴿لأنا نقول﴾ بل المعنى أن المستويين في صحة الوقوع مستويان في عدم النفع وتحريره أن هاتين الكلمتين يدلان على الاستفهام واستواء الأمرين في العلم بالوقوع وبصحته أيضا فنقلتا إلى مجرد استوائهما في صحة الوقوع من غير استفهام واعتبار علم وأخبر عنهما بسواء على أنه مقيد بعدم النفع أو بما يجري مجراه مما يناسب المقام (قوله ومعنى الاستواء) أراد أن هذا معناهما في أصلهما ليظهر تضمنهما للاستواء فيصح الحكم بتجردهما له لأن الاستواء في علم المستفهم مقصود منهما كيف وهما بعد التجريد لا يقعان في كلام المستفهم وقيل أراد أن الاستواء الذي جردتا له هو استواؤهما في علم المستفهم عند استعمالهما في الاستفهام وفيه أنه قد ذهب الاستفهام وبقي الاستواء في العلم وهذا أقرب إلى الحقيقة وألصق بقولهم جردتا لمعنى الاستواء منسلخا عنهما معنى الاستفهام لاقتضائه أن يكون المراد بهما

مكلام ما معلوم بعلم غير معين * وقرئ (أأنذرتهم) بتحقيق الهمزتين والتخفيف أعرب وأكثر وبتخفيف الثانية بين بين وبتوسيط ألف بينهما محققتين وبتوسيطها والثانية بين بين وبحذف حرف الاستفهام وبحذفه وإلقاء حركته على الساكن قبله كما قرئ قد أفلح

أأنذرتهم أم لم تنذرهم

هو الاستواء الذي كان مع الاستفهام وإلا لم يكن تجريدا عن مجرد الاستفهام فالمستفاد منهما هو الاستواء في علم المستفهم والمستفاد من سواء هو الاستواء فيما سيق له الكلام كأنه قيل المستويان في علمك مستويان في عدم الجدوى وهذا منقول عن المصنف من أن معناه ما استوى فيه علمك حتى شككت فيه مستو في عدم التأثير كأنه سائل ربه أأنذرهم أم لا فقيل له ذلك ومحصول هذا المنقول أن هناك سؤالا مقدرا أوقع هذا الكلام جوابه فأشير إلى الاستواء في علم ذلك المستفهم وحكى بعض المحققين عن أبي علي أن المعادلين مع الحرفين في تأويل اسمين بينهما واو العطف لأن ما بعدهما في الاستفهام مثل قولك أقمت أم قعدت متساويان في علم المستفهم فإذا قيل سواء علي أقمت أم قعدت فقد أقيم مقام المستويين وهما قيامك وقعودك كما أقيم لفظ النداء مقام الاختصاص وعلى هذا يكون الواقع موقع الفاعل أو المبتدأ مجموع المعادلين مع الحرفين ثم اختار أن سواء في مثله خبر مبتدأ محذوف تقديره الأمران سواء علي ثم بين الأمرين بقوله أقمت أم قعدت وهذان الفعلان في معنى الشرط والجملة الاسمية السابقة دالة على جوابه أي إن قمت أو قعدت فالأمران سواء علي ألا ترى أن الماضي المذكور في مثله يفيد معنى المستقبل وما ذلك إلا لتضمنه معنى الشرط ولذلك استوى بين الأخفش على ما حكي عنه في الجواب أن يقع بعدهما الابتدائية وأم في قوله تعالى سواء عليكم أدعوتموهم أم أنتم صامتون فتقدم الفعلية والاسمية واستقبح أيضا وقوع المضارع بعدهما وذلك لأن إفادة الماضي معنى الاستقبال أدل على إرادة معنى الشرط ويؤيده أن صاحب المفتاح جعل من هذا القبيل ما جاء على صيغة الماضي وإن أفادت الهمزة فائدة إن الشرطية لأن كلمة إن تستعمل في الأغلب في أمر مفروض مجهول الوقوع وكذلك حرف الاستفهام يستعمل فيما لم يتيقن حصوله فأقيما مقامها مجردة عن معنى الاستفهام وكذا أم جردت عن معناها وجعلت بمعنى أو لاحظهما في إفادة أحد الشيئين قال ويرشدك إلى أن سواء ساد مسد جواب الشرط لا خبر مقدم أن معنى سواء علي أقمت أم قعدت ولا أبالي أقمت أم قعدت واحد في الحقيقة ولا أبالي ليس خبر المبتدأ بل المعنى إن قمت أو قعدت فلا أبالي بهما وكذا يرشدك إليه قوله

سيان عندي إن بروا وإن فجروا * فليس يجري على أمثالهم قلم

وقوله

أدرت في هذه الدنيا وساكنها * طرفي فأبصرت دارا [illegible]

الواجدون غنى ولئام موسرون [illegible] * أليس الذي وجدوا مثل الذي عدموا

لسواء إن وجدوا أو عيشا سوى [illegible] * ورب [illegible] في مثلها نعم

وغير خفي استعمال الهمزة وأم في هذا المعنى عند ذكر سواء ولا أبالي وما يجري مجراهما إلا أن المراد التسوية في الشرط بين أمرين فاشترط فيما يقع موقع الجزاء أن يشتمل على معنى الاستواء فصار دقيق المناسبة ولهذا وجب تكرير الشرط ولم يصح لا أبالي أقام زيد [illegible] ومع هذا فلا تكون جملة الشرطية خبر إن والمعنى أن الذين كفروا إن أنذرتهم أو لم تنذرهم فهما سواء عليهم (قوله بعلم غير معين) صح بكسر الياء في نسخة المصنف على صيغة اسم الفاعل أي بعلم لا يفيد التعيين ويكون المستويين في العلم بهم والمستفهم طالب تعيين أحدهما (قوله والتخفيف أعرب) أي أفصح وأدخل في العربية من تحقيق الهمزتين وهو جملة معترضة وقوله وبتخفيف الثانية شروع في بيان ما ذكر أنه أعرب (قوله وبحذف حرف الاستفهام) هذه وما بعدها من الشواذ والبقية من السبع المتواترة وإنما جعل المحذوف همزة الاستفهام لكثرة حذفها كما في بيت الكتاب * بسبع رمين الجمر أم بثمان * دون همزة أفعال (قوله وإلقاء حركته) المتبادر من هذه العبارة أنه أراد إلقاء حركة ذلك المحذوف أي حرف الاستفهام

(فإن قلت) ما تقول فيمن يقلب الثانية ألفا (قلت) هو لاحن خارج عن كلام العرب خروجين أحدهما الاقدام على جمع الساكنين على غير حده وحده أن يكون الأول حرف لين والثاني حرفا مدغما نحو قوله الضالين وخويصة والثاني اخطاء طريق التخفيف لان طريق تخفيف الهمزة المتحركة المفتوح ما قبلها أن تخرج بين بين وأما القلب ألفا فهو تخفيف الهمزة الساكنة المفتوح ما قبلها كهمزة رأس والانذار التخويف من عقاب الله بالزجر عن المعاصي (فإن قلت) ما موقع (لا يؤمنون) (قلت) اما أن يكون جملة مؤكدة للجملة قبلها أو خبرا لان والجملة قبلها اعتراض * الختم والكتم أخوان لان في الاستيثاق من الشيء بضرب الخاتم عليه كتما له وتغطية لئلا يتوصل اليه ولا يطلع عليه * والغشاوة الغطاء فعالة من غشاه اذا غطاه وهذا البناء لما يشتمل على الشيء كالعصابة والعمامة (فإن قلت) ما معنى الختم على القلوب والاسماع وتغشية الابصار (قلت) لا ختم ولا تغشية ثم على الحقيقة وانما هو من باب المجاز ويحتمل أن يكون من كلا نوعيه وهما الاستعارة والتمثيل أما الاستعارة فأن تجعل قلوبهم لان الحق لا ينفذها

لا يؤمنون ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم

فتصير القراءة عليهم أأنذرتهم بحركة الميم والهمزة جميعا وهي مع كونها غير مروية عن أحد مخالفة للقياس وموحشة للنفس فلذلك قيل ان الصحيح انه راجع الى الحرف الذي بعد حرف الاستفهام فتكون القراءة عليهم أنذرتهم بفتح الميم مع سكون النون بلا همزة أصلا ويشهد له قوله كما قرئ قد فلح (قوله هو لاحن خارج خروجين) اعتذر عن الاول بأن من قلب الهمزة ألفا أشبع الالف مقدار ألف آخر على المعتاد ليكون ذلك فاصلا بين الساكنين كما ذكر في قراءة من قرأ محياي بسكون الياء وصلا وعن الثاني بأن المتحركة قد تقلب ألفا على الشذوذ كقول حسان * سالت هذيل رسول الله فاحشة * وقول الفرزدق * فارعي فزارة لا هناك المرتع * والشاذ لا يكون خارجا عن كلام العرب وهذه القراءة من قبيل الاداء ورواية المصريين عن ورش وغيرهم روى عنه التسهيل بين بين كالقياس ولا يكون الطعن فيما نقله الأئمة وهو في السبع متواترة على ان المصنف لا يبالي بذلك أيضا (قوله جملة مؤكدة للجملة قبلها) جعل لا يؤمنون تأكيدا أو بيانا للاستواء في عدم الاجداء أولى من أن يجعل خبرا وما قبله اعتراضا لان ما تقدمه أقوى وأظهر في افادة ما سيق له الكلام فالحري أن تكون عمدة فيه لا معترضة مستغنى عنها فان جعل لا يؤمنون خبرا كان له محل من الاعراب وكذا ان جعل بيانا للجملة قبله ان أجري مجرى التوابع هذا اذا كان ما قبله جملة وان قدر فيه اسم فاعل مع فاعله تعين أن يكون لا يؤمنون تقريرا أو بيانا لمضمونه لان الاعتراض عنده لا يكون الا جملة لا محل لها (قوله أخوان) أي متشاركان في المبنى واللازم ومتناسبان في المعنى كما بينه بقوله لان في الاستيثاق الخ وقد أشار في السؤال الى اندراج الاسماع في حكم الختم كما سيصرح به ويؤيده وفي قوله لا ختم ولا تغشية ثم على الحقيقة رد على من زعم ذلك من أصحاب الظاهر وأراد بالمجاز ما يكون علاقته المشابهة لا ما يتناول المرسل وذلك ينحصر في هذين النوعين كما تقتضيه ظاهر عبارته وبالاستعارة المجاز المبني على المبالغة في تشبيه مفرد بمفرد وبالتمثيل ما بني من المجاز على تشبيه هيئة منتزعة من أمور عدة بهيئة مثلها وتسمى مجازا مركبا وأجزاء هذا المركب وان كان لها مدخل في انتزاع وجه الشبه الا انه ليس في شيء منها على انفراده تجوز باعتبار هذا المجاز المتعلق بمجموعها بل هي باقية على حالها من كونها حقيقة أو مجازا كما حقق في موضعه فظهر ان المجاز المبني على التشبيه ينقسم عند المصنف الى هذين القسمين كما ذكر في الايضاح ووافقه كلام الشيخ عبد القاهر وكثير من القدماء وقد تقرر في هذا الكتاب الفرق بينهما حيث قال في قوله تعالى واعتصموا بحبل الله جميعا يجوز أن يكون تمثيلا وان يكون استعارة وجعل السكاكي التمثيل بالمعنى المذكور نوعا من الاستعارة التي أراد بها المجاز الذي مبناه على المشابهة وعبر عن النوع الآخر بأن سماه استعارة تبعية ولا مناقشة في الاصطلاحات لكن يجب التنبيه عليها كيلا يغلط في المعاني باختلافها (قوله أما الاستعارة فأن تجعل)

ولا يخلص الى ضمائرها من قبل اعراضهم عنه واستكبارهم عن قبوله واعتقاده وأسماعهم لانها تمجه وتنبو عن الاصغاء اليه وتعاف استماعه كأنها مستوثق منها بالختم وأبصارهم لانها لا تجتلي آيات الله المعروضة ودلائله المنصوبة كما تجتليها أعين المعتبرين المستبصرين كأنما غطي عليها وحجبت وحيل بينها وبين الادراك وأما التمثيل فان تمثل حيث لم يستنفعوا بها في الاغراض الدينية التي كلفوها وخلقوا من أجلها بأشياء ضرب حجاب بينها وبين الاستنفاع بها بالختم والتغطية

حاصل ما ذكره في الاستعارة ان لفظ الختم استعير من ضرب الخاتم على نحو الاواني لاحداث هيئة في القلب والسمع مانعة من خلوص الحق اليهما كما يمنع نقش الختم على تلك الظروف من نفوذ ما هو بصدد الانصباب فيها فيكون استعارة محسوس لمعقول بجامع عقلي هو الاشتمال على منع القابل عما من شأنه وحقه أن يقبله ثم اشتق من الختم المستعار صيغة الماضي ففي ختم استعارة تصريحية تبعية وقوله (من قبل اعراضهم واستكبارهم) اشارة الى الهيئة الحادثة في القلوب المانعة من ان ينفذها الحق ويخلص الى ضمائرها وفيه تنبيه على المشبه وعلى وجه التشبيه كما ان قوله (لانها تمجه وتنبو) عبارة عن عدم الاستماع للحق ونبوها عن الاصغاء اليه وكراهة الاستماع به يدل على عدم نفوذه فيها فجعل هيئة حادثة بها مانعة من النفوذ ويلزم من التشبيه الذي تضمنه هذه الاستعارة تشبيه القلوب والاسماع بالاواني لكنه تابع لذلك التشبيه ولا يمكن أن يقصد ابتداء لفظ ما توهم من ان القلوب والاسماع استعارة بالكناية والختم تخييل وكيف لا وسيرد عليك ان رد التبعية في أمثال هذه الصور الى المكنية كما ذهب اليه السكاكي مما لا يستحسن أصلا ومن ههنا يعلم ان قوله (فان تجعل قلوبهم وأسماعهم كأنها مستوثق منها بالختم) لا يدل على ان المقصود تشبيه القلوب والاسماع كما تبادر اليه الوهم بل هو بمنزلة ان يقال تجعل الحال الكائنة فيها على كيفية كما يناسبها ويطابقه مع ان المراد تشبيه دلالتها بالنطق لا تشبيهها بالناطق وان لفظ الغشاوة استعير من معناه الاصلي لحالة في أبصارهم مقتضية لعدم اجتلائها آيات الله ودلائله فهو استعارة مصرح بها أصلية من محسوس لمعقول والجامع ما ذكر في تلك التبعية ودعوى كون الاستعارة مكنية باطلة أيضا لما مر الا ترى انه حكم أن الختم والتغشية من باب المجاز ومحصول ما قرره في التمثيل أن تشبيه حال قلوبهم وأسماعهم وأبصارهم مع الهيئة الحادثة فيها المانعة من الانتفاع بها في الاغراض الدينية التي خلقت هذه الآلات لاجلها بحال أشياء معدة للانتفاع بها في مصالح مهمة مع المنع عن ذلك بالختم والتغطية ثم يستعار للمشبه اللفظ الدال على المشبه به فيكون كل واحد من طرفي التشبيه مركبا من عدة أمور والجامع عدم الانتفاع بما أعد له بسبب عروض مانع يمكن فيه كالمانع الاصلي وهو أمر عقلي منتزع من تلك العدة فتكون الاستعارة حينئذ تمثيلية وليس للاسناد الى الله تعالى والمغشي في هاتين الجملتين الاسمية والفعلية مدخل في هذا التمثيل كما لا مدخل له في اراك تقدم رجلا وتؤخر أخرى ﴿فان قيل﴾ اذا استعير اللفظ من حالة مركبة لاخرى مثلها وجب أن يكون ذلك اللفظ مركبا لفظا اذ لا يراد بالمعنى المركب ههنا ما له أجزاء في نفسه بل ما دل عليه بلفظ مركب فان معنى كل واحد من الاسد والجبل والارض من المعاني المفردة التي تلاحظ ملاحظة واحدة بألفاظ مفردة وان كانت مشتملة على أجزاء متكثرة واذا قصد تلك الاجزاء بألفاظ متعددة متألفة كانت معاني مركبة فالاشبه وعلى هذا كيف يمكن حمل الآية على التمثيل وليس فيها لفظ مركب مستعار من المشبه به للمشبه بل ههنا لفظان مفردان صالحان للاستعارة فقط ﴿قلنا﴾ اذا حمل ما نحن فيه على الاستعارة كان المستعار لفظا مفردا كما مر تحقيقه واذا حمل على التمثيل كان المستعار لفظا مركبا بعضه ملفوظ وبعضه منوي في الارادة وضابطه على ان ملاحظة المعاني قصدا انما بألفاظ مذكورة أو مقدرة في نظم الكلام أو منوية بلا ذكر ولا تقدير فيه وانما صرح بالختم وحده وبالغشاوة وحدها لانهما الاصل في تلك

(قال محمود رحمه الله ان قلت كيف أسند الختم الى الله تعالى الخ) قال أحمد رحمه الله هذا أول عشواء خبطها في مهواة من الاهواء هبطها حيث نزل من منصة النص الى حضيض تأويله ابتغاء الفتنة استبقاء لما كتب عليه من المحنة فانطوى كلامه هذا على ضلالات أعدها وأردها ❁ الاولى مخالفة دليل العقل على وحدانية الله تعالى ومقتضاه انه لا حادث الا بقدرة الله تعالى لا شريك له والامتناع من قبول الحق من جملة الحوادث فوجب انتظامه في سلك متعلقات القدرة العامة لتعلق بالكائنات والممكنات ❁ الثانية مخالفة دليل النقل المصاحب لدليل العقل كامثال قوله تعالى الله خالق كل شيء هل من خالق غير الله وهذه الآية أيضا فان الختم فيها مسند الى الله تعالى نصا والزمخشري رحمه الله لا يأبى ذلك ولكنه يدعي الاحتياج الى تأويله لان الدليل قام عنده عليه فاذا أثبت ان الدليل العقلي على وفق ما دلت عليه وجب عليه ابقاؤها على ظاهرها بل لو وردت على خلاف ذلك ظاهرا لوجب تأويلها بالدليل جمعا بين العقل والنقل ❁ الثالثة الفرار من نسبة ما اعتقده قبيحا الى الله تعالى تنزيها على زعمه الى الاشراك فانه في اعتقاد ان الشيطان هو الذي يحدث الختم والكافر يحدثه لنفسه بقدرته على خلاف مراد ربه فقد ناسب خصوم السنة المذاهب المذاهب ووردوا من جحيم البدعة موارد العذاب ❁ الرابعة اعتقاده ان ما يقبح شاهدا يقبح غائبا فلما كان المنع من قبول الحق قبيحا في الشاهد وجب على زعمه أن يكون قبيحا من الغائب وهذه قاعدة قد فرع من هدمها في فنها الخامسة اعتقاده ان ذلك لو فرض وجوده بقدرة الله تعالى لكان ظلما والله تعالى منزه عن الظلم بقوله تعالى وما أنا بظلام للعبيد ومن الظلم البين جهل حقيقة الظلم فانه التصرف في ملك الغير بغير اذنه وكيف يتصور ثبوت حقيقته لله تعالى وكل مفروض محصور بسور ملكه عز وجل الملك لله الواحد القهار ❁ السادسة انه فر من اعتقاد نسبة الظلم الى الله تعالى فتورط فيه الى نفسه لانه قد جزم بان المنع من قبول الحق لو كان من فعل الله تعالى لكان ظلما وقد قام البرهان على انه من فعل الله تعالى فيلزمه أن يكون ظلما تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا والجبال التي يدندن حوله هؤلاء أن أفعال العبد لو كانت مخلوقة لله تعالى لما نعاها على عباده ولا عاقبهم ولا قامت حجة الله عليهم وهذه الشبهة قد أبرزها في ادراج كلامه المتقدم فيقال لهم لم قلتم انها لو كانت مخلوقة لله لما نعاها على عباده فان أسندوا هذه الملازمة وكذلك يفعلون الى قاعدة التحسين والتقبيح وقالوا معاقبة الانسان بفعل غيره قبيحة في الشاهد لا سيما اذا كانت المعاقبة من الفاعل فيه لزم طرد ذلك عاما قيل لهم ويقع في الشاهد أيضا أن يمكن الانسان عبده من القبائح والفواحش على رأى منه ومسمع ثم يعاقبه على ذلك مع القدرة على ردعه ورده من الاول فما انتم معاشر القدرية تزعمون ان القدرة التي يخلق بها العبد الفواحش لنفسه مخلوقة لله تعالى على علم منه عز وجل أن العبد يخلق بها لنفسه ذلك فهو بمثابة اعطاء سيف باتر لفاجر يعلم انه يقطع به السبيل ويسبي به الحريم وذلك في الشاهد قبيح جدا فسيقولون أجل انه لقبيح في الشاهد ولكن هنالك حكمة استأثر الله تعالى بعلمها فرقت بين الشاهد والغائب فحسن من الغائب تمكين عبده من الفواحش مع القدرة على أن لا يقع منه شيء ولم يحسن ذلك في الشاهد وفي هذا الموطن تتزلزل أقدامهم وتنكس أعلامهم اذ لاحت لهم قواطع الحق وبوارق البراهين فيقال لهم ما المانع أن تكون تلك الافعال مخلوقة لله تعالى ويعاقب العبد عليها لمصلحة وحكمة استأثر الله بها كما زعمتم منه الآن سواء فلم لا يسلك أحدكم الطريق الاعدل وينظر

وقد جعل بعض المازنيين الحبسة في اللسان والعي ختما عليه فقال

ختم الاله على لسان عذافر ❁ ختما فليس على الكلام بقادر
واذا أراد النطق خلت لسانه ❁ لحما يحركه لصقر ناقر

(فان قلت) لم أسند الختم الى الله تعالى واسناده اليه يدل على المنع من قبول الحق والتوصل اليه بطرقه وهو قبيح والله يتعالى عن فعل القبيح علوا كبيرا لعلمه بقبحه وعلمه بغناه عنه وقد نص على تنزيه ذاته بقوله وما أنا بظلام للعبيد وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين ان الله لا يأمر بالفحشاء ونظائر ذلك مما نطق به التنزيل

الحالة المركبة فتلاحظ في الاجزاء قصدا بالفاظ مفصلة اذ لا بد في التركيب من ملاحظات قصدية متعلقة بتلك الاجزاء ولا سبيل الى ذلك الا بتفصيل الالفاظ بازائها كما يقتضيه جريان العادة ويشهد به رجوعك الى وجدانك ومن فوائد هذه الطريقة جواز الجمع على كل واحد من الاستعارة والتمثيل فعلى الاول يكون التجوز في لفظي ختم وغشاوة وعلى الثاني لا تجوز فيهما بل في المجموع المركب منهما ومن المفردات معهما (قوله وقد جعل بعض المازنيين) هذا بحسب ظاهره تأييد للاستعارة فانه لما جاز أن يستعار الختم للحبسة التي لا يفوت معها بالكلية ما هو المقصود أعني النطق كان استعارته لتلك الهيئات المانعة عن المقاصد بالمرة أولى بالجواز لكن تأخيره عن التمثيل يقتضي أن يؤيده أيضا فيقال حينئذ لا يقتصر في التشبيه على مجرد معنى الحبسة كما في الاستعارة بل يعتبر معه حالة مخصوصة مركبة من أمور متعددة على قياس ما مر تحريره وفي البيت الثاني نوع اشعار باعتبار التركيب (قوله لم أسند) تعريض هذا

(ذمت) قصد الى صفة القلوب بانها كالمختوم عليها وأما اسناد الختم الى الله عز وجل فلينبه على أن هذه الصفة في فرط تمكنها وثبات قدمها كالشيء الخلقي غير العرضي ألا ترى الى قولهم فلان مجبول على كذا ومفطور عليه يريدون أنه بليغ في الثبات عليه وكيف يتخيل ما خيل اليك وقد وردت الآية ناعية على الكفار شناعة

السؤال على ما تقدم مبني على قاعدة الاعتزال أي اذا كان الختم مستعارا لاحداث هيئة مانعة أو تمثيلا لحاله مشتملة عليها لم يجز اسناده اليه تعالى لدلالته على التقدير بأن يكون سبحانه مانعا عن قبول الحق بختم القلوب ومن التوصل اليه بختم الاسماع كلاهما قبيح يمتنع صدوره عنه تعالى بدليل عقلي هو انه تعالى مستغن عن القبيح وعالم بقبحه وغناه عنه يمتنع الصدور لحكمته لا لعدم وجه عن قدرته وبدلائل سمعية نطق بها التنزيل فان في الظلم عنه ليس لانعدام القبح كانوا من الملوم به اذ لم يكن أمرا قبيحا لم يكن ذلك لأجل أصلا وأما على قاعدة أهل الحق فلا قبح بالنسبة اليه تعالى بل الافعال كلها بالنسبة اليه على سواء ولا يتصور في أفعاله ظلم لان الكل ملكه وبه وانما فيه أن يتصرف في الاشياء كلها كما شاء وانما يوصف بالقبح والظلم ونظائرهما أفعال العباد باعتبار كسبهم لها وقيامها بهم لا باعتبار ايجاد الله اياها فيهم كما حقق في الكتب الكلامية (قوله القصد الى صفة القلوب) أجاب عن السؤال المذكور بأجوبة خمسة الاول ان الاسناد اليه تعالى كناية عن فرط تمكن هذه الصفة التي هي الهيئة الحادثة المانعة وثبات رسوخها في قلوبهم وأسماعهم فان كونها كذلك يستلزم كونها مخلوقة لله تعالى صادرة عنه فذكر اللازم ليتصور وينتقل منه الى الملزوم الذي هو المقصود ويصدق به ألا تراهم يقولون فلان مجبول على كذا ولا يعنون به تحقق حقيقة عليه بل ثبوته وتمكنه فيه ولما لم يكن ارادة الحقيقة في اسناد ختم الله تعالى على مذهبه وجب ان يعد مجازا متفرعا عن الكناية فقد ذكر في قوله تعالى ولا ينظر اليهم في أصله فيمن يجوز عليه النظر كناية ثم جاء فيمن لا يجوز عليه مجردا لمعنى الاحسان مجازا عما وقع كناية عنه فيمن يجوز عليه النظر فظهر بتقريره هناك انه اذا أمكن المعنى الاصلي كان كناية واذا لم يمكن كان مجازا مبنيا على تلك الكناية وحينئذ يجوز اطلاق الكناية عليه نظرا الى انه في أصله كان كناية في معنى ثم انقلب فيه مجازا ولنا فيه اعتبار ومن ثم تراه جعل بسط اليد وغلها في سورة المائدة مجازين عن الجود والبخل وجعلها في طه من الكنايات كالاستواء على العرش ولامه فرق بين قوله ولا حاجة في دفعه الى ما قيل من أنه قد يشترط في الكناية امكان المعنى الاصلي وقد لا يشترط وسيأتيك هذا لمزيد تفصيل لذلك هناك وقد سبق الى بعض الاوهام من قوله بأنها كالمختوم عليها وقوله كانها مستوثق منها بالختم ان المشبه به في الاستعارة المذكورة هو الختم المبني للمفعول لا المبني للفاعل ولذلك قيل المشبه عدم نفوذ الحق في القلوب والاسماع لا احداث الهيئة المانعة فيها وفساده ظاهر لانه اذا استعير المصدر المبني للمفعول اشتق منه فعل مبني له كما يشتق من المصدر المبني للفاعل فعل مبني له فكان ينبغي أن يقال ختم على قلوبهم وعلى سمعهم وأيضا كون الشيء مختوما عليه مصدر لعدم النفوذ فيه استلزاما ظاهرا فيكون اطلاقه عليه من باب المجاز المرسل وجعله من قبيل الاستعارة تعسف بمرة ويشبه كون القلب مثلا قد أحدث فيه هيئة مانعة من ان ينفذ فيه الحق بكون الشيء مختوما عليه وتحقيق المقام ان المشابهة التامة هي بين النقش الحاصل في الختم والهيئة المانعة الحادثة في القلوب والاسماع من حيث ان كلا منهما مانع من النفوذ وحينئذ جاز أن يشبه احداث هذه الهيئة باحداث ذلك النقش ويبنى منه الفعل للفاعل وأن يشبه كون القلب محدثا فيه هذه الهيئة بكون الشيء محدثا فيه ذلك النقش ويبنى منه الفعل للمفعول وأما عدم النفوذ فهو من تتمة وجه الشبه لا مشبه ولا مشبه به والقصد بالصفة التي به الاسناد الى الله تعالى على ثبات قدمها وتمكنها هو هذه الهيئة الحادثة في القلب لا احداثها أولا كونها محدثة فيه فتبصر واستكشف عما قررناه في قوله وعلى أبصارهم غشاوة ولا تكن من الغافلين (قوله ما خيل اليك) وهو انه تعالى يمنع من قبول الحق والتوصل اليه يعني ان الآية مسوقة لاستقباح حالهم واستحقاق قوم

عاقبة هذا الامر فيصير آخرا أولا وليعرض عن الاهتداء الى خالقه ويتلقى حجة الله تعالى عليه بالقبول والتسليم ويسلك مهتديا بنور العقل ومقتديا بدليل الشرع الصراط المستقيم فان نازعته النفس وحادثته الهواجس ورغب في مستنده من حيث النظر بأس به من مجاوز العسكر فليحضر باله ويذكر عند كل من التمييز بين الحركة الاختيارية والقسرية فلا يجد عنده في هذه التفرقة ريبا فاذا استشعر ذلك فلينتبه فقد لطف به الى أن انحرف عن مضايق الخبر فربما أن يلوح به شيطان الضلال الى مهامه الاعتزال فليمسك نفسه دونها بزمام دليل الوحدانية على ان لا فاعل ولا خالق الا الله تعالى فاذا وقف لم يقف الا وهو على الصراط المستقيم والطريقة المثلى مارا عليها في أسرع من البرق الخاطف والريح العاصف فليتأمل الناظر هذا الفصل ويتخذه وزره في قاعدة الافعال يقف على الحق ان شاء الله تعالى

صفتهم ومعالجتهم فلم ينشط بذلك لو عقده بعذاب عظيم ويجوز أن تضرب الجملة كما هي وهي ختم الله على قلوبهم مثلا كقولهم سال به الوادي اذا هلك وطارت به العنقاء اذا طالت غيبته وليس للوادي ولا للعنقاء عمل في هلاكه ولا في طول غيبته وانما هو تمثيل مثلت حاله في هلاكه بحال من سال به الوادي وفي طول غيبته بحال من طارت به العنقاء فكذلك مثلت حال قلوبهم فيما كانت عليه من التجافي عن الحق بحال قلوب ختم الله عليها نحو قلوب الاغتام التي هي في خلوها عن الفطن كقلوب البهائم أو بحال قلوب البهائم أنفسها أو بحال قلوب مقدر ختم الله عليها حتى لا تعي شيأ ولا تفقه وليس له عز وجل فعل في تجافيها عن الحق ونبوها عن قبوله وهو متعال عن ذلك ويجوز أن يستعار الاسناد في نفسه من غير الله لله فيكون الختم مسندا الى اسم الله على سبيل المجاز وهو لغيره حقيقة تفسير هذا أن للفعل ملابسات شتى يلابس الفاعل والمفعول به والمصدر والزمان

العذاب العظيم ولا بحال لذلك التفصيل (الجواب الثاني) تقرير الثاني وهو أن لا يحمل الختم على الاستعارة ولا على التمثيل المذكور بل على تمثيل آخر يكون وجها ثالثا في الآية وهو أنه يشبه حال قلوبهم فيما كانت عليه من التجافي والنبو عن الحق بحال قلوب محقق ختم الله عليها كقلوب الاغتام والبهائم أو بحال قلوب مقدر ختمه عليها ثم تستعار الجملة أعني ختم الله على القلوب كما هي أي مأخوذة بتمامها المشتمل على اسنادها من المشبه به للمشبه على سبيل التمثيل التحقيقي أو التخييلي فيكون المسند الى الله تعالى اسنادا حقيقيا ختم تلك القلوب المحققة أو المقدرة حتى لا تعي شيأ ولا تنتفع به أصلا سواء كان ختما حقيقيا أو مجازيا كما هو الظاهر لا ختم قلوب الكفار لان الاسناد اليه تعالى داخل في المشبه به فلا مدخل له تعالى في تجافي قلوبهم ونبوها كما لا مدخل للتردد الذي هو حاصل بقولك أراك تقدم رجلا وتؤخر أخرى في تقديم الرجل وتأخيرها اذ كل منهما داخل في المشبه به على ما ترى ولو فرض أنه عبر عنهما أو عن أحدهما بلفظ مجازي كالختم في الآية الكريمة داخل على المجاز الذي هو والعنقاء طائر وفي الصحاح العنقاء الداهية وأصله طائر عظيم معروف الاسم مجهول الجسم ونقل الازهري عن المنذري عن المفضل أنه قال ابن الكلبي انها طائرة عظيمة طويلة العنق كانت تأتي جبل دمخ من أراضي أصحاب الرس وتنقض على الطير فتأكلها فجاعت يوما فانقضت على صبي فذهبت به فسميت عنقاء مغرب لانها تغرب بكل ما أخذته وحذفت التاء من مغرب على طريقة قولهم لحية ناصل ثم انقضت على جارية قد ترعرعت فذا رأت ذلك فشكوا الى نبيهم حنظلة بن صفوان فدعا عليها فأهلكت فضربتها العرب مثلا في أشعارها وهذا أقرب وقيل فيها ذكر المصنف نحوا منه في سورة الفرقان وقال الليث انها اسم ملك ولما لبث عنده ساعة ارالامط وعن أبي زيد انها أكمة فوق جبل شاهق وذكر بعضهم أنها طائرة أغربت في البلاد فماتت ولم تر بعد ذلك وهذا المعنى يلائم طول الغيبة وما تقدم يناسب الاهلاك لكن وفي الحواشي يقال ثلة غتام كذلك اغتام لا غتم جمع غتم جمع اغتم وهو الجاهل الذي لا يفهم شيأ قيل ونظيره الاعزل جمع عزل جمع أعزل وفي الاساس رجل أغتم وقوم غتم وأغتام من الغتمة وهي العجمة في المنطق وذكر المصنف في سورة لسان عن بعضهم أن الاغتام جمع اغتف واختاره ونفى ان يكون له نظير او على هذا فالوجه أن يجعل أغتام جمعا لا واحد له من لفظه دفعا للتنافي بين قوليه وبه بقوله هي في خلوها عن الفطن كقلوب البهائم ليدل على أنها ليست قلوب من يجري عليه تكليف وقوله وليس له عز وجل فعل في تجافيها معطوف على قوله فكذلك مثلت الجواب الثالث أن يجعل الختم على طريق الاستعارة أو التمثيل السابق كما ادعاه أولا ويجعل اسناده الى الله تعالى مجازا من باب اسناد الفعل الى المسبب له وفاعله في الحقيقة هو الشيطان أو الكافر نفسه الا أنه سبحانه لما كان هو الذي أقدره ومكنه أسند اليه الفعل كما أسند الى الامير في قولهم بنى الامير المدينة وفي قوله (أن يستعار الاسناد) اشارة الى أن الموصوف بالمجاز العقلي هو الاسناد لا الكلام المشتمل عليه ولفظ اسم في قوله (الى اسم الله) مقحم للتأدب والمبالغة في كون اسناد الختم اليه مجازا صرفا حتى كأنه مسند الى اسمه لا اليه (قوله وهو) أي الختم أو اسناده ثابت (لغيره) تعالى حال كونه (حقيقة)

والمكان والمسبب به فاسناده الى الفاعل حقيقة وقد يسند الى هذه الاشياء على طريق المجاز المسمى استعارة وذلك لمضاهاتها الفاعل في ملابسة الفعل كما يضاهي الرجل الاسد في جراءته فيستعار له اسمه فيقال في المفعول به عيشة راضية وماء دافق وفي عكسه سيل مفعم وفي المصدر شعر شاعر وذيل ذائل وفي الزمان نهاره صائم وليله قائم وفي المكان طريق سائر ونهر جار وأهل مكة يقولون صلى المقام وفي المسبب بنى الامير المدينة وناقة ضبوث وحلوب وقال * اذا رد عافي القدر من يستعيرها * فالشيطان هو الخاتم في الحقيقة أو الكافر الا أن الله سبحانه لما كان هو الذي أقدره ومكنه أسند اليه الختم كما يسند الفعل الى المسبب ووجه رابع وهو أنهم لما كانوا على القطع والبت ممن لا يؤمن ولا تغني عنهم الآيات والنذر ولا تجدي عليهم الالطاف المحصلة ولا المقربة .

وقد صرح باعتبار المجاز العقلي في الاسناد وحده وقد صرح في ملابسات الفعل على ما يصح الاسناد اليه دون ذكر المفعول معه والحال والتمييز وأراد بالفعل الحدث وما في معناه كان الفعل وصرح بالفاعل سواء كان حقيقيا أو عقليا باعتبار اصداره عنه أو عن غيره فالضارب مثلا فاعل دون المضروب للفعل المبني للفاعل لان الضارب صفة قائمة به والمضروب فاعل دون الضارب للفعل المبني للمفعول لان المضروبية وصف قائم به واسناد ضرب الى الاول حقيقة والى الثاني مجاز واسناد ضرب بالعكس وتسمية المجاز العقلي بالاستعارة اما هي على سبيل التشبيه بالاستعارة لا اصطلاحية كما أشار اليه بقوله (وذلك) أي اسناد الفعل الى هذه الاشياء (لمضاهاتها الخ) فالمستعار هنا معنى وهذا لا يعطي ما جمعه العلامة بابن في قوله تعالى ان الذين لا يؤمنون بالآخرة زينا لهم أعمالهم حيث قال له طريقان في علم البيان أحدهما أن يكون من المجاز الذي يسمى استعارة والثاني أن يكون من المجاز الحكمي وا قول ابن السكاكي جعل كلام المصنف هنا على الاستعارة المكنية وتركيب المشترك المجاز العقلي اليه الا ان تمحل اليه وفي تقييده المضاهاة بقوله (في ملابسة الفعل) اشعار بأن المشابهة يجب أن يكون من هذه الجهة وفيه كلام سيأتي في كتب (والمفعم) المملوء وهو لو دي فقد بني للمفعول وأسند الى الفاعل الذي هو السيل على عكس ما تقدم وقيل ذائل أي هان واذاله اهانه (وذيل ذائل) أي هوان شديد وهذا أظهر في التمثيل من شعر شاعر لان المتبادر من الشعر هو الكلام المنظوم لا المعنى المصدري (قوله وناقة ضبوث) وهي التي يشك في سمنها فتضبث أي تجس باليد فلما كان فيها ما يحمل الرائي على جسها جعلت كأنها تضبث نفسها ومنه ناقة حلوب وماء شروب وطريق ركوب والمقصود من جميعها تجوزا عقليا اطلاق المفعول على ما هو المعارف من كونه بني الفاعل دون المفعول (قوله اذا رد عافي القدر من يستعيرها) أوله * فلا تسأليني واسألي عن خليقتي * أي اسألي عن طبيعتي وخلقي أيام الجدب وذلك أن عافي بقية المرقة في القدر يردها اذا استعيرت المعنى السائل كأنما تسأل صاحبها أن يعطيها صاحب القدر واما لانه اخبر لهم من جهة القدر عما اتت اد عنا وكثر واما لانهم اتي يستر عافي الاثر فقيل كانوا في السنة المجدبة لا يستعيرونها تعديا عن اعطاء العافي فهو سبب مانع للمستعير عن الاستعارة فنسب الرد اليه كما ينسب الفعل الى سببه وقيل كانوا اذا استعاروا قدرا ردوا معها شيئا مما طبخ فيها وعلى هذا يكون عافي القدر مفعولا أسكن فيه الياء حال النصب كما في أعط القوس باريها وجاز تقديمه على الفاعل مع انتفاء الاعراب اللفظي لوجود القرينة المعنوية بل وجب ذلك لاشتمال الفاعل على ضمير راجع الى متعلق المفعول ولم يستحسنه المصنف فاختار التجوز لا لظهور القرينة مع جوازه واسكان المنصوب أيضا قليل مخالف للاصل الجواب الرابع ان الختم عبارة عن ترك القسر والالجاء الى الايمان فيجوز اسناده الى الله تعالى حقيقة وتحريره ان الختم على القلوب يستلزم ترك القسر والالجاء الى الايمان فمعنى ختم الله على قلوبهم انه لم يقسرهم عليه وليس هذا أعني ترك القسر مقصودا في نفسه بل لينتقل منه الى أن مقتضى حالهم لا الجاء ولا ابتناء التكليف على الاختيار وينتقل من هذا المقتضى الى أن الآيات والنذر لا تغني عنهم وان الالطاف لا تجدي عليهم وينتقل من عدم الاغناء والاجداء الى تناهيهم في الاصرار على

إن أعطوها لم يبق بعد استحكام العلم بأنه لا طريق إلى أن يؤمنوا طوعاً واختياراً طريق إلى إيمانهم إلا القسر والإلجاء وإذا لم تبق طريق إلا أن يقسرهم الله ويلجئهم ثم لم يقسرهم ولم يلجئهم لئلا ينتقض الغرض في التكليف عبر عن ترك القسر والإلجاء بالختم إشعاراً بأنهم الذين ترامى أمرهم في التصميم على الكفر والإصرار عليه إلى حد لا يتناهون عنه إلا بالقسر والإلجاء وهي الغاية القصوى في وصف لجاجهم في الغي واستشرائهم في الضلال والبغي ووجه خامس وهو أن يكون حكاية لما كان الكفرة يقولونه تهكماً بهم من قولهم قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب ونظيره في الحكاية والتهكم قوله تعالى لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تأتيهم البينة (فإن قلت) اللفظ يحتمل أن تكون الأسماع داخلة في حكم الختم وفي حكم التغشية فعلى أيهما يعول (قلت) على دخولها في حكم الختم لقوله تعالى وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة ولوقفهم على سمعهم دون قلوبهم (فإن قلت) أي فائدة في تكرير الجار في قوله وعلى سمعهم (قلت) لو لم يكرر لكان انتظاماً للقلوب والأسماع في تعدية واحدة وحين استجد للأسماع تعدية على حدة كان أدل على شدة الختم في الموضعين ووحد السمع

(قال محمود رحمه الله اللفظ يحتمل أن تكون الأسماع داخلة في حكم الختم وفي حكم الغشاوة الخ) قال أحمد رحمه الله وكان جدي رحمه الله يذكر هذا ويزيد عليه أن الأسماع والقلوب لما كانت محجوبة كان استعمال الختم لها أولى والأبصار لما كانت بارزة وإدراكها متعلق بظاهرها كان الغشاء لها أليق

الضلال فأطلق الختم على ترك القسر مجازاً مرسلاً ثم كنى به عن ذلك التناهي فيكون هذا وجهاً مستقلاً في الآية كالجواب الثاني هذا ما يقتضيه ظاهر قوله عبر عن ترك القسر والإلجاء بالختم إشعاراً بأنهم الخ ومنهم من قال حاصله أن الختم استعارة لما مر جعل مجازاً عن ذلك الترك بعلاقة اللزوم فهو مجاز مترتب ولا يجوز أن يستعار الختم من معناه الأصلي لترك القسر المشابه له في المنع عن وصول الحق في شأن هؤلاء خاصة لأن الختم إحداث مانع محسوس وترك القسر ترك رفع منع معقول واستعارة الإحداث للعدم بعيد على أن معنى المنع في ترك القسر غير ظاهر إلا بعد سبق العلم بعدم الإيمان والآية تأباهما وقد مر تفسير الألطاف وهي إما مقربة أو محصلة فإن حصلت الطاعة سميت توفيقاً وإن حصلت ترك المعصية سميت عصمة وقوله إن أعطوها شرط دل ما قبله على جزائه وقوله عبر جواب لما كانوا وهي أي التعبير بالختم عن ترك القسر لذلك الإشعار هي الغاية والتأنيث باعتبار الخبر والاستشراء المبالغة في اللجاج يقال شرى الفرس في لجامه والبعير في زمامه أي مده وجذبه ﴿الجواب الخامس﴾ أن يكون ما نحن فيه حكاية لما كان الكفرة يقولونه لا بعباراتهم فإن كون القلوب في أكنة هو معنى الختم عليها كما أن ثبوت الوقر في الآذان ختم عليها وثبوت الحجاب تغشية للأبصار وكون هذه الحكاية على سبيل التهكم مما يعرف بذوق السليم والإسناد إلى الله تعالى حينئذ حقيقة لأنهم يجوزون إسناد القبيح إلى الله تعالى وأما الختم فيجوز أن يكون حقيقة وأن يكون مجازاً فإنه ذكر في قوله تعالى وقالوا قلوبنا غلف أنهم أرادوا أنها أعطية جبلة وفطرة وفي قوله وقالوا قلوبنا في أكنة الآية أنها أغشية لا تتوقف قلوبهم عن الحق فإن حمل الختم حقيقة كان هذا وجهاً مستقلاً وإن حمل مجازاً كما هو الأولى كان راجعاً إلى ما تقدم وقد غير أسلوب الكلام في الوجه الرابع حيث لم يقل ويجوز بناء على طول مباحث الإسناد المجازي فصرح بكونه وجهاً برأسه واعترض على الوجه الثالث بأن قضيته صحة إسناد جميع أنواع الكفر والمعاصي بل جميع أفعال الأجسام إلى الله سبحانه لإمهاله وإقداره وتمكينه وعلى الرابع بأنه لا قرينة عليه أصلاً وعلى الخامس بأنه يأباه سوق الكلام لأن القصد بختم الله إلى تقرير ما تقدم من حال الكفار وتأكيده سواء جعل استئنافاً أولا (قوله ونظيره في الحكاية والتهكم قوله لم يكن) إذ قد حكى فيه على سبيل التهكم معنى ما كانوا يقولون به قبل البعثة بعبارة أخرى كما فصل هناك (قوله اللفظ يحتمل) وذلك لأن الواو الأولى إما لعطف الظرف على ظرف قبله والثانية لعطف الجملة الاسمية على الفعلية أو الأمر بالعكس قيل لما كان إدراك القلب والسمع من جميع الجوانب جعل المانع فيهما الختم الذي يمنع من جميع الجهات ولما كان إدراك البصر من جهة المقابلة فقط خص المانع فيه بالغشاء المتوسط بين الرائي والمرئي (قوله كان أدل على شدة الختم في الموضعين) وذلك لأن ملاحظة الجار في كل منهما تقتضي

كما وحد البطن في قوله ● كلوا في بعض بطنكم تعفوا ● يفعلون ذلك اذا أمن اللبس فاذا لم يؤمن كقولك فرسهم وثوبهم وأنت تريد الجمع رفضوه ولك أن تقول السمع مصدر في أصله والمصادر لا تجمع فلمح الاصل يدل عليه جمع الاذن في قوله وفي آذاننا وقر وأن تقدر مضافا محذوفا أي وعلى حواس سمعهم وقرأ ابن أبي عبلة وعلى أسماعهم (ذو قات) ● ولا صح أبا عمرو والكسائي من امالة أبصارهم ما فيه من حرف الاستعلاء وهو الصاد (قف) لان الراء المكسورة تغلب المستعلية لما فيها من التكرير كأن فيها كسرتين وذلك أعون شئ على الامالة وأن تمال له ● ألا أمالو والبصر نور العين وهو ما يبصر به الرائي ويدرك المرئيات كما أن البصيرة نور القلب وهو ما به يستبصر ويتأمل وكأنهما جوهران لطيفان خلقهما الله فيهما آلتين للابصار والاستبصار وقرئ (غشاوة) بالكسر والنصب وغشاوة بالضم والرفع وغشاوة بالفتح والنصب وغشوة بالكسر والرفع وغشوة بالفتح والرفع والنصب وعشاوة بالعين غير المعجمة والرفع من العشا ● والعذاب مثل النكال بناء ومعنى لانك تقول أعذب عن الشئ اذا أمسكت عنه كما تقول نكل عنه ومنه العذب لانه يقمع العطش ويردعه بخلاف الملح فانه يزيده ويدل عليه تسميتهم اياه نقاخا لانه ينقخ العطش أي يكسره وفراتا لانه يرفته على القلب ثم اتسع فيه فسمي كل ألم فادح عذابا وان لم يكن نكالا أي عقابا يرتدع به الجاني عن المعاودة والفرق بين العظيم والكبير أن العظيم نقيض الحقير والكبير نقيض الصغير فكان العظيم فوق الكبير كما أن الحقير دون الصغير ويستعملان في الجثث والاحداث جميعا تقول رجل عظيم وكبير تريد جثته أو خطره ومعنى التنكير أن على أبصارهم نوعا من الاغطية غير ما يتعارفه الناس وهو غطاء التعامي عن آيات الله ولهم من بين الآلام العظام نوع عظيم لا يعلم كنهه الا الله اللهم أجرنا من عذابك ولا تبلنا بسخطك يا واسع المغفرة ● فتح سبحانه بذكر الذين أخلصوا دينهم لله وواطأت فيه قلوبهم ألسنتهم ووافق سرهم علنهم

غشاوة ولهم عذاب عظيم

أن تلاحظ مع كل واحد معنى الفعل المعدى وكأن الفعل مذكور مرتين (قوله يفعلون ذلك) اشارة الى ان جوازه مطرد اذا أمن اللبس وكذا الحال في المصادر عند لمح الاصل وأما المرجح فالاختصار والتفنن بتوحيد السمع وجمع أخويه مع اشارة لطيفة الى ان مدركاته نوع واحد ومدركاتهما أنواع مختلفة وما قيل من ان دلالة وحدته على وحدة متعلقه لا تعلم من أي الدلالات هي مدفوع عنها بمن الدلالات الالتزامية التي يكتفى فيها بأي لزوم كان ولو بحسب الاعتقاد في اعتبارات البلغاء (قوله يدل عليه) أي على أن توحيد السمع للمح الاصل جمع الاذن مع الامن من اللبس (قوله وعلى حواس سمعهم) فيكون السمع حينئذ بمعنى المصدر وعلى سبق من الوجهين كان بمعنى القوة السامعة (قوله نور العين) هي القوة التي بها الابصار كما ان نور القلب هي القوة التي بها التعقل والافتكار وأعط كان في قوله وكأنهما اليس للتشبيه بل للظن والتخمين الذي كثر استعماله فيه والمراد بالجوهر الجسم اللطيف النوراني لا ماهو قائم بذاته ذهابا الى جعل القوى من قبيل الصور دون الاعراض (قوله بالكسر والنصب) لا بد في النصب مطلقا من تقدير فعل يجعل أو أحدث على طريقة قوله ● علفتها تبنا وماء باردا ● والعشا مصدر الاعشى وهو من لا يبصر بالليل ويبصر بالنهار ولعل المعنى حينئذ انهم يبصرون الاشياء بصار غفلة لا ابصار عبرة (قوله ويدل عليه) أي على ان العذب فيه معنى الامساك والقمع (قوله على القلب) أي على حمل العين موضع الفاء والفاء موضع العين يقال رفت الشئ برفته أي رفته بيده كما يرفت المدر والعظم البالي فعلى هذا فرات من رفت فعال (قوله ثم اتسع فيه) أي في العذاب بالتعميم دون النكال يقال فدحني الشئ أي أثقلني فهو فادح والمراد بالنقيض ههنا ما يدفع به الشئ عرفا فاذا قيل هذا كبير أو عظيم دفع الاول بأنه صغير والثاني بأنه حقير ولما كان الحقير دون الصغير كان العظيم فوق الكبير ألا ترى جريان العادة بأن الاحسن يقابل بالاشرف والخسيس بالشريف فلا يتوهم من أن نقيض الاخص أعم مما لا يلتفت اليه في أمثال هذه المباحث والتنكير في غشاوة وعذاب للنوعية وفسره بنوع غير متعارف وقال غطاء التعامي دون العمى تنبيها على ان ذلك من سوء اختيارهم

وفاقهم قولهم ثم ثنى بالذين محضوا الكفر ظاهراً وباطناً قلوباً وألسنة ثم ثلث بالذين آمنوا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم وأبطنوا خلاف ما أظهروا وهم الذين قال فيهم مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء وسماهم المنافقين وكانوا أخبث الكفرة وأبغضهم إليه وأمقتهم عنده لأنهم خلطوا بالكفر تمويهاً وتدليساً وبالشرك استهزاءً وخداعاً ولذلك أنزل فيهم إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار ووصف حال الذين كفروا في آيتين وحال الذين نافقوا في ثلاث عشرة آية نعى عليهم فيها خبثهم ومكرهم وفضحهم وسفههم واستجهلهم واستهزأ بهم وتهكم بفعلهم وسجل بطغيانهم وعمههم ودعاهم صماً بكماً عمياً وضرب لهم الأمثال الشنيعة وقصة المنافقين عن آخرها معطوفة على قصة الذين كفروا كما تعطف الجملة على الجملة ٭ وأصل ناس أناس حذفت همزته تخفيفاً كما قيل لوقة في ألوقة وحذفها مع لام التعريف كاللازم لا يكاد يقال الأناس ويشهد له إنسان وأناس وأناسي وإنس وسموا لظهورهم وأنهم يؤنسون أي يبصرون كما سمي الجن لاجتنانهم ولذلك سموا بشراً ووزن ناس فعال لأن الزنة على الأصول ألا ترى أنك تقول في وزن قه فع وليس فيه إلا العين وحدها وهو من أسماء الجمع كرخال

وشدة اصرارهم على انكارهم وقيل هو للتعظيم أي غشاوة أي غشاوة زماد كره أسبب قوله مذب لأن حمل تنكيره على التنويع أظهر لاستفادة التعظيم من صريح صفته الدال عليه مع وصيده مع تنكيره أيضاً (قوله ثم ثنى بالذين محضوا الكفر ظاهراً وباطناً) هذا عطف ظاهر إذا حمل التعريف في الذين كفروا للعهد مراداً به ناس هم أعلام الكفر وأما إذا حمل على الجنس وحمل عاماً خص الجزء أو مطلقة قيد به على ما مر ففيه اشكال لتناوله الصنفين الماحضين والمنافقين منهم وأجيب أنه لما أورد المنافقين وفصل أحوالهم علم بالأمر بدعيه علم أن المقصود الأصلي بذكر ذلك الحكم المشترك بينهم الماحضون فقط وقد يجاب بأنه لا دلالة لقوله ثم ثنى بالذين محضوا على اختصاص الذكر بهم فلا بأس بتناوله لغيرهم وردّ بأن المتبادر من سوق كلامه الاختصاص فيحتاج إلى ذلك التأويل ظاهراً (قوله نعى عليهم فيها خبثهم) أي دعارتهم وعدم طيبهم بذكر ادعائهم حيازة الايمان من جانبي المبدأ والمعاد ومكرهم أي دهاءهم بقوله يخادعون الله وفضحهم بقوله وما هم بمؤمنين وما يخادعون وفي قلوبهم مرض واستجهلهم بما يشعرون ولا يعلمون ولا يشعرون وتهكم بفعلهم حيث قال اشتروا الضلالة بالهدى (قوله وقصة المنافقين عن آخرها) أي ليس هذا من عطف جملة على جملة ليطلب بينهما المناسبة المصححة للعطف المتابعة على الأولى بل من عطف مجموع جمل متعددة مسوقة لغرض على مجموع جمل أخرى مسوقة لغرض آخر يشترط فيه التناسب بين الغرضين دون آحاد الجمل الواقعة في المجموعين وهذا أصل عظيم في باب العطف لم يتنبه له كثيرون فاستشكل عليهم الأمر في مواضع شتى (قوله كما قيل لوقة في ألوقة) الألوقة الزبدة بالرطب وقيل الزبدة وحدها يقال ألوق الطعام إذا أصلح بالزبد وهذا يدل على أن اللوقة لغة أخرى كما نقل في الصحاح عن أبي عبيدة عن ابن الكلبي إلا أن المصنف جعل لوق الطعام مأخوذاً من لوقة تخفيف ألوقة (قوله كاللازم) سواء كان قياسياً أو غيره كما في لفظة الله لكن الحذف ههنا في المنكر شاهد للثاني (قوله وسموا لظهورهم) هذا هو المختار بدليل مقابله وقيل اشتقاقه من الانس ضد الوحشة لأن الانسان مدني بالطبع (قوله لأن الزنة على الأصول) هذا في المحذوف إذ المقصود بالزنة فيه التنبيه على الحرف الأصلي والزائد وكيفية التدرج إلى حصول الصيغة بالتصرف وقد يقصد على قلة بيان الحال فيقال وزن قاض فاع وأما في المقلوب فالزنة على الفروع فيقال في مثلاً وزنه عفل إذ يعرف به الأصلي من الزائد مع كيفية التغيير ولو روعي فيه الأصل لالتبس الحال (قوله وهو) أي أناس (من أسماء الجمع كرخال) هي بضم الراء اسم جمع وبكسرها جمع رخل على وزن غر وهي الأنثى من ولد الضأن وقد يعد ما هو بالضم جمعاً نظراً إلى المعنى أو إلى أن الضمة بدل من الكسرة للدلالة على القوة كما أبدلت لذلك من الفتحة في سكارى وغيارى (قوله

ومن الناس

وأما نويس فمن المصغر الآتي على خلاف مكبره كأنيسيان ورويجل ولام التعريف فيه للجنس ويجوز أن تكون للعهد والإشارة إلى الذين كفروا المار ذكرهم كأنه قيل ومن هؤلاء من يقول وهم عبد الله بن أبي وأصحابه ومن كان في حالهم من أهل التصميم على النفاق ونظير موقعه موقع القوم في قولك نزلت ببني فلان فلم يقروني والقوم لئام ومن في (من يقول) موصوفة كأنه قيل ومن الناس ناس يقولون كذا كقوله من المؤمنين رجال إن جعلت اللام للجنس وإن جعلتها للعهد فموصولة كقوله ومنهم الذين يؤذون النبي

(قوله وأما نويس) قصد دفع التوهم من أن ناسا مأخوذ من النوس وهو الحركة بدليل تصغيره على نويس ثم إن نويسا إن جعل مصغر أناس فلا شبهة في كونه على خلاف مكبره وإن جعل مصغر ناس فقد قيل معنى كونه على خلافه أنه على خلاف أصل مكبره إذ لو كان على وزنه قيل أنيس بتشديد الياء ولا يبقى ما في المفصل من أن ما حذف منه شيء يبقى على ما يتأتى منه عند التصغير لم يرد إلى أصله فيقال في ميت وهار وناس ميت وهوير ونويس وظهر أنه مع كونه على قياس مكبره مخالف لما هو من أصله الذي هو أناس وقيل إنما المخالفة كائنة في عدم الرد لصحة بنية التصغير بل في قلب ألفه واوا لأنها ثالثة تخفيفا وإنما تقلب الألف المنقلبة واوا إذا كانت ثانية زائدة أو أصلية منقلبة من الواو والياء وردها ثانية صورة وقلبها واوا أولى كيلا يجتمع ياآن ولا مخالفة وأنيسيان تصغير إنسان وقياسه أنيسين كسريحين ورويجل تصغير رجل وقياسه رجيل فكل واحد منهما مخالف للقياس ولمكبره وإذا جاز مخالفة المصغر لهما فلما كان مخالفة المكبر وحده في نويس أولى بالجواز كذا قيل وليس بشيء إذ لا معنى لمخالفة المصغر مكبره إلا كونه على خلاف قياسه ولا أولوية من هذه الجهة بل من حيث إن المخالفة فيهما مع المكبر نفسه وفي نويس مع أصله كما أحاط به علمك (قوله ولام التعريف فيه) أي في الناس (للجنس) ﴿فإن قيل﴾ لا فائدة في الإخبار بأن من يقول كذا وكذا من الناس ﴿أجيب﴾ بأن فائدته التنبيه على أن الصفات المذكورة تنافي الإنسانية فينبغي أن يجهل كون المتصف بها من الناس ويتعجب منه ورد بأن مثل هذا التركيب قد يأتي في مواضع لا يتأتى فيها مثل هذا الاعتبار ولا يقصد فيها إلا الإخبار بأن من هذا الجنس طائفة متصفة بكذا كقوله تعالى من المؤمنين رجال فالأولى أن يجعل مضمون الجار والمجرور مبتدأ على معنى وبعض الناس أو بعض منهم من اتصف بما ذكر فيكون مناط الفائدة تلك الأوصاف ولا استبعاد في وقوع الظرف بتأويل معناه مبتدأ يرشدك إلى ذلك قول الحماسي

● منهم ليوث لا ترام وبعضهم ● حيث قابل لفظ منهم بعضهم وهو مبتدأ أعني لفظة بعضهم وقد يقع الظرف موضع المبتدأ مع تقدير الموصوف كقوله تعالى ومنا دون ذلك وما منا إلا له مقام معلوم فالقوم قدروا الموصوف في الظرف الثاني وجعلوه مبتدأ والظرف الأول خبرا وعكسه أولى بحسب المعنى أي جمع منا دون ذلك وما أحد منا إلا له مقام معلوم لكن وقوع الاستعمال على نحو من الناس رجال كذا وكذا دون رجال يشهد لهم (قوله والإشارة إلى الذين كفروا) يعني على تقدير كونه محمولا على الجنس مرادا به المصرون مطلقا وفي ذلك مزيد تقبيح للقسم الأخير وتذكير لما للأولين كأنه قيل ومن هؤلاء المصرين على الكفر الذين عرفت حالهم القوم الذين من شأنهم التصميم على النفاق كيت وكيت ولما كان المعهود ههنا مذكورا لفظا أشار إلى ذلك بقوله (ونظير موقعه) أي موقع الناس (موقع القوم) وجعل من موصوفة مع الجنس موصولة مع العهد رعاية للمناسبة والاستعمال أما المناسبة فلأن الجنس مبهم لا توقيت فيه فناسب أن يعبر عن بعضه بما هو نكرة والمعهود معين فناسب أن يعبر عن بعضه بمعرفة وأما الاستعمال فكما في الآيتين لما أريد بالمؤمنين الجنس عبر عن بعضهم بالنكرة وأريد بالضمير جماعة معينة من المنافقين عبر عن بعضهم بالمعرفة قيل والسر في ذلك أنه إذا قلت من هذا الجنس طائفة شأنها كذا كان التقييد بالجنس مفيدا بخلاف ما إذا قلت من هذا الجنس الطائفة المعينة كذا لأن من عرفهم عرف كونهم من الجنس أولا وإذا قلت من هؤلاء الذي فعل كذا كان حسنا لإفادة زيادة تعريف له ولا يحسن قبل الجنس أن يقال

من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين

(فان قلت) كيف يجعلون بعض أولئك والمنافقون غير المختوم على قلوبهم (قلت) الكفر جمع الفريقين معه وصيرهم جنسا واحدا وكون المنافقين نوعا من نوعي هذا الجنس مغايرا للنوع الآخر بزيادة زادوها على الكفر الجامع بينهم من الخديعة والاستهزاء لا يخرجهم من أن يكونوا بعضا من الجنس فان الاجناس انما تنوعت لمغايرات وقعت بين بعضها وبعض وتلك المغايرات انما تأبى النوعية ولا تأبى الدخول تحت الجنسية (فان قلت) لم اختص بالذكر الايمان بالله والايمان باليوم الآخر (قلت) اختصاصهما بالذكر كشف عن افراطهم في الخبث وتماديهم في الدعارة لان القوم كانوا يهودا وايمان اليهود بالله ليس بايمان لقولهم عزير ابن الله وكذلك ايمانهم باليوم الآخر لانهم يعتقدونه على خلاف صفته فكان قولهم آمنا بالله وباليوم الآخر خبثا مضاعفا

فاعل كذا لانه عرفهم كلهم الا اذا كان في تنكيره غرض كستر عليه أو تجهيل وكلاهما لا آن في الاصل (قوله كيف يجعلون) هذا سؤال على جواز كون اللام في الناس للعهد أي كيف يجعل أهل التصميم على النفاق (بعض أولئك) الكفرة المصرين الذين وصفوا بالختم على قلوبهم (والمنافقون) المذكورون (غير المختوم على قلوبهم) أي غيرمن أخبر عنهم فيما تقدم بالختم لانهم الذين محضوا الكفر ظاهرا وباطنا كما دل عليه قوله ثم ثنى والجواب ان الكفر على سبيل التصميم والاصرار بالختم والتغشية (جمع الفريقين) الماحضين المصرين والمنافقين المصممين (معه وصيرهم جنسا واحدا) هو الكافر الذي لا يرعوي عن كفره أصلا لكن المنافقين متميزون عن الماحضين (بزيادة زادوها على الكفر) الاصراري وبذلك لا يخرجون عن ذلك الجنس الجامع بينهما والحاصل أن المراد بالذين كفروا على تقدير الجنس هم المصرون مطلقا فيندرج فيه المنافقون المصممون وما ذكره من انه ثنى بذكر الماحضين محمول كما مر على ان المنافقين لما افردوا بذكر ما هو كاف في بيان أحوالهم كان المقصود بالذات في ذلك الحكم المشترك بيان حال الماحضين لا على ان الماحضين هم المرادون به مطلقا واذا قررناه صح جعلهم بعض أولئك واستقام قوله ثم ثنى بلا اشكال ﴿ولا يقال﴾ فعلى هذا لا يكون المنافق الذي لا يصر على نفاقه داخلا في أحكام هذه الآيات ﴿لانا نقول﴾ لا بأس به كما في عدم دخول الماحض الذي لا يصر على كفره فيما تقدم وعدم دخول صاحب الكبيرة في المتقين مع كونه من المؤمنين عند الجمهور فالمذكور من الاقسام الثلاثة للكاملين رؤساؤها واعلامها ومنهم من قرر السؤال بان من المنافقين من يخلص الايمان فلا يصح جعل كلهم بعضا من الكفرة الذين ختم على قلوبهم وأجاب بان الكافر جنس يندرج فيه أنواع متغايرة بخصوصيات واذا كان اللام في الناس للعهد كان اشارة الى ذلك الجنس مطلقا لا الى المصرين الذين دل الاخبار بالاستواء على انهم هم المرادون فقط ولا الى الخلص الذين كفروا ظاهرا وباطنا ثم قال وما الجواب يحمل المنافقين أيضا على المصممين بدليل ما في الآيات من التشديدات والحكم بالصمم والبكم والعمى وتصريح المصنف فيما مر بانهم من أهل التصميم على النفاق فيما سيأتي بانهم من أهل الطبع فهم بعض من الكفرة المختوم على قلوبهم واشتراؤهم الضلالة بالهدى يتوقف على تمكنهم منه بحسب الفطرة ولا ينافي الختم العارض بتقصيرهم فهيه انه لا يوافق تقرير الكتاب وكلاهما مردود اما الاول فلما ذكرناه من ان الكفر المذكور في تقرير المصنف أريد به الكفر الذي أصر عليه اعتمادا على ما علم مما سلف (قوله قلت اختصاصهما بالذكر كشف) هذه نكتة متعلقة بحكاية مقالتهم أي حكى كلامهم على ما قالوه وكشف بذلك عن افراطهم والدعارة الفسق والفساد من دعر العود دعرا أي كثر دخانه يقال فلان داعر في كل همة داعر (قوله كانوا يهودا) أي يهوديين يقال يهودي ويهود كزنجي وزنج واما يهود مفردا فهو علم جرى في كلامهم مجرى القبيلة دون الحي قال الشاعر

فرت يهود وأسلمت جيرانها ❊ صمي لما فعلت يهود صمام

(قال محمود رحمه الله إن قلت كيف ذلك ومخادعة الله والمؤمنين لا تصح الخ) قال أحمد رحمه الله هذا الفصل من كلام الزمخشري جمع فيه بين الغث والسمين ونحن ننبه على ما فيه ١٣٠ من الزيادة الخاطر أحمده من السنة آمنا من التورط في وصر المدعى تمنين بالله وهو حرم من فيما خالف فيه السنة قوله إن الله تعالى عالم بذاته لا بعلم وهذا أيضا ومعتقده المعتزلة في المقدمة من أنهم يجحدون صفات الكمال الإلهي يسمون بذلك زعمهم التوحيد والتنزيه ومعتقد أهل السنة أن الله تعالى عالم بعلم قديم أزلي متعلق بكل معلوم واجب أو ممكن أو مستحيل ولا يعزب عن علمه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين وحسبك هذه الآية مصدقة لمعتقدهم في ثبوت صفة العلم له تعالى وفي عموم تعلقه بالكليات والجزئيات إلى ما وراءها من البراهين الكلامية على ذلك وليس بصدد ذكرها في هذا الكتاب ومما خالف فيه السنة اعتقاده أن في الكائنات ما ليس مخلوقا لله تعالى لأنه قبيح على زعمه كله ووهم من الخداع في هذه الآية وما جره إلى هاتين الزعمتين الاعتقاده أنه لا يتم استحالة كونه تعالى مخدوعا إلا بأنه عالم بذاته حتى تعم عالميته كل كائن فلا ينخدع ادنسه بذات ان كائنات بسمة واحدة ولا يتم استحالة كونه تعالى مخادعا إلا باستحالة صدور بعض الكائنات عنه لأنه قبيح على زعمهم ولقد وقف هذا التنزيه على ما لا توقف عليه ولا شرط فيه فنحن معاشر

وكفرا موجها لأن قولهم هذا لو صدر عنهم لا على وجه النفاق وعقيدتهم عقيدتهم فهو كفر لا إيمان فإذا قالوه على وجه النفاق خديعة للمسلمين واستهزاء بهم وأروهم أنهم مثلهم في الإيمان الحقيقي كان خبثا إلى خبث وكفرا إلى كفر وأيضا فقد أوهموا في هذا المقال أنهم اختاروا الإيمان من جانبيه واكتنفوه من قطريه وأحاطوا بأوله وآخره وفي تكرير الباء أنهم ادعوا كل واحد من الإيمانين على صفة الصحة والاستحكام (فإن قلت) كيف طابق قوله وما هم بمؤمنين قولهم آمنا بالله وباليوم الآخر والأول في ذكر شأن الفعل لا الفاعل والثاني في ذكر شأن الفاعل لا الفعل (قلت) القصد إلى إنكار ما ادعوه ونفيه فسلك في ذلك طريق أدى إلى الغرض المطلوب وفيه من التوكيد والمبالغة ما ليس في غيره وهو إخراج ذواتهم وأنفسهم من أن تكون طائفة من طوائف المؤمنين لما علم من حالهم المنافية لحال الداخلين في الإيمان وإذا شهد عليهم بأنهم في أنفسهم على هذه الصفة فقد انطوى تحت الشهادة عليهم بذلك نفي ما انتحلوا إثباته لأنفسهم على سبيل البت والقطع ونحوه قوله تعالى يريدون أن يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها هو أبلغ من قولك وما يخرجون منها (فإن قلت) فلم جاء الإيمان مطلقا في الثاني وهو مقيد في الأول (قلت) يحتمل أن يراد التقييد ويترك لدلالة المذكور عليه وأن يراد بالإطلاق أنهم ليسوا من الإيمان في شيء قط لا من الإيمان بالله وباليوم الآخر ولا من الإيمان بغيرهما (فإن قلت) ما المراد باليوم الآخر (قلت) يجوز أن يراد به الوقت الذي لا حد له وهو الأبد الدائم الذي لا ينقطع لتأخره عن الأوقات المنقضية وأن يراد الوقت المحدود من النشور إلى أن يدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار لأنه آخر الأوقات المحدودة الذي لا حد للوقت بعده * والخدع أن يوهم صاحبه خلاف ما يريد به من المكروه من قولهم ضب خادع وخدع إذا أمر الحارش يده على باب جحره أوهمه إقباله عليه ثم خرج من باب آخر (فإن قلت) كيف ذلك ومخادعة الله والمؤمنين لا تصح لأن العالم الذي لا تخفى

(قوله وكفرا موجها) أي ذا وجهين كل كفر له وجه من قولهم كساء موجه له وجهان (وأيضا فقد أوهموا) أي وقد قالوا ذلك وخصوهما بالذكر فقد أوهموا بإيمانهم آمنوا بالمبدأ والمعاد على ما ينبغي وبشدة رسوخهم في الإيمان كأن وهذه نكتة متعلقة بأنهم لا عكاية (قوله والأول في شأن الفعل) أي في بيان أنه متحقق صادر عنهم (والثاني في ذكر شأن الفاعل) أي في بيان أنه بحيث لم يصدر عنه ذلك الفعل وسواء قصد بذلك اختصاصه بنفي الفعل كما سيأتي في قوله تعالى وما أنت علينا بعزيز أو لم يقصد فإنه لا يصلح في رد دعواهم الانطباق لقوله ولم يقل وما آمنوا وطريق أن العدول إلى الاسمية لسلوك طريق الكناية في رد دعواهم الكاذبة فإن انخراطهم في سلك المؤمنين وكونهم طائفة من طوائفهم من لوازم ثبوت الإيمان الحقيقي لهم وانتفاء اللازم أعدل شاهد على انتفاء الملزوم ففيه من التوكيد والمبالغة ما ليس في نفي الملزوم ابتداء وكيف لا وقد ولع في نفي اللازم بالدلالة على دوامه المستلزم لانتفاء حدوث الملزوم مطلقا وأكد ذلك النفي بالباء أيضا فليس في هذه الاسمية تقديم لقصد الاختصاص أصلا ولا يحمل الكلام في شأن الفاعل أنه كذا وليس كذا فطابق المقصود ثم ما ذكرناه من سلوك طريق هو أبلغ وأقوى في رد تلك الدعوى ونظيره في سلوك هذه الطريقة قوله تعالى وما هم بخارجين منها (قوله فلم جاء) أي لما أريد بهذه الاسمية إنكار ما ادعوه في تلك الفعلية كان الأولى تطابقهما في تقييد الإيمان أجاب بأنه قصد الاختصار أو زيد في الجواب ما ذكره واللام في قوله (لتأخره) متعلقة بيراد إشارة إلى سبيل تسمية الوقت الذي لا انقطاع له باليوم الآخر وقس عليها اللام الأخرى (قوله أن يوهم صاحبه خلاف ما يريد به من المكروه) يعني ويصيبه به كما يدل عليه تفسيره لأصله الذي أخذ منه ويؤيده أيضا قوله مخدوعا وصابه المكروه من وجه خفي يقال وهمت الشيء أهم إذا ذهب إليه وهلك وأوهمت غيري (قوله كيف ذلك ومخادعة الله تعالى) يريد أن صيغة المخادعة

عليه من فيه لا يخدع والحكيم الذي لا يفعل القبيح لا يخدع والمؤمنون وإن جاز أن يخدعوا لم يجز أن يخدعوا ألا ترى إلى قوله * واستمطروا من قريش كل منخدع * وقول ذي الرمة * إن الحليم وذا الإسلام يختلب * فقد جاء النعت بالانخداع ولم يأت بالخدع (قلت) فيه وجوه * أحدها أن يقال كانت صورة صنعهم مع الله حيث يتظاهرون بالإيمان وهم كافرون صورة صنع الخادعين وصورة صنع الله معهم حيث أمر بإجراء أحكام المسلمين عليهم وهم عنده في عداد شرار الكفرة وأهل الدرك الأسفل من النار صورة صنع الخادع وكذلك صورة صنع المؤمنين معهم حيث امتثلوا أمر الله فيهم فأجروا أحكامهم عليهم * والثاني أن يكون ذلك ترجمة عن معتقدهم وظنهم أن الله ممن يصح خداعه لأن من كان ادعاؤه الإيمان بالله نفاقا لم يكن عارفا بالله ولا بصفاته ولا أن لذاته تعلقا بكل معلوم ولا أنه غني عن فعل القبيح فلم يبعد من مثله تجويز أن يكون الله في زعمه مخدوعا ومصابا بالمكروه من وجه خفي وتجويز أن يدلس على عباده ويخدعهم * والثالث أن يذكر الله تعالى ويراد الرسول صلى الله عليه وسلم لأنه خليفته في أرضه والناطق عنه بأوامره ونواهيه مع عباده كما يقال قال الملك كذا ورسم كذا وإنما القائل والراسم وزيره أو بعض خاصته الذين قولهم قوله ورسمهم رسمه مصداقه قوله إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم وقوله من يطع الرسول فقد أطاع الله * والرابع أن يكون من قولهم أعجبني زيد وكرمه فيكون المعنى يخادعون الذين آمنوا بالله

مقتضى صدور الفعل من كل واحد من الجانبين متعلقة بالآخر وخدع المنافقين لله تعالى وهو أن يوقعوا في علمه خلاف ما يريدون به من المكروه ويصيبوه به محال لا خفاء في استحالته وخدع الله تعالى إياهم بأن يوقع في أوهامهم خلاف ما يريد بهم من المكاره ليغتروا ثم يصيبهم به قبيح على مذهبه وإن لم يكن كما قيل في تفسير الخدع مع استشعار خوف أو استحياء من مجاهرة امتنع صدوره عنه تعالى مطلقا وأيضا من المعلوم أن حاله تعالى مع المنافقين لم يكن حقيقة هذا المعنى المذكور وأن المؤمنين وإن جاز أن يخدعوا عن آرائهم من غير أن يرجع إليهم في ذلك فإنه لم يجز أن يقصدوا خداعهم فإنه غير مستحسن بل مستقبح بديهة (قوله واستمطروا) أي استسقوا واطلبوا العطاء وتمام البيت

* إن الكريم إذا خادعته انخدعا *

وقد يروى بالفاء هكذا

لا خير في الحب لا ترجى نوافله * فاستمطروا من قريش كل منخدع

تخال فيه إذا حاتته بلها * عن ماله وهو وافي العقل والورع

وفي هذه الرواية دلالة واضحة على أن الخداع الذي يمدح به هو التخادع أعني إظهار الانخداع تكرما لا ما نشأ من البله وسذاجة الصدر فإنه منقصة ومن ثم قيل في حق الفاروق رضي الله عنه كان أعقل من أن يخدع وأورع من أن يخدع وفي الرواية الأولى دلالة على ذلك لكن مع دقة وخفاء وصدر قول ذي الرمة * تلك الفتاة التي علقتها عرضا * يقال علق بالمرأة أي أحبها وكذا علقتها على صيغة المبني للمفعول ومعنى عرضا من غير قصد وروية يقبل الانخداع كما هو دأب الحليم والمسلم ويختلب أي يخدع والوجه في تعليل محبة المشوقة بالحلم والإسلام أنهما يدلان على رقة القلب التي بها يتأثر البال من الجمال سريعا وقد أدمج في ذلك اتصافه بهذين الوصفين (قوله يتظاهرون بالإيمان) أي يظهرونه مع إبطان الكفر فهذا فعل صادر عنهم بالقياس إلى الله تعالى والمؤمنين يشبه الخدع بحسب الصورة وكذا الحال في صنع الله والمؤمنين معهم والحاصل أن بينهم من الجانبين معاملة شبيهة بالمخادعة فقوله يخادعون استعارة تبعية وليس في هذا الجواب اعتبار هيئة مركبة من الجانبين وما يجري بينهما مشبهة بهيئة أخرى مركبة من الخادع والمخدوع والخدع ليحمل الكلام على الاستعارة التمثيلية على قياس ما مر تحقيقه في ختم الله على قلوبهم فلا تغفل والجواب الثاني أن المخادعة محمولة على حقيقتها لكنها ترجمة عن معتقدهم الباطل وظنهم الفاسد كأنه قيل يزعمون أنهم يخدعون الله وأنه يخدعهم وقد أشار بقوله ولا أن لذاته تعلقا بكل معلوم إلى مذهبه أي هو عالم بالذات لا بعلم قائم بذاته (قوله أن يذكر الله تعالى ويراد الرسول) لم يرد أن لفظ الله تعالى أطلق على رسوله صلى الله عليه وآله

أهل السنة تعتقد أن الله تعالى عالم بعلم ومع ذلك تعتقد استحالة كونه مخدوعا لأن علمه عندنا تام التعلق كما وصفنا ونعتقد أنه لا يصدر كائن في الوجود إلا عن قدرته لا غير ومع ذلك نمنع أن ينسب الخداع إلى الله تعالى لما يوهم ظاهره من أنه قد يكون عن عجز عن المكافحة وإظهار المكتوم هذا هو الموهوم منه في الإطلاق ولكن حيث أطلقه تعالى مقابلا للمذكور من خدع المنافقين كمقابلة المكر بمكرهم علمنا أن المراد منه أنه فعل معهم فعلا سماه خداعا مقابلة ومشاكلة وإلا فهو قادر على هتك سترهم وإنزال العذاب بهم رأي العين فهذا معتقد أهل السنة في هذه الآية وأمثالها لا كالزمخشري وشيعته الذين يزعمون أنهم يوحدون فيجحدون وينزهون فيشركون والله الموفق للحق وكذلك الخداع المنسوب إليهم على سبيل المجاز عن تعاطيهم أعمال المخادع لا على ظاهرهم وأصدق شاهد في أنه مجاز نفيه بعقب إثباته في قوله

وفائدة هذه الطريقة قوة الاختصاص ولما كان المؤمنون من الله بمكان سلك بهم ذلك المسلك ومثله والله ورسوله أحق أن يرضوه وكذلك إن الذين يؤذون الله ورسوله ونظيره في كلامهم علمت زيدا فاضلا والغرض فيه ذكر إحاطة العلم بفضل زيد لا بنفسه لأنه كان معلوما له قديما كأنه قيل علمت فضل زيد ولكن ذكر زيد توطئة وتمهيد لذكر فضله (فإن قلت) هل للاقتصار بخادعت على واحد وجه صحيح (قلت) وجهه أن يقال عني به فعلت إلا أنه أخرج في زنة فاعلت لأن الزنة في أصلها للمبالغة والمباراة والفعل متى غولب فيه فاعله جاء أبلغ وأحكم منه إذا زاوله وحده من غير مغالب ولا مبار لزيادة قوة الداعي إليه ويعضده قراءة من قرأ يخدعون الله والذين آمنوا وهو أبو حيوة و(يخادعون) بيان ليقول ويجوز أن يكون مستأنفا كأنه قيل ولم يدعون الإيمان كاذبين وما رفقهم في ذلك فقيل يخادعون (فإن قلت) عم كانوا يخادعون (قلت) كانوا يخادعون عن أغراض لهم ومقاصد منها متاركتهم وإعفاؤهم عن المحاربة وعما كانوا يطرقون به من سواهم من الكفار ومنها اصطناعهم بما يصطنعون به المؤمنين من إكرامهم والإحسان إليهم وإعطائهم الحظوظ

فإنه لا يطلق على غيره تعالى لا حقيقة ولا مجازا بل أراد أن هناك نسبة إيقاعية من قبيل المجاز العقلي كما مر في المثال الذي أورده وملخص الجواب الرابع أن ذكر الله تعالى ليس لتعلق الخداع به بل لمجرد التوطئة وفائدتها ههنا التنبيه على قوة اختصاص المؤمنين بالله تعالى وقربهم منه حتى كأن الفعل المتعلق بهم دونه يصح أن يتعلق به أيضا وكذا الحال في أعجبني زيد وكرمه فإن ذكر زيد توطئة وتنبيه على أن الكرم قد شاع عنه وتمكن بحيث يصح أن يسند إليه أيضا الإعجاب الذي هو بالكرم لا بزيد ومثل هذا العطف يسمى جاريا مجرى التفسير وأما قولك أعجبني زيد كرمه على الإبدال فليس في تلك المرتبة من إفادة التلبيس بينهما للدلالة على أن المقصود بالنسبة هو الثاني فقط وإن ذكر الأول سلوكا لطريقة الإجمال والتفصيل وفي صورة العطف قد دل بحسب الظاهر على قصد النسبة إليهما معا فيكون أدل على قوة التمكن (قوله ومثله والله ورسوله أحق أن يرضوه) فإنه وحد فيه الضمير للدلالة على أن المقصود إرضاء الرسول وإن ذكر الله تعالى للإشعار بأن الرسول من الله تعالى بمنزلة عظيمة واختصاص قوي حتى سرى الإرضاء منه إليه وكذا الحال في الإيذاء فإنهم لا يؤذون الله حقيقة بل الرسول وحده وأما قوله علمت زيدا فاضلا فهو نظير لما نحن فيه من حيث أن المقصود الأصلي هو الثاني بناء على أن مناط الفائدة ومصب الغرض هو الخبر إذ منه ينتزع الحكم بالنسبة وإن لم يكن الأول ملغى بالكلية إذ لا يرد أن العلم متعلق بالنسبة القائمة بالطرفين فهما مقصودان معا بتبعاته فلا يكون ذكر زيد توطئة وتمهيدا لذكر فضله وإنما قال كأنه قيل علمت فضل زيد نظرا إلى أن مآل المعنى مضمون الخبر لا إلى أن المعنى هو ذلك بعينه كيف وعلم البتة يتعدى في الاستعمال إلى مفعولين لا يجوز الاقتصار على أحدهما ولا يذهب عليك أن الجواب الثالث والرابع مبنيان على أن خادع بمعنى خدع إذ لا خدع من الرسول صلى الله عليه وآله والمؤمنين كما تقدم ولا مجال أيضا مع اتحاد اللفظ بأن يكون الخدع من أحد الجانبين حقيقة ومن الآخر مجازا (قوله إلا أنه أخرج في زنة فاعلت) وقال المصنف نظيره فلان يخاشي الله أي يخشاه خشية عظيمة (والمباراة) المعارضة وأن يعمل مثل فعل صاحبه ليغلبه وحينئذ يقوى الداعي إلى الفعل ويجيء أبلغ وأحكم وإذ قرئ يخدعون توجه السؤال بأن خدعهم الله تعالى محال ويتأتى فيه الأجوبة الأربعة بلا خفاء وجعل يخادعون بيانا ليقول أولى من جعله مستأنفا لأنه إيضاح لما سبق وتصريح بأن قولهم كان بمجرد خداع وأيضا ليست المخادعة أمرا مطلوبا بالذات فلا يكون الجواب به شافيا بل يحتاج لسؤال آخر كما ذكره (قوله وما رفقهم) أي نفعهم يقال ما رفق ومرتفق أي سهل المطلب وارتفقت به أي انتفعت به واسترفقته فأرفقني بكذا نفعني به (قوله عم كانوا يخادعون) أي عن أي غرض من الأغراض صدر خداعهم ولأي سبب كانوا يخدعون والجواب أن لهم في ذلك أغراضا دفع المضرة عن أنفسهم وجلب المنفعة لها وإيصال المضرة إلى المؤمنين (قوله يطرقون) يقال طرقه طروقا أتاه ليلا

يخادعون الله والذين آمنوا

وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون فنبه هذه التتمة إلى احتمال الحقيقة حتى يبقى جهة المجاز صدق نفيه فتأمل هذا المحصل فله على سائر المحصول الفضل

من العدم ويعود ذلك من العود لتدوم لهم الطلاء عليهم لاحتمال اطلاعهم على الاسرار التي كانوا حراصا على اذاعتها الى منابذيهم (وان قلت) فلو أظهر عليهم حتى لا يصلوا الى هذه الاغراض بخداعهم عنها (قلت) لم يظهر عليهم لما أحاط به علما من المصالح التي لو أظهر عليهم لانقلبت مفاسد واستبقاء ابليس وذريته ومشاركتهم وما هم عليه من اغواء المنافقين وتنقيهم النفاق أشد من ذلك ولكن السبب فيه ما علمه تعالى من المصلحة (فان قلت) ما المراد بقوله (وما يخادعون الا أنفسهم) (قلت) يجوز أن يراد وما يعاملون تلك المعاملة المشبهة بمعاملة المخادعين الا أنفسهم لان ضررها يلحقهم ومكرها يحيق بهم كما تقول فلان يضاره ولا ما يضار الا نفسه أي دائرة الضرار راجعة اليه وغير متخطية اياه وأن يراد حقيقة المخادعة أي وهم في ذلك يخدعون أنفسهم حيث يمنونها الاباطيل ويكذبونها فيما يحدثونها به وأنفسهم كذلك تمنيهم وتحدثهم بالاماني وأن يراد وما يخدعون فجيء به على لفظ يفاعلون للمبالغة وقرئ وما يخدعون ويخدعون من خدع ويخدعون بفتح الياء

وطرفه الرماد بفوته أصابهما والمنابذة اظهار العداوة كأن كلا من المتعاديين المظاهرين ينبذ ما عنده له من العداوة أو ينبذ عهده اليه (قوله فلو أظهر) شرط حذف جوابه قد أصاب بحذفه من المبالغة والضمير المستتر في الفعل لله تعالى والبارز في عليهم للمؤمنين أي لو أظهر الله نفاقهم على المؤمنين وهو أبلغ من أن يقال اظهرهم لدلالته على ظهور مكشوف مستقل لا مدفع له وأما المنافقين أي لو طلع المؤمنين على نفاقهم لتضمين الاظهار معنى الاطلاع (قوله بخداعهم عنها) أي بصدور خداعهم عن تلك الاغراض كقوله يخادعونهم عن اغراض لهم على تضمين الخداع معنى الصدور والمقصود الحقيقي بهذا السؤال طلب فائدة الخداع من الجانب الآخر كما ان ما سبق كان طلبا لفائدته من جانب المنافقين اذ انه فرعه على بيان ما راموه من الاغراض (قوله من المصالح التي لو أظهر عليهم لانقلبت مفاسد) من جملة تلك المصالح ان الستر عليهم يوهم المخالفين الكفار انهم من أعوان المسلمين فيه مما هم دلالة على ان يستشعروا الخوف ويجبنوا عن قتال المؤمنين لكثرة عددهم ومنها انهم اذا عاشروا من يصحبهم ويظهر انه منهم كان ذلك سببا لنفرة غيرهم عن الاسلام ومصاحبتهم ومنها ان ملابستهم وحسن معاشرتهم ربما أدت الى ستماله قلوب جماعة أخرى تتقوى بهم كلمة الله العليا (قوله ما المراد بقوله وما يخادعون) أي هل أريد به المخادعة الاولى المتعلقة بالله والمؤمنين أو مخادعة أخرى فأجاب أولا بانه يجوز أن يراد به الاولى وأشار الى تطبيقه على الوجه الاول من الوجوه الاربعة المذكورة هناك وتلخيصه ان المخادعة مستعارة للمعاملة الجارية فيما بينهم وبين الله تعالى والمؤمنين المشبهة بمعاملة المخادعين فقصرت هذه المعاملة هنا على أنفسهم بعد تعليقها أولا باعتبار سابقه بناء على ان ضررها عائد اليهم لا يعدوهم ونظيره (فلان يضاره ولا ما يضار الا نفسه) ومثل هذا الاستعمال سائغ في اللغات كلها جار في باب المفاعلة وغيره فتكون الامارة الدالة على قصر تلك المعاملة مجاز أو كناية عن انحصار ضررها فيهم أو يجعل لفظ الخداع المستعار مجازا مرسلا عن ضرره في المرتبة الثانية ويمكن ان يقال لما انحصرت نتيجة تلك المعاملة فيهم جاز ان يدعى ان نفس تلك المعاملة مقصورة عليهم ويكون حينئذ انحصار ضررها فيهم مفهوما تبعا لا قصدا فلا حاجة الى تجوز أو كناية ولعل في قوله (أي دائرة الضرار راجعة اليه وغير متخطية اياه) نوع اشارة الى ما ذكرناه ولك ان تطبقه على الوجوه الثلاثة الباقية وثانيا بانه يجوز ان يراد به مخادعة أخرى اما جارية فيما بين اثنين أو مقصورة على واحد فالاول ان يراد به المخادعة الحقيقية الجارية فيما بينهم وبين أنفسهم فانهم في ذلك أي في خداعهم لله وللمؤمنين على تلك الوجوه الاربعة يخدعون أنفسهم فيمنونها الاباطيل والاكاذيب من انه سيتفرع على هذا الخداع أمور مهمة واغراض مطلوبة وهي تنخدع بذلك وتطمئن وكذلك أنفسهم تخدعهم حيث تمنيهم وتحدثهم بالاماني والاطماع الفارغة ومن البين ان حقيقة المخادعة تقتضي فاعلين مختارين يقصد كل منهما اصابة الآخر بمكروه فلا تتصور هذه الحقيقة بين المنافقين وأنفسهم حتى اريد بها ذواتهم أو دواعيهم ومن ثمة قيل يريد بذلك أن

﴿وما يخادعون الا أنفسهم وما يشعرون في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا﴾

بمعنى يخدعون ويخدعون ويخادعون على لفظ ما لم يسم فاعله • والنفس ذات الشيء وحقيقته يقال عندي كذا نفسا ثم قيل للقلب نفس لأن النفس به ألا ترى إلى قولهم المرء بأصغريه وكذلك بمعنى الروح وللدم نفس لأن قوامها بالدم وللماء نفس لفرط حاجتها إليه قال الله تعالى وجعلنا من الماء كل شيء حي وحقيقة نفس الرجل بمعنى عين أصيبت نفسه كقولهم صدر الرجل وقولهم فلان يؤامر نفسيه إذا تردد في الأمر واتجه له رأيان وداعيان لا يدري على أيهما يعرج كأنهم أرادوا داعي النفس وهاجسي النفس فسموهما نفسين إما لصدورهما عن النفس وإما لأن الداعيين لما كانا كالمشيرين عليه والآمرين له شبهوهما بذاتين فسموهما نفسين والمراد بالأنفس ههنا ذواتهم والمعنى بمخادعتهم ذواتهم أن الخداع لاحق بهم لا يعدوهم إلى غيرهم ولا يتخطاهم إلى من سواهم ويجوز أن يراد قلوبهم ودواعيهم وآراؤهم • والشعور علم الشيء علم حس من الشعار ومشاعر الإنسان حواسه والمعنى أن لحوق ضرر ذلك بهم كالمحسوس وهم لتمادي غفلتهم كالذي لا حس له • واستعمال المرض في القلب يجوز أن يكون حقيقة ومجازا فالحقيقة أن يراد الألم كما تقول في جوفه مرض والمجاز أن يستعار لبعض أعراض القلب كسوء الاعتقاد والغل والحسد والميل إلى المعاصي والعزم عليها واستشار الهوى والجبن والضعف وغير ذلك مما هو فساد وآفة شبيهة بالمرض كما استعيرت الصحة والسلامة في نقائض ذلك والمراد به ههنا ما في قلوبهم من سوء الاعتقاد والكفر أو من الغل والحسد والبغضاء

لإبهام يعتبر في هذا المعنى ولا يكون لفظ الخداع مجازا عن ضرره كما مر والثانية أن يراد بالمخادعة الخدع والإيجاع حينئذ لي اعتبار الخدع من جانب الأنفس والقول بأن الأولى مبنية على التجريد من الجانبين والثانية عليه من جانب واحد تكلف بارد (قوله على لفظ ما لم يسم فاعله) فينتصب أنفسهم حينئذ على نزع الخافض يقال خدعت زيدا نفسه أي عن نفسه على طريقة واختار موسى قومه أو على التمييز إن جوز كونه معرفة (قوله ثم قيل للقلب) يعني العضو الصنوبري نفس لأن النفس أي الذات به أي قوامها بذلك العضو ألا ترى إلى قولهم المرء بأصغريه أي بقلبه ولسانه (وكذلك) أي قيل النفس للقلب بمعنى الروح أو جاء النفس بهذا المعنى أيضا والمتبادر من كلامه أن لفظ النفس حقيقة في الذات مجاز فيما عداه وذلك ظاهر في الدم والماء والرأي الذي سيذكره ومعنى (عين الرجل) أصابته العين (وصدر الرجل) أصيب صدره (وقولهم) مبتدأ خبره (كأنهم أرادوا) والعائد محذوف أي أرادوا به (وإذا تردد) ظرف لقولهم (والهاجس) ما يخطر في النفس ويدور من هجس إذا خطر وإطلاق النفس على الرأي والداعي من قبيل تسمية المسبب باسم السبب أو استعارة مبنية على المشابهة والثاني أنسب بهذا المقام وأظهر بحسب المعنى (قوله والمراد بالأنفس ههنا ذواتهم) وحينئذ ينبغي أن يراد بقصر خداعهم في ذواتهم قصر ضرره عليهم كما ذكره في الجواب الأول عن المراد بقوله وما يخادعون إلا أنفسهم (قوله ويجوز أن يراد قلوبهم ودواعيهم وآراؤهم) ذكر القلوب تمهيد لذكر الدواعي والآراء لا أنه وجه آخر وإذ أريد بالأنفس الدواعي تعين الجوابان الأخيران وكان اعتبار المشابهة أولى كما لا يخفى فبان أن المراد بالأنفس أحد هذين المعنيين تتمة للأجوبة الثلاثة (قوله كالذي لا حس له) في لا يشعرون إشعار بانحطاطهم عن مرتبة البهائم حيث لا يدركون أجلى المعلومات فيكون أبلغ وأليق بالمقام من لا يعلمون وأشار بقوله والمعنى أن لحوق ضرر ذلك بهم كالمحسوس إلى المعنى الأول من معاني خداعهم لأنفسهم فتدبر (قوله واستعمال المرض) أي المرض في اللغة قد يستعمل في القلب على سبيل الحقيقة بأن يراد به الألم وكونه مرضا حقيقة مما لا شبهة فيه عند أهل اللغة وقد يستعمل على سبيل المجاز وأما في الآية فالمراد به المعنى المجازي الذي هو آفة في الإدراك كسوء الاعتقاد والكفر أو الهيئة الباعثة على ارتكاب الرذائل كالغل والحسد والبغض أو المانعة عن اكتساب الفضائل كالضعف والجبن والخور فقوله أو يراد مرفوع عطفا على قوله والمراد ههنا الخ وأما جعله منصوبا عطفا على أن يستعار فلا وجه له أصلا لأن هذا أيضا من قبيل الاستعارة وإنما لم يقل أو من الضعف كما يقتضيه أسلوب

• قوله تعالى وما يشعرون الآية (قال محمود رحمه الله تعالى والشعور علم الشيء علم حس الخ) قال أحمد رحمه الله اتضاح هذا الكلام على تفسير الشعور كما قال بأنه علم الشيء من ناحية الحس الخ ثم لما كانت مفسدة النفاق عائدة على المنافق ومؤداها جليا كالمحسوس أي عليهم جعلهم بالمحسوس فنفى شعورهم به ولا كذلك معرفة الحق وغيره عن الباطل فإنه أمر عقلي نظري

لأن صدورهم كانت تغلي على رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين غلا وحنقا ويبغضونهم البغضاء التي وصفها الله تعالى في قوله قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر ويتحرقون عليهم حسدا إن تمسسكم حسنة تسؤهم وناهيك بما كان من ابن أبي وقول سعد بن عبادة لرسول الله صلى الله عليه وسلم اعف عنه يا رسول الله واصفح فوالله لقد أعطاك الله الذي أعطاك ولقد اصطلح أهل هذه البحيرة أن يعصبوه بالعصابة فلما رد الله ذلك بالحق الذي أعطاكه شرق بذلك أو يراد ما في قلوبهم من الضعف والجبن والخور لأن قلوبهم كانت قوية إما لقوة طمعهم فيما كانوا يتحدثون به أن ريح الإسلام تهب حينا ثم تسكن ولواءه يخفق أياما ثم يقر فضعفت حين ملكهم اليأس عند إنزال الله على رسوله النصر وإظهار دين الحق على الدين كله وإما لجراءتهم وجسارتهم في الحروب فضعفت جبنا وخورا حين قذف الله في قلوبهم الرعب وشاهدوا شوكة المسلمين وإمداد الله لهم بالملائكة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نصرت بالرعب مسيرة شهر ومعنى زيادة الله إياهم مرضا أنه كلما أنزل على رسوله الوحي فسمعوه كفروا به فازدادوا كفرا إلى كفرهم فكأن الله هو الذي زادهم ما ازدادوه وأسند الفعل إلى المسبب له كما أسنده إلى السورة في قوله فزادتهم رجسا إلى رجسهم لكونها سببا أو كلما زاد رسوله نصرة وتبسطا في البلاد ونقصا من أطراف الأرض ازدادوا حسدا وغلا وبغضا وازدادت قلوبهم ضعفا وقلة طمع فيما عقدوا به رجاءهم وجبنا وخورا

كلامه بل ذكر الإرادة لطول الفصل وأوردها بصيغة لعل حيث لم يجزم بإرادة الأول وصرح بالتداخل لأن ذلك قد حدث في قلوبهم بعد ظهور الإسلام وقوة المسلمين كما بينه وقوله (لأن صدورهم) تعليل لثبوت الغل والحسد والبغض في قلوبهم المفهوم من معنى الكلام (والغل) الغش (والحنق) الغيظ ونصبهما على التمييز أظهر (ويبغضونهم) معطوف على تغلي بحسب المعنى كأنه قيل لأنهم كانت صدورهم تغلي ويبغضونهم (ويتحرقون) من حرق الأسنان أي حك بعضها ببعض حتى سمع لها صريف وهو كناية عن شدة الغيظ لا من تحرق بمعنى احترق وإن اشتهر أن الحسد كالنار والحاسد في الاحتراق لأن استعماله بعلى يمنع هذا المعنى وحسدا مفعول لأجله لا تمييز (قوله مما كان من ابن أبي) وهو أن النبي صلى الله عليه وآله أردف أسامة على حمار يعود سعد بن عبادة قبل وقعة بدر فمر على مجلس فيه عبد الله بن أبي قبل إسلامه واختلاط من المسلمين والمشركين واليهود فلما غشيت المجلس عجاجة الدابة خمر ابن أبي أنفه بردائه وقال لا تغبروا علينا فسلم رسول الله صلى الله عليه وآله ونزل ودعاهم إلى الله تعالى وقرأ عليهم القرآن فقال عبد الله مقالة آذى بها رسول الله صلى الله عليه وآله فلما دخل على سعد بن عبادة قال يا سعد ألم تسمع إلى ما قال أبو الحباب يريد ابن أبي فقال يا رسول الله اعف عنه ومقصود المصنف من الإشارة إلى هذه القصة إثبات الحسد والبغضاء للمنافقين ببيان رسوخ السبب والمادة فيهم قبل إظهارهم الإسلام ولا يقدح في ذلك اشتمالها على أن ابن أبي كان مجاهرا بالكفر مردود بتصريح الرواة بأنها كانت قبل إسلامه وحمل إشارته على قصة أخرى مستبعد جدا (قوله ولقد اصطلح) عطف على جواب القسم وقيل حال فترك اللام أولى والمراد بهذه البحيرة المدينة ويقال هذه بحيرتنا أي أرضنا وبلدتنا وأصل التركيب يدل على السعة (والعصابة) العمامة عصبه أي عممه ولما كان العمائم تيجان العرب جعل التعصيب كناية عن التسويد وقيل كانوا إذا أرادوا أن يملكوا رجلا توجوه فإن لم يجدوا تاجا عصبوه بعصابة مرصعة بجواهر (قوله شرق بذلك) أي لم يقدر على إساغته والصبر عليه لتعاظمه بل استمر في حلقه كالماء المعترض في حلق الشارب وقوله (لأن قلوبهم) علة لتداخل الضعف والجبن قلوبهم كما أن قوله إما لقوة طمعهم وإما لجراءتهم علة كون قلوبهم قوية وتشبيه الدولة في نفوذ أمرها وتمشيته بالريح وهبوبها استعيرت لها (فضعفت جبنا) أي ضعفت لأجله واعلم أن قوله تعالى في قلوبهم مرض جملة مستأنفة لبيان موجب خداعهم وما هم فيه من النفاق (قوله ومعنى زيادة الله تعالى) دل كلامه على أن قوله تعالى فزادهم إخبار (قوله إسنادا) مصدر لمحذوف أي فأسنده الله

ويحتمل أن يراد بزيادة المرض الطبع وقرأ أبو عمرو في رواية الأصمعي مرْض ومرْضا بسكون الراء * يقال ألم فهو (أليم) كوجع فهو وجيع ووصف العذاب به نحو قوله * تحية بينهم ضرب وجيع * وهذا على طريقة قولهم جدّ جدّه والألم في الحقيقة للمؤلم كما أن الجد للجادّ والمراد بكذبهم قولهم آمنا بالله وباليوم الآخر وفيه رمز إلى قبح الكذب وسماجته وتخييل أن العذاب الأليم لاحق بهم من أجل كذبهم ونحوه قوله تعالى مما خطيئاتهم أغرقوا والقوم كفرة وإنما خصت الخطيئات استعظاما لها وتنفيرا عن ارتكابها والكذب الإخبار عن الشيء على خلاف ما هو به وهو قبيح كله وأما ما يروى عن إبراهيم عليه السلام أنه كذب ثلاث كذبات فالمراد التعريض ولكن لما كانت صورته صورة الكذب سمي به وعن أبي بكر رضي الله عنه وروي مرفوعا إياكم والكذب فإنه مجانب للإيمان وقرئ يكذّبون من كذّبه الذي هو نقيض صدّقه

تعالى الى نفسه اسناد الفعل الى المسبب فهو اسناد مجازي سواء فسر المرض بالكفر أو الحسد والغل أو الضعف والفتور كما صرح به عبارته ويجوز اسناد المعنى الأخير الى الله تعالى على حقيقة على رأيه أيضا والزيادة تستعمل لازما ومتعديا والمشهور في الازدياد اللزوم لكن قوله ما ازدادوه يدل على انه قد يتعدى الى مفعول واحد وعلى هذا فلا يجب أن يكون المنصوب في قوله ازدادوا كفرا وازدادوا حسدا وازدادت قلوبهم ضعفا مفعولا وان جعل تمييزا كان دالا على الحقيقة للازدياد اللازم (قوله ويحتمل أن يراد بزيادة المرض الطبع) أي الختم فلا يراد بها ازديادهم في تلك الامراض كما مر في الوجه الاول بل يراد أن الله تعالى طبع على قلوبهم وختم عليها فلا يدخل عليها أمر بل عمها تلك الامراض فزيادة المرض تكون مجازا عن الطبع والاسناد الى الله كما في ختم الله وتنكير مرضا على الوجهين لكونه مغايرا للاول ضرورة أن المزيد مغاير للمزيد عليه ولك أن تقول المراد بالمرض الثاني هو الطبع أي زادهم الله طبعا وأن يحمل كلامه على ارادة هذا المعنى بتقدير مضاف أي زيادة الطبع ولعل هذا أقرب (قوله وقرأ أبو عمرو) هذه القراءة ليست من المتواترة قال ابن جني لا يجوز أن يكون مرْض بالسكون تخفيف مرَض لأن المفتوح لا يخفف لخفته بخلاف المضموم والمكسور بل يجب أن يكون لغة أخرى فيه (قوله تحية بينهم) وصدر البيت * وخيل قد دلفت لها بخيل * وأراد بالخيل الفرسان يقال دلف الكتيبة تقدمها ودلف الشيخ اذا قارب الخطو وكلا المعنيين حسن ههنا واللام للتعدية (قوله وهذا على طريقة جد جده) أي على طريقة الاسناد المجازي ولم يرد أنه من قبيل الاسناد الى المصدر الذي أسند اليه ما اشتق منه كما في المثال بعينه بل هو قريب منه كما ترى والذي هو من قبيله ألم أليم ووجع وجيع وسينكشف لك أن الاسناد المجازي لا ينحصر فيما ذكره من مصدر الفعل ونظائره وإنما اقتصر على ذكر المجاز العقلي رد لما يقال من أن الأليم بمعنى المؤلم كالسميع بمعنى المسمع فإنه ليس بثبت وسيصرح بذلك في قوله تعالى بديع السموات (قوله والألم في الحقيقة للمؤلم) على صيغة المفعول (قوله والمراد بكذبهم) أشار بذلك الى أن لفظ ما مصدرية وأما كلمة كان فللدلالة على الاستمرار في الأزمنة وقولهم آمنا اخبار باحداثهم الايمان فيما مضى ولو حمل على انشاء الايمان كان متضمنا للاخبار بصدوره عنهم وفيه أي وفي جعل عذابهم مسببا لكذبهم رمز أي اشارة خفية الى قبح الكذب حيث خص بالذكر من بين جهات استحقاقهم اياه مع كثرتها وفيه تخييل أن لحوق ذلك العذاب بهم انما كان لاجل كذبهم نظرا الى ظاهر العبارة المقتصرة على ذكره واختار لفظ التخييل بناء على أن السامع يعلم أن ذلك اللحوق بجهات كثيرة وأن الاقتصار على ما ذكره رمز للتنبيه على سماجته وتنفير عن ارتكابه (قوله والكذب الاخبار) أي الاعلام بالشيء كزيد مثلا على خلاف ما هو متلبس به من ثبوت القيام له أو انتفائه عنه أو الاعلام بالشيء الذي هو النسبة على خلاف الوجه الذي هي متلبسة به من كونها ثابتة أو منفية ومباحث قبحه عقلا أو شرعا مستقصاة في موضعها (قوله ثلاث كذبات) هي قوله اني سقيم وأراد به سأسقم وقد علم بأمارات من النجوم أو اني سقيم

ولهم عذاب أليم

بما كانوا يكذبون وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض

أو من كذب الذي هو للمبالغة في كذب كما بولغ في صدق فقيل صدّق ونظيره بان الشيء وبيّن وقلص الثوب وقلّص أو بمعنى الكثرة كقولهم موّتت البهائم وبرّكت الإبل أو من قولهم كذب الوحشي إذا جرى شوطاً ثم وقف لينظر ما وراءه لأن المنافق متوقف متردد في أمره ولذلك قيل له مذبذب وقال عليه السلام مثل المنافق كمثل الشاة العائرة بين الغنمين تعير إلى هذه مرة وإلى هذه مرة (وإذا قيل لهم) معطوف على يكذبون ويجوز أن يعطف على يقول آمنا لأنك لو قلت ومن الناس من إذا قيل لهم لا تفسدوا كان صحيحاً والأول أوجه والفساد خروج الشيء عن حال استقامته وكونه منتفعاً به ونقيضه الصلاح وهو الحصول على الحالة المستقيمة النافعة والفساد في الأرض هيج الحروب والفتن لأن في ذلك فساد ما في الأرض وانتفاء الاستقامة عن أحوال الناس والزروع والمنافع الدينية والدنيوية قال الله تعالى وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ومنه قيل لحرب كانت بين طيء حرب الفساد وكان فساد المنافقين في الأرض أنهم كانوا يمايلون الكفار ويمالئونهم على المسلمين بإفشاء أسرارهم إليهم وإغرائهم عليهم وذلك مما يؤدي إلى هيج الفتن بينهم فلما كان ذلك من صنيعهم مؤدياً إلى الفساد قيل لهم لا تفسدوا كما تقول للرجل لا تقتل نفسك بيدك ولا تلق نفسك في النار إذا أقدم على ما هذه عاقبته وا... قصر الحكم على شيء كقولك إنما ينطلق زيد أو لقصر الشيء على حكم كقولك إنما زيد كاتب

لأنه بسبب غيظي وحنقي من تعدد كم آلهة وقوله بل فعله كبيرهم أراد به أنه لم يقدر على دفع المضرة عن نفسه وغيره فكيف يصلح إلهاً أو أن تعظيمه كان هو الحامل له على كسرها وقوله إنك أختي أراد أن سارة أختي ومراده الأخوة في الدين وقيل كذباته الثلاث قوله في الكواكب هذا ربي ثلاث مرات وقصد به الحكاية أو الفرض والتقدير ليرشدهم إلى عدم صلاحية الألهية وسيأتيك تحقيق الفرض إن شاء الله تعالى فهذه الاخبارات صادقة لكنها في صورة الكذب فسميت كذبات (قوله هو مبالغة في كذب) أي هو يدل على قوة الكذب وعظمه كما أن بيّن يدل على كمال ظهور الشيء واتضاحه وقلّص يدل على شدة قلوص الثوب وتقبضه وانضمام بعضه إلى بعض فكأنه قيل يكذبون كذباً عظيماً أو بمعنى الكثرة عطف على مبالغة أي أو من كذب الذي هو بمعنى الكثرة في الفاعل وأما كذب الوحشي فهو مجاز مأخوذ من كذب الذي بمعنى نقيض الصدق كأنه يكذب رأيه وظنه فيقف لينظر ما وراءه ولما كثر استعماله في هذا المعنى وكان حال المنافق شبيهة بحاله جاز أن يستعار له وإن كان ما تقدم أولى والمذبذب المتردد بين أمرين والعائرة في الأرض والعائرة التي تخرج من الإبل إلى أخرى ليضربها الفحل بين الغنمين أي القطيعين (قوله والأول أوجه) وذلك لقربه وإفادته تسبب الفساد للكذب فيدل على قبحه ووجوب الاحتراز عنه كالكذب ولخلوه عن تخلل البيان أو الاستئناف وما يتعلق به بين أجزاء الصلة وقد يرجح الثاني بكون الآيات حينئذ على نمط تعديد قبائحهم وعاداتهم الشنيعة بكل من تلك الأوصاف أصالة لا تبعاً وقصداً ودلالة على أن لحوق العذاب الأليم بسبب كذبهم الذي هو أدنى أحوالهم في كفرهم ونفاقهم فكيف بسائرها وأما عطفه على الجملة الاسمية أعني قوله ومن الناس من يقول فيبعد عما نحن فيه وإن توهم كونه أوفق بتأدية هذه المعاني وذلك لعدم دلالته على اندراج هذه الصفة وما بعدها في قصة المنافقين وبيان أحوالهم إذ لا يحسن حينئذ عود الضمائر التي فيها إليهم كما تشهد به سلامة الفطرة لمن له أدنى دربة بأساليب الكلام (قوله والفساد في الأرض هيج الحروب) يقال هاج الشيء هيجاً وهياجاً وهيجاناً أي ثار وهاجه غيره يتعدى ولا يتعدى والمراد بقوله هيج الحروب هو اللازم لأن المتعدي إفساد لا فساد وقوله (لأن في ذلك فساد ما في الأرض) توجيه لإطلاق الفساد على هيج الحروب والفتن وقد سميت حرب الفساد بذلك لأنهم مثلوا فيها أنواع المثل فجدعوا الأنوف وصلموا الآذان إلى غير ذلك مايله أي مال إليه وأحبه ومالأه أي عاونه (قوله وكان فساد المنافقين) أي الفساد الناشئ من جهتهم لا فسادهم في أنفسهم والأولى أن يقول إفسادهم لأن ممايلتهم إلى الكفار

ومعنى (إنما نحن مصلحون) أن صفة المصلحين خلصت لهم وتمحضت من غير شائبة قادح فيها من وجه من وجوه الفساد و(ألا) مركبة من همزة الاستفهام وحرف النفي لإعطاء معنى التنبيه على تحقق ما بعدها والاستفهام إذا دخل على النفي أفاد تحقيقا كقوله أليس ذلك بقادر ولكونها في هذا المنصب من التحقيق لا تكاد تقع الجملة بعدها إلا مصدرة بنحو ما يتلقى به القسم وأختها التي هي أما من مقدمات اليمين وطلائعها

• أما والذي لا يعلم الغيب غيره • أما والذي أبكى وأضحك • رد الله ما ادعوه من الانتظام في جملة المصلحين أبلغ رد وأدله على سخط عظيم والمبالغة فيه من جهة الاستئناف وما في كلتا الكلمتين ألا وإن من التأكيدين وتعريف الخبر وتوسيط الفصل

قالوا إنما نحن مصلحون ألا إنهم هم المفسدون

وتمت لأنهم باشتهار الأمر ارتدوا ... كان حقيقه لا إفساد حمل الشيء ... ولم يكن صنيعهم كذلك جعل الكلام من قبيل المجاز باعتبار المآل أي لا يعملوا ما يؤدي إلى الفساد فيقال ما كانوا فيه من الفساد في أنفسهم ومعنى لا تفسدوا لا تأتوا بالفساد ولا تعملوا الإعانة إلى المجاز وليس شيء إذ ليس إتيان الشخص بالفساد نفسه حقيقة الإفساد ووضعه في الأرض التنبيه على أن صنيعهم يؤدي إلى الفساد فيها أي هيج الحروب والفتن يؤدي إلى انتفاء الاستقامة عن أحوال الناس في دينهم ودنياهم كما صرح به في تفسير الفساد في الأرض وإنه لم يحمل إفسادهم على تحريف الكتاب وتغيير الملة ودعوة الكفر في السر إلى تكذيب المسلمين كما جعله غيره لأنه لا ظهور حينئذ لتلك الفائدة (قوله خلصت لهم وتمحضت من غير شائبة) أراد أنه من قبيل قصر الأفراد فإنهم لما نهوا عن الإفساد توهموا أن الناهي حكم عليهم بأنهم يخلطونه بالإصلاح فأجابوا بأنهم مقصورون على محض الإصلاح لا يشوبه شيء من وجوه الإفساد وإخبار وأنه تنبيههم على أن ذلك مكشوف لا سترة عليه فلا ينبغي أن يشتبه (قوله وألا مركبة) ذهب إلى أن لفظ ألا مركبة وكذا أختها أما مركبة من همزة الاستفهام التي للإنكار وحرف النفي لإفادة التنبيه على تحقيق ما بعدها فإن إنكار النفي تحقيق للإثبات لكنهما بعد التركيب صارتا كلمتي تنبيه يدخلان على ما لا يجوز أن يدخل عليه حرف النفي كقولك ألا إن زيدا عالم وذهب الأكثرون إلى أنهما لا تركيب فيهما (قوله بنحو ما يتلقى به القسم) كإن واللام وحرف النفي وطليعة الجيش من يتقدمه وأول المصراع الأول

• ويحيي العظام البيض وهي رميم • وجواب القسم هو قوله

لقد كنت أختار الجوى طاوي الحشا • محاذرة من أن يقال لئيم

وجواب القسم في قوله

أما والذي أبكى وأضحك والذي • أمات وأحيا والذي أمره الأمر

قوله لقد تركتني أحسد الوحش أن أرى • أليفين منها لا يروعهما الذعر

(قوله رد الله تعالى ما ادعوه) أي من الحصر بالعواقب كونهم مصلحين وبالغ في كونهم مفسدين من جهات متعددة الاستئناف فإنه يفيد زيادة تمكن الحكم في ذهن السامع لوروده عليه بعد السؤال والطلب وما في كل واحدة من كلمتي ألا وإن من تأكيد الحكم وتحقيقه وقوله لا يشعرون للدلالة على أن كونهم مفسدين قد ظهر ظهور المحسوس لكن لا حس لهم ليدركوه وأما وجه المبالغة في تعريف الخبر وتوسيط الفصل فقد قيل الأول يفيد حصر المسند إليه على المسند والثاني يفيد تأكيد هذا الحصر وهذا وإن كان مناسبا لرد دعواهم الكاذبة فإنهم لما قصروا أنفسهم على الإصلاح قصر أفراد ناسب في ردهم أن يقصروا على الإفساد قصر قلب أي هم مقصورون على الإفساد لا حظ لهم في الإصلاح لكن يرد عليه أن تعريف الخبر بلام الجنس يفيد حصره في المبتدأ كما هو المذكور في المفتاح والمشهور في الاستعمال وأن ضمير الفصل يفيد هذا الحصر أيضا أو يؤكده وقد أجيب بأنه مبني على كلامه في الفائق من أن تعريف المسند يفيد حصر المسند إليه فيه حيث قال معنى أن الله تعالى هو الدهر هو الجالب للحوادث لا غير الجالب كما أشرنا إليه فيما

وقوله (لا يشعرون) توهم في النصيحة من وجهين أحدهما تقبيح ما كانوا عليه لبعده من الصواب وجره إلى الفساد والفتنة والثاني تبصيرهم لطريق الأسد من اتباع ذوي الأحلام ودخولهم في عدادهم فكان من جوابهم أن سفهوهم لفرط سفههم وجهلوهم لتمادي جهلهم وفي ذلك تسلية للعالم مما يلقى من الجهلة (فإن قلت) كيف صح أن يسند قيل إلى لا تفسدوا وآمنوا وإسناد الفعل إلى الفعل مما لا يصح (قلت) الذي لا يصح هو إسناد الفعل إلى معنى الفعل وهذا إسناد له إلى لفظه كأنه قيل وإذا قيل لهم هذا القول وهذا الكلام فهو نحو قولك ألف ضرب من ثلاثة أحرف ومنه زعموا مطية الكذب وما في (كما) يجوز أن تكون كافة مثلها في ربما ومصدرية مثلها في بما رحبت واللام في الناس للعهد أي كما آمن رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه

ولكن لا يشعرون وإذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس قالوا

سبق فيكون الفصل حينئذ مؤكدا لهذا الحصر ولا يخفى عليك ضعفه وقيل المبالغة في تعريف المسند بناء على قياس ما عرف في المنطلق أي إن حصلت صفة المفسدين وتحققوا ما هم وتصوروا بصورتهم الحقيقية فالمفسدون هم هم لا يعدون تلك الحقيقة فيكون الفصل مؤكدا لنسبة الإفساد الذي هو أقوى من القصر في إفادة المقصود (قوله أتوهم في النصيحة) أي المؤمنون نصحوا المنافقين أولا بترك الرذائل وثانيا باكتساب الفضائل فدل هذا الكلام على أن القائلين بالإيمان هم المؤمنون لا بعض المنافقين لبعض فيما بينهم كما ذكر في بعض كتب التفاسير وحينئذ يجب أن يجعل قولهم أنؤمن كما آمن السفهاء على أنه كان مقولا فيما بينهم لا مقولا في وجوه المؤمنين كيلا يلزم كونهم مجاهرين بالكفر لا منافقين وإن كان قوله فكان من جوابهم أن سفهوهم أي نسبوهم إلى السفه وجهلوهم أي نسبوهم إلى الجهل اللاحق السفه من الجهل يوهم أنه كان في مواجهتهم (قوله أن يسند قيل إلى لا تفسدوا وآمنوا) يريد أنه أسند إليهما لا إلى ضمير مصدره الدال عليه ولا إلى الظرف أعني لهم لأن القول متعد مفعوله المقول فإذا وجد في الكلام أسند الفعل إليه وأطلق الفعل على الجملة الفعلية التي هي لا تفسدوا باعتبار الجزء الأول مع أن الجملة مطلقا تشارك الفعل في عدم صحة الإسناد إليه لأنه من خواص الاسم اتفاقا والجواب أن الذي يمتنع هو إسناد الفعل إلى معنى الفعل يعني إذا كان معبرا عنه بمجرد لفظه على قياس إسناده إلى معنى الاسم معبرا عنه بلفظه وحده في مثل قام زيد وهذا الذي نحن فيه إسناد للفعل إلى لفظ الفعل بل الجملة كأنه قيل وإذا قيل لهم هذا القول وهذا الكلام وتحقيقه مر من أن الألفاظ سواء كانت مهملة أو مستعملة مفردة أو مركبة متساوية الأقدام في صحة الإسناد إلى أنفسها سواء كانت مجردة عن ملاحظة معانيها كما في قولك ألف ضرب من ثلاثة أحرف ومأخوذة معها كما قيل في لا تفسدوا وآمنوا إذ المسند إليه المقول باعتبار الدلالة على المعنى وليس هذه الصحة باعتبار أن الألفاظ إذا ذكرت وأريد بها أنفسها صارت أسماء كما توهم لأن المهمل لا يصير به بالإخبار عن لفظه وكذلك الجمل التي صارت مخبرا عنها باعتبار ألفاظها أسماء كما في قولك زيد قائم مركب من لفظين أو مع ملاحظة معناها كما عرفت ﴿فإن قلت﴾ فقد صرحوا بأن المبتدأ لا يكون إلا اسما ﴿قلت﴾ ذلك لأنهم اعتبروا وضع الألفاظ بإزاء المعاني المستفادة من التراكيب فبينوا أحوال الألفاظ في تلك التراكيب لا أحوال المعاني أنفسها بل تعرف هذه بالمقايسة فيعلم أن لفظ ضرب مثلا وضع لمعناه صار فعلا فبين حاله بأنه إذا كان مستعملا في ذلك المعنى لم يصح الإخبار عنه وكذا لفظ من بخلاف لفظ زيد وأما إذا لم تستعمل في معانيها جاز الإخبار عنها كلها (قوله زعموا مطية الكذب) قيل معناه أن الكلام المصدر بالزعم وما يشتق منه غير موثوق به لأن الزعم هو القول بلا تثبت وتبين ﴿وقد يقال﴾ معناه أن الكذاب يسند كذبه إلى غير معين وتقول زعموا كذا وكذا لئلا يظهر اختراعه الكذب وبوجه فلفظ زعموا مطية الكذب يتوصل بها إليه ولفظ ما في كما إن كانت كافة للكاف عن العمل مصححة لدخولها على الجملة كان لتشبيه بين مضموني الجملتين أي حققوا إيمانكم كما تحقق إيمانهم وإن كانت مصدرية فالمعنى آمنوا إيمانا

أو هم ناس معهودون كعبد الله بن سلام وأشياعه لأنهم من جلدتهم ومن أبناء جنسهم أي كما آمن أصحابكم وإخوانكم أو للجنس أي كما آمن الكاملون في الإنسانية أو جعل المؤمنون كأنهم الناس على الحقيقة ومن عداهم كالبهائم في فقد التمييز بين الحق والباطل والاستفهام في (أنؤمن) في معنى الإنكار واللام في (السفهاء) مشار بها إلى الناس كما تقول لصاحبك إن زيدا قد سعى بك فيقول أو قد فعل السفيه ويجوز أن تكون للجنس وينطوي تحته الجاري ذكرهم على زعمهم واعتقادهم لأنهم عندهم أعرق الناس في السفه (فإن قلت) لم سفهوهم واستركوا عقولهم وهم العقلاء المراجيح (قلت) لأنهم لجهلهم وإخلالهم بالنظر وإنصاف أنفسهم اعتقدوا أن ما هم فيه هو الحق وأن ما عداه باطل ومن ركب متن الباطل كان سفيها ولأنهم كانوا في رياسة وسطة في قومهم ويسار وكان أكثر المؤمنين فقراء ومنهم موال كصهيب وبلال وخباب فدعوهم سفهاء تحقيرا لشأنهم أو أرادوا عبد الله بن سلام وأشياعه ومفارقتهم دينهم وما غاظهم من إسلامهم وفت في أعضادهم قالوا ذلك على سبيل التجلد توقيا من الشماتة بهم مع علمهم أنهم من السفه بمعزل والسفه سخافة العقل وخفة الحلم (فإن قلت) لم فصلت هذه الآية بلا يعلمون والتي قبلها بلا يشعرون (قلت) لأن أمر الديانة والوقوف على أن المؤمنين على الحق وهم على الباطل يحتاج إلى نظر واستدلال حتى يكتسب الناظر المعرفة وأما النفاق وما فيه من البغي المؤدي إلى الفتنة والفساد في الأرض فأمر دنيوي مبني على العادات معلوم عند الناس خصوصا عند العرب في جاهليتهم

أنؤمن كما آمن السفهاء ألا إنهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون

مشتهيا بعيبهم (قوله وهم ناس معهودون) وذلك لأنهم مقابلوهم في الإيمان ومعروفون عندهم فهم نصب أعينهم وأما عبد الله بن سلام وأشياعه فهم مع تلك الملة بل هم من أبناء جنسهم وكانوا أصحابهم وقد غاظهم إيمانهم فهم حاضرون في أذهانهم (قوله كما آمن الناس) أي كما آمن الكاملون في الإنسانية وهم الجامعون لما يعد من خواص الإنسان وصفاته فهم لذلك يستحقون أن يحصر فيهم الجنس كأنهم الجنس كله فهذا الحصر بالنظر إلى كمالهم وإذا لوحظ أن غير المؤمنين كالبهائم في فقد التمييز بين الحق والباطل بل أدنى مرتبة منها فلا يندرجون في الناس بل كان منحصرا في المؤمنين كان هذا حصرا بالنظر إلى نقصان من عداهم وقصورهم عن رتبة الإنسانية ومعنى الإنكار في أنؤمن أن ذلك لا يكون أصلا (قوله مشار بها إلى الناس) أي اللام في السفهاء للعهد والمعهود هو الناس سواء أريد به المعهودون أو الجنس كما سبق ولما كان المعهود ههنا مذكورا بلفظ آخر أورد له مثالا يشبهه الساعي به إلى أن وشى به إليه والتعبير عن زيد بالسفيه إما لجعل السعاية سفها وإما لشهرته بذلك وفي الآية يجعل الإيمان سفها أو يجعل المؤمنين مشهورين به عندهم وينطوي تحته أي تحت لفظ السفهاء المراد به الجنس الجاري أي الذي جرى ذكرهم بلفظ الناس مرادا به العهد أو الجنس باعتبار كمال المؤمنين ونقصان غيرهم وقوله على زعمهم متعلق بينطوي والضمير للمنافقين وذلك لأن الذي جرى ذكرهم أعرق الناس في السفه عند المنافقين فكانوا بالاندراج أولى واستركوا عقولهم أي عدوها ركيكة ضعيفة والمراجيح كأنه جمع مرجاح يقال رجل راجح العقل وقوم مراجيح الحلم كان سفيها إما لكون ركوب متن الباطل سفها وإما لأنه لو لم يكن سفيها لم يركبه يقال وسطت القوم أسطهم سطة أي توسطتهم وفلان وسيط في قومه إذا كان أوسطهم نسبا وأرفعهم محلا (قوله فدعوهم) أي دعوا المؤمنين مطلقا سفهاء تحقيرا لشأنهم ولا يشتبه عليك أن هذا وما قبله يجريان على تقديري كون اللام في السفهاء للجنس وللعهد الذي أشير به إلى الناس مرادا به الجنس على وجهيه أو المعهود الذي هو النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه وأما قوله أو أرادوا بالسفهاء عبد الله بن سلام وأشياعه فمختص بالعهد أعني بكون اللام في السفهاء مشارا بها إلى الناس المراد به هؤلاء فقط وإنما عطف بأو لأن معنى كلامه أنهم أرادوا بالسفهاء جميع المؤمنين ودعوهم بذلك لاعتقاد لأحد الوجهين أو أرادوا به بعضهم ودعوهم بذلك تجلدا وتوقيا مع علمهم أنهم من السفه بمعزل (قوله فت في أعضاده) أي كسر قوته وفرق عنه أعوانه والسخافة الرقة يقال

واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم

وما كان قاطعا بينهم من التغاور والتناحر لتحارب أو لتحازب فهو كالمحسوس المشاهد ولانه قد ذكر السفه وهو جهل فكان ذكر العلم معه أحسن طباقا له ❁ مساق هذه الآية بخلاف ما سيقت له أول قصة المنافقين فليس بتكرير لان تلك في بيان مذهبهم والترجمة عن نفاقهم وهذه في بيان ما كانوا يعملون عليه مع المؤمنين من التكذيب لهم والاستهزاء بهم ولقائهم بوجوه المصادقين وايهامهم أنهم معهم فاذا فارقوهم الى شطارهم صدقوهم ما في قلوبهم وروي أن عبد الله بن أبي وأصحابه خرجوا ذات يوم فاستقبلهم نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عبد الله انظروا كيف أرد هؤلاء السفهاء عنكم فأخذ بيد أبي بكر فقال مرحبا بالصديق سيد بني تيم وشيخ الاسلام وثاني رسول الله في الغار الباذل نفسه وماله لرسول الله ثم أخذ بيد عمر فقال مرحبا بسيد بني عدي الفاروق القوي في دين الله الباذل نفسه وماله لرسول الله ثم أخذ بيد علي فقال مرحبا بابن عم رسول الله وختنه سيد بني هاشم ما خلا رسول الله ثم افترقوا فقال لاصحابه كيف رأيتموني فعلت فأثنوا عليه خيرا فنزلت ❁ ويقال لقيته ولاقيته اذا استقبلته قريبا منه ومنه جاري ملاقي ومرافقي وقرأ أبو حنيفة واذا لاقوا ❁ وخلوت بفلان واليه اذا انفردت معه ويجوز أن يكون من خلا بمعنى مضى ومنه خلاك ذم أي عداك ومضى عنك ومنه القرون الخالية ومن خلوت به اذا سخرت منه وهو من قولك خلا فلان بعرض فلان يعبث به ومعناه واذا أنهوا السخرية بالمؤمنين الى شياطينهم وحدثوهم بها كما تقول أحمد اليك فلانا وأذمه اليك ❁ وشياطينهم الذين ماثلوا الشياطين في تمردهم وقد جعل سيبويه نون الشيطان في موضع من كتابه أصلية وفي آخر زائدة والدليل على أصالتها قولهم تشيطن واشتقاقه من شطن اذا بعد فانه بعيد من الصلاح والخير ومن شاط اذا بطل اذا جعلت نونه زائدة ومن أسمائه الباطل (انا معكم)

ثوب سخيف أي غير صفيق والحلم بالكسر الاناة والسفه ضده وأصله الحركة والخفة والتفصيل من الفاصلة كالتقفية من القافية وفصلت الآية كذا أي جعلت هذا فاصلتها (قوله وما كان قاطعا) هو عطف تفسيري على قوله حاملهم وليس مبتدأ خبره فهو كالمحسوس بل ما بعد هذه الفاء تتمة لما تقدم تغاور القوم أي أغار بعضهم على بعض وتناحروا في القتال أي تشاحوا فيه حرصا عليه وقوله ولانه عطف على لان أمر الديانة فهو معمول أي بتضمنه كأنه هو (قوله مساق هذه الآية) يريد انه اذا نظر الى جواب الشرطية الاولى أعني قالوا آمنا توهم ان هناك تكرارا واذا لوحظ تقييده بلقائهم المؤمنين وان الشرطية الثانية معطوفة على الاولى لا على ان كل منهما شرطية مستقلة كالشرطيتين السابقتين بل على انهما بمنزلة كلام واحد ظهر ان هذه الآية سيقت لبيان معاملتهم مع المؤمنين في أول دينهم كما ان صدر القصة مسوقة لبيان نفاقهم فاضمحل ذلك التوهم والتكذيب تكلف الكذب وقوله (فاذا فارقوهم) عطف على ما يؤول به المصادر المؤكدة أي من أن يكذبوهم واستهزؤا بهم ولاقوهم بوجوه المصادقين وأوهموهم انهم معهم فاذا فارقوهم والشاطر هو الذي أعيا أهله خبثا وصدقوهم ما في قلوبهم من صدقه الحديث وفي الامثال صدقني سن بكره (قوله يقال لقيته ولاقيته اذا استقبلته) حق العبارة وتقول على الخطاب فان الفعل المسند الى ضمير المتكلم اذا فسر بأي وجب ان يتطابق في الاسناد الى المتكلم لان الثاني تفسير الاول وجاز حينئذ في صدر الكلام تقول على لفظ الخطاب ويقال على البناء للمفعول واذا جيء بكلمة اذا في مقام التفسير لذلك الفعل كان صدر الكلام في موضع الجزاء فلواجب حينئذ ان يكون هو وما بعد اذا بصيغة الخطاب أي اذا استقبلته تقول لقيته ولا يستقيم اذا استقبلته يقال لقيته الا بتعسف وتقدير كون القائل بمعنى المخاطب وملاقي بتشديد الياء ومرافقي بعضهم أكثر وفيتي الى رواق بيته وهو ما بين يدي البيت (قوله ومعناه اذا أنهوا السخرية) أشار الى أن استعمال خلا بهذا المعنى مع الى بناء على تضمين معنى الانهاء كما في أحمده وأذمه اليك أي أنهي حمده وذمه وهذا بيان لحاصل المعنى واما تقدير الكلام فهو هكذا واذا خلوا أي مضوا منهين اليهم وأحمده وأذمه منهيا اليك وقد فصل المصنف فيما سلف (والتمرد) العتو

إنا مصاحبوكم وموافقوكم على دينكم (فإن قلت) لم كانت مخاطبتهم المؤمنين بالجملة الفعلية وشياطينهم بالاسمية محققة بإن (قلت) ليس ما خاطبوا به المؤمنين جديرا بأقوى الكلامين وأوكدهما لأنهم في ادعاء حدوث الإيمان منهم ونشئه من قبلهم لا في ادعاء أنهم أوحديون في الإيمان غير مشقوق فيه غبارهم وذلك إما لأن أنفسهم لا تساعدهم عليه إذ ليس لهم من عقائدهم باعث ومحرك وهكذا كل قول لم يصدر عن أريحية وصدق رغبة واعتقاد وإما لأنه لا يروج عنهم لو قالوه على لفظ التوكيد والمبالغة وكيف يقولونه ويطمعون في رواجه وهم بين ظهراني المهاجرين والأنصار الذين مثلهم في التوراة والإنجيل ألا ترى إلى حكاية الله قول المؤمنين ربنا آمنا وأما مخاطبة إخوانهم فهم فيما أخبروا به عن أنفسهم من الثبات على اليهودية والقرار على اعتقاد الكفر والبعد من أن يزلوا عنه على صدق رغبة ووفور نشاط وارتياح للتكلم به وما قالوه من ذلك فهو رائج عنهم متقبل منهم فكان مظنة للتحقيق ومئنة للتوكيد (فإن قلت) أنى تعلق قوله (إنما نحن مستهزئون) بقوله إنا معكم (قلت) هو توكيد له لأن قوله إنا معكم معناه الثبات على اليهودية وقوله إنما نحن مستهزئون رد للإسلام ودفع له منهم لأن المستهزئ بالشيء المستخف به منكر له ودافع لكونه معتدا به ودفع نقيض الشيء تأكيد لثباته

والاعتداد به فقوله من جهة أبطل نوع قوة في الاشتقاق الثاني (قوله لم كانت مخاطبتهم) يعني أنهم لما خاطبوا المؤمنين المنكرين لإيمانهم بجملة اسمية مؤكدة والقياس عكس ذلك (قوله ليس جديرا بأقوى الكلامين وأوكدهما) فيه أن معناه ليس جديرا بالكلام القوي والتوكيد فضلا عن الأوكد والأقوى وأريد بهما القوي المؤكد بأن تشهد به قوله فكان مظنة للتحقيق ومئنة للتوكيد ومحصول ما أجاب به أنهم اختاروا في الخطاب الأول الفعلية لأنهم قصدوا الإخبار بحدوث الإيمان منهم وتركوا التأكيد لعدم الباعث عليه من بواطنهم ولعدم رواجه عنهم ولم يختاروا فيه الجملة الاسمية المؤكدة نحو إنا مؤمنون ولا غيرها من الكلام (ادعاء أنهم أوحديون في الإيمان غير مشقوق فيه غبارهم) أي هم سابقون في الإيمان مستمرون عليه حقيقة فلا ينبغي أن يشك فيه فإنهم لا يدعون ذلك (إما لأن أنفسهم لا تساعدهم عليه وإما لأنه لا يروج عنهم) على لفظ التأكيد إذ نعني بما مع إيراد الكلام جملة اسمية يقال جملة أريحية والارتياح للندى أي مال إليه وأحبه وأقام فلان بين أظهر قومه (وظهرانيهم) أي بينهم وفائدة إقحام الأظهر الدلالة على أن إقامته فيهم على سبيل الاستظهار بهم واستظهرانيهم ففيه زيادة الألف والنون في ظهر عند التثنية مبالغة كما زيدتا في النسبة كنفساني الرحل الغيور وربابي ورقباني وكان معنى التثنية أن ظهرا منهم قدامه وآخر وراءه فهو مكنوف من جانبيه هذا أصله ثم استعمل في الإقامة بين القوم مطلقا وإن لم يكن مكنوفا (قوله ألا ترى إلى حكاية الله تعالى) يريد أن التأكيد في قولهم ربنا آمنا بكلمة إن وإيراد الجملة الاسمية المفيدة للتقوي إنما كان لصدق رغبتهم فيه وكونه رائجا متقبلا منهم (وأما مخاطبة إخوانهم) هو مبتدأ خبره جملة فهم على صدق رغبة والعائد محذوف أي فهم فيما أخبروا به فيها وهذا الظرف أعني فيما أخبروا إن تعلق بالظرف الذي هو قوله على صدق فقد تقدم معمول الظرف عليه وإن كان متعلقا بصدق رغبة وجب أن يقدر مثله سابقا أي فهم على صدق رغبة فيما أخبروا فيكون المذكور دالا على المقدر وما قالوه من ذلك أي من الثبات والقرار والبعد فكان أي ما قالوه أو ما أخبروا به إخوانهم أو مخاطبتهم إياهم على تأويل خطابهم (مظنة للشيء) موضعه ومأمنه الذي يظن كونه فيه ومئنته موضعه الذي يتحقق وجوده فيه مفعلة مشتقة من لفظة إن بعد ما جعلت اسما وتضمنت حروفها تنبيها على اشتمالها على معناها كأنه قيل محققة لأن تستعمل فيه إن وقد اتضح بما تقرر أن عدم التأكيد في الكلام قد يكون لعدم اعتناء المتكلم بشدة اعتقاده أو لعدم رواجه عند السامع وأن تأكيده قد يكون لاعتنائه بشأنه أو لقبوله ورواجه عند مخاطبه (قوله هو تأكيد) لا شبهة

إنما نحن مستهزئون

* قوله تعالى وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا الآية (قال محمود رحمه الله إن قلت لم كانت مخاطبتهم المؤمنين بالجملة الفعلية الخ) قال أحمد رحمه الله وبنى هذا التقرير على أن الجملة الاسمية أثبت من الفعلية خصوصا مؤكدة بأن مردفة بإنما على أنه قد حكى عن المؤمنين الخطاب بالجملة الفعلية بصاق قوله ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول وعلى الجملة فلقد أحسن الزمخشري رحمه الله في تقريره ما شاء وأجل ما أراد

أو بدل منه لأن من حقر الاسلام فقد عظم الكفر أو استئناف كأنهم اعترضوا عليهم حين قالوا لهم انا معكم فقالوا لهم ان صح أنكم معنا فلم توافقون أهل الاسلام فقالوا انما نحن مستهزءون * والاستهزاء السخرية والاستخفاف وأصل الباب الخفة من الهزء وهو القتل السريع وهزأ يهزأ مات على المكان عن بعض العرب مشيت فلغبت فظننت لأهزأن على مكاني وناقته تهزأ به أي تسرع وتخف (فان قلت) لا يجوز الاستهزاء على الله تعالى لانه متعال عن القبيح والسخرية من باب العيب والجهل ألا ترى الى قوله قالوا أتتخذنا هزوا قال أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين فما معنى استهزائه بهم (قلت) معناه انزال الهوان والحقارة بهم لان المستهزئ غرضه الذي يرميه هو طلب الخفة والزراية ممن يهزأ به وادخال الهوان والحقارة عليه والاشتقاق كما ذكرنا شاهد لذلك وقد كثر التهكم في كلام الله تعالى بالكفرة والمراد به تحقير شأنهم وازدراء أمرهم والدلالة على أن مذاهبهم حقيقة بأن يسخر منها الساخرون ويضحك منها الضاحكون ويجوز أن يراد به ما مر في يخادعون من أنه يجري عليهم أحكام المسلمين في الظاهر وهو مبطن بادخار ما يراد بهم وقيل سمي جزاء الاستهزاء باسمه كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه (فان قلت) كيف ابتدئ قوله الله يستهزئ بهم ولم يعطف على الكلام قبله (قلت) هو استئناف في غاية الجزالة والفخامة

في أن معنى قولهم انا معكم هو الثبات على اليهودية وبين انما نحن مستهزءون فظاهره تقرير وتأكيد لهذا المعنى فاعتبر معه لازمه أعني كونه ردا ونفيا للاسلام ويكون مقرر الثبات عليه لان رفع نقيض الشيء تأكيد لثباته وقد عكس صاحب المفتاح فاعتبر لازم الاول حيث قال معنى انا معكم أي قلوبنا معكم وانا نوهم أصحاب محمد الايمان فيكون الاستخفاف بهم وبدينهم تأكيدا لذلك اللازم وما ذكره المصنف أولى كما لا يخفى (قوله أو بدل) بناء على أنهم قصدوا تعظيمهم في بيان أن في الكلام الاول نوع قصور في افادته اذ كانوا في الظاهر يوافقون المؤمنين في بعض الامور فاستأنفوا القصد الى ذلك بأنهم يعظمون كفرهم بتحقير الاسلام وأهله فهم أرسخ قدما فيه من شياطينهم والحمل على الاستئناف أوجه لكثرة الفائدة وقوة تحرك السؤال وهذه الوجوه الثلاثة مسوغة لترك العاطف بين جملتي كلامهم وأما تركه في حكايته فللموافقة فيما هو بمنزلة كلام واحد (قوله والاستهزاء) السخرية والاستخفاف بمعنى (قوله معناه انزال الهوان والحقارة بهم) فيكون من قبيل المجاز المرسل لعلاقة السببية في التصور والمسببية في الوجود والعلاقة المخصوصة بهذا الاشتقاق التنبيه على أن مذاهبهم حقيق أن يسخر منه ويسخر بهم لاجله وفي قوله غرضه الذي يرميه أي يقصده لطيفة لان غرض المستهزئ هو الخفة لا الطعام أو اللباس (عن يهزأ) تتعلق بمعنى الالصاق المفهوم من الكلام اذ المستعمل زرى عليه أي عيب عليه وأزرى به أي تهاون به وازدراه أي حقره قال أبو عمرو الزاري على الانسان من لا يعده شيئا وينكر عليه فعله (قوله وقد كثر التهكم) أي قد كثر في كلام الله تعالى التهكم بالكفرة وكما أريد به تحقير شأنهم والدلالة على جدارة مذاهبهم بالسخرية والضحك لا حقيقة التهكم كذلك أطلق ههنا لفظ الاستهزاء وأريد به ذلك المعنى وتلك الدلالة لا حقيقة الاستهزاء (قوله أن يراد به ما مر في يخادعون الله) فيكون حينئذ استعارة مبنية على المشابهة في الصورة (وهو) أي الظاهر أو الاجراء (مبطن) من بطنت الثوب جعلت له بطانة (قوله وقيل سمي جزاء الاستهزاء باسمه) وذلك لما بين الفعل وجزائه من ملابسة قوية ونوع سببية مع وجود المشاكلة المحسنة ههنا (قوله هو استئناف في غاية الجزالة) أي ليس ترك العطف فيه لدفع توهم كونه معطوفا على انا معكم فيندرج في مقول المنافقين أو على قالوا فيتقيد بالظرف يعني اذا خلوا بل هو لكونه استئنافا وانما كان في غاية الجزالة والفخامة لدلالته على أنهم بلغوا في استهزائهم مبالغة تامة ظهر بها شناعة ما ارتكبوه وتعاظم على الاسماع على وجه يحرك السامع أن يقول هؤلاء الذين هذا شأنهم ما مصير أمرهم وعقبى حالهم وكيف معاملة الله تعالى والمؤمنين اياهم ثم ان هذا الاستئناف لم يصدر الا بذكر الله تعالى وحده له نكتتان الاولى

الله يستهزئ بهم

* قوله تعالى انما نحن مستهزءون الآية (قال محمود رحمه الله ان قلت كيف ابتدئ قوله الله يستهزئ بهم ولم يعطف الخ) قال أحمد رحمه الله ان قال قائل أفلا يستفاد هذا المعنى من العطف قيل له لو عطف لأشعر بأن الغرض كل الغرض اجتماع مضمون الجملتين واعراض عن هذا المعنى الذي ينفرد به الاستئناف

وفيه أن الله عز وجل هو الذي يستهزئ بهم الاستهزاء الأبلغ الذي ليس استهزاؤهم إليه باستهزاء ولا يؤبه له في مقابلته لما ينزل بهم من النكال ويحل بهم من الهوان والذل وفيه أن الله هو الذي يتولى الاستهزاء بهم انتقاما للمؤمنين ولا يحوج المؤمنين أن يعارضوهم باستهزاء مثله (فإن قلت) فهلا قيل الله مستهزئ بهم ليكون مطابقا لقوله إنما نحن مستهزؤن (قلت) لأن يستهزئ يفيد حدوث الاستهزاء وتجدده وقتا بعد وقت وهكذا كانت نكايات الله فيهم وبلاياه النازلة بهم أولا يرون أنهم يفتنون في كل عام مرة أو مرتين وما كانوا يخلون في أكثر أوقاتهم من تهتك أستار وتكشف أسرار ونزول في شأنهم واستشعار حذر من أن ينزل فيهم يحذر المنافقون أن تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم قل استهزؤا إن الله مخرج ما تحذرون (ويمدهم في طغيانهم) من مد الجيش وأمده إذا زاده وألحق به ما يقويه ويكثره وكذلك مد الدواة وأمدها زادها ما يصلحها ومددت السراج والأرض إذا استصلحتهما بالزيت والسماد ومده الشيطان في الغي وأمده إذا واصله بالوساوس حتى يتلاحق غيه ويزداد انهماكا فيه (فإن قلت) لم زعمت أنه من المدد دون المد في العمر والإملاء والإمهال (قلت) كفاك دليلا على أنه من المدد دون المد قراءة ابن كثير وابن محيصن ويمدهم وقراءة نافع وإخوانهم يمدونهم على أن الذي بمعنى أمهله إنما هو مد له مع اللام كأملى له (فإن قلت) فكيف جاز أن يوليهم الله مددا في الطغيان وهو فعل الشياطين ألا ترى إلى قوله تعالى وإخوانهم يمدونهم في الغي (قلت) إما أن يحمل على أنهم لما منعهم الله ألطافه التي يمنحها المؤمنين وخذلهم بسبب كفرهم وإصرارهم عليه بقيت قلوبهم يتزايد الرين والظلمة فيها تزايد الانشراح والنور في قلوب المؤمنين فسمى ذلك التزايد مددا وأسند إلى الله سبحانه لأنه مسبب عن فعله بهم بسبب كفرهم وإما على منع القسر والإلجاء وإما على أن يسند فعل الشيطان إلى الله لأنه بتمكينه وإقداره والتخلية بينه وبين إغواء عباده (فإن قلت) فما حملهم على تفسير

للتنبيه على أن الاستهزاء بالمنافقين هو الاستهزاء الأبلغ الذي لا يعتد معه باستهزائهم وذلك لصدوره عمن يضمحل علمهم وقدرتهم في جنب علمه وقدرته وله نسبة لدلالة على أنه تعالى يكفي مؤنة عباده المؤمنين وينتقم لهم ولا يحوجهم إلى معارضة المنافقين بمثل استهزائهم وفي هاتين الفائدتين زيادة تأييد لجزالة الاستئناف وفخامته والضمير في قوله (وفيه) في الموضعين راجع إلى قوله تعالى الله يستهزئ بهم وإنما أورد صيغة الحصر في تقرير أبلغية الاستهزاء مع أنه لا حاجة إليه تنبيها على ما هو مدلول الكلام فإن بناء الفعل على المبتدأ ربما يدل عنده على الاختصاص كما صرح به في مواضع من هذا الكتاب (قوله ليس استهزاؤهم إليه) أي مع كونه منسوبا إليه (لما ينزل بهم) متعلق بيستهزئ في قوله هو الذي يستهزئ وقوله (من النكال ويحل بهم من الهوان والذل) إشارة إلى معنى الاستهزاء الثالث والأول ودل بقوله (ولا يحوج المؤمنين) على أن الحصر بالقياس إليهم أي هو المستهزئ دون المؤمنين ﴿فإن قيل﴾ الاستهزاء بمعنى السخرية لا يتصور منه تعالى وبمعنى إنزال الهوان أي إنزال النكال والذل لا يتصور من المؤمنين فكيف يتصور الحصر الذي ذكرتموه ﴿قلنا أقول﴾ معنى هذا الحصر أنه تعالى يتولى الاستهزاء بالمعنى الذي يليق به ولا يتولاه المؤمنون بالمعنى الذي يليق بهم ويعني استهزاء المنافقين في شأنه أولا ما أريد بالاستهزاء وقوله آخرا (أن يعارضوهم باستهزاء مثله) أي في كونه سخرية وهذا تصريح بما ذكرناه على أنه إذا أريد بالاستهزاء الجزاء أمكن صدوره عنهما فيكون المعنى هو الذي يتولى جزاء استهزائهم دون المؤمنين ولا إشكال حينئذ (قوله يفيد حدوث الاستهزاء) أما إفادته الحدوث والتجدد فلكونه فعلا وأما كون ذلك وقتا بعد وقت فلأن المضارع لما كان دالا على الزمان المستقبل الذي ينقلب حالا شيئا فشيئا على الاستمرار ناسب أن يقصد به إذا وقع موقع غيره أن معنى مصدره المقارن لذلك الزمان يحدث على منواله مستمرا استمرارا تجدديا لا ثبوتيا كما في الجملة الاسمية (استشعر) فلان خوفا إذا أضمره وفاعل أن ينزل مستتر أي ينزل فيهم شيء مما يفضحهم (قوله كفاك دليلا) يريد أن القراءة بضم الياء منهما وفي

ويمدهم في طغيانهم يعمهون

(قال محمود رحمه الله فإن قلت فهلا قيل الله مستهزئ بهم الخ) قال أحمد رحمه الله ولهذا الفرق بين الفعل والاسم ورد قوله تعالى إنا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشي والإشراق والطير محشورة لما كان التسبيح من الطوائف متكررا متجددا شيئا فشيئا وحشر الطير معه أمر دائم ذكر التسبيح بصيغة الفعل والحشر بصيغة الاسم وسيأتي إن شاء الله تعالى مزيد تقرير فيه قوله تعالى ويمدهم في طغيانهم يعمهون (قال محمود رحمه الله إن قلت كيف جاز أن يوليهم الله مددا من الطغيان الخ) قال أحمد رحمه الله ما منعه أن يقره على ظاهره ويبقيه في نصابه إلا أنه توحيد محض وحق صرف والقدرية من التوحيد على مراحل

المد فى الطغيان بالامهال وموضوع اللغة كما ذكرت لا يطاوع عليه (قلت) استجرهم الى ذلك خوف الاقدام على أن يسندوا الى الله ما أسندوا الى الشياطين ولكن المعنى الصحيح ما طابقه اللفظ وشهد لصحته والا كان منه بمنزلة الاروى من النعام ومن حق مفسر كتاب الله الباهر وكلامه المعجز أن يتعاهد فى مذاهبه بقاء النظم على حسنه والبلاغة على كمالها وما وقع به التحدى سليما من القادح فاذا لم يتعاهد أوضاع اللغة فهو من تعاهد النظم والبلاغة على مراحل ويعضد ما قلناه قول الحسن فى تفسيره فى ضلالتهم يتمادون وان هؤلاء من أهل الطبع • والطغيان الغلو فى الكفر ومجاوزة الحد فى العتو وقرأ زيد بن على رضى الله عنه فى طغيانهم بالكسر وهما لغتان كلقيان ولقيان وغنيان وغنيان (فان قلت) أى نكتة فى اضافته اليهم (قلت) فيها أن الطغيان والتمادى فى الضلالة مما اقترفته أنفسهم واجترحته أيديهم وأن الله برىء منه ردا لاعتقاد الكفرة القائلين لو شاء الله ما أشركنا ونفيا لوهم من عسى يتوهم عند اسناد المد الى ذاته لو لم يضف الطغيان اليهم أن الطغيان فعله فلما أسند المد اليه على الطريق الذى ذكر أضاف الطغيان اليهم ليميط الشبهة ويقلعها

نظيره دليل واضح على ان المفتوح الياء من المدد اذلم يستعمل أمد من المد على ان المأخوذ من المد بمعنى الامهال فى العمر لم يستعمل بالام وحمله على الحذف والايصال مخالف للاصل فلا يرتكب الا بدليل (قوله فكيف جاز) يعنى ان امداد المد فى الطغيان من الافعال القبيحة التى تسند الى الشياطين فلا يجوز اسناده الى الله تعالى وأجاب أولا بانهم لما أصروا على كفرهم خذلهم الله تعالى ومنعهم ألطافه فتزايد الرين أى الدنس فى قلوبهم فسمى ذلك التزايد أى ما يزداد من الرين مددا فى الطغيان وأسند ذلك الى الله تعالى فى المسند مجاز لغوى وفى الاسناد مجاز عقلى لانه اسناد الفعل الى المسبب له وفاعله فى الحقيقة هم الكفرة وثانيا بانه أريد المد فى الطغيان ترك القسر والالجاء الى الايمان على ما سبق تقريره وهو فعل الله تعالى فاسناده حقيقة وان كان المسند مجازا وثالثا بان المراد منه معناه الحقيقى وهو فعل الشيطان لكن أسند اليه تعالى مجازا على مذهبه لانه بتمكينه واقداره وقد يتوهم ان ايقاع المد عليهم تجوز لازم على كل مذهب لان حقيقته أن يوقع على الطغيان ونحوه مما يقع الزيادة فيه ويدفع بان المفهوم من مددت الجيش زدتهم ومدهم فى الطغيان واحد (قوله والا كان) أى وان لم يطابق اللفظ المعنى ولم يشهد بصحته كان المعنى أى نسبته (منه) أى من اللفظ (بمنزلة نسبة الاروى) وهو اسم جنس الاروية أعنى الانثى من الوعل ولا تسكن الا الجبل (من النعام) الذى لا يسكن الا السهل وهما مثل لغاية التباعد والتنافى كالضب والنون (تعاهد) التى تحفظ به وتعهد افصح منه (قوله وما وقع) أى وبقاء ما وقع به التحدى وسليما حال من الموصول وقوله (من تعاهد النظم) متعلق بمعنى البعد المستفاد من قوله على مراحل (قوله ويعضد ما قلناه) من أن يمدهم من المدد دون المد (قول الحسن) لان التمادى فى الضلالة يناسب تزايد الرين والظلمة لا امتداد العمر والامهال (وأن هؤلاء) بفتح الهمزة معطوف على قول الحسن أى ويعضده هذا أيضا لان الطبع على القلوب يناسب ذلك التزايد لا طول العمر وكسر الهمزة على انه من تتمة قوله وهم والقيان هو اللقاء والغنيان هو الغناء يقال غنيت المرأة بزوجها غنيانا أى استغنت به وقيل هو مصدر قولك غنى بالمكان اذا أقام (قوله فيها) أى فى اضافة الطغيان اليهم لم يرد بما ذكره ان هذه الاضافة تدل بالوضع على ان الطغيان بايجاد العبد لا بايجاد الله تعالى وارادته ليرد عليه ان الامور المخلوقة لله تعالى على مذهبنا اذا قامت بالعباد كالحسن والقبح والبياض والسواد يصح اضافتها اليهم اضافة حقيقية لا مجازية لادنى ملابسة ولا دلالة لاضافة الطغيان اليهم على ايجادهم اياه بل ارادته كما ينبئك عليه قوله أى نكتة فى اضافته اليهم ان فى هذه الاضافة اشارة لطيفة الى ان الطغيان والتمادى فى الضلالة من الافعال التى اكتسبوها باختيارهم البتة لا لا وان الله تعالى برىء منه فيس يتعلق به لا خلقا

(قال محمود رحمه الله فان قلت ما النكتة فى اضافة الطغيان اليهم الخ) قال أحمد رحمه الله كل فعل صدر من العبد اختيارا فله اعتباران ان نظرت الى وجوده وحدوثه وما هو عليه من وجوه التخصيص فانسب ذلك الى قدرة الله وحده وارادته لا شريك له وان نظرت الى تميزه عن القسر الضرورى فانسبه فى هذه الجهة الى العبد وهى النسبة المعبر عنها شرعا بالكسب فى أمثال قوله تعالى بما كسبت أيديكم وهى المحققة أيضا اذا عرضت على ذهنك الحركتين الضرورية الرعشية مثلا والاختيارية فانك تميز بينهما لا محالة بتلك النسبة فاذا تقرر تعدد الاعتبار فلهم فى الطغيان مخلوق لله تعالى فاضافه اليه ومن حيث كونه واقعا منهم على وجه الاختيار المعبر عنه بالكسب أضافه اليهم فتفرع على أصول السنة بحسن ثمار فروعها فى الجنة لا كما تفرع القدرية فانهم يغمسون ولكن على أنفسهم ألهمنا الله التحقيق وأيدنا بالتوفيق

ويدفع في صدر من يلحد في صفاته ومصداق ذلك أنه حين أسنده إلى الشياطين أطلق الغي ولم يقيده بالإضافة في قوله وإخوانهم يمدونهم في الغي * والعمه مثل العمى إلا أن العمى عام في البصر والرأي والعمه في الرأي خاصة وهو التحير والتردد لا يدري أين يتوجه ومنه قوله بالجاهلين العمه أي الذين لا رأي لهم ولا دراية بالطرق وسلك أرضا عمهاء لا منار بها * ومعنى اشتراء الضلالة بالهدى اختيارها عليه واستبدالها به على سبيل الاستعارة لأن الاشتراء فيه إعطاء بدل وأخذ آخر ومنه

أخذت بالجمة رأسا أزعرا * وبالثنايا الواضحات الدردرا
وبالطويل العمر عمرا جيدرا * كما اشترى المسلم إذ تنصرا

وعن وهب قال الله عز وجل فيما يعيب به بني إسرائيل تفقهون لغير الدين وتعلمون لغير العمل وتبتاعون الدنيا بعمل الآخرة (فإن قلت) كيف اشتروا الضلالة بالهدى وما كانوا على هدى (قلت) جعلوا لتمكنهم منه وإعراضه لهم كأنه في أيديهم فإذا تركوه إلى الضلالة فقد عطلوه واستبدلوها به ولأن الدين القيم هو فطرة الله التي فطر الناس عليها فكل من ضل فهو مستبدل خلاف الفطرة والضلالة الجور عن القصد وفقد الاهتداء يقال ضل منزله وضل دريص نفقه فاستعير للذهاب عن الصواب في الدين * والربح الفضل على رأس المال ولذلك سمي الشف من قولك أشف بعض ولده على بعض إذا فضله ولهذا على هذا شف * والتجارة صناعة التاجر وهو الذي يبيع ويشتري للربح وناقة تاجرة كأنها من حسنها وسمنها تبيع نفسها وقرأ ابن أبي عبلة تجاراتهم

ولا إرادة لجعله أن يضاف إليهم لا ليشعر بإسناده الاختصاص لا بالاختصاص باعتبار المحلية والاتصاف فإنه معلوم من غير ذكرهم في الطغيان ولا حاجة فيه إلى الإضافة فلولا حملها على قصد ذلك الإشعار لخلت عن الفائدة ومثل ذلك معتبر في الإشارات الخطابية عند أرباب البلاغة وقوله رد مفعول له لمعنى الكلام أي أضيف الطغيان إليهم ليمد كذا ردا أو دفعا (قوله من يلحد في صفاته) أي يميل عن الحق ويزعم أنه تعالى مريد للكفر والمعاصي وموجد لها ثم يعاقب عليها (والجواب) أن أمثال هذه الخطابيات لا تعارض البراهين الدالة على أنه تعالى لا خالق سواه وأنه لا يقع إلا ما أراده الله تعالى وأول البيت
* ومهمه أطرافه في مهمه * أي رب مفازة لا تنتهي سعة بل أطرافها من جوانبها في مفازة أخرى أعمى الهدى أي خفي المنار بالقياس إلى من لا دراية له بالمسالك جعل خفاء العلم عمى له بطريق الاستعارة وقيل أعمى صفة من عمي عليه الأمر التبس أي ملتبس الهداية إلى طرقها على من يجول ويتحير فيها وقيل يقال أعمى فلان مضى أي أخفى طرق الاهتداء (والعمه) جمع عامه (قوله ومعنى اشتروا الضلالة بالهدى) قيل إن قوله أولئك الذين اشتروا الضلالة الآية تعليل لاستحقاقهم الاستهزاء الأبلغ والمد في الطغيان على سبيل الاستئناف أو جملة مقررة لقوله ويمدهم في طغيانهم يعمهون (الجمة) مجتمع شعر الرأس (والأزعر) القليل الشعر (والدردر) مغارز أسنان الصبي قبل والمراد بها أصول الأسنان التي تناثرت رؤسها (والعمر) عطف بيان (للطويل) الذي هو صفة له في المعنى (الجيدر) القصير والمراد بالمسلم الذي اشترى النصرانية بالإسلام جبلة بن الأيهم من ملوك غسان فإنه وفد بمكة على عمر رضي الله عنه وأسلم ثم إنه ارتد ولحق بقيصر وتنصر وقصته مشهورة في العرب (قوله وإعراضه) أي عرض الهدى لهم من أعرضك الصيد إذا أمكنك من عرضه أي جانبه والجواب الأول أنهم لما كانوا متمكنين منه تمكنا تاما بعد التكليف به وتيسير أسبابه استعير ثبوته لتمكنهم وأما الحمل على جعل الهدى مجازا عن تمكنه فهما بأنه ظاهر كلامه والجواب الثاني أن المراد بهدى الفطرة التي جبلوا عليها وقد كانوا على هذا الهدى بلا شبهة ثم استبدلوا به الضلالة فلا تجوز في ثبوت الهدى لهم بل في لفظة الهدى إن لم تكن الفطرة مندرجة في حقيقته (والدرص) بالكسر ولد الفأر واليربوع ونظائرهما (ونفقه) أي جحره وهو مثل يضرب لمن

أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى

* قوله تعالى أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى (قال محمود رحمه الله الشراء يستدعي بذل العوض الخ) قال أحمد رحمه الله ومن هذا القبيل منع مالك رضي الله عنه أن يشتري الرجل إحدى أوزتين مذبوحتين يختار المشتري منهما لأنه يعد مختارا لكل واحدة منهما ثم بائعا لها بالأخرى فيدخله الربا وهو الذي يعبر عنه متأخرو أصحابه بأن من ملك أن يملك هل يعد مالكا أولا وعبروا عنه من خير بين شيئين يعد منتقلا على أحد القولين

(فان قلت) كيف أسند الخسران الى التجارة وهو لاصحابها (قلت) هو من الاسناد المجازى وهو أن يسند الفعل الى شئ يتلبس بالذى هو فى الحقيقة له كما تلبست التجارة بالمشترين (فان قلت) هل يصح ربح عبدك وخسرت جاريتك على الاسناد المجازى (قلت) نعم اذا دلت الحال وكذلك الشرط فى صحة رأيت أسدا وأنت تريد المقدام ان لم تقم حال دالة لم يصح (فان قلت) هب أن شراء الضلالة بالهدى وقع مجازا فى معنى الاستبدال فما معنى ذكر الربح والتجارة كأن ثم مبايعة على الحقيقة (قلت) هذا من الصنعة البديعة التى تبلغ بالمجاز الذروة العليا وهو أن تساق كلمة مساق المجاز ثم تقفى باشكال لها وأخوات اذا تلاحقن لم تر كلاما أحسن منه ديباجة وأكثر ماء ورونقا وهو المجاز المرشح

تسمى الحجة عند المناظرة وقد مر أن الشف من الاضداد ويطلق على الزيادة والنقصان (قوله كيف أسند الخسران) قيل حقه أن يقول كيف أسند الربح وذلك لان النفى لا مدخل له فى الاسناد العقلى فالفعل اذا أسند الى غير فاعله لملابسة بينهما كالنوم الى الليل كان مجازا عقليا سواء كان الاسناد مثبتا أو منفيا فقولك نام ليلى أو ما نام ليلى كلاهما مجاز لان النوم قد أسند فيهما الى غير ما هو له اما بطريق الاثبات واما بطريق النفى وليس ذلك لان نسبة الفعل قد تكون ثبوتية وقد تكون سلبية وكل واحد منهما تعتبر فى نفسها ألا ترى أنك اذا قلت ما ربحت التجارة بل التاجر لم يكن هناك مجاز أصلا فعلى هذا حقه أن يقول كيف أسند عدم الربح الى التجارة الا أنه عدل عنه تنبيها على أن عدم الربح ههنا جعل كناية عن الخسران وان كان أعم منه ثم أسند وأشار بذلك الى أنه لو اقتصر ههنا على انتفاء الربح لكان مسوقا الى محض الحقيقة والاخبار (وأما) اذا كنى به عن الخسران وأسند الى التجارة كان مجازا وفائدة الكناية التصريح بانتفاء مقصود التجارة وهو الربح مع حصول ضده الخسران بخلاف ما لو قيل خسرت تجارتهم وكذا الحال فيما اذا قلت ما صام نهاره بمعنى أفطر وما نام ليله بمعنى سهر فانه يكون من قبيل المجاز وان قصدت نفى الصوم عن النهار والنوم عن الليل فقط كما فى قولك ما صام النهار وما نام الليل لم يكن منه قصد والضابط أن الفعل اذا نفى عن غير فاعله وقصد مجرد نفيه عنه كان حقيقة واذا أول ذلك النفى بفعل آخر ثابت للفاعل دونه كان مجازا فتدبر والله الموفق (قوله وهو أن يسند الفعل) هذا التفسير للاسناد المجازى بما هو أعم مما سبق اذ قد اشترط المصنف هناك مضاهاة الفاعل المجازى للفاعل الحقيقى فى ملابسة الفعل واقتصر ههنا على تلبسه به مطلقا ولك أن تحمله على التقييد اعتمادا على ما سلف وقول التجارة سبب يفضى الى كل واحد من الربح والخسران فالاولى اجراؤه على ظاهره فان التلبس بالذى هو له فى الحقيقة مصحح للاسناد كما فى قولهم قال الملك كذا ورسم كذا وانما القائل والراسم بعض خاصته على ما مر (قوله نعم اذا دلت الحال) أى اذا قامت القرينة على اعتبار أن المال جاز أن يسند اليهما اسنادا مجازيا ولا يجوز بدونها فان الشرط فى المجاز لغويا كان أو عقليا قيام القرينة لا وجود السماع فى افراده وفيه رد على ابن عيسى الربعى حيث حكم بعدم صحتهما لوقوع الالتباس بالاسناد الحقيقى وفى قوله (هب) اشارة الى نوع استبعاد فى حمل الاشتراء على الاستبدال المذكور بواسطة ما قارنه من ذكر الربح والتجارة (قوله من الصنعة البديعة) أى الغريبة المستحسنة (وهى) أى تلك الصنعة (والديباجتان) الخدان (ورونق) السيف ماؤه وحسنه ومنه رونق الضحى (والترشيح) أن ترشح الام ولدها باللبن القليل تجعله فى فيه شيئا بعد شئ حتى يقوى على المص يقال فلان ترشح للوزارة أى تربى وتأهل لها وقيل أصله ترشيح الظبية ولدها وهو أن تعوده المشى ورشح الغزال اذا مشى وراء أمه وراشح وترشيح المجاز فى الاصطلاح أن تقرنه بصفة أو تفريع كلام يلائم معناه الحقيقى وهو فى الاستعارة كثير وقد يوجد فى المجاز المرسل كما يقال لفلان يد طولى أى قدرة كاملة ثم ان ترشيح الاستعارة انما يتصور بعد تمامها بقرينتها ولا شبهة أن التخييل فى المكنية قرينة لها فلا يكون ترشيحا مع كونه ملائما للمستعار منه بل ما زاد عليه من ملائماته يعد ترشيحا

(قال محمود رحمه الله فان قلت هب ان شراء الضلالة بالهدى الخ) قال أحمد رحمه الله وهذا النوع قريب من التتميم الذى يشمله أهل صناعة البديع بقول الخنساء
وان صخرا لتأتم الهداة به ٭ كأنه علم فى رأسه نار
لما شبهته فى الاهتداء به بالعلم المرتفع اتبعت ذلك ما يناسبه ويحققه فلم تقنع بظهور الارتفاع حتى أضافت الى ذلك ظهورا آخر باشتعال النار فى رأسه

وذلك نحو قول بعض العرب في البليد كأن أذني قلبه خطلاوان جعلوه كالحمار ثم رشحوا ذلك روما لتحقيق البلادة فادعوا لقلبه أذنين وادعوا لهما الخطل ليمثلوا البلادة تمثيلا يلحقها بالبلادة الجسمية مشاهدة ومعاينة ونحوه

ولما رأيت النسر عز ابن داية ۞ وعشش في وكريه جاش له صدري

لما شبه الشيب بالنسر والشعر الفاحم بالغراب أتمه بذكر التعشيش والوكر ونحوه قول بعض فتاكهم في أمه

فما أم الردين وإن أدلت ۞ بعالمة بأخلاق الكرام

إذا الشيطان قصع في قفاها ۞ تنفقناه بالحبل التوام

أي إذا دخل الشيطان في قفاها استخرجناه من نافقائه بالحبل المثنى المحكم يريد إذا حردت وأساءت الخلق اجتهدنا في إزالة غضبها وإماطة ما يسوء من خلقها استعار التقصيع أولا ثم ضم إليه التنفق ثم الحبل التوام

(قوله وذلك نحو قول بعض العرب) دل بهذا الكلام صريحا على أن مدار الترشيح على ما هو في هذه العبارة ولا حاجة إلى أن يقال رأيت حمارا كأن أذني قلبه خطلاوان فيجعل الحمار استعارة وإثبات الأذن والخطل ترشيحا يقال أذن خطلاء أي مسترخية طويلة وتحقيق ما صرح به أنهم استعاروا الحمار للبليد لا صريحا بل كناية حيث أثبتوا له بعض ما هو من لوازم الحمار وهو المشهور به أعني الأذنين ثم قرنوه بما يلائم أذن الحمار وهو الاسترخاء فخفي ظاهر الكلام أن يقال كأن أذنيه خطلاوان إلا أنهم أقحموا لفظ القلب لأنه محل الذكاء والبلادة فمنه نشأ التشابه بينهما وأما لو قيل أذنيه لربما سبق الوهم إلى الأذنين الذين يثبت لهما حقيقة فتفوت الاستعارة لفظ الحمار الذي سكت عنه وأن التخييل الذي هو من تتمتها إثبات الأذنين والترشيح هو الخطل وليس لك أن تجعل فيه تشبيها بالحمار وإثبات الأذنين والخطل تخييلا وترشيحا كما يتوهم إذ لا حسن فيه ولا يتجمل القلب عبارة عن البليد لأن صفته لا تبعده وقوله (روما) تعليل للترشيح وقوله (فادعوا لقلبه أذنين) من تتمة (جعلوه كالحمار) كما أن قوله (وادعوا لهما الخطل) من تتمة (ثم رشحوا) فالكلام على طريقة اللف والنشر وقوله (ليمثلوا البلادة) علة لادعاء الخطل (فإن قلت) لفظة كأن آبية عن الحمل على الاستعارة (قلت) هي هنا ليست للتشبيه كما في قولك كأن زيدا يركب على أنها لم تدخل على ما هو استعارة تدل على جعل البليد حمارا بل فيما هو ترشيح أعني إثبات الخطل ونظيره من الاستعارة المصرحة أن يقال جاوزت بحرا كأنه متلاطم الأمواج وتحقيقه أن إثبات اللاحقات كما يكون بطريق الجزم فقد يكون بطريق الظن والتشبيه وقيل حرف التشبيه في مثل هذا المقام للتحقيق والتأكيد وفيه بعد (قوله ولما رأيت النسر) استعار لفظ النسر للشيب ولفظ (ابن داية) وهو الغراب للشعر الأسود ورشح الاستعارتين بذكر (التعشيش) وهو أخذ العش وذكر (الوكر) وهو موضع الطائر الذي يأخذه للتفريخ واعلم أن الترشيح قد يكون باقيا على حقيقته تابعا للاستعارة لا يقصد به إلا تقويتها كقولك رأيت أسدا له لبد وفي البراثن فإنك لا تريد به إلا زيادة تصوير للشجاع وأنه أسد كامل من غير أن تذهب بلفظ البراثن إلى معنى آخر وقد يكون مستعارا من ملائم المستعار منه لملائم المستعار له كما في البيت فإنه استعير لفظ الوكرين من معناه الحقيقي للرأس واللحية أو للفودين أعني جانبي الرأس ولفظ التعشيش للحلول والنزول فيهما مع كونهما مستعارين ترشيحان لتينك الاستعارتين لا باعتبار المعنى المقصود منهما بل باعتبار المفهوم ومعناهما الأصلي يقال (عز) أي غلب (وجاش) اضطرب وقوله (لما شبه الشيب بالنسر) يدلك على فساد ما توهم من أن قوله جعلوه كالحمار تصريح بأنه تشبيه كما يقتضيه لفظة كان فتأمل (قوله فتاكهم) الفتاك جمع فاتك وهو الجريء بلا مبالاة والمقصود نفي علمها (بأخلاق الكرام) أنها تجاوزت حد الدلال والتكريم لا يدل لا دلالا إلا طبعا (قصع) اليربوع أي دخل في قاصعائه (وقصع الشيطان في قفاه) ساء خلقه وغضب (ونفق) اليربوع أي خرج من نافقائه وتنفقه أي أخرجته منها استعار التقصيع أولا لطردها واستيفاء خلقها ثم ضم إليه التنفق مستعارا للاجتهاد في إزالة غضبها وإماطة ما يسوء من خلقها ثم جعل الحبل التوام

فكذلك لما ذكر سبحانه الشراء أتبعه ما يشاكله ويواخيه وما يكمل ويتم بانضمامه إليه تمثيلا لخسارهم وتصويرا لحقيقته (فإن قلت) فما معنى قوله فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين (قلت) معناه أن الذي يطلبه التجار في متصرفاتهم شيئان سلامة رأس المال والربح وهؤلاء قد أضاعوا الطلبتين معا لأن رأس مالهم كان هو الهدى فلم يبق لهم مع الضلالة وحين لم يبق في أيديهم إلا الضلالة لم يوصفوا بإصابة الربح وإن ظفروا بما ظفروا به من الأغراض الدنيوية لأن الضال خاسر دامر ولأنه لا يقال لمن لم يسلم له رأس ماله قد ربح وما كانوا مهتدين لطرق التجارة كما يكون التجار المتصرفون العالمون بما يربح فيه ويخسر ولما جاء بحقيقة صفتهم عقبها بضرب المثل زيادة في الكشف وتتميما للبيان ولضرب العرب الأمثال واستحضار العلماء المثل والنظائر شأن ليس بالخفي في إبراز خبيات المعاني ورفع الأستار عن الحقائق حتى تريك المتخيل في صورة المحقق والمتوهم في معرض المتيقن والغائب كأنه مشاهد وفيه تبكيت للخصم الألد وقمع لسورة الجامح الأبي ولأمر ما أكثر الله في كتابه المبين وفي سائر كتبه أمثاله وفشت في كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلام الأنبياء والحكماء قال الله تعالى وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون ومن سور الإنجيل سورة الأمثال والمثل في أصل كلامهم بمعنى المثل وهو النظير يقال مثل ومثل ومثيل كشبه وشبه وشبيه ثم قيل للقول السائر الممثل مضربه بمورده مثل ولم يضربوا مثلا ولا رأوه أهلا للتسيير ولا جديرا بالتداول والقبول إلا قولا فيه غرابة من بعض الوجوه ومن ثم حوفظ

فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين

مستعارا للسبب القوي يتوصل به إلى تلك الإزالة فهاتان الاستعارتان تابعتان للأولى ومرشحتان لها باعتبار لفظيهما وأصل المعنى كما سلف آنفا الأبهة بنيانا وهو أنه لولا استعارة التقصير أولا لم تصح استعارة التمزق وأما جعل التوأم فظاهر أنه من تتمة الثاني وتابع له (قوله تمثيلا لخسارهم) أى المقصود الأصلي من الترشيح في الآية تصوير ما فاتهم من فوائد الهدى بصورة خسارة التجارة كأنه هو بعينه مبالغة في تحسرهم بهذا الاستبدال ووقوعهم في حقيقة الخسارة التي يتحامى عنها أولوا الأبصار لا تصوير الاستبدال بصورة التجارة فإنه وسيلة إلى ذلك المقصود (قوله فما معنى قوله فما ربحت) يريد أنه عطف بالواو عدم اهتدائهم على انتفاء ربح تجارتهم ورتبهما بالفاء على اشتراء الضلالة بالهدى فما وجه الجمع بينهما مع ذلك الترتيب على أن عدم الاهتداء قد فهم من استبدال الضلالة بالهدى فيكون تكرارا لما مضى والجواب أن رأس مالهم هو الهدى فلما استبدلوا به ما يضاده ولا يجامعه أصلا انتفى رأس المال بالكلية (وحين لم يبق في أيديهم إلا) ذلك الضد أعنى (الضلالة) وصفوا بانتفاء الربح والخسارة (لأن الضال) في دينه (خاسر دامر) أى هالك وإن أصاب فوائد دنيوية ولأن من لم يسلم له رأس ماله لم يوصف بالربح بل بانتفائه فقد أضاعوا سلامة رأس المال بالاستبدال وترتب على ذلك إضاعة الربح وأما قوله (وما كانوا مهتدين) فليس معناه عدم اهتدائهم في الدين فيكون تكرارا لما سبق بل لما وصفوا بالخسارة في هذه التجارة أشير إلى عدم اهتدائهم لطرق التجارة كما يهتدي إليه التجار البصراء بالأمور التي تربح فيها وتخسر فهذا راجع إلى الترشيح لكن عطفه على اشتراء الضلالة بالهدى أولى كما يرشدك إليه تأملك (قوله لما جاء) أى لما بين بقوله ومن الناس من يقول آمنا إلى ههنا (حقيقة صفة المنافقين) أراد أن يكشف عنها كشفا تاما ويبرزها في معرض المحسوس المشاهد فعقبها بضرب المثل مبالغة في البيان (والأمثال) جمع المثل والمراد به ههنا ما هو أعم من القول السائر الذي سيذكره كما في قوله تعالى وتلك الأمثال نضربها للناس وقول المصنف ومن سور الإنجيل سورة الأمثال (والمثل) جمع المثال فإنه يجمع على أمثلة ومثل يقال (بكته) بالحجة أى غلبه وقمعه أى قهره وأذله (والسورة) الحدة والوثبة (ثم قيل) أى ثم نقل من معناه اللغوي إلى معنى آخر عرفي يتفرع عليه معنى ثالث مجازي كما سيذكره (والسائر) هو الفاشي ويعتبر فيه مع الفشو أن يكون تشبيها تمثيليا على سبيل الاستعارة وإنما سمي مثلا لأنه جعل مضربه وهو ما يضرب فيه ثانيا مثلا لمورده وهو ما ورد فيه أولا (قوله ومن ثمة حوفظ

عليه وحى من التغيير (فان قلت) ما معنى مثلهم كمثل الذى استوقد نارا وما مثل المنافقين ومثل الذى استوقد نارا حتى شبه أحد المثلين بصاحبه (قلت) قد استعير المثل استعارة الاسد للمقدام للحال أو الصفة أو القصة اذا كان لها شأن وفيها غرابة كأنه قيل حالهم العجيبة الشأن كحال الذى استوقد نارا وكذلك قوله مثل الجنة التى وعد المتقون أى وفيما قصصنا عليك من العجائب قصة الجنة العجيبة ثم أخذ فى بيان عجائبها ولله المثل الاعلى أى الوصف الذى له شأن من العظمة والجلالة مثلهم فى التوراة أى صفتهم وشأنهم المتعجب منه ولما فى المثل من معنى الغرابة قالوا فلان مثلة فى الخير والشر واشتقوا منه صفة للعجيب الشأن (فان قلت) كيف مثلت الجماعة بالواحد (قلت) وضع الذى موضع الذين كقوله وخضتم كالذى خاضوا والذى سوغ وضع الذى موضع الذين ولم يجز وضع القائم موضع القائمين ولا نحوه من الصفات أمران أحدهما أن الذى لكونه وصلة الى وصف كل معرفة بجملة وتكاثر وقوعه فى كلامهم ولكونه مستطالا بصلته حقيق بالتخفيف ولذلك نهكوه بالحذف فحذفوا ياءه ثم كسرته ثم اقتصروا به على اللام وحدها فى أسماء الفاعلين والمفعولين والثانى أن جمعه ليس بمنزلة جمع غيره بالواو والنون وانما ذلك علامة لزيادة الدلالة ألا ترى أن سائر الموصولات

عليه وحى من التغيير) فانه لو غير لم يبق الدلالة على تلك الغرابة والاظهر كما فى المفتاح ان المحافظة على المثل انما هى بسبب كونه استعارة فوجب لذلك أن يكون هو بعينه لفظ المشبه به فان وقع تغيير لم يكن مثلا بل مأخوذا منه واشارة اليه كما فى قولك بالصيف ضيعت اللبن بالتذكير (قوله ما معنى مثلهم) يريد قد ذكرت للمثل معنى لغويا ومعنى عرفيا وشئ منهما لا يناسب المقام فما المعنى المراد بالمثلين حتى شبه أحدهما بالآخر فقوله (وما مثل المنافقين) عطف تفسيرى وقيل سأل أولا عن معنى المثل ومفهومه وثانيا عن الامر الذى يصدق عليه ذلك المفهوم فى جانبى المشبه والمشبه به وأجاب بما يفيد الاول صريحا والثانى ضمنا وما ذكرناه ألصق بعبارة الكتاب وقوله (اذا كان لها شأن وفيها غرابة) أشار الى العلاقة المجوزة وهى الاشتراك فى الغرابة وعظم الشأن وكلمة (اذ) ظرف لقوله (استعير) وقد تجردت عن الشرطية لمعنى الوقت بمجرد وقوعها معمولا للماضى محقق كما هو حق كلمة اذ وقيل لفظة كان لقوة دلالتها على المضى لا تنقلب الى الاستقبال بدخول ان التى هى أعرق الكلمات فى الشرطية فضلا عن دخول اذا فلا حاجة الى التجريد كأنه قيل لما كانت كذا استعير لفظ المثل من المعنى المصطلح (قوله ثم أخذ فى بيان عجائبها) أى بقوله تجرى الخ وقوله فى الخير والشر متعلق بقوله المثلة (قوله كيف مثلت الجماعة بالواحد) قيل لا وجه لهذا السؤال بعد التصريح بأن المقصود تشبيه الحال بالحال وأجيب بأن الاصل يقتضى رعاية المطابقة بين الحالتين فى كونهما للواحد أو الجماعة فان المماثلة حينئذ أقوى والتشبيه أقرب الى القبول فذكر أولا ان تلك المطابقة التى هى أولى مرعية ههنا وثانيا ان ترك ذلك الاولى جائز وشائع فى الاستعمال لحصول المقصود بلا اختلال نعم اذا قصد تشبيه الذات بالذات وجب تلك الرعاية ولا يجوز اهمالها كيلا يلزم ههنا تشبيه ذوات الجماعة أعنى المنافقين بذات الواحد الذى هو المستوقد فانه مردود قطعا بخلاف قول الشاعر

الناس ألف منهم كواحد * وواحد كالالف ان أمر عنى

وأشار بكلمة على فى قوله على ان المنافقين الى ان الجواب الثانى انما هو علاوة وانما المعول عليه ما ذكر فى الجواب الاول المشتمل على كون المشبه به جماعة أيضا ووجوهها ثلاثة الاول ان الذى وضع موضع الذين بطريق الحذف والتخفيف والذى جوز ذلك مع انه لا يجوز وضع القائم مقام القائمين بهذا الطريق (ولا) وضع (نحو القائم من الصفات) المفردة موضع جموعها بحذف علاماتها أمران أولهما راجع الى ذى العلامة فان لفظ الذى يستحق التخفيف لما ذكره ولذلك خفف من وجوه كثيرة وكذا جمعه جرى فيه هذا النوع من التخفيف وثانيهما راجع الى العلامة فان الياء والنون فى الذين ليستا كالياء والنون فى جموع السلامة فى قوة الدلالة على الجمعية حتى يمتنع حذفهما (ألا ترى) انه لم يختلف فى حالات الاعراب (وان سائر الموصولات

لفظ الجمع وتوحده بين واحد أو قصد جنس المستوقدين أو أريد الجمع أو الفوج الذي استوقد نارا على أن المنافقين وذواتهم لم يشبهوا بذوات المستوقد حتى يلزم منه تشبيه الجماعة بالواحد انما شبهت قصتهم بقصة المستوقد ونحوه قوله مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا وقوله ينظرون اليك نظر المغشي عليه من الموت ❊ والوقود النار سطوعها وارتفاع لهبها ومن أخواته قلق في الحمل اذا صعد وعلا ❊ والنار جوهر لطيف مضيء حار محرق ❊ والنور ضوءها وضوء كل نير وهو نقيض الظلمة واشتقاقها من نار ينور نورا اذا نفر لان فيها حركة واضطرابا والنور مشتق منها

مثلهم كمثل الذى استوقد نارا

كي وما تحديها (لفظ الجمع والواحد) فهذه علامة زيادة الدلالة وشيء من هذين الامرين لا يوجد في الصفات ويرد على هذا الوجه من الجواب ان الذي حينئذ جمع مخفف فيجب أن يجمع ضميره في استوقد كما في الذي خاضوا ويجب بأنه وان كان جمعا حقيقة الا انه مفرد صورة فجاز افراد ضميره نظرا الى صورته ﴿فان قيل﴾ فعلى هذا ينبغي أن يجوز مررت بالرجال القائم بتوحيد الضمير الراجع الى اللام لكونه في صورة المفرد بل مخفف الذين كالذي فيه واذ جعل اللام موصولا برأسه كان ذلك أولى بالجواز ﴿قلنا﴾ القياس يقتضي ذلك الا انه في صورة لام التعريف وقريب منه في المعنى حتى ذهب المازني الى انه حرف تعريف فلذلك أجري مجراه في وجوب مطابقة الصفة التي بعده للموصوف به بخلاف الذي فانه ليس كذلك فجاز توحيد ضميره نظرا الى لفظه والوجه الثاني من الجواب الاول (انه قصد بالذي استوقد جنس المستوقدين) فلا يختص بالواحد حتى يلزم المحذور والوجه الثالث منه ان يقدر موصوفه لفظا مفردا معناه الجماعة كلفظ الجمع أو الفوج أو نحوه بقوله أو قصد أو أريد معطوفان على وضع ولا يخفى عليك ان كون الشيء وصلة الى وصف المعرفة لا يقتضي ان لا يكون موصولا الا ان الوصول به الى الغرض أسرع وقوله تكاثر عطف على لكونه ولم يعد اللام لقوة تقارب معاني المعنى كما ينبئ عنه قوله الى وصف كل معرفة بخلاف كونه مستطيلا بصلته فيقل ما كثر فيه الحذف بالكسر فقصت خفه وأصله والمتبادر من قوله أحدهما ان الذي لكونه وصلة الخ هو انه بكماله اسم موضوع معرفة يتوصل به الى وصف المعارف بالجمل كما ذهب اليه كثير من المحققين وظاهر ما ذكره في المفصل بل صريحه يدل على ان اللام في الذي حرف تعريف وان هذه اللام هي بعينها اللام التي تعم من الموصولات الا انها حينئذ اسم لا حرف لكونها بمنزلة الذي لكونها تخفيفه قال في الصحاح الذي اسم مبهم للمذكر معرفة واصله لذي فادخلت عليه الالف واللام ولا ينزعان عنه وجمهور النحاة على ان اللام التي تعم في الموصولات ليست بمنقوصة من الذي بل هي اسم برأسه الا انه لما أشبهت حرف التعريف في الصورة التزم أن يكون مدخولها اسما صريحا كاسم الفاعل والمفعول فهي اسم في صورة الحرف وصلتها فعل في صورة الاسم فلذلك كان اعرابها ظاهرا في صلتها لا مقدرا في محلها والموجود في النسخ المعول عليها (ودواتهم) بالكسر وفي الصحاح انها كسلمات وليست التاء فيها أصلية ألا ترى انك اذا وقفت على الواحدة قلت ذاه بالهاء ويوجد في بعض النسخ بالفتح والوجه فيه مع بعده ان التاء فيه ليست كالتاء في بنت ألا ترى انهم جوزوا اطلاقه على الله تعالى فقالوا ذات الله وصفاته وذات قديمة مع تحاشيهم عن اطلاق نحو علامة عليه وربما نسبوا اليه مع التاء فقالوا الصفات الذاتية وكان التاء أصلية لا علامة الجمع على ان صاحب الكوشي نقل عن يونس الفتح في نحو سلت نصبا (قوله والنار جوهر لطيف) عيب أولا بانه لا يصدق عليه لفظ النار في متعارف اللغة ولا شبهة في أن مجموع ما ذكر معتبر فيه فلا معنى للمناقشة بان كرة الاثير شفافة لا ضوء لها ولا بان الاحراق قد يتخلف عنها واطلاق كل واحد من الضوء والنور على الآخر مشهور فيما بين الجمهور فلا ينافي العرف المأخوذ من استعمال اللغة ما ذكروا المأخوذ من اصطلاح الحكماء وهو ان الضوء ما يكون للشيء لذاته كالشمس والنور ما يكون من غيره كالقمر ثم حكم بان اشتقاقها من نار ينور نورا وبان اشتقاق النور منها بناء على الملابسة اللغوية فان الحركة والاضطراب يوجد فيها أولا

* والاضاءة فرط الانارة ومصداق ذلك قوله هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وهي في الآية متعدية ويحتمل أن تكون غير متعدية مسندة الى ما حوله والتأنيث للحمل على المعنى لان ما حول المستوقد أماكن وأشياء ويعضده قراءة ابن أبي عبلة ضاءت وفيه وجه آخر وهو أن يستتر في الفعل ضمير النار ويجعل اشراق ضوء النار حوله بمنزلة اشراق النار نفسها على أن ما مزيدة أو موصولة في معنى الامكنة * وحوله نصب على الظرف وتأليفه للدوران والاطافة وقيل للعام حول لانه يدور (فان قلت) أين جواب لما (قلت) فيه وجهان أحدهما أن جوابه (ذهب الله بنورهم) والثاني أنه محذوف كما حذف في قوله فلما ذهبوا به وعن جاز حذفه لاستطالة الكلام مع أمن الالباس للدال عليه وكان الحذف أولى من الاثبات

والذات وفي نورها نارا وبالعرض فالحكم به أولى من جعل النار مشتقة من النور المشتق من نار (وأما في الآية فمتعدية) فيكون قوله ما حوله مفعولا به أي جعلت النار ما حول المستوقد مضيئا وأما اللازم فيكون مسندا الى ما حوله أي صارت الاماكن والاشياء التي حوله مضيئة الى آخره أولى ضمير النار وحينئذ اما أن تكون كلمة ما مزيدة وحوله ظرفا لفعل الاضاءة أو موصولة وقعت عبارة عن الامكنة فيكون مع صلتها مفعولا فيه للاضاءة وكان ينبغي أن يصرح على الاخير بكلمة في لان حذفها من لفظ مكان انما كان لكثرة استعماله ولا كثرة في الموصول الذي عبر به عن الامكنة فيحمل على انه من قبيل عسل الطريق الثعلب (قوله ويجعل اشراق ضوء النار) كأن سائلا يقول اذا استتر في الفعل ضمير النار وجب أن توجد النار حول المستوقد حتى يتصور اضاءتها واشراقها فيه فأجاب بأن النار وان لم توجد فيما حوله فقد وجد ضوءها فيه فقد جعل اشراق ضوء النار حوله بمنزلة اشراق النار نفسها فيه فاسند اليها ما اسند الى المسبب كما في الامير وأن النار سبب لاشراق ضوئها حول المستوقد وما قاله ما اشتهر في العرف من أن الضوء ينتشر من المضيء في مقدار لانه يجعلها مستضيئة (وحوله نصب على الظرف) متعلق على تقدير زيادة ما أو بما استقر كما في سائر التقدير (وتأليفه) أي تأليف حروف حول على هذا الترتيب (للدوران والاطافة) يقال طاف وأطاف بمعنى وقيل للعام حول لانه يدور ومنه حال الشيء واستحال أي تغير وحال الانسان وهي عوارضه التي تتحول عليه والحوالة وهو اسم من أحال عليه بدينه (قوله أين جواب لما) لا يخفى ان اذهاب النور يناسب الاستيقاد فكان الظاهر أن يجعل ذهب الله بنورهم جواب لما الا ان فيه مانعا لفظيا وهو توحيد الضمير في استوقد وحوله وجمعه في بنورهم ومعنويا وهو ان المستوقد لم يفعل ما يستحق به اذهاب النور بخلاف المنافق فجعله جوابا يحتاج الى تأويل كما سيأتي فلذلك سأل وجوز أن يكون الجواب محذوفا ثم لا بد للمحذوف من قرينة تجوزه ومن داع يرجحه على الاثبات الذي هو الاصل فأشار الى الاول بقوله (وانما جاز حذفه لاستطالة الكلام) أي لطوله يقال استطال أي طال واستطاله أي عده طويلا ومنه قوله ولكونه مستطالا بصلته وأورد عليه أولا انه لا استطالة هنا بخلاف قوله فلما ذهبوا به وأجيب بان المراد لولا حذف ذلك الجواب المحذوف لطال الكلام وثانيا ان عد الاستطالة في المرجح أولى من عدها في المجوز ودفعه بانه حاول أن يذكر في كل منهما أمرين ليس بشيء وقوله (الدال عليه) أي على المحذوف أو على المحذف تعليل (لامن الالباس) وذلك لدلالة جواب كلمة لما تقتضي جوابا وفي ذهب الله ما يدل قال سياق الكلام في التمثيل لذم المنافقين بانهم بعد انتفاعهم بضياء كلمة الاسلام وقعوا في ظلمة النفاق التي ترميهم الى ظلمة العقاب السرمد فلا بد من اعتبار الخمود ليصح التشبيه ويحصل الغرض والى الثاني بقوله وكان الحذف أولى لما فيه من الايجاز والمبالغة في سوء حال المستوقد بايهام ان الجواب مما تقصر العبارة عنه ولم يرد بما أشار الى تقديره ان الجواب مقصور عليه بل ما به على انه من جنسه وجمع الضمائر في بنورهم وما بعده نظرا الى ان ايقاد النار في الاغلب انما يكون للجماعة واشارة الى ان حمل الذي استوقد على الجمع أولى لما نبهت عليه (قوله وكان الحذف) عطف على انما جاز لا على جاز رشدك الله سلامة الفطرة

فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم

لما فيه من الوجازة مع الإعراب عن الصفة التي حصل عليها المستوقد بما هو أبلغ من اللفظ في أداء المعنى كأنه قيل فلما أضاءت ما حوله خمدت فبقوا خابطين في ظلام متحيرين متحسرين على فوت الضوء خائبين بعد الكدح في إحياء النار (فإن قلت) فإذا قدر الجواب محذوفا فبم يتعلق ذهب الله بنورهم (قلت) يكون كلاما مستأنفا كأنهم لما شبهت حالهم بحال المستوقد الذي طفئت ناره اعترض سائل فقال ما بالهم قد أشبهت حالهم حال هذا المستوقد فقيل له ذهب الله بنورهم أو يكون بدلا من جملة التمثيل على سبيل البيان (فإن قلت) قد رجع الضمير في هذا الوجه إلى المنافقين فما مرجعه في الوجه الثاني (قلت) مرجعه الذي استوقد لأنه في معنى الجمع وأما جمع هذا الضمير وتوحيده في حوله فللحمل على اللفظ تارة وعلى المعنى أخرى (فإن قلت) فما معنى إسناد الفعل إلى الله تعالى في قوله (ذهب الله بنورهم) (قلت) إذا طفئت النار بسبب سماوي ريح أو مطر فقد أطفأها الله تعالى وذهب بنور المستوقد ووجه آخر وهو أن يكون المستوقد في هذا الوجه مستوقد نار لا يرضاها الله ثم إما أن تكون نارا مجازية كنار الفتنة والعداوة للإسلام وتلك النار متقاصرة مدة اشتعالها قليلة البقاء ألا ترى إلى قوله كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله وإما نارا حقيقية أوقدها الغواة ليتوصلوا بالاستضاءة بها إلى بعض المعاصي ويهتدوا بها في طرق العبث فأطفأها الله وخيب أمانيهم (فإن قلت) كيف صح في النار المجازية أن توصف بإضاءة ما حول المستوقد

(والإعراب) الإفصاح والكشف أبلغ من اللفظ أي من التلفظ فإنه تسبب الحذف (والكدح) جهد النفس في العمل مستفاد من سين استوقد هذا وقد قيل جعل ذهب الله جوابا أولى لعدم الاستقلال ولأن كونه من تتمة التمثيل الأول يوجب مطابقته للتمثيل الثاني لاشتماله على مبالغات ومن دأب البليغ أن يبالغ في المشبه به ليلزم منه المبالغة في المشبه ضمنا والحمل على الاستئناف ضعيف لأن السبب في تشبيه حالهم قد علم مما سبق فلا معنى للسؤال عن وجه الشبه أو تعيين المشبه وجعله بدلا من جملة التمثيل يدل على أن الحذف كون لفظا أوفى بتأدية الغرض مما حذف أنه ورد اعتباره وهو باطل ﴿ثم﴾ لو قيل ذهب الله ابتداء الكلام لبيان حال المشبه لم يكن بعيدا ولعل ما ذكره المصنف من نكتة الحذف ليس إشارة له بل إيناس به وإزالة لاستبعاده فالوجه هو الأول وسيرد عليك من كلامه ما يشعر به ﴿وأجيب﴾ بأن الحذف إن كان أبلغ كانت المبالغة في المشبه أكثر والشبه بين التمثيلين أوفر وأيضا ذهاب النور وتركهم في ظلمات يدل على أنه كان لهم نور فزال وصاروا متحيرين خابطين فتكون المبالغة في الطرفين معا أما في المشبه به فبالحذف وأما في المشبه فباللفظ وهذا أوفى بتأدية الغرض الذي هو بيان حال المنافقين (قوله كلاما مستأنفا) أي جوابا لسؤال عن وجه الشبه فإن مشاركة حالة المنافق لحال المستوقد في المعاني المذكورة ليست بظاهرة وقد عرفت ما فيه (قوله بحال المستوقد الذي طفئت ناره) فيه تنبيه على أن الشرطية أعني فلما أضاءت مع جوابه المحذوف معطوفة على الصلة فيكون المستوقد موصوفا بمضمون ذلك الجواب وقوله (على سبيل البيان) إشارة إلى أن الأول ليس في حكم الساقط الذي صرف عنه القصد (قوله قد رجع الضمير في هذا الوجه) أراد به الوجه الثاني وهو أن يجعل جواب لما محذوفا وذهب الله استئنافا أو بدلا بناء على قربه وسوق الكلام فيه وأراد بالوجه الثاني ما ذكره أولا فإنه لما ابتدأ بالوجه الأخير كان أول الوجهين ثانيا والمقصود بيان أنه لمانع اللفظي وخص توحيد الضمير فيما حوله بالذكر لأنه أقرب إلى ضمير الجمع وبارز مثله بخلاف ضمير استوقد كأن المقصود بقوله (فما معنى إسناد الفعل) بيان إزالة المانع المعنوي أجاب أولا بأن الإسناد حينئذ مجازي من قبيل الإسناد إلى السبب وفائدة الإسناد إليه تعالى المبالغة في إذهاب النور وثانيا بأن المراد بمستوقد نار لا يرضاها الله فلا يكون طفؤها قبيحا ثم إن هذه النار إما أن تكون مجازية وإما حقيقية ﴿فإن قيل﴾ المنافق مستوقد نار الفتنة والعداوة مع ما ذكر من الإضاءة فلا معنى للتشبيه ﴿قلنا﴾ هذا المستوقد أعم منه (قوله وتلك النار متقاصرة مدة اشتعالها الخ) أشار به إلى معنى ذهاب الله بنورهم إذا

(قلت) هو خارج على طريقة المجاز المرشح فأحسن تدبره (فإن قلت) هلا قيل ذهب الله بضوئهم لقوله فلما أضاءت (قلت) ذكر النور أبلغ لأن الضوء فيه دلالة على الزيادة فلو قيل ذهب الله بضوئهم لأوهم الذهاب بالزيادة وبقاء ما يسمى نورا والغرض إزالة النور عنهم رأسا وطمسه أصلا ألا ترى كيف ذكر عقيبه وتركهم في ظلمات والظلمة عبارة عن عدم النور وانطماسه وكيف جمعها وكيف نكرها وكيف أتبعها ما يدل على أنها ظلمة مبهمة لا يتراءى فيها شبحان وهو قوله (لا يبصرون) (فإن قلت) فلم وصفت بالإضاءة (قلت) هذا على مذهب قولهم للباطل صولة ثم يضمحل ولريح الضلالة عصفة ثم تخفت ونار العرفج مثل نزوة كل طماح والفرق بين أذهبه وذهب به أن معنى أذهبه أزاله وجعله ذاهبا ويقال ذهب به إذا استصحبه ومضى به معه وذهب السلطان بماله أخذه فلما ذهبوا به إذا لذهب كل إله بما خلق ومنه ذهبت به الخيلاء والمعنى أخذ الله نورهم وأمسكه وما يمسك الله فلا مرسل له فهو أبلغ من الإذهاب وقرأ اليماني أذهب الله نورهم ● وترك بمعنى طرح وخلى إذا علق بواحد كقولهم تركه ترك ظبي ظله وإذا علق بشيئين كان مضمنا معنى صير فيجري مجرى أفعال القلوب كقول عنترة ● فتركته جزر السباع ينشنه ● ومنه قوله وتركهم في ظلمات أصله هم في ظلمات ثم دخل ترك فنصب الجزأين والظلمة عدم النور وقيل عرض ينافي النور واشتقاقها من قولهم ما ظلمك أن تفعل كذا أي ما منعك وشغلك لأنها تسد البصر وتمنع الرؤية

وتركهم في ظلمات لا يبصرون

حملت النار على المجازية وأن استعير لفظ النار للفتنة رشحت بالإضاءة التي تلائم معناه الحقيقي (قوله لقوله فلما أضاءت) أي ليناسب أول الكلام وآخره والسؤال مختص بما إذا كان ذهب الله جواب لما وجوابه على التقدير الآخر تكلف (قوله وكيف جمعها) كررلفظ كيف اشعارا باستقلال كل واحد في تأدية المقصود (قوله فلم وصفت) تفريع على ما ذكره من أن الإضاءة تدل على الزيادة أي لماذا وصفت بالإضاءة التي هي أقوى من الإنارة مع أن المقصود الإزالة بالكلية التي تناسب القلة والضعف (وأجاب) بأنه دل في الكلام على قوة الظهور وسرعة الخمود تنبيها على مزيد الحيرة والخيبة وشعارا بالبطلان إذ قد تقرر في الأذهان قوة أمر الباطل في بدء الحال واضمحلاله سريعا في المآل (قوله ومن ثمة قيل للباطل صولة) أي ظهور بقوة ثم يضمحل بسرعة (والعرفج) نبت يشتعل قويا ويخمد سريعا (النزوة) الطفرة (والطامح) من طمح الفرس إذا رفع رأسه في عدوه وطمح ببصره فهو طماح والمراد من تعدى طوره إلى أرفع من رتبة لا يستحقها وفي الصحاح رجل طماح أي شره ومن طمحت المرأة تطلعت إلى الرجال (قوله فهو أبلغ من الإذهاب) لما فيه من الأخذ والإمساك فإن الباء وإن كانت للتعدية كالهمزة إلا أن فيها معنى المصاحبة واللصوق (قوله ترك ظبي ظله) أي كناسه الذي يستظل فيه من شدة الحر وهو مثل في الترك الكلي لأن الظبي إذا نفر من مكان لم يعد إليه أصلا وذلك في المستقر أقوى لمعرفته طيبه وعدم تهديه إلى الغير وقيل المعهد وقيل المراد في خياله وإذ للتصغير وآخر البيت قوله ● يقضمن حسن بنانه والمعصم ● ويروى ● ما بين قلة رأسه والمعصم ● (جزر السباع) اللحم الذي تأكله لأنها تجزره يقال جزر القصاب بالحديد فعل بمعنى مفعول (النوش) التناول لما (والقضم) الأكل بمقدم الأسنان يقال قضمه بالكسر (والمعصم) موضع السوار من الساعد (ومنه) أي ومن القبيل الثاني أعني ما ضمن معنى صير واقع فصله لأن البيت نص في التعدي إلى مفعولين لأن جزر السباع معرفة لا يحتمل الحال بخلاف ما في الآية إذ يجوز أن يكون ترك فيها بمعنى خلى (وفي ظلمات ولا يبصرون) حالان مترادفان أو متداخلان (والظلمة عدم النور) ليس هذا تكرارا لما تقدم إذ قصد به ههنا تفسيرها وما ذكره أولا بطريق جملة حالية قصد به تحقيق أن ذهاب النور أبلغ من ذهاب الضوء وهي عند بعضهم عدم النور عما من شأنه النور وعند بعض المتكلمين هي عرض ينافي النور وهي على هذا وجودية وعلى الأول عدمية وعلى كلتا ديريصح ما مر من أن النور نقيض لها أي مناف للظلمة (لأنها) أي الظلمة (تسد البصر وتمنع الرؤية) هذا

وقرأ الحسن ظلمات بسكون اللام وقرأ اليماني في ظلمة على التوحيد والمفعول الساقط من لا يبصرون من قبيل المتروك المطرح الذي لا يلتفت الى اخطاره بالبال لا من قبيل المقدر المنوي كأن الفعل غير متعد أصلا نحو يعمهون في قوله ويمدهم في طغيانهم يعمهون (فان قلت) فيم شبهت حالهم بحال المستوقد (قلت) في أنهم غب الاضاءة خبطوا في ظلمة وتورطوا في حيرة (فان قلت) وأين الاضاءة في حال المنافق وهل هو أبدا الا حائر خابط في ظلماء الكفر (قلت) المراد ما استضاؤا به قليلا من الانتفاع بالكلمة المجراة على ألسنتهم ووراء استضاءتهم بنور هذه الكلمة

ما يعتقده الجمهور وهو المناسب لحالهم فلا يبصرون ان العدم لا يكون مانعا وتوحيد الظلمة في الآية ظاهر وأما جمعها فباعتبار انضمام ظلمة الليل الى ظلمتي الغمام وانطباقه مثلا (قوله كأن الفعل غير متعد أصلا) أي نزل منزلة اللازم وقطع النظر عن المتروك وقصد الى نفس الفعل كأنه قيل ليس لهم ابصار وهو أبلغ من أن يقدر المفعول أي لا يبصرون شيئا لأن الأول يستلزم الثاني دون العكس وأشار بقوله نحو يعمهون الى انه صار بمنزلة ما لا يتعدى في أصله وتمام الآية في قوله ويمدهم في طغيانهم لانه يوافق قوله تركهم في ظلمات في المعنى بخلاف قوله ويمدهم في طغيانهم يعمهون (قوله فيم شبهت) هذا سؤال عن وجه الشبه كأنه قيل في أي معنى قصد اشتراك طرفي التشبيه أعني حال المنافقين وحال المستوقد وقيل سؤال عن تعيين المشبه أي في أي حال من الاحوال الكثيرة للمنافقين وقع التشبيه بحال المستوقد وعبارة الكتاب آبية عنه اذ يصير معناه حينئذ في أي حال شبهت حالهم بحال المستوقد (في أنهم) أي المنافقين أو المستوقد والمنافقين معا وفي قوله (غب الاضاءة) أي بعدها وعلى اثرها اشارة الى أن وجه الشبه مركب في نفسه ملتئم من عدة معان على وجه يؤذن بتركب طرفيه أيضا وقوله (وتورطوا في حيرة) معطوف على خبطوا في ظلمة تفسير له وفيه تنبيه على ان المقصود من الاضاءة ما يقابل الوقوع في الحيرة وكأنه قال وجه الشبه هو انهم عقيب حصول تباشير المقصود وقوة الرجاء وقعوا في حيرة الحرمان والخيبة وهذا معنى يشترك فيه المشبه والمشبه به قطعا الا أنه راعى موافقة نظم الآية فعبر عن الجزء الاول بالاضاءة وعن الثاني بالخبط في الظلمة مع تفسيره بما يلزم منه وجه الشبه المشترك بين الطرفين كما نبهت عليه فسقط ما يقال ان الاضاءة وكذا الوقوع في الظلمة ان حملت على الحقيقة اختصت بالمستوقد وان حملت على المجاز اختصت بالمنافق ﴿فان قلت﴾ كما ان الاضاءة الحقيقية مفقودة في حال المنافق كذلك الخبط في الظلمة الحقيقية فلم ذا خص السؤال بالاضاءة ﴿قلت﴾ اطلاق الظلمة على الكفر مجاز مشهور ألا ترى الى قوله (الا حائر خابط في ظلماء الكفر) وقد وجد في المنافق الظلمة ببعض معانيها بخلاف الاضاءة اذ لم يوجد فيه معناها الحقيقي ولم يظهر لها معنى مجازي فاحتيج الى السؤال وأجاب بان المراد من الاستضاءة هو الانتفاع باجرائهم الكلمة على ألسنتهم من حيث متاركتهم عن المحاربة واعطاؤهم الحظوظ من المغانم الى غير ذلك وأن تقع الكلمة ههنا قائمة مقام الاضاءة في المستوقد وليس شيء منهما بخصوصه معتبرا في التشبيه بل ما يلزمهما من ظهور أوائل المقصود ومخايل حصول المحبوب وكذا الحال في ظلمتي المستوقد والمنافق فان المعتبر فيه ما يلزمهما من الحيرة والحرمان كما عرفت وقوله (ووراء استضاءتهم بنور هذه الكلمة ظلمة النفاق) ناظرا الى معنى قوله غب الاضاءة خبطوا في ظلمة وفيه أيضا اشارة الى تركب وجه الشبه وانه منتزع من امور متعددة في المشبه وأما انتزاعه من متعدد في المشبه به فمما لا شبهة فيه فقد أشار اليه من التشبيهات المركبة كما هو المختار عنده في التمثيلين على ما سيأتي ولا يخلو كلامه من تلويح الى جواز التفريق في هذا التشبيه فان قوله المراد ما استضاؤا به قليلا من الانتفاع يفهم منه جواز تشبيه الاجزاء بالاجزاء ﴿وتلخيص﴾ ما قررناه انه اعتبر في المستوقد السعي في ايقاد النار والكدح في احيائها وحصول طرف من الاضاءة المطلوبة وزوالها بانطفاء النار بغتة كما تدل عليه كلمة فلما واعتبر

ظلمة النفاق التي ترمي بهم إلى ظلمة سخط الله وظلمة العقاب السرمد ويجوز أن يشبه بذهاب الله بنور المستوقد اطلاع الله على أسرارهم وما افتضحوا به بين المؤمنين واتسموا به من سمة النفاق والأوجه أن يراد الطبع لقوله (صم بكم عمي) وفي الآية تفسير آخر وهو أنهم لما وصفوا بأنهم اشتروا الضلالة بالهدى عقب ذلك بهذا التمثيل ليمثل هداهم الذي باعوه بالنار المضيئة ما حول المستوقد والضلالة التي اشتروها وطبع بها على قلوبهم بذهاب الله بنورهم وتركه إياهم في الظلمات وتنكير النار للتعظيم • كانت حواسهم سليمة ولكن لما سدوا عن الإصاخة إلى الحق مسامعهم وأبوا أن ينطقوا به ألسنتهم وأن ينظروا ويتبصروا بعيونهم جعلوا كأنما أيفت مشاعرهم وانتقضت بناها التي بنيت عليها للإحساس والإدراك كقوله

صم إذا سمعوا خيرا ذكرت به • وإن ذكرت بسوء عندهم أذنوا

صم بكم عمي

في المنافق القصد إلى ادعاء الإيمان وإجراء الكلمة على اللسان وحصول منافع الأمن والأمان وانتهاء ذلك بالموت ووقوعهم في ظلمات متراكمة فإن لوحظ في كل واحد من الجانبين هيئة وحدانية ملتئمة من تلك المعاني المتعددة كان تشبيها مركبا ووجهه ما ذكرنا وإن قصد تشبيه كل واحد من تلك المعاني المتعددة بما يناظره كان تشبيها مفردا ولا يحتاج وجهه إلى بيان وفي قوله (ظلمة النفاق الخ) تنبيه على توجيه الجمع في ظلمات نظرا إلى حال المنافق وقد مر توجيهه نظرا إلى حال المستوقد (فإن قيل) ظلمة النفاق مجامعة للإضاءة بنور هذه الكلمة لا متعقبة (قلنا) هي الآن لما عمت بعد الانتفاع بذلك الحكم تعقبها ضمة إلى ظلمتين أخريين (قوله ويجوز أن يشبه) هذا وجه ثان في بيان وجه الشبه ولا يخالف الأول تركيبا وتفريقا لا فيما هو المراد بذهاب الله بنور المستوقد وهو أعني قوله ويجوز عطف على ما تقدم بحسب المعنى كأنه قيل يشبه بذهاب الله بنورهم إماتته إياهم الخ ويجوز أن يشبه وفيه نوع تصريح بالتفريق (قوله والأوجه) هذا وجه ثالث ويجري فيه التفريق والتركيب كالأولين إلا أن المشبه بالإذهاب ههنا هو أن الله تعالى خذلهم في نفاقهم بطبع على قلوبهم فوقعوا في حيرة الغشاوة وبعدوا عن نور الإيمان وإنما جعله أوجه لأن ما ذكره بعده من خواص أهل الطبع ومحصول الوجه الأول أنهم انتفعوا بهذه الكلمة مدة حياتهم القليلة ثم قطعه الله تعالى بالموت فوقعوا في تلك الظلمات ومحصول الثاني أنهم استضاؤوا بها مدة ثم أطلع الله على أسرارهم فوقعوا في ظلمات انكشاف الأسرار والافتضاح والاتسام بسمة النفاق ومحصول الثالث أنهم انتفعوا بها ثم خذلهم الله تعالى حتى صاروا مطبوعين وبقوا في ظلمات متراكمة بعضها فوق بعض وهذه الأوجه كلها على تقدير كون التمثيل متعلقا بجميع ما علم من أحوال المنافقين في الآية السابقة وتفصيلا لقوله في أنهم غب الإضاءة الخ ثم إنه أشار إلى وجه رابع على تقدير تعلقه بقوله اشتروا الضلالة بالهدى فقال وفي الآية تفسير آخر ونبه على التفريق بيانا واضحا وسيأتيك في التمثيل الثاني اعتبار التركيب فيه وقد جعل في هذا التفسير قوله ذهب الله جواب لما حيث عده من أحوال المستوقد وكذا في قوله ويجوز أن يشبه بذهاب الله بنور المستوقد وقوله (والأوجه أن يراد الطبع) إنما آل معناه أن يشبه الطبع بذلك الذهاب وكذا الحال في الوجه الأول لأن السؤال عن وجه الشبه إنما يتوجه على تقدير كون ذهب جوابا أو على تقدير كونه استئنافا أو بدلا يكون هو بيانا لوجه الشبه (قوله وتنكير النار للتعظيم) أي هذا التفسير تعظيم الهدى المشبه بها وهو مطابق لما سيأتي من قوله كما نكرت النار في التمثيل الأول (قوله كانت حواسهم) هذا شروع في تفسير قوله صم بكم عمي وهو من أحوال المنافقين سواء جعل ذهب الله جوابا للما أولا ومعنى (أيفت) أصيبت بآفة يقال إيف الشيء فهو مؤوف (والمشاعر) جمع مشعر إما بكسر الميم آلة وبفتحها موضعا ولا فرق بين البنا والبناء ضما وكسرا كما ورد بهما على وزن غرفة وحرفة وقد يفرق بأن المضموم مستعمل في المكارم والمعالي والمكسور في الأبنية (بنيت) أي تلك المشاعر (عليها) أي تلك البنا وقد عدا لها النطق من الحواس والمشاعر تغليبا (أذنوا) أصغوا إليه

وأصم عما ساءه سميع

أصم عن الشيء الذي لا أريده ✽ وأسمع خلق الله حين أريد

فأصممت عمرا وأعميته ✽ عن الجود والفخر يوم الفخار

(فإن قلت) كيف طريقته عند علماء البيان (قلت) طريقة قولهم هم ليوث للشجعان وبحور للأسخياء إلا أن هذا في الصفات وذلك في الأسماء وقد جاءت الاستعارة في الأسماء والصفات والأفعال جميعا تقول رأيت ليوثا ولقيت صما عن الخير ودجا الإسلام وأضاء الحق (فإن قلت) هل يسمى ما في الآية استعارة (قلت) مختلف فيه والمحققون على تسميته تشبيها بليغا لا استعارة لأن المستعار له مذكور وهم المنافقون والاستعارة إنما تطلق حيث يطوى ذكر المستعار له ويجعل الكلام خلوا عنه صالحا لأن يراد به المنقول عنه والمنقول إليه لولا دلالة الحال أو فحوى الكلام

واستغنوا و(أصم) أفعل صفة من صمم بمعنى الذهول والإعراض فعدي بعن (سميع) للمنكر وأسمع أفعل تفضيل و(أصممت عمرا وأعميته) أي وجدته أصم وأعمى (قوله كيف طريقته) يريد أن قولك جعلوا كأنما أيمت مشاعرهم يدل على أنه من هذا الكلام على التشبيه الذي له أساليب في علم البيان فبين لنا من أي أسلوب هو وما ذكره من أسلوب حمل المشبه به على المشبه مع حذف الأداة ووجه الشبه ولما لم يتبين هذا أن ما في الآية تشبيه أو استعارة أورد جريان الاستعارة في الأسماء والصفات والأفعال فعلم منه أن التشبيه الذي هو مبنى الاستعارة جار فيها ألا ترى أن كل ما تجري فيه الاستعارة تجري فيه التشبيه كليا ولا ينعكس كليا إذ لم يذكر الحروف وإن جرت بها الاستعارة تبعا كما في الصفات والأفعال لأن هذه الطريقة وهي أن يكون المشبه به مذكورا بلفظ الطرف محمولا على المشبه لا يتصور فيها (قوله دجا الإسلام) أي قوي وكثر كمسه ظل (قوله وأضاء الحق) أي ظهر ظهورا تاما كالشمس (قوله على تسميته تشبيها بليغا) حيث حمل المشبه به على المشبه كأنه هو بعينه (لأن المستعار له مذكور وهم المنافقون) إذ تقدير الآية هم صم فالمستعار له المذكور بلفظه نظير مع لفظ المستعار منه فيكون لفظ المستعار منه مستعملا في معناه الحقيقي كما أن لفظ المستعار له كذلك فلا استعارة هناك حقيقة بل (الاستعارة إنما تطلق حيث يطوى ذكر المستعار له) فلا يكون لفظه في نظم الكلام المشتمل على لفظ المستعار منه مذكورا ولا مقدرا بل يكون معناه مرادا بلفظ المستعار منه فقد استغنى حينئذ بلفظ المشبه به عن المشبه وما قررناه شامل للاستعارة المصرحة نحو رأيت أسدا يرمي والمكنية في نحو أظفار المنية على رأي المصنف لأن المستعار فيها عنده هو السبع الذي سكت عنه ودل عليه بذكر بعض روادفه ولا يكون لفظ المستعار له مذكورا أصلا في الكلام المشتمل على ذكر المستعار منه مطويا كما إذا قلت أظفار السبع وأردت به المنية وسينكشف لك مباحث الاستعارة المكنية وما يتعلق بها في قوله تعالى الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه (قوله ويجعل الكلام خلوا) أي خاليا (عنه) أي عن ذكر المستعار له (صالحا لأن يراد به) أي بالكلام بل بلفظ المشبه به المذكور فيه معناه الحقيقي الذي هو (المنقول عنه) ومعناه المجازي الذي هو (المنقول إليه لولا دلالة الحال أو فحوى الكلام) أي لولا دلالة القرينة الحالية أو المقالية الدالة على تعيين المعنى المجازي بحسب الإرادة واعترض عليه بأنه إذا عدمت القرينة لم يصح للفظ المعنى المجازي وأجيب بأنه صالح في نفسه مع قطع النظر عن عدمها ورد بأن صلاحية المعنيين ثابتة له في نفسه إذ ما مع وجودها إذا قطع النظر عنها فلا معنى لاشتراط عدمها في هذه الصلاحية ثم الظاهر أن خلو الكلام المشتمل على لفظ ذكر المستعار منه عن ذكر المستعار له معه مصحح لصلاح المستعار لأن يراد به المعنى المجازي إذ لو اشتمل على ذكره أيضا لتعين المعنى الحقيقي كما أرشدت إليه فلا يكون صالحا للمعنى المجازي وأن عدم قرينة المجاز مصحح لصلاح أن يراد به معناه الأصلي إذ مع وجودها يتعين المعنى المجازي فلا يكون

كقول زهير   لدى أسد شاكي السلاح مقذف * له لبد أظفاره لم تقلم

ومن ثم ترى المفلقين السحرة منهم كأنهم يتناسون التشبيه ويضربون عن توهمه صفحا قال أبو تمام

ويصعد حتى يظن الجهول * بأن له حاجة في السماء

وليصعد حتى يظن   لا تحسبوا أن في سرباله رجلا * ففيه غيث وليث مسبل مشبل

وليس لقائل أن يقول طوى ذكرهم عن الجملة بحذف المبتدا فأتساق بذلك الى تسميته استعارة لانه في حكم المنطوق به نظيره قول من يخاطب الحجاج

أسد علي وفي الحروب نعامة * فتخاء تنفر من صفير الصافر

صالحا للمعنى الحقيقي والخلو المذكور شرط الصلاح لارادة المعنى المنقول اليه وعدم تلك القرينة شرط الصلوح لارادة المنقول عنه فيكون المجموع متوقفا الصلاحية للمعنيين على التوزيع ولو قدم ذكر المنقول اليه لاتصل كل شرط بما هو معتبر فيه وكان أولى هذا وقد يقال كون الكلام مع عدم القرينة صالحا لارادة المعنى المجازي مبني على ادعاء دخول المشبه في جنس المشبه به حتى كأنه من افراده فيصلح له لفظه كما يصلح لافراده الحقيقية واشتراط نفي القرينة انما هو لصلوح المعنى الحقيقي ويرد عليه أنه يلزم أن لا يكون الخلو عن ذكر المستعار له مدخل في الصلاحية المذكورة لان يعمل عبارة عن ذلك الادعاء ولا خفاء في بعده عن الافهام جدا (قوله كقول زهير) هذا مما يدل عليه فحوى الكلام وشاكي السلاح أي حديده من الشوكة وهي شدة البأس وحدة السلاح وأصله شائك فقدمت العين الى موضع اللام وقد تحذف ويقال زيد شاك السلاح (والمقذف) هو المكثر اللحم كأنه قذف باللحم أو الذي رمي به كثيرا في الوقائع (واللبد) هي ما يلبد من الشعر على رقبة الاسد (وتقليم الاظفار) كناية عن الضعف يقال فلان مقلوم الاظفار أي ضعيف (ومن ثم) أي ومن أجل ان بناء الاستعارة على طي ذكر المستعار له (ترى المفلقين) أي الآتين بالعجائب من الفلق وهو الامر العجيب (يتناسون) في الاستعارة (التشبيه) ويسوقون الكلام فيها مساقه اذا أريد بالمستعار معناه الحقيقي لا معناه المجازي المشبه بالحقيقي فانه اذا طوي ذكره بالكلية ظهر أمر التناسي بخلاف ما اذا كان مذكورا في الجملة فانه مذكور التشبيه على انهم قد يتناسون أيضا مع التصريح بذكر طرفيه كقوله

هي الشمس مسكنها في السما * فعز الفؤاد عزاء جميلا

فلن تستطيع اليها الصعود * ولن تستطيع اليك النزولا

لما أخبر عنها بأنها الشمس جعلها كأنها هي فلو ذكر أداة التشبيه أو وجهه لم يحسن منه التناسي كما لا يخفى (قوله ويصعد) استعار الصعود للعلو في المرتبة وبنى عليه ما يبنى على العلو في المكان من (ظن الجهول بان له حاجة في السماء) قيل الصعود أيضا مبني على ما تقدم من قوله

فما زال يفرع تلك العلى * مع النجم مرتديا بالعماء

فانه استعار للترقي في المعالي فروع المنابر والجبال ثم بنى على ذلك حديث الصعود وما بعده (قوله وليصعد) أراد به نفسه استعار (الغيث) للجواد (والليث) للشجاع وبنى على الاول (المسبل) الهطال وعلى الثاني (المشبل) أي ذا الشبل وهو الولد وبنى عليهما النهي عن أن يظن في سرباله أي درعه أو ثوبه رجلا ليتناسى التشبيه وادعاء أنه حقيقة الغيث والليث فالمراد كل استعارة مرشحة ﴿فان قيل﴾ قد ذكر ههنا المشبه أعني الضمير في سرباله فلا يكون استعارة ﴿أجيب﴾ بان المراد من طي المشبه أن لا يكون مذكورا على وجه ينبئ عن التشبيه وهو أن يكون بين طرفيه حمل أو ما هو في معناه وذلك لا ينافي ذكره على وجه آخر ألا ترى انهم اتفقوا على ان القمر في قوله * قد زر ازراره على القمر * استعارة ولا شبهة في ان الضمير في قوله (فيه) راجع الى السربال دون الشخص (أسد علي) جاز تعلق الظرف به لملاحظة ما يلزمه من الجراءة لانه يستعمل

ومعنى (لا يرجعون) أنهم لا يعودون إلى الهدى بعد أن باعوه أو عن الضلالة بعد أن اشتروها تسجيلا عليهم بالطبع أو أراد أنهم بمنزلة المتحيرين الذين بقوا جامدين في مكانهم لا يبرحون ولا يدرون أيتقدمون أم يتأخرون وكيف يرجعون إلى حيث ابتدؤوا منه * ثم ثنى الله سبحانه في شأنهم بتمثيل آخر ليكون كشفا لحالهم بعد كشف وإيضاحا غب إيضاح وكما يجب على البليغ في مظان الإجمال والإيجاز أن يجمل ويوجز فكذلك الواجب عليه في موارد التفصيل والإشباع أن يفصل ويشبع أنشد الجاحظ

فهم لا يرجعون

في معنى مجترئ أو صائل وإلا كان مجازا مرسلا أو دات معنى التشبيه بالكناية كما في قوله زيد شجاع أو مجترئ وكذلك الحال في (نعامة) يلاحظ معها معنى الجبن والفرار وما قيل من أن أسدا في زيد أسد مستعمل في معناه أي المجترئ فيكون استعارة مردود بأن هذا المجموع ليس مشبها بالأسد فإن الشجاعة خارجة عن الطرفين اتفاقا والحق أن أسدا مستعمل هنالك في معناه الحقيقي وقد حمل على زيد بناء على دعوى كونه من أفراده فلا يظهر حينئذ تقدير الأداة لفوات المبالغة فإنك إذا قلت زيد كالأسد فقد جعلت مشابهته للأسد مقصودا بالإثبات وإذا قلت زيد أسد كان مقصودك حمله عليه لا مشابهته إياه كما في سائر أفراده ثم إنه قد يلاحظ على سبيل التبع لمعناه الحقيقي ما يلزمه من الجراءة والصولة وغيرهما من المعاني اللازمة فيعمل في الظرف باعتبار ذلك المعنى التابع وقد يرفع به الفاعل أيضا كما في قولك رأيت رجلا أسدا أبوه لا لقصد معنى المشابهة أولا لاعتبار اللازم واجعل تابعا أو مستعملا فيه (والعضاء) المستخرجة الجناحين وهي صفة لازمة للنعامة والبيت لعمران بن حطان مفتي الخوارج وزاهدها وبعده

هلا كررت على غزالة في الوغى * بل كان قلبك في جناحي طائر

وقد مر ذكر غزالة امرأة شبيب الخارجي قال ابن دريد هذه المرأة دخلت الكوفة في ثلاثين فارسا وفيها ثلاثون ألف مقاتل فصلت الفجر وقرأت البقرة وبقي ههنا بحث وهو أنه لا نزاع في أن تقدير الآية هم صم لكن مع ذلك ليس الاستعارة مذكورا ههنا لأنه أحوال مشاعر المنافقين وحواسهم لا ذواتهم كما دل عليه قوله كانت حواسهم سليمة الخ وفي هذه الصفات استعارة تبعية مصرح بها فلا ينبغي أن يختلف فيها لأنه استعير مصادرها لتلك الأحوال ثم اشتقت هي منها فإما أن يجاب بأنها صارت في عداد الأسماء مبنيا عليه قوله (إلا أن هذه في الصفات وذلك في الأسماء) أو بأن قوله هم صم في قوة قولنا حال أسماعهم الصمم مثلا وهو أيضا يحل مستغنى عنه فإن قولك لقيت صما استعارة قطعا مع أن تقديره أشخاصا صما وهو في قوة الحال وغاية ما يتكلف له أن يقال تشبيه ذوات المنافقين بذوات الأشخاص الصم متفرع على تشبيه حالهم بالصمم فكان القصد إلى إثبات هذه الفروع أقوى وأبلغ كأن المشابهة بين الحالين تعدت إلى الذاتين فحمل الآية على التشبيه رعاية للمبالغة في إثبات الآفة وإليه الإشارة بقوله جعلت كأنها أيبست مشاعرهم وإلا فمقتضى ظاهر الصناعة الحمل على الاستعارة التبعية المصادر (قوله ومعنى لا يرجعون) هذا المعنى إنما هو على التفسير الأخير وقد اكتفى بتقدير إحدى الصلتين لأن الأخرى منه معلومة (تسجيلا) مفعول له لقال مقدرا قبله وقوله (أو أراد) يعم التفاسير ويدل على أن لا يرجعون من قبيل التشبيه كقوله صم (قوله ثم ثنى) معطوف على قوله عقبها بضرب المثل وثلث في الورد والزيارة والحى أن يحصل ذلك يوما دون يوم واستعمله ههنا بمعنى عقيب أي إيضاحا عقيب إيضاح وعلى إثره (قوله وكما يجب) أصل الكلام أن يقال ويجب (على البليغ أن يفصل ويشبع في مواردهما) كما يجب عليه (أن يجمل ويوجز) في مظانهما إلا أنه قدم المشبه به أعني كما يجب فصار مقدارا لاطف ثم كرره بقوله (كذلك) لطول الكلام ووضع في المشبه لفظ الواجب مكان يجب عليه مبالغة فصار هو عاملا في المصدر أعني كما يجب وزيد الفاء في كذلك كأن المشبه به المقدم نزل منزلة الشرط وقيل إذا وجب ذلك فقد وجب هذا أيضا والواو في قوله (وكما) لعطف ما بعدها على ما تقدم ثم والحكم بأن هذا الواو للاستئناف وأن الكاف في (كما) مرفوع المحل على الابتداء وكلمة ما موصولة ولذلك دخلت الفاء في الخبر ظاهر البطلان وقوله (أنشد الجاحظ) استشهاد معنوي بوصف

يرمون بالخطب الطوال وتارة * وحي الملاحظ خيفة الرقباء

ومن الثاني من التمثيل في التنزيل قوله وما يستوي الاعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور وما يستوي الاحياء ولا الاموات ألا ترى الى ذي الرمة كيف صنع في قصيدته

أذلك أم نمش بالوشي أكرعه * أذاك أم خاضب بالسي مرتعه

(قال ق) فقد شبه المنافق في التمثيل الاول بالمستوقد نارا واظهاره الايمان بالاضاءة وانقطاع انتفاعه بانطفاء النار فاذ شبه في التمثيل الثاني بالصيب وبالظلمات وبالرعد وبالبرق وبالصواعق (قلت) لقائل أن يقول شبه دين الاسلام بالصيب

فوصفها بالاعة وهم يخطبون تارة ويوحون أخرى كل في موقعه بقول يرمي بالنبي د أقاه (وحي الملاحظ) نصب على المصدر أي وتارة يوحون أي يأتون بكلام سر يع خفي كلمح بالاحظ حيث أي يشيرون اليه بمؤخر عينه خوفا من الرقباء وكلمة لا في قوله (ولا الظلمات ولا الظل) مذكر للنفي مؤكد له كما في قولك ما جاءني زيد ولا عمرو وأما التي في قوله تعالى ولا النور ولا الحرور ولا الاموات فليست كذلك اذ لا يصح أن يقدر بعدها ذلك الفعل المنفي أعني يستوي لان فاعله مجموع هذين المتقابلين لا كل واحد منهما فهي زائدة محضة وقد يقال قصد نفي الاستواء من كل منهما مقيسا الى الآخر كانه قيل ولا يستوي الظلمات مع النور ولا النور مع الظلمات (قوله ألا ترى) يروى بضمير و ويكون كالبيان لما قدم وصحته ظاهرة ولولا العطف نظرا الى جانب المعنى أي ألا ترى الى ما في التنزيل وألا ترى الى قول ذي الرمة تعلم كيف صنع في قصيدته حيث قال (أذلك أم نمش) وقد يقال اذلك في موضع المصدر معمول (صنع) أي كيف صنع هذين التشبيهين (والنمش) بفتح الميم نقط بيض وسود وثور نمش القوائم بكسرها أي فيها نقط سود وقوله (بالوشي) الظرف مستقر وقع صفة لنمش أي الموصوف المذكور (وأكرعه) فاعله والعمو وأكرعه فاعل نمش أي منقش بالوشي أكرعه و... ثم قال بعد أبيات

أذلك أم خاضب بالسي مرتعه * أبو ثلاثين أمسى وهو منقلب

(والسفع) الاسود من السفعة وهو سواد في احتراق (والهدى) الذاهب (والمشط) هو الذي يخرج من أرض الى أخرى فيجاوز طاوق الصحيح قال الاصمعي (الشبب) هو المسن من ثيران الوحش الذي انتهى أسنانه وقال أبو عبيدة هو الذي انتهى شبابا وفي المحمل هو المسن من ثيران الوحش والشبوب واحد وهو ما كان كامل سنه وبالغ غاية قوته (والخاضب) هو الظليم أي الذكر من النعام دالأكل الربيع احمرت ساقاه أو صفرتا والسي المستوى من الارض وهو ههنا علم أرض بعينها شبه أولا ناقته بحمار الوحش ثم قال أذلك الحمار الذي مضى ذكره في الابيات السابقة يشبه ناقتي أم ثور وحشي وذلك الثور الوحشي يشبهها أم نعام ذكرها أمر ح اذ فوت دخل في المساء وهو منقلب اليهم وهو أسرع ما يكون وقد أدخل همزة الاستفهام مع عديلها بين هذه التشبيهات دلالة على تحيره في وصف هذه الناقة وسرعة سيرها كأنه يسأل عن ذلك وقيل دلالة على التسوية فذلك الاول اشارة الى الحمار والثاني الى الثور النمش وهو مبتدأ خبره محذوف كما أشرنا اليه ولا يجوز أن يجعل خبر مبتدأ محذوف أي أناقتي ذلك لان معادل النمش الحمار لا الناقة كما أن معادل الظليم هو النمش دونها (قوله واظهاره الايمان بالاضاءة) اعترض عليه بأنه يخالف ما تقدم من أن المشبه بالاضاءة هو الانتفاع بالكلمة المجراة على اللسان ولا ينسب ما تأخر من أن المشبه بانطفاء النار هو انقطاع الانتفاع بل ينا سب أن يقال شبه انقطاع الاظهار بالانطفاء وأجيب عن الاول بأن المراد هنا الاضاءة المعدية وغيرها لاضاءة اللازمة وتسمية ما تقدم أراد باظهار الايمان أثره أعني الانتفاع به فمعنى كلامه أنه شبه المنافق أي ذاته واظهاره الايمان بالمستوقد أي باستيقاده وشبه أثر الاول أي الانتفاع بأثر الثاني أي الاضاءة وشبه انقطاع الانتفاع بانقطاع الاضاءة ويؤيد هذا الجواب أن تشبيه ذات

لان القلوب تحيا به حياة الارض بالمطر وما يتعلق به من شبه الكفار بالظلمات وما فيه من الوعد والوعيد بالرعد والبرق وما يصيب الكفرة من الافزاع والبلايا والفتن من جهة أهل الاسلام بالصواعق والمعنى أو كمثل ذوى صيب والمراد كمثل قوم أخذتهم السماء على هذه الصفة فلقوا منها ما لقوا (فان قلت) هذا تشبيه أشياء بأشياء فأين ذكر المشبهات وهلا صرح به كما فى قوله وما يستوى الاعمى والبصير والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسىء وفى قول امرئ القيس

المنافق بذات المستوقد ليس مقصودا فى الآية قطعا والحمل على مجرد التوطئة بعيد جدا وحينئذ نقول للمستوقد استيقاد واستمتاع وضوء ونار وللمنافق اظهار الايمان والانتفاع به وانقطاعه اما بالموت أو بالفضوح كاملا أو بالطمع اذا حمل الاستماع على التأثر من الكلمة فيكون هذا التفريق والتشبيه شاملا للوجوه الثلاثة المذكورة فجعل التفسير الآخر الذى بين تعريفه هنالك (قوله لان القلوب تحيا به) وأيضا هو مع كونه سبب الصلاة موجب لهلاك هؤلاء الذين لا يسمعون حذرا كما ان الصيب مع كونه رحمة سبب لهلاك طائفة مخصوصين (قوله وما يتعلق به) ذكر جماعة من الثقات ان الرواية بصيغة المبنى للمفعول والضمير المجرور للموصول أى وشبه ما يتعلق به من شبه الكفار لدفع الاسلام بالظلمات فانها سبب الحيرة مثلها وأيدها بعضهم بالدراية لان التصريح بتعلق الشبه بدين الاسلام يشعر بانه فى نفسه كما ينبغى أن تتطرق اليه الشبهات وهذا وان لم يقدح فى حقيته لكنه يدل على نقصان ظهورها وزعم بعض الناس انه يفوت حينئذ بيان تعلق الشبهات بالدين على ما دل عليه الظرف فى قوله فيه ظلمات وان هذه الرواية تغيير وتحريف للرواية الاخرى الصحيحة قال فلا رواية ولا دراية (والجواب) ان الشبهة اذا قصد بها دفع الاسلام كان تعلقها به من هذه الجهة ظاهرا ولا حاجة الى التصريح به وان تلك الرواية قد صححها من هو أعلى كعبا منه (قوله وما فيه) أى فى دين الاسلام أعنى ان كل واحد من الوعد والوعيد شبه بكل من الرعد والبرق لاشتمال كل واحد منهما على خوف وطمع فمن حيث تضمنهما الطمع شبه بهما الوعد ومن حيث تضمنهما الخوف شبه بهما الوعيد وليس الكلام من اللف كما ظن ولذلك قال فى السؤال وبالرعد والبرق بدون الباء (قوله والمعنى أو كمثل ذوى صيب) صرح بلفظ المثل تنبيها على ان ذكره لا ينافى التفريق فى التشبيه لان كل واحد من الامور المذكورة فى جانب المشبه به حال من أحواله فيصدق عليه المثل وقس على ذلك الاحوال المطوية فى المشبه وما يقال من ان لفظ المثل فى جانب المشبه دال على المشبهات اجمالا ولا تكون مطوية كما ذكره من دونهما التشبيه لفرق ما بين خصوصيات أحوال المنافقين المعلومة فيما سبق وبين خصوصيات أحوال المستوقد أو أصحاب الصيب المفهومة من العبارات المذكورة فى جانب المشبه به فتقدير الكلام مثلهم فيما علم سابقا من أحوالهم المخصوصة كمثل المستوقد أى أحواله المخصوصة المذكورة معه أو كمثل ذوى الصيب فالاشياء المشبهة بها بخصوصياتها مذكورة دون الاحوال المشبهة فانها مطوية قطعا اعتمادا على ما سبق (فان قيل) أين للمنافقين دين تحيا به القلوب حتى تشبه بالصيب (وأجيب) بأنهم متلبسون بدين الاسلام الذى فيه حياة القلوب على وجه النفاق فيكادون لذلك اعراضا وملابسا لهم بالنسبة اليه فكان القوم بالقياس الى الصيب واليه الاشارة بقوله (والمراد كمثل قوم أصابتهم السماء على هذه الصفة) وهى ان أصابهم مطر هطال فيه ظلمات شديدة ورعد قاصف وبرق خاطف وصواعق مهلكة (فلقوا) من الخوف والمشقة والدهشة ما لقوا (قوله فان قلت هذا) أى تشبيه أحوال المنافقين باحوال المستوقد أو أحوال ذوى الصيب على التفريق (تشبيه أشياء باشياء فأين ذكر المشبهات) مع ان الامور المشبه بها مذكورة صريحة (وهلا صرح بذكرها) أيضا (وما يستوى الاعمى) فيه نشر على خلاف ترتيب اللف حيث شبه المؤمن الصالح بالبصير والمسىء بالاعمى (وفى قول امرئ القيس) نشر على ترتيبه (رطبا ويابسا) حال من

أو كصيب

كأنّ قلوب الطير رطبا ويابسا * لدى وكرها العناب والحشف البالي

(قلت) كما جاء التشبيه صريحا فقد جاء مطويا ذكره على سنن الاستعارة كقوله تعالى وما يستوي البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح أجاج ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون ورجلا سلما لرجل والصحيح الذي عليه علماء البيان لا يخطئونه أن التشبيه حيث جاء من جهة التمثيلات المركبة دون المفرقة لا يتكلف

القلوب أي رطبا بعضها ويابسا بعضها والعامل فيها (كأن) وكذا (لدى وكرها) حال منها شبه رطب القلوب بالعناب ويابسها بالحشف وهو أردأ التمر لا بيس الذي يصطاد كثيرا للاصطياد فلم تأكل قلب الطير (قوله فقد جاء مطويا ذكره على سنن الاستعارة) يريد أن طريق الاستعارة أن يطوى ذكر المشبه فيه ويجعل الكلام خلوا عنه فلا يكون مذكورا لفظا ولا مقدرا في نظم الكلام وأما التشبيه فقد يطوى فيه ذكره أيضا كذلك والفرق بينهما حينئذ من وجهين الأول أن المتروك في التشبيه منوي مراد وفي الاستعارة منسي بالكلية ومن ههنا يكشف أن المقدر ما في الاستعارة غير ثابتة في نحو ختم الله على قلوبهم من أن المعاني قد يقصد إليها بألفاظ منوية غير مقدرة في نظم العبارة فتبصر الثاني وهو العمدة أن لفظ المشبه به في التشبيه مستعمل في معناه الحقيقي وفي الاستعارة مستعمل في معنى المشبه حتى لو أقيم اسم المشبه مقامه صح المرام ولا يفوت إلا المبالغة المستفادة من التشبيه والاستعارة ومن البيان قوله (وما يستوي البحران) من قبيل التشبيه إذ لم يرد بالبحرين الإسلام والكفر بل يدل على ذلك قوله هذا عذب فرات سائغ شرابه إلى قوله وترى الفلك فيه مواخر إذ المقصود تشبيه الإسلام والكفر بهذين البحرين الموصوفين أي لا يستوي الإسلام والكفر اللذان هما كالبحرين المذكورين ومن زعم أنه من قبيل الاستعارة فقد خالف ما تقتضيه سلامة الفطرة وكذا الحال في قوله (ضرب الله مثلا) إذ معناه أن الله تعالى جعل عبدا مشتركا بين متشاكسين مثلا للعابد الصنم وجعل عبدا خالصا لشريك واحد مثلا للموحد كل واحد من رجلا ورجلا مستعمل في معناه الحقيقي لا في المشرك والموحد فلا يخفى على ذي دراية أن ذكر المشبه في الآيتين مطوي {وإن دنت} كيف يقدرونهما {وقد} هو منوي في الإرادة فلا حاجة إلى تقديره وإذا قدر فربما تحتم مع المذكور بالتصريح كما في الآية السابقة وكالآية التي نحن فيها وربما لا ينتظم معه إلا بتغيير بعض ألفاظه كقوله تعالى وما يستوي البحران (قوله والصحيح الذي عليه علماء البيان) هو عطف على قوله فقد جاء مطويا إلخ ... وليس تتمة للجواب بل هو تحقيق للمقام ... إن التمثيل في الذي ذكره في التمثيلين ... مذهب أهل الظاهر من المفسرين ... الطائفة الذين يحتجون على حرارة المعاني ... وذلك لأنه يحصل في النفس من تشبيه الهيآت المركبة ما لا يحصل من تشبيه مفرداتها فإنك إذا تصورت حال من أخذتهم السماء في ليلة تكاثفت ظلماتها بتراكم السحب وانتساج قطراتها وتواتر فيها الرعود الهائلة والبروق المخيفة والصواعق المحرقة المهلكة وهم في أثناء ذلك يزاولون غمرات الموت حصل في نفسك هيئة عجيبة توصلك إلى معرفة حال المنافقين على وجه يتقاصر عنه تشبيه الدين بالصيب والشبهات بالظلمات إلى آخر ما عرفته هنالك ولعبد القاهر كلام مشهور في أن اعتبار التركيب في قول الشاعر وكأن أجرام النجوم لوامعا * درر نثرن على بساط أزرق

أحق وأولى وإن صح التشبيه بين مفرداته وقال السكاكي كلما كان التركيب خياليا أو عقليا من أمور أكثر كان حاله في البعد والغرابة أقوى وأيضا في تشبيه المفردات وطي ذكر المشبهات تكلف ظاهر وأيضا لفظ المثل يوجع إباءه عن التركيب إذ لا يبادر منه إلا القصة التي هي في غرابتها كالمثل السائر وهي في الهيئة المركبة دون كل واحد من مفرداتها وقد يقال أيضا نظم الكلام في التمثيلين على ارتباط المعاني بعضها ببعض ... وكلمة لما يدلان على اعتبار التأليف وقوله فيه ظلمات صفة الصيب ويجاب عنه بأن المفردات المشبهة بنظائرها قد يعتبر الارتباط فيما بينها (قوله يخطئونه) تأكيد لما له و (لا يتكلف) خبر آخر لأن

لواحد واحد شئ يقدر شبهه به وهو القول الفصل والمذهب الجزل بيانه أن العرب تأخذ أشياء فرادى معزولا بعضها من بعض لم يأخذ هذا بحجزة ذاك فتشبهها بنظائرها كما فعل امرؤ القيس وجاء في القرآن وتشبه كيفية حاصلة من مجموع أشياء قد تضامت وتلاصقت حتى عادت شيأ واحدا بأخرى مثلها كقوله تعالى مثل الذين حملوا التوراة الآية الغرض تشبيه حال اليهود في جهلها بما معها من التوراة وآياتها الباهرة بحال الحمار في جهله بما يحمل من أسفار الحكمة وتساوي الحالتين عنده من حمل أسفار الحكمة وحمل ما سواها من الأوقار لا يشعر من ذلك إلا بما يمر بدفيه من الكد والتعب وكقوله واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء المراد قلة بقاء زهرة الدنيا كقلة بقاء الخضر فأما أن يراد تشبيه الأفراد بالأفراد غير منوط بعضها ببعض ومصيرة شيأ واحدا فلا فكذلك لما وصف وقوع المنافقين في ضلالتهم وما خبطوا فيه من الحيرة والدهشة شبهت حيرتهم وشدة الأمر عليهم بما يكابد من طفئت ناره بعد إيقادها في ظلمة الليل وكذلك من أخذته السماء في الليلة المظلمة مع رعد وبرق وخوف من الصواعق (فإن قلت) الذي كنت تقدره في المركب من التشبيه من حذف المضاف وهو قولك أو كمثل ذوي صيب هل تقدر مثله في المركب منه (قلت) لولا طلب الراجع في قوله تعالى يجعلون أصابعهم في آذانهم ما يرجع إليه لكنت

وله (ثم) محذوف أي فيه أو مقرر للعبر الأول والضمير في (شبهه) راجع الى شئ وفي (به) الى (واحد) وقوله (لم يأخذ هذا بحجزة ذاك) إشارة الى أنهم لم يعتبروا التأليف بين تلك الأشياء على وجه بحيث يصير الكل أمرا واحدا ملحوظا ملاحظة واحدة بلا تفصيل بين أجزائه ولا نظر في اعتبار الارتباط بينها على وجه آخر كما مر (قوله وتشبه) عطف على (يأخذ) مع ما عطف عليه بالفاء أعني (فتشبهها) وأراد بالكيفية هيئة مركبة من أمور متعددة وفي قوله (حتى عادت شيأ واحدا) تصريح بأن كل واحد من تلك الأشياء ينبغي أن يلاحظ قصدا وينضم الى صاحبه بحيث يقع على مجموعها ملاحظة واحدة فيصير ذلك شيأ واحدا ولا يتصور القصد اليها كذلك الا بألفاظ مذكورة ومقدرة أو منوية ألا ترى أن المتكلم ربما يناجي نفسه بألفاظ متخيلة وإذا فرض أن لفظا واحدا وضع لمعنى مركب ولوحظ به ذلك المعنى قصدا وشبه بمعنى آخر مثله لم يكن ذلك من التشبيه المركب في شيء وإن لوحظ أجزاؤه مفصلة في ضمن الألفاظ المتعددة والمعنى هيئة وحدانية وشبه بأخرى مثلها كان تشبيها مركبا قطعا فانكشف لك أن التشبيه المركب يجب أن يكون لفظه مركبا على أحد الأنحاء المذكورة وقد بينا في شرح المفتاح أن التشبيه التمثيلي والاستعارة المبنية عليه يجب تركيبهما لفظا وأن ما توهمه جماعة من المنتمين الى هذه الصناعة خيال فاسد و(لا يشعر) مؤكد ومقرر لتساوي الحالين عنده (وذلك) إشارة الى المذكور الذي (هو حمل الأسفار وحمل ما عداها) وقيل حال من فاعل (يحمل) ويرده أن تساوي الحالين معطوف على جهله فيقع الفصل بين أجزاء الصلة بأجنبي (بدفيه) أي بجنبيه (وقلة بقاء) مبتدأ خبره (كقلة بقاء الخضر) والجملة خبر لمبتدأ الذي هو المراد (ومصيرة) اسم مفعول معطوف على (منوط) أي غير مجعوله شيأ واحدا وقوله (فلا) جواب (أما) أي فلا يثبت وقد يقال في الكلام اختصار بحذف ما في أحد التقسيمين أي أما أن يراد تشبيه المركب بالمركب فمتحقق وأما أن يراد تشبيه الأفراد بالأفراد فلا يتحقق ويدفع لزوم ذلك بجواز السكوت على قوله امتاز بدقائقه (فكذلك) الفاء جواب لشرط مقدر وذلك إشارة الى التشبيه السابق وكذلك مصدر لشبهت أي إذا عرفت ما ذكرنا قبل ذلك التشبيه المتقدم (شبهت حيرتهم) والمراد الحيرة الخاصة الناشئة من وقوعهم في الضلالة التي استبدلوها بالهدى وقد اعتبر التركيب في التفسير الآخر كما أشرنا اليه (قوله وكذلك) أي ومثل من طفئت ناره من أخذته السماء في أنه شبهت بما يكابده أيضا حيرة المنافقين وشدة الأمر عليهم (قوله الذي كنت تقدره) أي تفرضه وتعتبره لأن المقدر المقابل للملفوظ هو المضاف لا حذفه وقيل تساهل في العبارة وأراد المضاف المحذوف (وهو) أي ذلك المقدر أو المضاف المحذوف وقوله (هل تقدر مثله) ظاهر في تقدير

مستغنيا عن تقديره لأني أراعي الكيفية المنتزعة من مجموع الكلام فلا علي أولي حرف التشبيه مفرد يتأتى التشبيه به أم لم يله ألا ترى إلى قوله إنما مثل الحياة الدنيا الآية كيف ولي الماء الكاف وليس الغرض تشبيه الدنيا بالماء ولا بمفرد آخر يتمحل لتقديره ومما هو بين في هذا قول لبيد

وما الناس إلا كالديار وأهلها * بها يوم حلوها وغدوا بلاقع

لم يشبه الناس بالديار وإنما شبه وجودهم في الدنيا وسرعة زوالهم وفنائهم بحلول أهل الديار فيها ووشك نهوضهم عنها وتركها خلاء خاوية (فإن قلت) أي التمثيلين أبلغ (قلت) الثاني لأنه أدل على فرط الحيرة وشدة الأمر وفظاعته ولذلك أخروه وهم يتدرجون في نحو هذا من الأهون إلى الأغلظ (فإن قلت) لم عطف أحد التمثيلين على الآخر بحرف الشك (قلت) أو في أصلها لتساوي شيئين فصاعدا في الشك ثم اتسع فيها فاستعيرت للتساوي في غير الشك وذلك قولك جالس الحسن أو ابن سيرين تريد أنهما سيان في استصواب أن يجالسا ومنه قوله تعالى ولا تطع منهم آثما أو كفورا أي الآثم والكفور متساويان في وجوب عصيانهما وكذلك قوله أو كصيب معناه أن كيفية قصة المنافقين مشبهة لكيفيتي هاتين القصتين وأن القصتين سواء

كمثل ذوي صيب الآن تمسكه بطلب الضمير مرجوعا إليه لا يقتضي إلا تقدير ذوي وأما تقدير مثل فلأن المقصود تشبيه صفة المنافقين بصفة ذوي صيب وتقديره أوفق في تأدية هذا المعنى وأشد ملاءمة مع المعطوف عليه وهو كمثل الذي استوقد ومع المشبه وهو مثلهم ولو صح أن يقال أو كذوي صيب على طريقة قوله تعالى إنما مثل الحياة الدنيا كماء ومنهم من جعل تقدير مثل أمرا مستقلا يقتضيه العطف على السابق ثم بنى عليه تقدير ذوي لأن إضافة القصة إلى كل واحد من الأجزاء التي لها مدخل فيها صحيحة لكن إضافتها إلى أصحابها حقيقة وإلى الماء في مجاز ألا ترى إلى ما ذكره المصنف في قوله تعالى مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة من أنه لا بد من حذف المضاف أي مثل نفقتهم أو كمثل باذر حبة ورد عليه بأن كلامه صريح في انحصار ما يقتضي تقدير ذوي في طلب الضمير ما يرجع إليه وهو مردود بأن ذلك الحصر إنما هو بالقياس إلى التشبيه كما يقتضيه تعليله وكأنه قال لا يقتضيه التشبيه بل الضمير فلا ينافي أن يكون هناك مقتض آخر والمستتر في قوله (ما يرجع) عائد إلى الراجع والهمزة وأم في (أولي أم لم يل) للتسوية أي ليس مدار على وجود الولي وعدمه والمعنى إن ولي أو لم يل فلا علي وقد سبق تحقيقه (في هذا) أي في أن ما يلي الكاف ليس مشبها به وإنما كان بينا في هذا المعنى لأن تشبيه الناس بالديار مما لا يصح أصلا بخلاف تشبيه الحياة بالماء فإنه ربما يقدر مضاف أي كمثل ماء بقرينة ذكره في المشبه شبه لبيد حال الناس في وجودهم في الدنيا وسرعة زوالهم ورحيلهم عنها بحال أهل الديار في الحلول وسرعة الارتحال فهي يوم حلولهم عامرة (و) بالعدم خالية (وأهلها) مبتدأ خبره (بها) و(يوم حلوها) ظرف لهذا الخبر (وبلاقع) خبر مبتدأ محذوف أي وهي بلاقع (قوله غدوا) أي غداة ارتحال الجيران عنها حال من الديار والعامل فيها معنى التشبيه أي يشبهون الديار حال كونها كذا وكذا (قوله أو في أصلها) دل كلامه على أن أو موضوعة في أصلها (للتساوي في الشك) فلذلك اشتهرت بأنها كلمة الشك فتكون مخصوصة بالخبر (ثم استعيرت للتساوي في غير الشك) فاستعملت في غير الخبر بالمعنى المجازي فقط كالتساوي في استصواب المجالسة ووجوب العصيان وغيرهما وفي الخبر لكلا المعنيين أعني الحقيقي الذي هو الشك والمجازي كالتساوي في الاستقلال بوجه التمثيل في هذه الآية فيستفاد صحة التشبيه بكل واحدة من هاتين القصتين وبمجموعهما ولو عطف بالواو لربما أوهم صحة التشبيه بمجموعهما لا بكل واحدة منهما وذكر في المفصل أن كلمة أو لأحد الأمرين مطلقا ولا شك أن هذا معنى يعم مواردها من الإنشاءات والإخبارات كلها وأما الشك والتشكيك والإبهام والتخيير والإباحة فليس شيء منها داخلا في مفهومها بل مستفاد من مواقعها في الكلام وما اختاره في الكشاف مبني على تبادر الشك منها في الخبر وإنما قال (في وجوب عصيانهما) بناء على أن النهي عن

من السماء فيه ظلمات ورعد

في استقلال كل واحدة منهما بوجه التمثيل فبأيتهما مثلتها فأنت مصيب وان مثلتها بهما جميعا فكذلك والصيب المطر الذي يصوب أي ينزل ويقع ويقال للسحاب صيب أيضا قال الشماخ

* وأسحم دان صادق الرعد صيب * وتنكير صيب لانه أريد نوع من المطر شديد هائل كما نكرت النار في التمثيل الاول * وقرئ كصائب والصيب أبلغ * والسماء هذه المظلة وعن الحسن أنها موج مكفوف (فان قلت) قوله (من السماء) ما الفائدة في ذكره والصيب لا يكون الا من السماء (قلت) الفائدة فيه أنه جاء بالسماء معرفة فنفى أن يتصوب من سماء أي من أفق واحد من بين سائر الآفاق لان كل أفق من آفاقها سماء كما أن كل طبقة من الطباق سماء في قوله وأوحى في كل سماء أمرها والدليل عليه قوله

* ومن بعد أرض بيننا وسماء * والمعنى أنه غمام مطبق آخذ بآفاق السماء كما جاء بصيب وفيه مبالغات من جهة التركيب والبناء والتنكير أمد ذلك بأن جعله مطبقا وفيه أن السحاب من السماء ينحدر ومنها يأخذ ماءه لا كزعم من يزعم أنه يأخذه من البحر ويؤيده قوله تعالى وينزل من السماء من جبال فيها من برد (فان قلت) بم ارتفع (ظلمات) (قلت) بالظرف على الاتفاق لاعتماده على موصوف * والرعد الصوت الذي

الاطاعة مانع له لا من العصيان فيكون المعول متعلقا بالنفي كأنه قيل أعص هذا أو ذاك فهما يتساويان في وجوب العصيان وذهب بعضهم الى ان كلمة أو ههنا على بابها أعني اثم الاحد الامرين واعتبار التعميم في عدم الاطاعة من النهي الذي فيه معنى النفي اذ المعنى قبل وجود النهي تصبيح آثما أو كفورا أي واحدا منهما وذا نهي صار المعنى لا تطع واحدا منهما فلم وقيل هي بمعنى الواو ويرده ما ذكره في سورة الانسان من انه لو قيل لا تطعهما جاز أن يطيع أحدهما واذا قيل لا تطع أحدهما علم ان الناهي عن طاعة أحدهما عن طاعتهما جميعا انهى كما يعلم من تحريم التأفيف تحريم الضرب وحاصله ان العطف بالواو يفيد النهي عن الجمع دون كل واحد وبأو يفيد النهي عن كل واحد منفردا صريحا ومعا بطريق الاولى (ويقال للسحاب صيب) أي على أنه صفة أيضا وأول البيت * عفا آية نسج الجنوب مع الصبا * أي محا آثار المنازل هبوب هاتين الريحين واختلافهما بنسج الحائك الثوب بجعل احداهما بمنزلة السدى والاخرى بمنزلة اللحمة (وأسحم) أي سحاب أسود (دان) قريب من الارض (صادق الرعد) أي غير خلب (صيب) هطال وهذه الاوصاف ظاهرة الثبوت في السحاب دون المطر بل لا يوصف بصدق الرعد كأنهما اتصافه فيه واعتبار كان (الصيب أبلغ) لكونه من صيغ الصفة المشبهة (موج مكفوف) أي ممنوع من أن يسيل وقد روى انه صلى الله عليه وآله قال أتدرون ما فوقكم قالوا الله ورسوله أعلم قال فانها الرقيع سقف محفوظ وموج مكفوف (والدليل عليه) أي على ان كل أفق من آفاقها سماء (قوله ومن بعد أرض) أوله

* فأوه لذكراها اذا ما ذكرتها * اوه كلمة توجع تستعمل مع اللام ومن أي توجعت لذكر الحبيبة ومن بعد ما بيني وبينها من قطع أرض وقطع سماء يقابل تلك القطعة الارضية فنكرهما اذ لا يتصور بينهما بعد بجميع الارض والسماء ولما صح اطلاقها على كل ناحية وأفق منها جيء بها معرفة باللام لتعيين العموم ويدل على انه غمام مطبق آخذ بآفاق السماء ولو نكرت لجاز أن يكون الصيب من بعض الآفاق (قوله وكما جاء) يعني لما كان (في صيب مبالغات من جهة التركيب) في مادته الاولى أعني الحروف فان الصاد من المستعلية والياء مشددة والباء من الشديدة ومادته الثانية أعني الصوت فانه نزول له وقع وتأثير (ومن جهة البناء) أي الصورة فان فيه لامن الصيغ الدالة على الثبوت و(من جهة التنكير) العارض لانه للتعظيم والتهويل كتنكير النار في التمثيل الاول بولغ أيضا باعتبار ما يجاوزه فجيء بالسماء معرفة دلالة على ما ذكره من التطبيق (قوله وفيه) يريد انه أدمج في ذكر السماء نكتة أخرى مبنية على القول بأن السحاب اما من السماء أو من البحار لا قائل بان بعضه من هذا وبعضه من ذلك (قوله بالظرف على الاتفاق) أي يجوز ذلك بالاتفاق لانه يجب بخلاف ما اذا لم يعتمد الظرف فان سيبويه لا يجوز عمله يقال انتهض

يجتمع من السحاب كأن أجرام السحاب تضطرب وتنتقض اذا حدتها الريح فتصوت عند ذلك من الارتعاد
* والبرق الذى يلمع من السحاب من برق الشئ بريقا اذا لمع (فان قلت) فى جعل الصيب مكانا للظلمات
ولا يعلو من أن يراد به السحاب أو المطر فأيهما أريد فظلماته (قلت) أما ظلمات السحاب فاذا كان أسحم
مطبقا فظلمة سحمته وتطبيقه مضمومة اليها ظلمة الليل وأما ظلمات المطر فظلمة تكاثفه وانتساجه بتتابع
القطر وظلمة اظلال غمامه مع ظلمة الليل (فان قلت) كيف يكون المطر مكانا للبرق والرعد وانما مكانهما
السحاب (قلت) اذا كانا فى أعلاه ومصبه وملتبسين فى الجملة به فهما فيه ألا تراك تقول فلان فى البلد
وما هو منه الا فى حيز يشغله جرمه (فان قلت) هلا جمع الرعد والبرق أخذا بالاسم كقول البحترى

يا عارضا متلفعا ببروده ● يختال بين بروقه ورعوده

وكما قيل ظلمات (قلت) فيه وجهان أحدهما أن يراد العينان ولكنهما لما كانا مصدرين فى الاصل يقال
رعدت السماء رعدا وبرقت برقا روعى حكم أصلهما بأن ترك جمعهما وان أريد معنى الجمع والثانى أن يراد
الحدثان كأنه قيل وارعاد وابراق وانما جاءت هذه الاشياء منكرات لان المراد أنواع منها كأنه قيل فيه
ظلمات داجية ورعد قاصف وبرق خاطف * وجاز رجوع الضمير فى يجعلون الى أصحاب الصيب مع كونه

من الرعدة وهى انتقاض البدن (حدتها) أى ساقتها وقوله (من الارتعاد) أى مشتق من الارتعاد وفان المصنف
يرد المجرد الى المزيد اذا كان المزيد أعرف بالمعنى الذى عنه يشتق لا الاشتقاق كالقدرس لتقدير والوجه
من المواجهة وقيل كلمة من هذه اتصالية أى هو من جنس واحد يجمعهما لا الاشتقاق من الرعدة وكذا
التى فى قوله من برق الشئ بريقا (قوله فظلماته) هذه صلة لادنى ملابسة لا انها هى فى قوله (فاذا كان
أسحم) هذه الفاء جواب أما وكلمة اذا شرطية جزاؤها فظلمة أى اذا كان السحاب أسود مطبقا فظلماته أى
ظلماته ظلمة سحمته وتطبيقه مضمومة اليها ظلمة الليل وقوله مضمومة حال من ظلمة نظرا الى المعنى كأنه
قيل اذا كان كذا انضمت فيه الظلمات سحمته اليهما ظلمة ثالثة واعلم انه وظلمة الليل لا تلتبس فى السحاب
بل الامر بالعكس لكنها باعتبار انضمامها اليهما تحصل فى السحاب اما تغليبا واما على ان كلمة فى مستعارة
للملابسة التى تعم الشكل وقد أيضا فى المطر مع ظلمة الليل والذى يستبعده ظلمته هو قوله تعالى كلما
أضاء لهم مشوا فيه فظلمة تكاثفه لان تقارب القطرات تقتضى قلة الهوى الحامل للنور وظلمة اظلال غمامه
بكسر الهمزة (قوله كيف يكون) يعنى ان ظرفية السحاب للرعد والبرق ظاهرة دون ظرفية المطر لهما أجاب
بانهما لما كانا فى محل يتصل به هو أعلاه ومصبه أعنى السحاب جعلا كأنهما فيه بناء على استعارة كلمة فى
للملابسة تشبيها لملابسة الظرفية كما شبهت بها ملابسة الشخص للبلد فاستعمل فيه كلمة فى وقيل ان دان
المطر كما ينزل من أسفل السحاب ينزل من أعلاه أيضا فهو شامل للمكان الذى فيه الغيم فهما فى حيز من المطر
متصل بالسحاب كما ان الشخص فى حيز من البلد فهذا أقرب الى المثال والاول الى عبارة الكتاب (قوله

يا عارضا) تمامه

لو شئت عدت بلادنجد عودة ● فحللت بين عقيقه وزروده

العارض السحاب يعرض فى الجو (تلفع) تلحف به استعار التلفع بالبرود لتكاثفه وتراكمه ورشحه
(بالاختيال) أى التبختر الذى هو من عادة المتعممين بلبسها وقيل شبه السحاب لتكاثفه بمن لبس برودا
كثيرة وأثبت له البرود تخييلا والتلفع والاختيال ترشيحا وقوله (وكما قيل) عطف على أخذا بحسب المعنى
أى للاخذ بالاسم وللمناسبة أو على قوله كقول البحترى (قوله أن يراد العينان) أراد بالعين ما يقابل الحدث
الذى هو المعنى المصدرى لا ما يقابل المعنى فان الرعد بمعنى الصوت من قبيل المعانى دون الذوات والبرق
ان كان ضوءا قائما بالسحاب فهو أيضا معنى وان كان نارا كان ذاتا (و) لفظ (الحدثان) يروى بكسر النون
على صيغة التثنية وهذا أنسب بقوله العينان وبالرفع على انه اسم المصدر (والارعاد والابراق) من ارعدت
السماء وابرقت اذا صارت ذات رعد وبرق لا من ارعد القوم وابرقوا اذا أصابهم رعد وبرق (والقاصف)

وبرق

محذوفاً قائماً مقامه المضاف كما قال أو هم قائلون لأن المحذوف باق معناه وإن سقط لفظه ألا ترى إلى حسان كيف عوّل على بقاء معناه في قوله

يسقون من ورد البريص عليهم * بردى يصفق بالرحيق السلسل

حيث ذكر يصفق لأن المعنى ماء بردى ولا محل لقوله يجعلون لكونه مستأنفاً لأنه لما ذكر الرعد والبرق على ما يؤذن بالشدة والهول فكأن قائلاً قال فكيف حالهم مع مثل ذلك الرعد فقيل (يجعلون أصابعهم في آذانهم)* ثم قال فكيف حالهم مع مثل ذلك البرق فقيل يكاد البرق يخطف أبصارهم (فإن قلت) رأس الاصبع هو الذي يجعل في الأذن فهلا قيل أناملهم (قلت) هذا من الاتساعات في اللغة التي لا يكاد الحاصر يحصرها كقوله فاغسلوا وجوهكم وأيديكم فاقطعوا أيديهما أراد البعض الذي هو إلى المرفق والذي إلى الرسغ وأيضاً ففي ذكر الاصابع من المبالغة ما ليس في ذكر الانامل (فإن قلت) فالاصبع التي تسد بها الأذن إصبع خاصة فلم ذكر الاسم العام دون الخاص (قلت) لأن السبابة فعالة من السب فكان اجتنابها أولى بآداب القرآن ألا ترى أنهم قد استبشعوها فكنوا عنها بالمسبحة والسباحة والمهللة والدعاءة (فإن قلت) فهلا ذكر بعض هذه الكنايات (قلت) هي ألفاظ مستحدثة لم يتعارفها الناس في ذلك العهد وإنما أحدثوها بعد وقوله (من الصواعق) متعلق بيجعلون أي من أجل الصواعق يجعلون أصابعهم في آذانهم كقولك سقاه من العيمة والصاعقة قصفة رعد تنقض معها شقة من نار قالوا تنقدح من السحاب إذا اصطكت أجرامه وهي نار لطيفة حديدة لا تمر بشيء إلا أتت عليه إلا أنها مع حدتها سريعة الخمود يحكى أنها سقطت على نخلة فأحرقت نحو النصف ثم طفئت ويقال صعقته الصاعقة إذا أهلكته فصعق أي مات إما بشدة الصوت أو بالاحراق ومنه قوله تعالى وخر موسى صعقاً * وقرأ الحسن من الصواقع وليس بقلب للصواعق لأن كلا

شديد الصوت من القصف وهو الكسر وقيل القصف هو الصوت القوي (قوله يسقون) هو من قصيدة مطلعها * أسألت رسم الدار أم لم تسأل * وفيها * لله در عصابة نادمتهم * يوماً بجلق في الزمان الأول * يصف معاشرته مع الملوك الغسانيين وبردى نهر بدمشق والبريص شعبة منه والتصفيق التحويل من إناء إلى آخر للتصفية (والرحيق) الشراب الخالص الذي لا غش فيه (والسلسل) السهل الانحدار أي يسقون من ورد البريص نازلاً عليهم وصبه لهم ماء بردى ممزوجاً ملتبساً بالرحيق أي بخمر والخمر الصافية المستعملة فتذكير الضمير في (يصفق) لرجوعه إلى الماء المحذوف ولو روعي حال اللفظ القائم مقامه لأنث لأن لفظ بردى للتأنيث كما جمع في أو هم قائلون لرجوعه إلى أهل القرية وفي (يجعلون) لعوده إلى ذوي الصيب ولو اعتبر حال المذكور الذي قام مقامه لأفرد في الأول وأنث في الثاني وذكر (قوله على ما يؤذن بالشدة) أي على الوجه الذي يؤذن به وهو التنكير (قوله فكيف حالهم مع مثل ذلك الرعد) فإن قيل الجواب لا يطابق هذا السؤال لأنه يبين حالهم مع الصواعق دون الرعد فإنا نقول لما كانت الصاعقة قصفة رعد أي شدة صوت تنقض معها شقة من نار كان الجواب مطابقاً كأنه قيل يجعلون أصابعهم في آذانهم من شدة صوت الرعد وانقضاض قطعة نار معها (قوله من الاتساعات في اللغة) والقرينة في أصابعهم عقلية وفي أيديكم لفظية أعني المرافق وفي أيديهما شرعية والسباحة صيغة مبالغة من سبح بمعنى سبح ولا نسلم أن هذه الكنايات لا تناسب هذه القصة والعيمة شهوة اللبن ولفظة من في أمثال ذلك ابتدائية على سبيل التعدية فيكون ما بعدها أمراً باعثاً على الفعل الذي قبلها فيقال مثلاً قعد من الجبن ولا يكون غرضاً مطلوباً منه إلا إذا صرح بما يدل على التعليل ظاهراً كقولك ضربته من أجل التأديب بخلاف اللام فإنها وحدها تستعمل في كل منهما (قوله إلا أتت عليه) أي غلبت عليه وأهلكته (قوله فأحرقت نحو النصف) فإن أراد نحو الطول فذلك يدل على شدة الحدة وقوله (ثم طفئت) أي بسرعة عطف على أحرقت وثم للاستبعاد وإن أراد عرضاً كان دالاً على تلك الشدة (وثم طفئت) عطف على (سقطت) ودال على سرعة الخمود (قوله وخر موسى صعقاً)

يجعلون أصابعهم في آذانهم من الصواعق

* قوله تعالى يجعلون أصابعهم في آذانهم الآية (قال محمود رحمه الله فإن قلت المجعول من الاصابع في الآذان رؤوسها الخ) قال أحمد رحمه الله لأن فيه إشعاراً بأنهم يبالغون في إدخال أصابعهم في آذانهم فوق العادة المعتادة في ذلك فراراً من شدة الصوت (قال محمود رحمه الله فإن قلت فالاصبع التي تسد بها الأذن الخ) قال أحمد رحمه الله لا ورود لهذين السؤالين * أما الأول فلأنه غير لازم أن يسدوا في تلك الحالة بالسبابة ولا بد فإنها حالة حيرة ودهش فأي أصبع اتفق أن يسدوا بها فعلوا غير معرجين على ترتيب معتاد في ذلك فذكر مطلق الاصابع أدل على الدهش والحيرة أو لعلهم يؤثرون في هذه الحال سد آذانهم بالوسطى لأنها أصم للأذن وأحجب للصوت فلم يلزم اقتصارهم على السبابة وأما السؤال الثاني فمفرع على الأول وقد ظهر بطلانه وأيضاً ففيه مزيد ركاكة إذ الغرض تشبيه حال المنافقين بحال أمثالهم

البناءين سواء في التصرف وإذا استويا كان كل واحد بناء على حياله ألا تراك تقول صقعه على رأسه وصقع الديك وخطيب مصقع مجهر بخطبته ونظيره جبذ في جذب ليس بقلبه لاستوائهما في التصرف وساوه إما أن يكون صفة لقصفة الرعد أو للرعد والتاء مبالغة كما في الراوية أو مصدرا كالكاذبة والعافية * وقرأ ابن أبي ليلى حذار الموت وانتصب على أنه مفعول له كقوله * وأغفر عوراء الكريم ادخاره * والموت فساد بنية الحيوان وقيل عرض لا يصح معه إحساس معاقب للحياة * وإحاطة الله بالكافرين مجاز والمعنى أنهم لا يفوتونه كما لا يفوت المحاط به المحيط به حقيقة وهذه الجملة اعتراض لا محل له * والخطف الأخذ بسرعة وقرأ مجاهد يخطف بكسر الطاء والفتح أفصح وأعلى وعن ابن مسعود يختطف وعن الحسن يخطف

أي مغشيا عليه غشية كالموت واعتبر فيه معنى الهلاك على سبيل الاستعارة فلذلك فسره (قوله سواء في التصرف) أي متساويان في أنه يتصرف في كل منهما ويشتق منه ألفاظ كثيرة ولا ينافيه اختلاف عدد تلك الألفاظ (قوله يقال صقعه على رأسه) وصقع رأسه أي ضرب صوقعه وهو موضع البياض في وسط الرأس وقوله (على رأسه) مبالغة في الإيضاح كسمعت بأذني وصقع الديك أي صرخ والمصقع بكسر الميم الجهور بكسرها وهو الذي من عادته أن يجهر بكلامه وساوه يعني أن الصاعقة في أصلها ما صفة أو مصدر وأما الآن فهو اسم لقصفة الرعد المذكورة وعلى لغة تدبر جمعها على صواعق جار على القياس (قوله على أنه مفعول له) للجعل المعلل بقوله من الصواعق وكلاهما باعث ليس بغرض (قوله وأغفر) أي أستر (والعوراء) الكلمة القبيحة (وادخاره) مفعول له معرف بالإضافة كحذر الموت وتمامه * وأعرض عن شتم اللئيم تكرما * (قوله والموت فساد بنية الحيوان) فعلى هذا يكون أمرا عدميا وقيل عرض مانع من الإحساس معاقب للحياة أي لا يجامعها بل يعقبها فيكون أمرا وجوديا واستدل عليه بقوله تعالى خلق الموت والحياة وأجيب بأن المقصود من الخلق هو التقدير (قوله وإحاطة الله تعالى بالكافرين مجاز) فإنه شبه شمول قدرته تعالى إياهم بإحاطة المحيط بما أحاط به في امتناع الفوت فكان هناك استعارة تبعية في الصفة سارية إليها من مصدرها وإن شبه حاله تعالى معهم بحال المحيط مع المحاط أي شبه هيئة منتزعة من عدة أمور يجري مثلها كان هناك استعارة تمثيلية لا تصرف في شيء من ألفاظ مفرداتها إلا أنه لم يصرح هنا إلا بما هو العمدة في الهيئة المشبهة بها أعني الإحاطة والموقع من الألفاظ منويه في الإرادة على ما عرف تحقيقه في نظائره ومن زعم أن كون هذه الاستعارة تبعية لا ينافي كونها تمثيلية لتغاير الطرفين من اعتبار التركيب إن أراد به أن معنى الإحاطة مركب فقط لا يه ظاهر لأنها كالضرب مدلولها مفرد وإن أراد اعتباره منضما مع مدلوله مع غيره لم يكن مدلول الإحاطة حينئذ مشبها به وكيف يسري عنه الاستعارة إلى الوصف المشتق منها ومن ههنا ينكشف لك أن الاستعارة التمثيلية لا تكون تبعية أصلا كما نبهت عليه غير مرة في أولئك على هدى من ربهم والضمير المجرور في (المحاط) به عائد إلى اللام والظرف مرفوع محلا على أنه فاعل وفي المحيط به راجع إلى المحاط والظرف منصوب المحل على المفعولية (قوله وهذه الجملة اعتراض) وقعت مع واو وتسمى اعتراضية في أثناء الكلام الذي هو الاستئناف الأول فإن كل واحد من يجعلون ويكاد كلام مستقل ونكتة هذه الجملة الاعتراضية التنبيه على أن الحذر من الموت لا يجدي وفائدة وضع الكافرين موضع الضمير الدلالة على أن أصحاب الصيب كفار ليظهر استحقاقهم شدة الأمر عليهم على طريقة قوله تعالى أصابت حرث قوم ظلموا فإن الإهلاك الناشئ عن السخط أشد ومنهم من جعل هذه المعترضة من أحوال المشبه على أن المراد بالكافرين المنافقون دل بها على أنهم لا مدفع لهم من عذاب الله في الدنيا والآخرة وإنما وسطت بين أحوال المشبه به مع أن القياس تقديمها أو تأخيرها تنبيها على شدة الاتصال بين المشبه والمشبه به ودلالة على فرط الاهتمام بشأن المشبه (قوله والفتح أفصح) في الصحاح الخطف الاستلاب يقال خطفه بالكسر وهي اللغة الجيدة وفيه لغة أخرى حكاها الأخفش بفتح العين في الماضي وكسرها في الغابر وأصله يختطف نقلت حركة التاء

حذر الموت والله محيط بالكافرين يكاد البرق يخطف أبصارهم

من ذوي الخبرة فكيف يليق أن يحكى عن أصحابهم بالصعقات ولعل السبتهم ماسبحت الله فطاشم لذا كان الغرض من التمثيل تصوير المعاني في الأذهان تصور المحسوسات فتلك تليق بذكر الصرائح واجتناب الكنايات والرموز

بفتح الياء والخاء وأصله يختطف وعنه يخطف بكسرهما على اتباع الياء الخاء وعن زيد بن علي يخطف من خطف وعن أبي يتخطف من قوله ويتخطف الناس من حولهم (كلما أضاء لهم) استئناف ثالث كأنه جواب لمن يقول كيف يصنعون في تارتي خفوق البرق وخفيته وهذا تمثيل لشدة الامر على المنافقين بشدته على أصحاب الصيب وما هم فيه من غاية التحير والجهل بما يأتون وما يذرون اذا صادفوا من البرق خفقة مع خوف أن يخطف أبصارهم انتهزوا تلك الخفقة فرصة فخطوا خطوات يسيرة فاذا خفي وفتر لمعانه بقوا واقفين متقيدين عن الحركة ولو شاء الله لزاد في قصيف الرعد فأصمهم أو في ضوء البرق فأعماهم وأضاء اما متعد بمعنى كلما نور لهم مسلكا أخذوه والمفعول محذوف واما غير متعد بمعنى كلما لمع لهم (مشوا) في مطرح نوره وملقى ضوئه ويعضده قراءة ابن أبي عبلة كلما ضاء لهم والمشي جنس الحركة المخصوصة فاذا اشتد فهو سعي فاذا ازداد فهو عدو (فان قلت) كيف قيل مع الاضاءة كلما ومع الاظلام اذا (قلت) لانهم حراص على وجود ما همهم به معقود من امكان المشي وتأتيه فكلما صادفوا منه فرصة انتهزوها وليس كذلك التوقف والتحبس ● وأظلم يحتمل أن يكون غير متعد وهو الظاهر وأن يكون متعديا منقولا من ظلم الليل وتشهد له قراءة يزيد بن قطيب أظلم على ما لم يسم فاعله وجاء في شعر حبيب بن أوس

كلما أضاء لهم مشوا فيه واذا أظلم عليهم

الى الخاء ثم أدغمت في الطاء وقد تحذف حركتها للادغام فتحرك الخاء بالكسر اما لالتقاء الساكنين واما للمناسبة للطاء في قال يخطف وحينئذ قد يجعل حرف المضارعة تابعا للخاء ومنه القراءة المروية بقوله على اتباع الياء الخاء يعني ومع اتباع الخاء للطاء أو تحريكها بالكسر لالتقاء الساكنين (قوله من قوله ويتخطف الناس من حولهم) أشار به الى انه متعد (قوله وهذا تمثيل) لم يرد ان قوله كلما أضاء تمثيل مستقل بل أراد انه من جملة أحوال ذوي الصيب وقد بولغ بذلك في شدة الحال عليهم وبين فرط تحيرهم في أمرهم دلالة على شدة الحال على المنافقين وتناهي حيرتهم بطريق التشبيه (وما هم فيه) عطف على (شدته) كأنه تفسير لها وقوله (اذ صادفوا) بيان لغاية التحير (قوله والخفقة) من خفق البرق خفقا أي لمع والفرصة الشرب والنوبة يقال وجد فلان فرصة أي نهزة وفاتت فرصته من البئر أي نوبته (والنهز) التناول ابتك والنهوض للتناول والنهزة الشيء الذي هو معرض لك كالغنيمة والانتهاز كالافتراص يتعدى الى مفعول واحد فقوله فرصة حال من موصوف الخفقة وقيل مفعول ثان بتضمين الانتهاز معنى الاتخاذ وقيل تلك الخفقة مصدر بتأويل الزمان وفرصة معمول أي انتهزوا في وقت تلك الخفقة فرصة وراء ما قال خطوات يسيرة لان زمان الخفقة قصير جدا (قوله فأصمهم) جعلهم صما وأعماهم جعلهم عميا (قوله أخذوه) أي ذلك المسلك ومشوا فيه وقوله (في مطرح نوره) يشير الى ان الضمير على هذا التقدير راجع الى البرق بتقدير المضاف وفاعل اشتد هو المشي وفاعل ازداد هو الاشتداد (قوله ما همهم به معقود) لا يباينه ما تقدم من قوله والجهل بما يأتون وما يذرون لانه كناية عن شدة الامر تأكيدا للغاية الحيرة فلا ينافي عقد الهم ولان معناه لا يعلمون كيف يأتون ما يأتون وكيف يذرون ما يذرون مع كونهم حراصا على المشي (قوله وهو الظاهر) لكثرة استعماله وان كان ههنا مجازا عن خفية البرق واستتاره ولان المتعدي لم يوجد في استعمال من يستشهد بكلامه ولم يذكره الثقات من نقلة اللغة الا القليل قال الازهري كل واحد من اظلم واظلم يكون لازما ومتعديا ونقل عن الليث أنه يقال أظلم فلان علينا البيت اذا أسمعك ما تكره من ظلم الليل بالكسر نقله الجوهري والازهري عن الفراء (قوله وتشهد له) رد هذه الشهادة بجواز كونه لازما ومسندا الى الظرف وأجيب بان عليهم مقابل لهم في اضاء لهم فان جعلا مستقرين لم يصح عليهم ان يقوم مقام الفاعل أصلا وان جعلا صلتين للفعلين على تضمينهما معنى النفع والضرر صح لان يقوم مقام فاعل المضمن دون المضمن فيه على تقدير صلوحه لذلك فعطف اذا أظلم على كلما أضاء على معنى كونهما جوابا للمسؤول عما يصنعون في تارتي خفوق البرق وخفيته يقتضي ان يكون أظلم مسندا الى ضمير البرق كأضاء على

هما طلبا حالی ثم أجليا ● ظلاميهما عن وجه أمرد أشيب

وهو وإن كان محدثا لا يستشهد بشعره في اللغة فهو من علماء العربية فاجعل ما يقوله بمنزلة ما يرويه ألا ترى إلى قول العلماء الدليل عليه بيت الحماسة فيقتنعون بذلك لوثوقهم بروايته وإتقانه ومعنى (قاموا) وقفوا وثبتوا في مكانهم ومنه قامت السوق إذا ركدت وقام الماء جمد ● ومفعول شاء محذوف لأن الجواب يدل عليه والمعنى ولو شاء الله أن يذهب بسمعهم وأبصارهم لذهب بها ولقد تكاثر هذا الحذف في شاء وأراد لا يكادون يبرزون المفعول إلا في الشيء المستغرب كقوله ● فلو شئت أن أبكي دما لبكيته ● وقوله تعالى لو أردنا

معنى كلما عمهم البرق بإضاءته انتهزوا وإذا أظلم عليهم بظلامه واحتبسوا به دهشوا وقد يجاب أيضا بأن بناء أفعل للمفعول من المتعدي بنفسه أكثر فالحمل عليه أولى (قوله هما طلبا) قبل هذا البيت

أفاوت إرشادي فعقلي مرشدي ● أم استمت تأديبي فدهري مؤدبي

وقوله هما راجع إلى العقل والدهر وقيل إلى الإرشاد والإذالة وتأديبها والاستفهام للتطلب افتعال من السوم وأراد بحاليه ما يتواتر عليه من المتقابلين كالخير والشر والغنى والفقر والصحة والمرض والعسر واليسر والقعود والتعميم وإسناد الإطلاع إلى العقل لأن العيش لا يصيب لعاقل وإلى الدهر لأنه يعادي كل واصل (قوله أجليا) أي كشفا ظلاميهما وقوله عن وجه أمرد أشيب من قبيل التجريد أي عن وجهي وأنا شاب في السن وشيخ أشيب في تجربة الأمور وعرفانها أو أشيب في عمر أو بما قاساه الشدائد والهمزة في أفاوت للإنكار أي ما كان ينبغي تجشمي في الإرشاد والتأديب والفاء داخلة لمحذوف أي لا تحاولن شيئا منهما فإن في العقل والدهر كفاية منهما ولو روي بالواو الحالية لم يحتج إلى تقدير وتبنيا من (قوله وإن كان محدثا) الشعراء على أربع طبقات الجاهليون كامرئ القيس وطرفة وزهير والمخضرمون الذين أدركوا الجاهلية والإسلام كحسان ولبيد والمتقدمون من أهل الإسلام كالفرزدق وجرير وذي الرمة وهؤلاء كلهم يستشهد بكلامهم في اللغة والمحدثون من أهل الإسلام الذين نشأوا بعد الصدر الأول من المسلمين كأبي تمام والبحتري وأبي الطيب ولا استشهاد بأشعارهم إلا بالوجه الذي ذكره وهو أن يجعل ما يقوله بمنزلة ما يرويه واعترض عليه بأن قبول الرواية مبني على الضبط والوثوق واعتبار القول والاستشهاد به مبني على معرفة الأوضاع اللغوية والإحاطة بقوانينها ومن البين أن اتقان الرواية لا يستلزم اتقان الدراية ولا يلزم من تصديق العلماء إياه فيما جمعه في الحماسة من أشعار من يستشهد بها والمراد بكون جميع ما في شعره صحيحا ومأخوذ أو مستنبطا من القوانين المأخوذة من استعمالاتهم وأجيب بأنه صرح أولا بكونه من علماء العربية ثم أشار إلى أنه ثقة بقوله إقناعا للعلماء في الاستدلال بالأبيات بثبوتها في الحماسة فإنه يدل على وثوقهم بروايته كأنه أراد مع أن قال كونه من علماء العربية ليس كافيا في جعل ما يقوله بمنزلة ما يرويه بل لا بد من اجتماع العلم مع العدالة نعم إن كان مقصوده بثبوته الاستدلال على علمه بالعربية وإتقانه فيها وكونه ثقة فيما يستعمله كان الاعتراض واردا قطعا (قوله قاموا وقفوا) بدليل وقوعه في مقابلة مشوا ومنه قامت السوق إذا ركدت أي كسدت وسكنت وقد مر استعماله بمعنى نفقت مأخوذ من القيام بمعنى الانتصاب فهو من الأضداد (قوله ولقد تكاثر هذا الحذف) أي حذف المفعول في شاء وأراد ومتصرفاتهما إذا وقعت في حيز الشرط لدلالة الجواب على ذلك المحذوف معنى مع وقوعه في محله لفظا ولأن في ذلك نوعا من التفسير بعد الإبهام (قوله إلا في الشيء المستغرب) فإنه لا يكتفى فيه بدلالة الجواب عليه بل يصرح به اعتناء بتعيينه ودفعا لذهاب الوهم إلى غيره بناء على استبعاد تعلق الفعل به واستغرابه ألا ترى أنك إذا قلت لو شئت لبكيت دما جاز أن يتوهم أن قصدك إلى تعليق المشيئة ببكاء الدمع على مجرى العادة وإنما ذكرته من بكاء الدم واقع بدله من غير قصد إليه كأنك قلت لو شئت أن أبكي دمعا بكيت دما إلا أنك اعتمدت في حذف المفعول بذكر البكاء في الجواب وفي تعيين متعلقه بالمعتاد فهذا وإن كان مرجوحا لأن تقييد البكاء في الجواب بالدم يدل دلالة ظاهرة على

قاموا ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم

أن يحصد لهم لا تحصد ما من لدنا ولو أراد الله أن يحصد لحصد وأراد ولو شاء الله لذهب بسمعهم بقصيف الرعد وأبصارهم بوميض البرق • وقرأ ابن أبي عبلة لأذهب بأسماعهم بزيادة الباء كقوله ولا تلقوا بأيديكم • والشيء ما صح أن يعلم ويخبر عنه قال سيبويه في ساقة الباب المترجم بباب مجارى أواخر الكلم من العربية وإنما يخرج التأنيث من التذكير ألا ترى أن الشيء يقع على كل ما أخبر عنه من قبل أن يعلم أذكر هو أم أنثى والشيء مذكر وهو أعم العام كما أن الله أخص الخاص يجرى على الجسم والعرض والقديم تقول شيء لا كالأشياء أى معلوم لا كسائر المعلومات وعلى المعدوم والمحال (فإن قلت) كيف قيل (على كل شيء قدير) وفي الأشياء ما لا تعلق به للقادر كالمستحيل وفعل قادر آخر (قلت) مشروط في حد القادر أن لا يكون الفعل مستحيلا فالمستحيل مستثنى في نفسه عند ذكر القادر على الأشياء كلها فكأنه قيل على كل شيء مستقيم قدير ونظيره فلان أمير على الناس أى على من وراءه منهم ولم يدخل فيهم نفسه وإن كان من جملة الناس وأما الفعل

به لو دل كلمة يحتمل فذا برز المعمول زال الاحتمال وصار الكلام نصا في قصده في قال ان قولك لو شئت كيف دما لا يحتمل سوى لو شئت ان أبكى دما لبكيته افتقد كان وتعدية البكاء الى الدم وضميره لتضمينه معنى الصب وقولك بكيت الرجل وعلى الرجل بمعنى واحد (قوله وأراد ولو شاء الله لذهب) معطوف على قوله والمعنى ولو شاء الله ان يذهب وفي قوله (بقصيف الرعد) أى شدة صوته وقوله (وميض البرق) أى لمعانه اشارة الى ان جملة لو شاء الله عطف على مجموع الجمل الاستئنافية أعنى (يجعلون) وما بعده نظرا الى محصول معناها فان الاول متعلق بالرعد وشدة صوته والآخر بالبرق وقوة ضوئه وقيل غرضه من هذا التقدير بيان ربطه المعنوى بتلك الجمل وما عطفه فاصل قوله كلما أضاء لهم مشوا فيه وكلمة لو ههنا مستعملة لربط جزاء الشرط بها مجردة عن الدلالة على انتفاء أحدهما لانتفاء الآخر فهى بمنزلة ان وقد يقال انها باقية على أصلها وفيه التنبيه على ان مشقتهم بسبب الرعد والبرق وصلت غايتها وقربت ازالة الحواس بحيث لو تعلق بها المشيئة لزالت بلا حاجة الى زيادة قصف الرعد وضوء البرق كما ذكره أولا (قوله في ساقة الباب الخ) أى في آخره وإنما ترجمه بباب مجارى أواخر الكلم من العربية لانه يذكر فيه أحوال التذكير والتأنيث وعلاماتهما تظهر في أواخر الكلم من العربية والاستشهاد بقوله ألا ترى ان الشيء يقع على كل ما أخبر عنه وعاجل التأنيث خارجا من التذكير أى متفرعا عنه بناء على ان لفظ الشيء كالعمدة في الالفاظ لتناوله كلها بمبهم ويخبر عنه وهو مذكر ولو على ان وقوعه على كل ما أخبر عنه من قبل ان يعلم أذكر هو أم أنثى دل على انه اعتبر جهة المذكورة في كل معنى ورجوعها الى الانوثة وقوله (وهو أعم العام) من كلام المصنف ومعطوف على قوله والشيء ما صح ان يعلم ويخبر عنه والمقصود ان لفظ الشيء وما يقوم مقامه أشد عموما من كل عام كما ان لفظ الله تعالى أشد خصوصا من كل خاص بحيث لا يحتمل الشركة بوجه ولا يجوز اطلاقه على غيره تعالى أصلا (قوله والمحال) يريد انه يتناول بحسب مفهومه لغة واما ما ذكر في علم الكلام من ان المحال ليس بشيء اتفاقا وان النزاع في المعدوم الممكن هل هو شيء أم لا فذلك في الشيئية بمعنى التحقق منفكا عن صفة الوجود لا في اطلاق لفظ الشيء على مفهومه فانه من المباحث اللغوية المستندة الى النقل والسماع لا من المسائل الكلامية المبنية على الانظار الدقيقة (قوله فالمستحيل مستثنى في نفسه عند ذكر القادر) يريد انه عام مخصوص بقرينة العقل وكذلك الواجب لذاته مستثنى عند ذكره أيضا ومن ثم قيل أراد بالمستحيل في السؤال والجواب ما يستحيل تعلق القدرة به في نفسه فيتناول الممتنع والواجب معا وبالمستقيم ما يقابله فيخرجان عنه (ونظيره) أى في التخصيص بقرينة العقل فان الشخص لا يكون أميرا على نفسه (قوله

• قوله تعالى ان الله على كل شيء قدير (قال محمود رحمه الله وفي الاشياء ما لا تعلق به للقادر كالمستحيل الخ) قال أحمد رحمه الله هذا الذى أورده خطأ على الاصل والفرع أما على الاصل فلان الشيء لا يتناول الا الموجود عند أهل السنة وأما على الفرع فلانا وان فرعنا على معتقد القدرية والشيء عندهم ما يتناول الموجود والمعدوم الذى يصح وجوده فلا يتناول المستحيل اذا على هذا التفريع فما أراده أولا نقض غير مستقيم على المذهبين وأما المقدور بين قادرين فاما أورطة عاشقة اليها القدرية الذين يعتقدون أن ما تعلقت به قدرة العبد استحال أن يتعلق به قدرة الرب اذ قدرة العبد خالقة فيستغنى الفعل بها عن قدرة خالق آخر تعالى الله عما يشركون علوا كبيرا وأما أهل السنة فالقادر الخالق عندهم واحد وهو الله الواحد الاحد فتتعلق

ان الله على كل شيء قدير

قدرته تعالى بالفعل نفسه ويتعلق به قدرة العبد تعلق اقتران لا تأثير فلذلك لم يطلق مقدور بين قادرين على هذا التفسير وقد حشى الزمخشري في أدراج كلامه هذا سلب القدرة القديمة وجحدها وجعل الله تعالى قادرا بالذات لا بالقدرة دس ذلك تحت قوله وفي الاشياء ما لا تعلق به لذات القادر ولم يقل لقدرة القادر فليتفطن لخفائه وكم من ضلالة استدسها في هذه المقالة والله الموفق

• فان قيل أيها الاشعرية اذا كان الشيء عندكم هو الموجود فما معنى القدرة عليه بعد وجوده وقال الله تعالى يقول وهو أصدق القائلين ان الله على كل شيء قدير • قلنا القدرة تتعلق بمقدورها فتوجده فيكون حينئذ شيأ فلما كان مآل ما تعلقت به القدرة الى الشيء حقا

بين قادرين مختلف فيه (فإن قلت) مم اشتقاق القدير (قلت) من التقدير لأنه يوقع فعله على مقدار قوته واستطاعته وما يتميز به عن العاجز * لما عدد الله تعالى فرق المكلفين من المؤمنين والكفار والمنافقين وذكر صفاتهم وأحوالهم ومصارف أمورهم وما اختصت به كل فرقة مما يسعدها ويشقيها ويحظيها عند الله ويرديها أقبل عليهم بالخطاب وهو من الالتفات المذكور عند قوله إياك نعبد تنشيطا وهو فن من الكلام جزل فيه هز وتحريك من السامع كما أنك إذا قلت لصاحبك حاكيا عن ثالث لكما إن فلانا من قصته كيت وكيت فقصصت عليه ما فرط منه ثم عدلت بخطابك إلى الثالث فقلت يا فلان من حقك أن تلزم الطريقة الحميدة في مجاري أمورك وتستوي على جادة السداد في مصادرك ومواردك نبهته بالتفاتك نحوه فضل تنبيه واستدعيت إصغاءه إلى إرشادك زيادة استدعاء وأوجدته بالانتقال من الغيبة إلى المواجهة هازا من طبعه ما لا يجده إذا استمررت على لفظ الغيبة وهكذا الافتنان في الحديث والخروج فيه من صنف إلى صنف يستفتح الآذان للاستماع ويستهش الأنفس للقبول * وبلغنا بإسناد صحيح عن إبراهيم عن علقمة أن كل شيء نزل فيه يا أيها الناس فهو مكي ويا أيها الذين آمنوا فهو مدني فقوله (يا أيها الناس اعبدوا ربكم) خطاب لمشركي مكة ويا حرف وضع في أصله لنداء البعيد صوت

يا أيها الناس اعبدوا ربكم

مختلف فيه) أي هل يمكن أن تتعلق قدرتان معا بمقدور أو لا فإن أمكن كان مقدور غيره تعالى مقدورا له أيضا وداخلا في حكم الآية وإن لم يكن كان في حكم المستثنى خارجا عن شمول قدرته إياه والمسئلة مستقصاة في مواضعها (قوله من التقدير) قيل إنه جعل المجرد مأخوذا من المزيد إذا كان أعرف بالمعنى المشترك ترجيحا لجانب المعنى على اللفظ وقيل أراد بهما التلاقي في الاشتقاق من ق د ر لكنه عدل إلى لفظ التقدير لإشعاره بالمعنى المقصود دون لفظ القدرة (قوله مما يسعدها) قيل المراد من هذه بيان ما اختصت والضمير المنصوب عائد إلى كل فرقة فيرد عليه أن ما ذكر للفرقة المؤمنين هو المسعد والمحظي وللفرقتين الكفار والمنافقين هو المشقي والمردي فالواجب أن يعطف بأو ويقال أو يشقيها أو يرديها وأجيب بأنه قد عرف من الكلام المذكور أن المسعد فرقة صريحا علم أن ما يقابله مشق لها صريحا وبالعكس فقد ذكر لكل فرقة مسعدتها ومشقياتها ورد بأن الاختصاص لا معنى له حينئذ فإن المقابل لما اختص بكل فرقة ليس مخصوصا بها فالصواب أن يجعل من تبعيضية أي من الأمور التي تسعد الفرق وتشقيها على سبيل التوزيع فإن بعض تلك الأمور مسعد ومحظ لكل من اتصف بها وبعضها مشق ومرد كذلك وقد اختص كل فرقة بطائفة منها (قوله أقبل عليهم بالخطاب) ابتداء هذا الخطاب من قوله يا أيها الناس فإن المنادى مخاطب بمنزلة ضمير المخاطب وإن كان اسمه في الأصل للغيبة وفي قوله عن ثالث إشارة إلى حضور ذلك الثالث عنده كما يكون سامعا للطريقين الغيبة والخطاب بما يظهر فائدة الالتفات على ما ذكره (قوله نبهته بالتفاتك) جواب إذا قلت وأوجدته من وجدت الضالة وأوجدتها غيري أي جعلته واجدا أمرا (هازا) أي محركا (من طبعه) نحو الإصغاء والقبول للنصيحة (لا يجده) أي ذلك الهاز (إذا استمررت على لفظ الغيبة) وقلت مثلا من حق فلان أن يلزم الطريقة الحميدة فذكر أولا فائدة خصوصية للالتفات من الغيبة إلى الخطاب في هذا المقام وثانيا فائدة الالتفات مطلقا بقوله (وهكذا الافتنان) (وبلغنا) عطف بحسب المعنى على قوله (لما عدد الله الخ) أي الظاهر أن الخطاب عام للفرق كلها وبلغنا ما يدل على اختصاصه بمشركي مكة واستشكل هذا بأن سورة البقرة مدنية فكيف تكون هذه الآية منها مكية وأيضا لا يلزم من كونها مكية أن يكون الخطاب مختصا بمشركيها بل يجوز أن يعم غيرهم من المؤمنين وسائر الكفار فلا يصح تفريع الاختصاص منه على كونها مكية ودفع بأن كون السورة مدنية لا ينافي كون هذه الآية مكية مخصوصة بمشركيها حملا لقوله اعبدوا على ما هو المتبادر منه أعني الأمر بإحداث أصل العبادة وبأن معنى ما نقله أن كل حكم وخطاب ترد فيه يا أيها الناس فهو مكي أي متعلق بمشركي مكة سواء كان نزوله بها أو بالمدينة فيتم ما ذكره (قوله صوت)

مع إطلاق الشيء عليه وهو من وادي من قتل قتيلا فله سلبه وإذا سموا الشيء باسم ما يؤول إليه فالباب يؤول إليه حتما أجدر

يهتف به الرجل عن يديه وأما نداء القريب فله أي والهمزة ثم استعمل في مناداة من سها وغفل وإن قرب تنزيلا له منزلة من بعد فإذا نودي به القريب المفاطن فذلك للتأكيد المؤذن بأن الخطاب الذي يتلوه معنيّ به جداً (فإن قلت) فما بال الداعي يقول في جؤاره يا رب ويا الله وهو أقرب إليه من حبل الوريد وأسمع به وأبصر (قلت) هو استقصار منه لنفسه واستبعاد لها من مظان الزلفى وما يقربه إلى رضوان الله ومنازل المقربين هضماً لنفسه وإقراراً عليها بالتفريط في جنب الله مع فرط التهالك على استجابة دعوته والإذن لندائه وابتهاله * وأيّ وصلة إلى نداء ما فيه الألف واللام كما أن ذو والذي وصلتان إلى الوصف بأسماء الأجناس ووصف المعارف بالجمل وهو اسم مبهم مفتقر إلى ما يوضحه ويزيل إبهامه فلا بد أن يردفه اسم جنس أو ما يجري مجراه يتصف به حتى يصح المقصود بالنداء فالذي يعمل فيه حرف النداء هو أيّ والاسم التابع له صفته كقولك يا زيد الظريف إلا أن أيا لا يستقل بنفسه استقلال زيد فلم ينفك من

أي لفظ أو كلمة وهو خبر آخر أو بدل من حرف وكان في التعبير عنه بالصوت بعد التصريح بكونه حرفاً إشارة إلى أنه في أصله كان صوتاً ثم صار حرفاً لجريانه مجرى غيرهم طبعاً عند القصد إلى النداء كلفظة آح عند التوجع ثم وضعوه له كما في بعض أسماء الأفعال والباء في به للآلة أو في عن يديه صلة (يهتف) يقال هتف بالرجل هتافاً أي صاح به (قوله فذلك للتأكيد المؤذن) يعني أن تأكيد طلب الإقبال والمبالغة مع الاستغناء عنه نظراً إلى حال المخاطب (القريب المفاطن) يؤذن بالاعتناء بشأن الخطاب كأنه أريد مزيد توجهه إليه وتلقيه له وأن لا يبقى هناك توهم ذهول عنه (قوله فما بال الداعي) أي ما ذكرتم من المعنى لا يتصور ههنا فما الوجه فيه وقوله (وأسمع به) صيغة تعجب معطوفة على (قرب) تقدير القول على المشهور وجملة حال أي فما باله ينادي الله بيا والحال أنه ليس ببعيد ولا ما يتوهم فيه ذهول وليس أيضاً بعد النداء خطاب يعتنى به جداً ويوجد في بعض النسخ أسمع وأبصر على صيغة أفعل التفضيل والجواب أن القريب كما ينزل منزلة البعيد لمعنى فيه كما عرفت فقد ينزل أيضاً منزلته لمعنى راجع إلى المتكلم وهو أن لا يرى نفسه أهلا لقربها من المنادى تحقيراً لها أي استقصره عده مقصراً واستبعده عده بعيداً (وما يقربه) عطف على (مظان) وقوله (هضماً) أي كسراً وما عطف عليه مفعول له (للاستقصار والاستبعاد) أما معاً وأما على نشر غير مرتب (فإن قيل) كان الواجب عليه أن يعد هذا المعنى في المعاني السالفة (أجيب) بأنه لما لم يكثر كثرة تلك المعاني ولم تختص أيضاً إلا في نداء الله تعالى أورده على أنه جواب سؤال تقديراً له وتوضيحاً وقوله (مع فرط التهالك) حال من الضمير في (منه) أي المتضرع إلى الله تعالى يستعمل نداء البعيد إشارة إلى بعده عن مرتبة المدعو وإلى شدة حرصه على استجابة دعائه (قوله والإذن) أي الاستماع لندائه كالاعتناء التام بشأن الخطاب الذي يتلوه فيما سبق ولا يخفى عليك أن الداعي إلى الله لا يقصد بندائه طلب إقباله ولا مزيد التفاته إليه بل يقصد به توجه قلبه إلى ربه وحضوره لديه وتضرعه بين يديه ليسأل بذلك ما يقربه إليه ويسعده في داريه (قوله وأي وصلة) لما استكرهوا اجتماع أداتي تعريف تعذر عليهم نداء المعرف باللام فتوصلوا إليه باسم مبهم محتاج إلى ما يزيل إبهامه فجعلوه منادى في الصورة وأجروا عليه تابعاً له هو المقصود بالنداء أي المعرف باللام الذي يزيل إبهامه ويمتاز به ذات المنادى ولم يوا رفعه تنبيهاً على أنه المقصود بذلك ثم ذلك الاسم المبهم هو أي مقطوع الإضافة واسم الإشارة إذ كل منهما مبهم يجب إزالة إبهامه وضماً إلا أن أيا أدخل في الإبهام فإن اسم الإشارة إذا وقع منادى قد يكتفى في إزالة إبهامه بالإشارة الحسية ويستغنى عن الصفة فيقال يا هذا بخلاف أي إذ لا بد له في النداء من وصف تتعين به ذاته وهو (اسم الجنس) لأنه يدل على الحقيقة المعينة أو ما يجري مجراه وهو على أقسام الذي وتصرفاته واسم الإشارة موصوفاً بذي اللام نحو يا أيهذا الرجل وأسماء الأعلام مثناة ومجموعة فأي في النداء لا تكون إلا وصلة لذي اللام أو لاسم الإشارة مردوفاً بذي اللام وقوله (حتى يصح) من الوضوح أي يتضح (المقصود بالنداء) ويتعين ذاته والفائدة لا أولى معاضدة كلمة التنبيه حرف النداء ومكاتفته أي

لصفته وفي هذا التدرج من الابهام الى التوضيح ضرب من التأكيد والتشديد وكلمة التنبيه المقحمة بين الصفة وموصوفها لفائدتين معاضدة حرف النداء ومكانفته بتأكيد معناه ووقوعها عوضا مما يستحقه أى من الاضافة (فان قلت) لم كثر فى كتاب الله النداء على هذه الطريقة مالم يكثر فى غيره (قلت) لاستقلاله بأوجه من التأكيد وأسباب من المبالغة لان كل ما نادى الله له عباده من أوامره ونواهيه وعظاته وزواجره ووعده ووعيده واقتصاص أخبار الامم الدارجة عليهم وغير ذلك مما أنطق به كتابه أمور عظام وخطوب جسام ومعان عليهم أن يتيقظوا لها ويميلوا بقلوبهم وبصائرهم اليها وهم عنها غافلون فاقتضت الحال أن ينادوا بالآكد الابلغ (فان قلت) لا يخلو الامر بالعبادة من أن يكون متوجها الى المؤمنين والكافرين جميعا أو الى كفار مكة خاصة على ما روى عن علقمة والحسن فالمؤمنون عابدون ربهم فكيف أمروا بما هم متلبسون به وهل هو الا كقول القائل فلو أنى فعلت كنت كمن تسأله * وهو قائم أن يقوما

وأما الكفار فلا يعرفون الله ولا يقرون به فكيف يعبدونه (قلت) المراد بعبادة المؤمنين ازديادهم منها واقبالهم وثباتهم عليها وأما عبادة الكفار فمشروط فيها ما لا بد منه وهو الاقرار كما يشترط على المأمور بالصلاة شرائطها من الوضوء والنية وغيرهما وما لا بد للفعل منه فهو مندرج تحت الامر به وان لم يذكر

معناه بتنبيها لتقارب معنى المعنى فى حرف النداء فيه ايقاظ المنادى واعلام بانه المدعو وحرف التنبيه يقوى ذلك الايقاظ والتنبيه (ووقوع كلمة التنبيه عوضا) مما يستحقه اى لا يخلو عن المضاف اليه أو تنوين يقوم مقامه نحو أيا ما تدعوا وأية سلكوا ولا مجال للتنوين هنا لسبب البناء ولانه يقع عوضا عن مضاف اليه معين كقوله تعالى ورفعنا بعضهم فوق بعض والقصد ههنا الى الابهام فجعل كلمة التنبيه المناسب للنداء عوضا عن المضاف اليه (قوله مالم يكثر فى غيره) منصوب على المصدر وما موصولة أو موصوفة وعبارة عن الكثرة ومن جعل المستتر فى يكثر راجعا الى النداء كان العائد محذوفا أى كثرة لم يكثرها أو الكثرة التى لم يكثرها فى غيره وان جعل راجعا الى ما فى الاسناد الى ذلك المستتر يكون مجاز وقد يقال هو مجرور على الابدال من تلك الطريقة كأنه قيل على الطريقة التى لم تكثر تلك الطريقة فى غير كتاب الله تعالى وفيه ان قوله على هذه متعلق بالنداء كما هو الظاهر من قوله مالم يكثر وقوله مالم يكثر متعلق بكثر قطعا فلا يصح حينئذ الابدال (قوله لاستقلاله بأوجه من التوكيد) تكرار الذكر والايضاح بعد الابهام واختيار لفظ البعيد وتأكيد معناه بحرف التنبيه وقوله (لان كل ما نادى الله تعالى له) تعليل للكثرة المعللة بالاستقلال أى كثر ذلك النداء تلك الكثرة المعللة بالاستقلال المذكور لاقتضاء المقام اياه وقوله (أمور عظام) خبر ان (قوله أن ينادوا بالآكد الابلغ) وذلك ليتيقظوا عن رقدة غفلتهم ويتنبهوا لما نودوا لاجله وهذا المعنى راجع الى ما ذكره قوله ثم استعمل فى مناداة من سها وغفل (قوله لا يخلو) أراد انه لا يصح توجيه الخطاب الى جميع الفرق كما ذكرناه ولا الى كفار مكة كما روينه عن علقمة وذلك لان العبادة اعمال الجوارح المتبادر منها عند الاطلاق فلا يؤمر بها المؤمنون لانهم عابدون فيلزم ان يكون طلبا لتحصيل الحاصل ولا الكافرون لانه يمتنع منهم العبادة لانتفاء شرطها وهو معرفة الله تعالى والاقرار به فيلزم التكليف بالمحال (قوله فلو أنى فعلت الخ) هو لابى تمام وقبله

نعمة الله فيك لا أسأل الله اليها نعمى سوى ان تدوما

يعنى ان نعمة الله فيك شاملة لجميع أنواع النعم فلا أسأل الله الا دوامها احترازا عن طلب الحاصل وقد يتوهم انه لا بد فى قوله (كنت كمن تسأل) من تقدير مضاف أى كسائل من يسأل والا لكان تشبيها للسائل بالمسؤل والظاهر انه من قبيل التمثيل كقوله * وما الناس الا كالديار الخ * فلا حاجة الى ذلك

(فان قيل) الامر متعلق بالمستقبل وليس المؤمن متلبسا بالعبادات المستقبلة أصلا فليس أمره بها طلبا للحاصل بل هو كقولك للمؤمن صل فلا اتجاه للسؤال (قلنا) المتبادر من اطلاق اعبدوا احداث أصل العبادة وهو حاصل فالسؤال متجه كما اذا أمرت من صلى باحداث أصل الصلاة وأما اذا أمرته

حيث لم ينفعهم الا به وكان من لوازمه على أن مشركى مكة كانوا يعرفون الله ويعترفون به ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله (فان قلت) فقد جعلت قوله اعبدوا متناولا لشيئين معا الامر بالعبادة والامر بازديادها (قلت) لا زدياد من العبادة عبادة وليس شيأ آخر (فان قلت) ربكم ما المراد به (قلت) كان المشركون معتقدين ربوبيتين ربوبية الله وربوبية آلهتهم فان حمل على الخطاب فالمراد به اسم يشترك فيه رب السموات والارض والآلهة التى كانوا يسمونها أربابا وكان قوله (الذى خلقكم) صفة موضحة مميزة وان كان للخطاب المعرف جميعا فالمراد ربكم على الحقيقة والذى خلقكم صفة جرت عليه على طريق المدح والتعظيم ولا يمتنع هذا الوجه فى خطاب الكفرة خاصة الا ان الاول أوضح

بصلاة معينة فلا ﴿والجواب﴾ ان المطلوب من المؤمنين ليس ايقاع أصل العبادة فى المستقبل بل ازديادهم فيها واستمرارهم عليها فى الاستقبال وليس ذلك حاصلا قطعا فلا اشكال وان المطلوب من الكفار أصل العبادة على معنى انهم أمروا بان يأتوا بها بعد تحصيل شرائطها فان الامر بالشئ أمر بما لا يتم الا به كانه قيل لهم حصلوا أولا شرطها ثم اعبدوا ولا استحالة فى ذلك انما المستحيل ان يؤمروا بايقاع العبادة حال انتفاء شرائطها كما تقرر فى موضعه وما يقال من ان التصديق أصل العبادات كلها فلو وجب بوجوبها لانقلب الاصل تبعا فجوابه ان الاصالة بحسب الصحة لا تنافى التبعية فى الوجوب على انه قد أوجب أيضا استقلالا بدلائل أخر والجمع بينهما آكد فى ايجابه (قوله على ان مشركى مكة) أى يجوز تخصيص الخطاب بمشركيها لان شرط العبادة حاصل لهم واعترض عليه بان مجرد معرفة الله تعالى والاقرار به ليس كافيا فى صحة العبادة بل لا بد من التصديق بالنبوة والاعتراف بها وهو منتف عنهم وأجيب بانه أراد ان هذا القدر من الشرط حاصل لهم فليضموا اليه ما بقى ثم ليعبدوا وهذا بالحقيقة راجع الى الجواب الاول وبمجرد فرق بين كفار مكة وغيرهم ومن هنا ذهب بعضهم الى ان العبادة شاملة لاعمال القلب والجوارح وقرر السؤال فى المؤمنين بان التصديق حاصل لهم فكيف يؤمرون به وفى الكفار بان تصديقهم بالسمعيات كاحوال المعاد يتوقف على تصديقهم بالعقليات على قاعدة الاعتزال كالمعرفة والاقرار وليست هذه العقليات حاصلة لهم فكيف يؤمرون بتلك السمعيات ثم أجاب عن هذا أولا بان دخولهم تحت الامر بالسمعيات تبع لا باب العقليات خاصة لكفار مكة ويرد عليه انه لا يلائمه قوله فى السؤال واما الكفار فلا يعرفون الله تعالى ولا يقرون به فكيف يعبدونه وقوله فى الجواب واما عبادة الكفار الخ (قوله متناولا لشيئين معا) يريد ان صيغة اعبدوا موضوعة لطلب العبادة فاذا كانت موضوعة لطلب ازديادها أيضا كان استعمالها فيهما استعمالا للمشترك فى كلا معنييه والا كان جمعا بين الحقيقة والمجاز ولا يصح شئ منهما عند الجمهور وأجاب بان ازدياد العبادة عبادة والمراد ان اعبدوا مستعمل فى طلب العبادة فى المستقبل لكن تلك العبادة من المؤمنين زيادة فى عبادتهم ومن الكافرين ابتداء عبادة وليس شئ من مفهومى الزيادة والابتداء داخلا فى مفهوم اعبدوا بل خارج يفهم من القرائن فلا جمع بين معنيين أصلا بل استعمل اللفظ المشترك فى القدر المشترك بينهما (قوله فالمراد به اسم يشترك فيه) أى فى مفهومه اشتراكا معنويا اذ كانوا يستعملون الرب فى الله تعالى وفى آلهتهم بمعنى المالك والسيد وقيل اشتراكا لفظيا وأياما كان فالصفة موضحة مميزة ما قصد بالموصوف عما يشاركه فى الاسم على أحد الوجهين (قوله فالمراد ربكم على الحقيقة) أى الله تعالى فانه الذى اعتقد جميع الفرق ربوبيته واعترفوا بها والصفة حينئذ مادحة لعدم الاشتباه فى الرب المضاف الى الكل وقوله على الحقيقة اشارة الى ان ربوبيته تعالى ثابتة فى الواقع بخلاف الاصنام فانها أرباب بحسب اعتقادهم لا الى ان لفظ الرب مجاز فيها (قوله ولا يمتنع هذا الوجه) وذلك لان المشركين كانوا يعتقدون انه تعالى رب الارباب وان آلهتهم شفعاء عنده فلا يبعد فى خطابهم أن يراد بالرب الذى أضيف اليهم ما جعلوه أصلا فى الربوبية (قوله الا ان الوجه الاول أوضح) أى بالنظر الى حالهم فان استعمال

الذى خلقكم

وأصح وخلق ايجاد الشيء على تقدير واستواء يقال خلق النعل اذا قدرها وسواها بالمقياس وقرأ أبو عمرو خلقكم بالادغام * وقرأ أبو السميفع وخلق من قبلكم وفي قراءة زيد بن علي والذين من قبلكم وهي قراءة مشكلة ووجهها على اشكالها أن يقال أقحم الموصول الثاني بين الاول وصلته تأكيدا كما أقحم جرير في قوله * يا تيم تيم عدي لا أبا لكم * تيم الثاني بين الاول وما أضيف اليه وكاقحامهم لام الاضافة بين المضاف والمضاف اليه في لا أبا لك

الرب في غير الله سبحانه كانت تعافه أنبيهم موسى للاحتمال ولذلك عقب السحرة قولهم آمنا برب العالمين رب موسى وهرون بدله (قوله وأصح) أي بالنظر الى أن الاصل في الصفة هو التوضيح والتخصيص فلا يعدل عنه ما أمكن (قوله قراءة مشكلة) لان الموصول الثاني مع صلته مفرد فلا يصلح أن يكون صلة للاول وقوله على اشكالها تنبيه على أن ما ذكره لا يحسم مادة الاشكال لان التأكيد ان حمل على المصطلح فان كان لفظيا وجب أن يكون باعادة اللفظ الاول كما في التابع وان كان معنويا كان بألفاظ مخصوصة مع أن النحاة قد نصوا على امتناع تأكيد الموصول قبل تمامه بصلته وان حمل على غير المصطلح احتيج الى وجه يجمع الموصولين وغاية ما يتمحل فيه انه تأكيد لفظي الا انه عدل عن اللفظ الاول الى ما هو بمعناه احترازا عن بشاعة التكرار كما هو مذهب الاخفش في ما زيد بقائم ويحمل في قوله صبر واستثني كمصف ما كمول وان كان المشهور في امثال ذلك الحكم بزيادة دون التأكيد ومن ثم قيل الاولى أن يجعل كلمة من زائدة على مذهب الكسائي أو موصوفة بالظرف خبر المبتدأ المحذوف أي الذين هم أشخاص واناس كائنون قبلكم وفيه تعميم لشأنهم بالابهام وابداء بأن خلقهم أدخل في القدرة أو موصولة بالظرف كذلك أي الذين هم الذين قبلكم وقد نقل عن المصنف هذا سؤال وجواب بأن الموصول بدون الصلة لا يفيد شيئا فكيف يجوز تأكيده وجوابه بأن الموصول وحده يفيد أمرا مبهما كاسم الاشارة ولهذا رجع الضمير اليه في قولك الذي قام مع أنه لا يرجع الى غير المفيد وأورد عليه ان التأكيد اللفظي يجري في الحروف فتمثيله لموصولة أولى وأجيب بأن وجه الاستبعاد أن الموصول لا يتم الا بصلة وعائد فهو وحده بمنزلة الزاي من زيد بخلاف الحروف وأنت خبير بأن جعل الموصولات في الافادة والاستقلال دون الحروف خروج عن الانصاف (قوله كما أقحم جرير) الاقحام أن يدخل شيء في آخر بشدة وعنف وههنا أقحم تيم الثاني بين المضاف وهو تيم الاول والمضاف اليه وهو عدي والغالب حذف التنوين من الثاني وان لم يكن مضافا لان التأكيد اللفظي في الاغلب حكمه حكم الاول وحركته حركته اعرابية كانت أو بنائية فكما حذف التنوين من الاول حذف من الثاني وجاز الفصل به في السعة بين الاول وما أضيف اليه وان لم يجز ذلك الا في الضرورة وبالظرف خاصة لانه لما كرر الاول بلفظه وحركته فكأنه هو بعينه فلا فصل الا ترى انك تقول ان ان زيدا قائم مع امتناع الفصل بين ان واسمها الا بالظرف وكذلك تقول لا لا رجل في الدار مع ان النكرة المفصولة عن لا يجب رفعها وتكريرها ولو لا تأنيث (قوله وكاقحامهم) ذهب الخليل وسيبويه وجمهور النحاة الى ان لا أبا لك مضاف حقيقة باعتبار المعنى وان هذه اللام لتأكيد المقدرة التي كانت الاضافة بمعناها فيكون الفصل بين المضاف والمضاف اليه كالفصل على قياس يا تيم تيم عدي واعترض عليهم بأنه لو كان مضافا حقيقة لكان معرفة فوجب رفعه وتكريره وتقدير الخبر أيضا فأجيب بأن العرب قصدوا نصب هذا المعرف بلا من غير تكرير تخفيفا فصلوا بينهما باللام حتى يصير المضاف كأنه ليس بمضاف فلا يستنكر نصبه وترك تكريره لوروده على صورة النكرة وأما الخبر فمقدر عاما أي لا أبا لك موجود ﴿فان قيل﴾ قد اتفقوا على ان لا أبا لك بمعنى لا أب لك والثاني نكرة اتفاقا فكذا الاول ﴿أجيب﴾ بأنهم اتفقوا على ان فحوى الجملتين سواء لا على ان لا أبا لك وأب لك بمعنى واحد وقد تتفق الجملتان في المقصود مع ان المسند اليه في أحدهما معرفة وفي الاخرى نكرة كما في قولك لا كان أبوك موجودا ولا كان لك أب

والذين من قبلكم

ولعل للترجي أو للإشفاق تقول لعل زيدا يكرمني ولعله يهينني وقال الله تعالى لعله يتذكر أو يخشى لعل الساعة قريب ألا ترى إلى قوله والذين آمنوا مشفقون منها وقد جاءت على سبيل الإطماع في مواضع من القرآن ولكن لأنه إطماع من كريم رحيم إذا أطمع فعل ما يطمع فيه لا محالة لجري إطماعه مجرى وعده المحتوم وفاؤه به قال من قال إن لعل بمعنى كي ولعل لا تكون بمعنى كي ولكن الحقيقة ما ألقيت إليك وأيضا فمن ديدن الملوك وما عليه أوضاع أمرهم ورسومهم أن يقتصروا في مواعيدهم التي يوطنون أنفسهم على إنجازها على أن يقولوا عسى ولعل ونحوهما من الكلمات أو يخيلوا إخالة أو يظفر منهم بالرمزة أو الابتسامة أو النظرة الحلوة فإذا عثر على شيء من ذلك منهم لم يبق للطالب ما عندهم شك في النجاح والفوز بالمطلوب فعلى مثله ورد كلام مالك الملوك ذي العز والكبرياء أو يجيء على طريق الإطماع دون التحقيق لئلا يتكل العباد كقوله يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحا عسى ربكم أن يكفر عنكم سيئاتكم (فإن قلت) فلعل التي في الآية

(قوله ولعل للترجي والإشفاق) أي هي موضوعة لإنشاء توقع أمر إما مرغوب ويسمى ترجيا أو مرهوب ويسمى إشفاقا ثم كل واحد منهما يكون من المتكلم كما في المثالين الأولين وهو الأصل لأن معاني الإنشاءات قائمة به ويكون من المخاطب وهو أيضا كثير لتنزيله منزلة المتكلم في التلبس التام بالكلام كالمثال الثالث والرابع ولما لم يكن الإشفاق من قرب الساعة ظاهرا استشهد له بالآية وقد يكون من غيرهما ممن له نوع تعلق بالكلام كما إذا تجردت للتوقع كما في قوله تعالى فلعلك تارك بعض ما يوحى إليك على أحد الوجهين وهو أنك قد بلغت من التهالك على إيمانهم مبلغا يرجون أن تترك بعض ما يوحى إليك (قوله وقد جاءت) عطف على قوله ولعل للترجي والإشفاق أي إنها قد استعملت في مواضع من القرآن للإطماع أي الإيقاع في الطمع وذلك لقرب الطمع من الرجاء فكان الإطماع هو الترجية ولم يرد أنها في تلك المواضع مستعملة في حقيقة الإطماع كما في قولك تعال لعلي أكرمك بل أراد أنها هناك للتحقيق إلا أنه أبرز في صورة الإطماع إما لأن الإطماع من الكريم لا فرق بين إطماعه في شيء وبين جزمه بإعطائه فإن غاية الجود وكمال الكرم يقتضي إظهار ذلك وإما لأن ذلك طريقة الملوك والعظماء في إظهار الكبرياء وقلة الاعتداد بالأشياء وإما للتنبيه على أن من حق العباد أن لا يتكلوا على حسن العبادة والاجتهاد بل يكونوا على حذر بين الخوف والرجاء وهذا محصول ما تلخص من كلامه ثم يقول إن قوله لأنه إطماع تعليل لقوله قال من قال وذلك أن ابن الأنباري وجماعة من الأدباء ذهبوا إلى أن لعل قد تجيء بمعنى كي حتى حملوها على التعليل في كل موضع امتنع فيه الترجي سواء كان من قبيل الإطماع نحو لعلكم تتقون أو لا نحو لعلكم تذكرون ولعلكم تتقون فأشار المصنف إلى توجيه ما قالوه بأنهم لم يريدوا أنها بمعنى كي حقيقة لأن أئمة اللغة لم يذكروا في باب معناها التحقيق سوى ما ألقاه إليك من الترجي والإشفاق ولو وردت بمعنى كي لجاز أن يقع بدلها في مثل قولك دخلت على المريض كي أعوده ولا يقول به أحد بل أرادوا أن ما بعدها إذا صدرت على سبيل الإطماع من الكريم متحقق عقيب ما قبلها كتحقق الغاية عقيب ما هي سبب له فكانها بمعنى كي ولا يخفى أن هذا التوجيه إنما يجري في لعل الإطماعية دون غيرها وقيل مقصوده أن يرد عليهم على ما قررناه ويشير إلى منشأ توهمهم وهو أن ما بعدها متحقق الوقوع تام وصالح لأن يدل به ما قبلها وفيه أن إبطال هذا التوهم عام ومنشؤه خاص وقوله وأيضا فمن ديدن عطف بحسب المعنى على قوله لأنه إطماع فإنه وإن ذكر تعليلا لقول ذلك القائل إلا أنه يتضمن بيان نكتة للتعبير عن التحقيق بحرف الإطماع فكأنه قيل وقد جاءت على سبيل الإطماع في مواضع من القرآن لأن إطماعه كوعده المحتوم وفاؤه وللجري على ديدن الملوك وقوله أو يجيء عطف على قد جاءت وبيان لنكتة أخرى هي علة ثالثة لذلك التعبير إلا أنه كرر الفعل لتعدد ذكره وعدل إلى صيغة المضارع لعل هذه النكتة في الموارد بالقياس إلى أختيها وقد يتوهم من عبارته أن لعل قد جاءت للإطماع

ما معناها وما موقعها (قلت) ليست مما ذكرناه في شيء لان قوله (خلقكم لعلكم تتقون) لا يجوز أن يحمل على رجاء الله تقواهم لان الرجاء لا يجوز على عالم الغيب والشهادة وحمله على أن يخلقهم راجين للتقوى ليس بسديد أيضا ولكن لعل واقعة في الآية موقع المجاز لا الحقيقة لان الله عز وجل خلق عباده ليتعبدهم بالتكاليف وركب فيهم العقول والشهوات وأزاح العلة في اقدارهم وتمكينهم وهداهم النجدين ووضع في أيديهم زمام الاختيار وأراد منهم الخير والتقوى فهم في صورة المرجو منهم أن يتقوا ليترجح أمرهم وهم مختارون بين الطاعة والعصيان كما ترجحت حال المرتجى بين أن يفعل وان لا يفعل ومصداقه قوله عز وجل ليبلوكم أيكم أحسن عملا وانما يبلو ويختبر من تخفى عليه العواقب ولكن شبه بالاختبار بناء أمرهم على الاختيار (فان قلت) كما خلق المخاطبين لعلهم يتقون فكذلك خلق الذين من قبلهم

مع التحقيق وقد يجيء للاطماع بدون تحقيق وفساده ظاهر (قوله ما معناها) أي من المعاني التي ذكرتها وما موقعها يعني أحقيقة هي أم مجاز فأجاب بانها ليست مستعملة في شيء من تلك المعاني اذ لا يتصور ههنا رجاء من المتكلم لاستلزامه عدم العلم بعواقب الامور ولا من المخاطبين لانهم لا شعور لهم حال خلقهم بالتقوى حتى يرجوها ولا مجال للاشفاق قطعا ولا للاطماع أصلا لانه انما يكون فيما يتوقعه المخاطب من المتكلم ويرغب فيه وليس التقوى كذلك ثم من أين لهم وثاقة عليهم (قوله ولكن لعل في هذه الآية واقعة موقع المجاز) الذي هو استعارة لا موضع الحقيقة وقد يتوهم من هذه العبارة انها حقيقة في جميع المعاني السابقة (قوله فهم في صورة المرجو منهم ان يتقوا) يفهم من هذا تشبيههم بالمرجو منهم ومشابهته تعالى بالراجي وان هناك حالة شبيهة بالرجاء وهي ارادته تعالى منهم التقوى فاما ان تعتبر هذه الارادة وحدها ويستعار لها الكلمة الموضوعة للترجي بالجامع الذي سنفصله فيكون في لعل استعارة تبعية حرفية واما ان يلاحظ هيئة مركبة من الراجي والمرجو منه ورجائه فيكون هناك استعارة تمثيلية قد صرح من ألفاظها بما هو العمدة في حصول الهيئة فلا تجوز حينئذ في لعل كما وضحناه فيما سبق من نظائرها وكلام الكشاف محمول على الاول كما دل عليه حكمه بان لعل في الآية مجاز الا انه راعى الادب فلم يصرح بنسبة التشبيه اليه تعالى ولا الى ارادته بل صرح بالمشابهة بين العباد والمرجو منهم ليفهم ضمنا مشابهة ارادته بالترجي ويشهد به قوله في آل عمران ولعل من الله ارادة ويؤيده قوله فيما سيجيء شبه بالاختبار بناء أمرهم على الاختيار وأيضا ليس تظهر المشابهة بين الارادة والترجي الا باعتبار حال متعلقيهما أعني المكلف والمترجى منه فذكر التشبيه بين حاليهما لتظهر تلك المشابهة في ان متعلق كل من الارادة والترجي يترجح أي يتردد بين ان يعمل وان لا يعمل مع رجحان ما لجانب العمل فانه تعالى لما وضع في أيديهم زمام الاختيار وأرادهم للطاعة كما هو مذهب الاعتزال ونصب لهم أدلة عقلية ونقلية داعية اليها ووعد وأوعد وأنعم بما لا يحصى كثرة لم يبق للمكلف عذر وصار حاله في رجحان اختياره للطاعة مع تمكنه من المعصية كحال المترجى منه في رجحان اختياره لما يترجى منه مع تمكنه من خلافه وصار ارادة الله لعبادته واتيانه بمنزلة الترجي فيما ذكرناه وقد استقصينا في شرح المفتاح الكلام في الاستعارة التبعية في امثال هذا المقام يقال تعبده أي تعهده عبدا أي كلفه أوامره ونواهيه (قوله وركب فيهم العقول) الداعية الى الطاعات والشهوات الباعثة على المعاصي (قوله وأزاح العلة) أي أزالها فلم يبق لهم عذر من الاعذار التي من شأنها ان يتمسك بها (والنجدان) طريقا الخير والشر والترجح التردد والميل وهو وجه الشبه كما عرفت وانما قال ومصداقه لان نسبة الابتلاء اليه تعالى مما صرح به ولا بد من حمله على المجاز أي على التشبيه (لا يقال) يجوز ان يحمل لعل على الترجي من العباد متعلقا باعبدوا أي اعبدوه راجين وصولكم الى التقوى التي هي أعلى مراتب العبادة أو بخلقكم على انه حال مقدرة أي خلقكم مقدرا رجاءكم للتقوى فانه تقدير منه تعالى حال الخلق والرجاء من العباد بعد حين كما في قوله تعالى وبشرناه باسحق نبيا أي مقدرا نبوته (لانا نقول) بنى المصنف كلامه على تقدير تعلقه بالاقرب

لعلكم تتقون

● قوله تعالى لعلكم تتقون (قال محمود رحمه الله لعل واقعة في الآية موقع المجاز الخ) قال أحمد رحمه الله كلام سديد الا قوله وأراد منهم التقوى وظاهره انه كلام أبرزه على قاعدة القدرية والصحيح والسنة ان الله تعالى أراد من كل أحد ما وقع منه من خير وغيره ولكن طلب الخير والتقوى منهم أجمعين والطلب والامر عند أهل السنة مباين للارادة ألهمنا الله صواب القول وسداده

بذلك فلم قصره عليهم دون من قبلهم (قلت) لم يقصره عليهم ولكن غلب المخاطبين على الغائبين في اللفظ والمعنى على إرادتهم جميعا (فإن قلت) فهلا قيل تعبدون لأجل اعبدوا أو اتقوا لمكان تتقون ليتجاوب طرفا النظم (قلت) ليست التقوى غير العبادة حتى يؤدي ذلك إلى تنافر النظم وإنما التقوى قصارى أمر العابد ومنتهى جهده فإذا قال اعبدوا ربكم الذي خلقكم للاستيلاء على أقصى غايات العبادة كان أبعث على العبادة وأشد إلزاما لها وأثبت لها في النفوس ونحوه أن تقول لعبدك احمل خريطة الكتب فما ملكتك يميني إلا لجر الأثقال ولو قلت لحمل خرائط الكتب لم يقع من نفسه ذلك الموقع * قدم سبحانه من موجبات عبادته وملزمات حق الشكر له خلقهم أحياء قادرين أولا لأنه سابقة أصول النعم ومقدمتها والسبب في التمكن من العبادة والشكر وغيرهما ثم خلق الأرض التي هي مكانهم ومستقرهم الذي لا بد لهم منه وهي بمنزلة عرصة المسكن ومتقلبه ومفترشه ثم خلق السماء التي هي كالقبة المضروبة والخيمة المطنبة على هذا القرار

الذي هو خلقكم لأن تعلقه باعبدوا يستلزم توسط الحال من فاعله بين موصوف مفعوله فإن الذي جعل لكم الأرض فراشا صفة ربكم بحسب المعنى حقيقة وإن جعل منصوبا أو مرفوعا على المدح والتعظيم وأيضا لا طائل في تقييد العبادة برجاء التقوى لأن رجاء الشيء ينافي حصوله حال الرجاء بل المناسب تقييدها بنفس التقوى أي اعبدوه متقين أو عازمين عليها أي اعبدوه واتقوه ولا مساغ للحمل على رجاء ثواب التقوى لإخراجه الكلام عن سننه كما لا يخفى وأما تقدير رجاء غيره أي لقدر حال خلق هو التقوى لا رجاؤها كما يدل عليه قوله تعالى وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون وأيضا كثير من الناس لا يرجون التقوى ولا يخطر ببالهم البال فكيف يقيد الخلق بتقدير رجائها (قوله فلم قصره عليهم) حيث لم يقل لعلكم وإياهم ليتجاوب طرفا النظم أي ليتناسبا كأن كلا منهما يجيب الآخر والمراد تلاؤم أول الكلام وآخره دفعا لما حينئذ اشتغلوا بالأمر الذي خلقتم لأجله مع الاشتمال على الصيغة البديعية وما في النظم يوهم أن المعنى اشتغلوا بما خلقتم لغيره وهو تنافر (وحاصل الجواب) أن الملاءمة حاصلة بحسب المعنى مع مبالغة تامة في إلزام العبادة كأمورها في المثال فإن الأخذ بالأشق الأصعب يسهل الشاق الصعب ويبعث على تحصيله (وإن قيل) قوله للاستيلاء على أقصى غايات العبادة يدل على أنه جعل لعل للتعليل بمعنى كي وكذلك قوله فيما بعد أي خلقكم لكي تتقوا ويدل على ذلك فيكون نبه ثانيا بعد ما أولا (قلت) قد بين أنها استعارة للإرادة ثم إن جعل مفعولا لأجله أي خلقكم لإرادة التقوى فيكون التعليل مستفادا من كيفية ربطها بالسابق أو يجعل حالا فيكون ما ذكره محصول المعنى فإن خلقهم في حال إرادة التقوى منهم في معنى خلقهم لأجل التقوى وقس على ذلك ما يرد عليك في الكشاف من تفسير لعل بالإرادة أو بمعنى كي ولما لم يصح عند الأشاعرة استعارة لعل لإرادة الله تعالى لاستلزامها وقوع المراد ولا للتعليل عند من ينفي تعليل أفعاله تعالى بالأغراض مطلقا وجب أن يجعل مجازا عن الطلب الذي يغاير الإرادة ولا يستلزم حصول المطلوب أو عن ترتب الغاية على ما هي ثمرة له فإن أفعاله تعالى يتفرع عليها حكم ومصالح متقنة هي ثمراتها وإن لم تكن علة غائية لها بحيث لولاها لم يقدم الفاعل عليها كما حقق في موضعه ومن أهل السنة من وافق المعتزلة في التعليل بالغرض الراجع منفعته إلى العباد وادعى أنه مذهب الفقهاء والتحقيق ما سبق (قوله من موجبات عبادته) فيه إشارة إلى أن موجبها لا ينحصر فيما ذكر ويدل على إيجابها ترتيب الحكم عليها مع مناسبتها لتعليل العبادة بها بخلقهم أحياء قادرين وذلك لأن من كان مخاطبا مخلوقا للاتقاء لا يكون إلا حيا قادرا على ما خلق لأجله وأولا ظرف لقدم (قوله لأنه سابقة أصول النعم) يريد السبق بحسب كونها نعما وأصالة النعم لا في وجودها بنفسها فإن وجود الأرض مثلا وإن كان متقدما على وجودهم إلا أن كونها نعمة في حقهم متأخر عن خلقهم على وجه يتمكنون به من الانتفاع بها ولتأنيث سابقة نظرا إلى أنه نعمة وقيل كالتاء في مقدمة وإنما حصر السبب فيه بناء على أنه العمدة في التمكن من الأفعال كان ما عداه من أسبابها وشرائطها لا يعتد بها مقيسة إليه وأشار بقوله وهي بمنزلة عرصة المسكن مع قوله هي كالقبة إلى أنهم إلى وجود الأرض أحوج فكان ذكرها أهم وأقدم

الذي جعل لكم الأرض فراشا والسماء بناء وأنزل من السماء ماء

(قال محمود رحمه الله فإن قلت فهلا قيل تعبدون الخ) قال أحمد رحمه الله كلام حسن إلا قوله خلقكم للاستيلاء على أقصى غايات العبادة فإنه مفرع على تلك القاعدة المتقدمة آنفا والعبارة المحررة في ذلك على قاعدة السنة أن يقال اعبدوا ربكم الذي خلقكم على حالة من حقكم معها أن تستولوا على أقصى غاية العبادة وهي التقوى لما ركب فيكم من العقول وبينه لكم من البواعث على تقواه فكان جديرا بكم أن لا تدعوا من جهدكم في التقوى شيئا

ثم ما سوّاه عز وجل من شبه عقد النكاح بين المقلة والمظلة بإنزال الماء منها عليها والإخراج به من بطنها أشباه النسل المنتج من الحيوان من ألوان الثمار رزقا لبني آدم ليكون لهم ذلك معتبرا ومتسلقا إلى النظر الموصل إلى التوحيد والاعتراف ونعمة يتعرفونها فيقابلونها بلازم الشكر ويتفكرون في خلق أنفسهم وخلق ما فوقهم وتحتهم وأن شيئا من هذه المخلوقات كلها لا يقدر على إيجاد شيء منها فيتيقنوا عند ذلك أن لا بد لها من خالق ليس كمثلها حتى لا يجعلوا المخلوقات له أندادا وهم يعلمون أنها لا تقدر على نحو ما هو عليه قادر والموصول مع صلته إما أن يكون في محل النصب وصفا كالذي خلقكم أو على المدح والتعظيم وإما أن يكون رفعا على الابتداء وفيه ما في النصب من المدح ● وقرأ يزيد الشامي بساطا وقرأ طلحة مهادا ومعنى جعلها فراشا وبساطا ومهادا للناس أنهم يقعدون عليها وينامون ويتقلبون كما يتقلب أحدهم على فراشه وبساطه ومهاده (فإن قلت) هل فيه دليل على أن الأرض مسطحة وليست بكرية (قلت) ليس فيه إلا أن الناس يفترشونها كما يفعلون بالمفارش وسواء كانت على شكل السطح أو شكل الكرة فالافتراش غير مستنكر ولا مدفوع لعظم حجمها واتساع جرمها وتباعد أطرافها وإذا كان متسهلا في الجبل وهو وتد من أوتاد الأرض فهو في الأرض ذات الطول والعرض أسهل ● والبناء مصدر سمي به المبني بيتا كان أو قبة أو خباء أو طرافا وأبنية العرب أخبيتهم ومنه بنى على امرأته لأنهم كانوا إذا تزوجوا ضربوا عليها خباء جديدا (فإن قلت) ما معنى إخراج الثمرات بالماء وإنما خرجت بقدرته ومشيئته (قلت) المعنى أنه جعل الماء سببا في خروجها ومادة لها كماء الفحل في خلق الولد وهو قادر على أن ينشئ الأجناس كلها بلا أسباب ولا مواد كما أنشأ نفوس الأسباب والمواد ولكن له في إنشاء الأشياء مدرجا لها من حال إلى حال وناقلا من مرتبة إلى مرتبة حكما ودواعي يجدد فيها لملائكته والنظار فيها من عباده عبرا وأفكارا صالحة وزيادة طمأنينة وسكون إلى عظيم قدرته وغرائب حكمته ليس ذلك في إنشائها بغتة من غير تدريج وترتيب ● ومن في (من الثمرات) للتبعيض بشهادة قوله فأخرجنا به من كل الثمرات

ما تخرج به من الثمرات

وقوله (ثم ما سوّاه) معطوف على معمول قدم ثمة في بعض النسخ أي ثم ذكر ما سوّاه وهيأه فهو من قبيل ● علفتها تبنا وماء باردا ● (والمقلة) الأرض (والمظلة) السماء وقوله (من الحيوان) متعلق بالمنتج ومن ألوان الثمار بيان لأشباه النسل ورزقا لبني آدم مفعول له للإخراج وقوله ليكون متعلق بمعنى قدم أي ذكر هذه الموجبات على هذا الترتيب ليكون لهم ذلك المذكور يقال تسلق الجدار إذا تسوّره وعلاه وقوله (الموصل إلى التوحيد) إشارة إلى معنى اعبدوا وقوله ونعمة عطف على معتبرا ويتفكرون عطف على يتعرفونها من تعرفت الشيء طلبته حتى عرفته وقوله في خلق أنفسهم كأنه واقع موقع الضمير أي ويتفكرون فيها وقد فصل بقوله يتعرفونها فيقابلونها بلازم الشكر أي بالشكر اللازم ما رمز إليه بالاعتراف وبقوله ويتفكرون ما أشار إليه بذكر التوحيد إلا أنه في الإجمال قدم ما هو الأصل أعني توحيده تعالى وفي التفصيل راعى نظم التنزيل (قوله فيتيقنوا عند ذلك) عطف على قوله ليكون لهم (قوله وصفا) أي موصوفا أو مادحا كالذي خلقكم وقوله أو على المدح معطوف على وصفا أي في محل النصب على الوصفية أو على المدح بتقدير أخص أو أمدح وأراد بقوله رفعا على الابتداء أنه خبر مرفوع بالابتداء على سبيل المدح كما حققه في الذين يؤمنون بالغيب والطراف ما كان من الأديم والقبة ما كان مستديرا والخباء كالخيمة من الصوف والوبر دون الشعر وتكون على عمودين أو ثلاثة فقط والبيت أعم من الكل وقد مرت تفاسيرها وبنى على امرأته كناية عن الدخول بها لاستلزامه نصب الخباء عليها على عادتهم (قوله ما معنى إخراج الثمرات بالماء) يريد أن السبب في الخروج قدرته تعالى ومشيئته لا الماء فكيف دخل باء السببية عليه وأجاب بأنه تعالى (جعل الماء سببا في خروجها ومادة لها) مع كونه قادرا على خلقها بلا سبب ومادة إلا أن له تعالى في إنشاء الأشياء من موادها تدريجا حكما ليست في إنشائها دفعة وبغتة وقوله مدرجا حال من فاعل الإنشاء فإنه مراد معنى وحكما اسم (لكن) وضمير (فيها) للأشياء المخلوقة كذلك (وعبرا) مفعول يجدد (قوله ومن في من الثمرات للتبعيض) لوجوه

وقوله فأخرجنا به ثمرات ولأن المنكرين أعني ماء ورزقا يكتنفانه وقد قصد بتنكيرهما معنى البعضية فكأنه قيل وأنزلنا من السماء بعض الماء فأخرجنا به بعض الثمرات ليكون بعض رزقكم وهذا هو المطابق لصحة المعنى لأنه لم ينزل من السماء الماء كله ولا أخرج بالمطر جميع الثمرات ولا جعل الرزق كله في الثمرات ويجوز أن تكون للبيان كقولك أنفقت من الدراهم ألفا (فإن قلت) بم انتصب (رزقا) (قلت) إن كانت من للتبعيض كان انتصابه بأنه مفعول له وإن كانت مبينة كان مفعولا لأخرج (فإن قلت) فالثمر المخرج بماء السماء كثير جم فلم قيل الثمرات دون الثمر والثمار (قلت) فيه وجهان أحدهما أن يقصد بالثمرات جماعة الثمرة التي في قولك فلان أدركت ثمرة بستانه تريد ثماره ونظيره قولهم كلمة الحويدرة لقصيدته وقولهم للقرية المدرة وإنما هي مدر متلاحق والثاني أن الجموع يتعاور بعضها موقع بعض لالتقائها في الجمعية كقوله كم تركوا من جنات وثلاثة قروء ويعضد الوجه الأول قراءة محمد بن السميفع من الثمرة على التوحيد (لكم) صفة جارية على الرزق إن أريد به العين وإن جعل اسما للمعنى فهو مفعول به كأنه قيل رزقا إياكم

الأول شهادة نظائرها الواردة في هذا المعنى فإن كلمة من في الآية الأولى ليست بيانية إذ لا مبهم هناك ولا ابتدائية والإلزم عدم ذكر المخرج ولا زائدة في الإثبات فهي تبعيضية والتنكير في الثانية يدل على البعضية المتبادر منه سياقه وموقعه الثاني ما قبله وما بعده أعني (ماء ورزقا) محمولان على البعض فيكون هو موافقا لهما الثالث أن المطابق لصحة المعنى وسداده في الواقع هو البعض فإن الله سبحانه لم ينزل من السماء كل الماء بل بعضه إذ رب ماء هو بعد في السماء ولم يخرج بالماء المنزل منها كل الثمرات بل بعضها إذ كم من ثمرة هي بعد غير مخرجة ولم يجعل المخرج كل الرزق بل بعضه وقد يتوهم من قوله ولا أخرج بالمطر جميع الثمرات أن ذلك لأن بعضها يخرج بماء الأنهار والعيون دون المطر فيكون منافيا لما ذكر في الزمر من أن جميع مياه الأرض هو من السماء وفساده ظاهر عما قررناه (قوله كقولك أنفقت من الدراهم ألفا) هذا إذا أردت به الفا هو الدراهم ويحتمل التبعيض أيضا (قوله فبم انتصب رزقا) بني تقريبه على احتمال كلمة من للتبعيض والبيان (قوله كان انتصابه بأنه مفعول له) وذلك لأن من الثمرات على تقدير التبعيض مفعول به لا على أن من اسم بمعنى بعض كما قيل بل على أن قدره شيئا من الثمرات وما يقال إن معناه فأخرج بعض الثمرات فهو حاصل المعنى وحينئذ يكون (رزقا) بمعناه المصدري مفعولا له (ولكم) ظرفا لغوا معمولا لرزقا أي أخرج بعض الثمرات لأجل أن يرزقكم وذكر في سورة إبراهيم أنه يجوز أن يكون من الثمرات مفعول أخرج ورزقا حالا من المفعول أي مرزوقا أو نصبا على المصدر من أخرج لأنه في معنى رزق في التبعيض وجوه ثلاثة والأظهر ما ذكره ههنا إذ لا حاجة به إلى تأويل (قوله وإن كانت مبينة كان) نحو رزقا مفعولا لأخرج على أن المراد به العين ويكون لكم ظرفا مستقرا صفة له ومن الثمرات بيانا له مقدما عليه فصار حالا منه أي أخرج مرزوقا لكم هو الثمرات (قوله فالثمر المخرج بماء السماء كثير جم) هذا توجيه للسؤال على تقدير البيان ويعلم منه وروده على التبعيض أيضا بطريق الأولى فإن المخرج بماء السماء إذا كان كثيرا جدا كان ما هو بعض منه كثيرا قطعا والجواب من وجهين الأول أن الثمرات ههنا جمع للثمرة التي يراد بها الكثرة كالثمار لا الوحدة فيكون أبلغ ولا أقل من المساواة الثاني أنها جمع قلة وقعت موقع جمع الكثرة كجنات في قوله تعالى كم تركوا من جنات وعيون وقد يقع أيضا جمع الكثرة موضع القلة كما في ثلاثة قروء يقال تعاوروا الشيء إذا تداولوه والمشهور أن الفرق بين الجمعين في القلة والكثرة إنما هو إذا كانا منكرين وأما إذا عرفا بلام الجنس في مقام المبالغة فكل منهما للاستغراق بلا فرق (والحويدرة) تصغير الحادرة لقب شاعر ويلاء كلمته قصيدته المشهورة التي مطلعها

بكرت سمية غدوة فتمتع ❁ وغدت غدو مفارق لم يربع

وإنما سميت بالكلمة لشدة ارتباط بعضها ببعض كأجزاء الكلمة الواحدة وقوله فتمتع ثم كم أي أخرج

(فإن قلت) بم تعلق (فلا تجعلوا) (قلت) فيه ثلاثة أوجه أن يتعلق بالأمر أي اعبدوا ربكم فلا تجعلوا له (أندادا) لأن أصل العبادة وأساسها التوحيد وأن لا يجعل لله ند ولا شريك أو بلعل على أن ينتصب تجعلوا انتصاب فأطلع في قوله عز وجل لعلي أبلغ الأسباب أسباب السموات فأطلع إلى إله موسى في رواية حفص عن عاصم أي خلقكم لكي تتقوا وتخافوا عقابه فلا تشبهوه بخلقه أو بالذي جعل لكم إذا رفعته على الابتداء أي هو الذي خصكم بهذه الآيات العظيمة والدلائل النيرة الشاهدة بالوحدانية فلا تتخذوا له شركاء والند المثل ولا يقال إلا للمثل المخالف المناوي قال جرير أتيما تجعلون إلي ندا * وما تيم لذي حسب نديد
وناددت الرجل خالفته ونافرته من ند يند ندودا إذا نفر ومعنى قولهم ليس لله ند ولا ضد نفي ما يسد مسده ونفي ما ينافيه (فإن قلت) كانوا يسمون أصنامهم باسمه ويعظمونها بما يعظم به من القرب وما كانوا يزعمون أنها تخالف الله وتناويه

فلا تجعلوا لله أندادا

غاية الجزع إذ لا فزع بعد ذلك ولم يرتع أي لم يتوقف وأصله لم يأخذ موضعا ارتباعا (قوله بم تعلق فلا تجعلوا) أي بأي معنى من المعاني السابقة يتعلق وعلى مضمون أيها يترتب ويتفرع (قوله أن يتعلق بالأمر) أي يكون نهيا متفرعا على مضمون ذلك الأمر كأنه قيل إذا استحق ربكم الذي خلقكم العبادة منكم وكنتم مأمورين بها فلا تشركوا به أحدا لتكون عبادتكم مبنية على ما هو أصل العبادة وأساسها أعني توحيده تعالى وأن لا تجعلوا له ندا أصلا وقيل هو نهي معطوف على الأمر ورد بأن الأولى حينئذ العطف بالواو كقوله تعالى اعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وقد يجعل منصوبا بإضمار أن على جواب الأمر كما في زرني فأكرمك وليس بشيء لأن الشرط في ذلك كون الأول سببا للثاني والعبادة لا تكون سببا للتوحيد الذي هو مبناها وأصلها (قوله انتصاب فأطلع) أي على تشبيه لعل بليت ورد عليه بأن ذلك إنما يجوز إذا كان في الترجي شائبة من التمني لبعد المرجو عن الوقوع وقد مر أن لعل ههنا استعارة للإرادة التي ترجح فيها وجود المراد بإعداد الأسباب وإزاحة الأعذار فأين المشابهة ويجاب بأن النصب ههنا نظر إلى أنهم في صورة المرجو منهم فالمعنى خلقكم في صورة من يرجى منه الاتقاء أي الخوف من العقاب ليتسبب عن ذلك أن لا تشركوا (فقوله لكي تتقوا) بيان لحاصل المعنى وإخراج بدة ما سبق من استعارة لعل لا حكم بأنها بمعنى كي على ما مر وقوله (وتخافوا عقابه) عطف على تتقوا تفسير له وقوله (فلا تشبهوه بخلقه) إشارة إلى معنى فلا تجعلوا لله أندادا وترتبه على ما تعلق به وفي هذا النصب تنبيه على تقصيرهم كأن المراد الراجح صار مستبعدا عنهم كالمتمنى ونظيره في اعتبار الصورة ورعاية التنبيه قولك لمن همك همه ليتك تحدثني فتفرج عني بالنصب فإنه ليس تمنيا حقيقة لكن أجرى عليه حكمه تنبيها على تقصيره في التحديث (قوله أو بالذي جعل لكم إذا رفعته على الابتداء) أي جعلته مرفوعا مقدما على أنه خبر لمبتدإ محذوف كما سبق ذكره فيكون نهيا مترتبا على ما تضمنته هذه الجملة أي هو الذي خصكم بدلائل التوحيد فلا تشركوا به وأما إذا نصبته على الاختصاص فلا يتأتى ترتبه عليه إذ لا معنى لقولك أعني الذي جعل لكم كذا وكذا فلا تشركوا وكذا الحال إذا جعل وصفا بل هو أظهر ومن حكم بأنه لا يريد الرفع على المدح لأنه يساوي النصب في كونه من تتمة ما قبله وإنما يكون الترتيب والاستعقاب منه لا من تتمته بل أراد وجها آخر فقد خالف ظاهر كلامه والقول بأن مراده أن الذي جعل مبتدأ خبره فلا تجعلوا بتقدير القول وإنما لتضمن المبتدإ معنى الشرط مما يأباه صريح كلامه مع كونه في نفسه ضعيفا جدا (المناوي) من ناوأت الرجل مناوأة ونواء إذا عاديته وأصله الهمزة وقد تترك (قوله أتيما تجعلون) الجعل ههنا بمعنى التصيير القولي والاعتقادي من قبيل وجعلوا الملائكة ومعنى (إلي) منسوبا إلي فهو حال من تيما وقيل من (ندا) وفيه أن ندا في حكم خبر المبتدإ فلا يكون ذا حال والنديد المثل أي لا يجعلون مثلا للذي حسب وكيف يجعل المشهور بالأحساب (قوله وما كانوا يزعمون أنها تخالف الله وتناويه) بل كانوا يجعلونها

(قلت) لما تقربوا اليها وعظموها وسموها آلهة أشبهت حالهم حال من يعتقد أنها آلهة مثله قادرة على مخالفته ومضادته فقيل لهم ذلك على سبيل التهكم وكما تهكم بهم بلفظ الند شنع عليهم واستفظع شأنهم أن جعلوا أندادا كثيرة لمن لا يصح أن يكون له ند قط وفى ذلك قال زيد بن عمرو بن نفيل حين فارق دين قومه

أربا واحدا أم ألف رب ٭ أدين اذا تقسمت الامور

وقرأ محمد بن السميفع فلا تجعلوا لله ندا (فان قلت) ما معنى (وأنتم تعلمون) (قلت) معناه وحالكم وصفتكم أنكم من صحة تمييزكم بين الصحيح والفاسد والمعرفة بدقائق الامور وغوامض الاحوال والاصابة فى التدابير والدهاء والفطنة بمنزل لا تدفعون عنه وهكذا كانت العرب خصوصا ساكنو الحرم من قريش وكنانة لا يصطلى بنارهم فى استحكام المعرفة بالامور وحسن الاحاطة بها ومفعول تعلمون متروك كأنه قيل وأنتم من أهل العلم والمعرفة والتوبيخ فيه آكد أى أنتم العرافون المميزون ثم ان ما أنتم عليه فى أمر ديانتكم من جعل الاصنام لله أندادا هو غاية الجهل ونهاية سخافة العقل ويجوز أن يقدر وأنتم تعلمون أنه لا يماثل أو وأنتم تعلمون ما بينه وبينها من التفاوت أو وأنتم تعلمون أنها لا تفعل مثل أفعاله كقوله هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شىء ولما احتج عليهم بما يثبت الوحدانية ويحققها ويبطل الاشراك ويهدمه وعلم الطريق الى اثبات ذلك وتصحيحه وعرفهم أن من أشرك فقد كابر عقله وغطى على ما أنعم عليه من معرفته وتمييزه عطف على ذلك ما هو الحجة على اثبات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم

وأنتم تعلمون

شفعاء عنده فلا تصلح تسميتها أندادا له (قوله أشبهت حالهم) وذلك لان ما قصدوه بهم من التقرب والتعظيم والتسمية المذكورة مع ما يتبعها يشبه بحال من يعتقد فيها أنها آلهة مثله قادرة على مخالفته ومضادته وفى ذكر تشبيه حالهم بحال المعتقدين اشارة الى أن هناك استعارة تمثيلية وليست تهكمية اصطلاحية اذ ليس فيها استعارة أحد الضدين للآخر بل أحد المتشابهين لصاحبه لكن المقصود منها التهكم بهم وتنزيلهم منزلة من أشبهت حالهم حاله وقوله (بأن جعلوا أندادا) متعلق بشنع أى شنع عليهم واستفظع شأنهم بذكرانهم جعلوا (وقط) مستعمل هنا للمستقبل بل للزمان المستمر مجازا لانه لنفى الماضى وضعا (قوله وفى ذلك قال) أى فى المعنى المذكور الذى هو التشنيع واستفظاع الشأن ولم يرد (بألف رب) خصوص العدد بل الكثرة تنبيها على أنه اذا ترك التوحيد الثابت بالقطع فلا فرق بين اثنين ونهاية العدد (قوله أدين) أطيع من دان له أى انقاد له وأطاعه ودين الملك وملك مدين (قوله اذا تقسمت الامور) أى اذا جعلت أمور الديانة أقساما وأخذ كل قسمه (قوله وحالكم وصفتكم) يشير الى أن هذه الجملة وقعت حالا من الفاعل (ولا يصطلى بنارهم) كناية عن رفعة شأنهم أى لا تنال نارهم ليصطلى بها كما أن لا يشق غباره كناية عن السبق وقيل معناه لا يطاق سطواتهم العالية قوتها أو شدتها وأصله فى الشجاع لا قرن له ثم عم فى كل أوحدى فى شأنه (قوله ومفعول تعلمون متروك) أى هذا الفعل منزل منزلة اللازم وقد قصد به اثبات حقيقته للفاعل فى مقام المبالغة ولهذا قال (وأنتم من أهل العلم والمعرفة) ثم قال (أى أنتم العرافون) (قوله ويجوز أن يقدر) أى يجوز أن يحمل على حذف المعمول لوجود القرينة الفالية أو الحالية فيكون حينئذ مقدرا لا متروكا ولما لم يمكن تقديره على الوجه الثالث ظاهرا استشهد له بقوله (هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شىء) (قوله لما احتج) جوابه عطف أى أثبت الوحدانية وأبطل الشرك (وعلم الطريق الى ذلك) وهو النظر فيما يدل عليه من الانفس والآفاق أعنى خلقهم وخلق الارض والسماء وما بينهما (وعرفهم أن الاشراك مكابرة) ودفع لمقتضى العقل والمعرفة بقوله وأنتم تعلمون على الوجه الاول وعلى سائر الوجوه أيضا فقال (كابر عقله) أى غالبه بالكبر وخالف مقتضاه عنادا (قوله وغطى) أى ألقى الغطاء عليه وأصله غطاه والعائد الى الموصول محذوف أى ما أنعم به عليه أو مستتر بحذف الجار واتصال الفعل وقد سلك المصنف فى تقرير بيان النبوة ما سلكه من التفصيل فى تقرير بيان الوحدانية فما هو الحجة

وما يدحض الشبهة في كون القرآن معجزة وأراهم كيف يتعرفون أهو من عند الله كما يدعي أم هو من عند نفسه كما يدعون بإرشادهم إلى أن يحرروا أنفسهم ويذوقوا طباعهم وهم أبناء جنسه وأهل جلدته (فإن قلت) لم قيل (مما نزلنا) على لفظ التنزيل دون الإنزال (قلت) لأن المراد النزول على سبيل التدريج والتنجيم وهو من مجازه لمكان التحدي وذلك أنهم كانوا يقولون لو كان هذا من عند الله مخالفا لما يكون من عند الناس لم ينزل هكذا نجوما سورة بعد سورة وآيات عقيب آيات على حسب النوازل وكفاء الحوادث وعلى سنن ما نرى عليه أهل الخطابة والشعر من وجود ما يوجد منهم مفرقا حينا فحينا وشيئا فشيئا حسب ما يعن لهم من الأحوال المتجددة والحاجات السانحة لا يلقي الناظم ديوان شعره دفعة ولا يرمي الناثر بمجموع خطبه أو رسائله ضربة فلو أنزله الله لأنزله خلاف هذه العادة جملة واحدة قال الله تعالى وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة فقيل إن ارتبتم في هذا الذي وقع إنزاله هكذا على مهل وتدريج فهاتوا أنتم نوبة واحدة من نوبه وهلم نجما فردا من نجومه سورة من أصغر السور أو آيات شتى مفتريات وهذه غاية التبكيت ومنتهى إزاحة العلل * وقرئ على عبادنا يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمته * والسورة الطائفة من القرآن

في إثبات نبوته عليه السلام وهو القرآن (وما يدحض الشبهة فيه) بعجزهم عن الإتيان بما يوازي أقصر سورة منه (وأراهم كيفية التعرف) أي أعلمهم الطريق الموصل إلى كون القرآن معجزا نازلا من عند الله وقوله (بإرشادهم) متعلق بأراهم (قوله يحرروا) أي يقدروا من حرر قدره (قوله ويذوقوا) أي يجربوا من ذوق طعمه (قوله وأهل جلدته) أي كلهم من جلدة واحدة أي هم قوم أحد (وهو من مجازه) جمع مجاز من المجاز بمعنى القطع فلان مجاز للمعنى إذا وردني موضعه اللائق به تشبيها بالسيف المستعمل في المفصل ويقال أصاب المحز أي هذا المقام من المواضع التي تناسب اعتبار التدريج في النزول واستعمال لفظ التنزيل لمكان التحدي وذلك أنهم كانوا يطعنون في القرآن ويرتابون فيه من حيث إنه كان منزلا على قانون الخطابة والشعر ويقولون لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة فقيل لهم إن ارتبتم في هذا الذي أنزل تدريجا فهاتوا أنتم نجما من نجومه وسورة من سوره فإنه أيسر عليكم من أن تنزل الجملة دفعة واحدة ويتحدى بمجموعه فقد حصل ما تعدونه ريبة قادحة وسيلة إلى كونه حقا بحول حول حسم شك تقوية للتحدي وقمعا لما في صدورهم من الشبهة وهذه غاية الإلزام والتبكيت (قوله من عند الله) خبر كان و(مخالفا) خبر آخر و(هكذا) حال من فاعل لم ينزل على أنه قيد للنفي لا للمنفي و(نجوما) بدل من الحال و(سورة بعد سورة) وما عطف عليه بيان لنجوما و(على حسب) متعلق بمعنى نجوما أي متفرقا بعضها (على حسب النوازل) أي على قدرها وعددها (والكفاء) مصدر بمعنى المكافأة أي وعلى مماثلة (الحوادث) وقد يستعمل بمعنى المكافئ وهو النظير الذي يساوي الشيء حتى يكون مثلا له (وعلى سنن) عطف على حسب (مفرقا) حال من الموصول أعني ما يوجد والعامل فيها المصدر و(حينا فحينا) أي موزعا على الأحيان (قوله وشيئا فشيئا) أي متفرق الأجزاء والثاني عطف على الأول وكلاهما بيان لمفرقا وقوله (حسب ما يعن) أي بقدر ما يبدو ويظهر لهم على عدده وهو منصوب بنزع الخافض وسينه متحركة قال الجوهري وربما يسكن في ضرورة الشعر وروي أن نسخة المصنف كانت بسكونها قيل وهكذا حالها في كل موضع لا يكون هناك حرف جر وقد يجعل من قبيل رجل حسبك أي محسبك وكافيك فيكون حالا وفيه أن هذا المعنى لا يناسب المقام (قوله لا يلقي الناظم) تأكيد وتقرير لقوله من وجود ما يوجد منهم الخ (فقيل) عطف على كانوا يقولون (والنوبة) بالتحريك الفرقة (وهات) الشيء أعطنيه (وهلم) زيدا أحضره وقوله (أو آيات شتى مفتريات) إشارة إلى أن التحدي بمقدار سورة لا بخصوصها (قوله والسورة الطائفة) يريد بذلك تفسير سورة القرآن لأن مطلق السورة قد يكون من الإنجيل كما مر ومن سائر كتب الله كما سيأتي

وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا

* قوله تعالى وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا الآية (قال محمود رحمه الله الضمير يحتمل عوده لما نزلناه الخ) قال أحمد رحمه الله ومعنى هذا الترجيح أن المتحدى عليهم في التفسير الأوجه جميع المخاطبين أي إنهم باجتماعهم ومظاهرة بعضهم ببعض عاجزون عن الإتيان بطائفة منه وأما على التفسير المرجوح فهم مخاطبون بأن يعينوا واحدا منهم يكون معارضا للمتحدى أنه يأتي بمثل ما أوتي به أو بعضه ولا شك أن عجز الخلائق أجمعين أبلغ من عجز واحد منهم ويشهد لرجحان الأول قوله تعالى لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا

المترجمة التي أقلها ثلاث آيات وواوها ان كانت أصلا فاما أن تسمى بسورة المدينة وهي حائطها لانها طائفة من القرآن محدودة محوزة على حيالها كالبلد المسور أو لانها محتوية على فنون من العلم وأجناس من الفوائد كاحتواء سورة المدينة على ما فيها واما أن تسمى بالسورة التي هي الرتبة قال النابغة

ولرهط حراب وقد سورة • في المجد ليس غرابها بمطار

لاحد معنيين لان السور بمنزلة المنازل والمراتب يترقى فيها القارئ وهي أيضا في أنفسها مترتبة طوال وأوساط وقصار أو لرفعة شأنها وجلالة محلها في الدين وان جعلت واوها منقلبة عن همزة فلانها قطعة وطائفة من القرآن كالسؤرة التي هي البقية من الشئ والفضلة منه (فان قلت) ما فائدة تفصيل القرآن وتقطيعه سورا (قلت) ليست الفائدة في ذلك واحدة ولامر ما أنزل الله التوراة والانجيل والزبور وسائر ما أوحاه الى أنبيائه على هذا المنهاج مسورة مترجمة السور وبوب المصنفون في كل فن كتبهم أبوابا موشحة الصدور بالتراجم ومن فوائده أن الجنس اذا انطوت تحته أنواع واشتمل على أصناف كان أحسن وأنبل وأفخم من أن يكون

والمراد (بالمترجمة) المسماة الملقبة باسم مخصوص كسورة الفاتحة وسورة الاخلاص وبه تخرج الآيات المتعددة من سورة واحدة أو سور متفرقة ونقض هذا التفسير بآية الكرسي وأجيب بانه مجرد اضافة لم يصل الى حد التسمية والتلقيب وأراد بقوله (أقلها ثلاث آيات) أن جنس تلك الطائفة المسماة بالسورة يتفاوت قلة وكثرة في أفرادها وغاية قلته ثلاث آيات وبهذا ينكشف المقصود زيادة انكشاف ولا يرد أن هذا القيد يوجب أن لا يصدق التفسير على شئ من السور وبه يعلم أيضا أن ثلاث آية على تقدير كونها مسماة بذلك الاسم خارجة عن السور (قوله أن تسمى بسورة المدينة وهي حائطها) الانها تجمع على سور بسكون الواو وسورة القرآن تجمع على سور بفتحها (كالبلد المسور) أورد عليه ان هذه المشابهة تقتضي ان تسمى تلك الطائفة مسورة تشبيها لها بالبلد المسورة لا سورة تشبيها لها بحائطها كما ذكره وأجيب بان السورة أطلقت على ذي السورة كما أطلق الحائط على المحوط ثم نقل عنه الى الطائفة المذكورة من القرآن فههنا نقل مترتب على مجاز وفي الوجه الثاني نقل فقط وقد يقال في الاول أيضا نقل من المعنى الحقيقي الذي هو الحائط الا أنه لوحظ فيه أولا التشبيه في المحاط فنزل الآيات والجمل التي هي من أجزاء السورة منزلة المحلات والبيوت في البلد ولولا هذا التنزيل لم يصح هذا التشبيه وفي الثاني لوحظ التشبيه أولا في المحيط وهو ظاهر ورد بانه مخالف لما في تقرير الكتاب لان المعتبر فيه كون السورة محاطة أي محدودة محوزة لا كونها محيطة باجزائها بل ما ذكرتم هو بعينه الوجه الثاني الا انه أبدل فيه فنون العلم وأجناس الفوائد بالآيات والجمل (وحراب) في النسخ المعول عليها بالراء المهملة وفي بعضها بالزاي (وقد) بالدال المهملة وقد تطلق بالجيم وهما رجلان من بني أسد (ليس غرابها بمطار) أي هي مجد كامل ثابت يقال أرض لا يطير غرابها أي مخصبة كثيرة الثمار وقيل كناية عن رفعة الشأن أي لا يصل اليه الغراب حتى يطار أي لا غراب هناك ولا اطارة أو لا تصل الاشارة الى غرابها حتى يطار مع انه يطير بادنى ريبة ثم ان الرتبة ان جعلت حسية (فلان السور كمنازل يترقى فيها القارئ) ويقف عند بعضها أو لانها في أنفسها منازل منفصل بعضها من بعض متفاوتة في الطول والقصر والتوسط وان جعلت معنوية (فلتفاوت رفعة شأنها وجلالة محلها في الدين) كل واحدة منها رتبة من تلك الرتب (قوله وان جعلت واوها منقلبة عن الهمزة) فيه ضعف من حيث اللفظ اذ لم تستعمل مهموزة في السبعة ولا في الشاذة المنقولة في كتاب مشهور وان أشعر به كلام الازهري حيث قال وأكثر القراء على ترك الهمزة في لفظ السورة ومن حيث المعنى أيضا لان الاسم ينبئ عن قلة وحقارة وأيضا استعماله في فضل بعد ذهاب الاكثر ولا ذهاب ههنا الا تقديرا باعتبار النظر اليها نفسها قيل فهذه ستة أوجه فتأمل (قوله واشتمل) أي الجنس على أصناف

بيانا واحدا ومنها أن القارئ إذا ختم سورة أو بابا من الكتاب ثم أخذ في آخر كان أنشط له وأهز لعطفه وأبعث على الدرس والتحصيل منه لو استمر على الكتاب بطوله ومثله المسافر إذا علم أنه قطع ميلا أو طوى فرسخا أو انتهى إلى رأس بريد نفس ذلك منه ونشطه للسير ومن ثم جزأ القراء القرآن أسباعا وأجزاء وعشورا وأخماسا ومنها أن الحافظ إذا حذق السورة اعتقد أنه أخذ من كتاب الله طائفة مستقلة بنفسها لها فاتحة وخاتمة فيعظم عنده ما حفظه ويجل في نفسه ويغتبط به ومنه حديث أنس رضي الله عنه كان الرجل إذا قرأ البقرة وآل عمران جد فينا ومن ثمة كانت القراءة في الصلاة بسورة تامة أفضل ومنها أن التفصيل سبب تلاحق الأشكال والنظائر وملاءمة بعضها لبعض وبذلك تتلاحظ المعاني ويتجاوب النظم إلى غير ذلك من الفوائد والمنافع

فأتوا بسورة من مثله

(من مثله) متعلق بسورة صفة لها أي بسورة كائنة من مثله والضمير لما نزلنا أو لعبدنا ويجوز أن يتعلق بقوله فأتوا والضمير للعبد (فإن قلت) وما مثله حتى يأتوا بسورة من ذلك المثل

مندرجة تحت أنواعه المنطوي عليه (قوله بيانا واحدا) أي شيئا واحدا بلا فصل وتمييز وفي حديث عمر رضي الله عنه لئن عشت إلى قابل لألحقن آخر الناس بأولهم حتى يكونوا بيانا واحدا وكأن هذه الكلمة عبرانية على وزن فعلان أو فعال والضميران في (كان ومنه) راجعان إلى حال القارئ أي كان حاله على هذا وهو الختم ثم الأخذ أكثر نشاطا منه أي من حاله لو استمر وقيل هما للقارئ أي كان هو على تقدير الختم ثم الأخذ أشد تنشيطا لنفسه منه على تقدير الاستمرار أو أشد نشاطا لا حذق الآخر لكن لا بد أن يعطف عليه (أهز لعطفه وأبعث على الدرس) وقيل هما للختم وليس بشيء إذ لا ختم على تقدير الاستمرار وقيل للقراءة المستفادة من القارئ والتذكير بتأويل أن يقرأ أي كان قراءته أنشط له من قراءته لو استمر (والبريد) معرب بريده دم وهو في الأصل البغل الذي كان يحذف ذنبه ويرتب في السكة وهي الموضع الذي يسكنه الفيوج المرتبون ثم أطلق على المسافة التي بين السكتين وهي فرسخان (قوله نفس ذلك منه) أي فرج عنه بعض الكربة (قوله حذق السورة) أتمها وقطعها من حذق السكين الشيء قطعه (قوله جد فينا) عظم في أعيننا وكون (التفصيل سبب تلاحق الأشكال) من حيث إنه يورد في كل منها الأمور المتلائمة فتتلاحظ حينئذ المعاني (قوله ويتجاوب) أطراف (النظم) وجوانبه (إلى غير ذلك من الفوائد والمنافع) منها ما يتصور في الكتاب من أمثال ما ذكر في القارئ والحافظ ومنها أن تلك السور مختلفة المقادير فهي كأنواع من جواهر نفيسة متفاوتة الأحجام وفي ذلك نوع زينة يخلو عنه ما ليس كذلك (قوله والضمير لما نزلنا أو لعبدنا) فعلى الأول تكون من بيانية لأن السورة المفروضة التي تعلق بها الأمر التعجيزي مثل المنزل في حسن النظم وغرابة الشأن فالعجز عن الإتيان بالمثل الذي هو المأتي به وإن جعلت تبعيضية أوهمت أن للمنزل مثلا عجزوا عن الإتيان ببعضه كأنه قيل فأتوا ببعض ما هو مثل للمنزل فالمماثلة المصرح بها ليست من تتمة المعجوز عنه حتى يتوهم أنها منشأ العجز وعلى الثاني تكون من ابتدائية فإن السورة مبتدأة ناشئة من مثل العبد (قوله ويجوز أن يتعلق بقوله فأتوا والضمير للعبد) أورد عليه لم لا يجوز أن يكون الضمير حينئذ لما نزلنا أيضا كما جاز ذلك على تقدير كون الظرف صفة للسورة وأجيب بوجهين الأول أن فأتوا أمر قصد به تعجيزهم باعتبار المأتي به فلو تعلق به قوله من مثله وكان الضمير للمنزل تبادر منه أن له مثلا محققا وأن عجزهم إنما هو عن الإتيان بشيء منه على قياس ما أوضحناه آنفا وهو فاسد بخلاف ما إذا رجع الضمير إلى العبد فإن له مثلا في البشرية والعربية والأمية فلا محذور والثاني أن كلمة من على هذا التقدير ليست بيانية إذ لا مبهم هنالك وأنها هي مستقر أبدا فلا تتعلق بالأمر لغوا ولا تبعيضية وإلا كان الفعل واقعا عليه حقيقة كما في قولك أخذت من الدراهم ولا معنى لإتيان البعض بل المقصود الإتيان بالبعض ولا مجال لتقدير الباء مع وجود من كيف وقد صرح بالمأتي به أعني بسورة فتعين أن تكون ابتدائية وحينئذ يجب كون الضمير للعبد لأن جعل المتكلم مبدأ للإتيان بالكلام منه معنى حسن مقبول

(قلت) معناه فأتوا بسورة مما هو على صفته في البيان الغريب وعلو الطبقة في حسن النظم أو فأتوا ممن هو على حاله من كونه بشرا عربيا أو أميا لم يقرأ الكتب ولم يأخذ من العلماء ولا قصد الى مثل ونظير هنالك ولكنه نحو قول القبعثري للحجاج وقد قال له لأحملنك على الادهم مثل الامير حمل على الادهم والاشهب أراد من كان على صفة الامير من السلطان والقدرة وبسطة اليد ولم يقصد أحدا يجعله مثلا للحجاج ورد الضمير الى المنزل أوجه لقوله تعالى فأتوا بسورة مثله فأتوا بعشر سور مثله على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولأن القرآن جدير بسلامة الترتيب والوقوع على أصح الاساليب والكلام مع رد الضمير الى المنزل أحسن ترتيبا وذلك أن الحديث في المنزل لا في المنزل عليه وهو مسوق اليه ومربوط به فحقه أن لا يفك عنه برد الضمير الى غيره ألا ترى أن المعنى وان ارتبتم في أن القرآن منزل من عند الله فهاتوا أنتم نبذا مما يماثله ويجانسه وقضية الترتيب لو كان الضمير مردودا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقال وان ارتبتم في أن محمدا منزل عليه فهاتوا قرآنا من مثله ولأنهم اذا خوطبوا جميعا وهم الجم الغفير بأن يأتوا بطائفة يسيرة من جنس ما أتى به واحد منهم كان أبلغ في التحدي من أن يقال لهم ليأت واحد آخر بنحو ما أتى به هذا الواحد ولأن هذا التفسير هو الملائم لقوله (وادعوا شهداءكم)

وادعوا شهداءكم

بخلاف جعل الكلام مبدأ للاتيان عنه وبعض منه ألا ترى انك اذا قلت اتيت من زيد بشعر كان القصد الى معنى الابتداء أعنى ابتداء الاتيان بذلك الشعر من زيد مستحضرا فيه بخلاف ما اذا قلت انت من الدراهم بدرهم فانه لا يحسن فيه قصد الابتداء ولا ترتضيه فطرة سليمة وان فرض صحة ما قيل في الصور من ان جميع معانيها راجعة اليه ولا نعنى بالمبدأ الفاعل ليتوجه ان المتكلم مبدأ الكلام منه لا للاتيان بالكلام منه بل ما يعد عرفا مبدأ من حيث يعتبر انه اتصل به أمر له امتداد حقيقة أو توهما (قوله معناه فأتوا بسورة مما هو على صفته) الظاهر ان من هذه بيانية لتكون المماثلة صفة لما أتى به أعنى السورة لا تبعيضية كما سبق تقريره (قوله ولا قصد الى مثل ونظير) أي لم يقصد هنالك الى مثل محقق معين كما يقال اتقى متوقى من مثل أبي حنيفة ويراد أبو يوسف بل قصد بالمثل اما كون السورة المأتى بها فرضا مماثلة للمنزل في غرابة البيان وعلو الشأن واما كون من يأتى بها مثل محمد في كونه بشرا عربيا أو أميا لم يقرأ ولم يأخذ من العلماء ومثله صلى الله عليه وآله فيما ذكر وان كان موجودا محققا الا انه لم يقصد به واحد بعينه بل قصد به من هو على صفته أيا ما كان واعلم ان ما نحن فيه مثل قول القبعثري في انه لم يقصد به الى معين موصوف بانه مثل له لا في ان لفظ مثل هنالك مقحم أو كناية اذ لا محل لشئ منهما في الآية أراد الحجاج بالادهم القيد وحمله القبعثري على الفرس الذي في لونه سواد ونبه على ذلك بعطف الاشهب عليه وهو الذي خالط لونه بياض فأبرز وعيده في معرض الوعد ويروى انه قال انه حديد فقال لأن يكون حديدا خير من ان يكون بليدا فحمل الحديد ايضا على خلاف ما أراده فبصره بحسن الكلام حتى اختار الانعام على الانتقام (قوله ورد الضمير الى المنزل أوجه) لما ذكره من الوجوه الاربعة الاول الموافقة مع النظائر لان المماثل فيها صفة للمأتى به فكذا ههنا اذا جعل الظرف صفة للسورة والضمير عائد الى المنزل ومن بيانية كما عرفت الثاني المحافظة على حسن الترتيب أعنى ربط آخر الكلام بأوله فان ترتب الجزاء ههنا على شرطه انما يحسن كل الحسن اذا كان الضمير للمنزل فانه الذي سبق له الكلام أولا وفرض فيه الارتياب قصدا وانما ذكر العبد تبعا ووقع تبعا وصح بذلك رجوع الضمير اليه في الجملة ولو كان الكلام مسوقا له لما ذكره كان عود الضمير اليه أولى على عكس ما في التنزيل وأيضا في عود الضمير الى العبد ترك التصريح بان السورة المأتى بها ينبغى ان تماثل المنزل نظما وأسلوبا مع ان ذلك هو العمدة في التحدي ثم يفهم هذا من مساق الكلام بمعونة المقام ولذا قال بنحو ما أتى به هذا الواحد الثالث المبالغة في التحدي كما قرره الرابع الملاءمة لقوله وادعوا شهداءكم اذ أريد به دعاء الشهداء للاستعانة بهم في المعارضة اما حقيقة كما في الوجه

والشهداء جمع شهيد بمعنى الحاضر أو القائم بالشهادة • ومعنى دون أدنى مكان من الشيء ومنه الشيء الدون وهو الدني الحقير ودوّن الكتب اذا جمعها لان جمع الاشياء ادناء بعضها من بعض وتقليل المسافة بينها يقال هذا دون ذاك اذا كان أحط منه قليلا ودونك هذا أصله خذه من دونك أي من أدنى مكان منك فاختصر واستعير للتفاوت في الاحوال والرتب فقيل زيد دون عمرو في الشرف والعلم ومنه قول من قال لعدوه وقد رآه بالثناء عليه أنا دون هذا وفوق ما في نفسك واتسع فيه فاستعمل في كل تجاوز حد الى حد وتخطي حكم الى حكم قال الله تعالى لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين أي لا يتجاوزوا ولاية المؤمنين الى ولاية الكافرين وقال أمية • يا نفس مالك دون الله من واق • أي اذا تجاوزت وقاية الله ولم تنالها لم يقك غيره

الاخير من الوجوه الستة للآية وامامها فانه ناف لوجهين الاولين ولانه حينئذ يلائم الامر بالاتيان بسورة من مثل القرآن لا الامر بالاتيان بسورة من واحد عرفي اذ لا معنى للاستمداد بطائفة فيما هو من واحد كيف ولو استعين بالشهداء في ذلك لم يكن المأتي به ما كان مطلوبا منهم وأما اذا اريد دعاؤهم ليشهدوا لهم بان ما يدعونه حق فتأتي الوجوه الباقية ولان اضافة الشهداء اليهم انما تنفع موضعها اذا كان الاتيان بالمثل منهم لا من واحد والا كان الشهداء لقوم بعد فوائها ليه وان كان للاضافة اليهم وجه صحة وأيضا رجوع الضمير الى العبد يوهم ان دعاء الشهداء ليشهدوا بان ذلك الواحد مثل له لا بأن ما أتى به مثل للمنزل وهذا الايهام يخل بمتانة المعنى وفخامته ولما ترجح عود الضمير الى المنزل بهذه الوجوه ترجح بها أيضا كون الظرف صفة للسورة لانه اذا تعلق بفأتوا عاد الضمير الى العبد وحده كما حققته ثم الظاهر في العبارة انه اذا قصد اتيان مثل العبد بسورة ان يقال فليأت واحد آخر مثله بسورة لكنه عدل الى أمرهم بان يتواطؤوا في ذلك الواحد بسورة ترغيبا لهم في طلب ذلك الواحد وحثهم اياه على ذلك وتهيئتهم له ما يحتاج اليه من أسبابه ووسائله وفيه من المبالغة ما ليس في امر واحد غير معين بذلك الاتيان (قوله جمع شهيد بمعنى الحاضر أو القائم بالشهادة) في الصحاح الشهادة الخبر القاطع تقول منه شهد الرجل على كذا وشهد له بكذا أي أدى ما عنده من الشهادة فهو شاهد ويقال شهده شهودا أي حضره فهو شاهد والشهيد الشاهد (قوله ومعنى دون) هو في أصله للتفاوت في الامكنة يقال لمن هو نزل مكانا من الآخر هو دون ذلك فهو ظرف مكان مثل عند الا انه ينبئ عن دنو أكثر وانحطاط قليل فاشار الى الثاني بقوله (اذا كان أحط منه قليلا) يعني في المكان والى الاول بقوله (أدنى مكان من الشيء) ونبه به ايضا على ان دون يشتمل على معنى الدنو لتوافقهما في الحروف الاصول وان خالف ترتيبهما وليس أحدهما قلبا للآخر لاستوائهما في التصرف وكذلك جميع ما أخذ منه يشتمل على معنى الدنو كدوّن الكتب وكالدون بمعنى الحقير فان الدنو شاع استعماله في الحقارة وأما الدني فليس مأخوذا من شيء منهما لانه مهموز الاصل من الدناءة وقوله (يقال هذا دون ذاك) بيان لاستعمال دون بمعنى أدنى مكان أعني المعنى الحقيقي الاصلي وقيل هو اشارة الى انه يستعمل في انحطاط محسوس لا يكون في طرف كقصر القامة مثلا فهو أول توسع فيه ثم استعير منه للتفاوت في المراتب المعنوية تشبيها بالمراتب المحسوسة وشاع استعماله فيها أكثر من استعماله في الاصل ثم اتسع في هذا المستعار (فاستعمل في كل تجاوز حد الى حد) وان لم يكن هناك تفاوت وانحطاط فهو في هذا المعنى مجاز في المرتبة الثانية على ما وجهناه وفي المرتبة الثالثة على هذا القول وبالجملة هو بهذا المعنى قريب من ان يكون بمعنى غير كأنه أداة استثناء وقوله (واستعير) عطف على قوله ومعنى دون أدنى مكان من الشيء أو على يقال هذا دون ذاك لا على قوله فاختصر (قوله واتسع) عطف على واستعير وقول من قال هو علي رضي الله عنه قاله لمن مدحه في وجهه نفاقا ولم يأتمن الرياء (والولاية) بالفتح مصدر الولي وبالكسر مصدر الوالي (قوله يا نفس) آخره • ولا لما سنات الدهر من راق • أراد بينات حوادثه المتولدة منه وقوله (أي لا يتجاوزوا) واذ تجاوزت بيان لحاصل المعنى فان دون في الموضعين ظرف مستقر وقع حالا (قوله

و (من دون الله) متعلق بادعوا او بشهداءكم فالمعنى ادعوا الذين اتخذتموهم آلهة من دون الله وزعمتم أنها تشهد لكم يوم القيامة أنكم على الحق أو ادعوا الذين يشهدون لكم بين يدي الله من قول الاعشى • تريك القذى من دونها وهي دونه • أي تريك القذى قدامها وهي قدام لعدم رقتها وصفائها وفي أمرهم أن يستظهروا بالجماد الذي لا ينطق في معارضة القرآن المعجز بفصاحته غاية التهكم بهم أو ادعوا شهداءكم من دون الله أي من دون أوليائه ومن غير المؤمنين ليشهدوا لكم أنكم أتيتم بمثله وهذا من المساهلة وارخاء العنان والاشعار بأن شهداءهم وهم مدارة القوم الذين هم وجوه المشاهد وفرسان المقاولة والمناقلة تأبى عليهم الطباع وتجمح بهم الانسانية والانفة أن يرضوا لانفسهم الشهادة بصحة الفاسد البين عندهم فساده واستقامة المحال الجلي في عقولهم احالته وتعلقه بالدعاء في هذا الوجه جائز

(ومن دون الله متعلق بادعوا) ذكر وجوها ستة في ثلاثة منها يتعلق من دون الله بشهداءكم وفي ثلاثة أخرى يتعلق بادعوا اما الثلاثة الاولى ففي الاولين منها أريد بالشهداء الاصنام أي ادعوها للاستعانة بها والامر بها للتهكم بهم حيث أمروا بأن يستظهروا بالجماد في معارضة القرآن الذي أخرس بفصاحته كل منطيق وانما عبر عن الاصنام بالشهداء ترشيحا للمعنى التهكمي تذكيرا لما اعتقدوه من أنها أمام الله مكان وانهم تشهد لهم بشهادتهم لهم انهم على الحق كأنه قيل هؤلاء عدتكم وملاذكم فادعوها لهذه العظيمة التي دهتكم والفرق بينهما ان دون على الوجه الثاني مستعمل بمعنى قدام الشئ وبين يديه مستعارا من معناه الحقيقي الذي يناسبه بمعنى أدنى مكان من الشئ وهو ظرف ايضا ومعمول الشهداء اذ يكفيه رائحة الفعل ولا حاجة الى اعتماد ولا الى تقدير ليشهدوا أي ادعوا الذين يشهدون لكم بين يدي الله وكلمة من ههنا تبعيضية لما سيأتي في الاعراف من انهم قالوا جلس بين يديه وخلفه بمعنى في لان معناه ظرفان للفعل ومن بين يديه ومن خلفه لان الفعل يقع في بعض الجهتين كما تقول جئته من الليل يريد بعض الليل وقد يقال كلمة من الداخلة على دون في جميع مواضعه بمعنى في كما في سائر الظروف غير المتصرفة أي التي تكون منه ومنه على الظرفية ولا تجر الا بمن خاصة وعلى الوجه الاول هو مستعمل بمعنى التجاوز على انه ظرف مستقر وقع حالا والعامل فيها كما صرحت به عبارته ما دل عليه شهداءكم أي الذين اتخذتموهم آلهة متجاوزين الله في اتخاذها كذلك وزعمتم انهم شهداؤكم يوم القيامة وكلمة من حينئذ للابتداء فان لا تجاوز ابتداء من التجاوز وما توهم من ان المعنى ادعوا أصنامكم الذين تزعمون انهم يشهدون يوم القيامة لا الله ولا يخفى فساده وفي الوجه الثالث منها أريد بالشهداء مدارة القوم ورؤساء البلاغة أي ادعوهم ليشهدوا لكم ان ما أتيتم به مثل القرآن وانما قدر المضاف الى الله تعالى على هذا الوجه رعاية لمقابلة فان أولياء الله يقابلون أولياء الاصنام كما ان ذكر الله يقابل ذكر الاصنام والمقصود بهذا الامر ارخاء العنان والاستدراج الى غاية التبكيت أي تركنا الزامكم شهداء لا ميل لهم الى أحد الجانبين كما هو العادة وأ كتفينا بشهداءكم المعروفين بالذب عنكم في مهماتكم فانهم أيضا لا يشهدون لكم وفيه ان الامر في الاعجاز قد بلغ من الظهور ما لا يمكن معه الاخفاء والظرف مستقر أي الذين يشهدون لكم متجاوزين في ذلك أولياء الله ومن ابتدائية ومحصله شهداء مغايرين أولياءه (قوله وتعليقه بالدعاء في هذا الوجه) أي اذا حمل الشهداء على المدارة وقدر ذلك المضاف جاز أن يكون من دون الله متعلقا بادعوا وهذا هو الوجه الاول من الثلاثة الاخيرة والمعنى ادعوا أولياءكم متجاوزين في الدعاء أولياء الله فانهم لا يشهدون لكم وان شهدوا عليكم بما لجت صدوركم ريبة فالظرف مستقر ومن للابتداء والامر للارخاء وانما لم يجوز تعلقه بالدعاء في الوجهين الاولين لفساد المعنى فان الامر بدعاء الاصنام لا يكون الا تهكما ولو قيل ادعوا الاصنام ولا تدعوا الله تعالى ولا تستظهروا به فانه القادر عليه لا ينقلب الامر من التهكم الى الامتحان ليتبين العجز فان اخراج الله عن الدعاء لا مدخل له في التهكم أصلا وكذا المعنى لان يقال ادعوها بين يدي الله أي في القيامة للاستظهار بها في المعارضة التي هي في الدنيا ولم يجوز أيضا كون الشهيد بمعنى الحاضر اذا كان الجار والمجرور متعلقا بالشهداء أما على الثاني

من دون الله ان كنتم صادقين

وإن علقته بالدعاء فالمعنى ادعوا من دون الله شهداءكم يعني لا تستشهدوا بالله ولا تقولوا الله يشهد أن ما ندعيه
حق كما يقوله العاجز عن إقامة البينة على صحة دعواه وادعوا الشهداء من الناس الذين شهادتهم بينة تصحح بها
الدعاوى عند الحكام وهذا تعجيز لهم وبيان لانقطاعهم وانخذالهم وأن الحجة قد بهرتهم ولم تبق لهم متشبث غير
قولهم الله يشهد إنا لصادقون وقولهم هذا تسجيل منهم على أنفسهم بتناهي العجز وسقوط القدرة وعن بعض
العرب أنه سئل عن نسبه فقال قرشي والحمد لله فقيل له قولك الحمد لله في هذا المقام ريبة أو ادعوا من دون
الله شهداءكم يعني أن الله شاهدكم لأنه أقرب إليكم من حبل الوريد وهو بينكم وبين أعناق رواحلكم والجن
والإنس شاهدوكم فادعوا كل من يشهدكم واستظهروا به من الجن والإنس إلا الله تعالى لأنه القادر وحده
على أن يأتي بمثله دون كل شاهد من شهدائكم فهو في معنى قوله قل لئن اجتمعت الإنس والجن الآية ● لما
أرشدهم إلى الجهة التي منها يتعرفون أمر النبي صلى الله عليه وسلم وما جاء به حتى يعثروا على حقيقته وسره
وامتياز حقه من باطله قال لهم فإن لم تعارضوه ولم يتسهل لكم ما تبغون وبان لكم أنه معجوز عنه فقد صرح
الحق عن محضه ووجب التصديق فآمنوا وخافوا العذاب المعد لمن كذب

فإذا لا معنى لقولك ادعوا من يحضركم بين يدي الله وأما على الأول والثالث فلأنه تعالى والمؤمنين حاضرون
فلا يصح إخراجهم عن حكم الحضور (قوله وإن علقته بالدعاء) هذا هو الوجه الثاني من الثلاثة الأخيرة (أي
ادعوا شهداءكم) من الناس ليشهدوا لكم بدعواكم متجاوزين الله تعالى في الدعاء أي لا تدعوه (ولا تستشهدوا به)
أي لا تقتصروا على أن تقولوا (الله يشهد إنا لصادقون) في ادعائنا (كما يقوله العاجز عن إقامة البينة)
والأمر حينئذ لبيان انقطاعهم بالكلية وأنه لم يبق لهم متشبث سوى الاستشهاد به تعالى (قوله أو ادعوا)
هذا هو الوجه السادس ولا أرجح لذي يشهد له قوله تعالى قل لئن اجتمعت الإنس والجن الآية أي
ادعوا كل من يحضركم إلا الله لأنه القادر عليه والأمر فيه لتعجيزهم وإرشادهم إلى ما يستيقنون به عجزهم
لا ريبة ومن في هذين الوجهين ابتدائية أيضا (قوله ثم بك التمدي آخره ● ذا فيها من دافق يتطفق ●
بصف الزجاجة بالفتح أصما أو بالرتك متدى قداماها والحال أنها قدام الفتى والضمير في قداما باعتبار
ما فيها على قياس قولك شربت كأسا بقال ذاق تفهق أي صب شعبه والصق لسانه بالحنك الأعلى مع صوت
والمدار جمع مدره وهو لسان القوم والمتكلم عنهم وأصله مدرى لأنه لفصاحته يدرؤ الخصم والمشاهد
مواضع الحضور جمع مشهد وناقلته الحديث إذا حدثته وحدثك وناقل الشاعر الشاعر إذا ناقضه
والانبهة الاستنكاف انعزل الشيء انقطع وقوله وهو بينكم وبين أعناق رواحلكم مأخوذ من قوله
عليه السلام من حديث طويل والذي تدعونه أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته وهو مثل في القرب
قوله لما أرشدهم إلى الجهة) أي إلى الطريقة (التي منها يتعرفون) أي يتطلبون المعرفة حتى يصلوا
إليها (قوله وما جاء به) عطف على النبي من قبيل أعجبني زيد وكرمه أي يتعرفون أمر ما جاء به (قوله
وامتياز حقه من باطله) أي امتياز كونه حقا من كونه باطلا وقيل المراد بالباطل الذي ينسبه
إليه الكفرة من كونه شاعرا أو ساحرا أو مجنونا فلا يرد أن أمر ما جاء به حق كله فلا معنى لباطله
والصحيح أن قوله (قال لهم الخ) بيان لمآل المعنى وتنبيه على أن فاتقوا النار كما سيصرح به كناية عن
التصديق وترك العناد وقد يتوهم أن مراده أن الله سبحانه رتب على ذلك الإرشاد تكميلا له شرطيتين
أحداهما محذوفة الجزاء والأخرى محذوفة الشرط فقوله (فإن لم تعارضوه) إلى قوله (معجوز عنه)
إشارة إلى معنى قوله فإن لم تفعلوا وقوله فقد صرح الحق عن محضه أي انكشف عن خالصه جواب لهذا
الشرط محذوف وقوله (فآمنوا وخافوا) إشارة إلى معنى قوله فاتقوا وهو جزاء الشرط مقدر أي وإذا
صرح عن محضه فآمنوا وقد أظهر معنى هذا المقدر حيث قال وإذا صح عندهم صدقه ثم لزموا
العناد استوجبوا العقاب بالنار وليس بشيء لأن فاتقوا جواب فإن لم تفعلوا كما دل عليه قوله فيما سبق
ما معنى اشتراطه في اتقاء النار انتفاء إتيانهم بسورة من مثله وفي قوله فإذا لم تعارضوه وما عطف عليه

وفيه دليلان على اثبات النبوة صحة كون المتحدى به معجزا والاخبار بأنهم لن يفعلوا وهو غيب لا يعلمه الا الله
(فان قلت) انتفاء اتيانهم بالسورة واجب فهلا جىء باذا الذى للوجوب دون ان الذى للشك (قلت) فيه
وجهان أحدهما أن يساق القول معهم على حسب حسبانهم وطمعهم وأن العجز عن المعارضة كان قبل
التأمل كالمشكوك فيه لديهم لاتكالهم على فصاحتهم واقتدارهم على الكلام والثانى أن يتهكم بهم كما
يقول الموصوف بالقوة الواثق من نفسه بالغلبة على من يقاويه ان غلبتك لم أبق عليك وهو يعلم أنه غالبه
ويتيقنه تهكما به (فان قلت) لم عبر عن الاتيان بالفعل وأى فائدة فى تركه اليه (قلت) لانه فعل من الافعال
تقول أتيت فلانا فيقال لك نعم ما فعلت والفائدة فيه أنه جار مجرى الكناية التى تعطيك اختصارا ووجازة
تغنيك عن طول المكنى عنه ألا ترى أن الرجل يقول ضربت زيدا فى موضع كذا على صفة كذا وشتمته ونكلت
به ويعد كيفيات وأفعالا فتقول له بئسما فعلت ولو ذكرت

بناء الى ان كلمة ان فى الآية وقعت موقع اذا تهكما بهم واستهزاء دون مجرد الاستدلال (وفيه) أى
وفى قوله فان لم تفعلوا ولن تفعلوا (دليلان على اثبات النبوة صحة كون المتحدى به معجزا والاخبار)
اعترض على الاول بان عجز طائفة مخصوصة لا تدل على اعجازه وأجيب بان تلك الطائفة مع تكاثر عددهم
وتهالكهم على المغالبة كانوا فى غاية البلاغة ونهاية الفصاحة فلما عجزوا عن ذلك علم عادة انه معجوز
عنه أبد الدهر اذ لا يتصور زيادة على ما كانوا عليه من عدد المعارضة وأسبابها وعلى الثانى بان صدق
الاخبار عن الغيب انما يعلم بعد انقراض الاعصار كلها وأجيب بانه خطاب مشافهة فيختص بالموجودين فاذا انقرضوا
ولم يفعلوا تبين صدقه وكان معجزة وكذا قبل انقراضهم للقطع بان قدرتهم لا تزيد بعد ذلك الزمان الذى
تحدوا فيه (قوله على حسب حسبانهم) حيث قالوا لو نشاء لقلنا مثل هذا وقوله (وان العجز) عطف على
(حسبانهم) وادخال العجز تشبيها بما يشك فيه لا مشكوكا فيه لان قوله فان لم تفعلوا ورد عقيب وان كنتم
فى ريب مثل أن يتأملوا فى حالهم أيقدرون على مثله أم لا فلا يكون هناك شك حقيقة اذ لا يتصور حصوله
الا بعد حضور طرق النسبة والتأمل فيه لكنهم لما كانوا متكلين على فصاحتهم واقتدارهم على أفانين
الكلام كان عجزهم بالقياس الى ظاهر حالهم كالمشكوك فيه لديهم وفى التعريض الى انهم لو تأملوا لم يشكوا
فيه بل قطعوا به (قوله يقاويه) أى يغالبه فى القوة يقال (أبقى عليه) اذا رحمه وهى ابقاء او ابقوى وقوله
تهكما به تعليل ليقول والضميران يقاويه وتوجيه التهكم انه أبرزه فى معرض من يشك هو فى غلبته
عليه مع ظهور بطلانه فقد وصفه بالقوة استهزاء به (قوله لم عبر) فيه سؤالان أى لماذا صح أن يعبر عن
الاتيان بالفعل وأى فائدة فى ترك لفظه الى لفظ الفعل والجواب ان وجه الصحة هو ان الاتيان فعل من
الافعال ومن الفائدة مجاز الاقتصار حيث وقع الفعل وحده موقع الاتيان مع ما يتعلق به كالسورة واما قوله
جار مجرى الكناية فقد قيل أراد بالكناية الضمير فانه يسمى بها عندهم فى دلالته على ما أريد به ومعنى جريانه
مجراها انه اذا ذكر شئ أولا ثم أريد اعادته فحقه أن يعبر عنه بالضمير الذى مبناه على الاختصار ودفع
التكرار لكن التعبير عن الشئ بضمير مختص بالاسماء فلما قصد ههنا اعادة فعل مخصوص عبر عنه
بالفعل الذى أفاد الاختصار ودفع التكرار فهو فى الافعال بمنزلة الضمير فى الاسماء وقيل أراد بها
ما يقابل المجاز فى علم البيان فقد أطلق ههنا اللازم أعنى الفعل وأريد به الملزوم أعنى الاتيان بالسورة
وأورد عليه انه حينئذ كناية لا جارية مجراها واعتذر بان الملازمة ليست متساوية لان الفعل أعم مطلقا
وحصول الانتقال منه بمعونة المقام فلذلك حكم بجريانه مجراها وفيه انه لا يقدح فى كونه كناية حقيقة كما
اذا جعل الفعل مطلقا كناية عنه مقيدا بمعمول مخصوص وأيضا قوله يغنيك عن طول المكنى عنه يؤيد
الوجه الاول اذ ليس معنى هذه الكناية على الوجازة الا أن يقال المراد المعنيان معا ثم انه أوضح وجوه
الاختصار فيما اذا ذكر أفعال متعددة مقيدة بكيفيات وقيود مخصوصة وعقبه بايضاحه فيما نحن فيه
فان قيل جاز أن يحذف متعلق الاتيان اذ يجعل هو مطلقا كناية عنه مقيدا اى تعلق به فلا استطالة ودفع

ما أبينه عنه لطال عليك وكذلك لو لم يعدل عن لفظ الفعل لاستطيل أن يقال فإن لم تأتوا بسورة من مثله ولن تأتوا بسورة من مثله (فإن قلت) (ولن تفعلوا) ما محلها (قلت) لا محل لها لأنها جملة اعتراضية (فإن قلت) ما حقيقة لن في باب النفي (قلت) لا ولن أختان في نفي المستقبل إلا أن في لن توكيدا وتشديدا تقول لصاحبك لا أقيم غدا فإن أنكر عليك قلت لن أقيم غدا كما تفعل في أنا مقيم وإني مقيم وهي عند الخليل في إحدى الروايتين عنه أصلها لا أن وعند الفراء لا أبدلت ألفها نونا وعند سيبويه وإحدى الروايتين عن الخليل حرف مقتضب لتأكيد نفي المستقبل (فإن قلت) من أين لك أنه إخبار بالغيب على ما هو به حتى يكون معجزة (قلت) لأنهم لو عارضوه بشيء لم يمتنع أن يتواصفه الناس ويتناقلوه إذ خفاء مثله فيما عليه مبنى العادة محال لا سيما والطاعنون فيه أكثر عددا من الذابين عنه فحين لم ينقل علم أنه إخبار بالغيب على ما هو به فكان معجزة (فإن قلت) ما معنى اشتراطه في اتقاء النار انتفاء إتيانهم بسورة من مثله (قلت) إنهم إذا لم يأتوا بها وتبين عجزهم عن المعارضة صح عندهم صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم وإذا صح عندهم صدقه ثم لزموا العناد ولم ينقادوا ولم يشايعوا استوجبوا العقاب بالنار فقيل لهم إن استبنتم العجز فاتركوا العناد فوضع (فاتقوا النار) موضعه لأن اتقاء النار لصيقه وضميمه ترك العناد من حيث إنه من نتائجه لأن من اتقى النار ترك المعاندة ونظيره أن يقول الملك لحشمه إن أردتم الكرامة عندي فاحذروا سخطي يريد فأطيعوني واتبعوا أمري وافعلوا ما هو نتيجة حذر السخط

الأول بل إيجاز اقتصر أبلغ والثاني باب الاختصار وهو لتكرار أولى (قوله ما أبينه عنه) أي جعلته مأبيا عنه مأخوذ من ناب عنه أي قام مقامه وفي الأساس أنبته مناب وستنبته والمشهور في كتب اللغة أناب إليه بمعنى أقبل عليه والجملة الاعتراضية لا محل لها من الإعراب لعدم وقوعها موقع ما تصحبه من المفردات والواو الداخلة عليها تسمى واوا اعتراضية ليست حالية ولا عاطفة وقد تدخل الفاء على الاعتراضية أيضا (قوله فإن أنكر) أي أنكر (عليك) إنكارك بعدم الإقامة وادعى أنك كاذب فيه (قلت) لدفع الإنكار وفي قوله (كما تفعل في أنا مقيم وإني مقيم) دلالة على أن التأكيد في كلام مع المنكر لا السائل كما توهم وقد جاز استعماله معه (قوله لا أن) حذفت الهمزة لكثرة الاستعمال وسقطت الألف للساكنين وقد يستعمل نادرا كما في قوله

يرجى المرء ما لا أن يلاقي • وتعرض دون أقربه خطوب

مقتضب أي مرتجل غير مأخوذ من شيء (قوله من أين لك) أي من أين علمت أن القرآن لم يعارض حتى تعلم أن قوله ولن تفعلوا (إخبار بالغيب على ما هو به فيكون معجزة) ولا يخفى أن ورود هذا السؤال على إعجاز القرآن أظهر والجواب (أنه لو عورض بشيء لم يمتنع) أي لم يمتنع (أن يتواصفه الناس) بل وجب ذلك لتوفر الدواعي (فحين لم ينقل علم) بعد انقراض عصر المخاطبين ثبوت الإعجاز وصحة الإخبار به وقد سبق ما يتعلق بالكلام في العلم بما قبل انقراضه أيضا فتذكر (قوله ما معنى اشتراطه) وجه ذلك بأن اتقاء النار واجب مطلقا لا يتوقف على شرط ولا يتقيد بأمر فما معنى تعليقه بانتفاء إتيانهم بسورة من مثله وقد يوجه بأن الشرط حقه أن يكون سببا للجزاء وملزوما له وتقرير الجواب أن اتقاء النار ههنا وقع كناية عن ترك العناد وإنكار النبوة ولا خفاء في كونه مشروطا بعدم الإتيان بالسورة واستنابه للعجز عنه وكونه سببا لازما له وقوله إنهم إذا لم يأتوا إلى ساقه ليس إشارة كما يتوهم إلى أن هناك شرطيتين على ما مر تقريره كيف ومثل السبب سبب يربط به المسبب بلا حذف وإضمار بل بيان لحاصل المعنى وإظهار لوجه الارتباط والسببية يرشدك إلى ذلك قوله فقيل لهم إن استبنتم العجز فاتركوا العناد (قوله من حيث إنه) أي ترك العناد (من نتائجه) أي نتائج اتقاء النار ولوازمه وقد أورد عليه أنه إذا كان ترك العناد لازما كان إطلاق الاتقاء عليه تعبيرا بالملزوم عن اللازم فيكون مجازا لا كناية لابتنائها على عكس ذلك كما صرح به في المفتاح وأجيب بأن معيار الفرق بينهما عند المصنف منافاة إرادة المعنى الحقيقي وعدمها كما ستعرفه في مواضع من كتابه هذا وما اختاره السكاكي غير معمول عليه ألا ترى أنه قد اضطر إلى أن المجاز قد يكون

فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي

قوله تعالى فاتقوا النار التي وقودها الناس الآية (قال محمود رحمه الله هذه الآية نزلت بالمدينة بعد نزول آية التحريم بمكة الخ) قال أحمد رحمه الله يعني بالآية قوله تعالى قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة لكني لم أقف على خلاف بين المفسرين أن سورة التحريم مدنية وما اشتملت عليه من القصة المشهورة أصدق شاهد على ذلك فالظاهر أن الزمخشري وهم في نقله أنها مكية

وهو من باب الكناية التي هي شعبة من شعب البلاغة وفائدته الإيجاز الذي هو من حلية القرآن وتهويل شأن العناد بإنابة اتقاء النار منابه وإبرازه في صورته مشيعا ذلك بتهويل صفة النار وتفظيع أمرها * والوقود ما ترفع به النار وأما المصدر فمضموم وقد جاء فيه الفتح قال سيبويه وسمعنا من العرب من يقول وقدت النار وقودا عاليا ثم قال والوقود أكثر والوقود الحطب وقرأ عيسى بن عمر الهمداني بالضم تسمية بالمصدر كما يقال فلان فخر قومه وزين بلده ويجوز أن يكون مثل قولك حياة المصباح السليط أي ليست حياته إلا به فكأن نفس السليط حياته (فإن قلت) صلة الذي والتي يجب أن تكون قصة معلومة للمخاطب فكيف علم أولئك أن نار الآخرة توقد بالناس والحجارة (قلت) لا يمتنع أن يتقدم لهم بذلك سماع من أهل

إطلاق اللازم على الملزوم كما في أمطرت السماء نباتا أي غيثا وقد يكون بإطلاق الملزوم على اللازم نحو رعينا الغيث لكنه ادعى أن ذلك في كثير فلا لازم إلا مساوي فيرجع الآخر إلى إطلاق الملزوم على اللازم وهذا مع كونه تكلفا مستغنى عنه جار في الكناية فلا يتصور الانتقال من اللازم الأعم ما لم يصر مساويا ولو بقرينة حالية فيوجد ملزوما وبالجملة لا بد أن يكون المعنى الأصلي فيها بحيث ينتقل منه الذهن إلى المعنى المراد فيكون الانتقال في كل منهما من الملزوم إلى لازمه في الذهن ولو بحسب القرائن كما ذكره فهم لا نهم أرادوا باللازم ههنا ما هو تابع لغيره ورديف له ولذلك عبر عنه العلامة بالتسيق والعصيم وبالملزوم ما هو متبوع ومردوف وكان أكثر الأمثلة لأن من الروادف على طريقة الكناية اختير في المفتاح ذلك المصنف الذي لا طائل تحته (وهو) أي وضع وتقرا موضع فإن لم تفعلوا العناد (من باب الكناية التي هي شعبة من شعب البلاغة) أي فرع من فروع أو أبلغ من التصريح كما بين في موضعه فهذه فائدة عامة وفائدته الخاصة الإيجاز فقيل من حيث إن تلك الوسائط التي صرح بها توجيه ارتباط الجزاء بالشرط من دقة مسلك المعنى وإن لم تكن مقدرة في العبارة كما عرفته وورد عليه أنه لو قيل فاتركوا العناد لكانت تلك الوسائط مرادة أيضا فلا إيجاز بسبب الكناية وقيل من حيث إنه أريد بهذه الكناية مجموع المعنيين أعني اتقاء النار وترك العناد معا فيشتمل الإيجاز حينئذ كل كناية أريد بها معناها جميعا (قوله وتهويل شأن العناد) هذه فائدة أخرى فإنه إذ أنيب اتقاء النار مناب ترك العناد وأبرز ترك العناد في صورة اتقاء النار ففي ذلك تهويل لشأنه وتحويف تام منه فالضمير في منابه وإبرازه لترك العناد وفي صورته لاتقاء النار وفي عبارة الكتاب اختصار (قوله مشيعا ذلك) أي التهويل شأن العناد بما ذكر شيع ذلك التهويل بتهويل صفة النار بأن وقودها الناس والحجارة ترشيحا لما قصد من التخويف والزجر عن العناد (قوله ثم قال) أي سيبويه (والوقود) بالضم في المصدر (أكثر) منه بالفتح وأما الحطب فبالفتح وحده ونظيره الطهور والوضوء (وقراءة عيسى بن عمر بالضم) تحتمل وجهين أن يكون المصدر مستعملا بمعنى المفعول مجازا وبه عبر وهو بالضم لوقود مبالغة كما يراد بفخر قومه ما يفخرون به (وزين بلده) ما تزين به بلده وأن يكون على حقيقته والتجوز في إسناد الناس وجعله عليه (كما في قولك حياة المصباح السليط) أي الزيت الجيد فقد جعلت السليط الذي به قوام حياته عينها وحمولا عليها وأما قال (وكأن نفس السليط حياته) مع أن السليط وقع في تلك العبارة خبرا عن الحياة تنبيها على أنه الذي وقع التصرف فيه حيث لم يقل بالسليط فكأن بيان حاله أهم وأما قوله أي ليست حياته إلا به فإشارة إلى نكتة جعل قوام الشيء نفس ذلك الشيء لا إلى الاختصاص المستفاد من التركيب على هذا التقدير ليتجه أن الوجه الآخر بل القراءة المشهورة أيضا تدل على الاختصاص كما سيومي إليه بقوله (لا تتقد إلا بالناس والحجارة) وذكر في سورة التحريم وقرئ وقودها بالضم أي ذوو وقودها وقال الشيخ عبد القاهر في قولها فإنما هي إقبال وإدبار لا مجاز في شيء من الطرفين وإنما المجاز في الإسناد حيث جعلت كأنها تجسمت من الإقبال والإدبار ولو حمل على أن المراد ذات إقبال وإدبار لكان كلاما عاميا مرذولا ولقلة هذا النوع من الإسناد المجازي وجعله تحير جماعة في الفرق

الكتاب أو سمعوه من رسول الله صلى الله عليه وسلم أو سمعوا قبل هذه الآية قوله تعالى في سورة التحريم نارا وقودها الناس والحجارة (فإن قلت) فلم جاءت النار الموصوفة بهذه الجملة منكرة في سورة التحريم وههنا معرفة (قلت) تلك الآية نزلت بمكة فعرفوا منها نارا موصوفة بهذه الصفة ثم نزلت هذه بالمدينة مشارا بها إلى ما عرفوه أولا (فإن قلت) فما معنى قوله تعالى (وقودها الناس والحجارة) (قلت) معناه أنها نار ممتازة عن غيرها من النيران بأنها لا تتقد إلا بالناس والحجارة وبأن غيرها إن أريد إحراق الناس بها أو إحماء الحجارة أوقدت أولا بوقود ثم طرح فيها ما يراد إحراقه أو إحماؤه وتلك أعاذنا الله منها برحمته الواسعة توقد بنفس ما يحرق ويحمى بالنار وبأنها لإفراط حرها

من الوجهين وقال العراقي إن الذي يفيد الحصر دون الأول أو إن الوقود في الأول جعل نفس الناس والحجارة وفي الثاني معبرا عنها بما اتصل بهما وكلاهما ظاهر البطلان (قوله أو سمعوه من رسول الله صلى الله عليه وعلى آله) اعترض عليه أولا بأن السماع منه عليه السلام وكذا سماع الآية التي في سورة التحريم لا يفيدهم العلم إذ لا يعتقدون الحقية وأجيب بأن إدراكهم الحاصل بالسماع كان في ذلك ولا حاجة إلى أن يجزموا به وثانيا بأن الصفة كالصلة يجب أن تكون معلومة الانتساب إلى الموصوف ومن ثم اشتهر أن الصفات قبل العلم بها أخبار والأخبار بعد العلم بها صفات فيعود السؤال بعينه في قوله نار وقودها الناس والحجارة وأجيب بأن الصلة والصفة يجب كونهما معلومتين للمخاطب لا لكل سامع وما في التحريم خطاب للمؤمنين وهم قد علموا ذلك بسماعهم من النبي صلى الله عليه وآله وأما سماع الكفار ذلك الخطاب أدركوا أنه نار موصوفة بتلك الجملة فجعلت صلة فيما خوطبوا به (قوله فلم جاءت) يعني (النار) في الآيتين متحدة (ومتصفة بهذه الجملة) كما علم من كلامه ثم اختلف حالها فيهما تنكيرا وتعريفا أجاب بأن تلك الآية التي في التحريم (نزلت بمكة) فعرف الكفار منها نارا منكرة (موصوفة بهذه الصفة ثم نزلت هذه الآية) التي في البقرة مشتملة على ذكرها معرفة لكونها معهودة (مشارا بها إلى ما عرفوه أولا) ويرد عليه أن سورة التحريم مدنية اتفاقا وأيضا قد صح الإسناد الدال على أن هذه الآية مكية وتلك مدنية على عكس ما ذكر ههنا وأيضا انتساب تلك الجملة إلى المنكر إذا كان غير معلوم للمخاطبين أعني المؤمنين لسماعهم منه عليه السلام كان ذلك المنكر معهودا باعتبار هذا الانتساب فحقه أن يعرف ويجاب عن الأول بأن تلك الآية وحدها من التحريم يجوز أن تكون مكية وتصريحه بذلك يدل على عدم الاتفاق على كون جميع آيات تلك السورة نازلة بالمدينة وفيه بعد وعن الثاني بأنه صحح إسناد ذلك القول إلى علقمة ولم يتخذه مذهبا وعن الثالث بأن التعيين وإرادة التهويل بالتنكير والإشارة إلى الخطور في الأذهان بالتعريف لكنه لا يطابق كلامه ولعله لا يشترط العلم في صفات النكرات حتى يلزم كونها معهودة وتحقيقه أنك إذا قلت جاءني رجل عالم فقد قيدت أولا مفهوم الرجل بمفهوم العالم وقصدت ثانيا بهذا المقيد إلى فرد لا بعينه من الأفراد التي يصدق هو عليها وإذا قلت جاءني الرجل العالم فقد أردت بلفظ الرجل فردا معينا باعتبار ما من أفراده وأردت بالعالم تعبيرا له عن معين آخر وهذا معنى ما قيل من أن الوصف في النكرة للتخصيص وفي المعرفة للتمييز فليس المنكر الموصوف معهودا باعتبار انتساب صفته إليه بخلاف المعرف الموصوف فتأمل والله الموفق (قوله ما معنى وقودها الناس والحجارة) أي ما المقصود من وصف النار بهذه الجملة (قوله لا تتقد إلا بالناس والحجارة) استفاد هذا الحصر من أن المطلق قد يقصد به الجنس وقد يقصد به العهد كالمعرف باللام كما سيأتي في الكتاب فإذا قصد به الجنس كما في وقودها الناس أفاد حصر الجنس في الجزء الآخر مقدما كان أو مؤخرا على طريقة قولك المنطلق زيد وزيد المنطلق وذلك لمناسبة قصر العام على الخاص ومن ذلك قولك الناس العلماء والعلماء الناس فإن المقصود منهما حصر الناس في العلماء وإذا لم يظهر رجحانية أحد الطرفين هناك فإن تعين أحد الحصرين بقرينة المقام حمل عليه وإلا رجح التقديم فكان محصورا فيما أخر عنه كما في قولك

وقودها الناس والحجارة

وشدة ذكائها إذا اتصلت به لا تشتعل به نار اشتعلت وارتفع لهبها (فإن قلت) أنار الجحيم كلها موقدة بالناس والحجارة أم هي نيران شتى منها نار بهذه الصفة (قلت) بل هي نيران شتى منها نار توقد بالناس والحجارة يدل على ذلك تنكيرها في قوله تعالى قوا أنفسكم وأهليكم نارا فأنذرتكم نارا تلظى ولعل لكفار الجن وشياطينهم نارا وقودها الشياطين كما أن لكفرة الإنس نارا وقودها هم جزاء لكل جنس بما يشاكله من العذاب (فإن قلت) لم قرن الناس بالحجارة وجعلت الحجارة معهم وقودا (قلت) لأنهم قرنوا بها أنفسهم في الدنيا حيث نحتوها أصناما وجعلوها لله أندادا وعبدوها من دونه قال الله تعالى إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم وهذه الآية مفسرة لما نحن فيه فقوله إنكم وما تعبدون من دون الله في معنى الناس والحجارة وحصب جهنم في معنى وقودها ولما اعتقد الكفار في حجارتهم المعبودة من دون الله أنها الشفعاء والشهداء الذين يستشفعون بهم ويستدفعون المضار عن أنفسهم بمكانهم جعلها الله عذابهم فقرنهم بها محماة في نار جهنم إبلاغا في إيلامهم وإغراقا في تحسيرهم ونحوه ما يفعله بالكافرين الذين جعلوا ذهبهم وفضتهم عدة وذخيرة فشحوا بها ومنعوها من الحقوق حيث يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم وقيل هي حجارة الكبريت وهو تخصيص بغير دليل وذهاب عما هو المعنى الصحيح الواقع المشهود له بمعاني التنزيل (أعدت) هيئت لهم أعدت للكافرين
وجعلت عدة لعذابهم وقرأ عبد الله أعتدت من العتاد بمعنى العدة • من عادته عز وجل في كتابه أن يذكر الترغيب مع الترهيب ويشفع البشارة بالإنذار إرادة التنشيط لاكتساب ما يزلف والتثبيط عن اقتراف ما يتلف فلما ذكر الكفار وأعمالهم وأوعدهم بالعقاب قفاه ببشارة عباده الذين جمعوا بين التصديق والأعمال الصالحة من فعل الطاعات وترك المعاصي وحموها من الإحباط بالكفر والكبائر

عليها الناشرون والحاشرون العلماء (قوله وشدة ذكائها) أي توقدها واشتعالها والذي ذكره الجوهري والأزهري هو أنه يقال ذكت النار تذكو ذكاء أي اشتعلت وقد وقع في نسخ الأساس بالمد فإن صح فقد بطل قول المطرزي هو بعد ذكاء مقصورا (قوله يدل على ذلك) أي يدل على أن نار الجحيم نيران شتى (تنكير النار) في الآيتين لأن من المعلوم أن الموعد بها نار الجحيم وقد نكرت فيهما موصوفة بصفتين مختلفتين فدل هذا أعني تنكيرها مع اختلاف الصفة بظاهره على تنوعها وامتياز بعضها عن بعض وإن احتمل أن يكون ذلك للتهويل أو ميزها عن نيران الدنيا والأولى في الاستدلال على تنوعها أن يقال إن قوله تعالى لا يصلاها إلا الأشقى الذي كذب وتولى دل على اختصاصها بالكافر المعاند فلابد أن يكون لعصاة الكفرة ولعصاة المؤمنين نار أخرى (قوله بمكانهم) أي منزلتهم وقيل لفظ مكان مقحم (قوله وإغراقا في تحسيرهم) هو في نسخ الرواية بالحاء المهملة من الحسرة وفي بعض النسخ بالجيم من الجسارة يقال أغرق النازع في النزع إذا بالغ فيه وأغرق الكأس أي ملأها ومنه الإغراق في القول وهو المبالغة فيه (قوله تخصيص بغير دليل) أراد بالتخصيص تقييد المطلق إذ لا عموم في الحجارة ههنا بل أريد بها الجنس وقد دلت الآية الأخرى على أن الوقود الحجارة التي منها الأصنام فذلك حكم بات (هذا المعنى هو الصحيح الواقع المشهود له بمعاني التنزيل) وقد ذكر في سورة التحريم هذا القول مرويا عن ابن عباس ولم يعقبه برد كأنه اكتفى بما أورده ههنا وكم له من نظائر في هذا الكتاب وقوله (أعدت للكافرين) قيل هذه الجملة صلة بعد صلة بلا عاطف بناء على قياس ما يقع في الأخبار والصفات وقيل عطف بترك العاطف كما سيأتي ذكره في الكشاف وقيل استئناف وهو وإن لم يحسن ههنا موقعه لكن يؤيده أن عطف عليه وبشر على لفظ المبني للمفعول (قوله فلما ذكر الكفار وأعمالهم) هي اتخاذ الأنداد والارتياب في المنزل وما يتبع ذلك من المفاسد والضمير البارز (في قفاه) لذكر الكفار وفي قوله (جمعوا بين التصديق والأعمال الصالحة) إشارة إلى أن المراد بالإيمان في نظم الآية مجرد التصديق لا ما سبق ذكره من المعنى الشرعي الذي به النجاة ليظهر حينئذ العطف المشعر بكون العمل غير داخل فيه وقد أدرج ترك المعاصي في الأعمال الصالحة وفيه تكلف والضمير

بالثواب (فإن قلت) من المأمور بقوله تعالى (وبشر) (قلت) يجوز أن يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم
وأن يكون كل أحد كما قال عليه الصلاة والسلام بشر المشائين إلى المساجد في الظلم بالنور التام يوم القيامة لم
يأمر بذلك واحدا بعينه وإنما كل أحد مأمور به وهذا الوجه أحسن وأجزل لأنه يؤذن بأن الأمر لعظمه
وفخامة شأنه محقوق بأن يبشر به كل من قدر على البشارة به (فإن قلت) علام عطف هذا الأمر ولم يسبق أمر
ولا نهي يصح عطفه عليه (قلت) ليس الذي اعتمد بالعطف هو الأمر حتى يطلب له مشاكل من أمر أو نهي
يعطف عليه إنما المعتمد بالعطف هو جملة وصف ثواب المؤمنين فهي معطوفة على جملة وصف عقاب الكافرين
كما تقول زيد يعاقب بالقيد والإرهاق وبشر عمرا بالعفو والإطلاق ولك أن تقول هو معطوف على قوله فاتقوا
كما تقول يا بني تميم احذروا عقوبة ما جنيتم وبشر يا فلان بني أسد بإحساني إليهم وفي قراءة زيد بن علي رضي

في وجوه التصديق والأعمال والإحباط بالكبائر إشارة إلى مذهبه (وقوله بأن لهم جنات) متعلق بالبشارة (قوله
هذا الوجه أحسن) لكونه مختارا (وأجزل لكونه يؤذن) بما ذكره وقد يجعل هذا التعليل للأمرين
معا (قوله محقوق الخ) يقال حققت بأن تفعل كذا وأنت محقوق به أي جدير وخليق به وهو من باب فعله
فهو مفعول بالضم على قياس قولك فعل وفعله الله قال في الأساس أنت حقيق بكذا من حقق بالضم فقدرا كما أن
فقيرا من فقر وشديدا من شدد مقدرين وليس حقيق فعيلا بمعنى مفعول إذ يقال هذه امرأة حقيقة بذلك
(قوله إنما المعتمد بالعطف هو جملة) العطف قد يكون بين المفردات وفي حكمها من الجمل التي لها محل من
الإعراب وقد يكون بين الجمل التي لا محل لها وقد يكون كما بين قصتين بأن يعطف مجموع جمل متعددة
مسوقة لمقصود على مجموع جمل أخرى مسوقة لمقصود آخر فيعتبر حينئذ التناسب بين القصتين دون آحاد
الجمل الواقعة فيهما ونظير ذلك في المفردات ما قيل إن الواو المتوسطة في قوله تعالى هو الأول والآخر والظاهر
والباطن ليست كالمتقدمة والمتأخرة إذ هي لعطف مجموع الصفتين الأخريين المتقابلتين على مجموع
الصفتين الأوليين المتقابلتين ولو اعتبر عطف الظاهر وحده على إحدى السابقتين لم يكن هناك تناسب ثم إن
السكاكي لم يتعرض في كتابه لعطف القصة على القصة أصلا فالجامدون على كلامه تحيروا في هذا المقام
وزعموا أن ما ذكر أولا في الكشاف من قبيل عطف الجملة على الجملة الأخرى فلا بد من تعيين الخبرية
العقاب أو بالعكس وما ذكر فيه ثانيا من عطف المفرد على المفرد وهو عطف الفعل وحده على الفعل وحده
وعبارة العلامة صريحة في أن المعطوف هاهنا مجموع وصف ثواب المؤمنين كما فصل في قوله وبشر إلى
خالدون وقد عطف على مجموع وصف عقاب الكافرين كما فصل في قوله تعالى وإن كنتم في ريب إلى أعدت
للكافرين فلا حاجة حينئذ في صحة العطف إلى جملة إنشائية سابقة ولو كان المعطوف الأمر يعني الجملة
الأمرية التي هي بشر لاحتيج إلى أن يطلب ما يشاكله من أمر أو نهي حتى يصح عطفه عليه وأما توهم
العطف بين الفعلين وحدهما فلا مساغ له فيما نحن فيه أصلا وهذا وجه وجيه لا غبار عليه وتوضيح الاشتباه في
المثال أن (قولك زيد يعاقب بالقيد والإرهاق) مشتمل على جملتين كبرى وصغرى وقولك (وبشر عمرا بالعفو
والإطلاق) جملة واحدة فليس هناك قصتان عطفت إحداهما على الأخرى بل جملة واحدة عطفت في
الظاهر على ما ليس يصح عطفها عليه من إحدى الأوليين والجواب أنه أشار بما ذكره إلى قصتين
متقابلتين كأنه قال زيد يعاقب بالقيد والإرهاق فما أسوأ حاله وما أحسره فقد ابتلي ببلية كبرى
وأحاطت بمصيبته إلى غير ذلك مما يناسبه وبشر عمرا بالعفو والإطلاق فما أحسن حاله وما أعجبه وأربحه إلى
أشياء أخر تليق بتلك الإشارة يقال أرهقه عسرا إذا ألحقه به وغشاه وفي قوله (ولك أن تقول هو معطوف)
إشارة إلى أن فيه ضعفا وذلك من وجهين أحدهما أن فاتقوا جواب للشرط فإن عطف بشر عليه كان التقدير
فإن لم تفعلوا فبشر الذين آمنوا ولا ارتباط بينهما واعتذر عنه تارة بأن تبشير المصدقين كإنذار المكذبين مترتب
على عدم معارضة الكفرة إذ حينئذ يثبت كون القرآن معجزا ويتحقق صدق النبي صلى الله عليه وآله

وبشر الذين آمنوا

عطفه وبشر على لفظ المبني للمفعول عطفا على أعدت والبشارة الاخبار بما يظهر سرور المخبر به ومن ثم قال العلماء اذا قال لعبيده أيكم بشرني بقدوم فلان فهو حر فبشروه فرادى عتق أولهم لانه هو الذي أظهر سروره بخبره دون الباقين ولو قال مكان بشرني أخبرني عتقوا جميعا لانهم جميعا أخبروه ومنه البشرة لظاهر الجلد وتباشير الصبح ما ظهر من أوائل ضوئه وأما فبشرهم بعذاب أليم فمن العكس في الكلام الذي يقصد به الاستهزاء الزائد في غيظ المستهزأ به وتألمه واغتمامه كما يقول الرجل لعدوه أبشر بقتل ذريتك ونهب مالك ومنه قوله فأعتبوا بالصيلم * والصالحة نحو الحسنة في جريها مجرى الاسم قال الحطيئة

كيف الهجاء وما تنفك صالحة * من آل لأم بظهر الغيب تأتيني

والصالحات كل ما استقام من الاعمال بدليل العقل والكتاب والسنة واللام للجنس (فان قلت) أي فرق بين لام الجنس داخلة على المفرد وبينها داخلة على المجموع (قلت) اذا دخلت على المفرد كان صالحا لان يراد به الجنس الى أن يحاط به وأن يراد به بعضه الى الواحد منه واذا دخلت على المجموع صلح أن يراد به جميع الجنس

وعملوا الصالحات

فيكون تصديقه سببا للبشارة ومحل الثواب كما أن تكذيبه سبب الانذار واصابة العقاب وأحرى بأن ما [illegible] المعنى فاتقوا النار واتقوا ما يفيد كم من حسن حال أعدت لكم فأتقيم وبشر مقامه تنبيها على أنه مقصود في نفسه أيضا لا لمجرد غيظهم فقط وهذا القدر من الربط المعنوي كاف في عطفه على ذلك الجزاء وان لم يكف في عطف جزاء الجزاء والحق ان عطف الامر المخاطب على الامر المخاطب آخر انما يحسن اذا صرح بالنداء كما في المثال الذي أورده وما يدور لتصريح به مقدمة الحماة ومن ثم كان المختار في الايضاح انه عطف على قل مقدرا قبل يا أيها الناس أي قل كذا وكذا وبشر المؤمنين ويرد عليه ان قوله وان كنتم في ريب عبارة لما على عبدنا لا يصح أن يكون مقولا للنبي صلى الله عليه وآله الا أن يتعسف ويقال أجرى ذلك على طريقة كلام الآمر وقصد به أن يذكره عليه السلام بعبارته كأنه يقول وان كنتم في ريب عبارة الله على " واختار صاحب الايضاح انه عطف على مقدر بعد فاتقوا أي فأنذر الذين كفروا اتقوا النار وبشر الذين آمنوا وهو ظاهر ما ذكره المصنف في العجزين ما أي فاعرفوا واعجزوا وهذا أحسن ما قيل هو بعد ما نقل عليه في الكتاب (قوله عطفا على أعدت) كأنه قال أعدت النار للكفار وأعدت الجنة للمؤمنين الابرار (قوله فرادى) اشارة الى انهم لو بشروه معا عتقوا كلهم (قوله لانهم جميعا أخبروه) وذلك لان الاخبار في المتعارف أن يذكر الجملة الخبرية ويراد معناها سواء أفادت العلم أولا وان كان في أصل اللغة بمعنى الاعلام (قوله فمن العكس في الكلام) أي من قبيل استعارة أحد الضدين للآخر تهكما واستهزاء (قوله الزائد في غيظ المستهزأ به) مأخوذ من زاد المتعدي اذ يقال زاد في ماله بمعنى زاد شيأ فيه قال بشر بن أبي خازم الاسدى

غضبت تميم أن تقتل عامر * يوم النسار فأعتبوا بالصيلم

والنسار بكسر النون ماء لبني عامر كانت عنده وقعة لبني أسد على عامر أي غضبت تميم من قتل بني عامر في ذلك الموضع فأعتبوا أي أزيل غضبهم بالصيلم أي السيف القاطع من الصلم وهو القطع مع استئصال ومنه سميت الداهية صيلما (قوله في جريها مجرى الاسم) حيث تستعمل بلا قصد الى موصوف (وتأتيني) خبر تنفك وبظهر الغيب متعلق به أي تأتيني متلبسة بالغيب فوضع الظهر مقحما فيه حيث جعل له ظهر يستند اليه ويتقوى به لما خلع النعمان بن المنذر على أوس بن حارثة ابن لأم الطائي حسده طائفة من سادات العرب وضمنوا للحطيئة مائة بعير ليهجوه فقال كيف أهجو وانعامه كل يوم تأتيني حتى شبع نعلي وانشأ كيف الهجاء (قوله والصالحات كل ما استقام) أي صح ترتب الثواب عليه والمراد به جميع الصالحات بجموع المستقيم له الحال المذكور ومن ثمة عطف الكتاب والسنة على العقل بالواو لان مجموعها دليل المجموع (اذا دخلت على المفرد) يعني ان المفرد المحلى بلام الجنس مطلق (صلح أن يراد به الجنس الى أن يحاط به) أي يراد كل واحد منه بحيث لا يخرج عنه شيء من آحاده (وأن يراد به بعضه الى الواحد) لان معناه الاصلي أعني

وأن يراد به بعضه لا إلى الواحد منه لأن وزانه في تناول الجمعية في الجنس وزان المفرد في تناول الجنسية والجمعية في جمل الجنس لا في وحدانه (فإن قلت) فما المراد بهذه المجموع مع اللام (قلت) الجملة من الأعمال الصحيحة المستقيمة في الدين على حسب حال المؤمن في مواجب التكليف * والجنة البستان من النخل والشجر المتكاثف المظلل بالتفاف أغصانه قال زهير تسقى جنة سحقا أى نخلا طوالا والتركيب دائر على معنى الستر وكأنها لتكاثفها وتظليلها سميت بالجنة التي هي المرة من مصدر جنه اذا ستره كأنها سترة

ان لهم جنات تجرى من تحتها الانهار

بالجنسية المطلقة باق مع ارادته وكذلك الجمع المعرف بها معناه صالح لان يراد به جميع الجنس أى كل واحد من افراده (وان يراد به بعضه) لكن (لا الى الواحد) اذ لا يبقى مع ارادته معناه الاصلى أعنى الجنسية مع الجمعية وفى كلامه دلالة ظاهرة على جواز ارادة البعض الى الاثنين لبقاء معنى الجمعية حينئذ على مذهبه فى افراده (جمل الجنس) فيه تعدد وقد يقال أراد بمعنى الثلاثة وما فوقها كما هو المشهور ويكون قوله لا الى الواحد رعاية للمقابلة مع ما ذكره فى المفرد ثم ان الاستغراق فى المفرد كما هو متناول كل واحد من افراده فالحكم المنسوب اليه يكون منسوبا الى كل واحد منها وأما الجمع المعرف قياسه على المفرد ينبغى أن يكون استغراقه بتناوله كل جماعة لانها آحاد مدلوله ومن هنا يقال الكتاب أكثر من الكتب وابن أكثر من المنكة كما جمع ذلك فاذا نسب اليه حكم كان منسوبا الى كل جمع جمع فان اقتضى ذلك ثبوته لكل فرد فرد حمل عليه كقولك جاءنى الرجال والافلا كقوله وهن العظام ويرد عليه اعتبار التكرار فى مفهومه بتداخل مراتب الجموع فيصدق البعض وان لا يصح منه نفى مفرد أو مفردين فيصدق الحكم الثانى والصواب كما دل عليه عبارة الكتاب ان استغراقه كاستغراق المفرد فى تناول كل واحد واحد وان شئت الاحاطة بتفاصيل الكلام فى هذا المقام فعليك بالمصباح فى شرح المفتاح (قوله فما المراد) يريد قد ذكرت ان الجمع المعرف باللام يصلح أن يراد به الجنس كله وأن يراد به بعضه لا الى الواحد فما المراد بالصالحات اذ لا يجوز أن يراد بها جنس الجمع مطلقا ولا كل الافراد وهو ظاهر لانه من الاعمال أولا ان من هو لا ان يراد الجنس كله أو يمتنع ان يأتى بذلك كل أحد دون قصد التوزيع على المجموع وهو أن يكون من كل أحد ثلاثة أعمال أو ثنتان بل أولى بناء على انقسام الآحاد على الآحاد والجواب ان ليس المراد الاول ولا الكل على ما ذكر بل ما يجب أعنى جميع ما يجب على كل مكلف بالنظر الى حاله فيختلف باختلاف أحوال المكلفين من الغناء والفقر والاقامة والسفر والصحة والمرض الى غير ذلك فيجب الزكاة والحج وتمام الصلاة أو تقصير الصوم على واحد دون آخر فمعنى قوله عملوا الصالحات ان كل واحد عمل جميع ما يجب عليه من الاعمال على حسب حاله وفى ذلك شائبة توزيع والقرينة على قصد هذا المعنى اختلاف أحوالهم فى التكاليف وقوله (الصحيحة المستقيمة) اشارة الى معنى الصالحة (والمواجب) جمع موجب بفتح الميم وكسر الجيم وهو موضع الوجوب والاضافة الى التكاليف للملابسة اذ أريد مواضع لزوم التكليف قال زهير

كأن عينى فى غربى مقتلة * (من النواضح تسقى جنة سحقا)

بالغ فى تفرق الدموع من عينيه حيث اختار الغرب وهى الدلو العظيمة وثناها تنبيها على دوام الانسكاب لتعاقبهما فى المجيء والذهاب فلا يزال يصب واحدة ويرسل أخرى وذكر المقتلة وهى المذللة التى تمرن للعمل أى ووصفها بكونها من النواضح المتمرنة على هذا العمل وأورد الجنة الدالة على الكثرة والالتفاف والنخل المفتقر الى الماء الكثير خصوصا اذا كانت سحقا أى طوالا صاعدة فى الهواء وهو جمع سحوق وهو الطويل منها فقد أطلق ههنا الجنة على النخيل ولا ينافى ذلك قوله الجنة البستان الخ فلا بد فيه من نفس الاشجار أو الارض التى هى فيها ومجموعها وكان الظاهر أن يقول كأن عينى غربا مقتلة لكنه أتى بكلمة فى كأنه يدعى ان منبع منصب من الغربين منصب من عينيه (قوله وكأنها) أى الجنة بمعنى البستان المذكور (سميت بالجنة التى هى المرة) والاستدلال بسكنى آدم وحواء الجنة ظاهر

واحدة لفرط التفافها وسميت دار الثواب جنة لما فيها من الجنان (فإن قلت) الجنة مخلوقة أم لا (قلت) قد اختلف في ذلك والذي يقول إنها مخلوقة يستدل بسكنى آدم وحواء الجنة وبمجيئها في القرآن على نهج الأسماء الغالبة اللاحقة بالأعلام كالنبي والرسول والكتاب ونحوها (فإن قلت) ما معنى جمع الجنة وتنكيرها (قلت) الجنة اسم لدار الثواب كلها وهي مشتملة على جنان كثيرة مرتبة مراتب على حسب استحقاقات العاملين لكل طبقة منهم جنات من تلك الجنان (فإن قلت) أما يشترط في استحقاق الثواب بالإيمان والعمل الصالح أن لا يحبطهما المكلف بالكفر والإقدام على الكبائر وأن لا يندم على ما أوجده من فعل الطاعة وترك المعصية فهلا شرط ذلك (قلت) لما جعل الثواب مستحقاً بالإيمان والعمل الصالح والبشارة مختصة بمن يتولاهما وركز في العقول أن الإحسان إنما يستحق فاعله عليه المثوبة والثناء إذا لم يتعقبه بما يفسده ويذهب بحسنه وأنه لا يبقى مع وجود مفسده إحساناً وأعلم بقوله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم وهو أكرم الناس عليه وأعزهم لئن أشركت ليحبطن عملك وقال تعالى للمؤمنين ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم كان اشتراط حفظهما من الإحباط والندم كالداخل تحت الذكر (فإن قلت) كيف صورة جري الأنهار من تحتها (قلت) كما ترى الأشجار النابتة على شواطئ الأنهار الجارية وعن مسروق أن أنهار الجنة تجري في غير أخدود وأنزه البساتين وأكرمها منظراً ما كانت أشجاره مظللة والأنهار في خلالها مطردة ولولا أن الماء الجاري من النعمة العظمى واللذة الكبرى وأن الجنان والرياض وإن كانت آنق شيء وأحسنه لا تروق النواظر ولا تبهج الأنفس ولا تجلب الأريحية

ذا المتبادر منها دار الثواب (وأما مجيئها في القرآن على نهج الأسماء الغالبة) فلأنه علم بالاستقراء أن مثل هذه الأسماء إنما يكون لموجودات محققة لا لأمور معدومة مقدرة إلا نادراً كالساعة وفي تشبيهها (بالنبي والرسول) إشارة إلى أنها بالغلبة لم تصر علماً ألا ترى أنها تعرف تارة وتنكر أخرى وتجمع في جانب وتجري على أسماء الإشارة صفة لها وتلك الجنة ومعنى لحوقها بالأعلام أنها عند الإطلاق تنصرف إلى المعين وإن كان مفهومها في نفسه كلياً وكذا الحال في النبي والرسول فالمتبادر منهما عند الإطلاق محمد صلى الله عليه وآله مع بقائهما على مفهومهما الأصلي وقد صار الكتاب مع اللام علماً بالغلبة في عرف الأصول لكتاب الله وفي عرف العربية لكتاب سيبويه (قوله الجنة اسم لدار الثواب كلها) أي اسم للقدر المشترك بين مجموع دار الثواب وأجزائها فيطلق عليها كلها (وفيها جنان لها مراتب متفاوتة بحسب الاستحقاقات) فلكل طبقة من العاملين جنات متعددة واقعة في مرتبة واحدة فجمعها للتعدد وتنكيرها للتنويع (قوله ولا راع) في إحباط الإيمان والعمل الصالح بالكفر والموت عليه بل في إحباطهما بالإقدام على الكبائر بلا توبة وقد جعل الزمخشري ترك المعصية داخلاً فيما أوجده المكلف (قوله فهلا شرط) أي ما ذكرناه شرط في استحقاق الثواب فهلا ذكر ذلك الشرط في نظم الآية والجواب أنه تعالى جعل الثواب مستحقاً بالإيمان والعمل الصالح حيث دل عليه ترتبه عليهما الدال على العلية وجعل (البشارة مختصة بمن يتولاهما) حيث رتبها على المتصف بهما ونفى عن غيره وقد نصب لنا دليلاً عقلياً ونقلياً على أن بقاء الاستحقاق بالإحسان يتوقف على عدم طرو ما يفسده ويخرجه عن كونه إحساناً فلا حاجة إلى اشتراط حفظهما من الإحباط والندم لأنه معلوم فيكون كالداخل تحت الذكر وقوله (كان اشترط) جواب لما جعل (قوله كما ترى الأشجار النابتة) الظاهر أن يقال كما ترى الأنهار الجارية تحت الأشجار النابتة على شواطئها لكنه عبر بعبارته هذه على أنه قصد تشبيه الهيئة المركبة بالهيئة المركبة ولا يلزمه ذلك وما ذكره من كون جري الماء في مكان أسفل من الشجر هو المعتاد فإن أريد بالجنة الأشجار كما في قوله جنة بحقاقة فذاك وإن أريد بها الأرض فلا بد من تقدير مضاف أي من تحت أشجارها وكذا الحال في خلاف المعتاد الذي نقله عن مسروق و(الأخدود) الشق المستطيل في الأرض وقوله (آنق شيء)

والنشاط حتى يجرى فيها الماء والا كان الأنس الاعظم فائتا والسرور الاوفر مفقودا وكانت كتماثيل لا أرواح
فيها وصور لا حياة لها لولا ما جاء الله تعالى بذكر الجنات مشفوعا بذكر الانهار الجارية من تحتها مسوقين على
قران واحد كالشيئين لا بد لأحدهما من صاحبه ولما قدمه على ذكر ثمرتها والنهر المجرى الواسع فوق
الجدول ودون البحر يقال لبردى نهر دمشق وللنيل نهر مصر واللغة العالية نهر بفتح الهاء ومدار التركيب
على السعة واسناد الجرى الى الانهار من الاسناد المجازى كقولهم بنو فلان يطؤهم الطريق وصيد عليه
يومان (فان قلت) لم نكرت الجنات وعرفت الانهار (قلت) أما تنكير الجنات فقد ذكر وأما تعريف الانهار
فأن يراد الجنس كما تقول لفلان بستان فيه الماء الجارى والتين والعنب وألوان الفواكه تشير الى الاجناس
التى فى علم المخاطب أو يراد أنهارها فعوض التعريف باللام من تعريف الاضافة كقوله واشتعل الرأس

أى أعجبه يقال راقه أعجبه وأبهجه ونضره وزهره ورجل أريحى واسع الخلق نشيط للمعروف وفيه أريحية
أى خفة وحركة للندى (والتمثال) الصورة المنقوشة (قوله لولا ما جاء الله تعالى) جواب لولا ما يكون هذا النفى
منتفيا ويؤول المعنى الى ان الماء الجارى لما كان من النعمة العظمى جاء الله بذكر الجنات وحينئذ تكون
كلمة الا فى قوله الا مشفوعا كما وقعت فى نسخ معتبرة زيدت أيضا على خط المصنف مفسدة للمعنى إذ يلزم
أن يجىء ذكرها مقرونا بكل حال سوى حالة كونه مشفوعا بذكر الانهار وهى زائدة وقعت سهوا من الناسخ
ومنشأ الغفول عن كون لما جاء واقعا فى جواب لولا وليس يمكن تصحيحها بجعل كلمة ما زائدة كما توهم
إذ يصير المعنى انتفاء هذا المجموع أعنى أن يجىء ذكرها مقرونا بكل حال سوى تلك المشفوعية ولا فائدة
فيه وقد تكلف لتوجيهه بتضمين الذكر معنى النفى كما فى شذ من أبناء دمشق وكما ذكره العلامة فى قوله
تعالى لفروجهم حافظون الا على أزواجهم فى الوجه الاخير أى لما جاء الله تعالى بذكر الجنات الا
مشفوعا ولا خفاء فى كونه تعسفا فالصواب اسقاط كلمة الا كما فى بعض النسخ وقيل من أن اللازم
حينئذ أنه تعالى ما جاء بذكرها مشفوعة دلالة على لزوم المشفوعية ولم يتم المقصود لانه يرد أن ما جاء مشفوعا بما
جعله حالا عن الذكر أعنى قوله (مسوقين على قران) فى عهد واحد لم يدل على ذلك اللزوم (لا يقال)
إذا جعلت الاستثناء راجعا الى النفى والمجموع واقعا جواب لولا زال الاشكال (لانا نقول) لو وقع
فى الجواب على هذا التقدير معنى قولنا ما جاء بذكرها على حال من الاحوال الا على حال المشفوعية
وانما هذا المعنى فيكون ينبغى أن يجىء ذكرها على حال أخرى فقط دون كونه مشفوعا وروى أن فى نسخة من
المشايخ لما جاء مشفوعا مكان الا مشفوعا وعلى هذا يدل على اللزوم المطلوب إذ حينئذ كلمة لما
متعلقة بمشفوعا أو بالمجىء منبها على تحقق اللزوم فى الاثبات إذ لو ثبت النفى رجع المعنى الى
أن انتفاء مجىء ذكرها مشفوعا انتفاء لا يمكن أن يكون انتفاء ذلك لانتفاء قطعيته
ولا لزوم الا المشفوعية فى الجملة ولا يحتوى تلك للمعنى أصلا (قوله واللغة العالية) أى الفصحى المشهورة
التى تتكلم بها الاعلون فى الفصاحة (النهر) بفتح الهاء وهو اسم جنس ويجىء بمعنى الجمع كما فى قوله
فى جنات ونهر (قوله ومدار التركيب على السعة) يقال نهرت الطعنة وسعتها وأنهرت الدم أسلته بكثرة
واستنهر الشىء اتسع والنهرة فضاء بين أفنية القوم يلقون فيها كناستهم وكل كثير جرى فقد نهر واستنهر
(قوله يطؤهم الطريق) من قبيل الاسناد الى المكان أى يطؤهم المارة فى الطريق وهو كناية عن
جودهم وأنهم مقصد الادانى والاقاصى وصيد عليه يومان من الاسناد المجازى الى الزمان والمعنى صيد
الوحش على هذا الفرس فى يومين (قوله وأما تعريف الانهار) جوز فيه أن يكون تعريفها جنسيا قصد
به الاشارة الى جنس جمع النهر بلا قصد الى العموم والاستغراق وأورده تفاديا من المرادات وقوله
(فى علم المخاطب) اشارة الى ما سبق من معنى تعريف الجنس فى الجدول أن يكون تعريفها عهديا هو عوض
عن تعريف الاضافة وهذا معنى كون اللام بدلا من الاضافة لكنه مذهب كوفى مرجوح وقد منعه

شيئاً أو يشار باللام إلى الأنهار المذكورة في قوله فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه الآية * وقوله (كلما رزقوا) لا يخلو من أن يكون صفة ثانية لجنات أو خبر مبتدأ محذوف أو جملة مستأنفة لأنه لما قيل إن لهم جنات لم يخل خلد السامع أن يقع فيه أثمار تلك الجنات أشباه ثمار جنات الدنيا أم أجناس أخر لا تشابه هذه الأجناس فقيل إن ثمرها أشباه ثمار جنات الدنيا أي أجناسها أجناسها وإن تفاوتت إلى غاية لا يعلمها إلا الله (فإن قلت) ما موقع (من ثمرة) (قلت) هو كقولك كلما أكلت من بستانك من الرمان شيئاً حمدتك فموقع من ثمرة موقع قولك من الرمان كأنه قيل كلما رزقوا من الجنات من أي ثمرة كانت من تفاحها أو رمانها أو عنبها أو غير ذلك رزقاً فمن في الأولى والثانية كلتاهما لابتداء الغاية لأن الرزق قد ابتدئ من الجنات والرزق من الجنات قد ابتدئ من ثمرة وتنزيله تنزيل أن تقول رزقني فلان فيقال لك من أين فتقول من بستانه فيقال من أي ثمرة رزقك من بستانه فتقول من الرمان وتحريره أن رزقوا جعل مطلقاً مبتدأ من ضمير الجنات ثم جعل مقيداً بالابتداء من ضمير الجنات مبتدأ من ثمرة وليس

كلما رزقوا منها من ثمرة رزقاً

* قوله تعالى كلما رزقوا منها من ثمرة رزقاً الآية (قال محمود رحمه الله معناه هذا مثل الذي رزقناه من قبل الخ) قال أحمد رحمه الله وهذا من التشبيه بغير الأداة وهو أبلغ مراتب التشبيه كقولهم أبو يوسف أبو حنيفة

المصنف حيث قال والمعنى فإن الجحيم مأواه كما تقول للرجل غض الطرف تريد طرفك وليس الألف واللام بدلاً من الإضافة ولكن لما علم أن الطاغي هو صاحب المأوى وأنه لا يغض الرجل طرف غيره تركت الإضافة ودخول حرف التعريف في المأوى والطرف للتعريف لأنهما معروفان وقد ذكر نحواً من هذا في قوله تعالى واشتعل الرأس شيباً وحسب أن يقول كلامه ههنا أنه أراد الاستغناء عن الإضافة لحصول القرينة لا بإبدال اللام ثم أدخل اللام لأن المراد معين لكنه يجوز بإطلاق التعويض والتشبيه [illegible] على هذا الوجه لا يهدأ الحرجي تقديري وجوازه أن يكون العهد خارجياً تحقيقياً في إشارة إلى ما ذكر في قوله تعالى فيها أنهار من ماء غير آسن الآية وهذا مع توقفه على سبق ذكر المذكور على المعرف فيه بعد وقوله (كلما رزقوا لا يخلو) من أن يكون صفة ثانية وقد ترك العاطف بينهما لما أحاط به ما فيما سبق (أو خبر مبتدأ محذوف) والمقدر هم أو هي والمعترض به يعود الكلام إلى أن الجملة المحذوفة المبتدأ إن جعلت صفة أو استئنافاً كان تقدير المعترض [illegible] وإن جعلت ابتداء الكلام لا تكون صفة ولا استئنافاً [illegible] لا حذف [illegible] يقال مقدر هي باعتبار معنى الوصفية وتقدير هم بمعونة شأن الاستئناف (وقوله إن ثمارها أشبه بثمار جنات الدنيا) هو حاصل معنى الآية الكريمة كما يقتضيه كلما فإنها تدل على المشابهة التامة بينهما كما سيصرح به (قوله ما موقع من ثمرة) قد يتوهم أن حرفي الجر في منها ومن ثمرة يتعلقان برزقوا وهما بمعنى واحد وذلك غير جائز عند النحاة إذ من قواعدهم أنه لا يتعلق بفعل واحد حرفا جر بمعنى واحد إلا على قصد الإبدال والتبعية ولا مجال له في الآية الكريمة فلذلك سأل المصنف عن موقع من ثمرة وأجاب بوجهين وبالغ في تقرير الأول حيث أورد له مثالاً وصرح بأن من الأولى والثانية كلتيهما لابتداء الغاية لأن الأولى متعلقة بالرزق مطلقاً والثانية بالرزق مقيداً بكونه من الجنات [illegible] ذلك [illegible] أصلاً ولما كان هذا المعنى الذي ذكره دقيقاً لطيفاً خفياً كشف عنه غطاءه بقوله (وتنزيله) أي حط هذا الكلام من درجته التي هو فيها إلى مرتبة غير الأولى ليظهر بذلك معنى الابتدائين وتغايرهما بين المطلق والمقيد (تنزيل أن تقول الخ) [illegible] ههنا فعل أولاً مطلقاً ثم قيد بقيد يقتضيه سؤال مذكور ثم قيد ذلك الفعل المقيد بقيد آخر يقتضيه سؤال آخر فهو تنزيل لقولك رزقني فلان من بستانه من الرمان فاجتمع ههنا لاعتبار [illegible] أن كل واحد من الفعل المطلق والمقيد بالقيد الأول يصح ابتداؤه من القيد الذي تعلق به ولم يقصد [illegible] أورده أن في الآية سؤالاً وجواباً [illegible] وتصحيح الابتدائين على وجه لا تتعلق به شبهة وإبطال [illegible] وهي أن الفعل المطلق أعني رزقوا جعل مبتدأ من الجنات وبعد تقييده بالابتداء منها جعل مبتدأ من الثمرة وقد حكم بحمل الثمرة على النوع كما أشار إليه سابقاً حيث قال من أي ثمرة كانت من تفاحها أو رمانها أو

المراد بالثمرة التفاحة الواحدة أو الرمانة الفذة على هذا التفسير وإنما المراد النوع من أنواع الثمار ووجه آخر وهو أن يكون من ثمرة بيانا على منهاج قولك رأيت منك أسدا تريد أنت أسد وعلى هذا يصح أن يراد بالثمرة النوع من الثمار والجنات الواحدة (فإن قلت) كيف قيل (هذا الذي رزقنا من قبل) وكيف تكون ذات الحاضر عندهم في الجنة هي ذات الذي رزقوه في الدنيا (قلت) معناه هذا مثل الذي رزقناه من قبل وشبهه بدليل قوله وأتوا به متشابها وهذا كقولك أبو يوسف أبو حنيفة تريد أنه لاستحكام الشبه كأن ذاته ذاته (فإن قلت) إلام يرجع الضمير في قوله (وأتوا به) (قلت) إلى المرزوق في الدنيا والآخرة جميعا لأن قوله هذا الذي رزقنا من قبل انطوى تحته ذكر ما رزقوه في الدارين ونظيره قوله تعالى إن يكن غنيا أو فقيرا فالله أولى بهما أي بجنسي الغني والفقير لدلالة قوله غنيا أو فقيرا على الجنسين ولو رجع الضمير إلى المتكلم به لقيل أولى به على التوحيد (فإن قلت) لأي غرض يتشابه ثمر الدنيا وثمر الجنة وما بال ثمر الجنة لم يكن أجناسا أخر (قلت) لأن الإنسان بالمألوف آنس وإلى المعهود أميل وإذا رأى ما لم يألفه نفر عنه طبعه وعافته نفسه ولأنه إذا ظفر بشيء من جنس ما سلف له به عهد وتقدم له معه إلف ورأى فيه مزية ظاهرة وفضيلة بينة وتفاوتا بينه وبين ما عهد بليغا أفرط ابتهاجه واغتباطه وطال استعجابه واستغرابه وتبين كنه النعمة فيه وتحقق مقدار الغبطة به ولو كان جنسا لم يعهد وإن كان فائقا حسب أن ذلك الجنس لا يكون إلا كذلك فلا يتبين موقع النعمة حق التبين فحين أبصروا الرمانة من رمان الدنيا ومبلغها في الحجم وأن الكبرى لا تفضل عن حد البطيخة الصغيرة ثم يبصرون رمانة الجنة تشبع السكن والنبقة من نبق الدنيا في حجم الفلكة ثم يرون نبق الجنة كقلال هجر كما رأوا ظل الشجرة من شجر الدنيا وقدر امتداده ثم يرون الشجرة في الجنة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعه كان ذلك أبين للفضل وأظهر للمزية وأجلب للسرور وأزيد في التعجب من أن يفاجئوا ذلك النوع من غير عهد وسابق معرفة وترديدهم هذا القول ونطقهم به عند كل ثمرة يرزقونها دليل على تناهي الأمر وتمادي الحال في ظهور المزية وتمام الفضيلة وعلى أن ذلك التفاوت العظيم هو الذي يستملي تعجبهم ويستدعي تبجحهم في كل أوان عن مسروق نخل الجنة نضيد من أصلها

قالوا هذا الذي رزقنا
من قبل وأتوا به متشابها
ولهم فيها أزواج مطهرة
وهم فيها خالدون

يجوز حملها على هذا التفسير على الفرد كتفاحة واحدة مثلا لأن ابتداء الرزق من البستان من فرديه يقتضي أن يكون المرزوق قطعة منه لا جميعه ليصح الابتداء وهو ركيك جدا ثم إن كلا الظرفين على هذا الوجه لغو كما قرره للابتداء وقوله رزقا أي مرزوقا ثاني مفعولي رزقوا وأما على الوجه الثاني وهو أن يكون من ثمرة بيانا فالمرزوق الذي هو المفعول الثاني هنا ظرف الأول لغو والثاني مستقر وقع حالا من رزقا والثمرة يجوز حملها على النوع والجنات الواحدة ولم يلتفت إلى حمل من الثانية هنا على التبعيضية وإلا كان من ثمرة في موضع المفعول لرزقوا فيكون انتصاب رزقا على أنه مصدر ولا يفيد إلا التأكيد وذلك لأن جعل من ثمرة على هذا التقدير صفة أي مرزوقا كائنا بعض ثمرة قدمت فصارت حالا لا يخلو عن تكلف وأيضا الأصل في من الابتداء والتبيين فلا يعدل عنهما إلا لداع إليه كما في قوله تعالى فأخرج به من الثمرات رزقا لكم فإن تعريف الجمع وتنكير رزقا يناسب التبعيض وفي قوله (على منهاج قولك رأيت منك أسدا) دلالة صريحة على أن من التجريدية بيانية حينئذ تفوت المبالغة المطلوبة بالتجريد لأن الإجمال والتفصيل يفيد المبالغة في التفسير لا الصفة التي قصد بالتجريد بلوغها الغاية في الكمال والصحيح أنها ابتدائية أي رأيت أسدا كائنا منتزعا منك ومن قال جعل هذا البيان على ذلك المنهاج مبني على أن من البيانية عنده راجعة إلى ابتداء الغاية ولا بد من اعتبار التجريد بأن ينتزع من المخاطب أسد ومن الثمرة رزق لم يأت بشيء يعتد به ألا ترى أنه جعل البيانية قسيمة للابتدائية وأنه لا قرينة على انتزاع الرزق من الثمرة بل هي في نفسها رزق

انتهى ما وجد من حاشية الشريف رحمه الله تعالى على الكشاف ولله المشيئة والمنة والصلاة على محمد شمس فلك السنة وعلى آله نجوم الدجنة وسلم

لى فرعها وثمرها أمثال القلال كلما نزعت ثمرة عادت مكانها أخرى وأنهارها تجرى فى غير أخدود والعنقود اثنا عشر ذراعا ويجوز أن يرجع الضمير فى أتوا به الى الرزق كما أن هذا اشارة اليه ويكون المعنى أن ما يرزقونه من ثمرات الجنة يأتيهم متجانسا فى نفسه كما يحكى عن الحسن يؤتى أحدهم بالصحفة فيأكل منها ثم يؤتى بالاخرى فيقول هذا الذى أتينا به من قبل فيقول الملك كل فاللون واحد والطعم مختلف وعنه صلى الله عليه وسلم والذى نفس محمد بيده ان الرجل من أهل الجنة ليتناول الثمرة ليأكلها فما هى بواصلة الى فيه حتى يبدل الله مكانها امثالها فاذا أبصروها والهيئة هيئة الاولى قالوا ذلك والتفسير الاول هو هو (فان قلت) كيف موقع قوله وأتوا به متشابها من نظم الكلام (قلت) هو كقولك فلان أحسن بفلان ونعم ما فعل ورأى من الرأى كذا وكان صوابا ومنه قوله تعالى وجعلوا أعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون وما أشبه ذلك من الجمل التى تساق فى الكلام معترضة للتقرير * والمراد بتطهير الازواج أن طهرن مما يختص بالنساء من الحيض والاستحاضة وما لا يختص بهن من الاقذار والادناس ويجوز لمجيئه مطلقا أن يدخل تحته الطهر من دنس الطباع وطبع الاخلاق الذى عليه نساء الدنيا مما يكتسبن بأنفسهن ومما أخذنه من أعراق السوء والمناصب الرديئة والمناشئ المفسدة ومن سائر عيوبهن ومثالبهن وخبثهن وكيدهن (فان قلت) هلا جاءت الصفة مجموعة كما فى الموصوف (قلت) هما لغتان فصيحتان يقال النساء فعلن وهن فاعلات وفواعل والنساء فعلت وهى فاعلة ومنه بيت الحماسة

وإذا العذارى بالدخان تقنعت * واستعجلت نصب القدور فملت

والمعنى وجماعة أزواج مطهرة وقرأ زيد بن على مطهرات وقرأ عبيد بن عمير مطهرة بمعنى متطهرة وفى كلام بعض العرب ما أحوجنى الى بيت الله فأطهر به أطهورة أى فأتطهر به تطهرة (فان قلت) هلا قيل طاهرة (قلت) فى مطهرة فخامة لصفتهن ليست فى طاهرة وهى الاشعار بأن مطهرا طهرهن وليس ذلك الا الله عز وجل المريد بعباده الصالحين أن يخولهم كل مزية فيما أعد لهم * والخلد الثبات الدائم والبقاء اللازم الذى لا ينقطع قال الله تعالى وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفان مت فهم الخالدون وقال امرؤ القيس

ألا انعم صباحا أيها الطلل البالى * وهل ينعمن من كان فى العصر الخالى

وهل ينعمن الا سعيد مخلد * قليل الهموم ما يبيت بأوجال

* سيقت هذه الآية لبيان أن ما استنكره الجهلة والسفهاء وأهل العناد والمراء من الكفار واستغربوه من أن تكون المحقرات من الاشياء مضروبا بها المثل ليس بموضع للاستنكار والاستغراب من قبل أن التمثيل انما يصار اليه لما فيه من كشف المعنى ورفع الحجاب عن الغرض المطلوب وادناء المتوهم من المشاهد فان كان المتمثل له عظيما كان المتمثل به مثله وان كان حقيرا كان المتمثل به كذلك فليس العظم والحقارة فى المضروب به المثل اذا الا أمرا تستدعيه حال المتمثل له وتستجره الى نفسها فيعمل الضارب للمثل على حسب تلك القضية ألا ترى الى الحق لما كان واضحا جليا أبلج كيف تمثل له بالضياء والنور والى الباطل لما كان بضد صفته كيف تمثل له بالظلمة ولما كانت حال الآلهة التى جعلها الكفار أندادا لله تعالى لا حال أحقر منها وأقل ولذلك جعل بيت العنكبوت مثلها فى الضعف والوهن وجعلت أقل من الذباب وأخس قدرا وضربت لها البعوضة فالذى دونها مثلا لم يستنكر ولم يستبدع ولم يقل للمتمثل استحى من تمثيلها بالبعوضة لانه مصيب فى تمثيله محق فى قوله سائق للمثل على قضية مضربه محتذ على مثال ما يحتذيه ويستدعيه وليبين أن المؤمنين الذين عادتهم الانصاف والعمل على العدل والتسوية والنظر فى الامور بناظر العقل اذا سمعوا بمثل هذا التمثيل علموا أنه الحق الذى لا تمر الشبهة بساحته والصواب الذى لا يرتع الخطأ حوله وأن الكفار الذين غلبهم الجهل على عقولهم وغشاهم على بصائرهم لا يتفطنون ولا يلقون أذهانهم أو عرفوا

• قوله تعالى إن الله لا يستحيي الآية (قال محمود رحمه الله فإن قلت كيف جاز وصف الله تعالى بالاستحياء الخ) قال أحمد رحمه الله وأنا أقول ما الذي دعاه إلى تأويل الآية مع أن الحياء الذي يخشى نسبة ظاهره إلى الله تعالى مسلوب في الآية كقولنا الله ليس بجسم ولا بجوهر في معرض التنزيه والتقديس وأما تأويل الحديث فمستقيم لأن الحياء فيه ثابت لله تعالى وللزمخشري أن يجيب بأن السلب في مثل هذا إنما يطلق على ما يمكن نسبته إلى المسلوب عنه إذ لا يحسن نفي الاستحياء عنه في شيء خاص ثبوت الاستحياء في غيره فمن ثم احتاج إلى تأويل ما أفضى إليه مفهومه ولعله يتوجه السؤال لو كان الاستحياء مسلوبا مطلقا كقولنا الله لا يحول ولا يزول فإن ذلك لا يثبت ويحال بل يقال هو مقدس منزه مطلقا (قال محمود رحمه الله وما هذه إبهامية الخ) قال أحمد رحمه الله وقد

إن الله لا يستحيي أن يضرب مثلا ما بعوضة

وهم إمام الحرمين في تقرير خصوصية العموم في قوله عليه الصلاة والسلام أيما امرأة نكحت بغير إذن وليها الحديث فإنه قرر العموم والإبهام في أي ثم قال فإذا انضافت إليها ما الشرطية كان ذلك أبلغ في اقتضاء العموم فاعتقد أن المؤكدة هي الشرطية وإنما هي حرف مزيد لهذا الغرض وأما ما الشرطية فاسم ممكن والله الموفق (قال محمود

هذا إذا نصبت بعوضة فإن رفعتها فهي ... موصولة إلى قوله ووجهها ... وهو ... سكون الخ) قال أحمد رحمه الله في ... فهي الاستفهامية بالمعنى الذي قرره فيه نظر لأن قوله تعالى ... فوقها أي في الحقارة فيكون معناه في دونها وإما أن يراد به ما هو أكبر منها حجما وعلى كلا التقديرين يتعذر الاستفهام لأنه غير مستعمل في مثل ما دينار ودينارين أي إذا جاء بالكثير ما يقلل وإذا ذهبت في الآية هذا

نه حق إلا أن حب الرياسة وهوى النفس وعادة الجهالة يحملهم أن ينكروا ما ادعوا ويعاندوا ويكابروا ويقضوا عليه بالبطلان وقالوا بالإنكار أن ذلك ليس من زيادة هدى المؤمنين وضلال المستبقين في غيهم وضلالهم وتعجب منهم كيف أنكروا ذلك وما زال الناس يضربون الأمثال بالبهائم والطيور وأحناش الأرض والحشرات والهوام وهذه أمثال العرب بين أيديهم مسيرة في حواضرهم وبواديهم قد تمثلوا فيها بأحقر الأشياء فقالوا أجمع من ذرة وأجرأ من الذباب وأسمع من قراد وأصرد من جرادة وأضعف من فراشة وآكل من السوس وقالوا في البعوضة أضعف من بعوضة وأعز من مخ البعوض وكلفتني مخ البعوض ولقد ضربت الأمثال في الإنجيل بالأشياء المحقرة كالزوان والنخالة وحبة الخردل والحصاة والأرضة والدود والزنابير والتمثيل بهذه الأشياء وبأحقر منها مما لا تغني استقامته وصحته على من به أدنى مسكة ولكن ديدن المحجوج المبهوت الذي لا يبقى له متمسك بدليل ولا متشبث بأمارة ولا إقناع أن يرمي لفرط الحيرة والعجز عن إعمال الحيلة بدفع الواضح وإنكار المستقيم والتعويل على المكابرة والمغالطة إذا لم يجد سوى ذلك معولا وعن الحسن وقتادة لما ذكر الله الذباب والعنكبوت في كتابه وضرب للمشركين به المثل ضحكت اليهود وقالوا ما يشبه هذا كلام الله فأنزل الله عز وجل هذه الآية • والحياء تغير وانكسار يعتري الإنسان من تخوف ما يعاب به ويذم واشتقاقه من الحياة يقال حيي الرجل كما يقال نسي وحشي وشظي الفرس إذا اعتلت هذه الأعضاء جعل الحيي لما يعتريه من الانكسار والتغير منتكس القوة منتقص الحياة كما قالوا هلك فلان حياء من كذا ومات حياء ورأيت الهلاك في وجهه من شدة الحياء وذاب حياء وجمد في مكانه خجلا (فإن قلت) كيف جاز وصف القديم سبحانه به ولا يجوز عليه التغير والخوف والذم وذلك في حديث سلمان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله حيي كريم يستحيي إذا رفع إليه العبد يديه أن يردهما صفرا حتى يضع فيهما خيرا (قلت) هو جار على سبيل التمثيل مثل تركه تخييب العبد وأنه لا يرد يديه صفرا من عطائه لكرمه بترك من يترك رد المحتاج إليه حياء منه وكذلك معنى قوله (إن الله لا يستحيي) أي لا يترك ضرب المثل بالبعوضة ترك من يستحيي أن يتمثل بها لحقارتها ويجوز أن تقع هذه العبارة في كلام الكفرة فقالوا أما يستحيي رب محمد أن يضرب مثلا بالذباب والعنكبوت فجاءت على سبيل المقابلة وإطباق الجواب على السؤال وهو فن من كلامهم بديع وطراز عجيب منه قول أبي تمام

من مبلغ أفناء يعرب كلها • أني بنيت الجار قبل المنزل

وشهد رجل عند شريح فقال إنك لسبط الشهادة فقال الرجل إنها لم تجعد عني فقال لله بلادك وقبل شهادته فالذي سوغ بناء الجار وتجعيد الشهادة هو مراعاة المشاكلة ولولا بناء الدار لم يصح بناء الجار وسبوطة الشهادة لامتنع تجعيدها ولله در أمر التنزيل وإحاطته بفنون البلاغة وشعبها لا تكاد تستغرب منها فنا إلا عثرت عليه فيه على أقوم مناهجه وأسد مدارجه وقد استعير الحياء فيما لا يصح فيه

إذا ما استحين الماء يعرض نفسه • كرعن بسبت في إناء من الورد

وقرأ ابن كثير في رواية شبل يستحي بياء واحدة وفيه لغتان التعدي بالجار والتعدي بنفسه يقال استحييت منه واستحييته وهما محتملتان ههنا وضرب المثل اعتماده وصنعه من ضرب اللبن وضرب الخاتم وفي الحديث أنه ضرب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خاتما من ذهب و(ما) هذه إبهامية وهي التي إذا اقترنت باسم نكرة أبهمته إبهاما وزادته شياعا وعموما كقولك أعطني كتابا ما تريد أي كتاب كان أو صلة للتأكيد كالتي في قوله فبما نقضهم ميثاقهم كأنه قيل لا يستحيي أن يضرب مثلا البتة وهذا إذا نصبت (بعوضة) فإن رفعتها

المذهب لم تجد لصحته مجالا إذ يكون المراد أن الله لا يستحيي أن يضرب مثلا بالمحقرات فالبعوضة وما هو أحقر منها وقد فرضنا أنها في أحد
الوجهين نهاية في المحقرات وفي الوجه الآخر ليست نهاية بل النهاية في قوله فما فوقها أي دونها فإذا حمل ما بعد الاستفهام على النهاية في
الوجهين جميعا لم ينتظم لمدعيه المذكور من عكس الغرض فهذا المقصود في مثل قولنا فلان لا يبالي بعطاء الألوف فالدينار الواحد
التنبيه على أن عطاء ما قرب منه محقق مطرح لدى الكثير بطريق الأولى ولا يتحقق في الآية على هذا التقدير أنه لا يستحيي من ضرب المثل
بالمحقرات التي لا نهاية لها وكيف يستحيي من ضرب المثل بما هو النهاية في الحقارة كالبعوضة ٢٠٥ هذا عكس لنظم الأولوية
ولو كانت الآية مثلا واردة على غير هذا الكلام كقول القائل إن الله لا يستحيي أن يضرب مثلا بالبعوضة التي هي نهاية في الحقارة فالأصنام التي هي أحقر من البعوضة وأبعد منها عن الحقارة بما لا يخفى لكان تقرير الزمخشري متوجها أما

فما فوقها فأما الذين آمنوا فيعلمون أنه الحق من ربهم

أ... والله أعلم إلا أن في هذا الوجه وما طولت نفسي ووسعت العبارة في الاعتراض عليه إلا أنه محل ضيق ومعنى متقاص لا يتقاص إلى الفهم إلا بهذا المزيد من البسط وناهيك بوضع العكس على فهم الزمخشري بل مع تمرد فهمه وإصابة سهمه خصوصا في تنسيق المعاني وتفصيلها والله الموفق وما تعجبه بالعثور على الوجه الذي
ظن أن رؤبة العجاج رعاه في قراءته كلام مركب تركيبا من القراءة وكونه لم يرى ... وتوجيهه ووصفه بالعربية وفصاحته في
اللغة وليس الأمر كذلك بل القراءة على اختلاف وجوهها أو بعد خروجها سنة متبعة ونقل محض يتلقاه الفصيح وغيره على حد سواء
لا حيلة للفصيح في تغيير شيء منه عما سمعه عليه وما يصنع بفصاحته في القرآن الذي بذ كل فصاحة وغمر كل بلاغة فالفصيح والمتقعر
إن كل قرشي معزول لا عما سمعه فوعاه وتلقفه من الأفواه فأداه إلى أن ينتهي ذلك إلى سمع من أفصح من نطق بالضاد سيدنا محمد
عليه أفضل الصلاة والسلام فتأمل هذا الفصل فإن فائدته قليل

فتكون موصولة صلتها الجملة لأن التقدير هو بعوضة فحذف صدر الجملة كما حذف في تماما على الذي أحسن ووجه
آخر حسن جميل وهو أن تكون التي فيها معنى الاستفهام لما استنكفوا من تمثيل الله لأصنامهم بالمحقرات
قال إن الله لا يستحيي أن يضرب للأنداد ما شاء من الأشياء المحقرة مثلا بله البعوضة فما فوقها كما يقال فلان
لا يبالي بما وهب ما دينار وديناران والمعنى أن الله لا يستحيي أن يضرب المثل للأنداد لحقارة شأنها ما لا شيء أصغر منه وأقل
كما لو تمثل بالجزء الذي لا يتجزأ أو بما لا يدركه لتناهيه في صغره إلا هو وحده بلطفه أو بالمعدوم كما تقول العرب
فلان أقل من لا شيء في العدد ولقد ألم به قوله تعالى إن الله يعلم ما يدعون من دونه من شيء وهذه القراءة تعزى
إلى رؤبة بن العجاج وهو أمضغ العرب للشيح والقيصوم المشهود له بالفصاحة وكانوا يشبهون به الحسن
وما أظنه ذهب في هذه القراءة إلا إلى هذا الوجه وهو المطابق لفصاحته وانتصب بعوضة بأنه عطف بيان
لمثلا أو مفعول ليضرب ومثلا حال عن النكرة مقدمة عليه أو انتصبا مفعولين فجرى ضرب مجرى جعل
واشتقاق البعوض من البعض وهو القطع كالبضع والعضب يقال بعضه البعوض وأنشد

لنعم البيت بيت أبي دثار ... إذا ما خاف بعض القوم بعضا

ومنه بعض الشيء لأنه قطعة منه والبعوض في أصله صفة على فعول كالقطوع فغلبت وكذلك الخموش (فما
فوقها) فيه معنيان أحدهما فما تجاوزها وزاد عليها في المعنى الذي ضربت فيه مثلا وهو القلة والحقارة نحو
قولك لمن يقول فلان أسفل الناس وأنذلهم هو فوق ذلك تريد هو أبلغ وأعرق فيما وصف به من السفالة
والنذالة والثاني فما زاد عليها في الحجم كأنه قصد بذلك رد ما استنكروه من ضرب المثل بالذباب والعنكبوت
لأنهما أكبر من البعوضة كما تقول لصاحبك وقد ذم من عرفته يشح بأدنى شيء فقال فلان يبخل بالدرهم
والدرهمين هو لا يبالي أن يبخل بنصف درهم فما فوقه تريد بما فوقه ما بعد فيه وهو الدرهم والدرهمان كأنك
قلت فضلا عن الدرهم والدرهمين ونحوه في الاحتمالين ما جاء في صحيح مسلم عن إبراهيم عن الأسود قال
دخل شباب من قريش على عائشة رضي الله عنها وهي بمنى وهم يضحكون فقالت ما يضحككم قالوا فلان خر
على طنب فسطاط فكادت عنقه أو عينه أن تذهب فقالت لا تضحكوا فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ما من مسلم يشاك شوكة فما فوقها إلا كتبت له بها درجة ومحيت عنه بها خطيئة يحتمل فما أعدى الشوكة
وتجاوزها في الألم وهي نخبة النملة في قوله عليه الصلاة والسلام ما أصاب المؤمن من مكروه فهو كفارة
لخطاياه حتى نخبة النملة وهي عضتها ويحتمل ما هو أشد من الشوكة وأوجع كالخرور على طنب الفسطاط (فإن
قلت) كيف يضرب المثل بما دون البعوضة وهي النهاية في الصغر (قلت) ليس كذلك فإن جناح البعوضة
أقل منها وأصغر بدرجات وقد ضربه رسول الله صلى الله عليه وسلم مثلا للدنيا وفي خلق الله حيوان أصغر منها
ومن جناحها ربما رأيت في تضاعيف الكتب العتيقة دويبة لا يكاد يجليها للبصر الحاد إلا تحركها فإذا
سكنت فالسكون يواريها ثم إذا لوحت لها بيدك حادت عنها وتجنبت مضرتها فسبحان من يدرك صورة تلك
وأعضاءها الظاهرة والباطنة وتفاصيل خلقتها ويبصر بصرها ويطلع على ضميرها ولعل في خلقه ما هو

* قوله تعالى يضل به كثيرا الآية (قال محمود رحمه الله إن قلت كيف وصف المهديون بالكثرة الخ) قال أحمد رحمه الله جوابه صحيح ونظيره بالبيت وهم لأن الشاعر إنما ذهب إلى أن عدد الكرام وإن كان قليلا في نفسه فالواحد منهم لعموم نفعه وانبساط كرمه يقوم مقام ألف من جنسه مثلا وعدد اللئام ٢٠٦ وإن كثروا فالأكثرون منهم يعدون بواحد من غيرهم لعدم أذيتهم وانقباضهم عن الجود وعدم تعدي نفع منهم إلى غيرهم كقول ابن دريد

الناس ألف منهم كواحد ... وواحد كالألف إن أمر عنا

وأما الآية فمضمونها أن عدد المهديين كثير في نفسه ومضمون الآية الأخرى أن عددهم قليل بالنسبة إلى كثرة عدد الضالين فعبر عنه تارة بالكثرة نظرا إلى ذاته وتارة بالقلة نظرا إلى غيره فليس معنى البيت من الآية في شيء (قال محمود

وأما الذين كفروا فيقولون ماذا أراد الله بهذا مثلا يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا وما يضل به إلا الفاسقين الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون

رحمه الله ونسبة الإضلال إلى الله تعالى من إسناد الفعل إلى السبب الخ) قال أحمد رحمه الله تجرى على سنة السنية في اعتقاد أن الأثر الذي بالله وأن الإضلال من جملة المخلوقات الخارجة عن قدرة مخلوقاته عز وجل بل من مخلوقات العبد لما فيه على زعم هذه الطائفة تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا ونظر إلى صنيع الحاذق فيصبه الحكايات لإطلاقات المشايخ إضلالهم فرتب عليه حقائق المعاني وهذه من ارتكاب الهوى واقتحام الهلكة وما أشنع تصريحه بأن التسبب للإضلال لا خالقه كان السبب في وضع القيود في رجلي المحبوس وإسناد الفعل لله عز وجل مجاز لا حقيقة كما أن إسناد الفعل إلى العبد كذلك بالله في تمثيل صار به مثلة وتنظير صار به منبذا عن النظر الصحيح مردود إلى التفصيل والجملة نسأل الله تعالى العصمة من أمثال هذه الزلة وهو ولي التوفيق

أصغرهم وأصغر منهن الذي يحق لا يروح كأنما تمشت الأرض ومن أعظمهم ومنه ما لا يعلمون وأنشدت لبعضهم

يا من يرى مد البعوض جناحها ... في ظلمة الليل البهيم الأليل

ويرى عروق نياطها في نحرها ... والمخ في تلك العظام النحل

اغفر لعبد تاب من فرطاته ... ما كان منه في الزمان الأول

و(أما) حرف فيه معنى الشرط ولذلك يجاب بالفاء وفائدته في الكلام أن يعطيه فضل توكيد تقول زيد ذاهب فإذا قصدت توكيده وأنه لا محالة ذاهب وأنه بصدد الذهاب وأنه منه عزيمة قلت أما زيد فذاهب ولذلك قال سيبويه في تفسيره مهما يكن من شيء فزيد ذاهب وهذا التفسير مدل بفائدتين بيان كونه توكيدا وأنه في معنى الشرط ففي إيرادها جملتين مصدرتين به وإن لم يقل فالذين آمنوا يعلمون والذين كفروا يقولون إحماد عظيم لأمر المؤمنين واعتداد بعلمهم أنه الحق ونعي على الكافرين إغفالهم حظهم ورميهم بالكلمة الحمقاء و(الحق) الثابت الذي لا يسوغ إنكاره يقال حق الأمر إذا ثبت ووجب وحقت كلمة ربك وثوب محقق محكم النسج و(ماذا) فيه وجهان أن يكون ذا اسما موصولا بمعنى الذي فيكون كلمتين وأن يكون ذا مركبة مع ما مجعولتين اسما واحدا فيكون كلمة واحدة فهو على الوجه الأول مرفوع المحل على الابتداء وخبره ذا مع صلته وعلى الثاني منصوب المحل في حكم ما وحده لو قلت ما أراد الله والأصوب في جوابه أن يجيء على الأول مرفوعا وعلى الثاني منصوبا ليطابق الجواب السؤال وقد جوزوا عكس ذلك تقول في جواب من قال ما رأيت خيرا أي المرئي خير وفي جواب من قال ماذا رأيت خيرا أي رأيت خيرا وقرئ قوله تعالى ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو بالرفع والنصب على التقديرين والإرادة نقيض الكراهة وهي مصدر أردت الشيء إذا طلبته نفسك ومال إليه قلبك وفي حدود المتكلمين الإرادة معنى يوجب للحي حالا لأجلها يقع منه الفعل على وجه دون وجه وقد اختلفوا في إرادة الله فبعضهم على أن للباري مثل صفة المريد منا التي هي القصد وهو أمر زائد على كونه عالما غير ساه وبعضهم على أن معنى إرادته لأفعاله أنه فعلها وهو غير ساه ولا مكره ومعنى إرادته لأفعال غيره أنه آمر بها والضمير في أنه الحق للمثل أو لأن يضرب وفي قولهم ماذا أراد الله بهذا مثلا استرذال واستحقار كما قالت عائشة رضي الله عنها في عبد الله بن عمرو بن العاصي يا عجبا لابن عمرو هذا (مثلا) نصب على التمييز كقولك لمن أجاب بجواب غث ماذا أردت بهذا جوابا ولمن حمل سلاحا رديا كيف تنتفع بهذا سلاحا أو على الحال كقوله هذه ناقة الله لكم آية وقوله (يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا) جار مجرى التفسير والبيان للجملتين المصدرتين بأما وأن فريق العالمين بأنه الحق وفريق الجاهلين المستهزئين به كلاهما موصوف بالكثرة وأن العلم بكونه حقا من باب الهدى الذي ازداد به المؤمنون نورا إلى نورهم وأن الجهل بحسن مورده من باب الضلالة التي زادت الجهلة خبطا في ظلماتهم (فإن قلت) لم وصف المهديون بالكثرة والقلة صفتهم وقليل من عبادي الشكور وقليل ما هم الناس كإبل مائة لا تجد فيها راحلة وجدت الناس أخبر تقله (قلت) أهل الهدى كثير في أنفسهم وحين يوصفون بالقلة إنما يوصفون بها قياسا إلى أهل الضلال وأيضا فإن القليل من المهديين كثير في الحقيقة وإن قلوا في الصورة فسموا ذهابا إلى الحقيقة كثيرا

إن الكرام كثير في البلاد وإن ... قلوا كما غيرهم قل وإن كثروا

وإسناد الإضلال إلى الله تعالى إسناد الفعل إلى السبب لأنه لما ضرب المثل فضل به قوم واهتدى به قوم تسبب

الصلاة والسلام وهذا هو عن مالك بن دينار رحمه الله أنه دخل على محبوس قد أخذ بمال عليه وقد قيد فقال يا أبا يحيى
أما ترى ما نحن فيه من القيود فرفع مالك رأسه فرأى سلة فقال لمن هذه السلة فقال لي وأمرت بها أن تنزل فإذا
دجاج وأخبصة فقال مالك هذه وضعت القيود على رجلك * وفسر بدين على يضل به كثيرا وكذلك وما يضل
به إلا الفاسقين * والفسق الخروج عن القصد قال رؤبة * فواسقا عن قصدها جوائرا * والفاسق في
الشريعة الخارج عن أمر الله بارتكاب الكبيرة وهو النازل بين المنزلتين أي بين منزلة المؤمن والكافر وقالوا
إن أول من حد له هذا الحد أبو حذيفة واصل بن عطاء رضي الله عنه وعن أشياعه وكونه بين بين أن حكمه
حكم المؤمن في أنه يناكح ويوارث ويغسل ويصلى عليه ويدفن في مقابر المسلمين وهو كالكافر في الذم واللعن
والبراءة منه واعتقاد عداوته وأن لا تقبل له شهادة ومذهب مالك بن أنس والزيدية أن الصلاة لا تجزئ خلفه
ويقال للخلفاء المردة من الكفرة الفسقة وقد جاء الاستعمالان في كتاب الله بئس الاسم الفسوق بعد
الإيمان يريد اللمز والتنابز إن المنافقين هم الفاسقون * النقض الفسخ وفك التركيب (فإن قلت) من أين
ساغ استعمال النقض في إبطال العهد (قلت) من حيث تسميتهم العهد بالحبل على سبيل الاستعارة لما فيه
من ثبات الوصلة بين المتعاهدين ومنه قول ابن التيهان في بيعة العقبة يا رسول الله إن بيننا وبين القوم حبالا
ونحن قاطعوها فنخشى إن الله عز وجل أعزك وأظهرك أن ترجع إلى قومك وهذا من أسرار البلاغة
ولطائفها أن يسكتوا عن ذكر الشيء المستعار ثم يرمزوا إليه بذكر شيء من روادفه فينبهوا بتلك الرمزة على
مكانه ونحوه قولك شجاع يفترس أقرانه وعالم يغترف منه الناس وإذا تزوجت امرأة فاستوثرها لم تقل هذا
إلا وقد نبهت على الشجاع والعالم بأنهما أسد وبحر وعلى المرأة بأنها فراش * والعهد الموثق وعهد إليه في كذا
إذا وصاه به ووثقه عليه واستعهد منه إذا اشترط عليه واستوثق منه والمراد بهؤلاء الناقضين لعهد الله أحبار
اليهود المتعنتون أو منافقوهم أو الكفار جميعا (فإن قلت) فما المراد بعهد الله (قلت) ما ركز في عقولهم من
الحجة على التوحيد كأنه أمر وصاهم به ووثقه عليهم وهو معنى قوله تعالى وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم
قالوا بلى أو أخذ الميثاق عليهم بأنهم إذا بعث إليهم رسول يصدقه الله بمعجزاته صدقوه واتبعوه ولم يكتموا
ذكره فيما تقدمه من الكتب المنزلة عليهم كقوله وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم وقوله في الإنجيل لعيسى
صلوات الله عليه سأنزل عليك كتابا فيه نبأ بني إسرائيل وما أريتهم إياه من الآيات وما أنعمت عليهم
وما نقضوا من ميثاقهم الذي واثقوا به وضيعوا من عهدي إليهم وحسن صنيعي للذين قاموا بميثاق الله تعالى
وأوفوا بعهده ونصري إياهم وكيف أنزلت بأسي ونقمتي بالذين غدروا ونقضوا ميثاقهم ولم يوفوا بعهده لأن
اليهود فعلوا باسم عيسى ما فعلوا باسم محمد صلى الله عليه وسلم من التحريف والجحود وكفروا به كما كفروا بمحمد
صلى الله عليه وسلم وقيل هو أخذ الله العهد عليهم أن لا يسفكوا دماءهم ولا يبغي بعضهم على بعض ولا يقطعوا
أرحامهم وقيل عهد الله إلى خلقه ثلاثة عهود العهد الأول الذي أخذه على جميع ذرية آدم الإقرار
بربوبيته وهو قوله تعالى وإذ أخذ ربك وعهد خص به النبيين أن يبلغوا الرسالة ويقيموا الدين ولا يتفرقوا
فيه وهو قوله تعالى وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم وعهد خص به العلماء وهو قوله وإذ أخذ الله ميثاق الذين
أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه والضمير في ميثاقه للعهد وهو ما وثقوا به عهد الله من قبوله وإلزامه
أنفسهم ويجوز أن يكون بمعنى توثقته كما أن الميعاد والميلاد بمعنى الوعد والولادة ويجوز أن يرجع الضمير إلى
الله تعالى أي من بعد توثقته عليهم أو من بعد ما وثق به عهده من آياته وكتبه وإنذار رسله * ومعنى قطعهم
(ما أمر الله به أن يوصل) قطعهم الأرحام وموالاة المؤمنين وقيل قطعهم ما بين الأنبياء من الوصلة والاتحاد
والاجتماع على الحق في إيمانهم ببعض وكفرهم ببعض (فإن قلت) ما الأمر (قلت) طلب الفعل ممن هو دونك
وبعثه عليه وبه سمي الأمر الذي هو واحد الأمور لأن الداعي الذي يدعو إليه من يتولاه شبه بآمر يأمره
به فقيل له أمر تسمية للمفعول به بالمصدر كأنه مأمور به كما قيل له شأن والشأن الطلب والقصد يقال شأنت
شأنه أي قصدت قصده (هم الخاسرون) لأنهم استبدلوا النقض بالوفاء والقطع بالوصل والفساد بالصلاح
وعقابها بثوابها * معنى الهمزة التي في (كيف) مثله في قولك أتكفرون بالله ومعكم ما يصرف عن الكفر

ما أمر الله به أن يوصل
ويفسدون في الأرض
أولئك هم الخاسرون
كيف تكفرون بالله

ويدعو إلى الإيمان وهو الإنكار والتعجب ونظيره قولك أتطير بغير جناح وكيف تطير بغير جناح (فإن قلت)
قولك أتطير بغير جناح إنكار للطيران لأنه مستحيل بغير جناح وأما الكفر فغير مستحيل مع ما ذكر من
الإماتة والإحياء (قلت) قد أخرج في صورة المستحيل لما قوي من الصارف عن الكفر والداعي إلى الإيمان
(فإن قلت) فقد تبين أمر الهمزة وأنها لإنكار الفعل والإيذان باستحالته في نفسه أو لقوة الصارف عنه
فما تقول في كيف حيث كان إنكارا للحال التي يقع عليها كفرهم (قلت) حال الشيء تابعة لذاته فإذا امتنع
ثبوت الذات تبعه امتناع ثبوت الحال فكان إنكار حال الكفر لأنها تتبع ذات الكفر ورديفها إنكارا
لذات الكفر وثباتها على طريق الكناية وذلك أقوى لإنكار الكفر وأبلغ وتحريره أنه إذا أنكر أن يكون
لكفرهم حال يوجد عليها وقد علم أن كل موجود لا ينفك عن حال وصفة عند وجوده ومحال أن يوجد بغير
صفة من الصفات كان إنكارا لوجوده على الطريق البرهاني * والواو في قوله (وكنتم أمواتا) للحال (فإن
قلت) فكيف صح أن يكون حالا وهو ماض ولا يقال جئت وقام الأمير ولكن وقد قام إلا أن يضمر قد (قلت)
لم تدخل الواو على كنتم أمواتا وحده ولكن على جملة قوله كنتم أمواتا إلى ترجعون كأنه قيل كيف تكفرون
بالله وقصتكم هذه وحالكم أنكم كنتم أمواتا نطفا في أصلاب آبائكم فجعلكم أحياء ثم يميتكم بعد هذه الحياة
ثم يحييكم بعد الموت ثم يحاسبكم (فإن قلت) بعض القصة ماض وبعضها مستقبل والماضي والمستقبل كلاهما
لا يصح أن يقعا حالا حتى يكون فعلا حاضرا وقت وجود ما هو حال عنه فما الحاضر الذي وقع حالا (قلت) هو
العلم بالقصة كأنه قيل كيف تكفرون وأنتم عالمون بهذه القصة بأولها وآخرها (فإن قلت) فقد آل المعنى
إلى قولك على أي حال تكفرون في حال علمكم بهذه القصة فما وجه صحته (قلت) قد ذكرنا أن معنى
الاستفهام في كيف الإنكار وأن إنكار الحال متضمن لإنكار الذات على سبيل الكناية فكأنه قيل
ما أعجب كفركم مع علمكم بهذه (فإن قلت) إن اتصل علمهم بأنهم كانوا أمواتا فأحياهم ثم يميتهم
لم يتصل بالإحياء الثاني والرجوع (قلت) قد تمكنوا من العلم بهما لما نصب لهم من الدلائل الموصلة إليه فكان ذلك بمنزلة
حصول العلم وكثير منهم علموا ثم عاندوا * والأموات جمع ميت كالأقوال في جمع قيل (فإن قلت) كيف قيل
لهم أموات في حال كونهم جمادا وإنما يقال ميت فيما يصح فيه الحياة من البنى (قلت) بل يقال ذلك لعادم
الحياة كقوله بلدة ميتا وآية لهم الأرض الميتة أموات غير أحياء ويجوز أن يكون استعارة لاجتماعهما في أن
لا روح ولا إحساس (فإن قلت) ما المراد بالإحياء الثاني (قلت) يجوز أن يراد به الإحياء في القبر وبالرجوع
النشور وأن يراد به النشور وبالرجوع المصير إلى الجزاء (فإن قلت) لم كان العطف الأول بالفاء والأعقاب بثم
(قلت) لأن الإحياء الأول قد تعقب الموت بغير تراخ وأما الموت فقد تراخى عن الإحياء والإحياء الثاني كذلك
متراخ عن الموت إن أريد به النشور تراخيا ظاهرا وإن أريد به إحياء القبر فمنه يكتسب العلم بتراخيه
والرجوع إلى الجزاء أيضا متراخ عن النشور (فإن قلت) من أين أنكر اجتماع الكفر مع القصة التي
ذكرها الله (قلت) من حيث إنها مشتملة على آيات بينات تصرفهم عن الكفر وإنعام جسام حقها أن تشكر ولا تكفر
(قلت) يحتمل الأمرين جميعا لأن ما عدده آيات وهي مع كونها آيات من أعظم النعم (لكم) لأجلكم ولانتفاعكم
به في دنياكم ودينكم أما الانتفاع الدنيوي فظاهر وأما الانتفاع الديني فالنظر فيه وما فيه من عجائب الصنع
الدالة على الصانع القادر الحكيم وما فيه من التذكير بالآخرة وبثوابها وعقابها لاشتماله على أسباب الأنس
واللذة من فنون المطاعم والمشارب والفواكه والمناكح والمراكب والمناظر الحسنة البهية وعلى أسباب
الوحشة والمشقة من أنواع المكاره كالنيران والصواعق والسباع والأحناش والسموم والغموم والمخاوف
وقد استدل بقوله خلق لكم على أن الأشياء التي يصح أن ينتفع بها ولم تجر مجرى المحظورات في العقل خلقت
في الأصل مباحة مطلقة لكل أحد أن يتناولها وينتفع بها (فإن قلت) هل لقول من زعم أن المعنى خلق
لكم الأرض وما فيها وجه صحة (قلت) إن أراد بالأرض الجهات السفلية دون الغبراء كما تذكر السماء

وتريد

وكنتم أمواتا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم إليه ترجعون هو الذي خلق لكم ما في الأرض

---

* قوله تعالى هو الذي خلق لكم الآية (قال محمود رحمه الله تعالى وقد استدل بقوله خلق لكم على ان الأشياء التي يصح أن ينتفع بها الخ) قال أحمد رحمه الله هذا استدلال فرقة من القدرية ذهبت إلى أن حكم الله تعالى الإباحة في ذوات المنافع التي لا يدل العقل على تحريمها قبل ورود الرسل تلقيا من العقل وزعموا أنها اشتملت على منفعة وحاجة ماسة داعية لم تحرم وأمن خطرها إلى الله بخلاف مقتضى الحكمة فوجب بمقتضى العقل أن يعتقدوا إباحتها في حكم الله عز وجل وهذا الرأي ناشئ عن قاعدة التحسين والتقبيح الباطلة وأما استدلال الزمخشري لهذه الفرقة بالآية فغير مستقيم فإن دعواهم أن العقل كاف في إباحة هذه الأشياء فإن دلت الآية على الإباحة فنحن نقول بموجبه ويكون إذا الإباحة شرعية سمعية وإن لم تدل على الإباحة لم يبق في الاستدلال بها مطمع

وتراد الجهات العلوية دون ذلك فان الغبراء وما تحتها واقعة في الجهات السفلية • و (جميعا) نصب على الحال من الموصول الثاني • والاستواء الاعتدال والاستقامة يقال استوى العود وغيره اذا قام واعتدل ثم قيل استوى اليه كالسهم المرسل اذا قصده قصدا مستويا من غير أن يلوي على شيء ومنه استعير قوله ثم استوى الى السماء أي قصد اليها بارادته ومشيئته بعد خلق ما في الارض من غير أن يريد فيما بين ذلك خلق شيء آخر • والمراد بالسماء جهات العلو كأنه قيل ثم استوى الى فوق • والضمير في (فسواهن) ضمير مبهم • و (سبع سموات) تفسيره كقولهم ربه رجلا وقيل الضمير راجع الى السماء والسماء في معنى الجنس وقيل في معنى جمع سماءة والوجه العربي هو الاول ومعنى تسويتهن تعديل خلقهن وتقويمه واخلاؤه من العوج والفطور أو اتمام خلقهن (وهو بكل شيء عليم) فمن ثم خلقهن خلقا مستويا محكما من غير تفاوت مع خلق ما في الارض على حسب حاجات أهلها ومنافعهم ومصالحهم (فان قلت) ما فسرت به معنى الاستواء الى السماء يناقضه ثم لاعطائه معنى التراخي والمهلة (قلت) ثم هذه لبيان الفضل بين الخلقين من التفاوت وفضل خلق السموات على خلق الارض لا للتراخي في الوقت كقوله ثم كان من الذين آمنوا على أنه لو كان لمعنى التراخي في الوقت لم يلزم ما اعترضت به لان المعنى أنه حين قصد الى السماء لم يحدث فيما بين ذلك أي في تضاعيف القصد اليها خلقا آخر (فان قلت) أما يناقض هذا قوله والارض بعد ذلك دحاها (قلت) لا لان جرم الارض تقدم خلقه خلق السماء وأما دحوها فمتأخر وعن الحسن خلق الله الارض في موضع بيت المقدس كهيئة الفهر عليها دخان ملتزق بها ثم أصعد الدخان وخلق منه السموات وأمسك الفهر في موضعها وبسط منها الارض فذلك قوله كانتا رتقا وهو الالتزاق (واذ) نصب باضمار اذكر ويجوز أن ينتصب بقالوا • و (الملائكة) جمع ملأك على الاصل كالشمائل في جمع شمأل والحاق التاء لتأنيث الجمع • و (جاعل) من جعل الذي له مفعولان دخل على المبتدأ والخبر وهما قوله في الارض خليفة فكانا مفعوليه ومعناه مصير (في الارض خليفة) والخليفة من يخلف غيره والمعنى خليفة منكم لانهم كانوا سكان الارض فخلفهم فيها آدم وذريته (فان قلت) فهلا قيل خلائف أو خلفاء (قلت) أريد بالخليفة آدم واستغني بذكره عن ذكر بنيه كما تستغني بذكر أبي القبيلة في قولك مضر وهاشم أو أريد من يخلفكم أو خلقا يخلفكم فوحد لذلك وقرئ خليقة بالقاف ويجوز أن يريد خليفة مني لان آدم كان خليفة الله في أرضه وكذلك كل نبي انا جعلناك خليفة في الارض (فان قلت) لاي غرض أخبرهم بذلك (قلت) ليسألوا ذلك السؤال ويجابوا بما أجيبوا به فيعرفوا حكمته في استخلافهم قبل كونهم صيانة لهم عن اعتراض الشبهة في وقت استخلافهم وقيل ليعلم عباده المشاورة في أمورهم قبل أن يقدموا عليها وعرضها على ثقاتهم ونصائحهم وان كان هو بعلمه وحكمته البالغة غنيا عن المشاورة (أتجعل فيها) تعجب من أن يستخلف مكان أهل الطاعة أهل المعصية وهو الحكيم الذي لا يفعل الا الخير ولا يريد الا الخير (فان قلت) من أين عرفوا ذلك حتى تعجبوا منه وانما هو غيب (قلت) عرفوه باخبار من الله أو من جهة اللوح أو ثبت في علمهم أن الملائكة وحدهم هم الخلق المعصومون وكل خلق سواهم ليسوا على صفتهم أو قاسوا أحد الثقلين على الآخر حيث أسكنوا الارض فأفسدوا فيها قبل سكنى الملائكة • وقرئ (يسفك) بضم الفاء ويسفك ويسفك من أسفك وسفك • والواو في (ونحن) للحال كما تقول أتحسن الى فلان وأنا أحق منه بالاحسان • والتسبيح تبعيد الله من السوء • وكذلك تقديسه من سبح في الارض والماء وقدس في الارض اذا ذهب فيها وأبعد • و (بحمدك) في موضع الحال أي نسبح حامدين لك ومتلبسين بحمدك لانه لولا انعامك علينا بالتوفيق واللطف لم نتمكن من عبادتك (أعلم ما لا تعلمون) أي أعلم من المصالح في ذلك ما هو خفي عليكم (فان قلت) هلا بين لهم تلك المصالح (قلت) كفى العباد أن يعلموا أن أفعال الله كلها حسنة وحكمة وان خفي عليهم وجه الحسن والحكمة على أنه قد بين لهم بعض ذلك فيما أتبعه من قوله (وعلم آدم الاسماء كلها) واشتقاقهم آدم من الادمة ومن أديم الارض نحو اشتقاقهم يعقوب من العقب وادريس من الدرس وابليس من الابلاس وما آدم الا اسم أعجمي وأقرب

جميعا ثم استوى الى السماء فسواهن سبع سموات وهو بكل شيء عليم واذ قال ربك للملائكة اني جاعل في الارض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال اني أعلم ما لا تعلمون وعلم آدم الاسماء كلها

• قوله تعالى وعلم آدم الاسماء كلها الآية

(قال محمود رحمه الله أي أسماء المسميات الخ) قال أحمد رحمه الله وهو يفر من اعتقاد أن الاسم هو المسمى لأن ذلك معتقد أهل السنة فيعمل الحيلة في إبعاده عن مقتضى الآية قوله أنبئهم بأسمائهم ويتغافل عن قوله ثم عرضهم على الملائكة فإن الضمير فيه عائد إلى المسميات اتفاقا ولم يجر إلا ذكر الأسماء فدل على أنها المسميات وعرض أيضا عن حكمة التعليم وأن تعلقه بمسميات الألفاظ لا كبير غرض فيه بل الغرض المهم تعليمه الذوات المسميات والاطلاع على حقائقها وما أودع الله تعالى فيها من خواص وأسرار وهي تسمية الأصناف طريق في تعليم غير كل حقيقة باسمها فقد ثبت بهاتين الدلالتين (٢١٠) أن المراد الأسماء المسميات وأما استدلاله بقوله أنبئوني بأسماء هؤلاء فعدم ثبته إضافة الأسماء إلى الذوات منهم أن يقولوا لو كانت الأسماء هي الذوات لزمت إضافة الشيء إلى

ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم إني أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما

أمره أن يكون على فاعل كآزر وعازر وعابر وشالخ وفالغ وأشباه ذلك. (الأسماء كلها) أي أسماء المسميات فحذف المضاف إليه لكونه معلوما مدلولا عليه بذكر الأسماء لأن الاسم لا بد له من مسمى وعوض منه اللام كقوله (واشتعل الرأس) (فإن قلت) هلا زعمت أنه حذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه وأن الأصل وعلم آدم مسميات الأسماء (قلت) لأن التعليم وجب تعليقه بالأسماء لا بالمسميات لقوله أنبئوني بأسماء هؤلاء أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم فكما علق الإنباء بالأسماء لا بالمسميات ولم يقل أنبئوني بهؤلاء وأنبئهم بهم وجب تعليق التعليم بها (فإن قلت) فما معنى تعليمه أسماء المسميات (قلت) أراه الأجناس التي خلقها وعلمه أن هذا اسمه فرس وهذا اسمه بعير وهذا اسمه كذا وهذا اسمه كذا وعلمه أحوالها وما يتعلق بها من المنافع الدينية والدنيوية (ثم عرضهم) أي عرض المسميات وإنما ذكر لأن في المسميات العقلاء فغلبهم وإنما استنبأهم وقد علم عجزهم عن الإنباء على سبيل التبكيت (إن كنتم صادقين) يعني في زعمكم أني أستخلف في الأرض مفسدين سفاكين للدماء إرادة للرد عليهم وأن فيمن يستخلفه من الفوائد العلمية التي هي أصول الفوائد كلها ما يستأهلون لأجله أن يستخلفوا فأراهم بذلك وبين لهم بعض ما أجمل من ذكر المصالح في استخلافهم في قوله إني أعلم ما لا تعلمون ✽ وقوله (ألم أقل لكم إني أعلم غيب السموات والأرض) استحضار لقوله إني أعلم ما لا تعلمون إلا أنه جاء به على وجه أبسط من ذلك وأشرح ✽ وقرئ وعلم آدم على البناء للمفعول ✽ وقرأ عبد الله عرضهن وقرأ أبي عرضها والمعنى عرض مسمياتهن أو مسمياتها لأن العرض لا يصح في الأسماء ✽ وقرئ أنبيهم بقلب الهمزة ياء وأنبهم بحذفها والهاء مكسورة فيهما ✽ السجود لله تعالى على سبيل العبادة ولغيره على وجه التكرمة كما سجدت الملائكة لآدم وأبو يوسف وإخوته له ويجوز أن تختلف الأحوال والأوقات فيه ✽ وقرأ أبو جعفر للملائكة اسجدوا بضم التاء للإتباع ولا يجوز استهلاك الحركة الإعرابية بحركة الإتباع إلا في لغة ضعيفة كقولهم الحمد لله (إلا إبليس) استثناء متصل لأنه كان جنيا واحدا بين أظهر الألوف من الملائكة مغمورا بهم فغلبوا عليه في قوله فسجدوا ثم استثني منهم استثناء واحد منهم ويجوز أن يجعل منقطعا (أبى) امتنع مما أمر به (واستكبر) عنه (وكان من الكافرين) من جنس كفرة الجن وشياطينهم فلذلك أبى واستكبر كقوله كان من الجن ففسق عن أمر ربه ✽ السكنى من السكون لأنها نوع من اللبث والاستقرار ✽ و(أنت) تأكيد للمستكن في اسكن ليصح العطف عليه و(رغدا) وصف للمصدر أي أكلا رغدا واسعا رافها و(حيث) للمكان المبهم أي أي مكان من الجنة (شئتما) أطلق لهما الأكل من الجنة على وجه التوسعة البالغة المزيحة للعلة حين لم يحظر عليهما بعض الأكل ولا بعض المواضع الجامعة للمأكولات من الجنة حتى لا يبقى لهما عذر في التناول من شجرة واحدة من بين أشجارها التي لا تحصر ✽ وكانت الشجرة فيما قيل الحنطة أو الكرمة أو التينة ✽ وقرئ ولا تقربا بكسر التاء وهذي والشجرة بكسر الشين والشيرة بكسر الشين والياء وعن أبي عمرو أنه كرهها وقال يقرأ بها برابرة مكة وسودانها (من الظالمين) من الذين ظلموا أنفسهم بمعصية الله ✽ فتكونون جزم عطف على تقربا أو نصب جواب للنهي ✽ الضمير في (عنها) للشجرة أي فحملهما الشيطان على الزلة بسببها وتحقيقه فأصدر الشيطان زلتهما عنها وعن هذه مثلها في قوله تعالى وما فعلته عن أمري وقوله ✽ ينهون عن أكل وعن شرب ✽ وقيل فأزلهما عن الجنة بمعنى أذهبهما عنها وأبعدهما كما تقول زل عن مرتبته

نفسه وهذا مما لا مدفع فيه فإن هذه الإضافة مثلها في قولك نفس زيد وحقيقته والمراد أنبئوني بحقائق هؤلاء ولا ينكر في هذه الإضافة فإن الأسماء بمعنى المسميات والحقائق أعم من هؤلاء المشار إليهم وبعض [illegible] الهم فصحت الإضافة لما بين الأعم والأخص من التغاير وهذا هو الصحيح اللازم فتبقى مثل نفس زيد وشاهده وهذه نبذة من مسألة الاسم والمسمى تختص بهذه الآية وفيها إن شاء الله كفاية على أنها وإن عددها المتكلمون من فن الكلام فلها التفات على أنها مسألة لفظية لا يرجع اختلاف الأشعرية والمعتزلة فيها إلى كثير من حيث الحقيقة ✽ قوله تعالى فأزلهما الشيطان عنها (قال محمود رحمه الله وقيل فأزلهما عن الجنة بمعنى أذهبهما عنها وأبعدهما كما تقول زل الخ) قال أحمد رحمه الله ويشهد له قوله تعالى كما أخرج أبويكم من الجنة

قوله تعالى فإما يأتينكم مني هدى الآية (قال محمود رحمه الله إن قلت لم جيء بكلمة الشك وإتيان الهدى كائن الخ) قال أحمد رحمه الله هاتان زلتان زلهما قلمه فأولاهما قرن الأول إيراد السؤال ساعيا على أن الهدى على الله تعالى واجب والثانية بناء الجواب على أن الوجوب الشرعي يثبت بالعقل قبل ورود الشرع والحق أن الله تعالى لا يجب عليه شيء تعالى عن الإيجاب عليه بل هو ... يدخل تحت ربقة التكاليف المربوب لا الرب وأن وجوب النظر في أدلة التوحيد وغيرها يثبت بالسمع لا بالعقل وأن تحصيل المعرفة بالله وتوحيده غير موقوف على ورود السمع بل محض العقل كاف فيه اتفاقا (قال محمود رحمه الله فإن قلت الخطيئة التي أهبط بها (٢١١) آدم من الجنة الخ) قال أحمد رحمه الله تعالى مقتضاه تأويل الآي المشعر ظاهرها بوقوع الصغائر من الأنبياء تنزيههم عنها على أن تجويز الصغائر عليهم قد قال به طوائف من أهل السنة

كانا فيه وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم قلنا اهبطوا منها جميعا فإما يأتينكم مني هدى فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون

زل عني ذلك إذا ذهب عنك وزل من الشهر كذا (فأخرجهما مما كانا فيه) من النعيم والكرامة أو من الجنة إن كان الضمير للشجرة في عنها وقرأ عبد الله فوسوس لهما الشيطان عنها وهذا دليل على أن الضمير للشجرة لأن المعنى صدرت وسوسته عنها (فإن قلت) كيف توصل إلى إزلالهما ووسوسته لهما بعد ما قيل له اخرج منها فإنك رجيم (قلت) يجوز أن يمنع دخولها على جهة التقريب والتكرمة كدخول الملائكة ولا يمنع أن يدخل على جهة الوسوسة ابتلاء لآدم وحواء وقيل كان يدنو من السماء فيكلمهما وقيل قام عند الباب فنادى وروي أنه أراد الدخول فمنعته الخزنة فدخل في فم الحية حتى دخلت به وهم لا يشعرون (اهبطوا) خطاب لآدم وحواء وإبليس وقيل والحية والصحيح أنه لآدم وحواء والمراد هما وذريتهما لأنهما لما كانا أصل الإنس ومتشعبهم جعلا كأنهما الإنس كلهم والدليل عليه قوله قال اهبطا منها جميعا بعضكم لبعض عدو ويدل على ذلك قوله فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون وما هو إلا حكم يعم الناس كلهم ومعنى (بعضكم لبعض عدو) ما عليه الناس من التعادي والتباغي وتضليل بعضهم لبعض والهبوط النزول إلى الأرض (مستقر) موضع استقرار أو استقرار (ومتاع) وتمتع بالعيش (إلى حين) يريد إلى يوم القيامة وقيل إلى الموت ومعنى تلقي الكلمات استقبالها بالأخذ والقبول والعمل بها حين علمها وقرئ بنصب آدم ورفع الكلمات على أنها استقبلته بأن بلغته واتصلت به (فإن قلت) ما هن (قلت) قوله تعالى ربنا ظلمنا أنفسنا الآية وعن ابن مسعود رضي الله عنه إن أحب الكلام إلى الله ما قاله أبونا آدم حين اقترف الخطيئة سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك لا إله إلا أنت ظلمت نفسي فاغفر لي إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال يا رب ألم تخلقني بيدك قال بلى قال يا رب ألم تنفخ في الروح من روحك قال بلى قال يا رب ألم تسبق رحمتك غضبك قال بلى قال ألم تسكني جنتك قال بلى قال يا رب إن تبت وأصلحت أراجعي أنت إلى الجنة قال نعم واكتفى بذكر توبة آدم دون توبة حواء لأنها كانت تبعا له كما طوى ذكر النساء في أكثر القرآن والسنة لذلك وقد ذكرها في قوله قالا ربنا ظلمنا أنفسنا (فتاب عليه) فرجع عليه بالرحمة والقبول (فإن قلت) لم كرر (قلنا اهبطوا) (قلت) للتأكيد ولما نيط به من زيادة قوله (فإما يأتينكم مني هدى) (فإن قلت) جواب الشرط الأول ما هو (قلت) الشرط الثاني مع جوابه كقولك إن جئتني فإن قدرت أحسنت إليك والمعنى فإما يأتينكم مني هدى برسول أبعثه إليكم وكتاب أنزله عليكم بدليل قوله (والذين كفروا وكذبوا بآياتنا) في مقابلة قوله فمن تبع هداي (فإن قلت) فيم جيء بكلمة الشك وإتيان الهدى كائن لا محالة لوجوبه (قلت) للإيذان بأن الإيمان بالله والتوحيد لا يشترط فيه بعثة الرسل وإنزال الكتب وأنه إن لم يبعث رسولا ولم ينزل كتابا كان الإيمان به وتوحيده واجبا لما ركب فيهم من العقول ونصب لهم من الأدلة ومكنهم من النظر والاستدلال (فإن قلت) الخطيئة التي أهبط بها آدم إن كانت كبيرة فالكبيرة لا تجوز على الأنبياء وإن كانت صغيرة فلم جرى عليه ما جرى بسببها من نزع اللباس والإخراج من الجنة والإهباط من السماء كما فعل بإبليس ونسبته إلى الغي

وفي طي وقوعها ألطاف وزيادة في الالتجاء إلى الله تعالى والتواضع له والإشفاق على الخاطئين والدعاء لهم بالتوبة والمغفرة كما نقل عن داود أنه كان بعد ابتلاء الله له يدعو للخاطئين كثيرا وعلى الجملة فالقدري يجوز الصغائر على الأنبياء ويقول إن اجتناب الكبائر يوجب تكفير الصغائر حتى في حق آحاد الناس فلا جرم التزم الزمخشري ورود السؤال لأن آدم عليه السلام معصوم من الكبائر باتفاق فيلزم على قاعدة القدرية أن تكون صغيرة واجبة التكفير والمحو غير مؤاخذ عليها ولا مستوجب بسببها عقوبة ولا شيئا مما وقع وهذا الجواب للزمخشري عنه الانصاف والرجوع عن المعتقدات الباطلة والمذهب الماحل ولقد شنع السؤال بقوله إن الذي جرى على آدم عليه السلام كالذي جرى على إبليس عليه اللعنة ومعاذ الله أن يكون الحالان سواء والعاقبتان كما تعلم أن آدم عليه السلام خالد في النعيم المقيم وأن إبليس خالد في العذاب الأليم

العصيان ونسيان العهد وعدم العزيمة والحاجة الى التوبة (قلت) ما كانت الا صغيرة مغمورة بأعمال قلبه من الاخلاص والافكار الصالحة التي هي أجل الاعمال وأعظم الطاعات وانما جرى عليه ما جرى تعظيما للخطيئة وتفظيعا لشأنها وتهويلا ليكون ذلك لطفا له ولذريته في اجتناب الخطايا واتقاء المآثم والتنبيه على أنه أخرج من الجنة بخطيئة واحدة فكيف يدخلها ذو خطايا جمة • وقرئ فمن تبع هدي على لغة هذيل فلا خوف بالفتح (اسرائيل) هو يعقوب عليه السلام لقب له ومعناه في لسانهم صفوة الله وقيل عبد الله وهو بزنة ابراهيم واسمعيل غير منصرف مثلهما لوجود العلمية والعجمة وقرئ اسرائل واسرائل وذكرهم النعمة أن لا يخلوا بشكرها ويعتدوا بها ويستعظموها ويطيعوا مانحها وأراد بها ما أنعم به على آبائهم مما عدد عليهم من الانجاء من فرعون وعذابه ومن الغرق ومن العفو عن اتخاذ العجل والتوبة عليهم وغير ذلك وما أنعم به عليهم من ادراك زمن محمد صلى الله عليه وآله وسلم المبشر به في التوراة والانجيل • والعهد يضاف الى المعاهد والمعاهد جميعا يقال أوفيت بعهدي أي بما عاهدت عليه كقوله ومن أوفى بعهده من الله وأوفيت بعهدك أي بما عاهدتك عليه • ومعنى (وأوفوا بعهدي) وأوفوا بما عاهدتموني عليه من الايمان بي والطاعة لي كقوله ومن أوفى بما عاهد عليه الله ومنهم من عاهد الله رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه (أوف بعهدكم) بما عاهدتكم عليه من حسن الثواب على حسناتكم (واياي فارهبون) فلا تنقضوا عهدي وهو من قولك زيدا رهبته وهو أوكد في افادة الاختصاص من اياك نعبد وقرئ أوف بالتشديد أي أبالغ في الوفاء بعهدكم كقوله من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ويجوز أن يريد بقوله وأوفوا بعهدي ما عاهدوا عليه ووعدوه من الايمان بنبي الرحمة والكتاب المعجز ويدل عليه قوله (وآمنوا بما أنزلت مصدقا لما معكم ولا تكونوا أول كافر به) أول من كفر به أو أول فريق أو فوج كافر به أو ولا يكن كل واحد منكم أول كافر به كقولك كسانا حلة أي كل واحد منا وهذا تعريض بأنه كان يجب أن يكونوا أول من يؤمن به لمعرفتهم به وبصفته ولأنهم كانوا المبشرين بزمان من أوحي اليه والمستفتحين على الذين كفروا به وكانوا يعدون اتباعه أول الناس كلهم فلما بعث كان أمرهم على العكس كقوله لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تأتيهم البينة الى قوله وما تفرق الذين أوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءتهم البينة فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به ويجوز أن يراد ولا تكونوا مثل أول كافر به يعني من أشرك به من أهل مكة أي ولا تكونوا وأنتم تعرفونه مذكورا في التوراة موصوفا مثل من لم يعرفه وهو مشرك لا كتاب له وقيل الضمير في به لما معكم لأنهم اذا كفروا بما يصدقه فقد كفروا به • والاشتراء استعارة للاستبدال كقوله تعالى اشتروا الضلالة بالهدى وقوله

• كما اشترى المسلم اذ تنصرا • وقوله • فاني شريت الحلم بعدك بالجهل • يعني ولا تستبدلوا بآياتي ثمنا والا فالثمن هو المشترى به • والثمن القليل الرياسة التي كانت لهم في قومهم خافوا عليها الفوات لو أصبحوا أتباعا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فاستبدلوها وهي بدل قليل ومتاع يسير بآيات الله وبالحق الذي كل كثير اليه قليل وكل كبير اليه حقير فما بال القليل الحقير وقيل كانت عامتهم يعطون أحبارهم من زروعهم وثمارهم ويهدون اليهم الهدايا ويرشونهم الرشا على تحريفهم الكلم وتسهيلهم لهم ما صعب عليهم من الشرائع وكان ملوكهم يدرون عليهم الاموال ليكتموا أو يحرفوا • الباء التي في (بالباطل) ان كانت صلة مثلها في قولك لبست الشيء بالشيء خلطته به كان المعنى ولا تكتبوا في التوراة ما ليس منها فيختلط الحق المنزل بالباطل الذي كتبتم حتى لا يميز بين حقها وباطلكم وان كانت باء الاستعانة كالتي في قولك كتبت بالقلم كان المعنى ولا تجعلوا الحق ملتبسا مشتبها بباطلكم الذي تكتبونه (وتكتموا) جزم داخل تحت حكم النهي بمعنى ولا تكتموا أو منصوب باضمار أن والواو بمعنى الجمع أي ولا تجمعوا لبس الحق بالباطل وكتمان الحق كقولك لا تأكل السمك وتشرب اللبن (فان قلت) لبسهم وكتمانهم ليسا بفعلين متميزين حتى ينهوا عن الجمع بينهما لأنهم اذا لبسوا الحق بالباطل فقد كتموا الحق (قلت) بل هما متميزان لأن لبس الحق بالباطل ما ذكرناه من كتبهم في التوراة ما ليس منها وكتمانهم الحق أن يقولوا لا نجد في التوراة صفة محمد صلى الله عليه وآله وسلم أو حكم كذا

او

يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم واياي فارهبون وآمنوا بما أنزلت مصدقا لما معكم ولا تكونوا أول كافر به ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا واياي فاتقون ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق

• قوله تعالى ولا تلبسوا الحق بالباطل الآية (قال محمود رحمه الله ان قلت لبسهم وكتمهم ليسا بفعلين متميزين الخ) قال أحمد رحمه الله السؤال غير موجه لأنه ادعى فيه عدم التمييز بين الفعلين وغاية ما قدره تلازمهما والمتلازمان متغايران متميزان الا أن يعني بعدم التمييز عدم الانفكاك ولا يسوغ له جمعهما في النهي اذ بل النهي عن أحدهما على هذا التقدير مستلزم للنهي عن الآخر فلم يصرح به

او يمحو ذلك او يكتبوه على خلاف ما هو عليه وفى مصحف عبد الله وتكتمون بمعنى كاتمين (وانتم تعلمون) فى حال علمكم أنكم لابسون كاتمون وهو أقبح لهم لان الجهل بالقبيح ربما عذر راكبه (وأقيموا الصلاة) يعنى صلاة المسلمين وزكاتهم (واركعوا مع الراكعين) منهم لان اليهود لا ركوع فى صلاتهم وقيل الركوع الخضوع والانقياد لما يلزمهم فى دين الله ويجوز أن يراد بالركوع الصلاة كما يعبر عنها بالسجود وأن يكون أمرا بأن تصلى مع المصلين يعنى فى جماعة كأنه قيل وأقيموا الصلاة وصلوها مع المصلين لا منفردين (أتأمرون) الهمزة للتقرير مع التوبيخ والتعجيب من حالهم * والبر سعة الخير والمعروف ومنه البر لسعته ويتناول كل خير ومنه قولهم صدقت وبررت وكان الاحبار يأمرون من نصحوه فى السر من أقاربهم وغيرهم باتباع محمد صلى الله عليه وسلم ولا يتبعونه وقيل كانوا يأمرون بالصدقة ولا يتصدقون واذا أتوا بصدقات ليفرقوها خانوا فيها وعن محمد بن واسع بلغنى أن ناسا من أهل الجنة اطلعوا على ناس من أهل النار فقالوا لهم قد كنتم تأمروننا بأشياء عملناها فدخلنا الجنة قالوا كنا نأمركم بها ونخالف الى غيرها (وتنسون أنفسكم) وتتركونها من البر كالمنسيات (وأنتم تتلون الكتاب) تبكيت مثل قوله وأنتم تعلمون يعنى تتلون التوراة وفيها نعت محمد صلى الله عليه وسلم أو فيها الوعيد على الخيانة وترك البر ومخالفة القول العمل (أفلا تعقلون) توبيخ عظيم بمعنى أفلا تفطنون لقبح ما أقدمتم عليه حتى يصدكم استقباحه عن ارتكابه وكأنكم فى ذلك مسلوبو العقول لأن العقول تأباه وتدفعه ونحوه أف لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون (واستعينوا) على حوائجكم الى الله (بالصبر والصلاة) أى بالجمع بينهما وأن تصلوا صابرين على تكاليف الصلاة محتملين لمشاقها وما يجب فيها من اخلاص القلب وحفظ النيات ودفع الوساوس ومراعاة الآداب والاحتراس من المكاره مع الخشية والخشوع واستحضار العلم بأنه انتصاب بين يدى جبار السموات ليسأل فك الرقاب عن سخطه وعذابه ومنه قوله تعالى وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها أو واستعينوا على البلايا والنوائب بالصبر عليها والالتجاء الى الصلاة عند وقوعها وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اذا حزبه أمر فزع الى الصلاة وعن ابن عباس أنه نعى اليه أخوه قثم وهو فى سفر فاسترجع وتنحى عن الطريق فصلى ركعتين أطال فيهما الجلوس ثم قام يمشى الى راحلته وهو يقول واستعينوا بالصبر والصلاة وقيل الصبر الصوم لانه حبس عن المفطرات ومنه قيل لشهر رمضان شهر الصبر ويجوز أن يراد بالصلاة الدعاء وأن يستعان على البلايا بالصبر والالتجاء الى الدعاء والابتهال الى الله تعالى فى دفعه (وانها) الضمير للصلاة أو للاستعانة ويجوز أن يكون لجميع الامور التى أمر بها بنو اسرائيل ونهوا عنها من قوله اذكروا نعمتى الى واستعينوا (لكبيرة) لشاقة ثقيلة من قولك كبر على هذا الامر كبر على المشركين ما تدعوهم اليه (فان قلت) ما لها لم تثقل على الخاشعين والخشوع فى نفسه مما يثقل (قلت) لانهم يتوقعون ما ادخر للصابرين على متاعبها فتهون عليهم ألا ترى الى قوله تعالى (الذين يظنون أنهم ملاقوا ربهم) أى يتوقعون لقاء ثوابه ونيل ما عنده ويطمعون فيه وفى مصحف عبد الله يعلمون ومعناه يعلمون أن لا بد من لقاء الجزاء فيعملون على حسب ذلك ولذلك فسر يظنون بيتيقنون وأما من لم يوقن بالجزاء ولم يرج الثواب كانت عليه مشقة خالصة فثقلت عليه كالمنافقين والمرائين بأعمالهم ومثاله من وعد على بعض الاعمال والصنائع أجرة زائدة على مقدار عمله فتراه يزاوله برغبة ونشاط وانشراح صدر ومضاحكة لحاضريه كأنه يستلذ مزاولته بخلاف حال عامل يتسخره بعض الظلمة ومن ثم قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وجعلت قرة عينى فى الصلاة وكان يقول يا بلال روحنا * والخشوع الاخبات والتطامن ومنه الخشعة للرملة المتطامنة وأما الخضوع فاللين والانقياد ومنه خضعت بقولها اذا لينته (وأنى فضلتكم) نصب عطف على نعمتى أى اذكروا نعمتى وتفضيلى (على العالمين) على الجم الغفير من الناس كقوله تعالى باركنا فيها للعالمين يقال رأيت عالما من الناس يراد الكثرة (يوما) يريد يوم القيامة (لا تجزى) لا تقضى عنها شيأ من الحقوق ومنه الحديث فى جذعة ابن نيار تجزى عنك ولا تجزى عن أحد بعدك و(شيأ) مفعول به ويجوز أن يكون فى موضع مصدر أى قليلا من الجزاء كقوله تعالى ولا يظلمون شيأ ومن قرأ

وأنتم تعلمون وأقيموا الصلوة وآتوا الزكاة واركعوا مع الراكعين أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون واستعينوا بالصبر والصلوة وانها لكبيرة الا على الخاشعين الذين يظنون أنهم ملاقوا ربهم وأنهم اليه راجعون يا بنى اسرائيل اذكروا نعمتى التى أنعمت عليكم وأنى فضلتكم على العالمين واتقوا يوما لا تجزى نفس عن نفس شيأ

* قوله تعالى واتقوا يوما لا تجزى نفس عن نفس الآية

(قال محمود رحمه الله هل فيه دليل على أن الشفاعة لا تقبل للعصاة الخ) قال أحمد رحمه الله أما من جحد الشفاعة فهو جدير أن لا ينالها وأما من آمن بها وصدقها وهم أهل السنة والجماعة فأولئك يرجون رحمة الله ومعتقدهم أنها تنال العصاة من المؤمنين وإنما ادخرت لهم وليس في الآية دليل لمنكريها لأن قوله يوما أخرجه منكرا ولا شك أن في القيامة مواطن ويومها معدود بخمسين ألف سنة فبعض أوقاتها ليس زمانا للشفاعة (٣١٤) وبعضها هو الوقت الموعود وفيه المقام المحمود لسيد البشر عليه أفضل الصلاة والسلام وقد وردت آي كثيرة ترشد إلى تعدد أيامها واختلاف أوقاتها منها قوله تعالى فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون مع قوله وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون فيتعين حمل الآيتين على يومين مختلفين ووقتين متغايرين

ولا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل ولا هم ينصرون وإذ نجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم وإذ فرقنا بكم البحر فأنجيناكم وأغرقنا آل فرعون

لا تجزي من أجزأ عنه إذا أغنى عنه فلا يكون في قراءته إلا بمعنى شيئا من الإجزاء. وقرأ أبو السرار الغنوي لا تجزي نسمة عن نسمة شيئا. وهذه الجملة منصوبة المحل صفة ليوما (فإن قلت) فأين العائد منها إلى الموصوف (قلت) هو محذوف تقديره لا تجزي فيه ونحوه ما أنشده أبو علي ● تروحي أجدر أن تقيلي ● أي تقيلي فيه. ومنهم من ينزل فيقول اتسع فيه فأجري مجرى المفعول به فحذف الجار ثم حذف الضمير كما حذف من قوله أم مال أصابوا. ومعنى التنكير أن نفسا من الأنفس لا تجزي عن نفس منها شيئا من الأشياء وهو الإقناط الكلي القطاع للمطامع وكذلك قوله (ولا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل) أي فدية لأنها معادلة للمفدى ومنه الحديث لا يقبل منه صرف ولا عدل أي توبة ولا فدية وقرأ قتادة ولا يقبل منها شفاعة على بناء الفعل للفاعل وهو الله عز وجل ونصب الشفاعة وقيل كانت اليهود تزعم أن آباءهم الأنبياء يشفعون لهم فأويسوا (فإن قلت) هل فيه دليل على أن الشفاعة لا تقبل للعصاة (قلت) نعم لأنه نفى أن تقضي نفس عن نفس حقا أخلت به من فعل أو ترك ثم نفى أن يقبل منها شفاعة شفيع فعلم أنها لا تقبل للعصاة (فإن قلت) الضمير في ولا يقبل منها إلى أي النفسين يرجع (قلت) إلى الثانية العاصية غير المجزي عنها وهي التي لا يؤخذ منها عدل ومعنى لا يقبل منها شفاعة إن جاءت بشفاعة شفيع لم يقبل منها ويجوز أن يرجع إلى النفس الأولى على أنها لو شفعت لها لم تقبل شفاعتها كما لا تجزي عنها شيئا ولو أعطت عدلا عنها لم يؤخذ منها (ولا هم ينصرون) يعني ما دلت عليه النفس المنكرة من النفوس الكثيرة والتذكير بمعنى العباد والأناسي كما تقول ثلاثة أنفس ● أصل (آل) أهل ولذلك يصغر بأهيل فأبدلت هاؤه ألفا وخص استعماله بأولي الخطر والشأن كالملوك وأشباههم ولا يقال آل الإسكاف والحجام و(فرعون) علم لمن ملك العمالقة كقيصر لملك الروم وكسرى لملك الفرس ولعتو الفراعنة اشتقوا تفرعن فلان إذا عتا وتجبر وفي ملح بعضهم

قد جاءه الموسى الكلوم فزاد في ● أقصى تفرعنه وفرط عرامه

● وقرئ أنجيناكم ونجيتكم (يسومونكم) من سامه خسفا إذا أولاه ظلما قال عمرو بن كلثوم

إذا ما الملك سام الناس خسفا ● أبينا أن نقر الخسف فينا

وأصله من سام السلعة إذا طلبها كأنه بمعنى يبغونكم (سوء العذاب) ويريدونكم عليه والسوء مصدر السيء يقال أعوذ بالله من سوء الخلق وسوء الفعل يراد قبحهما ومعنى سوء العذاب والعذاب كله سيء أشده وأفظعه كأنه قبحه بالإضافة إلى سائره ● و(يذبحون) بيان لقوله يسومونكم ولذلك ترك العاطف كقوله تعالى يضاهئون قول الذين كفروا وقرأ الزهري يذبحون بالتخفيف كقولك قطعت الثياب وقطعتها وقرأ عبد الله يقتلون وإنما فعلوا بهم ذلك لأن الكهنة أنذروا فرعون بأنه يولد مولود يكون على يده هلاكه كما أنذر نمروذ فلم يغن عنهما اجتهادهما في التحفظ وكان ما شاء الله ● والبلاء المحنة إن أشير بذلكم إلى صنيع فرعون والنعمة إن أشير به إلى الإنجاء (فرقنا) فصلنا بين بعضه وبعض حتى صارت فيه مسالك لكم وقرئ فرقنا بمعنى فصلنا يقال فرق بين الشيئين وفرق بين الأشياء لأن المسالك كانت اثني عشر على عدد الأسباط (فإن قلت) ما معنى (بكم) (قلت) فيه أوجه أن يراد أنهم كانوا يسلكونه ويتفرق الماء عند سلوكهم فكأنما فرق بهم كما يفرق بين الشيئين بما يوسط بينهما وأن يراد فرقناه بسببكم وبسبب إنجائكم وأن يكون في موضع الحال بمعنى فرقناه

أحدهما محل التساؤل والآخر ليس محلا له وكذلك الشفاعة وأدلة ثبوتها لا تحصى كثرة رزقنا الله الشفاعة وحشرنا في زمرة السنة والجماعة ● قوله تعالى وإذ فرقنا بكم البحر (قال محمود رحمه الله يحتمل أنهم كانوا يسلكون الخ) قال أحمد رحمه الله فتكون الباء على هذا الوجه استعانة مثلها في كتبت بالقلم (قال محمود رحمه الله ويحتمل أن يكون المراد فرقناه بسببكم) قال أحمد رحمه الله وهي على هذا الوجه سببية كما تقول أكرمتك بإحسانك إلي (قال محمود رحمه الله ويحتمل أن يكون في موضع الحال الخ) قال أحمد رحمه الله وهي على هذا الوجه للمصاحبة مثلها في أسندت ظهري بالحائط والوجه الأول ضعيف من حيث إن مقتضاه أن تفرق البحر وقع ببني إسرائيل والمنقول بل المنصوص عليه في العزيز أن البحر إنما انفرق بعصا موسى يشهد لذلك قوله تعالى أن اضرب بعصاك البحر فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم فالآلة لتفرق البحر العصا لا بنو إسرائيل

* قوله تعالى لعلكم تشكرون (قال محمود ومعناه إرادة أن تشكروا) قال أحمد رحمه الله أخطأ في تفسير لعل بالإرادة لأن مراد الله تعالى كائن لا محالة ولو أراد منهم الشكر لشكروا ولابد ولكن أجراه الزمخشري على قاعدته (٢١٥) الفاسدة في اعتقاد أن مراد الرب كمراد العبد منه ما يقع ومنه ما يتعذر تعالى الله عن ذلك ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن والتفسير الصحيح في لعل هو الذي حرره سيبويه رحمه الله في قوله لعله يتذكر أو يخشى قال سيبويه الرجاء منصرف الى المخاطب كأنه قال كونا على رجائكما في تذكرته وخشيته وكذلك هذه الآية معناها لتكونوا على رجاء الشكر لله عز وجل ومنه فينصرف الرجاء اليهم ويتنزه الله تعالى

ملتبسا بكم كقوله * تدوس بنا الجماجم والتريبا * أي تدوسها ونحن راكبوها وروى أن بني اسرائيل قالوا لموسى أين أصحابنا لا نراهم قال سيروا فانهم على طريق مثل طريقكم قالوا لا نرضى حتى نراهم فقال اللهم أعني على أخلاقهم السيئة فأوحى اليه أن قل بعصاك هكذا فقال بها على الحيطان فصارت فيها كوى فتراءوا وتسامعوا كلامهم (وأنتم تنظرون) الى ذلك وتشاهدونه لا تشكون فيه * لما دخل بنو اسرائيل مصر بعد هلاك فرعون ولم يكن لهم كتاب ينتهون اليه وعد الله موسى أن ينزل عليه التوراة وضرب له ميقاتا ذا القعدة وعشر ذي الحجة * وقيل (أربعين ليلة) لأن الشهور غررها بالليالي وقرئ واعدنا لأن الله تعالى وعده الوحي ووعد هو المجيء للميقات الى الطور (من بعده) من بعد مضيه الى الطور (وأنتم ظالمون) باشراككم (ثم عفونا عنكم) حين تبتم (من بعد ذلك) من بعد ارتكابكم الأمر العظيم وهو اتخاذكم العجل (لعلكم تشكرون) ارادة أن تشكروا النعمة في العفو عنكم (الكتاب والفرقان) يعني الجامع بين كونه كتابا منزلا وفرقانا يفرق بين الحق والباطل يعني التوراة كقولك رأيت الغيث والليث تريد الرجل الجامع بين الجود والجراءة ونحوه قوله تعالى ولقد آتينا موسى وهرون الفرقان وضياء وذكرا يعني الكتاب الجامع بين كونه فرقانا وضياء وذكرا أو التوراة والبرهان الفارق بين الكفر والايمان من العصا واليد وغيرهما من الآيات أو الشرع الفارق بين الحلال والحرام وقيل الفرقان انفراق البحر وقيل النصر الذي فرق بينه وبين عدوه كقوله تعالى يوم الفرقان يريد به يوم بدر * يحتمل قوله (فاقتلوا أنفسكم) على الظاهر وهو البخع وقيل معناه قتل بعضهم بعضا وقيل أمر من لم يعبد العجل أن يقتل العبدة وروى أن الرجل كان يبصر ولده ووالده وجاره وقريبه فلم يمكنهم المضي لأمر الله فأرسل الله ضبابة وسحابة سوداء لا يتباصرون تحتها وأمروا أن يحتبوا بأفنية بيوتهم ويأخذ الذين لم يعبدوا العجل سيوفهم وقيل لهم اصبروا فلعن الله من مد طرفه أو حل حبوته أو اتقى بيد أو رجل فيقولون آمين فقتلوهم الى المساء حتى دعا موسى وهرون وقالا يا رب هلكت بنو اسرائيل البقية البقية فكشفت السحابة ونزلت التوبة فسقطت الشفار من أيديهم وكانت القتلى سبعين ألفا (فان قلت) ما الفرق بين الفاآت (قلت) الأولى للتسبيب لا غير لأن الظلم سبب التوبة والثانية للتعقيب لأن المعنى فاعزموا على التوبة فاقتلوا أنفسكم من قبل أن الله تعالى جعل توبتهم قتل أنفسهم ويجوز أن يكون القتل تمام توبتهم فيكون المعنى فتوبوا فأتبعوا التوبة القتل تتمة لتوبتكم والثالثة متعلقة بمحذوف ولا يخلو إما أن ينتظم في قول موسى لهم فتتعلق بشرط محذوف كأنه قال فان فعلتم فقد تاب عليكم وإما أن يكون خطابا من الله تعالى لهم على طريقة الالتفات فيكون التقدير ففعلتم ما أمركم به موسى فتاب عليكم بارئكم * (فان قلت) من أين اختص هذا الموضع بذكر البارئ (قلت) البارئ هو الذي خلق الخلق بريئا من التفاوت ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت ومتميزا بعضه من بعض بالأشكال المختلفة والصور المتباينة فكان فيه تقريع بما كان منهم من ترك عبادة العالم الحكيم الذي برأهم بلطف حكمته على الأشكال المختلفة أبرياء من التفاوت والتنافر الى عبادة البقر التي هي مثل في الغباوة والبلادة في أمثال العرب أبلد من ثور حتى عرضوا أنفسهم لسخط الله ونزول أمره بأن يفك ما ركبه من خلقهم وينثر ما نظم من صورهم وأشكالهم حين لم يشكروا النعمة في ذلك وغمطوها بعبادة من لا يقدر على شيء منها * قيل ان القائلين هم السبعون الذين صعقوا وقيل قاله عشرة آلاف منهم (جهرة) عيانا وهي مصدر من قولك جهر بالقراءة وبالدعاء كأن الذي يرى بالعين جاهر بالرؤية والذي يرى بالقلب مخافت بها وانتصابها على المصدر لأنها نوع من الرؤية فنصبت بفعلها كما تنصب القرفصاء بفعل الجلوس أو على الحال بمعنى ذوي جهرة وقرئ جهرة بفتح الهاء وهي إما مصدر كالغلبة وإما جمع جاهر وفي هذا الكلام دليل على أن موسى عليه الصلاة والسلام رادهم القول وعرفهم أن رؤية ما لا يجوز عليه أن يكون في جهة محال وأن من استجازها على الله

وأنتم تنظرون وإذ واعدنا موسى أربعين ليلة ثم اتخذتم العجل من بعده وأنتم ظالمون ثم عفونا عنكم من بعد ذلك لعلكم تشكرون وإذ آتينا موسى الكتاب والفرقان لعلكم تهتدون وإذ قال موسى لقومه يا قوم إنكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا إلى بارئكم فاقتلوا أنفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم فتاب عليكم إنه هو التواب الرحيم وإذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتكم

* قوله تعالى وإذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة الآية (قال محمود رحمه الله فيه دليل على أن موسى عليه السلام رادهم القول وعرفهم أن رؤية من لا يجوز عليه الخ) قال أحمد رحمه الله لقد انتهز الزمخشري ما اعتقده فرصة من هذه الآية

التي لا مطمع له عند التحقيق في التشبث بها فبنى الأمر على أن العقوبة بسبب طلب ما لا يجوز على الله تعالى من الرؤية على ظنه وأنى له ذلك وثم سبب ظاهر في العقوبة سوى ما ادعاه هو كل السبب وذلك أن موسى عليه السلام لما علم جواز رؤيته تعالى طلبها في آية الأعراف في دار الدنيا فأخبره الله تعالى أنه لا يراه في الدنيا وصار ذلك عنده وعند بني إسرائيل أصلا مقررا كما هو عندنا الآن معاشر أهل السنة أن الله تعالى لا يرى (٢١٦) في دار الدنيا لأنه أخبر أنه لا يرى والخبر واجب الصدق وكما أخبر أنه لا يرى في دار الدنيا فقد وعد الوعد الصادق عز وجل برؤيته في الدار الآخرة

الصاعقة وأنتم تنظرون ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون وظللنا عليكم الغمام وأنزلنا عليكم المن والسلوى كلوا من طيبات ما رزقناكم وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون وإذ قلنا ادخلوا هذه القرية فكلوا منها حيث شئتم رغدا وادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة نغفر لكم خطاياكم وسنزيد المحسنين فبدل الذين ظلموا قولا غير الذي قيل لهم فأنزلنا على الذين ظلموا رجزا من السماء بما كانوا يفسقون وإذ استسقى موسى لقومه فقلنا اضرب بعصاك الحجر

الرؤية فقد جعله من جملة الأجسام أو الأعراض فرادّوه بعد بيان الحجة ووضوح البرهان ولجّوا فكانوا في الكفر كعبدة العجل فسلط الله عليهم الصاعقة كما سلط على أولئك القتل تسوية بين الكفرين ودلالة على عظمهما بعظم المحنة و(الصاعقة) ما صعقهم أي أماتهم قيل نار وقعت من السماء فأحرقتهم وقيل صيحة جاءت من السماء وقيل أرسل الله جنودا سمعوا بحسها فخروا صعقين ميتين يوما وليلة وموسى عليه السلام لم تكن صعقته موتا ولكن غشية بدليل قوله فلما أفاق والظاهر أنه أصابهم ما ينظرون إليه لقوله (وأنتم تنظرون) وقرأ علي رضي الله عنه فأخذتكم الصعقة (لعلكم تشكرون) نعمة البعث بعد الموت أو نعمة الله بعدما كفرتموها إذا رأيتم بأس الله في رميكم بالصاعقة وإذاقتكم الموت (وظللنا) وجعلنا الغمام يظلكم وذلك في التيه سخر الله لهم السحاب يسير بسيرهم يظلهم من الشمس وينزل بالليل عمود من نار يسيرون في ضوئه وثيابهم لا تتسخ ولا تبلى وينزل عليهم (المن) وهو الترنجبين مثل الثلج من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس لكل إنسان صاع ويبعث الله الجنوب فتحشر عليهم (السلوى) وهي السماني فيذبح الرجل منها ما يكفيه (كلوا) على إرادة القول (وما ظلمونا) يعني فظلموا بأن كفروا هذه النعم وما ظلمونا فاختصر الكلام بحذفه لدلالة وما ظلمونا عليه (القرية) بيت المقدس وقيل أريحاء من قرى الشام أمروا بدخولها بعد التيه (الباب) باب القرية وقيل هو باب القبة التي كانوا يصلون إليها وهم لم يدخلوا بيت المقدس في حياة موسى عليه الصلاة والسلام * أمروا بالسجود عند الانتهاء إلى الباب شكرا لله وتواضعا وقيل السجود أن ينحنوا ويتطامنوا داخلين ليكون دخولهم بخشوع وإخبات وقيل طوطئ لهم الباب ليخفضوا رؤوسهم فلم يخفضوها ودخلوا متزحفين على أوراكهم (حطة) فعلة من الحط كالجلسة والركبة وهي خبر مبتدأ محذوف أي مسألتنا حطة أو أمرك حطة والأصل النصب بمعنى حط عنا ذنوبنا حطة وإنما رفعت لتعطي معنى الثبات كقوله * صبر جميل فكلانا مبتلى * والأصل صبرا على اصبر صبرا وقرأ ابن أبي عبلة بالنصب على الأصل وقيل معناه أمرنا حطة أي أن نحط في هذه القرية ونستقر فيها (فإن قلت) هل يجوز أن تنصب حطة في قراءة من نصبها بقولوا على معنى قولوا هذه الكلمة (قلت) لا يبعد والأجود أن تنصب بإضمار فعلها وينتصب محل ذلك المضمر بقولوا وقرئ (يغفر لكم) على البناء للمفعول بالياء والتاء (وسنزيد المحسنين) أي من كان محسنا منكم كانت تلك الكلمة سببا في زيادة ثوابه ومن كان مسيئا كانت له توبة ومغفرة (فبدل الذين ظلموا) أي وضعوا مكان حطة (قولا) غيرها يعني أنهم أمروا بقول معناه التوبة والاستغفار فخالفوه إلى قول ليس معناه معنى ما أمروا به ولم يمتثلوا أمر الله وليس الغرض أنهم أمروا بلفظ بعينه وهو لفظ الحطة فجاؤوا بلفظ آخر لأنهم لو جاؤوا بلفظ آخر مستقل بمعنى ما أمروا به لم يؤاخذوا به كما لو قالوا مكان حطة نستغفرك ونتوب إليك أو اللهم اعف عنا وما أشبه ذلك وقيل قالوا مكان حطة حنطة وقيل قالوا بالنبطية حطا سمقاثا أي حنطة حمراء استهزاء منهم بما قيل لهم وعدولا عن طلب ما عند الله إلى طلب ما يشتهون من أعراض الدنيا وفي تكرير (الذين ظلموا) زيادة في تقبيح أمرهم وإيذان بأن إنزال الرجز عليهم لظلمهم وقد جاء في سورة الأعراف فأرسلنا عليهم على الإضمار والرجز العذاب وقرئ بضم الراء وروي أنه مات منهم في ساعة بالطاعون أربعة وعشرون ألفا وقيل سبعون ألفا * عطشوا في التيه فدعا لهم موسى بالسقيا فقيل له (اضرب بعصاك الحجر) واللام إما للعهد والإشارة إلى حجر معلوم فقد روي أنه حجر طوري

وتخصيص ذلك بالمؤمنين وبعد استقرار هذا المعتقد طلب بنو إسرائيل الرؤية في الدنيا تعنتا أو شكا في الخبر فأنزل الله تعالى بهم تلك العقوبة وكيف ينقل الزمخشري وشيعته أن موسى عليه السلام طلب من الله ما لا يجوز عليه وهب هو لو كان الأمر على ما تخيله لا كمن [illegible] جهلة إسرائيل ومعاذ الله لقد برأه من ذلك وكان عند الله وجيها وأما الأدلة العقلية على جواز رؤيته تعالى عقلا والسمعية على وقوعها في الدار الآخرة فأكثر من أن تحصى وهي مستقصاة في فن الكلام وما غرضنا في هذا الباب مباحثة الزمخشري والرد عليه من حيث يتمسك على ظنه وأخذه قوما منه والله الموفق * قوله تعالى فبدل الذين ظلموا الآية (قال محمود رحمه الله وفي تكرير الذين ظلموا زيادة في تقبيح

حمله معه وكان حجرا مربعا له أربعة أوجه كانت تنبع من كل وجه ثلاث أعين لكل سبط عين تسيل في جدول الى السبط الذي أمر أن يسقيهم وكانوا ستمائة ألف وسعة المعسكر اثنا عشر ميلا وقيل أهبطه آدم من الجنة فتوارثوه حتى وقع الى شعيب فدفعه اليه مع العصا وقيل هو الحجر الذي وضع عليه ثوبه حين اغتسل اذ رموه بالأدرة ففر به فقال له جبريل يقول لك الله تعالى ارفع هذا الحجر فان لي فيه قدرة ولك فيه معجزة فحمله في مخلاته واما للجنس أي اضرب الشيء الذي يقال له الحجر وعن الحسن لم يأمره أن يضرب حجرا بعينه قال وهذا أظهر في الحجة وأبين في القدرة وروي أنهم قالوا كيف بنا لو أفضينا الى أرض ليست فيها حجارة فحمل حجرا في مخلاته فحيثما نزلوا ألقاه وقيل كان يضربه بعصاه فينفجر ويضربه بها فييبس فقالوا ان فقد موسى عصاه متنا عطشا فأوحى اليه لا تقرع الحجارة وكلمها تطعك لعلهم يعتبرون وقيل كان من رخام وكان ذراعا في ذراع وقيل مثل رأس الانسان وقيل كان من آس الجنة طوله عشرة أذرع على طول موسى وله شعبتان تتقدان في الظلمة وكان يحمل على حمار (فانفجرت) الفاء متعلقة بمحذوف أي فضرب فانفجرت أو فان ضربت فقد انفجرت كما ذكرنا في قوله فتاب عليكم وهي على هذا فاء فصيحة لا تقع الا في كلام بليغ * وقرئ عشرة بكسر الشين وبفتحها وهما لغتان (كل أناس) كل سبط (مشربهم) عينهم التي يشربون منها (كلوا) على ارادة القول (من رزق الله) مما رزقكم من الطعام وهو المن والسلوى ومن ماء العيون وقيل الماء ينبت منه الزروع والثمار فهو رزق يؤكل منه ويشرب * والعثي أشد الفساد فقيل لهم لا تتمادوا في الفساد في حال فسادكم لأنهم كانوا متمادين فيه * كانوا فلاحة فنزعوا الى عكرهم فأجموا ما كانوا فيه من النعمة وطالبت أنفسهم الشقاء (على طعام واحد) أرادوا ما رزقوا في التيه من المن والسلوى (فان قلت) هما طعامان فما لهم قالوا على طعام واحد (قلت) أرادوا بالواحد ما لا يختلف ولا يتبدل ولو كان على مائدة الرجل ألوان عدة يداوم عليها كل يوم لا يبدلها قيل لا يأكل فلان الا طعاما واحدا يراد بالوحدة نفي التبدل والاختلاف ويجوز أن يريدوا أنهما ضرب واحد لأنهما معا من طعام أهل التلذذ والتترف ونحن قوم فلاحة أهل زراعات فما نريد الا ما ألفناه وضرينا به من الأشياء المتفاوتة كالحبوب والبقول ونحو ذلك ومعنى (يخرج لنا) يظهر لنا ويوجد * والبقل ما أنبتته الأرض من الخضر والمراد به أطايب البقول التي يأكلها الناس كالنعناع والكرفس والكراث وأشباهها * وقرئ وقثائها بالضم * والفوم الحنطة ومنه فوموا لنا أي اخبزوا وقيل الثوم ويدل عليه قراءة ابن مسعود وثومها وهو للعدس والبصل أوفق (الذي هو أدنى) الذي هو أقرب منزلة وأدون مقدارا والدنو والقرب يعبر بهما عن قلة المقدار فيقال هو داني المحل وقريب المنزلة كما يعبر بالبعد عن عكس ذلك فيقال هو بعيد المحل وبعيد الهمة يريدون الرفعة والعلو وقرأ زهير الفرقبي أدنأ بالهمزة من الدناءة (اهبطوا مصرا) وقرئ اهبطوا بالضم أي انحدروا اليه من التيه يقال هبط الوادي اذا نزل به وهبط منه اذا خرج منه وبلاد التيه ما بين بيت المقدس الى قنسرين وهي اثنا عشر فرسخا في ثمانية فراسخ ويحتمل أن يريد العلم وانما صرفه مع اجتماع السببين فيه وهما التعريف والتأنيث لسكون وسطه كقوله ونوحا ولوطا وفيهما العجمة والتعريف وان أريد به البلد فما فيه الا سبب واحد وأن يريد مصرا من الأمصار وفي مصحف عبد الله وقرأه الأعمش اهبطوا مصر بغير تنوين كقوله ادخلوا مصر وقيل هو مصراييم فعرب (وضربت عليهم الذلة) جعلت الذلة محيطة بهم مشتملة عليهم فهم فيها كما يكون في القبة من ضربت عليه أو ألصقت بهم حتى لزمتهم ضربة لازب كما يضرب الطين على الحائط فيلزمه فاليهود صاغرون أذلاء أهل مسكنة ومدقعة اما على الحقيقة واما لتصاغرهم وتفاقرهم خيفة أن تضاعف عليهم الجزية (وباؤا بغضب من الله) من قولك باء فلان بفلان اذا كان حقيقا بأن يقتل به لمساواته له ومكافأته أي صاروا أحقاء بغضبه (ذلك) اشارة الى ما تقدم من ضرب الذلة والمسكنة والحلاقة بالغضب أي ذلك بسبب كفرهم وقتلهم الأنبياء وقد قتلت اليهود لعنوا شعيا وزكريا ويحيى وغيرهم (فان قلت) قتل الأنبياء لا يكون الا بغير الحق فما فائدة ذكره (قلت) معناه أنهم قتلوهم بغير الحق عندهم لأنهم لم يقتلوا ولا أفسدوا في الأرض فيقتلوا وانما نصحوهم ودعوهم الى ما ينفعهم

فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا قد علم كل أناس مشربهم كلوا واشربوا من رزق الله ولا تعثوا في الارض مفسدين واذ قلتم ياموسى لن نصبر على طعام واحد فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الارض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها قال أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير اهبطوا مصرا فان لكم ما سألتم وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباؤا بغضب من الله ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير الحق

الخ) قال أحمد رحمه الله وفيه تهويل للطاهر من حيث وضع الظاهر موضع المضمر وهو مفيد لذلك اذ هو من قبيل الاشهار لهذا المعنى مع امكان الاختصار بالاضمار

فقتلوهم بل قتلوا وأنصفوا من أنفسهم لم يذكروا وجها يستحقون به القتل عندهم وقرأ علي رضي الله عنه ويقتلون بالتشديد (ذلك) تكرار للإشارة (بما عصوا) بسبب ارتكابهم أنواع المعاصي واعتدائهم حدود الله في كل شيء مع كفرهم بآيات الله وقتلهم الأنبياء وقيل هو اعتداؤهم في السبت ويجوز أن يشار بذلك إلى الكفر وقتل الأنبياء على معنى أن ذلك بسبب عصيانهم واعتدائهم لأنهم انهمكوا فيهما وغلوا حتى قست قلوبهم فجسروا على جحود الآيات وقتل الأنبياء أو ذلك الكفر والقتل مع ما عصوا (إن الذين آمنوا) بألسنتهم من غير مواطأة القلوب وهم المنافقون (والذين هادوا) والذين تهودوا يقال هاد يهود وتهود إذا دخل في اليهودية وهو هائد والجمع هود (والنصارى) وهو جمع نصران يقال رجل نصران وامرأة نصرانة قال نصرانة لم تحنف والياء في نصراني للمبالغة كالتي في أحمري سموا لأنهم نصروا المسيح (والصابئين) وهو من صبأ إذا خرج من الدين وهم قوم عدلوا عن دين اليهودية والنصرانية وعبدوا الملائكة (من آمن) من هؤلاء الكفرة إيمانا خالصا ودخل في ملة الإسلام دخولا أصيلا (وعمل صالحا فلهم أجرهم) الذي يستوجبونه بإيمانهم وعملهم (فإن قلت) ما محل من آمن (قلت) الرفع إن جعلته مبتدأ خبره فلهم أجرهم والنصب إن جعلته بدلا من اسم إن والمعطوف عليه فخبر إن في الوجه الأول الجملة كما هي وفي الثاني فلهم أجرهم والفاء لتضمن من معنى الشرط (وإذ أخذنا ميثاقكم) بالعمل على ما في التوراة (ورفعنا فوقكم الطور) حتى قبلتم وأعطيتم الميثاق وذلك أن موسى عليه السلام جاءهم بالألواح فرأوا ما فيها من الآصار والتكاليف الشاقة كبرت عليهم وأبوا قبولها فأمر جبريل فقلع الطور من أصله ورفعه وظلله فوقهم وقال لهم موسى إن قبلتم وإلا ألقي عليكم حتى قبلوا (خذوا) على إرادة القول (ما آتيناكم) من الكتاب (بقوة) بجد وعزيمة (واذكروا ما فيه) واحفظوا ما في الكتاب وادرسوه ولا تنسوه ولا تغفلوا عنه (لعلكم تتقون) رجاء منكم أن تكونوا متقين أو قلنا خذوا واذكروا إرادة أن تتقوا (ثم توليتم) ثم أعرضتم عن الميثاق والوفاء به (فلولا فضل الله عليكم) بتوفيقكم للتوبة لخسرتم وقرئ خذوا ما آتيناكم وتذكروا واذكروا (السبت) مصدر سبتت اليهود إذا عظمت يوم السبت وإن ناسا منهم اعتدوا فيه أي جاوزوا ما حد لهم فيه من التجرد للعبادة وتعظيمه واشتغلوا بالصيد وذلك أن الله ابتلاهم فما كان يبقى حوت في البحر إلا أخرج خرطومه يوم السبت فإذا مضى تفرقت كما قال تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا ويوم لا يسبتون لا تأتيهم كذلك نبلوهم فحفروا حياضا عند البحر وشرعوا إليها الجداول وكانت الحيتان تدخلها فيصطادونها يوم الأحد فذلك الحبس في الحياض هو اعتداؤهم (قردة خاسئين) خبران أي كونوا جامعين بين القردية والخسوء وهو الصغار والطرد (فجعلناها) يعني المسخة (نكالا) عبرة تنكل من اعتبر بها أي تمنعه ومنه النكل للقيد (لما بين يديها) لما قبلها (وما خلفها) وما بعدها من الأمم والقرون لأن مسختهم ذكرت في كتب الأولين فاعتبروا بها واعتبر بها من بلغتهم من الآخرين أو أريد بما بين يديها ما بحضرتها من القرى والأمم وقيل نكالا عقوبة منكلة لما بين يديها لأجل ما تقدمها من ذنوبهم وما تأخر منها (وموعظة للمتقين) للذين نهوهم عن الاعتداء من صالحي قومهم أو لكل متق سمعها * كان في بني إسرائيل شيخ موسر فقتل ابنه بنو أخيه ليرثوه وطرحوه على باب مدينة ثم جاؤوا يطالبون بديته فأمرهم الله أن يذبحوا بقرة ويضربوه ببعضها ليحيا فيخبرهم بقاتله (قالوا أتتخذنا هزوا) أتجعلنا مكان هزو أو أهل هزو أو مهزوا بنا أو الهزو نفسه لفرط الاستهزاء (من الجاهلين) لأن الهزو في مثل هذا من باب الجهل والسفه وقرئ هزؤا بضمتين وهزءا بسكون الزاي نحو كفؤا وكفءا وقرأ حفص هزوا بضمتين والواو وكذلك كفوا * والعباد والأنبياء من واد واحد * في قراءة عبد الله سل لنا ربك ما هي سؤال عن حالها وصفتها وذلك أنهم تعجبوا من بقرة ميتة يضرب ببعضها ميت فيحيا فسألوا عن صفة تلك البقرة العجيبة الشأن الخارجة عما عليه البقر * والفارض المسنة وقد فرضت فروضا فهي فارض قال خفاف بن ندبة

لعمري لقد أعطيت ضيفك فارضا * تساق إليه ما تقوم على رجل

وكأنها سميت فارضا لأنها فرضت سنها أي قطعتها وبلغت آخرها * والبكر الفتية * والعوان النصف قال

ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون وإذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه لعلكم تتقون ثم توليتم من بعد ذلك فلولا فضل الله عليكم ورحمته لكنتم من الخاسرين ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين فجعلناها نكالا لما بين يديها وما خلفها وموعظة للمتقين وإذ قال موسى لقومه إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة قالوا أتتخذنا هزوا قال أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي قال إنه يقول إنها بقرة لا فارض ولا بكر عوان

* نواعم بين أبكار وعون * وقد عونت (فإن قلت) (بين) يقتضي شيئين فصاعداً فأين جاز دخوله على (ذلك)
(قلت) لأنه في معنى شيئين حيث وقع مشاراً به إلى ما ذكر من الفارض والبكر (فإن قلت) كيف جاز أن يشار
به إلى مؤنثين وإنما هو للإشارة إلى واحد مذكر (قلت) جاز ذلك على تأويل ما ذكر وما تقدم للاختصار
في الكلام كما جعلوا فعل نائباً عن أفعال جمة تذكر قبله تقول للرجل نعم ما فعلت وقد ذكر لك أفعالاً كثيرة
وقصة طويلة كما تقول له ما أحسن ذلك وقد يجري الضمير مجرى اسم الإشارة في هذا قال أبو عبيدة قلت لرؤبة
في قوله

فيها خطوط من سواد وبلق * كأنه في الجلد توليع البهق

إن أردت الخطوط فقل كأنها وإن أردت السواد والبلق فقل كأنهما فقال أردت كأن ذاك ويلك والذي حسن
منه أن أسماء الإشارة تثنيتها وجمعها وتأنيثها ليست على الحقيقة وكذلك الموصولات ولذلك جاء الذي بمعنى
الجمع (ما تؤمرون) أي ما تؤمرونه بمعنى تؤمرون به من قوله أمرتك الخير أو أمركم بمعنى مأموركم تسمية
للمفعول بالمصدر كضرب الأمير * الفقوع أشد ما يكون من الصفرة وأنصعه يقال في التوكيد أصفر فاقع
ووارس كما يقال أسود حالك وحانك وأبيض يقق ولهق وأحمر قانئ وذريحي وأخضر ناضر ومدهام وأورق
خطباني وأرمك رداني (فإن قلت) فاقع ههنا واقع خبراً عن اللون فلم يقع توكيداً لصفراء (قلت) لم يقع خبراً
عن اللون إنما وقع توكيداً لصفراء إلا أنه ارتفع اللون به ارتفاع الفاعل واللون من سببها وملتبس بها فلم
يكن فرق بين قولك صفراء فاقعة وصفراء فاقع لونها (فإن قلت) فهلا قيل صفراء فاقعة وأي فائدة في ذكر
اللون (قلت) الفائدة فيه التوكيد لأن اللون اسم للهيئة وهي الصفرة فكأنه قيل شديدة الصفرة صفرتها
فهو من قولك جد جده وجنونك مجنون وعن وهب إذا نظرت إليها خيل إليك أن شعاع الشمس يخرج
من جلدها * والسرور لذة في القلب عند حصول نفع أو توقعه وعن علي رضي الله عنه من لبس نعلاً
صفراء قل همه لقوله تعالى تسر الناظرين وعن الحسن البصري صفراء فاقع لونها سوداء شديدة السواد
ولعله مستعار من صفة الإبل لأن سوادها تعلوه صفرة وبه فسر قوله تعالى جمالات صفر قال الأعشى

تلك خيلي منه وتلك ركابي * هن صفر أولادها كالزبيب

(ما هي) مرة ثانية تكرير للسؤال عن حالها وصفتها واستكشاف زائد ليزدادوا بياناً لوصفها وعن النبي
صلى الله عليه وسلم لو اعترضوا أدنى بقرة فذبحوها لكفتهم ولكن شددوا فشدد الله عليهم والاستقصاء شؤم
وعن بعض الخلفاء أنه كتب إلى عامله بأن يذهب إلى قوم فيقطع أشجارهم ويهدم دورهم فكتب إليه
بأيهما أبدأ فقال إن قلت لك بقطع الشجر سألتني بأي نوع منها أبدأ وعن عمر بن عبد العزيز إذا أمرتك
أن تعطي فلاناً شاة سألتني أضأن أم معز فإن بينت لك قلت أذكر أم أنثى فإن أخبرتك قلت أسوداء أم
بيضاء فإذا أمرتك بشيء فلا تراجعني وفي الحديث أعظم الناس جرماً من سأل عن شيء لم يحرم فحرم لأجل
مسألته (إن البقر تشابه علينا) أي إن البقر الموصوف بالتعوين والصفرة كثير فاشتبه علينا أيها نذبح
وقرئ تشابه بمعنى تتشابه بطرح التاء وإدغامها في الشين وتشابهت ومتشابهة ومتشابه وقرأ محمد ذو الشامة
إن الباقر يشابه بالياء والتشديد * جاء في الحديث لو لم يستثنوا لما بينت لهم آخر الأبد أي لو لم يقولوا إن شاء
الله * والمعنى إنا لمهتدون إلى البقرة المراد ذبحها أو إلى ما خفي علينا من أمر القاتل (لا ذلول) صفة لبقرة
بمعنى بقرة غير ذلول يعني لم تذلل للكراب وإثارة الأرض ولا هي من النواضح التي يسنى عليها لسقي الحروث
ولا الأولى للنفي والثانية مزيدة لتوكيد الأولى لأن المعنى لا ذلول تثير وتسقي على أن الفعلين صفتان لذلول
كأنه قيل لا ذلول مثيرة وساقية وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي لا ذلول بمعنى لا ذلول هناك أي حيث هي وهو
نفي لذلها ولأن توصف به فيقال هي ذلول ونحوه قولك مررت بقوم لا بخيل ولا جبان أي فيهم أو حيث هم
* وقرئ تسقي بضم التاء من أسقى (مسلمة) سلمها الله من العيوب أو معفاة من العمل سلمها أهلها منه كقوله

أو معبر الظهر ينبي عن وليته * ما حج ربه في الدنيا ولا اعتمرا

أو مخلصة اللون من سلم له كذا إذا خلص له لم يشب صفرتها شيء من الألوان (لا شية فيها) لا لمعة في نقبتها من

بين ذلك فافعلوا ما تؤمرون قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها قال إنه يقول إنها بقرة صفراء فاقع لونها تسر الناظرين قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي إن البقر تشابه علينا وإنا إن شاء الله لمهتدون قال إنه يقول إنها بقرة لا ذلول تثير الأرض ولا تسقي الحرث مسلمة لا شية فيها قالوا الآن

قوله تعالى عوان بين ذلك (قال محمود رحمه الله فإن قلت بين يقتضي شيئين الخ) قال أحمد رحمه الله وقد مر نظير هذا عند قوله فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فجدد به عهدا

لون آخر سوى الصفرة فهي صفراء كلها حتى قرنها وظلفها وهي في الأصل مصدر وشاه وشيا وشية إذا خلط بلونه لونا آخر ومنه ثور موشى القوائم (جئت بالحق) أي بحقيقة وصف البقرة وما بقي إشكال في أمرها (فذبحوها) أي فحصلوا البقرة الجامعة لهذه الأوصاف كلها فذبحوها وقوله (وما كادوا يفعلون) استثقال لاستقصائهم واستبطاء لهم وأنهم لتطويلهم المفرط وكثرة استكشافهم ما كادوا يذبحونها وما كادت تنتهي سؤالاتهم وما كاد ينقطع خيط إسهابهم فيها وتعمقهم وقيل وما كادوا يذبحونها لغلاء ثمنها وقيل لخوف الفضيحة في ظهور القاتل وروي أنه كان في بني إسرائيل شيخ صالح له عجلة فأتى بها الغيضة وقال اللهم إني استودعتكها لابني حتى يكبر وكان برا بوالديه فشبت وكانت من أحسن البقر وأسمنه فساوموها اليتيم وأمه حتى اشتروها بملء مسكها ذهبا وكانت البقرة إذ ذاك بثلاثة دنانير وكانوا طلبوا البقرة الموصوفة أربعين سنة (فإن قلت) كانت البقرة التي تناولها الأمر بقرة من شق البقر غير مخصوصة ثم انقلبت مخصوصة بلون وصفات فذبحوا المخصوصة فما فعل الأمر الأول (قلت) رجع منسوخا لانتقال الحكم إلى البقرة المخصوصة والنسخ قبل الفعل جائز على أن الخطاب كان لأمر امتثالا لهذه البقرة الموصوفة تتناول غيرها ولو وقع الذبح عليها بحكم الخطاب قبل التخصيص لكان امتثالا له فكذلك إذا وقع عليها بعد التخصيص (وإذ قتلتم نفسا) خوطبت الجماعة لوجود القتل فيهم (فادارأتم) فاختلفتم واختصمتم في شأنها لأن المتخاصمين يدرأ بعضهم بعضا أي يدفعه ويزحمه أو تدافعتم بمعنى طرح قتلها بعضكم على بعض فدفع المطروح عليه الطارح أو لأن الطرح في نفسه دفع أو دفع بعضكم بعضا عن البراءة واتهمه (والله مخرج ما كنتم تكتمون) مظهر لا محالة ما كتمتم من أمر القتيل لا يتركه مكتوما (فإن قلت) كيف أعمل مخرج وهو في معنى المضي (قلت) قد حكي ما كان مستقبلا في وقت التدارؤ كما حكي الحاضر في قوله باسط ذراعيه وهذه الجملة اعتراض بين المعطوف والمعطوف عليه وهما ادارأتم وفقلنا والضمير في (اضربوه) إما أن يرجع إلى النفس والتذكير على تأويل الشخص والإنسان وإما إلى القتيل لما دل عليه من قوله ما كنتم تكتمون (ببعضها) ببعض البقرة واختلف في البعض الذي ضرب به فقيل لسانها وقيل فخذها اليمنى وقيل عجبها وقيل العظم الذي يلي الغضروف وهو أصل الأذن وقيل الأذن وقيل البضعة بين الكتفين والمعنى فضربوه فحيي فحذف ذلك لدلالة قوله كذلك يحيي الله الموتى روي أنهم لما ضربوه قام بإذن الله وأوداجه تشخب دما وقال قتلني فلان وفلان لابني عمه ثم سقط ميتا فأخذا وقتلا ولم يورث قاتل بعد ذلك (كذلك يحيي الله الموتى) إما أن يكون خطابا للذين حضروا حياة القتيل بمعنى وقلنا لهم كذلك يحيي الله الموتى يوم القيامة (ويريكم آياته) ودلائله على أنه قادر على كل شيء (لعلكم تعقلون) تعملون على قضية عقولكم وأن من قدر على إحياء نفس واحدة قدر على إحياء الأنفس كلها لعدم الاختصاص حتى لا تنكروا البعث وإما أن يكون خطابا للمنكرين في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم (فإن قلت) هلا أحياه ابتداء ولم شرط في حياته ذبح البقرة وضربه ببعضها (قلت) في الأسباب والشروط حكم وفوائد وإنما شرط ذلك لما في ذبح البقرة من التقرب وأداء التكليف واكتساب الثواب والإشعار بحسن تقديم القربة على الطلب وما في التشديد عليهم لتشديدهم من اللطف لهم ولآخرين في ترك التشديد والمسارعة إلى امتثال أوامر الله تعالى وارتسامها على الفور من غير تفتيش وتكثير سؤال ونفع اليتيم بالتجارة الرابحة والدلالة على بركة البر بالوالدين والشفقة على الأولاد وتجهيل الهازئ بما لا يعلم كنهه ولا يطلع على حقيقته من كلام الحكماء وبيان أن من حق المتقرب إلى ربه أن يتنوق في اختيار ما يتقرب به وأن يختاره فتي السن غير قحم ولا ضرع حسن اللون بريئا من العيوب يونق من ينظر إليه وأن يغالي بثمنه كما روي عن عمر رضي الله عنه أنه ضحى بنجيبة بثلاثمائة دينار وأن الزيادة في الخطاب نسخ له وأن النسخ قبل الفعل جائز وإن لم يجز قبل وقت الفعل وإمكانه لأدائه إلى البداء وليعلم بما أمر من مس الميت بالميت وحصول الحياة عقيبه أن المؤثر هو المسبب لا الأسباب لأن الموتين الحاصلين في الجسمين لا يعقل أن تتولد منهما حياة (فإن قلت) فهلا قصت القصة على ترتيبها وكان حقها أن يقدم ذكر القتيل والضرب ببعض البقرة على الأمر بذبحها وأن

جئت بالحق فذبحوها وما كادوا يفعلون وإذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها والله مخرج ما كنتم تكتمون فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيي الله الموتى ويريكم آياته لعلكم تعقلون

يقال

قصد فيه الإسهاب لزيادة التقريع حتى جعلت القصة الواحدة قصتين كما مر الآن ولا شك أن قوله أو أشد قسوة أدخل في الإسهاب من قول القائل أو أقسى * قوله تعالى وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا

ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار وإن منها لما يشقق فيخرج منه الماء وإن منها لما يهبط من خشية الله وما الله بغافل عما تعملون أفتطمعون أن يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلا بعضهم إلى بعض قالوا أتحدثونهم بما فتح الله عليكم ليحاجوكم به عند ربكم أفلا تعقلون أولا يعلمون أن الله الآية

بة أو دفنتم مساءة د رأتم ثم أمر بذبح البقرة وضربوه ببعضها (قلت) كل قصة من قصص بني إسرائيل إنما تقص تعديداً لما وجد منهم من الجنايات وتقريعاً لهم عليها ولما جدد فيهم من الآيات العظام وهاتان قصتان كل واحدة منهما مستقلة بنوع من التقريع وإن كانتا متصلتين متحدتين فالأولى لتقريعهم على الاستهزاء وترك المسارعة إلى الامتثال وما يتبع ذلك والثانية للتقريع على قتل النفس المحرمة وما يتبعه من الآية العظيمة وإنما قدمت قصة الأمر بذبح البقرة على ذكر القتيل لأنه لو عمل على عكسه لكانت قصة واحدة ولذهب الغرض في تثنية التقريع ولقد روعيت نكتة بعدما استؤنفت الثانية استئناف قصة برأسها أن وصلت بالأولى دلالة على اتحادهما بضمير البقرة لا باسمها الصريح في قوله اضربوه ببعضها حتى تبين أنهما قصتان فيما يرجع إلى التقريع وتثنيته بإخراج الثانية مخرج الاستئناف مع تأخيرها وأنها قصة واحدة بالضمير الراجع إلى البقرة * ومعنى (ثم قست) استبعاد القسوة من بعد ما ذكر مما يوجب لين القلوب ورقتها ونحوه ثم أنتم تمترون * وصفة القلوب بالقسوة والغلظ مثل لنبوها عن الاعتبار وأن المواعظ لا تؤثر فيها و (ذلك) إشارة إلى إحياء القتيل أو إلى جميع ما تقدم من الآيات المعدودة (فهي كالحجارة) فهي في قسوتها مثل الحجارة (أو أشد قسوة) منها وأشد معطوف على الكاف إما على معنى أو مثل أشد قسوة فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه وتعضده قراءة الأعمش بنصب الدال عطفاً على الحجارة وإما على أو هي في أنفسها أشد قسوة والمعنى أن من عرف حالها شبهها بالحجارة أو بجوهر أقسى منها وهو الحديد مثلاً أو من عرفها شبهها بالحجارة أو قال هي أقسى من الحجارة (فإن قلت) لم قيل أشد قسوة وفعل القسوة مما يخرج منه أفعل التفضيل وفعل التعجب (قلت) لكونه أبين وأدل على فرط القسوة ووجه آخر وهو أن لا يقصد معنى الأقسى ولكن قصد وصف القسوة بالشدة كأنه قيل اشتدت قسوة الحجارة وقلوبهم أشد قسوة وقرئ قساوة وترك ضمير المفضل عليه لعدم الالتباس كقولك زيد كريم وعمرو أكرم * وقوله (وإن من الحجارة) بيان لفضل قلوبهم على الحجارة في شدة القسوة وتقرير لقوله أو أشد قسوة وقرئ وإن بالتخفيف وهي إن المخففة من الثقيلة التي تلزمها اللام الفارقة ومنها قوله تعالى وإن كل لما جميع * والتفجر التفتح بالسعة والكثرة وقرأ مالك بن دينار ينفجر بالنون (يشقق) يتشقق وبه قرأ الأعمش والمعنى أن من الحجارة ما فيه خروق واسعة يتدفق منها الماء الكثير الغزير ومنها ما ينشق انشقاقاً بالطول أو بالعرض فينبع منه الماء أيضاً (يهبط) يتردى من أعلى الجبل وقرئ يهبط بضم الباء * والخشية مجاز عن انقيادها لأمر الله تعالى وأنها لا تمتنع على ما يريد فيها وقلوب هؤلاء لا تنقاد ولا تفعل ما أمرت به * وقرئ يعملون بالياء والتاء وهو وعيد (أفتطمعون) الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين (أن يؤمنوا لكم) أن يحدثوا الإيمان لأجل دعوتكم ويستجيبوا لكم كقوله فآمن له لوط يعني اليهود (وقد كان فريق منهم) طائفة فيمن سلف منهم (يسمعون كلام الله) وهو ما يتلونه من التوراة (ثم يحرفونه) كما حرفوا صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وآية الرجم وقيل كان قوم من السبعين المختارين سمعوا كلام الله حين كلم موسى بالطور وما أمر به ونهى ثم قالوا سمعنا الله يقول في آخره إن استطعتم أن تفعلوا هذه الأشياء فافعلوا وإن شئتم فلا تفعلوا فلا بأس وقرئ كلم الله (من بعد ما عقلوه) من بعد ما فهموه وضبطوه بعقولهم ولم تبق لهم شبهة في صحته (وهم يعلمون) أنهم كاذبون مفترون والمعنى إن كفر هؤلاء وحرفوا فلهم سابقة في ذلك (وإذا لقوا) يعني اليهود (قالوا) قال منافقوهم (آمنا) بأنكم على الحق وأن محمداً هو الرسول المبشر به (وإذا خلا بعضهم) الذين لم ينافقوا (إلى بعض) الذين نافقوا (قالوا) عاتبين عليهم (أتحدثونهم بما فتح الله عليكم) بما بين لكم في التوراة من صفة محمد أو قال المنافقون لأعقابهم يرونهم التصلب في دينهم أتحدثونهم إنكاراً عليهم أن يفتحوا عليهم شيئاً في كتابهم فينافقون المؤمنين وينافقون اليهود (ليحاجوكم به عند ربكم) ليحتجوا عليكم بما أنزل ربكم في كتابه جعلوا محاجتهم به وقولهم هو في كتابكم هكذا محاجة عند الله ألا تراك

(قال محمود رحمه الله أي قال منافقوهم الخ) قال أحمد رحمه الله صح عود الضمير في اللفظ إلى جهة واحدة مع اختلاف المرجوع إليه لأنهم صنفان مندرجان في الأول ونظيره قوله تعالى إذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فلا تعضلوهن فالضمير الأول للأزواج والثاني للأولياء وهو راجع إلى جهة واحدة وهي جهة المخاطبين لاشتمالهم على الصنفين جميعاً والله أعلم

قوله تعالى فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم (قال محمود إن قلت ما فائدة قوله بأيديهم الخ) قال أحمد رحمه الله وزعم ما قال الزمخشري في مثل هذا ان فائدته تصوير الحالة في النفس كما وقعت حتى يكاد السامع لذلك أن يكون مشاهداً للهيئة * قوله تعالى وإذ أخذنا ميثاق بني إسرائيل الآية (قال محمود رحمه الله تعالى لا تعبدون خبار في معنى النهي الخ) قال أحمد رحمه الله ووجه الدليل منه ان الاول لو لم يكن في معنى النهي لما حسن (٢٢٢) عطف الامر عليه لا بين الامر والخبر المحض من التنافر ولا كذلك الامر والنهي

يعلم ما يسرون وما يعلنون ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب الا أماني وان هم الا يظنون فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون وقالوا لن تمسنا النار الا أياما معدودة قل أتخذتم عند الله عهدا فلن يخلف الله عهده أم تقولون على الله ما لا تعلمون بلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون والذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون وإذ أخذنا ميثاق بني إسرائيل لا تعبدون الا الله وبالوالدين احسانا وذي القربى واليتامى والمساكين وقولوا للناس حسنا وأقيموا الصلاة وآتوا الزكوة ثم توليتم الا قليلا منكم وأنتم معرضون وإذ أخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون أنفسكم من دياركم

يقول هو في كتاب الله هكذا وهو عند الله هكذا يعني واحد (يعلم) جميع (ما يسرون وما يعلنون) ومن ذلك اسرارهم الكفر واعلانهم الايمان (ومنهم أميون) لا يحسنون الكتب فيطالعوا التوراة ويتحققوا ما فيها (لا يعلمون الكتاب) التوراة (الا أماني) الا ما هم عليه من أمانيهم وأن الله يعفو عنهم ويرحمهم ولا يؤاخذهم بخطاياهم وان آباءهم الانبياء يشفعون لهم وما تمنيهم أحبارهم من أن النار لا تمسهم الا أياما معدودة وقيل الا أكاذيب مختلقة سمعوها من علمائهم فقبلوها على التقليد قال أعرابي لابن دأب في شيء حدث به أهذا شيء رويته أم تمنيته أم اختلقته وقيل الا ما يقرؤن من قوله * تمنى كتاب الله أول ليلة * والاشتقاق من منى اذا قدر لان المتمني يقدر في نفسه ويحزر ما يتمناه وكذلك المختلق والقارئ يقدر أن كلمة كذا بعد كذا و الا أماني من الاستثناء المنقطع وقرئ أماني بالتخفيف * ذكر العلماء الذين عاندوا بالتحريف مع العلم والاستيقان ثم العوام الذين قلدوهم ونبه على أنهم في الضلال سواء لان العالم عليه أن يعمل بعلمه وعلى العامي أن لا يرضى بالتقليد والظن وهو متمكن من العلم (يكتبون الكتاب) المحرف (بأيديهم) تأكيد وهو من مجاز التأكيد كما تقول لمن ينكر معرفة ما كتبه يا هذا كتبته بيمينك هذه (مما يكسبون) من الرشا (الا أياما معدودة) أربعين يوما عدد أيام عبادة العجل وعن مجاهد كانوا يقولون مدة الدنيا سبعة آلاف سنة وانما نعذب مكان كل ألف سنة يوما (فلن يخلف الله) متعلق بمحذوف تقديره ان اتخذتم عند الله عهدا فلن يخلف الله عهده و (أم) اما أن تكون معادلة بمعنى أي الامرين كائن على سبيل التقرير لان العلم واقع بكون أحدهما ويجوز أن تكون منقطعة (بلى) اثبات لما بعد حرف النفي وهو قوله لن تمسنا النار أي بلى تمسكم أبدا بدليل قوله هم فيها خالدون (من كسب سيئة) من السيئات يعني كبيرة من الكبائر (وأحاطت به خطيئته) تلك واستولت عليه كما يحيط العدو ولم يتفص عنها بالتوبة وقرئ خطاياه وخطيآته وقيل في الاحاطة كان ذنبه أغلب من طاعته وسأل رجل الحسن عن الخطيئة فقال سبحان الله ألا أراك ذا لحية وما تدري ما الخطيئة انظر في المصحف فكل آية نهى الله عنها وأخبرك أنه من عمل بها أدخله النار فهي الخطيئة المحيطة (لا تعبدون) خبر في معنى النهي كما تقول تذهب الى فلان تقول له كذا تريد الامر وهو أبلغ من صريح الامر والنهي لانه كأنه سورع الى الامتثال والانتهاء فهو يخبر عنه وتنصره قراءة عبد الله وأبي لا تعبدوا ولا بد من ارادة القول ويدل عليه أيضا قوله وقولوا وقوله (وبالوالدين احسانا) اما أن يقدر وتحسنون بالوالدين احسانا أو وأحسنوا وقيل هو جواب قوله أخذنا ميثاق بني اسرائيل اجراء له مجرى القسم كأنه قيل وإذ أقسمنا عليهم لا تعبدون وقيل معناه أن لا تعبدوا فلما حذفت أن رفع كقوله

* ألا أيهذا الزاجري أحضر الوغى * ويدل عليه قراءة عبد الله أن لا تعبدوا ويحتمل أن لا تعبدوا أن تكون أن فيه مفسرة وأن تكون أن مع الفعل بدلا عن الميثاق كأنه قيل أخذنا ميثاق بني اسرائيل توحيدهم وقرئ بالتاء حكاية لما خوطبوا به وبالياء لانهم غيب (حسنا) قولا هو حسن في نفسه لافراط حسنه وقرئ حسنا وحسنى على المصدر كبشرى (ثم توليتم) على طريقة الالتفات أي توليتم عن الميثاق ورفضتموه (الا قليلا منكم) قيل هم الذين أسلموا منهم (وأنتم معرضون) وأنتم قوم عادتكم الاعراض عن المواثيق والتولية (لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون أنفسكم) لا يفعل ذلك بعضكم ببعض جعل غير الرجل نفسه اذا اتصل به أصلا

لا لتقدمهم في معنى الطلب (قال محمود رحمه الله وقيل هو جواب قوله وإذ أخذنا ميثاق بني اسرائيل الخ) قال أحمد رحمه الله لو قدر القسم مضافا الى المذكورين لكان أوجه فيقول وإذ أقسمتم لا تعبدون الا الله الخ * قوله تعالى وقولوا للناس الآية (قال محمود أي قولا هو حسن في نفسه الخ) قال أحمد وفيه من التأكيد والتخصيص على احسان مقاولة الناس انه وضع المصدر فيه موضع الاسم وهذا انما يستعمل للمبالغة في تأكيد الوصف كرجل عدل وصوم وفطر وقرئ حسنا وهو على هذا من الصفات المشبهة * قوله تعالى ثم أنتم هؤلاء

(قال محمود رحمه الله أدخل ثم استبعادا الخ) قال أحمد رحمه الله وهذا نظير ما تقدم آنفا في قوله تعالى ثم قست قلوبكم الآية (قال محمود رحمه الله والمعنى ثم أنتم بعد ذلك هؤلاء المشاهدون يعني أنكم قوم آخرون غير أولئك الخ) قال أحمد رحمه الله هو بيان لتغير الصفة الموجب لتنزيلهم منزلة المغايرين لهم بالذات * قوله تعالى ففريقا كذبتم الآية (قال محمود رحمه الله إن قلت هلا قيل

ثم أقررتم وأنتم تشهدون ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم وتخرجون فريقا منكم من ديارهم تظاهرون عليهم بالإثم والعدوان وإن يأتوكم أسارى تفادوهم وهو محرم عليكم إخراجهم أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزي في الحيوة الدنيا ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب وما الله بغافل عما تعملون أولئك الذين اشتروا الحيوة الدنيا بالآخرة فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون ولقد آتينا موسى الكتاب وقفينا من بعده بالرسل وآتينا عيسى ابن مريم البينات وأيدناه بروح القدس أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون وقالوا قلوبنا غلف بل لعنهم الله بكفرهم

أصلا أو دينا وقيل إذا قتل غيره فكأنما قتل نفسه لأنه يقتص منه (ثم أقررتم) بالميثاق واعترفتم على أنفسكم بلزومه (وأنتم تشهدون) عليها كقولك فلان مقر على نفسه بكذا شاهد عليها وقيل وأنتم تشهدون اليوم يا معشر اليهود على إقرار أسلافكم بهذا الميثاق (ثم أنتم هؤلاء) استبعاد لما أسند إليهم من القتل والإجلاء والعدوان بعد أخذ الميثاق منهم وإقرارهم وشهادتهم والمعنى ثم أنتم بعد ذلك هؤلاء المشاهدون يعني أنكم قوم آخرون غير أولئك المقرين تنزيلا لتغير الصفة منزلة تغير الذات كما تقول رجعت بغير الوجه الذي خرجت به * وقوله (تقتلون) بيان لقوله (ثم أنتم هؤلاء) وقيل هؤلاء موصول بمعنى الذي * وقرئ تظاهرون بحذف التاء وإدغامها وتتظاهرون بإثباتها وتظهرون بمعنى تتظهرون أي تتعاونون عليهم * وقرئ تفدوهم وتفادوهم وأسرى وأسارى (وهو) ضمير الشأن ويجوز أن يكون مبهما تفسيره (إخراجهم) (أفتؤمنون ببعض الكتاب) أي بالفداء (وتكفرون ببعض) أي بالقتال والإجلاء وذلك أن قريظة كانوا حلفاء الأوس والنضير كانوا حلفاء الخزرج فكان كل فريق يقاتل مع حلفائه وإذا غلبوا خربوا ديارهم وأخرجوهم وإذا أسر رجل من الفريقين جمعوا له حتى يفدوه فعيرتهم العرب وقالت كيف تقاتلونهم ثم تفدونهم فيقولون أمرنا أن نفديهم وحرم علينا قتالهم ولكنا نستحيي أن نذل حلفاءنا * والخزي قتل بني قريظة وأسرهم وإجلاء بني النضير وقيل الجزية وإنما رد من فعل منهم ذلك إلى أشد العذاب لأن عصيانه أشد * وقرئ يردون ويعملون بالياء والتاء (فلا يخفف عنهم) عذاب الدنيا بنقصان الجزية ولا ينصرهم أحد بالدفع عنهم وكذلك عذاب الآخرة (الكتاب) التوراة آتاه إياه جملة واحدة * ويقال قفاه إذا أتبعه من القفا نحو ذنبه من الذنب وقفاه به أتبعه إياه يعني وأرسلنا على أثره الكثير من الرسل كقوله تعالى ثم أرسلنا رسلنا تترى وهم يوشع وأشمويل وشمعون وداود وسليمان وشعيا وأرميا وعزير وحزقيل وإلياس واليسع ويونس وزكريا ويحيى وغيرهم * وقيل (عيسى) بالسريانية أيشوع * و(مريم) بمعنى الخادم وقيل مريم بالعربية من النساء كالزير من الرجال وبه فسر قول رؤبة * قلت لزير لم تصله مريمه * ووزن مريم عند النحويين مفعل لأن فعيلا بفتح الفاء لم يثبت في الأبنية كما ثبت نحو عثير وعليب (البينات) المعجزات الواضحات والحجج كإحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص والإخبار بالمغيبات * وقرئ وآيدناه ومنه آجده بالجيم إذا قواه يقال الحمد لله الذي آجدني بعد ضعف وأوجدني بعد فقر (بروح القدس) بالروح المقدسة كما تقول حاتم الجود ورجل صدق ووصفها بالقدس كما قال وروح منه فوصفه بالاختصاص والتقريب للكرامة وقيل لأنه لم تضمه الأصلاب والأرحام الطوامث وقيل بجبريل وقيل بالإنجيل كما قال في القرآن روحا من أمرنا وقيل باسم الله الأعظم الذي كان يحيي الموتى بذكره والمعنى ولقد آتينا يا بني إسرائيل أنبياءكم ما آتيناهم (أفكلما جاءكم رسول) منهم بالحق (استكبرتم) عن الإيمان به فوسط بين الفاء وما تعلقت به همزة التوبيخ والتعجيب من شأنهم ويجوز أن يريد ولقد آتيناهم ما آتيناهم ففعلتم ما فعلتم ثم وبخهم على ذلك ودخول الفاء لعطفه على المقدر (فإن قلت) هلا قيل وفريقا قتلتم (قلت) هو على وجهين أن تراد الحال الماضية لأن الأمر فظيع فأريد استحضاره في النفوس وتصويره في القلوب وأن يراد وفريقا تقتلونهم بعد لأنكم تحومون حول قتل محمد صلى الله عليه وسلم لولا أني أعصمه منكم ولذلك سحرتموه وسممتم له الشاة وقال صلى الله عليه وسلم عند موته ما زالت أكلة خيبر تعادني فهذا أوان قطعت أبهري (غلف) جمع أغلف أي هي خلقة وجبلة مغشاة بأغطية لا يتوصل إليها ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم ولا تفقهه مستعار من الأغلف الذي لم يختن كقولهم

وفريقا تقتلون الخ) قال أحمد رحمه الله والتعبير بالمضارع بعد قصد المضي كقوله تعالى ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فعبر بالماضي ثم قال فتصبح الأرض مخضرة فعدل عنه إلى المضارع إرادة لتصوير استمرارها في النفس وعليه قول ابن معديكرب يصور شجاعته وجرأته

فإني قد لقيت القرن أهوي * بسهب كالصحيفة صحصحان * فآخذه وأضربه فيهوى * صريعا لليدين وللجران

قوله تعالى وقالوا قلوبنا غلف الآية (قال محمود رحمه الله ثم رد الله أن تكون قلوبهم مخلوقة الخ) قال أحمد رحمه الله وهذا من نوائب الزمخشري على تنزيل الآيات على عقائدهم الباطلة وأنى له ذلك في الكتاب العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ألا تراه كيف أخذ من رد الله على هذه الطائفة أن تكون قلوبهم مخلوقة على الكفر أن الكفر والامتناع من قبول الحق هم خلقوه لأنفسهم تمهيدا لقاعدته الفاسدة في خلق الأعمال وسبيل الرد عليه أن الله تعالى إنما كذبهم ورد عليهم في ادعائهم عدم الاستطاعة للإيمان وسلب التمكن وعللوا ذلك بأن قلوبهم غلف وصدق الله ورسوله في أنه تعالى خلقهم على الفطرة والتمكن من الإيمان والتأتي والتيسر له وأنهم اختاروا الكفر على الإيمان فوقع اختيارهم للكفر مقرونا بخلق الله تعالى إياه في قلوبهم بعد ما أنشأهم على الفطرة فقيام حجة الله تعالى عليهم (٢٢٤) بأنه خلقهم متمكنين من الإيمان غير مقسورين على الكفر وذلك لا ينافي توحيد أهل السنة في اعتقاد أن الله تعالى خالق ذلك في قلوبهم عند وفق اختيارهم هذا هو الحق الأبلج والصراط

فقليلا ما يؤمنون ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين بئس ما اشتروا به أنفسهم أن يكفروا بما أنزل الله بغيا أن ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده فباءوا بغضب على غضب وللكافرين عذاب مهين وإذا قيل لهم آمنوا بما أنزل الله قالوا نؤمن بما أنزل علينا ويكفرون بما وراءه وهو الحق مصدقا لما معهم قل فلم تقتلون أنبياء الله من قبل إن كنتم مؤمنين ولقد جاءكم

فلو ساق أكنة كما تدعونه إليه ثم رد الله أن تكون قلوبهم مخلوقة كذلك لأنها خلقت على الفطرة والتمكن من قبول الحق بأن الله لعنهم وخذلهم بسبب كفرهم فهم الذين غلفوا قلوبهم بما أحدثوا من الكفر الزائغ عن الفطرة وتسببوا بذلك لمنع الألطاف التي تكون للمتوقع إيمانهم وللمؤمنين (فقليلا ما يؤمنون) فإيمانا قليلا يؤمنون وما مزيدة وهو إيمانهم ببعض الكتاب ويجوز أن تكون القلة بمعنى العدم وقيل غلف تخفيف غلف جمع غلاف أي قلوبنا أوعية للعلم فنحن مستغنون بما عندنا عن غيره وروي عن أبي عمرو قلوبنا غلف بضمتين (كتاب من عند الله) هو القرآن (مصدق لما معهم) من كتابهم لا يخالفه وقرئ مصدقا على الحال (فإن قلت) كيف جاز نصبها عن النكرة (قلت) إذا وصف النكرة تخصص فصح انتصاب الحال عنه وقد وصف كتاب بقوله من عند الله وجواب لما محذوف وهو نحو كذبوا به واستهانوا بمجيئه وما أشبه ذلك (يستفتحون على الذين كفروا) يستنصرون على المشركين إذا قاتلوهم قالوا اللهم انصرنا بالنبي المبعوث في آخر الزمان الذي نجد نعته وصفته في التوراة ويقولون لأعدائهم من المشركين قد أظل زمان نبي يخرج بتصديق ما قلنا فنقتلكم معه قتل عاد وإرم وقيل معنى يستفتحون يفتحون عليهم ويعرفونهم أن نبيا يبعث منهم قد قرب أوانه والسين للمبالغة أي يسألون أنفسهم الفتح عليهم كالسين في استعجب واستسخر أو يسأل بعضهم بعضا أن يفتح عليهم (فلما جاءهم ما عرفوا) من الحق (كفروا به) بغيا وحسدا وحرصا على الرياسة (فلعنة الله على الكافرين) أي عليهم وضعا للظاهر موضع المضمر للدلالة على أن اللعنة لحقتهم لكفرهم واللام للعهد ويجوز أن تكون للجنس ويدخلوا فيه دخولا أوليا (ما) نكرة منصوبة مفسرة لفاعل بئس بمعنى بئس شيئا (اشتروا به أنفسهم) والمخصوص بالذم (أن يكفروا) واشتروا بمعنى باعوا (بغيا) حسدا وطلبا لما ليس لهم وهو علة اشتروا (أن ينزل) لأن ينزل أو على أن ينزل أي حسدوه على أن ينزل الله (من فضله) الذي هو الوحي (على من يشاء) وتقتضي حكمته إرساله (فباءوا بغضب على غضب) فصاروا أحقاء بغضب مترادف لأنهم كفروا بنبي الحق وبغوا عليه وقيل كفروا بمحمد بعد عيسى وقيل بعد قولهم عزير ابن الله وقولهم يد الله مغلولة وغير ذلك من أنواع كفرهم (بما أنزل الله) مطلق فيما أنزل الله من كل كتاب (قالوا نؤمن بما أنزل علينا) مقيد بالتوراة (ويكفرون بما وراءه) أي قالوا ذلك والحال أنهم يكفرون بما وراء التوراة (وهو الحق مصدقا لما معهم) منهم غير مخالف له وفيه رد لمقالتهم لأنهم إذا كفروا بما يوافق التوراة فقد كفروا بها ❊ ثم اعترض عليهم بقتلهم الأنبياء مع ادعائهم الإيمان بالتوراة والتوراة لا تسوغ قتل الأنبياء (وأنتم ظالمون) يجوز أن يكون حالا أي عبدتم العجل وأنتم واضعون العبادة غير موضعها وأن يكون اعتراضا بمعنى وأنتم قوم عادتكم الظلم ❊ وكرر رفع الطور لما نيط به من زيادة ليست مع الأول مع ما فيه من التوكيد

موسى بالبينات ثم اتخذتم العجل من بعده وأنتم ظالمون وإذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة (واسمعوا)

الأبهج والله الموفق وقول الزمخشري إن كفرهم الذي خلقوه لأنفسهم سبب منع الألطاف الله تعالى التي تسبب للمؤمنين حصولها لهم وكانت سببا في خلقهم الإيمان في قلوبهم كل هذا تستر من الإشراك واعتقاد آلهة غير الله تخلق لهم ما شاءت من إيمان وكفر تعالى الله عما يشركون علوا كبيرا قوله تعالى ويكفرون بما وراءه وهو الحق الآية (قال محمود رحمه الله لأنهم إذا كفروا بما يوافق التوراة الخ) قال أحمد رحمه الله وهذه النكتة بعينها هي الموجب لكفر القدرية على أحد قولي مالك والشافعي والقاضي رضي الله عنهم فإن العقائد الصحيحة السنية متلازمة متوافقة يصدق بعضها بعضا فجحد أحدها كفر به ثم كفر بالجميع نسأل الله تعالى العصمة

واسمعوا قالوا سمعنا وعصينا وأشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم قل بئسما يأمركم به إيمانكم إن كنتم مؤمنين قل إن كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس فتمنوا الموت إن كنتم صادقين ولن يتمنوه أبدا بما قدمت أيديهم والله عليم بالظالمين ولتجدنهم أحرص الناس على حيوة ومن الذين أشركوا يود أحدهم لو يعمر ألف سنة

(واسمعوا) ما أمرتم به في التوراة (قالوا سمعنا) قولك (وعصينا) أمرك (فإن قلت) كيف طابق قوله جوابهم (قلت) طابقه من حيث إنه قال لهم اسمعوا وليكن سماعكم سماع تقبل وطاعة فقالوا سمعنا ولكن لا سماع طاعة (وأشربوا في قلوبهم العجل) أي تداخلهم حبه والحرص على عبادته كما يتداخل الثوب الصبغ وقوله في قلوبهم بيان لمكان الإشراب كقوله إنما يأكلون في بطونهم نارا (بكفرهم) بسبب كفرهم (قل بئسما يأمركم به إيمانكم) بالتوراة لأنه ليس في التوراة عبادة العجاجيل وإضافة الأمر إلى إيمانهم تهكم كما قال قوم شعيب أصلاتك تأمرك وكذلك إضافة الإيمان إليهم وقوله (إن كنتم مؤمنين) تشكيك في إيمانهم وقدح في صحة دعواهم له (خالصة) نصب على الحال من الدار الآخرة والمراد الجنة أي سالمة لكم خاصة بكم ليس لأحد سواكم فيها حق يعني إن صح قولكم لن يدخل الجنة إلا من كان هودا و(الناس) للجنس وقيل للعهد وهم المسلمون (فتمنوا الموت) لأن من أيقن أنه من أهل الجنة اشتاق إليها وتمنى سرعة الوصول إلى النعيم والتخلص من الدار ذات الشوائب كما روى عن المبشرين بالجنة ما روى كان علي رضي الله عنه يطوف بين الصفين في غلالة فقال له ابنه الحسن ما هذا بزي المحاربين فقال يا بني لا يبالي أبوك على الموت سقط أم عليه سقط الموت وعن حذيفة رضي الله عنه أنه كان يتمنى الموت فلما احتضر قال حبيب جاء على فاقة لا أفلح من ندم يعني على التمني وقال عمار بصفين الآن ألاقي الأحبة محمدا وحزبه وكان كل واحد من العشرة يحب الموت ويحن إليه وعن النبي صلى الله عليه وسلم لو تمنوا الموت لغص كل إنسان بريقه فمات مكانه وما بقي على وجه الأرض يهودي (بما قدمت أيديهم) بما أسلفوا من موجبات النار من الكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم وبما جاء به وتحريف كتاب الله وسائر أنواع الكفر والعصيان وقوله (ولن يتمنوه أبدا) من المعجزات لأنه إخبار بالغيب وكان كما أخبر به كقوله ولن تفعلوا (فإن قلت) ما أدراك أنهم لم يتمنوا (قلت) لأنهم لو تمنوا لنقل ذلك كما نقل سائر الحوادث ولكان ناقلوه من أهل الكتاب وغيرهم من أولي المطاعن في الإسلام أكثر من الذر وليس منهم أحد نقل ذلك (فإن قلت) التمني من أعمال القلوب وهو سر لا يطلع عليه أحد فمن أين علمت أنهم لم يتمنوا (قلت) ليس التمني من أعمال القلوب إنما هو قول الإنسان بلسانه ليت لي كذا فإذا قاله قالوا تمنى وليت كلمة التمني ومحال أن يقع التحدي بما في الضمائر والقلوب ولو كان التمني بالقلوب وتمنوا لقالوا قد تمنينا الموت في قلوبنا ولم ينقل أنهم قالوا ذلك (فإن قلت) لم يقولوه لأنهم علموا أنهم لا يصدقون (قلت) كم حكى عنهم من أشياء قالوها من الافتراء على الله وتحريف كتابه وغير ذلك مما علموا أنهم غير مصدقين فيه ولا محمل له إلا الكذب البحت ولم يبالوا فكيف يمتنعون من أن يقولوا إن التمني من أفعال القلوب وقد فعلناه مع احتمال أن يكونوا صادقين في قولهم وإخبارهم عن ضمائرهم وكان الرجل يخبر عن نفسه بالإيمان فيصدق مع احتمال أن يكون كاذبا لأنه أمر خاف لا سبيل إلى الاطلاع عليه (والله عليم بالظالمين) تهديد لهم (ولتجدنهم) هو من وجد بمعنى علم المتعدي إلى مفعولين في قولهم وجدت زيدا ذا الحفاظ ومفعولاه هم (أحرص) (فإن قلت) لم قال (على حيوة) بالتنكير (قلت) لأنه أراد حياة مخصوصة وهي الحياة المتطاولة ولذلك كانت القراءة بها أوقع من قراءة أبي على الحياة (ومن الذين أشركوا) محمول على المعنى لأن معنى أحرص الناس أحرص من الناس (فإن قلت) ألم يدخل الذين أشركوا تحت الناس (قلت) بلى ولكنهم أفردوا بالذكر لأن حرصهم شديد ويجوز أن يراد وأحرص من الذين أشركوا فحذف لدلالة أحرص الناس عليه وفيه توبيخ عظيم لأن الذين أشركوا لا يؤمنون بعاقبة ولا يعرفون إلا الحياة الدنيا فحرصهم عليها لا يستبعد لأنها جنتهم فإذا زاد عليهم في الحرص من له كتاب وهو مقر بالجزاء كان حقيقا بأعظم التوبيخ (فإن قلت) لم زاد حرصهم على حرص المشركين (قلت) لأنهم علموا لعلمهم بحالهم أنهم صائرون إلى النار لا محالة والمشركون لا يعلمون ذلك وقيل أراد بالذين أشركوا المجوس لأنهم كانوا يقولون لملوكهم عش ألف نيروز وألف مهرجان وعن ابن عباس رضي الله عنه هو قول الأعاجم زي هزار سال وقيل ومن الذين أشركوا كلام مبتدأ أي ومنهم ناس (يود أحدهم) على حذف الموصوف كقوله وما منا إلا له مقام معلوم والذين

قوله تعالى قل من كان عدوا لجبريل الآية (قال محمود رحمه الله إن قلت كان حق الكلام أن يقال على قلبي الخ) قال أحمد رحمه الله الحكاية مرة تكون مع التزام اللفظ ومرة تكون بالمعنى غير متقيدة باللفظ فلعل الأمر في هذه الآية توجه على النبي عليه السلام أن يحكي معنى قول الله تعالى له من كان عدوا لجبريل فإنه نزله على قلبك لا لفظ الكلام ونظير هذا قوله تعالى ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن خلقهن العزيز (٢٢٦) العليم الذي جعل لكم الأرض مهدا إلى قوله والذي نزل من السماء ماء بقدر فأنشرنا به بلدة ميتا ونظر ما وقع بعد القول المنسوب إليهم مما يفهم أنه قول الله عز وجل لا على سبيل الحكاية عنهم إذ هم لا يقولون فأنشرنا وإنما يقولون فأنشر على لفظ الغيبة ولكن جاء الكلام حكاية على المعنى لأن معنى قولهم فأنشر الله هو معنى قول الله عز وجل فأنشرنا ولا يستنكر لك أن يجعل هذا من باب الخروج من الغيبة إلى التكلم الذي يسمى التفاتا فإن في هذا مزيدا ومنه قوله تعالى حكاية عن موسى عليه السلام قال علمها عند ربي في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى الذي جعل لكم الأرض إلى قوله فأخرجنا به أزواجا من نبات شتى فأول الكلام يفهم قول موسى وآخره يفهم قول الله تعالى والطريق الجامع في ذلك مقرر به والله أعلم (قال محمود رحمه الله فإن قلت كيف استقام قوله فإنه نزله جزاء الشرط الخ) قال أحمد رحمه الله ويكون دخول الفاء في الجزاء على هذا الوجه مستقيما لسببين أحدهما أنه جملة اسمية والآخر أنه ماض حكمي

وما هو بمزحزحه من العذاب أن يعمر والله بصير بما يعملون قل من كان عدوا لجبريل فإنه نزله على قلبك بإذن الله مصدقا لما بين يديه وهدى وبشرى للمؤمنين من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فإن الله

أشركوا على هذا مشار به إلى اليهود لأنهم قالوا عزير ابن الله. والضمير في (وما هو) لأحدهم و(أن يعمر) فاعل بمزحزحه أي وما أحدهم بمن يزحزحه من النار تعميره وقيل الضمير لما دل عليه يعمر من مصدره وأن يعمر بدل منه ويجوز أن يكون هو مبهما وأن يعمر موضحه والزحزحة التبعيد والإنحاء (فإن قلت) يود أحدهم ما موقعه (قلت) هو بيان لزيادة حرصهم على طريق الاستئناف (فإن قلت) كيف اتصل لو يعمر بيود أحدهم (قلت) هو حكاية لودادتهم ولو في معنى التمني وكان القياس لو أعمر إلا أنه جرى على لفظ الغيبة لقوله يود أحدهم كقولك حلف بالله ليفعلن * وروي أن عبد الله بن صوريا من أحبار فدك حاج رسول الله صلى الله عليه وسلم وسأله عمن يهبط عليه بالوحي فقال جبريل فقال ذاك عدونا ولو كان غيره لآمنا بك وقد عادانا مرارا وأشدها أنه أنزل على نبينا أن بيت المقدس سيخربه بختنصر فبعثنا من يقتله فلقيه ببابل غلاما مسكينا فدفع عنه جبريل وقال إن كان ربكم أمره بهلاككم فإنه لا يسلطكم عليه وإن لم يكن إياه فعلى أي حق تقتلونه وقيل أمره الله تعالى أن يجعل النبوة فينا فجعلها في غيرنا وروي أنه كان لعمر رضي الله عنه أرض بأعلى المدينة وكان ممره على مدارس اليهود فكان يجلس إليهم ويسمع كلامهم فقالوا يا عمر قد أحببناك وإنا لنطمع فيك فقال والله ما آتيكم لحبكم ولا أسألكم لأني شاك في ديني وإنما أدخل عليكم لأزداد بصيرة في أمر محمد صلى الله عليه وسلم وأرى آثاره في كتابكم ثم سألهم عن جبريل فقالوا ذاك عدونا يطلع محمدا على أسرارنا وهو صاحب كل خسف وعذاب وإن ميكائيل يجيء بالخصب والسلام فقال لهم وما منزلتهما من الله تعالى قالوا أقرب منزلة جبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره وميكائيل عدو لجبريل فقال عمر لئن كانا كما تقولون فما هما بعدوين ولأنتم أكفر من الحمير ومن كان عدوا لأحدهما كان عدوا للآخر ومن كان عدوا لهما كان عدوا لله ثم رجع عمر فوجد جبريل قد سبقه بالوحي فقال النبي صلى الله عليه وسلم لقد وافقك ربك يا عمر فقال عمر لقد رأيتني في دين الله بعد ذلك أصلب من الحجر وقرئ جبرئيل بوزن قندعيل وجبرئل بحذف الياء وجبريل بحذف الهمزة وجبريل بوزن قنديل وجبرال بلام شديدة وجبرائيل بوزن جبراعيل وجبرائل بوزن جبراعل ومنع الصرف فيه للتعريف والعجمة وقيل معناه عبد الله * الضمير في (نزله) للقرآن ونحو هذا الإضمار أعني إضمار ما لم يسبق ذكره فيه فخامة لشأن صاحبه حيث يجعل لفرط شهرته كأنه يدل على نفسه ويكتفي عن اسمه الصريح بذكر شيء من صفاته (على قلبك) أي حفظه إياك وفهمكه (بإذن الله) بتيسيره وتسهيله (فإن قلت) كان حق الكلام أن يقال على قلبي (قلت) جاءت على حكاية كلام الله تعالى كما تكلم به كأنه قيل قل ما تكلمت به من قولي من كان عدوا لجبريل فإنه نزله على قلبك (فإن قلت) كيف استقام قوله فإنه نزله جزاء للشرط (قلت) فيه وجهان أحدهما إن عادى جبريل أحد من أهل الكتاب فلا وجه لمعاداته حيث نزل كتابا مصدقا للكتب بين يديه فلو أنصفوا لأحبوه وشكروا له صنيعه في إنزاله ما ينفعهم ويصحح المنزل عليهم والثاني إن عاداه أحد فالسبب في عداوته أنه نزل عليك القرآن مصدقا لكتابهم وموافقا له وهم كارهون للقرآن ولموافقته لكتابهم ولذلك كانوا يحرفونه ويجحدون موافقته له كقولك إن عاداك فلان فقد آذيته وأسأت إليه * أفرد الملكان بالذكر لفضلهما كأنهما من جنس آخر وهو مما ذكر أن التغاير

في الوصف بترك منزلة النعت وقرئ ميكال بوزن قنطار وميكائيل كميكاعيل وميكائل كميكاعل
وميكئل كميكعل وميكئيل كميكعيل قال ابن جني العرب إذا نطقت بالأعجمي خلطت فيه (عدو للكافرين)
أراد عدو لهم فجاء بالظاهر ليدل على أن الله عاداهم لكفرهم وأن عداوة الملائكة كفر وإذا كانت
عداوة الأنبياء كفرا فما بال الملائكة وهم أشرف والمعنى من عاداهم عاداه الله وعاقبه أشد العقاب
(إلا الفاسقون) إلا المتمردون من الكفرة وعن الحسن إذا استعمل الفسق في نوع من المعاصي وقع على أعظم
ذلك النوع من كفر وغيره وعن ابن عباس رضي الله عنه قال ابن صوريا يا رسول الله صلى الله عليه وسلم ما جئتنا
بشيء نعرفه وما أنزل عليك من آية فنتبعك لها فنزلت واللام في الفاسقون للجنس والأحسن أن تكون إشارة
إلى أهل الكتاب (أوكلما) الواو للعطف على محذوف معناه أكفروا بالآيات البينات وكلما عاهدوا وقرأ أبو
السمال بسكون الواو على أن الفاسقين بمعنى الذين فسقوا فكأنه قيل وما يكفر بها إلا الذين فسقوا أو نقضوا
عهد الله مرارا كثيرة وقرئ عوهدوا وعهدوا واليهود موسومون بالغدر ونقض العهود وكم أخذ الله الميثاق
منهم ومن آبائهم فنقضوا وكم عاهدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يفوا الذين عاهدت منهم ثم ينقضون
عهدهم في كل مرة * والنبذ الرمي بالذمام ورفضه * وقرأ عبد الله نقضه (فريق منهم) وقال فريق منهم
لأن منهم من لم ينقض (بل أكثرهم لا يؤمنون) بالتوراة وليسوا من الدين في شيء فلا يعدون نقض
المواثيق ذنبا ولا يبالون به (كتاب الله) يعني التوراة لأنهم بكفرهم برسول الله المصدق لما معهم كافرون
بها نابذون لها وقيل كتاب الله القرآن نبذوه بعد ما لزمهم تلقيه بالقبول (كأنهم لا يعلمون) أنه كتاب
الله لا يداخلهم فيه شك يعني أن علمهم بذلك رصين ولكنهم كابروا وعاندوا ونبذوه وراء ظهورهم مثل لتركهم
وإعراضهم عنه مثل ما يرمى به وراء الظهر استغناء عنه وقلة التفات إليه وعن الشعبي هو بين أيديهم
يقرؤونه ولكنهم نبذوا العمل به وعن سفيان أدرجوه في الديباج والحرير وحلوه بالذهب ولم يحلوا حلاله ولم
يحرموا حرامه (واتبعوا) أي نبذوا كتاب الله واتبعوا (ما تتلوا الشياطين) يعني واتبعوا كتب السحر
والشعوذة التي كانت تقرؤها (على ملك سليمان) أي على عهد ملكه وفي زمانه وذلك أن الشياطين كانوا
يسترقون السمع ثم يضمون إلى ما سمعوا أكاذيب يلفقونها ويلقونها إلى الكهنة وقد دونوها في كتب يقرؤونها
ويعلمونها الناس وفشا ذلك في زمن سليمان عليه السلام حتى قالوا إن الجن تعلم الغيب وكانوا يقولون هذا
علم سليمان وما تم لسليمان ملكه إلا بهذا العلم وبه تسخر الإنس والجن والريح التي تجري بأمره (وما كفر سليمان)
تكذيب للشياطين ودفع لما بهتت به سليمان من اعتقاد السحر والعمل به وسماه كفرا (ولكن الشياطين)
هم الذين (كفروا) باستعمال السحر وتدوينه (يعلمون الناس السحر) يقصدون به إغواءهم وإضلالهم (وما
أنزل على الملكين) عطف على السحر أي ويعلمونهم ما أنزل على الملكين وقيل هو عطف على ما تتلوا أي واتبعوا
ما أنزل (هاروت وماروت) عطف بيان للملكين علمان لهما والذي أنزل عليهما هو علم السحر ابتلاء من الله
للناس من تعلمه منهم وعمل به كان كافرا ومن تجنبه أو تعلمه لا ليعمل به ولكن ليتوقاه ولئلا يغتر به كان مؤمنا
عرفت الشر لا للشر لكن لتوقيه كما ابتلي قوم طالوت بالنهر فمن شرب منه فليس مني ومن لم يطعمه فإنه مني
وقرأ الحسن على الملكين بكسر اللام أي أن المنزل عليهما علم السحر كانا ملكين ببابل * وما يعلم الملكان أحدا
حتى ينبهاه وينصحاه ويقولا له (إنما نحن فتنة) أي ابتلاء واختبار من الله (فلا تكفر) فلا تتعلم معتقدا أنه حق
فتكفر (فيتعلمون) الضمير لما دل عليه من أحد * أي فيتعلم الناس من الملكين (ما يفرقون به بين المرء وزوجه)
أي علم السحر الذي يكون سببا في التفريق بين الزوجين من حيلة وتمويه كالنفث في العقد ونحو ذلك مما
يحدث الله عنده الفرك والنشوز والخلاف ابتلاء منه لأن السحر له أثر في نفسه بدليل قوله تعالى (وما هم
بضارين به من أحد إلا بإذن الله) لأنه ربما أحدث الله عنده فعلا من أفعاله وربما لم يحدث (ويتعلمون
ما يضرهم ولا ينفعهم) لأنهم يقصدون به الشر وفيه أن اجتنابه أصلح كتعلم الفلسفة التي لا يؤمن أن تجر إلى
الغواية * ولقد علم هؤلاء اليهود أن من اشتراه أي استبدل ما تتلوا الشياطين من كتاب الله (ما له في الآخرة

عدو للكافرين ولقد
أنزلنا إليك آيات بينات
وما يكفر بها إلا
الفاسقون أوكلما
عاهدوا عهدا نبذه
فريق منهم بل أكثرهم
لا يؤمنون ولما جاءهم
رسول من عند الله
مصدق لما معهم نبذ
فريق من الذين أوتوا
الكتاب كتاب الله وراء
ظهورهم كأنهم لا يعلمون
واتبعوا ما تتلوا
الشياطين على ملك
سليمان وما كفر سليمان
ولكن الشياطين
كفروا يعلمون الناس
السحر وما أنزل على
الملكين ببابل هاروت
وماروت وما يعلمان
من أحد حتى يقولا إنما
نحن فتنة فلا تكفر
فيتعلمون منهما ما
يفرقون به بين المرء
وزوجه وما هم
بضارين به من أحد
إلا بإذن الله ويتعلمون
ما يضرهم ولا ينفعهم
ولقد علموا لمن اشتراه
ما له في الآخرة

من خلاق) من نصيب (ولبئس ما شروا به أنفسهم) أي باعوها. وقرأ الحسن الشياطون. وعن بعض العرب بستان فلان حوله بساتون، وقد ذكر وجهه فيما بعد. وقرأ الزهري هاروت وماروت بالرفع على هما هاروت وماروت، وهما اسمان أعجميان بدليل منع الصرف، ولو كانا من الهرت والمرت وهو الكسر كما زعم بعضهم لانصرفا. وقرأ طلحة وما يعلمان من أعلم. وقرئ بين المرء بضم الميم وكسرها مع الهمز، والمر بالتشديد على تقدير التخفيف والوقف كقولهم فرج وإجراء الوصل مجرى الوقف. وقرأ الأعمش وما هم بضاري بطرح النون والإضافة إلى أحد والفصل بينهما بالظرف. (فإن قلت) كيف يضاف إلى أحد وهو مجرور بمن؟ (قلت) جعل الجار جزءاً من المجرور. (فإن قلت) كيف أثبت لهم العلم أولاً في قوله ولقد علموا على سبيل التوكيد القسمي ثم نفاه عنهم في قوله لو كانوا يعلمون؟ (قلت) معناه لو كانوا يعملون بعلمهم، جعلهم حين لم يعملوا به كأنهم منسلخون عنه (ولو أنهم آمنوا) برسول الله والقرآن (واتقوا) الله فتركوا ما هم عليه من نبذ كتاب الله واتباع كتب الشياطين (لمثوبة من عند الله خير) وقرئ لمثوبة كمشورة ومشورة (لو كانوا يعلمون) أن ثواب الله خير مما هم فيه وقد علموا، لكنه جهلهم لترك العمل بالعلم. (فإن قلت) كيف أوثرت الجملة الاسمية على الفعلية في جواب لو؟ (قلت) لما في ذلك من الدلالة على ثبات المثوبة واستقرارها، كما عدل عن النصب إلى الرفع في سلام عليكم لذلك. (فإن قلت) فهلا قيل لمثوبة الله خير؟ (قلت) لأن المعنى لشيء من الثواب خير لهم. ويجوز أن يكون قوله ولو أنهم آمنوا تمنياً لإيمانهم على سبيل المجاز عن إرادة الله إيمانهم واختيارهم له، كأنه قيل وليتهم آمنوا، ثم ابتدئ لمثوبة من عند الله خير. كان المسلمون يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم إذا ألقى عليهم شيئاً من العلم راعنا يا رسول الله، أي راقبنا وانتظرنا وتأن بنا حتى نفهمه ونحفظه. وكانت لليهود كلمة يتسابون بها عبرانية أو سريانية وهي راعينا، فلما سمعوا بقول المؤمنين راعنا افترصوه وخاطبوا به الرسول صلى الله عليه وسلم وهم يعنون به تلك المسبة، فنهي المؤمنون عنها وأمروا بما هو في معناها وهو (انظرنا) من نظره إذا انتظره. وقرأ أبي أنظرنا من النظرة أي أمهلنا حتى نحفظ. وقرأ عبد الله بن مسعود راعونا على أنهم كانوا يخاطبونه بلفظ الجمع للتوقير. وقرأ الحسن راعناً بالتنوين من الرعن وهو الهوج، أي لا تقولوا قولاً راعناً منسوباً إلى الرعن بمعنى رعنياً كدارع ولابن، لأنه لما أشبه قولهم راعينا وكان سبباً للسب اتصف بالرعن (واسمعوا) وأحسنوا سماع ما يكلمكم به رسول الله صلى الله عليه وسلم ويلقي عليكم من المسائل بآذان واعية وأذهان حاضرة حتى لا تحتاجوا إلى الاستعادة وطلب المراعاة، أو واسمعوا سماع قبول وطاعة ولا يكن سماعكم مثل سماع اليهود حيث قالوا سمعنا وعصينا، أو واسمعوا ما أمرتم به بجد حتى لا ترجعوا إلى ما نهيتم عنه، تأكيداً عليهم ترك تلك الكلمة. وروي أن سعد بن معاذ سمعها منهم فقال يا أعداء الله عليكم لعنة الله، والذي نفسي بيده لئن سمعتها من رجل منكم يقولها لرسول الله صلى الله عليه وسلم لأضربن عنقه، فقالوا أولستم تقولونها فنزلت (وللكافرين) ولليهود الذين تهاونوا برسول الله صلى الله عليه وسلم وسبوه (عذاب أليم) * من الأولى للبيان لأن الذين كفروا جنس تحته نوعان أهل الكتاب والمشركون، كقوله تعالى لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين، والثانية مزيدة لاستغراق الخير، والثالثة لابتداء الغاية * والخير الوحي، وكذلك الرحمة كقوله تعالى أهم يقسمون رحمة ربك. والمعنى أنهم يرون أنفسهم أحق بأن يوحى إليهم فيحسدونكم وما يحبون أن ينزل عليكم شيء من الوحي (والله يختص) بالنبوة (من يشاء) ولا يشاء إلا ما تقتضيه الحكمة (والله ذو الفضل العظيم) إشعار بأن إيتاء النبوة من الفضل العظيم، كقوله تعالى إن فضله كان عليك كبيراً * روي أنهم طعنوا في النسخ فقالوا ألا ترون إلى محمد يأمر أصحابه بأمر ثم ينهاهم عنه ويأمرهم بخلافه ويقول اليوم قولاً ويرجع عنه غداً فنزلت * وقرئ ما ننسخ من آية وما ننسخ بضم النون من أنسخ أو ننساها. وقرئ ننسها وننسها بالتشديد وتنسها وتنسها على خطاب رسول الله صلى الله عليه وسلم. وقرأ عبد الله ما ننسك من آية أو ننسخها. وقرأ حذيفة ما ننسخ من آية أو ننسكها. ونسخ الآية إزالتها بإبدال أخرى مكانها، وإنساخها الأمر بنسخها، وهو أن يأمر جبريل عليه السلام بأن يجعلها منسوخة بالإعلام بنسخها، ونسؤها تأخيرها

وإذهابها

من خلاق ولبئس ما شروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون ولو أنهم آمنوا واتقوا لمثوبة من عند الله خير لو كانوا يعلمون يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا واسمعوا وللكافرين عذاب أليم ما يود الذين كفروا من أهل الكتاب ولا المشركين أن ينزل عليكم من خير من ربكم والله يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم ما ننسخ من آية أو ننسها

قوله تعالى ولو أنهم آمنوا واتقوا الآية (قال محمود رحمه الله ويجوز أن يكون قوله تعالى آمنوا تمنياً الخ) قال أحمد رحمه الله التمني مجاز عن إرادة الله تعالى لإيمانهم وقواهم من طراز تفسيره المحبة بالإرادة والرد عليه على سبيله ثم

* قوله تعالى حسدا من عند أنفسهم (قال محمود رحمه الله ان قلت بم تعلق قوله من عند أنفسهم الخ) قال أحمد رحمه الله بعد الوجه الثاني دخول عندو يقرب الاول قوله تعالى تلك أمانيهم (قال محمود رحمه الله فان قلت لم قيل تلك أمانيهم وقولهم لن يدخل الجنة أمنية واحدة الخ) قال أحمد رحمه الله بعد هذا الجواب قوله تعالى عقيب ذلك قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون فالبرهان المطلوب منهم ههنا انما هو على صحة دعواهم ان الجنة لا يدخلها غيرهم وتحقيق هذا قوله بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربه وانما ينفي الحصة ونقيضها واردة (٢٢٩) عليهم في نفي غيرهم عن دخولها في هذا دليل بين على ان الاماني المشار اليها ليس الا ما طولبوا بإقامة البرهان على صحته وهو أمنية واحدة والله أعلم والجواب القريب ثم لشدة تمنيهم لهذه الامنية ومعاودتهم لها وتأكدها في نفوسهم جمعت ليفيد جمعها اتساعها وتأكدها في قلوبهم بالغة تمام كل مبلغ والجمع يفيد ذلك وان كان مؤداه واحدا ونظيره قولهم معا جياع فجمعوا الصفة ومؤداها واحد لان موصوفها واحد تأكيدا لثبوتها وتمكنها وهذا المعنى أحد ما روي في قوله تعالى ان هؤلاء لشرذمة قليلون فانه جمع قليلا وقد كان الاصل افراده فيقال لشرذمة قليلة كقوله تعالى كم من فئة قليلة لولا ما قصد اليه من تأكيد معنى القلة بجمعها ووجه افادة الجمع في مثل هذا التأكيد ان الجمع يفيد بوضعه الزيادة في الآحاد فنقل الى تأكيد الواحد وابانة زيادته على نظرائه نقلا مجازيا بديعا فتدبر هذا الفصل فانه من حاشية صناعة البيان والله الموفق

نأت بخير منها أو مثلها ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير ألم تعلم أن الله له ملك السموات والأرض وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير أم تريدون أن تسألوا رسولكم كما سئل موسى من قبل ومن يتبدل الكفر بالايمان فقد ضل سواء السبيل ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم كفارا حسدا من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق فاعفوا واصفحوا حتى يأتي الله بأمره ان الله على كل شيء قدير وأقيموا الصلوة وآتوا الزكوة وما تقدموا لانفسكم من خير تجدوه عند الله ان الله بما تعملون بصير وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا أو نصارى تلك أمانيهم

وإذهابها لا الى بدل وإنساؤها إذهابها عن القلوب والمعنى ان كل آية يذهب بها على ما توجبه المصلحة من ازالة لفظها وحكمها معا أو من ازالة أحدهما الى بدل أو غير بدل (نأت) بآية (خير منها) للعباد أي بآية العمل بها أكثر للثواب (أو مثلها) في ذلك (على كل شيء قدير) فهو يقدر على الخير وما هو خير منه وعلى مثله في الخير (له ملك السموات والأرض) فهو يملك أموركم ويدبرها ويجريها على حسب ما يصلحكم وهو أعلم بما يتعبدكم به من ناسخ ومنسوخ * لما بين لهم أنه مالك أمورهم ومدبرها على حسب مصالحهم من نسخ الآيات وغيره وقررهم على ذلك بقوله ألم تعلم أراد أن يوصيهم بالثقة به فيما هو أصلح لهم مما يتعبدهم به وينزل عليهم وأن لا يقترحوا على رسولهم ما اقترحه آباء اليهود على موسى عليه السلام من الاشياء التي كانت عاقبتها وبالا عليهم كقولهم اجعل لنا الها أرنا الله جهرة وغير ذلك (ومن يتبدل الكفر بالايمان) ومن ترك الثقة بالآيات المنزلة وشك فيها واقترح غيرها (فقد ضل سواء السبيل) * روي أن فنحاص بن عازوراء وزيد بن قيس ونفرا من اليهود قالوا لحذيفة بن اليمان وعمار بن ياسر بعد وقعة أحد ألم تروا ما أصابكم ولو كنتم على الحق ما هزمتم فارجعوا الى ديننا فهو خير لكم وأفضل ونحن أهدى منكم سبيلا فقال عمار كيف نقض العهد فيكم قالوا شديد قال فاني قد عاهدت أن لا أكفر بمحمد ما عشت فقالت اليهود أما هذا فقد صبأ وقال حذيفة وأما أنا فقد رضيت بالله ربا وبمحمد نبيا وبالاسلام دينا وبالقرآن اماما وبالكعبة قبلة وبالمؤمنين اخوانا ثم أتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبراه فقال أصبتما خيرا وأفلحتما فنزلت (فان قلت) بم تعلق قوله (من عند أنفسهم) (قلت) فيه وجهان أحدهما أن يتعلق بود على معنى انهم تمنوا أن ترتدوا عن دينكم وتمنيهم ذلك من عند أنفسهم ومن قبل شهوتهم لا من قبل التدين والميل مع الحق لانهم ودوا ذلك من بعد ما تبين لهم انكم على الحق فكيف يكون تمنيهم من قبل الحق واما أن يتعلق بحسدا أي حسدا متبالغا منبعثا من أصل أنفسهم (فاعفوا واصفحوا) فاسلكوا معهم سبيل العفو والصفح عما يكون منهم من الجهل والعداوة (حتى يأتي الله بأمره) الذي هو قتل بني قريظة واجلاء بني النضير واذلالهم بضرب الجزية عليهم (ان الله على كل شيء قدير) فهو يقدر على الانتقام منهم (من خير) من حسنة صلاة أو صدقة أو غيرهما (تجدوه عند الله) تجدوا ثوابه عند الله (ان الله بما تعملون بصير) عالم لا يضيع عنده عمل عامل * الضمير في (وقالوا) لاهل الكتاب من اليهود والنصارى والمعنى وقالت اليهود لن يدخل الجنة الا من كان هودا وقالت النصارى لن يدخل الجنة الا من كان نصارى فلف بين القولين ثقة بأن السامع يرد الى كل فريق قوله وأمنا من الالباس لما علم من التعادي بين الفريقين وتضليل كل واحد منهما لصاحبه ونحوه وقالوا كونوا هودا أو نصارى تهتدوا * والهود جمع هائد كعائذ وعوذ وبازل وبزل (فان قلت) كيف قيل كان هودا على توحيد الاسم وجمع الخبر (قلت) حمل الاسم على لفظ من والخبر على معناه كقراءة الحسن الا من هو صالو الجحيم وقوله فان له نار جهنم خالدين فيها وقرأ أبي بن كعب الا من كان يهوديا أو نصرانيا (فان قلت) لم قيل (تلك أمانيهم) وقولهم لن يدخل الجنة أمنية واحدة (قلت) أشير بها الى الاماني المذكورة وهو أمنيتهم

أن لا ينزل على المؤمنين خير من ربهم وأمنيتهم أن يردوهم كفارا وأمنيتهم أن لا يدخل الجنة غيرهم أي تلك الأماني الباطلة أمانيهم وقوله قل هاتوا برهانكم متصل بقولهم لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى وتلك أمانيهم اعتراض أو أريد أمثال تلك الأمنية أمانيهم على حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه يريد أن أمانيهم جميعا في البطلان مثل أمنيتهم هذه والأمنية أفعولة من التمني مثل الأضحوكة والأعجوبة (هاتوا برهانكم) هلموا حجتكم على اختصاصكم بدخول الجنة (إن كنتم صادقين) في دعواكم وهذا أهدم شيء لمذهب المقلدين وإن كل قول لا دليل عليه فهو باطل غير ثابت وهات صوت بمنزلة هاء بمعنى أحضر (بلى) إثبات لما نفوه من دخول غيرهم الجنة (من أسلم وجهه لله) من أخلص نفسه له لا يشرك به غيره (وهو محسن) في عمله (فله أجره) الذي يستوجبه (فإن قلت) من أسلم وجهه كيف موقعه (قلت) يجوز أن يكون بلى ردا لقولهم ثم يقع من أسلم كلاما مبتدأ ويكون من متضمنا لمعنى الشرط وجوابه فله أجره وأن يكون من أسلم فاعلا لفعل محذوف أي بلى يدخلها من أسلم ويكون قوله فله أجره كلاما معطوفا على يدخلها من أسلم (على شيء) أي على شيء يصح ويعتد به وهذه مبالغة عظيمة لأن المحال والمعدوم يقع عليهما اسم الشيء فإذا نفى إطلاق اسم الشيء عليه فقد بولغ في ترك الاعتداد به إلى ما ليس بعده وهذا كقولهم أقل من لا شيء (وهم يتلون الكتاب) الواو للحال والكتاب للجنس أي قالوا ذلك وحالهم أنهم من أهل العلم والتلاوة للكتب وحق من حمل التوراة أو الإنجيل أو غيرهما من كتب الله وآمن به أن لا يكفر بالباقي لأن كل واحد من الكتابين مصدق للثاني شاهد بصحته وكذلك كتب الله جميعا متواردة على تصديق بعضها بعضا (كذلك) أي مثل ذلك الذي سمعت به على ذلك المنهاج (قال) الجهلة (الذين) لا علم عندهم ولا كتاب كعبدة الأصنام والمعطلة ونحوهم قالوا لأهل كل دين ليسوا على شيء وهذا توبيخ عظيم لهم حيث نظموا أنفسهم مع علمهم في سلك من لا يعلم وروي أن وفد نجران لما قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاهم أحبار اليهود فتناظروا حتى ارتفعت أصواتهم فقالت اليهود ما أنتم على شيء من الدين وكفروا بعيسى والإنجيل وقالت النصارى لهم نحوه وكفروا بموسى والتوراة (فالله يحكم) بين اليهود والنصارى (يوم القيامة) بما يقسم لكل فريق منهم من العقاب الذي استحقه وعن الحسن حكم الله بينهم أن يكذبهم ويدخلهم النار (أن يذكر) ثاني مفعولي منع لأنك تقول منعته كذا ومثله وما منعنا أن نرسل وما منع الناس أن يؤمنوا ويجوز أن يحذف حرف الجر مع أن ولك أن تنصبه مفعولا له بمعنى منعها كراهة أن يذكر وهو حكم عام لجنس مساجد الله وأن مانعها من ذكر الله مفرط في الظلم والسبب فيه أن النصارى كانوا يطرحون في بيت المقدس الأذى ويمنعون الناس أن يصلوا فيه وأن الروم غزوا أهله فخربوه وأحرقوا التوراة وقتلوا وسبوا وقيل أراد به منع المشركين رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يدخل المسجد الحرام عام الحديبية (فإن قلت) فكيف قيل مساجد الله وإنما وقع المنع والتخريب على مسجد واحد وهو بيت المقدس أو المسجد الحرام (قلت) لا بأس أن يجيء الحكم عاما وإن كان السبب خاصا كما تقول لمن آذى صالحا واحدا ومن أظلم ممن آذى الصالحين وكما قال الله عز وجل ويل لكل همزة لمزة والمنزول فيه الأخنس بن شريق (وسعى في خرابها) بانقطاع الذكر أو بتخريب البنيان وينبغي أن يراد بمن منع العموم كما أريد بمساجد الله ولا يراد الذين منعوا بأعيانهم من أولئك النصارى والمشركين (أولئك) المانعون (ما كان لهم أن يدخلوها) أي ما كان ينبغي لهم أن يدخلوا مساجد الله (إلا خائفين) على حال التهيب وارتعاد الفرائص من المؤمنين أن يبطشوا بهم فضلا أن يستولوا عليها ويلوها ويمنعوا المؤمنين منها والمعنى ما كان الحق والواجب إلا ذلك لولا ظلم الكفرة وعتوهم وقيل ما كان لهم في حكم الله يعني أن الله قد حكم وكتب في اللوح أنه ينصر المؤمنين ويقويهم حتى لا يدخلوها إلا خائفين وروي أنه لا يدخل بيت المقدس أحد من النصارى إلا متنكرا مسارقة وقال قتادة لا يوجد نصراني في بيت المقدس إلا أنهك ضربا وأبلغ إليه في العقوبة وقيل نادى رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا لا يحجن بعد هذا العام مشرك ولا يطوفن بالبيت عريان وقرأ عبد الله إلا خيفا وهو مثل صيم وقد اختلف الفقهاء في دخول الكافر المسجد فجوزه أبو حنيفة رحمه الله ولم يجوزه مالك وفرق الشافعي بين المسجد

قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون وقالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء وهم يتلون الكتاب كذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم فالله يحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعى في خرابها أولئك ما كان لهم أن يدخلوها إلا خائفين لهم في الدنيا

* قوله تعالى وقالت اليهود ليست النصارى على شيء الآية (قال محمود رحمه الله هذه مبالغة عظيمة لأن المحال والمعدوم يقع عليهما اسم الشيء الخ) قال أحمد رحمه الله وتفسيره الشيء مخالف لفريقي أهل السنة والبدعة فإنه عند أهل السنة قاصر على الموجود وعند المعتزلة يطلق على الموجود وعلى المعدوم الذي يصح وجوده فليس متناولا للمحال عندهما وقد تقدم له مثله

خزي ولهم في الآخرة عذاب عظيم ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله ان الله واسع عليم وقالوا اتخذ الله ولدا سبحانه بل له ما في السموات والارض كل له قانتون بديع السموات والارض واذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون وقال الذين لا يعلمون لولا يكلمنا الله أو تأتينا آية كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم تشابهت قلوبهم قد بينا الآيات لقوم يوقنون انا أرسلناك بالحق بشيرا ونذيرا ولا تسئل عن أصحاب الجحيم ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم

الحرام وغيره وقيل معناه النهي عن تمكينهم من الدخول والتخلية بينهم وبينه كقوله وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله (خزي) قتل وسبي أو ذلة بضرب الجزية وقيل فتح مدائنهم قسطنطينية ورومية وعمورية (ولله المشرق والمغرب) أي بلاد المشرق والمغرب والارض كلها له هو مالكها ومتوليها (فأينما تولوا) ففي أي مكان فعلتم التولية يعني تولية وجوهكم شطر القبلة بدليل قوله تعالى فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره (فثم وجه الله) أي جهته التي أمر بها ورضيها والمعنى انكم اذا منعتم أن تصلوا في المسجد الحرام أو في بيت المقدس فقد جعلت لكم الارض مسجدا فصلوا في أي بقعة شئتم من بقاعها وافعلوا التولية فيها فان التولية ممكنة في كل مكان لا يختص امكانها في مسجد دون مسجد ولا في مكان دون مكان (ان الله واسع) الرحمة يريد التوسعة على عباده والتيسير عليهم (عليم) بمصالحهم وعن ابن عمر نزلت في صلاة المسافر على الراحلة أينما توجهت وعن عطاء عميت القبلة على قوم فصلوا الى أنحاء مختلفة فلما أصبحوا تبينوا خطأهم فعذروا وقيل معناه فأينما تولوا للدعاء والذكر ولم يرد الصلاة وقرأ الحسن فأينما تولوا بفتح التاء من التولي يريد فأينما توجهوا القبلة (وقالوا) وقرئ بغير واو يريد الذين قالوا المسيح ابن الله وعزير ابن الله والملائكة بنات الله (سبحانه) تنزيه له عن ذلك وتبعيد (بل له ما في السموات والارض) هو خالقه ومالكه ومن جملته الملائكة وعزير والمسيح (كل له قانتون) منقادون لا يمتنع شئ منهم على تكوينه وتقديره ومشيئته ومن كان بهذه الصفة لم يجانس ومن حق الولد أن يكون من جنس الوالد والتنوين في كل عوض من المضاف اليه أي كل ما في السموات والارض ويجوز أن يراد كل من جعلوه لله ولدا له قانتون مطيعون عابدون مقرون بالربوبية منكرون لما أضافوا اليهم (فان قلت) كيف جاء بما التي لغير أولي العلم مع قوله قانتون (قلت) هو كقوله سبحان ما سخركن لنا وكأنه جاء بما دون من تحقيرا لهم وتصغيرا لشأنهم كقوله وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا * يقال بدع الشئ فهو بديع كقولك بزع الرجل فهو بزيع و(بديع السموات) من اضافة الصفة المشبهة الى فاعلها أي بديع سمواته وأرضه وقيل البديع بمعنى المبدع كما أن السميع في قول عمرو

* أمن ريحانة الداعي السميع * بمعنى المسمع وفيه نظر (كن فيكون) من كان التامة أي احدث فيحدث وهذا مجاز من الكلام وتمثيل ولا قول ثم كما لا قول في قوله * اذ قالت الانساع للبطن الحق * وانما المعنى أن ما قضاه من الامور وأراد كونه فانما يتكون ويدخل تحت الوجود من غير امتناع ولا توقف كما أن المأمور المطيع الذي يؤمر فيمتثل لا يتوقف ولا يمتنع ولا يكون منه الاباء أكد بهذا استبعاد الولادة لان من كان بهذه الصفة من القدرة كانت حاله مباينة لاحوال الاجسام في توالدها وقرئ بديع السموات مجرورا على أنه بدل من الضمير في له وقرأ المنصور بالنصب على المدح (وقال الذين لا يعلمون) وقال الجهلة من المشركين وقيل من أهل الكتاب ونفى عنهم العلم لانهم لم يعملوا به (لولا يكلمنا الله) هلا يكلمنا كما يكلم الملائكة وكلم موسى استكبارا منهم وعتوا (أو تأتينا آية) جحودا لان يكون ما أتاهم من آيات الله آيات واستهانة بها (تشابهت قلوبهم) أي قلوب هؤلاء ومن قبلهم في العمى كقوله أتواصوا به (قد بينا الآيات لقوم) ينصفون فيوقنون أنها آيات يجب الاعتراف بها والاذعان لها والاكتفاء بها عن غيرها (انا أرسلناك) لان تبشر وتنذر لا لتجبر على الايمان وهذه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتسرية عنه لانه كان يغتم ويضيق صدره لاصرارهم وتصميمهم على الكفر (ولا نسألك عن أصحاب الجحيم) ما لهم لم يؤمنوا بعد أن بلغت وبلغت جهدك في دعوتهم كقوله فانما عليك البلاغ وعلينا الحساب وقرئ ولا تسأل على النهي روي أنه قال ليت شعري ما فعل أبواي فنهي عن السؤال عن أحوال الكفرة والاهتمام بأعداء الله وقيل معناه تعظيم ما وقع فيه الكفار من العذاب كما تقول كيف فلان سائلا عن الواقع في بلية فيقال لك لا تسأل عنه ووجه التعظيم أن المستخبر يجزع أن يجري على لسانه ما هو فيه لفظاعته فلا تسأله ولا تكلفه ما يضجره أو أنت يا مستخبر لا تقدر على استماع خبره لايحاشه السامع واضجاره فلا تسأل وتعضد القراءة الاولى قراءة عبد الله ولن تسئل وقراءة أبي وما تسئل * كأنهم قالوا لن نرضى عنك وان أبلغت في طلب رضانا حتى تتبع ملتنا اقناطا منهم لرسول الله صلى الله عليه

وسلم عن دخولهم في الاسلام فحكى الله عز وجل كلامهم ولذلك قال (قل ان هدى الله هو الهدى) على طريقة اجابتهم عن قولهم يعني ان هدى الله الذي هو الاسلام هو الهدى بالحق والذي يصح أن يسمى هدى وهو الهدى كله ليس وراءه هدى وما تدعون الى اتباعه ما هو بهدى انما هو هوى ألا ترى الى قوله (ولئن اتبعت أهواءهم) أي أقوالهم التي هي أهواء وبدع (بعد الذي جاءك من العلم) أي من الدين المعلوم صحته بالبراهين الصحيحة (الذين آتيناهم الكتاب) هم مؤمنو أهل الكتاب (يتلونه حق تلاوته) لا يحرفونه ولا يغيرون ما فيه من نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم (أولئك يؤمنون) بكتابهم دون المحرفين (ومن يكفر به) من المحرفين (فأولئك هم الخاسرون) حيث اشتروا الضلالة بالهدى (واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات) اختبره بأوامر ونواه واختبار الله عبده مجاز عن تمكينه من اختيار أحد الامرين ما يريد الله وما يشتهيه العبد كأنه يمتحنه ما يكون منه حتى يجازيه على حسب ذلك وقرأ أبو حنيفة رضي الله عنه وهي قراءة ابن عباس رضي الله عنه ابراهيم ربه برفع ابراهيم ونصب ربه والمعنى أنه دعاه بكلمات من الدعاء فعل المختبر هل يجيبه اليهن أم لا (فان قلت) الفاعل في القراءة المشهورة يلي المفعول في التقدير فتعلق الضمير به اضمار قبل الذكر (قلت) الاضمار قبل الذكر أن يقال ابتلى ربه ابراهيم فأما ابتلى ابراهيم ربه أو ابتلى ربه ابراهيم فليس واحد منهما باضمار قبل الذكر أما الأول فقد ذكر فيه صاحب الضمير قبل الضمير ذكرا ظاهرا وأما الثاني فابراهيم فيه مقدم في المعنى وليس كذلك ابتلى ربه ابراهيم فان الضمير فيه قد تقدم لفظا ومعنى فلا سبيل الى صحته * والمستكن في (فأتمهن) في احدى القراءتين لابراهيم بمعنى فقام بهن حق القيام وأداهن أحسن التأدية من غير تفريط وتوان ونحوه وابراهيم الذي وفى وفي الأخرى لله تعالى بمعنى فأعطاه ما طلبه لم ينقص منه شيئا ويعضده ما روي عن مقاتل أنه فسر الكلمات بما سأل ابراهيم ربه في قوله رب اجعل هذا بلدا آمنا واجعلنا مسلمين لك وابعث فيهم رسولا منهم ربنا تقبل منا (فان قلت) ما العامل في اذ (قلت) مضمر نحو واذكر اذ ابتلى أو واذ ابتلاه كان كيت وكيت وأما (قال اني جاعلك) (فان قلت) فما موقع قال (قلت) هو على الأول استئناف كأنه قيل فماذا قال له ربه حين أتم الكلمات فقيل قال اني جاعلك للناس اماما وعلى الثاني جملة معطوفة على ما قبلها ويجوز أن يكون بيانا لقوله ابتلى وتفسيرا له فيراد بالكلمات ما ذكره من الامامة وتطهير البيت ورفع قواعده والاسلام قبل ذلك في قوله اذ قال له ربه أسلم وقيل في الكلمات هي خمس في الرأس الفرق وقص الشارب والسواك والمضمضة والاستنشاق وخمس في البدن الختان والاستحداد والاستنجاء وتقليم الأظفار ونتف الابط وقيل ابتلاه بثلاثين من شرائع الاسلام عشر في براءة التائبون العابدون وعشر في الأحزاب ان المسلمين والمسلمات وعشر في المؤمنون وسأل سائل الى قوله والذين هم على صلاتهم يحافظون وقيل هي مناسك الحج كالطواف والسعي والرمي والاحرام والتعريف وغيرهن وقيل ابتلاه بالكوكب والقمر والشمس والختان وذبح ابنه والنار والهجرة * والامام اسم من يؤتم به على زنة الاله كالازار لما يؤتزر به أي يأتمون بك في دينهم (ومن ذريتي) عطف على الكاف كأنه قال وجاعل بعض ذريتي كما يقال لك سأكرمك فتقول وزيدا (لا ينال عهدي الظالمين) وقرئ الظالمون أي من كان ظالما من ذريتك لا يناله استخلافي وعهدي اليه بالامامة وانما ينال من كان عادلا بريئا من الظلم وقالوا في هذا دليل على أن الفاسق لا يصلح للامامة وكيف يصلح لها من لا يجوز حكمه وشهادته ولا تجب طاعته ولا يقبل خبره ولا يقدم للصلاة وكان أبو حنيفة رحمه الله يفتي سرا بوجوب نصرة زيد بن علي رضوان الله عليهما وحمل المال اليه والخروج معه على اللص المتغلب المتسمي بالامام والخليفة كالدوانيقي وأشباهه وقالت له امرأة أشرت على ابني بالخروج مع ابراهيم ومحمد ابني عبد الله بن الحسن حتى قتل فقال ليتني مكان ابنك وكان يقول في المنصور وأشياعه لو أرادوا بناء مسجد وأرادوني على عد آجره لما فعلت وعن ابن عيينة لا يكون الظالم اماما قط وكيف يجوز نصب الظالم للامامة والامام انما هو لكف الظلمة فاذا نصب من كان ظالما في نفسه فقد جاء المثل السائر من استرعى الذئب ظلم * و(البيت) اسم غالب للكعبة كالنجم للثريا (مثابة للناس) مباءة ومرجعا للحجاج والعمار يتفرقون عنه ثم يثوبون اليه أي يثوب اليه أعيان

قل ان هدى الله هو
الهدى ولئن اتبعت
أهواءهم بعد الذي
جاءك من العلم مالك
من الله من ولي ولا نصير
الذين آتيناهم الكتاب
يتلونه حق تلاوته
أولئك يؤمنون به ومن
يكفر به فأولئك هم
الخاسرون يا بني
اسرائيل اذكروا نعمتي
التي أنعمت عليكم وأني
فضلتكم على العالمين
واتقوا يوما لا تجزي
نفس عن نفس شيئا
ولا يقبل منها عدل ولا
تنفعها شفاعة ولا هم
ينصرون واذ ابتلى
ابراهيم ربه بكلمات
فأتمهن قال اني جاعلك
للناس اماما قال ومن
ذريتي قال لا ينال
عهدي الظالمين واذ
جعلنا البيت مثابة للناس

وأمنا واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى وعهدنا الى ابراهيم واسمعيل أن طهرا بيتى للطائفين والعاكفين والركع السجود واذ قال ابراهيم رب اجعل هذا بلدا آمنا وارزق أهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر قال ومن كفر فأمتعه قليلا ثم أضطره الى عذاب النار وبئس المصير واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسمعيل

الذين يزورونه أو أمثالهم (وأمنا) وموضع أمن كقوله حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم ولأن الجانى
يأوى اليه فلا يتعرض له حتى يخرج وقرئ مثابات لانه مثابة لكل من الناس لا يختص به واحد منهم سواء
العاكف فيه والباد (واتخذوا) على ارادة القول أى وقلنا اتخذوا منه موضع صلاة تصلون فيه وهو على وجه
الاختيار والاستحباب دون الوجوب وعن النبى صلى الله عليه وسلم انه أخذ بيد عمر فقال هذا مقام ابراهيم
فقال عمر أفلا نتخذه مصلى فقال لم أومر بذلك فلم تغب الشمس حتى نزلت وعن جابر بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم استلم الحجر ورمل ثلاثة
أشواط ومشى أربعة حتى اذا فرغ عمد الى مقام ابراهيم فصلى خلفه ركعتين وقرأ واتخذوا من مقام ابراهيم
مصلى وقيل مصلى مدعى ومقام ابراهيم الحجر الذى فيه أثر قدميه والموضع الذى كان فيه الحجر حين وضع عليه
قدميه وهو الموضع الذى يسمى مقام ابراهيم وعن عمر رضى الله عنه أنه سأل المطلب بن أبى وداعة هل تدرى
أين كان موضعه الاول قال نعم فأراه موضعه اليوم وعن عطاء مقام ابراهيم عرفة والمزدلفة والجمار لانه قام
فى هذه المواضع ودعا فيها وعن النخعى الحرم كله مقام ابراهيم وقرئ واتخذوا بلفظ الماضى عطفا على جعلنا
أى واتخذ الناس من مكان ابراهيم الذى وسم به لاهتمامه به واسكان ذريته عنده قبلة يصلون اليها (وعهدنا)
أمرناهما (أن طهرا بيتى) بأن طهرا أو أى طهرا والمعنى طهراه من الاوثان والانجاس وطواف الجنب
والحائض والخبائث كلها أو أخلصاه لهؤلاء لا يغشه غيرهم (والعاكفين) المجاورين الذين عكفوا عنده أى
أقاموا لا يبرحون أو المعتكفين ويجوز أن يريد بالعاكفين الواقفين يعنى القائمين فى الصلاة كما قال للطائفين
والقائمين والركع السجود والمعنى للطائفين والمصلين لان القيام والركوع والسجود هيئات المصلى أى اجعل
هذا البلد أو هذا المكان (بلدا آمنا) ذا أمن كقوله عيشة راضية أو آمنا من فيه كقوله ليل نائم (من آمن
منهم) بدل من أهله يعنى وارزق المؤمنين من أهله خاصة (ومن كفر) عطف على من آمن كما عطف ومن
ذريتى على الكاف فى جاعلك (فان قلت) لم خص ابراهيم صلوات الله عليه المؤمنين حتى رد عليه (قلت) قاس
الرزق على الامامة فعرف الفرق بينهما لان الاستخلاف استرعاء يختص بمن ينصح للرعية وأبعد الناس عن
النصيحة الظالم بخلاف الرزق فانه قد يكون استدراجا للمرزوق والزاما للحجة له والمعنى وارزق من كفر فأمتعه
ويجوز أن يكون ومن كفر مبتدأ متضمنا معنى الشرط وقوله فأمتعه جوابا للشرط أى ومن كفر فأنا أمتعه
وقرئ فأمتعه فأضطره فأمتعه الى عذاب النار والمضطر الذى لا يملك الامتناع مما اضطر اليه وقرأ أبى
فنمتعه قليلا ثم نضطره وقرأ يحيى بن وثاب فاضطره بكسر الهمزة وقرأ ابن عباس فأمتعه قليلا ثم اضطره
على لفظ الامر والمراد الدعاء من ابراهيم دعا ربه بذلك (فان قلت) فكيف تقدير الكلام على هذه القراءة
(قلت) فى قال ضمير ابراهيم أى قال ابراهيم بعد مسألته اختصاص المؤمنين بالرزق ومن كفر فأمتعه قليلا ثم
اضطره وقرأ ابن محيصن فأطره بادغام الضاد فى الطاء كما قالوا اطجع وهى لغة مرذولة لان الضاد من
الحروف الخمسة التى يدغم فيها ما يجاورها ولا تدغم هى فيما يجاورها وهى حروف ضم شفر (يرفع) حكاية
حال ماضية و(القواعد) جمع قاعدة وهى الاساس والاصل لما فوقه وهى صفة غالبة ومعناها الثابتة ومنه
قعدك الله أى أسأل الله أن يقعدك أى يثبتك ورفع الاساس البناء عليها لانها اذا بنى عليها نقلت عن هيئة
الانخفاض الى هيئة الارتفاع وتطاولت بعد التقاصر ويجوز أن يكون المراد بها سافات البناء لان كل ساف
قاعدة للذى يبنى عليه ويوضع فوقه ومعنى رفع القواعد رفعها بالبناء لانه اذا وضع ساف فوق ساف فقد رفع
السافات ويجوز أن يكون المعنى واذ يرفع ابراهيم ما قعد من البيت أى استوطأ يعنى جعل هيئته القاعدة
المستوطأة مرتفعة عالية بالبناء وروى أنه كان مؤسسا قبل ابراهيم فبنى على الاساس وروى أن الله تعالى
أنزل البيت ياقوتة من يواقيت الجنة له بابان من زمرد شرقى وغربى وقال لآدم عليه السلام أهبطت لك
ما يطاف به كما يطاف حول عرشى فتوجه آدم من أرض الهند اليه ماشيا وتلقته الملائكة فقالوا بر حجك يا آدم
لقد حججنا هذا البيت قبلك بألفى عام وحج آدم أربعين حجة من أرض الهند الى مكة على رجليه فكان على ذلك

الى أن رفعه الله أيام الطوفان الى السماء الرابعة فهو البيت المعمور ثم ان الله تعالى أمر ابراهيم ببنائه وعرفه جبريل مكانه وقيل بعث الله سحابة أظلته ونودي أن ابن على ظلها لا تزد ولا تنقص وقيل بناه من خمسة أجبل طور سيناء وطور زيتا ولبنان والجودي وأسسه من حراء وجاءه جبريل بالحجر الأسود من السماء وقيل تمخض أبو قبيس فانشق عنه وقد خبئ فيه في أيام الطوفان وكان ياقوتة بيضاء من الجنة فلما لمسته الحيض في الجاهلية اسود وقيل كان ابراهيم يبني واسمعيل يناوله الحجارة (ربنا) أي يقولان ربنا وهذا الفعل في محل النصب على الحال وقد أظهره عبد الله في قراءته ومعناه يرفعانها قائلين ربنا (تقبل منا انك أنت السميع) لدعائنا (العليم) بضمائرنا ونياتنا (فان قلت) هلا قيل قواعد البيت وأي فرق بين العبارتين (قلت) في ابهام القواعد وتبيينها بعد الابهام ما ليس في ايضاحها لما فيه من تفخيم الشأن المبين (مسلمين لك) مخلصين لك أوجهنا من قوله أسلم وجهه لله أو مستسلمين يقال أسلم له وسلم واستسلم اذا خضع وأذعن والمعنى زدنا اخلاصا أو اذعانا لك وقرئ مسلمين على الجمع كأنهما أرادا أنفسهما وهاجر أو أجريا التثنية على حكم الجمع لأنها منه (ومن ذريتنا) واجعل من ذريتنا (أمة مسلمة لك) ومن للتبعيض أو للتبيين كقوله وعد الله الذين آمنوا منكم (فان قلت) لم خصا ذريتهما بالدعاء (قلت) لأنهم أحق بالشفقة والنصيحة قوا أنفسكم وأهليكم نارا ولأن أولاد الأنبياء اذا صلحوا صلح بهم غيرهم وشايعوهم على الخير ألا ترى أن المتقدمين من العلماء والكبراء اذا كانوا على السداد كيف يتسببون لسداد من وراءهم وقيل أرادا بالأمة أمة محمد صلى الله عليه وسلم (وأرنا) منقول من رأى بمعنى أبصر أو عرف ولذلك لم يتجاوز مفعولين أي وبصرنا متعبداتنا في الحج أو عرفناها وقيل مذابحنا وقرئ وأرنا بسكون الراء قياسا على فخذ في فخذ وقد استرذلت لأن الكسرة منقولة من الهمزة الساقطة دليل عليها فاسقاطها اجحاف وقرأ أبو عمرو باشمام الكسرة وقرأ عبد الله وأرهم مناسكهم (وتب علينا) ما فرط منا من الصغائر أو استتابا لذريتهما (وابعث فيهم) في الأمة المسلمة (رسولا منهم) من أنفسهم وروي أنه قيل له قد استجيب لك وهو في آخر الزمان فبعث الله فيهم محمدا صلى الله عليه وسلم قال عليه الصلاة والسلام أنا دعوة أبي ابراهيم وبشرى أخي عيسى ورؤيا أمي (يتلو عليهم آياتك) يقرأ عليهم ويبلغهم ما يوحى اليه من دلائل وحدانيتك وصدق أنبيائك (ويعلمهم الكتاب) القرآن (والحكمة) الشريعة وبيان الأحكام (ويزكيهم) ويطهرهم من الشرك وسائر الأرجاس كقوله ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث (ومن يرغب) انكار واستبعاد لأن يكون في العقلاء من يرغب عن الحق الواضح الذي هو ملة ابراهيم * و(من سفه) في محل الرفع على البدل من الضمير في يرغب وصح البدل لأن من يرغب غير موجب كقولك هل جاءك أحد الا زيد وسفه نفسه امتهنها واستخف بها وأصل السفه الخفة ومنه زمام سفيه وقيل انتصاب النفس على التمييز نحو غبن رأيه وألم رأسه ويجوز أن يكون في شذوذ تعريف المميز نحو قوله ولا بفزارة الشعر الرقابا * أجب الظهر ليس له سنام وقيل معناه سفه في نفسه فحذف الجار كقولهم زيد ظني مقيم أي في ظني والوجه هو الأول وكفى شاهدا له بما جاء في الحديث الكبر أن تسفه الحق وتغمص الناس وذلك أنه اذا رغب عما لا يرغب عنه عاقل قط فقد بالغ في اذالة نفسه وتعجيزها حيث خالف بها كل نفس عاقلة (ولقد اصطفيناه) بيان لخطإ رأي من رغب عن ملته لأن من جمع الكرامة عند الله في الدارين بأن كان صفوته وخيرته في الدنيا وكان مشهودا له بالاستقامة على الخير في الآخرة لم يكن أحد أولى بالرغبة في طريقته منه (اذ قال) ظرف لاصطفيناه أي اخترناه في ذلك الوقت أو انتصب باضمار اذكر استشهادا على ما ذكر من حاله كأنه قيل اذكر ذلك الوقت لتعلم أنه المصطفى الصالح الذي لا يرغب عن ملة مثله * ومعنى قال (له أسلم) أخطر بباله النظر في الدلائل المؤدية الى المعرفة والاسلام (قال أسلمت) أي فنظر وعرف وقيل أسلم أي أذعن وأطع وروي أن عبد الله بن سلام دعا ابني أخيه سلمة ومهاجرا الى الاسلام فقال لهما قد علمتما أن الله تعالى قال في التوراة اني باعث من ولد اسمعيل نبيا اسمه أحمد فمن آمن به فقد اهتدى ورشد ومن لم يؤمن به فهو ملعون فأسلم سلمة وأبى مهاجر أن يسلم فنزلت * قرئ ووصى وأوصى وهي في مصاحف أهل الحجاز والشام * والضمير في (بها) لقوله أسلمت لرب العالمين على تأويل الكلمة والجملة ونحوه رجوع

ربنا تقبل منا انك
أنت السميع العليم
ربنا واجعلنا مسلمين
لك ومن ذريتنا أمة
مسلمة لك وأرنا مناسكنا
وتب علينا انك أنت
التواب الرحيم ربنا
وابعث فيهم رسولا
منهم يتلو عليهم آياتك
ويعلمهم الكتاب
والحكمة ويزكيهم
انك أنت العزيز الحكيم
ومن يرغب عن ملة
ابراهيم الا من سفه
نفسه ولقد اصطفيناه
في الدنيا وانه في الآخرة
لمن الصالحين اذ قال له
ربه أسلم قال أسلمت
لرب العالمين ووصى بها
ابراهيم بنيه

ووصى بها إبراهيم بنيه و يعقوب يا بني إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسمعيل وإسحق إلها واحدا ونحن له مسلمون تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم

ضمير في قوله وجعلها كلمة باقية الى قوله انني براء مما تعبدون الا الذي فطرني وقوله كلمة باقية فيه دليل على ان التأنيث على تأويل الكلمة (ويعقوب) عطف على ابراهيم داخل في حكمه والمعنى ووصى بها يعقوب بنيه أيضا وقرئ ويعقوب بالنصب عطفا على بنيه ومعناه ووصى بها ابراهيم بنيه ونافلته يعقوب (يا بني) على اضمار القول عند البصريين وعند الكوفيين يتعلق بوصى لانه في معنى القول ونحوه قول الشاعر

رجلان من ضبة أخبرانا * انا رأينا رجلا عريانا

بكسر الهمزة فهو بتقدير القول عندنا وعندهم يتعلق بفعل الاخبار وفي قراءة أبي وابن مسعود أن يا بني (اصطفى لكم الدين) أعطاكم الدين الذي هو صفوة الاديان وهو دين الاسلام ووفقكم للاخذ به (فلا تموتن) معناه فلا يكن موتكم الا على حال كونكم ثابتين على الاسلام فالنهي في الحقيقة عن كونهم على خلاف حال الاسلام اذا ماتوا كقولك لا تصل الا وأنت خاشع فلا تنهاه عن الصلاة ولكن عن ترك الخشوع في حال صلاته (فان قلت) فأي نكتة في ادخال حرف النهي على الصلاة وليس بمنهي عنها (قلت) النكتة فيه اظهار أن الصلاة التي لا خشوع فيها كلا صلاة فكأنه قال أنهاك عنها اذا لم تصلها على هذه الحالة ألا ترى الى قوله عليه الصلاة والسلام لا صلاة لجار المسجد الا في المسجد فانه كالتصريح بقولك لجار المسجد لا تصل الا في المسجد وكذلك المعنى في الآية اظهار أن موتهم لا على حال الثبات على الاسلام موت لا خير فيه وأنه ليس بموت السعداء وأن من حق هذا الموت أن لا يحل فيهم وتقول في الامر أيضا مت وأنت شهيد وليس مرادك الامر بالموت ولكن بالكون على صفة الشهداء اذا مات وانما أمرته بالموت اعتدادا منك بميتته واظهارا لفضلها على غيرها وأنها حقيقة بأن يحث عليها (أم كنتم شهداء) هي أم المنقطعة ومعنى الهمزة فيها الانكار والشهداء جمع شهيد بمعنى الحاضر أي ما كنتم حاضرين يعقوب عليه السلام اذ حضره الموت أي حين احتضر والخطاب للمؤمنين بمعنى ما شاهدتم ذلك وانما حصل لكم العلم به من طريق الوحي وقيل الخطاب لليهود لانهم كانوا يقولون ما مات نبي الا على اليهودية الا أنهم لو شهدوه وسمعوا ما قاله لبنيه وما قالوه لظهر لهم حرصه على ملة الاسلام ولما ادعوا عليه اليهودية فالآية منافية لقولهم فكيف يقال لهم أم كنتم شهداء ولكن الوجه أن تكون أم متصلة على أن يقدر قبلها محذوف كأنه قيل أتدعون على الانبياء اليهودية أم كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت يعني أن أوائلكم من بني اسرائيل كانوا مشاهدين له اذ أراد بنيه على التوحيد وملة الاسلام وقد علمتم ذلك فما لكم تدعون على الانبياء ما هم منه برآء وقرئ حضر بكسر الضاد وهي لغة (ما تعبدون) أي شيء تعبدون وما عام في كل شيء واذا علم فرق بما ومن وكفاك دليلا قول العلماء من لما يعقل ولو قيل من تعبدون لم يعم الا أولي العلم وحدهم ويجوز أن يقال ما تعبدون سؤال عن صفة المعبود كما تقول ما زيد تريد أفقيه أم طبيب أم غير ذلك من الصفات * (ابراهيم واسمعيل واسحق) عطف بيان لآبائك وجعل اسمعيل وهو عمه من جملة آبائه لان العم أب والخالة أم لانخراطهما في سلك واحد وهو الاخوة لا تفاوت بينهما ومنه قوله عليه الصلاة والسلام عم الرجل صنو أبيه أي لا تفاوت بينهما كما لا تفاوت بين صنوي النخلة وقال عليه الصلاة والسلام في العباس هذا بقية آبائي وقال ردوا علي أبي فاني أخشى أن تفعل به قريش ما فعلت ثقيف بعروة بن مسعود وقرأ أبي واله ابراهيم بطرح آبائك وقرئ أبيك وفيه وجهان أن يكون واحدا وابراهيم وحده عطف بيان له وأن يكون جمعا بالواو والنون قال وفديننا بالابينا (الها واحدا) بدل من اله آبائك كقوله تعالى بالناصية ناصية كاذبة أو على الاختصاص أي نريد باله آبائك الها واحدا (ونحن له مسلمون) حال من فاعل نعبد أو من مفعوله لرجوع الهاء اليه في له ويجوز أن تكون جملة معطوفة على نعبد وأن تكون جملة اعتراضية مؤكدة أي ومن حالنا أنا له مسلمون مخلصون التوحيد أو مذعنون (تلك)

● قوله تعالى أم كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت (قال محمود رحمه الله الخطاب فيه للمؤمنين بمعنى ما شاهدتم الخ) قال أحمد رحمه الله وانما اختار على هذا التفسير أن تكون متصلة لانه لو جعلها منقطعة كالاول لكان (٢٣٥) مضمون الكلام نفي شهود المخاطبين وهم اليهود على هذا التفسير الثاني لوفاة يعقوب والوصية بالاسلام وحينئذ يكون ذلك كاقامة حجتهم على جحد الاسلام وانكار أن يكون الانبياء مسلمين والغرض ضد ذلك وانما كان الكلام يقتضي النفي حينئذ لان الاستفهام من الله تعالى لا يحمل على ظاهره فيتعين صرفه الى الانكار لان السياق يقتضيه ولهذا كان نفيا لشهود المخاطبين وفاة يعقوب ووصيته على التفسير الاول لانها والمراد خطاب اليهود المعاصرين للنبي عليه الصلاة والسلام فانما يخاطب به أوائلهم وتنزيلا لاوائلهم ورضاهم منزلة حضورهم وخطابهم كقوله تعالى واذ قتلتم نفسا واذ قلتم يا موسى الى أشباه ذلك فاذا كانت أم متصلة والخطاب لليهود فقد جرى الامر في خطابهم على المعتاد واذا كانت منقطعة انعكس الامر

ولا تسئلون عما كانوا يعملون وقالوا كونوا هودا أو نصارى تهتدوا قل بل ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين قولوا آمنا بالله وما أنزل الينا وما أنزل الى ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون فان آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا وان تولوا فانما هم في شقاق فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة ونحن له عابدون قل أتحاجوننا في الله

اشارة الى الامة المذكورة التي هي ابراهيم ويعقوب وبنوهم الموحدون * والمعنى ان أحدا لا ينفعه كسب غيره متقدما كان أو متأخرا فكما أن أولئك لا ينفعهم الا ما اكتسبوا فكذلك أنتم لا ينفعكم الا ما اكتسبتم وذلك أنهم افتخروا بأوائلهم ونحوه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم يا بني هاشم لا يأتيني الناس بأعمالهم وتأتوني بأنسابكم (ولا تسألون عما كانوا يعملون) ولا تؤاخذون بسيئاتهم كما لا تنفعكم حسناتهم (بل ملة ابراهيم) بل نكون ملة ابراهيم أي أهل ملته كقول عدي بن حاتم اني من دين يريد من أهل دين وقيل بل نتبع ملة ابراهيم وقرئ ملة ابراهيم بالرفع أي ملته ملتنا أو أمرنا ملته أو نحن ملته بمعنى أهل ملته و(حنيفا) حال من المضاف اليه كقولك رأيت وجه هند قائمة والحنيف المائل عن كل دين باطل الى دين الحق والحنف الميل في القدمين وتحنف اذا مال وأنشد

ولكنا خلقنا اذ خلقنا * حنيفا ديننا عن كل دين

(وما كان من المشركين) تعريض بأهل الكتاب وغيرهم لان كلا منهم يدعي اتباع ابراهيم وهو على الشرك (قولوا) خطاب للمؤمنين ويجوز أن يكون خطابا للكافرين أي قولوا لتكونوا على الحق والا فأنتم على الباطل وكذلك قوله بل ملة ابراهيم يجوز أن يكون على بل اتبعوا أنتم ملة ابراهيم أو كونوا أهل ملته والسبط الحافد وكان الحسن والحسين سبطي رسول الله صلى الله عليه وسلم (والاسباط) حفدة يعقوب ذراري ابنائه الاثني عشر (لا نفرق بين أحد منهم) لا نؤمن ببعض ونكفر ببعض كما فعلت اليهود والنصارى وأحد في معنى الجماعة ولذلك صح دخول بين عليه (بمثل ما آمنتم به) من باب التبكيت لان دين الحق واحد لا مثل له وهو دين الاسلام ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه فلا يوجد اذا دين آخر يماثل دين الاسلام في كونه حقا حتى ان آمنوا بذلك الدين المماثل له كانوا مهتدين فقيل فان آمنوا بكلمة الشك على سبيل الفرض والتقدير أي فان حصلوا دينا آخر مثل دينكم مساويا له في الصحة والسداد فقد اهتدوا وفيه أن دينهم الذي هم عليه وكل دين سواه مغاير له غير مماثل لانه حق وهدى وما سواه باطل وضلال ونحو هذا قولك للرجل الذي تشير عليه هذا هو الرأي الصواب فان كان عندك رأي أصوب منه فاعمل به وقد علمت أن لا أصوب من رأيك ولكنك تريد تبكيت صاحبك وتوقيفه على ان ما رأيت لا رأي وراءه ويجوز أن لا تكون الباء صلة وتكون باء الاستعانة كقولك كتبت بالقلم وعملت بالقدوم أي فان دخلوا في الايمان بشهادة مثل شهادتكم التي آمنتم بها وقرأ ابن عباس وابن مسعود بما آمنتم به وقرأ أبي بالذي آمنتم به (وان تولوا) عما تقولون لهم ولم ينصفوا فما هم الا (في شقاق) أي في مناواة ومعاندة لا غير وليسوا من طلب الحق في شيء أو وان تولوا عن الشهادة والدخول في الايمان بها (فسيكفيكهم الله) ضمان من الله لاظهار رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم وقد انجز وعده بقتل قريظة وسبيهم واجلاء بني النضير ومعنى السين أن ذلك كائن لا محالة وان تأخر الى حين (وهو السميع العليم) وعيد لهم أي يسمع ما ينطقون به ويعلم ما يضمرون من الحسد والغل وهو معاقبهم عليه أو وعد لرسول الله صلى الله عليه وسلم بمعنى يسمع ما تدعو به ويعلم نيتك وما تريده من اظهار دين الحق وهو مستجيب لك وموصلك الى مرادك (صبغة الله) مصدر مؤكد منتصب عن قوله آمنا بالله كما انتصب وعد الله عما تقدمه وهي فعلة من صبغ كالجلسة من جلس وهي الحالة التي يقع عليها الصبغ والمعنى تطهير الله لان الايمان يطهر النفوس والاصل فيه أن النصارى كانوا يغمسون أولادهم في ماء أصفر يسمونه المعمودية ويقولون هو تطهير لهم واذا فعل الواحد منهم بولده ذلك قال الآن صار نصرانيا حقا فأمر المسلمون بأن يقولوا لهم قولوا آمنا بالله وصبغنا الله بالايمان صبغة لا مثل صبغتنا وطهرنا به تطهيرا لا مثل تطهيرنا أو يقول المسلمون صبغنا الله بالايمان صبغته ولم نصبغ صبغتكم وانما جيء بلفظ الصبغة على طريقة المشاكلة كما تقول لمن يغرس الاشجار اغرس كما يغرس فلان تريد رجلا يصطنع الكرم (ومن أحسن من الله صبغة) يعني انه يصبغ عباده بالايمان ويطهرهم به من أوضار الكفر فلا صبغة أحسن من صبغته * وقوله (ونحن له عابدون) عطف على آمنا بالله وهذا العطف يرد قول من زعم ان صبغة الله بدل من ملة ابراهيم أو نصب على الاغراء بمعنى عليكم صبغة الله لما فيه من فك النظم واخراج الكلام عن التئامه واتساقه وانتصابه على انه

* قوله تعالى لا نفرق بين أحد منهم (قال محمود رحمه الله وأحد في معنى الجماعة الخ) قال أحمد رحمه الله وفيه دليل على ان النكرة الواقعة في سياق النفي تفيد العموم لفظا حتى يتنزل المفرد فيها منزلة الجمع في تناوله الآحاد مطابقة لا كما ظنه بعض الاصوليين من أن مدلولها بطريق المطابقة في النفي كمدلولها في الاثبات وذلك لدلالة على الماهية وانما لزم فيها العموم من حيث ان سلب الماهية يستوجب سلب الافراد لما بين الاعم والاخص من التلازم في جانب النفي

مصدر

اذ سلب الأعم أخص من سلب الأخص فيستلزمه فلو كان لفظا ما لا اشعار له بالتعدد والعموم وضعا لما جاز دخول بين عليها * قوله تعالى سيقول السفهاء (قال محمود رحمه الله تعالى أى فائدة فى الاخبار بقولهم قبل وقوعه الخ) قال أحمد رحمه الله تعالى ولهذه النكتة أجرى من حرر النظار فى ادراج مناظراتهم العمل بالنص الذى هو كالجواب عن معارضة كذا فسيقول ذو المعارض قبل ذكر الخصم له وهى نكتة بديعة أحسن ما يستدل على صحتها بهذه الآية فتفطن لها فانها من الملح * قوله تعالى وكذلك جعلناكم أمة وسطا (قال محمود رحمه الله وقيل للخيار وسط الخ) قال أحمد رحمه الله وهذا مما قضى المجاز فيه التعميم * قوله تعالى ويكون الرسول عليكم شهيدا (قال محمود رحمه الله فان قلت فهلا قيل لكم شهيدا وشهادته لهم لا عليهم الخ) قال أحمد

وهو ربنا وربكم ولنا أعمالنا ولكم أعمالكم ونحن له مخلصون أم تقولون ان ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط كانوا هودا أو نصارى قل أأنتم أعلم أم الله ومن أظلم ممن كتم شهادة عنده من الله وما الله بغافل عما تعملون تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسئلون عما كانوا يعملون سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التى كانوا عليها قل لله المشرق والمغرب يهدى من يشاء الى صراط مستقيم وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس

مصدر مؤكد هو الذى ذكره سيبويه والقول ما قالت حذام * وقرأ زيد بن ثابت أتحاجونا بادغام النون والمعنى أتجادلوننا فى شأن الله واصطفائه النبى من العرب دونكم وتقولون لو أنزل الله على أحد لأنزل علينا وترونكم أحق بالنبوة منا (وهو ربنا وربكم) نشترك جميعا فى أنا عباده وهو ربنا وهو يصيب برحمته وكرامته من يشاء من عباده هم فوضى فى ذلك لا يختص به عجمى دون عربى اذا كان أهلا للكرامة (ولنا أعمالنا ولكم أعمالكم) يعنى أن العمل هو أساس الامر وبه العبرة وكما أن لكم أعمالا يعتبرها الله فى اعطاء الكرامة ومنعها فنحن كذلك * ثم قال (ونحن له مخلصون) فجاء بما هو سبب الكرامة أى ونحن له موحدون نخلصه بالايمان فلا تستبعدوا أن يؤهل أهل اخلاصه لكرامته بالنبوة وكانوا يقولون نحن أحق بأن تكون النبوة فينا لانا أهل الكتاب والعرب عبدة أوثان (أم تقولون) يحتمل فيمن قرأ بالتاء أن تكون أم معادلة للهمزة فى أتحاجوننا بمعنى أى الامرين تأتون المحاجة فى حكمة الله أم ادعاء اليهودية والنصرانية على الانبياء والمراد بالاستفهام عنهما انكارهما معا وأن تكون منقطعة بمعنى بل أتقولون والهمزة للانكار أيضا وفيمن قرأ بالياء لا تكون الا منقطعة (قل أأنتم أعلم أم الله) يعنى أن الله شهد لهم بملة الاسلام فى قوله ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما (ومن أظلم ممن كتم شهادة عنده من الله) أى كتم شهادة الله التى عنده أنه شهد بها وهى شهادته لابراهيم بالحنيفية ويحتمل معنيين أحدهما أن أهل الكتاب لا أحد أظلم منهم لانهم كتموا هذه الشهادة وهم عالمون بها والثانى أنا لو كتمنا هذه الشهادة لم يكن أحد أظلم منا فلا نكتمها وفيه تعريض بكتمانهم شهادة الله لمحمد صلى الله عليه وسلم بالنبوة فى كتبهم وسائر شهاداته ومن فى قوله شهادة عنده من الله مثلها فى قولك هذه شهادة منى لفلان اذا شهدت له ومثله براءة من الله ورسوله (سيقول السفهاء) الخفاف الاحلام وهم اليهود لكراهتهم التوجه الى الكعبة وأنهم لا يرون النسخ وقيل المنافقون لحرصهم على الطعن والاستهزاء وقيل المشركون قالوا رغب عن قبلة آبائه ثم رجع اليها والله ليرجعن الى دينهم (فان قلت) أى فائدة فى الاخبار بقولهم قبل وقوعه (قلت) فائدته أن مفاجأة المكروه أشد والعلم به قبل وقوعه أبعد من الاضطراب اذا وقع لما يتقدمه من توطين النفس وأن الجواب العتيد قبل الحاجة اليه أقطع للخصم وأرد لشغبه وقبل الرمى يراش السهم (ما ولاهم) ما صرفهم (عن قبلتهم) وهى بيت المقدس (قل لله المشرق والمغرب) أى بلاد المشرق والمغرب والارض كلها (يهدى من يشاء) من أهلها (الى صراط مستقيم) وهو ما توجبه الحكمة والمصلحة من توجيههم تارة الى بيت المقدس وأخرى الى الكعبة (وكذلك جعلناكم) ومثل ذلك الجعل العجيب جعلناكم (أمة وسطا) خيارا وهى صفة بالاسم الذى هو وسط الشئ ولذلك استوى فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث ونحوه قوله عليه السلام وأنشدوا الثنية يريد الوسيطة بين الحمينة والجبهاء وصفا بالشئ وهو وسط النهر الا أنه ألحق تاء التأنيث مراعاة لحق الوصف وقيل للخيار وسط لان الاطراف يتسارع اليها الخلل والاعوار والاوساط محمية محوطة ومنه قول الطائى

كانت هى الوسط المحمى فاكتنفت * بها الحوادث حتى أصبحت طرفا

وقد اكتريت بمكة جمل أعرابى للحج فقال أعطنى من سطاتهنه أراد من خيار الدنانير أو عدولا لان الوسط عدل بين الاطراف ليس الى بعضها أقرب من بعض (لتكونوا شهداء على الناس) روى أن الامم يوم القيامة يجحدون تبليغ الانبياء فيطالب الله الانبياء بالبينة على أنهم قد بلغوا وهو أعلم فيؤتى بأمة محمد صلى الله عليه وسلم فيشهدون فتقول الامم من أين عرفتم فيقولون علمنا ذلك باخبار الله فى كتابه الناطق على لسان نبيه الصادق فيؤتى بمحمد صلى الله عليه وسلم فيسئل عن حال أمته فيزكيهم ويشهد بعدالتهم وذلك قوله تعالى فكيف اذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا (فان قلت) فهلا قيل لكم شهيدا وشهادته لهم لا عليهم (قلت) لما كان الشهيد كالرقيب والمهيمن على المشهود له جئ بكلمة الاستعلاء ومنه قوله تعالى

الله على كل شيء شهيد كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيد وقيل لتكونوا شهداء على الناس في الدنيا فيما لا يصح الا بشهادة العدول الاخيار (ويكون الرسول عليكم شهيدا) يزكيكم ويعلم بعدالتكم (فان قلت) لم أخرت صلة الشهادة أولا وقدمت آخرا (قلت) لان الغرض في الاول اثبات شهادتهم على الامم وفي الآخر اختصاصهم بكون الرسول شهيدا عليهم (التي كنت عليها) ليست بصفة للقبلة انما هي ثاني مفعولي جعل يريد وما جعلنا القبلة الجهة التي كنت عليها وهي الكعبة لان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يصلي بمكة الى الكعبة ثم أمر بالصلاة الى صخرة بيت المقدس بعد الهجرة تألفا لليهود ثم حول الى الكعبة فيقول وما جعلنا القبلة التي تجب أن تستقبلها الجهة التي كنت عليها أولا بمكة يعني وما رددناك اليها الا امتحانا للناس وابتلاء (لنعلم) الثابت على الاسلام الصادق فيه ممن هو على حرف ينكص (على عقبيه) لقلقه فيرتد كقوله وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا الآية ويجوز أن يكون بيانا للحكمة في جعل بيت المقدس قبلته يعني أن أصل أمرك أن تستقبل الكعبة وان استقبالك بيت المقدس كان أمرا عارضا لغرض وانما جعلنا القبلة الجهة التي كنت عليها قبل وقتك هذا وهي بيت المقدس لنمتحن الناس وننظر من يتبع الرسول منهم ومن لا يتبعه وينفر عنه وعن ابن عباس رضي الله عنه كانت قبلته بمكة بيت المقدس الا أنه كان يجعل الكعبة بينه وبينه (فان قلت) كيف قال لنعلم ولم يزل عالما بذلك (قلت) معناه لنعلمه علما يتعلق به الجزاء وهو أن يعلمه موجودا حاصلا ونحوه ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين وقيل ليعلم رسول الله والمؤمنون وانما أسند علمهم الى ذاته لانهم خواصه وأهل الزلفى عنده وقيل معناه لنميز التابع من الناكص كما قال ليميز الله الخبيث من الطيب فوضع العلم موضع التمييز لان العلم به يقع التمييز به (وان كانت لكبيرة) هي ان المخففة التي تلزمها اللام الفارقة والضمير في كانت لما دل عليه قوله وما جعلنا القبلة التي كنت عليها من الردة أو التحويلة أو الجعلة ويجوز أن يكون للقبلة لكبيرة لثقيلة شاقة (الا على الذين هدى الله) الا على الثابتين الصادقين في اتباع الرسول الذين لطف الله بهم وكانوا أهلا للطفه (وما كان الله ليضيع ايمانكم) أي ثباتكم على الايمان وأنكم لم تزلوا ولم ترتابوا بل شكر صنيعكم وأعد لكم الثواب العظيم ويجوز أن يراد وما كان الله ليترك تحويلكم لعلمه أن تركه مفسدة واضاعة لايمانكم وقيل من كان صلى الى بيت المقدس قبل التحويل فصلاته غير ضائعة عن ابن عباس رضي الله عنه لما وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الكعبة قالوا كيف بمن مات قبل التحويل من اخواننا فنزلت (لرؤف رحيم) لا يضيع أجورهم ولا يترك ما يصلحهم ويحكى عن الحجاج أنه قال للحسن ما رأيك في أبي تراب فقرأ قوله الا على الذين هدى الله ثم قال وعلي منهم وهو ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وختنه على ابنته وأقرب الناس اليه وأحبهم وقرئ الا ليعلم على البناء للمفعول ومعنى العلم المعرفة ويجوز أن يكون من متضمنة لمعنى الاستفهام معلقا عنها العلم كقولك علمت أزيد في الدار أم عمرو وقرأ ابن أبي اسحق على عقبيه بسكون القاف وقرأ اليزيدي لكبيرة بالرفع ووجهها أن تكون كان مزيدة كما في قوله * وجيران لنا كانوا كرام * والاصل وان هي الكبيرة كقولك ان زيدا لمنطلق ثم وان كانت لكبيرة وقرئ ليضيع بالتشديد (قد نرى) ربما نرى ومعناه كثرة الرؤية كقوله * قد أترك القرن مصفرا أنامله *

رحمه الله ٣ وجه الاستدلال بالآية أنه وصف الله تعالى في أولها بالرقيب وفي آخرها بالشهيد على وجه التخصيص أولا ثم التعميم ثانيا وعلى ما يقتضيه التعميم والتخصيص مع اتفاق مؤدى الرقيب والشهيد والآية في مثل قول لقمان ان أشكره كنت محسنا الى وأنت بكل أحد محسن وكأنه قال كنت أنت الرقيب عليهم وكان ذلك مخصوصا بالرقيب بهم لان بني اسرائيل أراد بهم عيسى هو وأهله حتى يبقى وهم المخصوصة فقال في المقدر (٢٣٨) وأنت على كل شيء كذلك فوضع شهيدا موضع كذلك اشارة الى رقيبه فلا يتم الاستدلال بها الا على هذا الوجه وفيه غموض على كثير من الافهام والله الموفق (قال محمود رحمه الله فان قلت لم أخرت صلة الشهادة أولا وقدمت آخرا الخ) قال أحمد رحمه الله لان المنة عليهم في الطرفين وفي الاول بثبوت كونهم شهداء وفي الثاني بثبوت كونهم مشهودا لهم بالتزكية خصوصا من هذا الرسول المعظم ولو قدم شهيد لانتقل الغرض الى الامتنان على النبي عليه الصلاة والسلام بأنه شهيد وسياق الخطاب لهم والامتنان عليهم يأباه وانما أخذ الزمخشري الاختصاص من التقديم لان فيه اشعارا بالاهمية والعناية وكثير ما يجري أي ذلك في أثناء كلامه وفيه نظر * قوله تعالى قد نرى تقلب وجهك في السماء (قال محمود رحمه الله معناه كثرة الرؤية الخ) قال أحمد رحمه الله وهذا من المواضع التي تبالغ العرب فيها بالتعبير عن المعنى بضد عبارته ومنه ربما يود الذين كفروا والمراد كثرة مودتهم للاسلام في القيامة وعند معاينة جزائه وثوابه وكذلك وقد تعلمون أني رسول الله اليكم ومراده اظهار عنادهم بأن علمهم برسالته يقيني مؤكد ومع ذلك يكفرون به

ويكون الرسول عليكم شهيدا وما جعلنا القبلة التي كنت عليها الا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه وان كانت لكبيرة الا على الذين هدى الله وما كان الله ليضيع ايمانكم ان الله بالناس لرؤف رحيم قد نرى

٣ (قوله لمحشي وجه الاستدلال بالآية أنه وصف الخ) فيه انتقال نظر لا يخفى فليحرر اه مصححه

قوله تعالى فول وجهك شطر المسجد الحرام (قال محمود رحمه الله الشطر النحو والسمت الخ) قال أحمد رحمه الله وقد نقل أصحاب المالكية خلافا في المذهب في الواجب فقيل الجهة وقيل العين وهذا مع البعد وأما حيث يشاهد الكعبة في المسجد الحرام فمن خرج عن السمت لم يصح صلاته قولا واحدا ثم انهم على كل واحد من القولين استشكال أما على قول العين فيلزم أن لا تصح صلاة الصف المستقيم المستطيل زيادة على مسامتة الكعبة شرفها الله تعالى لانا نعلم بالضرورة أن لو شاهدنا أن بعضهم يصلي إلى غيرها ولا يبقى معها بذلك على هذا التقدير كل الجواز في مثل هذا مع البعد متفق عليه وأما على قول الجهة فيلزم تجويز صلاة المكان ٢٢٩ في الشمال مثلا إلى الجهات الثلاث لانها كلها جهات الكعبة والسمت غير مراعى على هذا المذهب وانما جاء هذا الغلط من عدم التمييز بين مراعاة الجهة والسمت ولقد ميز بينهما أبو حامد الغزالي رحمه الله في كتاب الاحياء فلا نطول بذكره ولتحقيق عند الغزالي أن المعتبر مع البعد الجهة لا السمت * قوله تعالى وما أنت بتابع قبلتهم (قال محمود رحمه الله إن قلت لم جاء على التوحيد وهما قبلتان الخ) قال أحمد رحمه الله ومثل هذا ما أجيب به عن قوله تعالى لن نصبر على طعام واحد مع انه متعدد وهو المن والسلوى فقيل انهم أرادوا انه ما من طعام لترفه وآثروا طعام الفلاحة والاختلاف فلم تعد الطعامان المذكوران في الرفاهية جعلوهما طعاما واحدا وهذا المعنى في انكار الطعام أبلغ لانهم لم يكتفوا في انكاره بقولهم لن نصبر على طعام حتى أكدوه بقولهم واحد وللزمخشري عنه جواب آخر سلف بمكانه

تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره وان الذين أوتوا الكتاب ليعلمون أنه الحق من ربهم وما الله بغافل عما يعملون ولئن أتيت الذين أوتوا الكتاب بكل آية ما تبعوا قبلتك وما أنت بتابع قبلتهم وما بعضهم بتابع قبلة بعض ولئن اتبعت أهواءهم من بعد ما جاءك من العلم انك اذا لمن الظالمين الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم

(تقلب وجهك) تردد وجهك وتصرف نظرك في جهة السماء وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتوقع من ربه أن يحوله إلى الكعبة لانها قبلة أبيه ابراهيم وأدعى للعرب إلى الايمان لانها مفخرتهم ومزارهم ومطافهم ولمخالفة اليهود فكان يراعي نزول جبريل عليه السلام والوحي بالتحويل (فلنولينك) فلنعطينك ولنمكننك من استقباله من قولك وليته كذا اذا جعلته واليا له أو فلنجعلنك تلي سمتها دون سمت بيت المقدس (ترضاها) تحبها وتميل اليها لاغراضك الصحيحة التي أضمرتها ووافقت مشيئة الله وحكمته (شطر المسجد الحرام) نحوه قال * وأطعن بالقوم شطر الملوك * وقرأ أبي تلقاء المسجد الحرام وعن البراء بن عازب قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فصلى نحو بيت المقدس ستة عشر شهرا ثم وجه إلى الكعبة وقيل كان ذلك في رجب بعد زوال الشمس قبل قتال بدر بشهرين ورسول الله صلى الله عليه وسلم في مسجد بني سلمة وقد صلى بأصحابه ركعتين من صلاة الظهر فتحول في الصلاة واستقبل الميزاب وحول الرجال مكان النساء والنساء مكان الرجال فسمي المسجد مسجد القبلتين وشطر المسجد نصب على الظرف أي اجعل تولية الوجه تلقاء المسجد أي في جهته وسمته لان استقبال عين القبلة فيه حرج عظيم على البعيد وذكر المسجد الحرام دون الكعبة دليل على أن الواجب مراعاة الجهة دون العين (ليعلمون أنه الحق) أن التحويل إلى الكعبة هو الحق لانه كان في بشارة أنبيائهم برسول الله أنه يصلي إلى القبلتين (يعملون) قرئ بالياء والتاء (ما تبعوا) جواب القسم المحذوف سد مسد جواب الشرط * بكل آية بكل برهان قاطع أن التوجه إلى الكعبة هو الحق ما تبعوا (قبلتك) لان تركهم اتباعك ليس عن شبهة تزيلها بايراد الحجة انما هو عن مكابرة وعناد مع علمهم بما في كتبهم من نعتك أنك على الحق (وما أنت بتابع قبلتهم) حسم لاطماعهم اذ كانوا ماجوا في ذلك وقالوا لو ثبت على قبلتنا لكنا نرجو أن يكون صاحبنا الذي ننتظره وطمعوا في رجوعه إلى قبلتهم وقرئ بتابع قبلتهم على الاضافة (وما بعضهم بتابع قبلة بعض) يعني أنهم مع اتفاقهم على مخالفتك مختلفون في شأن القبلة لا يرجى اتفاقهم كما لا ترجى موافقتهم لك وذلك أن اليهود تستقبل بيت المقدس والنصارى مطلع الشمس أخبر عز وجل عن تصلب كل حزب فيما هو فيه وثباته عليه فالمحق منهم لا يزل عن مذهبه لتمسكه بالبرهان والمبطل لا يقلع عن باطله لشدة شكيمته في عناده * وقوله (ولئن اتبعت أهواءهم) بعد الافصاح عن حقيقة حاله المعلومة عنده في قوله وما أنت بتابع قبلتهم كلام وارد على سبيل الفرض والتقدير بمعنى ولئن اتبعتهم مثلا بعد وضوح البرهان والاحاطة بحقيقة الامر (انك اذا لمن الظالمين) المرتكبين الظلم الفاحش وفي ذلك لطف للسامعين وزيادة تحذير واستفظاع لحال من يترك الدليل بعد انارته ويتبع الهوى وتهييج والهاب للثبات على الحق (فان قلت) كيف قال وما أنت بتابع قبلتهم ولهم قبلتان لليهود قبلة وللنصارى قبلة (قلت) كلتا القبلتين باطلة مخالفة لقبلة الحق فكانتا بحكم الاتحاد في البطلان قبلة واحدة (يعرفونه) يعرفون رسول الله صلى الله عليه وسلم معرفة جلية يميزون بينه وبين غيره بالوصف المعين المشخص (كما يعرفون أبناءهم) لا يشتبه عليهم أبناؤهم وأبناء غيرهم وعن عمر رضي الله عنه أنه سأل عبد الله بن سلام عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

فقال أنا أعلم به منى بابنى قال ولم قال لأنى لست أشك فى محمد أنه نبى فأما ولدى فلعل والدته خانت فقبل عمر رأسه وجاز الاضمار وإن لم يسبق له ذكر لأن الكلام يدل عليه ولا يلتبس على السامع ومثل هذا الاضمار فيه تفخيم واشعار بأنه لشهرته وكونه علما معلوما بغير اعلام وقيل الضمير للعلم أو للقرآن أو لتحويل القبلة وقوله كما يعرفون أبناءهم يشهد للأول وينصره الحديث عن عبد الله بن سلام (فان قلت) لم اختص الأبناء (قلت) لأن الذكور أشهر وأعرف وهم لصحبة الآباء ألزم وبقلوبهم ألصق وقال (فريقا منهم) استثناء لمن آمن منهم أو لجهالهم الذين قال فيهم ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب (الحق من ربك) يحتمل أن يكون الحق خبر مبتدأ محذوف أى هو الحق أو مبتدأ خبره من ربك وفيه وجهان أن يكون اللام للعهد والاشارة الى الحق الذى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم أو الى الحق الذى فى قوله ليكتمون الحق أى هذا الذى يكتمونه هو الحق من ربك وأن تكون للجنس على معنى الحق من الله لا من غيره يعنى أن الحق ما ثبت أنه من الله كالذى أنت عليه وما لم يثبت أنه من الله كالذى عليه أهل الكتاب فهو الباطل (فان قلت) اذا جعلت الحق خبر مبتدأ فما محل من ربك (قلت) يجوز أن يكون خبرا بعد خبر وأن يكون حالا وقرأ على رضى الله عنه الحق من ربك على الابدال من الأول أى يكتمون الحق من ربك (فلا تكونن من الممترين) الشاكين فى كتمانهم الحق مع علمهم أو فى أنه من ربك (ولكل) من أهل الأديان المختلفة (وجهة) قبلة وفى قراءة أبى ولكل قبلة (هو موليها) وجهه فحذف أحد المفعولين وقيل هو لله تعالى أى الله موليها اياه وقرئ ولكل وجهة على الاضافة والمعنى وكل وجهة الله موليها فزيدت اللام لتقدم المفعول كقولك لزيد ضربت ولزيد أبوه ضاربه وقرأ ابن عامر هو مولاها أى هو مولى تلك الجهة قد وليها والمعنى لكل أمة قبلة تتوجه اليها منكم ومن غيركم (فاستبقوا) أنتم (الخيرات) واستبقوا اليها غيركم من أمر القبلة وغيره ومعنى آخر وهو أن يراد ولكل منكم يا أمة محمد وجهة أى جهة يصلى اليها جنوبية أو شمالية أو شرقية أو غربية فاستبقوا الخيرات (أينما تكونوا يأت بكم الله جميعا) للجزاء من موافق ومخالف لا تعجزونه ويجوز أن يكون المعنى فاستبقوا الفاضلات من الجهات وهى الجهات المسامتة للكعبة وان اختلفت أينما تكونوا من الجهات المختلفة يأت بكم الله جميعا يجمعكم ويجعل صلواتكم كأنها الى جهة واحدة وكأنكم تصلون حاضرى المسجد الحرام (ومن حيث خرجت) أى ومن أى بلد خرجت للسفر (فول وجهك شطر المسجد الحرام) اذا صليت (وانه) وان هذا المأمور به وقرئ (يعملون) بالياء وهذا التكرير تأكيد لأمر القبلة وتشديد لأن النسخ من مظان الفتنة والشبهة وتسويل الشيطان والحاجة الى الفصل بينه وبين البداء فكرر عليهم ليثبتوا ويعزموا ويجدوا ولأنه نيط بكل واحد ما لم ينط بالآخر فاختلفت فوائدها (الا الذين ظلموا) استثناء من الناس ومعناه لئلا يكون حجة لأحد من اليهود الا للمعاندين منهم القائلين ما ترك قبلتنا الى الكعبة الا ميلا الى دين قومه وحبا لبلده ولو كان على الحق للزم قبلة الأنبياء (فان قلت) أى حجة كانت تكون للمنصفين منهم لو لم يحول حتى احترز من تلك الحجة ولم يبال بحجة المعاندين (قلت) كانوا يقولون ما له لا يحول الى قبلة أبيه ابراهيم كما هو مذكور فى نعته فى التوراة (فان قلت) كيف أطلق اسم الحجة على قول المعاندين (قلت) لأنهم يسوقونه سياق الحجة ويجوز أن يكون المعنى لئلا يكون للعرب عليكم حجة واعتراض فى ترككم التوجه الى الكعبة التى هى قبلة ابراهيم واسمعيل أبى العرب الا الذين ظلموا منهم وهم أهل مكة حين يقولون بدا له فرجع الى قبلة آبائه ويوشك أن يرجع الى دينهم وقرأ زيد بن على رضى الله عنهما ألا الذين ظلموا منهم على أن ألا للتنبيه ووقف على حجة ثم استأنف منبها (فلا تخشوهم) ولا تخافوا مطاعنهم فى قبلتكم فانهم لا يضرونكم (واخشونى) ولا تخالفوا أمرى وما رأيته مصلحة لكم (ولأتم) متعلق بلام محذوف معناه ولاتمامى النعمة عليكم وارادتى اهتداءكم أمرتكم بذلك أو يعطف على علة مقدرة كأنه قيل واخشونى لأوفقكم ولأتم نعمتى عليكم وقيل هو معطوف على لئلا يكون وفى الحديث تمام النعمة دخول الجنة وعن على رضى الله عنه تمام النعمة الموت على الاسلام (كما أرسلنا) اما أن يتعلق بما قبله أى ولأتم نعمتى عليكم فى الآخرة بالثواب كما أتممتها عليكم فى الدنيا بارسال الرسول أو بما بعده أى كما ذكرتكم

وان فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون الحق من ربك فلا تكونن من الممترين ولكل وجهة هو موليها فاستبقوا الخيرات أينما تكونوا يأت بكم الله جميعا ان الله على كل شئ قدير ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وانه للحق من ربك وما الله بغافل عما تعملون ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره لئلا يكون للناس عليكم حجة الا الذين ظلموا منهم فلا تخشوهم واخشونى ولأتم نعمتى عليكم ولعلكم تهتدون كما أرسلنا فيكم رسولا منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون

قوله تعالى يعرفونه كما يعرفون أبناءهم (قال محمود رحمه الله ان قلت لم خص الأبناء ولم يقل أولادهم الخ) قال أحمد رحمه الله فى كلامه هذا على ان الاناث لا يدخلون فى لفظ الابناء كما يدخلون فى لفظ الاولاد وليس الامر كذلك بل اللفظان سواء فى شمول الاناث ولذلك يدخل فى لفظ الواقف اذا وقف على بنيه وبنى بنيه كما يدخلن فى لفظ الاولاد هذا مذهب الامام مالك رضى الله عنه

بارسال

* قوله تعالى ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع (قال محمود رحمه الله وعن الشافعي رضي الله عنه الخوف خوف الله والجوع صيام شهر رمضان والنقص من الاموال الزكوات ومن الانفس الامراض ومن الثمرات موت الاولاد) ٢٤١ قال أحمد وفي تفسيره هذا نظر لان هذا الابتلاء موعود به في المستقبل مذكور قبل وقوعه توطئة عليه عند الوقوع ولعله مامن وبية ذكرها الا وقد تقدمت لهم قبل نزول الآية اذ الخوف من الله تعالى لم يزل منصوبا في قلوب المؤمنين ويبعد ان يعبر عن الصدقة بالنقص وقد عبر عنها الشرع بالزكاة التي هي النمو ضد النقص وورد ما نقص مال من صدقة ويمكن أن يقال هي نقص حسا ولهذا سميت زكاة باعتبار ما يؤول اليه حال القيام بها من النمو والعوض المرجو من كرم الله خلفا فلما ذكرها الله تعالى في سياق الابتلاء الموعود به عبر عنها بالزكاة تسهيلا لاخراجها على المكلف لانه اذا استشعر العوض من الله تعالى وعول عليه بذلك هان عليه بذلها وسمحت نفسه لذلك

بارسال الرسول (فاذكروني) بالطاعة (أذكركم) بالثواب (واشكروا لي) ما أنعمت به عليكم (ولا تكفرون) ولا تجحدوا نعمائي (أموات بل أحياء) هم أموات بل هم أحياء (ولكن لا تشعرون) كيف حالهم في حياتهم وعن الحسن أن الشهداء أحياء عند الله تعرض أرزاقهم على أرواحهم فيصل اليهم الروح والفرح كما تعرض النار على أرواح آل فرعون غدوة وعشيا فيصل اليهم الوجع وعن مجاهد يرزقون ثمر الجنة ويجدون ريحها وليسوا فيها وقالوا يجوز أن يجمع الله من أجزاء الشهيد جملة فيحييها ويوصل اليها النعيم وان كانت في حجم الذرة وقيل نزلت في شهداء بدر وكانوا أربعة عشر (ولنبلونكم) ولنصيبنكم بذلك اصابة تشبه فعل المختبر لاحوالكم هل تصبرون وتثبتون على ما أنتم عليه من الطاعة وتسلمون لامر الله وحكمه أم لا (بشيء) بقليل من كل واحد من هذه البلايا وطرف منه (وبشر الصابرين) المسترجعين عند البلاء لان الاسترجاع تسليم واذعان وعن النبي صلى الله عليه وسلم من استرجع عند المصيبة جبر الله مصيبته وأحسن عقباه وجعل له خلفا صالحا يرضاه وروي أنه طفئ سراج رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انا لله وانا اليه راجعون فقيل أمصيبة هي قال نعم كل شيء يؤذي المؤمن فهو له مصيبة وانما قلل في قوله بشيء ليؤذن أن كل بلاء أصاب لا تسدير وان جل ففوقه ما يقل اليه وليخفف عليهم ويريهم أن رحمته معهم في كل حال لا تزايلهم وانما وعدهم ذلك قبل كونه ليوطنوا عليه نفوسهم * ونقص عطف على شيء أو على الخوف بمعنى وشيء من نقص الاموال والخطاب في وبشر لرسول الله صلى الله عليه وسلم أو لكل من يتأتى منه البشارة وعن الشافعي رحمه الله الخوف خوف الله والجوع صيام شهر رمضان والنقص من الاموال الزكوات والصدقات ومن الانفس الامراض ومن الثمرات موت الاولاد وعن النبي صلى الله عليه وسلم اذا مات ولد العبد قال الله تعالى للملائكة أقبضتم ولد عبدي فيقولون نعم فيقول أقبضتم ثمرة فؤاده فيقولون نعم فيقول الله تعالى ماذا قال عبدي فيقولون حمدك واسترجع فيقول الله تعالى ابنوا لعبدي بيتا في الجنة وسموه بيت الحمد والصلاة الحنو والتعطف فوضعت موضع الرأفة وجمع بينها وبين الرحمة كقوله تعالى رأفة ورحمة رؤف رحيم والمعنى عليهم رأفة بعد رأفة ورحمة أي رحمة (وأولئك هم المهتدون) لطريق الصواب حيث استرجعوا وسلموا لامر الله * والصفا والمروة علمان للجبلين كالصمان والمقطم * والشعائر جمع شعيرة وهي العلامة أي من أعلام مناسكه ومتعبداته * والحج القصد والاعتمار الزيارة فغلبا على قصد البيت وزيارته للنسكين المعروفين وهما في المعاني كالنجم والبيت في الاعيان * وأصل (يطوف) يتطوف فأدغم وقرئ أن يطاف من طاف (فان قلت) كيف قيل انهما من شعائر الله ثم قيل لا جناح عليه أن يطوف بهما (قلت) كان على الصفا اساف وعلى المروة نائلة وهما صنمان يروى انهما كانا رجلا وامرأة زنيا في الكعبة فمسخا حجرين فوضعا عليهما ليعتبر بهما فلما طالت المدة عبدا من دون الله فكان أهل الجاهلية اذا سعوا مسحوهما فلما جاء الاسلام وكسرت الاوثان كره المسلمون الطواف بينهما لاجل فعل الجاهلية وأن لا يكون عليهم جناح في ذلك فرفع عنهم الجناح واختلف في السعي فمن قائل هو تطوع بدليل رفع الجناح وما فيه من التخيير بين الفعل والترك كقوله فلا جناح عليهما أن يتراجعا وغير ذلك ولقوله (ومن تطوع خيرا) كقوله فمن تطوع خيرا فهو خير له ويروى ذلك عن أنس وابن عباس وابن الزبير وتنصره قراءة ابن مسعود فلا جناح عليه أن لا يطوف بهما وعن أبي حنيفة رحمه الله أنه واجب وليس بركن وعلى تاركه دم وعند الاولين لا شيء عليه وعند مالك والشافعي هو ركن لقوله عليه السلام اسعوا فان الله كتب عليكم السعي وقرئ ومن يطوع بمعنى ومن يتطوع فأدغم وفي قراءة عبد الله ومن يتطوع بخير (ان الذين

فاذكروني أذكركم واشكروا لي ولا تكفرون يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلوة ان الله مع الصابرين ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات بل أحياء ولكن لا تشعرون ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الاموال والانفس والثمرات وبشر الصابرين الذين اذا أصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون ان الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما ومن تطوع خيرا فان الله شاكر عليم ان الذين

يكتمون) من أحبار اليهود (ما أنزلنا) في التوراة (من البينات) من الآيات الشاهدة على أمر محمد صلى الله عليه وسلم (والهدى) والهداية بوصفه إلى اتباعه والإيمان به (من بعد ما بيناه) ولخصناه (للناس في الكتاب) في التوراة لم ندع فيه موضع إشكال ولا اشتباه على أحد منهم فعمدوا إلى ذلك المبين الملخص فكتموه ولبسوا على الناس (أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون) الذين يتأتى منهم اللعن عليهم وهم الملائكة والمؤمنون من الثقلين (وأصلحوا) ما أفسدوا من أحوالهم وتداركوا ما فرط منهم (وبينوا) ما بينه الله في كتابهم فكتموه أو بينوا للناس ما أحدثوه من توبتهم ليمحوا سمة الكفر عنهم ويعرفوا بضد ما كانوا يعرفون به ويقتدي بهم غيرهم من المفسدين (إن الذين كفروا) يعني الذين ماتوا من هؤلاء الكاتمين ولم يتوبوا ذكر لعنتهم أحياء ثم لعنتهم أمواتا وقرأ الحسن والملائكة والناس أجمعون بالرفع عطفا على محل اسم الله لأنه فاعل في التقدير كقولك عجبت من ضرب زيد وعمرو تريد من أن ضرب زيد وعمرو كأنه قيل أولئك عليهم أن لعنهم الله والملائكة (فإن قلت) ما معنى قوله والناس أجمعين وفي الناس المسلم والكافر (قلت) أراد بالناس من يعتد بلعنه وهم المؤمنون وقيل يوم القيامة يلعن بعضهم بعضا (خالدين فيها) في اللعنة وقيل في النار إلا أنها أضمرت تفخيما لشأنها وتهويلا (ولا هم ينظرون) من الإنظار أي لا يمهلون ولا يؤجلون أو لا ينتظرون ليعتذروا أو لا ينظر إليهم نظر رحمة (إله واحد) فرد في الإلهية لا شريك له فيها ولا يصح أن يسمى غيره إلها و(لا إله إلا هو) تقرير للوحدانية بنفي غيره وإثباته (الرحمن الرحيم) المولي لجميع النعم أصولها وفروعها ولا شيء سواه بهذه الصفة فإن كل ما سواه إما نعمة وإما منعم عليه *وقيل كان للمشركين حول الكعبة ثلثمائة وستون صنما فلما سمعوا بهذه الآية تعجبوا وقالوا إن كنت صادقا فأت بآية نعرف بها صدقك فنزلت (إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار) واعتقابهما لأن كل واحد منهما يعقب الآخر كقوله جعل الليل والنهار خلفة (بما ينفع الناس) بالذي ينفعهم مما يحمل فيها أو بنفع الناس (فإن قلت) قوله (وبث فيها) عطف على أنزل أم أحيا (قلت) الظاهر أنه عطف على أنزل داخل تحت حكم الصلة لأن قوله فأحيا به الأرض عطف على أنزل فاتصل به وصارا جميعا كالشيء الواحد فكأنه قيل وما أنزل في الأرض من ماء وبث فيها من كل دابة ويجوز عطفه على أحيا على معنى فأحيا بالمطر الأرض وبث فيها من كل دابة لأنهم ينمون بالخصب ويعيشون بالحيا (وتصريف الرياح) في مهابها قبولا ودبورا وجنوبا وشمالا وفي أحوالها حارة وباردة وعاصفة ولينة وعقيما ولواقح وقيل تارة بالرحمة وتارة بالعذاب (والسحاب المسخر) سخره للرياح تقلبه في الجو بمشيئة الله يمطر حيث شاء (لآيات لقوم يعقلون) ينظرون بعيون عقولهم ويعتبرون لأنها دلائل على عظيم القدرة وباهر الحكمة وعن النبي صلى الله عليه وسلم ويل لمن قرأ هذه الآية فمج بها أي لم يتفكر فيها ولم يعتبر بها وقرئ والفلك بضمتين وتصريف الريح على الإفراد (أندادا) أمثالا من الأصنام وقيل من الرؤساء الذين كانوا يتبعونهم ويطيعونهم وينزلون على أوامرهم ونواهيهم واستدل بقوله إذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ومعنى (يحبونهم) يعظمونهم ويخضعون لهم تعظيم المحبوب (كحب الله) كتعظيم الله والخضوع له أي كما يحب الله تعالى على أنه مصدر من المبني للمفعول وإنما استغنى عن ذكر من يحبه لأنه غير ملبس وقيل كحبهم الله أي يسوون بينه وبينهم في محبتهم لأنهم كانوا يقرون بالله ويتقربون إليه فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين (أشد حبا لله) لأنهم لا يعدلون عنه إلى غيره بخلاف المشركين فإنهم يعدلون عن أندادهم إلى الله عند الشدائد فيفزعون إليه ويخضعون له ويجعلونهم وسائط بينهم وبينه فيقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله ويعبدون الصنم زمانا ثم يرفضونه إلى غيره أو يأكلونه كما أكلت باهلة إلهها من حيس عام المجاعة (الذين ظلموا) إشارة إلى متخذي الأنداد أي ولو يعلم هؤلاء الذين ارتكبوا الظلم العظيم بشركهم أن القدرة كلها لله على كل شيء من العقاب والثواب دون أندادهم ويعلمون شدة عقابه للظالمين إذا عاينوا العذاب يوم القيامة لكان منهم ما لا يدخل تحت الوصف من الندم والحسرة ووقوع العلم بظلمهم وضلالهم فحذف الجواب كما في قوله

يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون إلا الذين تابوا وأصلحوا وبينوا فأولئك أتوب عليهم وأنا التواب الرحيم إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار أولئك عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين خالدين فيها لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حبا لله ولو يرى الذين ظلموا إذ يرون العذاب أن القوة لله جميعا وأن الله شديد العذاب

قال أحمد فالمصدر على هذا مضاف إلى المفعول كالأول ولكن هذا الفاعل منسي وفعله مبني للفاعل عند فكه من السبك

اذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الاسباب وقال الذين اتبعوا لو أن لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبرؤا منا كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم وما هم بخارجين من النار يا أيها الناس كلوا مما في الارض حلالا طيبا ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين انما يأمركم بالسوء والفحشاء وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون واذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيأ ولا يهتدون ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع الا دعاء ونداء

ولو ترى دونه وقولهم لو رأيت فلانا والسياط تأخذه وقرئ ولو ترى بالتاء على خطاب الرسول أو كل مخاطب أى ولو ترى ذلك لرأيت أمرا عظيما * وقرئ يرون على البناء للمفعول ودخل اذ المستقبل كقوله ونادى أصحاب الجنة (اذ تبرأ) بدل من اذ يرون العذاب أى تبرأ المتبوعون وهم الرؤساء من الاتباع * وقرئ بفتح الاول على البناء للفاعل والثانى على البناء للمفعول أى تبرأ الاتباع من الرؤساء (ورأوا العذاب) الواو للحال أى تبرؤا فى حال رؤيتهم العذاب (وتقطعت) عطف على تبرأ و(الاسباب) الوصل التى كانت بينهم من الاتفاق على دين واحد ومن الانساب والمحاب والاتباع والاستتباع كقوله لقد تقطع بينكم (لو) فى معنى التمنى ولذلك أجيب بالفاء الذى يجاب به التمنى كأنه قيل ليت لنا كرة فنتبرأ منهم (كذلك) مثل ذلك الاراء الفظيع (يريهم الله أعمالهم حسرات) أى ندامات وحسرات ثالث مفاعيل أرى ومعناه أن أعمالهم تنقلب حسرات عليهم فلا يرون الا حسرات مكان أعمالهم (وما هم بخارجين) هم بمنزلته فى قوله * هم يفرشون اللبد كل طمرة * فى دلالته على قوة أمرهم فيما أسند اليهم لا على الاختصاص (حلالا) مفعول كلوا أو حال مما فى الارض (طيبا) طاهرا من كل شبهة (ولا تتبعوا خطوات الشيطان) فتدخلوا فى حرام أو شبهة أو تحريم حلال أو تحليل حرام ومن للتبعيض لان كل ما فى الارض ليس بمأكول * وقرئ خطوات بضمتين وخطوات بضمة وسكون وخطؤات بضمتين وهمزة جعلت الضمة على الطاء كأنها على الواو وخطوات بفتحتين وخطوات بفتحة وسكون والخطوة المرة من الخطو والخطوة ما بين قدمى الخاطى وهما كالغرفة والغرفة والقبضة والقبضة يقال اتبع خطواته ووطئ على عقبه اذا اقتدى به واستن بسنته (مبين) ظاهر العداوة لا خفاء به (انما يأمركم) بيان لوجوب الانتهاء عن اتباعه وظهور عداوته أى لا يأمركم بخير قط انما يأمركم (بالسوء) بالقبيح (والفحشاء) وما يتجاوز الحد فى القبح من العظائم وقيل السوء ما لا حد فيه والفحشاء ما يجب الحد فيه (وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون) وهو قولكم هذا حلال وهذا حرام بغير علم ويدخل فيه كل ما يضاف الى الله تعالى مما لا يجوز عليه (فان قلت) كيف كان الشيطان آمرا مع قوله ليس لك عليهم سلطان (قلت) شبه تزيينه وبعثه على الشر بأمر الآمر كما تقول أمرتنى نفسى بكذا وتحته رمز الى أنكم منه بمنزلة المأمورين لطاعتكم له وقبولكم وساوسه ولذلك قال ولآمرنهم فليبتكن آذان الانعام ولآمرنهم فليغيرن خلق الله وقال الله تعالى ان النفس لامارة بالسوء لما كان الانسان بطاعتها تابعا لها فى شهواتها (لهم) الضمير للناس وعدل بالخطاب عنهم على طريقة الالتفات للنداء على ضلالهم لانه لا ضال أضل من المقلد كأنه يقول للعقلاء انظروا الى هؤلاء الحمقى ماذا يقولون قيل هم المشركون وقيل هم طائفة من اليهود دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الاسلام فقالوا (بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا) فانهم كانوا خيرا منا وأعلم وألفينا بمعنى وجدنا بدليل قوله بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا (أولو كان آباؤهم) الواو للحال والهمزة بمعنى الرد والتعجيب معناه أيتبعونهم ولو كان آباؤهم لا يعقلون شيأ من الدين ولا يهتدون للصواب * لابد من مضاف محذوف تقديره ومثل داعى الذين كفروا كمثل الذى ينعق أو ومثل الذين كفروا كبهائم الذى ينعق والمعنى ومثل داعيهم الى الايمان فى أنهم لا يسمعون من الدعاء الا جرس النغمة ودوى الصوت من غير القاء أذهان ولا استبصار كمثل الناعق

* قوله تعالى كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم الآية (قال محمود رحمه الله هم هنا بمنزلتها فى قوله هم يفرشون الخ) قال أحمد رحمه الله أشد ما أخوفنى فى هذه الكلمات ممعقا وأرب صدره كلمات فهو ينفس عن نفسه خناق الكظم بما ينفثه منه فى بعض الاحيان وكشف ذلك أن الآية لما استشعرت دلالة الآية لاهل السنة على أنه لا يخلد فى النار الا الكفار وأن العاصى وان أصر على الكبائر فموحده يخرج منهم ولابد فساق وجه دلالتها على ذلك انحصار راجع الى ضمير مبتدأ ومثل هذا النظم يقتضى الاختصاص والحصر لغة وسيقر للزمخشرى موضع يستدل فيها على الحصر بذلك بعينه قال فى قوله تعالى أم اتخذوا آلهة من الارض هم ينشرون معناه لا ينشر الا هم وان المنكر عليهم ما يلزمهم من حصر الالوهية فيهم وكذلك يقول فى أمثال قوله وهم بالآخرة هم يوقنون ان معناه الحصر انه لا يوقن بالآخرة الا هم فهذا يبقى الامر على ذلك فيلزم حصر فى الخروج من النار فى هؤلاء الكفار دون غيرهم من الموحدين لكن الزمخشرى يأبى ذلك فيعمل الحيلة من معارضة هذه الفائدة بمانده نسأله على استعادة فيجعل الضمير المذكور مبتدأ تأكيدا لنسبة الخلود اليهم لا اختصاصه بهم وهم عنده من دالة لان العصاة وان خلدوا على زعمه الا أن الكفار أحق بالخلود وأدخل فى استحقاقه منهم فيصان من اختصه بهذه محة على حدته وفطنته والله ولى التوفيق

وله تعالى ليس البر أن تولوا وجوهكم الآية (قال محمود رحمه الله تعالى يخاطب فيه اليهود والنصارى الخ) قال أحمد رحمه الله هذا منقول عن المرد مصحي بسهام إدراكه فيما ٢٤٤ من اختلاف وجوه القراءة موكول إلى الاجتهاد دونه وما قاله قياس للقراءة بل بعد أهلا للاجتهاد في العربية واللغة وهذا خطأ محض والقراءات سنة متبعة لا مجال فيها للدراية على أن ما قاله وقدر

انه لا وجه يعين بالغ ذروة فصاحة الآية

الاعلى القراآت المستفيضة لان الكلام مصدر بذكر البر الذي هو المصدر فولا وجه لما قال من مقدس

ذكر البر الذي هو الوصف لا يطابقه ويعني النظم ولذلك كان تأويل الآية بحذف المضاف من الثاني على تأويلين لا برص آمن أوجه وأحسن وأبقى على السياق ومن ظن أنه يشق غبارا أو يتعلق بأذيال فصاحة المعجز للمصاحف فقد سولت له نفسه محالا ومنته ضلالا

صم بكم عمي فهم لا يعقلون يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا لله إن كنتم إياه تعبدون إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل به لغير الله فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا إثم عليه إن الله غفور رحيم إن الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب ويشترون به ثمنا قليلا أولئك ما يأكلون في بطونهم إلا النار ولا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة فما أصبرهم على النار ذلك بأن الله نزل الكتاب بالحق وإن الذين اختلفوا في الكتاب لفي شقاق بعيد ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب

بالبهائم التي لا تسمع إلا الدعاء الناعق ونداءه الذي هو تصويت بها وزجرها ولا تفقه شيئا آخر ولا تعي كأنهم أمثالها ويجوز أن يراد بما لا يسمع الأصم الأصلخ الذي لا يسمع من كلام الرافع صوته بكلامه إلا النداء والتصويت لا غير من غير فهم للحروف وقيل معناه ومثلهم في اتباعهم آباءهم وتقليدهم لهم كمثل البهائم التي لا تسمع إلا ظاهر الصوت ولا تفهم ما تحته وكذلك هؤلاء يتبعونهم على ظاهر حالهم ولا يفقهون أهم على حق أم باطل وقيل معناه ومثلهم في دعائهم الأصنام كمثل الناعق بما لا يسمع إلا أن قوله إلا دعاء ونداء لا يساعده لأن الأصنام لا تسمع شيئا * والنعيق التصويت يقال نعق المؤذن ونعق الراعي بالضأن قال الأخطل

فانعق بضأنك يا جرير فإنما * منتك نفسك في الخلاء ضلالا

وأما من الغراب فالنعيب (صم) هم صم وهو رفع على الذم (من طيبات ما رزقناكم) من مستلذاته لأن كل ما رزقه الله لا يكون إلا حلالا (واشكروا لله) الذي رزقكموها (إن كنتم إياه تعبدون) إن صح أنكم تخصونه بالعبادة وتقرون أنه مولى النعم وعن النبي صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى إني والجن والإنس في نبأ عظيم أخلق ويعبد غيري وأرزق ويشكر غيري * قرئ حرم على البناء للفاعل وحرم على بناء المفعول وحرم بوزن كرم (وما أهل به لغير الله) أي رفع به الصوت للصنم وذلك قول أهل الجاهلية باسم اللات والعزى (غير باغ) على مضطر آخر بالاستئثار عليه (ولا عاد) سد الجوعة (فإن قلت) إن الميتة مما يحل وهو الميت والمراد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أحلت لنا ميتتان ودمان (قلت) قصد ما يتفاهمه الناس ويتعارفونه في العادة ألا ترى أن القائل إذا قال أكل فلان ميتة لم يسبق الوهم إلى السمك والجراد كما لو قال أكل دما لم يسبق إلى الكبد والطحال ولاعتبار العادة والتعارف قالوا من حلف لا يأكل لحما فأكل سمكا لم يحنث وإن أكل لحما في الحقيقة قال الله تعالى لتأكلوا منه لحما طريا وشبهوه بمن حلف لا يركب دابة فركب كافرا لم يحنث وإن سماه الله تعالى دابة في قوله إن شر الدواب عند الله الذين كفروا (فإن قلت) فلم ذكر لحم الخنزير دون شحمه (قلت) لأن الشحم داخل في ذكر اللحم لكونه تابعا له وصفة فيه بدليل قولهم لحم سمين يريدون أنه شحيم (في بطونهم) ملء بطونهم يقال أكل فلان في بطنه وأكل في بعض بطنه (إلا النار) لأنه إذا أكل ما يتلبس بالنار لكونه عقوبة عليه فكأنه أكل النار ومنه قولهم أكل فلان الدم إذا أكل الدية التي هي بدل منه قال * أكلت دما إن لم أرعك بضرة * وقال * يأكلن كل ليلة إكافا * أراد علفا بثمن إكاف فسماه إكافا تسمية بما يئول إليه (ولا يكلمهم الله) تعريض بحرمانهم حال أهل الجنة في تكرمة الله إياهم بكلامه وتزكيتهم بالثناء عليهم وقيل في الكلام عبارة عن غضبه عليهم كمن غضب على صاحبه فصرمه وقطع كلامه وقيل لا يكلمهم بما يحبون ولكن بنحو قوله اخسئوا فيها ولا تكلمون (فما أصبرهم على النار) تعجب من حالهم في التباسهم بموجبات النار من غير مبالاة منهم كما تقول لمن يتعرض لما يوجب غضب السلطان ما أصبرك على القيد والسجن تريد أنه لا يتعرض لذلك الأمر إلا من هو شديد الصبر على العذاب وقيل فما أصبرهم فأي شيء صبرهم يقال أصبره على كذا وصبره بمعنى وهذا أصل معنى فعل التعجب والذي روي عن الكسائي أنه قال قال لي قاضي اليمن بمكة اختصم إلي رجلان من العرب فحلف أحدهما على حق صاحبه فقال له ما أصبرك على الله فمعناه ما أصبرك على عذاب الله (ذلك بأن الله نزل) أي ذلك العذاب بسبب أن الله نزل ما نزل من الكتب بالحق (وإن الذين اختلفوا) في كتب الله فقالوا في بعضها حق وفي بعضها باطل وهم أهل الكتاب (لفي شقاق) لفي خلاف (بعيد) عن الحق والكتاب للجنس أو كفرهم بذلك بسبب أن الله نزل القرآن بالحق كما يعلمون وإن الذين اختلفوا فيه من المشركين فقال بعضهم سحر وبعضهم شعر وبعضهم أساطير لفي شقاق بعيد يعني أن أولئك لو لم يسمعوا ولم يتفقوا المشاجرة في الحق لما كفروا (البر) اسم للخير ولكل فعل مرضي (أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب) خطاب لأهل الكتاب لأن اليهود تصلي قبل المغرب إلى بيت

* قوله تعالى كتب عليكم القصاص في القتلى الآية (قال محمود رحمه الله مذهب مالك والشافعي رضي الله عنهما أن الحر لا يقتل بالعبد والذكر لا يقتل بالأنثى الخ) قال أحمد رحمه الله وهذا من الزمخشري وهم على الإمامين فإنهما يقتصان من الذكر للأنثى بلا خلاف عنهما وأما الحر والعبد فعندهما هو الذي وهم الزمخشري عنهما * قوله تعالى فمن عفي له من أخيه شيء ٢٤٥ (قال محمود رحمه الله معنى الآية فمن عفي له من جهة أخيه الخ) قال أحمد رحمه الله ويقوى هذا التأويل القول بأن موجب العمد أحد الأمرين من القصاص أو الدية

ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى فمن عفي له من أخيه شيء

المقدس والنصارى قبل المشرق وذلك أنهم أكثروا الخوض في أمر القبلة حين حول رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الكعبة وزعم كل واحد من الفريقين أن البر التوجه إلى قبلته فرد عليهم وقيل ليس البر ما أنتم عليه فإنه منسوخ خارج من البر ولكن البر ما نبينه وقيل كثر خوض المسلمين وأهل الكتاب في أمر القبلة فقيل ليس البر العظيم الذي يجب أن تذهلوا بشأنه عن سائر صنوف البر أمر القبلة ولكن البر الذي يجب الاهتمام به وصرف الهمة بر من آمن وقام بهذه الأعمال وقرئ وليس البر بالنصب على أنه خبر مقدم. وقرأ عبد الله بأن تولوا على إدخال الباء على الخبر للتأكيد كقولك ليس المنطلق بزيد (ولكن البر من آمن بالله) على تأويل حذف المضاف أي بر من آمن أو بتأويل البر بمعنى ذي البر أو كما قالت * فإنما هي إقبال وإدبار * وعن المبرد لو كنت ممن يقرأ القرآن لقرأت ولكن البر بفتح الباء وقرئ ولكن البار وقرأ ابن عامر ونافع ولكن البر بالتخفيف (والكتاب) جنس كتب الله أو القرآن (على حبه) مع حب المال والشح به كما قال ابن مسعود أن تؤتيه وأنت صحيح شحيح تأمل العيش وتخشى الفقر ولا تمهل حتى إذا بلغت الحلقوم قلت لفلان كذا ولفلان كذا وقيل على حب الله وقيل على حب الإيتاء يريد أن يعطيه وهو طيب النفس بإعطائه * وقدم ذوي القربى لأنهم أحق قال عليه الصلاة والسلام صدقتك على المسكين صدقة وعلى ذي رحمك اثنتان لأنها صدقة وصلة وقال عليه الصلاة والسلام أفضل الصدقة على ذي الرحم الكاشح وأطلق (ذوي القربى واليتامى) والمراد الفقراء منهم لعدم الإلباس * والمسكين الدائم السكون إلى الناس لأنه لا شيء له كالمسكير للدائم السكر (وابن السبيل) المسافر المنقطع وجعل ابنا للسبيل لملازمته له كما يقال للص القاطع ابن الطريق وقيل هو الضيف لأن السبيل يرعف به (والسائلين) المستطعمين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للسائل حق وإن جاء على ظهر فرسه (وفي الرقاب) وفي معاونة المكاتبين حتى يفكوا رقابهم وقيل في ابتياع الرقاب وإعتاقها وقيل في فك الأسارى (فإن قلت) قد ذكر إيتاء المال في هذه الوجوه ثم قفاه بإيتاء الزكاة فهل دل ذلك على أن في المال حقا سوى الزكاة (قلت) يحتمل ذلك وعن الشعبي أن في المال حقا سوى الزكاة وتلا هذه الآية ويحتمل أن يكون ذلك بيان مصارف الزكاة أو يكون حثا على نوافل الصدقات والمبار وفي الحديث نسخت الزكاة كل صدقة يعني وجوبها وروي ليس في المال حق سوى الزكاة (والموفون) عطف على من آمن * وأخرج (الصابرين) منصوبا على الاختصاص والمدح إظهارا لفضل الصبر في الشدائد ومواطن القتال على سائر الأعمال وقرئ والصابرون وقرئ والموفين والصابرين و(البأساء) الفقر والشدة (والضراء) المرض والزمانة (صدقوا) كانوا صادقين جادين في الدين * عن عمر بن عبد العزيز والحسن البصري وعطاء وعكرمة وهو مذهب مالك والشافعي رحمهم الله أنهم أن الحر لا يقتل بالعبد والذكر لا يقتل بالأنثى أخذا بهذه الآية ويقولون هي مفسرة لما أبهم في قوله النفس بالنفس ولأن تلك واردة لحكاية ما كتب في التوراة على أهلها وهذه خوطب بها المسلمون وكتب عليهم ما فيها وعن سعيد بن المسيب والشعبي والنخعي وقتادة والثوري وهو مذهب أبي حنيفة وأصحابه أنها منسوخة بقوله النفس بالنفس والقصاص ثابت بين العبد والحر والذكر والأنثى ويستدلون بقوله صلى الله عليه وسلم المسلمون تتكافأ دماؤهم وبأن التفاضل غير معتبر في الأنفس بدليل أن جماعة لو قتلوا واحدا قتلوا به وروي أنه كان بين حيين من أحياء العرب دماء في الجاهلية وكان لأحدهما طول على الآخر فأقسموا لنقتلن الحر منكم بالعبد منا والذكر بالأنثى والاثنين بالواحد فتحاكموا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين جاء الله بالإسلام فنزلت وأمرهم أن يتباءوا (فمن عفي له من أخيه شيء) معناه فمن عفي له من جهة أخيه شيء من العفو على أنه كقولك سير بزيد بعض

والخيار إلى الولي وهو أحد القولين في مذهب مالك رضي الله عنه ومشهورهما الأول وجه لما موجب العمد القود على القول الآخر لكان في ذلك تضييق على الولي والآية مشعرة بالتوسعة والمنة وتحمل الآية موجبها القود وهو عود تضمين جميعا إلى الولي وقالوا على هذا الوجه يكون العفو إعطاء البدل كأنه قال فمن أعطي شيئا من أخيه أي بدلا من أخيه ويكون من مثلها في قوله تعالى ولو نشاء لجعلنا منكم ملائكة في الأرض يخلفون ونظيره في استعمال العفو في العطاء عندي قوله تعالى إلا أن يعفون أو يعفو الذي بيده عقدة النكاح إذا جعل الذي

بيده العقدة على الزوج وهو مذهب الشافعي رضي الله عنه ويقول أصحابه عفوه على أحد وجهين إما من استرجاع النصف الواجب إن كان قد سلم جميع المهر وإما في دفع النصف الآخر الذي سقط عنه إن كان لم يسلمه فيكون العفو على هذا مستعملا في الإعطاء ويقوي هذا الوجه في أنه لا قصاص قوله ٢٤٦ فاتباع بالمعروف لأن المخاطب بالاتباع بالمعروف عافٍ وهو الولي فإذا جعلناه معطيا له انساق الكلام صيغة واحدة إلى جهة واحدة وصار المعنى فمن أعطي من الأولياء بدلا من أخيه فليتبع بالمعروف في طلب ما أعطي ولا يطالبه الولي عن التقاضي خاطب القاتل بحسن

فاتباع بالمعروف وأداء إليه بإحسان ذلك تخفيف من ربكم ورحمة فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم ولكم في القصاص حيوة يا أولي الألباب لعلكم تتقون كتب عليكم

الأداء فينتظم الكلام موجها إلى وجهة واحدة وأما على الوجه الذي قرره الزمخشري فالضميران جميعا راجعان إلى القاتل وتقدير الكلام فمن عفي له من القاتلين عن جنايته شيء من العفو فليتبع أولى هذا القاتل لما عفي عنه بالمعروف فيكون المخاطب أول الآية القاتل وآخرها الولي بخلاف الوجه الذي قررته والله أعلم وكلا الوجهين حسن جيد * قوله تعالى ولكم في القصاص حياة (قال محمود رحمه الله كلام فصيح لما فيه من الغرابة الخ) قال أحمد رحمه الله قوله جعل أحد الضدين محلا للآخر كلام أطلقه فيه أو تسامح لأن شرط تضاد الحياة والموت اجتماعهما في محل واحد تقديرا ولا تضاد بين حياة غير المقتص منه وموت المقتص والبلاغة التي أوجبتها الآية ثابتة بدون هذا الإطلاق اهـ

لسير وطائفة من اليسير ولا يصح أن يكون شيء في معنى المفعول به لأن عفا لا يتعدى إلى مفعول به إلا بواسطة * وأخوه هو ولي المقتول وقيل له أخوه لأنه لابسه من قبل أنه ولي الدم ومطالبه به كما تقول للرجل قل لصاحبك كذا لمن بينه وبينه أدنى ملابسة أو ذكره بلفظ الأخوة ليعطف أحدهما على صاحبه بذكر ما هو ثابت بينهما من الجنسية والإسلام (فإن قلت) إن عفا يتعدى بعن لا باللام فما وجه قوله فمن عفي له (قلت) يتعدى بعن إلى الجاني وإلى الذنب فيقال عفوت عن فلان وعن ذنبه قال الله تعالى عفا الله عنك وقال عفا الله عنها فإذا تعدى إلى الذنب والجاني معا قيل عفوت له عن ذنبه كما تقول غفرت له ذنبه وتجاوزت له عنه وعلى هذا ما في الآية كأنه قيل فمن عفي له عن جنايته فاستغنى عن ذكر الجناية (فإن قلت) هلا فسرت عفي بترك حتى يكون شيء في معنى المفعول به (قلت) لأن عفا الشيء بمعنى تركه ليس بثبت ولكن أعفاه ومنه قوله عليه السلام وأعفوا اللحى (فإن قلت) فقد ثبت قولهم عفا أثره إذا محاه وأزاله فهلا جعلت معناه فمن محي له من أخيه شيء (قلت) عبارة قلقة في مكانها والعفو في باب الجنايات عبارة متداولة مشهورة في الكتاب والسنة واستعمال الناس فلا يعدل عنها إلى أخرى قلقة نابية عن مكانها وترى كثيرا ممن يتعاطى هذا العلم يجترئ إذا أعضل عليه تخريج وجه للمشكل من كلام الله على اختراع لغة وادعاء على العرب ما لا تعرفه وهذه جرأة يستعاذ بالله منها (فإن قلت) لم قيل شيء من العفو (قلت) للإشعار بأنه إذا عفي له طرف من العفو وبعض منه بأن يعفى عن بعض الدم أو عفا عنه بعض الورثة تم العفو وسقط القصاص ولم تجب إلا الدية (فاتباع بالمعروف) فليكن اتباع أو فالأمر اتباع وهذه توصية للمعفو عنه والعافي جميعا يعني فليتبع الولي القاتل بالمعروف بأن لا يعنف به ولا يطالبه إلا مطالبة جميلة وليؤد إليه القاتل بدل الدم أداء بإحسان بأن لا يمطله ولا يبخسه (ذلك) الحكم المذكور من العفو والدية (تخفيف من ربكم ورحمة) لأن أهل التوراة كتب عليهم القصاص البتة وحرم العفو وأخذ الدية وعلى أهل الإنجيل العفو وحرم القصاص والدية وخيرت هذه الأمة بين الثلاث القصاص والدية والعفو توسعة عليهم وتيسيرا (فمن اعتدى بعد ذلك) التخفيف فتجاوز ما شرع له من قتل غير القاتل أو القتل بعد أخذ الدية فقد كان الولي في الجاهلية يؤمن القاتل بقبوله الدية ثم يظفر به فيقتله (فله عذاب أليم) نوع من العذاب شديد الألم في الآخرة وعن قتادة العذاب الأليم أن يقتل لا محالة ولا يقبل منه دية لقوله عليه السلام لا أعافي أحدا قتل بعد أخذه الدية (ولكم في القصاص حيوة) كلام فصيح لما فيه من الغرابة وهو أن القصاص قتل وتفويت للحياة وقد جعل مكانا وظرفا للحياة ومن إصابة محز البلاغة بتعريف القصاص وتنكير الحياة لأن المعنى ولكم في هذا الجنس من الحكم الذي هو القصاص حياة عظيمة وذلك أنهم كانوا يقتلون بالواحد الجماعة وكم قتل مهلهل بأخيه كليب حتى كاد يفني بكر بن وائل وكان يقتل بالمقتول غير قاتله فتثور الفتنة ويقع بينهم التناحر فلما جاء الإسلام بشرع القصاص كانت فيه حياة أي حياة أو نوع من الحياة وهي الحياة الحاصلة بالارتداع عن القتل لوقوع العلم بالاقتصاص من القاتل لأنه إذا هم بالقتل فعلم أنه يقتص منه فارتدع سلم صاحبه من القتل وسلم هو من القود فكان القصاص سبب حياة نفسين وقرأ أبو الجوزاء ولكم في القصص حياة أي فيما قص عليكم من حكم القتل والقصاص وقيل القصص القرآن أي ولكم في القرآن حياة للقلوب كقوله تعالى روحا من أمرنا ويحيى من حي عن بينة (لعلكم تتقون) أي أريتكم ما في القصاص من استبقاء الأرواح وحفظ النفوس لعلكم تتقون تعملون عمل أهل التقوى في المحافظة على القصاص والحكم به وهو خطاب له فضل اختصاص بالأئمة

إذا حضر أحدكم الموت إن ترك خيرا الوصية للوالدين والأقربين بالمعروف حقا على المتقين فمن بدله بعدما سمعه فإنما إثمه على الذين يبدلونه إن الله سميع عليم فمن خاف من موص جنفا أو إثما فأصلح بينهم فلا إثم عليه إن الله غفور رحيم يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون أياما معدودات فمن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر

(إذا حضر أحدكم الموت) إذا دنا منه وظهرت أماراته (إن ترك خيرا) مالا كثيرا عن عائشة رضي الله عنها أن رجلا أراد الوصية وله عيال وأربعمائة دينار فقالت ما أرى فيه فضلا وأراد آخر أن يوصي فسألته كم مالك فقال ثلاثة آلاف قالت كم عيالك قال أربعة قالت إنما قال الله إن ترك خيرا وإن هذا الشيء يسير فاتركه لعيالك وعن علي رضي الله عنه أن مولى له أراد أن يوصي وله سبعمائة درهم فمنعه وقال قال الله تعالى إن ترك خيرا والخير هو المال وليس لك مال (الوصية) فاعل كتب وذكر فعلها للفاصل ولأنها بمعنى أن يوصي ولذلك ذكر الراجع في قوله فمن بدله بعدما سمعه والوصية للوارث كانت في بدء الإسلام فنسخت بآية المواريث وبقوله عليه السلام إن الله أعطى كل ذي حق حقه ألا لا وصية لوارث وبتلقي الأمة إياه بالقبول حتى لحق بالمتواتر وإن كان من الآحاد لأنهم لا يتلقون بالقبول إلا الثبت الذي صحت روايته وقيل لم تنسخ والوارث يجمع له بين الوصية والميراث بحكم الآيتين وقيل معنى عدم النسخ لآية المواريث ومعناه كتب عليكم ما أوصى به الله من توريث الوالدين والأقربين من قوله تعالى يوصيكم الله في أولادكم أو كتب على المحتضر أن يوصي للوالدين والأقربين بتوفير ما أوصى به الله لهم عليهم وأن لا ينقص من أنصبائهم (بالمعروف) بالعدل وهو أن لا يوصي للغني ويدع الفقير ولا يتجاوز الثلث (حقا) مصدر مؤكد أي حق ذلك حقا (فمن بدله) فمن غير الإيصاء عن وجهه إن كان موافقا للشرع من الأوصياء والشهود (بعدما سمعه) وتحققه (فإنما إثمه على الذين يبدلونه) فما إثم الإيصاء المغير أو التبديل إلا على مبدله دون غيرهم من الموصي والموصى له لأنهما بريئان من الحيف (إن الله سميع عليم) وعيد للمبدل (فمن خاف) فمن توقع وعلم وهذا في كلامهم شائع يقولون أخاف أن ترسل السماء يريدون التوقع والظن الغالب الجاري مجرى العلم (جنفا) ميلا عن الحق بالخطأ في الوصية (أو إثما) أو تعمدا للحيف (فأصلح بينهم) بين الموصى لهم وهم الوالدان والأقربون بإجرائهم على طريق الشرع (فلا إثم عليه) حينئذ لأن تبديله تبديل باطل إلى حق ذكر من يبدل بالباطل ثم من يبدل بالحق ليعلم أن كل تبديل لا يؤثم (كما كتب على الذين من قبلكم) على الأنبياء والأمم من لدن آدم إلى عهدكم قال علي رضي الله عنه أولهم آدم يعني أن الصوم عبادة قديمة أصلية ما أخلى الله أمة من افتراضها عليهم لم يفرضها عليكم وحدكم (لعلكم تتقون) بالمحافظة عليها وتعظيمها لأصالتها وقدمها أو لعلكم تتقون المعاصي لأن الصائم أظلف لنفسه وأردع لها من مواقعة السوء قال عليه السلام فعليه بالصوم فإن الصوم له وجاء أو لعلكم تنتظمون في زمرة المتقين لأن الصوم شعارهم وقيل معناه أنه كصومهم في عدد الأيام وهو شهر رمضان كتب على أهل الإنجيل فأصابهم موتان فزادوا عشرا قبله وعشرا بعده فجعلوه خمسين يوما وقيل كان وقوعه في البرد الشديد والحر الشديد فشق عليهم في أسفارهم ومعايشهم فجعلوه بين الشتاء والربيع وزادوا عشرين يوما كفارة لتحويله عن وقته وقيل الأيام المعدودات عاشوراء وثلاثة أيام من كل شهر كتب على رسول الله صلى الله عليه وسلم صيامها حين هاجر ثم نسخت بشهر رمضان وقيل كتب عليكم كما كتب عليهم أن يتقوا المفطر بعد أن يصلوا العشاء وبعد أن يناموا ثم نسخ ذلك بقوله أحل لكم ليلة الصيام الآية ومعنى (معدودات) موقتات بعدد معلوم أو قلائل كقوله دراهم معدودة وأصله أن المال القليل يقدر بالعدد ويتحكر فيه والكثير يهال هيلا ويحثى حثيا وانتصاب أياما بالصيام كقولك نويت الخروج يوم الجمعة (أو على سفر) أو راكب سفر (فعدة) فعليه عدة وقرئ بالنصب بمعنى فليصم عدة وهذا على سبيل الرخصة وقيل مكتوب عليهم أن يفطروا ويصوموا عدة (من أيام أخر) واختلف في المرض المبيح للإفطار فمن قائل كل مرض لأن الله تعالى لم يخص مرضا دون مرض كما لم يخص سفرا دون سفر فكما أن لكل مسافر أن يفطر فكذلك كل مريض وعن ابن سيرين أنه دخل عليه في رمضان وهو يأكل فاعتل بوجع أصبعه وسئل مالك عن الرجل يصيبه المرض الشديد أو الصداع المضر وليس به مرض يضجعه فقال إنه في سعة من الإفطار وقائل هو المرض الذي يعسر معه الصوم ويزيد فيه لقوله تعالى يريد الله بكم اليسر وعن الشافعي لا يفطر حتى يجهده الجهد غير المحتمل واختلف أيضا في القضاء فعامة العلماء على التخيير وعن أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه إن الله لم يرخص لكم في فطره وهو يريد

أن يشق عليكم في قضائه إن شئت فرّق وإن شئت تابع وعن علي وابن عمر والشعبي وغيرهم أنه يقضي كما فات متتابعا وفي قراءة أبيّ فعدة من أيام أخر متتابعات (فإن قلت) كيف قيل فعدة على التنكير ولم يقل فعدتها أي فعدة الأيام المعدودات (قلت) لما قيل فعدة والعدة بمعنى المعدود فأمر أن يصوم أياما معدودة مكانها علم أنه لا يؤثر عدد على عددها فأغنى ذلك عن التعريف بالإضافة (وعلى الذين يطيقونه) وعلى المطيقين للصيام الذين لا عذر بهم إن أفطروا (فدية طعام مسكين) نصف صاع من بر أو صاع من غيره عند أهل العراق وعند أهل الحجاز مد وكان ذلك في بدء الإسلام فرض عليهم الصوم ولم يتعودوه فاشتد عليهم فرخص لهم في الإفطار والفدية وقرأ ابن عباس يطوّقونه تفعيل من الطوق إما بمعنى الطاقة أو القلادة أي يكلفونه أو يقلدونه ويقال لهم صوموا وعنه يتطوقونه بمعنى يتكلفونه أو يتقلدونه ويطّوّقونه بإدغام التاء في الطاء ويطيّقونه ويطّيّقونه بمعنى يتطيقونه وأصلهما يطيوقونه ويتطيوقونه على أنهما من فيعل وتفيعل من الطوق فأدغمت الياء في الواو بعد قلبها ياء كقولهم تدير المكان وما بها ديار وفيه وجهان أحدهما نحو معنى يطيقونه والثاني يكلفونه أو يتكلفونه على جهد منهم وعسر وهم الشيوخ والعجائز وحكم هؤلاء الإفطار والفدية وهو على هذا الوجه ثابت غير منسوخ ويجوز أن يكون هذا معنى يطيقونه أي يصومونه جهدهم وطاقتهم ومبلغ وسعهم (فمن تطوع خيرا) فزاد على مقدار الفدية (فهو خير له) فالتطوع أخير له أو الخير وقرئ فمن يطّوّع بمعنى يتطوع (وأن تصوموا) أيها المطيقون أو المطوقون وحملتم على أنفسكم وجهدتم طاقتكم (خير لكم) من الفدية وتطوع الخير ويجوز أن ينتظم في الخطاب المريض والمسافر أيضا وفي قراءة أبيّ والصيام خير لكم * الرمضاء مصدر رمض إذا احترق من الرمضاء فأضيف إليه الشهر وجعل علما ومنع الصرف للتعريف والألف والنون كما قيل ابن داية للغراب بإضافة الابن إلى داية البعير لكثرة وقوعه عليها إذا دبرت (فإن قلت) لم سمي (شهر رمضان) (قلت) الصوم فيه عبادة قديمة فكأنهم سموه بذلك لارتماضهم فيه من حر الجوع ومقاساة شدته كما سموه ناتقا لأنه كان ينتقهم أي يزعجهم إضجارا بشدته عليهم وقيل لما نقلوا أسماء الشهور عن اللغة القديمة سموها بالأزمنة التي وقعت فيها فوافق هذا الشهر أيام رمض الحر (فإن قلت) إذا كانت التسمية واقعة مع المضاف والمضاف إليه جميعا فما وجه ما جاء في الأحاديث من نحو قوله عليه الصلاة والسلام من صام رمضان إيمانا واحتسابا من أدرك رمضان فلم يغفر له (قلت) هو من باب الحذف لأمن الإلباس كما قال بما أعيا النطاسيّ حذيما أراد ابن حذيم وارتفاعه على أنه مبتدأ خبره (الذي أنزل فيه القرآن) أو على أنه بدل من الصيام في قوله كتب عليكم الصيام أو على أنه خبر مبتدأ محذوف وقرئ بالنصب على صوموا شهر رمضان أو على الإبدال من أياما معدودات أو على أنه مفعول وأن تصوموا ومعنى أنزل فيه القرآن ابتدئ فيه إنزاله وكان ذلك في ليلة القدر وقيل أنزل جملة إلى سماء الدنيا ثم نزل إلى الأرض نجوما وقيل أنزل في شأنه القرآن وهو قوله كتب عليكم الصيام كما تقول أنزل في عمر كذا وفي علي كذا وعن النبي عليه السلام نزلت صحف إبراهيم أول ليلة من رمضان وأنزلت التوراة لست مضين والإنجيل لثلاث عشرة والقرآن لأربع وعشرين مضين (هدى للناس وبينات) نصب على الحال أي أنزل وهو هداية للناس إلى الحق وهو آيات واضحات مكشوفات مما يهدي إلى الحق ويفرق بين الحق والباطل (فإن قلت) ما معنى قوله وبينات من الهدى بعد قوله هدى للناس (قلت) ذكر أولا أنه هدى ثم ذكر أنه بينات من جملة ما هدى به الله وفرق به بين الحق والباطل من وحيه وكتبه السماوية الهادية الفارقة بين الهدى والضلال (فمن شهد منكم الشهر فليصمه) فمن كان شاهدا أي حاضرا مقيما غير مسافر في الشهر فليصم فيه ولا يفطر والشهر منصوب على الظرف وكذلك الهاء في فليصمه ولا يكون مفعولا به كقولك شهدت الجمعة لأن المقيم والمسافر كلاهما شاهدان للشهر (يريد الله) أن ييسر عليكم ولا يعسر وقد نفى عنكم الحرج في الدين وأمركم بالحنيفية السمحة التي لا إصر فيها ومن جملة ذلك ما رخص لكم فيه من إباحة الفطر في السفر والمرض ومن الناس من فرض الفطر على المريض والمسافر حتى زعم أن من صام منهما فعليه الإعادة * وقرئ اليسر

وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين فمن تطوع خيرا فهو خير له وأن تصوموا خير لكم إن كنتم تعلمون شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه ومن كان مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر

والعسر

قوله تعالى ولتكملوا العدة الآية (قال محمود رحمه الله الفعل المعلل محذوف تقديره شرع ذلك الخ) ٢٤٩ قال أحمد رحمه الله ولفظه الخاص به في صناعة البديع رد أعجاز الكلام على صدوره ولقد أحسن الزمخشري في التنقيب عنه فهو منظوم في سلك حسناته * قوله تعالى أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم (قال محمود رحمه الله كان الرجل إذا أمسى حل له الأكل الخ) قال

ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم هن لباس لكم وأنتم لباس لهن علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم فتاب عليكم وعفا عنكم فالآن باشروهن وابتغوا ما كتب الله لكم وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم

أحمد رحمه الله تشهد له قصة هذا الجواب أنه لما استقرت الإباحة فيه قال فالآن باشروهن فكنى عنه بالكناية المألوفة في الكتاب العزيز ويشكل بقوله فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج فإن هذه العبارة استعملت ولم يقل في الحج ما نقل في الصوم من سبب نزول الآية وهو مواقعة المكروه ويمكن أن يجاب عنه بما وقع في آية الحج نهيا عنه أريد الشبهة عندهم كي لا يقعوا فيه فعبر عنه بما هجنه لكون ذلك منفر الهمم عن التورط

والعسر مصيبين * والفعل المعلل محذوف مدلول عليه بما سبق تقديره (ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون) شرع ذلك يعني جملة ما ذكر من أمر الشاهد بصوم الشهر وأمر المرخص له بمراعاة عدة ما أفطر فيه ومن الترخيص في إباحة الفطر فقوله لتكملوا علة الأمر بمراعاة العدة ولتكبروا علة ما علم من كيفية القضاء والخروج عن عهدة الفطر ولعلكم تشكرون علة الترخيص والتيسير وهذا نوع من اللف لطيف المسلك لا يكاد يهتدي إلى تبيينه إلا النقاب المحدث من علماء البيان وإنما عدي فعل التكبير بحرف الاستعلاء لكونه مضمنا معنى الحمد كأنه قيل ولتكبروا الله حامدين على ما هداكم ومعنى ولعلكم تشكرون وإرادة أن تشكروا * وقرئ ولتكملوا بالتشديد (فإن قلت) هل يصح أن يكون ولتكملوا معطوفا على علة مقدرة كأنه قيل لتعلموا ما تعملون ولتكملوا العدة أو على اليسر كأنه قيل يريد الله بكم اليسر ويريد بكم لتكملوا كقوله يريدون ليطفئوا (قلت) لا يبعد ذلك والأول أوجه (فإن قلت) ما المراد بالتكبير (قلت) تعظيم الله والثناء عليه وقيل هو تكبير يوم الفطر وقيل هو التكبير عند الإهلال (فإني قريب) تمثيل لحاله في سهولة إجابته لمن دعاه وسرعة إنجاحه حاجة من سأله بحال من قرب مكانه فإذا دعي أسرعت تلبيته ونحوه ونحن أقرب إليه من حبل الوريد وقوله عليه الصلاة والسلام هو بينكم وبين أعناق رواحلكم وروي أن أعرابيا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم أقريب ربنا فنناجيه أم بعيد فنناديه فنزلت (فليستجيبوا لي) إذا دعوتهم للإيمان والطاعة كما أني أجيبهم إذا دعوني لحوائجهم * وقرئ يرشدون ويرشدون بفتح الشين وكسرها كان الرجل إذا أمسى حل له الأكل والشرب والجماع إلى أن يصلي العشاء الآخرة أو يرقد فإذا صلاها أو رقد ولم يفطر حرم عليه الطعام والشراب والنساء إلى القابلة ثم إن عمر رضي الله عنه واقع أهله بعد صلاة العشاء الآخرة فلما اغتسل أخذ يبكي ويلوم نفسه فأتى النبي صلى الله عليه وسلم وقال يا رسول الله إني أعتذر إلى الله وإليك من نفسي هذه الخاطئة وأخبره بما فعل فقال عليه الصلاة والسلام ما كنت جديرا بذلك يا عمر فقام رجال فاعترفوا بما كانوا صنعوا بعد العشاء فنزلت * وقرئ أحل لكم ليلة الصيام الرفث أي أحل الله وقرأ عبد الله الرفوث وهو الإفصاح بما يجب أن يكنى عنه كلفظ النيك وقد أرفث الرجل وعن ابن عباس رضي الله عنه أنه أنشد وهو محرم

وهن يمشين بنا هميسا * إن تصدق الطير ننك لميسا

فقيل له أرفثت فقال إنما الرفث ما كان عند النساء وقال الله تعالى فلا رفث ولا فسوق فكني به عن الجماع لأنه لا يكاد يخلو من شيء من ذلك (فإن قلت) لم كني عنه ههنا بلفظ الرفث الدال على معنى القبح بخلاف قوله وقد أفضى بعضكم إلى بعض فلما تغشاها باشروهن أو لامستم النساء دخلتم بهن فأتوا حرثكم من قبل أن تمسوهن فما استمتعتم به منهن ولا تقربوهن (قلت) استهجانا لما وجد منهم قبل الإباحة كما سماه اختيانا لأنفسهم (فإن قلت) لم عدي الرفث بإلى (قلت) لتضمينه معنى الإفضاء لما كان الرجل والمرأة يعتنقان ويشتمل كل واحد منهما على صاحبه في عناقه شبه باللباس المشتمل عليه قال الجعدي

إذا ما الضجيع ثنى عطفها * تثنت فكانت عليه لباسا

(فإن قلت) ما موقع قوله (هن لباس لكم) (قلت) هو استئناف كالبيان لسبب الإحلال وهو أنه إذا كانت بينكم وبينهن مثل هذه المخالطة والملابسة قل صبركم عنهن وصعب عليكم اجتنابهن فلذلك رخص لكم في مباشرتهن (تختانون أنفسكم) تظلمونها وتنقصونها حظها من الخير والاختيان من الخيانة كالاكتساب من الكسب فيه زيادة وشدة (فتاب عليكم) حين تبتم مما ارتكبتم من المحظور (وابتغوا ما كتب الله لكم) واطلبوا ما قسم الله لكم وأثبت في اللوح من الولد بالمباشرة أي لا تباشروا لقضاء الشهوة وحدها ولكن لابتغاء ما وضع الله له النكاح من التناسل وقيل هو نهي عن العزل لأنه في الحرائر وقيل وابتغوا المحل الذي كتبه الله لكم وحلله دون ما لم يكتب لكم من المحل المحرم وعن قتادة وابتغوا ما كتب الله لكم من الإباحة بعد

* قوله تعالى كلوا واشربوا الآية (قال محمود رحمه الله قالوا فيه دليل على جواز النية بالنهار الخ) قال أحمد وجه استدلالهم من الآية على الحكم الأول متعذر لأن اقتران النية بأول الصوم وجودا غير معتبر باتفاق وتقدمها من الليل وتستصحب مضمر باتفاق فإذن لا تنافي بين الأكل والشرب إلى الفجر وبين تبييت ٢٥٠ الصوم المستقبل من الليل ووجودها من الليل متقدمة على الصوم مستفاد من دليل دل عليه وإنما يتم لهم الاستدلال بالآية على اعتبار النية في النهار لو كان الأكل والشرب مباحا إلى الفجر في حق مستصحب النية وكان اقتضاء الآية لجواز الأكل والشرب إلى الفجر يمنع من اعتبار النية من الليل إلى الفجر لوجود المنافي لها، ولا بد منها فيتعين أن توقع بعد الفجر على هذا التقدير وذلك التقدير كما علمت متفق على بطلانه وأما الاستدلال بها على الحكمين الأخيرين فصحيح مستقيم والله أعلم ولتفطن الزمخشري لبطلان الاستدلال بالآية على الحكم المذكور أمثاله سبيل النقل عنهم فقال قالوا لا يقولها إلا مثل هذا ي ولم ينبه له لينبه على بطلان الاستدلال لأنه غير وجه منه

ب

* قوله تعالى تلك حدود الله فلا تقربوها الآية (قال محمود رحمه الله تعالى إن قلت كيف قال فلا تقربوها الخ) قال أحمد رحمه الله تعالى وفي هذه الآية دليل بين لمذهب مالك رضي الله تعالى عنه في سد الذرائع والاحتياط للمحرمات لا مدافع عنه

الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ثم أتموا الصيام إلى الليل ولا تباشروهن وأنتم عاكفون في المساجد تلك حدود الله فلا تقربوها كذلك يبين الله آياته للناس لعلهم يتقون ولا تأكلوا أموالكم بينكم

الحظر وقرأ ابن عباس واتبعوا وقرأ الأعمش وأتوا وقيل معناه واطلبوا ليلة القدر وما كتب الله لكم من الثواب إن أصبتموها وقمتموها وهو قريب من بدع التفاسير (الخيط الأبيض) هو أول ما يبدو من الفجر المعترض في الأفق كالخيط الممدود (والخيط الأسود) ما يمتد معه من غبش الليل شبها بخيطين أبيض وأسود قال أبو دواد

فلما أضاءت لنا سدفة * ولاح من الصبح خيط أنارا

وقوله (من الفجر) بيان للخيط الأبيض واكتفى به عن بيان الخيط الأسود لأن بيان أحدهما بيان للثاني ويجوز أن تكون من للتبعيض لأنه بعض الفجر وأوله (فإن قلت) أهذا من باب الاستعارة أم من باب التشبيه (قلت) قوله من الفجر أخرجه من باب الاستعارة كما أن قولك رأيت أسدا مجاز فإذا زدت من فلان رجع تشبيها (فإن قلت) فلم زيد من الفجر حتى كان تشبيها وهلا اقتصر به على الاستعارة التي هي أبلغ من التشبيه وأدخل في الفصاحة (قلت) لأن من شرط المستعار أن يدل عليه الحال أو الكلام ولو لم يذكر من الفجر لم يعلم أن الخيطين مستعاران فزيد من الفجر فكان تشبيها بليغا وخرج من أن يكون استعارة (فإن قلت) وكيف التبس على عدي بن حاتم مع هذا البيان حتى قال عمدت إلى عقالين أبيض وأسود فجعلتهما تحت وسادتي فكنت أقوم من الليل فأنظر إليهما فلا يتبين لي الأبيض من الأسود فلما أصبحت غدوت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته فضحك وقال إن كان وسادك لعريضا وروي إنك لعريض القفا إنما ذاك بياض النهار وسواد الليل (قلت) غفل عن البيان ولذلك عرض رسول الله صلى الله عليه وسلم قفاه لأنه مما يستدل به على بلاهة الرجل وقلة فطنته وأنشدتني بعض البدويات لبدوي

عريض القفا ميزانه في شماله * قد انحص من حسب القراريط شاربه

(فإن قلت) فما تقول فيما روي عن سهل بن سعد الساعدي أنها نزلت ولم ينزل من الفجر فكان رجال إذا أرادوا الصوم ربط أحدهم في رجليه الخيط الأبيض والخيط الأسود فلا يزال يأكل ويشرب حتى يتبينا له فنزل بعد ذلك من الفجر فعلموا أنه عنى بذلك الليل والنهار وكيف جاز تأخير البيان وهو يشبه العبث حيث لا يفهم منه المراد إذ ليس باستعارة لفقد الدلالة ولا بتشبيه قبل ذكر الفجر فلا يفهم منه إذن إلا الحقيقة وهي غير مرادة (قلت) أما من لا يجوز تأخير البيان وهم أكثر الفقهاء والمتكلمين وهو مذهب أبي علي وأبي هاشم فلم يصح عندهم هذا الحديث وأما من يجوزه فيقول ليس بعبث لأن المخاطب يستفيد منه وجوب الخطاب ويعزم على فعله إذا استوضح المراد منه (ثم أتموا الصيام إلى الليل) قالوا فيه دليل على جواز النية بالنهار في صوم رمضان وعلى جواز تأخير الغسل إلى الفجر وعلى نفي صوم الوصال (عاكفون في المساجد) معتكفون فيها والاعتكاف أن يحبس نفسه في المسجد يتعبد فيه * والمراد بالمباشرة الجماع لما تقدم من قوله أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم فالآن باشروهن وقيل معناه ولا تلامسوهن بشهوة والجماع يفسد الاعتكاف وكذلك إذا لمس أو قبل فأنزل وعن قتادة كان الرجل إذا اعتكف خرج فباشر امرأته ثم رجع إلى المسجد فنهاهم الله عن ذلك وقالوا فيه دليل على أن الاعتكاف لا يكون إلا في مسجد وأنه لا يختص به مسجد دون مسجد وقيل لا يجوز إلا في مسجد نبي وهو أحد المساجد الثلاثة وقيل في مسجد جامع والعامة على أنه في مسجد جماعة وقرأ مجاهد في المسجد (تلك) الأحكام التي ذكرت (حدود الله فلا تقربوها) ولا تغشوها (فإن قلت) كيف قيل فلا تقربوها مع قوله فلا تعتدوها ومن يتعد حدود الله (قلت) من كان في طاعة الله والعمل بشرائعه فهو متصرف في حيز الحق فنهي أن يتعداه لأن من تعداه وقع في حيز الباطل ثم بولغ في ذلك فنهي

بالباطل وتدلوا بها إلى الحكام لتأكلوا فريقا من أموال الناس بالإثم وأنتم تعلمون يسألونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس والحج وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقى وأتوا البيوت من أبوابها واتقوا الله لعلكم تفلحون وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين واقتلوهم حيث ثقفتموهم وأخرجوهم

أن يقرب الحد الذي هو الحاجز بين حيزي الحق والباطل لئلا يداني الباطل وأن يكون في الواسطة متباعدا عن الطرف فضلا عن أن يتخطاه. كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن لكل ملك حمى وحمى الله محارمه فمن رتع حول الحمى يوشك أن يقع فيه فالرتع حول الحمى وقربان حيزه واحد ويجوز أن يريد بحدود الله محارمه ومناهيه خصوصا لقوله ولا تباشروهن وهي حدود لا تقرب • ولا يأكل بعضكم مال بعض (بالباطل) بالوجه الذي لم يبحه الله ولم يشرعه • ولا (تدلوا بها) ولا تلقوا أمرها والحكومة فيها إلى الحكام (لتأكلوا) بالتحاكم (فريقا) طائفة (من أموال الناس بالإثم) بشهادة الزور أو باليمين الكاذبة أو بالصلح مع العلم بأن المقضي له ظالم. وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال للخصمين إنما أنا بشر وأنتم تختصمون إلي ولعل بعضكم ألحن بحجته من بعض فأقضي له على نحو ما أسمع منه فمن قضيت له بشيء من حق أخيه فلا يأخذن منه شيئا فإنما أقضي له قطعة من نار فبكيا وقال كل واحد منهما حقي لصاحبي فقال اذهبا فتوخيا ثم استهما ثم ليحلل كل واحد منكما صاحبه. وقيل وتدلوا بها وتلقوا بعضها إلى حكام السوء على وجه الرشوة وتدلوا مجزوم داخل في حكم النهي أو منصوب بإضمار أن كقوله وتكتموا الحق (وأنتم تعلمون) أنكم على الباطل وارتكاب المعصية مع العلم بقبحها أقبح وصاحبه أحق بالتوبيخ • وروي أن معاذ بن جبل وثعلبة بن غنم الأنصاري قالا يا رسول الله ما بال الهلال يبدو دقيقا مثل الخيط ثم يزيد حتى يمتلئ ويستوي ثم لا يزال ينقص حتى يعود كما بدأ لا يكون على حالة واحدة فنزلت (مواقيت) معالم يوقت بها الناس مزارعهم ومتاجرهم ومحال ديونهم وصومهم وفطرهم وعدد نسائهم وأيام حيضهن ومدد حملهن وغير ذلك ومعالم للحج يعرف بها وقته • كان ناس من الأنصار إذا أحرموا لم يدخل أحد منهم حائطا ولا دارا ولا فسطاطا من باب فإن كان من أهل المدر نقب نقبا في ظهر بيته منه يدخل ويخرج أو يتخذ سلما يصعد فيه وإن كان من أهل الوبر خرج من خلف الخباء فقيل لهم (ليس البر) بتحرجكم من دخول الباب (ولكن البر) بر (من اتقى) ما حرم الله (فإن قلت) ما وجه اتصاله بما قبله (قلت) كأنه قيل لهم عند سؤالهم عن الأهلة وعن الحكمة في نقصانها وتمامها معلوم أن كل ما يفعله الله عز وجل لا يكون إلا حكمة بالغة ومصلحة لعباده فدعوا السؤال عنه وانظروا في واحدة تفعلونها أنتم مما ليس من البر في شيء وأنتم تحسبونها برا ويجوز أن يجري ذلك على طريق الاستطراد لما ذكر أنها مواقيت للحج لأنه كان من أفعالهم في الحج ويحتمل أن يكون هذا تمثيلا لتعكيسهم في سؤالهم وأن مثلهم فيه كمثل من يترك باب البيت ويدخله من ظهره والمعنى ليس البر وما ينبغي أن تكونوا عليه بأن تعكسوا في مسائلكم ولكن البر بر من اتقى ذلك وتجنبه ولم يجسر على مثله ثم قال (وأتوا البيوت من أبوابها) أي وباشروا الأمور من وجوهها التي يجب أن تباشر عليها ولا تعكسوا والمراد وجوب توطين النفوس وربط القلوب على أن جميع أفعال الله حكمة وصواب من غير اختلاج شبهة ولا اعتراض شك في ذلك حتى لا يسأل عنه لما في السؤال من الاتهام بمقارفة الشك لا يسأل عما يفعل وهم يسألون • المقاتلة في سبيل الله هو الجهاد لإعلاء كلمة الله وإعزاز الدين (الذين يقاتلونكم) الذين يناجزونكم القتال دون المحاجزين وعلى هذا يكون منسوخا بقوله وقاتلوا المشركين كافة وعن الربيع بن أنس رضي الله عنه هي أول آية نزلت في القتال بالمدينة فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقاتل من قاتل ويكف عمن كف أو الذين يناصبونكم القتال دون من ليس من أهل المناصبة من الشيوخ والصبيان والرهبان والنساء أو الكفرة كلهم لأنهم جميعا مضادون للمسلمين قاصدون لمقاتلتهم فهم في حكم المقاتلة قاتلوا أو لم يقاتلوا وقيل لما صد المشركون رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الحديبية وصالحوه على أن يرجع من قابل فيخلوا له مكة ثلاثة أيام فرجع لعمرة القضاء خاف المسلمون أن لا تفي لهم قريش ويصدوهم ويقاتلوهم في الحرم وفي الشهر الحرام وكرهوا ذلك نزلت وأطلق لهم قتال الذين يقاتلونهم منهم في الحرم والشهر الحرام ورفع عنهم الجناح في ذلك (ولا تعتدوا) بابتداء القتال أو بقتال من نهيتم عن قتاله من النساء والشيوخ والصبيان والذين بينكم وبينهم عهد أو بالمثلة أو بالمفاجأة من غير دعوة (حيث ثقفتموهم) حيث وجدتموهم في حل أو حرم والثقف وجود على وجه الأخذ والغلبة ومنه

• قوله تعالى يسألونك عن الأهلة الآية (قال محمود رحمه الله فإن قلت ما وجه اتصال هذا الكلام الخ) قال أحمد رحمه الله ومثل هذا من الاستطراد في كتاب الله تعالى قوله وما يستوي البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح أجاج ومن كل تأكلون لحما طريا إلى آخر الآية فإنه تعالى بين عدم الاستواء بينهما إلى قوله أجاج وبذلك تم القصد في تمثيل عدم استواء الكافر والمسلم ثم قوله ومن كل تأكلون لا يتعلق به عدم الاستواء بل المعادلة استواؤهما فيما ذكر فهو من أجزاء الكلام بطريق الاستطراد المذكور وإنما مثلت هذا النوع الذي نبه عليه الزمخشري لتميزه عن الاستطراد الذي يتوقف عليه أهل صناعة البديع والمطابق لما نحن عليه سواء قوله تعالى لا تتولوا

رجل ثقف سريع الأخذ لأقرانه قال

فإما تثقفوني فاقتلوني * فمن أثقف فليس إلى خلود

(من حيث أخرجوكم) أي من مكة وقد فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم بمن لم يسلم منهم يوم الفتح (والفتنة أشد من القتل) أي المحنة والبلاء الذي ينزل بالإنسان يتعذب به أشد عليه من القتل وقيل لبعض الحكماء ما أشد من الموت قال الذي يتمنى فيه الموت جعل الإخراج من الوطن من الفتن والمحن التي يتمنى عندها الموت ومنه قول القائل

لقتل بحد السيف أهون موقعا * على النفس من قتل بحد فراق

وقيل الفتنة عذاب الآخرة وقيل الشرك أعظم من القتل في الحرم وذلك أنهم كانوا يستعظمون القتل في الحرم ويعيبون به المسلمين فقيل والشرك الذي هم عليه أشد وأعظم مما يستعظمونه ويجوز أن يراد فتنتهم إياكم بصدكم عن المسجد الحرام أشد من قتلكم إياهم في الحرم أو من قتلهم إياكم إن قاتلوكم فلا تبالوا بقتالهم * وقرئ ولا تقتلوهم حتى يقتلوكم فإن قتلوكم جعل وقوع القتل في بعضهم كوقوعه فيهم يقال قتلتنا بنو فلان وقال فإن تقتلونا نقتلكم (فإن انتهوا) عن الشرك والقتال كقوله إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف (حتى لا تكون فتنة) أي شرك (ويكون الدين لله) خالصا ليس للشيطان فيه نصيب (فإن انتهوا) عن الشرك (فلا عدوان إلا على الظالمين) فلا تعدوا على المنتهين لأن مقاتلة المنتهين عدوان وظلم فوضع قوله إلا على الظالمين موضع على المنتهين أو فلا تظلموا إلا الظالمين غير المنتهين سمى جزاء الظالمين ظلما للمشاكلة كقوله تعالى فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه أو أريد أنكم إن تعرضتم لهم بعد الانتهاء كنتم ظالمين فيسلط عليكم من يعدو عليكم * قاتلهم المشركون عام الحديبية في الشهر الحرام وهو ذو القعدة فقيل لهم عند خروجهم لعمرة القضاء وكراهتهم القتال وذلك في ذي القعدة (الشهر الحرام بالشهر الحرام) أي هذا الشهر بذلك الشهر وهتكه بهتكه يعني تهتكون حرمته عليهم كما هتكوا حرمته عليكم (والحرمات قصاص) أي وكل حرمة يجري فيها القصاص من هتك حرمة أي حرمة كانت اقتص منه بأن تهتك له حرمة فحين هتكوا حرمة شهركم فافعلوا بهم نحو ذلك ولا تبالوا وأكد ذلك بقوله (فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا الله) في حال كونكم منتصرين ممن اعتدى عليكم فلا تعتدوا إلى ما لا يحل لكم * الباء في (بأيديكم) مزيدة مثلها في أعطى بيده للمنقاد والمعنى ولا تقبضوا التهلكة أيديكم أي لا تجعلوها آخذة بأيديكم مالكة لكم وقيل بأيديكم بأنفسكم وقيل تقديره ولا تلقوا أنفسكم بأيديكم كما يقال أهلك فلان نفسه بيده إذا تسبب لهلاكها والمعنى النهي عن ترك الإنفاق في سبيل الله لأنه سبب الهلاك أو عن الإسراف في النفقة حتى يفقر نفسه ويضيع عياله أو عن الاستقتال والإخطار بالنفس أو عن ترك الغزو الذي هو تقوية للعدو وروي أن رجلا من المهاجرين حمل على صف العدو فصاح به الناس ألقى بيده إلى التهلكة فقال أبو أيوب الأنصاري نحن أعلم بهذه الآية وإنما أنزلت فينا صحبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فنصرناه وشهدنا معه المشاهد وآثرناه على أهالينا وأموالنا وأولادنا فلما فشا الإسلام وكثر أهله ووضعت الحرب أوزارها رجعنا إلى أهالينا وأولادنا وأموالنا نصلحها ونقيم فيها فكانت التهلكة الإقامة في الأهل والمال وترك الجهاد وحكى أبو علي في الحلبيات عن أبي عبيدة التهلكة والهلاك والهلك واحد قال فدل هذا من قول أبي عبيدة على أن التهلكة مصدر ومثله ما حكاه سيبويه من قولهم التضرة والتسرة ونحوها في الأعيان التنضبة والتتفلة ويجوز أن يقال أصلها التهلكة كالتجربة والتبصرة ونحوهما على أنها مصدر من هلك فأبدلت من الكسرة ضمة كما جاء الجوار في الجوار (وأتموا الحج والعمرة لله) ائتوا بهما تامين كاملين بمناسكهما وشرائطهما لوجه الله من غير توان ولا نقصان يقع منكم فيهما قال

تمام الحج أن تقف المطايا * على خرقاء واضعة اللثام

جعل الوقوف عليها كبعض مناسك الحج الذي لا يتم إلا به وقيل إتمامهما أن تحرم بهما من دويرة أهلك روي ذلك عن علي وابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهم وقيل أن تفرد لكل واحد منهما سفرا كما قال محمد حجة كوفية وعمرة كوفية أفضل وقيل أن تكون النفقة حلالا وقيل أن تخلصوهما للعبادة ولا تشوبوهما

من حيث أخرجوكم والفتنة أشد من القتل ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه فإن قاتلوكم فاقتلوهم كذلك جزاء الكافرين فإن انتهوا فإن الله غفور رحيم وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله فإن انتهوا فلا عدوان إلا على الظالمين الشهر الحرام بالشهر الحرام والحرمات قصاص فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا الله واعلموا أن الله مع المتقين وأنفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة وأحسنوا إن الله يحب المحسنين وأتموا الحج والعمرة لله

قوما غضب الله عليهم قد يئسوا من الآخرة كما يئس الكفار من أصحاب القبور فإنه ذم اليهود واستطرد بذلك ذم المشركين المنكرين للبعث على نوع من التشبيه لطيف بديع وفي البديع التمثيل بقوله

إذا ما اتقى الله الفتى وأطاعه فليس به بأس وإن كان من جرم

وسيأتي فيه مزيد تقرير إن شاء الله

فإن أحصرتم فما استيسر من الهدى ولا تحلقوا رؤسكم حتى يبلغ الهدى محله فمن كان منكم مريضا أو به أذى من رأسه ففدية من صيام أو صدقة أو نسك فإذا أمنتم فمن تمتع بالعمرة إلى الحج

بشئ من التجارة والأغراض الدنيوية (فإن قلت) هل فيه دليل على وجوب العمرة (قلت) ما هو إلا أمر بإتمامهما ولا دليل في ذلك على كونهما واجبين أو تطوعين فقد يؤمر بإتمام الواجب والتطوع جميعا إلا أن تقول الأمر بإتمامهما أمر بأدائهما بدليل قراءة من قرأ وأقيموا الحج والعمرة والأمر للوجوب في أصله إلا أن يدل دليل على خلاف الوجوب كما دل في قوله فاصطادوا وإذا قضيت الصلاة فانتشروا ونحو ذلك فيقال لك فقد دل الدليل على نفي الوجوب وهو ما روى أنه قيل يا رسول الله العمرة واجبة مثل الحج قال لا ولكن أن تعتمر خير لك وعنه الحج جهاد والعمرة تطوع (فإن قلت) فقد روى عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال إن العمرة لقرينة الحج وعن عمر رضي الله عنه أن رجلا قال له إني وجدت الحج والعمرة مكتوبين علي أهللت بهما جميعا فقال هديت لسنة نبيك وقد نظمت مع الحج في الأمر بالإتمام فكانت واجبة مثل الحج (قلت) كونها قرينة للحج أن القارن يقرن بينهما وأنهما يقترنان في الذكر فيقال حج فلان واعتمر والحجاج والعمار ولأنها الحج الأصغر ولا دليل في ذلك على كونها قرينة له في الوجوب وأما حديث عمر رضي الله عنه فقد فسر الرجل كونهما مكتوبين عليه بقوله أهللت بهما وإذا أهل بالعمرة وجبت عليه كما إذا كبر بالتطوع من الصلاة والدليل الذي ذكرناه أخرج العمرة من صفة الوجوب فبقي الحج وحده فهما بمنزلة قولك صم شهر رمضان وستة من شوال في أنك تأمره بفرض وتطوع وقرأ علي وابن مسعود والشعبي رضي الله عنهم والعمرة لله بالرفع كأنهم قصدوا بذلك إخراجها عن حكم الحج وهو الوجوب (فإن أحصرتم) يقال أحصر فلان إذا منعه أمر من خوف أو مرض أو عجز قال الله تعالى الذين أحصروا في سبيل الله وقال ابن ميادة

وما هجر ليلى أن تكون تباعدت ٭ عليك ولا أن أحصرتك شغول

وحصر إذا حبسه عدو عن المضي أو سجن ومنه قيل للمحبس الحصير وللملك الحصير لأنه محجوب هذا هو الأكثر في كلامهم وهما بمعنى المنع في كل شئ مثل صده وأصده وكذلك قال الفراء وأبو عمرو الشيباني وعليه قول أبي حنيفة رحمهم الله كل منع عنده من عدو كان أو مرض أو غيرهما معتبر في إثبات حكم الإحصار وعند مالك والشافعي منع العدو وحده وعن النبي صلى الله عليه وسلم من كسر أو عرج فقد حل وعليه الحج من قابل (فما استيسر من الهدى) فما تيسر منه يقال يسر الأمر واستيسر كما يقال صعب واستصعب والهدى جمع هدية كما يقال في جدية السرج جدى وقرئ من الهدى بالتشديد جمع هدية كمطية ومطي يعني فإن منعتم من المضي إلى البيت وأنتم محرمون بحج أو عمرة فعليكم إذا أردتم التحلل ما استيسر من الهدى من بعير أو بقرة أو شاة (فإن قلت) أين ومتى ينحر هدى المحصر (قلت) إن كان حاجا فبالحرم متى شاء عند أبي حنيفة يبعث به ويجعل للمبعوث على يده يوم أمار وعندهما في أيام النحر وإن كان معتمرا فبالحرم في كل وقت عندهم جميعا وما استيسر رفع بالابتداء أي فعليه ما استيسر أو نصب على فاهدوا ما استيسر (ولا تحلقوا رؤسكم) الخطاب للمحصرين أي لا تحلوا حتى تعلموا أن الهدى الذي بعثتموه إلى الحرم بلغ (محله) أي مكانه الذي يجب نحره فيه ومحل الدين وقت وجوب قضائه وهو ظاهر على مذهب أبي حنيفة رحمه الله (فإن قلت) إن النبي صلى الله عليه وسلم نحر هديه حيث أحصر (قلت) كان محصره طرف الحديبية الذي إلى أسفل مكة وهو من الحرم وعن الزهري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نحر هديه في الحرم وقال الواقدي الحديبية هي طرف الحرم على تسعة أميال من مكة (فمن كان منكم مريضا) فمن كان به مرض يحوجه إلى الحلق (أو به أذى من رأسه) وهو القمل أو الجراحة فعليه إذا احتلق فدية (من صيام) ثلاثة أيام (أو صدقة) على ستة مساكين لكل مسكين نصف صاع من بر (أو نسك) وهو شاة وعن كعب بن عجرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له لعلك آذاك هوامك قال نعم يا رسول الله قال احلق وانسك وصم ثلاثة أيام أو أطعم ستة مساكين أو انسك شاة وكان كعب يقول في نزلت هذه الآية وروى أنه مر به وقد قرح رأسه فقال كفى بهذا أذى وأمره أن يحلق ويطعم أو يصوم والنسك مصدر وقيل جمع نسيكة وقرأ الحسن أو نسك بالتخفيف (فإذا أمنتم) الإحصار يعني فإذا لم تحصروا وكنتم في حال أمن وسعة (فمن تمتع) أي استمتع (بالعمرة إلى الحج) واستمتاعه بالعمرة إلى

• قوله تعالى الحج أشهر معلومات (قال محمود رحمه الله هي شوال وذو القعدة الخ) قال أحمد الذي نقله عن مالك أحد قوليه وليس بالمشهور عنه وأما استدلاله له بقول ٢٥٤ بكراهة عمر لاعتمار في أشهر الحرم ولا ينهض دليلا لمالك لانه يقول لا تستحب العمرة في أثنائه

وقت الحج انتفاعه بالتقرب بها إلى الله قبل الانتفاع بتقربه بالحج وقيل إذا حل من عمرته انتفع باستباحة ما كان محرما عليه إلى أن يحرم بالحج (فما استيسر من الهدي) هو هدي المتعة وهو نسك عند أبي حنيفة ويأكل منه وعند الشافعي يجري مجرى الجنايات ولا يأكل منه ويذبحه يوم النحر عندنا وعنده يجوز ذبحه إذا أحرم بحجه (فمن لم يجد الهدي (فـ) عليه (صيام ثلاثة أيام في الحج) أي في وقته وهو أشهره ما بين الإحرامين إحرام العمرة وإحرام الحج وهو مذهب أبي حنيفة رحمه الله والأفضل أن يصوم يوم التروية وعرفة ويوما قبلهما وإن مضى هذا الوقت لم يجزه إلا الدم وعند الشافعي لا تصام إلا بعد الإحرام بالحج تمسكا بظاهر قوله (في الحج) (وسبعة إذا رجعتم) يعني إذا نفرتم وفرغتم من أفعال الحج عند أبي حنيفة وعند الشافعي هو الرجوع إلى أهاليهم وقرأ ابن أبي عبلة وسبعة بالنصب عطفا على محل ثلاثة أيام كأنه قيل فصيام ثلاثة أيام كقوله أو إطعام في يوم ذي مسغبة يتيما (تلك عشرة) فذلكة الحساب (فإن قلت) ما فائدة الفذلكة (قلت) الواو قد تجيء للإباحة في نحو قولك جالس الحسن وابن سيرين ألا ترى أنه لو جالسهما جميعا أو واحدا منهما كان ممتثلا ففذلكت نفيا لتوهم الإباحة وأيضا ففائدة الفذلكة في كل حساب أن يعلم العدد جملة كما علم تفصيلا ليحاط به من جهتين فيتأكد العلم وفي أمثال العرب علمان خير من علم وكذلك (كاملة) تأكيد آخر وفيه زيادة توصية بصيامها وأن لا يتهاون بها ولا ينقص من عددها كأنه قيل للرجل إذا كان لك اهتمام بأمر تأمره به وكان منك بمنزلة الله الله لا تقصر وقيل كاملة في وقوعها بدلا من الهدي وفي قراءة أبي فصيام ثلاثة أيام متتابعات (ذلك) إشارة إلى التمتع عند أبي حنيفة وأصحابه لا متعة ولا قران لحاضري المسجد الحرام عندهم ومن تمتع منهم أو قرن كان عليه دم وهو دم جناية لا يأكل منه وأما القارن والمتمتع من أهل الآفاق فدمهما دم نسك يأكلان منه وعند الشافعي إشارة إلى الحكم الذي هو وجوب الهدي أو الصيام ولم يوجب عليهم شيئا وحاضرو المسجد الحرام وأهل المواقيت فمن دونها إلى مكة عند أبي حنيفة وعند الشافعي أهل الحرم ومن كان من الحرم على مسافة لا تقصر فيها الصلاة (واتقوا الله) في المحافظة على حدوده وما أمركم به ونهاكم عنه في الحج وغيره (واعلموا أن الله شديد العقاب) لمن خالف ليكون علمكم بشدة عقابه لطفا لكم في التقوى (الحج أشهر) كقولك البرد شهران • والأشهر المعلومات شوال وذو القعدة وعشر ذي الحجة عند أبي حنيفة وعند الشافعي تسع ذي الحجة وليلة يوم النحر وعند مالك ذو الحجة كله (فإن قلت) ما فائدة توقيت الحج بهذه الأشهر (قلت) فائدته أن شيئا من أفعال الحج لا يصح إلا فيها والإحرام بالحج لا ينعقد أيضا عند الشافعي في غيرها وعند أبي حنيفة ينعقد إلا أنه مكروه (فإن قلت) فكيف كان الشهران وبعض الشهر أشهرا (قلت) اسم الجمع يشترك فيه ما وراء الواحد بدليل قوله تعالى فقد صغت قلوبكما فلا سؤال فيه إذن وإنما كان يكون موضعا للسؤال لو قيل ثلاثة أشهر معلومات وقيل نزل بعض الشهر منزلة كله كما يقال رأيتك سنة كذا أو على عهد فلان ولعل العهد عشرون سنة أو أكثر وإنما رآه في ساعة منها (فإن قلت) ما وجه مذهب مالك وهو مروي عن عروة بن الزبير (قلت) قالوا وجهه أن العمرة غير مستحبة فيها عند عمر وابن عمر فكأنها مخلصة للحج لا مجال فيها للعمرة وعن عمر رضي الله عنه أنه كان يخفق الناس بالدرة وينهاهم عن الاعتمار فيهن وعن ابن عمر رضي الله عنه أنه قال لرجل إن أطعتني انتظرت حتى إذا أهللت المحرم خرجت إلى ذات عرق فأهللت منها بعمرة وقالوا لعل من مذهب عروة جواز تأخير طواف الزيارة إلى آخر الشهر (معلومات) معروفات عند الناس لا يشكلن عليهم وفيه أن الشرع لم يأت على خلاف ما عرفوه وإنما جاء مقررا له (فمن فرض فيهن الحج) فمن ألزم نفسه بالتلبية أو بتقليد الهدي وسوقه عند أبي حنيفة وعند الشافعي بالنية (فلا رفث) فلا جماع لأنه يفسده أو فلا فحش من الكلام (ولا فسوق) ولا خروج عن حدود الشريعة وقيل هو السباب والتنابز بالألقاب

• في خاصة أن يحج ما لم يتم الرمي ويحل بالإفاضة فقد وجميع السنة ما عدا هذه كوميقات للعمرة ولا تظهر فائدة هذا القول عند مالك إلا في إسقاط الدم عن مؤخر طواف الإفاضة إلى آخر ذي الحجة لا غير وهي الفائدة التي نقلها الزمخشري عن عروة ولعمري إن هذا القول

فما استيسر من الهدي فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام في الحج وسبعة إذا رجعتم تلك عشرة كاملة ذلك لمن لم يكن أهله حاضري المسجد الحرام واتقوا الله واعلموا أن الله شديد العقاب الحج أشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق

حسن، إلا أن الإجماع لمذهبه يمكن ظاهر الآية ومقتضاها أن جملة الأشهر هي زمان الحج ألا ترى أن من قال وعشر من ذي الحجة يحتاج في تنزيل الآية على مذهبه إلى تقرير أن بعض الشهر يتنزل منزلة جميعه ويستشهد على ذلك بقوله

• ثلاثون شهرا أي ثلاثة أحوال [illegible] حوجه إلى دعوى خروج معظمه عن ظاهر الآية [illegible] ولا ظاهره في كمال الأشهر الثلاثة [illegible] مع [illegible] (٢) لعل الصواب حذف الواو إذ لا موقع لها كما لا يخفى اهـ

* قوله تعالى فلا رفث ولا فسوق الآية (قال محمود رحمه الله إنما أمر باجتناب ذلك في الحج واجتنابه واجب الخ) قال أحمد رحمه الله وفيه نكتة تتعلق بعلم البيان وهي أن تخصيص الحج بالنهي عن الرفث فيه والفسوق والجدال يشعر بأنها في غير الحج وإن كانت منهيا عنها وقبيحة إلا أن ذلك القبح الثابت لها في غير الحج كلا قبح بالنسبة الى وقوعها في الحج فاشتمل هذا التخصيص على هذا النوع من المبالغة البليغة والله أعلم على أن الرفث إن كان الحديث في أمر الجماع خاصة فالنهي عنه خاص بالحج وهو جائز في غيره على الوجه الشرعي وقد نبه مالك رضي الله عنه على أنه لا بأس للحاج بالسعي في أمور النساء إلا أن ذلك ربما يوقع في الوهم أنه يؤدي ٢٥٥ الى ترك المحظور وهذا يدل على تشديد مالك في حظر الرفث للحاج وما يتعلق به والله أعلم وسمعت الشافعية يلهجون بالاعتراض على إسحق في قوله من التنبيه وتحرم الغيبة على الصائم فيقولون وعلى المفطر ولا فائدة في تخصيص الصائم ويعدون ذلك وهما منه وهم بمعزل عن هذه

ولا جدال في الحج وما تفعلوا من خير يعلمه الله وتزودوا فإن خير الزاد التقوى واتقون يا أولي الألباب ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم فإذا أفضتم من عرفات

(ولا جدال) ولا مراء مع الرفقاء والخدم والمكارين وإنما أمر باجتناب ذلك وهو واجب الاجتناب في كل حال لأنه مع الحج أسمج كلبس الحرير في الصلاة والتطريب في قراءة القرآن والمراد بالنفي وجوب انتفائها وأنها حقيقة بأن لا تكون * وقرئ المنفيات الثلاث بالنصب وبالرفع وقرأ أبو عمرو وابن كثير الأولين بالرفع والآخر بالنصب لأنهما حملا الأولين على معنى النهي كأنه قيل فلا يكونن رفث ولا فسوق والثالث على معنى الإخبار بانتفاء الجدال كأنه قيل ولا شك ولا خلاف في الحج وذلك أن قريشا كانت تخالف سائر العرب فتقف بالمشعر الحرام وسائر العرب يقفون بعرفة وكانوا يقدمون الحج سنة ويؤخرونه سنة وهو النسيء فرد الى وقت واحد ورد الوقوف الى عرفة فأخبر الله تعالى أنه قد ارتفع الخلاف في الحج واستدل على أن المنهي عنه هو الرفث والفسوق دون الجدال بقوله صلى الله عليه وسلم من حج فلم يرفث ولم يفسق خرج كهيئة يوم ولدته أمه وأنه لم يذكر الجدال (وما تفعلوا من خير يعلمه الله) حث على الخير عقيب النهي عن الشر وأن يستعملوا مكان القبيح من الكلام الحسن ومكان الفسوق البر والتقوى ومكان الجدال الوفاق والأخلاق الجميلة أو جعل فعل الخير عبارة عن ضبط أنفسهم حتى لا يوجد منهم ما نهوا عنه وينصره قوله تعالى (وتزودوا فإن خير الزاد التقوى) أي اجعلوا زادكم الى الآخرة اتقاء القبائح فإن خير الزاد اتقاؤها وقيل كان أهل اليمن لا يتزودون ويقولون نحن متوكلون ونحن نحج بيت الله أفلا يطعمنا فيكونون كلا على الناس فنزلت فيهم ومعناه وتزودوا واتقوا الاستطعام وإبرام الناس والتثقيل عليهم فإن خير الزاد التقوى (واتقون) وخافوا عقابي (يا أولي الألباب) يعني أن قضية اللب تقوى الله ومن لم يتقه من الألباء فكأنه لا لب له (فضلا من ربكم) عطاء منه وتفضلا وهو النفع والربح بالتجارة وكان ناس من العرب يتأثمون أن يتجروا أيام الحج وإذا دخل العشر كفوا عن البيع والشراء فلم تقم لهم سوق ويسمون من يخرج بالتجارة الداج ويقولون هؤلاء الداج وليسوا بالحاج وقيل كانت عكاظ ومجنة وذو المجاز أسواقهم في الجاهلية يتجرون فيها أيام الموسم وكانت معايشهم منها فلما جاء الإسلام تأثموا فرفع عنهم الجناح في ذلك وأبيح لهم وإنما يباح ما لم يشغل عن العبادة وعن ابن عمر رضي الله عنه أن رجلا قال له إنا قوم نكري في هذا الوجه وإن قوما يزعمون أن لا حج لنا فقال سأل رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم عما سألت فلم يرد عليه حتى نزل ليس عليكم جناح فدعا به فقال أنتم حجاج وعن عمر رضي الله عنه أنه قيل له هل كنتم تكرهون التجارة في الحج فقال وهل كانت معايشنا إلا من التجارة في الحج وقرأ ابن عباس رضي الله عنهما فضلا من ربكم في مواسم الحج * أن تبتغوا في أن تبتغوا (أفضتم) دفعتم بكثرة وهو من إفاضة الماء وهو صبه بكثرة وأصله أفضتم أنفسكم فترك ذكر المفعول كما ترك في دفعوا من موضع كذا وصبوا وفي حديث أبي بكر رضي الله عنه صب ٣ في دقران وهو يحرش بعيره بمحجنه ويقال أفاضوا في الحديث وهضبوا فيه * (عرفات) علم للموقف سمي بجمع كأذرعات (فإن قلت) هلا منعت الصرف وفيها السببان التعريف والتأنيث (قلت) لا يخلو التأنيث إما أن يكون بالتاء التي في لفظها وإما بتاء مقدرة كالتي في سعاد فالتي في لفظها

الآية وأمثالها فقد وقعت عبارته [illegible] الكتاب العزيز به فحصلت المصالحة وصحة العبارات * قوله تعالى فإذا أفضتم من عرفات (قال محمود رحمه الله فإن قلت هلا منعت عرفات الصرف الخ) قال أحمد رحمه الله يلزمه إذا سمى امرأة بمسلمات أن لا يصرفه فيقول هذه مسلمات بغير تنوين وهو قول رديء لكن الأفصح الصحيح في مسلمات إذا سمي به أن ينون واعلم أن الزمخشري كلامه هنا مدع أن تنوين عرفات للتمكين لا للمقابلة ولذلك أسقط تنوين المقابلة من أنواع التنوين التي عدها في مفصله على أنه راجع الى تنوين التمكين

٣ (قوله في دقران) كذا في نسخة بالدال المهملة والقاف وفي نسخة ذفران وكتب عليها بالهامش بالذال المعجمة والفاء المكسورة على فعلان من نهاية ابن الأثير اه وفي القاموس في فصل الدال المهملة مع القاف ودقران كسلمان واد قرب وادي الصفراء وقال في فصل الذال المعجمة مع الفاء وذفران بكسر الفاء واد قرب وادي الصفراء أو تصحيف لدقران اه مصححه

* قوله تعالى ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس (قال محمود رحمه الله وذلك لما كان عليه الحمس من الترفع في الجاهلية الخ) قال أحمد رحمه الله وقد اشتملت الآية على كلمتين إحداهما عطف الإفاضتين إحداهما على الأخرى ومن جمعهما وحدوهما والإفاضة المأمور بها فربما يتوهم متوهم أنه من باب عطف الشيء على نفسه فبرز هذا الوهم بأن بينهما من التغاير ما بين العموم والخصوص والمعبر عنه أولا الإفاضة من حيث هي غير مقيدة والمأمور به ثانيا الإفاضة مخصوصة بمساواة الناس والثانية بعد وضوح استقامة العطف لكونه وقع بحرف المهلة وذلك يستدعي التراخي معنى فإن التراخي وليس بين الإفاضة المطلقة والمقيدة تراخ فالجواب

فاذكروا الله عند المشعر الحرام واذكروه كما هداكم وإن كنتم من قبله لمن الضالين ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس واستغفروا الله إن الله غفور رحيم فإذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله كذكركم آباءكم أو أشد ذكرا

غير ذلك أن التراخي كما يكون باعتبار الزمان قد يكون باعتبار علو المرتبة وبعدها في العلو بالنسبة إلى غيره وهو الذي أجاب به بمزيد بسط وإيضاح * قوله تعالى فاذكروا الله كذكركم آباءكم أو أشد ذكرا (قال محمود رحمه الله أشد معطوف على ما أضيف إليه الذكر الخ) قال أحمد رحمه الله على أن يكون شدد عطفا على المذكور المعمول ومثاله على الأول أن يضرب زيد مثلا فيقول أيهما أشد ضربا زيد فتوقعه على الضارب ومثال الثاني أن يضرب زيد اثنين مثلا فتقول أيهما أشد ضربا فتوقعه على المضروب وعلى الوجه الأول يكون التفضيل على الفاعل وهو القياس وعلى الثاني يكون التفضيل على المفعول وهو خلاف القياس وقد ذكر الزمخشري في مفصله أنه شاذ بقولهم أشغل من ذات النحيين وأشهر من مثله فيا ليت شعري كيف حمل الآية عليه وقد وجد عنه غير ذلك سبيلا وفي الوجهين جميعا فرمن عطف أشد على الذكر الأول لئلا يكون واقعا على

ليست للتأنيث وإنما هي مع الألف التي قبلها علامة جمع المؤنث ولا يصح تقدير التأنيث فيها لأن هذه التاء لاختصاصها بجمع المؤنث مانعة من تقديرها كما لا تقدر تاء التأنيث في بنت لأن التاء التي هي بدل من الواو لاختصاصها بالمؤنث كتاء التأنيث فأبت تقديرها وقالوا سميت بذلك لأنها وصفت لإبراهيم عليه السلام فلما أبصرها عرفها وقيل إن جبريل حين كان يدور به في المشاعر أراه إياها فقال قد عرفت وقيل التقى فيها آدم وحواء فتعارفا وقيل لأن الناس يتعارفون فيها والله أعلم بحقيقة ذلك وهي من الأسماء المرتجلة لأن العرفة لا تعرف في أسماء الأجناس إلا أن تكون جمع عارف وفي الآية دليل على وجوب الوقوف بعرفة لأن الإفاضة لا تكون إلا بعده وعن النبي صلى الله عليه وسلم الحج عرفة فمن أدرك عرفة فقد أدرك الحج (فاذكروا الله) بالتلبية والتهليل والتكبير والثناء والدعوات وقيل بصلاة المغرب والعشاء (عند المشعر الحرام) قزح هو الجبل الذي يقف عليه الإمام وعليه الميقدة وقيل المشعر الحرام ما بين جبلي المزدلفة من مأزمي عرفة إلى وادي محسر وليس المأزمان ولا وادي محسر من المشعر الحرام والصحيح أنه الجبل لما روى جابر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم لما صلى الفجر يعني بالمزدلفة بغلس ركب ناقته حتى أتى المشعر الحرام فدعا وكبر وهلل ولم يزل واقفا حتى أسفر وقوله تعالى عند المشعر الحرام معناه مما يلي المشعر الحرام قريبا منه وذلك للفضل كالقرب من جبل الرحمة وإلا فالمزدلفة كلها موقف إلا وادي محسر أو جعلت أعقاب المزدلفة لكونها في حكم المشعر ومتصلة به عند المشعر والمشعر المعلم لأنه معلم العبادة ووصف بالحرام لحرمته وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه نظر إلى الناس ليلة جمع فقال لقد أدركت الناس هذه الليلة لا ينامون وقيل سميت المزدلفة وجمعا لأن آدم صلوات الله عليه اجتمع فيها مع حواء وازدلف إليها أي دنا منها وعن قتادة لأنه يجمع فيها بين الصلاتين ويجوز أن يقال وصفت بفعل أهلها لأنهم يزدلفون إلى الله أي يتقربون بالوقوف فيها (كما هداكم) ما مصدرية أو كافة والمعنى واذكروه ذكرا حسنا كما هداكم هداية حسنة أو واذكروه كما علمكم كيف تذكرونه لا تعدلوا عنه (وإن كنتم من قبله) من قبل الهدى (لمن الضالين) الجاهلين لا تعرفون كيف تذكرونه وتعبدونه وإن هي المخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة (ثم أفيضوا) ثم لتكن إفاضتكم (من حيث أفاض الناس) ولا تكن من المزدلفة وذلك لما كان عليه الحمس من الترفع على الناس والتعالي عليهم وتعظمهم عن أن يساووهم في الموقف وقولهم نحن أهل الله وقطان حرمه فلا نخرج منه فيقفون بجمع وسائر الناس بعرفات (فإن قلت) فكيف موقع ثم (قلت) نحو موقعها في قولك أحسن إلى الناس ثم لا تحسن إلى غير كريم تأتي بثم لتفاوت ما بين الإحسان إلى الكريم والإحسان إلى غيره وبعد ما بينهما فكذلك حين أمرهم بالذكر عند الإفاضة من عرفات قال ثم أفيضوا لتفاوت ما بين الإفاضتين وأن إحداهما صواب والثانية خطأ وقيل ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس وهم الحمس أي من المزدلفة إلى منى بعد الإفاضة من عرفات وقرئ من حيث أفاض الناس بكسر السين أي الناسي وهو آدم من قوله فنسي يعني أن الإفاضة من عرفات شرع قديم فلا تغيروه (واستغفروا الله) من مخالفتكم في الموقف ونحو ذلك من جاهليتكم (فإذا قضيتم مناسككم) فإذا فرغتم من عباداتكم الحجية ونفرتم (فاذكروا الله كذكركم آباءكم) فأكثروا ذكر الله وبالغوا فيه كما تفعلون في ذكر آبائكم ومفاخرهم وأيامهم وكانوا إذا قضوا مناسكهم وقفوا بين المسجد بمنى وبين الجبل فيعددون فضائل آبائهم ويذكرون محاسن أيامهم (أو أشد ذكرا) في موضع جر عطف على ما أضيف إليه الذكر

في

الذكر وقد انتصب الذكر تمييزا عنه فيكون الذكر ذاكرا وهو محال لكن أبا الفتح صحح هذا الوجه وألحقه بباب قولهم شعر شاعر وجن جنونه ونحوه مما بالغت العرب فيه حتى جعلت للصفة صفة مثلها تمكينا لثبوتها ومع ذلك فانتصاب الذكر تمييزا يوجب ان لا يقع أشد عليه ويمتنع وجه منه اما ان يقع على الجثة لذا كرة بتأويل جعله ذاكرا على ما صار اليه أبو الفتح اذ لو قلت زيد أكرم أبا لكان زيد من الأبناء ولو قلت زيد أكرم أب لكان من الآباء فيتعين عطفه على الذكر اي وجها آخر سوى ما ذهب اليه أبو الفتح وهو ان يكون من باب ما ذكره سيبويه قال ويقولون هو أشجع الناس رجلا وهما خير الناس اثنين فالمجرور هنا بمنزلة التنوين وانتصب الرجل والاثنين كما انتصب الوجه في قولك هو أحسن منه وجها ولا تكون الا نكرة ٢٥٧ كما لا تكون الحال الا نكرة والرجل هو الاسم المبتدأ فانما أراد بذلك ان هذا ليس بمثابة هو أشجع الناس غلاما فان هذا يجوز ان يكون غلاما هو الاسم المبتدأ كما في المثال الاول

في قوله كذكركم كما تقول كذكر قريش آباءهم أو قوم أشد منهم ذكرا أو في موضع نصب عطف على آباءكم بمعنى أو أشد ذكرا من آبائكم على ان ذكرا من فعل المذكور (فمن الناس من يقول) معناه أكثروا ذكر الله ودعاءه فان الناس من بين مقل لا يطلب بذكر الله الا اعراض الدنيا ومكثر يطلب خير الدارين فكونوا من المكثرين (آتنا في الدنيا) اجعل ايتاءنا أي اعطاءنا في الدنيا خاصة (وماله في الآخرة من خلاق) أي من طلب خلاق وهو النصيب أو ماله الداعي في الآخرة من نصيب لان همه مقصور على الدنيا * والحسنتان ما هو طلبة الصالحين في الدنيا من الصحة والكفاف والتوفيق في الخير وطلبتهم في الآخرة من الثواب وعن علي رضي الله عنه الحسنة في الدنيا المرأة الصالحة وفي الآخرة الحوراء وعذاب النار امرأة السوء (أولئك) الداعون بالحسنتين (لهم نصيب مما كسبوا) أي نصيب من جنس ما كسبوا من الاعمال الحسنة وهو الثواب الذي هو المنافع الحسنة أو من أجل ما كسبوا كقوله مما خطيئاتهم أغرقوا أو لهم نصيب مما دعوا به نعطيهم منه ما يستوجبونه بحسب مصالحهم في الدنيا واستحقاقهم في الآخرة وسمى الدعاء كسبا لانه من الاعمال والاعمال موصوفة بالكسب بما كسبت أيديكم ويجوز ان يكون أولئك للفريقين جميعا وان لكل فريق نصيبا من جنس ما كسبوا (والله سريع الحساب) يوشك ان يقيم القيامة ويحاسب العباد فبادروا اكثار الذكر وطلب الآخرة أو وصف نفسه بسرعة حساب الخلائق على كثرة عددهم وكثرة أعمالهم ليدل على كمال قدرته ووجوب الحذر منه روي انه يحاسب الخلق في قدر حلب شاة وروي في مقدار فواق ناقة وروي في مقدار لمحة * الايام المعدودات أيام التشريق وذكر الله فيها التكبير في أدبار الصلوات وعند الجمار وعن عمر رضي الله عنه انه كان يكبر في فسطاطه بمنى فيكبر من حوله حتى يكبر الناس في الطريق وفي الطواف (فمن تعجل) فمن عجل في النفر أو استعجل النفر وتعجل واستعجل يجيئان مطاوعين بمعنى عجل يقال تعجل في الامر واستعجل ومتعديين يقال تعجل الذهاب واستعجله والمطاوعة أوفق لقوله ومن تأخر كما هي كذلك في قوله

قد يدرك المتأني بعض حاجته * وقد يكون مع المستعجل الزلل

لاجل المتأني (في يومين) بعد يوم النحر يوم القر وهو اليوم الذي يسميه أهل مكة يوم الرؤس واليوم بعده ينفر اذا فرغ من رمي الجمار كما يفعل الناس اليوم وهو مذهب الشافعي ويروى عن قتادة وعند أبي حنيفة وأصحابه ينفر قبل طلوع الفجر (ومن تأخر) حتى رمى في اليوم الثالث والرمي في اليوم الثالث يجوز تقديمه على الزوال عند أبي حنيفة وعند الشافعي لا يجوز (فان قلت) كيف قال (فلا اثم عليه) عند التعجل والتأخر جميعا (قلت) دلالة على ان التعجل والتأخر مخير فيهما كأنه قيل فتعجلوا أو تأخروا (فان قلت) أليس التأخر بأفضل (قلت) بلى ويجوز ان يقع التخيير بين الفاضل والافضل كما خير المسافر بين الصوم والافطار وان كان الصوم أفضل

فمن الناس من يقول ربنا آتنا في الدنيا وماله في الآخرة من خلاق ومنهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار أولئك لهم نصيب مما كسبوا والله سريع الحساب واذكروا الله في أيام معدودات فمن تعجل في يومين فلا اثم عليه ومن تأخر فلا اثم عليه

ويجوز ان يكون غيره حالا آية على هذا الوجه الذي أوضحته منزلة على المثال الاول فيكون ذكرا المنصوب واقعا على أشد كما كان الرجل المنصوب واقعا على أشجع وكأنه قال أو أشد الاذكار

٢٣ كشاف ل ذكرت هذه وجوه أربعة كلها معروفة لا هذا الوجه الذي رددته فان خاطري أبو عذرته كخشية الله أو أشد خشية ولم أقف على كلام الزمخشري فيما بعده قوله تعالى فمن تعجل في يومين فلا اثم عليه الآية (قال محمود نفى الاثم في الطرفين جميعا ليدل على التخيير بين الامرين الفاضل والافضل كما خير المسافر بين الصوم والفطر وان كان الصوم أفضل) قال أحمد رحمه الله قوله ان التخيير يقع بين الفاضل والافضل غير مستقيم فان التخيير يوجب التساوي في غرض المخير وينافي طلب أحد الطرفين والأمر به وكيف يستقيم اجتماع ما يوجب الطلب والترجيح وما يوجب التساوي والتخيير وقد وقع لامام الحرمين قريب من هذا فانه ميز الوجوب من الندب بان الندب يشتمل على اقتران الامر بخيرة الترك ولا كذلك الوجوب ولم يرضه محققو الفن وانما أحوج الزمخشري في تفسيره الآية فألزمه ذلك السؤال الوارد عليه وبيان عدم التطابق بين تفسيره والآية ان مضمونها نفي الاثم عن الطرفين جميعا وهذا القدر مشترك

وقيل إن أهل الجاهلية كانوا فريقين منهم من جعل المتعجل آثماً ومنهم من جعل المتأخر آثماً فورد القرآن بنفي المأثم عنهما جميعاً (لمن اتقى) أي ذلك التخيير ونفي الإثم عن المتعجل والمتأخر لأجل الحاج المتقي لئلا يتخالج في قلبه شيء منهما فيحسب أن أحدهما يرهق صاحبه آثاماً في الإقدام عليه لأن ذا التقوى حذر متحرز من كل ما يريبه ولأنه هو الحاج على الحقيقة عند الله ثم قال (واتقوا الله) ليعبأ بكم ويجوز أن يراد ذلك الذي مر ذكره من أحكام الحج وغيره لمن اتقى لأنه هو المنتفع به دون من سواه كقوله ذلك خير للذين يريدون وجه الله (ومن الناس من يعجبك قوله) أي يروقك ويعظم في قلبك ومنه الشيء العجيب الذي يعظم في النفس وهو الأخنس بن شريق كان رجلاً حلو المنطق إذا لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم ألان له القول وادعى أنه يحبه وأنه مسلم وقال يعلم الله أني صادق وقيل هو عام في المنافقين كانت تحلولي ألسنتهم وقلوبهم أمر من الصبر (في الحياة) متعلق بقوله (في الحياة الدنيا) (قلت) بالقول أي يعجبك ما يقوله في معنى الدنيا لأن ادعاءه المحبة بالباطل يطلب به حظاً من حظوظ الدنيا ولا يريد به الآخرة كما تراد بالإيمان الحقيقي والمحبة الصادقة للرسول فكلامه إذن في الدنيا لا في الآخرة ويجوز أن يتعلق بيعجبك أي قوله حلو فصيح في الدنيا فهو يعجبك ولا يعجبك في الآخرة لما يرهقه في الموقف من الحبسة واللكنة أو لأنه لا يؤذن له في الكلام فلا يتكلم حتى يعجبك كلامه (ويشهد الله على ما في قلبه) أي يحلف ويقول الله شاهد على ما في قلبي من محبتك ومن الإسلام وقرئ ويشهد الله وفي مصحف أبي ويستشهد الله (وهو ألد الخصام) وهو شديد الجدال والعداوة للمسلمين وقيل كان بينه وبين ثقيف خصومة فبيتهم ليلاً وأهلك مواشيهم وأحرق زروعهم والخصام المخاصمة وإضافة الألد بمعنى في كقولهم ثبت الغدر أو جعل الخصام ألد على المبالغة وقيل الخصام جمع خصم كصعب وصعاب بمعنى وهو أشد الخصوم خصومة (وإذا تولى) عنك وذهب بعد إلانة القول وإحلاء المنطق (سعى في الأرض ليفسد فيها) كما فعل بثقيف وقيل وإذا تولى وإذا كان والياً فعل ما يفعله ولاة السوء من الفساد في الأرض بإهلاك الحرث والنسل وقيل يظهر الظلم حتى يمنع الله بشؤم ظلمه القطر فيهلك الحرث والنسل وقرئ ويهلك الحرث والنسل على أن الفعل للحرث والنسل والرفع للعطف على سعى وقرأ الحسن بفتح اللام وهي لغة نحو أبى يأبى وروي عنه ويهلك على البناء للمفعول (أخذته العزة بالإثم) من قولك أخذته بكذا إذا حملته عليه وألزمته إياه أي حملته العزة التي فيه وحمية الجاهلية على الإثم الذي ينهى عنه وألزمته ارتكابه وأن لا يخلي عنه ضراراً ولجاجاً أو على رد قول الواعظ (يشري نفسه) يبيعها أي يبذلها في الجهاد وقيل يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر حتى يقتل وقيل نزلت في صهيب بن سنان أراده المشركون على ترك الإسلام وقتلوا نفراً كانوا معه فقال لهم أنا شيخ كبير إن كنت معكم لم أنفعكم وإن كنت عليكم لم أضركم فخلوني وما أنا عليه وخذوا مالي فقبلوا منه ماله وأتى المدينة (والله رؤوف بالعباد) حيث كلفهم الجهاد فعرضهم لثواب الشهداء (السلم) بكسر السين وفتحها وقرأ الأعمش بفتح السين واللام وهو الاستسلام والطاعة أي استسلموا لله وأطيعوه (كافة) لا يخرج أحد منكم يده عن طاعته وقيل هو الإسلام والخطاب لأهل الكتاب لأنهم آمنوا بنبيهم وكتابهم أو للمنافقين لأنهم آمنوا بألسنتهم ويجوز أن يكون كافة حالاً من السلم لأنها تؤنث كما تؤنث الحرب قال

السلم تأخذ منها ما رضيت به * والحرب يكفيك من أنفاسها جرع

على أن المؤمنين أمروا أن يدخلوا في الطاعات كلها وأن لا يدخلوا في طاعة دون طاعة أو في شعب الإسلام وشرائعه كلها وأن لا يخلوا بشيء منها وعن عبد الله بن سلام أنه استأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقيم على السبت وأن يقرأ من التوراة في صلاته من الليل وكافة من الكف كأنهم كفوا أن يخرج منهم أحد باجتماعهم (فإن زللتم) عن الدخول في السلم (من بعد ما جاءتكم البينات) أي الحجج والشواهد على أن ما دعيتم إلى الدخول فيه هو الحق (فاعلموا أن الله عزيز) غالب لا يعجزه الانتقام منكم (حكيم) لا ينتقم إلا بحق وروي أن قارئاً قرأ غفور رحيم فسمعه أعرابي فأنكره ولم يقرأ القرآن وقال إن كان هذا كلام الله فلا يقول كذا الحكيم لا يذكر الغفران عند الزلل لأنه إغراء عليه وقرأ أبو السمال زللتم بكسر اللام وهما لغتان نحو ظللت

وظللت

لمن اتقى واتقوا الله واعلموا أنكم إليه تحشرون ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو ألد الخصام وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد وإذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم فحسبه جهنم ولبئس المهاد ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله والله رؤوف بالعباد يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين فإن زللتم من بعد ما جاءتكم البينات فاعلموا أن الله عزيز حكيم هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله

بين الندب والكراهة والإباحة لكن بتخيير الندب ترجيحاً للعمل على الترك وتخيير الكراهة والإباحة بالتخيير بينهما فلا تنافي إذاً بين المعنيين إلا أن التأخير به أخص وبين نفي الإثم عن تاركه إلى التعجيل وحينئذ لا يرد السؤال الذي لزمه وأجاب عنه

* قوله تعالى زين للذين كفروا الحياة الدنيا (قال محمود رحمه الله المزين هو الشيطان الخ) قال أحمد رحمه الله وردت إضافة التزيين إلى الله تعالى وإضافته إلى غيره في مواضع من الكتاب العزيز وهذه الآية تحتمل الوجهين لكن الإضافة إلى قدرة الله تعالى حقيقة والإضافة إلى غيره مجاز على قواعد السنة والزمخشري يعمل على عكس هذا فإن أضافه الله تعالى من أفعاله إلى قدرته جعله مجازا وإن أضافه إلى بعض مخلوقاته جعله حقيقة وسبب هذا التعكيس اتباع الهوى في القواعد الفاسدة * قوله تعالى ويسخرون من الذين آمنوا والذين اتقوا الآية (قال محمود رحمه الله لأنهم في عليين من السماء وهم في سجين الخ) قال أحمد رحمه الله وهذا من وضع الظاهر موضع المضمر لنعمة أخرى ومثله في كتاب الله كثير قال الله تعالى إن الخاسرين الذين خسروا أنفسهم ٢٥٩ وأهليهم يوم القيامة ألا إن الظالمين في عذاب مقيم وكان الأصل ألا إنهم الآية فوضع الظاهر موضع المضمر لنعمة أخرى وضمنه ذكر صفة الظلم مع صفة الخسران وفي كلام الزمخشري إلماح إلى قاعدته في وجوب وعيد العصاة ألا تراه كيف ربطه بقوله إنه لا يسعد عنده إلا المؤمن المتقي إشارة إلى أن غير المتقي وهو المصر على الكبائر شقي حتما كهؤلاء الذين يسخرون من الذين آمنوا ومنهم من يتحمل فيقول لأنه جعل المؤمن غير المتقي ومقتضى قاعدته الفاسدة أن إيمان هذا لم يسلم له حتى لا يعرض مؤمن إلا متقيا إذ الإيمان فيما فسره هو في تفسيره هذا وفيما فسره أهل بدعته في كتبهم هو تصديق الاعتقاد الصحيح والنطق به بالعمل الصالح والعمل عندهم بالعمل أما بالإصرار على كبيرة أو بترك مهم من الواجبات فاسق ليس بمؤمن ولا كافر فمقتضى هذا التقرير على ما ترى أن كل مؤمن متق وقد علمت من كلامه على هذه الآية ما يأبى ذلك وينقضه

في ظلل من الغمام والملائكة وقضي الأمر وإلى الله ترجع الأمور سل بني إسرائيل كم آتيناهم من آية بينة ومن يبدل نعمة الله من بعد ما جاءته فإن الله شديد العقاب زين للذين كفروا الحياة الدنيا ويسخرون من الذين آمنوا والذين اتقوا فوقهم يوم القيامة والله يرزق من يشاء بغير حساب

وعلامات * إتيان الله إتيان أمره وبأسه كقوله أو يأتي أمر ربك فجاءهم بأسنا ويجوز أن يكون المأتي به محذوفا بمعنى أن يأتيهم الله ببأسه أو بنقمته للدلالة عليه بقوله فإن الله عزيز (في ظلل) جمع ظلة وهي ما أظلك وقرئ ظلال وهي جمع ظلة كقلة وقلال أو جمع ظل * وقرئ والملائكة بالرفع كقوله هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة وبالجر عطفا على ظلل أو على الغمام (فإن قلت) لم يأتيهم العذاب في الغمام (قلت) لأن الغمام مظنة الرحمة فإذا نزل منه العذاب كان الأمر أفظع وأهول لأن الشر إذا جاء من حيث لا يحتسب كان أغم كما أن الخير إذا جاء من حيث لا يحتسب كان أسر فكيف إذا جاء الشر من حيث يحتسب الخير ولذلك كانت الصاعقة من العذاب المستفظع لمجيئها من حيث يتوقع الغيث ومن ثمة اشتد على المتفكرين في كتاب الله قوله تعالى وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون (وقضي الأمر) وأتم أمر إهلاكهم وتدميرهم وفرغ منه وقرأ معاذ بن جبل رضي الله عنه وقضاء الأمر على المصدر المرفوع عطفا على الملائكة * وقرئ ترجع وترجع على البناء للفاعل والمفعول بالتأنيث والتذكير فيهما (سل) أمر للرسول عليه الصلاة والسلام أو لكل أحد وهذا السؤال سؤال تقريع كما تسئل الكفرة يوم القيامة (كم آتيناهم من آية بينة) على أيدي أنبيائهم وهي معجزاتهم أو من آية في الكتب شاهدة على صحة دين الإسلام * و(نعمة الله) آياته وهي أجل نعمة من الله لأنها أسباب الهدى والنجاة من الضلالة وتبديلهم إياها أن الله أظهرها لتكون أسباب هداهم فجعلوها أسباب ضلالتهم كقوله فزادتهم رجسا إلى رجسهم أو حرفوا آيات الكتب الدالة على دين محمد صلى الله عليه وسلم (فإن قلت) كم استفهامية أم خبرية (قلت) تحتمل الأمرين ومعنى الاستفهام فيها التقرير (فإن قلت) ما معنى (من بعد ما جاءته) (قلت) معناه من بعد ما تمكن من معرفتها أو عرفها كقوله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه لأنه إذا لم يتمكن من معرفتها أو لم يعرفها فكأنها غائبة عنه * وقرئ ومن يبدل بالتخفيف * المزين هو الشيطان زين لهم الدنيا وحسنها في أعينهم بوساوسه وحببها إليهم فلا يريدون غيرها ويجوز أن يكون الله قد زينها لهم بأن خذلهم حتى استحسنوها وأحبوها أو جعل إمهال المزين تزيينا ويدل عليه قراءة من قرأ زين للذين كفروا الحياة الدنيا على البناء للفاعل (ويسخرون من الذين آمنوا) كانت الكفرة يسخرون من المؤمنين الذين لا حظ لهم من الدنيا كابن مسعود وعمار وصهيب وغيرهم أي لا يريدون غيرها وهم يسخرون ممن لا حظ له فيها أو ممن يطلب غيرها (والذين اتقوا فوقهم يوم القيامة) لأنهم في عليين من السماء وهم في سجين من الأرض أو حالهم عالية لحالهم لأنهم في كرامة وهم في هوان أو هم عالون عليهم متطاولون يضحكون منهم كما يتطاول هؤلاء عليهم في الدنيا ويرون الفضل لهم عليهم فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون (والله يرزق من يشاء بغير حساب) بغير تقدير يعني أنه يوسع على من توجب الحكمة التوسعة عليه كما وسع على قارون وغيره فهذه التوسعة عليكم من جهة الله لما فيه من الحكمة وهي استدراجكم بالنعمة ولو كانت كرامة لكان أولياؤه المؤمنون أحق بها منكم (فإن قلت) لم قال من الذين آمنوا ثم قال والذين اتقوا (قلت) ليريك أنه لا يسعد عنده إلا المؤمن

الحق وليكون بعثا للمؤمنين على التقوى اذا سمعوا ذلك (كان الناس أمة واحدة) متفقين على دين الاسلام
(فبعث الله النبيين) يريد فاختلفوا فبعث الله وانما حذف لدلالة قوله ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه عليه
وفي قراءة عبد الله كان الناس أمة واحدة فاختلفوا فبعث الله والدليل عليه قوله عز وعلا وما كان الناس الا
أمة واحدة فاختلفوا وقيل كان الناس أمة واحدة كفارا فبعث الله النبيين فاختلفوا عليهم والاول الوجه
(فان قلت) متى كان الناس أمة واحدة متفقين على الحق (قلت) عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه كان بين
آدم وبين نوح عشرة قرون على شريعة من الحق فاختلفوا وقيل هم نوح ومن كان معه في السفينة (وأنزل
معهم الكتاب) يريد الجنس أو مع كل واحد منهم كتابه (ليحكم) الله أو الكتاب أو النبي المنزل عليه (فيما
اختلفوا فيه) في الحق ودين الاسلام الذي اختلفوا فيه بعد الاتفاق (وما اختلف فيه) في الحق (الا الذين
أوتوه) الا الذين أوتوا الكتاب المنزل لازالة الاختلاف أي ازدادوا في الاختلاف لما أنزل عليهم الكتاب
وجعلوا نزول الكتاب سببا في شدة الاختلاف واستحكامه (بغيا بينهم) حسدا بينهم وظلما لحرصهم على الدنيا
وقلة انصاف منهم و(من الحق) بيان لما اختلفوا فيه أي فهدى الله الذين آمنوا للحق الذي اختلف فيه من
خالف (أم) منقطعة ومعنى الهمزة فيها للتقرير وانكار الحسبان واستبعاده ولما ذكر ما كانت عليه الامم
من الاختلاف على النبيين بعد مجيء البينات تشجيعا لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين على الثبات
والصبر مع الذين اختلفوا عليه من المشركين وأهل الكتاب وانكارهم لآياته وعداوتهم له قال لهم على
طريقة الالتفات التي هي أبلغ أم حسبتم (ولما) فيها معنى التوقع وهي في النفي نظيرة قد في الاثبات والمعنى
ان اتيان ذلك متوقع منتظر (مثل الذين خلوا) حالهم التي هي مثل في الشدة و(مستهم) بيان للمثل وهو
استئناف كأن قائلا قال كيف كان ذلك المثل فقيل مستهم البأساء (وزلزلوا) وأزعجوا ازعاجا شديدا شبيها
بالزلزلة بما أصابهم من الاهوال والافزاع (حتى يقول الرسول) الى الغاية التي قال الرسول ومن معه فيها
(متى نصر الله) أي بلغ بهم الضجر ولم يبق لهم صبر حتى قالوا ذلك ومعناه طلب النصر وتمنيه واستطالة زمان
الشدة وفي هذه الغاية دليل على تناهي الامر في الشدة وتماديه في العظم لان الرسل لا يقدر قدر ثباتهم
واصطبارهم وضبطهم لانفسهم فاذا لم يبق لهم صبر حتى ضجوا كان ذلك الغاية في الشدة التي لا مطمع
وراءها (ألا ان نصر الله قريب) على ارادة القول يعني فقيل لهم ذلك اجابة لهم الى طلبتهم من عاجل النصر
وقرئ حتى يقول بالنصب على اضمار أن ومعنى الاستقبال لان أن علم له وبالرفع على أنه في معنى الحال كقولك
شربت الابل حتى يجيء البعير يجر بطنه الا أنها حال ماضية محكية (فان قلت) كيف طابق جواب السؤال
في قوله (قل ما أنفقتم) وهم قد سألوا عن بيان ما ينفقون وأجيبوا ببيان المصرف (قلت) قد تضمن قوله
ما أنفقتم (من خير) بيان ما ينفقونه وهو كل خير وبني الكلام على ما هو أهم وهو بيان المصرف لان النفقة
لا يعتد بها الا أن تقع موقعها قال الشاعر ان الصنيعة لا تكون صنيعة * حتى يصاب بها طريق المصنع
وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه جاء عمرو بن الجموح وهو شيخ هم وله مال عظيم فقال ماذا ننفق من أموالنا
وأين نضعها فنزلت وعن السدي هي منسوخة بفرض الزكاة وعن الحسن هي في التطوع (وهو كره لكم)
من الكراهة بدليل قوله (وعسى أن تكرهوا شيأ) ثم اما أن يكون بمعنى الكراهة على وضع المصدر موضع
الوصف مبالغة كقولها * فانما هي اقبال وادبار * كأنه في نفسه كراهة لفرط كراهتهم له واما أن يكون فعلا
بمعنى مفعول كالخبز بمعنى المخبوز أي وهو مكروه لكم وقرأ السلمي بالفتح على أن يكون بمعنى المضموم كالضعف
والضعف ويجوز أن يكون بمعنى الاكراه على طريق المجاز كأنهم أكرهوا عليه لشدة كراهتهم له ومشقته
عليهم ومنه قوله تعالى حملته أمه كرها ووضعته كرها * وعلى قوله تعالى (وعسى أن تكرهوا شيأ) جميع
ما كلفوه فان النفوس تكرهه وتنفر عنه وتحب خلافه (والله يعلم) ما يصلحكم وما هو خير لكم (وأنتم لا تعلمون)
ذلك * بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن جحش على سرية في جمادى الآخرة قبل قتال بدر
بشهرين ليترصد عيرا لقريش فيها عمرو بن عبد الله الحضرمي وثلاثة معه فقتلوه وأسروا اثنين واستاقوا العير

كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه وما اختلف فيه الا الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق باذنه والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ألا ان نصر الله قريب يسئلونك ماذا ينفقون قل ما أنفقتم من خير فللوالدين والاقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل وما تفعلوا من خير فان الله به عليم كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى أن تكرهوا شيأ وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيأ وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون يسئلونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل

* قوله تعالى يسألونك عن الخمر الآية (قال محمود رحمه الله نزلت في الخمر أربع آيات نزلت بمكة الخ) قال أحمد ويظهر لي سر واقع عما ذكره في هذا الغرض وذلك أن السؤال الأول من الأسئلة المقرونة بالواو عين السؤال الأول من الأسئلة المجردة عن الواو ولكن وقع جوابه أولاً بالمصرف لأنه الأهم وإن كان المسؤول عنه إنما هو المنفق لا وجه مصرفه ثم لما لم يكن في الجواب الأول تصريح بالمسؤول عنه أعيد السؤال ليجاب عن المسؤول عنه صريحاً فقيل العفو أي الفاضل من النفقة الواجبة على العيال أو نحو ذلك حسبما ورد في تفسيره فتعين إذاً قران هذا السؤال بالواو ليرتبط بالأول ويحمل أنهم لما أجيبوا أولاً بغير جهة المصرف ولم يصرح لهم بالجواب على عين المنفق ما هو أعاد السؤال لكي يتفق جوابه صريحاً فتعين دخول الواو وأما السؤال الثاني من الأسئلة المقرونة بالواو فقد وقع عن أحوال اليتامى مع الإنفاق وهل يجوز لهم مخالطتهم في النفقة والكسوة والسكنى وقد كانوا يتحرجون من ذلك في الجاهلية فلما كان مناسباً للسؤال عن الإنفاق باعتبار المنفق وباعتبار جهة المصرف عطف عليه لتكمل لهم بيان المشروعية في النفقة (٢٦١) وآدابها الدينية بياناً شافياً لأنه قد اجتمع في علمهم ما ينفقون وفيم ينفقون وعلى أي حالة ينفقون من مخالطة اليتيم والانفراد عنه وأما السؤال الثالث منهم وهو الواقع عن المحيض فقد ورد أنهم في الجاهلية كانوا يعتزلون الحيض في المؤاكلة والمساكنة يقتدون في ذلك باليهود فسألوا السؤال المذكور كما كانوا يعتزلون اليتامى في المساكنة والمؤاكلة تحرجاً واجتهاداً وكان بين هذين السؤالين تناسب كما ترى فحسن أن يعطف الآخر على ما قبله تنبيهاً على ما بينهما من المشاكلة والله أعلم وإذا اعتبرت الأسئلة المجردة عن الواو لم تجد بينها مداناة ولا مناسبة البتة إذ الأول منها عن النفقة والثاني عن القتال في الشهر الحرام والثالث عن الخمر والميسر فبين هذه الأسئلة من التباين والتقاطع ما لا يخفى فذكرت كذلك مسرودة متقاطعة غير مربوطة بعضها ببعض فتنبه لهذا السر فإنه بديع لا تجده يأتي إلا في الكتاب العزيز لاشتماله على أسرار البلاغة ونكت الفصاحة ولا تستفاد منه إلا بالتنقيب في صناعة البيان وعلم اللسان وقد اشتمل جواب الزمخشري المقدم على وهم أنبه عليه وذلك أنه جعل الأسئلة الثلاثة الأخيرة وقعت في وقت واحد وكانت في حكم السؤال الواحد فربط بعضها ببعض بالواو وهذا يقتضي كما ترى أن يقترن السؤال الثاني والثالث بالواو خاصة دون الأول إذ الواو إنما يربط ما بعدها بما قبلها فاقترانها بالأول لا يربطه بالثاني وإنما يربطه بما قبله وعلى هذا تكون الأسئلة التي وقعت في وقت واحد أربعة

قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام وإخراج أهله منه أكبر عند الله والفتنة أكبر من القتل ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون إن الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله والله غفور رحيم يسألونك عن الخمر والميسر قل

وفيها من تجارة الطائف وكان ذلك أول يوم من رجب وهم يظنونه من جمادى الآخرة فقالت قريش قد استحل محمد الشهر الحرام شهراً يأمن فيه الخائف ويبذعر فيه الناس إلى معايشهم فوقف رسول الله صلى الله عليه وسلم العير وعظم ذلك على أصحاب السرية وقالوا ما نبرح حتى تنزل توبتنا ورد رسول الله صلى الله عليه وسلم العير والأسارى وعن ابن عباس رضي الله عنه لما نزلت أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم الغنيمة والمعنى يسألك الكفار أو المسلمون عن القتال في الشهر الحرام و(قتال فيه) بدل الاشتمال من الشهر وفي قراءة عبد الله عن قتال فيه على تكرير العامل كقوله للذين استضعفوا لمن آمن منهم وقرأ عكرمة قتل فيه قل قتل فيه كبير أي إثم كبير وعن عطاء أنه سئل عن القتال في الشهر الحرام فحلف بالله ما يحل للناس أن يغزوا في الحرم ولا في الشهر الحرام إلا أن يقاتلوا فيه وما نسخت وأكثر الأقاويل على أنها منسوخة بقوله فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم (وصد عن سبيل الله) مبتدأ و(أكبر) خبره يعني وكبائر قريش من صدهم عن سبيل الله وعن المسجد الحرام وكفرهم بالله وإخراج أهل المسجد الحرام وهم رسول الله والمؤمنون (أكبر عند الله) مما فعلته السرية من القتال في الشهر الحرام على سبيل الخطإ والبناء على الظن (والفتنة) الإخراج أو الشرك * والمسجد الحرام عطف على سبيل الله ولا يجوز أن يعطف على الهاء في به (ولا يزالون يقاتلونكم) إخبار عن دوام عداوة الكفار للمسلمين وأنهم لا ينفكون عنها حتى يردوهم عن دينهم وحتى معناها التعليل كقولك فلان يعبد الله حتى يدخل الجنة أي يقاتلونكم كي يردوكم و(إن استطاعوا) استبعاد لاستطاعتهم كقول الرجل لعدوه إن ظفرت بي فلا تبق علي وهو واثق بأنه لا يظفر به (ومن يرتدد منكم) ومن يرجع عن دينه إلى دينهم ويطاوعهم على رده إليه (فيمت) على الردة (فأولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة) لما يفوتهم بإحداث الردة مما للمسلمين في الدنيا من ثمرات الإسلام وباستدامتها والموت عليها من ثواب الآخرة وبها احتج الشافعي على أن الردة لا تحبط الأعمال حتى يموت عليها وعند أبي حنيفة أنها تحبطها وإن رجع مسلماً (إن الذين آمنوا والذين هاجروا) روي أن عبد الله بن جحش وأصحابه حين قتلوا الحضرمي ظن قوم أنهم إن سلموا من الإثم فليس لهم أجر فنزلت (أولئك يرجون رحمة الله) وعن قتادة هؤلاء خيار هذه الأمة ثم جعلهم الله أهل رجاء كما تسمعون وإنه من رجا طلب ومن خاف هرب نزلت في الخمر أربع آيات نزلت بمكة ومن

ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه سكرا فكان المسلمون يشربونها وهي لهم حلال ثم ان عمر ومعاذا ونفرا
من الصحابة قالوا يا رسول الله أفتنا في الخمر فانها مذهبة للعقل مسلبة للمال فنزلت (فيهما اثم كبير ومنافع للناس)
فشربها قوم وتركها آخرون ثم دعا عبد الرحمن بن عوف ناسا منهم فشربوا وسكروا فأم بعضهم فقرأ قل يا أيها
الكافرون أعبد ما تعبدون فنزلت لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى فقل من يشربها ثم دعا عتبان بن مالك قوما
فيهم سعد بن أبي وقاص فلما سكروا افتخروا وتناشدوا حتى أنشد سعد شعرا فيه هجاء الانصار فضربه أنصاري
بلحي بعير فشجه موضحة فشكا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر اللهم بين لنا في الخمر بيانا شافيا فنزلت
انما الخمر والميسر الى قوله فهل أنتم منتهون فقال عمر رضي الله عنه انتهينا يا رب وعن علي رضي الله عنه لو وقعت
قطرة في بئر فبنيت مكانها منارة لم أؤذن عليها ولو وقعت في بحر ثم جف ونبت فيه الكلأ لم أرعه وعن ابن عمر
رضي الله عنهما لو أدخلت اصبعي فيه لم تتبعني وهذا هو الايمان حقا وهم الذين اتقوا الله حق تقاته والخمر
ما غلا واشتد وقذف بالزبد من عصير العنب وهو حرام وكذلك نقيع الزبيب أو التمر الذي لم يطبخ فان طبخ حتى
ذهب ثلثاه ثم غلا واشتد ذهب خبثه ونصيب الشيطان وحل شربه ما دون السكر اذا لم يقصد بشربه اللهو
والطرب عند أبي حنيفة وعن بعض أصحابه لأن أقول مرارا هو حلال أحب الي من أن أقول مرة هو حرام
ولأن أخر من السماء فأتقطع قطعا أحب الي من أن أتناول منه قطرة وعند أكثر الفقهاء هو حرام كالخمر
وكذلك كل ما أسكر من كل شراب وسميت خمرا لتغطيتها العقل والتمييز كما سميت سكرا لانها تسكرهما أي
تحجزهما وكأنها سميت بالمصدر من خمره خمرا اذا ستره للمبالغة ❁ والميسر القمار مصدر من يسر كالموعد
والمرجع من فعلهما يقال يسرته اذا قمرته واشتقاقه من اليسر لانه أخذ مال الرجل بيسر وسهولة من غير كد
ولا تعب أو من اليسار لانه سلب يساره وعن ابن عباس رضي الله عنهما كان الرجل في الجاهلية يخاطر على
أهله وماله قال ❁ أقول لهم بالشعب اذ ييسرونني ❁ أي يعملون بي ما يعمل الياسرون بالميسور (فان قلت)
كيف صفة الميسر (قلت) كانت لهم عشرة أقداح وهي الازلام والاقلام والفذ والتوأم والرقيب والحلس
والنافس والمسبل والمعلى والمنيح والسفيح والوغد لكل واحد منها نصيب معلوم من جزور ينحرونها
ويجزؤنها عشرة أجزاء وقيل ثمانية وعشرين الا الثلاثة وهي المنيح والسفيح والوغد ولبعضهم

لي في الدنيا سهام ❁ ليس فيهن ربيح ❁ وأساميهن وغد ❁ وسفيح ومنيح

للفذ سهم وللتوأم سهمان وللرقيب ثلاثة وللحلس أربعة وللنافس خمسة وللمسبل ستة وللمعلى سبعة يجعلونها
في الربابة وهي خريطة ويضعونها على يدي عدل ثم يجلجلها ويدخل يده فيخرج باسم رجل رجل قدحا منها
فمن خرج له قدح من ذوات الانصباء أخذ النصيب الموسوم به ذلك القدح ومن خرج له قدح مما لا نصيب له
لم يأخذ شيئا وغرم ثمن الجزور كله وكانوا يدفعون تلك الانصباء الى الفقراء ولا يأكلون منها ويفتخرون بذلك
ويذمون من لم يدخل فيه ويسمونه البرم وفي حكم الميسر أنواع القمار من النرد والشطرنج وغيرهما وعن النبي
صلى الله عليه وسلم اياكم وهاتين اللعبتين المشؤمتين فانهما من ميسر العجم وعن علي رضي الله عنه أن النرد
والشطرنج من الميسر وعن ابن سيرين كل شئ فيه خطر فهو من الميسر والمعنى يسألونك عما في تعاطيهما
بدليل قوله تعالى قل فيهما اثم كبير (ومنافع) وعقاب الاثم في تعاطيهما (أكبر من نفعهما) وهو الالتذاذ بشرب
الخمر والقمار والطرب فيهما والتوصل بهما الى مصادقات الفتيان ومعاشرتهم والنيل من مطاعمهم
ومشاربهم وأعطياتهم وسلب الاموال بالقمار والافتخار على الابرام وقرئ اثم كثير بالثاء وفي قراءة أبي
واثمهما أقرب ومعنى الكثرة أن أصحاب الشرب والقمار يقترفون فيهما الآثام من وجوه كثيرة (العفو) نقيض
الجهد وهو أن ينفق ما لا يبلغ انفاقه منه الجهد واستفراغ الوسع قال ❁ خذي العفو مني تستديمي مودتي ❁
ويقال للارض السهلة العفو وقرئ بالرفع والنصب وعن النبي صلى الله عليه وسلم أن رجلا أتاه ببيضة من
ذهب أصابها في بعض المغازي فقال خذها مني صدقة فأعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتاه من
الجانب الايمن فقال مثله فأعرض عنه ثم أتاه من الجانب الايسر فأعرض عنه فقال هاتها مغضبا فأخذها

فيهما اثم كبير ومنافع للناس واثمهما أكبر من نفعهما ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون

أسئلة الثلاثة حاصلة وقد قال ان الاسئلة المرتبطة الواقعة في وقت واحد هي الثلاثة الاخيرة فهو واهم بلا شك وكل مأخوذ من قوله ومتروك الا المعصوم

فحذفه بها حذفا لو أصابه لشجه أو عقره ثم قال يجيء أحدكم بماله كله يتصدق به ويجلس يتكفف الناس انما الصدقة عن ظهر غنى (في الدنيا والآخرة) اما أن يتعلق بتتفكرون فيكون المعنى لعلكم تتفكرون فيما يتعلق بالدارين فتأخذون بما هو أصلح لكم كما بينت لكم أن العفو أصلح من الجهد في النفقة وتتفكرون في الدارين فتؤثرون أبقاهما وأكثرهما منافع ويجوز أن يكون اشارة الى قوله وإثمهما أكبر من نفعهما لتتفكروا في عقاب الاثم في الآخرة والنفع في الدنيا حتى لا تختاروا النفع العاجل على النجاة من العقاب العظيم واما أن يتعلق بيبين على معنى يبين لكم الآيات في أمر الدارين وفيما يتعلق بهما لعلكم تتفكرون ولما نزلت ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما اعتزلوا اليتامى وتحاموهم وتركوا مخالطتهم والقيام بأموالهم والاهتمام بمصالحهم فشق ذلك عليهم وكادوا يوقعوهم في الحرج فقيل (اصلاح لهم خير) أي مداخلتهم على وجه الاصلاح لهم ولأموالهم خير من مجانبتهم (وان تخالطوهم) وتعاشروهم ولم تجانبوهم (ف)هم (اخوانكم) في الدين ومن حق الأخ أن يخالط أخاه وقد حملت المخالطة على المصاهرة (والله يعلم المفسد من المصلح) أي لا يخفى على الله من داخلهم بافساد أو اصلاح فيجازيه على حسب مداخلته فاحذروه ولا تتحروا غير الاصلاح (ولو شاء الله لأعنتكم) لحملكم على العنت وهو المشقة وأحرجكم فلم يطلق لكم مداخلتهم وقرأ طاوس قل اصلاح اليهم ومعناه ايصال الاصلاح وقرئ لاعنتكم بطرح الهمزة والقاء حركتها على اللام وكذلك فلا اثم عليه (ان الله عزيز) غالب يقدر على أن يعنت عباده ويحرجهم ولكنه (حكيم) لا يكلف الا ما تتسع فيه طاقتهم (ولا تنكحوا) وقرئ بضم التاء أي لا تتزوجوهن أو لا تزوجوهن و(المشركات) الحربيات والآية ثابتة وقيل المشركات الحربيات والكتابيات جميعا لأن أهل الكتاب من أهل الشرك لقوله تعالى وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله الى قوله تعالى سبحانه عما يشركون وهي منسوخة بقوله تعالى والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وسورة المائدة كلها ثابتة لم ينسخ منها شيء قط وهو قول ابن عباس والاوزاعي وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث مرثد بن أبي مرثد الغنوي الى مكة ليخرج منها ناسا من المسلمين وكان يهوى امرأة في الجاهلية اسمها عناق فأتته وقالت ألا تخلو فقال ويحك ان الاسلام قد حال بيننا فقالت فهل لك أن تتزوج بي قال نعم ولكن أرجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستأمره فاستأمره فنزلت (ولأمة مؤمنة خير) ولامرأة مؤمنة حرة كانت أو مملوكة وكذلك ولعبد مؤمن لأن الناس كلهم عبيد الله واماؤه (ولو أعجبتكم) ولو كان الحال أن المشركة تعجبكم وتحبونها فان المؤمنة خير منها مع ذلك (أولئك) اشارة الى المشركات والمشركين أي يدعون الى الكفر فحقهم أن لا يوالوا ولا يصاهروا ولا يكون بينهم وبين المؤمنين الا المناصبة والقتال (والله يدعو الى الجنة) يعني وأولياء الله وهم المؤمنون يدعون الى الجنة (والمغفرة) وما يوصل اليهما فهم الذين تجب موالاتهم ومصاهرتهم وأن يؤثروا على غيرهم (باذنه) بتيسير الله وتوفيقه للعمل الذي تستحق به الجنة والمغفرة وقرأ الحسن والمغفرة باذنه بالرفع أي والمغفرة حاصلة بتيسيره المحيض مصدر يقال حاضت محيضا كقولك جاء مجيئا وبات مبيتا (قل هو أذى) أي الحيض شيء يستقذر ويؤذي من يقربه نفرة منه وكراهة له (فاعتزلوا النساء) فاجتنبوهن يعني فاجتنبوا مجامعتهن روي أن أهل الجاهلية كانوا اذا حاضت المرأة لم يؤاكلوها ولم يشاربوها ولم يجالسوها على فرش ولم يساكنوها في بيت كفعل اليهود والمجوس فلما نزلت أخذ المسلمون بظاهر اعتزالهن فأخرجوهن من بيوتهم فقال ناس من الأعراب يا رسول الله البرد شديد والثياب قليلة فان آثرناهن بالثياب هلك سائر أهل البيت وان استأثرنا بها هلكت الحيض فقال عليه الصلاة والسلام انما أمرتم أن تعتزلوا مجامعتهن اذا حضن ولم يأمركم باخراجهن من البيوت كفعل الاعاجم وقيل ان النصارى كانوا يجامعونهن ولا يبالون بالحيض واليهود كانوا يعتزلونهن في كل شيء فأمر الله بالاقتصاد بين الأمرين وبين الفقهاء خلاف في الاعتزال فأبو حنيفة وأبو يوسف يوجبان اعتزال ما اشتمل عليه الازار ومحمد بن الحسن لا يوجب الا اعتزال الفرج وروى محمد حديث عائشة رضي الله عنها أن عبد الله بن عمر سألها هل يباشر الرجل امرأته وهي حائض فقالت تشد ازارها على سفلتها ثم ليباشرها

في الدنيا والآخرة ويسألونك عن اليتامى قل اصلاح لهم خير وان تخالطوهم فاخوانكم والله يعلم المفسد من المصلح ولو شاء الله لأعنتكم ان الله عزيز حكيم ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن ولأمة مؤمنة خير من مشركة ولو أعجبتكم ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا ولعبد مؤمن خير من مشرك ولو أعجبكم أولئك يدعون الى النار والله يدعو الى الجنة والمغفرة باذنه ويبين آياته للناس لعلهم يتذكرون ويسألونك عن المحيض قل هو أذى فاعتزلوا النساء في المحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن فاذا تطهرن فأتوهن

بشيء وما روى زيد بن أسلم أن رجلا سأل النبي صلى الله عليه وسلم ما يحل لي من امرأتي وهي حائض قال لتشد عليها إزارها ثم شأنك بأعلاها، ثم قال وهذا قول أبي حنيفة وقد جاء ما هو أرخص من هذا عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت يجتنب شعار الدم وله ما سوى ذلك * وقرئ يطهرن بالتشديد أي يتطهرن بدليل قوله فإذا تطهرن وقرأ عبد الله حتى يتطهرن ويطهرن بالتخفيف والتطهر الاغتسال والطهر انقطاع دم الحيض وكلتا القراءتين مما يجب العمل به فذهب أبو حنيفة إلى أن له أن يقربها في أكثر الحيض بعد انقطاع الدم وإن لم تغتسل وفي أقل الحيض لا يقربها حتى تغتسل أو يمضي عليها وقت صلاة وذهب الشافعي إلى أنه لا يقربها حتى تطهر وتتطهر فتجمع بين الأمرين وهو قول واضح ويعضده قوله فإذا تطهرن (من حيث أمركم الله) من المأتى الذي أمركم الله به وحلله لكم وهو القبل (إن الله يحب التوابين) مما عسى يندر منهم من ارتكاب ما نهوا عنه من ذلك (ويحب المتطهرين) المتنزهين عن الفواحش أو إن الله يحب التوابين الذين يطهرون أنفسهم بطهرة التوبة من كل ذنب ويحب المتطهرين من جميع الأقذار كمجامعة الحائض والطاهر قبل الغسل وإتيان ما ليس بمحرث ونحو ذلك (حرث لكم) مواضع حرث لكم وهذا مجاز شبهن بالمحارث تشبيها لما يلقى في أرحامهن من النطف التي منها النسل بالبذور وقوله (فأتوا حرثكم أنى شئتم) تمثيل أي فأتوهن كما تأتون أراضيكم التي تريدون أن تحرثوها من أي جهة شئتم لا تحظر عليكم جهة دون جهة والمعنى جامعوهن من أي شق أردتم بعد أن يكون المأتى واحدا وهو موضع الحرث وقوله هو أذى فاعتزلوا النساء من حيث أمركم الله فأتوا حرثكم أنى شئتم من الكنايات اللطيفة والتعريضات المستحسنة وهذه وأشباهها في كلام الله آداب حسنة على المؤمنين أن يتعلموها ويتأدبوا بها ويتكلفوا مثلها في محاوراتهم ومكاتباتهم وروي أن اليهود كانوا يقولون من جامع امرأته وهي مجبية من دبرها في قبلها كان ولدها أحول فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كذبت اليهود ونزلت (وقدموا لأنفسكم) ما يجب تقديمه من الأعمال الصالحة وما هو خلاف ما نهيتكم عنه وقيل هو طلب الولد وقيل التسمية على الوطء (واتقوا الله) فلا تجترئوا على المناهي (واعلموا أنكم ملاقوه) فتزودوا ما لا تفتضحون به (وبشر المؤمنين) المستوجبين للمدح والتعظيم بترك القبائح وفعل الحسنات (فإن قلت) ما موقع قوله نساؤكم حرث لكم مما قبله (قلت) موقعه موقع البيان والتوضيح لقوله فأتوهن من حيث أمركم الله يعني أن المأتى الذي أمركم الله به هو مكان الحرث ترجمة له وتفسيرا وإزالة للشبهة ودلالة على أن الغرض الأصيل في الإتيان هو طلب النسل لا قضاء الشهوة فلا تأتوهن إلا من المأتى الذي يتعلق به هذا الغرض (فإن قلت) ما بال يسألونك جاء بغير واو ثلاث مرات ثم مع الواو ثلاثا (قلت) كان سؤالهم عن تلك الحوادث الأول وقع في أحوال متفرقة فلم يؤت بحرف العطف لأن كل واحد من السؤالات سؤال مبتدأ وسألوا عن الحوادث الأخر في وقت واحد فجيء بحرف الجمع لذلك كأنه قيل يجمعون لك بين السؤال عن الخمر والميسر والسؤال عن الإنفاق والسؤال عن كذا وكذا * العرضة فعلة بمعنى مفعول كالقبضة والغرفة وهي اسم ما تعرضه دون الشيء من عرض العود على الإناء فيعترض دونه ويصير حاجزا ومانعا منه تقول فلان عرضة دون الخير والعرضة أيضا المعرض للأمر قال * فلا تجعلوني عرضة للوائم * ومعنى الآية على الأولى أن الرجل كان يحلف على بعض الخيرات من صلة رحم أو إصلاح ذات بين أو إحسان إلى أحد أو عبادة ثم يقول أخاف الله أن أحنث في يميني فيترك البر إرادة البر في يمينه فقيل لهم (ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم) أي حاجزا لما حلفتم عليه وسمي المحلوف عليه يمينا لتلبسه باليمين كما قال النبي صلى الله عليه وسلم لعبد الرحمن بن سمرة إذا حلفت على يمين فرأيت غيرها خيرا منها فأت الذي هو خير وكفر عن يمينك أي على شيء مما يحلف عليه وقوله (أن تبروا وتتقوا وتصلحوا) عطف بيان لأيمانكم أي للأمور المحلوف عليها التي هي البر والتقوى والإصلاح بين الناس (فإن قلت) بم تتعلق اللام في لأيمانكم (قلت) بالفعل أي ولا تجعلوا الله لأيمانكم برزخا وحاجزا ويجوز أن يتعلق بعرضة لما فيها من معنى الاعتراض بمعنى لا تجعلوه شيئا يعترض البر من اعترضني كذا ويجوز أن يكون اللام للتعليل ويتعلق أن تبروا بالفعل أو بالعرضة أي ولا تجعلوا الله لأجل أيمانكم به عرضة لأن تبروا ومعناها على الأخرى ولا تجعلوا الله

من حيث أمركم الله إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم وقدموا لأنفسكم واتقوا الله واعلموا أنكم ملاقوه وبشر المؤمنين ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم أن تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس والله سميع عليم لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم

والله غفور حليم للذين يؤلون من نسائهم تربص أربعة أشهر فإن فاؤ فإن الله غفور رحيم وإن عزموا الطلاق فإن الله سميع عليم

معرضاً للأيمان فتبتذلوه بكثرة الحلف به ولذلك ذم من أنزل فيه ولا تطع كل حلاف مهين بأشنع المذام وجعل الحلاف مقدمتها وأن تبروا علة للنهي أي إرادة أن تبروا وتتقوا وتصلحوا لأن الحلاف مجترئ على الله غير معظم له فلا يكون براً متقياً ولا يثق به الناس فلا يدخلونه في وساطاتهم وإصلاح ذات بينهم * اللغو الساقط الذي لا يعتد به من كلام وغيره ولغو الطير ما لا يعتد به في الدية من أولاد الإبل ولغو اليمين الساقط الذي لا يعتد به في الأيمان وهو الذي لا عقد معه والدليل عليه ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان بما كسبت قلوبكم واختلف الفقهاء فيه فعند أبي حنيفة وأصحابه هو أن يحلف على الشيء يظنه على ما حلف عليه ثم يظهر خلافه وعند الشافعي هو قول العرب لا والله وبلى والله مما يؤكدون به كلامهم ولا يخطر ببالهم الحلف ولو قيل لواحد منهم سمعتك اليوم تحلف في المسجد الحرام لأنكر ذلك ولعله قال لا والله ألف مرة وفيه معنيان أحدهما لا يؤاخذكم أي لا يعاقبكم بلغو اليمين الذي يحلفه أحدكم بالظن ولكن يعاقبكم بما كسبت قلوبكم أي اقترفته من إثم القصد إلى الكذب في اليمين وهو أن يحلف على ما يعلم أنه خلاف ما يقوله وهي اليمين الغموس والثاني لا يؤاخذكم أي لا يلزمكم الكفارة بلغو اليمين الذي لا قصد معه ولكن يلزمكم الكفارة بما كسبت قلوبكم أي بما نوت قلوبكم وقصدت من الأيمان ولم يكن كسب اللسان وحده (والله غفور حليم) حيث لم يؤاخذكم باللغو في أيمانكم * قرأ عبد الله آلوا من نسائهم وقرأ ابن عباس يقسمون من نسائهم (فإن قلت) كيف عدي بمن وهو معدى بعلى (قلت) قد ضمن في هذا القسم المخصوص معنى البعد فكأنه قيل يبعدون من نسائهم مؤلين أو مقسمين ويجوز أن يراد لهم (من نسائهم تربص أربعة أشهر) كقوله لي منك كذا والإيلاء من المرأة أن يقول والله لا أقربك أربعة أشهر فصاعداً على التقييد بالأشهر أو لا أقربك على الإطلاق ولا يكون فيما دون أربعة أشهر إلا ما يحكى عن إبراهيم النخعي وحكم ذلك أنه إذا فاء إليها في المدة بالوطء إن أمكنه أو بالقول إن عجز عنه صح الفيء وحنث القادر ولزمته كفارة اليمين ولا كفارة على العاجز وإن مضت الأربعة بانت بتطليقة عند أبي حنيفة وعند الشافعي لا يصح الإيلاء إلا في أكثر من أربعة أشهر ثم يوقف المولي فإما أن يفيء وإما أن يطلق وإن أبى طلق عليه الحاكم ومعنى قوله (فإن فاؤا) فإن فاؤا في الأشهر بدليل قراءة عبد الله فإن فاؤا فيهن (فإن الله غفور رحيم) يغفر للمولين ما عسى يقدمون عليه من طلب ضرار النساء بالإيلاء وهو الغالب وإن كان يجوز أن يكون على رضا منهن إشفاقاً منهن على الولد من الغيل أو لبعض الأسباب لأجل الفيئة التي هي مثل التوبة (وإن عزموا الطلاق) فتربصوا إلى مضي المدة (فإن الله سميع عليم) وعيد على إصرارهم وتركهم الفيئة وعلى قول الشافعي رحمه الله معناه فإن فاؤا وإن عزموا بعد مضي المدة (فإن قلت) كيف موقع الفاء إذا كانت الفيئة قبل انتهاء مدة التربص (قلت) موقع صحيح لأن قوله فإن فاؤا وإن عزموا تفصيل لقوله للذين يؤلون من نسائهم والتفصيل يعقب المفصل كما تقول أنا نزيلكم هذا الشهر فإن أحمدتكم أقمت عندكم إلى آخره وإلا لم أقم إلا ريثما أتحول (فإن قلت) ما تقول في قوله فإن الله

* قوله تعالى للذين يؤلون من نسائهم الآية (قال محمود رحمه الله وحكم ذلك أنه إذا فاء إليها في المدة الخ) قال أحمد رحمه الله وهذا التفسير منزل على مذهب أبي حنيفة لأنه لا يرى الفيئة بعد انقضاء الأربعة الأشهر مفيدة إذ أوقع الطلاق بنفس مضيها فلا تكون الفيئة معتبرة عنده إلا في أربعة الأشهر خاصة (قال محمود رحمه الله فإن قلت كيف موقع الفاء إذا كانت الفيئة قبل انقضاء مدة التربص الخ) قال أحمد رحمه الله هذا جواب عن سؤال موجه على أبي حنيفة رضي الله عنه لأنه إذا رأى الفيئة في الأشهر الأربعة خاصة لا فيما بعدها والله تعالى عطف الفيئة على تربص أربعة أشهر بالفاء ومقتضاها كما علمت وقوع ما عطفته بعد ما عطفته عليه فيلزم وقوع الفيئة المعتبرة بعد انقضاء الأشهر الأربعة وأبو حنيفة يأباه فلذلك أجاب عنه الزمخشري بجوابه المتقدم والسؤال (٢٦٥) عندي يندفع بطريق آخر وهو أن المعطوف عليه التربص وهو حاصل من أول المدة فوقوع الفيئة في المدة بعد التربص فلا يحتاج إلى الجواب بالمثال المذكور وإنما أوقع الزمخشري في التزام السؤال تسليمه لقدم الفيئة في الأربعة الأشهر على تربصها بناء منه على أنه لا يصدق قول القائل قد تربصت فلان أربعة أشهر إلا إذا نقضت المدة وليس الأمر كذلك فإنه يصدق من الحاكم أن يقول عند ضرب أجل المولي قد تربصت لك أربعة أشهر كما قال الله تعالى لينظر أيفيء أم لا ويصدق رب الدين في أن يقول لمديانه حالة القرض قد أجلت هذا الدين سنة وإن كان المقضي منه حينئذ دقيقة واحدة فكذلك التربص المعطوف عليه في الآية واقع عند ضرب الأجل المذكور فالفيئة الواقعة في الأجل إنما تقع بعده فالفاء على بابها المعروف (قال محمود رحمه الله فإن قلت ما القول في قوله فإن الله سميع عليم الخ) قال أحمد رحمه الله هذا الجواب الملائم جواب عن سؤال آخر يتوجه على أبي حنيفة رضي الله عنه فيقال له إذا كان مضي الأربعة الأشهر يوجب عندك وقوع الطلاق بنفسه غير موقوف على إيقاع من أحد فالذي يسمع إذاً وهو أمكن من السؤال الذي قدره الزمخشري فإن لقائل أن يقول عبر بالعزم عن الإيقاع لأنه يستلزمه غالباً وفي أثناء كلامه نكتة

تحتاج إلى التنبيه عند قوله والعزم مما يعلم ولا يسمع والذي ننبه عليه أن قاعدة أهل السنة أن كل موجود يجوز أن يسمع حتى الجواهر والألوان والمعاني بجملتها وكذلك يعتقدون أن موسى عليه السلام سمع الكلام القديم وليس بحرف ولا صوت فلا يتوقف السمع عندهم على أن يكون المسموع صوتاً ولا نطقاً غير أن المعتاد انقسام الموجودات إلى مسموع ومرئي وملموس ومشموم ومذوق وهو المعلوم بالحس وإلى معلوم بغير ذلك وعلى هذا المعتاد جرت عادة خطاب الله تعالى لعباده وإن كان الزمخشري إنما قاله على الأمر العرفي

والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء ولا يحل لهن أن يكتمن ما خلق الله في أرحامهن إن كن يؤمن بالله واليوم الآخر وبعولتهن أحق بردهن

معتقداً ما ذكرناه من حيث المعروف وما أراه كذلك فالأمر سهل وإن كان أخرج كلامه المذكور على قاعدة الاعتزال وهو الظاهر من حاله في اعتقاد أن ما عدا الأصوات لا يجوز أن يسمع عقلاً فالحذر الحذر من هذه القاعدة الفاسدة والله المستعان ثم لا بد لنا في مسألة الإيلاء من أن نبين ما نعتقده من مذهب مالك رضي الله عنه ومذهب مالك رضي الله عنه هو الذي اتفق مالك والشافعي رضي الله عنه في المسألة فيقول مضي أربعة الأشهر بمجرده برجعتهن لا يوجب وقوع الطلاق على الزوج لأن الأصل بقاء العصمة وقد جعل الله الفيئة بعد تربص الأجل المذكور وهي وإن بينا أولاً أن الآية

سميع عليم وعزمهم الطلاق مما يعلم ولا يسمع (قلت) الغالب أن العازم للطلاق وترك الفيئة والضرار لا يخلو من مقاولة ودمدمة ولا بد له من أن يحدث نفسه ويناجيها بذلك وذلك حديث لا يسمعه إلا الله كما يسمع وسوسة الشيطان (والمطلقات) أراد المدخول بهن من ذوات الأقراء (فإن قلت) كيف جازت إرادتهن خاصة واللفظ يقتضي العموم (قلت) بل اللفظ مطلق في تناول الجنس صالح لكله وبعضه فجاء في أحد ما يصلح له كالاسم المشترك (فإن قلت) فما معنى الإخبار عنهن بالتربص (قلت) هو خبر في معنى الأمر وأصل الكلام وليتربص المطلقات وإخراج الأمر في صورة الخبر تأكيد للأمر وإشعار بأنه مما يجب أن يتلقى بالمسارعة إلى امتثاله فكأنهن امتثلن الأمر بالتربص فهو يخبر عنه موجوداً ونحوه قولهم في الدعاء رحمك الله أخرج في صورة الخبر ثقة بالاستجابة كأنما وجدت الرحمة فهو يخبر عنها وبناؤه على المبتدأ مما زاده أيضاً فضل تأكيد ولو قيل ويتربص المطلقات لم يكن بتلك الوكادة (فإن قلت) هلا قيل يتربصن ثلاثة قروء كما قيل تربص أربعة أشهر وما معنى ذكر الأنفس (قلت) في ذكر الأنفس تهييج لهن على التربص وزيادة بعث لأن فيه ما يستنكفن منه فيحملهن على أن يتربصن وذلك أن أنفس النساء طوامح إلى الرجال فأمرن أن يقمعن أنفسهن ويغلبنها على الطموح ويجبرنها على التربص * والقروء جمع قرء أو قرء وهو الحيض بدليل قوله عليه الصلاة والسلام دعي الصلاة أيام أقرائك وقوله طلاق الأمة تطليقتان وعدتها حيضتان ولم يقل طهران وقوله تعالى واللائي يئسن من المحيض من نسائكم إن ارتبتم فعدتهن ثلاثة أشهر فأقام الأشهر مقام الحيض دون الأطهار ولأن الغرض الأصلي في العدة استبراء الرحم والحيض هو الذي تستبرأ به الأرحام دون الطهر ولذلك كان الاستبراء من الأمة بالحيضة ويقال أقرأت المرأة إذا حاضت وامرأة مقرئ وقال أبو عمرو بن العلاء دفع فلان جاريته إلى فلانة تقرئها أي تمسكها عندها حتى تحيض للاستبراء (فإن قلت) فما تقول في قوله تعالى فطلقوهن لعدتهن والطلاق المشروع إنما هو في الطهر (قلت) معناه مستقبلات لعدتهن كما تقول لقيته لثلاث بقين من الشهر تريد مستقبلاً لثلاث وعدتهن الحيض الثلاث (فإن قلت) فما تقول في قول الأعشى * لما ضاع فيها من قروء نسائكا * (قلت) أراد لما ضاع فيها من عدة نسائك لشهرة القروء عندهم في الاعتداد بهن أي من مدة طويلة كالمدة التي تعتد فيها النساء استطال مدة غيبته عن أهله كل عام لاقتحامه في الحروب والغارات وأنه تمر على نسائه مدة كمدة العدة ضائعة لا يضاجعهن فيها أو أراد من أوقات نسائك فإن القرء والقارئ جاء في معنى الوقت ولم يرد لا حيضاً ولا طهراً (فإن قلت) فعلام انتصب ثلاثة قروء (قلت) على أنه مفعول به كقولك المحتكر يتربص الغلاء أي يتربصن مضي ثلاثة قروء أو على أنه ظرف أي يتربصن مدة ثلاثة قروء (فإن قلت) لم جاء المميز على جمع الكثرة دون القلة التي هي الأقراء (قلت) يتسعون في ذلك فيستعملون كل واحد من الجمعين مكان الآخر لاشتراكهما في الجمعية ألا ترى إلى قوله بأنفسهن وما هي إلا نفوس كثيرة ولعل القروء كانت أكثر استعمالاً في جمع قرء من الأقراء فأوثر عليه تنزيلاً لقليل الاستعمال منزلة المهمل فيكون مثل قولهم ثلاثة شسوع وقرأ الزهري ثلاثة قرو بغير همزة (ما خلق الله في أرحامهن) من الولد أو من دم الحيض وذلك إذا أرادت المرأة فراق زوجها فكتمت حملها لئلا ينتظر بطلاقها أن تضع ولئلا يشفق على الولد فيترك تسريحها أو كتمت حيضها وقالت وهي حائض قد طهرت استعجالاً للطلاق ويجوز أن يراد اللاتي يبغين إسقاط ما في بطونهن من الأجنة فلا يعترفن به ويجحدنه لذلك فجعل كتمان ما في أرحامهن كناية عن إسقاطه (إن كن يؤمن بالله واليوم الآخر) تعظيم لفعلهن وأن من آمن بالله وبعقابه لا يجترئ على مثله من العظائم * والبعولة جمع بعل والتاء لاحقة لتأنيث الجمع كما في الحزونة والسهولة ويجوز أن يراد بالبعولة المصدر من قولك بعل حسن البعولة يعني وأهل بعولتهن (أحق بردهن)

برجعتهن. وفي قراءة أبيّ بردتهن (في ذلك) في مدة ذلك التربص (فإن قلت) كيف جعلوا أحق بالرجعة كأن للنساء حقا فيها (قلت) المعنى أن الرجل إن أراد الرجعة وأبتها المرأة وجب إيثار قوله على قولها وكان هو أحق منها لا أن لها حقا في الرجعة (إن أرادوا) بالرجعة (إصلاحا) لما بينهم وبينهن وإحسانا إليهن ولم يريدوا مضارتهن (ولهن مثل الذي عليهن) ويجب لهن من الحق على الرجال مثل الذي يجب لهم عليهن (بالمعروف) بالوجه الذي لا ينكر في الشرع وعادات الناس فلا يكلفنهم ما ليس لهن ولا يكلفونهن ما ليس لهم ولا يعنف أحد الزوجين صاحبه والمراد بالمماثلة مماثلة الواجب الواجب في كونه حسنة لا في جنس الفعل فلا يجب عليه إذا غسلت ثيابه أو خبزت له أن يفعل نحو ذلك ولكن يقابله بما يليق بالرجال (درجة) زيادة في الحق وفضيلة قيل المرأة تنال من اللذة ما ينال الرجل وله الفضيلة بقيامه عليها وإنفاقه في مصالحها (الطلاق) بمعنى التطليق كالسلام بمعنى التسليم أي التطليق الشرعي تطليقة بعد تطليقة على التفريق دون الجمع والإرسال دفعة واحدة ولم يرد بالمرتين التثنية ولكن التكرير كقوله ثم ارجع البصر كرتين أي كرة بعد كرة لا كرتين اثنتين ونحو ذلك من التثاني التي يراد بها التكرير قولهم لبيك وسعديك وحنانيك وهذاذيك ودواليك * وقوله تعالى (فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان) تخيير لهم بعد أن علمهم كيف يطلقون بين أن يمسكوا النساء بحسن العشرة والقيام بمواجبهن وبين أن يسرحوهن السراح الجميل الذي علمهم وقيل معناه الطلاق الرجعي مرتان لأنه لا رجعة بعد الثلاث فإمساك بمعروف أي برجعة أو تسريح بإحسان أي بأن لا يراجعها حتى تبين بالعدة أو بأن لا يراجعها مراجعة يريد بها تطويل العدة عليها وضرارها وقيل بأن يطلقها الثالثة في الطهر الثالث وروي أن سائلا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أين الثالثة فقال عليه الصلاة والسلام أو تسريح بإحسان وعند أبي حنيفة وأصحابه الجمع بين الطلقتين والثلاث بدعة والسنة أن لا يوقع عليها إلا واحدة في طهر لم يجامعها فيه لما روي في حديث ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له إنما السنة أن تستقبل الطهر استقبالا فتطلقها لكل قرء تطليقة وعند الشافعي لا بأس بإرسال الثلاث لحديث العجلاني الذي لاعن امرأته فطلقها ثلاثا بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم ينكر عليه * وروي أن جميلة بنت عبد الله بن أبي كانت تحت ثابت بن قيس بن شماس وكانت تبغضه وهو يحبها فأتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله لا أنا ولا ثابت لا يجمع رأسي ورأسه شيء والله ما أعيب عليه في دين ولا خلق ولكني أكره الكفر في الإسلام ما أطيقه بغضا إني رفعت جانب الخباء فرأيته أقبل في عدة فإذا هو أشدهم سوادا وأقصرهم قامة وأقبحهم وجها فنزلت وكان قد أصدقها حديقة فاختلعت منه بها وهو أول خلع كان في الإسلام (فإن قلت) لمن الخطاب في قوله (ولا يحل لكم أن تأخذوا) إن قلت للأزواج لم يطابقه قوله فإن خفتم ألا يقيما حدود الله وإن قلت للأئمة والحكام فهؤلاء ليسوا بآخذين منهن ولا مؤتيهن (قلت) يجوز الأمران جميعا أن يكون أول الخطاب للأزواج وآخره للأئمة والحكام ونحو ذلك غير عزيز في القرآن وغيره وأن يكون الخطاب كله للأئمة والحكام لأنهم الذين يأمرون بالأخذ والإيتاء عند الترافع إليهم فكأنهم الآخذون والمؤتون (مما آتيتموهن) مما أعطيتموهن من الصدقات (إلا أن يخافا أن لا يقيما حدود الله) إلا أن يخاف الزوجان ترك إقامة حدود الله فيما يلزمهما من مواجب الزوجية لما يحدث من نشوز المرأة وسوء خلقها (فلا جناح عليهما) فلا جناح على الرجل فيما أخذ ولا عليها فيما أعطت (فيما افتدت به) فيما افتدت به نفسها واختلعت به من بذل ما أوتيت من المهر والخلع بالزيادة على المهر مكروه وهو جائز في الحكم وروي أن امرأة نشزت على زوجها فرفعت إلى عمر رضي الله عنه فأباتها في بيت الزبل ثلاث ليال ثم دعاها فقال كيف وجدت مبيتك فقالت ما بت منذ كنت عنده أقر لعيني منهن فقال لزوجها اخلعها ولو بقرطها قال قتادة يعني بمالها كله هذا إذا كان النشوز منها فإن كان منه كره له أن يأخذ منها شيئا * وقرئ إلا أن يخافا على البناء للمفعول وإبدال أن لا يقيما من ألف الضمير وهو من بدل الاشتمال كقولك خيف زيد تركه إقامة حدود الله ونحوه وأسروا النجوى الذين ظلموا ويعضده قراءة عبد الله إلا أن تخافوا وفي قراءة أبيّ إلا أن يظنا ويجوز أن يكون الخوف بمعنى

في ذلك إن أرادوا إصلاحا ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة والله عزيز حكيم الطلاق مرتان فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان ولا يحل لكم أن تأخذوا مما آتيتموهن شيئا إلا أن يخافا ألا يقيما حدود الله فإن خفتم ألا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به تلك حدود الله فلا تعتدوها ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون

لا تنافي وقوع البينة في الأجل وهي أيضا تنافي وقوعها بعد الأجل فيستظهر من أصله أعني بقاء العصمة والسلامة من معارضة الآية وقوع البينة المتبرعة بعد الأجل وبقاء العصمة بعد الأجل استصحابا للأصل غير معارض بالآية وهو المطلوب

لظن يقولون أخاف أن يكون كذا وأفرق أن يكون يريدون أظن (فإن طلقها) الطلاق المذكور الموصوف بالتكرار في قوله تعالى الطلاق مرتان واستوفى نصابه أو فإن طلقها مرة ثالثة بعد المرتين (فلا تحل له من بعد) من بعد ذلك التطليق (حتى تنكح زوجا غيره) حتى تتزوج غيره والنكاح يسند الى المرأة كما يسند الى الرجل كما التزوج ويقال فلانة ناكح في بني فلان وقد تعلق من اقتصر على العقد في التحليل بظاهره وهو سعيد بن المسيب والذي عليه الجمهور أنه لابد من الاصابة لما روى عروة عن عائشة رضي الله عنها أن امرأة رفاعة جاءت الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت ان رفاعة طلقني فبت طلاقي وان عبد الرحمن بن الزبير تزوجني وانما معه مثل هدبة الثوب وانه طلقني قبل أن يمسني فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتريدين ان ترجعي الى رفاعة لا حتى تذوقي عسيلته ويذوق عسيلتك وروى أنها لبثت ما شاء الله ثم رجعت فقالت انه كان قد مسني فقال لها كذبت في قولك الاول فلن أصدقك في الآخر فلبثت حتى قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتت أبا بكر رضي الله عنه فقالت أأرجع الى زوجي الاول فقال قد عهدت رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قال لك ما قال فلا ترجعي اليه فلما قبض أبو بكر رضي الله عنه قالت مثله لعمر رضي الله عنه فقال ان أتيتني بعد مرتك هذه لأرجمنك فمنعها (فان قلت) فما تقول في النكاح المعقود بشرط التحليل (قلت) ذهب سفيان والاوزاعي وأبو عبيد ومالك وغيرهم الى أنه غير جائز وهو جائز عند أبي حنيفة مع الكراهة وعنه أنهما ان أضمرا التحليل ولم يصرحا به فلا كراهة وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه لعن المحلل والمحلل له وعن عمر رضي الله عنه لا أوتى بمحلل ولا محلل له الا رجمتهما وعن عثمان رضي الله عنه لا الا نكاح رغبة غير مدالسة (فان طلقها) الزوج الثاني (أن يتراجعا) أن يرجع كل واحد منهما الى صاحبه بالزواج (ان ظنا) ان كان في ظنهما أنهما يقيمان حقوق الزوجية ولم يقل ان علما أنهما يقيمان لان اليقين مغيب عنهما لا يعلمه الا الله عز وجل ومن فسر الظن هاهنا بالعلم فقد وهم من طريق اللفظ والمعنى لانك لا تقول علمت أن يقوم زيد ولكن علمت أنه يقوم ولان الانسان لا يعلم ما في الغد وانما يظن ظنا (فبلغن أجلهن) أي آخر عدتهن وشارفن منتهاها والاجل يقع على المدة كلها وعلى آخرها يقال لعمر الانسان أجل وللموت الذي ينتهي به أجل وكذلك الغاية والامد يقول النحويون من لابتداء الغاية والى لانتهاء الغاية وقال

كل حي مستكمل مدة العمـ ... ـر ومود اذا انتهى أمده

ويتسع في البلوغ أيضا فيقال بلغ البلد اذا شارفه وداناه ويقال قد وصلت ولم يصل وانما شارف ولانه قد علم أن الامساك بعد تقضي الاجل لا وجه له لانها بعد تقضيه غير زوجة له وفي غير عدة منه فلا سبيل له عليها (فأمسكوهن بمعروف) فاما أن يراجعها من غير طلب ضرار بالمراجعة (أو سرحوهن بمعروف) واما أن يخليها حتى تنقضي عدتها وتبين من غير ضرار (ولا تمسكوهن ضرارا) كان الرجل يطلق المرأة ويتركها حتى يقرب انقضاء عدتها ثم يراجعها لا عن حاجة ولكن ليطول العدة عليها فهو الامساك ضرارا (لتعتدوا) لتظلموهن وقيل لتلجئوهن الى الافتداء (فقد ظلم نفسه) بتعريضها لعقاب الله (ولا تتخذوا آيات الله هزوا) أي جدوا في الاخذ بها والعمل بما فيها وارعوها حق رعايتها والا فقد اتخذتموها هزوا ولعبا ويقال لمن لم يجد في الامر انما أنت لاعب وهازئ ويقال كن يهوديا والا فلا تلعب بالتوراة وقيل كان الرجل يطلق ويعتق ويتزوج ويقول كنت لاعبا وعن النبي صلى الله عليه وسلم ثلاث جدهن جد وهزلهن جد الطلاق والنكاح والرجعة (واذكروا نعمت الله عليكم) بالاسلام وبنبوة محمد صلى الله عليه وسلم (وما أنزل عليكم من الكتاب والحكمة) من القرآن والسنة وذكرها مقابلتها بالشكر والقيام بحقها (يعظكم به) بما أنزل عليكم (فبلغن أجلهن فلا تعضلوهن) اما أن يخاطب به الازواج الذين يعضلون نساءهم بعد انقضاء العدة ظلما وقسرا ولحمية الجاهلية لا يتركونهن يتزوجن من شئن من الازواج والمعنى أن ينكحن أزواجهن الذين يرغبن فيهم ويصلحون لهن واما أن يخاطب به الاولياء في عضلهن أن يرجعن الى أزواجهن روى أنها نزلت في معقل بن يسار حين عضل أخته أن ترجع الى الزوج الاول وقيل في جابر بن عبد الله حين عضل بنت عم له والوجه أن يكون خطابا للناس أي لا يوجد فيما بينكم عضل لانه اذا وجد بينهم وهم راضون كانوا في حكم العاضلين

والعضل

طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره فان طلقها فلا جناح عليهما أن يتراجعا ان ظنا أن يقيما حدود الله وتلك حدود الله يبينها لقوم يعلمون واذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فأمسكوهن بمعروف أو سرحوهن بمعروف ولا تمسكوهن ضرارا لتعتدوا ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه ولا تتخذوا آيات الله هزوا واذكروا نعمت الله عليكم وما أنزل عليكم من الكتاب والحكمة يعظكم به واتقوا الله واعلموا أن الله بكل شئ عليم واذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فلا تعضلوهن أن ينكحن أزواجهن

والعضل الحبس والتضييق ومنه عضلت الدجاجة إذا نشب بيضها فلم يخرج وأنشد لابن هرمة

وإن قصائدي لك فاصطنعني * عقائل قد عضلن عن النكاح

وبلوغ الأجل على الحقيقة وعن الشافعي رحمه الله دل سياق الكلامين على افتراق البلوغين (إذا تراضوا) إذا تراضى الخطاب والنساء (بالمعروف) بما يحسن في الدين والمروءة من الشرائط وقيل بمهر المثل ومن مذهب أبي حنيفة رحمه الله أنها إذا زوجت نفسها بأقل من مهر مثلها فللأولياء أن يعترضوا (فإن قلت) لمن الخطاب في قوله (ذلك يوعظ به) (قلت) يجوز أن يكون لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولكل أحد ونحوه ذلك خير لكم وأطهر (أزكى لكم وأطهر) من أدناس الآثام وقيل أزكى وأطهر أفضل وأطيب (والله يعلم) ما في ذلك من الزكاء والطهر (وأنتم لا تعلمون) أو والله يعلم ما تستصلحون به من الأحكام والشرائع وأنتم تجهلونه (يرضعن) مثل يتربصن في أنه خبر في معنى الأمر المؤكد (كاملين) توكيد كقوله تلك عشرة كاملة لأنه مما يتسامح فيه فتقول أقمت عند فلان حولين ولم تستكملهما وقرأ ابن عباس رضي الله عنهما أن يكمل الرضاعة وقرئ الرضاعة بكسر الراء والرضعة وأن تتم الرضاعة وأن يتم الرضاعة برفع الفعل تشبيها لأن بما لتآخيهما في التأويل (فإن قلت) كيف اتصل قوله لمن أراد أن يتم الرضاعة بما قبله (قلت) هو بيان لمن توجه إليه الحكم كقوله تعالى هيت لك لك بيان للمهيت به أي هذا الحكم لمن أراد إتمام الرضاع وعن قتادة حولين كاملين ثم أنزل الله اليسر والتخفيف فقال (لمن أراد أن يتم الرضاعة) أراد أنه يجوز النقصان وعن الحسن ليس ذلك بوقت لا ينقص منه بعد أن لا يكون في الفطام ضرر وقيل اللام متعلقة بيرضعن كما تقول أرضعت فلانة لفلان ولده أي يرضعن حولين لمن أراد أن يتم الرضاعة من الآباء لأن الأب يجب عليه إرضاع الولد دون الأم وعليه أن يتخذ له ظئرا إلا إذا تطوعت الأم بإرضاعه وهي مندوبة إلى ذلك ولا تجبر عليه ولا يجوز استئجار الأم عند أبي حنيفة رحمه الله ما دامت زوجة أو معتدة من نكاح وعند الشافعي يجوز فإذا انقضت عدتها جاز بالاتفاق (فإن قلت) فما بال الوالدات مأمورات بأن يرضعن أولادهن (قلت) إما أن يكون أمرا على وجه الندب وإما على وجه الوجوب إذا لم يقبل الصبي إلا ثدي أمه أو لم توجد له ظئر أو كان الأب عاجزا عن الاستئجار وقيل أراد الوالدات المطلقات وإيجاب النفقة والكسوة لأجل الرضاع (وعلى المولود له) وعلى الذي يولد له وهو الوالد وله في محل الرفع على الفاعلية نحو عليهم في المغضوب عليهم (فإن قلت) لم قيل المولود له دون الوالد (قلت) ليعلم أن الوالدات إنما ولدن لهم لأن الأولاد للآباء ولذلك ينسبون إليهم لا إلى الأمهات وأنشد للمأمون بن الرشيد

فإنما أمهات الناس أوعية * مستودعات وللآباء أبناء

فكان عليهم أن يرزقوهن ويكسوهن إذا أرضعن ولدهم كالأظآر ألا ترى أنه ذكره باسم الوالد حيث لم يكن هذا المعنى وهو قوله تعالى واخشوا يوما لا يجزي والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئا (بالمعروف) تفسيره ما يعقبه وهو أن لا يكلف واحد منهما ما ليس في وسعه ولا يتضارا وقرئ لا تكلف بفتح التاء ولا نكلف بالنون وقرئ لا تضار بالرفع على الإخبار وهو يحتمل البناء للفاعل والمفعول وأن يكون الأصل تضارر بكسر الراء وتضارر بفتحها وقرئ لا تضار بالفتح وهو قراءة أكثر القراء وقرأ الحسن بالكسر على النهي وهو محتمل للبناءين أيضا ويبين ذلك أنه قرئ لا تضارر ولا تضارر بالجزم وفتح الراء الأولى وكسرها وقرأ أبو جعفر لا تضار بالسكون مع التشديد على نية الوقف وعن الأعرج لا تضار بالسكون والتخفيف وهو من ضاره يضيره ونوى الوقف كما نواه أبو جعفر أو اختلس الضمة فظنه الراوي سكونا وعن كاتب عمر بن الخطاب لا تضرر والمعنى لا تضار والدة زوجها بسبب ولدها وهو أن تعنف به وتطلب منه ما ليس بعدل من الرزق والكسوة وأن تشغل قلبه بالتفريط في شأن الولد وأن تقول بعد ما ألفها الصبي اطلب له ظئرا وما أشبه ذلك ولا يضار مولود له امرأته بسبب ولده بأن يمنعها شيئا مما وجب عليه من رزقها وكسوتها ولا يأخذه منها وهي تريد إرضاعه ولا يكرهها على الإرضاع وكذلك إذا كان مبنيا للمفعول فهو نهي عن أن يلحق بها الضرار من قبل الزوج وعن أن يلحق الضرار بالزوج من قبلها بسبب الولد ويجوز أن يكون تضار بمعنى تضر وأن تكون الباء

إذا تراضوا بينهم بالمعروف ذلك يوعظ به من كان منكم يؤمن بالله واليوم الآخر ذلكم أزكى لكم وأطهر والله يعلم وأنتم لا تعلمون والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف لا تكلف نفس إلا وسعها لا تضار والدة بولدها ولا مولود له بولده

من صلته أي لا تضار والدة بولدها فلا تسيء غذاءه وتعهده ولا تفرط فيما ينبغي له ولا تدفعه إلى الأب بعدما ألفها ولا يضار الوالد به بأن ينتزعه من يدها أو يقصر في حقها فتقصر هي في حق الولد (فإن قلت) كيف قيل بولدها وبولده (قلت) لما نهيت المرأة عن المضارة أضيف إليها الولد استعطافاً لها عليه وأنه ليس بأجنبي منها فمن حقها أن تشفق عليه وكذلك الوالد (وعلى الوارث) عطف على قوله وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن وما بينهما تفسير للمعروف معترض بين المعطوف والمعطوف عليه فكان المعنى وعلى وارث المولود له مثل ما وجب عليه من الرزق والكسوة أي إن مات المولود له لزم من يرثه أن يقوم مقامه في أن يرزقها ويكسوها بالشريطة التي ذكرت من المعروف وتجنب الضرار وقيل هو وارث الصبي الذي لو مات الصبي ورثه واختلفوا فعند ابن أبي ليلى كل من ورثه وعند أبي حنيفة من كان ذا رحم محرم منه وعند الشافعي لا نفقة فيما عدا الولاد وقيل من ورثه من عصبته مثل الجد والأخ وابن الأخ والعم وابن العم وقيل المراد وارث الأب وهو الصبي نفسه وأنه إن مات أبوه وورثه وجبت عليه أجرة رضاعه في ماله إن كان له مال فإن لم يكن له مال أجبرت الأم على إرضاعه وقيل على الوارث الباقي من الأبوين من قوله واجعله الوارث منا (فإن أرادا فصالا) صادراً (عن تراض منهما وتشاور فلا جناح عليهما) في ذلك زادا على الحولين أو نقصا وهذه توسعة بعد تحديد وقيل هو في غاية الحولين لا يتجاوز واعتبر تراضيهما في الفصال وتشاورهما أما الأب فلا كلام فيه وأما الأم فلأنها أحق بالتربية وهي أعلم بحال الصبي وقرئ فإن أراد استرضع منقول من أرضع يقال أرضعت المرأة الصبي واسترضعتها الصبي فتعديه إلى مفعولين كما تقول أنجح الحاجة واستنجحته الحاجة والمعنى أن تسترضعوا المراضع أولادكم فحذف أحد المفعولين للاستغناء عنه كما تقول استنجحت الحاجة ولا تذكر من استنجحته وكذلك حكم كل مفعولين لم يكن أحدهما عبارة عن الأول (إذا سلمتم) إلى المراضع (ما آتيتم) ما أردتم إيتاءه كقوله تعالى إذا قمتم إلى الصلاة وقرئ ما أتيتم من أتى إليه إحساناً إذا فعله ومنه قوله تعالى إنه كان وعده مأتياً أي مفعولاً وروى شيبان عن عاصم ما أوتيتم أي ما آتاكم الله وأقدركم عليه من الأجرة ونحوه وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه وليس التسليم بشرط للجواز والصحة وإنما هو ندب إلى الأولى ويجوز أن يكون بعثاً على أن يكون الشيء الذي تعطاه المرضع من أهنإ ما يكون لتكون طيبة النفس راضية فيعود ذلك إصلاحاً لشأن الصبي واحتياطاً في أمره فأمرنا بإيتائه ناجزاً يداً بيد كأنه قيل إذا أديتم إليهن يداً بيد ما أعطيتموهن (بالمعروف) متعلق بسلمتم أمروا أن يكونوا عند تسليم الأجرة مستبشري الوجوه ناطقين بالقول الجميل مطيبين لأنفس المراضع بما أمكن حتى يؤمن من تفريطهن بقطع معاذيرهن (والذين يتوفون منكم) على تقدير حذف المضاف أي وأزواج الذين يتوفون منكم يتربصن وقيل معناه يتربصن بعدهم كقولهم السمن منوان بدرهم وقرئ يتوفون بفتح الياء أي يستوفون آجالهم وهي قراءة علي رضي الله عنه والذي يحكى أن أبا الأسود الدؤلي كان يمشي خلف جنازة فقال له رجل من المتوفي بكسر الفاء فقال الله تعالى وكان أحد الأسباب الباعثة لعلي رضي الله عنه على أن أمره بأن يضع كتاباً في النحو تناقضه هذه القراءة (يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشرا) يعتددن هذه المدة وهي أربعة أشهر وعشرة أيام وقيل عشراً ذهاباً إلى الليالي والأيام داخلة معها ولا تراهم قط يستعملون التذكير فيه ذاهبين إلى الأيام تقول صمت عشراً ولو ذكرت خرجت من كلامهم ومن البين فيه قوله تعالى إن لبثتم إلا عشراً ثم إن لبثتم إلا يوماً (فإذا بلغن أجلهن) فإذا انقضت عدتهن (فلا جناح عليكم) أيها الأئمة وجماعة المسلمين (فيما فعلن في أنفسهن) من التعرض للخطاب (بالمعروف) بالوجه الذي لا ينكره الشرع والمعنى أنهن لو فعلن ما هو منكر كان على الأئمة أن يكفوهن وإن فرطوا كان عليهم الجناح (فيما عرضتم به) هو أن يقول لها إنك لجميلة أو صالحة أو نافقة ومن غرضي أن أتزوج وعسى الله أن ييسر لي امرأة صالحة ونحو ذلك من الكلام الموهم أنه يريد نكاحها حتى تحبس نفسها عليه إن رغبت فيه ولا يصرح بالنكاح فلا يقول إني أريد أن أنكحك أو أتزوجك أو أخطبك وروى ابن المبارك عن عبد الرحمن بن سليمان عن خالته قالت دخل على

وعلى الوارث مثل ذلك فإن أرادا فصالاً عن تراض منهما وتشاور فلا جناح عليهما وإن أردتم أن تسترضعوا أولادكم فلا جناح عليكم إذا سلمتم ما آتيتم بالمعروف واتقوا الله واعلموا أن الله بما تعملون بصير والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشراً فإذا بلغن أجلهن فلا جناح عليكم فيما فعلن في أنفسهن بالمعروف والله بما تعملون خبير ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء

• قوله تعالى والذين يتوفون منكم الآية (قال محمود رحمه الله قرأها علي رضي الله عنه بفتح الياء الخ) قال أحمد رحمه الله ولعل السائل لأبي الأسود كان ممن يفهم عنه أنه لا فرق عنده بين الكسر والفتح وهو الظاهر وعلى ذلك أجابه أبو الأسود فلا تناقض حينئذ (قال محمود رضي الله عنه تقول صمت عشراً الخ) قال أحمد رحمه الله ومنه من صام رمضان وأتبعه بست من شوال فكأنما صام الدهر فقلب الليالي اذ كان الصوم غير متصور فيها حتى قالوا ان شرطه النية وزمانها الليل فلهذا اجمل لها حظا في الصوم وغلبها

أبو

قوله تعالى علم الله أنكم ستذكرونهن الآية (قال محمود رحمه الله إن قلت أين المستدرك بقوله ولكن الخ) قال أحمد رحمه الله وقويت دلالة هذا المذكور على ما حذف لأن المعتاد في مثل هذه الصيغة ورود الإباحة عقبها ونظيرها النظم قوله تعالى علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم فتاب عليكم وعفا عنكم فالآن باشروهن الآية وهذا الحذف سر والله أعلم وهو أنه اجتنب لأن الإباحة لم تنصب على الذكر مطلقا بل اختصت بوجه واحد من وجوهه وذلك الوجه المباح غير متميز ثم لم يعد ذكرت

أو أكننتم في أنفسكم علم الله أنكم ستذكرونهن ولكن لا تواعدوهن سرا إلا أن تقولوا قولا معروفا ولا تعزموا عقدة النكاح حتى يبلغ الكتاب أجله واعلموا أن الله يعلم ما في أنفسكم فاحذروه واعلموا أن الله غفور حليم لا جناح عليكم إن طلقتم النساء ما لم تمسوهن أو تفرضوا لهن فريضة ومتعوهن على الموسع قدره وعلى المقتر قدره

أبو جعفر محمد بن علي وأنا في عدتي فقال قد علمت قرابتي من رسول الله صلى الله عليه وسلم وحق جدي علي وقدمي في الإسلام فقلت غفر الله لك أتخطبني في عدتي وأنت يؤخذ عنك فقال أو قد فعلت إنما أخبرتك بقرابتي من رسول الله صلى الله عليه وسلم وموضعي قد دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على أم سلمة وكانت عند ابن عمها أبي سلمة فتوفي عنها فلم يزل يذكر لها منزلته من الله وهو متحامل على يده حتى أثر الحصير في يده من شدة تحامله عليها فما كانت تلك خطبة (فإن قلت) أي فرق بين الكناية والتعريض (قلت) الكناية أن تذكر الشيء بغير لفظه الموضوع له كقولك طويل النجاد والحمائل لطول القامة وكثير الرماد للمضياف والتعريض أن تذكر شيئا تدل به على شيء لم تذكره كما يقول المحتاج للمحتاج إليه جئتك لأسلم عليك ولأنظر إلى وجهك الكريم ولذلك قالوا * وحسبك بالتسليم مني تقاضيا * وكأنه إمالة الكلام إلى عرض يدل على الغرض ويسمى التلويح لأنه يلوح منه ما يريده (أو أكننتم في أنفسكم) أو سترتم وأضمرتم في قلوبكم فلم تذكروه بألسنتكم لا معرضين ولا مصرحين (علم الله أنكم ستذكرونهن) لا محالة ولا تنفكون عن النطق برغبتكم فيهن ولا تصبرون عنه وفيه طرف من التوبيخ كقوله علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم (فإن قلت) أين المستدرك بقوله (ولكن لا تواعدوهن) (قلت) هو محذوف لدلالة ستذكرونهن عليه تقديره علم الله أنكم ستذكرونهن فاذكروهن ولكن لا تواعدوهن سرا والسر وقع كناية عن النكاح الذي هو الوطء لأنه مما يسر قال الأعشى

ولا تقربن جارة إن سرها * عليك حرام فانكحن أو تأبدا

ثم عبر به عن النكاح الذي هو العقد لأنه سبب فيه كما فعل بالنكاح (إلا أن تقولوا قولا معروفا) وهو أن تعرضوا ولا تصرحوا (فإن قلت) بم يتعلق حرف الاستثناء (قلت) بلا تواعدوهن أي لا تواعدوهن مواعدة قط إلا مواعدة معروفة غير منكرة أو لا تواعدوهن إلا بأن تقولوا أي لا تواعدوهن إلا بالتعريض ولا يجوز أن يكون استثناء منقطعا من سرا لأدائه إلى قولك لا تواعدوهن إلا التعريض وقيل معناه لا تواعدوهن جماعا وهو أن يقول لها إن نكحتك كان كيت وكيت يريد ما يجري بينهما تحت اللحاف إلا أن تقولوا قولا معروفا يعني من غير رفث ولا إفحاش في الكلام وقيل لا تواعدوهن سرا أي في السر على أن المواعدة في السر عبارة عن المواعدة بما يستهجن لأن مسارتهن في الغالب بما يستحيا من المجاهرة به وعن ابن عباس رضي الله عنهما لا أن تقولوا قولا معروفا هو أن يتواثقا أن لا تتزوج غيره (ولا تعزموا عقدة النكاح) من عزم الأمر وعزم عليه وذكر العزم مبالغة في النهي عن عقد النكاح في العدة لأن العزم على الفعل يتقدمه فإذا نهى عنه كان عن الفعل أنهى ومعناه ولا تعزموا عقد عقدة النكاح وقيل معناه ولا تقطعوا عقدة النكاح وحقيقة العزم القطع بدليل قوله عليه السلام لا صيام لمن لم يعزم الصيام من الليل وروي لم يبيت الصيام (حتى يبلغ الكتاب أجله) يعني ما كتب وفرض من العدة (يعلم ما في أنفسكم) من العزم على ما لا يجوز (فاحذروه) ولا تعزموا عليه (غفور حليم) لا يعاجلكم بالعقوبة (لا جناح عليكم) لا تبعة عليكم من إيجاب مهر (إن طلقتم النساء ما لم تمسوهن) ما لم تجامعوهن (أو تفرضوا لهن فريضة) إلا أن تفرضوا لهن فريضة أو حتى تفرضوا وفرض الفريضة تسمية المهر وذلك أن المطلقة غير المدخول بها إن سمى لها مهر فلها نصف المسمى وإن لم يسم لها فليس لها نصف مهر المثل ولكن المتعة والدليل على أن الجناح تبعة المهر قوله وإن طلقتموهن إلى قوله فنصف ما فرضتم فقوله فنصف ما فرضتم إثبات للجناح المنفي ثمة والمتعة درع وملحفة وخمار على حسب الحال عند أبي حنيفة إلا أن يكون مهر مثلها أقل من ذلك فلها الأقل من نصف مهر المثل ومن المتعة ولا ينقص من خمسة دراهم لأن أقل المهر عشرة دراهم فلا ينقص من نصفها و(الموسع) الذي له سعة و(المقتر) الضيق الحال و(قدره) مقداره الذي يطيقه لأن ما يطيقه هو الذي يختص به وقرئ بفتح الدال والقدر والقدر لغتان وعن

مستثناة بقوله إلا أن تقولوا قولا معروفا تنبيها على أن المحل ضيق والأمر فيه عسر والأصل فيه الحظر ولا كذلك الوطء في زمن ليل الصوم فإنه أبيح مطلقا غير مقيد فلذلك صدر الكلام بالإباحة والتوسعة وجاء النهي عن مباشرة المعتكفة في المسجد تلو الإباحة وتبعا في الكلام حاله فائدة والمنع فيه لم يكن لأجل الصوم ولكن الأمر يتعلق به من حيث المساجد وهو الاعتكاف فتفطن لهذا السر فإنه من غرائب النكت

• قوله تعالى إلا أن يعفون الآية (قال محمود رحمه الله والذي بيده عقدة النكاح الولي الخ) قال أحمد رحمه الله هذا النقل وهم فيه الزمخشري عن الشافعي رضي الله عنه فان مذهبه موافق لمذهب أبي حنيفة رضي الله عنه في أن المراد به الزوج وغيره ذهب الى أن المراد الولي الامام مالك رضي الله عنه وصدق الزمخشري انه قول ظاهر الصحة عليه رونق الحق وطلاوة الصواب لوجوه • الاول أن الذي بيده عقدة النكاح ثابتة مستقرة هو الولي وأما الزوج فيه ذلك حالة العقد المتقدم خاصة ثم هو بعد الطلاق والكلام حينئذ فيه ليس من عقدة النكاح في شيء البتة ومن قبل أطلق عليه ذلك بعد الطلاق بتأويل بل كان مقدرة ولا يخفى على المنصف ما في ذلك من البعد والخروج عن حد اطلاق الكلام وأصله • الثاني أن الخطاب الاول للزوجات مقابلة قوله الا أن يعفون ومنهن من لا عفو له البتة كالأمة والبكر فلولا استتمام التقسيم بصرف الثاني الى الولي على ابنته البكر أو أمته والا لزم الخروج عن ظاهر عموم الاول وحيث حمل الكلام على الولي صار الكلام بمعنى الا أن يعفون ان كن أهلا للعفو أو يعفو لهن ان لم يكن أهلا فهذا كان الولي الذي يعفو ويصح عفوه عند مالك هو الاب في ابنته البكر والسيد في أمته خاصة • الثالث أن الكتاب العزيز جدير بتناسب الاقسام وتمام طرف الكلام والامر فيه على هذا المحمل بهذه المثابة فان الآية (٢٧٢) حينئذ مشتملة على خطاب الزوجات ثم الاولياء ثم الازواج بقوله ولا تنسوا الفضل بينكم فتكون على هذا الوجه ملية بالفوائد جامعة للمقاصد • الرابع أن المضاف الى صاحب عقدة النكاح العفو كما هو مضاف الى الزوجات والعفو الاسقاط لغة وهو المراد من الاول اذا كان مضافا الى الزوجات هو اسقاط بلا ريب ولو كان المراد صاحب اسقاطها العقدة الزوج لتعين حمل العفو على تكميل المهر واعطائه ما لا يستحق عليه وهذا غير مطابقه من الاسماء المتصل ومن ثم قال في خطاب الازواج ولا تنسوا الفضل بينكم لان المبذول من جهته غير مستحق عليه فهو فضل لا عفو • ولا يقال ان الزوج قد يعجل المهر كاملا قبل الطلاق وطلق فيجب استرجاع النصف فيسقطه ويعفو عنه وحينئذ يبقى العفو من جانب الزوج على ظاهره وحقيقته • لانا نقول حسبنا في رد هذا الوجه ما فيه من التكلفة وتقدير ما الاصل خلافه • الخامس أن صدر الآية خطاب للازواج في قوله وان طلقتموهن الى قوله فرضتم فلو جاء قوله أو يعفو الذي بيده عقدة النكاح مرادا به الزوج لكان عدولا والتفاتا من الخطاب الى الغيبة وليس هذا من مواضعه ولاجل هذا جاء قوله ولا تنسوا الفضل بينكم على صيغة الخطاب لان المراد به الازواج لخطابهم أولا • السادس ان قوله الا أن يعفون وما عطف عليه استثناء من قوله فنصف ما فرضتم وأصل الكلام فنصف ما فرضتم واجب عليكم الا أن يعفو عنه الزوجات فليس بواجب عليكم اذا فاذا حمل الكلام على الولي استقام أوهم لو كملوا المهر لهن فالنصف واجب عليهم لا بغير ولا يعدله الحالة المستثناة مما وقع منه الاستثناء فلا يجري الاستثناء على حقيقته في المخالفة بين الاول والثاني الا أن يقال مقتضى قوله فنصف ما فرضتم واجب عليكم ان النصف الآخر غير مؤدى اليهن لانه ساقط عن الزوج فاذا أعطاهن كل المهر فقد صار النصف الآخر مؤدى

متاعا بالمعروف حقا على المحسنين وان طلقتموهن من قبل أن تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة فنصف ما فرضتم الا أن يعفون أو يعفو الذي بيده عقدة النكاح وأن تعفوا أقرب للتقوى ولا تنسوا الفضل بينكم ان الله بما تعملون بصير حافظوا على الصلوات

النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لرجل من الانصار تزوج امرأة ولم يسم لها مهرا ثم طلقها قبل أن يمسها أمتعتها قال لم يكن عندي شيء قال متعها بقلنسوتك وعند أبي حنيفة لا تجب المتعة الا لهذه وحدها وتستحب لسائر المطلقات ولا تجب (متاعا) تأكيد لمتعوهن بمعنى تمتيعا (بالمعروف) بالوجه الذي يحسن في الشرع والمروءة (حقا) صفة لمتاعا أي متاعا واجبا عليهم أو حق ذلك حقا (على المحسنين) على الذين يحسنون الى المطلقات بالتمتيع وسماهم قبل الفعل محسنين كما قال صلى الله عليه وسلم من قتل قتيلا فله سلبه (الا أن يعفون) يريد المطلقات (فان قلت) أي فرق بين قولك الرجال يعفون والنساء يعفون (قلت) الواو في الاول ضميرهم والنون علم الرفع والواو في الثاني لام الفعل والنون ضميرهن والفعل مبني لا أثر في لفظه للعامل وهو في محل النصب • ويعفو عطف على محله و(الذي بيده عقدة النكاح) الولي يعني الا أن تعفو المطلقات عن أزواجهن فلا يطالبنهم بنصف المهر وتقول المرأة ما رآني ولا خدمته ولا استمتع بي فكيف آخذ منه شيئا أو يعفو الولي الذي يلي عقد نكاحهن وهو مذهب الشافعي وقيل هو الزوج وعفوه أن يسوق اليها المهر كاملا وهو مذهب أبي حنيفة والاول ظاهر الصحة وتسمية الزيادة على الحق عفوا فيها نظر الا أن يقال كان الغالب عندهم أن يسوق اليها المهر عند التزوج فاذا طلقها استحق أن يطالبها بنصف ما ساق اليها فاذا ترك المطالبة فقد عفا عنها أو سماه عفوا على طريق المشاكلة وعن جبير بن مطعم أنه تزوج امرأة وطلقها قبل أن يدخل بها فأكمل لها الصداق وقال أنا أحق بالعفو وعنه أنه دخل على سعد بن أبي وقاص فعرض عليه بنتا له فتزوجها فلما خرج طلقها وبعث اليها بالصداق كاملا فقيل له لم تزوجتها فقال عرضها علي فكرهت رده قيل فلم بعثت بالصداق قال فأين الفضل • و(الفضل) التفضل أي ولا تنسوا أن يتفضل بعضكم على بعض ولا تستقصوا وقرأ الحسن أو يعفو الذي بسكون الواو واسكان الواو والياء في موضع النصب تشبيه لهما بالالف لانهما

أختاها وقرأ أبو نهيك وأن يعفو بالياء وقرئ ولا تنسوا الفضل بكسر الواو (والصلاة الوسطى) أى الوسطى بين الصلوات أو الفضلى من قولهم للأفضل الأوسط وإنما أفردت وعطفت على الصلاة لانفرادها بالفضل وهى صلاة العصر وعن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال يوم الأحزاب شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر ملأ الله بيوتهم نارا وقال عليه السلام إنها الصلاة التى شغل عنها سليمان بن داود حتى توارت بالحجاب وعن حفصة أنها قالت لمن كتب لها المصحف إذا بلغت هذه الآية فلا تكتبها حتى أمليها عليك كما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرؤها فأملت عليه والصلاة الوسطى صلاة العصر وروى عن عائشة وابن عباس رضى الله عنهم والصلاة الوسطى وصلاة العصر بالواو فعلى هذه القراءة يكون التخصيص لصلاتين إحداهما الصلاة الوسطى إما الظهر وإما العصر وإما المغرب على اختلاف الروايات فيها والثانية العصر وقيل فضلها لما فى وقتها من اشتغال الناس بتجاراتهم ومعايشهم وعن ابن عمر رضى الله عنهما هى صلاة الظهر لأنها فى وسط النهار وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصليها بالهاجرة ولم تكن صلاة أشد على أصحابه منها وعن مجاهد هى الفجر لأنها بين صلاتى النهار وصلاتى الليل وعن قبيصة بن ذؤيب هى المغرب لأنها وتر النهار ولا تنقص فى السفر من الثلاث وقرأ عبد الله وعلى الصلاة الوسطى وقرأت عائشة رضى الله عنها والصلاة الوسطى بالنصب على المدح والاختصاص وقرأ نافع الوصطى بالصاد (وقوموا لله) فى الصلاة (قانتين) ذاكرين لله فى قيامكم والقنوت أن تذكر الله قائما وعن عكرمة كانوا يتكلمون فى الصلاة فنهوا وعن مجاهد هو الركود وكف الأيدى والبصر وروى أنهم كانوا إذا قام أحدهم إلى الصلاة هاب الرحمن أن يمد بصره أو يلتفت أو يقلب الحصى أو يحدث نفسه بشىء من أمور الدنيا (فإن خفتم) فإن كان بكم خوف من عدو أو غيره (فرجالا) فصلوا راجلين وهو جمع راجل كقائم وقيام أو رجل يقال رجل رجل أى راجل وقرئ فرجالا بضم الراء ورجالا بالتشديد ورجلا وعند أبى حنيفة رحمه الله لا يصلون فى حال المشى والمسايفة ما لم يمكن الوقوف وعند الشافعى رحمه الله يصلون فى كل حال والراكب يومئ ويسقط عنه التوجه إلى القبلة (فإذا أمنتم) فإذا زال خوفكم (فاذكروا الله كما علمكم ما لم تكونوا تعلمون) من صلاة الأمن أو فإذا أمنتم فاشكروا الله على الأمن واذكروه بالعبادة كما أحسن إليكم بما علمكم من الشرائع وكيف تصلون فى حال الخوف وفى حال الأمن * تقديره فيمن قرأ وصية بالرفع ووصية الذين يتوفون أو وحكم الذين يتوفون وصية لأزواجهم أو والذين يتوفون أهل وصية لأزواجهم وفيمن قرأ بالنصب والذين يتوفون يوصون وصية كقولك إنما أنت سيرا البريد بإضمار تسير أو وألزم الذين يتوفون وصية ويدل عليه قراءة عبد الله كتب عليكم الوصية لأزواجكم متاعا إلى الحول مكان قوله (والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا وصية لأزواجهم متاعا إلى الحول) وقرأ أبى متاع لأزواجهم متاعا وروى عنه فمتاع لأزواجهم ومتاعا نصب بالوصية إلا إذا أضمرت يوصون فإنه نصب بالفعل وعلى قراءة أبى متاعا نصب بمتاع لأنه فى معنى التمتيع كقولك الحمد لله حمد الشاكرين وأعجبنى ضرب لك زيدا ضربا شديدا و(غير إخراج) مصدر مؤكد كقولك هذا القول غير ما تقول أو بدل من متاعا أو حال من الأزواج أى غير مخرجات والمعنى أن حق الذين يتوفون عن أزواجهم أن يوصوا قبل أن يحتضروا بأن تمتع أزواجهم بعدهم حولا كاملا أى ينفق عليهن من تركته ولا يخرجن من مساكنهن وكان ذلك فى أول الإسلام ثم نسخت المدة بقوله أربعة أشهر وعشرا وقيل نسخ ما زاد منه على هذا المقدار ونسخت النفقة بالإرث الذى هو الربع والثمن واختلف فى السكنى فعند أبى حنيفة وأصحابه لا سكنى لهن (فيما فعلن فى أنفسهن) من التزين والتعرض للخطاب (من معروف) مما ليس بمنكر شرعا (فإن قلت) كيف نسخت الآية المتقدمة المتأخرة (قلت) قد تكون الآية متقدمة فى التلاوة وهى متأخرة فى التنزيل كقوله تعالى سيقول السفهاء مع قوله قد نرى تقلب وجهك فى السماء (وللمطلقات متاع) عم المطلقات بإيجاب المتعة لهن بعدما أوجبها للواحدة منهن وهى المطلقة غير المدخول بها وقال (حقا على المتقين) كما قال ثمة حقا على المحسنين وعن سعيد بن جبير وأبى العالية والزهرى أنها واجبة لكل مطلقة وقيل قد تناولت التمتيع الواجب

والصلوة الوسطى وقوموا لله قانتين فان خفتم فرجالا أو ركبانا فاذا أمنتم فاذكروا الله كما علمكم ما لم تكونوا تعلمون والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا وصية لأزواجهم متاعا الى الحول غير اخراج فان خرجن فلا جناح عليكم فيما فعلن فى أنفسهن من معروف والله عزيز حكيم وللمطلقات متاع بالمعروف حقا على المتقين كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تعقلون

ليس فى هذا التأويل من الكلفة ما يسقط مؤنة رده

واستقصى جميعا وقيل المراد بالمتاع نفقة العدة (ألم تر) تقرير لمن سمع بقصتهم من أهل الكتاب وأخبار الأولين وتعجيب من شأنهم ويجوز أن يخاطب به من لم ير ولم يسمع لأن هذا الكلام جرى مجرى المثل في معنى التعجيب * روي أن أهل داوردان قرية قبل واسط وقع فيهم الطاعون فخرجوا هاربين فأماتهم الله ثم أحياهم ليعتبروا ويعلموا أنه لا مفر من حكم الله وقضائه وقيل مر عليهم حزقيل بعد زمان طويل وقد عريت عظامهم وتفرقت أوصالهم فلوى شدقه وأصابعه تعجبا مما رأى فأوحي إليه ناد فيهم أن قوموا بإذن الله فنادى فنظر إليهم قياما يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لا إله إلا أنت وقيل هم قوم من بني إسرائيل دعاهم ملكهم إلى الجهاد فهربوا حذرا من الموت فأماتهم الله ثمانية أيام ثم أحياهم (وهم ألوف) فيه دليل على الألوف الكثيرة واختلف في ذلك فقيل عشرة وقيل ثلاثون وقيل سبعون ومن بدع التفاسير ألوف متآلفون جمع آلف كقاعد وقعود (فإن قلت) ما معنى قوله (فقال لهم الله موتوا) (قلت) معناه فأماتهم وإنما جيء به على هذه العبارة للدلالة على أنهم ماتوا ميتة رجل واحد بأمر الله ومشيئته وتلك ميتة خارجة عن العادة كأنهم أمروا بشيء فامتثلوه امتثالا من غير إباء ولا توقف كقوله تعالى إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون وهذا تشجيع للمسلمين على الجهاد والتعرض للشهادة وأن الموت إذا لم يكن منه بد ولم ينفع منه مفر فأولى أن يكون في سبيل الله (لذو فضل على الناس) حيث يبصرهم ما يعتبرون به ويستبصرون كما بصر أولئك وكما بصركم باقتصاص خبرهم أو لذو فضل على الناس حيث أحيا أولئك ليعتبروا فيفوزوا ولو شاء لتركهم موتى إلى يوم البعث ويدل على أنه ساق هذه القصة بعثا على الجهاد ما أتبعه من الأمر بالقتال في سبيل الله (واعلموا أن الله سميع) يسمع ما يقوله المتخلفون والسابقون (عليم) بما يضمرونه وهو من وراء الجزاء * إقراض الله مثل لتقديم العمل الذي يطلب به ثوابه والقرض الحسن المجاهدة في نفسها أو النفقة في سبيل الله (أضعافا كثيرة) قيل الواحد بسبعمائة وعن السدي كثيرة لا يعلم كنهها إلا الله (والله يقبض ويبسط) يوسع على عباده ويقتر فلا تبخلوا عليه بما وسع عليكم لا يبدلكم الضيقة بالسعة (وإليه ترجعون) فيجازيكم على ما قدمتم (لنبي لهم) هو يوشع أو شمعون أو أشمويل (ابعث لنا ملكا) أنهض للقتال معنا أميرا نصدر في تدبير الحرب عن رأيه وننتهي إلى أمره طلبوا من نبيهم نحو ما كان يفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم من التأمير على الجيوش التي كان يجهزها ومن أمرهم بطاعته وامتثال أوامره وروي أنه أمر الناس إذا سافروا أن يجعلوا أحدهم أميرا عليهم (نقاتل) قرئ بالنون والجزم على الجواب وبالنون والرفع على أنه حال أي ابعثه لنا مقدرين القتال أو استئناف كأنه قال لهم ما تصنعون بالملك فقالوا نقاتل وقرئ يقاتل بالياء والجزم على الجواب وبالرفع على أنه صفة لملكا * وخبر عسيتم (ألا تقاتلوا) والشرط فاصل بينهما والمعنى هل قاربتم أن لا تقاتلوا يعني هل الأمر كما أتوقعه أنكم لا تقاتلون أراد أن يقول عسيتم أن لا تقاتلوا بمعنى أتوقع جبنكم عن القتال فأدخل هل مستفهما عما هو متوقع عنده ومظنون وأراد بالاستفهام التقرير وتثبيت أن المتوقع كائن وأنه صائب في توقعه كقوله تعالى هل أتى على الإنسان معناه التقرير وقرئ عسيتم بكسر السين وهي ضعيفة (وما لنا ألا نقاتل) وأي داع لنا إلى ترك القتال وأي غرض لنا فيه (وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا) وذلك أن قوم جالوت كانوا يسكنون ساحل بحر الروم بين مصر وفلسطين فأسروا من أبناء ملوكهم أربعمائة وأربعين (إلا قليلا منهم) قيل كان القليل منهم ثلثمائة وثلاثة عشر على عدد أهل بدر (والله عليم بالظالمين) وعيد لهم على ظلمهم في القعود عن القتال وترك الجهاد (طالوت) اسم أعجمي كجالوت وداود وإنما امتنع من الصرف لتعريفه وعجمته وزعموا أنه من الطول لما وصف به من البسطة في الجسم ووزنه إن كان من الطول فعلوت منه أصله طولوت إلا أن امتناع صرفه يدفع أن يكون منه إلا أن يقال هو اسم عبراني وافق عربيا كما وافق حنطة حنطة وبشمالا هاربنا ارحمنا بسم الله الرحمن الرحيم فهو من الطول كما لو كان عربيا وكان أحد سببيه العجمة لكونه عبرانيا (أنى) كيف ومن أين وهو إنكار لتملكه عليهم واستبعاد له (فإن قلت) ما الفرق بين الواوين

ألم تر إلى الذين خرجوا
من ديارهم وهم ألوف
حذر الموت فقال لهم
الله موتوا ثم أحياهم
إن الله لذو فضل على
الناس ولكن أكثر
الناس لا يشكرون
وقاتلوا في سبيل الله
واعلموا أن الله سميع
عليم من ذا الذي يقرض
الله قرضا حسنا
فيضاعفه له أضعافا
كثيرة والله يقبض
ويبسط وإليه ترجعون
ألم تر إلى الملإ من بني
إسرائيل من بعد موسى
إذ قالوا لنبي لهم ابعث
لنا ملكا نقاتل في سبيل
الله قال هل عسيتم إن
كتب عليكم القتال ألا
تقاتلوا قالوا وما لنا ألا
نقاتل في سبيل الله
وقد أخرجنا من ديارنا
وأبنائنا فلما كتب عليهم
القتال تولوا إلا قليلا
منهم والله عليم بالظالمين
وقال لهم نبيهم إن الله
قد بعث لكم طالوت
ملكا قالوا أنى يكون له
الملك علينا ونحن أحق
بالملك منه ولم يؤت
سعة من المال

في

في ونحن أحق ولم يؤت (قلت) الأولى للحال والثانية لعطف الجملة على الجملة الواقعة حالا قد انتظمتهما معا في حكم واو الحال والمعنى كيف يتملك علينا والحال أنه لا يستحق التملك لوجود من هو أحق بالملك وأنه فقير ولا بد للملك من مال يعتضد به وإنما قالوا ذلك لأن النبوة كانت في سبط لاوي بن يعقوب والملك في سبط يهوذا ولم يكن طالوت من أحد السبطين ولأنه كان رجلا سقاء أو دباغا فقيرا وروي أن نبيهم دعا الله تعالى حين طلبوا منه ملكا فأتي بعصا يقاس بها من يملك عليهم فلم يساوها إلا طالوت (قال إن الله اصطفاه عليكم) يريد أن الله هو الذي اختاره عليكم وهو أعلم بالمصالح منكم ولا اعتراض على حكم الله * ثم ذكر مصلحتين أنفع مما ذكروا من النسب والمال وهما العلم المبسوط والجسامة والظاهر أن المراد بالعلم المعرفة بما طلبوه لأجله من أمر الحرب ويجوز أن يكون عالما بالديانات وبغيرها وقيل قد أوحي إليه ونبئ وذلك أن الملك لا بد أن يكون من أهل العلم فإن الجاهل مزدرى غير منتفع به وأن يكون جسيما يملأ العين جهارة لأنه أعظم في النفوس وأهيب في القلوب * والبسطة السعة والامتداد وروي أن الرجل القائم كان يمد يده فينال رأسه (يؤتي ملكه من يشاء) أي الملك له غير منازع فيه فهو يؤتيه من يشاء من يستصلحه للملك (والله واسع) الفضل والعطاء يوسع على من ليس له سعة من المال ويغنيه بعد الفقر (عليم) بمن يصطفيه للملك (التابوت) صندوق التوراة وكان موسى عليه السلام إذا قاتل قدمه فكانت تسكن نفوس بني إسرائيل ولا يفرون * والسكينة السكون والطمأنينة وقيل هي صورة كانت فيه من زبرجد أو ياقوت لها رأس كرأس الهر وذنب كذنبه وجناحان فتئن فيزف التابوت نحو العدو وهم يمضون معه فإذا استقر ثبتوا وسكنوا ونزل النصر وعن علي رضي الله عنه كان لها وجه كوجه الإنسان وفيها ريح هفافة (وبقية) هي رضاض الألواح وعصا موسى وثيابه وشيء من التوراة وكان رفعه الله تعالى بعد موسى عليه السلام فنزلت به الملائكة تحمله وهم ينظرون إليه فكان ذلك آية لاصطفائه طالوت وقيل كان مع موسى ومع أنبياء بني إسرائيل بعده يستفتحون به فلما غيرت بنو إسرائيل غلبهم عليه الكفار فكان في أرض جالوت فلما أراد الله أن يملك طالوت أصابهم ببلاء حتى هلكت خمس مدن فقالوا هذا بسبب التابوت بين أظهرنا فوضعوه على ثورين فساقتهما الملائكة إلى طالوت وقيل كان من خشب الشمشار مموها بالذهب نحوا من ثلاثة أذرع في ذراعين وقرأ أبي وزيد بن ثابت التابوه بالهاء وهي لغة الأنصار (فإن قلت) ما وزن التابوت (قلت) لا يخلو من أن يكون فعلوتا أو فاعولا فلا يكون فاعولا لقلته نحو سلس وقلق ولأنه تركيب غير معروف فلا يجوز ترك المعروف إليه فهو إذن فعلوت من التوب وهو الرجوع لأنه ظرف توضع فيه الأشياء وتودعه فلا يزال يرجع إليه ما يخرج منه وصاحبه يرجع إليه فيما يحتاج إليه من مودعاته وأما من قرأ بالهاء فهو فاعول عنده إلا فيمن جعل هاءه بدلا من التاء لاجتماعهما في الهمس وأنهما من حروف الزيادة ولذلك أبدلت من تاء التأنيث وقرأ أبو السمال سكينة بفتح السين والتشديد وهو غريب وقرئ يحمله بالياء (فإن قلت) من آل موسى وآل هرون (قلت) الأنبياء من بني يعقوب بعدهما لأن عمران هو ابن قاهث بن لاوي بن يعقوب فكان أولاد يعقوب آلهما ويجوز أن يراد مما تركه موسى وهرون والآل مقحم لتفخيم شأنهما فصل عن موضع كذا إذا انفصل عنه وجاوزه وأصله فصل نفسه ثم كثر محذوف المفعول حتى صار في حكم غير المتعدي كانفصل وقيل فصل عن البلد فصولا ويجوز أن يكون فصله فصلا وفصل فصولا كوقف وصد ونحوهما والمعنى انفصل عن بلده (بالجنود) روي أنه قال لقومه لا يخرج معي رجل بنى بناء لم يفرغ منه ولا تاجر مشتغل بالتجارة ولا رجل متزوج بامرأة لم يبن عليها ولا أبتغي إلا الشاب النشيط الفارغ فاجتمع إليه مما اختاره ثمانون ألفا وكان الوقت قيظا وسلكوا مفازة فسألوا أن يجري الله لهم نهرا ف(قال إن الله مبتليكم) بما اقترحتموه من النهر (فمن شرب منه) فمن ابتدأ شربه من النهر بأن كرع فيه (فليس مني) فليس بمتصل بي ومتحد معي من قولهم فلان مني كأنه بعضه لاختلاطهما واتحادهما ويجوز أن يراد فليس من جملتي وأشياعي (ومن لم يطعمه) ومن لم يذقه من طعم الشيء إذا ذاقه ومنه طعم الشيء لمذاقه * قال وإن شئت لم أطعم نقاخا ولا بردا * ألا ترى كيف عطف

قال إن الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم والله يؤتي ملكه من يشاء والله واسع عليم وقال لهم نبيهم إن آية ملكه أن يأتيكم التابوت فيه سكينة من ربكم وبقية مما ترك آل موسى وآل هرون تحمله الملائكة إن في ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين فلما فصل طالوت بالجنود قال إن الله مبتليكم بنهر فمن شرب منه فليس مني ومن لم يطعمه فإنه مني

---

* قوله تعالى قالوا أنى يكون له الملك علينا الآية (قال محمود رحمه الله إن قلت ما الفرق بين الواوين الخ) قال أحمد رحمه الله وحاصل هذا أن الواو الأولى أفادت جملتها الحالية بنفسها وأفادت الجملة الثانية الحالية أيضا لكن بواسطة الواو العاطفة وهذا النظر من السهل الممتنع (قال محمود رحمه الله وزن التابوت فعلوت الخ) قال أحمد رحمه الله يريد لأن الفاء تاء واللام كذلك والعرب تستثقل ما فاؤه ولامه حرف واحد لأنه توأم المتكرر

قوله تعالى فمن شرب منه فليس مني الآية (قال محمود مستثنى من قوله فمن شرب منه فليس مني الخ) تقوية لمن ذهب الى ان الاستثناء المتعقب للجمل لا يتعين عوده الى الاخيرة لاحتمال عوده الى ماقبلها ورد على من منع ذلك محتجا بامتناع الفصل بين المستثنى والمستثنى منه بأجنبي من الاستثناء ولذلك حقق (٢٧٦) عوده الى الاخيرة وتوقف في انعطافه على ما تقدمها فيجوز عنده أن يعود على الجميع مع الاخيرة وأما عوده على ماقبل الاخيرة دونها

فتعذر عند هذا القائل ... في العود الى ... رة لهذه الشبهة وقد بين القاضي أبو بكر صلاحية عوده الى ماقبل الاخيرة دونها ردا على هذا القائل واستشهد بقوله ... بدرجات ردوه الى الرسول والى أولى الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان الا قليلا اذ ان المعنى يأبى انعطاف هذا الاستثناء الى الجملة الاخيرة ويعين عوده الى ماقبلها وسيأتي بيان ذلك عند الكلام على الآية

الا من اغترف غرفة بيده فشربوا منه الا قليلا منهم فلما جاوزه هو والذين آمنوا معه قالوا لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده قال الذين يظنون أنهم ملاقوا الله كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين ولما برزوا لجالوت وجنوده قالوا ربنا أفرغ علينا صبرا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين فهزموهم باذن الله وقتل داود جالوت وآتاه الله الملك والحكمة وعلمه مما يشاء ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض ولكن الله ذو فضل على العالمين تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق وانك لمن المرسلين تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات وآتينا عيسى ابن مريم البينات وأيدناه بروح القدس

عليه البرد وهو أجوم ويقبل معذرته عما ... ونحوه من الابتلاء ما ابتلى الله به أهل أيلة من ترك الصيد مع اتيان الحيتان شرعا بل هو أشد منه وأصعب وانما عرف ذلك طالوت باخبار من النبي وان كان نبيا كما يروى عن ابنه بمد الوحي * وقرئ بنهر بالسكون (فانه مني) ثم استثنى قوله (الا من اغترف) (فمن) من قوله فمن شرب منه فليس مني والجملة الثانية في حكم المتأخرة الا انها قدمت للعناية كما قدم والصابئون في قوله ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون ومعناه الرخصة في اغتراف الغرفة باليد دون الكروع والدليل عليه قوله (فشربوا منه) أي فكرعوا فيه الا قليلا منهم * وقرئ غرفة بالفتح بمعنى المصدر وبالضم بمعنى المغروف وقرأ أبي والاعمش الا قليل بالرفع وهذا من ميلهم مع المعنى والاعراض عن اللفظ جانبا وهو باب جليل من علم العربية فلما كان معنى فشربوا منه في معنى فلم يطيعوه حمل عليه كأنه قيل فلم يطيعوه الا قليل منهم ونحوه قول ... لم يدع * من المال الا مسحت أو مجلف * كأنه قال لم يبق من المال الا مسحت أو مجلف وقيل لم يبق مع طالوت الا ثلثمائة وثلاثة عشر رجلا (والذين آمنوا) يعني القليل (قال الذين يظنون) يعني الخلص منهم الذين نصبوا بين أعينهم لقاء الله وأيقنوه أو الذين تيقنوا أنهم يستشهدون عما قريب ويلقون الله والمؤمنون مختلفون في قوة اليقين ونصوع البصيرة * وقيل الضمير في قالوا لا طاقة لنا للكثير الذين انخزلوا والذين يظنون هم القليل الذين ثبتوا معه كأنهم تقاولوا بذلك والنهر بينهما يظهر أولئك عذرهم في الانخزال ويرد عليهم هؤلاء ما يعتذرون به وروى أن الغرفة كانت تكفي الرجل لشربه واداوته والذين شربوا منه اسودت شفاههم وغلبهم العطش * وجالوت جبار من العمالقة من أولاد عمليق بن عاد وكانت بيضته فيها ثلثمائة رطل (وثبت أقدامنا) وهب لنا ما نثبت به في مداحض الحرب من قوة القلوب والقاء الرعب في قلب العدو ونحو ذلك من الاسباب * كان ايشى أبو داود في عسكر طالوت مع ستة من بنيه وكان داود سابعهم وهو صغير يرعى الغنم فأوحى الى أشمويل أن داود بن ايشى هو الذي يقتل جالوت فطلبه من أبيه فجاء وقد مر في طريقه بثلاثة أحجار دعاه كل واحد منها أن يحمله وقالت له انك تقتل بنا جالوت فحملها في مخلاته ورمى بها جالوت فقتله وزوجه طالوت بنته وروى أنه حسده وأراد قتله ثم تاب (وآتاه الله الملك) في مشارق الارض المقدسة ومغاربها وما اجتمعت بنو اسرائيل على ملك قط قبل داود (والحكمة) والنبوة (وعلمه مما يشاء) من صنعة الدروع وكلام الطير والدواب وغير ذلك (ولولا دفع الله الناس) ولولا أن الله يدفع بعض الناس ببعض ويكف بهم فسادهم لغلب المفسدون وفسدت الارض وبطلت منافعها وتعطلت مصالحها من الحرث والنسل وسائر ما يعمر الارض وقيل ولولا أن الله ينصر المسلمين على الكفار لفسدت الارض بعيث الكفار فيها وقتل المسلمين أو لو لم يدفعهم بهم لعم الكفر ونزلت السخطة فاستؤصل أهل الارض (تلك آيات الله) يعني القصص التي قصها من حديث الالوف واماتتهم واحيائهم وتمليك طالوت واظهاره بالآية التي هي نزول التابوت من السماء وغلبة الجبابرة على يد صبي (بالحق) باليقين الذي لا يشك فيه أهل الكتاب لانه في كتبهم كذلك (وانك لمن المرسلين) حيث تخبر بها من غير أن تعرف بقراءة كتاب ولا سماع أخبار (تلك الرسل) اشارة الى جماعة الرسل التي ذكرت قصصها في السورة أو التي ثبت علمها عند رسول الله صلى الله عليه وسلم (فضلنا بعضهم على بعض) لما أوجب ذلك من تفاضلهم في الحسنات (منهم من كلم الله) منهم من فضله الله بأن كلمه من غير سفير وهو موسى عليه السلام وقرئ كلم الله بالنصب وقرأ اليماني كالم الله من المكالمة ويدل عليه قولهم كليم الله بمعنى مكالمه (ورفع بعضهم درجات) أي ومنهم من رفعه على سائر الانبياء فكان بعد تفاوتهم في الفضل أفضل منهم

* قوله تعالى تلك الرسل فضلنا الآية (قال محمود رحمه الله والظاهر أنه أراد محمداً عليه الصلاة والسلام الخ) قال أحمد وإنما أوردت هذا الفصل من كلامه استحساناً له لفظاً ومعنى وتبركاً بإعطاء المصطفى عليه الصلاة والسلام من الفضل بعض حقه وأصاب الزمخشري في قوله حيث أوتي النبي عليه الصلاة والسلام من الفضل المنوع على سائر ما أوتيه الأنبياء على جميعهم الصلاة والسلام وليس كما يقال عن بعض أهل العصر من تفضيل النبي عليه الصلاة والسلام على كل واحد واحد من آحاد الأنبياء وينبغي الوقوف عن تفضيله على مجموعهم فإنه من العلماء الأعلام وعمدتين الإسلام والوجه النور ينبه على اللفظة عنه * قوله تعالى ولو شاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم الآية (قال محمود رحمه الله كرر ولو شاء الله ما اقتتلوا تأكيداً) قال أحمد رحمه الله ووراء التأكيد سر أحسن منه وهو أن العرب متى بنت أول كلامها على مقصد ثم اعترضها مقصد آخر وأرادت الرجوع إلى الأول قصدت ذكره إما بتلك العبارة أو قريب منها وذلك عندهم مهيع من الفصاحة مسلوك وطريق معبد وكان جدي لأمي أبو العباس أحمد بن فارس الفقيه الوزير (٢٧٧) يعدّ في كتاب الله تعالى مواضع في هذا المعنى منها قوله تعالى من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان ولكن من شرح بالكفر صدراً ومنها قوله تعالى ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم أن تطؤوهم فتصيبكم منهم معرة بغير علم إلى قوله لو تزيلوا لعذبنا الذين كفروا منهم وهذه الآية من هذا النمط لما صدر الكلام بأن اقتتالهم كان على وفق المشيئة ثم طال الكلام وأريد بيان أن مشيئة الله تعالى كما نفذت في هذا الأمر الخاص وهو اقتتال هؤلاء فهي نافذة في كل فعل واقع وهو المعنى المعبر عنه في قوله ولكن الله يفعل ما يريد طرأ ذكر تعلق المشيئة بالاقتتال لتلوه عموم تعلق المشيئة مناسب الكلام ويعرف كل شكله فهذا مما يشرح لبيانه الصدر ويرتاح السر والله الموفق وأي قدم يثبت للاعتزال قبالة هذه الآية لتداركه القاطعة الكائدة ردا على منتحله وناصره ولذلك جوّزها الزمخشري لاغتصاصه على تأويلها واعتصامها بالمصوصية من حيله وتحيله * قوله تعالى من قبل أن يأتي يوم لا بيع الآية (قال محمود رحمه الله ومعناه إن أردتم أن يحط عنكم ما في ذمتكم الخ) قال أحمد رحمه الله أما القدرية فقد قنطوا والعموم على حرمان الشفاعة وهم جدير أن يحرموها وأدلة أهل السنة على إثباتها للعصاة من المؤمنين أوسع من أن تحصى وما أنكره القدرية إلا لإيجابهم مجازاة الله تعالى للمطيع على الطاعة وللعاصي على المعصية إيجاباً عقلياً على زعمهم فهذه الحالة في إنكار الشفاعة منتجة تلك الضلالة وقد تقدم جواب عن التمسك بإطلاق مثل هذه الآية في نفي الشفاعة وبعيده فقول أيام القيامة متعددة والشفاعة في بعضها ثابتة فكل ما ورد منفيها حمل على الأيام الخالية منها جمعاً بين الأدلة كما ورد قوله تعالى فإذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون وورد وأقبل

ولو شاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم من بعد ما جاءتهم البينات ولكن اختلفوا فمنهم من آمن ومنهم من كفر ولو شاء الله ما اقتتلوا ولكن الله يفعل ما يريد يا أيها الذين آمنوا أنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة

درجات كثيرة والظاهر أنه أراد محمداً صلى الله عليه وسلم لأنه هو المفضل عليهم حيث أوتي ما لم يؤته أحد من الآيات المتكاثرة المرتقية إلى ألف آية أو أكثر ولو لم يؤت إلا القرآن وحده لكفى به فضلاً منيفاً على سائر ما أوتي الأنبياء لأنه المعجزة الباقية على وجه الدهر دون سائر المعجزات وفي هذا الإبهام من تفخيم فضله وإعلاء قدره ما لا يخفى لما فيه من الشهادة على أنه العلم الذي لا يشتبه والمتميز الذي لا يلتبس ويقال للرجل من فعل هذا فيقول أحدكم أو بعضكم يريد به الذي تعورف واشتهر بنحوه من الأفعال فيكون أفخم من التصريح به وأنوه بصاحبه وسئل الحطيئة عن أشعر الناس فذكر زهيراً والنابغة ثم قال ولو شئت لذكرت الثالث أراد نفسه ولو قال ولو شئت لذكرت نفسي لم يفخم أمره ويجوز أن يريد إبراهيم ومحمداً وغيرهما من أولي العزم من الرسل وعن ابن عباس رضي الله عنه كنا في المسجد نتذاكر فضل الأنبياء فذكرنا نوحاً بطول عبادته وإبراهيم بخلته وموسى بتكليم الله إياه وعيسى برفعه إلى السماء وقلنا رسول الله أفضل منهم بعث إلى الناس كافة وغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وهو خاتم الأنبياء فدخل عليه السلام فقال فيم أنتم فذكرنا له فقال لا ينبغي لأحد أن يكون خيراً من يحيى بن زكريا فذكر أنه لم يعمل سيئة قط ولم يهم بها (فإن قلت) فلم خص موسى وعيسى من بين الأنبياء بالذكر (قلت) لما أوتيا من الآيات العظيمة والمعجزات الباهرة ولقد بين الله وجه التفضيل حيث جعل التكليم من الفضل وهو آية من الآيات فلما كان هذان النبيان قد أوتيا ما أوتيا من عظام الآيات خصا بالذكر في باب التفضيل وهذا دليل بين أن من زيد تفضيلاً بالآيات منهم فقد فضل على غيره ولما كان نبينا صلى الله عليه وسلم هو الذي أوتي منها ما لم يؤت أحد في كثرتها وعظمها كان هو المشهود له بإحراز قصبات الفضل غير مدافع اللهم ارزقنا شفاعته يوم الدين (ولو شاء الله) مشيئة إلجاء وقسر (ما اقتتل الذين) من بعد الرسل لاختلافهم في الدين وتشعب مذاهبهم وتكفير بعضهم بعضاً (ولكن اختلفوا فمنهم من آمن) لالتزامه دين الأنبياء (ومنهم من كفر) لإعراضه عنه (ولو شاء الله ما اقتتلوا) كرره للتأكيد (ولكن الله يفعل ما يريد) من الخذلان والعصمة (أنفقوا مما رزقناكم) أراد الإنفاق الواجب لاتصال الوعيد به (من قبل أن يأتي يوم) لا تقدرون فيه على تدارك ما فاتكم من الإنفاق لأنه (لا بيع فيه) حتى تبتاعوا ما تنفقونه (ولا خلة) حتى يسامحكم أخلاؤكم به وإن أردتم أن يحط عنكم ما في ذمتكم من الواجب لم تجدوا شفيعاً يشفع لكم في حط الواجبات لأن الشفاعة ثمة في زيادة

بعضهم على بعض يتساءلون، وورد فيه يومئذ لا يسئل عن ذنبه إنس ولا جان، وورد وقفوهم إنهم مسؤلون، ولا تخلص في أمثال هذه الآي إلا بالحمل على تعدد أوقات القيامة واختلاف أحوالها وأيامها وكذلك أمر الشفاعة سواء رزقنا الله الشفاعة وحشرنا في زمرة السنة والجماعة (قال محمود رحمه الله وفي قوله تعالى وسع كرسيه السموات والأرض أربعة أوجه الخ) قال أحمد رحمه الله قوله في الوجه الرابع أن ذلك تخييل للعظمة سوء أدب في الإطلاق ويعني لا يصدرون التخييل إلا فيما يستعمل في الأباطيل وما ليست له حقيقة صدق وإن يكن معنى ما قاله صحيحا فقد أخطأ في التعبير عنه بعبارة موهمة لا مدخل لها في الأدب الشرعي وسيأتي له أمثالها مما يوجب الأدب أن يتجنب عنه كلامه فإن قلت كيف ترتبت الجمل في آية الكرسي وما بالها لم تعطف بالواو قلت لأنها كلها في حكم البيان والبيان متحد بالمبين فدخول الواو بينهما كقول العرب دخول بين العصا ولحائها الأولى بيان لقيامه بتدبير الخلق وكونه مهيمنا عليه غير ساه عنه والثانية لكونه مالكا لما يدبره والثالثة لكبرياء شأنه والرابعة لإحاطته بأحوال الخلق والخامسة لسعة علمه وتعلقه بالمعلومات كلها وقد وردت آثار في فضلها منها قوله عليه السلام ما قرئت هذه الآية في دار إلا اجتنبتها الشياطين ثلاثين يوما ولا يدخلها ساحر ولا ساحرة أربعين ليلة يا علي علمها ولدك وأهلك وجيرانك فما نزلت آية أعظم منها وعن علي رضي الله عنه سمعت نبيكم على أعواد المنبر يقول من قرأ آية الكرسي في دبر كل صلاة مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنة إلا الموت ولا يواظب عليها إلا صديق أو عابد ومن قرأها إذا أخذ مضجعه آمنه الله على نفسه وجاره وجار جاره (١٧٨) والأبيات حوله وتذاكر الصحابة أفضل ما في القرآن فقال علي أين أنتم من آية الكرسي ثم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا علي سيد البشر آدم وسيد العرب محمد ولا فخر وسيد الفرس سلمان وسيد الروم صهيب وسيد الحبشة بلال وسيد الجبال طور سيناء وسيد الأيام يوم الجمعة وسيد الكلام القرآن وسيد القرآن البقرة وسيد البقرة آية الكرسي وإنما فضلت لما فضلت له سورة الإخلاص من اشتمالها على توحيد الله وتعظيمه وتمجيده وصفاته العظمى * قال أحمد وكان جدي رحمة الله عليه يقول اشتملت آية الكرسي على ما لم يشتمل عليه آية من أسماء الله عز وجل وذلك أنها مشتملة على سبعة عشر موضعا فيها اسم الله تعالى ظاهرا في بعضها ومستكنا في بعض ويظهر لكثير من العادين منها ستة عشر إلا على حاذق بصير لدقة استخراجه الأول الله الثاني هو الثالث الحي الرابع القيوم الخامس ضمير لا تأخذه السادس ضمير له السابع ضمير عنده الثامن ضمير بإذنه التاسع ضمير يعلم العاشر ضمير علمه الحادي عشر ضمير شاء الثاني عشر ضمير كرسيه الثالث عشر ضمير ولا يؤده الرابع عشر وهو الخامس عشر العلي السادس عشر العظيم فهذه عدة الأسماء البينة وأما الخفي فالضمير الذي اشتمل عليه المصدر في قوله حفظهما فإنه مصدر مضاف إلى المفعول وهو الضمير البارز ولا بد له من فاعل وهو الله ويظهر عند فك المصدر فيقول ولا يؤده أن يحفظهما هو وكان الشيخ أبو عبد الله محمد بن أبي الفضل المرسي قد رام الزيادة على هذا العدد لما أخبر به عن الجد رحمه الله فقال يمكن أن يعد ما في الآية من الأسماء المشتقة كل واحد منها اثنين لأن كل واحد يتحمل ضميرا ضرورة كونه مشتقا وذلك الضمير عائد إلى الله تعالى وهي باعتبار ظهورها اسم وقد اشتملت على آخر مضمر فيكون جملة العدد على هذا النظر أحدا وعشرين اسما وكنت قد أجريت معه في تعدد الزيادة المذكورة وجها أطلب وهو أن الاسم المشتق له يتحمل الضمير بعد صيرورته بالتسمية علما على الأصح وهذه الصفات كلها أسماء الله تعالى ثم ولو فرضناها متحملة للضمائر بعد التسمية على سبيل

لمن لا يعبر (والكافرون هم الظالمون) أرادوا والتاركون الزكاة هم الظالمون فقال والكافرون للتغليظ كما قال في آخر آية الحج ومن كفر مكان ومن لم يحج ولأنه جعل ترك الزكاة من صفات الكفار في قوله وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة وقرئ لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة بالرفع (الحي) الباقي الذي لا سبيل عليه للفناء وهو على اصطلاح المتكلمين الذي يصح أن يعلم ويقدر و(القيوم) الدائم القيام بتدبير الخلق وحفظه وقرئ القيام والقيم * والسنة ما يتقدم النوم من الفتور الذي يسمى النعاس قال ابن الرقاع العاملي

وسنان أقصده النعاس فرنقت * في عينه سنة وليس بنائم

أي لا يأخذه نعاس ولا نوم وهو تأكيد للقيوم لأن من جاز عليه ذلك استحال أن يكون قيوما ومنه حديث موسى أنه سأل الملائكة وكان ذلك من قومه كطلب الرؤية أينام ربنا فأوحى الله إليهم أن يوقظوه ثلاثا ولا يتركوه ينام ثم قال خذ بيدك قارورتين مملوءتين فأخذهما وألقى الله عليه النعاس فضرب إحداهما على الأخرى فانكسرتا ثم أوحى إليه قل لهؤلاء إني أمسك السموات والأرض بقدرتي فلو أخذني نوم أو نعاس لزالتا (من ذا الذي يشفع عنده) بيان لملكوته وكبريائه وأن أحدا لا يتمالك أن يتكلم يوم القيامة إلا إذا أذن له في الكلام كقوله تعالى لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن (يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم) ما كان قبلهم وما يكون بعدهم والضمير لما في السموات والأرض لأن فيهم العقلاء أو لما دل عليه من ذا من الملائكة والأنبياء (من علمه) من معلوماته (إلا بما شاء) إلا بما علم * الكرسي ما يجلس عليه ولا يفضل عن مقعد القاعد وفي قوله (وسع كرسيه) أربعة أوجه أحدها أن كرسيه لم يضق عن السموات والأرض لبسطته وسعته وما هو

والكافرون هم الظالمون الله لا إله إلا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم له ما في السموات وما في الأرض من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء وسع كرسيه السموات والأرض

لا تصوير لعظمته وتخييل فقط ولا كرسي ثمة ولا قعود ولا قاعد كقوله وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا
قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه من غير تصور قبضة وطي ويمين وانما هو تخييل لعظمة شأنه
وتمثيل حسي ألا ترى الى قوله وما قدروا الله حق قدره والثاني وسع علمه وسمي العلم كرسيا تسمية بمكانه الذي
هو كرسي العالم والثالث وسع ملكه تسمية بمكانه الذي هو كرسي الملك والرابع ما روي أنه خلق كرسيا هو بين
يدي العرش دونه السموات والارض وهو الى العرش كأصغر شيء وعن الحسن الكرسي هو العرش (ولا يؤده)
ولا يثقله ولا يشق عليه (حفظهما) حفظ السموات والارض (وهو العلي) الشأن (العظيم) الملك والقدرة
(فان قلت) كيف ترتبت الجمل في آية الكرسي من غير حرف عطف (قلت) ما منها جملة الا وهي واردة على
سبيل البيان لما ترتبت عليه والبيان متحد بالمبين فلو توسط بينهما عاطف لكان كما تقول العرب بين العصا
ولحائها فالاولى بيان لقيامه بتدبير الخلق وكونه مهيمنا عليه غير ساه عنه والثانية لكونه مالكا لما يدبره
والثالثة لكبرياء شأنه والرابعة لاحاطته بأحوال الخلق وعلمه بالمرتضى منهم المستوجب للشفاعة وغير
المرتضى والخامسة لسعة علمه وتعلقه بالمعلومات كلها أو لجلاله وعظم قدره (فان قلت) لم فضلت هذه الآية
حتى ورد في فضلها ما ورد منه قوله صلى الله عليه وسلم ما قرئت هذه الآية في دار الا هجرتها الشياطين
ثلاثين يوما ولا يدخلها ساحر ولا ساحرة أربعين ليلة يا علي علمها ولدك وأهلك وجيرانك فما نزلت آية أعظم
منها وعن علي رضي الله عنه سمعت نبيكم صلى الله عليه وسلم على أعواد المنبر وهو يقول من قرأ آية الكرسي في
دبر كل صلاة مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنة الا الموت ولا يواظب عليها الا صديق أو عابد ومن قرأها اذا أخذ
مضجعه آمنه الله على نفسه وجاره وجار جاره والابيات حوله وتذاكر الصحابة رضوان الله عليهم أفضل ما في
القرآن فقال لهم علي رضي الله عنه أين أنتم عن آية الكرسي ثم قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا علي
سيد البشر آدم وسيد العرب محمد ولا فخر وسيد الفرس سلمان وسيد الروم صهيب وسيد الحبشة بلال وسيد
الجبال الطور وسيد الايام يوم الجمعة وسيد الكلام القرآن وسيد القرآن البقرة وسيد البقرة آية الكرسي
(قلت) لما فضلت له سورة الاخلاص من اشتمالها على توحيد الله تعالى وتعظيمه وتمجيده وصفاته العظمى
ولا مذكور أعظم من رب العزة فما كان ذكرا له كان أفضل من سائر الاذكار وبهذا يعلم أن أشرف العلوم
وأعلاها منزلة عند الله علم أهل العدل والتوحيد ولا يغرنك عنه كثرة أعدائه

(فان العرانين تلقاها محسدة * ولا ترى للئام الناس حسادا)

(لا اكراه في الدين) أي لم يجر الله أمر الايمان على الاجبار والقسر ولكن على التمكين والاختيار ونحوه قوله
تعالى ولو شاء ربك لآمن من في الارض كلهم جميعا أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين أي لو شاء
لقسرهم على الايمان ولكنه لم يفعل وبنى الامر على الاختيار (قد تبين الرشد من الغي) قد تميز الايمان من
الكفر بالدلائل الواضحة (فمن يكفر بالطاغوت) فمن اختار الكفر بالشيطان أو الاصنام والايمان بالله فقد
(استمسك بالعروة الوثقى) من الحبل الوثيق المحكم المأمون انفصامها أي انقطاعها وهذا تمثيل للمعلوم بالنظر
والاستدلال بالمشاهد المحسوس حتى يتصوره السامع كأنه ينظر اليه بعينه فيحكم اعتقاده والتيقن به وقيل
هو اخبار في معنى النهي أي لا تكرهوا في الدين ثم قال بعضهم هو منسوخ بقوله جاهد الكفار والمنافقين
واغلظ عليهم وقيل هو في أهل الكتاب خاصة لانهم حصنوا أنفسهم بأداء الجزية وروي أنه كان لانصاري
من بني سالم بن عوف ابنان فتنصرا قبل أن يبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قدما المدينة فلزمهما أبوهما
وقال والله لا أدعكما حتى تسلما فأبيا فاختصموا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الانصاري يا رسول الله
أيدخل بعضي النار وأنا أنظر فنزلت فخلاهما (الله ولي الذين آمنوا) أي أرادوا أن يؤمنوا يلطف بهم حتى
يخرجهم بلطفه وتأييده من الكفر الى الايمان (والذين كفروا) أي صمموا على الكفر أمرهم على عكس
ذلك أو الله ولي المؤمنين يخرجهم من الشبه في الدين ان وقعت لهم بما يهديهم ويوفقهم له من حلها حتى
يخرجوا منها الى نور اليقين (والذين كفروا أولياؤهم) الشياطين (يخرجونهم) من نور البينات التي تظهر

ولا يؤده حفظهما وهو العلي العظيم لا اكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور الى الظلمات أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون

التنزيل فالمشتق انما يقع على موصوفه باعتبار ضميره ألا ترى أنك اذا قلت زيد كريم وجدت كريما انما يقع على زيد لاجل ضميره حتى لو جردت النظر اليه لم تجده مختصا بزيد بل لك أن توقعه على كل موصوف بالكرم من الناس ولا تجده مختصا بزيد الا باعتبار اشتماله على ضميره فليس المشتق اذا مستقلا بوقوعه على موصوفه الا بضميمة الضمير اليه فلا يمكن أن يجعل له حكم الانفراد عن الضمير مع الحكم برجوعه الى معين البتة فرضي الشيخ المذكور عن هذا البحث وصوّبه والله الموفق للصواب

قوله تعالى ألم تر الى الذى حاج ابراهيم الآية (قال محمود ان آتاه متعلق بحاج على وجهين الخ) قال أحمد رحمه الله عنه والوجهان قريبان من حيث المعنى الا أن نتهماش لصناعة فرقا بينهما وانما استعمل المصدر فى الاول معمولا من أجله وفى الثانى ظرفا وقد وقعت المصادر ظروفا فى مثل خفوق النجم ومقدم الحاج وأمثال ذلك واعلم وقعت محاجته بهذا الطرف لاشتماله على ايتاء الملك الحامل له على البطر أو على وضع كفر النعمة فيه مكان شكرها وهذان المعنيان هما المذكوران فى الوجه الاول بعينه فلهذا نبهت على ان الفرق بين الوجهين صناعى لا معنوى والله الموفق لمعانى كلامه (قال محمود فان قلت كيف جاز أن يؤتى الله الملك الكافر قلت فيه قولان أحدهما آتاه ما غلب به وتسلط من المال والخدم والاتباع فاما التغليب والتسليط فلا والثانى أن يكون ملكه امتحانا لعباده) قال أحمد السؤال مبنى وروده على قاعدة فاسدة وهى اعتقاد وجوب مراعاة ما يتوهمه القدرية صلاحا واصلح على الله تعالى فى افعاله وكل ذلك من أصول القدرية التى اجتثها البرهان القاطع فلم يبق لها من قرار وأما ايراد السؤال على صيغة لم آتى الله الملك وهو كافر ولم فعل كذا وكذا فجوابه رده على الاطلاق فى قوله تعالى لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون لو سمع الصم لكن والله ولى التوفيق (عاد كلامه) قال ومعنى قوله أنا أحيى وأميت أعفو عن القتل وأقتل وكان الاعتراض عتيدا ولكن ابراهيم عليه السلام لما سمع جواب الاحمق لم يحاجه فيه ولكنه انتقل الى ما لا يقدر فيه على مثل ذلك ليبهته أول شئ وهذا دليل على جواز الانتقال للمجادل من حجة الى حجة * قال أحمد وقد لقن غير واحد من العلماء هذا الذى صدر من ابراهيم عليه الصلاة والسلام ليس بانتقال من الحجة لكن من المثال وأما الحجة فهى استدلاله على ألوهية الله تعالى بتعلق قدرته بما لا يجوز تعلق قدرة الحادث به ثم هذا له أمثلة منها الاحياء والاماتة ومنها الاتيان بالشمس من المشرق والعدول بعد قيام الحجة وتمهيد القاعدة من مثال الى مثال ٢٨٠ ليس بدع عند أهل الجدل والله أعلم * قوله تعالى أو كالذى مر الآية (قال محمود معناه

ألم تر الى الذى حاج ابراهيم فى ربه ان آتاه الله الملك اذ قال ابراهيم ربى الذى يحيى ويميت قال انا أحيى وأميت قال ابراهيم فان الله يأتى بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذى كفر والله لا يهدى القوم الظالمين أو كالذى مر على قرية وهى خاوية على عروشها

لهم الى ظلمات الشكوك والشبهة (ألم تر) تعجيب من محاجة نمرود فى الله وكفره به (ان آتاه الله الملك) متعلق بحاج على وجهين أحدهما حاج لان آتاه الله الملك على معنى ان ايتاء الملك أبطره وأورثه الكبر والعتو فحاج لذلك أو على انه وضع المحاجة فى ربه موضع ما وجب عليه من الشكر على أن آتاه الله الملك فكان المحاجة كانت لذلك كما تقول عادانى فلان لانى أحسنت اليه تريد أنه عكس ما كان يجب عليه من الموالاة لاجل الاحسان ونحوه قوله تعالى وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون والثانى حاج وقت أن آتاه الله الملك (فان قلت) كيف جاز أن يؤتى الله الملك الكافر (قلت) فيه قولان آتاه ما غلب به وتسلط من المال والخدم والاتباع وأما التغليب والتسليط فلا وقيل ملكه امتحانا لعباده و (اذ قال) نصب بحاج أو بدل من آتاه اذا جعل بمعنى الوقت (أنا أحيى وأميت) يريد أعفو عن القتل وأقتل وكان الاعتراض عتيدا ولكن ابراهيم لما سمع جوابه الاحمق لم يحاجه فيه ولكن انتقل الى ما لا يقدر فيه على نحو ذلك الجواب ليبهته أول شئ وهذا دليل على جواز الانتقال للمجادل من حجة الى حجة * وقرئ فبهت الذى كفر أى فغلب ابراهيم الكافر وقرأ أبو حيوة فبهت بوزن قرب وقيل كانت هذه المحاجة حين كسر الاصنام وسجنه نمرود ثم أخرجه من السجن ليحرقه فقال له من ربك الذى تدعو اليه فقال ربى الذى يحيى ويميت (أو كالذى) معناه أو أرأيت مثل الذى

أو أرأيت مثل الذى مر الخ) قال أحمد ومثل هذا الحذف يحذف مفعول رؤية كثير كقوله من

قال لها كلام أمرىء * كالبوم معطفوما ولا ظلما يريد أو كالبوم فحذف المعين وحرف الجر والظاهر حمل الآية على الوجه الاول لوجود نظيره والله أعلم (عاد كلامه) قال والمار كان كافرا بالبعث وهو الظاهر لانتظامه مع نمرود فى سلك واحد وقيل كان مؤمنا وهو عزير أو الخضر وأراد أن يعاين الاحياء كما طلبه ابراهيم وقوله يوما بناء على الظن روى أنه مات ضحى وبعث بعد مائة سنة قبل غيبوبة الشمس فقال قبل النظر الى الشمس يوما ثم التفت فرأى بقية منها فقال أو بعض يوم انتهى كلامه (قال أحمد) أما استدلال الزمخشرى على ان المار كان كافرا بانتظامه مع نمرود فى سلك واحد فمعارض بانه نظمت قصته مع قصة ابراهيم عليه السلام فى نسق واحد فليس الاستدلال على كفره باقتران قصته مع قصة نمرود أولى من الاستدلال على ايمانه بانتظامه أيضا مع قصة ابراهيم الا أن يقول ان قصة هذا المار معطوفة على قصة نمرود عطف تشريك فى المعنى معطوفا به فى الاولى ومحذوف من الثانية مدلولا عليه بذكره أولا ولا كذلك عطف قصة ابراهيم فانه صدرها بقوله واذ التى لا تدخل فى كثير من أحوالها للتشريك بل لكن لتحسين النظم حتى تتوسط بين الجمل التى يقصد تعاطفها لذلك الغرض ولا كذلك عطف قصة نمرود فانه بأو التى لا تقتضى الاشتراك ادعت التحسين لمعطى خاص بالواو ويقوى اذ بنى الترجيح الى هذا التدقيق فهو معارض بما بين قصة المار وقصة ابراهيم من التناسب المعنوى لان طلبهما واحد وهو المسئول معاينة الاحياء وكذلك مطابقة ابراهيم عليه الصلاة والسلام ثم التناسب المعنوى أرجح من التعلق بامور لفظية ترد الى اعتبارات محتملة ويؤيد القول بأن المار كان مؤمنا تحريه فى قوله تعالى يوما أو بعض يوم فان ظاهره الاحتراز من التحريف فى القول حتى لا يعبر عن

من اليوم باليوم حذرا من ايهام طلبته لجنة اليوم ومثل هذا التحري لا يصدر عن معطل والله أعلم ولا يقال انما صدر منه هذا التحري بعد أن حيي وآمن لأنا نقول انما آمن على القول بكفره بعد ظهور الآيات يدل عليه قوله تعالى فلما تبين له قال أعلم أن الله على كل شيء قدير وأما التحري المذكور فكان أول القصة قبل الايمان وقد ورد هذا السؤال الا أنه لم يذكرها الزمخشري الآن تشعر بايراده على الترجيح المذكور ثم هذه القراءة التي نقلها الزمخشري في خلال كلامه من أنه قال أو بعض يوم لما رأى بقية من الشمس لم يكن رآها أول كلامه فستدرك الامر فيه نظر دقيق لم أقف عليه لاحد ممن أورد الحكاية في تفسيره وذلك ان الامر اذا كان على ما نصته وكلام المار المذكور بني أولا على الجزم بأنه لبث يوما ثم جزم آخرا أن لبثه انما كان بعض يوم ٢٨١ (وبقية من الشمس وكان مقتضى لتعبيره عن حاله أن يقول بل بعض يوم مضربا عن جزمه الأول الى جزمه الثاني لأن أو انما تدخل في الخبر اذا انبنى أوله على الجزم

قال أنى يحيي هذه الله بعد موتها فأماته الله مائة عام ثم بعثه قال كم لبثت قال لبثت يوما أو بعض يوم قال بل لبثت مائة عام فانظر الى طعامك وشرابك لم يتسنه وانظر الى حمارك ولنجعلك آية للناس وانظر الى العظام كيف ننشرها ثم نكسوها لحما فلما تبين له قال أعلم أن الله على كل شيء قدير واذ قال ابراهيم رب أرني كيف تحيي الموتى

من تحدث الدلالة أم ترسيه لان كليهما كلمة تعجيب ويجوز أن يحمل على المعنى دون اللفظ كأنه قيل أرأيت كالذي حاج ابراهيم أو كالذي مر على قرية والمار كان كافرا بالبعث وهو الظاهر لانتظامه مع نمروذ في سلك والكلمة الاستبعاد التي هي أنى يحيي وقيل هو عزير أو الخضر أراد أن يعاين احياء الموتى ليزداد بصيرة كما طلبه ابراهيم عليه السلام وقوله (أنى يحيي) اعتراف بالعجز عن معرفة طريقة الاحياء واستعظام لقدرة المحيي * والقرية بيت المقدس حين خربه بختنصر وقيل هي التي خرج منها الالوف (وهي خاوية على عروشها) تفسيره فيما تقدم (يوما أو بعض يوم) بناء على الظن روي أنه مات ضحى وبعث بعد مائة سنة قبل غيبوبة الشمس فقال قبل النظر الى الشمس يوما ثم التفت فرأى بقية من الشمس فقال أو بعض يوم وروي أن طعامه كان تينا وعنبا وشرابه عصيرا أو لبنا فوجد التين والعنب كما جنيا والشراب على حاله (لم يتسنه) لم يتغير والهاء أصلية أو هاء سكت واشتقاقه من السنة على الوجهين لان لامها هاء أو واو وذلك أن الشيء يتغير بمرور الزمان وقيل أصله يتسنن من الحمأ المسنون فقلبت نونه حرف علة كتقضي البازي ويجوز أن يكون معنى لم يتسنه لم يمر عليه السنون التي مرت عليه يعني هو بحاله كما كان كأنه لم يلبث مائة سنة وفي قراءة عبد الله فانظر الى طعامك وهذا شرابك لم يتسن وقرأ أبي لم يسنه بادغام التاء في السين (وانظر الى حمارك) كيف تفرقت عظامه ونخرت وكان له حمار قد ربطه ويجوز أن يراد وانظر اليه سالما في مكانه كما ربطته وذلك من أعظم الآيات أن يعيشه مائة عام من غير علف ولا ماء كما حفظ طعامه وشرابه من التغير (ولنجعلك آية للناس) فعلنا ذلك يريد احياءه بعد الموت وحفظ ما معه وقيل أتى قومه راكب حماره وقال أنا عزير فكذبوه فقال هاتوا التوراة فأخذ يهذها هذا عن ظهر قلبه وهم ينظرون في الكتاب فما خرم حرفا فقالوا هو ابن الله ولم يقرأ التوراة ظاهرا أحد قبل عزير فذلك كونه آية وقيل رجع الى منزله فرأى أولاده شيوخا وهو شاب فاذا حدثهم بحديث قالوا حديث مائة سنة (وانظر الى العظام) هي عظام الحمار أو عظام الموتى الذين تعجب من احيائهم (كيف ننشرها) كيف نحييها وقرأ الحسن ننشرها من نشر الله الموتى بمعنى أنشرهم فنشروا وقرئ بالزاي بمعنى نحركها ونرفع بعضها الى بعض للتركيب وفاعل (تبين) مضمر تقديره فلما تبين له أن الله على كل شيء قدير (قال أعلم أن الله على كل شيء قدير) فحذف الأول لدلالة الثاني عليه كما في قولهم ضربني وضربت زيدا ويجوز فلما تبين له ما أشكل عليه يعني أمر احياء الموتى وقرأ ابن عباس رضي الله عنهما فلما تبين له على البناء للمفعول وقرئ قال اعلم على لفظ الامر وقرأ عبد الله قيل اعلم (فان قلت) فان كان المار كافرا فكيف يسوغ أن يكلمه الله (قلت) كان الكلام بعد البعث ولم يكن اذ ذاك كافرا (أرني) بصرني (فان قلت)

ثم عرض في آخره شك ولا جزم بالنقيض فالحكاية المذكورة توجب أن يكون الموضع من لا وضع بل جزم بعد التردد فتقرر ذلك فالظاهر من حال المار انه كان أولا جازما ثم شك لا غير تنابعا لمقتضى الآية وعدولا عن الحكاية التي لا تثبت الا باسناد قاطع فيضطر الى تأويل فتأمل هذا السطر فانه من لطيف النكت والله الموفق (عاد كلامه) فان قلت اذا كان المار كافرا الخ قال أحمد هذا سؤال عجيب والجواب عنه أعجب منه ومن سلم لهذا السائل أن الله تعالى لا يسوغ أن يكلم الكافر وهل هذا الا خطب بأصل أليس ابليس رأس الكفر ومعدنه ومع هذا قال الله تعالى اخرج منها فانك رجيم الى آخر الآية ويقول تعالى للكفار وهم بين أطباق النار يعذبون اخسؤا فيها ولا تكلمون ولان هذا الامر متفق وقوعه فضلا عن جوازه وأما قوله تعالى ولا يكلمهم الله يعني ولا يكلمهم بما يسرهم وينفعهم فهذا وجه تمحيص من السؤال وأما الجواب فقد أسست قواعده بأن ايمان هذا المار على القول بأنه كان كافرا انما حصل في آخر القصة بعد أن تبينت له الآيات وأما كلام الله تعالى في أول القصة فلت الزمخشري كما تمويه هذا الفصل سؤالا وجوابا والله المستعان

* قوله تعالى وإذ قال إبراهيم رب أرني إلى قوله ولكن ليطمئن قلبي (قال محمود إن قلت كيف قال له أولم تؤمن وقد علم الخ) قال أحمد الأولى في هذه الآية أن يذكر فيها المختار في تفسيرها من المباحث المحتفة بالفكر المحرر والنكت المفصحة بالرأي المخمر فما وافق من كلام المصنف ما يذكره فالحمد لله وما خالفه فالحق فيما نذكره والله الموفق فنقول أما سؤال الخليل عليه السلام بقوله كيف تحيي الموتى فليس عن شك والعياذ بالله في قدرة الله على الإحياء ولكنه سؤال عن كيفية الإحياء ولا يشترط في الإيمان الإحاطة بصورتها فإنما هو طلب علم ما لا يتوقف الإيمان على علمه ويدل على ذلك ورود السؤال بصيغة كيف وموضوعها السؤال عن الحال ونظير هذا السؤال أن يقول القائل كيف يحكم زيد في الناس فهو لا يشك أنه يحكم فيهم ولكنه سأل عن كيفية حكمه لا ثبوته ولو كان الوهم قد يتلاعب ببعض الخواطر فيطرق إلى إبراهيم شكا من هذه الآية وقد قطع النبي عليه الصلاة والسلام دابر هذا الوهم بقوله نحن أحق بالشك من إبراهيم أي نحن لم نشك فلأن لا يشك إبراهيم أحرى وأولى (فإن قلت) إذا كان السؤال مصروفا إلى الكيفية التي لا يضر عدم تصورها ومشاهدتها بالإيمان ولا تخل به فما موقع قوله تعالى أولم تؤمن (قلت) قد وقفت لبعض الحذاق فيه على لطيفة وهي أن هذه الصيغة تستعمل ظاهرا في السؤال عن الكيفية كما مر وقد تستعمل في الاستعجاز مثله أن يدعي مدع أنه يحمل ثقلا من الأثقال وأنت جازم بعجزه عن حمله فتقول له أرني كيف تحمل هذا فلما كانت هذه الصيغة قد يعرض لها هذا الاستعمال الذي أحاط علم الله تعالى بأن إبراهيم مبرأ منه أراد بقوله أولم تؤمن أن ينطق إبراهيم بقوله بلى آمنت ليدفع عنه ذلك الاحتمال اللفظي في العبارة الأولى ليكون إيمانه مخلصا نص عليه بعبارة يفهمها كل من يسمعها فهما لا يلحقه فيه شك (فإن قلت) فقد بقي في وجه الارتباط بين الكلام على التقدير المبين فما موقع قول إبراهيم ولكن ليطمئن قلبي وذلك يشعر ظاهرا بأنه كان عند السؤال فاقدا للطمأنينة (قلت) معناه ولكن ليزول عن قلبي الفكر في كيفية الحياة لأني إذا شاهدتها سكن قلبي عن الجولان في كيفياتها المتخيلة وتعينت عندي بالتصوير المشاهد وجاءت الآية مطابقة لسؤاله لأنه شاهد صورة حياة الموتى بقدرة الذي يحيي ويميت فهذا أحسن ما يجري لي في تفسير هذه الآية وربك الفتاح العليم * وأما قول الزمخشري إن علم الاستدلال يتطرق إليه التشكيك بخلاف العلم الضروري فكلام لم يصدر عن رأي مؤور ولا فكر محرر وذلك أن العلم الموقوف على سبب لا يتطرق إليه تشكيك ما دام سببه مذكورا في نفس العالم والذي يقبل التشكيك قبولا مطلقا هو الاعتقاد وإن كان صحيحا وسببه باق في الذكر وبهذا ينحط الاعتقاد الصحيح عن ذروة العلم ولكن للقدماء من القدرية خبط طويل في تمييز العلم عن الاعتقاد حتى غالى أبو هاشم فقال العلم بالشيء والجهل به مثلان وهذا على الحقيقة جهل حتى بحقيقة الجهل والزمخشري في قواعد العقائد يقفو آثار هذا القائل أيقظه الله فالعلم من ثم طرق إلى العلم تطرق الشك حسب تطرقه إلى الاعتقاد الذي يكون مرة جهلا ومرة مطابقا والله الموفق * قوله تعالى فصرهن إليك (قال محمود إن قلت ما معنى أمره بضمها

قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي قال فخذ أربعة من الطير فصرهن إليك ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا ثم ادعهن يأتينك سعيا واعلم أن الله عزيز حكيم

كيف قال له (أولم تؤمن) وقد علم أنه أثبت الناس إيمانا (قلت) ليجيب بما أجاب به لما فيه من الفائدة الجليلة للسامعين و(بلى) إيجاب لما بعد النفي معناه بلى آمنت (ولكن ليطمئن قلبي) ليزيد سكونا وطمأنينة بمضامة علم الضرورة علم الاستدلال وتظاهر الأدلة أسكن للقلوب وأزيد للبصيرة واليقين ولأن علم الاستدلال يجوز معه التشكيك بخلاف العلم الضروري فأراد بطمأنينة القلب العلم الذي لا مجال فيه للتشكيك (فإن قلت) بم تعلقت اللام في ليطمئن (قلت) بمحذوف تقديره ولكن سألت ذلك إرادة طمأنينة القلب (فخذ أربعة من الطير) قيل طاووسا وديكا وغرابا وحمامة (فصرهن إليك) بضم الصاد وكسرها بمعنى فأملهن واضممهن إليك قال * ولكن أطراف الرماح تصورها * وقال

وفرع يصير الجيد وحف كأنه * على الليت قنوان الكروم الدوالح

وقرأ ابن عباس رضي الله عنه فصرهن بضم الصاد وكسرها وتشديد الراء من صره يصره ويصره إذا جمعه نحو ضره يضره ويضره وعنه فصرهن من التصرية وهي الجمع أيضا (ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا) يريد ثم جزئهن وفرق أجزاءهن على الجبال والمعنى على كل جبل من الجبال التي بحضرتك وفي أرضك قيل كانت أربعة أجبل وعن السدي سبعة (ثم ادعهن) وقل لهن تعالين بإذن الله (يأتينك سعيا) ساعيات مسرعات في طيرانهن أو في مشيهن على أرجلهن (فإن قلت) ما معنى أمره بضمها إلى نفسه بعد أن يأخذها (قلت) ليتأملها ويعرف أشكالها وهيئاتها وحلاها لئلا تلتبس عليه بعد الإحياء ولا يتوهم أنها غير تلك ولذلك قال يأتينك سعيا وروي أنه أمر بأن يذبحها وينتف ريشها ويقطعها ويفرق أجزاءها ويخلط ريشها ودماءها ولحومها وأن يمسك رؤوسها ثم أمر أن يجعل أجزاءها على الجبال على كل جبل ربعا من كل طائر ثم يصيح بها تعالين بإذن الله فجعل كل جزء يطير إلى الآخر حتى صارت جثثا ثم أقبلن فانضممن إلى رؤوسهن كل جثة إلى رأسها

الخ) قال أحمد يريد ولم يقل طيرانا لأنه إذا كانت ساعية كان أثبت لنظره عليها من أن تكون طائرة والله أعلم * قوله تعالى الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله ثم لا يتبعون ما أنفقوا منا ولا أذى (قال محمود في نوابغ الكلم صفوان الخ) قال أحمد ثم في أصل وضعها تشعر بتراخي المعطوف بها عن المعطوف عليه في الزمان وبعد ما بينهما والزمخشري يحملها على التفاوت في المراتب والتباعد بينهما حيث لا يمكنه حملها على التراخي في الزمن لسياق يأبى ذلك كهذه الآية وحاصله أنها استعيرت من تباعد الأزمنة لتباعد المرتبة وعندي فيها وجه آخر محتمل في هذه الآية ونحوها وهو الدلالة على دوام الفعل المعطوف بها وإرخاء الطول في استصحابه فهي على هذا لم تخرج عن الإشعار ببعد زمن ولكن معناها الأصلي تراخي زمن وقوع الفعل وحدوثه ومعناها المستعارة إليه دوام وجود الفعل وتراخي زمن بقائه وعليه حمل قوله تعالى ثم استقاموا أي داموا على الاستقامة دواما متراخيا ممتد الأمد وتلك الاستقامة هي المعتبرة لا ما هو منقطع إلى ضده من الحيد إلى الهوى

مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله ثم لا يتبعون ما أنفقوا منا ولا أذى لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى والله غني حليم يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى كالذي ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر فمثله كمثل صفوان عليه تراب فأصابه وابل فتركه صلدا

رأسها وقرئ جزا بضمتين وجزا بالتشديد ووجهه أنه خفف بطرح همزته ثم شدد كما يشدد في الوقف إجراء للوصل مجرى الوقف (مثل الذين ينفقون) لا بد من حذف مضاف أي مثل نفقتهم كمثل حبة أو مثلهم كمثل باذر حبة * والمنبت هو الله ولكن الحبة لما كانت سببا أسند إليها الإنبات كما يسند إلى الأرض وإلى الماء ومعنى إنباتها سبع سنابل أن تخرج ساقا يتشعب منها سبع شعب لكل واحدة سنبلة وهذا التمثيل تصوير للأضعاف كأنها ماثلة بين عيني الناظر (فإن قلت) كيف صح هذا التمثيل والممثل به غير موجود (قلت) بل هو موجود في الدخن والذرة وغيرهما وربما فرخت ساق البرة في الأراضي القوية المغلة فيبلغ حبها هذا المبلغ ولو لم يوجد لكان صحيحا على سبيل الفرض والتقدير (فإن قلت) هلا قيل سبع سنبلات على حقه من التمييز بجمع القلة كما قال وسبع سنبلات خضر (قلت) هذا لما قدمت عند قوله ثلاثة قروء من وقوع أمثلة الجمع متعاورة مواقعها (والله يضاعف لمن يشاء) أي يضاعف تلك المضاعفة لمن يشاء لا لكل منفق لتفاوت أحوال المنفقين أو يضاعف سبع المائة ويزيد عليها أضعافها لمن يستوجب ذلك * المن أن يعتد على من أحسن إليه بإحسانه ويريه أنه اصطنعه وأوجب عليه حقا له وكانوا يقولون إذا صنعتم صنيعة فانسوها ولبعضهم

وإن امرأ أسدى إلي صنيعة * وذكرنيها مرة للئيم

وفي نوابغ الكلم صفوان من منح سائله ومن ومن منع نائله وضن وفضل طعم الآلاء أحلى من المن وهي أمر من الآلاء مع المن * والأذى أن يتطاول عليه بسبب ما أزال إليه ومعنى ثم إظهار التفاوت بين الإنفاق وترك المن والأذى وأن تركهما خير من نفس الإنفاق كما جعل الاستقامة على الإيمان خيرا من الدخول فيه بقوله ثم استقاموا (فإن قلت) أي فرق بين قوله لهم أجرهم وقوله فيما بعد فلهم أجرهم (قلت) الموصول لم يضمن ههنا معنى الشرط وضمنه ثمة والفرق بينهما من جهة المعنى أن الفاء فيها دلالة على أن الإنفاق به استحق الأجر وطرحها عار عن تلك الدلالة (قول معروف) رد جميل (ومغفرة) وعفو عن السائل إذا وجد منه ما يثقل على المسؤول أو ونيل مغفرة من الله بسبب الرد الجميل أو وعفو من جهة السائل لأنه إذا رده ردا جميلا عذره (خير من صدقة يتبعها أذى) وصح الإخبار عن المبتدإ النكرة لاختصاصه بالصفة (والله غني) لا حاجة به إلى منفق يمن ويؤذي (حليم) عن معاجلته بالعقوبة وهذا سخط منه ووعيد له * ثم بالغ في ذلك بما أتبعه (كالذي ينفق ماله) أي لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى كإبطال المنافق الذي ينفق ماله (رئاء الناس) لا يريد بإنفاقه رضا الله ولا ثواب الآخرة (فمثله كمثل صفوان) فمثله ونفقته التي لا ينتفع بها البتة بصفوان بحجر أملس عليه تراب وقرأ سعيد بن المسيب صفوان بوزن كروان (فأصابه وابل) مطر عظيم القطر (فتركه صلدا) أجرد نقيا من

والشهوات وكذلك قوله ثم لا يتبعون ما أنفقوا منا ولا أذى أي يدومون على تناسي الإحسان وعلى ترك الاعتداد به والامتنان يسوابتاركه في أزمنة إلى الأذية وتقليد المنن بسببه ثم يتوبون والله أعلم وقريب من هذا أو مثله أن السين يصحب الفعل لتنفيس زمان وقوعه وتراخيه ثم ورد * قوله تعالى حكاية عن الخليل عليه السلام إني ذاهب إلى ربي سيهدين وقد حكى الله تعالى في مثل هذه الآية الذي خلقني فهو يهدين فليس إلى حمل السين على تراخي زمان وقوع الهداية له من سبيل فيتعين المصير إلى حملها على الدلالة على نفس دوام الهداية الحاصلة له وتراخي بقائها وتمادي أمدها ولعل الزمخشري أشار إلى هذا المعنى في آية إبراهيم عليه السلام فتأمل هذا الوجه فهو أوجه مما حمل الزمخشري عليه آية البقرة وهذه الآية أبقى على الحقيقة وأقرب إلى الوضع على أحسن طريقه والله الموفق

٣ قوله بسبب ما أزال إليه كذا في نسخ وفي أخرى أسدى إليه اه مصححه

التراب الذي كان عليه ومنه صلد جبين الأصلع إذا برق (لا يقدرون على شيء مما كسبوا) كقوله فجعلناه هباء منثورا ويجوز أن تكون الكاف في محل النصب على الحال أي لا تبطلوا صدقاتكم مماثلين الذي ينفق (فإن قلت) كيف قال لا يقدرون بعد قوله كالذي ينفق (قلت) أراد بالذي ينفق الجنس أو الفريق الذي ينفق ولأن من والذي يتعاقبان فكأنه قيل كمن ينفق (وتثبيتا من أنفسهم) وليثبتوا منها ببذل المال الذي هو شقيق الروح وبذله أشق شيء على النفس على سائر العبادات الشاقة وعلى الإيمان لأن النفس إذا ريضت بالتحامل عليها وتكليفها ما يصعب عليها ذلت خاضعة لصاحبها وقل طمعها في اتباعه لشهواتها وبالعكس فكان إنفاق المال تثبيتا لها على الإيمان واليقين ويجوز أن يراد وتصديقا للإسلام وتحقيقا للجزاء من أصل أنفسهم لأنه إذا أنفق المسلم ماله في سبيل الله علم أن تصديقه وإيمانه بالثواب من أصل نفسه ومن إخلاص قلبه ومن على التفسير الأول للتبعيض مثلها في قولهم هز من عطفه وحرك من نشاطه وعلى الثاني لابتداء الغاية كقوله تعالى حسدا من عند أنفسهم ويحتمل أن يكون المعنى وتثبيتا من أنفسهم عند المؤمنين أنها صادقة الإيمان مخلصة فيه وتعضده قراءة مجاهد وتبيينا من أنفسهم (فإن قلت) فما معنى التبعيض (قلت) معناه أن من بذل ماله لوجه الله فقد ثبت بعض نفسه ومن بذل ماله وروحه معا فهو الذي ثبتها كلها وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم والمعنى ومثل نفقة هؤلاء في زكائها عند الله (كمثل جنة) وهي البستان (بربوة) بمكان مرتفع وخصها لأن الشجر فيها أزكى وأحسن ثمرا (أصابها وابل) مطر عظيم القطر (فآتت أكلها) ثمرتها (ضعفين) مثلي ما كانت تثمر بسبب الوابل (فإن لم يصبها وابل فطل) فمطر صغير القطر يكفيها لكرم منبتها أو مثل حالهم عند الله بالجنة على الربوة ونفقتهم الكثيرة والقليلة بالوابل والطل وكما أن كل واحد من المطرين يضعف أكل الجنة فكذلك نفقتهم كثيرة كانت أو قليلة بعد أن يطلب بها وجه الله ويبذل فيها الوسع زاكية عند الله زائدة في زلفاهم وحسن حالهم عنده وقرئ كمثل حبة وبربوة بالحركات الثلاث وأكلها بضمتين فالمهموز (أيود) للإنكار وقرئ له جنات وذرية ضعاف والإعصار الريح التي تستدير في الأرض ثم تسطع نحو السماء كالعمود وهذا مثل لمن يعمل الأعمال الحسنة لا يبتغي بها وجه الله فإذا كان يوم القيامة وجدها محبطة فيتحسر عند ذلك حسرة من كانت له جنة من أبهى الجنان وأجمعها للثمار فبلغ الكبر وله أولاد ضعاف والجنة معاشهم ومنتعشهم فهلكت بالصاعقة وعن عمر رضي الله عنه أنه سأل عنها الصحابة فقالوا الله أعلم فغضب وقال قولوا نعلم أو لا نعلم فقال ابن عباس رضي الله عنه في نفسي منها شيء يا أمير المؤمنين قال قل يا ابن أخي ولا تحقر نفسك قال ضربت مثلا لعمل قال لأي عمل قال لرجل غني يعمل الحسنات ثم بعث الله له الشيطان فعمل بالمعاصي حتى أغرق أعماله كلها وعن الحسن رضي الله عنه هذا مثل قل والله من يعقله من الناس شيخ كبير ضعف جسمه وكثر صبيانه أفقر ما كان إلى جنته وإن أحدكم والله أفقر ما يكون إلى عمله إذا انقطعت عنه الدنيا (فإن قلت) كيف قال جنة من نخيل وأعناب ثم قال له فيها من كل الثمرات (قلت) النخيل والأعناب لما كانا أكرم الشجر وأكثرها منافع خصهما بالذكر وجعل الجنة منهما وإن كانت محتوية على سائر الأشجار تغليبا لهما على غيرهما ثم أردفهما ذكر كل الثمرات ويجوز أن يريد بالثمرات المنافع التي كانت تحصل له فيها كقوله وكان له ثمر بعد قوله جنتين من أعناب وحففناهما بنخل (فإن قلت) علام عطف قوله وأصابه الكبر (قلت) الواو للحال لا للعطف ومعناه أن تكون له جنة وقد أصابه الكبر وقيل يقال وددت أن يكون كذا ووددت لو كان كذا فحمل العطف على المعنى كأنه قيل أيود أحدكم لو كانت له جنة وأصابه الكبر (من طيبات ما كسبتم) من جياد مكسوباتكم (ومما أخرجنا لكم) من الحب والثمر والمعادن وغيرها (فإن قلت) فهلا قيل وما أخرجنا لكم عطفا على ما كسبتم حتى يشتمل الطيب على المكسوب والمخرج من الأرض (قلت) معناه ومن طيبات ما أخرجنا لكم إلا أنه حذف لذكر الطيبات (ولا تيمموا الخبيث) ولا تقصدوا المال الرديء (منه تنفقون) تخصونه بالإنفاق وهو في محل الحال وقرأ عبد الله ولا تأمموا وقرأ ابن عباس ولا تيمموا بضم التاء ويممه وتيممه وتأممه سواء في معنى قصده (ولستم بآخذيه)

لا يقدرون على شيء مما كسبوا والله لا يهدي القوم الكافرين ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضات الله وتثبيتا من أنفسهم كمثل جنة بربوة أصابها وابل فآتت أكلها ضعفين فإن لم يصبها وابل فطل والله بما تعملون بصير أيود أحدكم أن تكون له جنة من نخيل وأعناب تجري من تحتها الأنهار له فيها من كل الثمرات وأصابه الكبر وله ذرية ضعفاء فأصابها إعصار فيه نار فاحترقت كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من الأرض ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم بآخذيه

* قوله تعالى أيود أحدكم أن تكون له جنة إلى آخر الآية (قال محمود إن قلت لم ذكر النخل والأعناب أولا الخ) قال أحمد وهذا من باب تتمة ذكر ما يقع الاهتمام به من تعميم بعد خصوص ومثله فيهما فاكهة ونخل ورمان إلا أنه في تلك الآية بدأ بالتعميم وفي هذه الآية بدأ بالتخصيص والمقصود هو ما نبهنا عليه والله أعلم

وحالكم

وحالكم أنكم لا تأخذونه في حقوقكم (إلا أن تغمضوا فيه) إلا بأن تتسامحوا في أخذه وتترخصوا فيه من قولك أغمض فلان عن بعض حقه إذا غض بصره ويقال للبائع أغمض أي لا تستقص كأنك لا تبصر وقال الطرماح

لم يفتنا بالوتر قوم وللضيـ ... ـم رجال يرضون بالإغماض

وقرأ الزهري تغمضوا وأغمض وغمض بمعنى وعنه تغمضوا بضم الميم وكسرها من غمض يغمض ويغمض وقرأ قتادة تغمضوا على البناء للمفعول بمعنى إلا أن تدخلوا فيه وتجذبوا إليه وقيل إلا أن توجدوا مغمضين وعن الحسن رضي الله عنه لو وجدتموه في السوق يباع ما أخذتموه حتى يهضم لكم من ثمنه وعن ابن عباس رضي الله عنهما كانوا يتصدقون بحشف التمر وشراره فنهوا عنه • أي يعدكم في الإنفاق (الفقر) ويقول لكم إن عاقبة إنفاقكم أن تفتقروا وقرئ الفقر بالضم والفقر بفتحتين والوعد يستعمل في الخير والشر قال الله تعالى النار وعدها الله الذين كفروا (ويأمركم بالفحشاء) ويغريكم على البخل ومنع الصدقات إغراء الآمر للمأمور والفاحش عند العرب البخيل (والله يعدكم) في الإنفاق (مغفرة) لذنوبكم وكفارة لها (وفضلا) وأن يخلف عليكم أفضل مما أنفقتم أو وثوابا عليه في الآخرة (يؤتي الحكمة) يوفق للعلم والعمل به والحكيم عند الله هو العالم العامل • وقرئ ومن يؤت الحكمة بمعنى ومن يؤته الله الحكمة وهكذا قرأ الأعمش و(خيرا كثيرا) تنكير تعظيم كأنه قال فقد أوتي أي خير كثير (وما يذكر إلا أولو الألباب) يريد الحكماء العلماء العمال والمراد به الحث على العمل بما تضمنت الآي في معنى الإنفاق (وما أنفقتم من نفقة) في سبيل الله أو في سبيل الشيطان (أو نذرتم من نذر) في طاعة الله أو في معصيته (فإن الله يعلمه) لا يخفى عليه وهو مجازيكم عليه (وما للظالمين) الذين يمنعون الصدقات أو ينفقون أموالهم في المعاصي أو لا يفون بالنذور أو ينذرون في المعاصي (من أنصار) ممن ينصرهم من الله ويمنعهم من عقابه (فنعما هي) فنعم شيئا إبداؤها وقرئ بكسر النون وفتحها (وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء) وتصيبوا بها مصارفها مع الإخفاء (فهو خير لكم) فالإخفاء خير لكم والمراد الصدقات المتطوع بها فإن الأفضل في الفرائض أن يجاهر بها وعن ابن عباس رضي الله عنهما صدقات السر في التطوع تفضل علانيتها سبعين ضعفا وصدقة الفريضة علانيتها أفضل من سرها بخمسة وعشرين ضعفا وإنما كانت المجاهرة بالفرائض أفضل لنفي التهمة حتى إذا كان المزكي ممن لا يعرف باليسار كان إخفاؤه أفضل والمتطوع إن أراد أن يقتدى به كان إظهاره أفضل (ونكفر) قرئ بالنون مرفوعا عطفا على محل ما بعد الفاء أو على أنه خبر مبتدإ محذوف أي ونحن نكفر أو على أنه جملة من فعل وفاعل مبتدأة ومجزوما عطفا على محل الفاء وما بعده لأنه جواب الشرط وقرئ ويكفر بالياء مرفوعا ومجزوما والفعل لله أو للإخفاء وتكفر بالتاء مرفوعا ومجزوما والفعل للصدقات وقرأ الحسن رضي الله عنه بالياء والنصب بإضمار أن ومعناه إن تخفوها يكن خيرا لكم وأن يكفر عنكم (ليس عليك هداهم) لا يجب عليك أن تجعلهم مهديين إلى الانتهاء عما نهوا عنه من المن والأذى والإنفاق من الخبيث وغير ذلك وما عليك إلا أن تبلغهم النواهي فحسب (ولكن الله يهدي من يشاء) يلطف بمن يعلم أن اللطف ينفع فيه فينتهي عما نهي عنه (وما تنفقوا من خير) من مال (فلأنفسكم) فهو لأنفسكم لا ينتفع به غيركم فلا تمنوا به على الناس ولا تؤذوهم بالتطاول عليهم (وما تنفقون) وليست نفقتكم إلا لابتغاء وجه الله ولطلب ما عنده فما بالكم تمنون بها وتنفقون الخبيث الذي لا يوجه مثله إلى الله (وما تنفقوا من خير يوف إليكم) ثوابه أضعافا مضاعفة فلا عذر لكم في أن ترغبوا عن إنفاقه وأن يكون على أحسن الوجوه وأجملها وقيل حجت أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما فأتتها أمها تسألها وهي مشركة فأبت أن تعطيها فنزلت وعن سعيد بن جبير رضي الله عنه كانوا يتقون أن يرضخوا لقراباتهم من المشركين وروي أن ناسا من المسلمين كانت لهم أصهار في اليهود ورضاع وقد كانوا ينفقون عليهم قبل الإسلام فلما أسلموا كرهوا أن ينفقوهم وعن بعض العلماء لو كان

إلا أن تغمضوا فيه واعلموا أن الله غني حميد الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا والله واسع عليم يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولو الألباب وما أنفقتم من نفقة أو نذرتم من نذر فإن الله يعلمه وما للظالمين من أنصار إن تبدوا الصدقات فنعما هي وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم ويكفر عنكم من سيئاتكم والله بما تعملون خبير ليس عليك هداهم ولكن الله يهدي من يشاء وما تنفقوا من خير فلأنفسكم وما تنفقون إلا ابتغاء وجه الله وما تنفقوا من خير يوف إليكم وأنتم لا تظلمون للفقراء

* قوله تعالى ليس عليك هداهم ولكن الله يهدي من يشاء (قال محمود لا يجب عليك أن تجعلهم مهديين الخ) قال أحمد المعتقد الصحيح أن الله هو الذي يخلق الهدى لمن يشاء هدايته وذلك هو اللطف لا كما يزعم الزمخشري من أن الهدى يعني خلق الدواعي للعبد يحققه لنفسه وإن أطلق الله إضافة الهدى إليه كما في هذه الآية فهو مؤول على زعم الزمخشري بلطف الله الحامل للعبد على أن يحقق هداه إن هذا الاختلاق وهذه النزغة من توابع معتقدهم السيء في خلق الأفعال وليس علينا هداهم ولكن الله يهدي من يشاء وهو المسؤول أن لا يزيغ قلوبنا بعد إذ هدانا

● قوله تعالى الذين يأكلون الربا لا يقومون الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس (قال محمود يعني اذا بعثوا من قبورهم الخ) قال أحمد قوله وتخبط الشيطان من زعمات العرب أي كذباتهم وزخارفهم التي لا حقيقة لها كالغول والعنقاء ونحو ذلك وهذا القول على الحقيقة من تخبط الشيطان بالقدرية في زعماتهم المردودة بقواطع الشرع فقد ورد ما من مولود يولد الا يمسه الشيطان فيستهل صارخا وفي بعض الطرق الا طعن الشيطان في خاصرته ومن ذلك يستهل صارخا الا مريم وابنها لقول أمها اني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم وقوله ٢٨٦ عليه السلام انقطعوا صبيانكم أول العشاء فانه وقت انتشار الشياطين وفي حديث مكحول انه مر برجل نائم بعد العصر فركضه برجله وقال لقد دفع عنك الشياطين أو لقد عوفيت انها ساعة خروجهم وفيها ينتشرون وفيها يكون الخبطة قال

شرحوا في الله الكتاب ثلاث نواب مقنعات واجتمعن في لوح خز أبو حنيفة رضي الله عنه صرف صدقته الى أهل الذمة وأباه غيره ● الجار متعلق بمحذوف والمعنى اعمدوا للفقراء أو جعلوا ما تنفقون للفقراء كقوله تعالى في تسع آيات ويجوز أن يكون خبر مبتدأ محذوف أي صدقاتكم للفقراء و(الذين أحصروا في سبيل الله) هم الذين أحصرهم الجهاد (لا يستطيعون) لاشتغالهم به (ضربا في الأرض) للكسب وقيل هم أصحاب الصفة وهم نحو من أربعمائة رجل من مهاجري قريش لم يكن لهم مساكن في المدينة ولا عشائر فكانوا في صفة المسجد وهي سقيفته يتعلمون القرآن بالليل ويرضخون النوى بالنهار وكانوا يخرجون في كل سرية بعثها رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن كان عنده فضل أتاهم به اذا أمسى وعن ابن عباس رضي الله عنهما وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما على أصحاب الصفة فرأى فقرهم وجهدهم وطيب قلوبهم فقال أبشروا يا أصحاب الصفة فمن بقي من أمتي على النعت الذي أنتم عليه راضيا بما فيه فانه من رفقائي في الجنة (يحسبهم الجاهل) بحالهم (أغنياء من التعفف) مستغنين من أجل تعففهم عن المسألة (تعرفهم بسيماهم) من صفرة الوجه ورثاثة الحال ● والالحاف الالحاح وهو اللزوم وأن لا يفارق الا بشيء يعطاه من قولهم لحفني من فضل لحافه أي أعطاني من فضل ما عنده وعن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يحب الحيي الحليم المتعفف ويبغض البذيء السائل الملحف ومعناه أنهم ان سألوا سألوا بتلطف ولم يلحوا وقيل هو نفي للسؤال والالحاف جميعا كقوله ● على لاحب لا يهتدى بمناره ● يريد نفي المنار والاهتداء به (بالليل والنهار سرا وعلانية) يعمون الأوقات والأحوال بالصدقة لحرصهم على الخير فكلما نزلت بهم حاجة محتاج عجلوا قضاءها ولم يؤخروه ولم يتعللوا بوقت ولا حال وقيل نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله عنه حين تصدق بأربعين ألف دينار عشرة بالليل وعشرة بالنهار وعشرة في السر وعشرة في العلانية وعن ابن عباس رضي الله عنهما نزلت في علي رضي الله عنه لم يملك الا أربعة دراهم فتصدق بدرهم ليلا وبدرهم نهارا وبدرهم سرا وبدرهم علانية وقيل نزلت في علف الخيل وربطها في سبيل الله وعن أبي هريرة رضي الله عنه كان اذا مر بفرس سمين قرأ هذه الآية (الربوا) كتب بالواو على لغة من يفخم كما كتبت الصلاة والزكاة وزيدت الالف بعدها تشبيها بواو الجمع (لا يقومون) اذا بعثوا من قبورهم (الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان) أي المصروع وتخبط الشيطان من زعمات العرب يزعمون أن الشيطان يخبط الانسان فيصرع والخبط الضرب على غير استواء كخبط العشواء فورد على ما كانوا يعتقدون ● والمس الجنون ورجل ممسوس وهذا أيضا من زعماتهم وأن الجني يمسه فيختلط عقله وكذلك جن الرجل معناه ضربته الجن ورأيتهم لهم في الجن قصص وأخبار وعجائب وانكار ذلك عندهم كانكار المشاهدات (فان قلت) بم يتعلق قوله (من المس) (قلت) بلا يقومون أي لا يقومون من المس الذي بهم الا كما يقوم المصروع ويجوز أن يتعلق بيقوم أي كما يقوم المصروع من جنونه والمعنى أنهم يقومون يوم القيامة مخبلين كالمصروعين تلك سيماهم يعرفون بها عند أهل الموقف وقيل الذين يخرجون من الأجداث يوفضون الا أكلة الربا فانهم ينهضون ويسقطون كالمصروعين لأنهم أكلوا الربا فأرباه الله

الذين أحصروا في سبيل الله لا يستطيعون ضربا في الأرض يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم لا يسئلون الناس الحافا وما تنفقوا من خير فان الله به عليم الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين يأكلون الربوا لا يقومون الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس

ثم كان في انسان مكحول الحكمة واقعا أراد الخبطة من الشيطان أي اصابة مس أو جنون وقد ورد في حديث المفقود الذي اختطفته الشياطين وردته في زمنه عليه الصلاة والسلام انه حدث عن شأنه معهم فقال جاءني طائر كأنه جمل قبعثري فاحتملني على خافية من خوافيه الى غير ذلك مما يطول الكتاب بذكره واعتقاد السلف وأهل السنة ان هذه أمور على حقائقها واقعة كما أخبر الشرع عنها وانما القدرية خصماء العلانية فلا جرم انهم ينكرون كثيرا مما يزعمونه مخالفا لقواعدهم من ذلك السحر وخبطة الشيطان ومعظم أحوال الجن وان اعترفوا بشيء من ذلك فعلى غير الوجه الذي يعترف به أهل السنة وينبئ عنه ظاهر الشرع في خبط طويل لهم فاحذرهم قاتلهم الله أنى يؤفكون

* قوله تعالى ذلك بأنهم قالوا إنما البيع مثل الربا وأحل الله البيع وحرم الربا (قال محمود فإن قلت هلا قيل إنما الربا مثل البيع الخ) قال أحمد وعندي وجه في الجواب عن السؤال الذي أورده غير ما ذكره وهو أنه متى كان المطلوب التسوية بين المحلين في ثبوت الحكم فللقائل أن يسوي بينهما طردا فيقول مثلا الربا مثل البيع وغرضه من ذلك أن يقول والبيع حلال فالربا حلال وله أن يسوي بينهما في العكس فيقول البيع مثل الربا فلو كان الربا حراما كان البيع حراما ضرورة المماثلة ونتيجته التي دلت قوة الكلام عليها أن يقول ولما كان البيع حلالا اتفاقا فالربا غير حرام ووجب أن يكون الربا مثله والأول على طريقة قياس الطرد والثاني على طريقة قياس العكس ومآلهما إلى مقصد واحد فلا حاجة على هذا التقرير إلى خروج عن الظاهر لأجل المبالغة أو غيرها وليس الغرض من هذا كله الإيمان بهذا الذي تخيلوه على أوضح النظم الصحيح وإن كان في أصله فاسد الوضع لاستعماله على مناقضة المعلوم من حكم الله أيضا في تحريم الربا وتحليل البيع وقطع القياس بينهما ولكن إذا استعملت الطريقتين المذكورتين استعمالا صحيحا فقل في الأولى النبيذ مثل الخمر في علة التحريم وهو الإسكار والخمر حرام فالنبيذ حرام وقل في الثانية الخمر مثل النبيذ فلو كان النبيذ (٢٨٧) حلالا لكان الخمر حلالا وليست٢

ذلك بأنهم قالوا إنما البيع مثل الربوا وأحل الله البيع وحرم الربوا فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف وأمره إلى الله ومن عاد فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون يمحق الله الربوا ويربي الصدقات والله لا يحب كل كفار أثيم إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأقاموا الصلاة وآتوا الزكوة لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربوا إن كنتم مؤمنين فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله

في بطونهم حتى أثقلهم فلا يقدرون على الإيفاض (ذلك) العقاب بسبب قولهم (إنما البيع مثل الربوا) (فإن قلت) هلا قيل إنما الربا مثل البيع لأن الكلام في الربا لا في البيع فوجب أن يقال إنهم شبهوا الربا بالبيع فاستحلوه وكانت شبهتهم أنهم قالوا لو اشترى الرجل ما لا يساوي إلا درهما بدرهمين جاز فكذلك إذا باع درهما بدرهمين (قلت) جيء به على طريق المبالغة وهو أنه قد بلغ من اعتقادهم في حل الربا أنهم جعلوه أصلا وقانونا في الحل حتى شبهوا به البيع وقوله (وأحل الله البيع وحرم الربوا) إنكار لتسويتهم بينهما ودلالة على أن القياس يهدمه النص لأنه جعل الدليل على بطلان قياسهم إحلال الله وتحريمه (فمن جاءه موعظة) فمن بلغه وعظ من الله وزجر بالنهي عن الربا (فانتهى) فتبع النهي وامتنع (فله ما سلف) فلا يؤاخذ بما مضى منه لأنه أخذ قبل نزول التحريم (وأمره إلى الله) يحكم في شأنه يوم القيامة وليس من أمره إليكم شيء فلا تطالبوه به (ومن عاد) إلى الربا (فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) وهذا دليل بين على تخليد الفساق وذكر فعل الموعظة لأن تأنيثها غير حقيقي ولأنها في معنى الوعظ وقرأ أبي والحسن فمن جاءته (يمحق الله الربوا) يذهب ببركته ويهلك المال الذي يدخل فيه وعن ابن مسعود رضي الله عنه الربا وإن كثر إلى قل (ويربي الصدقات) ما يتصدق به بأن يضاعف عليه الثواب ويزيد المال الذي أخرجت منه الصدقة ويبارك فيه وفي الحديث ما نقصت زكاة من مال قط (كل كفار أثيم) تغليظ في أمر الربا وإيذان بأنه من فعل الكفار لا من فعل المسلمين * أخذوا ما شرطوا على الناس من الربا وبقيت لهم بقايا فأمروا أن يتركوها ولا يطالبوا بها روي أنها نزلت في ثقيف وكان لهم على قوم من قريش مال فطالبوهم عند المحل بالمال والربا وقرأ الحسن رضي الله عنه ما بقي بقلب الياء ألفا على لغة طيء وعنه ما بقي بياء ساكنة ومنه قول جرير

هو الخليفة فارضوا ما رضي لكم * ماضي العزيمة ما في حكمه جنف

(إن كنتم مؤمنين) إن صح إيمانكم يعني أن دليل صحة الإيمان وثباته امتثال ما أمرتم به من ذلك (فأذنوا بحرب) فاعلموا بها من أذن بالشيء إذا علم به وقرئ فآذنوا فأعلموا بها غيركم وهو من الإذن وهو الاستماع لأنه من طرق العلم وقرأ الحسن فأيقنوا وهو دليل لقراءة العامة (فإن قلت) هلا قيل بحرب الله ورسوله (قلت)

حلالا اتفاقا فالنبيذ كذلك ضرورة المماثلة المذكورة فهذا التوجيه أولى أن تحمل الآية عليه والله أعلم * قوله تعالى ومن عاد فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون (قال محمود رحمه الله في هذه الآية دليل على تخليد الفساق الخ) قال أحمد هو بناء على أن المتوعد عليه بالخلود العود إلى فعل الربا خاصة ولا يساعده على ذلك الظاهر الذي استدل به فإن الذي وقع العود إليه مسكوت عنه في الآية ألا تراه قال ومن عاد فلم يذكر المعود إليه فيحمل على ما تقدم كأنه قال ومن عاد إلى ما سلف ذكره فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون والذي سلف ذكره فعل الربا واعتقاد جوازه والاحتجاج عليه بقياسه على البيع ولا شك عندنا أهل السنة والجماعة أن من تعاطى معاملة الربا مستحلا لها مكابرا في تحريمها مسندا استحلالها إلى معارضة آيات الله البينات بما أبتدعه من الخيالات فقد كفر ثم ازداد كفرا وإذ ذاك يكون الموعود بالخلود في الآية مرتبة لأنه كافر مكذب غير مؤمن وهذا لا خلاف فيه فلا دليل للزمخشري إذا على اعتزاله في هذه الآية والله الموفق وإنما هو موكل بتحميل الآيات من المعتقدات الباطلة ما لا تحتمله وأنى له ذلك في الكتاب العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد

٢ (قول المحشي وليست حلالا الخ) لعل الصواب أن يقول وليس النبيذ حلالا اتفاقا فالخمر كذلك كما هو مقتضى المقابلة اهـ مصححه

كان هذا أبلغ لأن المعنى فأذنوا بنوع من الحرب عظيم من عند الله ورسوله وروى أنها لما نزلت قالت ثقيف لا يدي لنا بحرب الله ورسوله (وإن تبتم) من الارتباء (فلكم رؤس أموالكم لا تظلمون) المديونين بطلب الزيادة عليها (ولا تظلمون) بالنقصان منها (فإن قلت) هذا حكمهم إن تابوا فما حكمهم لو لم يتوبوا (قلت) قالوا يكون مالهم فيئاً للمسلمين. وروى المفضل عن عاصم لا تظلمون ولا تظلمون (وإن كان ذو عسرة) وإن وقع غريم من غرمائكم ذو عسرة أي ذو إعسار وقرأ عثمان رضي الله عنه ذا عسرة على وإن كان الغريم ذا عسرة وقرئ ومن كان ذا عسرة (فنظرة) أي فالحكم أو فالأمر نظرة وهي الإنظار وقرئ فنظرة بسكون الظاء وقرأ عطاء فناظره بمعنى فصاحب الحق ناظره أي منتظره أو صاحب نظرته على طريقة النسب كقولهم مكان عاشب وباقل أي ذو عشب وذو بقل وعنه فناظره على الأمر بمعنى فسامحه بالنظرة وباشره بها (إلى ميسرة) إلى يسار وقرئ بضم السين كمقبرة ومقبرة ومشرقة ومشرقة وقرئ بهما مضافين بحذف التاء عند الإضافة كقوله * وأخلفوك عد الأمر الذي وعدوا * وقوله تعالى وأقام الصلاة (وأن تصدقوا خير لكم) ندب إلى أن يتصدقوا برؤس أموالهم على من أعسر من غرمائهم أو ببعضها كقوله تعالى وأن تعفوا أقرب للتقوى وقيل أريد بالتصدق الإنظار لقوله صلى الله عليه وسلم لا يحل دين رجل مسلم فيؤخره إلا كان له بكل يوم صدقة (إن كنتم تعلمون) أنه خير لكم فتعملوا به جعل من لا يعمل به وإن علمه كأنه لا يعلمه وقرئ تصدقوا بتخفيف الصاد على حذف التاء (ترجعون) قرئ على البناء للفاعل والمفعول وقرئ يرجعون بالياء على طريقة الالتفات وقرأ عبد الله تردون وقرأ أبي تصيرون وعن ابن عباس أنها آخر آية نزل بها جبريل عليه السلام وقال ضعها في رأس المائتين والثمانين من البقرة وعاش رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدها أحداً وعشرين يوما وقيل أحداً وثمانين وقيل سبعة أيام وقيل ثلاث ساعات (إذا تداينتم) إذا داين بعضكم بعضاً يقال داينت الرجل إذا عاملته (بدين) معطياً أو آخذاً كما تقول بايعته إذا بعته أو باعك قال رؤبة

داينت أروى والديون تقضى * فمطلت بعضا وأدت بعضا

والمعنى إذا تعاملتم بدين مؤجل فاكتبوه (فإن قلت) هلا قيل إذا تداينتم إلى أجل مسمى وأي حاجة إلى ذكر الدين كما قال داينت أروى ولم يقل بدين (قلت) ذكر ليرجع الضمير إليه في قوله فاكتبوه إذ لو لم يذكر لوجب أن يقال فاكتبوا الدين فلم يكن النظم بذلك الحسن ولأنه أبين لتنويع الدين إلى مؤجل وحال (فإن قلت) ما فائدة قوله مسمى) (قلت) ليعلم أن من حق الأجل أن يكون معلوماً كالتوقيت بالسنة والأشهر والأيام ولو قال إلى الحصاد أو الدياس أو رجوع الحاج لم يجز لعدم التسمية وإنما أمر بكتبة الدين لأن ذلك أوثق وآمن من النسيان وأبعد من الجحود والأمر للندب وعن ابن عباس أن المراد به السلم وقال لما حرم الله الربا أباح السلف وعنه أشهد أن الله أباح السلم المضمون إلى أجل معلوم في كتابه وأنزل فيه أطول آية (بالعدل) متعلق بكاتب صفة له أي كاتب مأمون على ما يكتب يكتب بالسوية والاحتياط لا يزيد على ما يجب أن يكتب ولا ينقص وفيه أن يكون الكاتب فقيهاً عالماً بالشروط حتى يجيء مكتوبه معدلاً بالشرع وهو أمر للمتداينين بتخير الكاتب وأن لا يستكتبوا إلا فقيهاً ديناً (ولا يأب كاتب) ولا يمتنع أحد من الكتاب وهو معنى تنكير كاتب (أن يكتب كما علمه الله) مثل ما علمه الله كتابة الوثائق لا يبدل ولا يغير وقيل هو كقوله تعالى وأحسن كما أحسن الله إليك أي ينفع الناس بكتابته كما نفعه الله بتعليمها وعن الشعبي هي فرض كفاية وكما علمه الله يجوز أن يتعلق بأن يكتب وبقوله فليكتب (فإن قلت) أي فرق بين الوجهين (قلت) إن علقته بأن يكتب فقد نهى عن الامتناع من الكتابة المقيدة ثم قيل له فليكتب يعني فليكتب تلك الكتابة لا يعدل عنها للتوكيد وإن علقته بقوله فليكتب فقد نهى عن الامتناع من الكتابة على سبيل الإطلاق ثم أمر بها مقيدة (وليملل الذي عليه الحق) ولا يكن المملي إلا من وجب عليه الحق لأنه هو المشهود على ثباته في ذمته وإقراره به والإملال والإملاء لغتان قد نطق بهما القرآن فهي تملى عليه (ولا يبخس منه) من الحق (شيئاً) والبخس النقص وقرئ شيا بطرح الهمزة وشيا بالتشديد (سفيهاً) محجوراً عليه لتبذيره وجهله بالتصرف (أو ضعيفاً) صبياً أو شيخاً

وإن تبتم فلكم رؤس
أموالكم لا تظلمون ولا
تظلمون وإن كان ذو
عسرة فنظرة إلى ميسرة
وأن تصدقوا خير لكم
إن كنتم تعلمون واتقوا
يوماً ترجعون فيه إلى
الله ثم توفى كل نفس ما
كسبت وهم لا يظلمون
يا أيها الذين آمنوا إذا
تداينتم بدين إلى أجل
مسمى فاكتبوه وليكتب
بينكم كاتب بالعدل ولا
يأب كاتب أن يكتب كما
علمه الله فليكتب وليملل
الذي عليه الحق وليتق
الله ربه ولا يبخس منه
شيئاً فإن كان الذي عليه
الحق سفيهاً أو ضعيفاً

* قوله تعالى إذا تداينتم
بدين إلى أجل مسمى
فاكتبوه (قال محمود إن
قلت هلا قيل إذا تداينتم
الخ) قال أحمد الأجل
المسمى هو المعلوم ابتداؤه
وأمد الانتهاء طرق منها
التحديد بنفس الزمان
كالسنة والشهر ومنها
التحديد بما يستلزم وقوعه
في زمن مخصوص
مضبوط بالعرف
كالحصاد ومقدم الحاج
وكيف ما علم الأجل
صح ضربه فمن ثم أجاز
مالك البيع إلى الحصاد
لأنه معلوم عندهم ثم
اشتهر زمان وقوع هذه
المسميات لا بنفس وقوعها

مختلا أو لا يستطيع أن يمل هو) أو غير مستطيع للاملاء بنفسه لعى به أو خرس (فليملل وليه) الذى يلى أمره من وصى إن كان سفيها أو صبيا أو وكيل إن كان غير مستطيع أو ترجمان يمل عنه وهو يصدقه وقوله تعالى أن يمل هو فيه أنه غير مستطيع بنفسه ولكن بغيره وهو الذى يترجم عنه (واستشهدوا شهيدين) واطلبوا أن يشهد لكم شهيدان على الدين (من رجالكم) من رجال المؤمنين والحرية والبلوغ شرط مع الاسلام عند عامة العلماء وعن على رضى الله عنه لا تجوز شهادة العبد فى شىء وعند شريح وابن سيرين وعثمان البتى أنها جائزة ويجوز عند أبى حنيفة شهادة الكفار بعضهم على بعض على اختلاف الملل (فان لم يكونا) فان لم يكن الشهيدان (رجلين فرجل وامرأتان) فليشهد رجل وامرأتان وشهادة النساء مع الرجال مقبولة عند أبى حنيفة فيما عدا الحدود والقصاص (ممن ترضون) ممن تعرفون عدالتهم (أن تضل احداهما) أن لا تهتدى احداهما للشهادة بأن تنساها من ضل الطريق اذا لم يهتد له وانتصابه على أنه مفعول له أى ارادة أن تضل (فان قلت) كيف يكون ضلالها مرادا لله تعالى (قلت) لما كان الضلال سببا للاذكار والاذكار مسببا عنه وهم ينزلون كل واحد من السبب والمسبب منزلة الآخر لالتباسهما واتصالهما كانت ارادة الضلال المسبب عنه الاذكار ارادة للاذكار فكأنه قيل ارادة أن تذكر احداهما الاخرى ان ضلت ونظيره قولهم أعددت الخشبة أن يميل الحائط فأدعمه وأعددت السلاح أن يجىء عدو فأدفعه * وقرئ (فتذكر) بالتخفيف والتشديد وهما لغتان وفتذاكر وقرأ حمزة ان تضل احداهما على الشرط فتذكر بالرفع والتشديد كقوله ومن عاد فينتقم الله منه وقرئ أن تضل احداهما على البناء للمفعول والتأنيث ومن بدع التفاسير فتذكر فتجعل احداهما الاخرى ذكرا يعنى أنهما اذا اجتمعتا كانتا بمنزلة الذكر (اذا ما دعوا) ليقيموا الشهادة وقيل ليستشهدوا وقيل لهم شهداء قبل التحمل تنزيلا لما يشارف منزلة الكائن وعن قتادة كان الرجل يطوف فى الحواء العظيم فيه القوم فلا يتبعه منهم أحد فنزلت * كنى بالسأم عن الكسل لأن الكسل صفة المنافق ومنه الحديث لا يقول المؤمن كسلت ويجوز أن يراد من كثرت مداينته فاحتاج أن يكتب لكل دين صغيرا أو كبيرا كتابا فربما مل كثرة الكتب * والضمير فى (تكتبوه) للدين أو الحق (صغيرا أو كبيرا) على أى حال كان الحق من صغر أو كبر ويجوز أن يكون الضمير للكتاب وأن يكتبوه مختصرا أو مشبعا ولا يخلوا بكتابته (الى أجله) الى وقته الذى اتفق الغريمان على تسميته (ذلكم) اشارة الى أن تكتبوه لأنه فى معنى المصدر أى ذلكم الكتب (أقسط) أعدل من القسط (وأقوم للشهادة) وأعون على اقامة الشهادة (وأدنى ألا ترتابوا) وأقرب من انتفاء الريب (فان قلت) مم بنى أفعلا التفضيل أعنى أقسط وأقوم (قلت) يجوز على مذهب سيبويه أن يكونا مبنيين من أقسط وأقام وأن يكون أقسط من قاسط على طريقة النسب بمعنى ذى قسط وأقوم من قويم وقرئ ولا يسأموا أن يكتبوه بالياء فيهما (فان قلت) ما معنى (تجارة حاضرة) وسواء كانت المبايعة بدين أو بعين فالتجارة حاضرة وما معنى ادارتها بينهم (قلت) أريد بالتجارة ما يتجر فيه من الابدال ومعنى ادارتها بينهم تعاطيهم اياها يدا بيد والمعنى الا أن تتبايعوا بيعا ناجزا يدا بيد فلا بأس أن لا تكتبوه لأنه لا يتوهم فيه ما يتوهم فى التداين وقرئ تجارة حاضرة بالرفع على كان التامة وقيل هى الناقصة على أن الاسم تجارة حاضرة والخبر تديرونها وبالنصب على الا أن تكون التجارة تجارة حاضرة كقوله

بنى أسد هل تعلمون بلاءنا * اذا كان يوما ذا كواكب أشنعا

أى اذا كان اليوم يوما (وأشهدوا اذا تبايعتم) أمر بالاشهاد على التبايع مطلقا ناجزا أو كالئا لأنه أحوط وأبعد مما عسى يقع من الاختلاف ويجوز أن يراد وأشهدوا اذا تبايعتم هذا التبايع يعنى التجارة الحاضرة على أن الاشهاد كاف فيه دون الكتابة وعن الحسن ان شاء أشهد وان شاء لم يشهد وعن الضحاك هى عزمة من الله ولو على باقة بقل (ولا يضار) يحتمل البناء للفاعل والمفعول والدليل عليه قراءة عمر رضى الله عنه ولا يضارر بالاظهار والكسر وقراءة ابن عباس رضى الله عنه ولا يضارر بالاظهار والفتح والمعنى نهى الكاتب والشهيد عن ترك الاجابة الى ما يطلب منهما وعن التحريف والزيادة والنقصان أو النهى عن الضرار بهما

أو لا يستطيع أن يمل هو فليملل وليه بالعدل واستشهدوا شهيدين من رجالكم فان لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء أن تضل احداهما فتذكر احداهما الاخرى ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا ولا تسأموا أن تكتبوه صغيرا أو كبيرا الى أجله ذلكم أقسط عند الله وأقوم للشهادة وأدنى ألا ترتابوا الا أن تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم فليس عليكم جناح ألا تكتبوها وأشهدوا اذا تبايعتم ولا يضار كاتب ولا شهيد

حتى لو حل زمن قدوم الحاج فثمة مانع من القدوم مثلا لم يكن به عبرة وحكمنا بحلول أجل الدين والله أعلم

﴿قوله تعالى وإن كنتم على سفر ولم تجدوا كاتبا فرهان مقبوضة﴾ (قال محمود إن قلت لم شرط السفر في الارتهان ولا يختص به سفر الخ) قال أحمد فالتخصيص بالسفر على هذا جرى على وفق الغالب ولا مفهوم له وفي هذه الآية دليل بين لمذهب مالك رضي الله عنه في إقامة الرهن عند التنازع في قدر الدين مقام شاهد للمرتهن إلى مبلغ قيمته حتى لو تنازعا فقال الراهن رهنته بمائة وقال المرتهن بل الرهن بمائتين لكان الرهن شاهدا بقيمته خلافا للشافعي رضي الله عنه فإنه يرى القول قول الراهن مطلقا لأنه غارم ووجه الدليل لمالك رضي الله عنه من الآية أن الله تعالى جعل الرهن في التوثق عوضا من الإشهاد والكتابة وخصه بالسفر لإعوازهما حينئذ ولو كان القول قول الراهن ثم لم يكن قائما مقام الإشهاد ولا مفيدا فائدته بوجه إذ لو لم يكن الرهن لكان القول قول المديان في قدر الدين فلم يرد وجود الرهن فائدة على عدمه باعتبار ... عن الإشهاد ولا يقال إن فائدته الاختصاص به على الغرماء لأن تلك فائدة الإشهاد حتى يكون نائبا عنه عند عدمه ولا فائدة للإشهاد إلا جعل القول قول المرتهن في قدر الدين عند التخالف وهو مذهب مالك المتقدم ذكره ومن ثم لم يجعله شاهدا إلا في قيمته لا فيما زاد عليها مقتصرا بالعادة في أن رب الدين لا يقبل في دينه إلا الموثق بقيمته فدعواه أن الدين أكثر من القيمة مردودة بالعادة والمديان أيضا لا يسمع منه ... قيمته أكثر ... هو في دعواه أن الدين أقل من القيمة مردودة بالعادة ولا يبقى إلا المطرق أمر واحد وهو أن المعتبر عند مالك قيمته يوم الحكم حتى لو تصادقا على أن القيمة كانت يوم الرهن أكثر أو أقل لم يلتفت إلى ذلك زادت أو نقصت وإنما يعتبر يوم القضاء ولقائل أن يقول ... إنما الرهن مقام الشاهد عند عدمه لأن العادة تقتضي أن الناس غالبا يرهنون في الديون ما يساوي قيمتها ... فينبغي أن تعتبر القيمة يوم الرهن غير مرجحين على زيادتها ونقصانها يوم القضاء وعند ذلك يتجاذب أطراف الكلام في أن مقتضى إقامته مقام الشاهد هو ... المقدم أو غيره وليس غرضنا الآن إلا أن الآية ترشد إلى إقامته مقام الشهادة في الجملة وأما تفاصيل المسئلة فذلك من خط الفقه (قال محمود وأما القبض فلا بد من اعتباره الخ) قال أحمد ليس بين مالك والشافعي خلاف في صحة الارتهان بالإيجاب والقبول دون القبض ولكنه عند مالك رضي الله عنه يصح بذلك ويلزم الراهن إقباضه للمرتهن وعند الشافعي لا يلزم بالعقد ولكن بالقبض عند مالك ... المدونة اعتبار في الابتداء والدوام ولا يشترط ... كثيرا من أحكامه عند مالك وذلك أنهم لو تقاررا على القبض ثم قام الغرماء اختص بالرهن عند الشافعي واختص به ولم يختص به عند مالك وكان أسوة الغرماء فيه حتى يضاف إلى الشهادة عليهما بالقبض معاينة البينة لذلك لأنه يتهم على التواطؤ على إبطال حق الغرماء ولا يعتبر إقرارهما إلا أن يعاين البينة فالقبض من هذا الوجه أدخل في الاعتبار على رأي مالك منه على رأي الشافعي هذا في الابتداء وأما في الدوام فمالك رضي الله عنه يشترط بقاءه في يد المرتهن حتى لو عاد إلى يد الراهن بأن أودعه المرتهن إياه أو آجره منه أو أعاره إياه إعارة مطلقة فقد خرج من الرهن ولو قام الغرماء وهو بيد الراهن بوجه من الوجوه المذكورة كان أسوة الغرماء فيه والشافعي رضي الله عنه لا يشترط دوام القبض على هذا الوجه بل للراهن عند الشافعي أن ينتفع بالرهن ولو كره المرتهن إذا أمكن الانتفاع مع بقاء الرهن كسكنى الدار واستخدام العبد وله أن يستوفي منافعه بنفسه على الصحيح عنده المنصوص عليه في الأم ولا يؤثر ذلك في الرهن بطلانا ولا خللا فقد علمت أن القبض أدخل في الاعتبار على مذهب مالك ابتداء ودواما والآية تعضده فإن الرهن في اللغة هو الدوام أنشد أبو علي

فالخبز واللحم لهم راهن * وقهوة راووقها ساكب

ولعل القائل باشتراط دوام الرهن في يد المرتهن تمسك بإشعار لفظ الرهن من اقتضاء الدوام وله في ذلك متمسك وما طولت في حكاية مذهب مالك في القبض إلا لأن المفهوم من كلام الزمخشري اطراح القبض عند مالك لأنه فهم من قول أصحابه أن القبض لا يشترط في صحة الرهن ولا في لزومه أنه غير معتبر عنده بالكلية والله أعلم

بأن يعجلا عن مهم ويلزما أو لا يعطى الكاتب حقه من الجعل أو يحمل الشهيد مؤنة مجيئه من بلد وقرأ الحسن ولا يضار بالكسر (وإن تفعلوا) وإن تضاروا (فإنه) فإن الضرار (فسوق بكم) وقيل إن تفعلوا شيئا مما نهيتم عنه (على سفر) مسافرين وقرأ ابن عباس وأبي رضي الله عنهما كتابا وقال ابن عباس أرأيت إن وجدت الكاتب ولم تجد الصحيفة والدواة وقرأ أبو العالية كتبا وقرأ الحسن كتابا جمع كاتب (فرهان) فالذي يستوثق به رهان وقرئ فرهن بضم الهاء وسكونها وهو جمع رهن كسقف وسقف وفرهان (فإن قلت) لم شرط السفر في الارتهان ولا يختص به سفر دون حضر وقد رهن رسول الله صلى الله عليه وسلم درعه في غير سفر (قلت) ليس الغرض تجويز الارتهان في السفر خاصة ولكن السفر لما كان مظنة لإعواز الكتب والإشهاد أمر على سبيل الإرشاد إلى حفظ المال من كان على سفر بأن يقيم التوثق بالارتهان مقام التوثق بالكتب والإشهاد وعن مجاهد والضحاك أنهما لم يجوزاه إلا في حال السفر أخذا بظاهر الآية وأما القبض فلا بد من اعتباره وعند مالك يصح الارتهان بالإيجاب والقبول بدون القبض (فإن أمن بعضكم بعضا) فإن أمن بعض الدائنين بعض

وإن تفعلوا فإنه فسوق بكم واتقوا الله ويعلمكم الله والله بكل شيء عليم وإن كنتم على سفر ولم تجدوا كاتبا فرهان مقبوضة فإن أمن بعضكم بعضا

المديونين لحسن ظنه به وقرأ أبي فإن أومن أي آمنه الناس ووصفوا المديون بالأمانة والوفاء والاستغناء عن الارتهان من مثله (فليؤد الذي اؤتمن أمانته) حث للمديون على أن يكون عند ظن الدائن به وأمنه منه وائتمانه وأن يؤدي إليه الحق الذي ائتمنه عليه فلم يرتهن منه وسمى الدين أمانة وهو مضمون لائتمانه عليه بترك الارتهان منه والقراءة أن تنطق بهمزة ساكنة بعد الذال أو ياء فتقول الذي اؤتمن أو الذيتمن وعن عاصم أنه قرأ الذي اتمن بإدغام الياء في التاء قياساً على اتسر في الافتعال من اليسر وليس بصحيح لأن الياء منقلبة عن الهمزة فهي في حكم الهمزة واتزر عامي وكذلك ريا في رؤيا (آثم) خبر إن و(قلبه) رفع بآثم على الفاعلية كأنه قيل فإنه يأثم قلبه ويجوز أن يرتفع قلبه بالابتداء وآثم خبر مقدم والجملة خبر إن (فإن قلت) هلا اقتصر على قوله فإنه آثم وما فائدة ذكر القلب والجملة هي الآثمة لا القلب وحده (قلت) كتمان الشهادة هو أن يضمرها ولا يتكلم بها فلما كان إثماً مقترفاً بالقلب أسند إليه لأن إسناد الفعل إلى الجارحة التي يعمل بها أبلغ ألا تراك تقول إذا أردت التوكيد هذا مما أبصرته عيني ومما سمعته أذني ومما عرفه قلبي ولأن القلب هو رئيس الأعضاء والمضغة التي إن صلحت صلح الجسد كله وإن فسدت فسد الجسد كله فكأنه قيل فقد تمكن الإثم في أصل نفسه وملك أشرف مكان فيه ولئلا يظن أن كتمان الشهادة من الآثام المتعلقة باللسان فقط وليعلم أن القلب أصل متعلقه ومعدن اقترافه واللسان ترجمان عنه ولأن أفعال القلوب أعظم من أفعال سائر الجوارح وهي لها كالأصول التي تتشعب منها ألا ترى أن أصل الحسنات والسيئات الإيمان والكفر وهما من أفعال القلوب فإذا جعل كتمان الشهادة من آثام القلوب فقد شهد له بأنه من معاظم الذنوب وعن ابن عباس رضي الله عنهما أكبر الكبائر الإشراك بالله لقوله تعالى فقد حرم الله عليه الجنة وشهادة الزور وكتمان الشهادة وقرئ قلبه بالنصب كقوله سفه نفسه وقرأ ابن أبي عبلة أثم قلبه أي جعله آثماً (وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه) يعني من السوء (يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء) لمن استوجب المغفرة بالتوبة مما أظهر منه أو أضمره (ويعذب من يشاء) ممن استوجب العقوبة بالإصرار ولا يدخل فيما يخفيه الإنسان الوساوس وحديث النفس لأن ذلك مما ليس في وسعه الخلو منه ولكن ما اعتقده وعزم عليه وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنه تلاها فقال لئن آخذنا الله بهذا لنهلكن ثم بكى حتى سمع نشيجه فذكر لابن عباس فقال يغفر الله لأبي عبد الرحمن قد وجد المسلمون منها مثل ما وجد فنزل لا يكلف الله وقرئ فيغفر ويعذب مجزومين عطفاً على جواب الشرط ومرفوعين على فهو يغفر ويعذب (فإن قلت) كيف يقرأ الجازم (قلت) يظهر الراء ويدغم الباء ومدغم الراء في اللام لاحن مخطئ خطأ فاحشاً وراويه عن أبي عمرو مخطئ مرتين لأنه يلحن وينسب إلى أعلم الناس بالعربية ما يؤذن بجهل عظيم والسبب في نحو هذه الروايات قلة ضبط الرواة والسبب في قلة الضبط قلة الدراية ولا يضبط نحو هذا إلا أهل النحو وقرأ الأعمش يغفر بغير فاء مجزوماً على البدل من يحاسبكم كقوله

متى تأتنا تلمم بنا في ديارنا ● تجد حطباً جزلاً وناراً تأججا

ومعنى هذا البدل التفصيل لجملة الحساب لأن التفصيل أوضح من المفصل فهو جار مجرى بدل البعض من الكل أو بدل الاشتمال كقولك ضربت زيداً رأسه وأحببت زيداً عقله وهذا البدل واقع في الأفعال وقوعه في الأسماء لحاجة القبيلين إلى البيان (والمؤمنون) إن عطف على الرسول كان الضمير الذي التنوين نائب عنه في كل راجعاً إلى الرسول والمؤمنين أي كلهم آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله من المذكورين ووقف عليه وإن كان مبتدأ كان الضمير للمؤمنين ووحد ضمير كل في آمن على معنى كل واحد منهم آمن وكان يجوز أن يجمع كقوله وكل أتوه داخرين ● وقرأ ابن عباس وكتابه يريد القرآن أو الجنس وعنه الكتاب أكثر من الكتب (فإن قلت) كيف يكون الواحد أكثر من الجمع (قلت) لأنه إذا أريد بالواحد الجنس والجنسية قائمة في وحدان الجنس كلها لم يخرج منه شيء فأما الجمع فلا يدخل تحته إلا ما فيه الجنسية من الجموع (لا نفرق) يقولون لا نفرق وعن أبي عمرو يفرق بالياء على أن الفعل لكل وقرأ عبد الله لا يفرقون و(أحد) في معنى الجمع كقوله تعالى فما منكم من أحد عنه حاجزين ولذلك دخل عليه بين (سمعنا) أجبنا (غفرانك) منصوب بإضمار فعله يقال

فليؤد الذي اؤتمن أمانته وليتق الله ربه ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فإنه آثم قلبه والله بما تعملون عليم لله ما في السموات وما في الأرض وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله على كل شيء قدير آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير لا يكلف الله نفساً إلا وسعها

● قوله تعالى كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله (قال محمود قل عن ابن عباس أنه قرأ وكتابه الخ) قال أحمد وقد قال ما للشأن لتمر أخرى باستغراق الجنس من أداة ... ورفان التمسك استرسل على الجنس لا بصيغة لفظية والتمور يرده إلى تخيل الوحدان ثم الاستغراق بعده بصيغة الجمع وفي صيغة الجمع مضطرب وهذا الكلام من الإمام لو ظفره بقول ابن عباس هذا الأثر الغرضية في الاستشهاد به على صحة مقالته هذه ولا بعده

قوله تعالى ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا (قال محمود فإن قلت النسيان والخطأ متجاوز عنهما الخ) قال أحمد ولا ورود لهذا السؤال
على قواعد أهل السنة لأنا نقول إنما رفعت المؤاخذة بهما بالسمع كقوله عليه الصلاة والسلام رفع عن أمتي
الخطأ والنسيان وإذا كان كذلك فحصل رفع المؤاخذة بهما كان إجابة لهذه الدعوة فقد قيل أن الله تعالى قال عند كل دعوة منها قد فعلت وإنما التزم الزمخشري ورود السؤال على قواعد القدرية الذاهبين إلى استحالة المؤاخذة بالخطأ والنسيان عقلا لأنه من تكليف ما لا يطاق وهو مستحيل عندهم تفريعا على قاعدة التحسين والتقبيح وكلاهما قواعد باطلة ومذهب باطل فالله تعالى يجعل لنا من إجابة هذه الدعوات أوفر نصيب ويلهمنا المعتقد الحق والقول المصيب إنه سميع مجيب وهو حسبنا ونعم الوكيل

لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ربنا ولا تحمل علينا إصرا كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين

غفرانك لا نكفرك أي نستغفرك ولا نكفرك وقرئ وكتبه ورسله بالسكون * الوسع ما يسع الإنسان ولا يضيق عليه ولا يحرج فيه أي لا يكلفها إلا ما يتسع فيه طوقه ويتيسر عليه دون مدى طاقته والمجهود وهذا إخبار عن عدله ورحمته كقوله تعالى يريد الله بكم اليسر لأنه كان في إمكان الإنسان وطاقته أن يصلي أكثر من الخمس ويصوم أكثر من الشهر ويحج أكثر من حجة وقرأ ابن أبي عبلة وسعها بالفتح (لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت) ينفعها ما كسبت من خير ويضرها ما اكتسبت من شر لا يؤاخذ بذنبها غيرها ولا يثاب غيرها بطاعتها (فإن قلت) لم خص الخير بالكسب والشر بالاكتساب (قلت) في الاكتساب اعتمال فلما كان الشر مما تشتهيه النفس وهي منجذبة إليه وأمارة به كانت في تحصيله أعمل وأجد فجعلت لذلك مكتسبة فيه ولما لم تكن كذلك في باب الخير وصفت بما لا دلالة فيه على الاعتمال أي لا تؤاخذنا بالنسيان أو الخطأ إن فرط منا (فإن قلت) النسيان والخطأ متجاوز عنهما فما معنى الدعاء بترك المؤاخذة بهما (قلت) ذكر النسيان والخطأ والمراد بهما ما هما مسببان عنه من التفريط والإغفال ألا ترى إلى قوله وما أنسانيه إلا الشيطان والشيطان لا يقدر على فعل النسيان وإنما يوسوس فتكون وسوسته سببا للتفريط الذي منه النسيان ولأنهم كانوا متقين الله حق تقاته فما كانت تفرط منهم فرطة إلا على وجه النسيان والخطأ فكان وصفهم بالدعاء بذلك إيذانا ببراءة ساحتهم عما يؤاخذون به كأنه قيل إن كان النسيان والخطأ مما يؤاخذ به فما فيهم سبب مؤاخذة إلا الخطأ أو النسيان ويجوز أن يدعو الإنسان بما علم أنه حاصل له قبل الدعاء من فضل الله لاستدامته والاعتداد بالنعمة فيه والإصر العبء الذي يأصر حامله أي يحبسه مكانه لا يستقل به لثقله استعير للتكليف الشاق من نحو قتل الأنفس وقطع موضع النجاسة من الجلد والثوب وغير ذلك وقرئ آصارا على الجمع وفي قراءة أبي ولا تحمل علينا بالتشديد * (فإن قلت) أي فرق بين هذه التشديدة والتي في ولا تحملنا (قلت) هذه للمبالغة في حمل عليه وتلك لنقل حمله من مفعول واحد إلى مفعولين (ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به) من العقوبات النازلة بمن قبلنا طلبوا الإعفاء عن التكليفات الشاقة التي كلفها من قبلهم ثم عما نزل عليهم من العقوبات على تفريطهم في المحافظة عليها وقيل المراد به الشاق الذي لا يكاد يستطاع من التكاليف وهذا تكرير لقوله ولا تحمل علينا إصرا (مولانا) سيدنا ونحن عبيدك أو ناصرنا أو متولي أمورنا (فانصرنا) فمن حق المولى أن ينصر عبيده أو فإن ذلك عادتك أو فإن ذلك من أمورنا التي عليك توليها وعن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما دعا بهذه الدعوات قيل له عند كل كلمة قد فعلت وعنه عليه السلام من قرأ الآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه وعنه عليه السلام أوتيت خواتيم سورة البقرة من كنز تحت العرش لم يؤتهن نبي قبلي وعنه عليه السلام أنزل الله آيتين من كنوز الجنة كتبهما الرحمن بيده قبل أن يخلق الخلق بألفي سنة من قرأهما بعد العشاء الآخرة أجزأتاه عن قيام الليل (فإن قلت) هل يجوز أن يقال قرأت سورة البقرة أو قرأت البقرة (قلت) لا بأس بذلك وقد جاء في حديث النبي صلى الله عليه وسلم من آخر سورة البقرة وخواتيم سورة البقرة وخواتيم البقرة وعن علي رضي الله عنه خواتيم سورة البقرة من كنز تحت العرش وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنهما أنه رمى الجمرة ثم قال من ههنا والذي لا إله غيره رمى الذي أنزلت عليه سورة البقرة ولا فرق بين هذا وبين قولك سورة الزخرف وسورة الممتحنة وسورة المجادلة ولو قيل قرأت البقرة لم يشكل أن المراد سورة البقرة كقوله واسأل القرية وعن بعضهم أنه كره ذلك وقال يقال قرأت السورة التي تذكر فيها البقرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم السورة التي تذكر فيها البقرة فسطاط القرآن فتعلموها فإن تعلمها بركة وتركها حسرة ولن تستطيعها البطلة قيل وما البطلة قال السحرة

﴿سورة آل عمران مدنية وهي مائتا آية﴾

﴿القول في سورة آل عمران﴾

بسم

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ الم الله لا إله إلا هو الحي القيوم نزل عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه وأنزل التوراة والإنجيل من قبل هدى للناس وأنزل الفرقان (قال محمود فإن قلت لما قيل في القرآن نزل على صيغة فعل الخ) قال أحمد يريد لأن فعل صيغة مبالغة وتكثير فلما كان نزول القرآن منجما كان أكثر تنزيلا من غيره لتفرقه في مرار عديدة فعبر عنه بصيغة مطابقة لكثرة تنزيلاته وعبر عن الكتابين بصيغة خلية عن المبالغة والتكثير والله أعلم (عاد كلامه) قال والفرقان يحتمل أن يراد به جميع الكتب السماوية لأنها تفرق بين الحق والباطل أو الكتب التي ذكرها أو أراد الكتاب الرابع وهو الزبور كما أفرده وأخر ذكره في قوله وآتينا داود زبورا أو كرر ذكر القرآن بما هو نعت له ومدح من كونه فارقا بين الحق والباطل بعد ما ذكره باسم الجنس

تعظيما لشأنه وإظهارا لفضله والله أعلم * قال أحمد وقد حمل الزمخشري سر التعبير عن نزول القرآن بصيغة فعل تفرقه في التنزيل كما تقدم آنفا ثم حمل

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

* ميم حقها أن يوقف عليها كما وقف على ألف ولام وأن يبدأ ما بعدها كما تقول واحد اثنان وهي قراءة عاصم وأما فتحها فهي حركة الهمزة ألقيت عليها حين أسقطت للتخفيف (فإن قلت) كيف جاز إلقاء حركتها عليها وهي همزة وصل لا تثبت في درج الكلام فلا تثبت حركتها لأن إثبات حركتها كإثباتها (قلت) هذا ليس بدرج لأن ميم في حكم الوقف والسكون والهمزة في حكم الثابت وإنما حذفت تخفيفا وألقيت حركتها على الساكن قبلها ليدل عليها ونظيره قولهم واحد اثنان بإلقاء حركة الهمزة على الدال (فإن قلت) هلا زعمت أنها حركة لالتقاء الساكنين (قلت) لأن التقاء الساكنين لا يبالى به في باب الوقف وذلك قولك هذا إبراهيم وداود وإسحق ولو كان التقاء الساكنين في حال الوقف يوجب التحريك لحرك الميمان في ألف لام ميم لالتقاء الساكنين ولما انتظر ساكن آخر (فإن قلت) إنما لم يحركوا لالتقاء الساكنين في ميم لأنهم أرادوا الوقف وأمكنهم النطق بساكنين فإذا جاء ساكن ثالث لم يمكن إلا التحريك فحركوا (قلت) الدليل على أن الحركة ليست لملاقاة الساكن أنه كان يمكنهم أن يقولوا واحد اثنان بسكون الدال مع طرح الهمزة فيجمعوا بين ساكنين كما قالوا أصيم ومديق فلما حركوا الدال علم أن حركتها هي حركة الهمزة الساقطة لا غير وليست لالتقاء الساكنين (فإن قلت) فما وجه قراءة عمرو بن عبيد بالكسر (قلت) هذه القراءة على توهم التحريك لالتقاء الساكنين وما هي بمقبولة * (التوراة والإنجيل) اسمان أعجميان وتكلف اشتقاقهما من الوري والنجل ووزنهما بتفعلة وإفعيل إنما يصح بعد كونهما عربيين وقرأ الحسن الأنجيل بفتح الهمزة وهو دليل على العجمة لأن أفعيل بفتح الهمزة عديم في أوزان العرب (فإن قلت) لم قيل نزل الكتاب وأنزل التوراة والإنجيل (قلت) لأن القرآن نزل منجما ونزل الكتابان جملة * وقرأ الأعمش نزل عليك الكتاب بالتخفيف ورفع الكتاب (هدى للناس) أي لقوم موسى وعيسى ومن قال نحن متعبدون بشرائع من قبلنا فسره على العموم * (فإن قلت) ما المراد بالفرقان (قلت) جنس الكتب السماوية لأن كلها فرقان يفرق بين الحق والباطل أو الكتب التي ذكرها كأنه قال بعد ذكر الكتب الثلاثة وأنزل ما يفرق به بين الحق والباطل من كتبه أو من هذه الكتب أو أراد الكتاب الرابع وهو الزبور كما قال وآتينا داود زبورا وهو ظاهر أو كرر ذكر القرآن بما هو نعت له ومدح من كونه فارقا بين الحق والباطل بعد ما ذكره باسم الجنس تعظيما لشأنه وإظهارا لفضله (بآيات الله) من كتبه المنزلة وغيرها (ذو انتقام) له انتقام شديد لا يقدر على مثله منتقم (لا يخفى عليه شيء) في العالم فعبر عنه بالسماء والأرض فهو مطلع على كفر من كفر وإيمان من آمن وهو مجازيهم عليه (كيف يشاء) من الصور المختلفة المتفاوتة * وقرأ طاوس تصوركم أي صوركم لنفسه ولتعبده كقولك أثلت مالا إذا جعلته أثلة أي أصلا وتأثلته إذا

بسم الله الرحمن الرحيم

الم الله لا إله إلا هو الحي القيوم نزل عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه وأنزل التوراة والإنجيل من قبل هدى للناس وأنزل الفرقان إن الذين كفروا بآيات الله لهم عذاب شديد والله عزيز ذو انتقام إن الله لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء هو الذي يصوركم في الأرحام كيف يشاء لا إله إلا هو العزيز الحكيم هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات

الفرقان على أحمد تأويلاته على القرآن والتعبير عنه بأخص كبيره فإن يكن هذا والله أعلم فالوجه أنه لما عبر أولا عن نزوله الخاص به أتى بعبارة مطابقة لقصد الخصوصية فلما جرى ذكره ثانيا بالنعت بصفة زائدة على اسم الجنس عبر عن نزوله من حيث الإطلاق اكتفاء بتعبيره أولا وإيجابا لذلك في غير مقصوده ومن العبارة السائرة عن هذا المعنى الكلام يجمل في غير مقصوده ويفصل في مقصوده * قوله تعالى إن الله عزيز ذو انتقام (قال محمود معناه له انتقام شديد الخ) قال أحمد وإنما يليق هذا التفخيم من التنكير وهو من علاماته مثله في قوله فقل ربكم ذو رحمة واسعة

أنه أمنه الملك وعن سعيد بن جبير هذا حجة على من زعم أن عيسى كان ربا كأنه جعله بتكوينه في صورة الرحم على أنه عبد كغيره وكان يخفى عليه ما لا يخفى على الله (محكمات) أحكمت عبارتها بأن حفظت من الاحتمال والاشتباه (متشابهات) مشتبهات محتملات (هن أم الكتاب) أي أصل الكتاب تحمل المتشابهات عليها وترد إليها ومثال ذلك لا تدركه الأبصار إلى ربها ناظرة لا يأمر بالفحشاء أمرنا مترفيها (فإن قلت) فهلا كان القرآن كله محكما (قلت) لو كان كله محكما لتعلق الناس به لسهولة مأخذه ولأعرضوا عما يحتاجون فيه إلى الفحص والتأمل من النظر والاستدلال ولو فعلوا ذلك لعطلوا الطريق الذي لا يتوصل إلى معرفة الله وتوحيده إلا به ولما في المتشابه من الابتلاء والتمييز بين الثابت على الحق والمتزلزل فيه ولما في تقادح العلماء وإتعابهم القرائح في استخراج معانيه ورده إلى المحكم من الفوائد الجليلة والعلوم الجمة ونيل الدرجات عند الله ولأن المؤمن المعتقد أن لا مناقضة في كلام الله ولا اختلاف إذا رأى فيه ما يتناقض في ظاهره وأهمه طلب ما يوفق بينه ويجريه على سنن واحد ففكر وراجع نفسه وغيره ففتح الله عليه وتبين مطابقة المتشابه المحكم ازداد طمأنينة إلى معتقده وقوة في إيقانه (الذين في قلوبهم زيغ) هم أهل البدع (فيتبعون ما تشابه منه) فيتعلقون بالمتشابه الذي يحتمل ما يذهب إليه المبتدع مما لا يطابق المحكم ويحتمل ما يطابقه من قول أهل الحق (ابتغاء الفتنة) طلب أن يفتنوا الناس عن دينهم ويضلوهم (وابتغاء تأويله) وطلب أن يؤولوه التأويل الذي يشتهونه (وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم) أي لا يهتدي إلى تأويله الحق الذي يجب أن يحمل عليه إلا الله وعباده الذين رسخوا في العلم أي ثبتوا فيه وتمكنوا وعضوا فيه بضرس قاطع ومنهم من يقف على قوله إلا الله ويبتدئ والراسخون في العلم يقولون ويفسرون المتشابه بما استأثر الله بعلمه وبمعرفة الحكمة فيه من آياته كعدد الزبانية

محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم

قوله تعالى منه آيات محكمات الآية (قال محمود المحكمات التي أحكمت عبارتها الخ) قال أحمد هذا كما قدمته منه من تكلفه لتنزيل الآي على وفق ما يعتقده وأعوذ بالله من جعل القرآن تبعا للرأي وذلك أن معتقده إحالة رؤية الله تعالى بناء على زعم القدرية من أن الرؤية تستلزم الجسمية والجهة فإذا ورد عليهم النص القاطع الدال على وقوع الرؤية كقوله إلى ربها ناظرة مالوا إلى جعله من المتشابه حتى يردوه بزعمهم إلى الآية التي يدعون أن ظاهرها يوافق رأيهم والآية قوله تعالى لا تدركه الأبصار وغرضنا الآن بيان وجوب الجمع بين الآيتين على الوجه الحق فنقول يحمل قوله لا تدركه الأبصار في دار الدنيا ويحمل الرؤية على الدار الآخرة جمعا بين الأدلة أو نقول الأبصار وإن كانت ظاهرة لعموم الآن المراد بها الخصوص أي لا تدركه أبصار الكفار كقوله كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ونقول لا تعارض بين الآيتين فتقر كل واحدة منهما في نصابها وبيان ذلك أن الأبصار عام بالألف واللام الجنسيتين ولا يتم غرض القدرية على زعمهم إلا بالموافقة على عمومها وحينئذ يكون في العموم مرادفة لدخول كل لأن كليهما أعني المعرف والجنسي وكلا يفيد الشمول والإحاطة وإذا ثبت ذلك فالسلب داخل على الكلية والقواعد مستقرة على أن سلب الكلية جزئي لغة وعقلا ألا ترى أن القائل إذا قال لا تنفق كل الدراهم كان المفهوم من ذلك لا نهي في إنفاق البعض ومن حيث المعقول أن الكلية تسلب بسلب بعض الأفراد ولو واحدا وحينئذ يكون مقتضى الآية سلب ٢٩٤ الرؤية عن بعض الأبصار وثبوتها لبعض الأبصار وهذا عين مذهب أهل السنة لأنهم يثبتونها للموحدين ويسلبونها عن الكفار كما أنبأ عنه قوله تعالى كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون فقد ثبت أن هذه الآية إما محمولة على إثبات الرؤية وإما باقية على ظاهرها دليلا على ثبوتها على وفق السنة ولا يقال قد ثبت الفرق بين دخول كل على المعرف تعريف الجنس وبين عدم دخولها ألا ترى أنهم يقولون إن قولك الإنسان كاتب مهمل وهو في قوة الجزئية وإن قولنا كل إنسان حيوان كلي لا جزئي لأنا نقول أعمارتنا القدرية على ما يلزمهم من الموافقة فيه وهم قد وافقوا على تناول الأبصار لكل واحد واحد من أفراد الجنس ولولا ذلك لما تم لهم مرامهم ولكفونا مؤنة البحث في ذلك وهذا القدر من الكلية المتفق عليها بين الفريقين لا يثبت لما سماه أهل ذلك الفن مهملا بل هذا هو الكلي عندهم والله الموفق وأما الآيتان الأخريان اللتان استداهما قوله تعالى إن الله لا يأمر بالفحشاء والأخرى التي هي قوله تعالى أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فلا يساعد الزمخشري في تمثيل المحكم والمتشابه بهما * قوله تعالى وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم (قال محمود ومعناه لا يهتدي إلى تأويله الخ) قال أحمد قوله لا يهتدي إليه إلا الله عبارة فقعة ولم يرد إطلاق الاهتداء على علم الله تعالى مع أن في هذه اللفظة إيهاما إذ الاهتداء لا يكون في الإطلاق إلا عن جهل وضلال جل الله وعز حتى إن الكافر إذا سلم أطلق أهل العرف عليه فلان المهتدي ذلك مقتضى اللغة فيه فإنه مطاوع هدى يقال هديته فاهتدى والإجماع منعقد على أنه لم يرد إطلاقه وكان موهما لا يجوز إطلاقه على الله عز وجل ولقد أنكر على القاضي إطلاقه المعرفة على علم الله تعالى حيث حده مطلق العلم بأنه معرفة المعلوم على ما هو عليه فلأن ينكر على الزمخشري إطلاق الاهتداء على علم الله تعالى أجدر وما أراه صدرت منه الأوهام حيث أضاف العلم إلى الله تعالى في الفصل المذكور والله أعلم

قوله تعالى ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا (قال محمود معناه ربنا لا تبلنا ببلايا الخ) قال أحمد أما أهل السنة فيدعون الله بهذه الدعوة غير محرفة لأنهم يوحدون حق التوحيد فيعتقدون أن كل حادث من هدى وزيغ مخلوق لله تعالى وأما القدرية فعندهم أن الزيغ لا يخلقه الله تعالى وإنما يخلقه العبد لنفسه فلا يدعون الله تعالى بهذه الدعوة إلا محرفة إلى غير المراد بها كما تراه

ونحوه. والأول هو الوجه. ويقولون كلام مستأنف موضح لحال الراسخين بمعنى هؤلاء العالمون بالتأويل (يقولون آمنا به) أي بالمتشابه (كل من عند ربنا) أي كل واحد منه ومن المحكم من عنده. أو بالكتاب كل من متشابهه ومحكمه من عند الله الحكيم الذي لا يتناقض كلامه ولا يختلف كتابه (وما يذكر إلا أولوا الألباب) مدح للراسخين بإلقاء الذهن وحسن التأمل. ويجوز أن يكون يقولون حالا من الراسخين. وقرأ عبد الله إن تأويله إلا عند الله. وقرأ أبيّ ويقول الراسخون (لا تزغ قلوبنا) لا تبلنا ببلايا تزيغ فيها قلوبنا (بعد إذ هديتنا) وأرشدتنا لدينك أو لا تمنعنا ألطافك بعد إذ لطفت بنا (من لدنك رحمة) من عندك نعمة بالتوفيق والمعونة. وقرئ لا تزغ قلوبنا بالتاء والياء ورفع القلوب (جامع الناس ليوم) أي تجمعهم لحساب يوم أو لجزاء يوم كقوله تعالى يوم يجمعكم ليوم الجمع. وقرئ جامع الناس على الأصل (إن الله لا يخلف الميعاد) معناه أن الإلهية تنافي خلف الميعاد كقولك إن الجواد لا يخيب سائله. والميعاد الموعد. قرأ علي رضي الله عنه لن تغني بسكون الياء وهذا من الجد في استثقال الحركة على حروف اللين. من في قوله (من الله) مثله في قوله إن الظن لا يغني من الحق شيئا. والمعنى لن تغني عنهم من رحمة الله أو من طاعة الله (شيئا) أي بدل رحمته وطاعته وبدل الحق. ومنه ولا ينفع ذا الجد منك الجد أي لا ينفعه جده وحظه من الدنيا بدلك أي بدل طاعتك وعبادتك وما عندك. وفي معناه قوله تعالى وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى. وقرئ وقود بضم الواو بمعنى أهل وقودها. والمراد بالذين كفروا من كفر برسول الله صلى الله عليه وسلم. وعن ابن عباس هم قريظة والنضير. الدأب مصدر دأب في العمل إذا كدح فيه فوضع موضع ما عليه الإنسان من شأنه وحاله. والكاف مرفوع المحل تقديره دأب هؤلاء الكفرة كدأب من قبلهم من آل فرعون وغيرهم. ويجوز أن ينتصب محل الكاف بلن تغني أو بالوقود أي لن تغني عنهم مثل ما لم تغن عن أولئك أو توقد بهم النار كما توقد بهم. تقول إنك لتظلم الناس كدأب أبيك تريد كظلم أبيك ومثل ما كان يظلمهم. وإن فلانا لمحارف كدأب أبيه تريد كما حورف أبوه (كذبوا بآياتنا) تفسير لدأبهم ما فعلوا وفعل بهم على أنه جواب سؤال مقدر عن حالهم (قل للذين كفروا) هم مشركو مكة (ستغلبون) يعني يوم بدر. وقيل هم اليهود لما غلب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر قالوا هذا والله النبي الأمي الذي بشرنا به موسى وهموا باتباعه فقال بعضهم لا تعجلوا حتى ننظر إلى وقعة أخرى فلما كان يوم أحد شكوا. وقيل جمعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد وقعة بدر في سوق بني قينقاع فقال يا معشر اليهود احذروا مثل ما نزل بقريش وأسلموا قبل أن ينزل بكم ما نزل بهم فقد عرفتم أني نبي مرسل فقالوا لا يغرنك أنك لقيت قوما أغمارا لا علم لهم بالحرب فأصبت منهم فرصة لئن قاتلتنا لعلمت أنا نحن الناس فنزلت. وقرئ سيغلبون ويحشرون بالياء كقوله تعالى قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم على قل لهم قولي لك سيغلبون (فإن قلت) أي فرق بين القراءتين من حيث المعنى (قلت) معنى القراءة بالتاء الأمر بأن يخبرهم بما سيجري عليهم من الغلبة والحشر إلى جهنم فهو إخبار بمعنى ستغلبون وتحشرون وهو الكائن من نفس المتوعد به والذي يدل عليه اللفظ. ومعنى القراءة بالياء الأمر بأن يحكي لهم ما أخبره به من وعيدهم بلفظه كأنه قال أد إليهم هذا القول الذي هو قولي لك سيغلبون ويحشرون (قد كان لكم آية) الخطاب لمشركي قريش (في فئتين التقتا) يوم بدر (يرونهم مثليهم) يرى المشركون المسلمين مثلي عدد المشركين قريبا من ألفين أو مثلي عدد المسلمين ستمائة ونيفا وعشرين أراهم الله إياهم مع قلتهم أضعافهم ليهابوهم ويجبنوا عن قتالهم وكان ذلك مددا لهم من الله كما أمدهم بالملائكة. والدليل عليه قراءة نافع ترونهم بالتاء أي ترون يا مشركي قريش المسلمين مثلي فئتكم الكافرة أو مثلي أنفسهم (فإن قلت) فهذا مناقض لقوله في سورة الأنفال ويقللكم في أعينهم (قلت) قللوا أولا في أعينهم حتى اجترؤا عليهم فلما لاقوهم كثروا في أعينهم حتى غلبوا

يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولوا الألباب ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب ربنا إنك جامع الناس ليوم لا ريب فيه إن الله لا يخلف الميعاد إن الذين كفروا لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئا وأولئك هم وقود النار كدأب آل فرعون والذين من قبلهم كذبوا بآياتنا فأخذهم الله بذنوبهم والله شديد العقاب قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون إلى جهنم وبئس المهاد قد كان لكم آية في فئتين التقتا فئة تقاتل في سبيل الله وأخرى كافرة يرونهم مثليهم

المصنف به وإن كان دعوا الله تعالى مضطرا إلى هذه الدعوة بأن لا يبتلينا ولا يمنعنا لطفه أمس لأن الكل فعله وخلقه ولا موجود إلا هو وأفعاله التي نحن وأمثالنا من آثارها قوله تعالى يرونهم مثليهم رأي العين (قال محمود معناه يرى المشركون المسلمين مثلي عدد المشركين الخ) قال أحمد وكذلك آيات الشجاعة المقدمة على رأي أهل السنة

(عاد كلامه) قال وقيل يرى المسلمون المشركين مثلي المسلمين الخ * قال أحمد انما قال ذلك لان الخطاب على قراءة نافع يكون للمسلمين أى ترونهم يا مسلمون ويكون ضمير المثلين أيضا للمسلمين وقد جاء على لفظ الغيبة فيلزم الخروج في جملة واحدة من الحضور الى الغيبة والالتفات وان كان سائغا فصيحا الا أنه انما يأتى في الاغلب في جملتين وقد جاء ههنا الكلام جملة واحدة لان مثليهم مفعول ثان للرؤية ولو قال القائل ظننتك يقوم على لفظ الغيبة بعد الخطاب لم يكن بذاك فهذا هو الوجه الذى باعد الزمخشرى به بين قراءة نافع وبين هذا التأويل الا أنه يلزم مثله على أحد وجهيه المتقدمين آنفا لانه قال معناه على قراءة نافع ترون يا مشركون المسلمين مثلي عددهم أو مثلي فئتكم الكافرة فعلى هذا الوجه الثانى يلزم الخروج من الخطاب الى الغيبة في الجملة بعينها كما ألزمه هو على ذلك الوجه والله أعلم * قوله تعالى زين للناس حب الشهوات الآية (قال محمود المزين هو الله تعالى الخ) قال أحمد التزيين للشهوات يطلق ويراد به خلق حبها فى القلوب وهو بهذا المعنى مضاف الى الله تعالى حقيقة ٢٩٦ لانه لا خالق الا هو وخالق كل شيء من جوهر ومن عرض قائم بالجوهر حب أو غيره محمود فى الشرع أولا ويطلق التزيين

فكان التقليل والتكثير في حالين مختلفين ونظيره من المحمول على اختلاف الاحوال قوله تعالى فيومئذ لا يسئل عن ذنبه انس ولا جان وقوله تعالى وقفوهم انهم مسئولون وتقليلهم تارة وتكثيرهم أخرى في أعينهم أبلغ في القدرة واظهار الآية وقيل يرى المسلمون المشركين مثلي المسلمين على ما قرر عليه أمرهم من مقاومة الواحد لاثنين في قوله تعالى فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين بعدما كلفوا أن يقاوم الواحد العشرة في قوله تعالى ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين ولذلك وصف ضعفهم بالقلة لانه قليل بالاضافة الى عشرة الاضعاف وكان الكافرون ثلاثة أمثالهم وقراءة نافع لا تساعد عليه وقرأ ابن مصرف يرونهم على البناء للمفعول بالياء والتاء أى يريهم الله ذلك بقدرته وقرئ فئة تقاتل وأخرى كافرة بالجر على البدل من فئتين وبالنصب على الاختصاص أو على الحال من الضمير في التقتا (رأى العين) يعنى رؤية ظاهرة مكشوفة لا لبس فيها معاينة كسائر المعاينات (والله يؤيد بنصره) كما أيد أهل بدر بتكثيرهم في عين العدو (زين للناس) المزين هو الله سبحانه وتعالى للابتلاء كقوله انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم ويدل عليه قراءة مجاهد زين للناس على تسمية الفاعل وعن الحسن الشيطان والله زينها لهم لانا لا نعلم أحدا أذم لها من خالقها (حب الشهوات) جعل الاعيان التى ذكرها شهوات مبالغة في كونها مشتهاة محروصا على الاستمتاع بها والوجه أن يقصد تخسيس الشهوات لان الشهوة مسترذلة عند الحكماء مذموم من اتبعها شاهد على نفسه بالبهيمية وقال زين للناس حب الشهوات ثم جاء بالتفسير ليقرر أولا في النفوس أن المزين لهم حبه ما هو الا شهوات لا غير ثم يفسره بهذه الاجناس فيكون أقوى لتخسيسها وأدل على ذم من يستعظمها ويتهالك عليها ويرجح طلبها على طلب ما عند الله * والقنطار المال الكثير قيل ملء مسك ثور وعن سعيد بن جبير مائة ألف دينار ولقد جاء الاسلام يوم جاء وبمكة مائة رجل قد قنطروا و (المقنطرة) مبنية من لفظ القنطار للتوكيد كقولهم ألف مؤلفة وبدرة مبدرة و (المسومة) المعلمة من السومة وهى العلامة أو المطهمة أو المرعية من أسام الدابة وسومها او (الانعام) الازواج الثمانية (ذلك) المذكور (متاع الحياة) * (للذين اتقوا عند ربهم جنات) كلام مستأنف فيه دلالة على بيان ما هو خير من ذلكم كما تقول هل أدلك على رجل عالم عندى رجل من صفته كيت وكيت ويجوز أن يتعلق اللام بخير واختص المتقين لانهم هم المنتفعون به * وترتفع (جنات) على هو جنات وتنصره قراءة من قرأ جنات بالجر على البدل من خير (والله بصير بالعباد) يثيب ويعاقب على الاستحقاق أو بصير بالذين اتقوا وبأحوالهم فلذلك أعد لهم الجنات (الذين يقولون) نصب على المدح أو رفع ويجوز الجر صفة للمتقين أو للعباد * والواو المتوسطة بين الصفات للدلالة على كمالهم في كل واحدة منها

رأى العين والله يؤيد بنصره من يشاء ان في ذلك لعبرة لاولى الابصار زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب قل أؤنبئكم بخير من ذلكم للذين اتقوا عند ربهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها وأزواج مطهرة ورضوان من الله والله بصير بالعباد الذين يقولون ربنا اننا آمنا فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار الصابرين والصادقين والقانتين والمنفقين والمستغفرين بالاسحار شهد الله أنه لا اله الا هو والملائكة وأولو العلم

ويراد به الحض على تعاطى الشهوات والآثام فهو بهذا الاعتبار لا يضاف الى الله تعالى منه الا الحض على بعض الشهوات وقد المنصوص عليها شرعا كالنكاح المقترن بقصد التناسل واتباع السنة فيه وما يجرى مجراه وأما الشهوات المحظورة فتزيينها بهذا المعنى الثانى مضاف الى الشيطان تنزيلا لوسوسته وتحسينه منزلة الامر بها والحض على تعاطيها وكلام الحسن رضى الله عنه محمول على التزيين بالمعنى الثانى لا بالمعنى الاول فانه يحاشى أن ينسب خلق الله الى غير الله وانما الزمخشرى كثيرا ما يورد أمثال هذه العبارة الملتبسة تنزيلا لها على قواعد القدرية الفاسدة فتنفطن لها وتبرئ قائلها من السلف الصالح عما يزعم الزمخشرى النقل عنه والله الموفق (عاد كلامه) قال جعل الاعيان التى ذكرها شهوات الخ * قال أحمد يريد أنها كقولهم رجل صوم وفطر مما وضع فيه المعنى موضع الاسم مبالغة

قائما بالقسط لا اله الا هو العزيز الحكيم ان الدين عند الله الاسلام وما اختلف

وقد مر الكلام فى ذلك * وخص الاسحار لانهم كانوا يقدمون قيام الليل فيحسن طلب الحاجة بعده اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه وعن الحسن كانوا يصلون فى أول الليل حتى اذا كان السحر أخذوا فى الدعاء والاستغفار هذا نهارهم وهذا ليلهم * شبهت دلالته على وحدانيته بأفعاله الخاصة التى لا يقدر عليها غيره وبما أوحى من آياته الناطقة بالتوحيد كسورة الاخلاص وآية الكرسى وغيرهما بشهادة الشاهد فى البيان والكشف وكذلك اقرار الملائكة وأولى العلم بذلك واحتجاجهم عليه (قائما بالقسط) مقيما للعدل فيما يقسم من الارزاق والآجال ويثيب ويعاقب وما يأمر به عباده من انصاف بعضهم لبعض والعمل على السوية فيما بينهم وانتصابه على أنه حال مؤكدة منه كقوله وهو الحق مصدقا (فان قلت) لم جاز افراده بنصب الحال دون المعطوفين عليه ولو قلت جاءنى زيد وعمرو راكبا لم يجز (قلت) انما جاز هذا لعدم الالباس كما جاز فى قوله ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة ان انتصب نافلة حالا عن يعقوب ولو قلت جاءنى زيد وهند راكبا جاز لتميزه بالذكورة أو على المدح (فان قلت) أليس من حق المنتصب على المدح أن يكون معرفة كقولك الحمد لله الحميد انا معشر الانبياء لا نورث انا بنى نهشل لا ندعى لاب (قلت) قد جاء نكرة كما جاء معرفة وأنشد سيبويه فيما جاء منه نكرة قول الهذلى

ويأوى الى نسوة عطل * وشعثا مراضيع مثل السعالى

(فان قلت) هل يجوز أن يكون صفة للمنفى كأنه قيل لا اله قائما بالقسط الا هو (قلت) لا يبعد فقد رأيناهم يتسعون فى الفصل بين الصفة والموصوف (فان قلت) قد جعلته حالا من فاعل شهد فهل يصح أن ينتصب حالا عن هو فى لا اله الا هو (قلت) نعم لانها حال مؤكدة والحال المؤكدة لا تستدعى أن يكون فى الجملة التى هى زيادة فى فائدتها عامل فيها كقولك أنا عبد الله شجاعا وكذلك لو قلت لا رجل الا عبد الله شجاعا وهو أوجه من انتصابه عن فاعل شهد وكذلك انتصابه على المدح (فان قلت) هل دخل قيامه بالقسط فى حكم شهادة الله والملائكة وأولى العلم كما دخلت الوحدانية (قلت) نعم اذا جعلته حالا من هو أو نصبا على المدح منه أو صفة للمنفى كأنه قيل شهد الله والملائكة وأولو العلم أنه لا اله الا هو وأنه قائم بالقسط * وقرأ عبد الله القائم بالقسط على أنه بدل من هو أو خبر مبتدأ محذوف وقرأ أبو حنيفة قيما بالقسط (العزيز الحكيم) صفتان مقررتان لما وصف به ذاته من الوحدانية والعدل يعنى أنه العزيز الذى لا يغالبه اله آخر الحكيم الذى لا يعدل عن العدل فى أفعاله (فان قلت) ما المراد بأولى العلم الذين عظمهم هذا التعظيم حيث جمعهم معه ومع الملائكة فى الشهادة على وحدانيته وعدله (قلت) هم الذين يثبتون وحدانيته وعدله بالحجج الساطعة والبراهين القاطعة وهم علماء العدل والتوحيد * وقرئ أنه بالفتح وان الدين بالكسر على أن الفعل واقع على أنه بمعنى شهد الله على أنه أو بأنه وقوله (ان الدين عند الله الاسلام) جملة مستأنفة مؤكدة للجملة الاولى (فان قلت) ما فائدة هذا التوكيد (قلت) فائدته أن قوله لا اله الا هو توحيد وقوله قائما بالقسط تعديل فاذا أردفه قوله ان الدين عند الله الاسلام فقد آذن أن الاسلام هو العدل والتوحيد وهو الدين عند الله وما عداه فليس عنده فى شئ من الدين (٣) وفيه أن من ذهب الى تشبيه أو ما يؤدى اليه كاجازة الرؤية أو ذهب الى الجبر الذى هو محض الجور لم يكن على دين الله الذى هو الاسلام وهذا بين جلى كما ترى وقرئا مفتوحين على أن الثانى بدل من الاول كأنه قيل شهد الله أن الدين عند الله الاسلام والبدل هو المبدل منه فى المعنى فكان بيانا صريحا لان دين الله هو التوحيد والعدل وقرئ الاول بالكسر والثانى بالفتح على أن الفعل واقع على أن وما بينهما اعتراض مؤكد وهذا أيضا شاهد على أن دين الاسلام هو العدل والتوحيد فترى القراآت كلها متعاضدة على ذلك وقرأ عبد الله أن لا اله الا هو وقرأ أبى ان الدين عند الله للاسلام وهى مقوية قراءة من فتح الاولى وكسر الثانية وقرئ شهداء لله بالنصب على أنه حال من المذكورين قبله وبالرفع على هم شهداء لله (فان قلت) فعلام عطف على هذه القراءة والملائكة وأولو العلم (قلت) على الضمير فى شهداء وجاز لوقوع الفاصل بينهما (فان قلت) لم كرر قوله لا اله الا هو (قلت) ذكره أولا للدلالة على

قوله وفيه أن من ذهب الى تشبيه الخ كتب عليه العلامة المحشى ما شق القايسل ولكن لعدم امكان وضع ما كتبه بهذه الصحيفة نقلت الى ما بعدها وجعل لها علامة تعرف بها اه

• قوله تعالى شهد الله أنه لا إله إلا هو إلى قوله إن الدين عند الله الإسلام (قال محمود إن قلت ما فائدة تكرار لا إله إلا هو الخ) قال أحمد وهذا التكرار لما تقدمه في نظيره مما صدر الكلام به إذا طال عهده وذلك أن الكلام مصدر بالتوحيد ثم أعقب التوحيد بتعداد الشاهدين به ثم قوله قائما بالقسط وهو المنزه به وطال الكلام بذلك فجدد التوحيد تلو التنزيه ليلي قوله إن الدين عند الله الإسلام ولولا هذا التجديد لكان التوحيد المقدم كالمنقطع في الفهم عما أريد اتصاله به والله أعلم (٢) قال وفيه أن من ذهب إلى تشبيه الخ) قال أحمد هذا تعريض بخروج أهل السنة من ربقة الإسلام بل تصريح وما يستقيم منهم إلا أن صدقوا وعد الله عباده المكرمين على لسان نبيهم الكريم صلى الله عليه وسلم أنهم (٢٩٨) يرون ربهم كما يرون القمر ليلة البدر لا يضامون في رؤيته ولأنهم وحدوا الله حق توحيده فشهدوا أن لا إله إلا هو ولا خالق لهم ولا لأعمالهم إلا هو وقصروا على أن نسبوا لأنفسهم قدرة

الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم ومن يكفر بآيات الله فإن الله سريع الحساب فإن حاجوك فقل أسلمت وجهي لله ومن اتبعن وقل للذين أوتوا الكتاب والأميين أأسلمتم فإن أسلموا فقد اهتدوا وإن تولوا فإنما عليك البلاغ والله بصير بالعباد إن الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس فبشرهم بعذاب أليم أولئك الذين حبطت أعمالهم

اختصاصه بالوحدانية وأنه لا إله إلا تلك الذات المتميزة ثم ذكره ثانيا بعد ما قرن بإثبات الوحدانية إثبات العدل للدلالة على اختصاصه بالأمرين كأنه قال لا إله إلا هذا الموصوف بالصفتين ولذلك قرن به قوله العزيز الحكيم لتضمنهما معنى الوحدانية والعدل (الذين أوتوا الكتاب) أهل الكتاب من اليهود والنصارى • واختلافهم أنهم تركوا الإسلام وهو التوحيد والعدل (من بعد ما جاءهم العلم) أنه الحق الذي لا محيد عنه فثلثت النصارى وقالت اليهود عزير ابن الله وقالوا كنا أحق بأن تكون النبوة فينا من قريش لأنهم أميون ونحن أهل كتاب وهذا تجوير لله (بغيا بينهم) أي ما كان ذلك الاختلاف وتظاهر هؤلاء بمذهب وهؤلاء بمذهب إلا حسدا بينهم وطلبا منهم للرياسة وحظوظ الدنيا واستتباع كل فريق ناسا يطؤون أعقابهم لا شبهة في الإسلام وقيل هو اختلافهم في نبوة محمد صلى الله عليه وسلم حيث آمن به بعض وكفر به بعض وقيل هو اختلافهم في الإيمان بالأنبياء فمنهم من آمن بموسى ومنهم من آمن بعيسى وقيل هم اليهود واختلافهم أن موسى عليه السلام حين احتضر استودع التوراة سبعين حبرا من بني إسرائيل وجعلهم أمناء عليها واستخلف يوشع فلما مضى قرن بعد قرن اختلف أبناء السبعين بعد ما جاءهم علم التوراة بغيا بينهم وتحاسدا على حظوظ الدنيا والرياسة وقيل هم النصارى واختلافهم في أمر عيسى بعد ما جاءهم العلم أنه عبد الله ورسوله (فإن حاجوك) فإن جادلوك في الدين (فقل أسلمت وجهي لله) أي أخلصت نفسي وجملتي لله وحده لم أجعل فيها لغيره شركا بأن أعبده وأدعوه إلها معه يعني أن ديني دين التوحيد وهو الدين القويم الذي ثبتت عندكم صحته كما ثبتت عندي وما جئت بشيء بديع حتى تجادلوني فيه ونحوه قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا فهو دفع للمحاجة بأن ما هو عليه ومن معه من المؤمنين هو حق اليقين الذي لا لبس فيه فما معنى المحاجة فيه (ومن اتبعن) عطف على التاء في أسلمت وحسن للفاصل ويجوز أن تكون الواو بمعنى مع فيكون مفعولا معه (وقل للذين أوتوا الكتاب) من اليهود والنصارى (والأميين) والذين لا كتاب لهم من مشركي العرب (أأسلمتم) يعني أنه قد أتاكم من البينات ما يوجب الإسلام ويقتضي حصوله لا محالة فهل أسلمتم أم أنتم بعد على كفركم وهذا كقولك لمن لخصت له المسألة ولم تبق من طرق البيان والكشف طريقا إلا سلكته هل فهمتها لا أم لك ومنه قوله عز وعلا فهل أنتم منتهون بعد ما ذكر الصوارف عن الخمر والميسر وفي هذا الاستفهام استقصار وتعيير بالمعاندة وقلة الإنصاف لأن المنصف إذا تجلت له الحجة لم يتوقف إذعانه للحق وللمعاند بعد تجلي الحجة ما يضرب أسدادا بينه وبين الإذعان وكذلك في هل فهمتها توبيخ بالبلادة وكلة القريحة وفي فهل أنتم منتهون بالتقاعد عن الانتهاء والحرص الشديد على تعاطي المنهي عنه (فإن أسلموا فقد اهتدوا) فقد نفعوا أنفسهم حيث خرجوا من الضلال إلى الهدى ومن الظلمة إلى النور (وإن تولوا) لم يضروك فإنك رسول منبه ما عليك إلا أن تبلغ

تقارن فعلهم لا تأثير لها ولا أثر غير التمييز بين أفعالهم الاختيارية والاضطرارية وتلك المعبر عنها شرعا بالكسب في مثل قوله تعالى بما كسبت أيديكم هذا إيمان القوم وتوحيدهم لا كقوم يعترون في وجه الرسالة النصوص فيجحدون الرؤية التي يظهر أن جحدهم لها سبب في حرمانهم إياها ويجعلون أنفسهم الخسيسة شريكة لله في مخلوقاته فيزعمون أنهم يخلقون لأنفسهم ما شاؤوا من الأفعال على خلاف مشيئة ربهم محادة ومعاندة لله في ملكه ثم بعد ذلك يسترون تسمية أنفسهم أهل العدل والتوحيد والله أعلم بمن اتقى ولحير خير من أشرك إن كان أهل السنة مجبرة فأنا أول المجبرين ولو نظرت أيها الزمخشري بعين الإنصاف إلى جهالة القدرية وضلالها لاهتديت إلى حدائق السنة وظلالها ولطرحت عن عنقك ربق البدع ومن لها ولكن كره الله انبعاثهم ولعلمت أي الفريقين أحق بالأمن وأولى بالدخول في أولي العلم المقرونين في التوحيد بالملائكة

المشرفين بعطفهم على اسم الله عز وجل اللهم ألهمنا على اقتفاء السنة شكرك ولا تؤمنا مكرك انه لا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون فليس ينجي من الخوف الا الخوف والله ولي التوفيق * قوله تعالى ذلك بأنهم قالوا لن تمسنا النار الا أياما معدودات وغرهم في دينهم ما كانوا يفترون (قال محمود ذلك التولي والاعراض بسبب طمعهم في الخروج من النار بعد أيام قلائل كما طمعت الحشوية والمجبرة وغرهم في دينهم ما كانوا يفترون) قال أحمد رحمه الله هذا أيضا تعريض بأهل السنة في اعتقادهم تفويض العفو عن كبائر المؤمن الموحد الى مشيئة الله تعالى وان مات مصرا عليها فأخذا بقوله تعالى ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وتصديقا بالشفاعة لأهل الكبائر ويقع عليهم ذلك حتى يجعلهم أصلا يقيس عليهم اليهود القائلين لن تمسنا النار الا أياما معدودات فانظر اليه كيف أشحن قلبه بغضا لأهل السنة وشقاقا وكيف ملأ الأرض من هذه النزغات نفاقا فالحمد لله الذي أهل عبيده الفقير الى التبرك عليه لأن أحدص أهل البدعة بنار السنة فأحمي أفئدتهم من قواطع البراهين بمقومات الأسنة

في الدنيا والآخرة وما لهم من ناصرين ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يدعون الى كتاب الله ليحكم بينهم ثم يتولى فريق منهم وهم معرضون ذلك بأنهم قالوا لن تمسنا النار الا أياما معدودات وغرهم في دينهم ما كانوا يفترون فكيف اذا جمعناهم ليوم لا ريب فيه ووفيت كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء

الرسالة ونبهه على طريق الهدى * وقرأ الحسن ويقتلون النبيين وقرأ حمزة ويقاتلون الذين يأمرون وقرأ عبد الله وقاتلوا وقرأ أبي يقتلون النبيين والذين يأمرون وهم أهل الكتاب قتل أولوهم الأنبياء وقتلوا أتباعهم وهم راضون بما فعلوا وكانوا حول قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين لولا عصمة الله وعن أبي عبيدة بن الجراح قلت يا رسول الله أي الناس أشد عذابا يوم القيامة قال رجل قتل نبيا أو رجلا أمر بمعروف ونهى عن منكر ثم قرأها ثم قال يا أبا عبيدة قتلت بنو اسرائيل ثلاثة وأربعين نبيا من أول النهار في ساعة واحدة فقام مائة واثنا عشر رجلا من عباد بني اسرائيل فأمروا قتلتهم بالمعروف ونهوهم عن المنكر فقتلوا جميعا من آخر النهار (في الدنيا والآخرة) لأن لهم اللعنة والخزي في الدنيا والعذاب في الآخرة (فبشرهم) انما دخلت الفاء في خبر ان (فبشرهم) لتضمن اسمها معنى الجزاء كأنه قيل الذين يكفرون فبشرهم بمعنى من يكفر فبشرهم وان لا تغير معنى الابتداء فكأن دخولها كلا دخول ولو كان مكانها ليت أو لعل لامتنع ادخال الفاء لتغير معنى الابتداء (أوتوا نصيبا من الكتاب) يريد أحبار اليهود وأنهم حصلوا نصيبا وافرا من التوراة ومن اما للتبعيض واما للبيان أو حصلوا من جنس الكتب المنزلة أو من اللوح التوراة وهي نصيب عظيم (يدعون الى كتاب الله) وهو التوراة (ليحكم بينهم) وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل مدارسهم فدعاهم فقال له نعيم بن عمرو والحرث بن زيد على أي دين أنت قال على ملة ابراهيم قالا ان ابراهيم كان يهوديا قال لهما ان بيننا وبينكم التوراة فهلموا اليها فأبيا وقيل نزلت في الرجم وقد اختلفوا فيه وعن الحسن وقتادة كتاب الله القرآن لأنهم قد علموا أنه كتاب الله لم يشكوا فيه (ثم يتولى فريق منهم) استبعاد لتوليهم بعد علمهم بأن الرجوع الى كتاب الله واجب (وهم معرضون) وهم قوم لا يزال الاعراض ديدنهم وقرئ ليحكم على البناء للمفعول والوجه أن يراد ما وقع من الاختلاف والتعادي بين من أسلم من أحبارهم وبين من لم يسلم وأنهم دعوا الى كتاب الله الذي لا اختلاف بينهم في صحته وهو التوراة ليحكم بين المحق والمبطل منهم ثم يتولى فريق منهم وهم الذين لم يسلموا وذلك أن قوله ليحكم بينهم يقتضي أن يكون اختلافا واقعا فيما بينهم لا فيما بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم (ذلك) التولي والاعراض بسبب تسهيلهم على أنفسهم أمر العقاب وطمعهم في الخروج من النار بعد أيام قلائل كما طمعت المجبرة والحشوية (وغرهم في دينهم ما كانوا يفترون) من أن آباءهم الأنبياء يشفعون لهم كما غرت أولئك شفاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم في كبائرهم (فكيف اذا جمعناهم) فكيف يصنعون فكيف تكون حالهم وهو استعظام لما أعد لهم وتهويل لهم وأنهم يقعون فيما لا حيلة لهم في دفعه والخلاص منه وأن ما حدثوا به أنفسهم وسهلوه عليها تعلل بباطل وتطمع بما لا يكون وروي أن أول راية ترفع لأهل الموقف من رايات الكفار راية اليهود فيفضحهم الله على رءوس الأشهاد ثم يأمر بهم الى النار (وهم لا يظلمون) يرجع الى كل نفس على المعنى لأنه في معنى كل الناس كما تقول ثلاثة أنفس تريد ثلاثة أناسي * الميم في (اللهم) عوض من يا ولذلك لا يجتمعان وهذا بعض خصائص هذا الاسم كما خص بالتاء في القسم وبدخول حرف النداء عليه وفيه لام التعريف وقطع همزته في يا ألله وبغير ذلك (مالك الملك) أي تملك جنس الملك فتتصرف فيه تصرف الملاك فيما يملكون (تؤتي الملك من تشاء) تعطي من تشاء النصيب الذي قسمت له واقتضته حكمتك من الملك (وتنزع الملك ممن تشاء) النصيب الذي أعطيته منه فالملك الأول عام شامل والملكان الآخران خاصان بعضان من الكل روي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين فتح مكة وعد أمته ملك فارس والروم فقال المنافقون واليهود هيهات هيهات من أين لمحمد ملك فارس والروم هم أعز وأمنع من ذلك

وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خط الخندق عام الأحزاب وقطع لكل عشرة أربعين ذراعا وأخذوا يحفرون خرج من بطن الخندق صخرة كالتل العظيم لم تعمل فيها المعاول فوجهوا سلمان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبره فأخذ المعول من سلمان فضربها ضربة صدعتها وبرق منها برق أضاء ما بين لابتيها لكأن مصباحا في جوف بيت مظلم فكبر وكبر المسلمون وقال أضاءت لي منها قصور الحيرة كأنها أنياب الكلاب ثم ضرب الثانية فقال أضاءت لي منها القصور الحمر من أرض الروم ثم ضرب الثالثة فقال أضاءت لي قصور صنعاء وأخبرني جبريل عليه السلام أن أمتي ظاهرة على كلها فأبشروا فقال المنافقون ألا تعجبون يمنيكم ويعدكم الباطل ويخبركم أنه يبصر من يثرب قصور الحيرة ومدائن كسرى وأنها تفتح لكم وأنتم إنما تحفرون الخندق من الفرق لا تستطيعون أن تبرزوا فنزلت (فإن قلت) كيف قال (بيدك الخير) دون ذكر الشر (قلت) لأن الكلام إنما وقع في الخير الذي يسوقه الى المؤمنين وهو الذي أنكرته الكفرة فقال بيدك الخير تؤتيه أولياءك على رغم من أعدائك ولأن كل أفعال الله تعالى من نافع وضار صادر عن الحكمة والمصلحة فهو خير كله كإيتاء الملك ونزعه ثم ذكر قدرته الباهرة بذكر حال الليل والنهار في المعاقبة بينهما وحال الحي والميت في إخراج أحدهما من الآخر وعطف عليه رزقه بغير حساب دلالة على أن من قدر على تلك الأفعال العظيمة المحيرة للأفهام ثم قدر أن يرزق بغير حساب من يشاء من عباده فهو قادر على أن ينزع الملك من العجم ويذلهم ويؤتيه العرب ويعزهم وفي بعض الكتب أنا الله ملك الملوك قلوب الملوك ونواصيهم بيدي فإن العباد أطاعوني جعلتهم عليهم رحمة وإن العباد عصوني جعلتهم عليهم عقوبة فلا تشتغلوا بسب الملوك ولكن توبوا الى أعطفهم عليكم وهو معنى قوله عليه السلام كما تكونوا يولى عليكم ✽ نهوا أن يوالوا الكافرين لقرابة بينهم أو صداقة قبل الإسلام أو غير ذلك من الأسباب التي يتصادق بها ويتعاشر وقد كرر ذلك في القرآن ومن يتولهم منكم فإنه منهم لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء لا تجد قوما يؤمنون بالله الآية والمحبة في الله والبغض في الله باب عظيم وأصل من أصول الإيمان (من دون المؤمنين) يعني أن لكم في موالاة المؤمنين مندوحة عن موالاة الكافرين فلا تؤثروهم عليهم (ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء) ومن يوال الكفرة فليس من ولاية الله في شيء يقع عليه اسم الولاية يعني أنه منسلخ من ولاية الله رأسا وهذا أمر معقول فإن موالاة الولي وموالاة عدوه متنافيان قال

تود عدوي ثم تزعم أنني ✽ صديقك ليس النوك عنك بعازب

(إلا أن تتقوا منهم تقاة) إلا أن تخافوا من جهتهم أمرا يجب اتقاؤه وقرئ تقية قيل للمتقي تقاة وتقية كقولهم ضرب الأمير لمضروبه رخص لهم في موالاتهم إذا خافوهم والمراد بتلك الموالاة مخالقة ومعاشرة ظاهرة والقلب مطمئن بالعداوة والبغضاء وانتظار زوال المانع من قشر العصا كقول عيسى صلوات الله عليه كن وسطا وامش جانبا (ويحذركم الله نفسه) فلا تتعرضوا لسخطه بموالاة أعدائه وهذا وعيد شديد ويجوز أن يضمن تتقوا معنى تحذروا وتخافوا فيعدى بمن وينتصب تقاة أو تقية على المصدر كقوله تعالى اتقوا الله حق تقاته (إن تخفوا ما في صدوركم أو تبدوه) من ولاية الكفار أو غيرها مما لا يرضي الله (يعلمه) ولم يخف عليه وهو الذي (يعلم ما في السموات وما في الأرض) لا يخفى عليه منه شيء قط فلا يخفى عليه سركم وعلنكم (والله على كل شيء قدير) فهو قادر على عقوبتكم وهذا بيان لقوله ويحذركم الله نفسه لأن نفسه وهي ذاته المتميزة من سائر الذوات متصفة بعلم ذاتي لا يختص بمعلوم دون معلوم فهي متعلقة بالمعلومات كلها وبقدرة ذاتية لا تختص بمقدور دون مقدور فهي قادرة على المقدورات كلها فكان حقها أن تحذر وتتقى فلا يجسر أحد على قبيح ولا يقصر عن واجب فإن ذلك مطلع عليه لا محالة فلاحق به العقاب ولو علم بعض عبيد السلطان أنه أراد الاطلاع على أحواله فوكل همه بما يورد ويصدر ونصب عليه عيونا وبث من يتجسس عن بواطن أموره لأخذ حذره وتيقظ في أمره واتقى كل ما يتوقع فيه الاسترابة به فما بال من علم أن العالم الذات الذي يعلم السر وأخفى مهيمن عليه وهو آمن اللهم إنا نعوذ بك من اغترارنا بسترك (يوم تجد) منصوب بتود ✽ والضمير في بينه لليوم أي يوم القيامة حين

بيدك الخير إنك على كل شيء قدير تولج الليل في النهار وتولج النهار في الليل وتخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي وترزق من تشاء بغير حساب لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء إلا أن تتقوا منهم تقاة

تجد كل نفس خيرها وشرها حاضرين تتمنى لو أن بينها وبين ذلك اليوم وهوله أمداً بعيداً ويجوز أن ينتصب يوم تجد بمضمر نحو اذكر ويقع على ما عملت وحده ويرتفع وما عملت على الابتداء وتود خبره أي والذي عملته من سوء تود هي لو تباعد ما بينها وبينه ولا يصح أن تكون ما شرطية لارتفاع تود (فإن قلت) فهل يصح أن تكون شرطية على قراءة عبد الله ودت (قلت) لا كلام في صحته ولكن الحمل على الابتداء والخبر أوقع في المعنى لأنه حكاية الكائن في ذلك اليوم وأثبت لموافقة قراءة العامة ويجوز أن يعطف وما عملت على ما عملت ويكون تود حالاً أي يوم تجد عملها محضراً وادة تباعد ما بينها وبين اليوم أو عمل السوء محضراً كقوله تعالى ووجدوا ما عملوا حاضراً يعني مكتوباً في صحفهم يقرؤونه ونحوه فينبئهم بما عملوا أحصاه الله ونسوه • والأمد المسافة كقوله تعالى يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين • وكرر قوله (ويحذركم الله نفسه) ليكون على بال منهم لا يغفلون عنه (والله رؤف بالعباد) يعني أن تحذيره نفسه وتعريفه حالها من العلم والقدرة من الرأفة العظيمة بالعباد لأنهم إذا عرفوه حق المعرفة وحذروه دعاهم ذلك إلى طلب رضاه واجتناب سخطه وعن الحسن من رأفته بهم أن حذرهم نفسه ويجوز أن يريد أنه مع كونه محذوراً لعلمه وقدرته مرجو لسعة رحمته كقوله تعالى إن ربك لذو مغفرة وذو عقاب أليم • محبة العباد لله مجاز عن إرادة نفوسهم اختصاصه بالعبادة دون غيره ورغبتهم فيها ومحبة الله عباده أن يرضى عنهم ويحمد فعلهم والمعنى إن كنتم مريدين لعبادة الله على الحقيقة (فاتبعوني) حتى يصح ما تدعونه من إرادة عبادته يرض عنكم ويغفر لكم وعن الحسن زعم أقوام على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أنهم يحبون الله فأراد أن يجعل لقولهم تصديقاً من عمل فمن ادعى محبته وخالف سنة رسوله فهو كذاب وكتاب الله يكذبه وإذا رأيت من يذكر محبة الله ويصفق بيديه مع ذكرها ويطرب وينعر ويصعق فلا تشك في أنه لا يعرف ما الله ولا يدري ما محبة الله وما تصفيقه وطربه ونعرته وصعقته إلا أنه تصور في نفسه الخبيثة صورة مستملحة معشقة فسماها الله بجهله ودعارته ثم صفق وطرب ونعر وصعق على تصورها وربما رأيت المني قد ملأ إزار ذلك المحب عند صعقته وحمقى العامة على حواليه قد ملؤا أردانهم بالدموع لما رققهم من حاله • وقرئ تحبون ويحببكم ويحبكم من حبه يحبه قال

أحب أبا مروان من حب تمره • واعلم أن الرفق بالجار أرفق
ووالله لولا تمره ما حببته • ولا كان أدنى من عبيد ومشرق

(فإن تولوا) يحتمل أن يكون ماضياً وأن يكون مضارعاً بمعنى فإن تتولوا ويدخل في جملة ما يقول الرسول لهم (وآل إبراهيم) إسمعيل وإسحق وأولادهما و(آل عمران) موسى وهرون ابنا عمران بن يصهر وقيل عيسى ومريم بنت عمران بن ماثان وبين العمرانين ألف وثمانمائة سنة و(ذرية) بدل من آل إبراهيم وآل عمران (بعضها من بعض) يعني أن الآلين ذرية واحدة متسلسلة بعضها متشعب من بعض موسى وهرون من عمران وعمران من يصهر ويصهر من قاهث وقاهث من لاوى ولاوى من يعقوب ويعقوب من إسحق وكذلك عيسى بن مريم بنت عمران بن ماثان بن سليمان بن داود بن إيشى بن يهوذا بن يعقوب بن إسحق وقد دخل في آل إبراهيم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل بعضها من بعض في الدين كقوله تعالى المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض (والله سميع عليم) يعلم من يصلح للاصطفاء أو يعلم أن بعضهم من بعض في الدين أو سميع عليم لقول امرأة عمران ونيتها و(إذ) منصوب به وقيل بإضمار اذكر • وامرأة عمران هي امرأة عمران بن ماثان أم مريم البتول جدة عيسى عليه السلام وهي حنة بنت فاقوذ وقوله (إذ قالت امرأة عمران) على أثر قوله وآل عمران مما يرجح أن عمران هو عمران بن ماثان جد عيسى والقول الآخر يرجحه أن موسى يقرن بإبراهيم كثيراً في الذكر (فإن قلت) كانت لعمران بن يصهر بنت اسمها مريم أكبر من موسى وهرون ولعمران بن ماثان مريم البتول فما أدراك أن عمران هذا هو أبو مريم البتول دون عمران أبي مريم التي هي أخت موسى وهرون (قلت) كفى بكفالة زكريا دليلاً على أنه عمران أبو البتول لأن زكريا بن آذن وعمران بن ماثان كانا في عصر واحد وقد تزوج زكريا بنته إيشاع أخت مريم فكان يحيى وعيسى ابني خالة

ويحذركم الله نفسه والى الله المصير قل ان تخفوا ما في صدوركم أو تبدوه يعلمه الله ويعلم ما في السموات وما في الارض والله على كل شيء قدير يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمدا بعيدا ويحذركم الله نفسه والله رؤف بالعباد قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم قل أطيعوا الله والرسول فان تولوا فان الله لا يحب الكافرين ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم اذ قالت امرأت عمران رب اني نذرت لك ما في بطني

• قوله تعالى ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين (قال محمود آل عمران موسى وهرون الخ) قال أحمد ومما يرجح هذا القول الثاني ان السورة تسمى آل عمران ولم تشرح قصة عيسى ومريم في سورة أبسط من شرحها في هذه السورة وأما موسى وهرون فلم يذكر من قصتهما في هذه السورة فدل ذلك على أن عمران المذكور ههنا هو أبو مريم والله أعلم

* قوله تعالى إذ قالت امرأة عمران إلى قوله فلما وضعتها (قال محمود الضمير عائد إلى ما في بطني الخ) قال أحمد الضمير في قوله وضعتها يتناول إذاً ما ناسب الوضع والانوثة فالحال وقعت عليها من حيث الجبلة والنسمة وثالث الجهة كونها شيئاً وضع لا لخصوص نسبة الانوثة لها وقد مر هذا البحث بعينه عند قوله تعالى فإن لم يكونا رجلين (عاد كلامه) قال وإنما أرادت بقولها وضعتها أنثى التحسر والتأسف الخ قال أحمد هذا التأويل على أنه من كلام الله تعالى لا حكاية عنها وقد ذكر أهل التفسير تأويلاً آخر وهو أن يكون هذا القول قولها حكاه الله تعالى عنها أعني قوله وليس الذكر كالأنثى ويرشد إليه عطف كلامها عليه وهو قوله وإني سميتها مريم فإنهم يوردون على هذا الوجه أن قياس كونه من قولها (٣٠٢) أن يكون وليست الأنثى كالذكر فإن مقصودها تنقص الأنثى بالنسبة إلى الذكر والعادة في مثله أن ينفى عن الناقص شبهه بالكامل لا العكس وقد وجد الأمر في ذلك بخلافه فلم يثبت إلى عين ما قالوه ألا ترى إلى قوله تعالى لستن كأحد من النساء فنفى عن الكامل شبه الناقص مع أن الكمال لأزواج النبي عليه الصلاة والسلام ثابت بالنسبة إلى عموم النساء وعلى ذلك جاءت عبارة امرأة عمران والله أعلم ومنه أيضاً أفمن يصعق كمن لا يصعق (عاد كلامه) قال وفائدة قولها وإني سميتها مريم أن مريم في لغتهم العابدة الخ (قال أحمد) أما الحديث فمذكور في الصحيح متفق على صحته فلا محيص له عن تعطيل كلامه عليه السلام بتحميله ما لا يحتمله جنوحاً إلى اعتزال منتزع في فلسفة منتزعة في الحاد ظلمات بعضها فوق بعض وقد تقدمت عند قوله تعالى لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس ما فيه كفاية وما أرى الشيطان إلا طعن في خواصر القدرية حتى بقرها وذكر في قلوبهم حتى حمل الزمخشري وأمثاله أن يقول في كتاب الله تعالى وكلام رسوله عليه السلام بما يتخيل كما قال في هذا الحديث ثم نظره بتخييل ابن الرومي في شعره وهو سوء أدب ولو كان معنى ما قاله صحيحاً لكانت هذه العبارة واجباً أن تجتنب ولو كان الصراخ غير واقع من المولود لأمكن على بعد أن يكون تخييلاً ولا ما هو واقع مشاهد فلا وجه لحمله على التخييل إلا الاعتقاد المنبل وارتكاب الهوى الوبيل

محرراً فتقبل مني إنك أنت السميع العليم فلما وضعتها قالت رب إني وضعتها أنثى والله أعلم بما وضعت وليس الذكر كالأنثى وإني سميتها مريم وإني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم

* روي أنها كانت عاقراً لم تلد إلى أن عجزت فبينما هي في ظل شجرة بصرت بطائر يطعم فرخه فتحركت نفسها للولد وتمنته فقالت اللهم إن لك علي نذراً شكراً إن رزقتني ولداً أن أتصدق به على بيت المقدس فيكون من سدنته وخدمه فحملت بمريم وهلك عمران وهي حامل (محرراً) معتقاً لخدمة بيت المقدس لا يد لي عليه ولا أستخدمه ولا أشغله بشيء وكان هذا النوع من النذر مشروعاً عندهم وروي أنهم كانوا ينذرون هذا النذر فإذا بلغ الغلام خير بين أن يفعل وبين أن لا يفعل وعن الشعبي محرراً مخلصاً للعبادة وما كان التحرير إلا للغلمان وإنما بنت الأمر على التقدير أو طلبت أن ترزق ذكراً (فلما وضعتها) الضمير لما في بطني وإنما أنث على المعنى لأن ما في بطنها كان أنثى في علم الله أو على تأويل الحبلة أو النفس أو النسمة (فإن قلت) كيف جاز انتصاب (أنثى) حالاً من الضمير في وضعتها وهو كقولك وضعت الأنثى أنثى (قلت) الأصل وضعته أنثى وإنما أنث لتأنيث الحال لأن الحال وذا الحال لشيء واحد كما أنث الاسم في ما كانت أمك لتأنيث الخبر ونظيره قوله تعالى فإن كانتا اثنتين وأما على تأويل الحبلة أو النسمة فهو ظاهر كأنه قيل إني وضعت الحبلة أو النسمة أنثى (فإن قلت) فلم قالت إني وضعتها أنثى وما أرادت إلى هذا القول (قلت) قالته تحسراً على ما رأت من خيبة رجائها وعكس تقديرها فتحزنت إلى ربها لأنها كانت ترجو وتقدر أن تلد ذكراً ولذلك نذرته محرراً للسدانة * ولتكلمها بذلك على وجه التحسر والتحزن قال الله تعالى (والله أعلم بما وضعت) تعظيماً لموضوعها وتجهيلاً لها بقدر ما وهب لها منه ومعناه والله أعلم بالشيء الذي وضعت وما علق به من عظائم الأمور وأن يجعله وولده آية للعالمين وهي جاهلة بذلك لا تعلم منه شيئاً فلذلك تحسرت وفي قراءة ابن عباس والله أعلم بما وضعت على خطاب الله تعالى لها أي إنك لا تعلمين قدر هذا الموهوب وما علم الله من عظم شأنه وعلو قدره وقرئ وضعت بمعنى ولعل لله تعالى فيه سراً وحكمة ولعل هذه الأنثى خير من الذكر تسلية لنفسها (فإن قلت) فما معنى قوله (وليس الذكر كالأنثى) (قلت) هو بيان لما في قوله والله أعلم بما وضعت من التعظيم للموضوع والرفع منه ومعناه وليس الذكر الذي طلبت كالأنثى التي وهبت لها واللام فيهما للعهد (فإن قلت) علام عطف قوله (وإني سميتها مريم) (قلت) هو عطف على إني وضعتها أنثى وما بينهما جملتان معترضتان كقوله تعالى وإنه لقسم لو تعلمون عظيم (فإن قلت) فلم ذكرت تسميتها مريم لربها (قلت) لأن مريم في لغتهم بمعنى العابدة فأرادت بذلك التقرب والطلب إليه أن يعصمها حتى يكون فعلها مطابقاً لاسمها وأن يصدق فيها ظنها بها ألا ترى كيف أتبعته طلب الإعاذة لها ولولدها من الشيطان وإغوائه وما يروى من الحديث ما من مولود يولد إلا والشيطان يمسه حين يولد فيستهل صارخاً من مس الشيطان إياه إلا مريم وابنها فالله أعلم بصحته فإن صح فمعناه أن كل مولود يطمع الشيطان في إغوائه إلا مريم وابنها فإنهما كانا معصومين وكذلك كل من كان في صفتهما كقوله تعالى لأغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين واستهلاله صارخاً من مسه تخييل وتصوير لطمعه فيه كأنه يمسه ويضرب بيده عليه ويقول هذا ممن أغويه ونحوه من التخييل قول ابن الرومي

لما تؤذن الدنيا به من صروفها * يكون بكاء الطفل ساعة يولد

وأما حقيقة المس والنخس كما يتوهم أهل الحشو فكلا ولو سلط إبليس على الناس ينخسهم لامتلأت الدنيا صراخا وعياطا مما يبلونا به من نخسه (فتقبلها ربها) فرضي بها في النذر مكان الذكر (بقبول حسن) فيه وجهان أحدهما أن يكون القبول اسم ما يقبل به الشيء كالسعوط واللدود لما يسعط به ويلد وهو اختصاصه لها بإقامتها مقام الذكر في النذر ولم يقبل قبلها أنثى في ذلك أو بأن تسلمها من أمها عقيب الولادة قبل أن تنشأ وتصلح للسدانة * وروى أن حنة حين ولدت مريم لفتها في خرقة وحملتها إلى المسجد ووضعتها عند الأحبار أبناء هرون وهم في بيت المقدس كالحجبة في الكعبة فقالت لهم دونكم هذه النذيرة فتنافسوا فيها لأنها كانت بنت إمامهم وصاحب قربانهم وكانت بنو ماثان رؤس بني إسرائيل وأحبارهم وملوكهم فقال لهم زكريا أنا أحق بها عندي خالتها فقالوا لا حتى نقترع عليها فانطلقوا وكانوا سبعة وعشرين إلى نهر فألقوا فيه أقلامهم فارتفع قلم زكريا فوق الماء ورسبت أقلامهم فتكفلها. والثاني أن يكون مصدرا على تقدير حذف المضاف بمعنى فتقبلها بذي قبول حسن أي بأمر ذي قبول حسن وهو الاختصاص ويجوز أن يكون معنى فتقبلها فاستقبلها كقولك تعجله بمعنى استعجله وتقصاه بمعنى استقصاه وهو كثير في كلامهم من استقبل الأمر إذا أخذه بأوله وعنفوانه قال القطامي

وخير الأمر ما استقبلت منه * وليس بأن تتبعه اتباعا

ومنه المثل خذ الأمر بقوابله أي فأخذها في أول أمرها حين ولدت بقبول حسن (وأنبتها نباتا حسنا) مجاز عن التربية الحسنة العائدة عليها بما يصلحها في جميع أحوالها وقرئ وكفلها زكريا وزكرياء (وكفلها زكريا) بتشديد الفاء ونصب زكريا الفعل لله تعالى بمعنى وضمها إليه وجعله كافلا لها وضامنا لمصالحها ويؤيدها قراءة أبي وأكفلها من قوله تعالى فقال أكفلنيها وقرأ مجاهد فتقبلها ربها وأنبتها وكفلها على لفظ الأمر في الأفعال الثلاثة ونصب ربها تدعو بذلك أي فتقبلها يا ربها وأنبتها يا ربها واجعل زكريا كافلا لها قيل بنى لها زكريا محرابا في المسجد أي غرفة يصعد إليها بسلم وقيل المحراب أشرف المجالس ومقدمها كأنها وضعت في أشرف موضع من بيت المقدس وقيل كانت مساجدهم تسمى المحاريب وروى أنه كان لا يدخل عليها إلا هو وحده وكان إذا خرج غلق عليها سبعة أبواب (وجد عندها رزقا) كان رزقها ينزل عليها من الجنة ولم ترضع ثديا قط فكان يجد عندها فاكهة الشتاء في الصيف وفاكهة الصيف في الشتاء (أنى لك هذا) من أين لك هذا الرزق الذي لا يشبه أرزاق الدنيا وهو آت في غير حينه والأبواب مغلقة عليك لا سبيل للداخل به إليك (قالت هو من عند الله) فلا تستبعد قيل تكلمت وهي صغيرة كما تكلم عيسى وهو في المهد وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه جاع في زمن قحط فأهدت له فاطمة رضي الله عنها رغيفين وبضعة لحم آثرته بها فرجع بها إليها وقال هلمي يا بنية فكشفت عن الطبق فإذا هو مملوء خبزا ولحما فبهتت وعلمت أنها نزلت من عند الله فقال لها صلى الله عليه وسلم أنى لك هذا فقالت هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب فقال عليه الصلاة والسلام الحمد لله الذي جعلك شبيهة بسيدة نساء بني إسرائيل ثم جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب والحسن والحسين وجميع أهل بيته فأكلوا عليه حتى شبعوا وبقي الطعام كما هو وأوسعت فاطمة على جيرانها (إن الله يرزق) من جملة كلام مريم عليها السلام أو من كلام رب العزة عز من قائل (بغير حساب) بغير تقدير لكثرته أو تفضلا بغير محاسبة ومجازاة على عمل بحسب الاستحقاق (هنالك) في ذلك المكان حيث هو قاعد عند مريم في المحراب أو في ذلك الوقت فقد يستعار هنا وثم وحيث للزمان لما رأى حال مريم في كرامتها على الله ومنزلتها رغب في أن يكون له من إيشاع ولد مثل ولد أختها حنة في النجابة والكرامة على الله وإن كانت عاقرا عجوزا فقد كانت أختها كذلك وقيل لما رأى الفاكهة في غير وقتها انتبه على جواز ولادة العاقر (ذرية) ولدا والذرية تقع على الواحد والجمع (سميع الدعاء) مجيبه * وقرئ فناداه الملائكة وقيل ناداه جبريل عليه السلام وإنما قيل الملائكة على قولهم فلان يركب الخيل (أن الله يبشرك) بالفتح على بأن الله وبالكسر على إرادة القول أو لأن النداء نوع من القول وقرئ يبشرك ويبشرك من بشره وأبشره ويبشرك بفتح الياء من

فتقبلها ربها بقبول حسن وأنبتها نباتا حسنا وكفلها زكريا كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا قال يا مريم أنى لك هذا قالت هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب هنالك دعا زكريا ربه قال رب هب لي من لدنك ذرية طيبة إنك سميع الدعاء فنادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب أن الله يبشرك بيحيى

قوله تعالى هنالك دعا زكريا ربه (قال محمود فقد يستعار هنا وثم وحيث للزمان الخ) قال أحمد لا يليق بالنبي أن يقف علمه بجواز ولادة العاقر على مشاهدة مثله فإن العقل يقضي بجواز ذلك في قدرة الله تعالى وإن لم يقع نظيره وأحسن من هذه العبارة وأسلم أن يقال لما شاهد وقوع هذا الحادث كرامة لمريم استمد أمله إلى حادث يناسبه كرامة له والله أعلم

يشره * ويحيى إن كان أعجميا وهو الظاهر فمنع صرفه للتعريف والعجمة كموسى وعيسى وإن كان عربيا فللتعريف ووزن الفعل كيعمر (مصدقا بكلمة من الله) مصدقا بعيسى مؤمنا به قيل هو أول من آمن به وسمي عيسى كلمة لأنه لم يوجد إلا بكلمة الله وحدها وهي قوله كن من غير سبب آخر وقيل مصدقا بكلمة من الله مؤمنا بكتاب منه وسمي الكتاب كلمة كما قيل كلمة الحويدرة لقصيدته * والسيد الذي يسود قومه أي يفوقهم في الشرف وكان يحيى فائقا لقومه وفائقا للناس كلهم في أنه لم يركب سيئة قط ويا لها من سيادة * والحصور الذي لا يقرب النساء حصرا لنفسه أي منعا لها من الشهوات وقيل هو الذي لا يدخل مع القوم في الميسر قال الأخطل

وشارب مربح بالكأس نادمني * لا بالحصور ولا فيها بسوار

فاستعير لمن لا يدخل في اللعب واللهو وقد روي أنه مر وهو طفل بصبيان فدعوه إلى اللعب فقال ما للعب خلقت (من الصالحين) ناشئا من الصالحين لأنه كان من أصلاب الأنبياء أو كائنا من جملة الصالحين كقوله وإنه في الآخرة لمن الصالحين (أنى يكون لي غلام) استبعاد من حيث العادة كما قالت مريم (وقد بلغني الكبر) كقولهم أدركته السن العالية والمعنى أثر في الكبر فأضعفني وكانت له تسع وتسعون سنة ولامرأته ثمان وتسعون (كذلك) أي يفعل الله ما يشاء من الأفعال العجيبة مثل ذلك الفعل وهو خلق الولد بين الشيخ الفاني والعجوز العاقر أو كذلك الله مبتدأ وخبر أي على نحو هذه الصفة الله ويفعل ما يشاء بيان له أي يفعل ما يريد من الأفاعيل الخارقة للعادات (آية) علامة أعرف بها الحبل لأتلقى النعمة إذا جاءت بالشكر (قال آيتك) أن لا تقدر على تكليم الناس (ثلاثة أيام) وإنما خص تكليم الناس ليعلمه أنه يحبس لسانه عن القدرة على تكليمهم خاصة مع إبقاء قدرته على التكلم بذكر الله ولذلك قال (واذكر ربك كثيرا وسبح بالعشي والإبكار) يعني في أيام عجزك عن تكليم الناس وهي من الآيات الباهرة (فإن قلت) لم حبس لسانه عن كلام الناس (قلت) ليخلص المدة لذكر الله لا يشغل لسانه بغيره توفرا منه على قضاء حق تلك النعمة الجسيمة وشكرها الذي طلب الآية من أجله كأنه لما طلب الآية من أجل الشكر قيل له آيتك أن تحبس لسانك إلا عن الشكر وأحسن الجواب وأوقعه ما كان مشتقا من السؤال ومنتزعا منه (إلا رمزا) إلا إشارة بيد أو رأس أو غيرهما وأصله التحرك يقال ارتمز إذا تحرك ومنه قيل للبحر الراموز وقرأ يحيى بن وثاب إلا رمزا بضمتين جمع رموز كرسول ورسل وقرئ رمزا بفتحتين جمع رامز كخادم وخدم وهو حال منه ومن الناس دفعة كقوله

متى ما تلقني فردين ترجف * روانف أليتيك وتستطارا

بمعنى إلا مترامزين كما يكلم الناس الأخرس بالإشارة ويكلمهم * والعشي من حين تزول الشمس إلى أن تغيب و(الإبكار) من طلوع الفجر إلى وقت الضحى وقرئ والأبكار بفتح الهمزة جمع بكر كسحر وأسحار يقال أتيته بكرا بفتحتين (فإن قلت) الرمز ليس من جنس الكلام فكيف استثني منه (قلت) لما أدى مؤدى الكلام وفهم منه ما يفهم منه سمي كلاما ويجوز أن يكون استثناء منقطعا (يا مريم) روي أنهم كلموها شفاها معجزة لزكريا أو إرهاصا لنبوة عيسى (اصطفاك) أولا حين تقبلك من أمك ورباك واختصك بالكرامة السنية (وطهرك) مما يستقذر من الأفعال ومما قرفك به اليهود (واصطفاك) آخرا (على نساء العالمين) بأن وهب لك عيسى من غير أب ولم يكن ذلك لأحد من النساء أمرت بالصلاة بذكر القنوت والسجود لكونهما من هيئات الصلاة وأركانها ثم قيل لها (واركعي مع الراكعين) بمعنى ولتكن صلاتك مع المصلين أي في الجماعة أو وانظمي نفسك في جملة المصلين وكوني معهم في عدادهم ولا تكوني في عداد غيرهم ويحتمل أن يكون في زمانها من كان يقوم ويسجد في صلاته ولا يركع وفيه من يركع فأمرت بأن تركع مع الراكعين ولا تكون مع من لا يركع (ذلك) إشارة إلى ما سبق من نبأ زكريا ويحيى ومريم وعيسى عليهم السلام يعني أن ذلك من الغيوب التي لم تعرفها إلا بالوحي (فإن قلت) لم نفيت المشاهدة وانتفاؤها معلوم بغير شبهة وترك نفي استماع الأنباء من حفاظها وهو موهوم (قلت) كان معلوما عندهم علما يقينا أنه ليس من أهل السماع والقراءة وكانوا منكرين للوحي فلم يبق إلا المشاهدة وهي في غاية الاستبعاد والاستحالة فنفيت على سبيل التهكم بالمنكرين للوحي مع علمهم بأنه لا سماع له

ولا

مصدقا بكلمة من الله وسيدا وحصورا ونبيا من الصالحين قال رب أنى يكون لي غلام وقد بلغني الكبر وامرأتي عاقر قال كذلك الله يفعل ما يشاء قال رب اجعل لي آية قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاثة أيام إلا رمزا واذكر ربك كثيرا وسبح بالعشي والإبكار وإذ قالت الملائكة يا مريم إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين يا مريم اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك وما كنت لديهم إذ يلقون

• قوله تعالى ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم (قال محمود ان قلت لم قيل عيسى بن مريم والخطاب لمريم الخ) قال أحمد ويحقق هذا الجواب قولها أنى يكون لى ولد ولم يمسسنى بشر وانه لم يتقدم فى وعد الله لها بالولد ما يدل على انه من غير أب الا انه لما نسبه اليها دل على انها فهمت من ذلك كونه من غير أب والله أعلم (عاد كلامه) قال فان قلت لم قيل

ولا قرأه ونحوه وما كنت بجانب الغربى وما كنت بجانب الطور وما كنت لديهم اذ أجمعوا أمرهم (أقلامهم) أزلامهم وهى قداحهم التى طرحوها فى النهر مقترعين وقيل هى الاقلام التى كانوا يكتبون بها التوراة اختاروها للقرعة تبركا بها (اذ يختصمون) فى شأنها تنافسا فى التكفل بها (فان قلت) أيهم يكفل بم يتعلق (قلت) بمحذوف دل عليه يلقون أقلامهم كأنه قيل يلقونها ينظرون أيهم يكفل أو ليعلموا أو يقولون (المسيح) لقب من الالقاب المشرفة كالصديق والفاروق وأصله مشيحا بالعبرانية ومعناه المبارك كقوله وجعلنى مباركا أينما كنت وكذلك (عيسى) معرب من ايشوع ومشتقهما من المسح والعيس كالراقم فى الماء (فان قلت) اذ قالت بم يتعلق (قلت) هو بدل من واذ قالت الملائكة ويجوز أن يبدل من اذ يختصمون على أن الاختصام والبشارة وقعا فى زمان واسع كما تقول لقيته سنة كذا (فان قلت) لم قيل عيسى ابن مريم والخطاب لمريم (قلت) لان الابناء ينسبون الى الآباء لا الى الامهات فاعلمت بنسبته اليها انه يولد من غير أب فلا ينسب الا الى أمه وبذلك فضلت واصطفيت على نساء العالمين (فان قلت) لم ذكر ضمير الكلمة (قلت) لان المسمى بها مذكر (فان قلت) لم قيل اسمه المسيح عيسى ابن مريم وهذه ثلاثة أشياء الاسم منها عيسى وأما المسيح والابن فلقب وصفة (قلت) الاسم للمسمى علامة يعرف بها ويتميز من غيره فكأنه قيل الذى يعرف به ويتميز ممن سواه مجموع هذه الثلاثة (وجيها) حال من كلمة وكذلك قوله ومن المقربين ويكلم ومن الصالحين أى يبشرك به موصوفا بهذه الصفات وصح انتصاب الحال من النكرة لكونها موصوفة • والوجاهة فى الدنيا النبوة والتقدم على الناس وفى الآخرة الشفاعة وعلو الدرجة فى الجنة • وكونه (من المقربين) رفعه الى السماء وصحبته للملائكة • والمهد ما يمهد للصبى من مضجعه سمى بالمصدر و (فى المهد) فى محل النصب على الحال (وكهلا) عطف عليه بمعنى ويكلم الناس طفلا وكهلا ومعناه يكلم الناس فى هاتين الحالتين كلام الانبياء من غير تفاوت بين حال الطفولة وحال الكهولة التى يستحكم فيها العقل ويستنبأ فيها الانبياء • ومن بدع التفاسير أن قولها (رب) نداء لجبريل عليه السلام بمعنى يا سيدى (ونعلمه) عطف على يبشرك أو على وجيها أو على يخلق أو هو كلام مبتدأ وقرأ عاصم ونافع ويعلمه بالياء (فان قلت) علام تحمل ورسولا ومصدقا من المنصوبات المتقدمة وقوله أنى قد جئتكم ولما بين يدى يأبى حمله عليها (قلت) هو من المضائق وفيه وجهان أحدهما أن يضمر له وأرسلت على ارادة القول تقديره ويعلمه الكتاب والحكمة ويقول أرسلت رسولا بأنى قد جئتكم ومصدقا لما بين يدى والثانى أن الرسول والمصدق فيهما معنى النطق فكأنه قيل وناطقا بأنى قد جئتكم وناطقا بأنى أصدق ما بين يدى وقرأ اليزيدى ورسول عطفا على كلمة (أنى قد جئتكم) أصله بأنى قد جئتكم فحذف الجار وانتصب بالفعل و (أنى أخلق) نصب بدل من أنى قد جئتكم أو جر بدل من آية أو رفع على هى أنى أخلق لكم وقرئ انى بالكسر على الاستئناف أى أقدر لكم شيأ مثل صورة الطير (فأنفخ فيه) الضمير للكاف أى فى ذلك الشئ المماثل لهيئة الطير (فيكون طيرا) فيصير طيرا كسائر الطيور حيا طيارا وقرأ عبد الله فأنفخها قال • كالهبرقى تنحى ينفخ الفحما • وقيل لم يخلق غير الخفاش (الاكمه) الذى ولد أعمى وقيل هو الممسوح العين ويقال لم يكن فى هذه الامة أكمه غير قتادة بن دعامة السدوسى صاحب التفسير وروى انه ربما اجتمع عليه خمسون ألفا من المرضى من أطاق منهم أتاه ومن لم يطق أتاه عيسى وما كانت مداواته الا بالدعاء وحده • وكرر (باذن الله) دفعا لوهم من توهم فيه الالهية • وروى انه أحيا سام بن

أقلامهم أيهم يكفل مريم وما كنت لديهم اذ يختصمون اذ قالت الملائكة يا مريم ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم وجيها فى الدنيا والآخرة ومن المقربين ويكلم الناس فى المهد وكهلا ومن الصالحين قالت رب أنى يكون لى ولد ولم يمسسنى بشر قال كذلك الله يخلق ما يشاء اذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل ورسولا الى بنى اسرائيل أنى قد جئتكم بآية من ربكم أنى أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيرا باذن الله وأبرئ الاكمه والابرص وأحيى الموتى باذن الله وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون فى بيوتكم ان فى ذلك لآية لكم ان كنتم مؤمنين ومصدقا لما بين يدى من التوراة

(قال أحمد) وفى هذا التقرير خلاص من اشكال يوردونه فيقولون المسيح فى الآية ان أريد به التسمية وهو الظاهر فما موقع قوله عيسى بن مريم والتسمية لا توصف بالنبوة وان أريد بالمسيح المسمى فهذه التسمية لم يلتئم مع قوله اسمه ويجاب عن الاشكال بأن المسيح خبر عن قوله اسمه والمراد التسمية وأما عيسى بن مريم فخبر مبتدأ محذوف تقديره هو عيسى بن مريم ويكون الضمير عائدا الى المسمى بالتسمية المذكورة منقطعا عن قوله المسيح والذى قرره الزمخشرى لا يرد عليه هذا الاشكال وهو حسن جدا والله أعلم

نوح وهم ينظرون فقالوا هذا سحر فأرنا آية فقال يا فلان أكلت كذا ويا فلان خبئ لك كذا • وقرئ تدخرون بالدال والتخفيف (ولأحل) رد على قوله بآية من ربكم أي جئتكم بآية من ربكم ولأحل لكم ويجوز أن يكون مصدقا مردودا عليه أيضا أي جئتكم بآية وجئتكم مصدقا • وما حرم الله عليهم في شريعة موسى الشحوم والثروب ولحوم الإبل والسمك وكل ذي ظفر فأحل لهم عيسى بعض ذلك قيل أحل لهم من السمك والطير ما لا صيصية له واختلفوا في إحلاله لهم السبت وقرئ حرم عليكم على تسمية الفاعل وهو ما بين يدي من التوراة أو الله عز وجل أو موسى عليه السلام لأن ذكر التوراة دل عليه ولأنه كان معلوما عندهم وقرئ حرم بوزن كرم (وجئتكم بآية من ربكم) شاهدة على صحة رسالتي وهي قوله (إن الله ربي وربكم) لأن جميع الرسل كانوا على هذا القول لم يختلفوا فيه • وقرئ بالفتح على البدل من آية وقوله فاتقوا الله وأطيعون اعتراض (فإن قلت) كيف جعل هذا القول آية من ربه (قلت) لأن الله تعالى جعله له علامة يعرف بها أنه رسول كسائر الرسل حيث هداه للنظر في أدلة العقل والاستدلال ويجوز أن يكون تكريرا لقوله جئتكم بآية من ربكم أي جئتكم بآية بعد أخرى مما ذكرت لكم من خلق الطير والإبراء والإحياء والإنباء بالخفيات وبغيره من ولادتي بغير أب ومن كلامي في المهد ومن سائر ذلك وقرأ عبد الله وجئتكم بآيات من ربكم فاتقوا الله لما جئتكم به من الآيات وأطيعون فيما أدعوكم إليه ثم ابتدأ فقال إن الله ربي وربكم ومعنى قراءة من فتح ولأن الله ربي وربكم فاعبدوه كقوله لإيلاف قريش فليعبدوا ويجوز أن يكون المعنى وجئتكم بآية على أن الله ربي وربكم وما بينهما اعتراض (فلما أحس) فلما علم منهم (الكفر) علما لا شبهة فيه كعلم ما يدرك بالحواس و(إلى الله) من صلة أنصاري مضمنا معنى الإضافة كأنه قيل من الذين يضيفون أنفسهم إلى الله ينصرونني كما ينصرني أو يتعلق بمحذوف حالا من الياء أي من أنصاري ذاهبا إلى الله ملتجئا إليه (نحن أنصار الله) أي أنصار دينه ورسوله • وحواري الرجل صفوته وخالصته ومنه قيل للحضريات الحواريات لخلوص ألوانهن ونظافتهن قال

فقل للحواريات يبكين غيرنا • ولا تبكنا إلا الكلاب النوابح

وفي وزنه الحوالي وهو الكثير الحيلة • وإنما طلبوا شهادته بإسلامهم تأكيدا لإيمانهم لأن الرسل يشهدون يوم القيامة لقومهم وعليهم (مع الشاهدين) مع الأنبياء الذين يشهدون لأممهم أو مع الذين يشهدون بالوحدانية وقيل مع أمة محمد صلى الله عليه وسلم لأنهم شهداء على الناس (ومكروا) الواو لكفار بني إسرائيل الذين أحس منهم الكفر ومكرهم أنهم وكلوا به من يقتله غيلة (ومكر الله) أن رفع عيسى إلى السماء وألقى شبهه على من أراد اغتياله حتى قتل (والله خير الماكرين) أقواهم مكرا وأنفذهم كيدا وأقدرهم على العقاب من حيث لا يشعر المعاقب (إذ قال الله) ظرف لخير الماكرين أو لمكر الله (إني متوفيك) أي مستوفي أجلك ومعناه إني عاصمك من أن يقتلك الكفار ومؤخرك إلى أجل كتبته لك ومميتك حتف أنفك لا قتلا بأيديهم (ورافعك إلي) إلى سمائي ومقر ملائكتي (ومطهرك من الذين كفروا) من سوء جوارهم وخبث صحبتهم وقيل متوفيك قابضك من الأرض من توفيت مالي على فلان إذا استوفيته وقيل مميتك في وقتك بعد النزول من السماء ورافعك الآن وقيل متوفي نفسك بالنوم من قوله والتي لم تمت في منامها ورافعك وأنت نائم حتى لا يلحقك خوف وتستيقظ وأنت في السماء آمن مقرب (فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة) يعلونهم بالحجة وفي أكثر الأحوال بها وبالسيف ومتبعوه هم المسلمون لأنهم متبعوه في أصل الإسلام وإن اختلفت الشرائع دون الذين كذبوه وكذبوا عليه من اليهود والنصارى (فأحكم بينكم) تفسير الحكم قوله (فأعذبهم • فيوفيهم أجورهم) وقرئ فيوفيهم بالياء (ذلك) إشارة إلى ما سبق من نبأ عيسى وغيره وهو مبتدأ خبره (نتلوه) و(من الآيات) خبر بعد خبر أو خبر مبتدأ محذوف ويجوز أن يكون ذلك بمعنى الذي ونتلوه صلته ومن الآيات الخبر ويجوز أن ينتصب ذلك بمضمر يفسره نتلوه (والذكر الحكيم) القرآن وصف بصفة من هو من سببه أو كأنه ينطق بالحكمة لكثرة حكمه (إن مثل عيسى) إن شأن عيسى وحاله الغريبة كشأن آدم وقوله (خلقه من تراب)

ولأحل لكم بعض الذي حرم عليكم وجئتكم بآية من ربكم فاتقوا الله وأطيعون إن الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم فلما أحس عيسى منهم الكفر قال من أنصاري إلى الله قال الحواريون نحن أنصار الله آمنا بالله واشهد بأنا مسلمون ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين إذ قال الله يا عيسى إني متوفيك ورافعك إلي ومطهرك من الذين كفروا وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة ثم إلي مرجعكم فأحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون فأما الذين كفروا فأعذبهم عذابا شديدا في الدنيا والآخرة وما لهم من ناصرين وأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم أجورهم والله لا يحب الظالمين ذلك نتلوه عليك من الآيات والذكر الحكيم إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب

خلقه معجزة لما له شبه عيسى بآدم أي خلق آدم من تراب ولم يكن ثمة أب ولا أم فكذلك حال عيسى (فإن قلت) كيف شبه به وقد وجد هو بغير أب ووجد آدم بغير أب وأم (قلت) هو مثيله في أحد الطرفين فلا يمنع اختصاصه دونه بالطرف الآخر من تشبيهه به لأن المماثلة مشاركة في بعض الأوصاف ولأنه شبه به في أنه وجد وجودا خارجا عن العادة المستمرة وهما في ذلك نظيران ولأن الوجود من غير أب وأم أغرب وأخرق للعادة من الوجود من غير أب فشبه الغريب بالأغرب ليكون أقطع للخصم وأحسم لمادة شبهته إذا نظر فيما هو أغرب مما استغربه وعن بعض العلماء أنه أسر بالروم فقال لهم لم تعبدون عيسى قالوا لأنه لا أب له قال فآدم أولى لأنه لا أبوين له قالوا كان يحيي الموتى قال فحزقيل أولى لأن عيسى أحيا أربعة نفر وأحيا حزقيل ثمانية آلاف وقالوا كان يبرئ الأكمه والأبرص قال فجرجيس أولى لأنه طبخ وأحرق ثم قام سالما * خلقه من تراب قدره جسدا من طين (ثم قال له كن) أي أنشأه بشرا كقوله ثم أنشأناه خلقا آخر (فيكون) حكاية حال ماضية (الحق من ربك) خبر مبتدإ محذوف أي هو الحق كقول أهل خيبر محمد والخميس ونهيه عن الامتراء وجل رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكون ممتريا من باب التهييج لزيادة الثبات والطمأنينة وأن يكون لطفا لغيره (فمن حاجك) من النصارى (فيه) في عيسى (من بعد ما جاءك من العلم) أي من البينات الموجبة للعلم (تعالوا) هلموا والمراد المجيء بالرأي والعزم كما تقول تعال نفكر في هذه المسألة (ندع أبناءنا وأبناءكم) أي يدع كل مني ومنكم أبناءه ونساءه ونفسه إلى المباهلة (ثم نبتهل) ثم نتباهل بأن نقول بهلة الله على الكاذب منا ومنكم والبهلة بالفتح والضم اللعنة وبهله الله لعنه وأبعده من رحمته من قولك أبهله إذا أهمله وناقة باهل لا صرار عليها وأصل الابتهال هذا ثم استعمل في كل دعاء يجتهد فيه وإن لم يكن التعانا وروي أنهم لما دعاهم إلى المباهلة قالوا حتى نرجع وننظر فلما تخالوا قالوا للعاقب وكان ذا رأيهم يا عبد المسيح ما ترى فقال والله لقد عرفتم يا معشر النصارى أن محمدا نبي مرسل ولقد جاءكم بالفصل من أمر صاحبكم والله ما باهل قوم نبيا قط فعاش كبيرهم ولا نبت صغيرهم ولئن فعلتم لتهلكن فإن أبيتم إلا إلف دينكم والإقامة على ما أنتم عليه فوادعوا الرجل وانصرفوا إلى بلادكم فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد غدا محتضنا الحسين آخذا بيد الحسن وفاطمة تمشي خلفه وعلي خلفها وهو يقول إذا أنا دعوت فأمنوا فقال أسقف نجران يا معشر النصارى إني لأرى وجوها لو شاء الله أن يزيل جبلا من مكانه لأزاله بها فلا تباهلوا فتهلكوا ولا يبقى على وجه الأرض نصراني إلى يوم القيامة فقالوا يا أبا القاسم رأينا أن لا نباهلك وأن نقرك على دينك ونثبت على ديننا قال فإذا أبيتم المباهلة فأسلموا يكن لكم ما للمسلمين وعليكم ما عليهم فأبوا قال فإني أناجزكم فقالوا ما لنا بحرب العرب طاقة ولكن نصالحك على أن لا تغزونا ولا تخيفنا ولا تردنا عن ديننا على أن نؤدي إليك كل عام ألفي حلة ألف في صفر وألف في رجب وثلاثين درعا عادية من حديد فصالحهم على ذلك وقال والذي نفسي بيده إن الهلاك قد تدلى على أهل نجران ولو لاعنوا لمسخوا قردة وخنازير ولاضطرم عليهم الوادي نارا ولاستأصل الله نجران وأهله حتى الطير على رؤوس الشجر ولما حال الحول على النصارى كلهم حتى يهلكوا وعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج وعليه مرط مرحل من شعر أسود فجاء الحسن فأدخله ثم جاء الحسين فأدخله ثم فاطمة ثم علي ثم قال إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت (فإن قلت) ما كان دعاؤه إلى المباهلة إلا ليتبين الكاذب منه ومن خصمه وذلك أمر يختص به وبمن يكاذبه فما معنى ضم الأبناء والنساء (قلت) ذلك آكد في الدلالة على ثقته بحاله واستيقانه بصدقه حيث استجرأ على تعريض أعزته وأفلاذ كبده وأحب الناس إليه لذلك ولم يقتصر على تعريض نفسه له وعلى ثقته بكذب خصمه حتى يهلك خصمه مع أحبته وأعزته هلاك الاستئصال إن تمت المباهلة وخص الأبناء والنساء لأنهم أعز الأهل وألصقهم بالقلوب وربما فداهم الرجل بنفسه وحارب دونهم حتى يقتل ومن ثمة كانوا يسوقون مع أنفسهم الظعائن في الحروب لتمنعهم من الهرب ويسمون الذادة عنها بأرواحهم حماة الحقائق وقدمهم في الذكر على الأنفس لينبه على لطف مكانهم وقرب منزلتهم وليؤذن بأنهم مقدمون على الأنفس مفدون بها وفيه دليل لا شيء أقوى منه على فضل أصحاب

ثم قال له كن فيكون الحق من ربك فلا تكن من الممترين فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين

ان هذا لهو القصص الحق وما من اله الا الله وان الله لهو العزيز الحكيم فان تولوا فان الله عليم بالمفسدين قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد الا الله ولا نشرك به شيأ ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون يا أهل الكتاب لم تحاجون في ابراهيم وما أنزلت التوراة والانجيل الا من بعده أفلا تعقلون ها أنتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم والله يعلم وأنتم لا تعلمون ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين ان أولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا والله ولي المؤمنين ودت طائفة من أهل الكتاب لو يضلونكم وما يضلون الا أنفسهم وما يشعرون يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله وأنتم تشهدون يا أهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وأنتم تعلمون وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا وجه النهار

الكساء عليهم السلام وفيه برهان واضح على صحة نبوة النبي صلى الله عليه وسلم لانه لم يرو أحد من موافق ولا مخالف أنهم أجابوا الى ذلك (ان هذا) الذي قص عليك من نبا عيسى (لهو القصص الحق) وقرئ بتحريك الهاء على الاصل وبالسكون لان اللام تنزل من هو منزلة بعضه فخفف كما خفف عضد وهو فصل بين اسم ان وخبرها او مبتدأ والقصص الحق خبره والجملة خبر ان (فان قلت) لم جاز دخول اللام على الفصل (قلت) اذا جاز دخولها على الخبر كان دخولها على الفصل أجوز لانه أقرب الى المبتدأ منه وأصلها أن تدخل على المبتدأ ومن في قوله (وما من اله الا الله) بمنزلة البناء على الفتح في لا اله الا الله في افادة معنى الاستغراق والمراد الرد على النصارى في تثليثهم (وان الله عليم بالمفسدين) وعيد لهم بالعذاب المذكور في قوله زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون (يا أهل الكتاب) قيل هم أهل الكتابين وقيل وفد نجران وقيل يهود المدينة (سواء بيننا وبينكم) مستوية بيننا وبينكم لا يختلف فيها القرآن والتوراة والانجيل وتفسير الكلمة قوله (ألا نعبد الا الله ولا نشرك به شيأ ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله) يعني تعالوا اليها حتى لا نقول عزير ابن الله ولا المسيح ابن الله لان كل واحد منهما بعضنا بشر مثلنا ولا نطيع أحبارنا فيما أحدثوا من التحريم والتحليل من غير رجوع الى ما شرع الله كقوله تعالى اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا الا ليعبدوا الها واحدا وعن عدي بن حاتم ما كنا نعبدهم يا رسول الله قال أليس كانوا يحلون لكم ويحرمون فتأخذون بقولهم قال نعم قال هو ذلك وعن الفضيل لا أبالي أطعت مخلوقا في معصية الخالق أو صليت لغير القبلة ● وقرئ كلمة بسكون اللام ● وقرأ الحسن سواء بالنصب بمعنى استوت استواء (فان تولوا) عن التوحيد (فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون) أي لزمتكم الحجة فوجب عليكم أن تعترفوا وتسلموا بأنا مسلمون دونكم كما يقول الغالب للمغلوب في جدال أو صراع أو غيرهما اعترف بأني أنا الغالب وسلم لي الغلبة ويجوز أن يكون من باب التعريض ومعناه اشهدوا واعترفوا بأنكم كافرون حيث توليتم عن الحق بعد ظهوره ● زعم كل فريق من اليهود والنصارى أن ابراهيم كان منهم وجادلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين فيه فقيل لهم ان اليهودية انما حدثت بعد نزول التوراة والنصرانية بعد نزول الانجيل وبين ابراهيم وموسى ألف سنة وبينه وبين عيسى ألفان فكيف يكون ابراهيم على دين لم يحدث الا بعد عهده بأزمنة متطاولة (أفلا تعقلون) حتى لا تجادلوا مثل هذا الجدال المحال (ها أنتم هؤلاء) ها للتنبيه وأنتم مبتدأ وهؤلاء خبره و(حاججتم) جملة مستأنفة مبينة للجملة الاولى يعني أنتم هؤلاء الاشخاص الحمقى وبيان حماقتكم وقلة عقولكم أنكم جادلتم (فيما لكم به علم) مما نطق به التوراة والانجيل (فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم) ولا ذكر له في كتابكم من دين ابراهيم وعن الاخفش ها أنتم هو أأنتم على الاستفهام فقلبت الهمزة هاء ومعنى الاستفهام التعجب من حماقتهم وقيل هؤلاء بمعنى الذين وحاججتم صلته (والله يعلم) علم ما حاججتم فيه (وأنتم) جاهلون به ● ثم أعلمهم بأنه بريء من دينكم وما كان الا (حنيفا مسلما وما كان من المشركين) كما لم يكن منكم وأراد بالمشركين اليهود والنصارى لاشراكهم به عزيرا والمسيح (ان أولى الناس بابراهيم) ان أخصهم به وأقربهم منه من الولي وهو القرب (للذين اتبعوه) في زمانه وبعده (وهذا النبي) خصوصا (والذين آمنوا) من أمته وقرئ وهذا النبي بالنصب عطفا على الهاء في اتبعوه أي اتبعوه واتبعوا هذا النبي وبالجر عطفا على ابراهيم (ودت طائفة) هم اليهود دعوا حذيفة وعمارا ومعاذا الى اليهودية (وما يضلون الا أنفسهم) وما يعود وبال الاضلال الا عليهم لان العذاب يضاعف لهم بضلالهم واضلالهم أو وما يقدرون على اضلال المسلمين وانما يضلون أمثالهم من أشياعهم (بآيات الله) بالتوراة والانجيل وكفرهم بها أنهم لا يؤمنون بما نطقت به من صحة نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وغيرها وشهادتهم اعترافهم بأنها آيات الله أو تكفرون بالقرآن ودلائل نبوة الرسول (وأنتم تشهدون) نعته في الكتابين أو تكفرون بآيات الله جميعا وأنتم تعلمون أنها حق ● وقرئ تلبسون بالتشديد وقرأ يحيى بن وثاب تلبسون بفتح الباء أي تلبسون الحق مع الباطل كقوله كلابس ثوبي زور وقوله ● اذا هو بالمجد ارتدى وتأزرا ● (وجه النهار) أوله قال

واكفروا آخره لعلهم يرجعون ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم قل إن الهدى هدى الله أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم أو يحاجوكم عند ربكم قل إن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم • ومن أهل الكتاب من إن تأمنه بقنطار يؤده إليك ومنهم من إن تأمنه بدينار لا يؤده إليك إلا ما دمت عليه قائما ذلك بأنهم قالوا ليس علينا في الأميين سبيل

من كان مسرورا بمقتل مالك • فليأت نسوتنا بوجه نهار

والمعنى أظهروا الإيمان بما أنزل على المسلمين في أول النهار (واكفروا) به في آخره لعلهم يشكون في دينهم ويقولون ما رجعوا وهم أهل كتاب وعلم إلا لأمر قد تبين لهم فيرجعون برجوعكم وقيل تواطأ اثنا عشر من أحبار يهود خيبر وقال بعضهم لبعض ادخلوا في دين محمد أول النهار من غير اعتقاد واكفروا به آخر النهار وقولوا إنا نظرنا في كتبنا وشاورنا علماءنا فوجدنا محمدا ليس بذلك المنعوت وظهر لنا كذبه وبطلان دينه فإذا فعلتم ذلك شك أصحابه في دينهم وقيل هذا في شأن القبلة لما صرفت إلى الكعبة قال كعب بن الأشرف لأصحابه آمنوا بما أنزل عليهم من الصلاة إلى الكعبة وصلوا إليها أول النهار ثم اكفروا به في آخره وصلوا إلى الصخرة لعلهم يقولون هم أعلم منا وقد رجعوا فيرجعون (ولا تؤمنوا) متعلق بقوله أن يؤتى أحد وما بينهما اعتراض أي ولا تظهروا إيمانكم بأن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم إلا لأهل دينكم دون غيرهم أرادوا أسروا تصديقكم بأن المسلمين قد أوتوا من كتب الله مثل ما أوتيتم ولا تفشوه إلا إلى أشياعكم وحدهم دون المسلمين لئلا يزيدهم ثباتا ودون المشركين لئلا يدعوهم إلى الإسلام (أو يحاجوكم عند ربكم) عطف على أن يؤتى والضمير في يحاجوكم لأحد لأنه في معنى الجمع بمعنى ولا تؤمنوا لغير أتباعكم أن المسلمين يحاجونكم يوم القيامة بالحق ويغالبونكم عند الله تعالى بالحجة (فإن قلت) فما معنى الاعتراض (قلت) معناه أن الهدى هدى الله من شاء أن يلطف به حتى يسلم أو يزيد ثباته على الإسلام كان ذلك ولم ينفع كيدكم وحيلكم وزيكم تصديقكم عن المسلمين والمشركين وكذلك قوله تعالى (قل إن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء) يريد الهداية والتوفيق أو يتم الكلام عند قوله إلا لمن تبع دينكم على معنى ولا تؤمنوا هذا الإيمان الظاهر وهو إيمانهم وجه النهار إلا لمن تبع دينكم إلا لمن كانوا تابعين لدينكم ممن أسلموا منكم لأن رجوعهم كان أرجى عندهم من رجوع من سواهم ولأن إسلامهم كان أغيظ لهم وقوله أن يؤتى معناه لأن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم قلتم ذلك ودبرتموه لا لشيء آخر يعني أن ما بكم من الحسد والبغي أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم من فضل العلم والكتاب دعاكم إلى أن قلتم ما قلتم والدليل عليه قراءة ابن كثير أأن يؤتى أحد بزيادة همزة الاستفهام للتقرير والتوبيخ بمعنى ألأن يؤتى أحد (فإن قلت) فما معنى قوله أو يحاجوكم على هذا (قلت) معناه دبرتم ما دبرتم لأن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم ولما يتصل به عند كفركم به من محاجتهم لكم عند ربكم ويجوز أن يكون هدى الله بدلا من الهدى وأن يؤتى أحد خبر إن على معنى قل إن هدى الله أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم أو يحاجوكم حتى يحاجوكم عند ربكم فيقرعوا باطلكم بحقهم ويدحضوا حجتكم • وقرئ إن يؤتى أحد على إن النافية وهو متصل بكلام أهل الكتاب أي ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم وقولوا لهم ما يؤتى أحد مثل ما أوتيتم حتى يحاجوكم عند ربكم يعني ما يؤتون مثله فلا يحاجونكم ويجوز أن ينتصب أن يؤتى بفعل مضمر يدل عليه قوله ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم كأنه قيل قل إن الهدى هدى الله فلا تنكروا أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم لأن قولهم ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم إنكار لأن يؤتى أحد مثل ما أوتوا • عن ابن عباس (من إن تأمنه بقنطار) هو عبد الله بن سلام استودعه رجل من قريش ألفا ومائتي أوقية ذهبا فأداه إليه و(من إن تأمنه بدينار) فنحاص بن عازوراء استودعه رجل من قريش دينارا فجحده وخانه وقيل المأمونون على الكثير النصارى لغلبة الأمانة عليهم والخائنون في القليل اليهود لغلبة الخيانة عليهم (إلا ما دمت عليه قائما) إلا مدة دوامك عليه يا صاحب الحق قائما على رأسه متوكلا عليه بالمطالبة والتعنيف أو بالرفع إلى الحاكم وإقامة البينة عليه • وقرئ يؤده بكسر الهاء والوصل وبكسرها بغير وصل وبسكونها وقرأ يحيى بن وثاب تيمنه بكسر التاء ودمت بكسر الدال من دام يدام (ذلك) إشارة إلى ترك الأداء الذي دل عليه لم يؤده أي تركهم أداء الحقوق بسبب قولهم (ليس علينا في الأميين سبيل) أي لا يتطرق علينا عتاب وذم في شأن الأميين يعنون الذين ليسوا من أهل الكتاب وما فعلنا بهم من حبس أموالهم والإضرار

(قال محمود أو يحاجوكم معطوف على أن يؤتى الخ) قال أحمد وفي هذا الوجه من الإعراب إشكال وهو وقوع أحد في الواجب لأن الاستفهام هنا إنكار واستفهام الإنكار في مثله إثبات إذ حاصله أنه أنكر عليهم ووبخهم على ما وقع منهم وهو حصرهم الإيمان بأن النبوة لا تعدو بني إسرائيل لأجل العلتين المذكورتين فهو إثبات محقق ويمكن أن يقال روعيت صيغة الاستفهام وإن لم يكن المراد حقيقته فحسن لذلك دخول أحد في سياقه والله أعلم (قال محمود والضمير في يحاجوكم لأحد لأنه في معنى الجمع الخ) قال أحمد أي حيث كان نكرة في سياق النفي كما وصفه بالجمع في قوله فما منكم من أحد عنه حاجزين

م لأنهم ليسوا على ديننا وكانوا يستحلون ظلم من خالفهم ويقولون لم يجعل لهم في كتابنا حرمة وقيل بايع
اليهود رجالا من قريش فلما أسلموا تقاضوهم فقالوا ليس لكم علينا حق حيث تركتم دينكم وادعوا أنهم
وجدوا ذلك في كتابهم وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال عند نزولها كذب أعداء الله ما من شيء في الجاهلية
إلا وهو تحت قدمي إلا الأمانة فإنها مؤداة إلى البر والفاجر وعن ابن عباس أنه سأله رجل فقال إنا نصيب في
الغزو من أموال أهل الذمة الدجاجة والشاة قال فتقولون ماذا قال نقول ليس علينا في ذلك بأس قال هذا
كما قال أهل الكتاب ليس علينا في الأميين سبيل إنهم إذا أدوا الجزية لم تحل لكم أموالهم إلا بطيبة
أنفسهم (ويقولون على الله الكذب) بادعائهم أن ذلك في كتابهم (وهم يعلمون) أنهم كاذبون (بلى) إثبات
لما نفوه من السبيل عليهم في الأميين أي بلى عليهم سبيل فيهم وقوله (من أوفى بعهده) جملة مستأنفة مقررة
للجملة التي سدت بلى مسدها والضمير في بعهده راجع إلى من أوفى على أن كل من أوفى بما عاهد عليه واتقى
الله في ترك الخيانة والغدر فإن الله يحبه (فإن قلت) فهذا عام يخيل أنه لو وفى أهل الكتاب بعهودهم وتركوا
الخيانة لكسبوا محبة الله (قلت) أجل لأنهم إذا وفوا بالعهود وفوا أول شيء بالعهد الأعظم وهو ما أخذ عليهم
في كتابهم من الإيمان برسول مصدق لما معهم ولو اتقوا الله في ترك الخيانة لاتقوه في ترك الكذب على
الله وتحريف كلمه ويجوز أن يرجع الضمير إلى الله تعالى على أن كل من وفى بعهد الله واتقاه فإن الله يحبه
ويدخل في ذلك الإيمان وغيره من الصالحات وما وجب اتقاؤه من الكفر وأعمال السوء (فإن قلت)
فأين الضمير الراجع من الجزاء إلى من (قلت) عموم المتقين قام مقام رجوع الضمير وعن ابن عباس نزلت
في عبد الله بن سلام وبحيرا الراهب ونظرائهما من مسلمة أهل الكتاب (يشترون) يستبدلون (بعهد الله)
بما عاهدوه عليه من الإيمان بالرسول المصدق لما معهم (وأيمانهم) وبما حلفوا به من قولهم والله لنؤمنن
به ولننصرنه (ثمنا قليلا) متاع الدنيا من الترؤس والارتشاء ونحو ذلك وقيل نزلت في أبي رافع ولبابة بن أبي
الحقيق وحيي بن أخطب حرفوا التوراة وبدلوا صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخذوا الرشوة على
ذلك وقيل جاءت جماعة من اليهود إلى كعب بن الأشرف في سنة أصابتهم ممتارين فقال لهم هل تعلمون أن
هذا الرجل رسول الله قالوا نعم قال لقد هممت أن أميركم وأكسوكم فحرمكم الله خيرا كثيرا فقالوا لعله شبه
علينا فرويدا حتى نلقاه فانطلقوا فكتبوا صفة غير صفته ثم رجعوا إليه وقالوا قد غلطنا وليس هو بالنعت
الذي نعت لنا ففرح ومارهم وعن الأشعث بن قيس نزلت في كانت بيني وبين رجل خصومة في بئر
فاختصمنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال شاهداك أو يمينه فقلت إذن يحلف ولا يبالي فقال من
حلف على يمين يستحق بها مالا هو فيها فاجر لقي الله وهو عليه غضبان وقيل نزلت في رجل أقام سلعة في
السوق فحلف لقد أعطي بها ما لم يعطه والوجه أن نزولها في أهل الكتاب وقوله بعهد الله يقوي رجوع
الضمير في بعهده إلى الله (ولا ينظر إليهم) مجاز عن الاستهانة بهم والسخط عليهم تقول فلان لا ينظر إلى
فلان تريد نفي اعتداده به وإحسانه إليه (ولا يزكيهم) ولا يثني عليهم (فإن قلت) أي فرق بين استعماله فيمن
يجوز عليه النظر وفيمن لا يجوز عليه (قلت) أصله فيمن يجوز عليه النظر الكناية لأن من اعتد بالإنسان
التفت إليه وأعاره نظر عينيه ثم كثر حتى صار عبارة عن الاعتداد والإحسان وإن لم يكن ثم نظر ثم جاء فيمن
لا يجوز عليه النظر مجردا لمعنى الإحسان مجازا عما وقع كناية عنه فيمن يجوز عليه النظر (لفريقا) هم كعب
بن الأشرف ومالك بن الصيف وحيي بن أخطب وغيرهم (يلوون ألسنتهم بالكتاب) يفتلونها بقراءته عن
الصحيح إلى المحرف وقرأ أهل المدينة يلوون بالتشديد كقوله لووا رؤسهم وعن مجاهد وابن كثير يلون
ووجهه أنهما قلبا الواو المضمومة همزة ثم خففوها بحذفها وإلقاء حركتها على الساكن قبلها (فإن قلت) إلام
يرجع الضمير في (لتحسبوه) قلت إلى ما دل عليه يلوون ألسنتهم بالكتاب وهو المحرف ويجوز أن يراد
يعطفون ألسنتهم بشبه الكتاب لتحسبوا ذلك الشبه من الكتاب وقرئ ليحسبوه بالياء بمعنى يفعلون ذلك
ليحسبه المسلمون من الكتاب (ويقولون هو من عند الله) تأكيد لقوله هو من الكتاب وزيادة تشنيع
عليهم وتسجيل بالكذب ودلالة على أنهم لا يعرضون ولا يورون وإنما يصرحون بأنه في التوراة هكذا

ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون بلى من أوفى بعهده واتقى فإن الله يحب المتقين إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلا أولئك لا خلاق لهم في الآخرة ولا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم وإن منهم لفريقا يلوون ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون

وقد أريه الله تعالى على موسى كذلك لفرط جراءتهم على الله وقساوة قلوبهم ويأسهم من الآخرة وعن ابن عباس هم اليهود الذين قدموا على كعب بن الاشرف غيروا التوراة وكتبوا كتابا بدلوا فيه صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أخذت قريظة ما كتبوه فخلطوه بالكتاب الذى عندهم (ما كان لبشر) تكذيب لمن اعتقد عبادة عيسى وقيل ان أبا رافع القرظي والسيد من نصارى نجران قالا لرسول الله صلى الله عليه وسلم أتريد أن نعبدك ونتخذك ربا فقال معاذ الله أن نعبد غير الله أو أن نأمر بعبادة غير الله فما بذلك بعثني ولا بذلك أمرني فنزلت وقيل قال رجل يا رسول الله نسلم عليك كما يسلم بعضنا على بعض أفلا نسجد لك قال لا ينبغي أن يسجد لاحد من دون الله ولكن أكرموا نبيكم واعرفوا الحق لاهله (والحكم) والحكمة وهى السنة (ولكن كونوا ربانيين) ولكن يقول كونوا والرباني منسوب الى الرب بزيادة الالف والنون كما يقال رقباني ولحياني وهو الشديد التمسك بدين الله وطاعته وعن محمد بن الحنفية أنه قال حين مات ابن عباس اليوم مات رباني هذه الامة وعن الحسن ربانيين علماء فقهاء وقيل علماء معلمين وكانوا يقولون الشارع رباني العالم العامل المعلم (بما كنتم) بسبب كونكم عالمين وبسبب كونكم دارسين للعلم أوجب أن تكون الربانية التى هى قوة التمسك بطاعة الله مسببة عن العلم والدراسة وكفى به دليلا على خيبة سعى من جهد نفسه وكدروحه فى جمع العلم ثم لم يجعله ذريعة الى العمل فكان مثله مثل من غرس شجرة حسناء تونقه بمنظرها ولا تنفعه بثمرها وقرئ تعلمون من التعليم وتعلمون من العلم (تدرسون) تقرؤن وقرئ تدرسون من التدريس وتدرسون على أن أدرس بمعنى درس كأكرم وكرم وأنزل ونزل وتدرسون من التدرس ويجوز أن يكون معناه ومعنى تدرسون بالتخفيف تدرسونه على الناس كقوله لتقرأه على الناس فيكون معناه معنى تدرسون من التدريس وفيه أن من علم ودرس العلم ولم يعمل به فليس من الله فى شئ وأن السبب بينه وبين ربه منقطع حيث لم يثبت النسبة اليه الا للمتمسكين بطاعته • قرئ ولا يأمركم بالنصب عطفا على ثم يقول وفيه وجهان أحدهما أن تجعل لا مزيدة لتأكيد معنى النفى فى قوله ما كان لبشر والمعنى ما كان لبشر أن يستنبئه الله وينصبه للدعاء الى اختصاص الله بالعبادة وترك الانداد ثم يأمر الناس بأن يكونوا عبادا له ويأمركم (أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا) كما تقول ما كان لزيد أن أكرمه ثم يهينني ويستخف بى والثانى أن تجعل لا غير مزيدة والمعنى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ينهى قريشا عن عبادة الملائكة واليهود والنصارى عن عبادة عزير والمسيح فلما قالوا له أنتخذك ربا قيل لهم ما كان لبشر أن يستنبئه الله ثم يأمر الناس بعبادته وينهاكم عن عبادة الملائكة والانبياء والقراءة بالرفع على ابتداء الكلام أظهر وتنصرها قراءة عبد الله ولن يأمركم والضمير فى ولا يأمركم وأيأمركم لبشر وقيل لله والهمزة فى أيأمركم للانكار (بعد اذ أنتم مسلمون) دليل على أن المخاطبين كانوا مسلمين وهم الذين استأذنوه أن يسجدوا له (ميثاق النبيين) فيه غير وجه أحدها أن يكون على ظاهره من أخذ الميثاق على النبيين بذلك والثانى أن يضيف الميثاق الى النبيين اضافته الى الموثق لا الى الموثق عليه كما تقول ميثاق الله وعهد الله كأنه قيل واذ أخذ الله الميثاق الذى وثقه الانبياء على أممهم والثالث أن يراد ميثاق أولاد النبيين وهم بنو اسرائيل على حذف المضاف والرابع أن يراد أهل الكتاب وأن يرد على زعمهم تهكما بهم لانهم كانوا يقولون نحن أولى بالنبوة من محمد لانا أهل الكتاب ومنا كان النبيون وتدل عليه قراءة أبى وابن مسعود واذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب • واللام فى (لما آتيتكم) لام التوطئة لان أخذ الميثاق فى معنى الاستحلاف وفى لتؤمنن لام جواب القسم وما تحتمل أن تكون المتضمنة لمعنى الشرط ولتؤمنن ساد مسد جواب القسم والشرط جميعا وأن تكون موصولة بمعنى للذى آتيتكموه لتؤمنن به وقرئ لما آتيناكم وقرأ حمزة لما آتيتكم بكسر اللام ومعناه لاجل ايتائى اياكم بعض الكتاب والحكمة ثم لمجئ رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به على أن ما مصدرية والفعلان معها أعنى آتيتكم وجاءكم فى معنى المصدرين واللام داخلة للتعليل على معنى أخذ الله ميثاقهم لتؤمنن بالرسول ولتنصرنه لاجل أنى آتيتكم الحكمة وأن الرسول الذى أمركم بالايمان به ونصرته موافق لكم غير مخالف ويجوز أن تكون ما موصولة (فان قلت) كيف يجوز ذلك والعطف على آتيتكم

ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لى من دون الله ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا أيأمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم

• قوله تعالى واذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة الى قوله لتؤمنن به (قال محمود اللام فى لما آتيتكم لام التوطئة لان أخذ الميثاق فى معنى القسم الخ) قال أحمد يرد على قوله رسول فاعل جاء لانه لا عائد من الضمير والا فهذا القول يصح على أن يكون الفاعل مضمرا ورسول خبر الموصول ولم يرد الزمخشرى الاول وهو ظاهر الآية (عاد كلامه قال مجيبا عن السؤال قلت بلى الخ) قال أحمد يريد أن الكلام وان خلا من العائد الا أنه فى معنى كلام يتحقق فيه العائد فيجوز دخوله فى الصلة والله أعلم

وهو قوله ثم جاءكم لا يجوز أن يدخل تحت حكم الصلة لانك لا تقول للذى جاءكم رسول مصدق لما معكم
(قلت) بلى لان ما معكم فى معنى ما آتيتكم فكأنه قيل للذى آتيتكموه وجاءكم رسول مصدق له وقرأ
سعيد بن جبير لما بالتشديد بمعنى حين آتيتكم بعض الكتاب والحكمة ثم جاءكم رسول مصدق له وجب
عليكم الايمان به ونصرته وقيل أصله لمن ما فاستثقلوا اجتماع ثلاث ميمات وهى الميمان والنون المنقلبة ميما
بادغامها فى الميم فحذفوا احداها فصارت لما ومعناه لمن أجل ما آتيتكم لتؤمنن به وهذا نحو من قراءة حمزة
فى المعنى (اصرى) عهدى وقرئ أصرى بالضم وسمى اصرا لانه مما يؤصر أى يشد ويعقد ومنه الاصار الذى
يعقد به ويجوز أن يكون المضموم لغة فى اصر كعبر وعبر وأن يكون جمع اصار (فاشهدوا) فليشهد بعضكم
على بعض بالاقرار (وأنا على ذلكم) من اقراركم وتشاهدكم (من الشاهدين) وهذا توكيد عليهم وتحذير من
الرجوع اذا علموا بشهادة الله وشهادة بعضهم على بعض وقيل الخطاب للملائكة (فمن تولى بعد ذلك) الميثاق
والتوكيد (فأولئك هم الفاسقون) أى المتمردون من الكفار ودخلت همزة الانكار على الفاء العاطفة جملة
على جملة والمعنى فأولئك هم الفاسقون فغير دين الله يبغون ثم توسطت الهمزة بينهما ويجوز أن يعطف على
محذوف تقديره (أ) يتولون (فغير دين الله يبغون) وقدم المفعول الذى هو غير دين الله على فعله لانه أهم
من حيث ان الانكار الذى هو معنى الهمزة متوجه الى المعبود بالباطل وروى أن أهل الكتاب اختصموا
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما اختلفوا فيه من دين ابراهيم عليه السلام وكل واحد من الفريقين ادعى
انه أولى به فقال صلى الله عليه وسلم كلا الفريقين برىء من دين ابراهيم فقالوا ما نرضى بقضائك ولا نأخذ بدينك
فنزلت وقرئ يبغون بالياء وترجعون بالتاء وهى قراءة أبى عمرو لان الباغين هم المتولون والراجعون جميع
الناس وقرئا بالياء معا وبالتاء معا (طوعا) بالنظر فى الادلة والانصاف من نفسه (وكرها) بالسيف أو بمعاينة
ما يلجئ الى الاسلام كنتق الجبل على بنى اسرائيل وادراك الغرق فرعون والاشفاء على الموت فلما رأوا بأسنا
قالوا آمنا بالله وحده وانتصب طوعا وكرها على الحال بمعنى طائعين ومكرهين أمر رسول الله صلى الله عليه
وسلم أن يخبر عن نفسه وعمن معه بالايمان فلذلك وحد الضمير فى (قل) وجمع فى (آمنا) ويجوز أن يؤمر بأن
يتكلم عن نفسه كما يتكلم الملوك اجلالا من الله لقدر نبيه (فان قلت) لم عدى أنزل فى هذه الآية بحرف
الاستعلاء وفيما تقدم من مثلها بحرف الانتهاء (قلت) لوجود المعنيين جميعا لان الوحى ينزل من فوق وينتهى
الى الرسل فجاء تارة بأحد المعنيين وأخرى بالآخر ومن قال انما قيل علينا لقوله قل وإلينا لقوله قولوا تفرقة
بين الرسول والمؤمنين لان الرسول يأتيه الوحى على طريق الاستعلاء ويأتيهم على وجه الانتهاء فقد تعسف
ألا ترى الى قوله بما أنزل اليك وأنزلنا اليك الكتاب والى قوله آمنوا بالذى أنزل على الذين آمنوا (ونحن له
مسلمون) موحدون مخلصون أنفسنا له لا نجعل له شريكا فى عبادتنا ثم قال (ومن يبتغ غير الاسلام) يعنى
التوحيد واسلام الوجه لله تعالى (دينا فلن يقبل منه وهو من الخاسرين) من الذين وقعوا فى الخسران مطلقا
من غير تقييد للشياع وقرئ ومن يبتغ غير الاسلام بالادغام (كيف يهدى الله قوما) كيف يلطف بهم وليسوا
من أهل اللطف لما علم الله من تصميمهم على كفرهم ودل على تصميمهم بأنهم كفروا بعد ايمانهم وبعد ما شهدوا
بأن الرسول حق وبعد ما جاءتهم الشواهد من القرآن وسائر المعجزات التى تثبت بمثلها النبوة وهم اليهود
كفروا بالنبى صلى الله عليه وسلم بعد أن كانوا مؤمنين به وذلك حين عاينوا ما يوجب قوة ايمانهم من البينات
وقيل نزلت فى رهط كانوا أسلموا ثم رجعوا عن الاسلام ولحقوا بمكة منهم طعمة بن أبيرق ووحوح بن الاسلت
والحرث بن سويد بن الصامت (فان قلت) علام عطف قوله (وشهدوا) (قلت) فيه وجهان أن يعطف
على ما فى ايمانهم من معنى الفعل لان معناه بعد أن آمنوا كقوله تعالى فأصدق وأكن وقول الشاعر
* ليسوا مصلحين عشيرة * ولا ناعب ويجوز أن تكون الواو للحال باضمار قد بمعنى كفروا وقد شهدوا أن
الرسول حق (والله لا يهدى) لا يلطف بالقوم الظالمين المعاندين الذين علم أن اللطف لا ينفعهم (الا الذين تابوا
من بعد ذلك) الكفر العظيم والارتداد (وأصلحوا) ما أفسدوا أو دخلوا فى الصلاح قيل نزلت فى الحرث

اصرى قالوا أقررنا قال
فاشهدوا وأنا معكم من
الشاهدين فمن تولى بعد
ذلك فأولئك هم
الفاسقون أفغير دين الله
يبغون وله أسلم من فى
السموات والارض طوعا
وكرها واليه يرجعون
قل آمنا بالله وما أنزل
علينا وما أنزل على ابراهيم
واسمعيل واسحق
ويعقوب والاسباط
وما أوتى موسى وعيسى
والنبيون من ربهم
لا نفرق بين أحد منهم
ونحن له مسلمون ومن
يبتغ غير الاسلام دينا
فلن يقبل منه وهو فى
الآخرة من الخاسرين
كيف يهدى الله قوما
كفروا بعد ايمانهم وشهدوا
أن الرسول حق وجاءهم
البينات والله لا يهدى
القوم الظالمين أولئك
جزاؤهم أن عليهم لعنة
الله والملائكة والناس
أجمعين خالدين فيها
لا يخفف عنهم العذاب
ولا هم ينظرون الا الذين
تابوا من بعد ذلك
وأصلحوا فان الله غفور
رحيم ان الذين كفروا
بعد ايمانهم

• قوله تعالى ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من أحدهم ملء الارض ذهبا ولو افتدى به (قال محمود ان قلت كيف موقع قوله ولو افتدى به الخ) قال أحمد لم يبين تطبيق لفظ الآية على هذا التقدير الذي ذهب اليه وجه ونحن نبين السبب الباعث له على اخراج الكلام عن ظاهره ثم نقرر وجه انطباق الآية وذلك ان هذه الواو المصاحبة للشرط تستدعي شرطا آخر يعطف عليه الشرط المقترنة به ضرورة والعادة في مثل ذلك أن يكون المنطوق به منبها على المسكوت عنه بطريق الاولى مثاله قولك أكرم زيدا ولو أساء فهذه الواو عطفت المذكور على محذوف تقديره أكرم زيدا لو أحسن ولو أساء الا أنك نبهت بايجاب اكرامه وان أساء على ان اكرامه ان أحسن بطريق الاولى ومنه كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم معناه والله أعلم لو كان الحق على غيركم ولو كان عليكم ولكنه ذكر ما هو أعسر عليهم فأوجبه تنبيها على ما هو أسهل وأولى بالوجوب فاذا تبين مقتضى الواو في مثل هذه المواضع وجدت آية آل عمران هذه مخالفة لهذا النمط ظاهرا لان قوله ولو افتدى به يقتضي شرطا آخر محذوفا يكون هذا المذكور منبها عليه بطريق الاولى وهذه الحال المذكورة وهي حالة افتدائهم بملء الارض ذهبا هي حالة أجدر الحالات بقبول الفدية ٣١٢ وليس وراءها حالة أخرى يكون أولى بالقبول منه فلذلك قدر الكلام بمعنى ان يقبل من أحدهم فدية ولو افتدى بملء الارض ذهبا حتى تعين حالة أخرى يكون الافتداء خاصا على الارض ذهبا هو أولى بالقبول منه فاذا انتفى حيث كان أولى فاسبت فلأن ينتفي فيما عدا هذه الحالة أولى فهذا كله بيان للباعث له على

٤٠ كشاف ل المقدر المذكور وأما تنزيل الآية عليه فنحن نجدد الآن وجها يمكن تطبيق الآية عليه على أسهل وجه وأقرب ما يجد ان شاء الله فنقول قبول الفدية التي هي ملء الارض ذهبا يكون على أحوال منها أن يؤخذ منه على وجه القهر فدية عن نفسه كما تؤخذ الدية قهرا من مال القاتل على قول ومنها أن يقول المفتدي في المقدر أفدي نفسي بكذا وقد لا يفعل ومنها أن يقول هذا القول ويحضر المقدار الذي يفدي به نفسه ويخرجه حاضرا عتيدا وقد يسلمه مثلا الى يأمن منه قبول فديته واذا تعددت الاحوال فالمراد في الآية أبلغ الاحوال وأجدرها بالقبول وهو أن يفتدي بملء الارض ذهبا افتداء محققا بأن يقدر على هذا الامر العظيم ويسلمه ويعجزه اختيارا ومع ذلك لا يقبل منه فمجرد قوله أبذل المال وأقدر عليه أو ما يجري هذا المجرى بطريق الاولى فيكون دخول الواو والحالة هذه على بابها تنبيها على ان ثم أحوالا أخر لا ينفع فيها القبول بطريق الاولى بالنسبة الى الحالة المذكورة وقد ورد هذا المعنى مكشوفا في قوله تعالى ان الذين كفروا لو أن لهم ما في الارض جميعا ومثله معه ليفتدوا به من عذاب يوم القيامة ما تقبل منهم والله أعلم وهذا كله تمثيل بانه لا محيص ولا محيص لهم من الوعيد والا فمن المعلوم انهم أعجز عن النقير في ذلك اليوم ونظير هذا التقدير من الامثلة أن يقول القائل لا أبيعك هذا الثوب بألف دينار ولو سلمتها الى في يدي هذه فتأمل هذا النظر فانه من السهل الممتنع والله ولي التوفيق

ثم ازدادوا كفرا لن تقبل توبتهم وأولئك هم الضالون ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من أحدهم ملء الارض ذهبا ولو افتدى به أولئك لهم عذاب أليم وما لهم من ناصرين

ابن سويد حين ندم على ردته وأرسل الى قومه أن سلوا هل لي من توبة فأرسل اليه أخوه الجلاس بالآية فأقبل الى المدينة فتاب وقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم توبته (ثم ازدادوا كفرا) هم اليهود كفروا بعيسى والانجيل بعد ايمانهم بموسى والتوراة ثم ازدادوا كفرا بكفرهم بمحمد والقرآن أو كفروا برسول الله بعدما كانوا به مؤمنين قبل مبعثه ثم ازدادوا كفرا باصرارهم على ذلك وطعنهم فيه في كل وقت وعداوتهم له ونقضهم ميثاقه وفتنتهم للمؤمنين وصدهم عن الايمان به وسخريتهم بكل آية تنزل وقيل نزلت في الذين ارتدوا ولحقوا بمكة ازديادهم الكفر أن قالوا نقيم بمكة نتربص بمحمد ريب المنون وان أردنا الرجعة نافقنا باظهار التوبة (فان قلت) قد علم أن المرتد كيفما ازداد كفرا فانه مقبول التوبة اذا تاب فما معنى لن تقبل توبتهم (قلت) جعلت عبارة عن الموت على الكفر لان الذي لا تقبل توبته من الكفار هو الذي يموت على الكفر كأنه قيل ان اليهود أو المرتدين الذين فعلوا ما فعلوا مائتون على الكفر داخلون في جملة من لا تقبل توبتهم (فان قلت) فلم قيل في احدى الآيتين لن تقبل بغير فاء وفي الاخرى فلن يقبل (قلت) قد أوذن بالفاء أن الكلام بني على الشرط والجزاء وأن سبب امتناع قبول الفدية هو الموت على الكفر وبترك الفاء أن الكلام مبتدأ وخبر ولا دليل فيه على التسبيب كما تقول الذي جاءني له درهم لم تجعل المجيء سببا في استحقاق الدرهم بخلاف قولك فله درهم (فان قلت) فحين كان معنى لن تقبل توبتهم بمعنى الموت على الكفر فهلا جعل الموت على الكفر مسببا عن ارتدادهم وازديادهم الكفر لما في ذلك من قساوة القلوب وركوب الرين وجره الى الموت على الكفر (قلت) لانه كم من مرتد مزداد للكفر يرجع الى الاسلام ولا يموت على الكفر (فان قلت) فأي فائدة في هذه الكناية أعني أن كنى عن الموت على الكفر بامتناع قبول التوبة (قلت) الفائدة فيها جليلة وهي التغليظ في شأن أولئك الفريق من الكفار وابراز حالهم في صورة حال الآيسين من الرحمة التي هي أغلظ الاحوال وأشدها ألا ترى أن الموت على الكفر انما يخاف من أجل اليأس من الرحمة (ذهبا) نصب على التمييز وقرأ الاعمش ذهب بالرفع ردا على ملء كما يقال عندي عشرون نفسا رجال (فان قلت) كيف موقع قوله (ولو افتدى به) (قلت) هو كلام محمول على المعنى كأنه قيل فلن تقبل من أحدهم فدية ولو افتدى بملء الارض

ذهبا ويجوز أن يراد ولو افتدى بمثله كقوله ولو أن للذين ظلموا ما في الارض جميعا ومثله معه والمثل يحذف كثيرا في كلامهم كقولك ضربته ضرب زيد تريد مثل ضربه وأبو يوسف أبو حنيفة تريد مثله ولا هيثم الليلة للمطي وقضية ولا أبا حسن لها تريد ولا مثل هيثم ولا مثل أبي حسن كما أنه يراد في نحو قولهم مثلك لا يفعل كذا تريد أنت وذلك أن المثلين يسد أحدهما مسد الآخر فكانا في حكم شيء واحد وأن يراد فلن يقبل من أحدهم ملء الارض ذهبا كان قد تصدق به ولو افتدى به أيضا لم يقبل منه وقرئ فلن نقبل من أحدهم ملء الارض ذهبا على البناء للفاعل وهو الله عز وجل ونصب ملء ومل الارض بتخفيف الهمزتين (لن تنالوا البر) لن تبلغوا حقيقة البر ولن تكونوا أبرارا وقيل لن تنالوا بر الله وهو ثوابه (حتى تنفقوا مما تحبون) حتى تكون نفقتكم من أموالكم التي تحبونها وتؤثرونها كقوله أنفقوا من طيبات ما كسبتم وكان السلف رحمهم الله إذا أحبوا شيئا جعلوه لله وروي أنها لما نزلت جاء أبو طلحة فقال يا رسول الله إن أحب أموالي إلي بيرحاء فضعها يا رسول الله حيث أراك الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بخ بخ ذلك مال رابح ومال رابح وإني أرى أن تجعلها في الاقربين فقال أبو طلحة أفعل يا رسول الله فقسمها في أقاربه وجاء زيد بن حارثة بفرس له كان يحبها فقال هذه في سبيل الله فحمل عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم أسامة بن زيد فكأن زيدا وجد في نفسه وقال إنما أردت أن أتصدق به فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما إن الله قد قبلها منك وكتب عمر رضي الله عنه إلى أبي موسى الأشعري أن يبتاع له جارية من سبي جلولاء يوم فتحت مدائن كسرى فلما جاءت أعجبته فقال إن الله تعالى يقول لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون فأعتقها ونزل بأبي ذر ضيف فقال للراعي ائتني بخير إبلي فجاء بناقة مهزولة فقال خنتني قال وجدت خير الابل فحلها فذكرت يوم حاجتكم إليه فقال إن يوم حاجتي إليه ليوم أوضع في حفرتي وقرأ عبد الله حتى تنفقوا بعض ما تحبون وهذا دليل على أن من في (مما تحبون) للتبعيض ونحوه أخذت من المال * ومن في (من شيء) للتبيين أي من أي شيء كان طيبا تحبونه أو خبيثا تكرهونه (فإن الله) عليم بكل شيء تنفقونه فمجازيكم بحسبه (كل الطعام) كل المطعومات أو كل أنواع الطعام * والحل مصدر يقال حل الشيء حلا كقولك ذلت الدابة ذلا وعز الرجل عزا وفي حديث عائشة رضي الله عنها كنت أطيبه لحله وحرمه ولذلك استوى في الوصف به المذكر والمؤنث والواحد والجمع قال الله تعالى لا هن حل لهم والذي حرم إسرائيل وهو يعقوب عليه السلام على نفسه لحوم الابل وألبانها وقيل العروق كان به عرق النسا فنذر إن شفي أن يحرم على نفسه أحب الطعام إليه وكان ذلك أحبه إليه فحرمه وقيل أشارت عليه الأطباء باجتنابه ففعل ذلك بإذن من الله فهو كتحريم الله ابتداء والمعنى أن المطاعم كلها لم تزل حلالا لبني إسرائيل من قبل إنزال التوراة وتحريم ما حرم عليهم منها لظلمهم وبغيهم لم يحرم منها شيء قبل ذلك غير المطعوم الواحد الذي حرمه أبوهم إسرائيل على نفسه فتبعوه على تحريمه وهو رد على اليهود وتكذيب لهم حيث أرادوا براءة ساحتهم مما نعى عليهم في قوله تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم إلى قوله تعالى عذابا أليما وفي قوله وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما إلى قوله ذلك جزيناهم ببغيهم وإنا لصادقون وجحود ما غاظهم واشمأزوا منه وامتعضوا مما نطق به القرآن من تحريم الطيبات عليهم لبغيهم وظلمهم فقالوا لسنا بأول من حرمت عليه وما هو إلا تحريم قديم كانت محرمة على نوح وعلى إبراهيم ومن بعده من بني إسرائيل وهلم جرا إلى أن انتهى التحريم إلينا فحرمت علينا كما حرمت على من قبلنا وغرضهم تكذيب شهادة الله عليهم بالبغي والظلم والصد عن سبيل الله وأكل الربا وأخذ أموال الناس بالباطل وما عدد من مساويهم التي كلما ارتكبوا منها كبيرة حرم عليهم نوع من الطيبات عقوبة لهم (قل فأتوا بالتوراة فاتلوها) أمر بأن يحاجهم بكتابهم ويبكتهم بما هو ناطق به من أن تحريم ما حرم عليهم تحريم حادث بسبب ظلمهم وبغيهم لا تحريم قديم كما يدعونه فروي أنهم لم يجسروا على إخراج التوراة وبهتوا وانقلبوا صاغرين وفي ذلك الحجة البينة على صدق النبي صلى الله عليه وسلم وعلى جواز النسخ الذي ينكرونه (فمن افترى على الله الكذب) بزعمه أن ذلك كان محرما على بني إسرائيل قبل إنزال

التوراة

لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وما تنفقوا من شيء فإن الله به عليم كل الطعام كان حلا لبني إسرائيل إلا ما حرم إسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة قل فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين فمن افترى على الله الكذب من بعد ذلك

(عاد كلامه) قال ويجوز أن يكون معنى الكلام ولو افتدى بمثله الخ * قال أحمد وعلى هذا النمط يجري الكلام على التأويل المتقدم لأنه نبه بعدم قبول ملء الارض ذهبا على عدم قبول منها مرة واحدة بطريق الأولى

• قوله تعالى فيه آيات بينات مقام إبراهيم ومن دخله كان آمنا (قال محمود إن قلت كيف صح بيان الجماعة بالواحد الخ) قال أحمد ونظير هذا التأويل ما تقدم له عند قوله تعالى وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى ٢١٥ تلك أمانيهم قال محمود فيما تقدم والذي

التوراة من بعد ما لزمتهم الحجة مقطعة (فأولئك هم الظالمون) المكابرون الذين لا ينصفون من أنفسهم ولا يلتفتون إلى البينات (قل صدق الله) تعريض بكذبهم كقوله ذلك جزيناهم ببغيهم وإنا لصادقون أي ثبت أن الله صادق فيما أنزل وأنتم الكاذبون (فاتبعوا ملة إبراهيم حنيفا) وهي ملة الإسلام التي عليها محمد ومن آمن معه حتى تتخلصوا من اليهودية التي ورطتكم في فساد دينكم ودنياكم حيث اضطرتكم إلى تحريف كتاب الله لتسوية أغراضكم وألزمتكم تحريم الطيبات التي أحلها الله لإبراهيم ولمن تبعه (وضع للناس) صفة البيت والواضع هو الله عز وجل تدل عليه قراءة من قرأ وضع للناس بتسمية الفاعل وهو الله ومعنى وضع الله بيتا للناس أنه جعله متعبدا لهم فكأنه قال إن أول متعبد للناس الكعبة وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه سئل عن أول مسجد وضع للناس فقال المسجد الحرام ثم بيت المقدس وسئل كم بينهما فقال أربعون سنة وعن علي رضي الله عنه أن رجلا قال له أهو أول بيت قال لا قد كان قبله بيوت ولكنه أول بيت وضع للناس مباركا فيه الهدى والرحمة والبركة وأول من بناه إبراهيم ثم بناه قوم من العرب من جرهم ثم هدم فبنته العمالقة ثم هدم فبناه قريش وعن ابن عباس هو أول بيت حج بعد الطوفان وقيل هو أول بيت ظهر على وجه الماء عند خلق السماء والأرض خلقه قبل الأرض بألفي عام وكان زبدة بيضاء على الماء فدحيت الأرض تحته وقيل هو أول بيت بناه آدم في الأرض وقيل لما أهبط آدم قالت له الملائكة طف حول هذا البيت فلقد طفنا قبلك بألفي عام وكان في موضعه قبل آدم بيت يقال له الضراح فرفع في الطوفان إلى السماء الرابعة تطوف به ملائكة السموات (للذي ببكة) البيت الذي ببكة وهي علم للبلد الحرام ومكة وبكة لغتان فيه نحو قولهم النبيط والنميط في اسم موضع بالدهناء ونحوه من الاعتقاب أمر راتب وراتم وحمى مغمطة ومغبطة وقيل مكة البلد وبكة موضع المسجد وقيل اشتقاقها من بكه إذا زحمه لازدحام الناس فيها وعن قتادة يبك الناس بعضهم بعضا الرجال والنساء يصلي بعضهم بين يدي بعض لا يصلح ذلك إلا بمكة كأنها سميت ببكة وهي الزحمة قال

إذا الشريب أخذته الأكه • فخله حتى يبك بكه

وقيل تبك أعناق الجبابرة أي تدقها لم يقصدها جبار إلا قصمه الله تعالى (مباركا) كثير الخير لما يحصل لمن حجه واعتمره وعكف عنده وطاف حوله من الثواب وتكفير الذنوب وانتصابه على الحال من المستكن في الظرف لأن التقدير للذي ببكة هو والعامل فيه المقدر في الظرف من فعل الاستقرار (وهدى للعالمين) لأنه قبلتهم ومتعبدهم (مقام إبراهيم) عطف بيان لقوله آيات بينات (فإن قلت) كيف صح بيان الجماعة بالواحد (قلت) فيه وجهان أحدهما أن يجعل وحده بمنزلة آيات كثيرة لظهور شأنه وقوة دلالته على قدرة الله ونبوة إبراهيم من تأثير قدمه في حجر صلد كقوله تعالى إن إبراهيم كان أمة والثاني اشتماله على آيات لأن أثر القدم في الصخرة الصماء آية وغوصه فيها إلى الكعبين آية وإلانة بعض الصخر دون بعض آية وإبقاؤه دون سائر آيات الأنبياء عليهم السلام آية لإبراهيم خاصة وحفظه مع كثرة أعدائه من المشركين وأهل الكتاب والملاحدة ألوف سنة آية ويجوز أن يراد فيه آيات بينات مقام إبراهيم وأمن من دخله لأن الاثنين نوع من الجمع كالثلاثة والأربعة ويجوز أن تذكر هاتان الآيتان ويطوى ذكر غيرهما دلالة على تكاثر الآيات كأنه قيل فيه آيات بينات مقام إبراهيم وأمن من دخله وكثير سواهما ونحوه في طي الذكر قول جرير

كانت حنيفة أثلاثا فثلثهم • من العبيد وثلث من مواليها

ومنه قوله عليه السلام حبب إلي من دنياكم ثلاث الطيب والنساء وقرة عيني في الصلاة وقرأ ابن عباس وأبي ومجاهد وأبو جعفر المدني في رواية قتيبة آية بينة على التوحيد وفيها دليل على أن مقام إبراهيم واقع وحده عطف بيان (فإن قلت) كيف أجزت أن يكون مقام إبراهيم والأمن عطف بيان للآيات وقوله ومن

صدر منهم أمنية واحدة فوجه جمعها وبينت فيما هذا مبينة وهو أن الشيء الواحد متى أريد تفخيمه وامتيازه عن غيره من صنفه جمع أو أراد الجمع فيه كذلك وذلك لاح لي الآن في جمع الأماني ثم وجه آخر وذلك أن كل واحد منهم صدرت منه هذه الأمنية فجمعها بهذا الاعتبار تنبيها على تعددها

فأولئك هم الظالمون قل صدق الله فاتبعوا ملة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين فيه آيات بينات مقام إبراهيم ومن دخله كان آمنا ولله على الناس حج البيت

بتعددهم والعجب أن الجمع في مثل هذا هو الأصل وأن الإفراد إنما يقع فيه على نوع من الاختصار ومنه كلوا في بعض بطنكم تعفوا (عاد كلامه) قال الوجه الثاني اشتماله على آيات لأن أثر القدم في الصخرة الصماء آية وغوصه فيها إلى الكعبين آية وإلانة بعض الصخر دون بعض آية وإبقاؤه دون سائر آيات الأنبياء آية لإبراهيم خاصة وحفظه مع كثرة عدوه من المشركين وأهل الكتاب والملاحدة ألوف سنة آية ويجوز أن يريد مقام إبراهيم وأمن من دخله وكثيرا سواهما والله أعلم

من استطاع اليه سبيلا ومن كفر فان الله غني عن العالمين قل يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله والله شهيد على ما تعملون قل يا أهل الكتاب لم تصدون

دخله كان آمنا جملة مستأنفة اما ابتدائية واما شرطية (قلت) أجرت ذلك من حيث المعنى لان قوله ومن دخله كان آمنا دل على أمن داخله فكأنه قيل فيه آيات بينات مقام ابراهيم وأمن داخله ألا ترى انك لو قلت فيه آية بينة من دخله كان آمنا صح لانه في معنى قولك فيه آية بينة أمن من دخله (فان قلت) كيف كان سبب هذا الاثر (قلت) فيه قولان أحدهما أنه لما ارتفع بنيان الكعبة وضعف ابراهيم عن رفع الحجارة قام على هذا الحجر فغاصت فيه قدماه وقيل انه جاء زائرا من الشام الى مكة فقالت له امرأة اسمعيل انزل حتى يغسل رأسك فلم ينزل فجاءته بهذا الحجر فوضعته على شقه الايمن فوضع قدمه عليه حتى غسلت شق رأسه ثم حولته الى شقه الايسر حتى غسلت الشق الآخر فبقي أثر قدميه عليه ❊ ومعنى ومن دخله كان آمنا معنى قوله أولم يروا أنا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم وذلك بدعوة ابراهيم عليه السلام رب اجعل هذا البلد آمنا وكان الرجل لو جر كل جريرة ثم لجأ الى الحرم لم يطلب وعن عمر رضي الله عنه لو ظفرت فيه بقاتل الخطاب ما مسسته حتى يخرج منه وعند أبي حنيفة من لزمه القتل في الحل بقصاص أو ردة أو زنا فالتجأ الى الحرم لم يتعرض له الا أنه لا يؤوى ولا يطعم ولا يسقى ولا يبايع حتى يضطر الى الخروج وقيل آمنا من النار وعن النبي صلى الله عليه وسلم من مات في أحد الحرمين بعث يوم القيامة آمنا وعنه عليه الصلاة والسلام الحجون والبقيع يؤخذ بأطرافهما وينثران في الجنة وهما مقبرتا مكة والمدينة وعن ابن مسعود وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على ثنية الحجون وليس بها يومئذ مقبرة فقال يبعث الله من هذه البقعة ومن هذا الحرم كله سبعين ألفا وجوههم كالقمر ليلة البدر يدخلون الجنة بغير حساب يشفع كل واحد منهم في سبعين ألفا وجوههم كالقمر ليلة البدر وعن النبي صلى الله عليه وسلم من صبر على حر مكة ساعة من نهار تباعدت منه جهنم مسيرة مائتي عام (من استطاع) بدل من الناس وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم فسر الاستطاعة بالزاد والراحلة وكذا عن ابن عباس وابن عمر وعليه أكثر العلماء وعن ابن الزبير هو على قدر القوة ومذهب مالك أن الرجل اذا وثق بقوته لزمه وعنه ذلك على قدر الطاقة وقد يجد الزاد والراحلة من لا يقدر على السفر وقد يقدر عليه من لا زاد له ولا راحلة وعن الضحاك اذا قدر أن يؤجر نفسه فهو مستطيع وقيل له في ذلك فقال ان كان لبعضهم ميراث بمكة أكان يتركه بل كان ينطلق اليه ولو حبوا فكذلك يجب عليه الحج ❊ والضمير في (اليه) للبيت أو للحج وكل مأتى الى الشيء فهو سبيل اليه وفي هذا الكلام أنواع من التوكيد والتشديد منها قوله تعالى ولله على الناس حج البيت يعني أنه حق واجب لله في رقاب الناس لا ينفكون عن أدائه والخروج من عهدته ومنها أنه ذكر الناس ثم أبدل عنه من استطاع اليه سبيلا وفيه ضربان من التأكيد أحدهما أن الابدال تثنية للمراد وتكرير له والثاني أن الايضاح بعد الابهام والتفصيل بعد الاجمال ايراد له في صورتين مختلفتين ومنها قوله (ومن كفر) مكان ومن لم يحج تغليظا على تارك الحج ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من مات ولم يحج فليمت ان شاء يهوديا أو نصرانيا ونحوه من التغليظ من ترك الصلاة متعمدا فقد كفر ومنها ذكر الاستغناء عنه وذلك مما يدل على المقت والسخط والخذلان ومنها قوله (عن العالمين) وان لم يقل عنه وما فيه من الدلالة على الاستغناء عنه ببرهان لانه اذا استغنى عن العالمين تناوله الاستغناء لا محالة ولانه يدل على الاستغناء الكامل فكان أدل على عظم السخط الذي وقع عبارة عنه وعن سعيد بن المسيب نزلت في اليهود فانهم قالوا الحج الى مكة غير واجب وروى أنه لما نزل قوله ولله على الناس حج البيت جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل الاديان كلهم فخطبهم فقال ان الله كتب عليكم الحج فحجوا فآمنت به ملة واحدة وهم المسلمون وكفرت به خمس ملل قالوا لا نؤمن به ولا نصلي اليه ولا نحجه فنزل ومن كفر وعن النبي صلى الله عليه وسلم حجوا قبل أن لا تحجوا فانه قد هدم البيت مرتين ويرفع في الثالثة وروى حجوا قبل أن لا تحجوا حجوا قبل أن يمنع البر جانبه وعن ابن مسعود حجوا هذا البيت قبل أن تنبت في البادية شجرة لا تأكل منها دابة الا نفقت وعن عمر رضي الله عنه لو ترك الناس الحج عاما واحدا ما نوظروا وقرئ حج البيت بالكسر (والله شهيد) الواو للحال

❊ قوله تعالى ولله على الناس حج البيت الآية (قال محمود وفي هذا الكلام أنواع من التوكيد منها قوله ولله على الناس أي في رقابهم لا ينفكون عنه الخ (قال أحمد قوله ان المراد بمن كفر من ترك الحج وعبر عنه بالكفر تغليظا عليه فيه نظر فان قواعد السنة توجب أن تارك الحج لا يكفر بمجرد تركه قولا واحدا فيتعين حمل الآية على تارك الحج جاحد الوجوب وحينئذ يكون الكفر راجعا الى الاعتقاد لا الى مجرد الترك وأما الزمخشري فيستمر ذلك لان تارك الحج بمجرد الترك يخرج من ربقة الايمان ومن اسمه ومن حكمه لانه عنده غير مؤمن ويحله تغليظ الكفار وعلى قاعدة السنة يتعين المصير الى ما ذكرناه هذا ان كان المراد من كفر من ترك الحج ويحتمل ان يكون استئنافا وعيدا للكافر فيبقى على ظاهره والله أعلم

عن سبيل الله من آمن
تبغونها عوجا وأنتم
شهداء وما الله بغافل
عما تعملون يا أيها
الذين آمنوا ان تطيعوا
فريقا من الذين أوتوا
الكتاب يردوكم بعد
ايمانكم كافرين وكيف
تكفرون وأنتم تتلى عليكم
آيات الله وفيكم رسوله
ومن يعتصم بالله فقد
هدى الى صراط مستقيم
يا أيها الذين آمنوا اتقوا
الله حق تقاته ولا
تموتن الا وأنتم مسلمون
واعتصموا بحبل الله
جميعا ولا تفرقوا واذكروا
نعمت الله عليكم اذ كنتم
أعداء فألف بين قلوبكم
فأصبحتم بنعمته

والمعنى لم تكفرون بآيات الله التي دلتكم على صدق محمد صلى الله عليه وسلم والحال أن الله شهيد على أعمالكم
فمجازيكم عليها وهذه الحال توجب أن لا تجسروا على الكفر بآياته ٭ وقرأ الحسن تصدون من أصده (عن
سبيل الله) عن دين حق علم أنه سبيل الله التي أمر بسلوكها وهو الاسلام وكانوا يفتنون المؤمنين ويحتالون
لصدهم عنه ويمنعون من أراد الدخول فيه بجهدهم وقيل أتت اليهود الاوس والخزرج فذكروهم ما كان
بينهم في الجاهلية من العداوات والحروب ليعودوا لمثله (تبغونها عوجا) تطلبون لها اعوجاجا وميلا عن
القصد والاستقامة (فان قلت) كيف تبغونها عوجا وهو محال (قلت) فيه معنيان أحدهما أنكم تلبسون على
الناس حتى توهموهم أن فيه عوجا بقولكم ان شريعة موسى لا تنسخ وبتغييركم صفة رسول الله صلى الله عليه
وسلم عن وجهها ونحو ذلك والثاني أنكم تتعبون أنفسكم في اخفاء الحق وابتغاء ما لا يتأتى لكم من وجود العوج
فيما هو أقوم من كل مستقيم (وأنتم شهداء) أنها سبيل الله التي لا يصد عنها الا ضال مضل أو وأنتم شهداء بين
أهل دينكم عدول يثقون بأقوالكم ويستشهدونكم في عظائم أمورهم وهم الاحبار (وما الله بغافل) وعيد
ومحل تبغونها نصب على الحال ٭ قيل مر شاس بن قيس اليهودي وكان عظيم الكفر شديد الطعن على
المسلمين شديد الحسد لهم على نفر من الانصار من الاوس والخزرج في مجلس لهم يتحدثون فغاظه ذلك حيث
تآلفوا واجتمعوا بعد الذي كان بينهم في الجاهلية من العداوة وقال ما لنا معهم اذا اجتمعوا من قرار فأمر شابا
من اليهود يجلس اليهم ويذكرهم يوم بعاث وينشدهم بعض ما قيل فيه من الاشعار وكان يوما اقتتلت
فيه الاوس والخزرج وكان الظفر فيه للاوس ففعل فتنازع القوم عند ذلك وتفاخروا وتغاضبوا وقالوا
السلاح السلاح فبلغ النبي صلى الله عليه وسلم فخرج اليهم فيمن معه من المهاجرين والانصار فقال أتدعون
الجاهلية وأنا بين أظهركم بعد اذ أكرمكم الله بالاسلام وقطع به عنكم أمر الجاهلية وألف بينكم فعرف القوم أنها
نزغة من الشيطان وكيد من عدوهم فألقوا السلاح وبكوا وعانق بعضهم بعضا ثم انصرفوا مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم فما كان يوم أقبح أولا وأحسن آخرا من ذلك اليوم (وكيف تكفرون) معنى الاستفهام فيه
الانكار والتعجيب والمعنى من أين يتطرق اليكم الكفر والحال أن آيات الله وهي القرآن المعجز (تتلى عليكم)
على لسان الرسول غضة طرية وبين أظهركم رسول الله صلى الله عليه وسلم ينبهكم ويعظكم ويزيح شبهكم (ومن
يعتصم بالله) ومن يتمسك بدينه ويجوز أن يكون حثا لهم على الالتجاء اليه في دفع شرور الكفار ومكايدهم
(فقد هدى) فقد حصل له الهدى لا محالة كما تقول اذا جئت فلانا فقد أفلحت كأن الهدى قد حصل فهو يخبر
عنه حاصلا ومعنى التوقع في قد ظاهر لان المعتصم بالله متوقع للهدى كما أن قاصد الكريم متوقع للفلاح
عنده (حق تقاته) واجب تقواه وما يحق منها وهو القيام بالواجب واجتناب المحارم ونحوه فاتقوا الله
ما استطعتم يريد بالغوا في التقوى حتى لا تتركوا من المستطاع منها شيئا وعن عبد الله هو أن يطاع فلا يعصى
ويشكر فلا يكفر ويذكر فلا ينسى وروي مرفوعا وقيل هو أن لا تأخذه في الله لومة لائم ويقوم بالقسط
ولو على نفسه أو ابنه أو أبيه وقيل لا يتقي الله عبد حق تقاته حتى يخزن لسانه والتقاة من اتقى كالتؤدة من اتأد
(ولا تموتن) معناه ولا تكونن على حال سوى حال الاسلام اذا أدرككم الموت كما تقول لمن تستعين به على لقاء
العدو لا تأتني الا وأنت على حصان فلا تنهاه عن الاتيان ولكنك تنهاه عن خلاف الحال التي شرطت عليه في
وقت الاتيان ٭ قولهم اعتصمت بحبله يجوز أن يكون تمثيلا لاستظهاره به ووثوقه بحمايته بامتساك المتدلي
من مكان مرتفع بحبل وثيق يأمن انقطاعه وان يكون الحبل استعارة لعهده والاعتصام لوثوقه بالعهد
أو ترشيحا لاستعارة الحبل بما يناسبه والمعنى واجتمعوا على استعانتكم بالله ووثوقكم به ولا تفرقوا عنه أو
واجتمعوا على التمسك بعهده الى عباده وهو الايمان والطاعة أو بكتابه لقول النبي صلى الله عليه وسلم القرآن
حبل الله المتين لا تنقضي عجائبه ولا يخلق عن كثرة الرد من قال به صدق ومن عمل به رشد ومن اعتصم به
هدى الى صراط مستقيم (ولا تفرقوا) ولا تتفرقوا عن الحق بوقوع الاختلاف بينكم كما اختلفت اليهود
والنصارى أو كما كنتم متفرقين في الجاهلية متدابرين يعادي بعضكم بعضا ويحاربه أو ولا تحدثوا ما يكون

٭ قوله تعالى يا أهل
الكتاب لم تصدون عن
سبيل الله من آمن
تبغونها عوجا الآية
(قال محمود أي تطلبون
لها عوجا الخ) قال
أحمد وفي تقديره الجار
مع ضمير المفعول حيث
قال تطلبون لها عوجا
تنقيص من المعنى وأتم
من اعرابه معنى أن
يجعل الهاء هي المفعول
وعوجا حال وقع فيها
المصدر الذي هو عوجا
موقع الاسم وفي هذا
الاعراب من المبالغة
انهم يطلبون ان تكون
الطريقة المستقيمة
نفس العوج على
طريقة المبالغة في مثل
رجل صوم ويكون

ذلك أبلغ في ذمهم وتوبيخهم والله أعلم * قوله تعالى وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها (قال محمود الضمير للشفا وهو مذكر وانما أنثه لاضافته الخ) قال أحمد ويجوز عود الضمير الى الحفرة فلا يحتاج الى تأويل المذكر كما تقول أكرمت غلام هند وأحسنت اليها والمعنى على عوده الى الحفرة أتم لانها التي يمتن بالانقاذ منها حقيقة وأما الامتنان بالانقاذ من الشفا فلا يستلزمه الكون على الشفا المنجي من الهوي الى الحفرة فيكون الانقاذ من الشفا انقاذا من الحفرة التي يتوقع الهوي فيها فاضافة المنة الى الانقاذ من الحفرة تكون أبلغ وأوقع مع ان اكتساب التأنيث من المضاف اليه قد عده أبو علي في التعاليق من ضرورة الشعر خلاف رأيه في الايضاح نقله ابن يسعون وحمل الزمخشري على عادة الضمير الى الشفا أنه هو الذي كانوا عليه ولم يكونوا في الحفرة حتى يمتن عليهم بالانقاذ منها وقد بينا أن أدرج هذا الكلام ما يتوقع الانصباب منهم بالانقاذ من الحفرة لانهم كانوا صائرين اليها غالبا لولا الانقاذ ألا ترى الى قوله عليه السلام المرتع حول الحمى يوشك أن يقع فيه ٣١٨ وفي قوله تعالى أفمن أسس بنيانه على شفا جرف هار فانهار به في نار جهنم وانظر كيف جعل تعالى كون البنيان على الشفا سببا مؤديا الى انهياره في نار جهنم مع تأكيد ذلك بقوله هار والله أعلم * قوله تعالى ولتكن منكم أمة الآية (قال محمود من للتبعيض الخ) قال أحمد وفي هذا التبعيض وتنكير أمة تنبيه على قلة العاملين بذلك وانه لا يخاطب به الا الخواص ومن هذا الاسلوب قوله تعالى اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد فانه وجه الخطاب على نفس منكرة تنبيها على قلة الناظر في معاده وكذلك وقوله وقسم أذن باعيه حتى ورد في تعميره المرادان وحده مخصوصة بالمعروف وهي اذن علي بن أبي طالب رضي الله عنه (عاد كلامه) قال وقوله يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر [illegible] بالدعاء الخ قال أحمد عطف الخاص على العام يؤذن بمزيد اعتناء بالخاص لا محالة اذا اقتصر على بعض متناولات العام كقوله من كان عدو الله وملائكته ورسله وجبريل وميكائيل وكقوله فيهما فاكهة ونخل ورمان وكقوله حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وشبه ذلك لان الاقتصار على تخصيص ما يفرد بالذكر يفيد تمييزا عن غيره من بقية المتناولات وأما هذه الآية فقد ذكر بعد العام فيها جميع ما يتناوله اذ الخير المدعو اليه اما فعل مأمور أو ترك منهي لا يعدو واحدا من هذين حتى يكون تخصيصهما تمييزا عن بقية المتناولات فالاولى في ذلك أن يقال فائدة هذا التخصيص ذكر الدعاء الى الخير عاما ثم مفصلا وفي تنبيه أن الذكر على وجهين ما لا يخفى من العناية والله أعلم الا أن يثبت عرف يخص الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ببعض أنواع الخير فاذ ذاك يتم مراد الزمخشري وما أرى هذا العرف ثابتا والله أعلم

اخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون ولا تكونوا

منه التعرف ويزول معه الاجتماع والالفة التي أنتم عليها مما يأتي مجامعكم ولمؤلف بينكم وهو اتباع الحق والتمسك بالاسلام كانوا في الجاهلية بينهم الاحن والعداوات والحروب المتواصلة فألف الله بين قلوبهم بالاسلام وقذف فيها المحبة فتحابوا وتوافقوا وصاروا (اخوانا) متراحمين متناصحين مجتمعين على أمر واحد قد نظم بينهم وأزال الاختلاف وهو الاخوة في الله وقيل هم الاوس والخزرج كانا أخوين لاب وأم فوقعت بينهما العداوة وتطاولت الحروب مائة وعشرين سنة الى أن أطفأ الله ذلك بالاسلام وألف بينهم برسول الله صلى الله عليه وسلم (وكنتم على شفا حفرة من النار) وكنتم مشفين على أن تقعوا في نار جهنم لما كنتم عليه من الكفر (فأنقذكم منها) بالاسلام والضمير للحفرة أو للنار أو للشفا وانما أنث لاضافته الى الحفرة وهو منها كما قال * كما شرقت صدر القناة من الدم * وشفا الحفرة وشفتها حرفها بالتذكير والتأنيث ولامها واو الا أنها في المذكر مقلوبة وفي المؤنث محذوفة ونحو الشفا والشفة الجانب والجانبة (فان قلت) كيف جعلوا على حرف حفرة من النار (قلت) لو ماتوا على ما كانوا عليه وقعوا في النار فمثلت حياتهم التي يتوقع بعدها الوقوع في النار بالقعود على حرفها مشفين على الوقوع فيها (كذلك) مثل ذلك البيان البليغ (يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون) ارادة أن تزدادوا هدى (ولتكن منكم أمة) من للتبعيض لان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر من فروض الكفايات ولانه لا يصلح له الا من علم المعروف والمنكر وعلم كيف يرتب الامر في اقامته وكيف يباشر فان الجاهل ربما نهى عن معروف وأمر بمنكر وربما عرف الحكم في مذهبه وجهله في مذهب صاحبه فنهاه عن غير منكر وقد يغلظ في موضع اللين ويلين في موضع الغلظة وينكر على من لا يزيده انكاره الا تماديا أو على من الانكار عليه عبث كالانكار على أصحاب المآصر والجلادين وأضرابهم وقيل من للتبيين بمعنى وكونوا أمة تأمرون كقوله تعالى كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون (وأولئك هم المفلحون) هم الاخصاء بالفلاح دون غيرهم وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه سئل وهو على المنبر من خير الناس قال آمرهم بالمعروف وأنهاهم عن المنكر وأتقاهم لله وأوصلهم وعنه عليه السلام من أمر بالمعروف ونهى عن المنكر فهو خليفة الله في أرضه وخليفة رسوله وخليفة كتابه وعن علي رضي الله عنه أفضل الجهاد الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ومن شنئ الفاسقين وغضب لله غضب الله له وعن حذيفة يأتي على الناس زمان تكون فيهم جيفة الحمار أحب اليهم من مؤمن يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر وعن سفيان الثوري اذا كان الرجل محببا في جيرانه محمودا عند اخوانه فاعلم أنه مداهن والامر

بالمعروف تابع للمأمور به ان كان واجبا فواجب وان كان ندبا فندب وأما النهي عن المنكر فواجب كله لان
جميع المنكر تركه واجب لاتصافه بالقبح (فان قلت) ما طريق الوجوب (قلت) قد اختلف فيه الشيخان
فعند أبي علي السمع والعقل وعند أبي هاشم السمع وحده (فان قلت) ما شرائط النهي (قلت) أن يعلم الناهي
أن ما ينكره قبيح لانه اذا لم يعلم لم يأمن أن ينكر الحسن وأن لا يكون ما ينهى عنه واقعا لان الواقع لا يحسن
النهي عنه وانما يحسن الذم عليه والنهي عن أمثاله وأن لا يغلب على ظنه أن المنهي يزيد في منكراته وأن
لا يغلب على ظنه أن نهيه لا يؤثر لانه عبث (فان قلت) فما شروط الوجوب (قلت) أن يغلب على ظنه وقوع
المعصية نحو أن يرى الشارب قد تهيأ لشرب الخمر باعداد آلاته وأن لا يغلب على ظنه أنه ان أنكر لحقته
مضرة عظيمة (فان قلت) كيف يباشر الانكار (قلت) يبتدئ بالسهل فان لم ينفع ترقى الى الصعب لان
الغرض كف المنكر قال الله تعالى فأصلحوا بينهما ثم قال فقاتلوا (فان قلت) فمن يباشره (قلت) كل مسلم تمكن
منه واختص بشرائطه وقد أجمعوا أن من رأى غيره تاركا للصلاة وجب عليه الانكار لانه معلوم قبحه لكل
أحد وأما الانكار الذي بالقتال فالامام وخلفاؤه أولى لانهم أعلم بالسياسة ومعهم عدتها (فان قلت) فمن يؤمر
وينهى (قلت) كل مكلف وغير المكلف اذا هم بضرر غيره منع كالصبيان والمجانين وينهى الصبيان عن
المحرمات حتى لا يتعودوها كما يؤخذون بالصلاة ليمرنوا عليها (فان قلت) هل يجب على مرتكب المنكر أن ينهى
عما يرتكبه (قلت) نعم يجب عليه لان ترك ارتكابه وانكاره واجبان عليه فبتركه أحد الواجبين لا يسقط
عنه الواجب الآخر وعن السلف مروا بالخير وان لم تفعلوا وعن الحسن انه سمع مطرف بن عبد الله يقول
لا أقول ما لا أفعل فقال وأينا يفعل ما يقول ود الشيطان لو ظفر بهذه منكم فلا يأمر أحد بمعروف ولا ينهى
عن منكر (فان قلت) كيف قيل يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف (قلت) الدعاء الى الخير عام في
التكاليف من الافعال والتروك والامر بالمعروف والنهي عن المنكر خاص فجيء بالعام ثم عطف عليه الخاص
ايذانا بفضله كقوله والصلاة الوسطى (كالذين تفرقوا واختلفوا) وهم اليهود والنصارى (من بعد ما جاءهم
البينات) الموجبة للاتفاق على كلمة واحدة وهي كلمة الحق وقيل هم مبتدعو هذه الامة وهم المشبهة والمجبرة
والحشوية وأشباههم (يوم تبيض وجوه) نصب بالظرف وهو لهم أو باضمار اذكر وقرئ تبيض وتسود
بكسر حرف المضارعة وتبياض وتسواد والبياض من النور والسواد من الظلمة فمن كان من أهل نور الحق
وسم ببياض اللون واسفاره واشراقه وابيضت صحيفته وأشرقت وسعى النور بين يديه وبيمينه ومن كان
من أهل ظلمة الباطل وسم بسواد اللون وكسوفه وكمده واسودت صحيفته وأظلمت وأحاطت به الظلمة
من كل جانب نعوذ بالله وبسعة رحمته من ظلمات الباطل وأهله (أكفرتم) فيقال لهم أكفرتم والهمزة
للتوبيخ والتعجيب من حالهم والظاهر أنهم أهل الكتاب وكفرهم بعد الايمان تكذيبهم برسول الله صلى الله
عليه وسلم بعد اعترافهم به قبل مجيئه وعن عطاء تبيض وجوه المهاجرين والانصار وتسود وجوه بني قريظة
والنضير وقيل هم المرتدون وقيل أهل البدع والاهواء وعن أبي أمامة هم الخوارج ولما رآهم على درج
دمشق دمعت عيناه ثم قال كلاب النار هؤلاء شر قتلى تحت أديم السماء وخير قتلى تحت أديم السماء الذين
قتلهم هؤلاء فقال له أبو غالب أشيء تقوله برأيك أم شيء سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بل سمعته
من رسول الله صلى الله عليه وسلم غير مرة قال فما شأنك دمعت عيناك قال رحمة لهم كانوا من أهل الاسلام
فكفروا ثم قرأ هذه الآية ثم أخذ بيده فقال ان بأرضك منهم كثيرا فأعاذك الله منهم وقيل هم جميع الكفار
لاعراضهم عما أوجبه الاقرار حين أشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى (ففي رحمة الله) ففي نعمته
وهي الثواب المخلد (فان قلت) كيف موقع قوله (هم فيها خالدون) بعد قوله ففي رحمة الله (قلت) موقع
الاستئناف كأنه قيل كيف يكونون فيها فقيل هم فيها خالدون لا يظعنون عنها ولا يموتون (تلك آيات الله)
الواردة في الوعد والوعيد (نتلوها عليك) ملتبسة (بالحق) والعدل من جزاء المحسن والمسيء بما يستوجبانه
(وما الله يريد ظلما) فيأخذ أحدا بغير جرم أو يزيد في عقاب مجرم أو ينقص من ثواب محسن ونكر ظلما وقال
(للعالمين) على معنى ما يريد شيئا من الظلم لاحد من خلقه فسبحان من يحلم عمن يصفه بارادة القبائح والرضا بها

فالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فأما الذين اسودت وجوههم أكفرتم بعد ايمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون وأما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله هم فيها خالدون تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق وما الله يريد ظلما للعالمين ولله ما في السموات وما في الارض والى الله ترجع الامور

كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ولو آمن أهل الكتاب لكان خيرا لهم منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون لن يضروكم إلا أذى وإن يقاتلوكم يولوكم الأدبار ثم لا ينصرون ضربت عليهم الذلة أين ما ثقفوا إلا بحبل من الله وحبل من الناس وباؤا بغضب من الله وضربت عليهم المسكنة ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الأنبياء بغير حق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة

* كان عبارة عن وجود الشيء في زمان ماض على سبيل الإبهام وليس فيه دليل على عدم سابق ولا على انقطاع طارئ ومنه قوله تعالى وكان الله غفورا رحيما ومنه قوله تعالى (كنتم خير أمة) كأنه قيل وجدتم خير أمة وقيل كنتم في علم الله خير أمة وقيل كنتم في الأمم قبلكم مذكورين بأنكم خير أمة موصوفين به (أخرجت) أظهرت وقوله (تأمرون) كلام مستأنف بين به كونهم خير أمة كما تقول زيد كريم يطعم الناس ويكسوهم ويقوم بمصالحهم (وتؤمنون بالله) جعل الإيمان بكل ما يجب الإيمان به إيمانا بالله لأن من آمن ببعض ما يجب الإيمان به من رسول أو كتاب أو بعث أو حساب أو عقاب أو ثواب أو غير ذلك لم يعتد به فكأنه غير مؤمن بالله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا أولئك هم الكافرون حقا والدليل عليه قوله تعالى (ولو آمن أهل الكتاب) مع إيمانهم بالله (لكان خيرا لهم) لكان الإيمان خيرا لهم مما هم عليه لأنهم إنما آثروا دينهم على دين الإسلام حبا للرياسة واستتباع العوام ولو آمنوا لكان لهم من الرياسة والأتباع وحظوظ الدنيا ما هو خير مما آثروا دين الباطل لأجله مع الفوز بما وعدوه على الإيمان من إيتاء الأجر مرتين (منهم المؤمنون) كعبد الله بن سلام وأصحابه (وأكثرهم الفاسقون) المتمردون في الكفر (لن يضروكم إلا أذى) إلا ضررا مقتصرا على أذى بقول من طعن في الدين أو تهديد أو نحو ذلك (وإن يقاتلوكم يولوكم الأدبار) منهزمين ولا يضروكم بقتل أو أسر (ثم لا ينصرون) ثم لا يكون لهم نصر من أحد ولا يمنعون منكم وفيه تثبيت لمن أسلم منهم لأنهم كانوا يؤذونهم بالتلهي بهم وتوبيخهم وتضليلهم وتهديدهم وأنهم لا يقدرون أن يتجاوزوا الأذى بالقول إلى ضرر يبالى به مع أنه وعدهم الغلبة عليهم والانتقام منهم وأن عاقبة أمرهم الخذلان والذل (فإن قلت) هلا جزم المعطوف في قوله ثم لا ينصرون (قلت) عدل به عن حكم الجزاء إلى حكم الإخبار ابتداء كأنه قيل ثم أخبركم أنهم لا ينصرون (فإن قلت) فأي فرق بين رفعه وجزمه في المعنى (قلت) لو جزم لكان نفي النصر مقيدا بمقاتلتهم كتولية الأدبار وحين رفع كان نفي النصر وعدا مطلقا كأنه قال ثم شأنهم وقصتهم التي أخبركم عنها وأبشركم بها بعد التولية أنهم مخذولون منتف عنهم النصر والقوة لا ينهضون بعدها بجناح ولا يستقيم لهم أمر وكان كما أخبر من حال بني قريظة والنضير وبني قينقاع ويهود خيبر (فإن قلت) فما الذي عطف عليه هذا الخبر (قلت) جملة الشرط والجزاء كأنه قيل أخبركم أنهم إن يقاتلوكم ينهزموا ثم أخبركم أنهم لا ينصرون (فإن قلت) فما معنى التراخي في ثم (قلت) التراخي في المرتبة لأن الإخبار بتسليط الخذلان عليهم أعظم من الإخبار بتوليتهم الأدبار (فإن قلت) ما موقع الجملتين أعني منهم المؤمنون ولن يضروكم (قلت) هما كلامان واردان على طريق الاستطراد عند إجراء ذكر أهل الكتاب كما يقول القائل وعلى ذكر فلان فإن من شأنه كيت وكيت ولذلك جاءا من غير عاطف (بحبل من الله) في محل النصب على الحال بتقدير إلا معتصمين أو متمسكين أو ملتبسين بحبل من الله وهو استثناء من أعم عام الأحوال والمعنى ضربت عليهم الذلة في عامة الأحوال إلا في حال اعتصامهم بحبل الله وحبل الناس يعني ذمة الله وذمة المسلمين أي لا عز لهم قط إلا هذه الواحدة وهي التجاؤهم إلى الذمة لما قبلوه من الجزية (وباؤا بغضب من الله) استوجبوه (وضربت عليهم المسكنة) كما يضرب البيت على أهله فهم ساكنون في المسكنة غير ظاعنين عنها وهم اليهود عليهم لعنة الله وغضبه (ذلك) إشارة إلى ما ذكر من ضرب الذلة والمسكنة والبوء بغضب الله أي ذلك كائن بسبب كفرهم بآيات الله وقتلهم الأنبياء ثم قال (ذلك بما عصوا) أي ذلك كائن بسبب عصيانهم لله واعتدائهم لحدوده ليعلم أن الكفر وحده ليس بسبب في استحقاق سخط الله وأن سخط الله يستحق بركوب المعاصي كما يستحق بالكفر ونحوه مما خطيئاتهم أغرقوا وأخذهم الربا وقد نهوا عنه وأكلهم أموال الناس بالباطل * الضمير في (ليسوا) لأهل الكتاب أي ليس أهل الكتاب مستوين * وقوله (من أهل الكتاب أمة قائمة) كلام مستأنف لبيان قوله ليسوا سواء كما وقع قوله تأمرون بالمعروف بيانا لقوله كنتم خير أمة * أمة قائمة مستقيمة عادلة من قولك أقمت العود فقام بمعنى استقام وهم الذين أسلموا منهم * وعبر عن تهجدهم بتلاوة القرآن في ساعات الليل مع السجود لأنه

---

* قوله تعالى وإن يقاتلوكم يولوكم الأدبار ثم لا ينصرون (قال محمود إن قلت هلا جزم المعطوف في قوله ثم لا ينصرون الخ) قال أحمد وهذا من الترقي في الوعد بما هو أدنى إلى ما هو أعلى لأنهم وعدوا بتولية عدوهم الأدبار عند المقابلة ثم ترقى الوعد إلى ما هو أتم في الصاح من أن هؤلاء لا ينصرون مطلقا ويزيد هذا الترقي بدخول ثم دون الواو فإنها استعارة هنا للتراخي في الرتبة لا في الوجود كأنه قال ثم ههنا ما هو أعلى في الامتنان وأسمى في رتب

ايس

الاحسان وهوان هؤلاء قوم لا ينصرون ألبتة والله أعلم * قوله تعالى مثل ما ينفقون في هذه الحياة الدنيا كمثل ريح فيها صر أصابت حرث قوم ظلموا أنفسهم فاهلكته وما ظلمهم الله ولكن أنفسهم يظلمون (قال أبو القاسم محمود الصر الريح الباردة الخ) قال أحمد كلها أوجه وجيهة وهذا الاخير أحسنها وأوجهها لكن لم يبين الزمخشري وجه الطرفية في الامثلة المذكورة ونحن نبينه فنقول اذا قلت مثلا ان صيغني زيد في عمرو وبعد الله كاف فقولك كاف أتيت به مسكرا مجردا من القيود المشخصة المخصصة ثم جعلت المعين الذي هو عمرو محلاله فتشخصت ذلك المطلق لمجرد هذا المعين وهي طرفية صحيحة اذ كل مقيد ظرف لمطلقه اذ المطلق بعض المقيد وتنبه لهذه النكتة فانها لطيفة والله الموفق (قال محمود فان قلت الغرض تشبيه ما أنفقوا في قلة جدواه الخ) قال أحمد أما ايراد السؤال ولا ترتضي صيغته لما فيها من حيف بالادب الاجزم السائل المقدر بأن كلام الله تعالى غير مطابق لما ورد مورد التنوير بالسؤال (٣٢١) الوارد عن كتاب الله تعالى ان يذكر بصيغة الاسترشاد الصريحة لا بصيغة الاعتراض المحضة والعبارة الحصيفة ان يقال فاوجه مطابقة

١٤ كشاف ل الكلام للغرض ولا ينبغي التساهل في ذلك فان أحدنا لو أورد سؤالا على كلام امام معتبر برأي منه وسمع تخيل في أنواع التلطف في ايراده وبعد عن أمثال هذه العبارة ولعل الاعتراض على ذلك الامام يكون واردا لا يمكن عنه جواب فكيف يليق التسامح في ايراد الاسئلة على كتاب الله تعالى بصيغ الاعتراضات وغاية السائل عن كلام الله تعالى عن رأي منه وسمع على علم أنه كلام

يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون في الخيرات وأولئك من الصالحين وما يفعلوا من خير فلن يكفروه والله عليم بالمتقين ان الذين كفروا لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيأ وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون مثل ما ينفقون في هذه الحياة الدنيا كمثل ريح فيها صر أصابت حرث قوم ظلموا أنفسهم فأهلكته

أبين لما يعملون وأدل على حسن صورة أمرهم وقيل هي صلاة العشاء لان أهل الكتاب لا يصلونها وعن ابن مسعود رضي الله عنه أخر رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة العشاء ثم خرج الى المسجد فاذا الناس ينتظرون الصلاة فقال أما انه ليس من أهل الاديان أحد يذكر الله هذه الساعة غيركم وقرأ هذه الآية * وقوله (يتلون) و(يؤمنون) في محل الرفع صفتان لامة أي أمة قائمة تالون مؤمنون وصفهم بخصائص ما كانت في اليهود من تلاوة آيات الله بالليل ساجدين ومن الايمان بالله لان ايمانهم به كلا ايمان لاشراكهم به عزيرا وكفرهم ببعض الكتب والرسل دون بعض ومن الايمان باليوم الآخر لانهم يصفونه بخلاف صفته ومن الامر بالمعروف والنهي عن المنكر لانهم كانوا مداهنين ومن المسارعة في الخيرات لانهم كانوا متباطئين عنها غير راغبين فيها * والمسارعة في الخير فرط الرغبة فيه لان من رغب في الامر سارع في توليه والقيام به وآثر الفور على التراخي (وأولئك) الموصوفون بما وصفوا به (من) جملة (الصالحين) الذين صلحت أحوالهم عند الله ورضيهم واستحقوا ثناءه عليهم ويجوز أن يريد بالصالحين المسلمين (فلن يكفروه) لما جاء وصف الله عز وعلا بالشكر في قوله والله شكور حليم في معنى توفية الثواب نفى عنه نقيض ذلك (فان قلت) لم عدي الى مفعولين وشكر وكفر لا يتعديان الا الى واحد تقول شكر النعمة وكفرها (قلت) ضمن معنى الحرمان فكأنه قيل فلن تحرموه بمعنى فلن تحرموا جزاءه * وقرئ يفعلوا ويكفروه بالياء والتاء (والله عليم بالمتقين) بشارة للمتقين بجزيل الثواب ودلالة على أنه لا يفوز عنده الا أهل التقوى * الصر الريح الباردة نحو الصرصر قال

لا تعدلن أتاويين تضربهم * نكباء صر بأصحاب المحلات

كما قالت ليلى الاخيلية ولم تغلب الخصم الالد وتملأ الـ جفان سديفا يوم نكباء صرصر

(فان قلت) فما معنى قوله (كمثل ريح فيها صر) (قلت) فيه أوجه أحدها أن الصر في صفة الريح بمعنى الباردة فوصف بها القرة بمعنى فيها قرة صر كما تقول برد بارد على المبالغة والثاني أن يكون الصر مصدرا في الاصل بمعنى البرد فجيء به على أصله والثالث أن يكون من قوله تعالى لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة ومن قولك ان ضيعني فلان ففي الله كاف وكافل قال * وفي الرحمن للضعفاء كاف * شبه ما كانوا ينفقون من أموالهم في المكارم والمفاخر وكسب الثناء وحسن الذكر بين الناس لا يبتغون به وجه الله بالزرع الذي حسه البرد فذهب حطاما وقيل هو ما كانوا يتقربون به الى الله مع كفرهم وقيل ما أنفقوا في عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم فضاع عنهم لانهم لم ينالوا بانفاقه ما أنفقوه لاجله وشبه بحرث (قوم ظلموا أنفسهم) فأهلك عقوبة لهم على معاصيهم لان الاهلاك عن سخط أشد وأبلغ (٣) (فان قلت) الغرض تشبيه ما أنفقوا في قلة جدواه

(٣) (فان قلت) لم قال ظلموا أنفسهم ولم يقتصر بقوله أصابت الحرث أو أصابت حرث قوم (قلت) لان الغرض تشبيه ما ينفقون بشيء يذهب على الكلية حتى لا يبقى منه شيء وحرث الكافرين الظالمين هو الذي يذهب على الكلية لا منفعة لهم فيه لا في الدنيا ولا في الآخرة فاما حرث المسلم المؤمن فلا يذهب على الكلية لانه وان كان يذهب صورة الا أنه لا يذهب معنى لما فيه من حصول أعواض لهم في الآخرة والثواب بالصبر على الذهاب اهـ من هامش قال فيه حاشية كتبته باملاء المصنف

لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد فالأجدر أن يتوفر في الاسترشاد وأن يتأدب في الإيراد ثم نعود إلى جواب الزمخشري الثاني وهو قوله إن المراد مثل إهلاك ما ينفقون فنقول لم يكشف الغطاء بهذا الجواب عن المطابقة المسؤول عنها والسؤال باق وذلك أن الريح (٣٢٢) المشبه بها ليست الإهلاك وإنما هي المهلكة ولا مطابقة بين المصدر والاسم إلا بتأويل آخر وحينئذ يبعد هذا الوجه وأقرب منه أن يقول أصل الكلام والله أعلم مثل ما ينفقون في هذه الحياة الدنيا كمثل حرث قوم ظلموا أنفسهم فأصابته ريح فيها صر فأهلكته ولكن خولف هذا النظم في المثل المذكور لفائدة جليلة وهو تقديم ما هو أهم لأن الريح التي هي مثل العذاب ذكرها في سياق الوعيد والتهديد أهم من ذكر الحرث فقدمت عناية بذكرها واعتمادا على اطلاعي
أن الأفهام الصحيحة تستخرج المطابقة برد الكلام إلى أصله على أيسر وجه ومثل هذا في تحويل النظم لمثل هذه الفائدة قوله تعالى فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء أن تضل إحداهما الآية ومثله أيضا أعددت هذه الخشبة أن يميل الحائط فأدعمه والأصل

وما ظلمهم الله ولكن أنفسهم يظلمون يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر قد بينا لكم الآيات إن كنتم تعقلون ها أنتم أولاء تحبونهم ولا يحبونكم وتؤمنون بالكتاب كله وإذا لقوكم قالوا آمنا وإذا خلوا عضوا عليكم الأنامل من الغيظ قل موتوا بغيظكم إن الله عليم بذات الصدور إن تمسسكم حسنة تسؤهم وإن تصبكم سيئة يفرحوا بها

وضياعه بالحرث الذي ضربته الصر والكلام غير مطابق للغرض حيث جعل ما ينفقون ممثلا بالريح (قلت) هو من التشبيه المركب الذي مر في تفسير قوله كمثل الذي استوقد نارا ويجوز أن يراد مثل إهلاك ما ينفقون كمثل إهلاك ريح أو مثل ما ينفقون كمثل مهلك ريح وهو الحرث وقرئ تنفقون بالتاء (وما ظلمهم الله) الضمير للمنفقين على معنى وما ظلمهم الله بأن لم يقبل نفقاتهم ولكنهم ظلموا أنفسهم حيث لم يأتوا بها مستحقة للقبول أو لأصحاب الحرث الذين ظلموا أنفسهم أي وما ظلمهم الله بإهلاك حرثهم ولكن ظلموا أنفسهم بارتكاب ما استحقوا به العقوبة وقرئ ولكن بالتشديد بمعنى ولكن أنفسهم يظلمونها هم ولا يجوز أن يراد ولكنه أنفسهم يظلمون على إسقاط ضمير الشأن لأنه إنما يجوز في الشعر * بطانة الرجل ووليجته خصيصه وصفيه الذي يفضي إليه بشقوره ثقة به شبه ببطانة الثوب كما يقال فلان شعاري وعن النبي صلى الله عليه وسلم الأنصار شعار والناس دثار (من دونكم) من دون أبناء جنسكم وهم المسلمون ويجوز أن يتعلق بلا تتخذوا وبطانة على الوصف أي بطانة كائنة من دونكم مجاوزة لكم (لا يألونكم خبالا) يقال ألا في الأمر يألو فيه أي قصر فيه ثم استعمل معدى إلى مفعولين في قولهم لا آلوك نصحا ولا آلوك جهدا على التضمين والمعنى لا أمنعك نصحا ولا أنقصكه والخبال الفساد (ودوا ما عنتم) وداوا عنتكم على أن ما مصدرية والعنت شدة الضرر والمشقة وأصله انهياض العظم بعد جبره أي تمنوا أن يضروكم في دينكم ودنياكم أشد الضرر وأبلغه (قد بدت البغضاء من أفواههم) لأنهم لا يتمالكون مع ضبطهم أنفسهم وتحاملهم عليها أن ينفلت من ألسنتهم ما يعلم به بغضهم للمسلمين وعن قتادة قد بدت البغضاء لأوليائهم من المنافقين والكفار لاطلاع بعضهم بعضا على ذلك وفي قراءة عبد الله قد بدا البغضاء (قد بينا لكم الآيات) الدالة على وجوب الإخلاص في الدين وموالاة أولياء الله ومعاداة أعدائه (إن كنتم تعقلون) ما بين لكم فعملتم به (فإن قلت) كيف موقع هذه الجمل (قلت) يجوز أن يكون لا يألونكم صفة للبطانة وكذلك قد بدت البغضاء كأنه قيل بطانة غير آليكم خبالا بادية بغضاؤهم وأما قد بينا فكلام مبتدأ وأحسن منه وأبلغ أن تكون مستأنفات كلها على وجه التعليل للنهي عن اتخاذهم بطانة (ها) للتنبيه و(أنتم) مبتدأ و(أولاء) خبره أي أنتم أولاء الخاطئون في موالاة منافقي أهل الكتاب وقوله (تحبونهم ولا يحبونكم) بيان لخطئهم في موالاتهم حيث يبذلون محبتهم لأهل البغضاء وقيل أولاء موصول تحبونهم صلته والواو في (وتؤمنون) للحال وانتصابها من لا يحبونكم أي لا يحبونكم والحال أنكم تؤمنون بكتابهم كله وهم مع ذلك يبغضونكم فما بالكم تحبونهم وهم لا يؤمنون بشيء من كتابكم وفيه توبيخ شديد بأنهم في باطلهم أصلب منكم في حقكم ونحوه فإنهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون * ويوصف المغتاظ والنادم بعض الأنامل والبنان والإبهام قال الحرث بن ظالم المري

فأقتل أقواما لئاما أذلة * يعضون من غيظ رؤوس الأباهم

(قل موتوا بغيظكم) دعاء عليهم بأن يزداد غيظهم حتى يهلكوا به والمراد بزيادة الغيظ زيادة ما يغيظهم من قوة الإسلام وعز أهله وما لهم في ذلك من الذل والخزي والتبار (إن الله عليم بذات الصدور) فهو يعلم ما في صدور المنافقين من الحنق والبغضاء وما يكون منهم في حال خلو بعضهم ببعض وهو كلام داخل في جملة المقول أو خارج منها (فإن قلت) فكيف معناه على الوجهين (قلت) إذا كان داخلا في جملة المقول فمعناه أخبرهم بما يسرونه من عضهم الأنامل غيظا إذا خلوا وقل لهم إن الله عليم بما هو أخفى مما تسرونه بينكم وهو مضمرات الصدور فلا تظنوا أن شيئا من أسراركم يخفى عليه وإذا كان خارجا منها فمعناه قل لهم ذلك يا محمد ولا تتعجب من

اطلاعي اياك على ما يسرون فاني أعلم ما هو أخفى من ذلك وهو ما أضمروه في صدورهم ولم يظهروه بالسنتهم ويجوز ان لا يكون ثم قول وأن يكون قوله قل موتوا بغيظكم أمرا لرسول الله صلى الله عليه وسلم بطيب النفس وقوة الرجاء والاستبشار بوعد الله أن يهلكوا غيظا باعزاز الاسلام واذلالهم به كانه قيل حدث نفسك بذلك ● الحسنة الرخاء والخصب والنصرة والغنيمة ونحوها من المنافع * والسيئة ما كان ضد ذلك وهذا بيان لفرط معاداتهم حيث يحسدونهم على ما نالهم من الخير ويشمتون بهم فيما أصابهم من الشدة (فان قلت) كيف وصفت الحسنة بالمس والسيئة بالاصابة (قلت) المس مستعار لمعنى الاصابة فكان المعنى واحدا ألا ترى الى قوله ان تصبك حسنة تسؤهم وان تصبك مصيبة ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك اذا مسه الشر جزوعا واذا مسه الخير منوعا (وان تصبروا) على عداوتهم (وتتقوا) ما نهيتم عنه من موالاتهم أو وان تصبروا على تكاليف الدين ومشاقه وتتقوا الله في اجتنابكم محارمه كنتم في كنف الله فلا يضركم كيدهم وقرئ لا يضركم من ضاره يضيره ويضركم على أن ضمة الراء لاتباع ضمة الضاد كقولك مد يا هذا وروى المفضل عن عاصم لا يضركم بفتح الراء وهذا تعليم من الله وارشاد الى أن يستعان على كيد العدو بالصبر والتقوى وقد قال الحكماء اذا أردت أن تكبت من يحسدك فازدد فضلا في نفسك (ان الله بما تعملون) من الصبر والتقوى وغيرهما (محيط) ففاعل بكم ما أنتم أهله وقرئ بالياء أي انه عالم بما يعملون في عداوتكم فمعاقبهم عليه * (و) اذكر (اذ غدوت من أهلك) بالمدينة وهو غدوه الى أحد من حجرة عائشة رضي الله عنها روي أن المشركين نزلوا بأحد يوم الاربعاء فاستشار رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه ودعا عبد الله بن أبي ابن سلول ولم يدعه قط قبلها فاستشاره فقال عبد الله وأكثر الانصار يا رسول الله أقم بالمدينة ولا تخرج اليهم والله ما خرجنا منها الى عدو قط الا أصاب منا ولا دخلها علينا الا أصبنا منه فكيف وأنت فينا فدعهم فان أقاموا أقاموا بشر محبس وان دخلوا قاتلهم الرجال في وجوههم ورماهم النساء والصبيان بالحجارة وان رجعوا رجعوا خائبين وقال بعضهم يا رسول الله اخرج بنا الى هؤلاء الاكلب لا يرون أنا قد جبنا فقال صلى الله عليه وسلم اني قد رأيت في منامي بقرا مذبحة حولي فأولتها خيرا ورأيت في ذباب سيفي ثلما فأولته هزيمة ورأيت كأني أدخلت يدي في درع حصينة فأولتها المدينة فان رأيتم أن تقيموا بالمدينة وتدعوهم فقال رجال من المسلمين قد فاتتهم بدر وأكرمهم الله بالشهادة يوم أحد اخرج بنا الى أعدائنا فلم يزالوا به حتى دخل فلبس لامته فلما رأوه قد لبس لامته ندموا وقالوا بئسما صنعنا نشير على رسول الله صلى الله عليه وسلم والوحي يأتيه وقالوا اصنع يا رسول الله ما رأيت فقال لا ينبغي لنبي أن يلبس لامته فيضعها حتى يقاتل فخرج يوم الجمعة بعد صلاة الجمعة وأصبح بالشعب من أحد يوم السبت للنصف من شوال فمشى على رجليه فجعل يصف أصحابه للقتال كانما يقوم بهم القدح ان رأى صدرا خارجا قال تأخر وكان نزوله في عدوة الوادي وجعل ظهره وعسكره الى أحد وأمر عبد الله بن جبير على الرماة وقال لهم انضحوا عنا بالنبل لا يأتونا من ورائنا (تبوئ المؤمنين) تنزلهم وقرأ عبد الله للمؤمنين بمعنى تسوي لهم وتهيئ (مقاعد للقتال) مواطن ومواقف وقد اتسع في قعد وقام حتى أجريا مجرى صار واستعمل المقعد والمقام في معنى المكان ومنه قوله تعالى في مقعد صدق وقبل أن تقوم من مقامك من مجلسك وموضع حكمك (والله سميع) لاقوالكم (عليم) بنياتكم وضمائركم (اذ همت) بدل من اذ غدوت أو عمل فيه معنى سميع عليم * والطائفتان حيان من الانصار بنو سلمة من الخزرج وبنو حارثة من الاوس وهما الجناحان خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في ألف وقيل في تسعمائة وخمسين والمشركون في ثلاثة آلاف ووعدهم الفتح ان صبروا فانخزل عبد الله بن أبي بثلث الناس وقال يا قوم علام نقتل أنفسنا وأولادنا فتبعهم عمرو بن حزم الانصاري فقال أنشدكم الله في نبيكم وأنفسكم فقال عبد الله لو نعلم قتالا لاتبعناكم فهم الحيان باتباع عبد الله فعصمهم الله فمضوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن ابن عباس رضي الله عنه أضمروا أن يرجعوا فعزم الله لهم على الرشد فثبتوا والظاهر أنها ما كانت الا همة وحديث نفس وكما لا تخلو النفس عند الشدة من بعض الهلع ثم يردها صاحبها الى الثبات والصبر ويوطنها على احتمال المكروه

وان تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيأ ان الله بما يعملون محيط واذ غدوت من أهلك تبوئ المؤمنين مقاعد للقتال والله سميع عليم اذ همت طائفتان منكم أن تفشلا

أن تذكر احداهما الاخرى ان ضلت وأن أدعم بالحائط اذا مال وأمثال ذلك كثيرة والله الموفق

● قوله تعالى ان تمسسكم حسنة تسؤهم وان تصبكم سيئة يفرحوا بها (قال محمود ان قلت كيف وصفت الحسنة بالمس والسيئة بالاصابة الخ) قال أحمد يمكن ان يقال المس أقل تمكنا من الاصابة وكانه أقل درجاتها فكان الكلام والله أعلم ان تصبكم الحسنة أدنى اصابة تسؤهم ويحسدوكم عليها وان تمكنت الاصابة منكم وانتهى الامر فيها الى الحد الذي يرثي الشامت عنده منها فهم لا يرثون لكم ولا ينفكون عن حسدهم ولا في هذه الحال بل يفرحون ويسرون والله أعلم

كما قال عمرو بن الإطنابة أقول لها إذا جشأت وجاشت * مكانك تحمدي أو تستريحي
حتى قال معاوية عليكم بحفظ الشعر فقد كدت أضع رجلي في الركاب يوم صفين فما ثبتني إلا قول عمرو بن الإطنابة ولو كانت عزيمة لما ثبتت معها الولاية والله تعالى يقول (والله وليهما) ويجوز أن يراد والله ناصرهما ومتولي أمرهما فما لهما تفشلان ولا تتوكلان على الله (فإن قلت) فما معنى ما روي من قول بعضهم عند نزول الآية والله ما يسرنا أنا لم نهم بالذي هممنا وقد أخبرنا الله أنه وليهما (قلت) معنى ذلك فرط الاستبشار بما حصل لهم من الشرف بثناء الله وإنزاله فيهم آية ناطقة بصحة الولاية وأن تلك الهمة غير المأخوذ بها لأنها لم تكن عن عزيمة وتصميم كانت سببا لنزولها * والفشل الجبن والخور وقرأ عبد الله والله وليهم كقوله وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا * أمرهم بأن لا يتوكلوا إلا عليه ولا يفوضوا أمورهم إلا إليه * ثم ذكرهم ما يوجب عليهم التوكل مما يسر لهم من الفتح يوم بدر وهم في حال قلة وذلة * والأذلة جمع قلة والذلان جمع الكثرة وجاء بجمع القلة ليدل على أنهم على ذلتهم كانوا قليلا وذلتهم ما كان بهم من ضعف الحال وقلة السلاح والمال والمركوب وذلك أنهم خرجوا على النواضح يعتقب النفر منهم على البعير الواحد وما كان معهم إلا فرس واحد وقلتهم أنهم كانوا ثلثمائة وبضعة عشر وكان عدوهم في حال كثرة زهاء ألف مقاتل ومعهم مائة فرس والشكة والشوكة * وبدر اسم ماء بين مكة والمدينة كان لرجل يسمى بدرا فسمي به (فاتقوا الله) في الثبات مع رسوله (لعلكم تشكرون) بتقواكم ما أنعم به عليكم من نصرته أو لعلكم ينعم الله عليكم نعمة أخرى تشكرونها فوضع الشكر موضع الإنعام لأنه سبب له (إذ تقول) ظرف لنصركم على أن يقول لهم ذلك يوم بدر أو بدل ثان من إذ غدوت على أن يقوله لهم يوم أحد (فإن قلت) كيف يصح أن يقوله لهم يوم أحد ولم تنزل فيه ملائكة (قلت) قاله لهم مع اشتراط الصبر والتقوى عليهم فلم يصبروا عن الغنائم ولم يتقوا حيث خالفوا أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فلذلك لم تنزل الملائكة ولو تموا على ما شرط عليهم لنزلت وإنما قدم لهم الوعد بنزول الملائكة لتقوى قلوبهم ويعزموا على الثبات ويثقوا بنصر الله ومعنى (ألن يكفيكم) إنكار أن لا يكفيهم الإمداد بثلاثة آلاف من الملائكة وإنما جيء بلن الذي هو لتأكيد النفي للإشعار بأنهم كانوا لقلتهم وضعفهم وكثرة عدوهم وشوكته كالآيسين من النصر و (بلى) إيجاب لما بعد لن يعني بلى يكفيكم الإمداد بهم فأوجب الكفاية ثم قال (إن تصبروا وتتقوا) يمددكم بأكثر من ذلك العدد مسومين للقتال (ويأتوكم) يعني المشركين (من فورهم هذا) من قولك قفل من غزوته وخرج من فوره إلى غزوة أخرى وجاء فلان ورجع من فوره ومنه قول أبي حنيفة رحمه الله الأمر على الفور لا على التراخي وهو مصدر من فارت القدر إذا غلت فاستعير للسرعة ثم سميت به الحالة التي لا ريث فيها ولا تعريج على شيء من صاحبها فقيل خرج من فوره كما تقول من ساعته لم يلبث والمعنى أنهم إن يأتوكم من ساعتهم هذه (يمددكم ربكم) بالملائكة في حال إتيانهم لا يتأخر نزولهم عن إتيانهم يريد أن الله يعجل نصرتكم وييسر فتحكم إن صبرتم واتقيتم * وقرئ منزلين بالتشديد ومنزلين بكسر الزاي بمعنى منزلين النصر ومسومين بفتح الواو وكسرها بمعنى معلمين ومعلمين أنفسهم أو خيلهم قال الكلبي معلمين بعمائم صفر مرخاة على أكتافهم وعن الضحاك معلمين بالصوف الأبيض في نواصي الدواب وأذنابها وعن مجاهد مجزوزة أذناب خيلهم وعن قتادة كانوا على خيل بلق وعن عروة بن الزبير كانت عمامة الزبير يوم بدر صفراء فنزلت الملائكة كذلك وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال لأصحابه تسوموا فإن الملائكة قد تسومت (وما جعله الله) الهاء لأن يمدكم أي وما جعل الله إمدادكم بالملائكة إلا بشارة لكم بأنكم تنصرون (ولتطمئن قلوبكم به) كما كانت السكينة لبني إسرائيل بشارة بالنصر وطمأنينة لقلوبهم (وما النصر إلا من عند الله) لا من عند المقاتلة إذا تكاثروا ولا من عند الملائكة والسكينة ولكن ذلك مما يقوي به الله رجاء النصرة والطمع في الرحمة ويربط به على قلوب المجاهدين (العزيز) الذي لا يغالب في حكمه (الحكيم) الذي يعطي النصر ويمنعه لما يرى من المصلحة (ليقطع طرفا من الذين كفروا) ليهلك طائفة منهم بالقتل والأسر وهو ما كان يوم بدر من قتل سبعين وأسر سبعين من رؤساء قريش وصناديدهم (أو يكبتهم)

والله وليهما وعلى الله فليتوكل المؤمنون ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة فاتقوا الله لعلكم تشكرون إذ تقول للمؤمنين ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين بلى إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين وما جعله الله إلا بشرى لكم ولتطمئن قلوبكم به وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم ليقطع طرفا من الذين كفروا أو يكبتهم

أو يخزيهم ويغيظهم بالهزيمة (فينقلبوا خائبين) غير ظافرين بمبتغاهم ونحوه ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا ويقال كبته بمعنى كبده اذا ضرب كبده بالغيظ والحرقة وقيل في قول أبي الطيب

* لا كبت حاسدا وأرى عدو *

هو من الكبد والرئة واللام متعلقة بقوله ولقد نصركم الله أو بقوله وما النصر الا من عند الله (أو يتوب) عطف على ما قبله * وليس لك من الامر شيء اعتراض والمعنى أن الله مالك أمرهم فاما يهلكهم أو يهزمهم أو يتوب عليهم ان أسلموا أو يعذبهم ان أصروا على الكفر وليس لك من أمرهم شيء انما أنت عبد مبعوث لانذارهم ومجاهدتهم وقيل ان يتوب منصوب باضمار أن وأن يتوب في حكم اسم معطوف بأو على الامر أو على شيء أي ليس لك من أمرهم شيء أو من التوبة عليهم أو من تعذيبهم أو ليس لك من أمرهم شيء أو التوبة عليهم أو تعذيبهم وقيل أو بمعنى الا أن كقولك لالزمنك أو تعطيني حقي على معنى ليس لك من أمرهم شيء الا أن يتوب الله عليهم فتفرح بحالهم أو يعذبهم فتتشفى منهم وقيل شجه عتبة بن أبي وقاص يوم أحد وكسر رباعيته فجعل يمسح الدم عن وجهه وسالم مولى أبي حذيفة يغسل عن وجهه الدم وهو يقول كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم وهو يدعوهم الى ربهم فنزلت وقيل أراد أن يدعو عليهم فنهاه الله تعالى لعلمه أن فيهم من يؤمن * وعن الحسن (يغفر لمن يشاء) بالتوبة ولا يشاء أن يغفر الا للتائبين (ويعذب من يشاء) ولا يشاء أن يعذب الا المستوجبين للعذاب وعن عطاء يغفر لمن يتوب اليه ويعذب من لقيه ظالما واتباعه قوله أو يتوب عليهم أو يعذبهم فانهم ظالمون تفسير بين لمن يشاء وأنهم المتوب عليهم أو المعذبون ولكن أهل الاهواء والبدع يتصامون ويتعامون عن آيات الله فيخبطون خبط عشواء ويطيبون أنفسهم بما يفترون على ابن عباس من قولهم يهب الذنب الكبير لمن يشاء ويعذب من يشاء على الذنب الصغير * (لا تأكلوا الربا أضعافا مضاعفة) نهي عن الربا مع توبيخ بما كانوا عليه من تضعيفه كان الرجل منهم اذا بلغ الدين محله زاد في الاجل فاستغرق بالشيء الطفيف مال المديون (واتقوا النار التي أعدت للكافرين) كان أبو حنيفة رحمه الله يقول هي أخوف آية في القرآن حيث أوعد الله المؤمنين بالنار المعدة للكافرين ان لم يتقوه في اجتناب محارمه * وقد أمد ذلك بما أتبعه من تعليق رجاء المؤمنين لرحمته بتوفرهم على طاعته وطاعة رسوله ومن تأمل هذه الآية وأمثالها لم يحدث نفسه بالاطماع الفارغة والتمني على الله تعالى * وفي ذكره تعالى لعل وعسى في نحو هذه المواضع وان قال الناس ما قالوا ما لا يخفى على العارف الفطن من دقة مسلك التقوى وصعوبة اصابة رضا الله وعزة التوصل الى رحمته وثوابه * في مصاحف أهل المدينة والشام سارعوا بغير واو وقرأ الباقون بالواو وتنصره قراءة أبي وعبد الله وسابقوا ومعنى المسارعة الى المغفرة والجنة الاقبال على ما يستحقان به (عرضها السموات والارض) أي عرضها عرض السموات والارض كقوله عرضها كعرض السماء والارض والمراد وصفها بالسعة والبسطة فشبهت بأوسع ما علمه الناس من خلقه وأبسطه وخص العرض لانه في العادة أدنى من الطول للمبالغة كقوله بطائنها من استبرق وعن ابن عباس رضي الله عنه كسبع سموات وسبع أرضين لو وصل بعضها ببعض (في السراء والضراء) في حال الرخاء واليسر وحال الضيقة والعسر لا يخلون بأن ينفقوا في كلتا الحالتين ما قدروا عليه من كثير أو قليل كما حكي عن بعض السلف أنه ربما تصدق ببصلة وعن عائشة رضي الله عنها أنها تصدقت بحبة عنب أو في جميع الاحوال لانهم لا يخلون من حال مسرة ومضرة لا تمنعهم حال فرح وسرور ولا حال محنة وبلاء من المعروف وسواء عليهم كان الواحد منهم في عرس أو في حبس فانه لا يدع الاحسان وافتتح بذكر الانفاق لانه أشق شيء على النفس وأدله على الاخلاص ولانه كان في ذلك الوقت أعظم الاعمال للحاجة اليه في مجاهدة العدو ومواساة فقراء المسلمين * كظم القربة اذا ملأها وشد فاها وكظم البعير اذا لم يجتر ومنه كظم الغيظ وهو أن يمسك على ما في نفسه منه بالصبر ولا يظهر له أثرا وعن النبي صلى الله عليه وسلم من كظم غيظا وهو يقدر على انفاذه

فينقلبوا خائبين ليس لك من الامر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فانهم ظالمون ولله ما في السموات وما في الارض يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله غفور رحيم يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافا مضاعفة واتقوا الله لعلكم تفلحون واتقوا النار التي أعدت للكافرين وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والارض أعدت للمتقين الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ

---

* قوله تعالى يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء (قال محمود معناه يغفر لمن يشاء بالتوبة الخ) قال أحمد هذه الآية واردة في الكفار ومعتقد أهل السنة ان المغفرة في حقهم مشروطة بالتوبة من الكفر والرجوع الى الايمان وليسوا محل خلاف بين الطائفتين وعندهم ان المؤمن التائب من كفره هو المعنى في قوله يغفر لمن يشاء كما قاله الزمخشري وأما تسلقه من ذلك على تعميم هذا الحكم وتعديته الى الموحدين فمن التعامي والتصام حقيقة ولا بهو أحذق من ذلك وأما نسبته الى أهل السنة التعامي والتصام والهوى والبدعة والافتراء فالله حسيبه في ذلك والسلام

والعافين عن الناس والله يحب المحسنين والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ونعم أجر العاملين قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون

ملأ الله قلبه أمنا وإيمانا وعن عائشة رضي الله عنها أن خادما لها غاظها فقالت لله در التقوى ما تركت لذي
غيظ شفاء (والعافين عن الناس) إذا جنى عليهم أحد لم يؤاخذوه وروي ينادي مناد يوم القيامة أين الذين
كانت أجورهم على الله فلا يقوم إلا من عفا وعن ابن عيينة أنه رواه للرشيد وقد غضب على رجل فخلاه وعن
النبي صلى الله عليه وسلم إن هؤلاء في أمتي قليل إلا من عصم الله وقد كانوا كثيرا في الأمم التي مضت (والله
يحب المحسنين) يجوز أن تكون اللام للجنس فيتناول كل محسن ويدخل تحته هؤلاء المذكورون وأن
تكون للعهد فتكون إشارة إلى هؤلاء (والذين) عطف على المتقين أي أعدت للمتقين والتائبين وقوله أولئك
إشارة إلى الفريقين ويجوز أن يكون والذين مبتدأ خبره أولئك (فاحشة) فعلة متزايدة القبح (أو ظلموا
أنفسهم) أو أذنبوا أي ذنب كان مما يؤاخذون به وقيل الفاحشة الزنا وظلم النفس ما دونه من القبلة
واللمسة ونحوهما وقيل الفاحشة الكبيرة وظلم النفس الصغيرة (ذكروا الله) تذكروا عقابه أو وعيده
أو نهيه أو حقه العظيم وجلاله الموجب للخشية والحياء منه (فاستغفروا لذنوبهم) فتابوا عنها لقبحها نادمين
عازمين (ومن يغفر الذنوب إلا الله) وصف لذاته بسعة الرحمة وقرب المغفرة وأن التائب من الذنب عنده كمن
لا ذنب له وأنه لا مفزع للمذنبين إلا فضله وكرمه وأن عدله يوجب المغفرة للتائب لأن العبد إذا جاء في
الاعتذار والتنصل بأقصى ما يقدر عليه وجب العفو والتجاوز وفيه تطييب لنفوس العباد وتنشيط للتوبة
وبعث عليها وردع عن اليأس والقنوط وأن الذنوب وإن جلت فإن عفوه أجل وكرمه أعظم والمعنى أنه وحده
معه مصححات المغفرة وهذه جملة معترضة بين المعطوف والمعطوف عليه (ولم يصروا) ولم يقيموا على قبيح
فعلهم غير مستغفرين وعن النبي صلى الله عليه وسلم ما أصر من استغفر وإن عاد في اليوم سبعين مرة وروي
لا كبيرة مع الاستغفار ولا صغيرة مع الإصرار (وهم يعلمون) حال من فعل الإصرار وحرف النفي منصب
عليهما معا والمعنى وليسوا ممن يصرون على الذنوب وهم عالمون بقبحها وبالنهي عنها وبالوعيد عليها لأنه قد يعذر
من لا يعلم قبح القبيح وفي هذه الآيات بيان قاطع أن الذين آمنوا على ثلاث طبقات متقون وتائبون ومصرون
وأن الجنة للمتقين والتائبين منهم دون المصرين ومن خالف في ذلك فقد كابر عقله وعاند ربه ● قال (أجر
العاملين) بعد قوله جزاؤهم لأنهما في معنى واحد وإنما خالف بين اللفظين لزيادة التنبيه على أن ذلك جزاء
واجب على عمل وأجر مستحق عليه لا كما يقول المبطلون وروي أن الله عز وجل أوحى إلى موسى ما أقل حياء
من يطمع في جنتي بغير عمل كيف أجود برحمتي على من يبخل بطاعتي وعن شهر بن حوشب طلب الجنة بلا
عمل ذنب من الذنوب وانتظار الشفاعة بلا سبب نوع من الغرور وارتجاء الرحمة ممن لا يطاع حمق وجهالة
وعن الحسن رضي الله عنه يقول الله تعالى يوم القيامة جوزوا الصراط بعفوي وادخلوا الجنة برحمتي
واقتسموها بأعمالكم وعن رابعة البصرية رضي الله عنها أنها كانت تنشد

ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها ● إن السفينة لا تجري على اليبس

والمخصوص بالمدح محذوف تقديره ونعم أجر العاملين ذلك يعني المغفرة والجنات (قد خلت من قبلكم سنن)
يريد ما سنه الله في الأمم المكذبين من وقائعه كقوله وقتلوا تقتيلا سنة الله في الذين خلوا من قبل ثم لا يجدون
وليا ولا نصيرا سنة الله التي قد خلت من قبل (هذا بيان للناس) إيضاح لسوء عاقبة ما هم عليه من التكذيب
يعني حثهم على النظر في سوء عواقب المكذبين قبلهم والاعتبار بما يعاينون من آثار هلاكهم (وهدى
وموعظة للمتقين) يعني أنه مع كونه بيانا وتنبيها للمكذبين فهو زيادة تثبيت وموعظة للذين اتقوا من المؤمنين
ويجوز أن يكون قوله قد خلت جملة معترضة للبعث على الإيمان وما يستحق به ما ذكر من أجر العاملين ويكون
قوله هذا بيان إشارة إلى ما لخص وبين من أمر المتقين والتائبين والمصرين (ولا تهنوا ولا تحزنوا) تسلية من
الله سبحانه لرسوله صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين عما أصابهم يوم أحد وتقوية من قلوبهم يعني ولا تضعفوا عن
الجهاد لما أصابكم أي لا يورثنكم ذلك وهنا وجبنا ولا تبالوا به ولا تحزنوا على من قتل منكم وجرح (وأنتم الأعلون)
وحالكم أنكم أعلى منهم وأغلب لأنكم أصبتم منهم يوم بدر أكثر مما أصابوا منكم يوم أحد أو وأنتم الأعلون

شأنا لأن قتالكم لله ولإعلاء كلمته وقتالهم للشيطان ولإعلاء كلمة الكفر ولأن قتلاكم في الجنة وقتلاهم في النار أو هي بشارة لهم بالعلو والغلبة أي وأنتم الأعلون في العاقبة وإن جندنا لهم الغالبون (إن كنتم مؤمنين) متعلق بالنهي بمعنى ولا تهنوا إن صح إيمانكم على أن صحة الإيمان توجب قوة القلب والثقة بصنع الله وقلة المبالاة بأعدائه أو بالأعلون أي إن كنتم مصدقين بما يعدكم الله ويبشركم به من الغلبة * قرئ قرح بفتح القاف وضمها وهما لغتان كالضعف والضعف وقيل هو بالفتح الجراح وبالضم ألمها وقرأ أبو السمال قرح بفتحتين وقيل القرح والقرح كالطرد والطرد والمعنى إن نالوا منكم يوم أحد فقد نلتم منهم قبله يوم بدر ثم لم يضعف ذلك قلوبهم ولم يثبطهم عن معاودتكم بالقتال فأنتم أولى أن لا تضعفوا ونحوه فإنهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون وقيل كان ذلك يوم أحد فقد نالوا منهم قبل أن يخالفوا أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم (فإن قلت) كيف قيل (قرح مثله) وما كان قرحهم يوم أحد مثل قرح المشركين قلت بلى كان مثله ولقد قتل يومئذ خلق من الكفار ألا ترى إلى قوله تعالى ولقد صدقكم الله وعده إذ تحسونهم بإذنه حتى إذا فشلتم وتنازعتم في الأمر وعصيتم من بعد ما أراكم ما تحبون (وتلك الأيام) تلك مبتدأ والأيام صفته و(نداولها) خبره ويجوز أن يكون تلك الأيام مبتدأ وخبرا كما تقول هي الأيام تبلى كل جديد والمراد بالأيام أوقات الظفر والغلبة نداولها نصرفها بين الناس نديل تارة لهؤلاء وتارة لهؤلاء كقوله وهو من أبيات الكتاب

فيوما علينا ويوما لنا * ويوما نساء ويوما نسر

ومن أمثال العرب الحرب سجال وعن أبي سفيان أنه صعد الجبل يوم أحد فمكث ساعة ثم قال أين ابن أبي كبشة أين ابن أبي قحافة أين ابن الخطاب فقال عمر هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا أبو بكر وها أنا عمر فقال أبو سفيان يوم بيوم والأيام دول والحرب سجال فقال عمر رضي الله عنه لا سواء قتلانا في الجنة وقتلاكم في النار فقال إنكم تزعمون ذلك فقد خبنا إذن وخسرنا والمداولة مثل المعاورة وقال

يرد المياه فلا يزال مداولا * في الناس بين تمثل وسماع

يقال داولت بينهم الشيء فتداولوه (وليعلم الله الذين آمنوا) فيه وجهان أحدهما أن يكون المعلل محذوفا معناه وليتميز الثابتون على الإيمان من الذين على حرف فعلنا ذلك وهو من باب التمثيل بمعنى فعلنا ذلك فعل من يريد أن يعلم من الثابت على الإيمان منكم من غير الثابت وإلا فالله عز وجل لم يزل عالما بالأشياء قبل كونها وقيل معناه ليعلمهم علما يتعلق به الجزاء وهو أن يعلمهم موجودا منهم الثبات والثاني أن تكون العلة محذوفة وهذا عطف عليه معناه وفعلنا ذلك ليكون كيت وكيت وليعلم الله وإنما حذف للإيذان بأن المصلحة فيما فعل ليست بواحدة ليسليهم عما جرى عليهم وليبصرهم أن العبد يسوءه ما يجري عليه من المصائب ولا يشعر أن لله في ذلك من المصالح ما هو غافل عنه (ويتخذ منكم شهداء) وليكرم ناسا منكم بالشهادة يريد المستشهدين يوم أحد أو وليتخذ منكم من يصلح للشهادة على الأمم يوم القيامة بما يبتلي به صبركم من الشدائد من قوله تعالى لتكونوا شهداء على الناس (والله لا يحب الظالمين) اعتراض بين بعض التعليل وبعض ومعناه والله لا يحب من ليس من هؤلاء الثابتين على الإيمان المجاهدين في سبيل الله الممحصين من الذنوب والتمحيص التطهير والتصفية (ويمحق الكافرين) ويهلكهم يعني إن كانت الدولة على المؤمنين فللتمييز والاستشهاد والتمحيص وغير ذلك مما هو أصلح لهم وإن كانت على الكافرين فلمحقهم ومحو آثارهم (أم) منقطعة ومعنى الهمزة فيها الإنكار (ولما يعلم الله) بمعنى ولما تجاهدوا لأن العلم متعلق بالمعلوم فنزل نفي العلم منزلة نفي متعلقه لأنه منتف بانتفائه يقول الرجل ما علم الله في فلان خيرا يريد ما فيه خير حتى يعلمه ولما بمعنى لم إلا أن فيها ضربا من التوقع فدل على نفي الجهاد فيما مضى وعلى توقعه فيما يستقبل وتقول وعدني أن يفعل

إن كنتم مؤمنين إن يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله وتلك الأيام نداولها بين الناس وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء والله لا يحب الظالمين وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم

---

* قوله تعالى أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم الآية (قال محمود ولما تجاهدوا لأن العلم متعلق بالمعلوم الخ) قال أحمد التعبير عن نفي المعلوم بنفي العلم خاص بعلم الله تعالى لأنه يلزم من عدم تعلق علمه بوجود شيء ما عدم ذلك الشيء ضرورة أنه لا يعزب عن علمه شيء لعموم تعلقه فاستقام التعبير عن نفي الشيء بنفي تعلق العلم القديم بوجوده المصحح للازمة ولا كذلك علم آحاد المخلوقين فإنه لا يعبر عن نفي شيء بنفي تعلق علم الخلق به لجواز وجود ذلك الشيء غير معلوم للخلق والزمخشري يظهر من كلامه صحة هذا التعبير مطلقا ويعتقد الملازمة المذكورة عامة فلذلك قال في قول فرعون ما علمت لكم من إله غيري إنه عبر عن نفي المعلوم بنفي العلم لأنه من لوازمه وسيأتي بيان أن الزمخشري وهم في هذا الموضع والأمر فيه أنأى عن الوقوع في مثله بعدا والله أعلم وإنما عبر فرعون بذلك تدليسا على قومه وتتميما لدعوى ألوهيته الكاذبة بأنه لا يعزب عن علمه شيء فلو كان إله سواه على دعواه لتعلق علمه به وهذا بعد من حماقات فرعون ودعاويه الفارغة والله الموفق

كذا ولما تريد ولم يفعل وأنا أتوقع فعله وقرئ ولما يعلم الله بفتح الميم وقيل أراد النون الخفيفة ولما يعلمن فحذفها
(ويعلم الصابرين) نصب بإضمار أن والواو بمعنى الجمع كقولك لا تأكل السمك وتشرب اللبن وقرأ الحسن
بالجزم على العطف وروى عبد الوارث عن أبي عمرو ويعلم بالرفع على أن الواو للحال كأنه قيل ولما تجاهدوا
وأنتم صابرون (ولقد كنتم تمنون الموت) خوطب به الذين لم يشهدوا بدرا وكانوا يتمنون أن يحضروا مشهدا
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصيبوا من كرامة الشهادة ما نال شهداء بدر وهم الذين ألحوا على
رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخروج إلى المشركين وكان رأيه في الإقامة بالمدينة يعني وكنتم تمنون
الموت قبل أن تشاهدوه وتعرفوا شدته وصعوبة مقاساته (فقد رأيتموه وأنتم تنظرون) أي رأيتموه معاينين
مشاهدين له حين قتل بين أيديكم من قتل من إخوانكم وأقاربكم وشارفتم أن تقتلوا وهذا توبيخ لهم على
تمنيهم الموت وعلى ما تسببوا له من خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم بإلحاحهم عليه ثم انهزامهم عنه وقلة
ثباتهم عنده (فإن قلت) كيف يجوز تمني الشهادة وفي تمنيها تمني غلبة الكافر المسلم (قلت) قصد متمني الشهادة
إلى نيل كرامة الشهداء لا غير ولا يذهب وهمه إلى ذلك المتضمن كما أن من يشرب دواء الطبيب النصراني
قاصد إلى حصول المأمول من الشفاء ولا يخطر بباله أن فيه جر منفعة وإحسان إلى عدو الله وتنفيق لصناعته
ولقد قال عبد الله بن رواحة رضي الله عنه حين نهض إلى مؤتة وقيل له ردكم الله

لكنني أسأل الرحمن مغفرة ● وضربة ذات فرغ تقذف الزبدا
أو طعنة بيدي حران مجهزة ● بحربة تنفذ الأحشاء والكبدا
حتى يقولوا إذا مروا على جدثي ● أرشده الله من غاز وقد رشدا

● لما رمى عبد الله بن قمئة الحارثي رسول الله صلى الله عليه وسلم بحجر فكسر رباعيته وشج وجهه أقبل يريد
قتله فذب عنه صلى الله عليه وسلم مصعب بن عمير وهو صاحب الراية يوم بدر ويوم أحد حتى قتله ابن قمئة وهو
يرى أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قد قتلت محمدا وصرخ صارخ ألا إن محمدا قد قتل وقيل كان الصارخ
الشيطان ففشا في الناس خبر قتله فانكفؤا وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو إلي عباد الله حتى انحازت
إليه طائفة من أصحابه فلامهم على هربهم فقالوا يا رسول الله فديناك بآبائنا وأمهاتنا أتانا خبر قتلك فرعبت
قلوبنا فولينا مدبرين وروي أنه لما صرخ الصارخ قال بعض المسلمين ليت عبد الله بن أبي يأخذ لنا
أمانا من أبي سفيان وقال ناس من المنافقين لو كان نبيا لما قتل ارجعوا إلى إخوانكم وإلى دينكم فقال أنس
ابن النضر عم أنس بن مالك يا قوم إن كان قتل محمد فإن رب محمد حي لا يموت وما تصنعون بالحياة بعد رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقاتلوا على ما قاتل عليه وموتوا على ما مات عليه ثم قال اللهم إني أعتذر إليك مما يقول
هؤلاء وأبرأ إليك مما جاء به هؤلاء ثم شد بسيفه فقاتل حتى قتل وعن بعض المهاجرين أنه مر بأنصاري يتشحط
في دمه فقال يا فلان أشعرت أن محمدا قد قتل فقال إن كان قد قتل فقد بلغ قاتلوا على دينكم والمعنى (وما محمد
إلا رسول قد خلت من قبله الرسل) فسيخلو كما خلوا وكما أن أتباعهم بقوا متمسكين بدينهم بعد خلوهم فعليكم
أن تتمسكوا بدينه بعد خلوه لأن الغرض من بعثة الرسل تبليغ الرسالة وإلزام الحجة لا وجوده بين أظهر
قومه (أفإن مات) الفاء معلقة للجملة الشرطية بالجملة قبلها على معنى التسبيب والهمزة لإنكار أن يجعلوا
خلو الرسل قبله سببا لانقلابهم على أعقابهم بعد هلاكه بموت أو قتل مع علمهم أن خلو الرسل قبله وبقاء دينهم
متمسكا به يجب أن يجعل سببا للتمسك بدين محمد صلى الله عليه وسلم لا للانقلاب عنه (فإن قلت) لم ذكر القتل
وقد علم أنه لا يقتل (قلت) لكونه مجوزا عند المخاطبين (فإن قلت) أما علموه من ناحية قوله والله يعصمك من
الناس (قلت) هذا مما يختص بالعلماء منهم وذوي البصيرة ألا ترى أنهم سمعوا بخبر قتله فهربوا على أنه يحتمل
العصمة من فتنة الناس وإذلالهم ● والانقلاب على الأعقاب الإدبار عما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقوم به من أمر الجهاد وغيره وقيل الارتداد وما ارتد أحد من المسلمين ذلك اليوم إلا ما كان من قول المنافقين
ويجوز أن يكون على وجه التغليظ عليهم فيما كان منهم من الفرار والانكشاف عن رسول الله صلى الله عليه

ويعلم الصابرين ولقد كنتم تمنون الموت من قبل أن تلقوه فقد رأيتموه وأنتم تنظرون وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه

وسلم

* قوله تعالى سنلقى في قلوب الذين كفروا الرعب بما أشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا (قال محمود إن قلت كأن هناك حجة حتى ينزلها الله فيصح لهم الاشراك الخ) قال أحمد غاية ورود هذا السؤال لو أوهم ظاهر الخطاب أن ثم حجة (٣٢٩) وليس في ظاهره ما يفهم ذلك ولو كانت

وسلم والاسلام (فلن يضر الله شيأ) فما ضر إلا نفسه لأن الله تعالى لا يجوز عليه المضار والمنافع (وسيجزى الله الشاكرين) الذين لم ينقلبوا كأنس بن النضر وأضرابه وسماهم شاكرين لأنهم شكروا نعمة الاسلام فيما فعلوا * المعنى أن موت الانفس محال أن يكون إلا بمشيئة الله فأخرجه مخرج فعل لا ينبغي لاحد أن يقدم عليه إلا أن يأذن الله له فيه تمثيلا ولأن ملك الموت هو الموكل بذلك فليس له أن يقبض نفسا إلا باذن من الله وهو على معنيين أحدهما تحريضهم على الجهاد وتشجيعهم على لقاء العدو باعلامهم أن الحذر لا ينفع وأن أحدا لا يموت قبل بلوغ أجله وإن خوض المهالك واقتحم المعارك والثاني ذكر ما صنع الله برسوله عند غلبة العدو والتفافهم عليه واسلام قومه له نهزة للمختلس من الحفظ والكلاءة وتأخير الاجل (كتابا) مصدر مؤكد لأن المعنى كتب الموت كتابا (مؤجلا) موقتا له أجل معلوم لا يتقدم ولا يتأخر (ومن يرد ثواب الدنيا) تعريض بالذين شغلتهم الغنائم يوم أحد (نؤته منها) أي من ثوابها (وسنجزى) الجزاء المبهم الذين شكروا نعمة الله فلم يشغلهم شيء عن الجهاد وقرئ يؤته وسيجزى بالياء فيهما وقرئ قاتل وقتل وقتل بالتشديد والفاعل ربيون أو ضمير النبي و (معه ربيون) حال عنه بمعنى قتل كائنا معه ربيون والقراءة بالتشديد تنصر الوجه الاول وعن سعيد بن جبير رحمه الله ما سمعنا بنبي قتل في القتال والربيون الربانيون وقرئ بالحركات الثلاث فالفتح على القياس والضم والكسر من تغييرات النسب * وقرئ فما وهنوا بكسر الهاء والمعنى (فما وهنوا) عند قتل النبي (وما ضعفوا) عن الجهاد بعده (وما استكانوا) للعدو وهذا تعريض بما أصابهم من الوهن والانكسار عند الارجاف بقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم وبضعفهم عند ذلك عن مجاهدة المشركين واستكانتهم لهم حين أرادوا أن يعتضدوا بالمنافق عبد الله بن أبي في طلب الامان من أبي سفيان (وما كان قولهم إلا) هذا القول وهو اضافة الذنوب والاسراف إلى أنفسهم مع كونهم ربانيين هضما لها واستقصارا والدعاء بالاستغفار منها مقدما على طلب تثبيت الاقدام في مواطن الحرب والنصرة على العدو ليكون طلبهم إلى ربهم عن زكاء وطهارة وخضوع أقرب إلى الاستجابة (فآتاهم الله ثواب الدنيا) من النصرة والغنيمة والعز وطيب الذكر وخص ثواب الآخرة بالحسن دلالة على فضله وتقدمه وأنه هو المعتد به عنده تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة (إن تطيعوا الذين كفروا) قال علي رضي الله عنه نزلت في قول المنافقين للمؤمنين عند الهزيمة ارجعوا إلى اخوانكم وادخلوا في دينهم وعن الحسن رضي الله عنه إن تستنصحوا اليهود والنصارى وتقبلوا منهم لأنهم كانوا يستغوونهم ويوقعون لهم الشبه في الدين ويقولون لو كان نبيا حقا لما غلب ولما أصابه وأصحابه ما أصابهم وإنما هو رجل حاله كحال غيره من الناس يوما له ويوما عليه وعن السدي إن تستكينوا لأبي سفيان وأصحابه وتستأمنوهم (يردوكم) إلى دينهم وقيل هو عام في جميع الكفار وأن على المؤمنين أن يجانبوهم ولا يطيعوهم في شيء ولا ينزلوا على حكمهم ولا على مشورتهم حتى لا يستجروهم إلى موافقتهم (بل الله مولاكم) أي ناصركم لا تحتاجون معه إلى نصرة أحد وولايته وقرئ بالنصب على بل أطيعوا الله مولاكم (سنلقي) قرئ بالنون والياء والرعب بسكون العين وضمها قذف الله في قلوب المشركين الخوف يوم أحد فانهزموا إلى مكة من غير سبب ولهم القوة والغلبة وقيل ذهبوا إلى مكة فلما كانوا ببعض الطريق قالوا ما صنعنا شيأ قتلنا منهم ثم تركناهم ونحن قاهرون ارجعوا فاستأصلوهم فلما عزموا على ذلك ألقى الله الرعب في قلوبهم فأمسكوا (بما أشركوا) بسبب اشراكهم أي كان السبب في إلقاء الله الرعب في قلوبهم اشراكهم به (ما لم ينزل به سلطانا) آلهة لم ينزل الله باشراكها حجة (فان قلت) كأن هناك حجة حتى ينزلها الله فيصح لهم الاشراك (قلت) لم يعن أن هناك حجة إلا أنها لم تنزل عليهم لأن الشرك

فلن يضر الله شيأ وسيجزى الله الشاكرين وما كان لنفس أن تموت إلا باذن الله كتابا مؤجلا ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها وسنجزى الشاكرين وكأين من نبي قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين وما كان قولهم إلا أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا في أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة والله يحب المحسنين يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا الذين كفروا يردوكم على أعقابكم فتنقلبوا خاسرين بل الله مولاكم وهو خير الناصرين سنلقى في قلوب الذين كفروا الرعب بما أشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا ومأواهم النار وبئس مثوى الظالمين

الآية كقول القائل

٤٢ كشاف ل بما أشركوا بالله ما لم ينزل سلطانه بصفة السلطان إلى ما شركوا به لكان ... ولكن كقول القائل * على لاحب لا يهتدى بمناره * فإنه باضافة المنار إليه يوهم أن فيه منارا فاضطر الناظر إلى حمله على معنى لا منار فيه فيهتدى به ولو أطلق الشاعر فقال على لاحب لا يهتدى فيه بمنار مثلا لاستغنى عن تأويل الكلام وكذلك الآية غنية عن التأويل والله أعلم

لا يستقيم أن يقوم عليه حجة والمراد نفي الحجة ونزولها جميعا كقوله * ولا ترى الضب بها ينجحر * (ولقد
صدقكم الله وعده) وعدهم الله النصر بشرط الصبر والتقوى في قوله تعالى إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من
فورهم هذا يمددكم ويجوز أن يكون الوعد قوله تعالى سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب فلما فشلوا
وتنازعوا لم يرعبهم وقيل لما رجعوا إلى المدينة قال ناس من المؤمنين من أين أصابنا هذا وقد وعدنا الله النصر
فنزلت وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل أحدا خلف ظهره واستقبل المدينة وأقام الرماة عند
الجبل وأمرهم أن يثبتوا في مكانهم ولا يبرحوا كانت الدولة للمسلمين أو عليهم فلما أقبل المشركون جعل
الرماة يرشقون خيلهم والباقون يضربونهم بالسيوف حتى انهزموا والمسلمون على آثارهم * (إذ تحسونهم) أي
تقتلونهم قتلا ذريعا * (حتى إذا فشلتم) جبنتم وضعف الرأي (وتنازعتم) واختلفتم فقال بعضهم قد انهزم المشركون
فما موقفنا ههنا وقال بعضهم لا نخالف أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فممن ثبت مكانه عبد الله بن جبير
أمير الرماة في نفر دون العشرة وهم المعنيون بقوله ومنكم من يريد الآخرة ونفر أعقابهم ينتهبون وهم الذين
أرادوا الدنيا فكر المشركون على الرماة وقتلوا عبد الله بن جبير رضي الله عنه وأقبلوا على المسلمين وحالت
الريح دبورا وكانت صبا حتى هزموهم وقتلوا من قتلوا وهو قوله (ثم صرفكم عنهم ليبتليكم) ليمتحن صبركم
على المصائب وثباتكم على الإيمان عندها (ولقد عفا عنكم) لما علم من ندمكم على ما فرط منكم من عصيان
أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم (والله ذو فضل على المؤمنين) يتفضل عليهم بالعفو أو هو متفضل عليهم في
جميع الأحوال سواء أديل لهم أو أديل عليهم لأن الابتلاء رحمة كما أن النصرة رحمة (حتى إذا) أي [illegible]
حتى إذا فشلتم) محذوف تقديره حتى إذا فشلتم منعكم نصره ويجوز أن يكون المعنى صدقكم الله وعده إلى
وقت فشلكم (إذ تصعدون) انتصب بصرفكم أو بقوله ليبتليكم أو بإضمار اذكروا والإصعاد الذهاب في الأرض
والإبعاد فيه يقال صعد في الجبل وأصعد في الأرض يقال أصعدنا من مكة إلى المدينة وقرأ الحسن رضي الله
عنه تصعدون يعني في الجبل وتعضد الأولى قراءة أبي إذ تصعدون في الوادي وقرأ أبو حيوة تصعدون بفتح
التاء وتشديد العين من تصعد في السلم * وقرأ الحسن رضي الله عنه تلون بواو واحدة وقد ذكرنا وجهه
وقرئ يصعدون ويلوون بالياء (والرسول يدعوكم) كان يقول إلي عباد الله أنا رسول الله من يكر فله الجنة (في
أخراكم) في ساقتكم وجماعتكم الأخرى وهي المتأخرة يقال جئت في آخر الناس وأخراهم كما تقول في أولهم
وأولاهم بتأويل مقدمتهم وجماعتهم الأولى (فأثابكم) عطف على صرفكم أي فجازاكم الله (غما) حين صرفكم
عنهم وابتلاكم (بغم) بسبب غم أذقتموه رسول الله صلى الله عليه وسلم بعصيانكم له أو غما مضاعفا غما بعد غم وغما
متصلا بغم من الاغتمام بما أرجف به من قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم والجرح والقتل وظفر المشركين
وفوت الغنيمة والنصر (لكيلا تحزنوا) لتتمرنوا على تجرع الغموم وتضروا باحتمال الشدائد فلا تحزنوا فيما بعد
على فائت من المنافع ولا على مصيب من المضار ويجوز أن يكون الضمير في فأثابكم للرسول أي فآساكم في
الاغتمام وكما غمكم ما نزل به من كسر الرباعية والشجة وغيرهما غمه ما نزل بكم فأثابكم غما اغتمه لأجلكم بسبب غم
اغتممتموه لأجله ولم يثربكم على عصيانكم ومخالفتكم لأمره وإنما فعل ذلك ليسليكم وينفس عنكم لئلا تحزنوا على
ما فاتكم من نصر الله ولا على ما أصابكم من غلبة العدو * وأنزل الله الأمن على المؤمنين وأزال عنهم الخوف
الذي كان بهم حتى نعسوا وغلبهم النوم وعن أبي طلحة رضي الله عنه غشينا النعاس ونحن في مصافنا فكان
السيف يسقط من يد أحدنا فيأخذه ثم يسقط فيأخذه وما أحد إلا ويميل تحت حجفته وعن ابن الزبير رضي
الله عنه لقد رأيتني مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حين اشتد علينا الخوف فأرسل الله علينا النوم والله إني
لأسمع قول معتب بن قشير والنعاس يغشاني لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا ههنا والأمنة الأمن وقرئ أمنة
بسكون الميم كأنها المرة من الأمن و(نعاسا) بدل من أمنة ويجوز أن يكون هو المفعول وأمنة حالا منه مقدمة
عليه كقولك رأيت راكبا رجلا أو مفعولا له بمعنى نعستم أمنة ويجوز أن يكون حالا من المخاطبين بمعنى ذوي
أمنة أو على أنه جمع آمن كبار وبررة (يغشى) قرئ بالياء والتاء ردا على النعاس أو على الأمنة (طائفة منكم)

ولقد صدقكم الله وعده
إذ تحسونهم بإذنه حتى
إذا فشلتم وتنازعتم في
الأمر وعصيتم من بعد
ما أراكم ما تحبون منكم
من يريد الدنيا ومنكم
من يريد الآخرة ثم
صرفكم عنهم ليبتليكم
ولقد عفا عنكم والله
ذو فضل على المؤمنين
إذ تصعدون ولا تلوون
على أحد والرسول
يدعوكم في أخراكم
فأثابكم غما بغم لكيلا
تحزنوا على ما فاتكم ولا
ما أصابكم والله خبير
بما تعملون ثم أنزل عليكم
من بعد الغم أمنة نعاسا
يغشى طائفة منكم

* قوله تعالى وطائفة قد أهمتهم أنفسهم يظنون بالله الآية (قال محمود إن قلت كيف صح (٣٣١) أن يقع ما هو مسئلة عن الأمر الخ) قال أحمد ولاحظ هذا النظر في قوله تعالى عن الملائكة أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء الآية فإن هذا السؤال استفهام والاستفهام لا يتصف بما يتصف به الخبر من الصدق ونقيضه ومع ذلك ورد قوله تعالى في خطابهم أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين يعني في قولكم أتجعل فيها من يفسد فيها فأجرى سبحانه استفهامهم مجرى الخبر لاستلزامه الإخبار بأن هذا النوع الإنساني ليس بمعصوم عن الفساد وسفك الدماء إلا من عصمه الله تعالى منهم والله أعلم

وطائفة قد أهمتهم أنفسهم يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية يقولون هل لنا من الأمر من شيء قل إن الأمر كله لله يخفون في أنفسهم ما لا يبدون لك يقولون لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا هاهنا قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم وليبتلي الله ما في صدوركم وليمحص ما في قلوبكم والله عليم بذات الصدور إن الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان إنما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا ولقد عفا الله عنهم إن الله غفور حليم يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا

هم أهل الصدق واليقين (وطائفة) هم المنافقون (قد أهمتهم أنفسهم) ما بهم إلا همّ أنفسهم لا همّ الدين ولا همّ رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين أو قد أوقعتهم أنفسهم وما حل بهم في الهموم والأشجان فهم في التشاكي والتباكي (غير الحق) في حكم المصدر ومعناه يظنون بالله غير الظن الحق الذي يجب أن يظن به و(ظن الجاهلية) بدل منه ويجوز أن يكون المعنى يظنون بالله ظن الجاهلية وغير الحق تأكيد ليظنون كقولك هذا القول غير ما تقول وهذا القول لا قولك وظن الجاهلية كقولك حاتم الجود ورجل صدق يريد الظن المختص بالملة الجاهلية ويجوز أن يراد ظن أهل الجاهلية أي لا يظن مثل ذلك الظن إلا أهل الشرك الجاهلون بالله (يقولون) لرسول الله صلى الله عليه وسلم يسألونه (هل لنا من الأمر من شيء) معناه هل لنا معاشر المسلمين من أمر الله نصيب قط يعنون النصر والإظهار على العدو (قل إن الأمر كله لله) ولأوليائه المؤمنين وهو النصر والغلبة كتب الله لأغلبن أنا ورسلي وإن جندنا لهم الغالبون (يخفون في أنفسهم ما لا يبدون لك) معناه يقولون لك فيما يظهرون هل لنا من الأمر من شيء سؤال المؤمنين المسترشدين وهم فيما يبطنون على النفاق (يقولون) في أنفسهم أو بعضهم لبعض منكرين لقولك لهم إن الأمر كله لله (لو كان لنا من الأمر شيء) أي لو كان الأمر كما قال محمد إن الأمر كله لله ولأوليائه وأنهم الغالبون لما غلبنا قط ولما قتل من المسلمين من قتل في هذه المعركة (قل لو كنتم في بيوتكم) يعني من علم الله منه أنه يقتل ويصرع في هذه المصارع وكتب ذلك في اللوح لم يكن بد من وجوده فلو قعدتم في بيوتكم (لبرز) من بينكم (الذين) علم الله أنهم يقتلون (إلى مضاجعهم) وهي مصارعهم ليكون ما علم الله أنه يكون والمعنى أن الله كتب في اللوح قتل من يقتل من المؤمنين وكتب مع ذلك أنهم الغالبون لعلمه أن العاقبة في الغلبة لهم وأن دين الإسلام يظهر على الدين كله وأن ما ينكبون به في بعض الأوقات تمحيص لهم وترغيب في الشهادة وحرصهم على الشهادة مما يحرضهم على الجهاد فتحصل الغلبة وقيل معناه هل لنا من التدبير من شيء يعنون لم نملك شيئا من التدبير حيث خرجنا من المدينة إلى أحد وكان علينا أن نقيم ولا نبرح كما كان رأي عبد الله ابن أبي وغيره ولو ملكنا من التدبير شيئا لما قتلنا في هذه المعركة قل إن التدبير كله لله يريد أن الله عز وجل قد دبر الأمر كما جرى ولو أقمتم بالمدينة ولم تخرجوا من بيوتكم لما نجا من القتل من قتل منكم وقرئ كتب عليهم القتال وكتب عليهم القتل على البناء للفاعل ولبرّز بالتشديد وضم الباء (وليبتلي الله) وليمتحن ما في صدور المؤمنين من الإخلاص ويمحص ما في قلوبهم من وساوس الشيطان فعل ذلك أو فعل ذلك لمصالح جمة وللابتلاء والتمحيص (فإن قلت) كيف مواقع الجمل التي بعد قوله وطائفة (قلت) قد أهمتهم صفة لطائفة ويظنون صفة أخرى أو حال بمعنى قد أهمتهم أنفسهم ظانين أو استئناف على وجه البيان للجملة قبلها ويقولون بدل من يظنون (فإن قلت) كيف صح أن يقع ما هو مسئلة عن الأمر بدلا من الإخبار بالظن (قلت) كانت مسئلتهم صادرة عن الظن فلذلك جاز إبداله منه ويخفون حال من يقولون وقل إن الأمر كله لله اعتراض بين الحال وذي الحال ويقولون بدل من يخفون والأجود أن يكون استئنافا (استزلهم) طلب منهم الزلل ودعاهم إليه ببعض ما كسبوا من ذنوبهم ومعناه أن الذين انهزموا يوم أحد كان السبب في توليهم أنهم كانوا أطاعوا الشيطان فاقترفوا ذنوبا فلذلك منعتهم التأييد وتقوية القلوب حتى تولوا وقيل استزلال الشيطان إياهم هو التولي وإنما دعاهم إليه بذنوب قد تقدمت لهم لأن الذنب يجر إلى الذنب كما أن الطاعة تجر إلى الطاعة وتكون لطفا فيها وقال الحسن رضي الله عنه استزلهم بقبول ما زين لهم من الهزيمة وقيل بعض ما كسبوا هو تركهم المركز الذي أمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالثبات فيه فجرهم ذلك إلى الهزيمة وقيل ذكرهم تلك الخطايا فكرهوا لقاء الله معها فأخروا الجهاد حتى يصلحوا أمرهم ويجاهدوا على حال مرضية (فإن قلت) لم قيل ببعض ما كسبوا (قلت) هو كقوله تعالى ويعفو عن كثير (ولقد عفا الله عنهم) لتوبتهم واعتذارهم (إن الله غفور) للذنوب (حليم) لا يعاجل

بالعقوبة (وقالوا لاخوانهم) أي لاجل اخوانهم كقوله تعالى وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيرا ما سبقونا اليه ومعنى الاخوة اتفاق الجنس أو النسب (اذا ضربوا في الارض) اذا سافروا فيها وأبعدوا للتجارة أو غيرها (أو كانوا غزى) جمع غاز كعاف وعفى كقوله عفى الحياض أجون وقرئ بتخفيف الزاي على حذف التاء من غزاة (فان قلت) كيف قيل اذا ضربوا مع قالوا (قلت) هو على حكاية الحال الماضية كقولك حين يضربون في الارض (فان قلت) ما متعلق ليجعل (قلت) قالوا أي قالوا ذلك واعتقدوه ليكون حسرة في قلوبهم) على أن اللام مثلها في ليكون لهم عدوا وحزنا أو لا تكونوا بمعنى لا تكونوا مثلهم في النطق بذلك القول واعتقاده ليجعله الله حسرة في قلوبهم خاصة ويصون منها قلوبكم (فان قلت) ما معنى اسناد الفعل الى الله تعالى (قلت) معناه أن الله عز وجل عند اعتقادهم ذلك المعتقد الفاسد يضع الغم والحسرة في قلوبهم ويضيق صدورهم عقوبة وعقيدة اعتقادهم وما يكون عنده من الغم والحسرة وضيق الصدور فعل الله عز وجل كقوله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد في السماء ويجوز أن يكون ذلك اشارة الى ما دل عليه النهي أي لا تكونوا مثلهم ليجعل الله انتفاء كونكم مثلهم حسرة في قلوبهم لان مخالفتهم فيما يقولون ويعتقدون ومضادتهم مما يغمهم ويغيظهم (والله يحيي ويميت) رد لقولهم أي الامر بيده قد يحيي المسافر والغازي ويميت المقيم والقاعد كما يشاء وعن خالد بن الوليد رضي الله عنه أنه قال عند موته ما في موضع شبر الا وفيه ضربة أو طعنة وها أنا ذا أموت كما يموت العير فلا نامت أعين الجبناء (والله بما تعملون بصير) فلا تكونوا مثلهم وقرئ بالياء على الذين كفروا (لمغفرة) جواب القسم وهو ساد مسد جواب الشرط وكذلك لالى الله تحشرون كذب الكافرين أولا في زعمهم أن من سافر من اخوانهم أو غزا لو كان بالمدينة لما مات ونهى المسلمين عن ذلك لانه سبب التقاعد عن الجهاد ثم قال لهم ولئن تم عليكم ما تخافونه من الهلاك بالموت والقتل في سبيل الله فان ما تنالونه من المغفرة والرحمة بالموت في سبيل الله (خير مما تجمعون) من الدنيا ومنافعها لو لم تموتوا وعن ابن عباس رضي الله عنهما خير من طلاع الارض ذهبة حمراء وقرئ بالياء أي يجمع الكفار (لالى الله تحشرون) لالى الرحيم الواسع الرحمة المثيب العظيم الثواب تحشرون ولوقوع اسم الله تعالى هذا الموقع مع تقديمه وادخال اللام على الحرف المتصل به شأن ليس بالخفي • وقرئ متم بضم الميم وكسرها من مات يموت ومات يمات • ما مزيدة للتوكيد والدلالة على أن لينه لهم ما كان الا برحمة من الله ونحوه فبما نقضهم ميثاقهم ومعنى الرحمة ربطه على جأشه وتوفيقه للرفق والتلطف بهم حتى أثابهم غما بغم وآساهم بالمباثة بعد ما خالفوه وعصوا أمره وانهزموا وتركوه (ولو كنت فظا) جافيا (غليظ القلب) قاسيه (لانفضوا من حولك) لتفرقوا عنك حتى لا يبقى حولك أحد منهم (فاعف عنهم) فيما يختص بك (واستغفر لهم) فيما يختص بحق الله اتماما للشفقة عليهم (وشاورهم في الامر) يعني في أمر الحرب ونحوه مما لم ينزل عليك فيه وحي لتستظهر برأيهم ولما فيه من تطييب نفوسهم والرفع من أقدارهم وعن الحسن رضي الله عنه قد علم الله أنه ما به اليهم حاجة ولكنه أراد أن يستن به من بعده وعن النبي صلى الله عليه وسلم ما تشاور قوم قط الا هدوا لارشد أمرهم وعن أبي هريرة رضي الله عنه ما رأيت أحدا أكثر مشاورة من أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم وقيل كان سادات العرب اذا لم يشاوروا في الامر شق عليهم فأمر الله رسوله صلى الله عليه وسلم بمشاورة أصحابه لئلا يثقل عليهم استبداده بالرأي دونهم وقرئ وشاورهم في بعض الامر (فاذا عزمت) فاذا قطعت الرأي على شيء بعد الشورى (فتوكل على الله) في امضاء أمرك على الارشد الاصلح فان ما هو أصلح لك لا يعلمه الا الله لا أنت ولا من تشاور وقرئ فاذا عزمت بضم التاء بمعنى فاذا عزمت لك على شيء وأرشدتك اليه فتوكل علي ولا تشاور بعد ذلك أحدا (ان ينصركم الله) كما نصركم يوم بدر فلا أحد يغلبكم (وان يخذلكم) كما خذلكم يوم أحد (فمن ذا الذي ينصركم) فهذا تنبيه على أن الامر كله لله وعلى وجوب التوكل عليه ونحوه ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده (من بعده) من بعد خذلانه أو هو من قولك ليس لك من يحسن اليك من بعد فلان تريد اذا جاوزته وقرأ عبيد الله بن عمير وان يخذلكم من أخذله اذا جعله مخذولا وفيه

وقالوا لاخوانهم اذا ضربوا في الارض أو كانوا غزى لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم والله يحيي ويميت والله بما تعملون بصير ولئن قتلتم في سبيل الله أو متم لمغفرة من الله ورحمة خير مما يجمعون ولئن متم أو قتلتم لالى الله تحشرون فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الامر فاذا عزمت فتوكل على الله ان الله يحب المتوكلين ان ينصركم الله فلا غالب لكم وان يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده

وعلى الله فليتوكل المؤمنون وما كان لنبي أن يغل ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون أفمن اتبع رضوان الله كمن باء بسخط من الله ومأواه جهنم وبئس المصير هم درجات عند الله والله بصير بما يعملون لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم

ترغيب في الطاعة وفيما يستحقون به النصر من الله تعالى والتأييد وتحذير من المعصية ومما يستوجبون به العقوبة بالخذلان (وعلى الله) وليخص المؤمنون ربهم بالتوكل والتفويض إليه لعلمهم أنه لا ناصر سواه ولأن إيمانهم يوجب ذلك ويقتضيه * يقال غل شيأ من المغنم غلولا وأغل إغلالا إذا أخذه في خفية يقال أغل الجازر إذا سرق من اللحم شيأ مع الجلد والغل الحقد الكامن في الصدر ومنه قوله صلى الله عليه وسلم من بعثناه على عمل فغل شيأ جاء يوم القيامة يحمله على عنقه وقوله صلى الله عليه وسلم هدايا الولاة غلول وعنه ليس على المستعير غير المغل ضمان وعنه لا إغلال ولا إسلال ويقال أغله إذا وجده غالا كقولك أبخلته وأجبنته ومعنى (وما كان لنبي أن يغل) وما صح له ذلك يعني أن النبوة تنافي الغلول وكذلك من قرأ على البناء للمفعول فهو راجع إلى معنى الأول لأن معناه وما صح له أن يوجد غالا ولا يوجد غالا إلا إذا كان غالا وفيه وجهان أحدهما أن يبرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك وينزه وينبه على عصمته بأن النبوة والغلول متنافيان لئلا يظن به ظان شيأ منه وأن لا يستريب به أحد كما روى أن قطيفة حمراء فقدت يوم بدر فقال بعض المنافقين لعل رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذها وروى أنها نزلت في غنائم أحد حين ترك الرماة المركز وطلبوا الغنيمة وقالوا نخشى أن يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم من أخذ شيأ فهو له وأن لا يقسم الغنائم كما لم يقسم يوم بدر فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم ألم أعهد إليكم أن لا تتركوا المركز حتى يأتيكم أمري فقالوا تركنا بقية إخواننا وقوفا فقال صلى الله عليه وسلم بل ظننتم أنا نغل ولا نقسم لكم والثاني أن يكون مبالغة في النهي لرسول الله صلى الله عليه وسلم على ما روى أنه بعث طلائع فغنمت غنائم فقسمها ولم يقسم للطلائع فنزلت يعني وما كان لنبي أن يعطي قوما ويمنع آخرين بل عليه أن يقسم بالسوية وسمى حرمان بعض الغزاة غلولا تغليظا وتقبيحا لصورة الأمر ولو قرئ أن يغل من أغل بمعنى غل لجاز (يأت بما غل يوم القيامة) يأت بالشيء الذي غله بعينه يحمله كما جاء في الحديث جاء يوم القيامة يحمله على عنقه وروى ألا لا أعرفن أحدكم يأتي ببعير له رغاء وببقرة لها خوار وبشاة لها ثغاء فينادي يا محمد يا محمد فأقول لا أملك لك من الله شيأ فقد بلغتك وعن بعض جفاة الأعراب أنه سرق نافجة مسك فتليت عليه الآية فقال إذا أحملها طيبة الريح خفيفة المحمل ويجوز أن يراد يأتي بما احتمل من وباله وتبعته وإثمه (فإن قلت) هلا قيل ثم يوفى ما كسب ليتصل به (قلت) جيء بعام دخل تحته كل كاسب من الغال وغيره فاتصل به من حيث المعنى وهو أبلغ وأثبت لأنه إذا علم الغال أن كل كاسب خيرا أو شرا مجزي فموفى جزاءه علم أنه غير متخلص من تبعة ما كسب مع عظم ما اكتسب (وهم لا يظلمون) أي يعدل بينهم في الجزاء كل جزاؤه على قدر كسبه (هم درجات) أي هم متفاوتون كما تتفاوت الدرجات كقوله

أنصب للمنية تعتريهم * رجالي أم هم درج السيول

وقيل ذوو درجات والمعنى تفاوت منازل المثابين منهم ومنازل المعاقبين أو التفاوت بين الثواب والعقاب (والله بصير بما يعملون) عالم بأعمالهم ودرجاتها فمجازيهم على حسبها (لقد من الله على المؤمنين) على من آمن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من قومه وخص المؤمنين منهم لأنهم هم المنتفعون بمبعثه (من أنفسهم) من جنسهم عربيا مثلهم وقيل من ولد إسمعيل كما أنهم من ولده (فإن قلت) فما وجه المنة عليهم في أن كان من أنفسهم (قلت) إذا كان منهم كان اللسان واحدا فسهل أخذ ما يجب عليهم أخذه عنه وكانوا واقفين على أحواله في الصدق والأمانة فكان ذلك أقرب لهم إلى تصديقه والوثوق به وفي كونه من أنفسهم شرف لهم كقوله وإنه لذكر لك ولقومك وفي قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقراءة فاطمة رضي الله عنها من أنفسهم أي من أشرفهم لأن عدنان ذروة ولد إسمعيل ومضر ذروة نزار بن معد بن عدنان وخندف ذروة مضر ومدركة ذروة خندف وقريش ذروة مدركة وذروة قريش محمد صلى الله عليه وسلم وفيما خطب به أبو طالب في تزويج خديجة رضي الله عنها وقد حضر معه بنو هاشم ورؤساء مضر الحمد لله الذي جعلنا من ذرية إبراهيم وزرع

* قوله تعالى وما كان لنبي أن يغل ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة (قال محمود فيه وجهان أحدهما أن يكون ذلك تنزيها لرسول الله عليه الصلاة والسلام الخ) قال أحمد رحمه الله حمل الآية على الوجه الثاني يشهد له ورود هذه الصيغة كثيرا في النهي في أمثال قوله تعالى ما كان لنبي أن تكون له أسرى ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله إلى غير ذلك على أن الزمخشري جاف في العبارة إذ يقول عبر عن الحرمان بالغلول تغليظا وتقبيحا وما كان له أن يعبر عن هذا المعنى بهذه العبارة فإن عادة لطف الله تعالى برسوله صلى الله عليه وسلم في التأديب أن يكون مع وجاهته لتخفيف والتعطف ألا ترى إلى قوله تعالى عفا الله عنك لم أذنت لهم قال بعض العلماء بدأه بالعفو قبل العتب ولو لم يبدأه بالعفو لانفطر قلبه صلى الله عليه وسلم

إسمعيل وضئضئ معد وعنصر مضر وجعلنا حضنة بيته وسوّاس حرمه وجعل لنا بيتاً محجوجاً وحرماً آمناً وجعلنا الحكام على الناس ثم إن ابن أخي هذا محمد بن عبد الله من لا يوزن به فتى من قريش إلا رجح به وهو والله بعد هذا له نبأ عظيم وخطر جليل * وقرئ لمن منّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم وفيه وجهان أن يراد لمن منّ الله على المؤمنين منّه أو بعثه إذ بعث فيهم فحذف لقيام الدلالة أو يكون إذ في محل الرفع كإذا في قولك أخطب ما يكون الأمير إذا كان قائماً بمعنى لمن منّ الله على المؤمنين وقت بعثه (يتلوا عليهم آياته) بعد ما كانوا أهل جاهلية لم يطرق أسماعهم شيء من الوحي (ويزكيهم) ويطهرهم من دنس القلوب بالكفر ونجاسة سائر الجوارح بملابسة المحرمات وسائر الخبائث وقيل ويأخذ منهم الزكاة (ويعلمهم الكتاب والحكمة) القرآن والسنة بعد ما كانوا أجهل الناس وأبعدهم من دراسة العلوم (وإن كانوا من قبل) من قبل بعثة الرسول (لفي ضلال) إن هي المخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة بينها وبين النافية وتقديره وإن الشأن والحديث كانوا من قبل في ضلال (مبين) ظاهر لا شبهة فيه (أصابتكم مصيبة) يريد ما أصابهم يوم أحد من قتل سبعين منهم (قد أصبتم مثليها) يوم بدر من قتل سبعين وأسر سبعين ولما نصب بقلتم وأصابتكم في محل الجر بإضافة لما إليه وتقديره أقلتم حين أصابتكم و(أنى هذا) نصب لأنه مقول والهمزة للتقرير والتقريع (فإن قلت) علام عطفت الواو هذه الجملة (قلت) على ما مضى من قصة أحد من قوله ولقد صدقكم الله وعده ويجوز أن تكون معطوفة على محذوف كأنه قيل أفعلتم كذا وقلتم حينئذ كذا أنى هذا من أين هذا كقوله تعالى أنى لك هذا وقوله (من عند أنفسكم) وقوله من عند الله والمعنى أنتم السبب فيما أصابكم لاختياركم الخروج من المدينة أو لتخليتكم المركز وعن علي رضي الله عنه لأخذكم الفداء من أسارى بدر قبل أن يؤذن لكم (إن الله على كل شيء قدير) فهو قادر على النصر وعلى منعه وعلى أن يصيب بكم تارة ويصيب منكم أخرى (وما أصابكم) يوم أحد يوم التقى جمعكم وجمع المشركين (فـ) هو كائن (بإذن الله) أي بتخليته استعار الإذن لتخليته الكفار وأنه لم يمنعهم منهم ليبتليهم لأن الآذن مخلٍّ بين المأذون له ومراده (وليعلم) وهو كائن ليتميز المؤمنون والمنافقون وليظهر إيمان هؤلاء ونفاق هؤلاء (وقيل لهم) من جملة الصلة عطف على نافقوا وإنما لم يقل فقالوا لأنه جواب لسؤال اقتضاه دعاء المؤمنين لهم إلى القتال كأنه قيل فماذا قالوا لهم فقيل قالوا لو نعلم ويجوز أن تقتصر الصلة على نافقوا ويكون وقيل لهم كلاماً مبتدأ قسم الأمر عليهم بين أن يقاتلوا للآخرة كما يقاتل المؤمنون وبين أن يقاتلوا إن لم يكن بهم غم الآخرة دفعاً عن أنفسهم وأهليهم وأموالهم فأبوا القتال وجحدوا القدرة عليه رأساً لنفاقهم ودغلهم وذلك ما روي أن عبد الله بن أبي انخزل مع حلفائه فقيل له فقال ذلك وقيل (أو ادفعوا) العدو بتكثيركم سواد المجاهدين وإن لم تقاتلوا لأن كثرة السواد مما يروع العدو ويكسر منه وعن سهل بن سعد الساعدي وقد كف بصره لو أمكنني لبعت داري ولحقت بثغر من ثغور المسلمين فكنت بينهم وبين عدوهم قيل وكيف وقد ذهب بصرك قال لقوله أو ادفعوا أراد كثروا سوادهم ووجه آخر وهو أن يكون معنى قولهم (لو نعلم قتالاً) لو نعلم ما يصح أن يسمى قتالاً (لاتبعناكم) يعنون أن ما أنتم فيه لخطأ رأيكم وزللكم عن الصواب ليس بشيء ولا يقال لمثله قتال إنما هو إلقاء بالأنفس إلى التهلكة لأن رأي عبد الله كان في الإقامة بالمدينة وما كان يستصوب الخروج (هم للكفر يومئذ أقرب منهم للإيمان) يعني أنهم قبل ذلك اليوم كانوا يتظاهرون بالإيمان وما ظهرت منهم أمارة تؤذن بكفرهم فلما انخزلوا عن عسكر المؤمنين وقالوا ما قالوا تباعدوا بذلك عن الإيمان المظنون بهم واقتربوا من الكفر وقيل هم لأهل الكفر أقرب نصرة منهم لأهل الإيمان لأن تقليلهم سواد المسلمين بالانخزال تقوية للمشركين (يقولون بأفواههم) لا يتجاوز إيمانهم أفواههم ومخارج الحروف منهم ولا تعي قلوبهم منه شيئاً وذكر الأفواه مع القلوب تصوير لنفاقهم وأن إيمانهم موجود في أفواههم معدوم في قلوبهم بخلاف صفة المؤمنين في مواطأة قلوبهم لأفواههم (والله أعلم بما يكتمون) من النفاق وبما يجري بعضهم مع بعض من ذم المؤمنين وتجهيلهم وتخطئة رأيهم والشماتة بهم وغير ذلك لأنكم تعلمون بعض ذلك علماً مجملاً بأمارات وأنا أعلم كله علم إحاطة بتفاصيله وكيفياته (الذين قالوا) في إعرابه أوجه أن يكون نصباً على الذم

يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين أولما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنى هذا قل هو من عند أنفسكم إن الله على كل شيء قدير وما أصابكم يوم التقى الجمعان فبإذن الله وليعلم المؤمنين وليعلم الذين نافقوا وقيل لهم تعالوا قاتلوا في سبيل الله أو ادفعوا قالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم هم للكفر يومئذ أقرب منهم للإيمان يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم والله أعلم بما يكتمون الذين قالوا

* قوله تعالى قل فادرؤا عن أنفسكم الموت إن كنتم صادقين (قال محمود إن قلت فقد كانوا صادقين في أنهم دفعوا الخ) قال أحمد السؤال المذكور وجوابه إنما يرد على معتزلي من شيعته فإنهم يعتقدون أن الموت قد يكون بحلول الأجل وقد يكون قبله وأن المقتول لولا القتل لاستوفى أجله المكتوب له الزائد على ذلك فلا جرم أن لا بد أن على زعمهم يدفع عن نفسه العارض (٣٢٥) قبل حلول الأجل بتوقي الأسباب الموجبة لذلك فعلى ذلك ورد السؤال المذكور وأما أهل السنة فعندهم أن كل ميت بأجله يموت ويقولون أن الخارجين إلى القتال في المعركة لم يكن بد من موتهم في ذلك الوقت وأن ذلك الحين هو وقت حينهم في علم الله عز وجل عملا بقوله تعالى فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون وتعللا والمنافقين والمواضعين لهم من المعتزلة في قولهم لو أطاعونا ما ماتوا ولعمري إنهم في هذا لمقتدون بمن ورد في قوله أنا أحيي وأميت فإن الأحمق ظن أنه يقتل إن شاء فيكون ذلك إماتة ويعفو عن القتل فيكون ذلك إحياء وغاب عنه أن الذي عفا عن قتله إنما حيي لاستيفاء الأجل الذي كتبه الله له وأن الذي قتله إنما مات لأنه استوفى تلك الساعة أجله والله الموفق

لإخوانهم وقعدوا لو أطاعونا ما قتلوا قل فادرؤا عن أنفسكم الموت إن كنتم صادقين ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون يستبشرون بنعمة من الله وفضل وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح

أو على الرد على الذين نافقوا أو رفع على هم الذين قالوا أو على الإبدال من واو يكتمون ويجوز أن يكون مجرورا بدلا من الضمير في بأفواههم أو قلوبهم كقوله * على جوده لضن بالماء حاتم * (لإخوانهم) لأجل إخوانهم من جنس المنافقين المقتولين يوم أحد أو إخوانهم في النسب وفي سكنى الدار (وقعدوا) أي قالوا وقد قعدوا عن القتال لو أطاعنا إخواننا فيما أمرناهم به من القعود ووافقونا فيه لما قتلوا كما لم نقتل (قل فادرؤا عن أنفسكم الموت إن كنتم صادقين) معناه قل إن كنتم صادقين في أنكم وجدتم إلى دفع القتل سبيلا وهو القعود عن القتال فجدوا إلى دفع الموت سبيلا يعني أن ذلك الدفع غير مغن عنكم لأنكم إن دفعتم القتل الذي هو أحد أسباب الموت لم تقدروا على دفع سائر أسبابه المبثوثة ولا بد لكم من أن يتعلق بكم بعضها وروي أنه مات يوم قالوا هذه المقالة سبعون منافقا (فإن قلت) فقد كانوا صادقين في أنهم دفعوا القتل عن أنفسهم بالقعود فما معنى قوله إن كنتم صادقين (قلت) معناه أن النجاة من القتل يجوز أن يكون سببها القعود عن القتال وأن يكون غيره لأن أسباب النجاة كثيرة وقد يكون قتال الرجل سبب نجاته ولو لم يقاتل لقتل فما يدريكم أن سبب نجاتكم القعود وأنكم صادقون في مقالتكم وما أنكرتم أن يكون السبب غيره ووجه آخر إن كنتم صادقين في قولكم لو أطاعونا وقعدوا ما قتلوا يعني أنهم لو أطاعوكم وقعدوا لقتلوا قاعدين كما قتلوا مقاتلين وقوله فادرؤا عن أنفسكم الموت استهزاء بهم أي إن كنتم رجالا دفاعين لأسباب الموت فادرؤا جميع أسبابه حتى لا تموتوا (ولا تحسبن) الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم أو لكل أحد وقرئ بالياء على ولا يحسبن رسول الله صلى الله عليه وسلم أو ولا يحسبن حاسب ويجوز أن يكون (الذين قتلوا) فاعلا ويكون التقدير ولا يحسبنهم الذين قتلوا أمواتا أي ولا يحسبن الذين قتلوا أنفسهم أمواتا (فإن قلت) كيف جاز حذف المفعول الأول (قلت) هو في الأصل مبتدأ فحذف كما حذف المبتدأ في قوله (أحياء) والمعنى هم أحياء لدلالة الكلام عليهما وقرئ ولا تحسبن بفتح السين وقتلوا بالتشديد وأحياء بالنصب على معنى بل احسبهم أحياء (عند ربهم) مقربون عنده ذوو زلفى كقوله فالذين عند ربك (يرزقون) مثل ما يرزق سائر الأحياء يأكلون ويشربون وهو تأكيد لكونهم أحياء ووصف لحالهم التي هم عليها من التنعم برزق الله (فرحين بما آتاهم الله من فضله) وهو التوفيق في الشهادة وما ساق إليهم من الكرامة والتفضيل على غيرهم من كونهم أحياء مقربين معجلا لهم رزق الجنة ونعيمها وعن النبي صلى الله عليه وسلم لما أصيب إخوانكم بأحد جعل الله أرواحهم في أجواف طير خضر تدور في أنهار الجنة وتأكل من ثمارها وتأوي إلى قناديل من ذهب معلقة في ظل العرش (ويستبشرون) بإخوانهم المجاهدين (الذين لم يلحقوا بهم) أي لم يقتلوا فيلحقوا بهم (من خلفهم) يريد الذين من خلفهم قد بقوا بعدهم وهم قد تقدموهم وقيل لم يلحقوا بهم لم يدركوا فضلهم ومنزلتهم (ألا خوف عليهم) بدل من الذين والمعنى ويستبشرون بما تبين لهم من حال من تركوا خلفهم من المؤمنين وهو أنهم يبعثون آمنين يوم القيامة بشرهم الله بذلك فهم مستبشرون به وفي ذكر حال الشهداء واستبشارهم بمن خلفهم بعث للباقين بعدهم على ازدياد الطاعة والجد في الجهاد والرغبة في نيل منازل الشهداء وإصابة فضلهم وإحماد لحال من يرى نفسه في خير فيتمنى مثله لإخوانه في الله وبشرى للمؤمنين بالفوز في المآب وكرر (يستبشرون) ليعلق به ما هو بيان لقوله ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون من ذكر النعمة والفضل وأن ذلك أجر لهم على إيمانهم يجب في عدل الله وحكمته أن يحصل لهم ولا يضيع * وقرئ وإن الله بالفتح عطفا على النعمة والفضل وبالكسر على الابتداء وعلى أن الجملة اعتراض وهي قراءة الكسائي وتعضدها قراءة عبد الله والله لا يضيع (الذين

استجابوا) مبتدأ خبره للذين أحسنوا أو صفة للمؤمنين أو نصب على المدح روي أن أبا سفيان وأصحابه لما
انصرفوا من أحد فبلغوا الروحاء ندموا وهموا بالرجوع فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فأراد أن يرهبهم
ويريهم من نفسه وأصحابه قوة فندب أصحابه للخروج في طلب أبي سفيان وقال لا يخرجن معنا أحد إلا من
حضر يومنا بالأمس فخرج صلى الله عليه وسلم مع جماعة حتى بلغوا حمراء الأسد وهي من المدينة
على ثمانية أميال وكان بأصحابه القرح فتحاملوا على أنفسهم حتى لا يفوتهم الأجر وألقى الله الرعب في قلوب
المشركين فذهبوا فنزلت ومن في (للذين أحسنوا منهم) للتبيين مثلها في قوله تعالى وعد الله الذين آمنوا
وعملوا الصالحات منهم مغفرة لأن الذين استجابوا لله والرسول قد أحسنوا كلهم واتقوا لا بعضهم وعن عروة
ابن الزبير قالت لي عائشة رضي الله عنها إن أبويك لمن الذين استجابوا لله والرسول تعني أبا بكر والزبير (الذين
قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم) روي أن أبا سفيان نادى عند انصرافه من أحد يا محمد موعدنا موسم
بدر القابل إن شئت فقال النبي صلى الله عليه وسلم إن شاء الله فلما كان القابل خرج أبو سفيان في أهل مكة حتى
نزل مر الظهران فألقى الله الرعب في قلبه فبدا له أن يرجع فلقي نعيم بن مسعود الأشجعي وقد قدم معتمرا فقال
يا نعيم إني واعدت محمدا أن نلتقي بموسم بدر وإن هذا عام جدب ولا يصلحنا إلا عام نرعى فيه الشجر ونشرب فيه
اللبن وقد بدا لي ولكن إن خرج محمد ولم أخرج زاده ذلك جراءة فالحق بالمدينة فثبطهم ولك عندي عشر من
الإبل فخرج نعيم فوجد المسلمين يتجهزون فقال لهم ما هذا بالرأي أتوكم في دياركم وقراركم فلم يفلت منكم أحد
إلا شريد أفتريدون أن تخرجوا وقد جمعوا لكم عند الموسم فوالله لا يفلت منكم أحد وقيل مر بأبي سفيان
ركب من عبد القيس يريد المدينة للميرة فجعل لهم حمل بعير من زبيب إن ثبطوهم وكره المسلمون الخروج
فقال صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لأخرجن ولو لم يخرج معي أحد فخرج في سبعين راكبا وهم يقولون
حسبنا الله ونعم الوكيل وقيل هي الكلمة التي قالها إبراهيم عليه السلام حين ألقي في النار حتى وافوا بدرا
وأقاموا بها ثماني ليال وكانت معهم تجارات فباعوها وأصابوا خيرا ثم انصرفوا إلى المدينة سالمين غانمين ورجع
أبو سفيان إلى مكة فسمى أهل مكة جيشه جيش السويق قالوا إنما خرجتم لتشربوا السويق فالناس الأولون
المثبطون والآخرون أبو سفيان وأصحابه (فإن قلت) كيف قيل الناس إن كان نعيم هو المثبط وحده
(قلت) قيل ذلك لأنه من جنس الناس كما يقال فلان يركب الخيل ويلبس البرود وماله إلا فرس واحد وبرد
فرد أو لأنه حين قال ذلك لم يخل من ناس من أهل المدينة يضامونه ويصلون جناح كلامه ويثبطون مثل
تثبيطه (فإن قلت) إلام يرجع المستكن في (فزادهم) (قلت) إلى المقول الذي هو إن الناس قد جمعوا لكم
فاخشوهم كأنه قيل قالوا لهم هذا الكلام فزادهم إيمانا أو إلى مصدر قالوا كقولك من صدق كان خيرا له
أو إلى الناس إذا أريد به نعيم وحده (فإن قلت) كيف زادهم نعيم أو مقوله إيمانا (قلت) لما لم يسمعوا قوله
وأخلصوا عنده النية والعزم على الجهاد وأظهروا حمية الإسلام كان ذلك أثبت ليقينهم وأقوى لاعتقادهم
كما يزداد الإيقان بتناصر الحجج ولأن خروجهم على أثر تثبيطه إلى وجهة العدو طاعة عظيمة والطاعات من
جملة الإيمان لأن الإيمان اعتقاد وإقرار وعمل وعن ابن عمر قلنا يا رسول الله إن الإيمان يزيد وينقص قال نعم
يزيد حتى يدخل صاحبه الجنة وينقص حتى يدخل صاحبه النار وعن عمر رضي الله عنه أنه كان يأخذ بيد
الرجل فيقول قم بنا نزدد إيمانا وعنه لو وزن إيمان أبي بكر بإيمان هذه الأمة لرجح به (حسبنا الله) محسبنا أي
كافينا يقال أحسبه الشيء إذا كفاه والدليل على أنه بمعنى المحسب أنك تقول هذا رجل حسبك فتصف به
النكرة لأن إضافته لكونه في معنى اسم الفاعل غير حقيقية (ونعم الوكيل) ونعم الموكول إليه هو (فانقلبوا)
فرجعوا من بدر (بنعمة من الله) وهي السلامة وحذر العدو منهم (وفضل) وهو الربح في التجارة كقوله ليس
عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم (لم يمسسهم سوء) لم يلقوا ما يسوءهم من كيد عدو (واتبعوا رضوان الله)
بجرأتهم وخروجهم (والله ذو فضل عظيم) قد تفضل عليهم بالتوفيق فيما فعلوا وفي ذلك تحسير لمن تخلف عنهم
وإظهار لخطأ رأيهم حيث حرموا أنفسهم ما فاز به هؤلاء وروي أنهم قالوا هل يكون هذا غزوا فأعطاهم الله

للذين أحسنوا منهم
واتقوا أجر عظيم الذين
قال لهم الناس إن
الناس قد جمعوا لكم
فاخشوهم فزادهم
إيمانا وقالوا حسبنا الله
ونعم الوكيل فانقلبوا
بنعمة من الله وفضل لم
يمسسهم سوء واتبعوا
رضوان الله والله ذو
فضل عظيم إنما ذلكم

ثواب الغزو ورضي عنهم (الشيطان) خبر ذلكم بمعنى إنما ذلكم المثبط هو الشيطان و(يخوف أولياءه) جملة مستأنفة بيان لشيطنته أو الشيطان صفة لاسم الإشارة ويخوف الخبر والمراد بالشيطان نعيم أو أبو سفيان ويجوز أن يكون على تقدير حذف المضاف بمعنى إنما ذلكم قول الشيطان أي قول إبليس لعنه الله (يخوف أولياءه) يخوفكم أولياءه الذين هم أبو سفيان وأصحابه وتدل عليه قراءة ابن عباس وابن مسعود يخوفكم أولياءه وقوله فلا تخافوهم وقيل يخوف أولياءه القاعدين عن الخروج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم (فإن قلت) فإلام رجع الضمير في (فلا تخافوهم) على هذا التفسير (قلت) إلى الناس في قوله إن الناس قد جمعوا لكم فلا تخافوهم فتقعدوا عن القتال وتجبنوا (وخافون) فجاهدوا مع رسولي وسارعوا إلى ما يأمركم به (إن كنتم مؤمنين) يعني أن الإيمان يقتضي أن تؤثروا خوف الله على خوف الناس ولا يخشون أحدا إلا الله (يسارعون في الكفر) يقعون فيه سريعا ويرغبون فيه أشد رغبة وهم الذين نافقوا من المتخلفين وقيل هم قوم ارتدوا عن الإسلام (فإن قلت) فما معنى قوله ولا يحزنك ومن حق الرسول أن يحزن لنفاق من نافق وارتداد من ارتد (قلت) معناه لا يحزنوك لخوف أن يضروك ويعينوا عليك ألا ترى إلى قوله (إنهم لن يضروا الله شيئا) يعني أنهم لا يضرون بمسارعتهم في الكفر غير أنفسهم وما وبال ذلك عائدا على غيرهم * ثم بين كيف يعود وباله عليهم بقوله (يريد الله أن لا يجعل لهم حظا في الآخرة) أي نصيبا من الثواب (ولهم) بدل الثواب (عذاب عظيم) وذلك أبلغ ما ضر به الإنسان نفسه (فإن قلت) هلا قيل لا يجعل الله لهم حظا في الآخرة وأي فائدة في ذكر الإرادة (قلت) فائدته الإشعار بأن الداعي إلى حرمانهم وتعذيبهم قد خلص خلوصا لم يبق معه صارف قط حين سارعوا في الكفر تنبيها على تماديهم في الطغيان وبلوغهم الغاية فيه حتى إن أرحم الراحمين يريد أن لا يرحمهم (إن الذين اشتروا الكفر بالإيمان) إما أن يكون تكريرا لذكرهم للتأكيد والتسجيل عليهم بما أضاف إليهم وإما أن يكون عاما للكفار والأول خاصا فيمن نافق من المتخلفين أو ارتد عن الإسلام أو على العكس و(شيئا) نصب على المصدر لأن المعنى شيئا من الضرر وبعض الضرر (الذين كفروا) فيمن قرأ بالتاء نصب و(إنما نملي لهم خير لأنفسهم) بدل منه أي ولا تحسبن أن ما نملي للكافرين خير لهم وأن مع ما في حيزه ينوب عن المفعولين كقوله أم تحسب أن أكثرهم يسمعون وما مصدرية بمعنى ولا تحسبن أن إملاءنا خير وكان حقها في قياس علم الخط أن تكتب مفصولة ولكنها وقعت في الإمام متصلة فلا يخالف وتتبع سنة الإمام في خط المصاحف (فإن قلت) كيف صح مجيء البدل ولم يذكر إلا أحد المفعولين ولا يجوز الاقتصار بفعل الحسبان على مفعول واحد (قلت) صح ذلك من حيث إن التعويل على البدل والمبدل منه في حكم المنحى ألا تراك تقول جعلت متاعك بعضه فوق بعض مع امتناع سكوتك على متاعك ويجوز أن يقدر مضاف محذوف على ولا تحسبن الذين كفروا أصحاب أن الإملاء خير لأنفسهم أو ولا تحسبن حال الذين كفروا أن الإملاء خير لأنفسهم وهو فيمن قرأ بالياء رفع والفعل متعلق بأن وما في حيزه والإملاء لهم تخليتهم وشأنهم مستعار من أملى لفرسه إذا أرخى له الطول ليرعى كيف شاء وقيل هو إمهالهم وإطالة عمرهم والمعنى ولا تحسبن أن الإملاء خير لهم من منعهم أو قطع آجالهم (إنما نملي لهم) ما هذه حقها أن تكتب متصلة لأنها كافة دون الأولى وهذه جملة مستأنفة تعليل للجملة قبلها كأنه قيل ما بالهم لا يحسبون الإملاء خيرا لهم فقيل إنما نملي لهم ليزدادوا إثما (فإن قلت) كيف جاز أن يكون ازدياد الإثم غرضا لله تعالى في إملائه لهم (قلت) هو علة للإملاء وما كل علة بغرض ألا تراك تقول قعدت عن الغزو للعجز والفاقة وخرجت من البلد لمخافة الشر وليس شيء منها بغرض لك وإنما هي علل وأسباب فكذلك ازدياد الإثم جعل علة للإملاء وسببا فيه (فإن قلت) كيف يكون ازدياد الإثم علة للإملاء كما كان العجز علة للقعود عن الحرب (قلت) لما كان في علم الله المحيط بكل شيء أنهم مزدادون إثما فكان الإملاء وقع من أجله وبسببه على طريق المجاز * وقرأ يحيى بن وثاب بكسر الأولى وفتح الثانية ولا يحسبن بالياء على معنى ولا يحسبن الذين كفروا أن إملاءنا لازدياد الإثم كما يفعلون وإنما هو ليتوبوا ويدخلوا في الإيمان وقوله إنما نملي لهم خير لأنفسهم اعتراض بين الفعل ومعموله ومعناه أن إملاءنا

الشيطان يخوف أولياءه فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين ولا يحزنك الذين يسارعون في الكفر إنهم لن يضروا الله شيئا يريد الله ألا يجعل لهم حظا في الآخرة ولهم عذاب عظيم إن الذين اشتروا الكفر بالإيمان لن يضروا الله شيئا ولهم عذاب أليم ولا يحسبن الذين كفروا أنما نملي لهم خير لأنفسهم إنما نملي لهم ليزدادوا إثما

---

* قوله تعالى ولا يحسبن الذين كفروا أنما نملي لهم خير لأنفسهم إنما نملي لهم ليزدادوا إثما (قال محمود إن قلت كيف جاز أن يكون ازدياد الإثم غرضا لله تعالى في إملائه لهم الخ) قال أحمد بنى الزمخشري هذا الجواز على شفا جرف هار فانهار لأنه معتقد أن الإثم الواقع منهم ليس مرادا لله تعالى بل هو واقع على خلاف الإرادة الربانية فلما وردت الآية مشعرة بأن ازدياد الإثم مراد الله تعالى إشعارا لا يقبل التأويل أخذ يعمل الحيلة في وجه من التعطيل التزاما لاتمام الفاسد وضربا في حديد بارد فجعل ازدياد الإثم سببا وليس بغرض

خيرا لأنفسهم أن عاجلوا فيه وعرفوا انعام الله عليهم بتفسيح المدة وترك المعاجلة بالعقوبة (فإن قلت) فما معنى
قوله (ولهم عذاب مهين) على هذه القراءة (قلت) معناه ولا تحسبوا أن املاءنا لزيادة الاثم وللتعذيب والواو
للحال كأنه قيل ليزدادوا اثما معدا لهم عذاب مهين * اللام لتأكيد النفي (على ما أنتم عليه) من اختلاط
المؤمنين الخلص والمنافقين (حتى يميز الخبيث من الطيب) حتى يعزل المنافق عن المخلص وقرئ يميز من ميز
وفي رواية عن ابن كثير يميز من أماز بمعنى ميز (فإن قلت) لمن الخطاب في أنتم (قلت) للمصدقين جميعا من أهل
الاخلاص والنفاق كأنه قيل ما كان الله ليذر المخلصين منكم على الحال التي أنتم عليها من اختلاط بعضكم
ببعض وأنه لا يعرف مخلصكم من منافقكم لاتفاقكم على التصديق جميعا حتى يميزهم منكم بالوحي إلى نبيه
واخباره بأحوالكم ثم قال (وما كان الله ليطلعكم على الغيب) أي وما كان الله ليؤتي أحدا منكم علم الغيوب فلا
تتوهموا عند اخبار الرسول عليه الصلاة والسلام بنفاق الرجل واخلاص الآخر أنه يطلع على ما في القلوب
اطلاع الله فيخبر عن كفرها وايمانها (ولكن الله) يرسل الرسول فيوحي اليه ويخبره بأن في الغيب كذا وأن
فلانا في قلبه النفاق وفلانا في قلبه الاخلاص فيعلم ذلك من جهة اخبار الله لا من جهة اطلاعه على المغيبات
ويجوز أن يراد لا يترككم مختلطين حتى يميز الخبيث من الطيب بأن يكلفكم التكاليف الصعبة التي لا يصبر
عليها الا الخلص الذين امتحن الله قلوبهم كبذل الأرواح في الجهاد وانفاق الأموال في سبيل الله فيجعل ذلك
عيارا على عقائدكم وشاهدا بضمائركم حتى يعلم بعضكم ما في قلب بعض من طريق الاستدلال لا من جهة
الوقوف على ذات الصدور والاطلاع عليها فإن ذلك مما استأثر الله به وما كان الله ليطلع أحدا منكم على الغيب
ومضمرات القلوب حتى يعرف صحيحها من فاسدها مطلعا عليها ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء فيخبره
ببعض المغيبات (فآمنوا بالله ورسله) بأن تقدروه حق قدره وتعلموه وحده مطلعا على الغيوب وأن
تنزلوهم منازلهم بأن تعلموهم عبادا مجتبين لا يعلمون الا ما علمهم الله ولا يخبرون الا بما أخبرهم الله به من
الغيوب وليسوا من علم الغيب في شيء وعن السدي قال الكافرون ان كان محمد صادقا فليخبرنا من يؤمن منا
ومن يكفر فنزلت (ولا يحسبن) من قرأ بالتاء قدر مضافا محذوفا أي ولا تحسبن بخل الذين يبخلون هو خيرا لهم
وكذلك من قرأ بالياء وجعل فاعل يحسبن ضمير رسول الله أو ضمير أحد ومن جعل فاعله الذين يبخلون كان
المفعول الأول عنده محذوفا تقديره ولا يحسبن الذين يبخلون بخلهم (هو خيرا لهم) والذي سوغ حذفه دلالة
يبخلون عليه وهو فصل وقرأ الأعمش بغير هو (سيطوقون) تفسير لقوله هو شر لهم أي سيلزمون وبال
ما بخلوا به الزام الطوق وفي أمثالهم تقلدها طوق الحمامة اذا جاء بهنة يسب بها ويذم وقيل يجعل ما بخل به من
الزكاة حية يطوقها في عنقه يوم القيامة تنهشه من قرنه الى قدمه وتنقر رأسه وتقول أنا مالك وعن النبي صلى
الله عليه وسلم في مانع الزكاة يطوق شجاعا أقرع وروي شجاعا أسود وعن النخعي سيطوقون بطوق من نار
(ولله ميراث السموات والأرض) أي وله ما فيهما مما يتوارثه أهلهما من مال وغيره فما لهم يبخلون عليه
بملكه ولا ينفقونه في سبيله ونحوه قوله وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه * وقرئ بما تعملون بالتاء والياء
فالتاء على طريقة الالتفات وهي أبلغ في الوعيد والياء على الظاهر * قال ذلك اليهود حين سمعوا قول الله
تعالى من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فلا يخلو اما أن يقولوه عن اعتقاد لذلك أو عن استهزاء بالقرآن
وأيهما كان فالكلمة عظيمة لا تصدر الا عن متمردين في كفرهم ومعنى سماع الله له أنه لم يخف عليه وأنه أعد
له كفاءه من العقاب (سنكتب ما قالوا) في صحائف الحفظة أو سنحفظه ونثبته في علمنا لا ننساه كما يثبت
المكتوب (فإن قلت) كيف قال لقد سمع الله ثم قال سنكتب وهلا قيل ولقد كتبنا (قلت) ذكر وجود السماع
أولا مؤكدا بالقسم ثم قال سنكتب على جهة الوعيد بمعنى لن يفوتنا أبدا اثباته وتدوينه كما لن يفوتنا قتلهم
الأنبياء وجعل قتلهم الأنبياء قرينة له ايذانا بأنهما في العظم أخوان وبأن هذا ليس بأول ما ركبوه من
العظائم وأنهم أصلاء في الكفر ولهم فيه سوابق وأن من قتل الأنبياء لم يستبعد منه الاجتراء على مثل
هذا القول وروي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب مع أبي بكر رضي الله عنه الى يهود بني قينقاع
يدعوهم الى الاسلام والى اقام الصلاة وايتاء الزكاة وأن يقرضوا الله قرضا حسنا فقال فنحاص اليهودي

ولهم عذاب مهين
ما كان الله ليذر المؤمنين
على ما أنتم عليه حتى
يميز الخبيث من الطيب
وما كان الله ليطلعكم
على الغيب ولكن الله
يجتبي من رسله من
يشاء فآمنوا بالله
ورسله وان تؤمنوا
وتتقوا فلكم أجر عظيم
ولا يحسبن الذين يبخلون
بما آتاهم الله من فضله
هو خيرا لهم بل هو شر
لهم سيطوقون ما بخلوا
به يوم القيامة ولله
ميراث السموات
والأرض والله بما
تعملون خبير لقد سمع
الله قول الذين قالوا ان
الله فقير ونحن أغنياء
سنكتب ما قالوا وقتلهم
الأنبياء بغير حق

ن الله فقير حين سأله القرض فلطمه أبو بكر في وجهه وقال لولا الذي بيننا وبينكم من العهد لضربت عنقك فشكاه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وجحد ما قاله فنزلت ونحوه قولهم يد الله مغلولة (ونقول) لهم (ذوقوا) وننتقم منهم بأن نقول لهم يوم القيامة ذوقوا (عذاب الحريق) كما أذقتم المسلمين الغصص يقال للمنتقم منه أحس وذق وقال أبو سفيان لحمزة رضي الله عنه ذق عقق * وقرأ حمزة سيكتب بالياء على البناء للمفعول ويقول بالياء * وقرأ الحسن والأعرج سيكتب بالياء وتسمية الفاعل * وقرأ ابن مسعود ويقال ذوقوا (ذلك) إشارة إلى ما تقدم من عقابهم * وذكر الأيدي لأن أكثر الأعمال تزاول بهن فجعل كل عمل كالواقع بالأيدي على سبيل التغليب (فإن قلت) فلم عطف قوله (وأن الله ليس بظلام للعبيد) على ما قدمت أيديكم وكيف جعل كونه غير ظلام للعبيد شريكا لاجتراحهم السيئات في استحقاق التعذيب (قلت) معنى كونه غير ظلام للعبيد أنه عادل عليهم ومن العدل أن يعاقب المسيء منهم ويثيب المحسن (عهد إلينا) أمرنا في التوراة وأوصانا بأن لا نؤمن لرسول حتى يأتينا بهذه الآية الخاصة وهو أن يرينا قربانا تنزل نار من السماء فتأكله كما كان أنبياء بني إسرائيل تلك آيتهم كان يقرب بالقربان فيقوم النبي فيدعو فتنزل نار من السماء فتأكله وهذه دعوى باطلة وافتراء على الله لأن أكل النار القربان لم يوجب الإيمان للرسول الآتي به إلا لكونه آية ومعجزة فهو إذن وسائر الآيات سواء فلا يجوز أن يعينه الله من بين الآيات * وقد ألزمهم الله أن أنبياءهم جاؤهم بالبينات الكثيرة التي أوجبت عليهم التصديق وجاؤهم أيضا بهذه الآية التي اقترحوها فلم قتلوهم إن كانوا صادقين أن الإيمان يلزمهم بإتيانها * وقرئ بقربان بضمتين ونظيره السلطان (فإن قلت) ما معنى قوله (وبالذي قلتم) (قلت) معناه وبمعنى الذي قلتموه من قولكم قربان تأكله النار ومؤداه كقوله ثم يعودون لما قالوا أي لمعنى ما قالوا * في مصاحف أهل الشام والزبر وهي الصحف (والكتاب المنير) التوراة والإنجيل والزبور وهذه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم من تكذيب قومه وتكذيب اليهود * وقرأ اليزيدي ذائقة الموت على الأصل وقرأ الأعمش ذائقة الموت بطرح التنوين مع النصب كقوله

* ولا ذاكر الله إلا قليلا * (فإن قلت) كيف اتصل به قوله (وإنما توفون أجوركم) (قلت) اتصاله به على أن كلكم تموتون ولا بد لكم من الموت ولا توفون أجوركم على طاعتكم ومعاصيكم عقيب موتكم وإنما توفونها يوم قيامكم من القبور (فإن قلت) فهذا يوهم نفي ما يروى أن القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار (قلت) كلمة التوفية تزيل هذا الوهم لأن المعنى أن توفية الأجور وتكميلها يكون ذلك اليوم وما يكون قبل ذلك فبعض الأجور * الزحزحة التنحية والإبعاد تكرير الزح وهو الجذب بعجلة (فقد فاز) فقد حصل له الفوز المطلق المتناول لكل ما يفاز به ولا غاية للفوز وراء النجاة من سخط الله والعذاب السرمد ونيل رضوان الله والنعيم المخلد اللهم وفقنا لما ندرك به عندك الفوز في المآب وعن النبي صلى الله عليه وسلم من أحب أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتدركه منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر ويأتي إلى الناس ما يحب أن يؤتى إليه وهذا شامل للمحافظة على حقوق الله وحقوق العباد * شبه الدنيا بالمتاع الذي يدلس به على المستام ويغر حتى يشتريه ثم يتبين له فساده ورداءته والشيطان هو المدلس الغرور وعن سعيد ابن جبير إنما هذا لمن آثرها على الآخرة فأما من طلب الآخرة بها فإنها متاع بلاغ * خوطب المؤمنون بذلك ليوطنوا أنفسهم على احتمال ما سيلقون من الأذى والشدائد والصبر عليها حتى إذا لقوها لقوها وهم مستعدون لا يرهقهم ما يرهق من تصيبه الشدة بغتة فينكرها وتشمئز منها نفسه والبلاء في الأنفس القتل والأسر والجراح وما يرد عليها من أنواع المخاوف والمصائب * وفي الأموال الإنفاق في سبيل الخير وما يقع فيها من الآفات * وما يسمعون من أهل الكتاب المطاعن في الدين الحنيف وصد من أراد الإيمان وتخطئة من آمن وما كان من كعب بن الأشرف من هجائه لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتحريض المشركين ومن فنحاص ومن بني قريظة والنضير (فإن ذلك) فإن الصبر والتقوى (من عزم الأمور) من معزومات الأمور أي مما يجب العزم عليه من الأمور أو مما عزم الله أن يكون يعني أن ذلك عزمة من عزمات

ونقول ذوقوا عذاب الحريق ذلك بما قدمت أيديكم وأن الله ليس بظلام للعبيد الذين قالوا إن الله عهد إلينا ألا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار قل قد جاءكم رسل من قبلي بالبينات وبالذي قلتم فلم قتلتموهم إن كنتم صادقين فإن كذبوك فقد كذب رسل من قبلك جاؤا بالبينات والزبر والكتاب المنير كل نفس ذائقة الموت وإنما توفون أجوركم يوم القيامة فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز وما الحيوة الدنيا إلا متاع الغرور لتبلون في أموالكم وأنفسكم ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرا وإن تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الأمور

---

* قوله تعالى كل نفس ذائقة الموت الآية (قال محمود لأن المعنى أن توفية الأجور وتكميلها يكون الخ) قال أحمد هذا كلام صريح في اعتقاده حصول بعضها قبل يوم القيامة وهو المراد بما يكون في القبر من نعيم وعذاب ولقد أحسن الزمخشري في مخالفة أصحابه في هذه العقيدة فإنهم يجحدون عذاب القبر وها هو قد اعترف به والله الموفق

فلابد لكم أن تصبروا وتتقوا (وإذ أخذ الله) واذكر وقت أخذ الله ميثاق أهل الكتاب (لتبيننه) الضمير للكتاب أكد عليهم إيجاب بيان الكتاب واجتناب كتمانه كما يؤكد على الرجل إذا عزم عليه وقيل له آلله لتفعلن (فنبذوه وراء ظهورهم) فنبذوا الميثاق وتأكيده عليهم يعني لم يراعوه ولم يلتفتوا إليه والنبذ وراء الظهور مثل في الطرح وترك الاعتداد ونقيضه جعله نصب عينيه وألقاه بين عينيه وكفى به دليلا على أنه مأخوذ على العلماء أن يبينوا الحق للناس وما علموه وأن لا يكتموا منه شيئا لغرض فاسد من تسهيل على الظلمة وتطييب لنفوسهم واستجلاب لمسارهم أو لجر منفعة وحطام دنيا أو لتقية مما لا دليل عليه ولا أمارة أو لبخل بالعلم وغيرة أن ينسب إليه غيرهم وعن النبي صلى الله عليه وسلم من كتم علما عن أهله ألجم بلجام من نار وعن طاوس أنه قال لوهب إني أرى الله سوف يعذبك بهذه الكتب وقال والله لو كنت نبيا فكتمت العلم كما تكتمه لرأيت أن الله سيعذبك وعن محمد بن كعب لا يحل لأحد من العلماء أن يسكت على علمه ولا يحل لجاهل أن يسكت على جهله حتى يسأل وعن علي رضي الله عنه ما أخذ الله على أهل الجهل أن يتعلموا حتى أخذ على أهل العلم أن يعلموا * وقرئ ليبيننه ولا يكتمونه بالياء لأنهم غيب وبالتاء على حكاية مخاطبتهم كقوله وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب لتفسدن (لا تحسبن) خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأحد المفعولين (الذين يفرحون) والثاني بمفازة وقوله فلا تحسبنهم تأكيد تقديره لا تحسبنهم فلا تحسبنهم فائزين * وقرئ لا تحسبن فلا تحسبنهم بضم الباء على خطاب المؤمنين ولا يحسبن فلا يحسبنهم بالياء وفتح الباء فيهما على أن الفعل للرسول وقرأ أبو عمرو بالياء وفتح الباء في الأول وضمها في الثاني على أن الفعل للذين يفرحون والمفعول الأول محذوف على لا يحسبنهم الذين يفرحون بمفازة بمعنى لا يحسبن أنفسهم الذين يفرحون فائزين وفلا يحسبنهم تأكيد ومعنى (بما أتوا) بما فعلوا وأتى وجاء يستعملان بمعنى فعل قال الله تعالى إنه كان وعده مأتيا لقد جئت شيئا فريا ويدل عليه قراءة أبي يفرحون بما فعلوا وقرئ آتوا بمعنى أعطوا وعن علي رضي الله عنه بما أوتوا ومعنى (بمفازة من العذاب) بمنجاة منه روي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل اليهود عن شيء مما في التوراة فكتموا الحق وأخبروه بخلافه وأروه أنهم قد صدقوه واستحمدوا إليه وفرحوا بما فعلوا فأطلع الله رسوله على ذلك وسلاه بما أنزل من وعيدهم أي لا تحسبن اليهود الذين يفرحون بما فعلوا من تدليسهم عليك ويحبون أن تحمدهم بما لم يفعلوا من إخبارك بالصدق عما سألتهم عنه ناجين من العذاب ومعنى يفرحون بما أوتوا بما أوتوه من علم التوراة وقيل يفرحون بما فعلوا من كتمان نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا من اتباع دين إبراهيم حيث ادعوا أن إبراهيم كان على اليهودية وأنهم على دينه وقيل هم قوم تخلفوا عن الغزو مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما قفل اعتذروا إليه بأنهم رأوا المصلحة في التخلف واستحمدوا إليه بترك الخروج وقيل هم المنافقون يفرحون بما أتوا من إظهار الإيمان للمسلمين ومنافقتهم وتوصلهم بذلك إلى أغراضهم ويستحمدون إليهم بالإيمان الذي لم يفعلوه على الحقيقة لإبطانهم الكفر ويجوز أن يكون شاملا لكل من يأتي بحسنة فيفرح بها فرح إعجاب ويحب أن يحمده الناس ويثنوا عليه بالديانة والزهد بما ليس فيه (ولله ملك السموات والأرض) فهو يملك أمرهم وهو على كل شيء قدير فهو يقدر على عقابهم (لآيات) لأدلة واضحة على الصانع وعظيم قدرته وباهر حكمته (لأولي الألباب) للذين يفتحون بصائرهم للنظر والاستدلال والاعتبار ولا ينظرون إليها نظر البهائم غافلين عما فيها من عجائب الفطر وفي النصائح الصغار املأ عينيك من زينة هذه الكواكب وأجلهما في جملة هذه العجائب متفكرا في قدرة مقدرها متدبرا حكمة مدبرها قبل أن يسافر بك القدر ويحال بينك وبين النظر وعن ابن عمر رضي الله عنهما قلت لعائشة رضي الله عنها أخبريني بأعجب ما رأيت من رسول الله صلى الله عليه وسلم فبكت وأطالت ثم قالت كل أمره عجب أتاني في ليلتي فدخل في لحافي حتى ألصق جلده بجلدي ثم قال يا عائشة هل لك أن تأذني لي الليلة في عبادة ربي فقلت يا رسول الله إني لأحب قربك وأحب هواك قد أذنت لك فقام إلى قربة من ماء في البيت فتوضأ ولم يكثر من صب الماء ثم قام يصلي فقرأ من القرآن فجعل يبكي حتى بلغ الدموع حقويه ثم جلس

وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا فبئس ما يشترون لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب ولهم عذاب أليم ولله ملك السموات والأرض والله على كل شيء قدير إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب

فحمد الله وأثنى عليه وجعل يبكي ثم رفع يديه فجعل يبكي حتى رأيت دموعه قد بلت الارض فأتاه بلال يؤذنه
بصلاة الغداة فرآه يبكي فقال له يا رسول الله أتبكي وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقال يا بلال أفلا
أكون عبدا شكورا ثم قال ومالي لا أبكي وقد أنزل الله علي في هذه الليلة ان في خلق السموات والارض ثم قال
ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها وروى ويل لمن لاكها بين فكيه ولم يتأملها وعن علي رضي الله عنه أن النبي صلى
الله عليه وسلم كان اذا قام من الليل يتسوك ثم ينظر الى السماء ثم يقول ان في خلق السموات والارض وحكى
أن الرجل من بني اسرائيل كان اذا عبد الله ثلاثين سنة أظلته سحابة فعبدها فتى من فتيانهم فلم تظله فقالت له
أمه لعل فرطة فرطت منك في مدتك فقال ما أذكر قالت لعلك نظرت مرة الى السماء ولم تعتبر قال لعل قالت
فما أتيت الا من ذاك (الذين يذكرون الله) ذاكرين على أي حال كانوا من قيام وقعود واضطجاع لا يخلون
بالذكر في أغلب أحوالهم وعن ابن عمر وعروة بن الزبير وجماعة أنهم خرجوا يوم العيد الى المصلى فجعلوا يذكرون
الله فقال بعضهم أما قال الله تعالى يذكرون الله قياما وقعودا فقاموا يذكرون الله على أقدامهم وعن النبي
صلى الله عليه وسلم من أحب أن يرتع في رياض الجنة فليكثر ذكر الله وقيل معناه يصلون في هذه الاحوال على
حسب استطاعتهم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمران بن الحصين صل قائما فان لم تستطع فقاعدا فان لم
تستطع فعلى جنب تومئ ايماء وهذه حجة للشافعي رحمه الله في اضجاع المريض على جنبه كما في اللحد وعند أبي
حنيفة رحمه الله أنه يستلقي حتى اذا وجد خفة قعد ومحل (على جنوبهم) نصب على الحال عطفا على ما قبله
كأنه قيل قياما وقعودا ومضطجعين (ويتفكرون في خلق السموات والارض) وما يدل عليه اختراع هذه
الاجرام العظام وابداع صنعتها وما دبر فيها مما تكل الافهام عن ادراك بعض عجائبه على عظم شأن الصانع
وكبرياء سلطانه وعن سفيان الثوري أنه صلى خلف المقام ركعتين ثم رفع رأسه الى السماء فلما رأى الكواكب
غشي عليه وكان يبول الدم من طول حزنه وفكرته وعن النبي صلى الله عليه وسلم بينما رجل مستلق على فراشه
اذ رفع رأسه فنظر الى النجوم والى السماء فقال أشهد أن لك ربا وخالقا اللهم اغفر لي فنظر الله اليه فغفر له
وقال النبي صلى الله عليه وسلم لا عبادة كالتفكر وقيل الفكرة تذهب الغفلة وتحدث للقلب الخشية كما يحدث
الماء للزرع النبات وما جليت القلوب بمثل الاحزان ولا استنارت بمثل الفكرة وروى عن النبي صلى الله عليه
وسلم لا تفضلوني على يونس بن متى فانه كان يرفع له في كل يوم مثل عمل أهل الارض قالوا وانما كان ذلك التفكر
في أمر الله الذي هو عمل القلب لان أحدا لا يقدر أن يعمل بجوارحه في اليوم مثل عمل أهل الارض
(ما خلقت هذا باطلا) على ارادة القول أي يقولون ذلك وهو في محل الحال بمعنى يتفكرون قائلين والمعنى
ما خلقته خلقا باطلا بغير حكمة بل خلقته لداعي حكمة عظيمة وهو أن تجعلها مساكن للمكلفين وأدلة لهم على
معرفتك ووجوب طاعتك واجتناب معصيتك ولذلك وصل به قوله (فقنا عذاب النار) لانه جزاء من عصى ولم
يطع (فان قلت) هذا اشارة الى ماذا (قلت) الى الخلق على أن المراد به المخلوق كأنه قيل ويتفكرون في
مخلوق السموات والارض أي فيما خلق منها ويجوز أن يكون اشارة الى السموات والارض لانها في معنى
المخلوق كأنه قيل ما خلقت هذا المخلوق العجيب باطلا وفي هذا ضرب من التعظيم كقوله ان هذا القرآن يهدي
للتي هي أقوم ويجوز أن يكون باطلا حالا من هذا • وسبحانك اعتراض للتنزيه من العبث وأن يخلق شيأ بغير
حكمة (فقد أخزيته) فقد أبلغت في اخزائه وهو نظير قوله فقد فاز ونحوه في كلامهم من أدرك مرعى الصمان
فقد أدرك ومن سبق فلانا فقد سبق (وما للظالمين) اللام اشارة الى من يدخل النار واعلام بأن من يدخل
النار فلا ناصر له بشفاعة ولا غيرها • تقول سمعت رجلا يقول كذا وسمعت زيدا يتكلم فتوقع الفعل على
الرجل وتحذف المسموع لانك وصفته بما يسمع أو جعلته حالا عنه فأغناك عن ذكره ولولا الوصف أو الحال
لم يكن منه بد وأن يقال سمعت كلام فلان أو قوله (فان قلت) فأي فائدة في الجمع بين المنادي وينادي (قلت)
ذكر النداء مطلقا ثم مقيدا بالايمان تفخيم لشأن المنادي لانه لا منادي أعظم من مناد ينادي للايمان ونحوه
قولك مررت بهاد يهدي للاسلام وذلك أن المنادي اذا أطلق ذهب الوهم الى مناد للحرب أو لاطفاء النائرة

الذين يذكرون الله
قياما وقعودا وعلى
جنوبهم ويتفكرون
في خلق السموات
والارض ربنا ما خلقت
هذا باطلا سبحانك
فقنا عذاب النار ربنا
انك من تدخل النار
فقد أخزيته وما للظالمين
من أنصار ربنا اننا
سمعنا مناديا ينادي
للايمان

أو لإغاثة المكروب أو لكفاية بعض النوازل أو لبعض المنافع وكذلك الهادي قد يطلق على من يهدي
للطريق ويهدي لسداد الرأي وغير ذلك فإذا قلت ينادي للإيمان ويهدي للإسلام فقد رفعت من شأن المنادي
والهادي وفخمته ويقال دعاه لكذا وإلى كذا وندبه له وإليه وناداه له وإليه ونحوه هداه للطريق وإليه وذلك
أن معنى انتهاء الغاية ومعنى الاختصاص واقعان جميعا والمنادي هو الرسول أدعو إلى الله ادع إلى سبيل ربك
وعن محمد بن كعب القرآن (أن آمنوا) أي آمنوا أو بأن آمنوا (ذنوبنا) كبائرنا (سيئاتنا) صغائرنا (مع
الأبرار) مخصوصين بصحبتهم معدودين في جملتهم والأبرار جمع بر أو بار كرب وأرباب وصاحب وأصحاب (على
رسلك) على هذه صلة للوعد كما في قولك وعد الله الجنة على الطاعة والمعنى ما وعدتنا على تصديق رسلك ألا
تراه كيف أتبع ذكر المنادي للإيمان وهو الرسول وقوله آمنا وهو التصديق ويجوز أن يكون متعلقا بمحذوف
أي ما وعدتنا منزلا على رسلك أو محمولا على رسلك لأن الرسل محملون ذلك فإنما عليه ما حمل وقيل على ألسنة
رسلك والموعود هو الثواب وقيل النصرة على الأعداء (فإن قلت) كيف دعوا الله بإنجاز ما وعد والله لا يخلف
الميعاد (قلت) معناه طلب التوفيق فيما يحفظ عليهم أسباب إنجاز الميعاد أو هو باب من اللجأ إلى الله والخضوع
له كما كان الأنبياء عليهم الصلاة والسلام يستغفرون مع علمهم أنهم مغفور لهم يقصدون بذلك التذلل لربهم
والتضرع إليه واللجأ الذي هو سيما العبودية يقال استجاب له واستجابه * فلم يستجبه عند ذاك مجيب * (أني
لا أضيع) قرئ بالفتح على حذف الباء وبالكسر على إرادة القول وقرئ لا أضيع بالتشديد (من ذكر أو أنثى)
بيان لمن (بعضكم من بعض) أي يجمع ذكوركم وإناثكم أصل واحد فكل واحد منكم من الآخر أي من
أصله أو كأنه منه لفرط اتصالكم واتحادكم وقيل المراد وصلة الإسلام وهذه جملة معترضة بينت بها شركة
النساء مع الرجال فيما وعد الله عباده العاملين وروي أن أم سلمة قالت يا رسول الله إني أسمع الله تعالى يذكر
الرجال في الهجرة ولا يذكر النساء فنزلت (فالذين هاجروا) تفصيل لعمل العامل منهم على سبيل التعظيم له
والتفخيم كأنه قال فالذين عملوا هذه الأعمال السنية الفائقة وهي المهاجرة عن أوطانهم فارين إلى الله
بدينهم من دار الفتنة واضطروا إلى الخروج من ديارهم التي ولدوا فيها ونشؤوا بما سامهم المشركون من
الخسف (وأوذوا في سبيلي) من أجله وبسببه يريد سبيل الدين (وقاتلوا وقتلوا) وغزوا المشركين واستشهدوا و
وقرئ وقتلوا بالتشديد وقتلوا وقاتلوا على التقديم بالتخفيف والتشديد وقتلوا وقتلوا على بناء الأول للفاعل
والثاني للمفعول وقتلوا وقاتلوا على بنائهما للفاعل (ثوابا) في موضع المصدر المؤكد بمعنى إثابة أو تثويبا (من عند
الله) لأن قوله لأكفرن عنهم ولأدخلنهم في معنى لأثيبنهم وعنده مثل أي يختص به وبقدرته وفضله لا يثيبه
غيره ولا يقدر عليه كما يقول الرجل عندي ما تريد يريد اختصاصه به وبملكه وإن لم يكن بحضرته وهذا تعليم من
الله كيف يدعى وكيف يبتهل إليه ويتضرع * وتكرير ربنا من باب الابتهال وإعلام بما يوجب حسن الإجابة
وحسن الإثابة من احتمال المشاق في دين الله والصبر على صعوبة تكاليفه وقطع لأطماع الكسالى المتمنين
عليه وتسجيل على من لا يرى الثواب موصولا إليه بالعمل بالجهل والغباوة وروي عن جعفر الصادق رضي
الله عنه من حزبه أمر فقال خمس مرات ربنا أنجاه الله مما يخاف وأعطاه ما أراد وقرأ هذه الآية وعن الحسن
حكى الله عنهم أنهم قالوا خمس مرات ربنا ثم أخبر أنه استجاب لهم إلا أنه أتبع ذلك رافع الدعاء وما يستجاب به
فلا بد من تقديمه بين يدي الدعاء (لا يغرنك) الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم أو لكل أحد أي لا تنظر
إلى ما هم عليه من سعة الرزق والمضطرب ودرك العاجل وإصابة حظوظ الدنيا ولا تغترر بظاهر ما ترى من
تبسطهم في الأرض وتصرفهم في البلاد يتكسبون ويتجرون ويتدهقنون عن ابن عباس هم أهل مكة وقيل
هم اليهود وروي أن ناسا من المؤمنين كانوا يرون ما كانوا فيه من الخصب والرخاء ولين العيش فيقولون إن
أعداء الله فيما نرى من الخير وقد هلكنا من الجوع والجهد (فإن قلت) كيف جاز أن يغتر رسول الله صلى الله
عليه وسلم بذلك حتى ينهى عن الاغترار به (قلت) فيه وجهان أحدهما أن مدرة القوم ومتقدمهم يخاطب
بشيء فيقوم خطابه مقام خطابهم جميعا فكأنه قيل لا يغرنكم والثاني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان

أن آمنوا بربكم فآمنا
ربنا فاغفر لنا ذنوبنا
وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا
مع الأبرار ربنا وآتنا
ما وعدتنا على رسلك
ولا تخزنا يوم القيامة
إنك لا تخلف الميعاد
فاستجاب لهم ربهم أني
لا أضيع عمل عامل
منكم من ذكر أو أنثى
بعضكم من بعض فالذين
هاجروا وأخرجوا من
ديارهم وأوذوا في سبيلي
وقاتلوا وقتلوا لأكفرن
عنهم سيئاتهم
ولأدخلنهم جنات
تجري من تحتها الأنهار
ثوابا من عند الله والله
عنده حسن الثواب
لا يغرنك تقلب الذين
كفروا في البلاد

غير

﴿القول في سورة النساء﴾ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها (قال محمود معناه فرعكم من أصل واحد وهو نفس آدم أبيكم وعلام عطف الخ) قال أحمد (٣٤٣) وانما قدر المحذوف فى الوجه الاول حيث جعل الخطاب عاما فى الجنس لانه لولا التقدير لكان قوله وبث منهما تكرارا لقوله خلقكم لانهما واحد وليس على سبيل بيان الاول لانه معطوف عليه حينئذ وأما وهو معطوف على المقدر فذلك المقدر واقع صفة مبينة والمعطوف عليه داخل فى حكم البيان فاستقام وأما الوجه الثانى فالتكرار فيه ليس بلازم اذ المخاطب بقوله خلقكم الذين بعث اليهم النبى عليه الصلاة والسلام وقوله وبث منهما واقع على من عدا المبعوث اليهم من الامم فلا حاجة للتقدير المذكور فى الوجه الثانى والله أعلم

غير مغرور بحالهم فأكد عليه ما كان عليه وثبت على التزامه كقوله ولا تكونن من الكافرين ولا تكونن من المشركين ولا تطع المكذبين وهذا فى النهى نظير قوله فى الامر اهدنا الصراط المستقيم يا أيها الذين آمنوا آمنوا وقد جعل النهى فى الظاهر للتقلب وهو فى المعنى للمخاطب وهذا من تنزيل السبب منزلة المسبب لان التقلب لو غره لاغتر به فمنع السبب ليمتنع المسبب وقرئ لا يغرنك بالنون الخفيفة (متاع قليل) خبر مبتدا محذوف أى ذلك متاع قليل وهو التقلب فى البلاد أراد قلته فى جنب ما فاتهم من نعيم الآخرة أو فى جنب ما أعد الله للمؤمنين من الثواب أو أراد أنه قليل فى نفسه لانقضائه وكل زائل قليل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما الدنيا فى الآخرة الا مثل ما يجعل أحدكم اصبعه فى اليم فلينظر بم يرجع (وبئس المهاد) وساء ما مهدوا لانفسهم والنزل والنزل ما يقام للنازل قال أبو الشعراء الضبى

وكنا اذا الجبار بالجيش ضافنا ... جعلنا القنا والمرهفات له نزلا

وانتصابه اما على الحال من جنات لتخصصها بالوصف والعامل اللام ويجوز أن يكون بمعنى مصدر مؤكد كأنه قيل رزقا أو عطاء (من عند الله وما عند الله) من الكثير الدائم (خير للابرار) مما يتقلب فيه الفجار من القليل الزائل وقرأ مسلمة بن محارب والاعمش نزلا بالسكون وقرأ يزيد بن القعقاع لكن الذين اتقوا بالتشديد (وان من أهل الكتاب) عن مجاهد نزلت فى عبد الله بن سلام وغيره من مسلمة أهل الكتاب وقيل فى أربعين من أهل نجران واثنين وثلاثين من الحبشة وثمانية من الروم كانوا على دين عيسى عليه السلام فأسلموا وقيل فى أصحمة النجاشى ملك الحبشة ومعنى أصحمة عطية بالعربية وذلك أنه لما مات نعاه جبريل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عليه السلام أخرجوا فصلوا على أخ لكم مات بغير أرضكم فخرج الى البقيع ونظر الى أرض الحبشة فأبصر سرير النجاشى وصلى عليه واستغفر له فقال المنافقون انظروا الى هذا يصلى على علج نصرانى لم يره قط وليس على دينه فنزلت ودخلت لام الابتداء على اسم ان لفصل الظرف بينهما كقوله وان منكم لمن ليبطئن (وما أنزل اليكم) من القرآن (وما أنزل اليهم) من الكتابين (خاشعين لله) حال من فاعل يؤمن لان من يؤمن فى معنى الجمع (لا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا) كما يفعل من لم يسلم من أحبارهم وكبارهم (أولئك لهم أجرهم عند ربهم) أى ما يختص بهم من الاجر وهو ما وعدوه فى قوله أولئك يؤتون أجرهم مرتين يؤتكم كفلين من رحمته (ان الله سريع الحساب) لنفوذ علمه فى كل شئ فهو عالم بما يستوجبه كل عامل من الاجر ويجوز أن يراد انما توعدون لآت قريب بعد ذكر الوعد (اصبروا) على الدين وتكاليفه (وصابروا) أعداء الله فى الجهاد أى غالبوهم فى الصبر على شدائد الحرب لا تكونوا أقل صبرا منهم وثباتا والمصابرة باب من الصبر ذكر بعد الصبر على ما يجب الصبر عليه تخصيصا لشدته وصعوبته (ورابطوا) وأقيموا فى الثغور رابطين خيلكم فيها مترصدين مستعدين للغزو قال الله عز وجل ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وعن النبى صلى الله عليه وسلم من رابط يوما وليلة فى سبيل الله كان كعدل صيام شهر وقيامه لا يفطر ولا ينفتل عن صلاته الا لحاجة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة آل عمران أعطى بكل آية منها أمانا على جسر جهنم وعنه عليه الصلاة والسلام من قرأ السورة التى يذكر فيها آل عمران يوم الجمعة صلى الله عليه وملائكته حتى تحجب الشمس

﴿سورة النساء مدنية وهى مائة وخمس وسبعون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(يا أيها الناس) يا بنى آدم (خلقكم من نفس واحدة) فرعكم من أصل واحد وهو نفس آدم أبيكم (فان

متاع قليل ثم مأواهم جهنم وبئس المهاد لكن الذين اتقوا ربهم لهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها نزلا من عند الله وما عند الله خير للابرار وان من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل اليكم وما أنزل اليهم خاشعين لله لا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا أولئك لهم أجرهم عند ربهم ان الله سريع الحساب يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون

(سورة النساء مدنية وهى مائة وخمس وسبعون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة

(فإن قلت) علام عطف قوله (وخلق منها زوجها) (قلت) فيه وجهان أحدهما أن يعطف على محذوف كأنه
قيل من نفس واحدة أنشأها أو ابتدأها وخلق منها زوجها وإنما حذف لدلالة المعنى عليه والمعنى شعبكم من
نفس واحدة هذه صفتها وهي أنه أنشأها من تراب وخلق زوجها حواء من ضلع من أضلاعها (وبث منهما)
نوع جنس الإنس وهم الذكور والإناث فوصفها بصفة هي بيان وتفصيل لكيفية خلقهم منها والثاني أن
يعطف على خلقكم ويكون الخطاب في يا أيها الناس للذين بعث إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم والمعنى
خلقكم من نفس آدم لأنهم من جملة الجنس المفرع منه وخلق منها أمكم حواء وبث منهما رجالا كثيرا ونساء
غيركم من الأمم الفائتة للحصر (فإن قلت) الذي يقتضيه سداد نظم الكلام وجزالته أن يجاء عقيب الأمر
بالتقوى بما يوجبها أو يدعو إليها ويبعث عليها فكيف كان خلقه إياهم من نفس واحدة على التفصيل الذي
ذكره موجبا للتقوى وداعيا إليها (قلت) لأن ذلك مما يدل على القدرة العظيمة ومن قدر على نحوه كان قادرا
على كل شيء ومن المقدورات عقاب العصاة فالنظر فيه يؤدي إلى أن يتقى القادر عليه ويخشى عقابه ولأنه
يدل على النعمة السابغة عليهم فحقهم أن يتقوه في كفرانها والتفريط فيما يلزمهم من القيام بشكرها أو أراد
بالتقوى تقوى خاصة وهي أن يتقوه فيما يتصل بحفظ الحقوق بينهم فلا يقطعوا ما يجب عليهم وصله فقيل
اتقوا ربكم الذي وصل بينكم حيث جعلكم صنوانا مفرعة من أرومة واحدة فيما يجب على بعضكم لبعض
فحافظوا عليه ولا تغفلوا عنه وهذا المعنى مطابق لمعاني السورة ● وقرئ وخالق منها زوجها وباث منهما بلفظ
اسم الفاعل وهو خبر مبتدأ محذوف تقديره وهو خالق (تساءلون به) تتساءلون به فأدغمت التاء في السين
وقرئ تساءلون بطرح التاء الثانية أي يسأل بعضكم بعضا بالله وبالرحم فيقول بالله وبالرحم افعل كذا على سبيل
الاستعطاف وأناشدك الله والرحم وتسألون غيركم بالله والرحم فقيل تفاعلون موضع تفعلون للجمع كقولك
رأيت الهلال وتراءيناه وتنصره قراءة من قرأ تسألون به مهموزا وغير مهموز ● وقرئ والأرحام بالحركات
الثلاث فالنصب على وجهين إما على واتقوا الله والأرحام وأن يعطف على محل الجار والمجرور كقولك
مررت بزيد وعمرا وينصره قراءة ابن مسعود تسألون به وبالأرحام والجر على عطف الظاهر على المضمر وليس
بسديد لأن الضمير المتصل متصل كاسمه والجار والمجرور كشيء واحد فكانا في قولك مررت به وزيد وهذا
غلامه وزيد شديدي الاتصال فلما اشتد الاتصال لتكرره أشبه العطف على بعض الكلمة فلم يجز ووجب
تكرير العامل كقولك مررت به وبزيد وهذا غلامه وغلام زيد ألا ترى إلى صحة قولك رأيتك وزيدا ومررت
بزيد وعمرو لما لم يقو الاتصال لأنه لم يتكرر وقد تمحل لصحة هذه القراءة بأنها على تقدير تكرير الجار ونظيرها
فما بك والأيام من عجب والرفع على أنه مبتدأ خبره محذوف كأنه قيل والأرحام كذلك على معنى والأرحام
مما يتقى أو والأرحام مما يتساءل به والمعنى أنهم كانوا يقرون بأن لهم خالقا وكانوا يتساءلون بذكر الله والرحم
فقيل لهم اتقوا الله الذي خلقكم واتقوا الذي تتناشدون به واتقوا الأرحام فلا تقطعوها أو واتقوا الله الذي
تتعاطفون بإذكاره وبإذكار الرحم وقد آذن عز وجل إذ قرن الأرحام باسمه أن صلتها منه بمكان كما قال أن
لا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا وعن الحسن إذا سألك بالله فأعطه وإذا سألك بالرحم فأعطه وللرحم حجنة
عند العرش ومعناه ما روي عن ابن عباس رضي الله عنه الرحم معلقة بالعرش فإذا أتاها الواصل بشت به
وكلمته وإذا أتاها القاطع احتجبت منه وسئل ابن عيينة عن قوله عليه الصلاة والسلام تخيروا لنطفكم فقال
يقول لأولادكم وذلك أن يضع ولده في الحلال ألم تسمع قوله تعالى واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام وأول
صلته أن يختار له الموضع الحلال فلا يقطع رحمه ولا نسبه فإنما للعاهر الحجر ثم يختار الصحة ويجتنب الدعوة ولا
يضعه موضع سوء يتبع شهوته وهواه بغير هدى من الله اليتامى الذين مات آباؤهم فانفردوا عنهم واليتم الانفراد
ومنه الرملة اليتيمة والدرة اليتيمة وقيل اليتم في الأناسي من قبل الآباء وفي البهائم من قبل الأمهات (فإن
قلت) كيف جمع اليتيم وهو فعيل كمريض على يتامى (قلت) فيه وجهان أن يجمع على يتمى كأسرى لأن اليتم من
وادي الآفات والأوجاع ثم يجمع فعلى على فعالى كأسارى ويجوز أن يجمع على فعائل لجري اليتيم مجرى

وخلق منها زوجها
وبث منهما رجالا كثيرا
ونساء واتقوا الله الذي
تساءلون به والأرحام
إن الله كان عليكم رقيبا

«قوله تعالى وآتوا اليتامى أموالهم (قال محمود إما أن يراد باليتامى الصغار الخ) قال أحمد والوجه الأول قوي بقوله بعد آيات وابتلوا اليتامى حتى إذا بلغوا النكاح فإن آنستم منهم رشدا فادفعوا إليهم أموالهم دل على أن الآية الأولى في الحض على حفظها لهم ليؤتوها عند بلوغهم ورشدهم والثانية في الحض على الإيتاء الحقيقي عند حصول البلوغ والرشد ويقويه أيضا قوله عقيب الأولى ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم فهذا كله تأديب للوصي ما دام المال بيده واليتيم في حجره وأما على الوجه الآخر فيكون مؤدى الآيتين واحدا وهو الأمر بالإيتاء حقيقة ويخلص عن التكرار بأن الأولى كالمجملة والثانية كالمبينة لشرط الإيتاء من البلوغ وإيناس الرشد والله أعلم «قوله تعالى ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم (قال محمود معناه ولا تضموها إلى أموالكم الخ) قال أحمد وأهل البيان يقولون المنهي متى كان درجات فطريق البلاغة النهي عن أدناها تنبيها على الأعلى كقوله تعالى فلا تقل لهما أف وإذا عبرت هذا القانون بهذه الآية وجدته ببادئ الرأي مخالفا له إذ أعلى درجات أكل مال اليتيم في النهي أن يأكله وهو غني عنه (٢٤٥) وأدناه أن يأكله وهو فقير إليه فكان مقتضى القانون المذكور أن ينهى عن أكل مال اليتيم من هو فقير إليه حتى يلزم نهي الغني عنه من طريق الأولى وحينئذ فلا بد من تمهيد أمر يوضح

وآتوا اليتامى أموالهم ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم إنه كان حوبا كبيرا وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى فانكحوا

[illegible] وصاحب وفرس [illegible] يتيم على القياس وحق هذا الاسم أن يقع على الصغار والكبار لبقاء معنى الانفراد عن الآباء إلا أنه قد غلب أن يسموا به قبل أن يبلغوا مبلغ الرجال فإذا استغنوا بأنفسهم عن كافل وقائم عليهم وانتصبوا كفاة يكفلون غيرهم ويقومون عليهم زال عنهم هذا الاسم وكانت قريش تقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم يتيم أبي طالب إما على القياس وإما حكاية للحال التي كان عليها صغيرا ناشئا في حجر عمه توضيعا له وأما قوله عليه السلام لا يتم بعد الحلم فما هو إلا تعليم شريعة لا لغة يعني أنه إذا احتلم لم تجر عليه أحكام الصغار (فإن قلت) فما معنى قوله (وآتوا اليتامى أموالهم) (قلت) إما أن يراد باليتامى الصغار وبإيتائهم الأموال أن لا يطمع فيها الأولياء والأوصياء وولاة السوء وقضاته ويكفوا عنها أيديهم الخاطفة حتى تأتي اليتامى إذا بلغوا سالمة غير محذوفة وإما أن يراد الكبار تسمية لهم يتامى على القياس أو لقرب عهدهم إذا بلغوا بالصغر كما تسمى الناقة عشراء بعد وضعها على أن فيه إشارة إلى أن لا يؤخر دفع أموالهم إليهم عن حد البلوغ ولا يمطلوا إن أونس منهم الرشد وأن يؤتوها قبل أن يزول عنهم اسم اليتامى والصغار وقيل هي في رجل من غطفان كان معه مال كثير لابن أخ له يتيم فلما بلغ طلب المال فمنعه عمه فترافعا إلى النبي صلى الله عليه وسلم فنزلت فلما سمعها العم قال أطعنا الله وأطعنا الرسول نعوذ بالله من الحوب الكبير فدفع ماله إليه فقال النبي عليه السلام ومن يوق شح نفسه ويطع ربه هكذا فإنه يحل داره يعني جنته فلما قبض الفتى ماله أنفقه في سبيل الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم ثبت الأجر وبقي الوزر فقالوا يا رسول الله قد عرفنا أنه ثبت الأجر فكيف بقي الوزر وهو ينفق في سبيل الله فقال ثبت أجر الغلام وبقي الوزر على والده (ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب) ولا تستبدلوا الحرام وهو مال اليتامى بالحلال وهو مالكم وما أبيح لكم من المكاسب ورزق الله المبثوث في الأرض فتأكلوه مكانه أو لا تستبدلوا الأمر الخبيث وهو اختزال أموال اليتامى بالأمر الطيب وهو حفظها والتورع منها والتفعل بمعنى الاستفعال غير عزيز منه التعجل بمعنى الاستعجال والتأخر بمعنى الاستئخار قال ذو الرمة

فيا كرم السكن الذين تحملوا * عن الدار والمستخلف المتبدل

أراد بالقوم ما استخلفته الدار واستبدلته وقيل هو أن يعطي رديئا ويأخذ جيدا وعن السدي أن يجعل شاة مهزولة مكان سمينة وهذا ليس بتبدل وإنما هو تبديل إلا أن يكارم صديقا له فيأخذ منه عجفاء مكان سمينة من مال الصبي (ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم) ولا تنفقوها معها وحقيقته ولا تضموها إليها في الإنفاق

فائدة تخصيص الصورة العليا بالنهي في هذه الآية فنقول أبلغ الكلام ما تعددت وجوه إفادته ولا شك أن النهي عن الأدنى وإن أفاد النهي عن الأعلى إلا أن للنهي عن الأعلى أيضا فائدة أخرى

جليلة لا تؤخذ من النهي عن الأدنى وذلك أن المنهي كلما كان أقبح كانت النفس عنه أنفر والداعية إليه أبعد ولا شك أن المستقر في النفوس أن أكل مال اليتيم مع الغنى عنه أقبح صور الأكل فخصص بالنهي تشنيعا على من يقع فيه حتى إذا استحكم نفوره من أكل ماله على هذه الصورة الشنعاء دعاه ذلك إلى الإحجام عن أكل ماله مطلقا ففيه تدريب للمخاطب على النفور من المحارم ولا تكاد هذه الفائدة تحصل لو خصص النهي بأكله مع الفقر إذ ليست الطباع في هذه الصورة معينة على الاجتناب كإعانتها عليه في الصورة الأولى ويحقق مراعاة هذا المعنى تخصيصه الأكل مع أن تناول مال اليتيم على أي وجه كان منهي عنه كان ذلك بالادخار أو اللباس أو ببذله في لذة النكاح مثلا أو غير ذلك إلا أن حكمة تخصيص النهي بالأكل أن العرب كانت تتذمم بالإكثار من الأكل وتعد البطنة من البهيمية وتعيب على من اتخذ همه بطنه ولا كذلك سائر الملاذ فإنهم ربما يتمادحون بالإكثار من النكاح ويعدونه من زينة الدنيا فلما كان الأكل عندهم أقبح الملاذ خص النهي به حتى إذا نفرت النفس منه بمقتضى طبعها المألوف جرها ذلك إلى النفور من صرف مال اليتيم في سائر الملاذ وغيرها

كلا أو غيره ومثل هذه الآية في تخصيص النهي عما هو أعلى قوله تعالى لا تأكلوا الربا أضعافا مضاعفة فخص هذه الصورة لأن الطبع
على الانتهاء عنها أعون ويقابل هذا الطريق في النهي طريق آخر في الأمر وهو أنه تارة يخص صورة الأمر الأدنى تنبيها على الأعلى وتارة يخص
صورة الأعلى لمثل الفائدة المذكورة من التدريب الأخرى إلى قوله تعالى بعد آيات من هذه السورة وإذا حضر القسمة أولوا القربى
واليتامى والمساكين فارزقوهم الآية كيف خص صورة حضورهم وإن كانت العليا بالنسبة إلى غيبتهم وذلك أن الله تعالى علم شح الأنفس
على الأموال فلو أمر بالسماحة للأقارب واليتامى من المال الموروث ولم يذكر حالة حضورهم القسمة لم تكن الأنفس بالسمحة إلى هذا
المعروف كما بها الآن مع حضورهم بخلاف ما إذا حضروا فإن النفس يرق طبعها وتنفر من أن تأخذ المال الجزل وذو الرحم حاضر محروم
ولا يسعف ولا يساعد فإذا أمرت في هذه الحالة بالإسعاف هان عليها امتثال الأمر ولانت لامتثال الطبع ثم تدربت بذلك على إسعاف
ذي الرحم مطلقا حضر أو غاب فمراعاة هذا وأمثاله من الفوائد لا يكاد يلفى إلا في الكتاب العزيز ولا يعثر عليه إلا الحاذق
العطان المؤيد بالتوفيق نسأل الله أن يسلك بنا في هذا النمط بحمده هذه الفنون عدة وهو أن النهي إن خص الأدنى فلفائدة التنبيه على الأعلى وإن خص الأعلى فلفائدة التدريب على الانكفاف عن القبيح مطلقا من الانكفاف عن الأقبح ومثل هذا المعرفي جانب الأمر

مطلب انكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع

والله الموفق * قوله تعالى وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع الآية (قال محمود إن الآية التي حاف الأولياء الخ. قال أحمد قد ثبت أن قاعدة القدرية وعقيدتهم أن الكبيرة الواحدة
توجب خلود العبد في العذاب وإن كان موحدا ما لم يتب عنها ثم يقولون لا تصح التوبة عن بعض الذنوب والإصرار على وربما
بعضها لأنه واحد منها فالكافر ساوى الكافر في الخلود في العذاب ولا يفيده توحيده ولا شيء من أعماله هذا هو معتقدهم الفاسد الذي
يروم الزمخشري تفسير الآية عليه فاحذره أما أهل السنة فيقولون إذا تاب العبد من بعض الذنوب كان مخاطبا بوجوب التوبة مما بقي
متوجها عليه وكأنه قام ببعض الواجبات وترك البعض فمتماثلة فائدة التوبة محو المتوب عنه بإذن الله ووعده وهو في المهدة فيما لم يتب
عنه فإن كان تفسير الآية على أنهم حوطبوا بالتحرج في حقوق النساء والتوبة من الجور عليهن كما تابوا عن الحيف على اليتامى فالأمر في
ذلك منزل على ما تمهده من قواعد السنة والله ولي التوفيق * عاد كلامه (قال محمود وقيل كانوا لا يتحرجون من الزنا وهم يتحرجون من ولاية
اليتامى الخ. قال أحمد وهذا التأويل الذي أخره جدير بالتقديم وهو الأظهر وتكون الآية معه لبيان حكم اليتامى وتحذيرا من التورط في
الجور عليهن وأمرا بالاحتياط وفي غيرهن متسع إلى الأربع وأصدق شاهد على أنه هو المراد قوله تعالى وآتوا النساء صدقاتهن نحلة فإن طبن

حتى لا تفرقوا بين أموالكم وأموالهم قلة مبالاة بما لا يحل لكم وتسوية بينه وبين الحلال (فإن قلت) قد
حرم عليهم أكل مال اليتامى وحده ومع أموالهم فلم ورد النهي عن أكله معها (قلت) لأنهم إذا كانوا مستغنين
عن أموال اليتامى بما رزقهم الله من مال حلال وهم على ذلك يطمعون فيها كان القبح أبلغ والذم أحق ولأنهم
كانوا يفعلون كذلك فنعى عليهم فعلهم وسمع بهم ليكون أزجر لهم * والحوب الذنب العظيم ومنه قوله عليه
السلام إن طلاق أم أيوب لحوب وكأنه قيل إنه كان ذنبا عظيما كبيرا * وقرأ الحسن حوبا بفتح الحاء وهو
مصدر حاب حوبا وقرئ حابا ونظيره الحوب والحاب القول والقال والطرد والطرد * ولما نزلت الآية في
اليتامى وما في أكل أموالهم من الحوب الكبير خاف الأولياء أن يلحقهم الحوب بترك الإقساط في حقوق
اليتامى وأخذوا يتحرجون من ولايتهم وكان الرجل منهم ربما كان تحته العشر من الأزواج والثمان والست
فلا يقوم بحقوقهن ولا يعدل بينهن فقيل لهم إن خفتم ترك العدل في حقوق اليتامى فتحرجتم منها فخافوا
أيضا ترك العدل بين النساء فقللوا عدد المنكوحات لأن من تحرج من ذنب أو تاب عنه وهو مرتكب مثله
فهو غير متحرج ولا تائب لأنه إنما وجب أن يتحرج من الذنب ويتاب عنه لقبحه والقبح قائم في كل ذنب وقيل
كانوا لا يتحرجون من الزنا وهم يتحرجون من ولاية اليتامى فقيل إن خفتم الجور في حق اليتامى فخافوا
الزنا فانكحوا ما حل لكم من النساء ولا تحوموا حول المحرمات وقيل كان الرجل يجد اليتيمة لها مال وجمال أو
يكون وليها فيتزوجها ضنا بها عن غيره فربما اجتمعت عنده عشر منهن فيخاف لضعفهن وفقد من يغضب
لهن أن يظلمهن حقوقهن ويفرط فيما يجب لهن فقيل لهم إن خفتم أن لا تقسطوا في يتامى النساء فانكحوا من
غيرهن ما طاب لكم وقيل للإناث اليتامى كما يقال لله كور وهو جمع يتيمة على القلب كما قيل أيامى والأصل أيائم
ويتائم وقرأ النخعي تقسطوا بفتح التاء على أن لا مزيدة مثلها في لئلا يعلم يريد وإن خفتم أن تجوروا
(ما طاب) ما حل (لكم من النساء) لأن منهن ما حرم كاللاتي في آية التحريم وقيل ما ذهابا إلى الصفة
ولأن الإناث من العقلاء يجرين مجرى غير العقلاء ومنه قوله تعالى أو ما ملكت أيمانكم (مثنى وثلاث
ورباع) معدولة عن أعداد مكررة وإنما منعت الصرف لما فيها من العدلين عدلها عن صيغها وعدلها
عن تكررها وهي نكرات يعرفن بلام التعريف تقول فلان ينكح المثنى والثلاث والرباع ومحلهن
النصب على الحال مما طاب تقديره فانكحوا الطيبات لكم معدودات هذا العدد ثنتين ثنتين وثلاثا ثلاثا

وأربعا أربعا (فإن قلت) الذي أطلق للناكح في الجمع أن يجمع بين ثنتين أو ثلاث أو أربع فما معنى التكرير في مثنى وثلاث ورباع (قلت) الخطاب للجميع فوجب التكرير ليصيب كل ناكح يريد الجمع ما أراد من العدد الذي أطلق له كما تقول للجماعة اقتسموا هذا المال وهو ألف درهم درهمين درهمين وثلاثة ثلاثة وأربعة أربعة ولو أفردت لم يكن له معنى (فإن قلت) فلم جاء العطف بالواو دون أو (قلت) كما جاء بالواو في المثال الذي حذوته لك ولو ذهبت تقول اقتسموا هذا المال درهمين درهمين أو ثلاثة ثلاثة أو أربعة أربعة أعلمت أنه لا يسوغ لهم أن يقتسموه إلا على أحد أنواع هذه القسمة وليس لهم أن يجمعوا بينها فيجعلوا بعض القسم على تثنية وبعضه على تثليث وبعضه على تربيع وذهب معنى تجويز الجمع بين أنواع القسمة الذي دلت عليه الواو وتحريره أن الواو دلت على إطلاق أن يأخذ الناكحون من أرادوا نكاحها من النساء على طريق الجمع إن شاؤا مختلفين في تلك الأعداد وإن شاؤا متفقين فيها محظورا عليهم ما وراء ذلك وقرأ إبراهيم وثلث وربع على القصر من ثلاث ورباع (فإن خفتم ألا تعدلوا) بين هذه الأعداد كما خفتم ترك العدل فيما فوقها (فواحدة) فالزموا أو فاختاروا واحدة وذروا الجمع رأسا فإن الأمر كله يدور مع العدل فأينما وجدتم العدل فعليكم به وقرئ فواحدة بالرفع على فالمقنع واحدة أو فكفت واحدة أو فحسبكم واحدة (أو ما ملكت أيمانكم) سوّى في السهولة واليسر بين الحرة الواحدة وبين الإماء من غير حصر ولا توقيت عدد ولعمري إنهن أقل تبعة وأقصر شغبا وأخف مؤنة من المهائر لا عليك أكثرت منهن أم أقللت عدلت بينهن في القسم أم لم تعدل عزلت عنهن أم لم تعزل وقرأ ابن أبي عبلة من ملكت (ذلك) إشارة إلى اختيار الواحدة والتسري (أدنى ألا تعولوا) أقرب من أن لا تميلوا من قولهم عال الميزان عولا إذا مال وميزان فلان عائل وعال الحاكم في حكمه إذا جار وروي أن أعرابيا حكم عليه حاكم فقال له أتعول علي وقد روت عائشة رضي الله عنها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا تعولوا أن لا تجوروا والذي يحكى عن الشافعي رحمه الله أنه فسر أن لا تعولوا أن لا تكثر عيالكم فوجهه أن يجعل من قولك عال الرجل عياله يعولهم كقولهم مانهم يمونهم إذا أنفق عليهم لأن من كثر عياله لزمه أن يعولهم وفي ذلك ما يصعب عليه المحافظة على حدود الورع وكسب الحلال والرزق الطيب وكلام مثله من أعلام العلم وأئمة الشرع ورؤوس المجتهدين حقيق بالحمل على الصحة والسداد وأن لا يظن به تحريف تعيلوا إلى تعولوا فقد روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه لا تظنن بكلمة خرجت من في أخيك سوءا وأنت تجد لها في الخير محملا وكفى بكتابنا المترجم بكتاب شافي العي من كلام الشافعي شاهدا بأنه كان أعلى كعبا وأطول باعا في علم كلام العرب من أن يخفى عليه مثل هذا ولكن للعلماء طرقا وأساليب فسلك في تفسير هذه الكلمة طريقة الكنايات (فإن قلت) كيف يقل عيال من تسرى وفي السراري نحو ما في المهائر (قلت) ليس كذلك لأن الغرض بالتزوج التوالد والتناسل بخلاف التسري ولذلك جاز العزل عن السراري بغير إذنهن فكان التسري مظنة لقلة الولد بالإضافة إلى التزوج كتزوج الواحدة بالإضافة إلى تزوج الأربع وقرأ طاوس أن لا تعيلوا من أعال الرجل إذا كثر عياله وهذه القراءة تعضد تفسير الشافعي رحمه الله من حيث المعنى الذي قصده (صدقاتهن) مهورهن وفي حديث شريح قضى ابن عباس لها بالصدقة وقرئ صدقاتهن بفتح الصاد وسكون الدال على تخفيف صدقاتهن وصدقاتهن بضم الصاد وسكون الدال جمع صدقة بوزن غرفة وقرئ صدقتهن بضم الصاد والدال على التوحيد وهو تثقيل صدقة كقولك في ظلمة ظلمة (نحلة) من نحله كذا إذا أعطاه إياه ووهبه له عن طيبة من نفسه نحلة ونحلا ومنه حديث أبي بكر رضي الله عنه إني كنت نحلتك جداد عشرين وسقا بالعالية وانتصابها على المصدر لأن النحلة والإيتاء بمعنى الإعطاء فكأنه قيل وانحلوا النساء صدقاتهن نحلة أي أعطوهن مهورهن عن طيبة أنفسكم أو على الحال من المخاطبين أي آتوهن صدقاتهن ناحلين طيبي النفوس بالإعطاء أو من الصدقات أي منحولة معطاة عن طيبة الأنفس وقيل نحلة من الله عطية من عنده وتفضلا منه عليهن وقيل النحلة الملة ونحلة الإسلام خير النحل وفلان ينتحل كذا أي يدين به والمعنى آتوهن مهورهن ديانة على أنها مفعول لها ويجوز أن يكون حالا من الصدقات أي دينا من الله شرعه

فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم ذلك أدنى ألا تعولوا وآتوا النساء صدقاتهن نحلة فإن طبن لكم عن شيء

منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا (قال محمود نحلة منصوب على المصدر لأنها في معنى الإيتاء الخ) قال أحمد هذا الفصل بجملته حسن جدا غير أن في دلالة تذكير الضمير في منه على الصداق ثم تعبيره لك بقوله فأصدق نظرا وذلك أن المراعى ثم الأصل وهو عدم دخول الفاء والجزم وتقدير ما هو الأصل وإعطاؤه حكم الوجود ليس ببدع ولا كذلك إفراد الصداق المقدر فإنه ليس بأصل الكلام بل الأصل الجمع وأما الإفراد فقد يأتي في مثله على سبيل الاختصار استغناء عن الجمع بالإضافة ولا يرد أنهم قد راعوا ما ليس بأصل في قوله

بدا لي أني لست مدرك ما مضى ... ولا سابق شيئا إذا كان جائيا

لأن دخول الباء وإن لم يكن أصلا إلا أنها قد توطنت بهذا الموضع وكثر حلولها فيه فصارت كأن الأصل دخولها في الخبر والله أعلم والأمر في ذلك قريب

وفريضة والخطاب للأزواج وقيل للأولياء لأنهم كانوا يأخذون مهور بناتهم وكانوا يقولون هنيئاً لك النافجة
لمن تولد له بنت يعنون تأخذ مهرها فتنفج به مالك أي تعظمه * الضمير في منه جار مجرى اسم الإشارة كأنه
قيل عن شيء من ذلك كما قال الله تعالى قل أؤنبئكم بخير من ذلكم بعد ذكر الشهوات ومن الحجج المسموعة من
أفواه العرب ما روي عن رؤبة أنه قيل له في قوله * كأنه في الجلد توليع البهق * فقال أردت كأن ذاك
أو يرجع إلى ما هو في معنى الصدقات وهو الصداق لأنك لو قلت وآتوا النساء صداقهن لم تخل بالمعنى فهو
نحو قوله فأصدق وأكن من الصالحين كأنه قيل أصدق * و(نفساً) تمييز وتوحيدها لأن الغرض بيان
الجنس والواحد يدل عليه والمعنى فإن وهبن لكم شيئاً من الصداق وتجافت عنه نفوسهن طيبات غير
مخبثات بما يضطرهن إلى الهبة من شكاسة أخلاقكم وسوء معاشرتكم (فكلوه) فأنفقوه قالوا فإن وهبت
له ثم طلبت منه بعد الهبة علم أنها لم تطب عنه نفساً وعن الشعبي أن رجلاً أتى مع امرأته شريحاً في عطية
أعطاها إياه وهي تطلب أن ترجع فقال شريح رد عليها فقال الرجل أليس قد قال الله تعالى فإن طبن لكم قال
لو طابت نفسها عنه لما رجعت فيه وعنه أقيلها فيما وهبت ولا أقيله لأنهن يخدعن * وحكي أن رجلاً من آل
أبي معيط أعطته امرأته ألف دينار صداقاً كان لها عليه فلبث شهراً ثم طلقها فخاصمته إلى عبد الملك بن مروان
فقال الرجل أعطتني طيبة بها نفسها فقال عبد الملك فأين الآية التي بعدها فلا تأخذوا منه شيئاً اردد عليها
وعن عمر رضي الله عنه أنه كتب إلى قضاته إن النساء يعطين رغبة ورهبة فأيما امرأة أعطت ثم أرادت أن
ترجع فذلك لها وعن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن هذه الآية فقال إذا جادت لزوجها
بالعطية طائعة غير مكرهة لا يقضي به عليكم سلطان ولا يؤاخذكم الله به في الآخرة وروي أن ناساً
كانوا يتأثمون أن يرجع أحدهم في شيء مما ساق إلى امرأته فقال الله تعالى إن طابت نفس واحدة من
غير إكراه ولا خديعة فكلوه سائغاً هنيئاً وفي الآية دليل على ضيق المسلك في ذلك ووجوب الاحتياط
حيث بنى الشرط على طيب النفس فقيل فإن طبن ولم يقل فإن وهبن أو سمحن إعلاماً بأن المراعى هو
تجافي نفسها عن الموهوب طيبة وقيل فإن طبن لكم عن شيء منه ولم يقل فإن طبن لكم عنه بعثاً لهن على
تقليل الموهوب وعن الليث بن سعد لا يجوز تبرعها إلا باليسير وعن الأوزاعي لا يجوز تبرعها ما لم تلد
أو تقم في بيت زوجها سنة ويجوز أن يكون تذكير الضمير لينصرف إلى الصداق الواحد فيكون متناولاً
بعضه ولو أنث لتناول ظاهره هبة الصداق كله لأن بعض الصدقات واحدة منها فصاعداً * الهنيء والمريء
صفتان من هنؤ الطعام ومرؤ إذا كان سائغاً لا تنغيص فيه وقيل الهنيء ما يلذه الآكل والمريء ما يحمد
عاقبته وقيل هو ما ينساغ في مجراه وقيل لمدخل الطعام من الحلقوم إلى فم المعدة المريء لمروء الطعام فيه
وهو انسياغه وهما وصف للمصدر أي أكلاً هنيئاً مريئاً أو حال من الضمير أي كلوه وهو هنيء مريء وقد
يوقف على فكلوه ويبتدأ هنيئاً مريئاً على الدعاء وعلى أنهما صفتان أقيمتا مقام المصدرين كأنه قيل هنأ مرأ
وهذه عبارة عن التحليل والمبالغة في الإباحة وإزالة التبعة (السفهاء) المبذرون أموالهم الذين ينفقونها
فيما لا ينبغي ولا يدي لهم بإصلاحها وتثميرها والتصرف فيها والخطاب للأولياء * وأضاف الأموال إليهم
لأنها من جنس ما يقيم به الناس معايشهم كما قال ولا تقتلوا أنفسكم فمما ملكت أيمانكم من فتياتكم المؤمنات
والدليل على أنه خطاب للأولياء في أموال اليتامى قوله وارزقوهم فيها واكسوهم (جعل الله لكم قياماً)
أي تقومون بها وتنتعشون ولو ضيعتموها لضعتم فكأنها في أنفسها قيامكم وانتعاشكم وقرئ قيماً بمعنى
قياماً كما جاء عوذاً بمعنى عياذاً وقرأ عبد الله بن عمر قواماً بالواو وقوام الشيء ما يقام به كقولك هو ملاك الأمر
لما يملك به وكان السلف يقولون المال سلاح المؤمن ولأن أترك مالاً يحاسبني الله عليه خير من أن أحتاج
إلى الناس وعن سفيان وكانت له بضاعة يقلبها لولاها لتمندل بي بنو العباس وعن غيره وقيل له إنها
تدنيك من الدنيا فقال لئن أدنتني من الدنيا لقد صانتني عنها وكانوا يقولون اتجروا واكتسبوا فإنكم في زمان
إذا احتاج أحدكم كان أول ما يأكل دينه وربما رأوا رجلاً في جنازة فقالوا له اذهب إلى دكانك
(وارزقوهم فيها) واجعلوها مكاناً لرزقهم بأن تتجروا فيها وتتربحوا حتى تكون نفقتهم من الأرباح لا من

منه نفساً فكلوه هنيئاً مريئاً ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياماً وارزقوهم فيها واكسوهم وقولوا لهم

* قوله تعالى ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياماً وارزقوهم فيها واكسوهم وقولوا لهم قولاً معروفاً (قال محمود المراد أموال السفهاء وأضافها إلى الأولياء الخ) قال أحمد ويؤيد هذا المعنى أنه لما أمر بإسعاف ذوي القربى على سبيل المواساة قال وارزقوهم منه لأن المدفوع إليهم من صلب المال والله أعلم

* قوله تعالى وابتلوا اليتامى حتى اذا بلغوا النكاح فان آنستم منهم رشدا فادفعوا اليهم أموالهم (قال محمود معناه اختبروا أحوالهم الخ) قال أحمد الابتلاء على هذا الوجه مذهب مالك رضي الله عنه غير أنه لا يكون عنده الا بعد البلوغ ولا يدفع اليه من ماله شئ قبله وكذلك أحد قولي الشافعي رضي الله عنه وقوله الآخر كمذهب أبي حنيفة غير ان عنه خلافا في صورته قبل البلوغ على وجهين أحدهما أن يسلم اليه المال ويباشر العقود بنفسه كالبالغ والآخر أن يكون وظيفته أن يساوم ويقرر الثمن فاذا بلغ الامر الى العقد باشره الولي دونه ويسلم الصبي الثمن فأما الرشد فالمعتبر عند مالك رضي الله عنه فيه هو أن يحرز ماله ويثمره وان كان فاسقا في حاله وعند الشافعي المعتبر صلاح الدين والمال جميعا وغرضنا الآن أن نبين وجه تنزيل مذهب مالك في هذه الآية والله المستعان فأما منعه من الابتلاء قبل البلوغ وان كان ظاهر الآية ان الابتلاء قبله من حيث جعل البلوغ وايناس الرشد غاية للابتلاء والغاية متأخرة عن المغيا ضرورة فيتعين وقوع الابتلاء قبل ولهذه النكتة أثبته أبو حنيفة قبل البلوغ والله أعلم فعلى جعل المجموع من البلوغ وايناس الرشد هو الغاية حينئذ يلزم وقوع الابتلاء قبلهما أعني المجموع وان وقع بعد أحدهما وهو البلوغ لان المجموع من اثنين فصاعدا لا يتحقق ٣٤٩ الا بوجود كل واحد من مفرديه ويحقق هذا التنزيل أنك لو قلت وابتلوا اليتامى بعد البلوغ حتى اذا اجتمع الامران وتصاحبا البلوغ والرشد فادفعوا اليهم أموالهم لاستقام الكلام وكان البلوغ قبل الابتلاء وان كان

قولا معروفا وابتلوا اليتامى حتى اذا بلغوا النكاح فان آنستم منهم رشدا فادفعوا اليهم أموالهم ولا تأكلوها

الابتلاء مغيا بالامرين وانما بل بمجموعهما ونظير هذا النظر توجيه مذهب أبي حنيفة في قوله ان فيئة المولى انما تعتبر في أجل الايلاء لا بعده وتنزيله على قوله تعالى للذين يؤلون من نسائهم تربص اربعة أشهر فان فاؤا فان الله غفور رحيم يجد به بعد بسط لك تناسب النظرين والله أعلم وأما انتصاره رضي الله عنه بالرشد في المال فان كان المولى عليه فاسق الحال فوجه استخراجه من الآية انه علق بايناس الرشد في الابتلاء بدفع مال اليهم بنظر تصرفهم فيه فلو كان المراد اصلاح الدين فقط لم يقف الاختبار في ذلك على دفع المال اليهم اذ الظاهر من أصلح الدين انه لا يتفاوت حاله في حالتي عدمه ويسره ولو كان المراد اصلاح الدين والمال معا كما يقوله الشافعي رضي الله عنه لم يكن اصلاح الدين موقوفا على الاختبار بالمال كما مر آنفا وأيضا فالرشد في الدين والمال جميعا هو الغاية في الرشد وليس الجمع بينهما بقيد وتنكير الرشد في الآية يأبى ذلك اذ الظاهر فان آنستم منهم رشدا ما فبادروا بتسليم المال اليهم غير منتظرين بلوغ الغاية فيه والله أعلم (قال محمود فان قلت فما وجه نظم الكلام لو وقع بعد حتى الى قوله فادفعوا اليهم أموالهم الخ) قال أحمد هو يروم بهذا التقدير تنزيل مذهب أبي حنيفة في سبق الابتلاء على البلوغ على مقتضى الآية وقد أسلفنا وجه تنزيل مذهب مالك عليها بأظهر وجه وأقربه والحاصل أن مقتضى النظر الى المجموع من حيث هو ومقتضى مذهب أبي حنيفة النظر الى المفردين والظاهر اعتبار المجموع فان العطف بالفاء يقتضيه والله أعلم

صب المال ملايا كلها للانفاق وقيل هو أمر لكل حد أن لا يخرج ماله الى أحد من السفهاء قريب او أجنبي رجل أو امرأة يعلم أنه يضيعه فيما لا ينبغي ويفسده (قولا معروفا) قال ابن جريج عدة جميلة ان صلحتم ورشدتم سلمنا اليكم أموالكم وعن عطاء اذا ربحت أعطيتك وان غنمت في غزاتي جعلت لك حظا وقيل ان لم يكن ممن وجبت عليك نفقته فقل عافانا الله واياك بارك الله فيك وكل ما سكنت اليه النفس وأحبته لحسنه عقلا أو شرعا من قول أو عمل فهو معروف وما أنكرته ونفرت منه لقبحه فهو منكر (وابتلوا اليتامى) واختبروا عقولهم وذوقوا أحوالهم ومعرفتهم بالتصرف قبل البلوغ حتى اذا تبينتم منهم رشدا أي هداية دفعتم اليهم أموالهم من غير تأخير عن حد البلوغ * وبلوغ النكاح أن يحتلم لانه يصلح للنكاح عنده ولطلب ما هو مقصود به وهو التوالد والتناسل * والايناس الاستيضاح فاستعير للتبين * واختلف في الابتلاء والرشد فالابتلاء عند أبي حنيفة وأصحابه أن يدفع اليه ما يتصرف فيه حتى يستبين حاله فيما يجيء منه والرشد التهدي في وجوه التصرف وعن ابن عباس الصلاح في العقل والحفظ للمال وعند مالك والشافعي الابتلاء أن يتتبع أحواله وتصرفه في الاخذ والاعطاء ويتبصر مخايله وميله الى الدين والرشد الصلاح في الدين لان الفسق مفسدة للمال (فان قلت) فان لم يؤنس منه رشد الى حد البلوغ (قلت) عند أبي حنيفة رحمه الله ينتظر الى خمس وعشرين سنة لان مدة البلوغ لذكر عنده بالسن ثماني عشرة سنة فاذا زادت عليها سبع سنين وهي مدة معتبرة في تغير أحوال الانسان لقوله عليه السلام مروهم بالصلاة لسبع دفع اليه ماله أونس منه رشد أو لم يؤنس وعند أصحابه لا يدفع اليه أبدا الا بايناس الرشد (فان قلت) ما معنى تنكير الرشد (قلت) معناه نوعا من الرشد وهو الرشد في التصرف والتجارة أو طرفا من الرشد ومخيلة من مخايله حتى لا ينتظر به تمام الرشد (فان قلت) كيف نظم هذا الكلام (قلت) ما بعد حتى الى فادفعوا اليهم أموالهم جعل غاية للابتلاء وهي حتى التي تقع بعدها الجمل كالتي في قوله

فما زالت القتلى تمج دماءها * بدجلة حتى ماء دجلة أشكل

والجملة الواقعة بعدها جملة شرطية لان اذا متضمنة معنى الشرط وفعل الشرط بلغوا النكاح وقوله فان

آنستم منهم رشدا فادفعوا إليهم أموالهم جملة من شرط وجزاء واقعة جوابا للشرط الأول الذي هو إذا بلغوا
النكاح فكأنه قيل وابتلوا اليتامى إلى وقت بلوغهم فاستحقاقهم دفع أموالهم إليهم بشرط إيناس رشدهم
وقرأ ابن مسعود فإن أحستم بمعنى أحسستم قال أحسن به فهن إليه شوس وقرئ رشدا بفتحتين ورشدا
بضمتين (إسرافا وبدارا) مسرفين ومبادرين كبرهم أو لإسرافكم ومبادرتكم كبرهم تفرطون في إنفاقها
وتقولون ننفق كما نشتهي قبل أن يكبر اليتامى فينتزعوها من أيدينا ثم قسم الأمر بين أن يكون الوصي غنيا
وبين أن يكون فقيرا فالغني يستعف من أكلها ولا يطمع ويقتنع بما رزقه الله من الغنى إشفاقا على اليتيم
وإبقاء على ماله والفقير يأكل قوتا مقدرا محتاطا في تقديره على وجه الأجرة أو استقراضا على ما في ذلك من
الاختلاف ولفظ الأكل بالمعروف والاستعفاف مما يدل على أن للوصي حقا لقيامه عليها وعن النبي صلى الله
عليه وسلم أن رجلا قال له إن في حجري يتيما أفآكل من ماله قال بالمعروف غير متأثل مالا ولا واق مالك بماله
فقال أفأضربه قال مما كنت ضاربا منه ولدك وعن ابن عباس أن ولي اليتيم قال له أفأشرب من لبن إبله قال
إن كنت تبغي ضالتها وتلوط حوضها وتهنأ جرباها وتسقيها يوم وردها فاشرب غير مضر بنسل ولا ناهك في
الحلب وعنه يضرب بيده مع أيديهم فليأكل بالمعروف ولا يلبس عمامة فما فوقها وعن إبراهيم لا يلبس
الكتان والحلل ولكن ما سد الجوعة ووارى العورة وعن محمد بن كعب يتقرم تقرم البهيمة وينزل نفسه منزلة
الأجير فيما لا بد منه وعن الشعبي يأكل من ماله بقدر ما يعين فيه وعنه كالميتة يتناول عند الضرورة ويقضي
وعن مجاهد يستسلف فإذا أيسر أدى وعن سعيد بن جبير إن شاء شرب فضل اللبن وركب الظهر ولبس
ما يستره من الثياب وأخذ القوت ولا يجاوزه فإن أيسر قضاه وإن أعسر فهو في حل وعن عمر بن الخطاب
رضي الله عنه إني أنزلت نفسي من مال الله منزلة ولي اليتيم إن استغنيت استعففت وإن افتقرت أكلت
بالمعروف وإذا أيسرت قضيت واستعف أبلغ من عف كأنه طالب زيادة العفة (فأشهدوا عليهم) بأنهم
تسلموها وقبضوها وبرئتم عن ضمانها لأن ذلك أبعد من التخاصم والتجاحد وأدخل في الأمانة وبراءة الساحة
ألا ترى أنه إذا لم يشهد فادعى عليه صدق مع اليمين عند أبي حنيفة وأصحابه وعند مالك والشافعي لا يصدق
إلا بالبينة فكان في الإشهاد الاستحراز من توجه الحلف المفضي إلى التهمة أو من وجوب الضمان إذا لم يقم
البينة (وكفى بالله حسيبا) أي كافيا في الشهادة عليكم بالدفع والقبض أو محاسبا فعليكم بالصدق وإياكم
والكذب (الأقربون) هم المتوارثون من ذوي القرابات دون غيرهم (مما قل منه أو كثر) بدل مما ترك
بتكرير العامل و(نصيبا مفروضا) نصب على الاختصاص بمعنى أعني نصيبا مفروضا مقطوعا واجبا
لا بد لهم من أن يحوزوه ولا يستأثر به ويجوز أن ينتصب انتصاب المصدر المؤكد كقوله فريضة من الله
كأنه قيل قسمة مفروضة روي أن أوس بن الصامت الأنصاري ترك امرأته أم كجة وثلاث بنات فزوى
ابنا عمه سويد وعرفطة أو قتادة وعرفجة ميراثه عنهن وكان أهل الجاهلية لا يورثون النساء والأطفال
ويقولون لا يرث إلا من طاعن بالرماح وذاد عن الحوزة وحاز الغنيمة فجاءت أم كجة إلى رسول الله صلى الله
عليه وسلم في مسجد الفضيخ فشكت إليه فقال ارجعي حتى أنظر ما يحدث الله فنزلت فبعث إليهما لا تفرقا
من مال أوس شيئا فإن الله قد جعل لهن نصيبا ولم يبين حتى يبين فنزلت يوصيكم الله فأعطى أم كجة الثمن
والبنات الثلثين والباقي لابني العم (وإذا حضر القسمة) أي قسمة التركة (أولوا القربى) ممن لا يرث (فارزقوهم
منه) الضمير لما ترك الوالدان والأقربون وهو أمر على الندب قال الحسن كان المؤمنون يفعلون ذلك
إذا اجتمعت الورثة حضرهم هؤلاء فرضخوا لهم بالشيء من رثة المتاع فحضهم الله على ذلك تأديبا من غير
أن يكون فريضة قالوا ولو كان فريضة لضرب له حد ومقدار كما لغيره من الحقوق وروي أن عبد الله بن عبد
الرحمن بن أبي بكر رضي الله عنه قسم ميراث أبيه وعائشة رضي الله عنها حية فلم يدع في الدار أحدا إلا أعطاه
وتلا هذه الآية وقيل هو على الوجوب وقيل هو منسوخ بآية الميراث كالوصية وعن سعيد بن جبير أن ناسا
يقولون نسخت والله ما نسخت ولكنها مما تهاون به الناس * والقول المعروف أن يلفظوا لهم القول

ويقولوا

إسرافا وبدارا أن يكبروا ومن كان غنيا فليستعفف ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف فإذا دفعتم إليهم أموالهم فأشهدوا عليهم وكفى بالله حسيبا للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون مما قل منه أو كثر نصيبا مفروضا وإذا حضر القسمة أولوا القربى واليتامى والمساكين فارزقوهم منه وقولوا لهم قولا معروفا وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا إن الذين يأكلون أموال اليتامى

* قوله تعالى ومن كان غنيا فليستعفف (قال محمود واستعف أبلغ من عف وكأنه يطلب زيادة في العفة من نفسه) قال أحمد في هذا إشارة إلى أنه من استفعل بمعنى الطلب وليس كذلك فإن استفعل الطلبية متعدية وهذه قاصرة والظاهر أنه مما جاء فيه فعل واستفعل بمعنى والله أعلم

(قوله أوس بن الصامت) كذا بالأصل والرواية الصحيحة أوس بن ثابت ه

• قوله تعالى وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا (قال محمود المراد الاوصياء أمروا بأن يخشوا الله الخ) قال أحمد وانما الجاء الى تقدير تركوا بقوله شارفوا أن يتركوا لأن جوابه قوله خافوا عليهم والخوف عليهم انما يكون قبل تركهم اياهم وذلك في دار الدنيا فقد دل على ان المراد بالترك الاشراف عليه ضرورة والا لزم وقوع الجواب قبل الشرط وهو باطل ونظيره فبلغن أجلهن فأمسكوهن بمعروف أو سرحوهن بمعروف أي شارفن بلوغ الأجل ولهذا المجاز في التعبير عن المشارفة على الترك بالترك سر بديع وهو التخويف بالحالة التي لا يبقى معها مطمع في الحياة ولأن التعبير عن الذرية الضعاف وهي الحالة التي وان كانت من الدنيا الا انها أقربها من الآخرة وأمسها بالمفارقة صارت من حيزها ومبرأ عنها انما يعبر به عن الحالة الكائنة بعد المفارقة من الترك والله أعلم • قوله تعالى ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما انما يأكلون في بطونهم نارا (قال محمود معناه ظالمين أو على وجه الظلم الخ) قال أحمد ومثله قد بدت البغضاء من أفواههم أي شدقوا بها وقالوها بملء أفواههم أو يكون المراد بذكر البطون تصوير الأكل للسامع حتى يتأكد عنده بشاعة هذا الجرم بمزيد تصوير ولأجل تأكيد التشنيع على الظالم لليتيم في ماله خص الأكل لأنه أبشع الأحوال التي يتناول مال اليتيم فيها والله أعلم • قوله تعالى يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الانثيين (قال محمود ان قلت هلا قيل للانثيين مثل حظ الذكر الخ) قال أحمد لأن الافضلية حينئذ مدلول عليها بواسطة الاستلزام لا منطوق بها وأما على نظم الآية فالافضلية منطوق بها غير محتاجة الى ذلك

ظلما انما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الانثيين

ويقولوا احمدوا بارك الله عليكم ويعتذروا اليهم ويستقلوا ما أعطوهم ولا يستكثروه ولا يمنوا عليهم وعن الحسن والشعبي أدركنا الناس وهم يقسمون على القرابات والمساكين واليتامى من العين يعنيان الورق والذهب فاذا قسم الورق والذهب وصارت القسمة الى الارضين والرقيق وما أشبه ذلك قالوا لهم قولا معروفا كانوا يقولون لهم بورك فيكم • لو مع ما في حيزه صلة للذين والمراد بهم الاوصياء أمروا بأن يخشوا الله فيخافوا على من في حجورهم من اليتامى ويشفقوا عليهم خوفهم على ذريتهم لو تركوهم ضعافا وشفقتهم عليهم وأن يقدروا ذلك في أنفسهم ويصوروه حتى لا يجسروا على خلاف الشفقة والرحمة ويجوز أن يكون المعنى وليخشوا على اليتامى من الضياع وقيل هم الذين يجلسون الى المريض فيقولون ان ذريتك لا يغنون عنك من الله شيأ فقدم مالك فيستغرقه بالوصايا فأمروا بأن يخشوا ربهم أو يخشوا على أولاد المريض ويشفقوا عليهم شفقتهم على أولاد أنفسهم لو كانوا ويجوز أن يتصل بما قبله وأن يكون أمرا بالشفقة للورثة على الذين يحضرون القسمة من ضعفاء أقاربهم واليتامى والمساكين وأن يتصوروا انهم لو كانوا أولادهم بقوا خلفهم ضائعين محتاجين هل كانوا يخافون عليهم الحرمان والخيبة (فان قلت) ما معنى وقوع لو تركوا وجوابه صلة للذين (قلت) معناه وليخش الذين صفتهم وحالهم انهم لو شارفوا أن يتركوا خلفهم ذرية ضعافا وذلك عند احتضارهم خافوا عليهم الضياع بعدهم لذهاب كافلهم وكاسبهم كما قال القائل

لقد زاد الحياة الى حبا • بناتي انهن من الضعاف

أحاذر أن يرين البؤس بعدي • وأن يشربن رنقا بعد صاف

• وقرئ ضعفاء وضعافى وضعافى نحو سكارى وسكارى • والقول السديد من الاوصياء أن لا يؤذوا اليتامى ويكلموهم كما يكلمون أولادهم بالأدب الحسن والترحيب ويدعوهم بيا بني ويا ولدي ومن الجالسين الى المريض أن يقولوا له اذا أراد الوصية لا تسرف في وصيتك فتجحف بأولادك مثل قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لسعد انك أن تترك ولدك أغنياء خير من أن تدعهم عالة يتكففون الناس وكان الصحابة رضي الله عنهم يستحبون أن لا تبلغ الوصية الثلث وان الخمس أفضل من الربع والربع من الثلث ومن المتقاسمين ميراثهم أن يلطفوا القول ويجملوه للحاضرين (ظلما) ظالمين أو على وجه الظلم من أولياء السوء وقضاته (في بطونهم) ملء بطونهم يقال أكل فلان في بطنه وفي بعض بطنه قال • كلوا في بعض بطنكم تعفوا • ومعنى يأكلون نارا ما يجر الى النار فكأنه نار في الحقيقة وروي أنه يبعث آكل مال اليتيم يوم القيامة والدخان يخرج من قبره ومن فيه وأنفه وأذنيه وعينيه فيعرف الناس انه كان يأكل مال اليتيم في الدنيا • وقرئ وسيصلون بضم الياء وتخفيف اللام وتشديدها (سعيرا) نارا من النيران مبهمة الوصف (يوصيكم الله) يعهد اليكم ويأمركم (في أولادكم) في شأن ميراثهم بما هو العدل والمصلحة وهذا اجمال تفصيله (للذكر مثل حظ الانثيين) (فان قلت) هلا قيل للانثيين مثل حظ الذكر أو للانثى نصف حظ الذكر (قلت) ليبدأ ببيان حظ الذكر لفضله كما ضوعف حظه لذلك ولأن قوله للذكر مثل حظ الانثيين قصد الى بيان فضل الذكر وقولك للانثيين مثل حظ الذكر قصد الى بيان نقص الانثى وما كان قصدا الى بيان فضله كان أدل على فضله من القصد الى بيان نقص غيره

* عاد كلامه (قال ولأنهم كانوا يورثون الذكور دون الإناث الخ) قال أحمد وعلى مقتضى هذا لا يكون حكم الابن إذا انفرد مذكوراً في الآية لأنه حينئذ ذكره فيما على حالة الاجتماع مع الإناث خاصة على تفسير الزمخشري هذا ويمكن خلافه وهو أن الذكور أولاً ميراث الذكر على الإطلاق مجتمعاً مع الإناث ومنفرداً أما وجه ذلك في حكمه حالة الاجتماع فقد قرره الزمخشري وأما وجه تنقيحه حالة الانفراد فمن حيث أن الله تعالى جعل له مثل حظ الأنثيين فإن كانت معه فذاك وإن كانت منفردة فقد جعل لها في حال انفرادها النصف فيقتضي ذلك أن للذكر عند انفراده مثلي نصيبها عند انفرادها وذلك الكامل والله أعلم * عاد كلامه (قال محمود فإن قلت لم قيل فإن كن نساء ولم يقل وإن كانت امرأة الخ) قال أحمد يريد ٣٥٢ أن حكم البنتين حال جمعهما مع الابن مذكور في قوله للذكر مثل حظ الأنثيين وأن حكم البنات منفردات مذكور في قوله فإن كن نساء وأن حكم البنت منفردة مذكور في قوله وإن كانت واحدة فلها النصف وبقي عليه أن ذكر الابن في حال الانفراد مستفاد من قوله للذكر مثل حظ الأنثيين فاضممه إلى قوله وإن كانت واحدة فلها النصف على التقرير الذي قدمته * عاد كلامه (قال في الجواب أما حكمهما

عنه ولأنهم كانوا يورثون الذكور دون الإناث وهو السبب لورود الآية فقيل كفى للذكور أن ضوعف لهم نصيب الإناث فلا يتمادى في حظهن حتى يحرمن مع إدلائهن من القرابة بمثل ما يدلون به (فإن قلت) فإن حظ الأنثيين الثلثان فكأنه قيل للذكر الثلثان (قلت) أريد حال الاجتماع لا الانفراد أي إذا اجتمع الذكر والأنثيان كان له سهمان كما أن لهما سهمين وأما في حال الانفراد فالابن يأخذ المال كله والبنتان يأخذان الثلثين والدليل على أن الغرض حكم الاجتماع أنه أتبعه حكم الانفراد وهو قوله فإن كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك والمعنى للذكر منهم أي من أولادكم فحذف الراجع إليه لأنه مفهوم كقولهم السمن منوان بدرهم (فإن كن نساء) فإن كانت البنات أو المولودات نساء خلصاً ليس معهن رجل يعني بنات ليس معهن ابن (فوق اثنتين) يجوز أن يكون خبراً ثانياً لكان وأن يكون صفة لنساء أي نساء زائدات على اثنتين (وإن كانت واحدة) وإن كانت البنت أو المولودة منفردة فذة ليس معها أخرى (فلها النصف) وقرئ واحدة بالرفع على كان التامة والقراءة بالنصب أوفق لقوله فإن كن نساء وقرأ زيد بن ثابت النصف بالضم * والضمير في ترك للميت لأن الآية لما كانت في الميراث علم أن التارك هو الميت (فإن قلت) قوله للذكر مثل حظ الأنثيين كلام مسوق لبيان حظ الذكر من الأولاد لا لبيان حظ الأنثيين فكيف صح أن يردف قوله فإن كن نساء وهو لبيان حظ الإناث (قلت) وإن كان مسوقاً لبيان حظ الذكر إلا أنه لما فقه منه وتبين حظ الأنثيين مع أخيهما كان كأنه مسوق للأمرين جميعاً فلذلك صح أن يقال فإن كن نساء (فإن قلت) هل يصح أن يكون الضميران في كن وكانت مبهمين ويكون نساء وواحدة تفسيراً لهما على أن كان تامة (قلت) لا أبعد ذلك (فإن قلت) لم قيل فإن كن نساء ولم يقل وإن كانت امرأة (قلت) لأن الغرض ثمة خلوصهن إناثاً لا ذكر فيهن ليميز بين ما ذكر من اجتماعهن مع الذكور في قوله للذكر مثل حظ الأنثيين وبين انفرادهن وأريد ههنا أن يميز بين كون البنت مع غيرها وبين كونها وحدها لا قرينة لها (فإن قلت) قد ذكر حكم البنتين في حال اجتماعهما مع الابن وحكم البنات والبنت في حال الانفراد ولم يذكر حكم البنتين في حال الانفراد فما حكمهما وما باله لم يذكر (قلت) أما حكمهما فمختلف فيه فابن عباس أبى تنزيلهما منزلة الجماعة لقوله تعالى فإن كن نساء فوق اثنتين فأعطاهما حكم الواحدة وهو ظاهر مكشوف وأما سائر الصحابة فقد أعطوهما حكم الجماعة والذي يعلل به قولهم أن قوله للذكر مثل حظ الأنثيين قد دل على أن حكم الأنثيين حكم الذكر وذلك أن الذكر كما يحوز الثلثين مع الواحدة فالأنثيان كذلك يحوزان الثلثين فلما ذكر ما دل على حكم الأنثيين قيل فإن كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك على معنى فإن كن جماعة بالغات ما بلغن من العدد فلهن ما للأنثيين وهو الثلثان لا يتجاوزنه لكثرتهن ليعلم أن حكم الجماعة حكم الثنتين بغير تفاوت وقيل إن البنتين أمس رحماً بالميت

فإن كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك وإن كانت واحدة فلها النصف

فمختلف فيه فابن عباس أبى تنزيلهما منزلة الجماعة الخ) قال أحمد وتحرى النعمان بن عباس أجرى التقييد بالصفة وهي قوله فوق اثنتين على ظاهره من مفهوم المخالفة غير أنه ما كان يقتضي اللفظ أن يقتصر بهما على النصف لأجل تعارض مفهومين إذ مفهوم فلهن ثلثا ما ترك أن تكون الأنثى أقل من الثلثين ومفهوم فإن كانت واحدة فلها النصف أن تكون الاثنتين أزيد من النصف فيكون نصيبهما متردداً فيما بين النصف والثلثين بقدر مجمل وأما غيره فظهر للتقييد فائدة سوى المخالفة وتلك الفائدة رفع الفرق المتوهم بين الاثنتين وما فوقهما ومتى ظهرت للتخصيص فائدة جلية سوى المخالفة وجب المصير إليها وسقط التعلق بالمفهوم وكأنه على القول المشهور لما علم أن الاثنتين يستوجبان الثلثين بالطرق المذكورة وكان الوهم قد يسبق إلى أن الزائد على الاثنتين يستوجب أكثر من فرض الاثنتين لأن ذلك مقتضى القياس رفع هذا الوهم بإيجاب الثلثين لما فوق الاثنتين كوجوبه لهما والله أعلم

قوله تعالى ولابويه لكل واحد منهما السدس (قال محمود لكل واحد منهما بدل من لابويه بتكرير العامل الخ) قال أحمد وفي اعرابه بدلا نظر وذلك انه يكون على هذا التقدير من بدل الشيء من الشيء وهما لعين واحدة ويكون أصل الكلام والسدس لابويه لكل واحد منهما ومقتضى الاقتصار على المبدل منه التشريك بينهما في السدس كما قال فان كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك فاقتضى اشتراكهن فيه فيقتضي البدل لو قدر هدار الاول افراد كل واحد منهما بالسدس وعدم التشريك وهذا يناقض حقيقة هذا النوع من البدل لانه يلزم في هذا النوع ان يكون مؤدى المبدل والبدل واحدا وغير فائدته التأكيد بمجموع الاسمين لا غير بلا زيادة معنى فقد تحقق ما بينهما من التباين فتعذرت البدلية المذكورة وليس من بدل التقسيم أيضا على هذا الاعراب والا لزم زيادة معنى في البدل فالوجه والله أعلم ان يقدر مبتدأ محذوف كأنه قيل ولابويه الثلث ثم لما ذكر نصيبهما مجملا فصله بقوله لكل واحد منهما السدس وسوغ حذف المبتدأ لدلالة المفصل عليه ضرورة ويلزم من استحقاق كل واحد منهما السدس استحقاقهما معا الثلث والله أعلم ولا يستقيم على هذا الوجه أيضا جعله من بدل التقسيم الا انك لو قلت الدار كلها لثلاثة

ولابويه لكل واحد منهما السدس مما ترك ان كان له ولد فان لم يكن له ولد وورثه أبواه فلامه الثلث فان كان له اخوة فلامه السدس

لزيد ولعمرو ولخالد كان هذا بدلا وتقسيما صحيحا لانك لو حذفت المبدل منه فقلت الدار لزيد ولعمرو ولخالد لم ترد في البدل زيادة الا المقام فلو قلت الدار لثلاثة لزيد ثلثها ولعمرو ثلثها ولخالد ثلثها لم يستقم بدل تقسيم الا لو حذفت

من الاختين فأوجبوا لهما ما أوجب الله للاختين ولم يروا أن يقصروا بهما عن حظ من هو أبعد رحما منهما وقيل ان البنت لما وجب لها مع أخيها الثلث كانت أحرى أن يجب لها الثلث اذا كانت مع أخت مثلها ويكون لاختها معها مثل ما كان يجب لها أيضا مع أخيها لو انفردت معه فوجب لهما الثلثان (ولابويه) الضمير للميت و (لكل واحد منهما) بدل من لابويه بتكرير العامل وفائدة هذا البدل أنه لو قيل ولابويه السدس لكان ظاهره اشتراكهما فيه ولو قيل ولابويه السدسان لاوهم قسمة السدسين عليهما على التسوية وعلى خلافها (فان قلت) فهلا قيل ولكل واحد من أبويه السدس وأي فائدة في ذكر الابوين أولا ثم في الابدال منهما (قلت) لان في الابدال والتفصيل بعد الاجمال تأكيدا وتشديدا كالذي تراه في الجمع بين المفسر والتفسير والسدس مبتدأ وخبره لابويه والبدل متوسط بينهما للبيان وقرأ الحسن ونعيم بن ميسرة السدس بالتخفيف وكذلك الثلث والربع والثمن * والولد يقع على الذكر والانثى ويختلف حكم الاب في ذلك فان كان ذكرا قصر بالاب على السدس وان كانت أنثى عصب مع اعطاء السدس (فان قلت) قد بين حكم الابوين في الارث مع الولد ثم حكمهما مع عدمه فهلا قيل فان لم يكن له ولد فلامه الثلث وأي فائدة في قوله وورثه أبواه (قلت) معناه فان لم يكن له ولد وورثه أبواه فحسب فلامه الثلث مما ترك كما قال لكل واحد منهما السدس مما ترك لانه اذا ورثه أبواه مع أحد الزوجين كان للام ثلث ما بقي بعد اخراج نصيب الزوج لا ثلث ما ترك الا عند ابن عباس والمعنى أن الابوين اذا خلصا اقتسما الميراث للذكر مثل حظ الانثيين (فان قلت) ما العلة في أن كان لها ثلث ما بقي دون ثلث المال (قلت) فيه وجهان أحدهما أن الزوج انما استحق ما يسهم له بحق العقد لا بالقرابة فأشبه الوصية في قسمة ما وراءه والثاني أن الاب أقوى في الارث من الام بدليل أنه يضعف عليها اذا خلصا ويكون صاحب فرض وعصبة وجامعا بين الامرين فلو ضرب لها الثلث كملا لادى الى حط نصيبه عن نصيبها ألا ترى أن امرأة لو تركت زوجا وأبوين فصار للزوج النصف وللام الثلث والباقي للاب حازت الام سهمين والاب سهما واحدا فينقلب الحكم الى أن يكون للانثى مثل حظ الذكرين (فان كان له اخوة فلامه السدس) الاخوة يحجبون الام عن الثلث وان كانوا لا يرثون مع الاب فيكون لها السدس وللاب خمسة الاسداس ويستوي في الحجب الاثنان فصاعدا الا عند ابن عباس وعنه أنهم يأخذون السدس الذي حجبوا عنه الام (فان قلت) فكيف صح أن يتناول الاخوة الاخوين والجمع خلاف التثنية (قلت) الاخوة تفيد معنى الجمعية المطلقة بغير كمية والتثنية كالتثليث والتربيع في افادة الكمية وهذا موضع

المبدل منه اصار الكلام الدار لزيد ثلثها ولعمرو ثلثها ولخالد ثلثها فهذا كلام مستأنف لانك زدت فيه معنى غير ما لكل واحد منهم وذلك لا يعطيه المبدل ولا سبيل في بدل الشيء من الشيء الى زيادة معنى * عاد كلامه (قال محمود فان قلت قد بين حكم الابوين في الارث الخ) قال أحمد ومذهب ابن عباس أن الاخوة يأخذون السدس الذي يحجبوا الام عنه مع وجود الاب فعلى هذا يكون فائدة قوله وورثه أبواه الاحتراز عن لو ورثه الاخوة مع الابوين فان الام لها حينئذ السدس وكأنه قيل وورثه أبواه ولم يكن ثم اخوة فلامه الثلث فان كان له اخوة فلامه السدس ولا يمكن حمله على مذهب ابن عباس مقيسه بعدم الزوجين لان ثلث الام عنده لا يتغير بوجود واحد منهما والله الموفق * عاد كلامه (قال محمود ويستوي في حجب الام الاثنان فصاعدا الا عند ابن عباس الخ) قال أحمد وقد أحسن في هذا التقرير ما لم يحسن كثير من حذاق الاصوليين بريد ما تقرر في تغاير صيغ الجمع والتثنية اذ الجمع يتناول الاثنين ويتناول أريد منهما والثلاث هذا وأما التثنية فقاصرة على الاثنين فبينهما على هذا العموم والخصوص فكل تثنية جمع وليس كل جمع تثنية

من بعد وصية يوصي بها أو دين آباؤكم وأبناؤكم لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعا فريضة من الله إن الله كان عليما حكيما ولكم نصف ما ترك أزواجكم إن لم يكن لهن ولد فإن كان لهن ولد فلكم الربع مما تركن من بعد وصية يوصين بها أو دين ولهن الربع مما تركتم إن لم يكن لكم ولد فإن كان لكم ولد فلهن الثمن مما تركتم من بعد وصية توصون بها أو دين وإن كان رجل يورث كلالة أو امرأة وله أخ أو أخت فلكل واحد منهما السدس فإن كانوا أكثر من ذلك فهم شركاء في الثلث من بعد وصية يوصى بها أو دين

للدلالة على الجمع المطلق فدل بالاخوة عليه ● وقرئ فلامه بكسر الهمزة اتباعا للجرة ألا تراها لا تكسر في قوله وجعلنا ابن مريم وأمه آية (من بعد وصية) متعلق بما تقدمه من قسمة المواريث كلها لا بما يليه وحده كأنه قيل قسمة هذه الانصبة من بعد وصية يوصي بها ● وقرئ يوصي بها بالتخفيف والتشديد ويوصى بها على البناء للمفعول مخففا (فإن قلت) ما معنى أو (قلت) معناها الاباحة وأنه إن كان أحدهما أو كلاهما قدم على قسمة الميراث كقولك جالس الحسن أو ابن سيرين (فإن قلت) لم قدمت الوصية على الدين والدين مقدم عليها في الشريعة (قلت) لما كانت الوصية مشبهة للميراث في كونها مأخوذة من غير عوض كان إخراجها مما يشق على الورثة ويتعاظمهم ولا تطيب أنفسهم بها فكان أداؤها مظنة للتفريط بخلاف الدين فإن نفوسهم مطمئنة إلى أدائه فلذلك قدمت على الدين بعثا على وجوبها والمسارعة إلى إخراجها مع الدين ولذلك جيء بكلمة أو للتسوية بينهما في الوجوب ثم أكد ذلك ورغب فيه بقوله (آباؤكم وأبناؤكم) أي لا تدرون من أنفع لكم من آبائكم وأبنائكم الذين يموتون أمن أوصى منهم أم من لم يوص يعني أن من أوصى ببعض ماله فعرضكم لثواب الآخرة بإمضاء وصيته فهو أقرب لكم نفعا وأحضر جدوى ممن ترك الوصية فوفر عليكم عرض الدنيا وجعل ثواب الآخرة أقرب وأحضر من عرض الدنيا ذهابا إلى حقيقة الأمر لأن عرض الدنيا وإن كان عاجلا قريبا في الصورة إلا أنه فان فهو في الحقيقة الأبعد الأقصى وثواب الآخرة وإن كان آجلا إلا أنه باق فهو في الحقيقة الأقرب الأدنى وقيل إن الابن إن كان أرفع درجة من أبيه في الجنة سأل أن يرفع أبوه إليه فيرفع وكذلك الأب إن كان أرفع درجة من ابنه سأل أن يرفع إليه ابنه فأنتم لا تدرون في الدنيا أيهم أقرب لكم نفعا وقيل قد فرض الله الفرائض على ما هو عنده حكمة ولو وكل ذلك إليكم لم تعلموا أيهم لكم أنفع فوضعتم أنتم الأموال على غير حكمة وقيل الأب يجب عليه النفقة على الابن إذا احتاج وكذلك الابن إذا كان محتاجا فهما في النفع بالنفقة لا يدرى أيهما أقرب نفعا وليس شيء من هذه الأقاويل بملائم للمعنى ولا مجاوب له لأن هذه الجملة اعتراضية ومن حق الاعتراضي أن يؤكد ما اعترض بينه ويناسبه والقول ما تقدم (فريضة) نصبت نصب المصدر المؤكد أي فرض ذلك فرضا (إن الله كان عليما) بمصالح خلقه (حكيما) في كل ما فرض وقسم من المواريث وغيرها (فإن كان لهن ولد) منكم أو من غيركم ● جعلت المرأة على النصف من الرجل بحق الزواج كما جعلت كذلك بحق النسب والواحدة والجماعة سواء في الربع والثمن (وإن كان رجل) يعني الميت و(يورث) من ورث أي يورث منه وهو صفة لرجل و(كلالة) خبر كان أي وإن كان رجل موروث منه كلالة أو يجعل يورث خبر كان وكلالة حالا من الضمير في يورث وقرئ يورث ويورث بالتخفيف والتشديد على البناء للفاعل وكلالة حال أو مفعول به (فإن قلت) ما الكلالة (قلت) ينطلق على ثلاثة على من لم يخلف ولدا ولا والدا وعلى من ليس بولد ولا والد من المخلفين وعلى القرابة من غير جهة الولد والوالد ومنه قولهم ما ورث المجد عن كلالة كما تقول ما صمت عن عي وما كف عن جبن والكلالة في الأصل مصدر بمعنى الكلال وهو ذهاب القوة من الاعياء قال الأعشى ● فآليت لا أرثي لها من كلالة ● فاستعيرت للقرابة من غير جهة الولد والوالد لأنها بالإضافة إلى قرابتهما كالة ضعيفة وإذا جعل صفة للموروث أو الوارث فبمعنى ذي كلالة كما تقول فلان من قرابتي تريد من ذوي قرابتي ويجوز أن تكون صفة كالهجاجة والفقاقة للأحمق (فإن قلت) فإن جعلتها اسما للقرابة في الآية فعلام تنصبها (قلت) على أنها مفعول له أي يورث لأجل الكلالة أو يورث غيره لأجلها (فإن قلت) فإن جعلت يورث على البناء للمفعول من أورث فما وجهه (قلت) الرجل حينئذ هو

● قوله تعالى من بعد وصية يوصي بها أو دين (قال محمود إن قلت لم قدمت الوصية على الدين الخ) قال أحمد الوصية على ضربين لغير معين فلا يطالب بها إلا الإمام إن عثر عليها ولمعين فله المطالبة ولكن يتباينان في القوة بين مطالبة رب الدين بدينه والموصى له بوصيته لأن رب الدين يطالب بحق مستقر في الذمة (٢٥٤) استحق له به العوض على مديانه والموصى له إنما يطلب صدقة تفضل بها عليه الميت لا عن استحقاق سابق فاكتفى بالزام الدين من القوة عن تقديمه في الذكر وعضد ضعف الوصي له بتقديمه في الذكر عونا له على حصول رفق الوصية وعكس في دفعه طريق آخر فأقول لم يختلف ترتيب الآية الواقع شرعا فلا يرد السؤال وذلك أن أول ما يبدأ به إخراج الدين ثم الوصية ثم اقتسام ذوي الميراث فانظر كيف جاء إخراج الميراث آخرا تلو [illegible] الورث إخراج الوصية تلو الدين موافق قولنا قسمة المواريث بعد الوصية والدين صورة الواقع شرعا ولو سقط ذكر بعد وكان الكلام أخرجوا الميراث والوصية والدين لما أمكن ورود السؤال المذكور والله أعلم

غير مضار وصية من الله والله عليم حليم تلك حدود الله ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهن أربعة منكم فان شهدوا فأمسكوهن في البيوت حتى يتوفاهن الموت أو يجعل الله لهن سبيلا واللذان يأتيانها منكم فآذوهما فان تابا وأصلحا فأعرضوا عنهما ان الله كان توابا رحيما

الوارث لا المورث (فان قلت) فالضمير في قوله فلكل واحد منهما الى من يرجع حينئذ (قلت) الى الرجل والى أخيه أو أخته وعلى الاول اليهما (فان قلت) اذا رجع الضمير اليهما أفاد استواءهما في حيازة السدس من غير مفاضلة الذكر الانثى فهل تبقى هذه الفائدة قائمة في هذا الوجه (قلت) نعم لانك اذا قلت السدس له أو لواحد من الاخ أو الاخت على التخيير فقد سويت بين الذكر والانثى وعن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه سئل عن الكلالة فقال أقول فيه برأيي فان كان صوابا فمن الله وان كان خطأ فمني ومن الشيطان والله منه بريء الكلالة ما خلا الولد والوالد وعن عطاء والضحاك أن الكلالة هو الموروث وعن سعيد بن جبير هو الوارث وقد أجمعوا على أن المراد أولاد الام وتدل عليه قراءة أبي وله أخ أو أخت من الام وقراءة سعد بن أبي وقاص وله أخ أو أخت من أم وقيل انما استدل على أن الكلالة ههنا الاخوة للام خاصة بما ذكر في آخر السورة من أن للاختين الثلثين وأن للاخوة كل المال فعلم ههنا لما جعل للواحد السدس وللاثنين الثلث ولم يزادوا على الثلث شيأ أنه يعني بهم الاخوة للام والا فالكلالة عامة لمن عدا الولد والوالد من سائر الاخوة الاخياف والاعيان وأولاد العلات وغيرهم (غير مضار) حال أي يوصي بها وهو غير مضار لورثته وذلك أن يوصي بزيادة على الثلث أو يوصي بالثلث فما دونه ونيته مضارة ورثته ومغاضبتهم لا وجه الله تعالى وعن قتادة كره الله الضرار في الحياة وعند الممات ونهى عنه وعن الحسن المضارة في الدين أن يوصي بدين ليس عليه ومعناه الاقرار (وصية من الله) مصدر مؤكد أي يوصيكم بذلك وصية كقوله فريضة من الله ويجوز أن تكون منصوبة بغير مضار أي لا يضار وصية من الله وهو الثلث فما دونه بزيادته على الثلث أو وصية من الله بالاولاد وأن لا يدعهم عالة باسرافه في الوصية وينصر هذا الوجه قراءة الحسن غير مضار وصية من الله بالاضافة (والله عليم) بمن جار أو عدل في وصيته (حليم) عن الجائر لا يعاجله وهذا وعيد (فان قلت) في يوصي ضمير الرجل اذا جعلته الموروث فكيف تعمل اذا جعلته الوارث (قلت) كما عملت في قوله تعالى فهن ثلثا ما ترك لانه علم أن التارك والموصي هو الميت (فان قلت) فأين ذو الحال فيمن قرأ يوصى بها على ما لم يسم فاعله (قلت) يضمر يوصي فينتصب عن فاعله لانه لما قيل يوصى بها علم أن ثم موصيا كما قال يسبح له فيها بالغدو والآصال على ما لم يسم فاعله فعلم أن ثم مسبحا فأضمر يسبح فكما كان رجال فاعل ما دل عليه يسبح كان غير مضار حالا عما دل عليه يوصي (تلك) اشارة الى الاحكام التي ذكرت في باب اليتامى والوصايا والمواريث وسماها حدودا لان الشرائع كالحدود المضروبة الموقتة للمكلفين لا يجوز لهم أن يتجاوزوها ويتخطوها الى ما ليس لهم بحق (يدخله) قرئ بالياء والنون وكذلك يدخله نارا وقيل يدخله وخالدين حملا على لفظ من ومعناه • وانتصب خالدين وخالدا على الحال (فان قلت) هل يجوز أن يكونا صفتين لجنات ونارا (قلت) لا لانهما جريا على غير من هما له فلا بد من الضمير وهو قولك خالدين هم فيها وخالدا هو فيها (يأتين الفاحشة) يرهقنها يقال أتى الفاحشة وجاءها وغشيها ورهقها بمعنى وفي قراءة ابن مسعود يأتين بالفاحشة والفاحشة الزنا لزيادتها في القبح على كثير من القبائح (فأمسكوهن في البيوت) فخلدوهن محبوسات في بيوتكم وكان ذلك عقوبتهن في أول الاسلام ثم نسخ بقوله تعالى الزانية والزاني الآية ويجوز أن تكون غير منسوخة بأن يترك ذكر الحد لكونه معلوما بالكتاب والسنة ويوصي بامساكهن في البيوت بعد أن يحددن صيانة لهن عن مثل ما جرى عليهن بسبب الخروج من البيوت والتعرض للرجال (أو يجعل الله لهن سبيلا) هو النكاح الذي يستغنين به عن السفاح وقيل السبيل هو الحد لانه لم يكن مشروعا ذلك الوقت (فان قلت) ما معنى يتوفاهن الموت والتوفي والموت بمعنى واحد كأنه قيل حتى يميتهن الموت (قلت) يجوز أن يراد حتى يتوفاهن ملائكة الموت كقوله الذين تتوفاهم الملائكة ان الذين توفاهم الملائكة قل يتوفاكم ملك الموت أو حتى يأخذهن الموت ويستوفي أرواحهن (واللذان يأتيانها منكم) يريد الزاني والزانية (فآذوهما) فوبخوهما وذموهما وقولوا لهما أما استحييتما أما خفتما الله (فان تابا وأصلحا) وغيرا الحال (فأعرضوا عنهما) واقطعوا التوبيخ والمذمة فان التوبة تمنع استحقاق الذم والعقاب ويحتمل أن يكون خطابا للشهود العاثرين على سرهما ويراد بالايذاء

● قوله تعالى انما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب فأولئك يتوب الله عليهم الآية (قال محمود يعني انما القبول والغفران واجب على الله الخ) قال أحمد وقد تقدم في مواضع أن اطلاق مثل هذا من قول القائل يجب على الله كذا مما نعوذ بالله منه تعالى عن الالزام والايجاب رب الارباب وقاعدة أهل السنة أن الله تعالى متفضل بهؤلاء عن استحقاق سابق لانهم يقولون ان الاعمال التي يتوهم القدرية أن العبد يستحق بها على الله شيئا كلها خلق الله فهو الذي خلق لعبده الطاعة وأثابه عليها وخلق له التوبة وقبلها منه فهو المحسن أولا وآخرا وما المتناول هو الا كالقدرية الذين يزعمون أن العبد خلق لنفسه التوبة بقدرته وحوله لم يستوجب على ربه المغفرة تقتضي حكمته التي توجب عليه على زعمهم مجازاته على الاعمال ايجابا فلذلك يطلقون بلسان الجراءة هذا الاطلاق وما أشنع ما أطلقه الزمخشري هنا لمعتقده

انما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب فأولئك يتوب الله عليهم وكان الله عليما حكيما وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر أحدهم الموت قال اني تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار أولئك أعتدنا لهم عذابا أليما يا أيها الذين آمنوا

دمهما وتعنيفهما وتهديدهما بالرفع الى الامام والحد فان تابا قبل الرفع الى الامام فأعرضوا عنهما ولا تتعرضوا لهما وقيل نزلت الاولى في السحاقات وهذه في اللواطين ● وقرئ واللذان بتشديد النون واللذأن بالهمزة وتشديد النون (التوبة) من تاب الله عليه اذا قبل توبته وغفر له يعني انما القبول والغفران واجب على الله تعالى لهؤلاء (بجهالة) في موضع الحال أي يعملون السوء جاهلين سفهاء لان ارتكاب القبيح مما يدعو اليه السفه والشهوة لا مما تدعو اليه الحكمة والعقل وعن مجاهد من عصى الله فهو جاهل حتى ينزع عن جهالته (من قريب) من زمان قريب والزمان القريب ما قبل حضرة الموت ألا ترى الى قوله حتى اذا حضر أحدهم الموت فبين أن وقت الاحتضار هو الوقت الذي لا تقبل فيه التوبة فبقي ما وراء ذلك في حكم القريب وعن ابن عباس قبل أن ينزل به سلطان الموت وعن الضحاك كل توبة قبل الموت فهو قريب وعن النخعي ما لم يؤخذ بكظمه وروى أبو أيوب عن النبي صلى الله عليه وسلم أن الله تعالى يقبل توبة العبد ما لم يغرغر وعن عطاء ولو قبل موته بفواق ناقة وعن الحسن أن ابليس قال حين أهبط الى الارض وعزتك لا أفارق ابن آدم ما دام روحه في جسده فقال تعالى وعزتي لا أغلق عليه باب التوبة ما لم يغرغر (فان قلت) ما معنى من في قوله من قريب (قلت) معناه التبعيض أي يتوبون بعض زمان قريب كأنه سمى ما بين وجود المعصية وبين حضرة الموت زمانا قريبا ففي أي جزء تاب من أجزاء هذا الزمان فهو تائب من قريب والا فهو تائب من بعيد (فان قلت) ما فائدة قوله (فأولئك يتوب الله عليهم) بعد قوله انما التوبة على الله لهم (قلت) قوله انما التوبة على الله اعلام بوجوبها عليه كما يجب على العبد بعض الطاعات وقوله فأولئك يتوب الله عليهم عدة بأنه يفي بما وجب عليه واعلام بأن الغفران كائن لا محالة كما يعد العبد الوفاء بالواجب (ولا الذين يموتون) عطف على الذين يعملون السيئات سوى بين الذين سوفوا توبتهم الى حضرة الموت وبين الذين ماتوا على الكفر في أنه لا توبة لهم لان حضرة الموت أول أحوال الآخرة فكما أن المائت على الكفر قد فاتته التوبة على اليقين فكذلك المسوف الى حضرة الموت لمجاوزة كل واحد منهما أوان التكليف والاختيار (أولئك أعتدنا لهم) في الوعيد نظير قوله فأولئك يتوب الله عليهم في الوعد ليتبين أن الامرين كائنان لا محالة (فان قلت) من المراد بالذين يعملون السيئات أهم الفساق من أهل القبلة أم الكفار (قلت) فيه وجهان أحدهما أن يراد الكفار لظاهر قوله وهم كفار وأن يراد الفساق لان الكلام انما وقع في الزانيين والاعراض عنهما ان تابا وأصلحا ويكون قوله وهم كفار واردا على سبيل التغليظ كقوله ومن كفر فان الله غني عن العالمين وقوله فليمت ان شاء يهوديا أو نصرانيا من ترك الصلاة متعمدا فقد كفر لان من كان مصدقا ومات وهو لا يحدث نفسه بالتوبة حاله قريبة من حال الكافر لانه لا يجترئ على ذلك الا قلب مصمت ● كانوا يبلون النساء ضروبا من البلايا ويظلمونهن بأنواع من الظلم فزجروا عن ذلك

المفسد بقوله يجب على الله قبول التوبة كما يجب على العبد بعض الطاعات فنظر المعبود بالعبد وقاس الخالق على الخلق وانه لاطلاق يتقيد عنه لسان المتقي ويقشعر جلده مستبشعا لسماعه ويعثر القلم عند تسطيره على أن من اعتقد أن الله تعالى أن يعمل حاكي كان الكفر كافرا ولا حاكي البدعة لضرورة ردها والتحذير منها مبتدعا ولم يبالغ الزمخشري في هذا الاطلاق الا اغتناما الفرصة التمسك على معتقده بصيغة على المشعرة بالوجوب فجعلها ذريعة لاستباحة هذا الاطلاق ولم يجعل الله فيها مستروحا فانا نقول معاشر أهل السنة قد وعد الله قبول التوبة المستجمعة لشرائط الصحة ووقوع هذا الموعود واجب ضرورة صدق الخبر فما ورد من صيغ الوجوب فمحمل على وجوب صدق الوعد ومعنى قولنا صدق الخبر واجب كمعنى قولنا وجود الله واجب لان أحدا لا يستوجب على الله شيئا ألهمنا الله الادب في حق جلاله وعصمنا من زيغ القول وضلاله

* قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها الى قوله ويجعل الله فيه خيرا كثيرا (قال محمود كان الرجل اذا مات له قريب ألقى ثوبه على امرأته وقال أنا أحق بها من كل أحد الخ) قال أحمد وخص تعالى ذكر من آتى القنطار من المال بالنهي تنبيها بالاعلى على الادنى لانه اذا كان هذا على كثرة ما بذل لامرأته من الاموال منهيا عن استعادة شئ يسير (٣٥٧) حقير منها على هذا الوجه كان من لم يبذل الا الحقير منهيا عن استعادته بطريق الاولى ومعنى قوله وآتيتم والله أعلم وكنتم آتيتم اذ ارادة الاستبدال في ظاهر الامر وقعة

بعد ابتذال المال واستقرار الزوجية * قوله تعالى ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء الا ما قد سلف انه كان فاحشة ومقتا وساء سبيلا (قال محمود فيه كانوا ينكحون روابهم وناس منهم يمقتونه الخ) قال أحمد وعندي في هذا الاستثناء سر آخر وهو أن هذا النهي عنه لفظاعته وبشاعته عند أكثر الخلق حتى كان يمقتونه قبل ورود الشرع جدير ان يمتثل النهي فيه فيجتنب فكأنه قد امتثل النهي عنه حتى صار مخبرا عن عدم وقوعه وكأنه قيل ما يقع نكاح الابناء المنكوحات للآباء ولا يؤخذ منه شئ الا ما قد سلف وأما في المستقبل بعد النهي فلا يقع منه شئ

لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن الا أن يأتين بفاحشة مبينة وعاشروهن بالمعروف فان كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيأ ويجعل الله فيه خيرا كثيرا وان أردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم احداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيأ أتأخذونه بهتانا واثما مبينا وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم الى بعض وأخذن منكم ميثاقا غليظا ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء الا ما قد سلف انه كان فاحشة ومقتا وساء سبيلا

كان الرجل اذا مات له قريب من أب أو أخ أو حميم عن امرأة ألقى ثوبه عليها وقال أنا أحق بها من كل أحد فقيل (لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها) أي أن تأخذوهن على سبيل الارث كما تحاز المواريث وهن كارهات لذلك أو مكرهات وقيل كان يمسكها حتى تموت فقيل لا يحل لكم أن تمسكوهن حتى ترثوا منهن وهن غير راضيات بامساككم وكان الرجل اذا تزوج امرأة ولم تكن من حاجته حبسها مع سوء العشرة والقهر لتفتدي منه بمالها وتختلع فقيل ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن والعضل الحبس والتضييق ومنه عضلت المرأة بولدها اذا اختنقت رحمها به فخرج بعضه وبقي بعضه (الا أن يأتين بفاحشة مبينة) وهي النشوز وشكاسة الخلق وايذاء الزوج وأهله بالبذاء والسلاطة أي الا أن يكون سوء العشرة من جهتهن فقد عذرتم في طلب الخلع ويدل عليه قراءة أبي الا أن يفحشن عليكم وعن الحسن الفاحشة الزنا فان فعلت حل لزوجها أن يسألها الخلع وقيل كانوا اذا أصابت امرأة فاحشة أخذ منها ما ساق اليها وأخرجها وعن أبي قلابة ومحمد بن سيرين لا يحل الخلع حتى يوجد رجل على بطنها وعن قتادة لا يحل له أن يحبسها ضرارا حتى تفتدي منه يعني وان زنت وقيل نسخ ذلك بالحدود وكانوا يسيئون معاشرة النساء فقيل لهم (وعاشروهن بالمعروف) وهو النصفة في المبيت والنفقة والاجمال في القول (فان كرهتموهن) فلا تفارقوهن لكراهة الانفس وحدها فربما كرهت النفس ما هو أصلح في الدين وأحمد وأدنى الى الخير وأحبت ما هو بضد ذلك ولكن للنظر في أسباب الصلاح * وكان الرجل اذا طمحت عينه الى استطراف امرأة بهت التي تحته ورماها بفاحشة حتى يلجئها الى الافتداء منه بما أعطاها ليصرفه الى تزوج غيرها فقيل (وان أردتم استبدال زوج) الآية والقنطار المال العظيم من قنطرت الشئ اذا رفعته ومنه القنطرة لانها بناء مشيد قال

كقنطرة الرومي أقسم ربها * لتكتنفن حتى تشاد بقرمد

وعن عمر رضي الله عنه انه قام خطيبا فقال أيها الناس لا تغالوا بصداق النساء فلو كانت مكرمة في الدنيا أو تقوى عند الله لكان أولاكم بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أصدق امرأة من نسائه أكثر من اثنتي عشرة أوقية فقامت اليه امرأة فقالت له يا أمير المؤمنين لم تمنعنا حقا جعله الله لنا والله يقول وآتيتم احداهن قنطارا فقال عمر كل أحد أعلم من عمر ثم قال لاصحابه تسمعونني أقول مثل هذا القول فلا تنكرونه علي حتى ترد علي امرأة ليست من أعلم النساء * والبهتان أن تستقبل الرجل بأمر قبيح تقذفه به وهو بريء منه لانه يبهت عند ذلك أي يتحير وانتصب (بهتانا) على الحال أي باهتين وآثمين أو على انه مفعول له وان لم يكن غرضا كقولك قعد عن القتال جبنا والميثاق الغليظ حق الصحبة والمضاجعة كأنه قيل وأخذن به منكم ميثاقا غليظا أي بافضاء بعضكم الى بعض ووصفه بالغلظ لقوته وعظمه فقد قالوا صحبة عشرين يوما قرابة فكيف بما يجري بين الزوجين من الاتحاد والامتزاج وقيل هو قول الولي عند العقد أنكحتك على ما في كتاب الله من امساك بمعروف أو تسريح باحسان وعن النبي صلى الله عليه وسلم استوصوا بالنساء خيرا فانهن عوان في أيديكم أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله * وكانوا ينكحون روابهم وناس منهم يمقتونه من ذوي مروآتهم ويسمونه نكاح المقت وكان المولود عليه يقال له المقتي ومن ثم قيل (ومقتا) كأنه قيل هو فاحشة في دين الله بالغة في القبح قبيح ممقوت في المروءة ولا مزيد على ما يجمع القبحين وقرئ لا تحل لكم النساء على أن ترثوا بمعنى لا ترثوهن وكرها بفتح والضم من الكراهة والاكراه وقرئ بفاحشة مبينة من أبانت بمعنى تبينت أو بينت كما قرئ مبينة بكسر الياء وفتحها ويجعل الله بالرفع على انه في موضع الحال وآتيتم احداهن بوصل همزة احداهن كما قرئ فلا اثم عليه (فان قلت) تعضلوهن ما وجه اعرابه (قلت) النصب عطفا على أن ترثوا

البتة ومثل هذا الطرح جار فى مثل قوله وإذ أخذنا ميثاق بنى إسرائيل لا تعبدون إلا الله فأجراهم على أنه خبر وإن كان المراد نهيهم عن عبادة غير الله ولكن لما كان هذا النهى جديرا بالاجتناب وكأنه اجتنب عبر عن النهى فيه بصيغة الخبر ورفع الفعل وقد مضى هذا التقرير بعينه ثم لم يعرج عليه (٣٥٨) فى هذه الآية والله أعلم * قوله تعالى حرمت عليكم أمهاتكم الآية (قال محمود معنى تحريم نكاحهن الخ) قال أحمد وهذا تصريح إلى القول بعموم المشترك فى معنييه فاستقام تعليق الجار المذكور بهما والله أعلم * عاد كلامه (قال ولا يجوز الثانى لأن ما يليه هو الذى يستوجب التعليق به ما لم يعترض أمر لا يرد إلا أن تقول أعلقه بالنساء والربائب وأجعل من للاتصال كقوله تعالى المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض فإنى لست منك ولست منى ما أنا من دد ولا الدد منى وأمهات النساء متصلات بالنساء لأنهن الخ) قال أحمد يعنى أن لهذا الإعراب وجها فى الصحة وتكون من فى هذا استعملت فى معنى واحد من معنييها وهو الاتصال فيستقيم تعلقها بهما وقد نقل ذلك عن ابن عباس مذهبا ونقل أيضا عن على وابن عباس وزيد وابن عمر وابن الزبير وأمهات نسائكم اللاتى دخلتم بهن وكان ابن عباس يقول والله ما نزل إلا هكذا انتهى نقل الزمخشرى والقول المشهور عن الجمهور إبهام تحريم المرأة وتقييد تحريم الربيبة بدخول الأم كما هو ظاهر الآية ولهذا الفرق سر وحكمة وذلك لأن المتزوج بابنة المرأة لا يخلو بعد العقد وقبل الدخول من محاورة بينه وبين أمها ومخاطبات ومسارات فكانت الحاجة داعية إلى تعجيل التحريم ليقطع شوقه من الأم فيعاملها معاملة ذوات المحارم ولا كذلك

حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم وأخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الأخ وبنات الأخت وأمهاتكم اللاتى أرضعنكم وأخواتكم من الرضاعة وأمهات نسائكم وربائبكم اللاتى فى حجوركم من نسائكم اللاتى دخلتم بهن فإن لم تكونوا

ولا لتأكيد النفى أى لا يحل لكم أن ترثوا النساء ولا أن تعضلوهن (فإن قلت) أى فرق بين تعدية ذهب بالباء وبينها بالهمزة (قلت) إذا عدى بالباء فمعناه الأخذ والاستصحاب كقوله تعالى فلما ذهبوا به وأما الإذهاب فكالإزالة (فإن قلت) إلا أن يأتين ما هذا الاستثناء (قلت) هو استثناء من أعم عام الظرف أو المفعول له كأنه قيل ولا تعضلوهن فى جميع الأوقات إلا وقت أن يأتين بفاحشة أو ولا تعضلوهن لعلة من العلل إلا لأن يأتين بفاحشة (فإن قلت) من أى وجه صح قوله فعسى أن تكرهوا جزاء للشرط (قلت) من حيث إن المعنى فإن كرهتموهن فاصبروا عليهن مع الكراهة فلعل لكم فيما تكرهونه خيرا كثيرا ليس فيما تحبونه (فإن قلت) كيف استثنى ما قد سلف مما نكح آباؤكم (قلت) كما استثنى غير أن سيوفهم من قوله ولا عيب فيهم يعنى إن أمكنكم أن تنكحوا ما قد سلف فانكحوه فلا يحل لكم غيره وذلك غير ممكن والغرض المبالغة فى تحريمه وسد الطريق إلى إباحته كما يعلق بالمحال فى التأبيد نحو قولهم حتى يبيض القار وحتى يلج الجمل فى سم الخياط ومعنى (حرمت عليكم أمهاتكم) تحريم نكاحهن لقوله ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء ولأن تحريم نكاحهن هو الذى يفهم من تحريمهن كما يفهم من تحريم الخمر تحريم شربها ومن تحريم لحم الخنزير تحريم أكله وقرئ وبنات الأخت بتخفيف الهمزة وقد نزل الله الرضاعة منزلة النسب حتى سمى المرضعة أما للرضيع والمرضعة أختا وكذلك زوج المرضعة أبوه وأبواه جداه وأخته عمته وكل ولد ولد له من غير المرضعة قبل الرضاع وبعده فهم إخوته وأخواته لأبيه وأم المرضعة جدته وأختها خالته وكل من ولد لها من هذا الزوج فهم إخوته وأخواته لأبيه وأمه ومن ولد لها من غيره فهم إخوته وأخواته لأمه ومنه قوله صلى الله عليه وسلم يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب وقالوا تحريم الرضاع كتحريم النسب إلا فى مسألتين إحداهما أنه لا يجوز للرجل أن يتزوج أخت ابنه من النسب ويجوز أن يتزوج أخت ابنه من الرضاع لأن المانع فى النسب وطؤه أمها وهذا المعنى غير موجود فى الرضاع والثانية لا يجوز أن يتزوج أم أخيه من النسب ويجوز فى الرضاع لأن المانع فى النسب وطء الأب إياها وهذا المعنى غير موجود فى الرضاع (من نسائكم) متعلق بربائبكم ومعناه أن الربيبة من المرأة المدخول بها محرمة على الرجل حلال له إذا لم يدخل بها (فإن قلت) هل يصح أن يتعلق بقوله وأمهات نسائكم (قلت) لا يخلو إما أن يتعلق بهن وبالربائب فتكون حرمتهن وحرمة الربائب غير مبهمتين جميعا وإما أن يتعلق بهن دون الربائب فتكون حرمتهن غير مبهمة وحرمة الربائب مبهمة فلا يجوز الأول لأن معنى من مع أحد المتعلقين خلاف معناه مع الآخر ألا تراك إذا قلت وأمهات نسائكم اللاتى دخلتم بهن فقد جعلت من لبيان النساء وتمييز المدخول بهن من غير المدخول بهن وإذا قلت وربائبكم من نسائكم اللاتى دخلتم بهن فإنك جاعل من لابتداء الغاية كما تقول بنات رسول الله صلى الله عليه وسلم من خديجة وليس بصحيح أن يعنى بالكلمة الواحدة فى خطاب واحد معنيان مختلفان ولا يجوز الثانى لأن ما يليه هو الذى يستوجب التعليق به ما لم يعترض أمر لا يرد إلا أن تقول أعلقه بالنساء والربائب وأجعل من للاتصال كقوله تعالى المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض فإنى لست منك ولست منى ما أنا من دد ولا الدد منى وأمهات النساء متصلات بالنساء لأنهن أمهاتهن كما أن الربائب متصلات بأمهاتهن لأنهن بناتهن هذا وقد اتفقوا على أن تحريم أمهات النساء مبهم دون تحريم الربائب على ما عليه ظاهر كلام الله تعالى وقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم فى رجل تزوج امرأة ثم طلقها قبل أن يدخل بها أنه قال لا بأس أن يتزوج ابنتها ولا يحل له أن يتزوج أمها

العاقد على الأم فإنه يبعد من مخاطبة البنت قبل الدخول بالأم فلم تدع الحاجة إلى تعجيل نشر الحرمة وأما إذا وقع الدخول بالأم فقد وجدت مظنة خلطة الربيبة فحينئذ تدعو الحاجة إلى نشر الحرمة بينهما والله أعلم عاد كلامه (قال فإن قلت ما فائدة قوله في حجوركم الخ) قال أحمد وهذا مما قدمته من تخصيص أعلى صور المنهي عنه بالنهي فإن النهي عن نكاح (٣٥٩) الربيبة المدخول بأمها عام في جميع الصور سواء كانت في حجر الزوج أو بائنة عنه في البلاد القاصية ولكن نكاحه لها وهي في حجره أقبح الصور والطبع عنها أنفر فخصت بالنهي لتساعد الجبلة على الانقياد لأحكام الله ثم يكون ذلك تدريبا وتدريجا إلى استقباح المحرم في جميع صوره والله أعلم

أمها وعن عمر وعمران بن الحصين رضي الله عنهما أن الأم تحرم بنفس العقد وعن مسروق هي مرسلة فأرسلوا ما أرسل الله وعن ابن عباس أبهموا ما أبهم الله إلا ما روي عن علي وابن عباس وزيد وابن عمر وابن الزبير أنهم قرؤا وأمهات نسائكم اللاتي دخلتم بهن وكان ابن عباس يقول والله ما نزل إلا هكذا وعن جابر روايتان وعن سعيد بن المسيب عن زيد إذا ماتت عنده فأخذ ميراثها كره أن يخلف على أمها وإذا طلقها قبل أن يدخل بها فإن شاء فعل أقام الموت مقام الدخول في ذلك كما قام مقامه في باب المهر وسمي ولد المرأة من غير زوجها ربيبا وربيبة لأنه يربه كما يرب ولده في غالب الأمر ثم اتسع فيه فسميا بذلك وإن لم يربهما (فإن قلت) ما فائدة قوله في حجوركم (قلت) فائدته التعليل للتحريم وأنهن لاحتضانكم لهن أو لكونهن بصدد احتضانكم وفي حكم التقلب في حجوركم إذا دخلتم بأمهاتهن وتمكن بدخولكم حكم الزواج وثبتت الخلطة والألفة وجعل الله بينكم المودة والرحمة وكانت الحال خليقة بأن تجروا أولادهن مجرى أولادكم كأنكم في العقد على بناتهن عاقدون على بناتكم وعن علي رضي الله عنه أنه شرط ذلك في التحريم وبه أخذ داود (فإن قلت) ما معنى (دخلتم بهن) (قلت) هي كناية عن الجماع كقولهم بنى عليها وضرب عليها الحجاب يعني أدخلتموهن الستر والباء للتعدية واللمس ونحوه يقوم مقام الدخول عند أبي حنيفة وعن عمر رضي الله عنه أنه خلا بجارية فجردها فاستوهبها ابن له فقال إنها لا تحل لك وعن مسروق أنه أمر أن تباع جاريته بعد موته وقال أما إني لم أصب منها إلا ما يحرمها على ولدي من اللمس والنظر وعن الحسن في الرجل يملك الأمة فيغمزها لشهوة أو يقبلها أو يكشفها إنها لا تحل لولده بحال وعن عطاء وحماد بن أبي سليمان إذا نظر إلى فرج امرأة فلا ينكح أمها ولا ابنتها وعن الأوزاعي إذا دخل بالأم فعراها ولمسها بيده وأغلق الباب وأرخى الستر فلا يحل له نكاح بنتها وعن ابن عباس وطاوس وعمرو بن دينار أن التحريم لا يقع إلا بالجماع وحده (الذين من أصلابكم) دون من تبنيتم وقد تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش الأسدية بنت عمته أميمة بنت عبد المطلب حين فارقها زيد بن حارثة وقال عز وجل لكيلا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم (وأن تجمعوا) في موضع الرفع عطف على المحرمات أي وحرم عليكم الجمع بين الأختين والمراد حرمة النكاح لأن التحريم في الآية تحريم النكاح وأما الجمع بينهما في ملك اليمين فعن عثمان وعلي رضي الله عنهما أنهما قالا أحلتهما آية وحرمتهما آية يعنيان هذه الآية وقوله أو ما ملكت أيمانكم فرجح علي التحريم وعثمان التحليل (إلا ما قد سلف) ولكن ما مضى مغفور بدليل قوله (إن الله كان غفورا رحيما * والمحصنات) القراءة بفتح الصاد وعن طلحة بن مصرف أنه قرأ بكسر الصاد وهن ذوات الأزواج لأنهن أحصن فروجهن بالتزويج فهن محصنات ومحصنات (إلا ما ملكت أيمانكم) يريد ما ملكت أيمانهم من اللاتي سبين ولهن أزواج في دار الكفر فهن حلال لغزاة المسلمين وإن كن محصنات وفي معناه قول الفرزدق

وذات حليل أنكحتنا رماحنا * حلال لمن يبني بها لم تطلق

(كتاب الله عليكم) مصدر مؤكد أي كتب الله ذلك عليكم كتابا وفرضه فرضا وهو تحريم ما حرم (فإن قلت) علام عطف قوله (وأحل لكم) (قلت) على الفعل المضمر الذي نصب كتاب الله أي كتب الله عليكم تحريم ذلك وأحل لكم ما وراء ذلكم ويدل عليه قراءة اليماني كتب الله عليكم وأحل لكم وروي عن اليماني كتب الله عليكم على الجمع والرفع أي هذه فرائض الله عليكم ومن قرأ وأحل لكم على البناء للمفعول فقد عطفه على حرمت (أن تبتغوا) مفعول له بمعنى بين لكم ما يحل مما يحرم إرادة أن يكون ابتغاؤكم بأموالكم

دخلتم بهن فلا جناح عليكم وحلائل أبنائكم الذين من أصلابكم وأن تجمعوا بين الأختين إلا ما قد سلف إن الله كان غفورا رحيما والمحصنات من النساء إلا ما ملكت أيمانكم كتاب الله عليكم وأحل لكم ما وراء ذلكم أن تبتغوا بأموالكم

* قوله تعالى وأن تجمعوا بين الأختين إلا ما قد سلف الخ (قال أحمد) موقع هذا الاستثناء كموقع نظيره المقدم ذكره عند قوله ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء على الوجه الذي بينت وهو أن هذا لم [illegible] لكونه جديرا بأن يستثنى أجري مجرى الإخبار عن أمثاله حتى كأنه قيل لا يقع شيء من هذه المحرمات إلا السالف منها لا غير أو على الوجه الذي بينه الزمخشري فيما تقدم وهو أن يكون المراد إلا ما قد سلف فإنه غير محرم فتناولوه إن كان ممكنا من باب التعليق على المحال بالتحريم إلا أن الزمخشري لم يسلك هذا المسلك ههنا لأن قوله إن الله كان غفورا رحيما يرشد إلى أن المراد إلا ما قد سلف فإنه مغفور لاستثنائه في الآية الأولى لأنه عقبه ثم بقوله إنه كان فاحشة ومقتا وساء سبيلا فقدر في كل آية ما يناسب سياقها والله أعلم

التي جعل الله لكم قياما في حال كونكم (محصنين غير مسافحين) لئلا تضيعوا أموالكم وتفقروا أنفسكم فيما لا يحل لكم فتخسروا دنياكم ودينكم ولا مفسدة أعظم مما يجمع بين الخسرانين والاحصان العفة وتحصين النفس من الوقوع في الحرام والاموال المهور وما يخرج في المناكح (فإن قلت) أين مفعول تبتغوا (قلت) يجوز أن يكون مقدرا وهو النساء والاجود أن لا يقدر وكأنه قيل أن تخرجوا أموالكم ويجوز أن يكون أن تبتغوا بدلا من ما وراء ذلكم والمسافح الزاني من السفح وهو صب المني وكان الفاجر يقول للفاجرة سافحيني وماذيني من المذي (فما استمتعتم به منهن) فما استمتعتم به من المنكوحات من جماع أو خلوة صحيحة أو عقد عليهن (فآتوهن أجورهن) عليه فأسقط الراجع الى ما لأنه لا يلبس كقوله إن ذلك من عزم الامور بإسقاط منه ويجوز أن يكون ما في معنى النساء ومن للتبعيض أو البيان ويرجع الضمير اليه على اللفظ في به وعلى المعنى في فآتوهن وأجورهن مهورهن لأن المهر ثواب على البضع (فريضة) حال من الاجور بمعنى مفروضة أو وضعت موضع ايتاء لأن الايتاء مفروض أو مصدر مؤكد أي فرض ذلك فريضة (فيما تراضيتم به من بعد الفريضة) فيما تحط عنه من المهر أو تهب له من كله أو يزيد لها على مقداره وقيل فيما تراضيا به من مقام أو فرقة وقيل نزلت في المتعة التي كانت ثلاثة أيام حين فتح الله مكة على رسوله عليه الصلاة والسلام ثم نسخت كان الرجل ينكح المرأة وقتا معلوما ليلة أو ليلتين أو أسبوعا بثوب أو غير ذلك ويقضي منها وطره ثم يسرحها سميت متعة لاستمتاعه بها أو لتمتيعه لها بما يعطيها وعن عمر لا أوتى برجل تزوج امرأة الى أجل الا رجمتهما بالحجارة وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه أباحها ثم أصبح يقول يا أيها الناس إني كنت أمرتكم بالاستمتاع من هذه النساء ألا إن الله حرم ذلك الى يوم القيامة وقيل أبيح مرتين وحرم مرتين وعن ابن عباس هي محكمة يعني لم تنسخ وكان يقرأ فما استمتعتم به منهن الى أجل مسمى ويروى أنه رجع عن ذلك عند موته وقال اللهم إني أتوب اليك من قولي بالمتعة وقولي في الصرف • الطول الفضل يقال لفلان على فلان طول أي زيادة وفضل وقد طاله طولا فهو طائل قال

لقد زادني حبا لنفسي أنني • بغيض الى كل امرئ غير طائل

ومنه قولهم ما خلا منه بطائل أي بشيء يعتد به مما له فضل وخطر ومنه الطول في الجسم لأنه زيادة فيه كما أن القصر قصور فيه ونقصان والمعنى ومن لم يستطع زيادة في المال وسعة يبلغ بها نكاح الحرة فلينكح أمة قال ابن عباس من ملك ثلثمائة درهم فقد وجب عليه الحج وحرم عليه نكاح الاماء وهو الظاهر واليه مذهب الشافعي رحمه الله وأما أبو حنيفة رحمه الله فيقول الغني والفقير سواء في جواز نكاح الامة ويفسر الآية بأن من لم يملك فراش الحرة على أن النكاح هو الوطء فله أن ينكح أمة وفي رواية عن ابن عباس أنه قال مما وسع الله على هذه الامة نكاح الامة واليهودية والنصرانية وإن كان موسرا وكذلك قوله (من فتياتكم المؤمنات) الظاهر أن لا يجوز نكاح الامة الكتابية وهو مذهب أهل الحجاز وعند أهل العراق يجوز نكاحها ونكاح الامة المؤمنة أفضل فحملوه على الفضل لا على الوجوب واستشهدوا على أن الايمان ليس بشرط بوصف الحرائر به مع أنه ليس بشرط فيهن على الاتفاق ولكنه أفضل (فإن قلت) لم كان نكاح الامة منحطا عن نكاح الحرة (قلت) لما فيه من اتباع الولد الام في الرق ولثبوت حق المولى فيها وفي استخدامها ولأنها ممتهنة مبتذلة خراجة ولاجة وذلك كله نقصان راجع الى الناكح ومهانة والعزة من صفات المؤمنين وقوله (من فتياتكم) أي من فتيات المسلمين لا من فتيات غيركم وهم المخالفون في الدين (فإن قلت) فما معنى قوله (والله أعلم بإيمانكم) (قلت) معناه أن الله أعلم بتفاضل ما بينكم وبين أرقائكم في الايمان ورجحانه ونقصانه فيهم وفيكم وربما كان ايمان الامة أرجح من ايمان الحرة والمرأة أفضل في الايمان من الرجل وحق المؤمنين أن لا يعتبروا الا فضل الايمان لا فضل الاحساب والانساب وهذا تأنيس بنكاح الاماء وترك

محصنين غير مسافحين فما استمتعتم به منهن فآتوهن أجورهن فريضة ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة إن الله كان عليما حكيما ومن لم يستطع منكم طولا أن ينكح المحصنات المؤمنات فمما ملكت أيمانكم من فتياتكم المؤمنات والله أعلم بإيمانكم

• قوله تعالى ومن لم يستطع منكم (٣٦٠) طولا أن ينكح المحصنات الآية (قال محمود معناه ومن لم يستطع زيادة في المال وسعة الخ) قال أحمد وعلى هذا يكون الطول عند أبي حنيفة وجود الحرة تحته وهو أحد القولين لمالك رضي الله عنه لكن يبعد هذا المعنى لأن الطول عند مالك في أحد قوليه القدرة بالمال على نكاح الحرة خاصة حتى لو كانت الحرة تحته وأراد نكاح الامة عجزا عن حرة أخرى جاز له ذلك وفي القول الآخر الطول أحد الامرين اما القدرة بالمال على نكاح الحرة وإما وجود الحرة تحته حتى لا يجوز له نكاح أمة على حرة إن كان عاجزا عن حرة أخرى ومقتضى ما نقله المصنف عن أبي حنيفة أنه لا يجوز لمن تحته حرة نكاح أمة وأن يجوز لمن ليست تحته حرة أن ينكح الامة ولو كان غنيا وهو قول لا يساعده ظاهر الآية لأن الاستطاعة تثبت وإن لم يفعل [illegible] المستطيع بمقتضاها فالمستطيع لنكاح الحرة ذو الطول وإن لم يكن تحته الحرة وتفسير الاستطاعة على مذهب أبي حنيفة بعيد جدا

بعضكم من بعض فانكحوهن بإذن أهلهن وآتوهن أجورهن بالمعروف محصنات غير مسافحات ولا متخذات أخدان فإذا أحصن فإن أتين بفاحشة فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب ذلك لمن خشي العنت منكم وأن تصبروا خير لكم والله غفور رحيم يريد الله ليبين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم ويتوب عليكم والله عليم حكيم والله يريد أن يتوب عليكم ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلا عظيما يريد الله أن يخفف عنكم وخلق الإنسان ضعيفا يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيما ومن يفعل

لاستنكاف منه (بعضكم من بعض) أي أنتم وأرقاؤكم متواصلون متناسبون لاشتراككم في الإيمان لا يفضل حر عبدا إلا برجحان فيه (بإذن أهلهن) اشتراط لإذن الموالي في نكاحهن ويحتج به لقول أبي حنيفة إن لهن أن يباشرن العقد بأنفسهن لأنه اعتبر إذن الموالي لا عقدهم (وآتوهن أجورهن بالمعروف) وأدوا إليهن مهورهن بغير مطل وضرار وإحواج إلى الاقتضاء واللز (فإن قلت) الموالي هم ملاك مهورهن لا هن والواجب أداؤها إليهم لا إليهن فلم قيل وآتوهن (قلت) لأنهن وما في أيديهن مال الموالي فكان أداؤها إليهن أداء إلى الموالي أو على أن أصله فآتوا مواليهن فحذف المضاف (محصنات) عفائف * والأخدان الأخلاء في السر كأنه قيل غير مجاهرات بالسفاح ولا مسرات به (فإذا أحصن) بالتزويج وقرئ أحصن (فعليهن نصف ما على المحصنات) أي الحرائر (من العذاب) من الحد كقوله وليشهد عذابهما ويدرأ عنها العذاب ولا رجم عليهن لأن الرجم لا يتنصف (ذلك) إشارة إلى نكاح الإماء (لمن خشي العنت منكم) لمن خاف الإثم الذي يؤدي إليه غلبة الشهوة وأصل العنت انكسار العظم بعد الجبر فاستعير لكل مشقة وضرر ولا ضرر أعظم من مواقعة المآثم وقيل أريد به الحد لأنه إذا هويها خشي أن يواقعها فيحد فيتزوجها (وأن تصبروا) في محل الرفع على الابتداء أي وصبركم عن نكاح الإماء متعففين (خير لكم) وعن النبي صلى الله عليه وسلم الحرائر صلاح البيت والإماء هلاك البيت (يريد الله ليبين لكم) أصله يريد الله أن يبين لكم فزيدت اللام مؤكدة لإرادة التبيين كما زيدت في لا أبا لك لتأكيد إضافة الأب والمعنى يريد الله أن يبين لكم ما هو خفي عنكم من مصالحكم وأفاضل أعمالكم وأن يهديكم مناهج من كان قبلكم من الأنبياء والصالحين والطرق التي سلكوها في دينهم لتقتدوا بهم (ويتوب عليكم) ويرشدكم إلى طاعات إن قمتم بها كانت كفارات لسيئاتكم فيتوب عليكم ويكفر لكم (والله يريد أن يتوب عليكم) أن تفعلوا ما تستوجبون به أن يتوب عليكم (ويريد) الفجرة (الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلا عظيما) وهو الميل عن القصد والحق ولا ميل أعظم منه بمساعدتهم وموافقتهم على اتباع الشهوات وقيل هم اليهود وقيل المجوس كانوا يحلون نكاح الأخوات من الأب وبنات الأخ وبنات الأخت فلما حرمهن الله قالوا فإنكم تحلون بنت الخالة والعمة والخالة والعمة عليكم حرام فانكحوا بنات الأخ والأخت فنزلت يقول تعالى يريدون أن تكونوا زناة مثلهم (يريد الله أن يخفف عنكم) بإحلال نكاح الأمة وغيره من الرخص (وخلق الإنسان ضعيفا) لا يصبر عن الشهوات وعلى مشاق الطاعات وعن سعيد بن المسيب ما أيس الشيطان من بني آدم قط إلا أتاهم من قبل النساء فقد أتى علي ثمانون سنة وذهبت إحدى عيني وأنا أعشو بالأخرى وإن أخوف ما أخاف علي فتنة النساء * وقرئ أن يميلوا بالياء والضمير للذين يتبعون الشهوات وقرأ ابن عباس وخلق الإنسان على البناء للفاعل ونصب الإنسان وعنه رضي الله عنه ثمان آيات في سورة النساء هي خير لهذه الأمة مما طلعت عليه الشمس وغربت يريد الله ليبين لكم والله يريد أن يتوب عليكم يريد الله أن يخفف عنكم إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه إن الله لا يغفر أن يشرك به إن الله لا يظلم مثقال ذرة ومن يعمل سوءا أو يظلم نفسه ما يفعل الله بعذابكم (بالباطل) بما لم تبحه الشريعة من نحو السرقة والخيانة والغصب والقمار وعقود الربا (إلا أن تكون تجارة) إلا أن تقع تجارة وقرئ تجارة على إلا أن تكون التجارة تجارة (عن تراض منكم) والاستثناء منقطع معناه ولكن اقصدوا كون تجارة عن تراض منكم أو ولكن كون تجارة عن تراض غير منهي عنه وقوله عن تراض صفة لتجارة أي تجارة صادرة عن تراض وخص التجارة بالذكر لأن أسباب الرزق أكثرها متعلق بها والتراضي رضا المتبايعين بما تعاقدا عليه في حال البيع وقت الإيجاب والقبول وهو مذهب أبي حنيفة رحمه الله وعند الشافعي رحمه الله تفرقهما عن مجلس العقد متراضيين (ولا تقتلوا أنفسكم) من كان من جنسكم من المؤمنين وعن الحسن لا تقتلوا إخوانكم أو لا يقتل الرجل نفسه كما يفعله بعض الجهلة وعن عمرو بن العاص أنه تأوله في التيمم لخوف البرد فلم ينكر عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرأ علي رضي الله عنه ولا تقتلوا بالتشديد (إن الله كان بكم رحيما) لما نهاكم عما يضركم

* قوله تعالى فانكحوهن بإذن أهلهن (قال محمود هذا اشتراط لإذن الموالي في نكاحهن الخ) قال أحمد وليس في الآية اشتراط إذن المولى أن يتولى عقد نكاح أمته ويتولى العقد ومباشرته مسكوت عنه في الآية فيحمل على إذنه لوكيله في العقد على أمته ولا يلزم أن تكون الأمة هي المباشرة ولا دليل في الآية على ذلك والله أعلم

الا رحمته عليكم وقيل معناه انه أمر بني اسرائيل بقتلهم أنفسهم ليكون توبة لهم وتمحيصا لخطاياهم وكان بكم يا أمة محمد رحيما حيث لم يكلفكم تلك التكاليف الصعبة (ذلك) اشارة الى القتل أي ومن يقدم على قتل الأنفس (عدوانا وظلما) لا خطأ ولا اقتصاصا وقرئ عدوانا بالكسر * نصليه بتخفيف اللام وتشديدها ونصليه بفتح النون من صلاه يصليه ومنه شاة مصلية ويصليه بالياء والضمير لله تعالى أو لذلك لكونه سببا للصلي (نارا) أي نار مخصوصة شديدة العذاب (وكان ذلك على الله يسيرا) لان الحكمة تدعو اليه ولا صارف عنه من ظلم ونحوه (كبائر ما تنهون عنه) وقرئ كبير ما تنهون عنه أي ما كبر من المعاصي التي نهاكم الله عنها والرسول (نكفر عنكم سيئاتكم) نغط ما تستحقونه من العقاب في كل وقت على صغائركم ونجعلها كأن لم تكن لزيادة الثواب المستحق على اجتنابكم الكبائر وصبركم عنها على عقاب السيئات والكبيرة والصغيرة انما وصفتا بالكبر والصغر باضافتهما اما الى طاعة أو معصية أو ثواب فاعلهما والتكفير اماطة المستحق من العقاب بثواب أزيد أو بتوبة والاحباط نقيضه وهو اماطة الثواب المستحق بعقاب أزيد أو بندم على الطاعة وعن علي رضي الله عنه الكبائر سبع الشرك والقتل والقذف والزنا وأكل مال اليتيم والفرار من الزحف والتعرب بعد الهجرة وزاد ابن عمر السحر واستحلال البيت الحرام وعن ابن عباس أن رجلا قال له الكبائر سبع فقال هي الى سبعمائة أقرب لانه لا صغيرة مع الاصرار ولا كبيرة مع الاستغفار وروي الى سبعين * وقرئ يكفر بالياء * ومدخلا بضم الميم وفتحها بمعنى المكان والمصدر فيهما (ولا تتمنوا) نهوا عن التحاسد وعن تمني ما فضل الله به بعض الناس على بعض من الجاه والمال لان ذلك التفضيل قسمة من الله صادرة عن حكمة وتدبير وعلم بأحوال العباد وبما يصلح المقسوم له من بسط في الرزق أو قبض ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الارض فعلى كل أحد أن يرضى بما قسم له علما بان ما قسم له هو مصلحته ولو كان خلافه لكان مفسدة له ولا يحسد أخاه على حظه (للرجال نصيب مما اكتسبوا) جعل ما قسم لكل من الرجال والنساء على حسب ما عرف الله من حاله الموجبة للبسط أو القبض كسبا له (واسألوا الله من فضله) ولا تتمنوا أنصباء غيركم من الفضل ولكن سلوا الله من خزائنه التي لا تنفد وقيل كان الرجال قالوا ان الله فضلنا على النساء في الدنيا بأن جعل لنا سهمين ولهن سهم واحد فنرجو أن يكون لنا أجر في الآخرة على الاعمال ولهن أجر واحد فقالت أم سلمة ونسوة معها ليت الله كتب علينا الجهاد كما كتبه على الرجال فيكون لنا من الاجر مثل ما لهم فنزلت (مما ترك) تبيين لكل أي ولكل شيء مما ترك (الوالدان والاقربون) من المال جعلنا موالي وراثا يلونه ويحرزونه أو ولكل قوم جعلناهم موالي نصيب مما ترك الوالدان والاقربون على أن جعلناهم موالي صفة لكل والضمير الراجع الى كل محذوف والكلام مبتدأ وخبر كما تقول لكل من خلقه الله انسانا من رزق الله أي حظ من رزق الله أو ولكل أحد جعلنا موالي مما ترك أي وراثا مما ترك على أن من صلة موالي لانهم في معنى الوراث وفي ترك ضمير كل ثم فسر الموالي بقوله الوالدان والاقربون كأنه قيل من هم فقيل الوالدان والاقربون (والذين عقدت أيمانكم) مبتدأ ضمن معنى الشرط فوقع خبره مع الفاء وهو قوله (فآتوهم نصيبهم) ويجوز أن يكون منصوبا على قولك زيدا فاضربه ويجوز أن يعطف على الوالدان ويكون المضمر في فآتوهم للموالي والمراد بالذين عاقدت أيمانكم موالي الموالاة كان الحليف يعاقد الرجل فيقول دمي دمك وهدمي هدمك وثاري ثارك وحربي حربك وسلمي سلمك وترثني وأرثك وتطلب بي وأطلب بك وتعقل عني وأعقل عنك فيكون للحليف السدس من ميراث الحليف فنسخ وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه خطب يوم الفتح فقال ما كان من حلف في الجاهلية فتمسكوا به فانه لم يزده الاسلام الا شدة ولا تحدثوا حلفا في الاسلام وعند أبي حنيفة لو أسلم رجل على يد رجل وتعاقدا على أن يتعاقلا ويتوارثا صح عنده وورث بحق الموالاة خلافا للشافعي وقيل المعاقدة التزوج ومعنى عقدت أيمانكم عاقدتهم أيديكم وماسحتموهم وقرئ عقدت بالتشديد والتخفيف بمعنى عقدت عهودهم أيمانكم (قوامون على النساء) يقومون عليهن آمرين ناهين كما يقوم الولاة على الرعايا وسموا قواما لذلك والضمير في (بعضهم) للرجال والنساء جميعا يعني انما كانوا

ذلك عدوانا وظلما
فسوف نصليه نارا وكان
ذلك على الله يسيرا ان
تجتنبوا كبائر ما تنهون
عنه نكفر عنكم
سيئاتكم وندخلكم
مدخلا كريما ولا تتمنوا
ما فضل الله به بعضكم
على بعض للرجال
نصيب مما اكتسبوا
وللنساء نصيب مما
اكتسبن واسألوا الله
من فضله ان الله كان
بكل شيء عليما ولكل
جعلنا موالي مما ترك
الوالدان والاقربون
والذين عقدت ايمانكم
فآتوهم نصيبهم ان
الله كان على كل شيء
شهيدا الرجال قوامون
على النساء بما فضل الله
بعضهم على بعض

مسيطرين عليهن بسبب تفضيل الله بعضهم وهم الرجال على بعض وهم النساء فيه دليل على أن الولاية إنما تستحق بالفضل لا بالتغلب والاستطالة والقهر وقد ذكروا في فضل الرجال العقل والحزم والعزم والقوة والكتابة في الغالب والفروسية والرمي وأن منهم الأنبياء والعلماء وفيهم الإمامة الكبرى والصغرى والجهاد والأذان والخطبة والاعتكاف وتكبيرات التشريق عند أبي حنيفة والشهادة في الحدود والقصاص وزيادة السهم والتعصيب في الميراث والحمالة والقسامة والولاية في النكاح والطلاق والرجعة وعدد الأزواج وإليهم الانتساب وهم أصحاب اللحى والعمائم (وبما أنفقوا) وبسبب ما أخرجوا في نكاحهن من أموالهم في المهور والنفقات وروي أن سعد بن الربيع وكان نقيبا من نقباء الأنصار نشزت عليه امرأته حبيبة بنت زيد بن أبي زهير فلطمها فانطلق بها أبوها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال أفرشته كريمتي فلطمها فقال لتقتص منه فنزلت فقال صلى الله عليه وسلم أردنا أمرا وأراد الله أمرا والذي أراد الله خير ورفع القصاص واختلف في ذلك فقيل لا قصاص بين الرجل وامرأته فيما دون النفس ولو شجها ولكن يجب العقل وقيل لا قصاص إلا في الجرح والقتل وأما اللطمة ونحوها فلا (قانتات) مطيعات قائمات بما عليهن للأزواج (حافظات للغيب) الغيب خلاف الشهادة أي حافظات لمواجب الغيب إذا كان الأزواج غير شاهدين لهن حفظن ما يجب عليهن حفظه في حال الغيبة من الفروج والبيوت والأموال وعن النبي صلى الله عليه وسلم خير النساء امرأة إن نظرت إليها سرتك وإن أمرتها أطاعتك وإذا غبت عنها حفظتك في مالها ونفسها وتلا الآية وقيل للغيب لأسرارهم (بما حفظ الله) بما حفظهن الله حين أوصى بهن الأزواج في كتابه وأمر رسوله عليه الصلاة والسلام فقال استوصوا بالنساء خيرا أو بما حفظهن الله وعصمهن ووفقهن لحفظ الغيب أو بما حفظهن حين وعدهن الثواب العظيم على حفظ الغيب وأوعدهن بالعذاب الشديد على الخيانة وما مصدرية وقرئ بما حفظ الله بالنصب على أن ما موصولة أي حافظات للغيب بالأمر الذي يحفظ حق الله وأمانة الله وهو التعفف والتحصن والشفقة على الرجال والنصيحة لهم وقرأ ابن مسعود فالصوالح قوانت حوافظ للغيب بما حفظ الله فأصلحوا إليهن * نشوزها ونشوصها أن تعصي زوجها ولا تطمئن إليه وأصله الارتفاع (في المضاجع) في المراقد أي لا تداخلوهن تحت اللحف أو هي كناية عن الجماع وقيل هو أن يوليها ظهره في المضجع وقيل في المضاجع في بيوتهن التي يبتن فيها أي لا تبايتوهن * وقرئ في المضجع وفي المضطجع وذلك لتعرف أحوالهن وتحقق أمرهن في النشوز أمر بوعظهن أولا ثم هجرانهن في المضاجع ثم بالضرب إن لم ينجع فيهن الوعظ والهجران وقيل معناه أكرهوهن على الجماع واربطوهن من هجر البعير إذا شده بالهجار وهذا من تفسير الثقلاء وقالوا يجب أن يكون ضربا غير مبرح لا يجرحها ولا يكسر لها عظما ويجتنب الوجه وعن النبي صلى الله عليه وسلم علق سوطك حيث يراه أهلك وعن أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنه كنت رابعة أربع نسوة عند الزبير بن العوام فإذا غضب على إحدانا ضربها بعود المشجب حتى يكسره عليها ويروى عن الزبير أبيات منها * ولولا بنوها حولها لخبطتها * (فلا تبغوا عليهن سبيلا) فأزيلوا عنهن التعرض بالأذى والتوبيخ والتجني وتوبوا عليهن واجعلوا ما كان منهن كأن لم يكن بعد رجوعهن إلى الطاعة والانقياد وترك النشوز (إن الله كان عليا كبيرا) فاحذروه واعلموا أن قدرته عليكم أعظم من قدرتكم على من تحت أيديكم وروي أن أبا مسعود الأنصاري رفع سوطه ليضرب غلاما له فبصر به رسول الله صلى الله عليه وسلم فصاح به أبا مسعود لله أقدر عليك منك عليه فرمى بالسوط وأعتق الغلام أو إن الله كان عليا كبيرا وإنكم تعصونه على علو شأنه وكبرياء سلطانه ثم تتوبون فيتوب عليكم فأنتم أحق بالعفو عمن يجني عليكم (وإن خفتم شقاق بينهما) أصله شقاقا بينهما فأضيف الشقاق إلى الظرف على طريق الاتساع كقوله بل مكر الليل والنهار وأصله بل مكر في الليل والنهار أو على أن جعل البين مشاقا والليل والنهار ماكرين على قولهم نهارك صائم والضمير للزوجين ولم يجر ذكرهما لجري ذكر ما يدل عليهما وهو الرجال والنساء (حكما من أهله) رجلا مقنعا رضيا يصلح لحكومة العدل والإصلاح بينهما وإنما كان بعث الحكمين من أهلهما لأن الأقارب

وبما أنفقوا من أموالهم فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله واللاتي تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن في المضاجع واضربوهن فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا إن الله كان عليا كبيرا وإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها

---

* قوله تعالى واللاتي تخافون نشوزهن الآية (قال أمر الله تعالى بوعظهن أولا الخ) قال أحمد هذا الترتيب بين هذه الأفعال المعطوفة غير متلقى من صيغة لفظية إذ العطف بالواو وهي مساوية للدلالة على الترتيب منصوصة الإشعار بالجمعية فقط والغاية في الترتيب المذكور من قرائن خارجة عن اللفظ مفهومة من مقصود الكلام وسياقه * عاد كلامه (قال وقيل معناه أكرهوهن الخ) قال أحمد ولعل هذا المفسر يتأيد بقوله فإن أطعنكم فإنه يدل على تقدم إكراه على أمر وقرينة المضاجع ترشد إلى أنه الجماع وإطلاق الزمخشري لما أطلقه في حق هذا المفسر من الإفراط

عرف ببواطن الاحوال وأطلب للصلاح وانما تسكن اليهم نفوس الزوجين ويبرز اليهم ما في ضمائرهما من حب وبغض وارادة الصحبة والفرقة وموجبات ذلك ومقتضياته وما يزويانه عن الاجانب ولا يحبان أن يطلعوا عليه (فان قلت) فهل يليان الجمع بينهما والتفريق ان رأيا ذلك (قلت) قد اختلف فيه فقيل ليس اليهما ذلك الا باذن الزوجين وقيل ذلك اليهما وما جعلا حكمين الا واليهما بناء الامر على ما يقتضيه اجتهادهما وعن عبيدة السلماني شهدت عليا رضي الله عنه وقد جاءته امرأة وزوجها ومع كل واحد منهما فئام من الناس فأخرج هؤلاء حكما وهؤلاء حكما فقال علي رضي الله عنه للحكمين تدريان ما عليكما ان عليكما ان رأيتما أن تفرقا فرقتما وان رأيتما أن تجمعا جمعتما فقال الزوج أما الفرقة فلا فقال علي كذبت والله لا تبرح حتى ترضى بكتاب الله لك وعليك فقالت المرأة رضيت بكتاب الله لي وعلي وعن الحسن يجمعان ولا يفرقان وعن الشعبي ما قضى الحكمان جائز والالف في (ان يريدا اصلاحا) للحكمين وفي (يوفق الله بينهما) للزوجين أي ان قصدا اصلاح ذات البين وكانت نيتهما صحيحة وقلوبهما ناصحة لوجه الله بورك في وساطتهما وأوقع الله بطيب نفسهما وحسن سعيهما بين الزوجين الوفاق والالفة وألقى في نفوسهما المودة والرحمة وقيل الضميران للحكمين أي ان قصدا اصلاح ذات البين والنصيحة للزوجين يوفق الله بينهما فيتفقان على الكلمة الواحدة ويتساندان في طلب الوفاق حتى يحصل الغرض ويتم المراد وقيل الضميران للزوجين أي ان يريدا اصلاح ما بينهما وطلبا الخير وأن يزول عنهما الشقاق يطرح الله بينهما الالفة وأبدلهما بالشقاق وفاقا وبالبغضاء مودة (ان الله كان عليما خبيرا) يعلم كيف يوفق بين المختلفين ويجمع بين المفترقين لو أنفقت ما في الارض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم (وبالوالدين احسانا) وأحسنوا بهما احسانا (وبذي القربى) وبكل من بينكم وبينه قربى من أخ أو عم أو غيرهما (والجار ذي القربى) الذي قرب جواره (والجار الجنب) الذي جواره بعيد وقيل الجار القريب النسيب والجار الجنب الاجنبي وأنشد لبلعاء بن قيس

لا يجتوينا مجاور أبدا • ذو رحم أو مجاور جنب

• وقرئ والجار ذا القربى نصبا على الاختصاص كما قرئ حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى تنبيها على عظم حقه لادلائه بحق الجوار والقربى (والصاحب بالجنب) هو الذي صحبك بأن حصل بجنبك اما رفيقا في سفر واما جارا ملاصقا واما شريكا في تعلم علم أو حرفة واما قاعدا الى جنبك في مجلس أو مسجد أو غير ذلك من أدنى صحبة التأمت بينك وبينه فعليك أن ترعى ذلك الحق ولا تنساه وتجعله ذريعة الى الاحسان وقيل الصاحب بالجنب المرأة (وابن السبيل) المسافر المنقطع به وقيل الضيف • والمختال التياه الجهول الذي يتكبر عن اكرام أقاربه وأصحابه ومماليكه فلا يتحفى بهم ولا يلتفت اليهم • وقرئ والجار الجنب بفتح الجيم وسكون النون (الذين يبخلون) بدل من قوله من كان مختالا فخورا أو نصب على الذم ويجوز أن يكون رفعا عليه وأن يكون مبتدأ خبره محذوف كأنه قيل الذين يبخلون ويفعلون ويصنعون أحقاء بكل ملامة • وقرئ بالبخل بضم الباء وفتحها وبفتحتين وبضمتين أي يبخلون بذات أيديهم وبما في أيدي غيرهم فيأمرونهم بأن يبخلوا به مقتا للسخاء ممن وجد وفي أمثال العرب أبخل من الضنين بنائل غيره قال

وان امرأ ضنت يداه على امرئ • بنيل يد من غيره لبخيل

ولقد رأينا ممن بلي بداء البخل من اذا طرق سمعه أن أحدا جاد على أحد شخص به وحل حبوته واضطرب ودارت عيناه في رأسه كأنما نهب رحله وكسرت خزانته ضجرا من ذلك وحسرة على وجوده وقيل هم اليهود كانوا يأتون رجالا من الانصار يتنصحون لهم ويقولون لا تنفقوا أموالكم فانا نخشى عليكم الفقر ولا تدرون ما يكون • وقد عابهم الله بكتمان نعمة الله وما آتاهم من فضل الغنى والتفاقر الى الناس وعن النبي صلى الله عليه وسلم اذا أنعم الله على عبد نعمة أحب أن ترى نعمته على عبده وبنى عامل للرشيد قصرا حذاء قصره فنم به عنده فقال الرجل يا أمير المؤمنين ان الكريم يسره أن يرى أثر نعمته فأحببت أن أسرك بالنظر الى آثار نعمتك فأعجبه كلامه وقيل نزلت في شأن اليهود الذين كتموا صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم (رئاء الناس)

ان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما ان الله كان عليما خبيرا واعبدوا الله ولا تشركوا به شيأ وبالوالدين احسانا وبذي القربى واليتامى والمساكين والجار ذي القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت أيمانكم ان الله لا يحب من كان مختالا فخورا الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ويكتمون ما آتاهم الله من فضله وأعتدنا للكافرين عذابا مهينا والذين ينفقون أموالهم رئاء الناس ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ومن يكن الشيطان له قرينا

للفخار

للفخار وليقال ما أسخاهم وما أجودهم لا ابتغاء وجه الله وقيل نزلت في مشركي مكة المنفقين أموالهم في
عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم (فساء قرينا) حيث حملهم على البخل والرياء وكل شر ويجوز أن يكون
وعيدا لهم بأن الشيطان يقرن بهم في النار (وماذا عليهم) وأي تبعة ووبال عليهم في الإيمان والإنفاق في
سبيل الله والمراد الذم والتوبيخ وإلا فكل منفعة ومصلحة في ذلك وهذا كما يقال للمنتقم ما ضرك لو عفوت
وللعاق ما كان يرزؤك لو كنت بارا وقد علم أنه لا مضرة ولا مرزأة في العفو والبر ولكنه ذم وتوبيخ وتجهيل
بمكان المنفعة (وكان الله بهم عليما) وعيد * الذرة النملة الصغيرة وفي قراءة عبد الله مثقال نملة وعن ابن عباس
أنه أدخل يده في التراب فرفعه ثم نفخ فيه فقال كل واحدة من هؤلاء ذرة وقيل كل جزء من أجزاء الهباء
في الكوة ذرة وفيه دليل على أنه لو نقص من الأجر أدنى شيء وأصغره أو زاد في العقاب لكان ظلما وأنه
لا يفعله لاستحالته في الحكمة لا لاستحالته في القدرة (وإن تك حسنة) وإن يك مثقال ذرة حسنة وإنما
أنث ضمير المثقال لكونه مضافا إلى مؤنث وقرئ بالرفع على كان التامة (يضاعفها) يضاعف ثوابها لاستحقاقها
عنده الثواب في كل وقت من الأوقات المستقبلة غير المتناهية وعن أبي عثمان النهدي أنه قال لأبي هريرة
بلغني عنك أنك تقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إن الله تعالى يعطي عبده المؤمن بالحسنة
ألف ألف حسنة قال أبو هريرة لا بل سمعته يقول إن الله تعالى يعطيه ألفي ألف حسنة ثم تلا هذه الآية
والمراد الكثرة لا التحديد (ويؤت من لدنه أجرا عظيما) ويعط صاحبها من عنده على سبيل التفضل عطاء
عظيما وسماه أجرا لأنه تابع للأجر لا يثبت إلا بثباته * وقرئ يضعفها بالتشديد والتخفيف من أضعف وضعف
وقرأ ابن هرمز نضاعفها بالنون (فكيف) يصنع هؤلاء الكفرة من اليهود وغيرهم (إذا جئنا من كل أمة
بشهيد) يشهد عليهم بما فعلوا وهو نبيهم كقوله وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم (وجئنا بك على هؤلاء)
المكذبين (شهيدا) وعن ابن مسعود أنه قرأ سورة النساء على رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بلغ قوله
وجئنا بك على هؤلاء شهيدا فبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال حسبنا (لو تسوى بهم الأرض) لو يدفنون
فتسوى بهم الأرض كما تسوى بالموتى وقيل يودون أنهم لم يبعثوا وأنهم كانوا والأرض سواء وقيل تصير البهائم
ترابا فيودون حالها (ولا يكتمون الله حديثا) ولا يقدرون على كتمانه لأن جوارحهم تشهد عليهم وقيل الواو
للحال أي يودون أن يدفنوا تحت الأرض وأنهم لا يكتمون الله حديثا ولا يكذبون في قولهم والله ربنا ما كنا
مشركين لأنهم إذا قالوا ذلك وجحدوا شركهم ختم الله على أفواههم عند ذلك وتكلمت أيديهم وأرجلهم
بتكذيبهم والشهادة عليهم بالشرك فلشدة الأمر عليهم يتمنون أن تسوى بهم الأرض * وقرئ تسوى بحذف
التاء من تتسوى يقال سويته فتسوى نحو لويته فتلوى وتسوى بإدغام التاء في السين كقوله يسمعون
وماضيه سوى كزكى * روي أن عبد الرحمن بن عوف صنع طعاما وشرابا فدعا نفرا من أصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم حين كانت الخمر مباحة فأكلوا وشربوا فلما ثملوا وجاء وقت صلاة المغرب قدموا أحدهم
ليصلي بهم فقرأ أعبد ما تعبدون وأنتم عابدون ما أعبد فنزلت فكانوا لا يشربون في أوقات الصلوات فإذا صلوا
العشاء شربوها فلا يصبحون إلا وقد ذهب عنهم السكر وعلموا ما يقولون ثم نزل تحريمها ومعنى (لا تقربوا
الصلاة) لا تغشوها ولا تقوموا إليها واجتنبوها كقوله ولا تقربوا الزنا ولا تقربوا الفواحش وقيل معناه
ولا تقربوا مواضعها وهي المساجد لقوله عليه الصلاة والسلام جنبوا مساجدكم صبيانكم ومجانينكم وقيل هو
سكر النعاس وغلبة النوم كقوله ورانوا بسكر سناتهم كل رنو وقرئ سكارى بفتح السين وسكرى على أن
يكون جمعا نحو هلكى وجوعى لأن السكر علة تلحق العقل أو مفردا بمعنى وأنتم جماعة سكرى كقولك امرأة
سكرى وسكرى بضم السين كحبلى على أن تكون صفة للجماعة وحكى جناح بن حبيش كسلى وكسلى بالفتح
والضم (ولا جنبا) عطف على قوله وأنتم سكارى لأن محل الجملة مع الواو النصب على الحال كأنه قيل لا تقربوا
الصلاة سكارى ولا جنبا والجنب يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث لأنه اسم جرى مجرى المصدر
الذي هو الإجناب (إلا عابري سبيل) استثناء من عامة أحوال المخاطبين وانتصابه على الحال (فإن قلت)
كيف جمع بين هذه الحال والحال التي قبلها (قلت) كأنه قيل لا تقربوا الصلاة في حال الجنابة إلا ومعكم حال

فساء قرينا وماذا عليهم لو آمنوا بالله واليوم الآخر وأنفقوا مما رزقهم الله وكان الله بهم عليما إن الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا عظيما فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الأرض ولا يكتمون الله حديثا يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون ولا جنبا إلا عابري سبيل حتى تغتسلوا وإن كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وأيديكم

* قوله تعالى إن الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تكن حسنة يضاعفها (قال محمود أنث الضمير وهو للمثقال الخ) قال أحمد وقد تقدم له مثل ذلك في قوله وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها وقد بينا ثم أن عوده إلى الحفرة جائز بل أولى وكذلك عوده ههنا إلى الذرة ولا يمنع ذلك كون المضاف إليه غير مخبر عنه لأن عود الضمير لا يستلزم

الإخبار عنه في الكلام الأول ويجوز كانت دابتك وكل ذلك أسهل من اكتساب المضاف التأنيث من المضاف إليه فقد نص أبو علي في التعاليق على نشاذه وقوله تعالى ٢٦٦ فتيمموا صعيدا طيبا (قال محمود الصعيد وجه الأرض ترابا كان أو غيره الخ) قال أحمد هذا إذا كان الضمير عائدا إلى الصعيد وثم وجه آخر وهو عود الضمير على الحدث المدلول عليه بقوله وإن كنتم مرضى إلى آخرها فإن المفهوم منه وإن كنتم على حدث في حال من هذه الأحوال سفر أو مرض أو مجيء من الغائط أو ملامسة النساء فلم تجدوا ماء تتطهرون به من الحدث فتيمموا منه يقال تيممت من الجنابة وموقع من على هذا مستعمل متداول وهي على هذا الإعراب إما للتعليل أو لابتداء الغاية وكلاهما فيها متمكن والله أعلم (قال محمود فإن قلت كيف نظم في سلك واحد بين المرضى والمسافرين وبين المحدثين والمجنبين الخ) قال أحمد وهذا من ذكر المعتنى به خاصا ومندرجا في العموم تنبيها بذكره على وجهين مختلفين لأن المرض والسفر مندرجان في عموم المحدثين والمجنبين والله أعلم

إن الله كان عفوا غفورا ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يشترون الضلالة ويريدون أن تضلوا السبيل والله أعلم بأعدائكم وكفى بالله وليا وكفى بالله نصيرا من الذين هادوا

أخرى تعذرون فيها وهي حال السفر وعبور السبيل عبارة عنه ويجوز أن لا يكون حالا ولكن صفة لقوله جنبا أي ولا تقربوا الصلاة جنبا غير عابري سبيل أي جنبا مقيمين غير معذورين (فإن قلت) كيف تصح صلاتهم على الجنابة لعذر السفر (قلت) أريد بالجنب الذين لم يغتسلوا كأنه قيل لا تقربوا الصلاة غير مغتسلين حتى تغتسلوا إلا أن تكونوا مسافرين وقال من فسر الصلاة بالمسجد معناه لا تقربوا المسجد جنبا إلا مجتازين فيه إذا كان الطريق فيه إلى الماء أو كان الماء فيه أو احتلمتم فيه وقيل إن رجالا من الأنصار كانت أبوابهم في المسجد فتصيبهم الجنابة ولا يجدون ممرا إلا في المسجد فرخص لهم وروي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يأذن لأحد أن يجلس في المسجد أو يمر فيه وهو جنب إلا لعلي رضي الله عنه لأن بيته كان في المسجد (فإن قلت) أدخل في حكم الشرط أربعة وهم المرضى والمسافرون والمحدثون وأهل الجنابة فبمن تعلق الجزاء الذي هو الأمر بالتيمم عند عدم الماء منهم (قلت) الظاهر أنه تعلق بهم جميعا وأن المرضى إذا عدموا الماء لضعف حركتهم وعجزهم عن الوصول إليه فلهم أن يتيمموا وكذلك السفر إذا عدموه لبعده والمحدثون وأهل الجنابة كذلك إذا لم يجدوه لبعض الأسباب وقال الزجاج الصعيد وجه الأرض ترابا كان أو غيره وإن كان صخرا لا تراب عليه لو ضرب المتيمم يده عليه ومسح لكان ذلك طهوره وهو مذهب أبي حنيفة رحمة الله عليه (فإن قلت) فما تصنع بقوله تعالى في سورة المائدة فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه أي بعضه وهذا لا يتأتى في الصخر الذي لا تراب عليه (قلت) قالوا إن من لابتداء الغاية (فإن قلت) قولهم إنها لابتداء الغاية قول متعسف ولا يفهم أحد من العرب من قول القائل مسحت برأسه من الدهن ومن الماء ومن التراب إلا معنى التبعيض (قلت) هو كما تقول والإذعان للحق أحق من المراء (إن الله كان عفوا غفورا) كناية عن الترخيص والتيسير لأن من كانت عادته أن يعفو عن الخطائين ويغفر لهم آثر أن يكون ميسرا غير معسر (فإن قلت) كيف نظم في سلك واحد بين المرضى والمسافرين وبين المحدثين والمجنبين والمرض والسفر سببان من أسباب الرخصة والحدث سبب لوجوب الوضوء والجنابة سبب لوجوب الغسل (قلت) أراد سبحانه أن يرخص للذين وجب عليهم التطهر وهم عادمون الماء في التيمم بالتراب فخص أولا من بينهم مرضاهم وسفرهم لأنهم المتقدمون في استحقاق بيان الرخصة لهم بكثرة المرض والسفر وغلبتهما على سائر الأسباب الموجبة للرخصة ثم عم كل من وجب عليه التطهر وأعوزه الماء لخوف عدو أو سبع أو عدم آلة استقاء أو إرهاق في مكان لا ماء فيه أو غير ذلك مما لا يكثر كثرة المرض والسفر وقرئ من غيط قيل هو تخفيف غيط كهين في هين والغيط بمعنى الغائط (ألم تر) من رؤية القلب وعدي بإلى على معنى ألم ينته علمك إليهم أو بمعنى ألم تنظر إليهم (أوتوا نصيبا من الكتاب) حظا من علم التوراة وهم أحبار اليهود (يشترون الضلالة) يستبدلونها بالهدى وهو البقاء على اليهودية بعد وضوح الآيات لهم على صحة نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنه هو النبي العربي المبشر به في التوراة والإنجيل (ويريدون أن تضلوا) أنتم أيها المؤمنون سبيل الحق كما ضلوا وتفرطوا في سبكهم لا تكفيهم ضلالتهم بل يحبون أن يضل معهم غيرهم وقرئ أن يضلوا بالياء بفتح الضاد وكسرها (والله أعلم) منكم (بأعدائكم) وقد أخبركم بعداوة هؤلاء وأطلعكم على أحوالهم وما يريدون بكم فاحذروهم ولا تستنصحوهم في أموركم ولا تستشيروهم (وكفى بالله وليا وكفى بالله نصيرا) فثقوا بولايته ونصرته دونهم أو لا تبالوا بهم فإن الله ينصركم عليهم ويكفيكم مكرهم (من الذين هادوا) بيان للذين أوتوا نصيبا من الكتاب لأنهم يهود ونصارى وقوله والله أعلم وكفى بالله وكفى بالله جمل توسطت بين البيان والمبين على سبيل الاعتراض أو بيان لأعدائكم وما بينهما اعتراض أو صلة لنصيرا أي ينصركم من الذين هادوا كقوله ونصرناه من القوم الذين كذبوا ويجوز أن يكون كلاما مبتدأ على أن يحرفون صفة مبتدأ محذوف تقديره من الذين هادوا قوم يحرفون كقوله

وما

قوله تعالى يقولون سمعنا وعصينا واسمع غير مسمع وراعنا ليا بألسنتهم الآية (قال محمود غير مسمع حال من المخاطب الخ) قال أحمد مراده بذلك أنه لما فسر غير مسمع بالدعاء وهو إنشاء وطلب وقد وقعه حالا والحال خبر أراد أن يبين وجه صحة التعبير عن الخبر بالإنشاء بواسطة أن هؤلاء كانوا يظنون دعاءهم مستجابا محققا وقوع المدعو فيه ونظيره ورود الأمر بصيغة ٣٦٧ الخبر تنبيها على تحقق وقوعه (قال محمود ومعناه غير مسمع جوابا الخ) قال أحمد والظاهر أن الكلم المحرف ما أريد به في هذه السورة مثل غير مسمع وراعنا ولم يقصد ههنا تبديل الأحكام وتوسطه بين الكلمتين بين قوله يحرفون وبين قوله ليا بألسنتهم والمراد أيضا تحريف مشاهدين على أن المحرف هما وأمثالهما وأما في سورة المائدة فالظاهر والله أعلم أن المراد فيها بالكلم الأحكام وتحريفها تبديلها كتبديلهم الرجم بالجلد ألا ترى أنه عقبه بقوله يقولون إن أوتيتم هذا فخذوه وإن لم تؤتوه فاحذروا ولاختلاف المراد بالكلم في السورتين قيل في سورة المائدة يحرفون الكلم من بعد مواضعه أي تنقلونه عن الموضع الذي وضعه الله فيه فصار وطنه ومستقره إلى غير موضع فبقي كالغريب المتأسف عليه الذي يقال فيه هذا غريب من بعد موضعه ومقاره ولا يوجد هذا المعنى في مثل راعنا وغير مسمع وإن وجد على بعد فليس الوضع اللغوي مما يعبأ بانتقاله عن موضعه كالوضع الشرعي ولولا اشتمال هذا النقل على الهزؤ والسخرية لما عظم أمره

يحرفون الكلم عن مواضعه ويقولون سمعنا وعصينا واسمع غير مسمع وراعنا ليا بألسنتهم وطعنا في الدين ولو أنهم قالوا سمعنا وأطعنا واسمع وانظرنا لكان خيرا لهم وأقوم ولكن لعنهم الله بكفرهم فلا يؤمنون إلا قليلا يا أيها الذين أوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا مصدقا لما معكم من قبل أن نطمس وجوها فنردها على أدبارها

وما الدهر إلا تارتان فمنهما • أموت وأخرى أبتغي العيش أكدح

أي فمنهما تارة أموت فيها (يحرفون الكلم عن مواضعه) يميلونه عنها ويزيلونه لأنهم إذا بدلوه ووضعوا مكانه كلما غيره فقد أمالوه عن مواضعه التي وضعه الله فيها وأزالوه عنها وذلك نحو تحريفهم أسمر ربعة عن موضعه في التوراة بوضعهم آدم طوال مكانه ونحو تحريفهم الرجم بوضعهم الحد بدله (فإن قلت) كيف قيل ههنا عن مواضعه وفي المائدة من بعد مواضعه (قلت) أما عن مواضعه فعلى ما فسرناه من إزالته عن مواضعه التي أوجبت حكمة الله وضعه فيها بما اقتضت شهواتهم من إبدال غيره مكانه وأما من بعد مواضعه فالمعنى أنه كانت له مواضع هو قمن بأن يكون فيها فحين حرفوه تركوه كالغريب الذي لا موضع له بعد مواضعه ومقاره والمعنيان متقاربان وقرئ يحرفون الكلام والكلم بكسر الكاف وسكون اللام جمع كلمة تخفيف كلمة (غير مسمع) حال من المخاطب أي اسمع وأنت غير مسمع وهو قول ذو وجهين يحتمل الذم أي اسمع منا مدعوا عليك بلا سمعت لأنه لو أجيبت دعوتهم عليه لم يسمع فكان أصم غير مسمع قالوا ذلك اتكالا على أن قولهم لا سمعت دعوة مستجابة أو اسمع غير مجاب إلى ما تدعو إليه ومعناه غير مسمع جوابا يوافقك فكأنك لم تسمع شيئا أو اسمع غير مسمع كلاما ترضاه فسمعك عنه ناب ويجوز على هذا أن يكون غير مسمع مفعول اسمع أي اسمع كلاما غير مسمع إياك لأن أذنك لا تعيه نبوا عنه ويحتمل المدح أي اسمع غير مسمع مكروها من قولك أسمع فلان فلانا إذا سبه وكذلك قولهم (راعنا) يحتمل راعنا نكلمك أي ارقبنا وانتظرنا ويحتمل شبه كلمة عبرانية أو سريانية كانوا يتسابون بها وهي راعينا فكانوا سخرية بالدين وهزؤا برسول الله صلى الله عليه وسلم يكلمونه بكلام محتمل ينوون به الشتيمة والإهانة ويظهرون به التوقير والإكرام (ليا بألسنتهم) فتلا بها وتحريفا أي يفتلون بألسنتهم الحق إلى الباطل حيث يضعون راعنا موضع انظرنا وغير مسمع موضع لا أسمعت مكروها أو يفتلون بألسنتهم ما يضمرونه من الشتم إلى ما يظهرونه من التوقير نفاقا (فإن قلت) كيف جاؤا بالقول المحتمل ذي الوجهين بعدما صرحوا وقالوا سمعنا وعصينا (قلت) جميع الكفرة كانوا يواجهونه بالكفر والعصيان ولا يواجهونه بالسب ودعاء السوء ويجوز أن يقولوه فيما بينهم ويجوز أن لا ينطقوا بذلك ولكنهم لما لم يؤمنوا جعلوا كأنهم نطقوا به وقرأ أبي وأنظرنا من الإنظار وهو الإمهال (فإن قلت) إلام يرجع الضمير في قوله (لكان خيرا لهم) (قلت) إلى أنهم قالوا لأن المعنى ولو ثبت قولهم سمعنا وأطعنا لكان قولهم ذلك خيرا لهم (وأقوم) وأعدل وأسد (ولكن لعنهم الله بكفرهم) أي خذلهم بسبب كفرهم وأبعدهم عن ألطافه (فلا يؤمنون إلا) إيمانا (قليلا) أي ضعيفا ركيكا لا يعبأ به وهو إيمانهم بمن خلقهم مع كفرهم بغيره أو أراد بالقلة العدم كقوله • قليل التشكي للمهم يصيبه • أي عديم التشكي أو إلا قليلا منهم قد آمنوا (أن نطمس وجوها) أي نمحو تخطيط صورها من عين وحاجب وأنف وفم (فنردها على أدبارها) فنجعلها على هيئة أدبارها وهي الأقفاء مطموسة مثلها والفاء للتسبيب وإن جعلتها للتعقيب على أنهم توعدوا بعقابين أحدهما عقيب الآخر ردها على أدبارها بعد طمسها فالمعنى أن نطمس وجوها فننكس الوجوه إلى خلف والأقفاء إلى قدام ووجه آخر وهو أن يراد بالطمس القلب والتغيير كما طمس أموال القبط فقلبها حجارة وبالوجوه رؤسهم ووجهاؤهم أي من قبل أن نغير أحوال وجهائهم فنسلبهم إقبالهم ووجاهتهم ونكسوهم صغارهم وإدبارهم أو نردهم إلى حيث جاؤا منه وهي أذرعات الشام يريد إجلاء بني النضير (فإن قلت) لمن الراجع في قوله أو نلعنهم (قلت) للوجوه إن أريد الوجهاء أو لأصحاب الوجوه لأن المعنى من قبل أن نطمس وجوه قوم أو يرجع إلى الذين

فلذلك جاء هنا يحرفون الكلم عن مواضعه غير مقرون بما اقترن به الاول من صورة التأسف والله أعلم * قوله تعالى ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء (قال محمود ان قلت قد ثبت ان الله عز وجل يغفر الشرك لمن تاب منه الخ) قال أحمد رحمه الله عقيدة أهل السنة ان الشرك غير مغفور ألبتة وما دونه من الكبائر مغفور لمن يشاء الله أن يغفره له هذا مع عدم التوبة وأما مع التوبة فكلاهما مغفور والآية انما وردت فيمن لم يتب ولم يذكر فيها توبة كما ترى فلذلك أطلق الله تعالى نفي مغفرة الشرك وأثبت مغفرة ما دونه مقرونة بالمشيئة كما ترى فهذا وجه تنزيل الآية على عقيدة أهل السنة وأما القدرية فانهم يعتقدون التسوية بين الشرك وبين ما دونه من الكبائر في ان كل واحد من النوعين لا يغفر بدون التوبة ولا يشاء الله أن يغفره الا للتائبين فاذا عرض الزمخشري هذا المعتقد على هذه الآية ردته ونبت عنه اذ المغفرة منفية فيها عن الشرك وثابتة لما دونه مقرونة بالمشيئة فاما أن يكون المراد فيهما من لم يتب فلا وجه للتفصيل بينهما بتقييد في المغفرة في أحدهما بالمشيئة ونفيها بالآخر مطلقا اذ هما سيان في استحالة المغفرة واما أن يكون المراد فيهما التائب فقد قال في الشرك انه لا يغفر والتائب من الشرك مغفور له وعند ذلك أخذ الزمخشري يقطع أحدهما عن الآخر مدكم فيجعل المراد مع الشرك عدم التوبة ومع الكبائر التوبة حتى تنزل الآية على وفق معتقده فيجمع أمرين لا يحتمل واحد منهما أحدهما اضافة التوبة الى المشيئة وهي غير مذكورة ولا دل عليها اضمار كما تقرر ولو كانت مرادة لكانت هي السبب الموجب للمغفرة على زعمهم عقلا ولا يمكن تعلق المشيئة بخلافها على طمعهم في العقل فكيف يليق السكوت عن ذكر ما هو العمدة والموجب وذكر ما لا مدخل له على هذا المعتقد الردي * الثاني أنه بعد تقريره التوبة تحكم فقدرها على أحد القسمين دون الآخر وما هذا الا من جعل القرآن تبعا للرأي نعوذ بالله من ذلك وأما القدرية فهم بهذا المعتقد يقع عليهم المثل السائر السيف يقطع والغمد يمنع لأن الله تعالى يصرح كرمه بالمغفرة للمصر على الكبائر ان شاء وهم يدفعون في وجه هذا التصريح ويحيلون المغفرة بناء على قاعدة الاصلح والصلاح التي هي بالفساد أجدر وأحق

أوتوا الكتاب على طريقة الالتفات (أو نلعنهم) أو نخزيهم بالمسخ كما مسخنا أصحاب السبت (فان قلت) فأين وقوع الوعيد (قلت) هو مشروط بالايمان وقد آمن منهم ناس وقيل هو منتظر ولا بد من طمس ومسخ لليهود قبل يوم القيامة ولأن الله عز وجل أوعدهم بأحد الأمرين بطمس الوجوه أو بلعنهم فان كان الطمس تبديل أحوال رؤسائهم أو اجلاءهم الى الشام فقد كان أحد الأمرين وان كان غيره فقد حصل اللعن فانهم ملعونون بكل لسان والظاهر اللعن المتعارف دون المسخ ألا ترى الى قوله تعالى قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير (وكان أمر الله مفعولا) فلا بد أن يقع أحد الأمرين ان لم يؤمنوا (فان قلت) قد ثبت أن الله عز وجل يغفر الشرك لمن تاب منه وأنه لا يغفر ما دون الشرك من الكبائر الا بالتوبة فما وجه قوله تعالى (ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) قلت الوجه أن يكون الفعل المنفي والمثبت جميعا موجهين الى قوله تعالى لمن يشاء كأنه قيل ان الله لا يغفر لمن يشاء الشرك ويغفر لمن يشاء ما دون الشرك على أن المراد بالأول من لم يتب وبالثاني من تاب ونظيره قولك ان الأمير لا يبذل الدينار ويبذل القنطار لمن يشاء تريد لا يبذل الدينار لمن لا يستأهله ويبذل القنطار لمن يستأهله (فقد افترى اثما) أي ارتكبه وهو مفتر مفتعل ما لا يصح كونه (الذين يزكون أنفسهم) اليهود والنصارى قالوا نحن أبناء الله وأحباؤه وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا أو نصارى وقيل جاء رجال من اليهود الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بأطفالهم فقالوا هل على هؤلاء ذنب قال لا قالوا والله ما نحن الا كهيئتهم ما عملناه بالنهار كفر عنا بالليل وما عملناه بالليل كفر عنا بالنهار ويدخل فيهم كل من زكى نفسه ووصفها بزكاء العمل وزيادة الطاعة والتقوى والزلفى عند الله (فان قلت) أما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والله اني لأمين في السماء أمين في الأرض (قلت) انما قال ذلك حين قال له المنافقون اعدل في القسمة اكذابا لهم اذ وصفوه بخلاف ما وصفه به ربه وشتان من شهد الله له بالتزكية ومن شهد لنفسه أو شهد له من لا يعلم (بل الله يزكي من يشاء) اعلام بأن تزكية الله هي التي يعتد بها لا تزكية غيره لأنه هو العالم بمن هو أهل للتزكية ومعنى يزكي من يشاء يزكي المرتضين من عباده الذين عرف منهم الزكاء فوصفهم به (ولا يظلمون فتيلا) أي الذين يزكون أنفسهم يعاقبون على تزكيتهم أنفسهم حق جزائهم أو من يشاء يثابون على زكائهم ولا ينقص من ثوابهم ونحوه فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى (كيف يفترون على الله الكذب) في زعمهم أنهم عند الله أزكياء (وكفى) بزعمهم هذا (اثما مبينا) من بين سائر آثامهم * الجبت الأصنام وكل ما عبد من دون الله والطاغوت الشيطان وذلك أن حيي بن أخطب وكعب بن الأشرف اليهوديين خرجا الى مكة مع جماعة من اليهود يحالفون قريشا على محاربة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا أنتم أهل كتاب وأنتم أقرب الى محمد

أو نلعنهم كما لعنا أصحاب السبت وكان أمر الله مفعولا ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد افترى اثما عظيما ألم تر الى الذين يزكون أنفسهم بل الله يزكي من يشاء ولا يظلمون فتيلا انظر كيف يفترون على الله الكذب وكفى به اثما مبينا ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون

منكم ايتوا فلا نأمن مكركم فاسجدوا لآلهتنا حتى نطمئن إليكم ففعلوا فهذا إيمانهم (بالجبت والطاغوت)
لأنهم سجدوا للأصنام وأطاعوا إبليس فيما فعلوا وقال أبو سفيان أنحن أهدى سبيلا أم محمد فقال كعب ماذا
يقول محمد قالوا يأمر بعبادة الله وحده وينهى عن الشرك قال وما دينكم قالوا نحن ولاة البيت ونسقي الحاج
ونقري الضيف ونفك العاني وذكروا أفعالهم فقال أنتم أهدى سبيلا * وصف اليهود بالبخل والحسد وهما
شر خصلتين يمنعون ما أوتوا من النعمة ويتمنون أن تكون لهم نعمة غيرهم فقال (أم لهم نصيب من الملك)
على أن أم منقطعة ومعنى الهمزة لإنكار أن يكون لهم نصيب من الملك ثم قال (فإذا لا يؤتون) أي لو كان لهم
نصيب من الملك فإذا لا يؤتون أحدا مقدار نقير لفرط بخلهم * والنقير النقرة في ظهر النواة وهو مثل في القلة
كالفتيل والقطمير والمراد بالملك إما ملك أهل الدنيا وإما ملك الله كقوله تعالى قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة
ربي إذا لأمسكتم خشية الإنفاق وهذا أوصف لهم بالشح وأحسن لطباقه نظيره من القرآن ويجوز
أن يكون معنى الهمزة في أم لإنكار أنهم قد أوتوا نصيبا من الملك وكانوا أصحاب أموال وبساتين وقصور
مشيدة كما تكون أحوال الملوك وأنهم لا يؤتون أحدا مما يملكون شيأ * وقرأ ابن مسعود فإذا لا يؤتوا على
إعمال إذا عملها الذي هو النصب وهي ملغاة في قراءة العامة كأنه قيل فلا يؤتون الناس نقيرا إذا (أم يحسدون
الناس) بل أيحسدون رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين على إنكار الحسد واستقباحه وكانوا يحسدونهم
على ما آتاهم الله من النصرة والغلبة وازدياد العز والتقدم كل يوم (فقد آتينا) إلزام لهم بما عرفوه من إيتاء
الله الكتاب والحكمة (آل إبراهيم) الذين هم أسلاف محمد صلى الله عليه وسلم وأنه ليس ببدع أن يؤتيه
الله مثل ما آتى أسلافه وعن ابن عباس الملك في آل إبراهيم ملك يوسف وداود وسليمان وقيل استكثروا
نساءه فقيل لهم كيف استكثرتم له التسع وقد كان لداود مائة ولسليمان ثلثمائة مهيرة وسبعمائة سرية
(فمنهم) فمن اليهود (من آمن به) أي بما ذكر من حديث آل إبراهيم (ومنهم من صد عنه) وأنكره مع
علمه بصحته أو من اليهود من آمن برسول الله صلى الله عليه وسلم ومنهم من أنكر نبوته أو من آل إبراهيم
من آمن بإبراهيم ومنهم من كفر كقوله فمنهم مهتد وكثير منهم فاسقون (بدلناهم جلودا غيرها) أبدلناهم
إياها (فإن قلت) كيف تعذب مكان الجلود العاصية جلود لم تعص (قلت) العذاب للجملة الحساسة
وهي التي عصت لا الجلد وعن فضيل يجعل النضيج غير نضيج وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم تبدل جلودهم
كل يوم سبع مرات وعن الحسن سبعين مرة يبدلون جلودا بيضا كالقراطيس (ليذوقوا العذاب)
ليدوم لهم ذوقه ولا ينقطع كقولك للعزيز أعزك الله أي أدامك على عزك وزادك فيه (عزيزا) لا يمتنع عليه
شيء مما يريده بالمجرمين (حكيما) لا يعذب إلا بعدل من يستحقه (ظليلا) صفة مشتقة من لفظ الظل لتأكيده
معناه كما يقال ليل أليل ويوم أيوم وما أشبه ذلك وهو ما كان فينانا لا جوب فيه ودائما لا تنسخه الشمس
وسجسجا لا حر فيه ولا برد وليس ذلك إلا ظل الجنة رزقنا الله بتوفيقه لما يزلف إليه التفيؤ تحت ذلك الظل *
وفي قراءة عبد الله سيدخلهم بالياء (أن تؤدوا الأمانات) الخطاب عام لكل أحد في كل أمانة وقيل نزلت في
عثمان بن طلحة بن عبد الدار وكان سادن الكعبة وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين دخل مكة يوم
الفتح أغلق عثمان باب الكعبة وصعد السطح وأبى أن يدفع المفتاح إليه وقال لو علمت أنه رسول الله لم أمنعه
فلوى علي بن أبي طالب رضي الله عنه يده وأخذه منه وفتح ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلى ركعتين
فلما خرج سأله العباس أن يعطيه المفتاح ويجمع له السقاية والسدانة فنزلت فأمر عليا أن يرده إلى عثمان
ويعتذر إليه فقال عثمان لعلي أكرهت وآذيت ثم جئت ترفق فقال لقد أنزل الله في شأنك قرآنا وقرأ عليه
الآية فقال عثمان أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله فهبط جبريل وأخبر رسول الله صلى الله
عليه وسلم أن السدانة في أولاد عثمان أبدا وقيل هو خطاب للولاة بأداء الأمانات والحكم بالعدل وقرئ
الأمانة على التوحيد (نعما يعظكم به) ما إما أن تكون منصوبة موصوفة بيعظكم به وإما أن تكون مرفوعة
موصولة به كأنه قيل نعم شيأ يعظكم به أو نعم الشيء الذي يعظكم به والمخصوص بالمدح محذوف أي نعما يعظكم

بالجبت والطاغوت
ويقولون للذين كفروا
هؤلاء أهدى من الذين
آمنوا سبيلا أولئك
الذين لعنهم الله ومن
يلعن الله فلن تجد له
نصيرا أم لهم نصيب
من الملك فإذا لا يؤتون
الناس نقيرا أم يحسدون
الناس على ما آتاهم الله
من فضله فقد آتينا آل
إبراهيم الكتاب
والحكمة وآتيناهم
ملكا عظيما فمنهم من
آمن به ومنهم من صد
عنه وكفى بجهنم سعيرا
إن الذين كفروا بآياتنا
سوف نصليهم نارا كلما
نضجت جلودهم
بدلناهم جلودا غيرها
ليذوقوا العذاب إن
الله كان عزيزا حكيما
والذين آمنوا وعملوا
الصالحات سندخلهم
جنات تجري من تحتها
الأنهار خالدين فيها أبدا
لهم فيها أزواج مطهرة
وندخلهم ظلا ظليلا
إن الله يأمركم أن
تؤدوا الأمانات إلى
أهلها وإذا حكمتم بين
الناس أن تحكموا
بالعدل إن الله نعما
يعظكم به إن الله كان
سميعا بصيرا يا أيها الذين
آمنوا أطيعوا الله
وأطيعوا الرسول وأولي
الأمر منكم

بالعدل وهو المأمور به من أداء الأمانات والعدل فى الحكم وقرئ نعما بفتح النون • لما أمر الولاة بأداء
الأمانات الى أهلها وأن يحكموا بالعدل أمر الناس بأن يطيعوهم وينزلوا على قضاياهم والمراد بأولى الأمر
منكم أمراء الحق لأن أمراء الجور الله ورسوله بريئان منهم فلا يعطفون على الله ورسوله فى وجوب الطاعة
لهم وانما يجمع بين الله ورسوله والأمراء الموافقين لهما فى ايثار العدل واختيار الحق والأمر بهما والنهى
عن أضدادهما كالخلفاء الراشدين ومن تبعهم باحسان وكان الخلفاء يقولون أطيعونى ما عدلت فيكم فان
خالفت فلا طاعة لى عليكم وعن أبى حازم أن مسلمة بن عبد الملك قال له ألستم أمرتم بطاعتنا فى قوله وأولى الأمر
منكم قال أليس قد نزعت عنكم اذا خالفتم الحق بقوله فان تنازعتم فى شئ فردوه الى الله والرسول وقيل هم
أمراء السرايا وعن النبى صلى الله عليه وسلم من أطاعنى فقد أطاع الله ومن عصانى فقد عصى الله ومن يطع
أميرى فقد أطاعنى ومن يعص أميرى فقد عصانى وقيل هم العلماء الدينون الذين يعلمون الناس الدين
ويأمرونهم بالمعروف وينهونهم عن المنكر (فان تنازعتم فى شئ) فان اختلفتم أنتم وأولو الأمر منكم فى شئ
من أمور الدين • فردوه الى الله ورسوله أى ارجعوا فيه الى الكتاب والسنة وكيف تلزم طاعة أمراء الجور
وقد جنح الله الأمر بطاعة أولى الأمر بما لا يبقى معه شك وهو أن أمرهم أولا بأداء الأمانات وبالعدل
فى الحكم وأمرهم آخرا بالرجوع الى الكتاب والسنة فيما أشكل وأمراء الجور لا يؤدون أمانة ولا
يحكمون بعدل ولا يردون شيأ الى كتاب ولا الى سنة انما يتبعون شهواتهم حيث ذهبت بهم فهم
منسلخون عن صفات الذين هم أولو الأمر عند الله ورسوله وأحق أسمائهم اللصوص المتغلبة (ذلك) اشارة
الى الرد أى الرد الى الكتاب والسنة (خير) لكم وأصلح (وأحسن تأويلا) وأحسن عاقبة وقيل أحسن تأويلا
من تأويلكم أنتم • روى أن بشرا المنافق خاصم يهوديا فدعاه اليهودى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعاه
المنافق الى كعب بن الأشرف ثم انهما احتكما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقضى لليهودى فلم يرض
المنافق وقال تعال نتحاكم الى عمر بن الخطاب فقال اليهودى لعمر قضى لنا رسول الله فلم يرض بقضائه فقال
للمنافق أكذلك قال نعم فقال عمر مكانكما حتى أخرج اليكما فدخل عمر فاشتمل على سيفه ثم خرج فضرب به عنق
المنافق حتى برد ثم قال هكذا أقضى لمن لم يرض بقضاء الله ورسوله فنزلت وقال جبريل ان عمر فرق بين
الحق والباطل فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أنت الفاروق • والطاغوت كعب بن الأشرف سماه
الله طاغوتا لافراطه فى الطغيان وعداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم أو على التشبيه بالشيطان والتسمية
باسمه أو جعل اختيار التحاكم الى غير رسول الله صلى الله عليه وسلم على التحاكم اليه تحاكما الى الشيطان بدليل
قوله (وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم) • وقرئ بما أنزل وما أنزل على البناء للفاعل
• وقرأ عباس بن الفضل أن يكفروا بهن ذهابا بالطاغوت الى الجمع كقوله أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم •
وقرأ الحسن تعالوا بضم اللام على أنه حذف اللام من تعاليت تخفيفا كما قالوا ما باليت به بالة وأصلها
بالية كعافية وكما قال الكسائى فى آية ان أصلها آيية فاعلة فحذفت اللام فلما حذفت وقعت واو الجمع
بعد اللام من تعال فضمت فصارت تعالوا نحو تقدموا ومنه قول أهل مكة تعالى بكسر اللام للمرأة وفى شعر
الحمدانى • تعالى أقاسمك الهموم تعالى • والوجه فتح اللام (فكيف) يكون حالهم وكيف يصنعون يعنى
أنهم يعجزون عند ذلك فلا يصدرون أمرا ولا يوردونه (اذا أصابتهم مصيبة بما قدمت أيديهم) من
التحاكم الى غيرك واتهامهم لك فى الحكم (ثم جاؤك) حين يصابون فيعتذرون اليك (يحلفون)
ما أردنا بتحاكمنا الى غيرك (الا احسانا) لا اساءة (وتوفيقا) بين الخصمين ولم نرد مخالفة لك ولا تسخطا لحكمك
ففرج عنا بدعائك وهذا وعيد لهم على فعلهم وأنهم سيندمون عليه حين لا ينفعهم الندم ولا يغنى
عنهم الاعتذار عند حلول بأس الله وقيل جاء أولياء المنافق يطلبون بدمه وقد أهدره الله فقالوا ما أردنا
بالتحاكم الى عمر الا أن يحسن الى صاحبنا بحكومة العدل والتوفيق بينه وبين خصمه وما خطر ببالنا أنه
يحكم له بما حكم به (فأعرض عنهم) لا تعاقبهم لمصلحة فى استبقائهم ولا تزد على كفهم بالموعظة والنصيحة

فان تنازعتم فى شئ
فردوه الى الله والرسول
ان كنتم تؤمنون بالله
واليوم الآخر ذلك
خير وأحسن تأويلا
ألم تر الى الذين يزعمون
أنهم آمنوا بما أنزل اليك
وما أنزل من قبلك
يريدون أن يتحاكموا
الى الطاغوت وقد
أمروا أن يكفروا به
ويريد الشيطان أن
يضلهم ضلالا بعيدا
واذا قيل لهم تعالوا الى
ما أنزل الله والى الرسول
رأيت المنافقين يصدون
عنك صدودا فكيف
اذا أصابتهم مصيبة بما
قدمت أيديهم ثم جاؤك
يحلفون بالله ان أردنا
الا احسانا وتوفيقا
أولئك الذين يعلم الله
ما فى قلوبهم فأعرض
عنهم وعظهم

• قوله تعالى فأعرض عنهم وعظهم وقل لهم في أنفسهم قولاً بليغاً (قال محمود إن قلت بم تعلق قوله في أنفسهم الخ) قال أحمد ولكل من هذه التأويلات شاهد على الصحة أما الأول فلأن حاصله أمره بتهديدهم على وجه مبلغ صميم قلوبهم وسياق التهديد في قوله فكيف إذا أصابتهم مصيبة بما قدمت أيديهم ثم جاؤك يشهد له فإنه أخبر عما سيقع لهم على سبيل التهديد وأما الثاني فبلاغه من السياق قوله أولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم يعني ما انطوت عليه من الخبث والمكر والحيل ثم أمره بوعظهم والإعراض عن جرائمهم حتى لا تكون مؤاخذتهم بها مانعة من نصحهم ووعظهم ثم جاء قوله وقل لهم في أنفسهم قولاً بليغاً كالشرح للوعظ ولذكر أهم ما يعظهم فيه وتلك سوء صنيعهم أي علم الله ما انطوت عليه من الدغل وعلى هذا يكون المراد الوعظ وما يتعلق به وأما الثالث فيشهد له سيرته عليه الصلاة والسلام في كتم عناد المنافقين والتجافي عن افتضاحهم والستر عليهم حتى عن حذيفة رضي الله عنه صاحب سره عليه الصلاة والسلام لتخصيصه إياه بالاطلاع على أعيانهم وتسميتهم له بأسمائهم وأخباره في هذا المعنى كثيرة • قوله تعالى ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول الآية (قال محمود ولم يقل واستغفرت لهم لأنه عدل به الخ) قال أحمد وفي هذا النوع من الالتفات خصوصية وهي اشتماله على ذكر صفة مناسبة لما أضيف إليه وذلك زائد على الالتفات بذكر الأعلام الجامدة (٣٧١) والله الموفق • قوله تعالى فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم (قال معناه فوربك ولا مزيدة لتأكيد الخ) قال أحمد يشير إلى أن لا لما زيدت مع القسم وإن لم يكن المقسم به دل ذلك على أنها إنما تدخل فيه لتأكيد القسم فإذا دخلت حيث يكون المقسم عليه نفياً تعين حملها على تأكيد القسم طرداً للباب والظاهر عنده والله أعلم أنها موطئة لنفي المقسم عليه والزمخشري لم يذكر مانعاً من ذلك وحاصل ما ذكره مجيئها لغير هذا المعنى في الإثبات وذلك لا يأبى مجيئها في النفي على الوجه الآخر من التوطئة على أن في دخولها على القسم المثبت نظراً وذلك أنها لم ترد في الكتاب العزيز إلا مع القسم حيث يكون الفعل مثل لا أقسم بهذا البلد لا أقسم بيوم القيامة فلا أقسم بالخنس فلا أقسم بمواقع النجوم فلا أقسم بما تبصرون وما لا تبصرون ولم تدخل أيضاً إلا على القسم بغير الله تعالى ولذلك سر يأبى كونها في آية النساء لتأكيد القسم ويعين كونها للتوطئة وذلك أن المراد بها في جميع الآيات التي عددناها تأكيد تعظيم المقسم به إذ لا يقسم بالشيء إلا إعظاماً له فكأنه بدخولها يقول إن إعظامي لهذه الأشياء بالقسم بها كلا إعظام يعني أنها تستوجب من التعظيم فوق ذلك وهذا التأكيد إنما يؤتى به رفعاً لتوهم كون هذه الأشياء غير مستحقة للتعظيم وللإقسام بها فيزاح هذا الوهم بالتأكيد في إبراز فعل القسم مؤكداً بالنفي المذكور وقد قرر الزمخشري هذا المعنى في دخول لا عند قوله لا أقسم بيوم القيامة على وجه مجمل هذا بسطه وإيضاحه فإذا بين ذلك فهذا الوهم الذي يراد إزاحته في القسم بغير الله منتف في الإقسام بالله فلا يحتاج إلى دخول لا مؤكدة للقسم فيتعين حملها على الموطئة ولا تكاد تجدها في غير الكتاب العزيز داخلة على قسم مثبت وإنما دخولها في القسم وجوابه نفي فكثير مثل فلا وأبيك ابنة العامري • لا يدعي القوم أني أفر وكقوله ألا نادت أمامة باحتمال • لتحزنني فلا بك ما أبالي

وقل لهم في أنفسهم قولاً بليغاً وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله تواباً رحيماً فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك

عما هم عليه (وقل لهم في أنفسهم قولاً بليغاً) بالغ في وعظهم بالتخويف والإنذار (فإن قلت) بم تعلق قوله في أنفسهم (قلت) بقوله بليغاً أي قل لهم قولاً بليغاً في أنفسهم مؤثراً في قلوبهم يغتمون به اغتماماً ويستشعرون منه الخوف استشعاراً وهو التوعد بالقتل والاستئصال إن نجم منهم النفاق وأطلع قرنه وأخبرهم أن ما في نفوسهم من الدغل والنفاق معلوم عند الله وأنه لا فرق بينكم وبين المشركين وما هذه المكافة إلا لإظهاركم الإيمان وإسراركم الكفر وإضماره فإن فعلتم ما تكشفون به غطاءكم لم يبق إلا السيف أو يتعلق بقوله قل لهم أي قل لهم في معنى أنفسهم الخبيثة وقلوبهم المطوية على النفاق قولاً بليغاً وإن الله يعلم ما في قلوبكم لا يخفى عليه فلا يغني عنكم إبطانه فأصلحوا أنفسكم وطهروا قلوبكم وداووها من مرض النفاق وإلا أنزل الله بكم ما أنزل بالمجاهرين بالشرك من انتقامه وشراً من ذلك وأغلظ أو قل لهم في أنفسهم خالياً بهم ليس معهم غيرهم مساراً لهم بالنصيحة لأنها في السر أنجع وفي الإمحاض أدخل قولاً بليغاً يبلغ منهم ويؤثر فيهم (وما أرسلنا من رسول) وما أرسلنا رسولاً قط (إلا ليطاع بإذن الله) بسبب إذن الله في طاعته وبأنه أمر المبعوث إليهم بأن يطيعوه ويتبعوه لأنه مؤد عن الله فطاعته طاعة الله ومعصيته معصية الله ومن يطع الرسول فقد أطاع الله ويجوز أن يراد بتيسير الله وتوفيقه في طاعته (ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم) بالتحاكم إلى الطاغوت (جاؤك) تائبين من النفاق متنصلين عما ارتكبوا (فاستغفروا الله) من ذلك بالإخلاص وبالغوا في الاعتذار إليك من إيذائك برد قضائك حتى انتصبت شفيعاً لهم إلى الله ومستغفراً (لوجدوا الله تواباً) لعلموه تواباً أي لتاب عليهم ولم يقل واستغفرت لهم وعدل عنه إلى طريقة الالتفات تفخيماً لشأن رسول الله صلى الله عليه وسلم وتعظيماً لاستغفاره وتنبيهاً على أن شفاعة من اسمه الرسول من الله بمكان (فلا وربك) معناه فوربك كقوله تعالى فوربك لنسألنهم ولا مزيدة لتأكيد معنى القسم كما زيدت في لئلا يعلم لتأكيد وجوب العلم (لا يؤمنون) جواب القسم

(فإن قلت) هلا زعمت أنها زيدت لتظاهر لا في لا يؤمنون (قلت) يأبى ذلك استواء النفي والاثبات فيه وذلك قوله فلا أقسم بما تبصرون وما لا تبصرون انه لقول رسول كريم (فيما شجر بينهم) فيما اختلف بينهم واختلط ومنه الشجر لتداخل أغصانه (حرجا) ضيقا أي لا تضيق صدورهم من حكمك وقيل شكا لأن الشاك في ضيق من أمره حتى يلوح له اليقين (ويسلموا) وينقادوا ويذعنوا لما تأتي به من قضائك لا يعارضوه بشيء من قولك سلم الأمر لله وأسلم له وحقيقته سلم نفسه له وأسلمها اذا جعلها سالمة له خالصة و(تسليما) تأكيد للفعل بمنزلة تكريره كأنه قيل وينقادوا والحكمة انقيادا لا شبهة فيه بظاهرهم وباطنهم قيل نزلت في شأن المنافق واليهودي وقيل في شأن الزبير وحاطب بن أبي بلتعة وذلك أنهما اختصما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم في شراج من الحرة كانا يسقيان بها النخل فقال اسق يا زبير ثم أرسل الماء الى جارك فغضب حاطب وقال لأن كان ابن عمتك فتغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال اسق يا زبير ثم احبس الماء حتى يرجع الى الجدر واستوف حقك ثم أرسله الى جارك كان قد أشار على الزبير برأي فيه السعة له ولخصمه فلما أحفظ رسول الله صلى الله عليه وسلم استوعب للزبير حقه في صريح الحكم ثم خرجا فمرا على المقداد فقال لمن كان القضاء فقال الأنصاري قضى لابن عمته ولوى شدقه ففطن يهودي كان مع المقداد فقال قاتل الله هؤلاء يشهدون أنه رسول الله ثم يتهمونه في قضاء يقضي بينهم وايم الله لقد أذنبنا ذنبا مرة في حياة موسى فدعانا الى التوبة منه وقال اقتلوا أنفسكم ففعلنا فبلغ قتلانا سبعين ألفا في طاعة ربنا حتى رضي عنا فقال ثابت بن قيس بن شماس أما والله ان الله ليعلم مني الصدق لو أمرني محمد أن أقتل نفسي لقتلتها وروى أنه قال ذلك ثابت وابن مسعود وعمار بن ياسر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده ان من أمتي رجالا الايمان أثبت في قلوبهم من الجبال الرواسي وروى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال والله لو أمرنا ربنا لفعلنا والحمد لله الذي لم يفعل بنا ذلك فنزلت الآية في شأن حاطب ونزلت في شأن هؤلاء (ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم) أي لو أوجبنا عليهم مثل ما أوجبنا على بني اسرائيل من قتلهم أنفسهم أو خروجهم من ديارهم حين استتيبوا من عبادة العجل (ما فعلوه الا) ناس (قليل منهم) وهذا توبيخ عظيم والرفع على البدل من الواو في فعلوه * وقرئ الا قليلا بالنصب على أصل الاستثناء أو على الا فعلا قليلا (ما يوعظون به) من اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم وطاعته والانقياد لما يراه ويحكم به لأنه الصادق المصدوق الذي لا ينطق عن الهوى (لكان خيرا لهم) في عاجلهم وآجلهم (وأشد تثبيتا) لايمانهم وأبعد من الاضطراب فيه (واذا) جواب لسؤال مقدر كأنه قيل وماذا يكون لهم أيضا بعد التثبيت فقيل واذا لو ثبتوا (لآتيناهم) لأن اذا جواب وجزاء (من لدنا أجرا عظيما) كقوله ويؤت من لدنه أجرا عظيما في أن المراد العطاء المتفضل به من عنده وتسميته أجرا لأنه تابع للأجر لا يثبت الا بثباته (ولهديناهم) ولألطفنا بهم ووفقناهم لازدياد الخيرات * الصديقون أفاضل صحابة الأنبياء الذين تقدموا في تصديقهم كأبي بكر الصديق رضي الله عنه وصدقوا في أقوالهم وأفعالهم وهذا ترغيب للمؤمنين في الطاعة حيث وعدوا مرافقة أقرب عباد الله الى الله وأرفعهم درجات عنده (وحسن أولئك رفيقا) فيه معنى التعجب كأنه قيل وما أحسن أولئك رفيقا ولاستقلاله بمعنى التعجب قرئ وحسن بسكون السين يقول المتعجب حسن الوجه وجهك وحسن الوجه وجهك بالفتح والضم مع التسكين والرفيق كالصديق والخليط في استواء الواحد والجمع فيه ويجوز أن يكون مفردا بين به الجنس في باب التمييز وروى أن ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم كان شديد الحب لرسول الله صلى الله عليه وسلم قليل الصبر عنه فأتاه يوما وقد تغير وجهه ونحل جسمه وعرف الحزن في وجهه فسأله رسول الله صلى الله عليه وسلم عن حاله فقال يا رسول الله ما بي من وجع غير أني اذا لم أرك اشتقت اليك واستوحشت وحشة شديدة حتى ألقاك فذكرت الآخرة فخفت أن لا أراك هناك لأني عرفت أنك ترفع مع النبيين وان أدخلت الجنة كنت في منزل دون منزلك وان لم أدخل فذاك حين لا أراك أبدا فنزلت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لا يؤمن عبد حتى أكون أحب اليه من نفسه وأبويه وأهله وولده والناس أجمعين وحكى ذلك عن جماعة من الصحابة (ذلك) مبتدأ و(الفضل) صفته و(من الله) الخبر ويجوز أن يكون ذلك مبتدأ والفضل من الله خبره والمعنى أن ما أعطي المطيعون من

فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم ما فعلوه الا قليل منهم ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيرا لهم وأشد تثبيتا واذا لآتيناهم من لدنا أجرا عظيما ولهديناهم صراطا مستقيما ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا ذلك الفضل من الله

وقوله

رأى برقا فأوضع فوق بكر
فلا بك ما أسال ولا أغاما

وقوله

تخالف فلا والله تهبط تلعة
من الأرض الا أنت للذل عارف

وهو أكثر من أن يحصى فتأمل هذا الفصل فانه حقيق بالتأمل

* قوله تعالى فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم الى قوله ذلك الفضل من الله (قال محمود والمعنى ان ما أعطى المطيعون من الأجر الخ) قال أحمد عقيدة أهل السنة ان المطيع لا يستحق على الله بطاعته شيأ وانه مهما أثيب به من دخول الجنة والنجاة من النار فذلك فضل من الله لا عن استحقاق ثابت فهم يتلون هذه الآية في ديدنهم وأما القدرية فيزعمون ان المطيع يستوجب على الله ثواب الطاعة وان المقابل لطاعته من الثواب أجر مستحق كالأجرة على العمل في الشاهد ليس بفضل وانما الفضل ما يزيده العبد على حقه من أنواع الثواب وصنوف الكرامة فلما وردت هذه الآية ناطقة بان جملة ما ينال هؤلاء العباد فضل من الله اضطر الزمخشري الى ردها الى معتقده فحمل الفضل المشار اليه هو الزيادة التابعة للثواب يعني المستحق ثم اتسع في التأويل فذكر وجها آخر وهو أن يكون المشار اليه مزية هؤلاء المطيعين في طاعتهم وتميزهم بأعمالهم وجعل معنى كونه فضلا من الله انه وفقهم لاكتسابها ومكنهم من ذلك لا غير يعني وأما احداثها فبقدرهم وهذا من الطراز الأول والحق أن ذلك كله فضل من الله بكل اعتبار لان معتقد معاشر أهل (٣٧٣) السنة ان الطاعات والأعمال التي يتميز بها هؤلاء الخواص خلق الله تعالى وفعله وان قدرهم لا تأثير لها في أعمالهم بل الله عز وجل يخلق على أيديهم الطاعات ويثيبهم عليها فالطاعة اذا من فضله وثوابها من فضله فله الفضل على كل حال والمنة في الحالين وكفى بقول سيد البشر في ذلك حجة وقدوة فقد قال عليه أفضل الصلاة والسلام لا يدخل أحد منكم الجنة بعمله ولكن بفضل الله ورحمته قيل ولا أنت يا رسول الله قال ولا أنا الا أن يتغمدني الله بفضل منه ورحمة قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا اللهم احشرنا باقتفاء سنته وأدخلنا بفضلك المحض الجنة * قوله تعالى وان منكم لمن ليبطئن فان أصابتكم مصيبة قال قد أنعم الله على اذ لم أكن معهم شهيدا ولئن أصابكم فضل من الله ليقولن كأن لم تكن بينكم وبينه مودة يا ليتني كنت معهم فأفوز فوزا عظيما (قال محمود فيه المراد بالمصيبة القتل والهزيمة الخ) قال أحمد وفي هذه القراءة نكتة غريبة وهي الاعادة الى اللفظ من بعد الاعادة الى معناها وهو مستغرب أنكر بعضهم وجوده في الكتاب العزيز لما يلزم من الاجمال بعد البيان وهو خلاف قانون البلاغة فالاعادة الى لفظها ليس بممتنع عن معناها بل تناوله للمعنى مجمل مبهم فوقوعه بعد البيان عسر ومنهم من أثبته وعدد مواضعه وهذه الآية على هذه القراءة ثالث وسيأتي بيان شاف ان شاء الله تعالى

وكفى بالله عليما يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم فانفروا ثبات أو انفروا جميعا وان منكم لمن ليبطئن فان أصابتكم مصيبة قال قد أنعم الله على اذ لم أكن معهم شهيدا ولئن أصابكم فضل من الله ليقولن كأن لم تكن بينكم وبينه مودة يا ليتني كنت معهم فأفوز فوزا عظيما فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحيوة الدنيا بالآخرة ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجرا عظيما وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله

لأجر المطيع وهو صفة المنعم عليهم من الله لأنه تفضل به عليهم تبعا لثوابهم (وكفى بالله عليما) بجزاء من أطاعه أو أراد أن فضل المنعم عليهم ومزيتهم من الله لأنهم اكتسبوه بتمكينه وتوفيقه وكفى بالله عليما بعباده فهو يوفقهم على حسب أحوالهم (خذوا حذركم) الحذر والحذر بمعنى كالأثر والإثر يقال أخذ حذره اذا تيقظ واحترز من المخوف كأنه جعل الحذر آلته التي يقي بها نفسه ويعصم بها روحه والمعنى احذروا واحترزوا من العدو ولا تمكنوه من أنفسكم (فانفروا) اذا نفرتم الى العدو اما (ثبات) جماعات متفرقة سرية بعد سرية واما (جميعا) أي مجتمعين كوكبة واحدة ولا تتخاذلوا فتلقوا بأنفسكم الى التهلكة * وقرئ فانفروا بضم الفاء اللام في (لمن) للابتداء بمنزلتها في قوله ان الله لغفور وفي (ليبطئن) جواب قسم محذوف تقديره وان منكم لمن أقسم بالله ليبطئن والقسم وجوابه صلة من والضمير الراجع منها اليه ما استكن في ليبطئن والخطاب لعسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم والمبطئون منهم المنافقون لأنهم كانوا يغزون معهم نفاقا ومعنى ليبطئن ليتثاقلن وليتخلفن عن الجهاد وبطأ بمعنى أبطأ كعتم بمعنى أعتم اذا أبطأ وقرئ ليبطئن بالتخفيف يقال أبطأ على فلان وأبطأ عليه وبطؤ نحو ثقل ويقال ما أبطأ بك فيعدى بالباء ويجوز أن يكون منقولا من بطؤ نحو ثقل من ثقل فيراد ليبطئن غيره وليثبطنه عن الغزو وكان هذا ديدن المنافق عبد الله بن أبي وهو الذي ثبط الناس يوم أحد (فان أصابتكم مصيبة) من قتل أو هزيمة (فضل من الله) من فتح أو غنيمة (ليقولن) وقرئ ليقولن بضم اللام اعادة للضمير الى معنى من لأن قوله لمن ليبطئن في معنى الجماعة وقوله (كأن لم تكن بينكم وبينه مودة) اعتراض بين الفعل الذي هو ليقولن وبين مفعوله وهو (يا ليتني) والمعنى كأن لم تتقدم له معكم موادة لأن المنافقين كانوا يوادون المؤمنين ويصادقونهم في الظاهر وان كانوا يبغون لهم الغوائل في الباطن والظاهر أنه تهكم لأنهم كانوا أعدى عدو للمؤمنين وأشدهم حسدا لهم فكيف يوصفون بالمودة الا على وجه العكس تهكما بحالهم * وقرئ فأفوز بالرفع عطفا على كنت معهم لينتظم الكون معهم والفوز في معنى التمني فيكونا متمنيين جميعا ويجوز أن يكون خبر مبتدإ محذوف بمعنى فأنا أفوز في ذلك الوقت (يشرون) بمعنى يشترون ويبيعون قال ابن مفرغ

وشريت بردا ليتني * من بعد برد كنت هامه

فالذين يشترون الحيوة الدنيا بالآخرة هم المبطئون وعظوا بأن يغيروا ما بهم من النفاق ويخلصوا الايمان

* قوله تعالى ومالكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها (قال محمود يجوز أن يكون المستضعفين مجرورا الى قوله ومنصوبا الخ) قال أحمد وفيه على هذا مبالغة في الحث على خلاصهم من جهتين احداهما التخصيص بعد التعميم فانه يقتضي اضمار الناصب الذي هو اختص ولولا النصب لكان التخصيص معلوما من افراده بالذكر ولكن اكد هذا (٣٧٤) المعلوم بطريق اللزوم بأن أخرجه الى التحقق * قوله تعالى الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها (قال محمود ان قلت لم ذكر الظالم وموصوفه مؤنث الخ) قال أحمد ووقفت على نكتة في هذه الآية حسنة وهي

والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها واجعل لنا من لدنك وليا واجعل لنا من لدنك نصيرا الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت فقاتلوا أولياء الشيطان ان كيد الشيطان كان ضعيفا ألم تر الى الذين قيل لهم كفوا أيديكم وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة فلما كتب عليهم القتال اذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله أو أشد خشية وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال

بالله ورسوله ويجاهدوا في سبيل الله حق الجهاد والذين يشرون هم المؤمنون الذين يستحبون الآجلة على العاجلة ويستبدلونها بها والمعنى ان صد الذين مرضت قلوبهم وضعفت نياتهم عن القتال فليقاتل الثابتون المخلصون * ووعد المقاتل في سبيل الله ظافرا أو مظفورا به ايتاء الاجر العظيم على اجتهاده في اعزاز دين الله (والمستضعفين) فيه وجهان أن يكون مجرورا عطفا على سبيل الله أي في سبيل الله وفي خلاص المستضعفين ومنصوبا على الاختصاص يعني واختص من سبيل الله خلاص المستضعفين لأن سبيل الله عام في كل خير وخلاص المستضعفين من المسلمين من أيدي الكفار من أعظم الخير وأخصه والمستضعفون هم الذين أسلموا بمكة وصدهم المشركون عن الهجرة فبقوا بين أظهرهم مستذلين مستضعفين يلقون منهم الأذى الشديد وكانوا يدعون الله بالخلاص ويستنصرونه فيسر الله لبعضهم الخروج الى المدينة وبقي بعضهم الى الفتح حتى جعل الله لهم من لدنه خير ولي وناصر وهو محمد صلى الله عليه وسلم فتولاهم أحسن التولي ونصرهم أقوى النصر ولما خرج استعمل على أهل مكة عتاب بن أسيد فرأوا منه الولاية والنصرة كما أرادوا قال ابن عباس كان ينصر الضعيف من القوي حتى كانوا أعز بها من الظلمة (فان قلت) لم ذكر الولدان (قلت) تسجيلا بافراط ظلمهم حيث بلغ أذاهم الولدان غير المكلفين ارغاما لآبائهم وأمهاتهم ومبغضة لهم لمكانهم ولأن المستضعفين كانوا يشركون صبيانهم في دعائهم استنزالا لرحمة الله بدعاء صغارهم الذين لم يذنبوا كما فعل قوم يونس وكما وردت السنة باخراجهم في الاستسقاء وعن ابن عباس كنت أنا وأمي من المستضعفين من النساء والولدان ويجوز أن يراد بالرجال والنساء الأحرار والحرائر وبالولدان العبيد والاماء لأن العبد والأمة يقال لهما الوليد والوليدة وقيل للولدان والولائد الولدان لتغليب الذكور على الاناث كما يقال الآباء والاخوة (فان قلت) لم ذكر الظالم وموصوفه مؤنث (قلت) هو وصف للقرية الا أنه مسند الى أهلها فأعطي اعراب القرية لأنه صفتها وذكر لاسناده الى الأهل كما تقول من هذه القرية التي ظلم أهلها ولو أنث فقيل الظالمة أهلها لجاز لا لتأنيث الموصوف ولكن لأن الأهل يذكر ويؤنث (فان قلت) هل يجوز من هذه القرية الظالمين أهلها (قلت) نعم كما تقول التي ظلموا أهلها على لغة من يقول أكلوني البراغيث ومنه وأسروا النجوى الذين ظلموا * رغب الله المؤمنين ترغيبا وتشجيعا باخبارهم أنهم انما يقاتلون في سبيل الله فهو وليهم وناصرهم وأعداؤهم يقاتلون في سبيل الشيطان فلا ولي لهم الا الشيطان وكيد الشيطان للمؤمنين الى جنب كيد الله للكافرين أضعف شيء وأوهنه (كفوا أيديكم) أي كفوها عن القتال وذلك أن المسلمين كانوا مكفوفين عن مقاتلة الكفار ما داموا بمكة وكانوا يتمنون أن يؤذن لهم فيه (فلما كتب عليهم القتال) بالمدينة كع فريق منهم لا شكا في الدين ولا رغبة عنه ولكن نفورا عن الاخطار بالأرواح وخوفا من الموت (كخشية الله) من اضافة المصدر الى المفعول (فان قلت) ما محل كخشية الله من الاعراب (قلت) محلها النصب على الحال من الضمير في يخشون أي يخشون الناس مثل أهل خشية الله أي مشبهين لأهل خشية الله (أو أشد خشية) يعني أو أشد خشية من أهل خشية الله وأشد معطوف على الحال (فان قلت) لم عدلت عن الظاهر وهو كونه صفة للمصدر ولم تقدره يخشون خشية مثل خشية الله بمعنى مثل ما يخشى الله (قلت) أبى ذلك قوله أو أشد

خشية

ان كل قرية ذكرت في الكتاب العزيز والظلم اليها ينسب بطريق المجاز كقوله وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة الى قوله فكفرت بأنعم الله وقوله وكم أهلكنا من قرية بطرت معيشتها وأما هذه القرية في سورة النساء فنسب الظلم الى أهلها على الحقيقة لأن المراد بها مكة فوقرت عن نسبة الظلم اليها تشريفا لها شرفها الله تعالى * قوله تعالى يخشون الناس كخشية الله أو أشد خشية (قال محمود قوله تعالى كخشية من اضافة المصدر الخ) قال أحمد وقد مر نظير هذه الآية في الاعراب وهو قوله تعالى فاذكروا الله كذكركم آباءكم أو أشد ذكرا وقد قرر الزمخشري ثم ما ادعى له ههنا وهو الجر عطفا على الذكر وبين ثم جوازه بالتأويل الذي ذكره الزمخشري ههنا وهو الحاقه بباب جد جده وأصل هذا الاعراب لأبي الفتح وقد بينت جواز الجر عطفا على الذكر من غير احتياج الى التأويل المذكور وأجرى مثله ههنا وهو وجه

تحسين استنباطه من كتاب سيبويه فإن أصبت فمن الله وإن أخطأت فمني والله الموفق الذي ذكر سيبويه جواز قول القائل زيد أشجع الناس رجلا ثم قال سيبويه فرجل واقع على المبتدأ أولا ثم على غيره فتقول زيد أشجع رجل وهو الأصل انتهى المقصود من كلام سيبويه وإذا بنيت عليه جاز أن تقول خشي فلان أشد خشية فتنصب الخشية وأنت تريد المصدر كأنك قلت خشي فلان خشية أشد خشية فتوقع خشية الثانية على الأولى وإن نصبتها فهو كما قلت زيد أشجع رجلا إذا أوقعت رجلا على زيد وإن كنت نصبته فهو على أن الأصل أن تقول أشد خشية فجرها كما كان الأصل أن تقول زيد أشجع رجل فجره وما منع الزمخشري من النصب مع وقوعه على المصدر إلا أن مقتضى النصب في مثله خروج المنصوب عن الأول بخلاف المجرور ألا ترى أنك تقول زيد أكرم أبا فيكون زيد من الأبناء وأنت تفضل أباه وتقول زيد أكرم أب فيكون من الآباء وأنت تفضله فلو ذهبت توقع أشد على الخشية الأولى وقد نصبت تمييزها لزم خروج الثاني عن الأول وهو محال فلا تكون الخشية خشية فتحتاج إلى التأويل المذكور وهو حمل الخشية الأولى خاشية (٢٧٥) حتى تخرجها عن المصدر المميز لها وقد بينا في كلام سيبويه جواز النصب مع وقوع الثاني على الأول كما لو جررت فمثله يجوز في الآية من غير تأويل والله أعلم وقد مضت وجوه من الإعراب في آية البقرة يتعذر ههنا المنافرة المعنى والله الموفق ومثل هذه الأنواع من الإعراب منزل من العربية منزلة الخالص من حجارة القشور وربك الفتاح العليم * قوله تعالى أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة (قال محمود وقرئ يدرككم بالرفع وقيل هو على حذف الفاء الخ) قال أحمد أما الوجه الذي أطلقه سيبويه في الشعرين المذكورين ففيه نظر أما قوله ولا باعث فحقه لولا دخول الباء في خبر ليس أمر مطرد غالب والخبر وطن معروف لها فإذا قدرت فيه حيث تسقط روعي هذا المقدر في المعطوف لما ذكرناه من الغلبة التي تقتضي الحاق دخولها بالأصل الواجب الذي يستمر نطق به أو سكت عنه وأما تقدير أينما تكونوا في معنى كلام آخر يرتفع معه قوله يدرككم فذلك تقدير لم يعهد له نظير ولم يغلب هذا المقدر فيلتحق بغاية دخول الباء في الخبر فلا يلزم من مراعاة ما يقتضيه غالب الاستعمال ومعهوده مراعاة ما لم يسبق به عهد وأما البيت الآخر لزهير فالقول عن سيبويه فيه أو حمل مثله على التقديم والتأخير كقوله يا أقرع بن حابس يا أقرع * إنك إن يصرع أخوك تصرع فليس من قبيل ولا باعث والله الموفق وفي الوجه الأخير الذي أبداه الزمخشري حجة واضحة على أن القتل في المعارك والملاحم لا يتعرض على الأجل المقدر بنقص وإن كل مقتول فبأجله مات لا كما زعمه القدرية والله الموفق

لولا أخرتنا إلى أجل قريب قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى ولا تظلمون فتيلا أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة وإن تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله وإن تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك قل كل من عند الله فمال هؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا

خشية لأنه وما عطف عليه في حكم واحد ولو قلت يخشون الناس أشد خشية لم يكن إلا حالا عن ضمير الفريق ولم ينتصب انتصاب المصدر لأنك لا تقول خشي فلان أشد خشية فتنصب خشية وأنت تريد المصدر إنما تقول أشد خشية فتجرها وإذا نصبتها لم يكن أشد خشية إلا عبارة عن الفاعل حالا منه اللهم إلا أن تجعل الخشية خاشية ذات خشية على قولهم جد جده فتزعم أن معناه يخشون الناس خشية مثل خشية الله أو خشية أشد خشية من خشية الله ويجوز على هذا أن يكون محل أشد مجرورا عطفا على خشية الله تريد كخشية الله أو كخشية أشد خشية منها (لولا أخرتنا إلى أجل قريب) استزادة في مدة الكف واستمهال إلى وقت آخر كقوله لولا أخرتني إلى أجل قريب فأصدق (ولا تظلمون فتيلا) ولا تنقصون أدنى شيء من أجوركم على مشاق القتال فلا ترغبوا عنه وقرئ ولا يظلمون بالياء * وقرئ يدرككم بالرفع وقيل هو على حذف الفاء كأنه قيل فيدرككم الموت وشبه بقول القائل * من يفعل الحسنات الله يشكرها * ويجوز أن يقال حمل على ما يقع موقع أينما تكونوا وهو أينما كنتم كما حمل ولا ناعب على ما يقع موقع ليسوا مصلحين وهو ليسوا بمصلحين فرفع كما رفع زهير * يقول لا غائب مالي ولا حرم * وهو قول نحوي سيبويهي ويجوز أن يتصل بقوله ولا تظلمون فتيلا أي ولا تنقصون شيئا مما كتب من آجالكم أينما تكونوا في ملاحم حروب أو غيرها ثم ابتدأ قوله يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة والوقف على هذا الوجه على أينما تكونوا * والبروج الحصون * مشيدة مرفعة وقرئ مشيدة من شاد القصر إذا رفعه أو طلاه بالشيد وهو الجص وقرأ نعيم بن ميسرة مشيدة بكسر الياء وصفا لها بفعل فاعلها مجازا كما قالوا قصيدة شاعرة وإنما الشاعر قارضها * السيئة تقع على البلية والمعصية * والحسنة على النعمة والطاعة قال الله تعالى وبلوناهم بالحسنات والسيئات لعلهم يرجعون وقال إن الحسنات يذهبن السيئات والمعنى وإن تصبهم نعمة من خصب ورخاء نسبوها إلى الله وإن تصبهم بلية من قحط وشدة أضافوها إليك وقالوا هي من عندك وما كانت إلا بشؤمك كما حكى الله عن قوم موسى وإن تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه وعن قوم صالح قالوا اطيرنا بك وبمن معك وروي عن اليهود لعنت أنها تشاءمت برسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا منذ دخل المدينة نقصت ثمارها وغلت أسعارها فرد الله عليهم (قل كل من عند الله) يبسط الأرزاق ويقبضها على حسب المصالح (لا يكادون يفقهون حديثا) فيعلموا أن الله هو الباسط القابض

قوله تعالى وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم (٣٧٦) الشيطان إلا قليلا (قال محمود هم ناس من ضعفة المسلمين الذين لم تكن فيهم خبرة بالأحوال الخ)

قال أحمد وفي اجتماع الهمزة والباء على التعدية نظر لأنهما متعاقبتان وهو الذي اقتضى عند الزمخشري قوله في الوجه الثاني فعلوا الإذاعة ليخرجها عن الباء المعاقبة للهمزة

ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك وأرسلناك للناس رسولا وكفى بالله شهيدا من يطع الرسول فقد أطاع الله ومن تولى فما أرسلناك عليهم حفيظا ويقولون طاعة فإذا برزوا من عندك بيت طائفة منهم غير الذي تقول والله يكتب ما يبيتون فأعرض عنهم وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف

وكل ذلك صادر عن حكمة وصواب ثم قال (ما أصابك) يا إنسان خطابا عاما (من حسنة) أي من نعمة وإحسان (فمن الله) تفضلا منه وإحسانا وامتنانا وامتحانا (وما أصابك من سيئة) أي من بلية ومصيبة (فمن نفسك) لأنك السبب فيها بما اكتسبت يداك وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير وعن عائشة رضي الله عنها ما من مسلم يصيبه وصب ولا نصب حتى الشوكة يشاكها وحتى انقطاع شسع نعله إلا بذنب وما يعفو الله أكثر (وأرسلناك للناس رسولا) أي رسولا للناس جميعا لست برسول العرب وحدهم أنت رسول العرب والعجم كقوله وما أرسلناك إلا كافة للناس قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا (وكفى بالله شهيدا) على ذلك فما ينبغي لأحد أن يخرج عن طاعتك واتباعك (من يطع الرسول فقد أطاع الله) لأنه لا يأمر إلا بما أمر الله به ولا ينهى إلا عما نهى الله عنه فكانت طاعته في امتثال ما أمر به والانتهاء عما نهى عنه طاعة لله وروي أنه قال من أحبني فقد أحب الله ومن أطاعني فقد أطاع الله فقال المنافقون ألا تسمعون إلى ما يقول هذا الرجل لقد قارف الشرك وهو ينهى أن يعبد غير الله ما يريد هذا الرجل إلا أن نتخذه ربا كما اتخذت النصارى عيسى فنزلت (ومن تولى) عن الطاعة فأعرض عنه (فما أرسلناك) إلا نذيرا لا حفيظا ومهيمنا عليهم تحفظ عليهم أعمالهم وتحاسبهم عليها وتعاقبهم كقوله وما أنت عليهم بوكيل (ويقولون) إذا أمرتهم بشيء (طاعة) بالرفع أي أمرنا وشأننا طاعة ويجوز النصب بمعنى أطعناك طاعة وهذا من قول المرتسم سمعا وطاعة وسمع وطاعة ونحوه قول سيبويه وسمعنا بعض العرب الموثوق بهم يقال له كيف أصبحت فيقول حمد الله وثناء عليه كأنه قال أمري وشأني حمد الله ولو نصب حمد الله وثناء عليه كان على الفعل والرفع يدل على ثبات الطاعة واستقرارها (بيت طائفة) زورت طائفة وسوت (غير الذي تقول) خلاف ما قلت وما أمرت به أو خلاف ما قالت وما ضمنت من الطاعة لأنهم أبطنوا الرد لا القبول والعصيان لا الطاعة وإنما ينافقون بما يقولون ويظهرون والتبييت إما من البيتوتة لأنه قضاء الأمر وتدبيره بالليل يقال هذا أمر بيت بليل وإما من أبيات الشعر لأن الشاعر يدبرها ويسويها (والله يكتب ما يبيتون) يثبته في صحائف أعمالهم ويجازيهم عليه على سبيل الوعيد أو يكتبه في جملة ما يوحى إليك فيطلعك على أسرارهم فلا يحسبوا أن إبطانهم يغني عنهم (فأعرض عنهم) ولا تحدث نفسك بالانتقام منهم (وتوكل على الله) في شأنهم فإن الله يكفيك معرتهم وينتقم لك منهم إذا قوي أمر الإسلام وعز أنصاره • وقرئ بيت طائفة بالإدغام وتذكير الفعل لأن تأنيث الطائفة غير حقيقي ولأنها في معنى الفريق والفوج • تدبر الأمر تأمله والنظر في إدباره وما يؤول إليه في عاقبته ومنتهاه ثم استعمل في كل تأمل فمعنى تدبر القرآن تأمل معانيه وتبصر ما فيه (لوجدوا فيه اختلافا كثيرا) لكان الكثير منه مختلفا متناقضا قد تفاوت نظمه وبلاغته ومعانيه فكان بعضه بالغا حد الإعجاز وبعضه قاصرا عنه يمكن معارضته وبعضه إخبارا بغيب قد وافق المخبر عنه وبعضه إخبارا مخالفا للمخبر عنه وبعضه دالا على معنى صحيح عند علماء المعاني وبعضه دالا على معنى فاسد غير ملتئم فلما تجاوب كله بلاغة معجزة فائتة لقوى البلغاء وتناصر صحة معان وصدق إخبار علم أنه ليس إلا من عند قادر على ما لا يقدر عليه غيره عالم بما لا يعلمه أحد سواه (فإن قلت) أليس نحو قوله فإذا هي ثعبان مبين كأنها جان فوربك لنسألنهم أجمعين فيومئذ لا يسئل عن ذنبه إنس ولا جان من الاختلاف (قلت) ليس باختلاف عند المتدبرين • هم ناس من ضعفة المسلمين الذين لم تكن فيهم خبرة بالأحوال ولا استبطان للأمور كانوا إذا بلغهم خبر عن سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم من أمن وسلامة أو خوف وخلل (أذاعوا به) وكانت إذاعتهم مفسدة ولو ردوا ذلك الخبر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وإلى أولي الأمر منهم وهم كبراء الصحابة البصراء بالأمور أو الذين كانوا يؤمرون منهم (لعلمه) لعلم تدبير ما أخبروا به (الذين يستنبطونه) الذين يستخرجون تدبيره بفطنتهم وتجاربهم ومعرفتهم بأمور الحرب

ثم في هذه الآية تأديب لمن يحدث بكل ما يسمع وكفى به كذبا وخصوصا عن مثل السرايا والمناصبين الأعداء والمقيمين في نحو العدو وما أعظم المفسدة في لهج العامة بكل ما يسمعون من أخبارهم خير أو غيره ولقد جربنا ذلك في زماننا هذا منذ طرق العدو المخذول ومكايدها
البلاد طهرها الله من دنسه وصانها عن رجسه وعجل للمسلمين الفتح

وأنزل عليهم السكينة والنصر * عاد كلامه (قال ومعنى ولولا فضل الله عليكم ورحمته ولولا ارسال الرسل وانزال الكتب الخ) قال أحمد وفي تفسير الزمخشري هذا نظر وذلك أنه حمل الاستثناء من الجملة التي وليها بناء على ظاهر الاعراب وأغفل المعنى وذلك أنه يلزم على ذلك جواز أن ينتقل الانسان من الكفر إلى الايمان ومن اتباع الشيطان إلى عصيانه وخزيه وليس لله عليه في ذلك فضل ومعاذ الله أن يعتقد ذلك وبيان لزومه ان لولا حرف امتناع لوجود وقد أبانت امتناع اتباع المؤمنين للشيطان فاذا جعلت الاستثناء من الجملة الاخيرة فقد سلبت تأثير فضل الله في امتناع الاتباع عن البعض المستثنى ضرورة وجعلت هؤلاء المستثنين مستبدين بالايمان وعصيان الشيطان الداعي إلى الكفر بأنفسهم لا بفضل الله ألا ترى إذ قلت لمن تذكره بحقك عليه لولا مساعدتي لك لسلبت أموالك الا قليلا كيف لم تجعل لمساعدتك أثرا في بقاء القليل للمخاطب وانما منت عليه بتأثيرها في بقاء أكثر ماله لا في كله ومن المحال أن يعتقد موحد مسلم أنه عصم في شيء من الأشياء من اتباع الشيطان الا بفضل الله تعالى عليه وأما قواعد أهل السنة فواضح أن

أذاعوا به ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان الا قليلا فقاتل في سبيل الله لا تكلف الا نفسك وحرض المؤمنين عسى الله أن يكف بأس الذين كفروا والله أشد بأسا وأشد تنكيلا من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها ومن يشفع شفاعة سيئة يكن له كفل منها وكان الله على كل شيء

ومكايدها وقيل كانوا يقفون من رسول الله صلى الله عليه وسلم وأولي الامر على أمن ووثوق بالظهور على بعض الاعداء أو على خوف واستشعار فيذيعونه فينتشر فيبلغ الاعداء فتعود اذاعتهم مفسدة ولو ردوه إلى الرسول والى أولي الامر وفوضوه اليهم وكانوا كأن لم يسمعوا لعلم الذين يستنبطون تدبيره كيف يدبرونه وما يأتون ويذرون فيه وقيل كانوا يسمعون من أفواه المنافقين شيئا من الخبر عن السرايا مظنونا غير معلوم الصحة فيذيعونه فيعود ذلك وبالا على المؤمنين ولو ردوه إلى الرسول والى أولي الامر وقالوا نسكت حتى نسمعه منهم ونعلم هل هو مما يذاع أو لا يذاع لعلمه الذين يستنبطونه منهم لعلم صحته وهل هو مما يذاع أو لا يذاع هؤلاء المذيعون وهم الذين يستنبطونه من الرسول وأولي الامر أي يتلقونه منهم ويستخرجون علمه من جهتهم يقال أذاع السر وأذاع به قال

أذاع به في الناس حتى كأنه * بعلياء نار أوقدت بثقوب

ويجوز أن يكون المعنى فعلوا به الاذاعة وهو أبلغ من أذاعوه * وقرئ لعلمه باسكان اللام كقوله

فان أهجه يضجر كما ضجر بازل * من الادم دبرت صفحتاه وغاربه

والنبط الماء يخرج من البئر أول ما تحفر واستنباطه اخراجه واستخراجه فاستعير لما يستخرجه الرجل بفضل ذهنه من المعاني والتدابير فيما يعضل ويهم (ولولا فضل الله عليكم ورحمته) وهو ارسال الرسول وانزال الكتاب والتوفيق (لاتبعتم الشيطان) لبقيتم على الكفر (الا قليلا) منكم أو الا اتباعا قليلا لما ذكر في الآي قبله تثبيطهم عن القتال واظهارهم الطاعة واضمارهم خلافها قال (فقاتل في سبيل الله) ان أفردوك وتركوك وحدك (لا تكلف الا نفسك) غير نفسك وحدها أن تقدمها إلى الجهاد فان الله هو ناصرك لا الجنود فان شاء نصرك وحدك كما ينصرك وحولك الالوف وقيل دعا الناس في بدر الصغرى إلى الخروج وكان أبو سفيان واعد رسول الله صلى الله عليه وسلم اللقاء فيها فكره بعض الناس أن يخرجوا فنزلت فخرج وما معه الا سبعون لم يلو على أحد ولو لم يتبعه أحد لخرج وحده وقرئ لا تكلف بالجزم على النهي ولا نكلف بالنون وكسر اللام أي لا نكلف نحن الا نفسك وحدها (وحرض المؤمنين) وما عليك في شأنهم الا التحريض فحسب لا التعنيف بهم (عسى الله أن يكف بأس الذين كفروا) وهم قريش وقد كف بأسهم فقد بدا لابي سفيان وقال هذا عام مجدب وما كان معهم زاد الا السويق ولا يلقون الا في عام مخصب فرجع بهم (والله أشد بأسا) من قريش (وأشد تنكيلا) تعذيبا * الشفاعة الحسنة هي التي روعي بها حق مسلم ودفع بها عنه شر أو جلب إليه خير وابتغي بها وجه الله ولم تؤخذ عليها رشوة وكانت في أمر جائز لا في حد من حدود الله ولا في حق من الحقوق والسيئة ما كان بخلاف ذلك وعن مسروق أنه شفع شفاعة فأهدى إليه المشفوع جارية فغضب وردها وقال لو علمت ما في قلبك لما تكلمت في حاجتك ولا أتكلم فيما بقي منها وقيل الشفاعة

كل ما يعبد به العبد عاصيا الشيطان من ايمان وعمل خير مخلوق

٤٨ كشاف ل لله تعالى وواقع بقدرته ونعمة على العبد وأما المعتزلة فهم وان ظنوا أن العبد يخلق لنفسه ايمانه وطاعته الا انهم لا يخالفون في أن فضل الله منصب عليه في ذلك لانه خالق له القدرة التي بها خلق العبد ذلك على زعمهم ووفقه لارادة الخير فقد وضح لك تعذر الاستثناء من الجملة الاخيرة على تفسير الزمخشري وما أراه الا واهما فيه جريا على المألوف في الاعراب وهو عادة الاستثناء إلى ما يليه من الجمل مهملا للنظر في المعنى ومن ثم أخذ القاضي أبو بكر رضي الله عنه الاستثناء في هذه الآية إلى ما قبل الجملة الاخيرة فطنة منه وتحققا لانه امام مؤيد في نظره مسدد في فكره ثم أخذ القاضي رضي الله عنه هذه الآية وزرا في الرد على من زعم الجزم بعود الاستثناء المتعقب للجمل إلى الاخيرة خاصة مبينا أن ذلك غير واجب لا يسوغ سواه ثم يقف في عوده إلى ما تقدم خاصة

الحسنة هي الدعوة للمسلم إذ هي بمعنى الشفاعة إلى الله وعن النبي صلى الله عليه وسلم من دعا لأخيه المسلم بظهر الغيب استجيب له وقال له الملك ولك مثل ذلك فذلك النصيب والدعوة على المسلم بضد ذلك (مقيتا) شهيدا حفيظا وقيل مقتدرا وأقات على الشيء قال الزبير بن عبد المطلب

وذي ضغن نفيت السوء عنه * وكنت على إساءته مقيتا

وقال السموأل

ألي الفضل أم علي إذا حوسبت * إني على الحساب مقيت

واشتقاقه من القوت لأنه يمسك النفس ويحفظها (وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها) أن تقول وعليكم السلام ورحمة الله إذا قال السلام عليكم وأن تزيد وبركاته إذا قال ورحمة الله وروي أن رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم السلام عليك فقال وعليك السلام ورحمة الله وقال آخر السلام عليك ورحمة الله فقال وعليك السلام ورحمة الله وبركاته وقال آخر السلام عليك ورحمة الله وبركاته فقال وعليك فقال الرجل نقصتني فأين ما قال الله وتلا الآية فقال إنك لم تترك لي فضلا فرددت عليك مثله (أو ردوها) أو أجيبوها بمثلها ورد السلام ورجعه جوابه بمثله لأن المجيب يرد قول المسلم ويكرره وجواب التسليمة واجب والتخيير إنما وقع بين الزيادة وتركها وعن أبي يوسف رحمه الله من قال لآخر أقرئ فلانا السلام وجب عليه أن يفعل وعن النخعي السلام سنة والرد فريضة وعن ابن عباس الرد واجب وما من رجل يمر على قوم مسلمين فيسلم عليهم ولا يردون عليه إلا نزع عنهم روح القدس وردت عليه الملائكة ولا يرد السلام في الخطبة وقراءة القرآن جهرا ورواية الحديث وعند مذاكرة العلم والأذان والإقامة وعن أبي يوسف لا يسلم على لاعب النرد والشطرنج والمغني والقاعد لحاجته ومطير الحمام والعاري من غير عذر في حمام أو غيره وذكر الطحاوي أن المستحب رد السلام على طهارة وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه تيمم لرد السلام قالوا ويسلم الرجل إذا دخل على امرأته ولا يسلم على أجنبية ويسلم الماشي على القاعد والراكب على الماشي وراكب الفرس على راكب الحمار والصغير على الكبير والأقل على الأكثر وإذا التقيا ابتدرا وعن أبي حنيفة لا يجهر بالرد يعني الجهر الكثير وعن النبي صلى الله عليه وسلم إذا سلم عليكم أهل الكتاب فقولوا وعليكم أي وعليكم ما قلتم لأنهم كانوا يقولون السام عليكم وروي لا تبتدئ اليهودي بالسلام وإن بدأك فقل وعليك وعن الحسن يجوز أن تقول للكافر وعليك السلام ولا تقل ورحمة الله فإنها استغفار وعن الشعبي أنه قال لنصراني سلم عليه وعليك السلام ورحمة الله فقيل له في ذلك فقال أليس في رحمة الله يعيش وقد رخص بعض العلماء في أن يبدأ أهل الذمة بالسلام إذا دعت إلى ذلك حادثة تحوج إليهم وروي ذلك عن النخعي وعن أبي حنيفة لا تبدأه بسلام في كتاب ولا غيره وعن أبي يوسف لا تسلم عليهم ولا تصافحهم وإذا دخلت فقل السلام على من اتبع الهدى ولا بأس بالدعاء له بما يصلحه في دنياه (على كل شيء حسيبا) أي محاسبا على كل شيء من التحية وغيرها (الله لا إله إلا هو) إما خبر للمبتدأ وإما اعتراض والخبر (ليجمعنكم) ومعناه الله والله ليجمعنكم (إلى يوم القيامة) أي ليحشرنكم إليه والقيامة والقيام كالطلابة والطلاب وهي قيامهم من القبور أو قيامهم للحساب قال الله تعالى يوم يقوم الناس لرب العالمين (ومن أصدق من الله حديثا) لأنه عز وعلا صادق لا يجوز عليه الكذب وذلك أن الكذب مستقل بصارف عن الإقدام عليه وهو قبحه ووجه قبحه الذي هو كونه كذبا وخبرا عن الشيء بخلاف ما هو عليه فمن كذب لم يكذب إلا لأنه محتاج إلى أن يكذب ليجر منفعة أو يدفع مضرة أو هو غني عنه إلا أنه يجهل غناه أو هو جاهل بقبحه أو هو سفيه لا يفرق بين الصدق والكذب في أخباره ولا يبالي بأيهما نطق وربما كان الكذب أحلى على حنكه من الصدق وعن بعض السفهاء أنه عوتب على الكذب فقال لو غرغرت لهواتك به ما فارقته وقيل لكذاب هل صدقت قط فقال لولا أني صادق في قولي لا لقلتها فكان الحكيم الغني الذي لا يجوز عليه الحاجات العالم بكل معلوم منزها عنه كما هو منزه عن سائر القبائح (فئتين) نصب على الحال كقولك ما لك قائما روي أن قوما من المنافقين استأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخروج إلى البدو معتلين باجتواء المدينة فلما خرجوا لم يزالوا راحلين مرحلة مرحلة حتى

مقيتا وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها إن الله كان على كل شيء حسيبا الله لا إله إلا هو ليجمعنكم إلى يوم القيامة لا ريب فيه ومن أصدق من الله حديثا فما لكم في المنافقين فئتين

وقد يمت عند قوله تعالى فمن شرب منه فليس مني ومن لم يطعمه فإنه مني إلا من اغترف غرفة بيده أن الاستثناء في هذه الآية أيضا يتعين عوده إلى الأولى ويمتنع رده إلى الأخيرة لأن المعنى يأباه وهي من وازرة القاضي في الرد على من حتم عود الاستثناء إلى الأخيرة والله الموفق

لقوا المشركين فاختلف المسلمون فيهم فقال بعضهم هم كفار وقال بعضهم هم مسلمون وقيل كانوا قوما هاجروا من مكة ثم بدا لهم فرجعوا وكتبوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم انا على دينك وما أخرجنا الا اجتواء المدينة والاشتياق الى بلدنا وقيل هم قوم خرجوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد ثم رجعوا وقيل هم العرنيون الذين أغاروا وأخذوا السرح وقتلوا يسارا وقيل هم قوم أظهروا الاسلام وقعدوا عن الهجرة ومعناه ما لكم اختلفتم في شأن قوم نافقوا نفاقا ظاهرا وتفرقتم فيه فرقتين وما لكم لم تبتوا القول بكفرهم (والله أركسهم) أي ردهم في حكم المشركين كما كانوا (بما كسبوا) من ارتدادهم ولحوقهم بالمشركين واحتيالهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم أو أركسهم في الكفر بأن خذلهم حتى أركسوا فيه لما علم من مرض قلوبهم (أتريدون أن تهدوا) أن تجعلوا من جملة المهتدين (من أضل الله) من جعله من جملة الضلال وحكم عليه بذلك أو خذله حتى ضل • وقرئ ركسهم وركسوا فيها (فتكونون) عطف على تكفرون ولو نصب على جواب التمني لجاز والمعنى ودوا كفركم وكونكم معهم شرعا واحدا فيما هم عليه من الضلال واتباع دين الآباء • فلا تتولوهم وان آمنوا حتى يظاهروا ايمانهم بهجرة صحيحة هي لله ورسوله لا لغرض من أغراض الدنيا مستقيمة ليس بعدها بداء ولا تعرب (فان تولوا) عن الايمان الظاهر بالهجرة الصحيحة المستقيمة فحكمهم حكم سائر المشركين يقتلون حيث وجدوا في الحل والحرم وجانبوهم مجانبة كلية وان بذلوا لكم الولاية والنصرة فلا تقبلوا منهم (الا الذين يصلون) استثناء من قوله فخذوهم واقتلوهم ومعنى يصلون الى قوم ينتهون اليهم ويتصلون بهم وعن أبي عبيدة هو من الانتساب وصلت الى فلان واتصلت به اذا انتميت اليه وقيل الانتساب لا أثر له في منع القتال فقد قاتل رسول الله صلى الله عليه وسلم من معه من هو من أنسابهم • والقوم هم الأسلميون كان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد وذلك أنه وادع وقت خروجه الى مكة هلال بن عويمر الأسلمي على أن لا يعينه ولا يعين عليه على أن من وصل الى هلال ولجأ اليه فله من الجوار مثل الذي لهلال وقيل القوم بنو بكر بن زيد مناة كانوا في الصلح (أو جاؤكم) لا يخلو من أن يكون معطوفا على صفة قوم كأنه قيل الا الذين يصلون الى قوم معاهدين أو قوم ممسكين عن القتال لا لكم ولا عليكم أو على صلة الذين كأنه قيل الا الذين يتصلون بالمعاهدين أو الذين لا يقاتلونكم والوجه العطف على الصلة لقوله (فان اعتزلوكم فلم يقاتلوكم وألقوا اليكم السلم فما جعل الله لكم عليهم سبيلا) بعد قوله فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم فقرر أن كفهم عن القتال أحد سببي استحقاقهم لنفي التعرض عنهم وترك الايقاع بهم (فان قلت) كل واحد من الاتصالين له تأثير في صحة الاستثناء واستحقاق ازالة التعرض الاتصال بالمعاهدين والاتصال بالكافين لأن الاتصال بهؤلاء أو هؤلاء دخول في حكمهم فهلا جوزت أن يكون العطف على صفة قوم ويكون قوله فان اعتزلوكم تقريرا لحكم اتصالهم بالكافين واختلاطهم بهم وجريهم على سننهم (قلت) هو جائز ولكن الاول أظهر وأجرى على أسلوب الكلام وفي قراءة أبي بينكم وبينهم ميثاق جاؤكم حصرت صدورهم بغير أو ووجهه أن يكون جاؤكم بيانا ليصلون أو بدلا أو استئنافا أو صفة بعد صفة لقوم • حصرت صدورهم في موضع الحال باضمار قد والدليل عليه قراءة من قرأ حصرة صدورهم وحصرات صدورهم وحاصرات صدورهم وجعله المبرد صفة لموصوف محذوف على أو جاؤكم قوما حصرت صدورهم وقيل هو بيان لجاؤكم وهم بنو مدلج جاؤا رسول الله صلى الله عليه وسلم غير مقاتلين والحصر الضيق والانقباض (أن يقاتلوكم) عن أن يقاتلوكم أو كراهة أن يقاتلوكم (فان قلت) كيف يجوز أن يسلط الله الكفرة على المؤمنين (قلت) ما كانت مكافتهم الا لقذف الله الرعب في قلوبهم ولو شاء لمصلحة يراها من ابتلاء ونحوه لم يقذفه فكانوا متسلطين مقاتلين غير مكافين فذلك معنى التسليط • وقرئ فلقتلوكم بالتخفيف والتشديد (فان اعتزلوكم) فان لم يتعرضوا لكم (وألقوا اليكم السلم) أي الانقياد والاستسلام وقرئ بسكون اللام مع فتح السين (فما جعل الله لكم عليهم سبيلا) فما أذن لكم في أخذهم وقتلهم (ستجدون آخرين) هم قوم من بني أسد وغطفان كانوا اذا أتوا المدينة أسلموا وعاهدوا ليأمنوا المسلمين

والله أركسهم بما كسبوا أتريدون أن تهدوا من أضل الله ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء فلا تتخذوا منهم أولياء حتى يهاجروا في سبيل الله فان تولوا فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم ولا تتخذوا منهم وليا ولا نصيرا الا الذين يصلون الى قوم بينكم وبينهم ميثاق أو جاؤكم حصرت صدورهم أن يقاتلوكم أو يقاتلوا قومهم ولو شاء الله لسلطهم عليكم فلقاتلوكم فان اعتزلوكم فلم يقاتلوكم وألقوا اليكم السلم فما جعل الله لكم عليهم سبيلا ستجدون آخرين يريدون أن يأمنوكم ويأمنوا قومهم

• قوله تعالى أتريدون أن تهدوا من أضل الله (قال معناه من جعله الخ) قال أحمد هو بهذين الوجهين يفر من الحق والحقيقة أما الحق فلأن الله هو الذي خلق الضلال ان ضل اذ لا خالق الا الله وأما الحقيقة فلأنها أعني الآية اقتضت نسبة الاضلال الى فعل الله تعالى فالتحيل في تحريف الفعلية الى التسبيب عدول عن

فإذا رجعوا إلى قومهم كفروا ونكثوا عهودهم (كلما ردوا إلى الفتنة) كلما دعاهم قومهم إلى قتال المسلمين (أركسوا فيها) قلبوا فيها أقبح قلب وأشنعه وكانوا شرا فيها من كل عدو (حيث ثقفتموهم) حيث تمكنتم منهم (سلطانا مبينا) حجة واضحة لظهور عداوتهم وانكشاف حالهم في الكفر والغدر وإضرارهم بأهل الإسلام أو تسلطا ظاهرا حيث أذنا لكم في قتلهم (وما كان لمؤمن) وما صح له ولا استقام ولا لاق بحاله كقوله وما كان لنبي أن يغل وما يكون لنا أن نعود فيها (أن يقتل مؤمنا) ابتداء غير قصاص (إلا خطأ) إلا على وجه الخطأ (فإن قلت) بم انتصب خطأ (قلت) بأنه مفعول له أي ما ينبغي له أن يقتله لعلة من العلل إلا للخطأ وحده ويجوز أن يكون حالا بمعنى لا يقتله في حال من الأحوال إلا في حال الخطأ وأن يكون صفة للمصدر إلا قتلا خطأ والمعنى أن من شأن المؤمن أن ينتفي عنه وجود قتل المؤمن ابتداء البتة إلا إذا وجد منه خطأ من غير قصد بأن يرمي كافرا فيصيب مسلما أو يرمي شخصا على أنه كافر فإذا هو مسلم * وقرئ خطاء بالمد وخطا بوزن عمى بتخفيف الهمزة وروي أن عياش بن أبي ربيعة وكان أخا أبي جهل لأمه أسلم وهاجر خوفا من قومه إلى المدينة وذلك قبل هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم فأقسمت أمه لا تأكل ولا تشرب ولا يؤويها سقف حتى يرجع فخرج أبو جهل ومعه الحرث بن زيد بن أبي أنيسة فأتياه وهو في أطم ففتل منه أبو جهل في الذروة والغارب وقال أليس محمد يحثك على صلة الرحم انصرف وبر أمك وأنت على دينك حتى نزل وذهب معهما فلما فسحا عن المدينة كتفاه وجلده كل واحد منهما مائة جلدة فقال للحرث هذا أخي فمن أنت يا حارث لله علي إن وجدتك خاليا أن أقتلك وقدما به على أمه فحلفت لا يحل كتافه أو يرتد ففعل ثم هاجر بعد ذلك وأسلم الحرث وهاجر فلقيه عياش بظهر قباء ولم يشعر بإسلامه فأنحى عليه فقتله ثم أخبر بإسلامه فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قتلته ولم أشعر بإسلامه فنزلت (فتحرير رقبة) فعليه تحرير رقبة والتحرير الإعتاق والحر والعتيق الكريم لأن الكرم في الأحرار كما أن اللؤم في العبيد ومنه عتاق الخيل وعتاق الطير لكرامها وحر الوجه أكرم موضع منه وقولهم للئيم عبد وفلان عبد الفعل أي لئيم الفعل والرقبة عبارة عن النسمة كما عبر عنها بالرأس في قولهم فلان يملك كذا رأسا من الرقيق والمراد برقبة مؤمنة كل رقبة كانت على حكم الإسلام عند عامة العلماء وعن الحسن لا تجزئ إلا رقبة قد صلت وصامت ولا تجزئ الصغيرة وقاس عليه الشافعي كفارة الظهار فشرط الإيمان وقيل لما أخرج نفسا مؤمنة من جملة الأحياء لزمه أن يدخل نفسا مثلها في جملة الأحرار لأن إطلاقها من قيد الرق كإحيائها من قبل أن الرقيق ممنوع من تصرف الأحرار (مسلمة إلى أهله) مؤداة إلى ورثته يقتسمونها كما يقتسمون الميراث لا فرق بينها وبين سائر التركة في كل شيء يقضى منها الدين وتنفذ الوصية وإن لم يبق وارث فهي لبيت المال لأن المسلمين يقومون مقام الورثة كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا وارث من لا وارث له وعن عمر رضي الله عنه أنه قضى بدية المقتول فجاءت امرأته تطلب ميراثها من عقله فقال لا أعلم لك شيئا إنما الدية للعصبة الذين يعقلون عنه فقام الضحاك بن سفيان الكلابي فقال كتب إلي رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرني أن أورث امرأة أشيم الضبابي من عقل زوجها أشيم فورثها عمر وعن ابن مسعود يرث كل وارث من الدية غير القاتل وعن شريك لا يقضى من الدية دين ولا تنفذ وصية وعن ربيعة الغرة لأم الجنين وحدها وذلك خلاف قول الجماعة (فإن قلت) على من تجب الرقبة والدية (قلت) على القاتل إلا أن الرقبة في ماله والدية تتحملها عنه العاقلة فإن لم تكن له عاقلة فهي في بيت المال فإن لم يكن ففي ماله (إلا أن يصدقوا) إلا أن يتصدقوا عليه بالدية ومعناه العفو كقوله إلا أن يعفون ونحوه وأن تصدقوا خير لكم وعن النبي صلى الله عليه وسلم كل معروف صدقة وقرأ أبي إلا أن يتصدقوا (فإن قلت) بم تعلق أن يصدقوا وما محله (قلت) تعلق بعليه أو بمسلمة كأنه قيل وتجب عليه الدية أو يسلمها إلا حين يتصدقون عليه ومحلها النصب على الظرف بتقدير حذف الزمان كقولهم اجلس ما دام زيد جالسا ويجوز أن يكون حالا من أهله بمعنى إلا متصدقين (من قوم عدو لكم) من قوم كفار أهل حرب وذلك نحو رجل أسلم من قومه الكفار وهو بين أظهرهم لم يفارقهم فعلى قاتله الكفارة إذا قتله خطأ وليس على عاقلته لأهله شيء لأنهم كفار

كلما ردوا إلى الفتنة أركسوا فيها فإن لم يعتزلوكم ويلقوا إليكم السلم ويكفوا أيديهم فخذوهم واقتلوهم حيث ثقفتموهم وأولئكم جعلنا لكم عليهم سلطانا مبينا وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمنا إلا خطأ ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة مؤمنة ودية مسلمة إلى أهله إلا أن يصدقوا فإن كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة

الملحقة في تحرير وقد تأت الآيات له على هذا المعتقد فلا نعيده

محاربون

وإن كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلمة الى أهله وتحرير رقبة مؤمنة فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين توبة من الله وكان الله عليما حكيما ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابا عظيما يا أيها الذين آمنوا اذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا ولا تقولوا لمن ألقى اليكم السلام لست مؤمنا تبتغون عرض الحياة الدنيا فعند الله مغانم كثيرة كذلك كنتم من قبل فمن الله عليكم فتبينوا ان الله كان بما تعملون خبيرا لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم

محاربون وقيل كان الرجل يسلم ثم يأتي قومه وهم مشركون فيغزوهم جيش المسلمين فيقتل فيهم خطأ لأنهم يظنونه كافرا مثلهم (وان كان من قوم) كفرة لهم ذمة كالمشركين الذين عاهدوا المسلمين وأهل الذمة من الكتابيين فحكمه حكم مسلم من مسلمين (فمن لم يجد) رقبة يعني لم يملكها ولا ما يتوصل به اليها (ف) عليه (صيام شهرين متتابعين توبة من الله) قبولا من الله ورحمة منه من تاب الله عليه اذا قبل توبته يعني شرع ذلك توبة منه أو فنقلكم من الرقبة الى الصوم توبة منه * هذه الآية فيها من التهديد والايعاد والابراق والارعاد أمر عظيم وخطب غليظ ومن ثم روي عن ابن عباس ما روي من أن توبة قاتل المؤمن عمدا غير مقبولة وعن سفيان كان أهل العلم اذا سئلوا قالوا لا توبة له وذلك محمول منهم على الاقتداء بسنة الله في التغليظ والتشديد والا فكل ذنب ممحو بالتوبة وناهيك بمحو الشرك دليلا وفي الحديث لزوال الدنيا أهون على الله من قتل امرئ مسلم وفيه لو أن رجلا قتل بالمشرق وآخر رضي بالمغرب لأشرك في دمه وفيه ان هذا الانسان بنيان الله ملعون من هدم بنيانه وفيه من أعان على قتل مؤمن بشطر كلمة جاء يوم القيامة مكتوب بين عينيه آيس من رحمة الله والعجب من قوم يقرؤن هذه الآية ويرون ما فيها ويسمعون هذه الأحاديث العظيمة وقول ابن عباس بمنع التوبة ثم لا تدعهم أشعبيتهم وطماعيتهم الفارغة واتباعهم هواهم وما يخيل اليهم مناهم أن يطمعوا في العفو عن قاتل المؤمن بغير توبة أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها ثم ذكر الله سبحانه وتعالى التوبة في قتل الخطإ لما عسى يقع من نوع تفريط فيما يجب من الاحتياط والتحفظ فيه حسم للأطماع وأي حسم ولكن لا حياة لمن تنادي (فان قلت) هل فيها دليل على خلود من لم يتب من أهل الكبائر (قلت) ما أبين الدليل وهو تناول قوله ومن يقتل أي قاتل كان من مسلم أو كافر تائب أو غير تائب الا أن التائب أخرجه الدليل فمن ادعى اخراج المسلم غير التائب فليأت بدليل مثله (فتبينوا) وقرئ فتثبتوا وهما من التفعل بمعنى الاستفعال أي اطلبوا بيان الأمر وثباته ولا تتهوكوا فيه من غير روية * وقرئ السلم والسلام وهما الاستسلام وقيل الاسلام وقيل التسليم الذي هو تحية أهل الاسلام (لست مؤمنا) وقرئ مؤمنا بفتح الميم من آمنه أي لا نؤمنك وأصله أن مرداس بن نهيك رجلا من أهل فدك أسلم ولم يسلم من قومه غيره فغزتهم سرية لرسول الله صلى الله عليه وسلم كان عليها غالب بن فضالة الليثي فهربوا وبقي مرداس لثقته باسلامه فلما رأى الخيل ألجأ غنمه الى عاقول من الجبل وصعد فلما تلاحقوا وكبروا كبر ونزل وقال لا اله الا الله محمد رسول الله السلام عليكم فقتله أسامة بن زيد واستاق غنمه فأخبروا رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجد وجدا شديدا وقال قتلتموه ارادة ما معه ثم قرأ الآية على أسامة فقال يا رسول الله استغفر لي قال فكيف بلا اله الا الله قال أسامة فما زال يعيدها حتى وددت أن لم أكن أسلمت الا يومئذ ثم استغفر لي وقال أعتق رقبة (تبتغون عرض الحياة الدنيا) تطلبون الغنيمة التي هي حطام سريع النفاد فهو الذي يدعوكم الى ترك التثبت وقلة البحث عن حال من تقتلونه (فعند الله مغانم كثيرة) يغنمكموها تغنيكم عن قتل رجل يظهر الاسلام ويتعوذ به من التعرض له لتأخذوا ماله (كذلك كنتم من قبل) أول ما دخلتم في الاسلام سمعت من أفواهكم كلمة الشهادة فحصنت دماءكم وأموالكم من غير انتظار الاطلاع على مواطأة قلوبكم لألسنتكم (فمن الله عليكم) بالاستقامة والاشتهار بالايمان والتقدم وأن صرتم أعلاما فعليكم أن تفعلوا بالداخلين في الاسلام كما فعل بكم وأن تعتبروا ظاهر الاسلام في المكافأة ولا تقولوا ان تهليل هذا لاتقاء القتل لا لصدق النية فتجعلوه سلما الى استباحة دمه وماله وقد حرمهما الله وقوله (فتبينوا) تكرير للأمر بالتبين ليؤكد عليهم (ان الله كان بما تعملون خبيرا) فلا تتهافتوا في القتل وكونوا محترزين محتاطين في ذلك (غير أولي الضرر) قرئ بالحركات الثلاث فالرفع صفة للقاعدون والنصب استثناء منهم أو حال عنهم والجر صفة للمؤمنين والضرر المرض أو العاهة من عمى أو عرج أو زمانة أو نحوها وعن زيد بن ثابت كنت الى جنب رسول الله صلى الله عليه وسلم فغشيته السكينة فوقعت فخذه على فخذي حتى خشيت أن ترضها ثم سري عنه فقال اكتب فكتبت في كتف لا يستوي القاعدون من المؤمنين والمجاهدون فقال ابن أم مكتوم وكان أعمى يا رسول الله وكيف

* قوله تعالى ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابا عظيما (قال في هذه الآية من التهديد والوعيد والابراق الخ) قال أحمد وكفى بقوله تعالى في هذه السورة ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء دليلا أبلج على ان القاتل الموحد وان لم يتب في المشيئة وأمره الى الله ان شاء آخذه وان شاء غفر له وقد مر الكلام على الآية وما بالعهد من قدم وأما سبة أهل السنة

عن لا يستطيع الجهاد من المؤمنين فغشيته السكينة كذلك ثم قال اقرأ يا زيد فقرأت لا يستوي القاعدون
من المؤمنين فقال عمرو غير أولي الضرر قال زيد أنزلها الله وحدها فألحقتها والذي نفسي بيده لكأني أنظر إلى
ملحقها عند صدع في الكتف وعن ابن عباس لا يستوي القاعدون عن بدر والخارجون إليها وعن مقاتل إلى
تبوك (فإن قلت) معلوم أن القاعد بغير عذر والمجاهد لا يستويان فما فائدة نفي الاستواء (قلت) معناه
الإذكار بما بينهما من التفاوت العظيم والبون البعيد ليأنف القاعد ويترفع بنفسه عن انحطاط منزلته فيهتز
للجهاد ويرغب فيه وفي ارتفاع طبقته ونحوه هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون أريد به التحريك من
حمية الجاهل وأنفته ليهب به إلى التعلم ولينهض بنفسه عن صفة الجهل إلى شرف العلم (فضل الله المجاهدين)
جملة موضحة لما نفي من استواء القاعدين والمجاهدين كأنه قيل ما لهم لا يستوون فأجيب بذلك والمعنى على
القاعدين غير أولي الضرر لكون الجملة بيانا للجملة الأولى المتضمنة لهذا الوصف (وكلا) وكل فريق من
القاعدين والمجاهدين (وعد الله الحسنى) أي المثوبة الحسنى وهي الجنة وإن كان المجاهدون مفضلين على
القاعدين درجة وعن النبي صلى الله عليه وسلم لقد خلفتم بالمدينة أقواما ما سرتم مسيرا ولا قطعتم واديا إلا كانوا
معكم وهم الذين صحت نياتهم ونصحت جيوبهم وكانت أفئدتهم تهوي إلى الجهاد وبهم ما يمنعهم من المسير من
ضرر أو غيره (فإن قلت) قد ذكر الله تعالى مفضلين درجة ومفضلين درجات فمن هم (قلت) أما المفضلون
درجة واحدة فهم الذين فضلوا على القاعدين الأضراء وأما المفضلون درجات فالذين فضلوا على القاعدين
الذين أذن لهم في التخلف اكتفاء بغيرهم لأن الغزو فرض كفاية (فإن قلت) لم نصب درجة وأجرا ودرجات
(قلت) نصب قوله درجة لوقوعها موقع المرة من التفضيل كأنه قيل فضلهم تفضيلة واحدة ونظيره قولك
ضربه سوطا بمعنى ضربه ضربة وأما أجرا فقد انتصب بفضل لأنه في معنى أجرهم أجرا ودرجات ومغفرة ورحمة
بدل من أجرا ويجوز أن ينتصب درجات نصب درجة كما تقول ضربه أسواطا بمعنى ضربات كأنه قيل وفضله
تفضيلات ونصب أجرا عظيما على أنه حال عن النكرة التي هي درجات مقدمة عليها وانتصب مغفرة ورحمة
بإضمار فعلهما بمعنى وغفر لهم ورحمهم مغفرة ورحمة (توفاهم) يجوز أن يكون ماضيا كقراءة من قرأ توفتهم
ومضارعا بمعنى تتوفاهم كقراءة من قرأ توفاهم على مضارع وفيت بمعنى أن الله يوفي الملائكة أنفسهم
فيتوفونها أي يمكنهم من استيفائها فيستوفونها (ظالمي أنفسهم) في حال ظلمهم أنفسهم (قالوا) قال الملائكة
للمتوفين (فيم كنتم) في أي شيء كنتم من أمر دينكم وهم ناس من أهل مكة أسلموا ولم يهاجروا حين كانت
الهجرة فريضة (فإن قلت) كيف صح وقوع قوله (كنا مستضعفين في الأرض) جوابا عن قولهم فيم كنتم وكان
حق الجواب أن يقولوا كنا في كذا أو لم نكن في شيء (قلت) معنى فيم كنتم التوبيخ بأنهم لم يكونوا في شيء من
الدين حيث قدروا على المهاجرة ولم يهاجروا فقالوا كنا مستضعفين اعتذارا مما وبخوا به واعتلالا
بالاستضعاف وأنهم لم يتمكنوا من الهجرة حتى يكونوا في شيء فبكتتهم الملائكة بقولهم (ألم تكن أرض الله
واسعة فتهاجروا فيها) أرادوا أنكم كنتم قادرين على الخروج من مكة إلى بعض البلاد التي لا تمنعون فيها من
إظهار دينكم ومن الهجرة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم كما فعل المهاجرون إلى أرض الحبشة وهذا دليل
على أن الرجل إذا كان في بلد لا يتمكن فيه من إقامة أمر دينه كما يجب لبعض الأسباب والعوائق عن إقامة
الدين لا تنحصر أو علم أنه في غير بلده أقوم بحق الله وأدوم على العبادة حقت عليه المهاجرة وعن النبي صلى الله
عليه وسلم من فر بدينه من أرض إلى أرض وإن كان شبرا من الأرض استوجبت له الجنة وكان رفيق أبيه
إبراهيم ونبيه محمد عليهما الصلاة والسلام اللهم إن كنت تعلم أن هجرتي إليك لم تكن إلا للفرار بديني فاجعلها
سببا في خاتمة الخير ودرك المرجو من فضلك والمبتغى من رحمتك وصل جواري لك بعكوفي عند بيتك بجوارك
في دار كرامتك يا واسع المغفرة ثم استثنى من أهل الوعيد المستضعفين الذين لا يستطيعون حيلة في الخروج
لفقرهم وعجزهم ولا معرفة لهم بالمسالك وروي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث بهذه الآية إلى
مسلمي مكة فقال جندب بن ضمرة أو ضمرة بن جندب لبنيه احملوني فإني لست من المستضعفين وإني

فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة وكلا وعد الله الحسنى وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجرا عظيما درجات منه ومغفرة ورحمة وكان الله غفورا رحيما إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان

الى الأشعبية المذكورة لا يضرهم لأنهم اتكلوا على لطف أكرم الأكرمين وأرحم الراحمين ولم يقنطوا من رحمة الله إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الضالون ه قوله تعالى إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم إلى قوله إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم وكان الله عفوا غفورا (قال الاستثناء من المتوعدين في قوله أولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا الخ) قال أحمد قوله ن
المراهقين من الولدان يكلفون الحاقا بالصبي من دون دليل بقوله عليه الصلاة والسلام رفع القلم عن ثلاث عن الصبي حتى يحتلم لا اهتدى

لا يهتدي الطريق والله لا أبيت الليلة بمكة فحملوه على سرير متوجها إلى المدينة وكان شيخا كبيرا فمات بالتنعيم (فإن قلت) كيف أدخل الولدان في جملة المستثنين من أهل الوعيد كأنهم كانوا يستحقون الوعيد مع الرجال والنساء لو استطاعوا حيلة واهتدوا سبيلا (قلت) الرجال والنساء قد يكونون مستطيعين مهتدين وقد لا يكونون كذلك وأما الولدان فلا يكونون إلا عاجزين عن ذلك فلا يتوجه عليهم وعيد لأن سبب خروج الرجال والنساء من جملة أهل الوعيد عما هو كونهم عاجزين فإذا كان العجز متمكنا في الولدان لا ينفكون عنه كانوا خارجين من جملتهم ضرورة هذا إذا أريد بالولدان الأطفال ويجوز أن يراد المراهقون منهم الذين عقلوا ما يعقل الرجال والنساء فيلحقوا بهم في التكليف وإن أريد بهم العبيد والإماء البالغون فلا سؤال (فإن قلت) الجملة التي هي (لا يستطيعون) ما موقعها (قلت) هي صفة للمستضعفين أو للرجال والنساء والولدان وإنما جاز ذلك والجمل نكرات لأن الموصوف وإن كان فيه حرف التعريف فليس لشيء بعينه كقوله * ولقد أمر على اللئيم يسبني * (فإن قلت) لم قيل (عسى الله أن يعفو عنهم) بكلمة الإطماع (قلت) للدلالة على أن ترك الهجرة أمر مضيق لا توسعة فيه حتى إن المضطر البين الاضطرار من حقه أن يقول عسى الله أن يعفو عني فكيف بغيره (مراغما) مهاجرا وطريقا يراغم بسلوكه قومه أي يفارقهم على رغم أنوفهم والرغم الذل والهوان وأصله لصوق الأنف بالرغام وهو التراب يقال راغمت الرجل إذا فارقته وهو يكره مفارقتك لمذلة تلحقه بذلك قال النابغة الجعدي

كطود يلاذ بأركانه * عزيز المراغم والمهرب

وقرئ مرغما * وقرئ ثم يدركه الموت بالرفع على أنه خبر مبتدإ محذوف وقيل رفع الكاف منقول من الهاء كأنه أراد أن يقف عليها ثم نقل حركة الهاء إلى الكاف كقوله * من عنزي سبني لم أضربه * وقرئ يدركه بالنصب على إضمار أن كقوله * وألحق بالحجاز فأستريحا * (فقد وقع أجره على الله) فقد وجب ثوابه عليه وحقيقة الوجوب الوقوع والسقوط فإذا وجبت جنوبها وجبت الشمس سقط قرصها والمعنى فقد علم الله كيف يثيبه وذلك واجب عليه وروي في قصة جندب بن ضمرة أنه لما أدركه الموت أخذ يصفق بيمينه على شماله ثم قال اللهم هذه لك وهذه لرسولك أبايعك على ما بايعك عليه رسولك فمات حميدا فبلغ خبره أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا لو توفي بالمدينة لكان أتم أجرا وقال المشركون وهم يضحكون ما أدرك هذا ما طلب فنزلت وقالوا كل هجرة لغرض ديني من طلب علم أو حج أو جهاد أو فرار إلى بلد يزداد فيه طاعة أو قناعة وزهدا في الدنيا أو ابتغاء رزق طيب فهي هجرة إلى الله ورسوله وإن أدركه الموت في طريقه فأجره واقع على الله * الضرب في الأرض هو السفر وأدنى مدة السفر الذي يجوز فيه القصر عند أبي حنيفة مسيرة ثلاثة أيام ولياليهن سير الإبل ومشي الأقدام على القصد ولا اعتبار بإبطاء الضارب وإسراعه فلو سار مسيرة ثلاثة أيام ولياليهن في يوم قصر ولو سار مسيرة يوم في ثلاثة أيام لم يقصر وعند الشافعي أدنى مدة السفر أربعة برد مسيرة يومين وقوله (فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة) ظاهره التخيير بين القصر والإتمام وأن الإتمام أفضل وإلى التخيير ذهب الشافعي وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه أتم في السفر وعن عائشة رضي الله عنها اعتمرت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة إلى مكة حتى إذا قدمت مكة قالت يا رسول الله بأبي أنت وأمي قصرت وأتممت وصمت وأفطرت فقال أحسنت يا عائشة وما عاب علي وكان عثمان رضي الله عنه يتم ويقصر وعند أبي حنيفة رحمه الله القصر في السفر عزيمة غير رخصة لا يجوز غيره وعن عمر رضي الله عنه صلاة السفر ركعتان تمام غير قصر على لسان نبيكم وعن عائشة رضي الله عنها أول ما فرضت الصلاة فرضت ركعتين ركعتين فأقرت في السفر وزيدت في الحضر (فإن قلت) فما تصنع بقوله فليس عليكم جناح أن تقصروا (قلت) كأنهم ألفوا الإتمام فكانوا مظنة لأن يخطر ببالهم أن عليهم نقصانا في القصر فنفى عنهم الجناح لتطيب أنفسهم بالقصر ويطمئنوا إليه وقرئ تقصروا من أقصر وجاء في الحديث إقصار الخطبة بمعنى تقصيرها وقرأ الزهري تقصروا بالتشديد والقصر ثابت بنص الكتاب في حال

الأرض مراغما كثيرا وسعة ومن يخرج من بيته مهاجرا إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله وكان الله غفورا رحيما وإذا ضربتم في الأرض فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة

لجعل البلوغ مناط التكليف وهذا مذهب الجمهور ولم يعلموا خلافه وقال الزمخشري أراد المدني الهمداني والصبي وإن سموا تسميته لهم بالاسم السالف أقرب عهدهم به كما قال وآتوا اليتامى أموالهم فسماهم يتامى وإن بلغوا إذ لا تدفع أموالهم حتى يبلغوا لأنهم حديثو عهد باليتم وأمر بتعجيل دفع الأموال لهم إذا رشدوا ونقرب عهدهم باليتم حتى إنهم لذلك يعبر عنهم باليتامى ولا عليك لو ادخلوا ولو قال الزمخشري في الولدان كذلك لكان قولا سديدا والله أعلم * قوله تعالى ومن يخرج من بيته مهاجرا إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله (قال وقرئ يدركه برفع الكاف على أنه خبر مبتدإ محذوف الخ) قال أحمد توجيه لرفع

على إضمار المبتدأ فيه عطف الاسمية على الفعلية والأولى خلافه ما وجد عنه سبيل وأما الوجه الثاني من إجراء الوصل مجرى الوقف ففيه شذوذ بني على أن الأفصح في الوقف خلاف نقل الحركة وقد زاد شذوذا بإجراء الوصل مجرى الوقف فكيف وعندي وجه حسن خالص من الشذوذ وهو العطف على ما يقع موقع من شرط يكون الفعل الأول منه مرفوعا كأنه قال والذي يخرج من بيته مهاجرا ثم يدركه الموت وهو الذي ذكره الزمخشري عند قوله أينما تكونوا يدرككم الموت فيمن قرأ بالرفع وقال ثم هو وجه نحوي سيبويهي وإبرازه ههنا أقرب وأصوب منه ثمة والله أعلم * قوله وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة فلتقم طائفة منهم معك وليأخذوا أسلحتهم (قال فيه قيل المأمور بأخذ الأسلحة المصلون الخ) قال أحمد الظاهر من الخطاب بأخذ الأسلحة المصلون دون من لم يصل فإنه بعد للحرس فالظاهر الاستغناء عن (٣٨٤) أمرهم بذلك وتنبيههم عليه وهم غير متلبسين بالصلاة لأنهم لما كانوا مصلين فهم في مظنة طرح الأسلحة لأنهم لم يعتادوا حملها في الصلاة فنبهوا على أنهم لا ينبغي لهم طرح الأسلحة وإن كانوا في الصلاة لضرورة الخوف وخشية الغرة وأيضا فسياق الآية يدل على ذلك لأنه قال فلتقم طائفة منهم معك ثم عقب ذلك بقوله وليأخذوا أسلحتهم فالظاهر رجوع الضمير إليهم وحيث يعاد إلى غير المصلين يحتاج إلى تكلف في صحة العود إليهم بدلالة قوة الكلام عليهم وإن لم يذكروا * عاد كلامه (قال والمراد بقوله فليكونوا من ورائكم غير المصلين) قال أحمد والظاهر أن معنى السجود ههنا الصلاة وقد عبر عن الصلاة بالسجود كثيرا والمراد فإذا صلت الطائفة أي أتمت صلاتها فليكونوا من ورائكم وفيه دليل لمشهور مذهب مالك من أن الطائفة الأولى تتم صلاتها والإمام منتظر للطائفة الأخرى وقوله ولتأت طائفة أخرى يعني إذا أتمت الأولى صلاتها ووقفت من ورائكم فلتأت الطائفة الأخرى التي لم تصل بعد فليصلوا معك وفيه دليل بين أيضا لأحد القولين في مذهب مالك من أن الإمام ينتظر الثانية حتى تتم صلاتها ويسلم بهم لأن ظاهر المعية المطلقة يوجب ذلك إذ لو كانوا يقضون بعد سلام الإمام لم يكونوا مصلين معه على الإطلاق والله أعلم وهذه الآية منطبقة على أكثر مشهور مذهبه في تفاصيل صلاة الخوف والله الموفق للصواب * عاد كلامه (قال فإن قلت كيف جمع بين الأسلحة الخ) قال أحمد حسن هذا المجاز وبلغ به ذروة الفصاحة عطف الحقيقة عليه

الخوف خاصة وهو قوله (إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا) وساق حال الأمن فالسنة. وفي قراءة عبد الله من الصلاة أن يفتنكم ليس فيها إن خفتم على أنه مفعول له بمعنى كراهة أن يفتنكم والمراد بالفتنة القتال والتعرض بما يكره (وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة) تعلق بظاهره من لا يرى صلاة الخوف بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث شرط كونه فيهم وقال من رآها بعده إن الأئمة نواب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في كل عصر قوام بما كان يقوم به فكان الخطاب له متناولا لكل إمام يكون حاضرا الجماعة في حال الخوف عليه أن يؤمهم كما أم رسول الله صلى الله عليه وسلم الجماعات التي كان يحضرها والضمير في فيهم للخائفين (فلتقم طائفة منهم معك) فاجعلهم طائفتين فلتقم إحداهما معك فصل بهم (وليأخذوا أسلحتهم) الضمير إما للمصلين وإما لغيرهم فإن كان للمصلين فقالوا يأخذون من السلاح ما لا يشغلهم عن الصلاة كالسيف والخنجر ونحوهما وإن كان لغيرهم فلا كلام فيه (فإذا سجدوا فليكونوا) يعني غير المصلين (من ورائكم) يحرسونكم. وصفة صلاة الخوف عند أبي حنيفة أن يصلي الإمام بإحدى الطائفتين ركعة إن كانت الصلاة ركعتين والأخرى بإزاء العدو ثم تقف هذه الطائفة بإزاء العدو وتأتي الأخرى فيصلي بهم ركعة ويتم صلاته ثم تقف بإزاء العدو وتأتي الأولى فتؤدي الركعة بغير قراءة وتتم صلاتها ثم تحرس وتأتي الأخرى فتؤدي الركعة بقراءة وتتم صلاتها والسجود على ظاهره عند أبي حنيفة وعند مالك بمعنى الصلاة لأن الإمام يصلي عنده بطائفة ركعة ويقف قائما حتى تتم صلاتها وتسلم وتذهب ثم يصلي بالثانية ركعة ويقف قاعدا حتى تتم صلاتها ويسلم بهم ويعضده (ولتأت طائفة أخرى لم يصلوا فليصلوا معك) * وقرئ وأمتعاتكم (فإن قلت) كيف جمع بين الأسلحة وبين الحذر في الأخذ (قلت) جعل الحذر وهو التحرز والتيقظ آلة يستعملها الغازي فلذلك جمع بينه وبين الأسلحة في الأخذ وجعلا مأخوذين ونحوه قوله تعالى والذين تبوءوا الدار والإيمان جعل الإيمان مستقرا لهم ومتبوأ لتمكنهم فيه فلذلك جمع بينه وبين الدار في التبوء (فيميلون عليكم) فيشدون عليكم شدة واحدة ورخص لهم في وضع الأسلحة إن ثقل عليهم حملها بسبب ما يبلهم من مطر أو يضعفهم من مرض وأمرهم مع ذلك بأخذ الحذر لئلا يغفلوا فيهجم عليهم العدو (فإن قلت) كيف طابق الأمر بالحذر قوله (إن الله أعد للكافرين عذابا مهينا) (قلت) الأمر بالحذر من العدو يوهم توقع غلبته واعتزازه فنفى عنهم ذلك الإيهام بإخباره أن الله يهين عدوهم ويخذله وينصرهم عليه لتقوى قلوبهم وليعلموا أن الأمر بالحذر ليس لذلك وإنما هو تعبد من الله كما قال ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة (فإذا قضيتم

إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا إن الكافرين كانوا لكم عدوا مبينا وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة فلتقم طائفة منهم معك وليأخذوا أسلحتهم فإذا سجدوا فليكونوا من ورائكم ولتأت طائفة أخرى لم يصلوا فليصلوا معك وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم ود الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة ولا جناح عليكم إن كان بكم أذى من مطر أو كنتم مرضى أن تضعوا أسلحتكم وخذوا حذركم إن الله أعد للكافرين عذابا مهينا فإذا قضيتم

الصلاة) فإذا صليتم في حال الخوف والقتال (فاذكروا الله) فصلوها (قياما) مسايفين ومقارعين (وقعودا) جاثين على الركب مرامين (وعلى جنوبكم) مثخنين بالجراح (فإذا اطمأننتم) حين تضع الحرب أوزارها وأمنتم (فأقيموا الصلاة) فاقضوا ما صليتم في تلك الأحوال التي هي أحوال القلق والانزعاج (إن الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا) محدودا بأوقات لا يجوز إخراجها عن أوقاتها على أي حال كنتم خوف أو أمن وهذا ظاهر على مذهب الشافعي رحمه الله في إيجابه الصلاة على المحارب في حال المسايفة والمشي والاضطراب في المعركة إذا حضر وقتها فإذا اطمأن فعليه القضاء وأما عند أبي حنيفة رحمه الله فهو معذور في تركها إلى أن يطمئن وقيل معناه فإذا قضيتم صلاة الخوف فأديموا ذكر الله مهللين مكبرين مسبحين داعين بالنصرة والتأييد في كافة أحوالكم من قيام وقعود واضطجاع فإن ما أنتم فيه من خوف وحرب جدير بذكر الله ودعائه واللجأ إليه فإذا اطمأننتم فإذا أقمتم فأقيموا الصلاة فأتموها (ولا تهنوا) ولا تضعفوا ولا تتوانوا (في ابتغاء القوم) في طلب الكفار بالقتال والتعرض به لهم ثم ألزمهم الحجة بقوله (إن تكونوا تألمون) أي ليس ما تكابدون من الألم بالجرح والقتل مختصا بكم إنما هو أمر مشترك بينكم وبينهم يصيبهم كما يصيبكم ثم إنهم يصبرون عليه ويتشجعون فما لكم لا تصبرون مثل صبرهم مع أنكم أولى منهم بالصبر لأنكم (ترجون من الله ما لا يرجون) من إظهار دينكم على سائر الأديان ومن الثواب العظيم في الآخرة * وقرأ الأعرج أن تكونوا بفتح الهمزة بمعنى ولأن تكونوا تألمون * وقوله فإنهم يألمون كما تألمون تعليل وقرئ تئلمون فإنهم يئلمون كما تئلمون وروي أن هذا في بدر الصغرى كان بهم جراح فتواكلوا (وكان الله عليما حكيما) لا يكلفكم شيئا ولا يأمركم ولا ينهاكم إلا لما هو عالم به مما يصلحكم * روي أن طعمة بن أبيرق أحد بني ظفر سرق درعا من جار له اسمه قتادة بن النعمان في جراب دقيق فجعل الدقيق ينتثر من خرق فيه وخبأها عند زيد بن السمين رجل من اليهود فالتمست الدرع عند طعمة فلم توجد وحلف ما أخذها وما له بها علم فتركوه واتبعوا أثر الدقيق حتى انتهى إلى منزل اليهودي فأخذوها فقال دفعها إلي طعمة وشهد له ناس من اليهود فقالت بنو ظفر انطلقوا بنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألوه أن يجادل عن صاحبهم وقالوا إن لم تفعل هلك وافتضح وبرئ اليهودي فهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يفعل وأن يعاقب اليهودي * وقيل هم أن يقطع يده فنزلت وروي أن طعمة هرب إلى مكة وارتد ونقب حائطا بمكة ليسرق أهله فسقط الحائط عليه فقتله (بما أراك الله) بما عرفك وأوحى به إليك وعن عمر رضي الله عنه لا يقول أحدكم قضيت بما أراني الله فإن الله لم يجعل ذلك إلا لنبيه صلى الله عليه وسلم ولكن ليجتهد رأيه لأن الرأي من رسول الله صلى الله عليه وسلم كان مصيبا لأن الله كان يريه إياه وهو منا ظن وتكلف (ولا تكن للخائنين خصيما) ولا تكن لأجل الخائنين مخاصما للبرآء يعني لا تخاصم اليهود لأجل بني ظفر (واستغفر الله) مما هممت به من عقاب اليهودي (يختانون أنفسهم) يخونونها بالمعصية كقوله علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم جعلت معصية العصاة خيانة منهم لأنفسهم كما جعلت ظلما لها لأن الضرر راجع إليهم (فإن قلت) لم قيل للخائنين ويختانون أنفسهم وكان السارق طعمة وحده (قلت) لوجهين أحدهما أن بني ظفر شهدوا له بالبراءة ونصروه فكانوا شركاء له في الإثم والثاني أنه جمع ليتناول طعمة وكل من خان خيانته فلا تخاصم لخائن قط ولا تجادل عنه (فإن قلت) لم قيل (خوانا أثيما) على المبالغة (قلت) كان الله عالما من طعمة بالإفراط في الخيانة وركوب المآثم ومن كانت تلك خاتمة أمره لم يشكك في حاله وقيل إذا عثرت من رجل على سيئة فاعلم أن لها أخوات وعن عمر رضي الله عنه أنه أمر بقطع يد سارق فجاءت أمه تبكي وتقول هذه أول سرقة سرقها فاعف عنه فقال كذبت إن الله لا يؤاخذ عبده في أول مرة (يستخفون) يستترون (من الناس) حياء منهم وخوفا من ضررهم (ولا يستخفون من الله) ولا يستحيون منه (وهو معهم) وهو عالم بهم مطلع عليهم لا يخفى عليه خاف من سرهم وكفى بهذه الآية ناعية على الناس ما هم فيه من قلة الحياء والخشية من ربهم مع علمهم إن كانوا مؤمنين أنهم في حضرته لا سترة ولا غفلة ولا غيبة وليس إلا

الصلاة فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم فإذا اطمأننتم فأقيموا الصلاة إن الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا ولا تهنوا في ابتغاء القوم إن تكونوا تألمون فإنهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون وكان الله عليما حكيما إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ولا تكن للخائنين خصيما واستغفر الله إن الله كان غفورا رحيما ولا تجادل عن الذين يختانون أنفسهم إن الله لا يحب من كان خوانا أثيما يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم

إذ يبيتون ما لا يرضى من القول وكان الله بما يعملون محيطا ها أنتم هؤلاء جادلتم عنهم في الحياة الدنيا فمن يجادل الله عنهم يوم القيامة أم من يكون عليهم وكيلا ومن يعمل سوءا أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما ومن يكسب إثما فإنما يكسبه على نفسه وكان الله عليما حكيما ومن يكسب خطيئة أو إثما ثم يرم به بريئا فقد احتمل بهتانا وإثما مبينا ولولا فضل الله عليك ورحمته لهمت طائفة منهم أن يضلوك وما يضلون إلا أنفسهم وما يضرونك من شيء وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضاة الله فسوف نؤتيه أجرا عظيما ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا إن يدعون من دونه

للكشف الصريح والافتضاح (يبيتون) يدبرون ويزورون وأصله أن يكون بالليل (ما لا يرضى من القول) وهو تدبير طعمة أن يرمي بالدرع في دار زيد ليسرق دونه ويحلف ببراءته (فإن قلت) كيف سمى التدبير قولا وإنما هو معنى في النفس (قلت) لما حدث بذلك نفسه سمى قولا على المجاز ويجوز أن يراد بالقول الحلف الكاذب الذي حلف به بعد أن بيته وتوريكه الذنب على اليهودي (ها أنتم هؤلاء) ها للتنبيه في أنتم وأولاء وهما مبتدأ وخبر و (جادلتم) جملة مبينة لوقوع أولاء خبرا كما تقول لبعض الأسخياء أنت حاتم تجود بمالك وتؤثر على نفسك ويجوز أن يكون أولاء اسما موصولا بمعنى الذين وجادلتم صلته والمعنى هبوا أنكم خاصمتم عن طعمة وقومه في الدنيا فمن يخاصم عنهم في الآخرة إذا أخذهم الله بعذابه ● وقرأ عبد الله عنه أي عن طعمة (وكيلا) حافظا ومحاميا من بأس الله وانتقامه (ومن يعمل سوءا) قبيحا متعديا يسوء به غيره كما فعل طعمة بقتادة واليهودي (أو يظلم نفسه) بما يختص به كالحلف الكاذب وقيل ومن يعمل سوءا من ذنب دون الشرك أو يظلم نفسه بالشرك وهذا بعث لطعمة على الاستغفار والتوبة لتلزمه الحجة مع العلم بما يكون منه أو لقومه لما فرط منهم من نصرته والذب عنه (فإنما يكسبه على نفسه) أي لا يتعداه ضرره إلى غيره فليبق على نفسه من كسب السوء (خطيئة) صغيرة (أو إثما) أو كبيرة (ثم يرم به بريئا) كما رمى طعمة زيدا (فقد احتمل بهتانا وإثما) لأنه بكسب الإثم آثم وبرمي البريء باهت فهو جامع بين الأمرين ● وقرأ معاذ بن جبل رضي الله عنه ومن يكسب بكسر الكاف والسين المشددة وأصله يكتسب (ولولا فضل الله عليك ورحمته) أي عصمته ولطفه وما أوحى إليك من الاطلاع على سرهم (لهمت طائفة منهم) من بني ظفر (أن يضلوك) عن القضاء بالحق وتوخي طريق العدل مع علمهم بأن الجاني هو صاحبهم فقد روي أن ناسا منهم كانوا يعلمون كنه القصة (وما يضلون إلا أنفسهم) لأن وباله عليهم (وما يضرونك من شيء) لأنك إنما عملت بظاهر الحال وما كان يخطر ببالك أن الحقيقة على خلاف ذلك (وعلمك ما لم تكن تعلم) من خفيات الأمور وضمائر القلوب أو من أمور الدين والشرائع ويجوز أن يراد بالطائفة بنو ظفر ويرجع الضمير في منهم إلى الناس وقيل الآية في المنافقين (لا خير في كثير من نجواهم) من تناجي الناس (إلا من أمر بصدقة) إلا نجوى من أمر على أنه مجرور بدل من كثير كما تقول لا خير في قيامهم إلا قيام زيد ويجوز أن يكون منصوبا على الانقطاع بمعنى ولكن من أمر بصدقة ففي نجواه الخير ● وقيل المعروف القرض وقيل إغاثة الملهوف وقيل هو عام في كل جميل ويجوز أن يراد بالصدقة الواجب وبالمعروف ما يتصدق به على سبيل التطوع وعن النبي صلى الله عليه وسلم كلام ابن آدم كله عليه لا له إلا ما كان من أمر بمعروف أو نهي عن منكر أو ذكر الله وسمع سفيان رجلا يقول ما أشد هذا الحديث فقال ألم تسمع الله يقول لا خير في كثير من نجواهم فهو هذا بعينه أوما سمعته يقول والعصر إن الإنسان لفي خسر فهو هذا بعينه ● وشرط في استيجاب الأجر العظيم أن ينوي فاعل الخير عبادة الله والتقرب به إليه وأن يبتغي به وجهه خالصا لأن الأعمال بالنيات (فإن قلت) كيف قال إلا من أمر ثم قال (ومن يفعل ذلك) (قلت) قد ذكر الأمر بالخير ليدل به على فاعله لأنه إذا دخل الآمر به في زمرة الخيرين كان الفاعل فيهم أدخل ثم قال ومن يفعل ذلك فذكر الفاعل وقرن به الوعد بالأجر العظيم ويجوز أن يراد ومن يأمر بذلك فعبر عن الأمر بالفعل كما يعبر به عن سائر الأفعال ● وقرئ يؤتيه بالياء (ويتبع غير سبيل المؤمنين) وهو السبيل الذي هم عليه من الدين الحنيفي القيم وهو دليل على أن الإجماع حجة لا تجوز مخالفتها كما لا تجوز مخالفة الكتاب والسنة لأن الله عز وعلا جمع بين اتباع غير سبيل المؤمنين وبين مشاقة الرسول في الشرط وجعل جزاءه الوعيد الشديد فكان اتباعهم واجبا كموالاة الرسول عليه الصلاة والسلام (نوله ما تولى) نجعله واليا لما تولى من الضلال بأن نخذله ونخلي بينه وبين ما اختاره (ونصله جهنم) وقرئ ونصله بفتح النون من صلاه وقيل هي في طعمة وارتداده وخروجه إلى مكة (إن الله لا يغفر أن يشرك به) تكرير للتأكيد وقيل كرر لقصة طعمة ● وروي أنه مات مشركا وقيل جاء شيخ من العرب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال إني شيخ منهمك في الذنوب إلا أني لم أشرك بالله شيئا منذ عرفته وآمنت به ولم أتخذ من دونه وليا ولم أوقع المعاصي

قوله تعالى وان يدعون الا شيطانا مريدا لعنه الله وقال لأتخذن من عبادك نصيبا مفروضا ولأضلنهم ولأمنينهم الآية (قال محمود المراد الأماني الباطلة الخ) قال أحمد هو تعريض بأهل السنة الذين يعتقدون ان الموحد الكافر غير التائب أمره مرجأ الى الله تعالى والعفو عنه موكول الى مشيئته ايمانا وتصديقا بقوله في الآية المتقدمة في هذه ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء والعجب أن هذه الآية تكررت في هذه السورة مرتين على أذن الزمخشري وهو مع ذلك يتصامم عنها (٢٨٧) ويجعل العقيدة المتلقاة منها من

جراءة على الله ولا مكابرة له وما توهمت طريقة بين أبي بكر رضي الله عنهما وانى لنادم تائب مستغفر فما ترى حتى عدة الله فعلت وهذا الحديث ينصر قول من فسر من يشاء بالتائب من ذنبه (الا اناثا) هي اللات والعزى ومناة وعن الحسن لم يكن حي من أحياء العرب الا ولهم صنم يعبدونه يسمونه أنثى بني فلان وقيل كانوا يقولون في أصنامهم هن بنات الله وقيل المراد الملائكة لقولهم الملائكة بنات الله ● وقرئ أنثا جمع أنيث أو نث ووثنا وأثنا بالتخفيف والتثقيل جمع وثن كقولك أسد وأسد وأسد وقلب الواو ألفا نحو أجوه في وجوه وقرأت عائشة رضي الله عنها أوثانا (وان يدعون) وان يعبدون بعبادة الاصنام (الا شيطانا) لانه هو الذي أغراهم على عبادتها فأطاعوه فجعلت طاعتهم له عبادة و (لعنه الله وقال لأتخذن) صفتان بمعنى شيطانا مريدا جامعا بين لعنة الله وهذا القول الشنيع (نصيبا مفروضا) مقطوعا واجبا فرضته لنفسي من قولهم فرض له في العطاء وفرض الجند رزقه قال الحسن من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون الى النار (ولأمنينهم) الاماني الباطلة من طول الاعمار وبلوغ الآمال ورحمة الله للمجرمين بغير توبة والخروج من النار بعد دخولها بالشفاعة ونحو ذلك ● وتبتيكهم الآذان فعلهم بالبحائر كانوا يشقون أذن الناقة اذا ولدت خمسة أبطن وجاء الخامس ذكرا وحرموا على أنفسهم الانتفاع بها وتغييرهم خلق الله فقء عين الحامي واعفاؤه عن الركوب وقيل الخصاء وهو في قول عامة العلماء مباح في البهائم وأما في بني آدم فمحظور وعند أبي حنيفة يكره شراء الخصيان وامساكهم واستخدامهم لان الرغبة فيهم تدعو الى خصائهم وقيل فطرة الله التي هي دين الاسلام وقيل للحسن ان عكرمة يقول هو الخصاء فقال كذب عكرمة هو دين الله وعن ابن مسعود هو الوشم وعنه لعن الله الواشمات والمتنمصات والمستوشمات المغيرات خلق الله وقيل التخنث (وعد الله حقا) مصدران الاول مؤكد لنفسه والثاني مؤكد لغيره (ومن أصدق من الله قيلا) توكيد ثالث بليغ فان قلت ما فائدة هذه التوكيدات (قلت) معارضة مواعيد الشيطان الكاذبة وأمانيه الباطلة لقرنائه بوعد الله الصادق لاوليائه ترغيبا للعباد في ايثار ما يستحقون به تنجز وعد الله على ما يتجرعون في عاقبته غصص اخلاف مواعيد الشيطان (ليس) ضمير وعد الله أي ليس ينال ما وعد الله من الثواب (بأمانيكم ولا) (أماني أهل الكتاب) والخطاب للمسلمين لانه لا يتمنى وعد الله الا من آمن به وكذلك ذكر أهل الكتاب معهم لاشتراكهم لهم في الايمان بوعد الله وعن مسروق والسدي هي في المسلمين وعن الحسن ليس الايمان بالتمني ولكن ما وقر في القلب وصدقه العمل ان قوما ألهتهم أماني المغفرة حتى خرجوا من الدنيا ولا حسنة لهم وقالوا نحسن الظن بالله وكذبوا لو أحسنوا الظن بالله لأحسنوا العمل له وقيل ان المسلمين وأهل الكتاب افتخروا فقال أهل الكتاب نبينا قبل نبيكم وكتابنا قبل كتابكم وقال المسلمون نحن أولى منكم نبينا خاتم النبيين وكتابنا يقضي على الكتب التي كانت قبله فنزلت ويحتمل أن يكون الخطاب للمشركين لقولهم ان كان الامر كما يزعم هؤلاء لنكونن خيرا منهم وأحسن حالا لأوتين مالا وولدا ان لي عنده للحسنى وكان أهل الكتاب يقولون نحن أبناء الله وأحباؤه لن تمسنا النار الا أياما معدودة ويعضده تقدم ذكر أهل الشرك قبله وعن مجاهد ان الخطاب للمشركين ● قوله (من يعمل سوأ يجز به) وقوله (ومن يعمل من الصالحات) بعد ذكر تمني أهل الكتاب نحو من قوله بلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته وقوله والذين آمنوا وعملوا الصالحات عقيب قوله وقالوا لن تمسنا النار الا أياما معدودة واذا أبطل الله الاماني وأثبت أن الامر كله معقود بالعمل وأن من أصلح عمله فهو الفائز ومن أساء

الا اناثا وان يدعون الا شيطانا مريدا لعنه الله وقال لأتخذن من عبادك نصيبا مفروضا ولأضلنهم ولأمنينهم ولآمرنهم فليبتكن آذان الانعام ولآمرنهم فليغيرن خلق الله ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله فقد خسر خسرانا مبينا يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان الا غرورا أولئك مأواهم جهنم ولا يجدون عنها محيصا والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها أبدا وعد الله حقا ومن أصدق من الله قيلا ليس بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب من يعمل سوأ يجز به ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا ومن أحسن دينا ممن

جملة الاماني الشيطانية نعوذ بالله من ارسال الرسن في اتباع الهوى وكذلك يتعرض بأهل السنة في اعتقادهم صدق الوعد الصادق بالشفاعة المحمدية وعند ذلك يعدها أمنية شيطانية وما أرى من جحد الشفاعة ينالها فلا حول ولا قوة الا بالله قد مكر جهد الفاضل فلا يأمن بعده عاقل انه لا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون

* قوله تعالى ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا (قال) ان قلت كيف خص الصالحون بأنهم لا يظلمون وغيرهم مثلهم في ذلك قلت فيه وجهان أحدهما أن يكون الراجع في ولا يظلمون لعمال السوء وعمال الصالحات جميعا والثاني أن يكون (٢٨٨) ذكره عند أحد الفريقين دالا على ذكره عند الآخر لأن كلا الفريقين مجزيون بأعمالهم لا تفاوت بينهم ولان ظلم المسيء ان يزاد في عقابه وأرحم الراحمين معلوم انه لا يزيد في عقاب المجرم فكان ذكره مستغنى عنه وأما المحسن فله ثواب وتوابع للثواب من فضل الله هي في حكم الثواب فجاز أن ينقص من الفضل لانه ليس بواجب وكان نفي الظلم دلالة على انه لا يقع نقصان في الفضل أيضا كالاصل (قال) أحمد رحمه الله هذا التطويل بالسؤال والجواب على بث المعتقد الفاسد في أن الله تعالى يجب عليه أن يثيب على الطاعات وأن الثواب منقسم الى واجب ليس بفضل والى زيادة على الواجب وهي الفضل خاصة وهذا المعتقد هو الذي يصدق عليه ان الشيطان سماه للقدرية (ات) حتى زعموا ان لهم على الله واجبا تعالى الله عن ذلك ان الله لغني عن عمل يوجب عليه حقا جل الله وعز لقد نفخ الشيطان بهذه الامنية في آذان القدرية اللهم لا عمدة لنا الا فضلك فأجزل نصيبنا منه يا كريم

أسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملة ابراهيم حنيفا واتخذ الله ابراهيم خليلا ولله ما في السموات وما في الارض وكان الله بكل شيء محيطا ويستفتونك في النساء قل الله يفتيكم فيهن وما يتلى عليكم في الكتاب في يتامى النساء اللاتي

عمله هو ولك تنبيه ... من ووضع ووجب قطع الاماني وحسم المطامع والاقبال على العمل الصالح ولكنه نصح لا تعيه الآذان ولا تلقى اليه الاذهان (فان قلت) ما الفرق بين من الاولى والثانية (قلت) الاولى للتبعيض أراد ومن يعمل بعض الصالحات لان كلا لا يتمكن من عمل كل الصالحات لاختلاف الاحوال وانما يعمل منها ما هو في تكليفه وفي وسعه وكم من مكلف لا حج عليه ولا جهاد ولا زكاة وتسقط عنه الصلاة في بعض الاحوال والثانية لتبيين الابهام في ومن يعمل (فان قلت) كيف خص الصالحون بأنهم لا يظلمون وغيرهم مثلهم في ذلك (قلت) فيه وجهان أحدهما أن يكون الراجع في ولا يظلمون لعمال السوء وعمال الصالحات جميعا والثاني أن يكون ذكره عند أحد الفريقين دالا على ذكره عند الآخر لان كلا الفريقين مجزيون بأعمالهم لا تفاوت بينهم ولان ظلم المسيء أن يزاد في عقابه وأرحم الراحمين معلوم أنه لا يزيد في عقاب المجرم فكان ذكره مستغنى عنه وأما المحسن فله ثواب وتوابع للثواب من فضل الله هي في حكم الثواب فجاز أن ينقص من الفضل لانه ليس بواجب فكان نفي الظلم دلالة على أنه لا يقع نقصان في الفضل (أسلم وجهه لله) أخلص نفسه لله وجعلها سالمة له لا تعرف لها ربا ولا معبودا سواه (وهو محسن) وهو عامل للحسنات تارك للسيئات (حنيفا) حال من المتبع أو من ابراهيم كقوله بل ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين وهو الذي تحنف أي مال عن الاديان كلها الى دين الاسلام (واتخذ الله ابراهيم خليلا) مجاز عن اصطفائه واختصاصه بكرامة تشبه كرامة الخليل عند خليله والخليل المخال وهو الذي يخالك أي يوافقك في خلالك أو يسايرك في طريقك من الخل وهو الطريق في الرمل أو يسد خللك كما تسد خلله أو يداخلك خلال منزلك وحجبك (فان قلت) ما موقع هذه الجملة (قلت) هي جملة اعتراضية لا محل لها من الاعراب كنحو ما يجيء في الشعر من قولهم والحوادث جمة فائدتها تأكيد وجوب اتباع ملته لان من بلغ من الزلفى عند الله أن اتخذه خليلا كان جديرا بأن تتبع ملته وطريقته ولو جعلتها معطوفة على الجملة قبلها لم يكن لها معنى وقيل ان ابراهيم عليه السلام بعث الى خليل له بمصر في أزمة أصابت الناس يمتار منه فقال خليله لو كان ابراهيم يطلب الميرة لنفسه لفعلت ولكنه يريدها للاضياف فاجتاز غلمانه ببطحاء لينة فملؤوا منها الغرائر حياء من الناس فلما أخبروا ابراهيم عليه السلام ساءه الخبر فحملته عيناه وعمدت امرأته الى غرارة منها فأخرجت أحسن حوارى واختبزت واستنبه ابراهيم عليه السلام فاشتم رائحة الخبز فقال من أين لكم فقالت امرأته من خليلك المصري فقال بل من عند خليلي الله عز وجل فسماه الله خليلا (ولله ما في السموات وما في الارض) متصل بذكر العمال الصالحين والطالحين ومعناه أن له ملك أهل السموات والارض فطاعته واجبة عليهم (وكان الله بكل شيء محيطا) فكان عالما بأعمالهم فمجازيهم على خيرها وشرها فعليهم أن يختاروا لانفسهم ما هو أصلح لها (وما يتلى) في محل الرفع أي الله يفتيكم والمتلو (في الكتاب) في معنى اليتامى يعني قوله وان خفتم أن لا تقسطوا في اليتامى وهو من قولك أعجبني زيد وكرمه ويجوز أن يكون ما يتلى عليكم مبتدأ وفي الكتاب خبره على أنها جملة معترضة والمراد بالكتاب اللوح المحفوظ تعظيما للمتلو عليهم وأن العدل والنصفة في حقوق اليتامى من عظائم الامور المرفوعة الدرجات عند الله التي تجب مراعاتها والمحافظة عليها والمخل بها ظالم متهاون بما عظمه الله ونحوه في تعظيم القرآن وانه في أم الكتاب لدينا لعلي حكيم ويجوز أن يكون مجرورا على القسم كأنه قيل قل الله يفتيكم فيهن وأقسم بما يتلى عليكم في الكتاب والقسم أيضا لمعنى التعظيم وليس بسديد أن يعطف على المجرور في فيهن لاختلاله من حيث اللفظ والمعنى (فان قلت) بم تعلق قوله (في يتامى النساء)

(قلت) في الوجه الاول هو صلة يتلى أي يتلى عليكم في معناهن ويجوز أن يكون في يتامى النساء بدلا من فيهن
وأما في الوجهين الآخرين فبدل لا غير (فان قلت) الاضافة في يتامى النساء ما هي (قلت) اضافة بمعنى من
كقولك عندي سحق عمامة وقرئ في ييامى النساء بياءين على قلب همزة أيامى ياء (لا تؤتونهن ما كتب لهن)
وقرئ ما كتب الله لهن أي ما فرض لهن من الميراث وكان الرجل منهم يضم اليتيمة الى نفسه ومالها فان كانت
جميلة تزوجها وأكل المال وان كانت دميمة عضلها عن التزوج حتى تموت فيرثها (وترغبون أن تنكحوهن)
يحتمل في أن تنكحوهن لجمالهن وعن أن تنكحوهن لدمامتهن وروى أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان
اذا جاءه ولي اليتيمة نظر فان كانت جميلة غنية قال زوجها غيرك والتمس لها من هو خير منك وان كانت دميمة
ولا مال لها قال تزوجها فأنت أحق بها (والمستضعفين) مجرور معطوف على يتامى النساء وكانوا في الجاهلية
انما يورثون الرجال القوام بالامور دون الاطفال والنساء ويجوز أن يكون خطابا للاوصياء كقوله ولا تتبدلوا
الخبيث بالطيب (وأن تقوموا) مجرور كالمستضعفين بمعنى يفتيكم في يتامى النساء وفي المستضعفين وفي أن
تقوموا ويجوز أن يكون منصوبا بمعنى ويأمركم أن تقوموا وهو خطاب للائمة في أن ينظروا لهم ويستوفوا
لهم حقوقهم ولا يخلوا أحدا يهتضمهم (خافت من بعلها) توقعت منه ذلك لما لاح لها من مخايله وأماراته
والنشوز أن يتجافى عنها بأن يمنعها نفسه ونفقته والمودة والرحمة التي بين الرجل والمرأة وأن يؤذيها بسب
أو ضرب والاعراض أن يعرض عنها بأن يقل محادثتها ومؤانستها وذلك لبعض الاسباب من طعن في سن
أو دمامة أو شيء في خلق أو خلق أو ملال أو طموح عين الى أخرى أو غير ذلك (فلا جناح عليهما أن يصلحا
بينهما) وقرئ يصالحا ويصلحا بمعنى يتصالحا ويصطلحا ونحو أصلح اصبر في اصطبر (صلحا) في معنى مصدر كل
واحد من الافعال الثلاثة ومعنى الصلح أن يتصالحا على أن تطيب له نفسا عن القسمة أو عن بعضها كما فعلت
سودة بنت زمعة حين كرهت أن يفارقها رسول الله صلى الله عليه وسلم وعرفت مكان عائشة من قلبه
فوهبت لها يومها وكما روى أن امرأة أراد زوجها أن يطلقها لرغبته عنها وكان لها منه ولد فقالت لا تطلقني
ودعني أقوم على ولدي وتقسم لي في كل شهرين فقال ان كان هذا يصلح فهو أحب الي فأقرها أو تهب له بعض
المهر أو كله أو النفقة فان لم تفعل فليس له الا أن يمسكها باحسان أو يسرحها (والصلح خير) من الفرقة أو
من النشوز والاعراض وسوء العشرة أو هو خير من الخصومة في كل شيء أو الصلح خير من الخير كما أن
الخصومة شر من الشرور وهذه الجملة اعتراض وكذلك قوله (وأحضرت الانفس الشح) ومعنى احضار
الانفس الشح أن الشح جعل حاضرا لها لا يغيب عنها أبدا ولا تنفك عنه يعني أنها مطبوعة عليه والغرض أن
المرأة لا تكاد تسمح بقسمتها أو بغير قسمتها والرجل لا تكاد نفسه تسمح أن يقسم لها وأن يمسكها اذا رغب عنها
وأحب غيرها (وان تحسنوا) بالاقامة على نسائكم وان كرهتموهن وأحببتم غيرهن وتصبروا على ذلك
مراعاة لحق الصحبة (وتتقوا) النشوز والاعراض وما يؤدي الى الاذى والخصومة (فان الله كان بما
تعملون) من الاحسان والتقوى (خبيرا) وهو يثيبكم عليه وكان عمران بن حطان الخارجي من أدم بني آدم
وامرأته من أجملهم فأجالت في وجهه نظرها يوما ثم تابعت الحمد لله فقال مالك قالت حمدت الله على أني واياك
من أهل الجنة قال كيف قالت لانك رزقت مثلي فشكرت ورزقت مثلك فصبرت وقد وعد الله الجنة عباده
الشاكرين والصابرين (ولن تستطيعوا) ومحال أن تستطيعوا العدل (بين النساء) والتسوية حتى لا يقع ميل
البتة ولا زيادة ولا نقصان فيما يجب لهن فرفع لذلك عنكم تمام العدل وغايته وما كلفتم منه الا ما تستطيعون
بشرط أن تبذلوا فيه وسعكم وطاقتكم لان تكليف ما لا يستطاع داخل في حد الظلم وما ربك بظلام للعبيد
وقيل معناه أن تعدلوا في المحبة وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يقسم بين نسائه فيعدل ويقول هذه قسمتي
فيما أملك فلا تؤاخذني فيما تملك ولا أملك يعني المحبة لان عائشة رضي الله عنها كانت أحب اليه وقيل ان
العدل بينهن أمر صعب بالغ من الصعوبة حدا يوهم أنه غير مستطاع لانه يجب أن يسوي بينهن في القسمة
والنفقة والتعهد والنظر والاقبال والممالحة والمفاكهة والمؤانسة وغيرها مما لا يكاد الحصر يأتي من ورائه

لا تؤتونهن ما كتب
لهن وترغبون أن
تنكحوهن والمستضعفين
من الولدان وأن
تقوموا لليتامى بالقسط
وما تفعلوا من خير فان
الله كان به عليما وان
امرأة خافت من بعلها
نشوزا أو اعراضا فلا
جناح عليهما أن يصلحا
بينهما صلحا والصلح
خير وأحضرت الانفس
الشح وان تحسنوا
وتتقوا فان الله كان بما
تعملون خبيرا ولن
تستطيعوا أن تعدلوا
بين النساء ولو حرصتم

وهو كالخارج من حد الاستطاعة هذا اذا كنّ محبوبات كلهن فكيف اذا مال القلب مع بعضهن (فلا تميلوا
كل الميل) فلا تجوروا على المرغوب عنها كل الجور فتمنعوها قسمتها من غير رضى منها يعني أن اجتناب كل الميل
مما هو في حد اليسر والسعة فلا تفرطوا فيه ان وقع منكم التفريط في العدل كله وفيه ضرب من التوبيخ
(فتذروها كالمعلقة) وهي التي ليست بذات بعل ولا مطلقة قال

هل هي الا حظة أو تطليق * أو صلف أو بين ذاك تعليق

وفي قراءة أبي فتذروها كالمسجونة وفي الحديث من كانت له امرأتان يميل مع احداهما جاء يوم القيامة وأحد
شقيه مائل وروي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه بعث الى أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم بمال فقالت
عائشة رضي الله عنها أالى كل أزواج رسول الله بعث عمر مثل هذا قالوا لا بعث الى القرشيات بمثل هذا والى
غيرهن بغيره فقالت ارفع رأسك فان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعدل بيننا في القسمة بماله ونفسه
فرجع الرسول فأخبره فأتم لهن جميعا وكان لمعاذ امرأتان فاذا كان عند احداهما لم يتوضأ في بيت الاخرى
فماتتا في الطاعون فدفنهما في قبر واحد (وان تصلحوا) ما مضى من ميلكم وتتداركوه بالتوبة (وتتقوا) فيما
يستقبل غفر الله لكم * وقرئ وان يتفارقا بمعنى وان يفارق كل واحد منهما صاحبه (يغن الله كلا) يرزقه زوجا
خيرا من زوجه وعيشا أهنأ من عيشه والسعة الغنى والمقدرة والواسع الغني المقتدر (من قبلكم) متعلق
بوصينا أو بأوتوا (واياكم) عطف على الذين أوتوا الكتاب اسم للجنس يتناول الكتب السماوية (أن اتقوا)
بأن اتقوا أو تكون أن المفسرة لان التوصية في معنى القول وقوله (وان تكفروا فان لله) عطف على اتقوا
لان المعنى أمرناهم وأمرناكم بالتقوى وقلنا لهم ولكم ان تكفروا فان لله والمعنى ان لله الخلق كله وهو
خالقهم ومالكهم والمنعم عليهم بأصناف النعم كلها فحقه أن يكون مطاعا في خلقه غير معصي يتقون عقابه
ويرجون ثوابه ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من الامم السالفة ووصيناكم أن اتقوا الله يعني أنها وصية
قديمة ما زال يوصي الله بها عباده لستم بها مخصوصين لانهم بالتقوى يسعدون عنده وبها ينالون النجاة في
العاقبة وقلنا لهم ولكم وان تكفروا فان لله في سمواته وأرضه من الملائكة والثقلين من يوحده ويعبده
ويتقيه (وكان الله) مع ذلك (غنيا) عن خلقه وعن عبادتهم جميعا مستحقا لان يحمد لكثرة نعمه وان لم يحمده
أحد منهم وتكرير قوله لله ما في السموات وما في الارض تقرير لما هو موجب تقواه ليتقوه فيطيعوه ولا
يعصوه لان الخشية والتقوى أصل الخير كله (ان يشأ يذهبكم) يفنكم ويعدمكم كما أوجدكم وأنشأكم (ويأت
بآخرين) ويوجد ناسا آخرين مكانكم أو خلقا آخرين غير الانس (وكان الله على ذلك) من الاعدام والايجاد
(قديرا) بليغ القدرة لا يمتنع عليه شيء أراده وهذا غضب عليهم وتخويف وبيان لاقتداره وقيل هو خطاب
لمن كان يعادي رسول الله صلى الله عليه وسلم من العرب أي ان يشأ يمتكم ويأت بأناس آخرين يوالونه ويروى
أنها لما نزلت ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده على ظهر سلمان وقال انهم قوم هذا يريد أبناء فارس
(من كان يريد ثواب الدنيا) كالمجاهد يريد بجهاده الغنيمة (فعند الله ثواب الدنيا والآخرة) فما له يطلب أحدهما
دون الآخر والذي يطلبه أخسهما لان من جاهد لله خالصا لم تخطئه الغنيمة وله من ثواب الآخرة ما الغنيمة
الى جنبه كلا شيء والمعنى فعند الله ثواب الدنيا والآخرة له ان أراده حتى يتعلق الجزاء بالشرط (قوامين
بالقسط) مجتهدين في اقامة العدل حتى لا تجوروا (شهداء لله) تقيمون شهاداتكم لوجه الله كما أمرتم باقامتها
(ولو على أنفسكم) ولو كانت الشهادة على أنفسكم أو آبائكم وأقاربكم (فان قلت) الشهادة على الوالدين
والاقربين أن تقول أشهد أن لفلان على والدي كذا أو على أقاربي فما معنى الشهادة على نفسه (قلت) هي
الاقرار على نفسه لانه في معنى الشهادة عليها بالزام الحق لها ويجوز أن يكون المعنى وان كانت الشهادة
وبالا على أنفسكم أو على آبائكم وأقاربكم وذلك أن يشهد على من يتوقع ضرره من سلطان ظالم أو غيره (ان
يكن) ان يكن المشهود عليه (غنيا) فلا يمنع الشهادة عليه لغناه طلبا لرضاه (أو فقيرا) فلا يمنعها ترحما عليه
(فالله أولى بهما) بالغني والفقير أي بالنظر لهما وارادة مصلحتهما ولولا ان الشهادة عليهما مصلحة لهما لما
شرعها لانه أنظر لعباده من كل ناظر (فان قلت) لم ثنى الضمير في أولى بهما وكان حقه أن يوحد لان قوله ان

فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة وان تصلحوا وتتقوا فان الله كان غفورا رحيما وان يتفرقا يغن الله كلا من سعته وكان الله واسعا حكيما ولله ما في السموات وما في الارض ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم واياكم ان اتقوا الله وان تكفروا فان لله ما في السموات وما في الارض وكان الله غنيا حميدا ولله ما في السموات وما في الارض وكفى بالله وكيلا ان يشأ يذهبكم أيها الناس ويأت بآخرين وكان الله على ذلك قديرا من كان يريد ثواب الدنيا فعند الله ثواب الدنيا والآخرة وكان الله سميعا بصيرا يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والاقربين ان يكن غنيا أو فقيرا فالله أولى بهما فلا تتبعوا الهوى

* قوله تعالى إن الذين آمنوا ثم كفروا ثم آمنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفراً لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلاً (قال محمود نفي للغفران والهداية الخ) قال أحمد وليس في هذه الآية ما يخالف ظاهر القاعدة المستقرة على أن التوبة مقبولة على الإطلاق لأن آخر ما ذكر من حال هؤلاء ازدياد الكفر ولو كان المذكور في آخر أحوالهم التوبة والإيمان لاحتيج

إلى الجمع بين الآية والقاعدة إذاً وإنما يقع هذا الفصل الذي أورده الزمخشري موقعه في آية آل عمران وهو قوله تعالى إن الذين كفروا بعد إيمانهم ثم ازدادوا كفراً لن تقبل توبتهم وأولئك هم الضالون وقد ظهر الآن في الجمع بين هذه الآية والقاعدة وجه آخر سوى ما تقدم في آل عمران وهو أن يكون المراد أن يصدر منهم توبة فمن يكون قبول من باب * على لاحب لا يهتدى بمناره * وعلى هذا يكون خبر الأحكام مخبراً عنهم من سبق في علم الله أنه لا يتوب من المرتدين والله أعلم وفي قول الزمخشري إن الأكثر في التوبة المعاند الغالب من حاله أنه يموت بشر حال نظر فقد ورد في الحديث المؤمن مفتن تواب قال الهروي معناه يقارف الذنب لفتنته ثم يعقبه بالتوبة

أن تعدلوا وإن تلووا أو تعرضوا فإن الله كان بما تعملون خبيراً يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذي نزل على رسوله والكتاب الذي أنزل من قبل ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالاً بعيداً إن الذين آمنوا ثم كفروا ثم آمنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفراً لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلاً بشر المنافقين بأن لهم عذاباً أليماً الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين أيبتغون عندهم العزة

يكن غنياً أو فقيراً في معنى إن يكن أحد هذين (قلت) قد رجع الضمير إلى ما دل عليه قوله إن يكن غنياً أو فقيراً لا إلى المذكور فلذلك ثنى ولم يفرد وهو جنس الغني وجنس الفقير كأنه قيل فالله أولى بجنسي الغني والفقير أي بالأغنياء والفقراء وفي قراءة أبي فالله أولى بهم وهي شاهدة على ذلك وقرأ عبد الله إن يكن غني أو فقير على كان التامة (أن تعدلوا) يحتمل العدل والعدول كأنه قيل فلا تتبعوا الهوى كراهة أن تعدلوا بين الناس أو إرادة أن تعدلوا عن الحق (وإن تلووا أو تعرضوا) وإن تلووا ألسنتكم عن شهادة الحق أو حكومة العدل أو تعرضوا عن الشهادة بما عندكم وتمنعوها * وقرئ وإن تلوا بمعنى وإن وليتم إقامة الشهادة أو أعرضتم عن إقامتها (فإن الله كان بما تعملون خبيراً) وبمجازيكم عليه (يا أيها الذين آمنوا) خطاب للمسلمين ومعنى (آمنوا) اثبتوا على الإيمان وداوموا عليه وازدادوه (والكتاب الذي أنزل من قبل) المراد به جنس ما أنزل على الأنبياء قبله من الكتب والدليل عليه قوله وكتبه وقرئ وكتابه على إرادة الجنس وقرئ نزل وأنزل على البناء للفاعل وقيل الخطاب لأهل الكتاب لأنهم آمنوا ببعض الكتب والرسل وكفروا ببعض وروي أنه لعبد الله بن سلام وأسد وأسيد ابني كعب وثعلبة بن قيس وسلام ابن أخت عبد الله بن سلام وسلمة ابن أخيه ويامين بن يامين أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا يا رسول الله إنا نؤمن بك وبكتابك وموسى والتوراة وعزير ونكفر بما سواه من الكتب والرسل فقال عليه السلام بل آمنوا بالله ورسوله محمد وكتابه القرآن وبكل كتاب كان قبله فقالوا لا نفعل فنزلت فآمنوا كلهم وقيل هو للمنافقين كأنه قيل يا أيها الذين آمنوا نفاقاً آمنوا إخلاصاً (فإن قلت) كيف قيل لأهل الكتاب والكتاب الذي أنزل من قبل وكانوا مؤمنين بالتوراة والإنجيل (قلت) كانوا مؤمنين بهما فحسب وما كانوا مؤمنين بكل ما أنزل من الكتب فأمروا أن يؤمنوا بالجنس كله ولأن إيمانهم ببعض الكتب لا يصح إيماناً به لأن طريق الإيمان به هو المعجزة ولا اختصاص لها ببعض الكتب دون بعض فلو كان إيمانهم بما آمنوا به لأجل المعجزة لآمنوا به كله فحين آمنوا ببعضه علم أنهم لم يعتبروا المعجزة فلم يكن إيمانهم إيماناً وهذا الذي أراده عز وجل في قوله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلاً أولئك هم الكافرون حقاً (فإن قلت) لم قيل نزل على رسوله وأنزل من قبل (قلت) لأن القرآن نزل مفرقاً منجماً في عشرين سنة بخلاف الكتب قبله * ومعنى قوله (ومن يكفر بالله) الآية ومن يكفر بشيء من ذلك (فقد ضل) لأن الكفر ببعضه كفر بكله ألا ترى كيف قدم الأمر بالإيمان به جميعاً (لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلاً) نفي للغفران والهداية وهي اللطف على سبيل المبالغة التي تعطيها اللام والمراد بنفيهما نفي ما يقتضيهما وهو الإيمان الخالص الثابت والمعنى أن الذين تكرر منهم الارتداد وعهد منهم ازدياد الكفر والإصرار عليه يستبعد منهم أن يحدثوا ما يستحقون به المغفرة ويستوجبون اللطف من إيمان صحيح ثابت يرضاه الله لأن قلوب أولئك الذين هذا ديدنهم قلوب قد ضربت بالكفر ومرنت على الردة وكان الإيمان أهون شيء عندهم وأدونه حيث يبدو لهم فيه كرة بعد أخرى وليس المعنى أنهم لو أخلصوا الإيمان بعد تكرار الردة وصحت توبتهم لم يقبل منهم ولم يغفر لهم لأن ذلك مقبول حيث هو بذل للطاقة واستفراغ للوسع ولكنه استبعاد له واستغراب وأنه أمر لا يكاد يكون وهكذا ترى الفاسق الذي يتوب ثم يرجع ثم يتوب ثم يرجع لا يكاد يرجى منه الثبات والغالب أنه يموت على شر حال وأسمج صورة وقيل هم اليهود آمنوا بالتوراة وموسى ثم كفروا بالإنجيل وعيسى ثم ازدادوا كفراً بكفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم (بشر المنافقين) وضع بشر مكان أخبر تهكماً بهم و(الذين) نصب على الذم أو رفع بمعنى أريد الذين أو هم الذين وكانوا يميلون إلى الكفرة ويوالونهم

• قوله تعالى الذين يتربصون بكم فإن كان لكم فتح من الله قالوا ألم نكن معكم وإن كان للكافرين نصيب قالوا ألم نستحوذ عليكم ونمنعكم من المؤمنين (قال سمى ظفر المسلمين فتحا تعظيما لشأن المسلمين الخ) قال أحمد وهذا من محاسن نكت أسرار القرآن فإن الذي كان يتفق للمسلمين فيه استئصال شأفة الكفار واستيلاء على أرضهم وديارهم وأموالهم وأرض لم يطؤها وأما ما كان يتفق للكفار فمثل العلقة والقدرة التي لا يبلغ شأنها أن تسمى (٣٩٢) فقصد للتفريق بينهما مطابق أيضا للواقع والله أعلم • قوله تعالى يراءون الناس ولا يذكرون الله إلا قليلا (قال) لأنهم إنما يصلون رياء ما دام من يرقبهم وإذا خلوا

فإن العزة لله جميعا وقد نزل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره إنكم إذا مثلهم إن الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا الذين يتربصون بكم فإن كان لكم فتح من الله قالوا ألم نكن معكم وإن كان للكافرين نصيب قالوا ألم نستحوذ عليكم ونمنعكم من المؤمنين فالله يحكم بينكم يوم القيامة ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا إن المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى يراءون الناس ولا يذكرون الله إلا قليلا

ويقول بعضهم لبعض لا يتم أمر محمد فتولوا اليهود (فإن العزة لله جميعا) يريد لأوليائه الذين كتب لهم العز والغلبة على اليهود وغيرهم وقال ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين (أن إذا سمعتم) هي أن المخففة من الثقيلة والمعنى أنه إذا سمعتم أي نزل عليكم أن الشأن كذا والشأن ما أفادته الجملة بشرطها وجزائها وأن مع ما في حيزها في موضع الرفع بنزل أو في موضع النصب بنزل فيمن قرأ به والمنزل عليهم في الكتاب هو ما نزل عليهم بمكة من قوله وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره وذلك أن المشركين كانوا يخوضون في ذكر القرآن في مجالسهم فيستهزئون به فنهي المسلمون عن القعود معهم ما داموا خائضين فيه وكان أحبار اليهود بالمدينة يفعلون نحو فعل المشركين فنهوا أن يقعدوا معهم كما نهوا عن مجالسة المشركين بمكة وكان الذين يقاعدون الخائضين في القرآن من الأحبار هم المنافقون فقيل لهم إنكم إذا مثل الأحبار في الكفر (إن الله جامع المنافقين والكافرين) يعني القاعدين والمقعود معهم (فإن قلت) الضمير في قوله فلا تقعدوا معهم إلى من يرجع (قلت) إلى من دل عليه يكفر بها ويستهزأ بها كأنه قيل فلا تقعدوا مع الكافرين بها والمستهزئين بها (فإن قلت) لم يكونون مثلهم بالمجالسة لهم في وقت الخوض (قلت) لأنهم إذا لم ينكروا عليهم كانوا راضين والراضي بالكفر كافر (فإن قلت) فهلا كان المسلمون بمكة حين كانوا يجالسون الخائضين من المشركين منافقين (قلت) لأنهم كانوا لا ينكرون لعجزهم وهؤلاء لم ينكروا مع قدرتهم فكان ترك الإنكار لرضاهم (الذين يتربصون) إما بدل من الذين يتخذون وإما صفة للمنافقين أو نصب على الذم منهم يتربصون بكم أي ينتظرون بكم ما يتجدد لكم من ظفر أو إخفاق (ألم نكن معكم) مظاهرين فأسهموا لنا في الغنيمة (ألم نستحوذ عليكم) ألم نغلبكم ونتمكن من قتلكم وأسركم فأبقينا عليكم (ونمنعكم من المؤمنين) بأن ثبطناهم عنكم وخيلنا لهم ما ضعفت به قلوبهم ومرضوا في قتالكم وتوانينا في مظاهرتهم عليكم فهاتوا نصيبنا مما أصبتم • وقرئ ونمنعكم بالنصب بإضمار أن قال الحطيئة

ألم أك جاركم ويكون بيني • وبينكم المودة والإخاء

(فإن قلت) لم سمى ظفر المسلمين فتحا وظفر الكافرين نصيبا (قلت) تعظيما لشأن المسلمين وتخسيسا لحظ الكافرين لأن ظفر المسلمين أمر عظيم تفتح لهم أبواب السماء حتى ينزل على أوليائه وأما ظفر الكافرين فما هو إلا حظ دني ولمظة من الدنيا يصيبونها (يخادعون الله) يفعلون ما يفعل المخادع من إظهار الإيمان وإبطان الكفر (وهو خادعهم) وهو فاعل بهم ما يفعل الغالب في الخداع حيث تركهم معصومي الدماء والأموال في الدنيا وأعد لهم الدرك الأسفل من النار في الآخرة ولم يخلهم في العاجل من فضيحة وإحلال بأس ونقمة ورعب دائم والخادع اسم فاعل من خادعته فخدعته إذا غلبته وكنت أخدع منه وقيل يعطون على الصراط نورا كما يعطى المؤمنون فيمضون بنورهم ثم يطفأ نورهم ويبقى نور المؤمنين فينادون انظرونا نقتبس من نوركم (كسالى) قرئ بضم الكاف وفتحها جمع كسلان كسكارى في سكران أي يقومون متثاقلين متقاعسين كما ترى من يفعل شيئا على كره لا عن طيبة نفس ورغبة (يراءون الناس) يقصدون بصلاتهم الرياء والسمعة (ولا يذكرون الله إلا قليلا) ولا يصلون إلا قليلا لأنهم لا يصلون قط غائبين عن عيون الناس إلا ما يتظاهرون به

بأنفسهم لم يصلوا أو لا يذكرون الله بالتهليل والتسبيح إلا ذكرا قليلا في الندرة وهكذا ترى كثيرا من المتظاهرين بالإسلام لو صحبته الأيام والليالي لم تسمع منه تهليلة ولا تسبيحة ولكن وما حديث الدنيا يستغرق به أوقاته لا يفتر عنه ولا يجوز أن يراد بالقلة العدم انتهى كلامه (قلت) وإنما منع من أن يراد بها العدم لأنه خبر فيجب صدقه وقد كانوا يذكرون الله في بعض الأحيان فلا يمكن أن يسلب ذكر الله مطلقا وإذا بنيناه على أن المراد بالذكر الصلاة وهو الظاهر فالمراد أيضا الصلاة المعتبرة التي يذكر بها الإنسان حق الله عليه فينتهي عن الفحشاء والمنكر والصلاة في هذا الوجه مسلوبة عن المنافقين مطلقا فيجوز إذا حمل القلة على العدم بهذا التفسير والله أعلم

وما يعاهرون به قليل أيضا لأنهم ما وجدوا مندوحة من تكلف ما ليس في قلوبهم لم يتكلفوه أو ولا يذكرون الله بالتسبيح والتهليل إلا ذكرا قليلا في الندرة وهكذا ترى كثيرا من المتظاهرين بالإسلام لو صحبته الأيام والليالي لم تسمع منه تهليلة ولا تسبيحة ولا تحميدة ولكن حديث الدنيا يستغرق به أوقاته لا يفتر عنه ويجوز أن يراد بالقلة العدم (فإن قلت) ما معنى المراآة وهي مفاعلة من الرؤية (قلت) فيها وجهان أحدهما أن المرائي يريهم عمله وهم يرونه استحسانه والثاني أن يكون من المفاعلة بمعنى التفعيل فيقال راءى الناس يعني رآهم كقولك نعمه وناعمه وفنقه وفانقه وعيش مفانق وروى أبو زيد رأت المرأة المرآة إذا أمسكتها لترى وجهها ويدل عليه قراءة ابن أبي إسحق يرأونهم بهمزة مشددة مثل يرعونهم أي يبصرونهم أعمالهم ويراؤونهم كذلك (مذبذبين) إما حال نحو قوله ولا يذكرون عن واو يراؤون أي يراؤونهم غير ذاكرين مذبذبين أو منصوب على الذم ومعنى مذبذبين ذبذبهم الشيطان والهوى بين الإيمان والكفر فهم مترددون بينهما متحيرون وحقيقة المذبذب الذي يذب عن كلا الجانبين أي يذاد ويدفع فلا يقر في جانب واحد كما قيل فلان يرمى به الرحوان إلا أن الذبذبة فيها تكرير ليس في الذب كأن المعنى كلما مال إلى جانب ذب عنه وقرأ ابن عباس مذبذبين بكسر الذال بمعنى يذبذبون قلوبهم أو دينهم أو رأيهم أو بمعنى يتذبذبون كما جاء صلصل وتصلصل بمعنى وفي مصحف عبد الله متذبذبين وعن أبي جعفر مدبدبين بالدال غير المعجمة وكأن المعنى أخذ بهم تارة في دبة وتارة في دبة فليسوا بماضين على دبة واحدة والدبة الطريقة ومنها دبة قريش و(ذلك) إشارة إلى الكفر والإيمان (لا إلى هؤلاء) لا منسوبين إلى هؤلاء فيكونون مؤمنين (ولا إلى هؤلاء) ولا منسوبين إلى هؤلاء فيسمون مشركين (لا تتخذوا الكافرين أولياء) لا تتشبهوا بالمنافقين في اتخاذهم اليهود وغيرهم من أعداء الإسلام أولياء (سلطانا مبينا) حجة بينة يعني أن موالاة الكافرين بينة على النفاق وعن صعصعة بن صوحان أنه قال لابن أخ له خالص المؤمن وخالق الكافر والفاجر فإن الفاجر يرضى منك بالخلق الحسن وإنه يحق عليك أن تخالص المؤمن (الدرك الأسفل) الطبق الذي في قعر جهنم والنار سبع دركات سميت بذلك لأنها متداركة متتابعة بعضها فوق بعض وقرئ بسكون الراء والوجه التحريك لقولهم أدراك جهنم (فإن قلت) لم كان المنافق أشد عذابا من الكافر (قلت) لأنه مثله في الكفر وضم إلى كفره الاستهزاء بالإسلام وأهله ومداجاتهم (وأصلحوا) ما أفسدوا من أسرارهم وأحوالهم في حال النفاق (واعتصموا بالله) ووثقوا به كما يثق المؤمنون الخلص (وأخلصوا دينهم لله) لا يبتغون بطاعتهم إلا وجهه (فأولئك مع المؤمنين) فهم أصحاب المؤمنين ورفقاؤهم في الدارين (وسوف يؤت الله المؤمنين أجرا عظيما) فيشاركونهم فيه ويساهمونهم (فإن قلت) من المنافق (قلت) هو في الشريعة من أظهر الإيمان وأبطن الكفر وأما تسمية من ارتكب ما يفسق به بالمنافق فللتغليظ كقوله من ترك الصلاة متعمدا فقد كفر ومنه قوله عليه الصلاة والسلام ثلاث من كن فيه فهو منافق وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم من إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا ائتمن خان وقيل لحذيفة رضي الله عنه من المنافق فقال الذي يصف الإسلام ولا يعمل به وقيل لابن عمر ندخل على السلطان ونتكلم بكلام فإذا خرجنا تكلمنا بخلافه فقال كنا نعده من النفاق وعن الحسن أتى على النفاق زمان وهو مقروع فيه فأصبح وقد عمم وقلد وأعطي سيفا يعني الحجاج (ما يفعل الله بعذابكم) أيتشفى به من الغيظ أم يدرك به الثأر أم يستجلب به نفعا أم يستدفع به ضررا كما يفعل الملوك بعذابهم وهو الغني الذي لا يجوز عليه شيء من ذلك وإنما هو أمر أوجبته الحكمة أن يعاقب المسيء فإن قمتم بشكر نعمته وآمنتم به فقد أبعدتم عن أنفسكم استحقاق العذاب (وكان الله شاكرا) مثيبا موفيا أجوركم (عليما) بحق شكركم وإيمانكم (فإن قلت) لم قدم الشكر على الإيمان (قلت) لأن العاقل ينظر إلى ما عليه من النعمة العظيمة في خلقه وتعريضه للمنافع فيشكر شكرا مبهما فإذا انتهى به النظر إلى معرفة المنعم آمن به ثم شكر شكرا مفصلا فكان الشكر متقدما على الإيمان وكأنه أصل التكليف ومداره (إلا من ظلم) إلا جهر من ظلم استثنى من الجهر الذي لا يحبه الله جهر المظلوم وهو أن يدعو على الظالم ويذكره بما فيه من السوء وقيل هو أن يبدأ بالشتيمة فيرد على الشاتم ولمن انتصر بعد ظلمه وقيل ضاف رجل

مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين أتريدون أن تجعلوا لله عليكم سلطانا مبينا إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار ولن تجد لهم نصيرا إلا الذين تابوا وأصلحوا واعتصموا بالله وأخلصوا دينهم لله فأولئك مع المؤمنين وسوف يؤت الله المؤمنين أجرا عظيما ما يفعل الله بعذابكم إن شكرتم وآمنتم وكان الله شاكرا عليما لا يحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم وكان الله سميعا عليما إن تبدوا خيرا أو تخفوه أو تعفوا عن سوء

* قوله تعالى لا يحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم (قال فيه تقديره لا يحب الله الجهر بالسوء من القول إلا جهر من ظلم وهو أن يدعو على الظالم ويذكره بما فيه الخ)

قال أحمد ووجه التغاير أن الظالم لا يندرج في المستثنى منه كما أن الله تعالى مقدس أن يكون في السموات وفي الأرض فاستحال دخوله في
المستثنى منه وكذا لا يندرج المستثنى في المستثنى منه في قولك ما جاءني زيد إلا عمرو وكلام الزمخشري في هذا الفصل لا يتحقق لي منه
ما يسوغ مجازيته فيه لا علاق عبارته والله أعلم بمراده * قوله تعالى يسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتابا من السماء فقد سألوا موسى
أكبر من ذلك فقالوا أرنا الله جهرة فأخذتهم الصاعقة بظلمهم الآية (قال فيه فقد سألوا موسى جواب لشرط مقدر الخ) قال أحمد وهذا
من المواضع التي استتر في غيبتها إلا عن الله ولوح به تلاع هواه الى مهواة الضلال لأنه يبني على أن الظلم المضاف اليهم لم يكن إلا لمجرد
كونهم طلبوا الرؤية وهي محال عقلا دنيا وآخرة على زعمه القدري فقلنا يلزم عندهم لو قيل بجوازها من اعتقاد التشبيه فلذلك سمى أهل
السنة المعتقدين لجوازها ووقوعها في الآخرة وفاء بالوعد الصادق مشبهة وغفل عن كون اليهود اقترحوا على موسى عليه

السلام خصوصية

فإن الله كان عفوا قديرا
إن الذين يكفرون بالله
ورسله ويريدون أن
يفرقوا بين الله ورسله
ويقولون نؤمن ببعض
ونكفر ببعض ويريدون
أن يتخذوا بين ذلك
سبيلا أولئك هم
الكافرون حقا وأعتدنا
للكافرين عذابا مهينا
والذين آمنوا بالله
ورسله ولم يفرقوا بين
أحد منهم أولئك سوف
يؤتيهم أجورهم وكان
الله غفورا رحيما
يسألك أهل الكتاب
أن تنزل عليهم كتابا من
السماء فقد سألوا موسى
أكبر من ذلك فقالوا
أرنا الله

قوما ظلموه فأصبحت شاكيا فهو بعث على الشكاية ومريد لا من ظلم على البناء للفاعل للانقطاع أي
ولكن الظالم راكب ما لا يحبه الله فيجهر بالسوء ويجوز أن يكون من ظلم مرفوعا كأنه قيل لا يحب الله الجهر
بالسوء إلا الظالم على لغة من يقول ما جاءني زيد إلا عمرو بمعنى ما جاءني إلا عمرو ومنه لا يعلم من في السموات
والأرض الغيب إلا الله * ثم حث على العفو وأن لا يجهر أحد لأحد بسوء وإن كان على وجه الانتصار بعد
ما أطلق الجهر به وجعله محبوبا حثا على الأحب إليه والأفضل عنده والأدخل في الكرم والتخشع والعبودية
وذكر إبداء الخير وإخفاءه تشبيبا للعفو ثم عطفه عليهما اعتدادا به وتنبيها على منزلته وأن له مكانا في باب الخير
وسطا والدليل على أن العفو هو الغرض المقصود بذكر إبداء الخير وإخفائه قوله (فإن الله كان عفوا قديرا)
أي يعفو عن الجانين مع قدرته على الانتقام فعليكم أن تقتدوا بسنة الله * جعل الذين آمنوا بالله وكفروا برسله
أو آمنوا بالله وببعض رسله وكفروا ببعض كافرين بالله ورسله جميعا لما ذكرنا من العلة * ومعنى اتخاذهم بين
ذلك سبيلا أن يتخذوا دينا وسطا بين الإيمان والكفر كقوله ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك
سبيلا أي طريقا وسطا في القراءة وهو ما بين الجهر والمخافتة وقد أخطؤوا فإنه لا واسطة بين الكفر والإيمان
ولذلك قال (أولئك هم الكافرون حقا) أي هم الكاملون في الكفر وحقا تأكيد لمضمون الجملة كقولك هو
عبد الله حقا أي حق ذلك حقا وهو كونهم كاملين في الكفر أو هو صفة لمصدر الكافرين أي هم الذين كفروا
كفرا حقا ثابتا يقينا لا شك فيه (فإن قلت) كيف جاز دخول بين على أحد وهو يقتضي شيئين فصاعدا
(قلت) إن أحدا عام في الواحد المذكر والمؤنث وتثنيتهما وجمعهما تقول ما رأيت أحدا فتقصد العموم ألا
تراك تقول إلا بني فلان وإلا بنات فلان فالمعنى ولم يفرقوا بين اثنين منهم أو بين جماعة ومنه قوله تعالى لستن
كأحد من النساء (سوف يؤتيهم أجورهم) معناه أن إيتاءها كائن لا محالة وإن تأخر فالغرض به توكيد الوعد
وتثبيته لا كونه متأخرا * روي أن كعب بن الأشرف وفنحاص بن عازوراء وغيرهما قالوا لرسول الله صلى الله
عليه وسلم إن كنت نبيا صادقا فأتنا بكتاب من السماء جملة كما أتى به موسى فنزلت وقيل كتابا إلى فلان وكتابا
إلى فلان أنك رسول الله وقيل كتابا نعاينه حين ينزل وإنما اقترحوا ذلك على سبيل التعنت قال الحسن لو
سألوه لكي يتبينوا الحق لأعطاهم وفيما آتاهم كفاية (فقد سألوا موسى) جواب لشرط مقدر معناه إن
استكبرت ما سألوه منك فقد سألوا موسى (أكبر من ذلك) وإنما أسند السؤال إليهم وإن وجد من آبائهم في
أيام موسى وهم النقباء السبعون لأنهم كانوا على مذهبهم وراضين بسؤالهم ومضاهين لهم في التعنت

علقوا إيمانهم بها ولم
يعتبروا المعجز من حيث
هو كافيء اعتباره فقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فهذا الاقتراح والتعنت جهرة
يكفيهم ظلما ألا ترى أن الذين قالوا لن نؤمن لك حتى تنزل علينا كتابا من السماء أو حتى تفجر الأرض أو يكون لك بيت من زخرف
كيف هم من أظلم الظلمة وإن كانوا قد طلبوا أمورا جائزة ولكنهم اقترحوا الآيات على الله وحقهم أن يستندوا إيمانهم الى أي معجز
اختاره الله دل ذلك دلالة جلية على أن ظلمهم ناشئ عن اقتراحهم لا عن كون المقترح ممتنعا أولا والعجب أن نظير هذا السؤال لو كان
السؤال جائزا كسؤال إبراهيم من إحياء الموتى على زعم الزمخشري غفلة منه عما انطوى عليه سؤال إبراهيم عليه السلام من صريح
الإيمان حيث قال له تعالى أولم تؤمن قال بلى وعما انطوى عليه سؤال هؤلاء الاعتين من محض الكفر والاصرار عليه في قولهم لن
نؤمن لك فصدروا كلامهم بالجحود لي وأما دعاء الزمخشري على أهل السنة بالتبت والمواعق فالله أعلم أي الفريقين أحق بها ويكفيه
هذا فمهما أتى تمادى عليه باتباع الهوى الذي يعمي ويصم نسأل الله العصمة من الضلالة والغواية

● قوله تعالى فبما نقضهم ميثاقهم وكفرهم بآيات الله وقتلهم الأنبياء بغير حق وقولهم قلوبنا غلف بل طبع الله عليها بكفرهم فلا يؤمنون إلا قليلا (قال) إن قلت بم تعلقت الباء في قوله فبما نقضهم ميثاقهم قلت إما أن تتعلق بمحذوف كأنه قيل فبما نقضهم ميثاقهم فعلنا بهم ما فعلنا وإما أن تتعلق بقوله حرمنا عليهم على أن قوله فبظلم من الذين هادوا بدل من قوله فبما نقضهم انتهى كلامه (قلت) ولذكر البدل هنا كون سر وهو أن الكلام لما طال بعد قوله فبما نقضهم حتى بعد عن متعلقه الذي هو حرمنا قوى ذكره بقوله فبظلم من الذين هادوا حتى يلي متعلقه وجاء لنظمه على وجه من الاختصار في إجمال ما سبق تفصيله لأن جميع ما تقدم من النقض والقتل وقولهم قلوبنا غلف وكفرهم وقولهم على مريم بهتانا عظيما ودعواهم قتل المسيح ابن مريم قد انطوى عليه الإجمال المذكور آخرا انطواء جامعا لما فصل على أن جميع أدعيائهم الصادرة منهم ظلم وقد تقدم لهذا النمط نظائر والله الموفق ● عاد كلامه (قال) إن قلت هلا زعمت أن المحذوف الذي تعلقت به الباء ما دل عليه قوله بل طبع الله عليها فيكون التقدير فبما نقضهم ميثاقهم طبع الله على قلوبهم قلت لم يصح هذا التقدير لأن قوله بل طبع الله عليها بكفرهم رد وإنكار لقولهم قلوبنا غلف فكان متعلقا به وذلك أنهم أرادوا بقولهم قلوبنا غلف أن الله خلق قلوبنا غلفا أي في أكنة لا يتوصل إليها شيء من الذكر والموعظة كما حكى الله عن المشركين وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم وكمذهب المجبرة أخزاهم الله فقيل لهم بل خذلها الله ومنعها الألطاف بسبب كفرهم فصارت كالمطبوع عليها انتهى كلامه (قال أحمد) هؤلاء قوم زعموا أن لهم على الله حجة بكونه خلق قلوبهم غير قابلة للحق ولا متمكنة من قبوله فكذبهم الله في قولهم ٢٩٥ لأنه خلق قلوبهم على الفطرة أي ن

جهرة فأخذتهم الصاعقة بظلمهم ثم اتخذوا العجل من بعد ما جاءتهم البينات فعفونا عن ذلك وآتينا موسى سلطانا مبينا ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم وقلنا لهم ادخلوا الباب سجدا وقلنا لهم لا تعدوا في السبت وأخذنا منهم ميثاقا غليظا فبما نقضهم ميثاقهم وكفرهم بآيات الله وقتلهم الأنبياء بغير حق وقولهم قلوبنا غلف بل طبع الله عليها بكفرهم فلا يؤمنون إلا قليلا

(جهرة) عيانا بمعنى أرناه نره جهرة (بظلمهم) بسبب سؤالهم الرؤية ولو طلبوا أمرا جائزا لما سموا ظالمين ولما أخذتهم الصاعقة كما سأل إبراهيم عليه السلام أن يريه إحياء الموتى فلم يسمه ظالما ولا رماه بالصاعقة فتبا لتلك المشبهة ورميا بالصواعق (وآتينا موسى سلطانا مبينا) تسلطا واستيلاء ظاهرا عليهم حين أمرهم بأن يقتلوا أنفسهم حتى يتاب عليهم فأطاعوه واحتبوا بأفنيتهم والسيوف تتساقط عليهم فيا لك من سلطان مبين (بميثاقهم) بسبب ميثاقهم ليخافوا فلا ينقضوه (وقلنا لهم) والطور مظل عليهم (ادخلوا الباب سجدا) ولا تعدوا في السبت وقد أخذ منهم الميثاق على ذلك وقولهم سمعنا وأطعنا ومعاهدتهم على أن يتموا عليه ثم نقضوه بعد ● وقرئ لا تعتدوا ولا تعدوا بإدغام التاء في الدال (فبما نقضهم) فبنقضهم وما مزيدة للتوكيد (فإن قلت) بم تعلقت الباء وما معنى التوكيد (قلت) إما أن يتعلق بمحذوف كأنه قيل فبما نقضهم ميثاقهم فعلنا بهم ما فعلنا وإما أن يتعلق بقوله حرمنا عليهم على أن قوله فبظلم من الذين هادوا بدل من قوله فبما نقضهم ميثاقهم وأما التوكيد فمعناه تحقيق أن العقاب أو تحريم الطيبات لم يكن إلا بنقض العهد وما عطف عليه من الكفر وقتل الأنبياء وغير ذلك (فإن قلت) هلا زعمت أن المحذوف الذي تعلقت به الباء ما دل عليه قوله بل طبع الله عليها فيكون التقدير فبما نقضهم ميثاقهم طبع الله على قلوبهم بل طبع الله عليها بكفرهم (قلت) لم يصح هذا التقدير لأن قوله بل طبع الله عليها بكفرهم رد وإنكار لقولهم قلوبنا غلف فكان متعلقا به وذلك أنهم أرادوا بقولهم قلوبنا غلف أن الله خلق قلوبنا غلفا أي في أكنة لا يتوصل إليها شيء من الذكر والموعظة كما حكى الله عن المشركين وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم وكمذهب المجبرة أخزاهم الله فقيل لهم بل خذلها الله

الإيمان وقبول الحق من جنس مقدورهم كما هو من جنس مقدور المؤمنين وذلك هو المعبر بالتمكن ومحققهم متيسر لهم الإيمان متأتيا منهم قبول الحق قامت عليهم حجة الله إذ يعلم الإنسان بالضرورة الفرق بين قبول الحق والدخول في الإيمان وبين طيرانه في الهواء ومشيه على الماء ويعلم ضرورة أن الإيمان ممكن منه كما يعلم أن الطيران غير ممكن منه وعند ذلك قامت الحجة وثبتت لله الحجة البالغة فمن هذا الوجه اتجه الرد عليهم لا كما زعمه الزمخشري من أن لهم قدرة على الإيمان يخلقونها لأنفسهم ويغرزونها في قلوبهم وتلك القدرة موجودة سواء وجد الفعل أولا كالسيف المعد للقطع قبل الفعل سواء وجد أولا ومن هذه القدرة التي هي كالآلة للخلق على زعمه يصرفها العبد حيث شاء في إيمان وكفر وافق ذكر مشيئة الله أولا وإن هؤلاء عصوا وأقدرتهم لم يخلق الكفر لأنفسهم على خلاف مشيئة الله تعالى فلذلك يعرض الزمخشري بأهل السنة فإنه يرى أن الله تعالى لو شاء من عبدة الأوثان أن لا يعبدوها لما عبدوها ونسميهم لذلك مجبرة ويجعل قوله تعالى وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم ردا على الأشعرية كما هو رد على الوثنية ويغفل عن النكتة التي نبهنا عليها وهي أن الرد على الوثنية بذلك لم يكن إلا لأنهم ظنوا أن هذا المقدار يقيم لهم الحجة على الله ولذلك قال تعالى عقيب ذلك قل فلله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم أجمعين فأوضح الله تعالى أن الرد عليهم لم يكن لقولهم إن الله لو شاء لهداكم أجمعين ولكن إنما كان لاعتقادهم أن ذلك حجة على الله بقوله فلله الحجة البالغة وهذا المقرر هو الإيمان المحض والتوحيد الصرف وما عداه من الإشراك الصراح نخزى نعوذ بالله منه

قوله تعالى وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم إلا اتباع الظن (قال محمود إن قلت قد وصفوا بالشك والشك أن لا يترجح الخ) قال أحمد وليس في هذا الجواب شفاء للعليل والظاهر والله أعلم أنهم كانوا أكثر أحوالهم الشك في أمره والتردد فجاءت العبارة الأولى على ما يغلب من حالهم ثم كانوا لا يخلون من ظن في بعض الأحوال وعنده يقفون لا يرقون إلى العلم فيه البتة وكيف يعلم الشيء على خلاف ما هو به فجاءت العبارة الثانية على حالهم النادرة في الظن نافية عنهم ما يترقى عن الظن البتة والله أعلم * قوله تعالى وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن

وبكفرهم وقولهم على مريم بهتانا عظيما وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم إلا اتباع الظن وما قتلوه يقينا بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزا حكيما وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته

ومنعها الألطاف بسبب كفرهم فصارت كالمطبوع عليها لا أن تخلق غلفا غير قابلة للذكر ولا متمكنة من قبوله (فإن قلت) علام عطف قوله (وبكفرهم) قلت الوجه أن يعطف على فبما نقضهم ويجعل قوله بل طبع الله عليها بكفرهم كلاما تبع قوله وقولهم قلوبنا غلف على وجه الاستطراد ويجوز عطفه على ما يليه من قوله بكفرهم (فإن قلت) فما معنى المجيء بالكفر معطوفا على ما فيه ذكره سواء عطف على ما قبل حرف الإضراب أو على ما بعده وهو قوله وكفرهم بآيات الله وقوله بكفرهم (قلت) قد تكرر منهم الكفر لأنهم كفروا بموسى ثم بعيسى ثم بمحمد صلوات الله عليهم فعطف بعض كفرهم على بعض أو عطف مجموع المعطوف على مجموع المعطوف عليه كأنه قيل فبجمعهم بين نقض الميثاق والكفر بآيات الله وقتل الأنبياء وقولهم قلوبنا غلف وجمعهم بين كفرهم وبهتهم مريم وافتخارهم بقتل عيسى عاقبناهم أو بل طبع الله عليها بكفرهم وجمعهم بين كفرهم وكذا وكذا والبهتان العظيم هو التزنية (فإن قلت) كانوا كافرين بعيسى عليه السلام أعداء له عامدين لقتله يسمونه الساحر ابن الساحرة والفاعل ابن الفاعلة فكيف قالوا (إنا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله) (قلت) قالوه على وجه الاستهزاء كقول فرعون إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون ويجوز أن يضع الله الذكر الحسن مكان ذكرهم القبيح في الحكاية عنهم رفعا لعيسى عما كانوا يذكرونه به وتعظيما لما أرادوا بمثله كقوله ليقولن خلقهن العزيز العليم الذي جعل لكم الأرض مهدا روي أن رهطا من اليهود سبوه وسبوا أمه فدعا عليهم اللهم أنت ربي وبكلمتك خلقتني اللهم العن من سبني وسب والدتي فمسخ الله من سبهما قردة وخنازير فأجمعت اليهود على قتله فأخبره الله بأنه يرفعه إلى السماء ويطهره من صحبة اليهود فقال لأصحابه أيكم يرضى أن يلقى عليه شبهي فيقتل ويصلب ويدخل الجنة فقال رجل منهم أنا فألقى الله عليه شبهه فقتل وصلب وقيل كان رجلا ينافق عيسى فلما أرادوا قتله قال أنا أدلكم عليه فدخل بيت عيسى فرفع عيسى وألقي شبهه على المنافق فدخلوا عليه فقتلوه وهم يظنون أنه عيسى ثم اختلفوا فقال بعضهم إنه إله لا يصح قتله وقال بعضهم إنه قد قتل وصلب وقال بعضهم إن كان هذا عيسى فأين صاحبنا وإن كان هذا صاحبنا فأين عيسى وقال بعضهم رفع إلى السماء وقال بعضهم الوجه وجه عيسى والبدن بدن صاحبنا (فإن قلت) (شبه) مسند إلى ماذا إن جعلته مسندا إلى المسيح فالمسيح مشبه به وليس بمشبه وإن أسندته إلى المقتول فالمقتول لم يجر له ذكر (قلت) هو مسند إلى الجار والمجرور وهو (لهم) كقولك خيل إليه كأنه قيل ولكن وقع لهم التشبيه ويجوز أن يسند إلى ضمير المقتول لأن قوله إنا قتلنا يدل عليه كأنه قيل ولكن شبه لهم من قتلوه (إلا اتباع الظن) استثناء منقطع لأن اتباع الظن ليس من جنس العلم يعني ولكنهم يتبعون الظن (فإن قلت) قد وصفوا بالشك والشك أن لا يترجح أحد الجائزين ثم وصفوا بالظن والظن أن يترجح أحدهما فكيف يكونون شاكين ظانين (قلت) أريد أنهم شاكون ما لهم من علم قط ولكن إن لاحت لهم أمارة فظنوا فذاك (وما قتلوه يقينا) وما قتلوه قتلا يقينا أو ما قتلوه متيقنين كما ادعوا ذلك في قولهم إنا قتلنا المسيح أو يجعل يقينا تأكيدا لقوله وما قتلوه كقولك ما قتلوه حقا أي حق انتفاء قتله حقا وقيل هو من قولهم قتلت الشيء علما ونحرته علما إذا تبالغ فيه علمك وفيه تهكم لأنه إذا نفى عنهم العلم نفيا كليا بحرف الاستغراق ثم قيل وما علموه علم يقين وإحاطة لم يكن إلا تهكما بهم (ليؤمنن به) جملة قسمية واقعة صفة لموصوف محذوف تقديره وإن من أهل الكتاب أحد إلا ليؤمنن به ونحوه وما منا إلا له مقام معلوم وإن منكم إلا واردها والمعنى وما من اليهود والنصارى أحد إلا ليؤمنن قبل موته بعيسى وبأنه عبد الله ورسوله يعني إذا عاين قبل أن تزهق روحه حين لا ينفعه إيمانه لانقطاع وقت التكليف وعن شهر بن حوشب قال لي الحجاج آية ما قرأتها إلا تخالج في نفسي شيء منها يعني هذه الآية وقال إني أوتى بالأسير من اليهود

به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا (قال محمود يعني إذا عاين قبل أن تزهق روحه الخ) قال أحمد كقول فرعون لما عاين الهلاك آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل * عاد كلامه (قال وعن شهر بن حوشب قال لي الحجاج آية ما قرأتها الخ) قال أحمد ويبعد هذا التأويل [illegible]
قوله ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا فإن ظاهره التهديد ولكن ما أريد بقوله في حق هذه الأمة ويكون الرسول عليكم شهيدا والله أعلم

ويوم القيامة يكون عليهم
شهيدا فبظلم من الذين
هادوا حرمنا عليهم
طيبات أحلت لهم
وبصدهم عن سبيل الله
كثيرا وأخذهم الربوا
وقد نهوا عنه وأكلهم
أموال الناس بالباطل
وأعتدنا للكافرين منهم
عذابا أليما لكن الراسخون
في العلم منهم والمؤمنون
يؤمنون بما أنزل إليك
وما أنزل من قبلك
والمقيمين الصلاة والمؤتون
الزكوة والمؤمنون بالله
واليوم الآخر أولئك
سنؤتيهم أجرا عظيما إنا
أوحينا إليك كما أوحينا
إلى نوح والنبيين من بعده
وأوحينا إلى إبراهيم
وإسمعيل وإسحق
ويعقوب والأسباط
وعيسى وأيوب ويونس
وهرون وسليمن وآتينا
داود زبورا ورسلا قد
قصصناهم عليك من
قبل ورسلا لم نقصصهم
عليك وكلم الله موسى
تكليما

والله ما أرى ما أصنع بنفسه ولا أسمع منه ذلك فقلت إن اليهودي إذا حضره الموت ضربت الملائكة دبره ووجهه وقالوا يا عدو الله أتاك عيسى نبيا فكذبت به فيقول آمنت أنه عبد نبي وتقول للنصراني أتاك عيسى نبيا فزعمت أنه الله أو ابن الله فيؤمن أنه عبد الله ورسوله حيث لا ينفعه إيمانه قال وكان متكئا فاستوى جالسا فنظر إلي وقال ممن قلت حدثني محمد بن علي ابن الحنفية فأخذ ينكت الأرض بقضيبه ثم قال لقد أخذتها من عين صافية أو من معدنها قال الكلبي فقلت له ما أردت إلى أن تقول حدثني محمد بن علي ابن الحنفية قال أردت أن أغيظه يعني بزيادة اسم علي لأنه مشهور بابن الحنفية وعن ابن عباس أنه فسره كذلك فقال له عكرمة فإن أتاه رجل فضرب عنقه قال لا تخرج نفسه حتى يحرك بها شفتيه قال وإن خر من فوق بيت أو احترق أو أكله سبع قال يتكلم بها في الهواء ولا تخرج روحه حتى يؤمن به وتدل عليه قراءة أبي إلا ليؤمنن به قبل موتهم بضم النون على معنى وإن منهم أحد إلا سيؤمنون به قبل موتهم لأن أحدا يصلح للجمع (فإن قلت) ما فائدة الإخبار بإيمانهم بعيسى قبل موتهم (قلت) فائدته الوعيد وليكون علمهم بأنهم لا بد لهم من الإيمان به عن قريب عند المعاينة وأن ذلك لا ينفعهم بعثا لهم وتنبيها على معاجلة الإيمان به في أوان الانتفاع به وليكون إلزاما للحجة لهم وكذلك قوله (ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا) يشهد على اليهود بأنهم كذبوه وعلى النصارى بأنهم دعوه ابن الله وقيل الضميران لعيسى بمعنى وإن منهم أحد إلا ليؤمنن بعيسى قبل موت عيسى وهم أهل الكتاب الذين يكونون في زمان نزوله روي أنه ينزل من السماء في آخر الزمان فلا يبقى أحد من أهل الكتاب إلا يؤمن به حتى تكون الملة واحدة وهي ملة الإسلام ويهلك الله في زمانه المسيح الدجال وتقع الأمنة حتى ترتع الأسود مع الإبل والنمور مع البقر والذئاب مع الغنم ويلعب الصبيان بالحيات ويلبث في الأرض أربعين سنة ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون ويدفنونه ويجوز أن يراد أنه لا يبقى أحد من جميع أهل الكتاب إلا ليؤمنن به على أن الله يحييهم في قبورهم في ذلك الزمان ويعلمهم نزوله وما أنزل له ويؤمنون به حين لا ينفعهم إيمانهم وقيل الضمير في به يرجع إلى الله تعالى وقيل إلى محمد صلى الله عليه وسلم (فبظلم من الذين هادوا) فبأي ظلم منهم والمعنى ما حرمنا عليهم الطيبات إلا لظلم عظيم ارتكبوه وهو ما عدد لهم من الكفر والكبائر العظيمة والطيبات التي حرمت عليهم ما ذكره في قوله وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر وحرمت عليهم الألبان وكلما أذنبوا ذنبا صغيرا أو كبيرا حرم عليهم بعض الطيبات من المطاعم وغيرها (وبصدهم عن سبيل الله كثيرا) ناسا كثيرا أو صدا كثيرا (بالباطل) بالرشوة التي كانوا يأخذونها من سفلتهم في تحريف الكتاب (لكن الراسخون) يريد من آمن منهم كعبد الله بن سلام وأضرابه والراسخون في العلم الثابتون فيه المتقنون المستبصرون (والمؤمنون) يعني المؤمنين منهم أو المؤمنين من المهاجرين والأنصار وارتفع الراسخون على الابتداء و(يؤمنون) خبره و(المقيمين) نصب على المدح لبيان فضل الصلاة وهو باب واسع قد كسره سيبويه على أمثلة وشواهد ولا يلتفت إلى ما زعموا من وقوعه لحنا في خط المصحف وربما التفت إليه من لم ينظر في الكتاب ولم يعرف مذاهب العرب وما لهم في النصب على الاختصاص من الافتنان وغبي عليه أن السابقين الأولين الذين مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل كانوا أبعد همة في الغيرة على الإسلام وذب المطاعن عنه من أن يتركوا في كتاب الله ثلمة ليسدها من بعدهم وخرقا يرفوه من يلحق بهم وقيل هو عطف على بما أنزل إليك أي يؤمنون بالكتاب وبالمقيمين الصلاة وهم الأنبياء وفي مصحف عبد الله والمقيمون بالواو وهي قراءة مالك بن دينار والجحدري وعيسى الثقفي (إنا أوحينا إليك) جواب لأهل الكتاب عن سؤالهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ينزل عليهم كتابا من السماء واحتجاج عليهم بأن شأنه في الوحي إليه كشأن سائر الأنبياء الذين سلفوا وقرئ زبورا بضم الزاي جمع زبر وهو الكتاب (ورسلا) نصب بمضمر في معنى أوحينا إليك وهو أرسلنا ونبأنا وما أشبه ذلك أو بما فسره قصصناهم وفي قراءة أبي ورسل قد قصصناهم عليك من قبل ورسل لم نقصصهم وعن إبراهيم ويحيى بن وثاب

رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزا حكيما لكن الله يشهد بما أنزل إليك أنزله بعلمه والملائكة يشهدون وكفى بالله شهيدا إن الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله قد ضلوا ضلالا بعيدا إن الذين

أنه قرأ وكلم الله بالنصب ومن بدع التفاسير أنه من الكلوم وأن معناه وجرح الله موسى بأظفار المحن ومخالب الفتن (رسلا مبشرين ومنذرين) الأوجه أن ينتصب على المدح ويجوز انتصابه على التكرير (فإن قلت) كيف يكون للناس على الله حجة قبل الرسل وهم محجوجون بما نصبه الله من الأدلة التي النظر فيها موصل إلى المعرفة والرسل في أنفسهم لم يتوصلوا إلى المعرفة إلا بالنظر في تلك الأدلة ولا عرف أنهم رسل الله إلا بالنظر فيها (قلت) الرسل منبهون عن الغفلة وباعثون على النظر كما ترى علماء أهل العدل والتوحيد مع تبليغ ما حملوه من تفصيل أمور الدين وبيان أحوال التكليف وتعليم الشرائع فكان إرسالهم إزاحة للعلة وتتمة لإلزام الحجة لئلا يقولوا لولا أرسلت إلينا رسولا فيوقظنا من سنة الغفلة وينبهنا لما وجب الانتباه له • قرأ السلمي لكن الله يشهد بما أنزل إليك بالتشديد (فإن قلت) الاستدراك لا بد له من مستدرك فما هو في قوله لكن الله يشهد (قلت) لما سأل أهل الكتاب إنزال الكتاب من السماء وتعنتوا بذلك واحتج عليهم بقوله إنا أوحينا إليك قال لكن الله يشهد بمعنى أنهم لا يشهدون لكن الله يشهد وقيل لما نزل إنا أوحينا إليك قالوا ما نشهد لك بهذا فنزل لكن الله يشهد ومعنى شهادة الله بما أنزل إليه إثباته لصحته بإظهار المعجزات كما تثبت الدعاوى بالبينات • وشهادة الملائكة شهادتهم بأنه حق وصدق (فإن قلت) بم يعلمون لو قالوا بم يعلم أن الملائكة يشهدون بذلك (قلت) يعلمون أنه يعلم شهادة الله لأنه لما علم بإظهار المعجزات أنه شهد بصحته علم أن الملائكة يشهدون بصحته لأن شهادتهم تبع لشهادته (فإن قلت) ما معنى قوله (أنزله بعلمه) وما موقعه من الجملة التي قبله (قلت) معناه أنزله متلبسا بعلمه الخاص الذي لا يعلمه غيره وهو تأليفه على نظم وأسلوب يعجز عنه كل بليغ وصاحب بيان وموقعه مما قبله موقع الجملة المفسرة لأنه بيان للشهادة وأن شهادته بصحته أنه أنزله بالنظم المعجز الفائت للقدرة وقيل أنزله وهو عالم بأنك أهل لإنزاله إليك وأنك مبلغه وقيل أنزله بما علم من مصالح العباد مشتملا عليه ويحتمل أنه أنزله وهو عالم به رقيب عليه حافظ له من الشياطين برصد من الملائكة والملائكة يشهدون بذلك كما قال في آخر سورة الجن ألا ترى إلى قوله تعالى وأحاط بما لديهم والإحاطة بمعنى العلم (وكفى بالله شهيدا) وإن لم يشهد غيره لأن التصديق بالمعجزة هو الشهادة حقا (إن الذين

• قوله تعالى وكلم الله موسى تكليما رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل (قال محمود من بدع التفاسير أنه كلم من الكلام الخ) قال أحمد وإنما ينقل هذا التفسير عن بعض المعتزلة لإنكارهم الكلام القديم الذي هو صفة الذات إذ لا يثبتون إلا الحروف والأصوات فقط بل لأجرام لا بذات الله تعالى فيرد عليهم بعدهم كلام النفس إبطال خصوصية موسى عليه السلام في التكليم إذ لا يثبتونه إلا بمعنى سمعه حروفا وأصواتا خلقها في بعض الأجرام وذلك مشترك بين موسى وبين كل سامع لهذه الحروف حتى المشرك الذي قال الله فيه حتى يسمع كلام الله فيضطر المعتزلي في إبطال الخصوصية الموسوية بحمل التكليم على التجريح وصدق الزمخشري وأنصف أنه أي بدع التفاسير التي يسوغها لهم ولا يبعثهم إلا الوهم والله الموفق • عاد كلامه (قال محمود فإن قلت كيف يكون للناس على الله حجة قبل الرسل الخ) قال أحمد قاعدة المعتزلة في التحسين والتقبيح العقليين تحرفهم وتحرقهم على إثبات أحكام الله تعالى بمجرد العقل وإن لم يبعث رسولا فموجبون بعقولهم ويحرمون ويبيحون على وفق زعمهم ويجب بوجوبه قبل ورود الشرع النظر في أدلة المعرفة ولا يتوقفون على ورود الشرع الموجب ٢٩٨ فمن ترك على هذا مات بعد فقط وقطوا بل أن من ترك النظر في الأدلة قبل ورود الشرع فقد ترك واجبا استحق به التعذيب وقد قامت الحجة عليه في الوجوب وإن لم يكن شرع وإذا ليس عليهم هذه الآية وهي قوله رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وقيل لهم ما هذه الآية تبدكم يا معشر القدرية أن الحجة قد قامت على الخلق بالأحكام الشرعية المؤدية في الحجر بإرسال الرسل لا بمجرد العقل أكبر ف يقولون فيما أصمت حينئذ آذانهم وغبروا في وجه هذا النص ويبروه عما هو موضوع له فقالوا المراد أن الرسل تتمم حجة الله وتنبه على ما وجب قبل بعثها العقل كما أجاب به الزمخشري وقريبا من هذا التعسف يقولون إذا ورد عليهم قوله تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وورد بناس على صحة المطالعين لهذا الفصل من كلام الزمخشري قوله إن أدلة التوحيد والمعرفة منصوبة قبل إرسال الرسل وبذلك تقوم الحجة فيظن أن ذلك جار على سنن الصحة في المعرفة باتفاق ووجه ... طريقه العقل لا النقل الذي ينبني عليه أن النظر في أدلة التوحيد وفعل الكلام ليس بالحكم الشرعي بل الحكم وجوب النظر والمعرفة متلقى من العقل والوجوب متلقى من النقل في الصرف وبه تقوم الحجة وعليه يترتب الجزاء والله سبحانه ولي التوفيق والمعونة • قوله تعالى لكن الله يشهد بما أنزل إليك أنزله بعلمه والملائكة يشهدون (قال محمود فيه إن قلت الاستدراك لا بد له من مستدرك الخ) قال أحمد ورد هذا الفصل في كلامه مما يتنبط به

• قوله تعالى إن الذين كفروا وظلموا لم يكن الله ليغفر لهم (قال محمود فيه أي جمعوا بين الكفر والمعاصي الخ) قال أحمد يعدل من الظاهر لأنه يتروح إلى بث طرف من العقيدة الفاسدة في وجوب وعيد العصاة وأنهم مخلدون تخليد الكفار وقد تكرر ذلك منه وهذه الآية تنبو عن هذا المعتقد بجعل الفعلين أعني الكفر والظلم كالصلة للموصول المجموع فيلزم وقوع الفعلين جميعا من كل واحد من آحاده لا الاشتراك إذا قلت الزيدون قاموا وقعدوا أسندت القيام إلى كل واحد من آحاد الجمع فكذلك لو عطفت عليه فعلا آخر لزم فيه ذلك ضرورة والله الموفق • قوله تعالى لن يستنكف المسيح أن يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون (قال محمود معناه لن يأنف ولن يذهب بنفسه عزة الخ) قال أحمد وقد كثر الاختلاف في تفضيل الأنبياء على الملائكة فذهب جمهور ٣٩٩ الأشعرية إلى تفضيل الأنبياء وذهب

كفروا وظلموا لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم طريقا إلا طريق جهنم خالدين فيها أبدا وكان ذلك على الله يسيرا يا أيها الناس قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم فآمنوا خيرا لكم وإن تكفروا فإن لله ما في السموات والأرض وكان الله عليما حكيما يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيرا لكم إنما الله إله واحد سبحانه أن يكون له ولد له ما في السموات وما في الأرض وكفى بالله وكيلا لن يستنكف المسيح أن يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم إليه جميعا فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله وأما الذين استنكفوا واستكبروا فيعذبهم عذابا أليما ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا إليكم نورا مبينا

أكبر شهادة قل الله (كفروا وظلموا) جمعوا بين الكفر والمعاصي أو كان بعضهم كافرين وبعضهم ظالمين أصحاب كبائر لأنه لا فرق بين الفريقين في أنه لا يغفر لهما إلا بالتوبة (ولا ليهديهم طريقا) لا يلطف بهم فيسلكون الطريق الموصل إلى جهنم أو لا يهديهم يوم القيامة طريقا إلا طريقها (يسيرا) أي لا صارف له عنه (فآمنوا خيرا لكم) وكذلك انتهوا خيرا لكم انتصابه بمضمر وذلك أنه لما بعثهم على الإيمان وعلى الانتهاء عن التثليث علم أنه يحملهم على أمر فقال خيرا لكم أي اقصدوا وأتوا أمرا خيرا لكم مما أنتم فيه من الكفر والتثليث وهو الإيمان والتوحيد (لا تغلوا في دينكم) غلت اليهود في حط المسيح عن مرتبته حيث جعلته مولودا لغير رشدة وغلت النصارى في رفعه عن مقداره حيث جعلوه إلها (ولا تقولوا على الله إلا الحق) وهو تنزيهه عن الشريك والولد • وقرأ جعفر بن محمد إنما المسيح بوزن السكيت • وقيل لعيسى كلمة الله وكلمة منه لأنه وجد بكلمته وأمره لا غير من غير واسطة أب ولا نطفة وقيل له روح الله وروح منه لذلك لأنه ذو روح وجد من غير جزء من ذي روح كالنطفة المنفصلة من الأب الحي وإنما اخترع اختراعا من عند الله وقدرته خالصة • ومعنى (ألقاها إلى مريم) أوصلها إليها وحصلها فيها (ثلاثة) خبر مبتدأ محذوف فإن صحت الحكاية عنهم أنهم يقولون هو جوهر واحد ثلاثة أقانيم أقنوم الأب وأقنوم الابن وأقنوم روح القدس وأنهم يريدون بأقنوم الأب الذات وبأقنوم الابن العلم وبأقنوم روح القدس الحياة فتقديره الله ثلاثة وإلا فتقديره الآلهة ثلاثة والذي يدل عليه القرآن التصريح منهم بأن الله والمسيح ومريم ثلاثة آلهة وأن المسيح ولد الله من مريم ألا ترى إلى قوله أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله وقالت النصارى المسيح ابن الله والمشهور المستفيض عنهم أنهم يقولون في المسيح لاهوتية وناسوتية من جهة الأب والأم ويدل عليه قوله إنما المسيح عيسى ابن مريم فأثبت أنه ولد لمريم اتصل بها اتصال الأولاد بأمهاتهم وأن اتصاله بالله تعالى من حيث أنه رسوله وأنه موجود بأمره وابتداعه جسدا حيا من غير أب فنفى أن يتصل به اتصال الأبناء بالآباء وقوله سبحانه أن يكون له ولد وحكاية الله أوثق من حكاية غيره • ومعنى (سبحانه أن يكون له ولد) سبحه تسبيحا من أن يكون له ولد وقرأ الحسن إن يكون بكسر الهمزة ورفع النون أي سبحانه ما يكون له ولد على أن الكلام جملتان (له ما في السموات وما في الأرض) بيان لتنزهه عما نسب إليه يعني أن كل ما فيهما خلقه وملكه فكيف يكون بعض ملكه جزءا منه على أن الجزء إنما يصح في الأجسام وهو متعال عن صفات الأجسام والأعراض (وكفى بالله وكيلا) يكل إليه الخلق كلهم أمورهم فهو الغني عنهم وهم الفقراء إليه (لن يستنكف المسيح) لن يأنف ولن يذهب بنفسه عزة من نكفت الدمع إذا نحيته عن خدك بإصبعك (ولا الملائكة المقربون) ولا من هو أعلى منه قدرا وأعظم منه خطرا وهم الملائكة الكروبيون الذين حول

القاضي أبو بكر منا والحليمي وجملة المعتزلة إلى تفضيل الملائكة وتعلق المعتزلة بهذه الآية عمدتهم في تفضيل الملائكة من حيث الوجه الذي استدل به الزمخشري ونحن بعون الله نشبع القول في المسألة من حيث الآية فنقول أورد الأشعرية على الاستدلال بها أسئلة • أحدها أن سيدنا محمدا عليه أفضل الصلاة والسلام أفضل من عيسى عليه الصلاة والسلام فلا يلزم من كون الملائكة أفضل من المسيح أن تكون أفضل من محمد عليه الصلاة والسلام وهذا السؤال إنما يتوجه إذا لم يدع مورده أن كل واحد من آحاد الأنبياء أفضل من كل واحد من آحاد الملائكة وبين طائفة في هذا الطرف خلاف • السؤال الثاني أن قوله ولا الملائكة المقربون صيغة جمع تتناول مجموع

الملائكة فهذا يقتضي كون مجموع الملائكة أفضل من المسيح ولا يلزم أن يكون كل واحد منهم أفضل من المسيح وفي هذا السؤال أيضا نظر لأن مورده إذا بنى على أن المسيح أفضل من كل واحد من آحاد الملائكة فقد يقال يلزمه القول بأنه أفضل من الكل كما أن النبي عليه الصلاة والسلام لما كان أفضل من كل واحد من آحاد الأنبياء كان أفضل من كلهم ولم يفرق بين التفضيل على التفصيل والتفضيل على الجملة أحد ممن صنف في هذا المعنى وقد كان بعض المعاصرين يفصل بين التفضيلين ويدعي أنه لا يلزم منه على التفصيل تفضيل على الجملة ولم يثبت عنه هذا القول ولو قاله أحد فهو مردود بوجه لطيف وهو أن التفضيل المراد جل أماراته رفع درجة الأفضل في الجنة ولا أحاديث متواترة بذلك وحينئذ لا يخلوا إما أن ترفع درجة واحد من المفضولين على من اتفق على أنه أفضل من كل واحد منهم أو لا ترفع درجة أحد منهم عليه لا سبيل إلى الأول لأنه يلزم منه رفع المفضول على الأفضل فتعين الثاني وهو رفع درجة الأفضل على درجات مجموع ضرورة فيلزم ثبوت أفضليته على المجموع من ثبوت أفضليته على كل واحد منهم قطعا • لذلك به عطف الملائكة على المسيح بالواو وهي لا تقتضي ترتيبا وأما الاستشهاد بالمثال المذكور على أن الثاني أبدا يكون أعلى رتبة فمعارض بأمثلة لا تقتضي ذلك كقولك لما أطلعني على هذا الأمر زيد ولا عمرو • قلت وكقولك لا تؤذ مسلما ولا ذميا فإن هذا الترتيب وجه الكلام والثاني أدنى وأخفض درجة ولو ذهبت تعكس هذا فقلت لا تؤذ ذميا ولا مسلما لجعل الأعلى ثانيا لخرجت عن حد الكلام وقانون البلاغة وهذا المثال بين ما يورد في نقض القانون المقرر ولكن الحق أولى من المراء وليس بين المثالين تعارض ونحن نمهد تمهيدا يرفع اللبس ويكشف الغطاء فنقول النكتة في الترتيب في المثالين الموهوم ... تعارضهما واحدة وهي توجب في مواضع تقديم الأعلى وفي مواضع تأخيره وتلك النكتة مقتضى البلاغة النائي عن التكرار والسلامة عن النزول فإذا اعتمدت ذلك فهما أدى إلى أن يكون آخر الكلام منكررا بالنسبة إلى أوله أو يكون الآخر مندرجا في الأول فاد فاد. وأنت مستغن عن الآخر فعدل عن ذلك إلى ما يكون ترقيا من الأدنى إلى الأعلى وستتناوله أمثلة لم يشتمل عليها الأول مثاله الآية المذكورة فإنك لو ذهبت بها إلى أن يكون المسيح أفضل من الملائكة وأعلى رتبة كان ذكر الملائكة بعده كالمستغنى عنه لأنه إذا كان الأفضل وهو المسيح على هذا التقدير عبدا لله غير مستنكف من العبودية لزم من ذلك أن من دونه في الفضيلة أولى أن لا يستنكف عن كونه عبدا لله وهم الملائكة على هذا التقدير فيتحد دا قوله ولا الملائكة المقربون الأماما أفاده أول الكلام وإذ قدرت المسيح مفضولا بالنسبة إلى الملائكة فإنك ترقيت من تعظيم الله تعالى بأن المفضول لا يستنكف عن كونه عبدا لله إلى أن الأفضل لا يستنكف عن ذلك وليس يلزم من عدم استنكاف المفضول عدم استنكاف الأفضل فالحاجة داعية إلى ذكر الملائكة إذ لم يستلزم الأول الآخر فصار الكلام على هذا التقدير تتجدد فوائده وتتزايد وما كان كذلك تعين أن يحمل عليه الكتاب العزيز لأنه الغاية في البلاغة وبهذه النكتة يجب أن تقول لا تؤذ مسلما ولا ذميا فتؤخر الأدنى على عكس الترتيب في الآية لأنك إذا نهيته عن أذية المسلم فقد يقال لذلك من خواصه احترام الإسلام ولا يلزم من ذلك نهيه عن أذى الكافر المسلوب عنه هذه الخصوصية فإذا قلت ولا ذميا فقد جددت فائدة لم تكن في الأول وترقيت من النهي عن بعض أنواع الأذى إلى النهي عن أكثر منه ولو رتبت هذا المثال كترتيب الآية فقلت لا تؤذ ذميا فهم النهي عن أذى المسلم أدخل في النهي إذ يساوي الذمي في سبب الاحترام وهو الإنسانية مثلا ويمتاز عنه بسبب أجل وأعظم وهو الإسلام فيقنعه هذا النهي عن تجديد نهي آخر عن أذى المسلم فإن قلت ولا مسلما لم تجدد له فائدة ولم تعلمه غير ما علمه أولا فقد علمت أن النكتة واحدة توجب أحيانا تقديم الأعلى وأحيانا تأخيره ولا يميز لك ذلك إلا السياق ولا شك أن سياق الآية يقتضي تقديم الأدنى وتأخير الأعلى ومن البلاغة المرتبة على هذه النكتة قوله تعالى فلا تقل لهما أف استغناء عن نهيه عن ضربهما فما فوقه بتقديم الأدنى ولم يلق ببلاغة الكتاب العزيز أن تريد نهيا عن أعلى من التأفيف

العرش كجبريل وميكائيل وإسرافيل ومن في طبقتهم (فإن قلت) من أين دل قوله ولا الملائكة المقربون على أن المعنى ولا من فوقه (قلت) من حيث إن علم المعاني لا يقتضي غير ذلك وذلك أن الكلام إنما سيق لرد مذهب النصارى وغلوهم في رفع المسيح عن منزلة العبودية فوجب أن يقال لهم لن يترفع عيسى عن العبودية ولا من هو أرفع منه درجة كأنه قيل لن يستنكف الملائكة المقربون من العبودية فكيف بالمسيح ويدل عليه دلالة ظاهرة بينة تخصيص المقربين لكونهم أرفع الملائكة درجة وأعلاهم منزلة ومثاله قول القائل

وما مثله ممن يجاود حاتم • ولا البحر ذو الأمواج يلتج زاخره

لا شبهة في أنه قصد بالبحر ذي الأمواج ما هو فوق حاتم في الجود ومن كان له ذوق فليذق مع هذه الآية قوله ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى يعترف بالفرق البين وقرأ علي رضي الله عنه عبيدا لله على التصغير وروى أن وفد نجران قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم لم تعيب صاحبنا قال ومن صاحبكم قالوا عيسى قال وأي شيء أقول قالوا تقول إنه عبد الله ورسوله قال إنه ليس بعار أن يكون عبد الله قالوا بلى فنزلت أي لا يستنكف عيسى من ذلك فلا تستنكفوا له منه فلو كان موضع استنكاف لكان هو أولى بأن يستنكف لأن العار ألصق به (فإن قلت) علام عطف قوله ولا الملائكة (قلت) لا يخلو إما أن يعطف على المسيح

والانم ارلانه مستغنى عنه وما يحتاج المتدبر لآيات القرآن مع التأييد بشاهد سواهما فرطنا في الكتاب من شيء ولما اقتضى الانصاف تسليم مقتضى الآية لتفضيل الملائكة وكانت الأدلة على تفضيل الأنبياء عتيدة عند المعتقد ألف جمع بين الآية وتلك الأدلة بحمل التفضيل في الآية على غير محل الخلاف وذلك أن تفضيل الملائكة في القوة وشدة البطش وسعة التمكن والاقتدار قال وهذا النوع من الفضيلة هو المناسب لسياق الآية لأن المقصود الرد على النصارى في اعتقادهم ألوهية عيسى عليه السلام مستندين إلى كونه أحيا الموتى وأبرأ الأكمه والأبرص وصدرت على يديه آثار عظيمة خارقة فناسب ذلك أن يقال هذا الذي صدرت على يديه هذه الخوارق لا يستنكف عن عبادة الله تعالى بل من هو أكثر خوارق وأظهر آثارا كالملائكة المقربين الذين من جملتهم جبريل عليه السلام وقد بلغ من قوته وإقدار الله له أن قلع المدائن وحملها على ريشة من جناحه فقلب عاليها سافلها فيكون تفضيل الملائكة إذاً بهذا الاعتبار لا بالخلاف أنهم أقوى وأبطش وأن خوارقهم أكثر وعين الخلاف في التفضيل باعتبار مزيد الثواب والكرامات ورفع الدرجات في دار الجزاء وليس في الآية عليه دليل وإن كان أكثر ما التبس على النصارى في ألوهية عيسى كونه ٤٠١ مخلوقاً موجوداً من غير أب أبا فاستدعى أن هذا الموجود من غير أب لا يستنكف من عبادة الله بل ولا الملائكة المخلوقون من غير أب ولا أم فيكون تأخير ذكرهم لأن خلقهم أغرب من خلق عيسى ويرشد لذلك أن الله تعالى نظر عيسى بآدم عليهما السلام فنظر الغريب بالأغرب وشبه

٥١ كشاف ل

العجيب من وجه بما لأعجب فعيسى مخلوق من أم وآدم من غير أم ولا أب ولذلك قال خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون ومدار هذا البحث على أن النكتة التي بحث عليها في استقام اشتمال المذكور آخرا على فائدة لم يشتمل عليها الأول بأي طريق كان من تفضيل أو غيره من الفوائد فقد استند النظر وطابق صيغة الآية والله أعلم وعلى الجملة فالمسئلة صعبة والقطع فيها معروف بالنص الذي لا يحتمل تأويلا ووجوده عسر صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وما أحسن تأكيد الزمخشري لاستدلاله بأن الملائكة المعنيين بأنهم المقربون ومن ثم يدندن جمهور من فصل القول في الملائكة والأنبياء فلم يعمم التفضيل في الملائكة ولا في الأنبياء بل فصل ثم فصل وليس الغرض الآن ذكر محاسن الآية لا البحث في اختلاف المذاهب والله الموفق. قوله تعالى ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر إلى قوله ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا (قال إن قلت التفصيل غير مطابق للمفصل الخ) قال أحمد المراد بأنه ولي من لم يستنكف ومن استنكف لسبق ذكرهما ألا ترى أن المسيح والملائكة المقربين ومن دونهم من عباد الله لم يستنكفوا عن عبادة الله وقد جرى ذكرهم ويرشد إليه تأكيد الضمير بقوله جميعا فكأنه قال فسيحشر إليه المقربين وغيرهم جميعا ووقوع الفصل المتصل به الضمير جزاء لقوله ومن يستنكف لا يعين اختصاص الضمير بالمستنكفين لأن المصحح لارتباط الكلام قد وجد مندرجا في هذا الضمير الشامل لهم

فأما الذين آمنوا بالله واعتصموا به فسيدخلهم في رحمة منه وفضل ويهديهم إليه صراطا مستقيما يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة إن امرؤ هلك ليس له ولد وله أخت فلها نصف ما ترك

أو على اسم يكون أو على المستتر في عبد لما فيه من معنى الوصف لدلالته على معنى العبادة كقولك مررت برجل عبدٍ أبوه فالعطف على المسيح هو الظاهر لأداء غيره إلى ما فيه بعض انحراف عن الغرض وهو أن المسيح لا يأنف أن يكون هو ولا من فوقه موصوفين بالعبودية أو أن يعبد الله هو ومن فوقه (فإن قلت) قد جعلت الملائكة وهم جماعة عبدا لله في هذا العطف فما وجهه (قلت) فيه وجهان أحدهما أن يراد ولا كل واحد من الملائكة أو ولا الملائكة المقربون أن يكونوا عبادا لله فحذف ذلك لدلالة عبد الله عليه إيجازا وأما إذا عطفتهم على الضمير في عبدا فقد طاح هذا السؤال. وقرئ فسيحشرهم بضم الشين وكسرها وبالنون (فإن قلت) التفصيل غير مطابق للمفصل لأنه اشتمل على الفريقين والمفصل على فريق واحد (قلت) هو مثل قولك جمع الإمام الخوارج فمن لم يخرج عليه كساه وحمله ومن خرج عليه نكل به وصحة ذلك لوجهين أحدهما أن يحذف ذكر أحد الفريقين لدلالة التفصيل عليه ولأن ذكر أحدهما يدل على ذكر الثاني كما حذف أحدهما في التفصيل في قوله عقيب هذا (فأما الذين آمنوا بالله واعتصموا به) والثاني وهو أن الإحسان إلى غيرهم مما يغمهم فكان داخلا في جملة التنكيل بهم فكأنه قيل ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيعذب بالحسرة إذا رأى أجور العاملين وبما يصيبه من عذاب الله. البرهان والنور المبين القرآن أو أراد بالبرهان دين الحق أو رسول الله صلى الله عليه وسلم وبالنور المبين ما يبينه ويصدقه من الكتاب المعجز (في رحمة منه وفضل) في ثواب مستحق وتفضل (ويهديهم إليه) إلى عبادته (صراطا مستقيما) وهو طريق الإسلام والمعنى توفيقهم وتثبيتهم. وروي أنه آخر ما نزل من الأحكام كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في طريق مكة عام حجة الوداع فأتاه جابر بن عبد الله فقال إن لي أختا فكم آخذ من ميراثها إن ماتت وقيل كان مريضا فعاده رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال إني كلالة فكيف أصنع في مالي فنزلت (إن امرؤ هلك) ارتفع امرؤ بمضمر يفسره الظاهر ومحل (ليس له ولد) الرفع على الصفة لا النصب على الحال أي إن هلك امرؤ غير ذي ولد والمراد بالولد الابن وهو اسم مشترك يجوز إيقاعه على الذكر وعلى الأنثى لأن الابن يسقط الأخت ولا تسقطها البنت إلا في

وافيرهم وحينئذ يكون المفصل مشتملا على الفريقين وتفصيله منطبق عليه والله أعلم * قوله تعالى فان كانتا اثنتين فلهما الثلثان مما ترك
(قال ان قلت الى من يرجع ضمير التثنية والجمع الخ) قال أحمد وقد سبق له هذا التمثيل فى مثل هذا الموضع ولو مثل بقول القائل

مذهب ابن عباس والاخت التى هى لاب وأم دون التى لام لان الله تعالى فرض لها النصف وجعل أخاها عصبة وقال للذكر مثل حظ الانثيين وأما الاخت للام فلها السدس فى آية المواريث مسوى بينها وبين أخيها (وهو يرثها) وأخوها يرثها ان قدر الامر على العكس من موتها وبقائه بعدها (ان لم يكن لها ولد) أى ابن لان الابن يسقط الاخ دون البنت (فان قلت) الابن لا يسقط الاخ وحده فان الاب نظيره فى الاسقاط فلم اقتصر على نفى الولد (قلت) بين حكم انتفاء الولد ووكل حكم انتفاء الولد الى بيان السنة وهو قوله عليه السلام ألحقوا الفرائض بأهلها فما بقى فلاولى عصبة ذكر والاب أولى من الاخ وليسا بأول حكمين بين أحدهما بالكتاب والآخر بالسنة ويجوز أن يدل حكم انتفاء الولد على حكم انتفاء الوالد لان الولد أقرب الى الميت من الوالد واذا ورث الاخ عند انتفاء الاقرب فأولى أن يرث عند انتفاء الابعد ولان الكلالة تتناول انتفاء الوالد والولد جميعا فكان ذكر انتفاء أحدهما دالا على انتفاء الآخر (فان قلت) الى من يرجع ضمير التثنية والجمع فى قوله (فان كانتا اثنتين) وان كانوا اخوة (قلت) أصله فان كان من يرث بالاخوة اثنتين وان كان من يرث بالاخوة ذكورا واناثا وانما قيل فان كانتا وان كانوا كما قيل من كانت أمك فكما أنث ضمير من لمكان تأنيث الخبر كذلك ثنى وجمع ضمير من يرث فى كانتا وكانوا لمكان تثنية الخبر وجمعه * والمراد بالاخوة الاخوة والاخوات تغليبا لحكم الذكورة (أن تضلوا) مفعول له ومعناه كراهة أن تضلوا عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة النساء فكأنما تصدق على كل مؤمن ومؤمنة وورث ميراثا وأعطى من الاجر كمن اشترى محررا وبرئ من الشرك وكان فى مشيئة الله من الذين يتجاوز عنهم

﴿سورة المائدة مدنية وهى مائة وثلاث وعشرون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

يقال وفى بالعهد وأوفى به ومنه والموفون بعهدهم * والعقد العهد الموثق شبه بعقد الحبل ونحوه قال الحطيئة

قوم اذا عقدوا عقدا لجارهم * شدوا العناج وشدوا فوقه الكربا

وهى عقود الله التى عقدها على عباده وألزمها اياهم من مواجب التكليف وقيل هى ما يعقدون بينهم من عقود الامانات ويتحالفون عليه ويتماسحون من المبايعات ونحوها والظاهر أنها عقود الله عليهم فى دينه من تحليل حلاله وتحريم حرامه وأنه كلام قدم مجملا ثم عقب بالتفصيل وهو قوله (أحلت لكم) وما بعده * البهيمة كل ذات أربع فى البر والبحر واضافتها الى الانعام للبيان وهى الاضافة التى بمعنى من كخاتم فضة ومعناه البهيمة من الانعام (الا ما يتلى عليكم) الا محرم ما يتلى عليكم من القرآن من نحو قوله حرمت عليكم الميتة أو الا ما يتلى عليكم آية تحريمه * والانعام الازواج الثمانية وقيل بهيمة الانعام الظباء وبقر الوحش ونحوها كأنهم أرادوا ما يماثل الانعام ويدانيها من جنس البهائم فى الاجترار وعدم الانياب فأضيفت الى الانعام لملابسة الشبه (غير محلى الصيد) نصب على الحال من الضمير فى لكم أى أحلت لكم هذه الاشياء لا محلين الصيد وعن الاخفش أن انتصابه عن قوله أوفوا بالعقود وقوله (وأنتم حرم) حال عن محلى الصيد كأنه قيل أحللنا لكم بعض الانعام فى حال امتناعكم من الصيد وأنتم محرمون لئلا نحرج عليكم (ان الله يحكم ما يريد) من الاحكام ويعلم أنه حكمة ومصلحة * والحرم جمع حرام وهو المحرم * الشعائر جمع شعيرة وهى اسم ما أشعر أى جعل شعارا وعلما للنسك من مواقف الحج ومرامى الجمار والمطاف والمسعى والافعال التى هى علامات الحاج يعرف بها من الاحرام والطواف والسعى والحلق والنحر * والشهر الحرام شهر الحج * والهدى ما أهدى الى

جمعا ان كانت ذا بنتك لكان أعلم اذ فى لفظه من الابهام ما يسوغ وقوعها على الاصناف المختلفة من مذكر ومؤنث وتثنية وجمع ومثل الآية سواء قوله تعالى يحسبون كل

وهو يرثها ان لم يكن لها ولد فان كانتا اثنتين فلهما الثلثان مما ترك وان كانوا اخوة رجالا ونساء فللذكر مثل حظ الانثيين يبين الله لكم أن تضلوا والله بكل شئ عليم

سورة المائدة مدنية وهى مائة وثلاث وعشرون آية

(بسم الله الرحمن الرحيم)

يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود أحلت لكم بهيمة الانعام الا ما يتلى عليكم غير محلى الصيد وأنتم حرم ان الله يحكم ما يريد يا أيها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله ولا الشهر الحرام ولا الهدى ولا القلائد

صيحة عليهم هم العدو فيين حمل الجنة معمولا ثانيا للحسبان فان أصل الكلام هى العدو فاذ الضمير على هذا الاعراب للصيحة ولكنه ذكره

وجمعا كان الخبر والله أعلم البيت

﴿القول فى سورة المائدة﴾ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود (قال المصنف يقال وفى بالعهد وأوفى به ومنه الموفون بعهدهم) قال أحمد ورد فى الكتاب العزيز وفى بالتضعيف فى قوله تعالى وابراهيم الذى وفى وورد أوفى كثيرا ومنه أوفوا بالعقود وأما وفى ثلاثيا فلم يرد الا فى قوله تعالى ومن أوفى بعهده

البيت وتقرب به الى الله من النسائك وهو جمع هدية كما يقال جدي في جمع جدية السرج * والقلائد جمع قلادة وهي ما قلد به الهدي من نعل أو عروة مزادة أو لحاء شجر أو غيره * وآمو المسجد الحرام قاصدوه وهم الحجاج والعمار * واحلال هذه الاشياء أن يتهاون بحرمة الشعائر وأن يحال بينها وبين المتنسكين بها وأن يحدثوا في أشهر الحج ما يصدون به الناس عن الحج وأن يتعرض للهدي بالغصب أو بالمنع من بلوغ محله * وأما القلائد ففيها وجهان أحدهما أن يراد بها ذوات القلائد من الهدي وهي البدن وتعطف على الهدي للاختصاص وزيادة التوصية بها لانها أشرف الهدي كقوله وجبريل وميكال كأنه قيل والقلائد منها خصوصا والثاني أن ينهى عن التعرض لقلائد الهدي مبالغة في النهي عن التعرض للهدي على معنى ولا تحلوا قلائدها فضلا أن تحلوها كما قال ولا يبدين زينتهن فنهى عن ابداء الزينة مبالغة في النهي عن ابداء مواقعها (ولا آمين) ولا تحلوا قوما قاصدين المسجد الحرام (يبتغون فضلا من ربهم) وهو الثواب (ورضوانا) وأن يرضى عنهم أي لا تتعرضوا لقوم هذه صفتهم تعظيما لهم واستنكارا أن يتعرض لمثلهم قيل هي محكمة وعن النبي صلى الله عليه وسلم المائدة من آخر القرآن نزولا فأحلوا حلالها وحرموا حرامها وقال الحسن ليس فيها منسوخ وعن أبي ميسرة فيها ثماني عشرة فريضة وليس فيها منسوخ وقيل هي منسوخة وعن ابن عباس كان المسلمون والمشركون يحجون جميعا فنهى الله المسلمين أن يمنعوا أحدا عن حج البيت بقوله لا تحلوا ثم نزل بعد ذلك انما المشركون نجس ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد الله وقال مجاهد والشعبي لا تحلوا نسخ بقوله واقتلوهم حيث وجدتموهم * وفسر ابتغاء الفضل بالتجارة وابتغاء الرضوان بأن المشركين كانوا يظنون في أنفسهم أنهم على سداد من دينهم وأن الحج يقربهم الى الله فوصفهم الله بظنهم * وقرأ عبد الله ولا آمي البيت الحرام على الاضافة * وقرأ حميد بن قيس والاعرج تبتغون بالتاء على خطاب المؤمنين (فاصطادوا) اباحة للاصطياد بعد حظره عليهم كأنه قيل واذا حللتم فلا جناح عليكم أن تصطادوا وقرئ بكسر الفاء وقيل هو بدل من كسر الهمزة عند الابتداء * وقرئ واذا أحللتم يقال حل المحرم وأحل * جرم يجري مجرى كسب في تعديه الى مفعول واحد واثنين تقول جرم ذنبا نحو كسبه وجرمته ذنبا نحو كسبته اياه ويقال أجرمته ذنبا على نقل المتعدي الى مفعول بالهمزة الى مفعولين كقولهم أكسبته ذنبا وعليه قراءة عبد الله ولا يجرمنكم بضم الياء وأول المفعولين على القراءتين ضمير المخاطبين والثاني أن تعتدوا (وأن صدوكم) بفتح الهمزة متعلق بالشنآن بمعنى العلة والشنآن شدة البغض * وقرئ بسكون النون والمعنى ولا يكسبنكم بغض قوم لأن صدوكم الاعتداء ولا يحملنكم عليه * وقرئ ان صدوكم على ان الشرطية وفي قراءة عبد الله ان يصدوكم ومعنى صدهم اياهم عن المسجد الحرام منع أهل مكة رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين يوم الحديبية عن العمرة ومعنى الاعتداء الانتقام منهم بالحاق مكروه بهم (وتعاونوا على البر والتقوى) على العفو والاغضاء (ولا تعاونوا على الاثم والعدوان) على الانتقام والتشفي ويجوز أن يراد العموم لكل بر وتقوى وكل اثم وعدوان فيتناول بعمومه العفو والانتصار * كان أهل الجاهلية يأكلون هذه المحرمات البهيمة التي تموت حتف أنفها والفصيد وهو الدم [٣] في المباعر يشوونها ويقولون لم يحرم من فزد له (وما أهل لغير الله به) أي رفع الصوت به لغير الله وهو قولهم باسم اللات والعزى عند ذبحه (والمنخنقة) التي خنقوها حتى ماتت أو انخنقت بسبب (والموقوذة) التي أثخنوها ضربا بعصا أو حجر حتى ماتت (والمتردية) التي تردت من جبل أو في بئر فماتت (والنطيحة) التي نطحتها أخرى فماتت بالنطح (وما أكل السبع) بعضه (الا ما ذكيتم) الا ما أدركتم ذكاته وهو يضطرب اضطراب المذبوح وتشخب أوداجه * وقرأ عبد الله والمنطوحة وفي رواية عن أبي عمرو والسبع بسكون الباء وقرأ ابن عباس وأكيل السبع (وما ذبح على النصب) كانت لهم حجارة منصوبة حول البيت يذبحون عليها ويشرحون اللحم عليها يعظمونها بذلك ويتقربون به اليها تسمى الانصاب والنصب واحد قال الاعشى

وذا النصب المنصوب لاتعبدنه * لعاقبة والله ربك فاعبدا

ولا آمين البيت الحرام يبتغون فضلا من ربهم ورضوانا واذا حللتم فاصطادوا ولا يجرمنكم شنآن قوم أن صدوكم عن المسجد الحرام أن تعتدوا وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان واتقوا الله ان الله شديد العقاب حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع الا ما ذكيتم وما ذبح على النصب

من الله لأنه بين أفضل من التفصيل وفي اذ لا يبقى الأمن ثلاثي

٣ قوله في المباعر أي مواضع البعر وهي الأمعاء وقوله فزد بضم الفاء وسكون الزاي آخره دال مهملة ويروى فصد بسكون الصاد تخفيفا أي لم يحرم القرى من فصدت له الراحلة فحظي بدمها ويروى قصدا قال أي أعطي قصدا أي قليلا اهـ من القاموس اهـ مصححه

وقيل هو جمع والواحد نصاب وقرئ النصب بسكون الصاد (وأن تستقسموا بالأزلام) وحرم عليكم الاستقسام بالأزلام أي بالقداح كان أحدهم إذا أراد سفرا أو غزوا أو تجارة أو نكاحا أو أمرا من معاظم الأمور ضرب بالقداح وهي مكتوب على بعضها أمرني ربي وعلى بعضها نهاني ربي وبعضها غفل فإن خرج الآمر مضى لطيته وإن خرج الناهي أمسك وإن خرج الغفل أجالها عودا فمعنى الاستقسام بالأزلام طلب معرفة ما قسم له مما لم يقسم له بالأزلام وقيل هو الميسر وقسمتهم الجزور على الأنصباء المعلومة (ذلكم فسق) الإشارة إلى الاستقسام أو إلى تناول ما حرم عليهم لأن المعنى حرم عليكم تناول الميتة وكذا وكذا (فإن قلت) لم كان استقسام المسافر وغيره بالأزلام لمعرفة الحال فسقا (قلت) لأنه دخول في علم الغيب الذي استأثر به علام الغيوب وقال لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله واعتقاد أن إليه طريقا أو إلى استنباطه وقوله أمرني ربي ونهاني ربي افتراء على الله وما يدريه أنه أمره أو نهاه والكهنة والمنجمون بهذه المثابة وإن كان أراد بالرب الصنم فقد روي أنهم كانوا يحيلون ذلك عند أصنامهم فأمره ظاهر (اليوم) لم يرد به يوما بعينه وإنما أراد به الزمان الحاضر وما يتصل به ويدانيه من الأزمنة الماضية والآتية كقولك كنت بالأمس شابا وأنت اليوم أشيب فلا تريد بالأمس اليوم الذي قبل يومك ولا باليوم يومك ونحوه الآن في قوله

الآن لما ابيض مسربتي * وعضضت من نابي على جذم

وقيل أريد يوم نزولها وقد نزلت يوم الجمعة وكان يوم عرفة بعد العصر في حجة الوداع (يئس الذين كفروا من دينكم) يئسوا منه أن يبطلوه وأن ترجعوا محللين لهذه الخبائث بعدما حرمت عليكم وقيل يئسوا من دينكم أن يغلبوه لأن الله عز وجل وفى بوعده من إظهاره على الدين كله (فلا تخشوهم) بعد إظهار الدين وزوال الخوف من الكفار وانقلابهم مغلوبين مقهورين بعدما كانوا غالبين (واخشون) وأخلصوا لي الخشية (أكملت لكم دينكم) كفيتكم أمر عدوكم وجعلت اليد العليا لكم كما تقول الملوك اليوم كمل لنا الملك وكمل لنا ما نريد إذا كفوا من ينازعهم الملك ووصلوا إلى أغراضهم ومباغيهم أو أكملت لكم ما تحتاجون إليه في تكليفكم من تعليم الحلال والحرام والتوقيف على الشرائع وقوانين القياس وأصول الاجتهاد (وأتممت عليكم نعمتي) بفتح مكة ودخولها آمنين ظاهرين وهدم منار الجاهلية ومناسكهم وأن لم يحج معكم مشرك ولم يطف بالبيت عريان أو أتممت نعمتي عليكم بإكمال أمر الدين والشرائع كأنه قال اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي بذلك لأنه لا نعمة أتم من نعمة الإسلام (ورضيت لكم الإسلام دينا) يعني اخترته لكم من بين الأديان وآذنتكم بأنه هو الدين المرضي وحده ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه إن هذه أمتكم أمة واحدة (فإن قلت) بم اتصل قوله (فمن اضطر) (قلت) بذكر المحرمات وقوله ذلكم فسق اعتراض أكد به معنى التحريم وكذلك ما بعده لأن تحريم هذه الخبائث من جملة الدين الكامل والنعمة التامة والإسلام المنعوت بالرضا دون غيره من الملل ومعناه فمن اضطر إلى الميتة أو إلى غيرها (في مخمصة) في مجاعة (غير متجانف لإثم) غير منحرف إليه كقوله غير باغ ولا عاد (فإن الله غفور) لا يؤاخذه بذلك * في السؤال معنى القول فلذلك وقع بعده (ماذا أحل لهم) كأنه قيل يقولون لك ماذا أحل لهم وإنما لم يقل ماذا أحل لنا حكاية لما قالوه لأن يسألونك بلفظ الغيبة كما تقول أقسم زيد ليفعلن ولو قيل لأفعلن وأحل لنا لكان صوابا وماذا مبتدأ وأحل لهم خبره كقولك أي شيء أحل لهم ومعناه ماذا أحل لهم من المطاعم كأنهم حين تلا عليهم ما حرم عليهم من خبيثات المآكل سألوا عما أحل لهم منها فقيل (أحل لكم الطيبات) أي ما ليس بخبيث منها وهو كل ما لم يأت تحريمه في كتاب أو سنة أو قياس مجتهد (وما علمتم من الجوارح) عطف على الطيبات أي أحل لكم الطيبات وصيد ما علمتم فحذف المضاف أو تجعل ما شرطية وجوابها فكلوا والجوارح الكواسب من سباع البهائم والطير كالكلب والفهد والنمر والعقاب والصقر والبازي والشاهين * والمكلب مؤدب الجوارح ومضريها بالصيد لصاحبها ورائضها لذلك بما علم من الحيل وطرق التأديب والتثقيف واشتقاقه من الكلب لأن التأديب أكثر ما يكون في الكلاب فاشتق من لفظه لكثرته في جنسه أو لأن السبع يسمى

وأن تستقسموا بالأزلام ذلكم فسق اليوم يئس الذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم واخشون اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا فمن اضطر في مخمصة غير متجانف لإثم فإن الله غفور رحيم يسألونك ماذا أحل لهم قل أحل لكم الطيبات وما علمتم من الجوارح

* قوله تعالى وما علمتم من الجوارح مكلبين تعلمونهن مما علمكم الله فكلوا مما أمسكن عليكم الآية (قال وما علمتم عطفا على الطيبات الخ) قال أحمد وإنه لأحسن في التنبيه على هذا السر الخفي غير أن الحال باعتبارها مستقلة غير لازمة ومقتضى هذا التقرير جعلها من الصفات اللازمة للجوارح الثابتة له

كلبا

عاد كلامه (قال وفي قوله تعلمونهن مما علمكم الله فائدة جليلة الخ) قال أحمد وفي الآية دليل على أن البهائم لها علم لأن تعليمها معناه لغة تحصيل العلم لها بطريقه خلافا للمنكري ذلك * قوله تعالى وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم (قال معناه فلا عليكم أن تطعموهم الخ) قال أحمد وقد يستدل بهذه الآية من يرى الكفار مخاطبين بفروع الشريعة لأن تحليل حكم وقد علقه بهم في قوله وطعامكم حل لهم كما علق الحكم بالمؤمنين وهذه الآية أبين في الاستدلال لهم من قوله لا هن حل لهم ٤٠٥ ولا هم يحلون لهن لأن لقائل أن يقول في تلك الآية نفي الحكم ليس بحكم ولا يستطيع ذلك في آية المائدة هذه لأن الحكم فيها مثبت والله أعلم

مكلبين تعلمونهن مما علمكم الله فكلوا مما أمسكن عليكم واذكروا اسم الله عليه واتقوا الله ان الله سريع الحساب اليوم أحل لكم الطيبات وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم اذا آتيتموهن أجورهن محصنين غير مسافحين ولا متخذي أخدان ومن يكفر بالايمان فقد حبط عمله وهو في الآخرة من الخاسرين يا أيها الذين آمنوا اذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم

كلب ومنه قوله عليه السلام اللهم سلط عليه كلبا من كلابك فأكله الأسد أو من الكلب الذي هو بمعنى الضراوة يقال هو كلب بكذا اذا كان ضاريا به وانتصاب (مكلبين) على الحال من علمتم (فان قلت) ما فائدة هذه الحال وقد استغنى عنها بعلمتم (قلت) فائدتها أن يكون من يعلم الجوارح نحريرا في علمه مدربا فيه موصوفا بالتكليب و(تعلمونهن) حال ثانية أو استئناف وفيه فائدة جليلة وهي أن على كل آخذ علما أن لا يأخذه الا من أقتل أهله علما وأنحرهم دراية وأغوصهم على لطائفه وحقائقه وان احتاج الى أن يضرب اليه أكباد الابل فكم من آخذ عن غير متقن قد ضيع أيامه وعض عند لقاء النحارير أنامله (مما علمكم الله) من علم التكليب لأنه الهام من الله ومكتسب بالعقل أو مما عرفكم أن تعلموه من اتباع الصيد بارسال صاحبه وانزجاره بزجره وانصرافه بدعائه وامساك الصيد عليه وأن لا يأكل منه * وقرئ مكلبين بالتخفيف وأفعل وفعل يشتركان كثيرا * والامساك على صاحبه أن لا يأكل منه لقوله عليه السلام لعدي بن حاتم وان أكل منه فلا تأكل انما أمسك على نفسه وعن علي رضي الله عنه اذا أكل البازي فلا تأكل وفرق العلماء فاشترطوا في سباع البهائم ترك الأكل لأنها تؤدب بالضرب ولم يشترطوه في سباع الطير ومنهم من لم يعتبر ترك الأكل أصلا ولم يفرق بين الامساك والأكل والنهش وعن سلمان وسعد بن أبي وقاص وأبي هريرة رضي الله عنهم اذا أكل الكلب ثلثيه وبقي ثلثه وذكرت اسم الله عليه فكل (فان قلت) الام يرجع الضمير في قوله (واذكروا اسم الله عليه) (قلت) اما أن يرجع الى ما أمسكن على معنى وسموا عليه اذا أدركتم ذكاته أو الى ما علمتم من الجوارح أي سموا عليه عند ارساله (وطعام الذين أوتوا الكتاب) قيل هو ذبائحهم وقيل هو جميع مطاعمهم ويستوي في ذلك جميع النصارى وعن علي رضي الله عنه أنه استثنى نصارى بني تغلب وقال ليسوا على النصرانية ولم يأخذوا منها الا شرب الخمر وبه أخذ الشافعي وعن ابن عباس أنه سئل عن ذبائح نصارى العرب فقال لا بأس وهو قول عامة التابعين وبه أخذ أبو حنيفة وأصحابه وحكم الصابئين حكم أهل الكتاب عند أبي حنيفة وقال صاحباه هم صنفان صنف يقرؤن الزبور ويعبدون الملائكة وصنف لا يقرؤن كتابا ويعبدون النجوم فهؤلاء ليسوا من أهل الكتاب وأما المجوس فقد سن بهم سنة أهل الكتاب في أخذ الجزية منهم دون أكل ذبائحهم ونكاح نسائهم وقد روي عن ابن المسيب أنه قال اذا كان المسلم مريضا فأمر المجوسي أن يذكر اسم الله ويذبح فلا بأس وقال أبو ثور وان أمره بذلك في الصحة فلا بأس وقد أساء (وطعامكم حل لهم) فلا عليكم أن تطعموهم لأنه لو كان حراما عليهم طعام المؤمنين لما ساغ لهم اطعامهم (المحصنات) الحرائر أو العفائف وتخصيصهن بعث على تخير المؤمنين لنطفهم والاماء من المسلمات يصح نكاحهن بالاتفاق وكذلك نكاح غير العفائف منهن وأما الاماء الكتابيات فعند أبي حنيفة هن كالمسلمات وخالفه الشافعي وكان ابن عمر لا يرى نكاح الكتابيات ويحتج بقوله ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن ويقول لا أعلم شركا أعظم من قولها ان ربها عيسى وعن عطاء قد أكثر الله المسلمات وانما رخص لهم يومئذ (محصنين) أعفاء (ولا متخذي أخدان) صدائق والخدن يقع على الذكر والأنثى (ومن يكفر بالايمان) بشرائع الاسلام وما أحل الله وحرم (اذا قمتم الى الصلاة) كقوله فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله وكقولك اذا ضربت غلامك فهون عليه في أن المراد ارادة الفعل (فان قلت) لم جاز أن يعبر عن ارادة الفعل بالفعل (قلت) لأن الفعل يوجد بقدرة الفاعل عليه وارادته له وهو

ولما استشعر الزمخشري دلالتها على ذلك وهو من القائلين بأن الكفار يستحيل خطابهم بفروع الشريعة أسلف تأويلها بصرف الخطاب الى المؤمنين أي لا جناح عليكم أيها المسلمون أن تطعموا أهل الكتاب كما رأيته في كلامه أيضا * قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا اذا قمتم الى الصلاة الآية (قال قوله اذا قمتم كقوله فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله الخ) قال أحمد هذا الكلام يستقيم وروده من السني كما يستقيم من المعتزلي لأنا نقول الفعل يوجد بقدرة العبد ملتبسا بها ومقارنا لها والمعتزلي يقوله ويعني مخلوقا بها وناشئا عن تأثيرها فالعبارة مستعملة في المذهبين ولكن باختلاف المعنى والله الموفق

* عاد كلامه (قال فإن قلت ظاهر الآية يوجب الوضوء على كل قائم الخ) قال أحمد الزمخشري ينكر أن يراد بالمشترك كل واحد من معانيه على الجمع وقد سبق له انكار ذلك ومن جوز ارادة جميع المحامل أجاز ذلك في الآية ومن المجوزين لذلك الشافعي رحمه الله تعالى وناهيك بامام الفن وقدوته هذا وقد وقع ٤٠٦ الاتفاق على ان صيغة افعل مشتركة بين الوجوب والندب فصح تناولها في الآية الفريقين المحدثين والمحدثين وتناولها للمتطهرين من حيث الندب والله أعلم * قوله تعالى وامسحوا برؤسكم وأرجلكم (قال فيه قرأ جماعة وأرجلكم بالنصب الخ) قال أحمد ولم يوجه الجر بما يشفي الغليل والوجه فيه ان الغسل والمسح متقاربان من حيث ان كل واحد منهما امساس بالعضو فيسهل عطف المغسول على الممسوح من ثم كقوله متقلدا سيفا ورمحا * وعلفتها تبنا وماء باردا ونظائره كثيرة وهذا وجه الحذاق ثم يقال ما فائدة هذا التشريك بعد التقارب وهلا أسند الى كل واحد منهما الفعل الخاص به على الحقيقة فيقال فائدته الايجاز واختصار وتوكيد الفائدة بما ذكره الزمخشري وتحقيقه ان الاصل ان يقال مثلا وامسحوا برؤسكم واغسلوا أرجلكم غسلا خفيفا لا اسراف فيه كما هو المعتاد فاختصرت هذه المقاصد بأن شرك الارجل مع الممسوح ونبه بهذا التشريك الذي لا يكون الا في الفعل الواحد أو الفعلين المتقاربين جدا على ان الغسل المطلوب في الارجل غسل خفيف يقارب المسح وحسن ادراجه معه تحت صيغة واحدة وهذا تقرير كامل لهذا المقصود والله أعلم (قوله الرابع) كذا بالاصل وصوابه الثالث كما هو واضح اهـ للمصحح

إلى المرافق وامسحوا برؤسكم وأرجلكم إلى الكعبين وإن كنتم جنبا فاطهروا وإن كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه

قصده إليه وميله وخلوص داعيه وكما عبر عن القدرة على الفعل بالفعل في قولهم الانسان لا يطير والأعمى لا يبصر أي لا يقدران على الطيران والابصار ومنه قوله تعالى نعيده وعدا علينا انا كنا فاعلين يعني انا كنا قادرين على الاعادة كذلك عبر عن ارادة الفعل بالفعل وذلك لان الفعل مسبب عن القدرة والارادة فأقيم المسبب مقام السبب للملابسة بينهما ولايجاز الكلام ونحوه من اقامة المسبب مقام السبب قولهم كما تدين تدان عبر عن الفعل المبتدأ الذي هو سبب الجزاء بلفظ الجزاء الذي هو مسبب عنه وقيل معنى قمتم الى الصلاة قصدتموها لان من توجه الى شيء وقام اليه كان قاصدا له لا محالة فعبر عن القصد له بالقيام اليه (فإن قلت) ظاهر الآية يوجب الوضوء على كل قائم الى الصلاة محدث وغير محدث فما وجهه (قلت) يحتمل أن يكون الأمر للوجوب فيكون الخطاب للمحدثين خاصة وأن يكون للندب وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم والخلفاء بعده أنهم كانوا يتوضؤن لكل صلاة وعن النبي صلى الله عليه وسلم من توضأ على طهر كتب الله له عشر حسنات وعنه عليه السلام أنه كان يتوضأ لكل صلاة فلما كان يوم الفتح مسح على خفيه فصلى الصلوات الخمس بوضوء واحد فقال له عمر صنعت شيئا لم تكن تصنعه فقال عمدا فعلته يا عمر يعني بيانا للجواز (فإن قلت) هل يجوز أن يكون الامر شاملا للمحدثين وغيرهم لهؤلاء على وجه الايجاب ولهؤلاء على وجه الندب (قلت) لا لان تناول الكلمة لمعنيين مختلفين من باب الالغاز والتعمية وقيل كان الوضوء لكل صلاة واجبا أول ما فرض ثم نسخ * إلى تفيد معنى الغاية مطلقا فأما دخولها في الحكم وخروجها فأمر يدور مع الدليل فمما فيه دليل على الخروج قوله فنظرة الى ميسرة لان الاعسار علة الانظار وبوجود الميسرة تزول العلة ولو دخلت الميسرة فيه لكان منظرا في كلتا الحالتين معسرا وموسرا وكذلك ثم أتموا الصيام الى الليل لو دخل الليل لوجب الوصال ومما فيه دليل على الدخول قولك حفظت القرآن من أوله الى آخره لان الكلام مسوق لحفظ القرآن كله ومنه قوله تعالى من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى لوقوع العلم بأنه لا يسرى به الى بيت المقدس من غير أن يدخله وقوله (الى المرافق) و(الى الكعبين) لا دليل فيه على أحد الامرين فأخذ كافة العلماء بالاحتياط فحكموا بدخولها في الغسل وأخذ زفر وداود بالمتيقن فلم يدخلاها وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يدير الماء على مرفقيه (وامسحوا برؤسكم) المراد الصاق المسح بالرأس وماسح بعضه ومستوعبه بالمسح كلاهما ملصق للمسح برأسه وقد أخذ مالك بالاحتياط فأوجب الاستيعاب أو أكثره على اختلاف الرواية وأخذ الشافعي باليقين فأوجب أقل ما يقع عليه اسم المسح وأخذ أبو حنيفة ببيان رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ما روي أنه مسح على ناصيته وقدر الناصية بربع الرأس * قرأ جماعة وأرجلكم بالنصب فدل على أن الارجل مغسولة (فإن قلت) فما تصنع بقراءة الجر ودخولها في حكم المسح (قلت) الارجل من بين الاعضاء الثلاثة المغسولة تغسل بصب الماء عليها فكانت مظنة للاسراف المذموم المنهي عنه فعطفت على الرابع الممسوح لا لتمسح ولكن لينبه على وجوب الاقتصاد في صب الماء عليها وقيل (الى الكعبين) فجيء بالغاية اماطة لظن ظان يحسبها ممسوحة لان المسح لم تضرب له غاية في الشريعة وعن علي رضي الله عنه أنه أشرف على فتية من قريش فرأى في وضوئهم تجوزا فقال ويل للاعقاب من النار فلما سمعوا جعلوا يغسلونها غسلا ويدلكونها دلكا وعن ابن عمر كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فتوضأ قوم وأعقابهم بيض تلوح فقال ويل للاعقاب من النار وفي رواية جابر ويل للعراقيب وعن عمر أنه رأى رجلا يتوضأ فترك باطن قدميه فأمره أن يعيد الوضوء وذلك

المنغلظ عليه وعن عائشة رضي الله عنها لأن تقطعا أحب الي من أن أمسح على القدمين بغير خفين وعن
عطاء والله ما علمت أن أحدا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مسح على القدمين وقد ذهب بعض
الناس الى ظاهر العطف فأوجب المسح وعن الحسن أنه جمع بين الأمرين وعن الشعبي نزل القرآن بالمسح
والغسل سنة وقرأ الحسن وأرجلكم بالرفع بمعنى وأرجلكم مغسولة أو ممسوحة الى الكعبين * وقرئ فاطهروا
أي فطهروا أبدانكم وكذلك ليطهركم * وفي قراءة عبد الله فأموا صعيدا (ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج)
في باب الطهارة حتى لا يرخص لكم في التيمم (ولكن يريد ليطهركم) بالتراب اذا أعوزكم التطهر بالماء
(وليتم نعمته عليكم) وليتم برخصه انعامه عليكم بعزائمه (لعلكم تشكرون) نعمته فيثيبكم (واذكروا نعمة الله
عليكم) وهي نعمة الاسلام (وميثاقه الذي واثقكم به) أي عاقدكم به عقدا وثيقا وهو الميثاق الذي أخذه على
المسلمين حين بايعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة في حال اليسر والعسر والمنشط والمكره
فقبلوا وقالوا (سمعنا وأطعنا) وقيل هو الميثاق ليلة العقبة وفي بيعة الرضوان * عدى يجرمنكم بحرف
الاستعلاء مضمنا معنى فعل يتعدى به كأنه قيل ولا يحملنكم ويجوز أن يكون قوله أن تعتدوا بمعنى على أن تعتدوا
فحذف مع أن ومنه قوله عليه السلام من اتبع على ملئ فليتبع لأنه بمعنى أحيل * وقرئ شنان بالسكون
ونظيره في المصادر ليان والمعنى لا يحملنكم بغضكم للمشركين على أن تتركوا العدل فتعتدوا عليهم بأن تنتصروا
منهم وتتشفوا بما في قلوبكم من الضغائن بارتكاب ما لا يحل لكم من مثلة أو قذف أو قتل أولاد ونساء أو نقض
عهد أو ما أشبه ذلك (اعدلوا هو أقرب للتقوى) نهاهم أولا أن تحملهم البغضاء على ترك العدل ثم استأنف
فصرح لهم بالأمر بالعدل تأكيدا وتشديدا ثم استأنف فذكر لهم وجه الأمر بالعدل وهو قوله هو أقرب
للتقوى أي العدل أقرب الى التقوى وأدخل في مناسبتها أو أقرب الى التقوى لكونه لطفا فيها وفيه تنبيه
عظيم على أن وجوب العدل مع الكفار الذين هم أعداء الله اذا كان بهذه الصفة من القوة فما الظن بوجوبه
مع المؤمنين الذين هم أولياؤه وأحباؤه (لهم مغفرة وأجر عظيم) بيان للوعد بعد تمام الكلام قبله كأنه قال
قدم لهم وعدا فقيل أي شئ وعده لهم فقيل لهم مغفرة وأجر عظيم أو يكون على ارادة القول بمعنى وعدهم
وقال لهم مغفرة أو على اجراء وعد مجرى قال لأنه ضرب من القول أو يجعل وعد واقعا على الجملة التي هي
لهم مغفرة كما وقع تركنا على قوله سلام على نوح كأنه قيل وعدهم هذا القول واذا وعدهم من لا يخلف الميعاد
هذا القول فقد وعدهم مضمونه من المغفرة والأجر العظيم وهذا القول يتلقون به عند الموت ويوم القيامة
فيسرون به ويستروحون اليه ويهون عليهم السكرات والأهوال قبل الوصول الى الثواب * روي أن
المشركين رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه قاموا الى صلاة الظهر يصلون معا وذلك بعسفان في
غزوة ذي أنمار فلما صلوا ندموا ألا كانوا أكبوا عليهم فقالوا ان لهم بعدها صلاة هي أحب اليهم من آبائهم
وأبنائهم يعنون صلاة العصر وهموا بأن يوقعوا بهم اذا قاموا اليها فنزل جبريل بصلاة الخوف وروي أن
رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى بني قريظة ومعه الشيخان وعلي رضي الله عنهم يستقرضهم دية مسلمين
قتلهما عمرو بن أمية الضمري خطأ يحسبهما مشركين فقالوا نعم يا أبا القاسم اجلس حتى نطعمك ونقرضك
فأجلسوه في صفة وهموا بالفتك به وعمد عمرو بن جحاش الى رحا عظيمة يطرحها عليه فأمسك الله يده ونزل
جبريل فأخبره فخرج وقيل نزل منزلا وتفرق الناس في العضاه يستظلون بها فعلق رسول الله صلى الله عليه
وسلم سلاحه بشجرة فجاء أعرابي فسل سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أقبل عليه فقال من يمنعك مني
قال الله قالها ثلاثا فشام الأعرابي السيف فصاح رسول الله صلى الله عليه وسلم بأصحابه فأخبرهم وأبى أن
يعاقبه يقال بسط اليه لسانه اذا شتمه وبسط اليه يده اذا بطش به ويبسطوا اليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء
ومعنى بسط اليد مدها الى المبطوش به ألا ترى الى قولهم فلان بسيط الباع ومديد الباع بمعنى (فكف أيديهم
عنكم) فمنعها أن تمد اليكم * لما استقر بنو اسرائيل بمصر بعد هلاك فرعون أمرهم الله بالمسير الى أريحاء
أرض الشام وكان يسكنها الكنعانيون الجبابرة وقال لهم اني كتبتها لكم دارا وقرارا فاخرجوا اليها وجاهدوا
من فيها واني ناصركم وأمر موسى عليه السلام بأن يأخذ من كل سبط نقيبا يكون كفيلا على قومه بالوفاء

ما يريد الله ليجعل عليكم
من حرج ولكن يريد
ليطهركم وليتم نعمته
عليكم لعلكم تشكرون
واذكروا نعمة الله
عليكم وميثاقه الذى
واثقكم به اذ قلتم سمعنا
وأطعنا واتقوا الله ان
الله عليم بذات الصدور
يا أيها الذين آمنوا كونوا
قوامين لله شهداء
بالقسط ولا يجرمنكم
شنآن قوم على ألا
تعدلوا اعدلوا هو أقرب
للتقوى واتقوا الله ان الله
خبير بما تعملون وعد الله
الذين آمنوا وعملوا
الصالحات لهم مغفرة
وأجر عظيم والذين
كفروا وكذبوا بآياتنا
أولئك أصحاب الجحيم
يا أيها الذين آمنوا
اذكروا نعمة الله عليكم
اذ هم قوم أن يبسطوا
اليكم أيديهم فكف
أيديهم عنكم واتقوا الله
وعلى الله فليتوكل
المؤمنون ولقد أخذ الله
ميثاق بنى اسرائيل
وبعثنا منهم اثنى عشر
نقيبا وقال الله

* قوله تعالى ومن الذين قالوا إنا نصارى أخذنا ميثاقهم الآية (قال محمود فإن قلت فهلا قيل من النصارى الخ) قال أحمد وبقيت نكتة في تخصيص هذا الموضع بإسناد النصرانية الى دعواهم ولم يعد ذلك في غيره ألا ترى الى قوله تعالى وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه قال وجهه في ذلك والله

اني معكم لئن أقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة وآمنتم برسلي وعزرتموهم وأقرضتم الله قرضا حسنا لأكفرن عنكم سيآتكم ولأدخلنكم جنات تجري من تحتها الانهار فمن كفر بعد ذلك منكم فقد ضل سواء السبيل فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظا مما ذكروا به ولا تزال تطلع على خائنة منهم الا قليلا منهم فاعف عنهم واصفح ان الله يحب المحسنين ومن الذين قالوا انا نصارى أخذنا ميثاقهم فنسوا حظا مما ذكروا به فأغرينا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيامة وسوف ينبئهم الله بما كانوا يصنعون يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفو عن كثير

عن أمره وأن يتفقد عليهم فاختار النقباء وأخذ الميثاق على بني اسرائيل وتكفل لهم به النقباء وسار بهم فلما دنا من أرض كنعان بعث النقباء يتجسسون فرأوا أجراما عظيمة وقوة وشوكة فهابوا ورجعوا وحدثوا قومهم وقد نهاهم موسى عليه السلام أن يحدثوهم فنكثوا الميثاق الا كالب بن يوفنا من سبط يهوذا ويوشع بن نون من سبط افرائيم بن يوسف وكانا من النقباء والنقيب الذي ينقب عن أحوال القوم ويفتش عنها كما قيل له عريف لانه يتعرفها (اني معكم) أي ناصركم ومعينكم (وعزرتموهم) نصرتموهم ومنعتموهم من أيدي العدو ومنه التعزير وهو التنكيل والمنع من معاودة الفساد وقرئ بالتخفيف يقال عزرت الرجل اذا حطته وكنفته والتعزير والتأزير من واد واحد ومنه لانصرنك نصرا مؤزرا أي قويا وقيل منه ولقد أخذنا ميثاقهم بالايمان والتوحيد وبعثنا منهم اثنى عشر ملكا يقيمون فيهم العدل ويأمرونهم بالمعروف وينهونهم عن المنكر واللام في لئن أقمتم موطئة للقسم وفي (لأكفرن) جواب له وهو ساد مسد جواب القسم والشرط جميعا (بعد ذلك) بعد ذلك الشرط المؤكد المعلق بالوعد العظيم (فان قلت) من كفر قبل ذلك أيضا فقد ضل سواء السبيل (قلت) أجل ولكن الضلال بعده أظهر وأعظم لان الكفر انما عظم قبحه لعظم النعمة المكفورة فاذا زادت النعمة زاد قبح الكفر وتمادى (لعناهم) طردناهم وأخرجناهم من رحمتنا وقيل مسخناهم وقيل ضربنا عليهم الجزية (وجعلنا قلوبهم قاسية) خذلناهم ومنعناهم الالطاف حتى قست قلوبهم أو أمليناهم ولم نعاجلهم بالعقوبة حتى قست وقرأ عبد الله قسية أي رديئة مغشوشة من قولهم درهم قسي وهو من القسوة لان الذهب والفضة الخالصين فيهما لين والمغشوش فيه يبس وصلابة والقاسي والقاسح بالحاء أخوان في الدلالة على اليبس والصلابة وقرئ قسية بكسر القاف للاتباع (يحرفون الكلم) بيان لقسوة قلوبهم لانه لا قسوة أشد من الافتراء على الله وتغيير وحيه (ونسوا حظا) وتركوا نصيبا جزيلا وقسطا وافيا (مما ذكروا به) من التوراة يعني أن تركهم وإعراضهم عن التوراة إغفال حظ عظيم أو قست قلوبهم فسدت فحرفوا التوراة وزلت أشياء منها عن حفظهم وعن ابن مسعود رضي الله عنه قد ينسى المرء بعض العلم بالمعصية وتلا هذه الآية وقيل تركوا نصيب أنفسهم مما أمروا به من الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وبيان نعته (ولا تزال تطلع) أي هذه عادتهم وكان عليها أسلافهم كانوا يخونون الرسل وهؤلاء يخونونك ينكثون عهودك ويظاهرون المشركين على حربك ويهمون بالفتك بك وأن يسموك (على خائنة) على خيانة أو على فعلة ذات خيانة أو على نفس أو فرقة خائنة ويقال رجل خائنة كقولهم رجل راوية للشعر للمبالغة قال

حدثت نفسك بالوفاء ولم تكن * للغدر خائنة مغل الاصبع

وقرئ على خيانة (الا قليلا منهم) وهم الذين آمنوا منهم (فاعف عنهم) بعث على مجاملتهم وقيل هو منسوخ بآية السيف وقيل فاعف عن مؤمنيهم ولا تؤاخذهم بما سلف منهم (ومن الذين قالوا انا نصارى أخذنا ميثاقهم) أخذنا من النصارى ميثاق من ذكر قبلهم من قوم موسى أي مثل ميثاقهم بالايمان بالله والرسل وبأفعال الخير أو أخذنا من النصارى ميثاق أنفسهم بذلك (فان قلت) فهلا قيل من النصارى (قلت) لانهم انما سموا أنفسهم بذلك ادعاء لنصرة الله وهم الذين قالوا لعيسى نحن أنصار الله ثم اختلفوا بعد نسطورية ويعقوبية وملكانية أنصارا للشيطان (فأغرينا) فألصقنا وألزمنا من غري بالشيء اذا لزمه ولصق به وأغراه غيره ومنه الغراء الذي يلصق به (بينهم) بين فرق النصارى المختلفين وقيل بينهم وبين اليهود ونحوه وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا أو يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم بأس بعض (يا أهل الكتاب) خطاب لليهود والنصارى (مما كنتم تخفون) من نحو صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن نحو الرجم (ويعفو عن كثير) مما تخفونه لا يبينه اذا لم تضطر

أعلم أنه لما كان المقصود في هذه الآية تقديمهم بنقض الميثاق المأخوذ عليهم في نصرة الله تعالى ناسب ذلك أن يصدر الكلام بما يدل على انهم لم ينصروا الله ولم يوفوا بما عوهدوا عليه من النصرة وما كان حاصل أمرهم الا التفوه بدعوى النصرة وقولها دون فعلها والله أعلم

أيه

* قوله تعالى وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه الآية (قال محمود معنى قولهم أبناء الله أشياع ابني الله عزير الخ) قال أحمد ومنه قول الملائكة لأنهم خواص عباد الله إنا أرسلنا إلى قوم مجرمين لنرسل عليهم إلى قوله إلا امرأته قدرنا إنها لمن الغابرين فأضافوا التقدير إليهم وفي الحقيقة المقدر الله وكذلك قول الدابة لأنها من خواص آيات الله أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون فيمن جعله من قول الدابة والله أعلم

* قوله تعالى بل أنتم بشر ممن خلق يغفر لمن يشاء (قال محمود يعني أهل الطاعة ويعذب من يشاء قال يعني العصاة) قال أحمد رحمه الله بل مشيئة الله تعالى تتبع التائب المنيب والعاصي المصر إذا كان موحداً والزمخشري أخرج هذا التفسير على قاعدته المذكورة في غير ما موضع وهي القطع بوعيد العصاة المصرين الموحدين وأن المغفرة محال * قوله تعالى وإذ قال موسى (٤٠٩) لقومه يا قوم اذكروا نعمة

قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم قل فمن يملك من الله شيئا إن أراد أن يهلك المسيح ابن مريم وأمه ومن في الأرض جميعا ولله ملك السموات والأرض وما بينهما يخلق ما يشاء والله على كل شيء قدير وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه قل فلم يعذبكم بذنوبكم بل أنتم بشر ممن خلق يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء ولله ملك السموات والأرض وما بينهما وإليه المصير يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل أن تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير فقد جاءكم بشير ونذير

أنه مصحح دينه ولا يكون فيه فائدة إلا افتضاحكم وهتك أستاركم. وما لا بد من بيانه وكذلك الرجم وما فيه إحياء الشريعة وإماتة بدعة. وعن الحسن ويعفو عن كثير منكم لا يؤاخذه (قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين) يريد القرآن لكشفه ظلمات الشرك والشك ولإبانته ما كان خافيا على الناس من الحق أو لأنه ظاهر الإعجاز (من اتبع رضوانه) من آمن به (سبل السلام) طرق السلامة والنجاة من عذاب الله أو سبل الله * قولهم (إن الله هو المسيح) معناه بت القول على أن حقيقة الله هو المسيح لا غير قيل كان في النصارى قوم يقولون ذلك وقيل ما صرحوا به ولكن مذهبهم يؤدي إليه حيث اعتقدوا أنه يخلق ويحيي ويميت ويدبر أمر العالم (فمن يملك من الله شيئا) فمن يمنع من قدرته ومشيئته شيئا (إن أراد أن يهلك) من دعوه إلها من المسيح وأمه دلالة على أن المسيح عبد مخلوق كسائر العباد وأراد بعطف من في الأرض على المسيح وأمه أنهما من جنسهم لا تفاوت بينهما وبينهم في البشرية (يخلق ما يشاء) أي يخلق من ذكر وأنثى ويخلق من أنثى من غير ذكر كما خلق عيسى ويخلق من غير ذكر وأنثى كما خلق آدم أو يخلق ما يشاء كخلق الطير على يد عيسى معجزة له وكإحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص وغير ذلك فيجب أن ينسب إليه ولا ينسب إلى البشر المجري على يده (أبناء الله) أشياع ابني الله عزير والمسيح كما قيل لأشياع أبي خبيب وهو عبد الله بن الزبير الخبيبيون وكما كان يقول رهط مسيلمة نحن أنبياء الله ويقول أقرباء الملك وذووه وحشمه نحن الملوك ولذلك قال مؤمن آل فرعون لكم الملك اليوم (فلم يعذبكم بذنوبكم) فإن صح أنكم أبناء الله وأحباؤه فلم تذنبون وتعذبون بذنوبكم فتمسخون وتمسكم النار أياما معدودات على زعمكم ولو كنتم أبناء الله لكنتم من جنس الأب غير فاعلين للقبائح ولا مستوجبين للعقاب ولو كنتم أحباءه لما عصيتموه ولما عاقبكم (بل أنتم بشر) من جملة من خلق من البشر (يغفر لمن يشاء) وهم أهل الطاعة (ويعذب من يشاء) وهم العصاة (يبين لكم) إما أن يقدر المبين وهو الدين والشرائع وحذفه لظهور ما ورد الرسول لتبيينه أو يقدر ما كنتم تخفون وحذفه لتقدم ذكره أو لا يقدر ويكون المعنى يبذل لكم البيان ومحله النصب على الحال أي مبينا لكم (على فترة) متعلق بجاءكم أي جاءكم على حين فتور من إرسال الرسل وانقطاع من الوحي (أن تقولوا) كراهة أن تقولوا (فقد جاءكم) متعلق بمحذوف أي لا تعتذروا فقد جاءكم وقيل كان بين عيسى ومحمد صلوات الله عليهما خمسمائة وستون سنة وقيل ستمائة وقيل أربعمائة وبضع وستون وعن الكلبي كان بين موسى وعيسى ألف وسبعمائة سنة وألف نبي وبين عيسى ومحمد صلوات الله عليهم أربعة أنبياء ثلاثة من بني إسرائيل وواحد من العرب خالد بن سنان العبسي والمعنى الامتنان عليهم وأن الرسول بعث إليهم حين انطمست آثار الوحي أحوج ما يكونون إليه ليهشوا إليه ويعدوه أعظم نعمة من الله وفتح باب إلى الرحمة وتلزمهم الحجة فلا يعتلوا غدا بأنه لم يرسل إليهم من ينبههم عن غفلتهم (جعل فيكم أنبياء) لأنه لم يبعث في أمة ما بعث في بني إسرائيل من الأنبياء (وجعلكم ملوكا) لأنه ملكهم بعد فرعون ملكه وبعد

 والله على كل شيء قدير وإذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم إذ جعل فيكم أنبياء وجعلكم ملوكا وآتاكم

الله عليكم إذ جعل فيكم أنبياء وجعلكم ملوكا وآتاكم ما لم يؤت أحدا من العالمين (قال لم يبعث في أمة ما بعث في بني إسرائيل من الأنبياء الخ) قال أحمد والحامل على تفسير الملك بهذه التفاسير أن الله تعالى أثبت ظاهر الكلام أنه جعل الجميع ملوكا فقوله وجعلكم ملوكا ولم يقل وجعل فيكم ملوكا كما قال جعل فيكم أنبياء فلما عمم الملك فيهم ولا شك أن الملك المعهود وهو الاستيلاء التام لم يثبت لكل أحد منهم فيتعين حمل الملك على ما كان ثابتا لجميعهم أو لأكثرهم من الأبعاض المذكورة هذا هو الباعث على تفسير الملك بذلك والله أعلم وهذا المعنى وإن لم يثبت لكل واحد منهم إلا أنه كان ثابتا لملوكهم وهم منهم إذ إسرائيل الأب الأقرب يجمعهم فلما كانت ملوكهم منهم وهم

أقرانهم وأشباههم وملتبسون بهم جاز الامتنان عليهم بهذه الصيغة والمعنى مفهوم وهذا بعينه هو التقرير السالف آنفا في قول اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه وما لهم عهد من قدم (فإن قلت) فلم لم يقل إذ جعلكم أنبياء لأن الأنبياء منهم كما قلت في الملوك (قلت) النبوة مزية غير الملك وآحاد الناس يشاركونه في كثير مما به صار الملك ملكا ولا كذلك النبوة فإن درجتها أرفع من أن يشرك من لم تثبت له مع الثابتة نبوته في مزيتها وخصوصيتها (٤١٠) ونعتها فهذا هو سر تخصيص الأنبياء وتعميم الملوك والله أعلم * قوله تعالى قالوا يا موسى إن فيهم قوما جبارين وإنا لن ندخلها الى قوله فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون

ما لم يؤت أحدا من العالمين يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم ولا ترتدوا على أدباركم فتنقلبوا خاسرين قالوا يا موسى إن فيها قوما جبارين وإنا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فإن يخرجوا منها فإنا داخلون قال رجلان من الذين يخافون أنعم الله عليهما ادخلوا عليهم الباب فإذا دخلتموه فإنكم غالبون وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين قالوا يا موسى إنا لن ندخلها أبدا ما داموا فيها فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون قال رب إني لا أملك إلا نفسي وأخي

الجبابرة ملكهم ولأن الملوك تكاثروا فيهم تكاثر الأنبياء وقيل كانوا مملوكين في أيدي القبط فأنقذهم الله فسمى إنقاذهم ملكا وقيل الملك من له مسكن واسع فيه ماء جار وقيل من له بيت وخدم وقيل من له مال لا يحتاج معه الى تكلف الأعمال وتحمل المشاق (ما لم يؤت أحدا من العالمين) من فلق البحر وإغراق العدو وتظليل الغمام وإنزال المن والسلوى وغير ذلك من الأمور العظام وقيل أراد عالمي زمانهم (الأرض المقدسة) يعني أرض بيت المقدس وقيل الطور وما حوله وقيل الشام وقيل فلسطين ودمشق وبعض الأردن وقيل سماها الله لإبراهيم ميراثا لولده حين رفع على الجبل فقيل له انظر فلك ما أدرك بصرك وكان بيت المقدس قرار الأنبياء ومسكن المؤمنين (كتب الله لكم) قسمها لكم وسماها أو خط في اللوح المحفوظ أنها لكم (ولا ترتدوا على أدباركم) ولا تنكصوا على أعقابكم مدبرين من خوف الجبابرة جبنا وهلعا وقيل لما حدثهم النقباء بحال الجبابرة رفعوا أصواتهم بالبكاء وقالوا ليتنا متنا بمصر وقالوا تعالوا نجعل علينا رأسا ينصرف بنا الى مصر ويجوز أن يراد لا ترتدوا على أدباركم في دينكم بمخالفتكم أمر ربكم وعصيانكم نبيكم * فترجعوا خاسرين ثواب الدنيا والآخرة * الجبار فعال من جبره على الأمر بمعنى أجبره عليه وهو العاتي الذي يجبر الناس على ما يريد (قال رجلان) هما كالب ويوشع (من الذين يخافون) من الذين يخافون الله ويخشونه كأنه قيل رجلان من المتقين ويجوز أن تكون الواو لبني إسرائيل والراجع الى الموصول محذوف تقديره من الذين يخافهم بنو إسرائيل وهم الجبابرة وهما رجلان منهم (أنعم الله عليهما) بالإيمان فآمنا قالا لهم إن العمالقة أجسام لا قلوب فيها فلا تخافوهم وازحفوا إليهم فإنكم غالبوهم يشجعانهم على قتالهم وقراءة من قرأ يخافون بالضم شاهدة له وكذلك أنعم الله عليهما كأنه قيل من المخوفين وقيل هم من الإخافة ومعناه من الذين يخوفون من الله بالتذكرة والموعظة أو يخوفهم وعيد الله بالعقاب (فإن قلت) ما محل أنعم الله عليهما (قلت) إن انتظم مع قوله من الذين يخافون في حكم الوصف لرجلان فمرفوع وإن جعل كلاما معترضا فلا محل له (فإن قلت) من أين علما أنهم غالبون (قلت) من جهة إخبار موسى بذلك وقوله تعالى كتب الله لكم وقيل من جهة غلبة الظن وما تبيناه من عادة الله في نصرة رسله وما عهداه من صنع الله لموسى في قهر أعدائه وما عرفاه من حال الجبابرة والتهاب قربتهم (لن ندخلها) نفي لدخولهم في المستقبل على وجه التأكيد المؤيس و(أبدا) تعليق للنفي المؤكد بالدهر المتطاول و(ما داموا فيها) بيان للأبد (فاذهب أنت وربك) يحتمل أن لا يقصدوا حقيقة الذهاب ولكن كما تقول كلمته فذهب يجيبني تريد معنى الإرادة والقصد للجواب كأنهم قالوا أريدا قتالهم والظاهر أنهم قالوا ذلك استهانة بالله ورسوله وقلة مبالاة بهما واستهزاء وقصدوا ذهابهما حقيقة بجهلهم وجفائهم وقسوة قلوبهم التي عبدوا بها العجل وسألوا بها رؤية الله عز وجل جهرة والدليل عليه مقابلة ذهابهما بقعودهم ويحكى أن موسى وهرون عليهما السلام خرا لوجوههما قدامهم لشدة ما ورد عليهما فهموا برجمهما ولأمر ما قرن الله اليهود بالمشركين وقدمهم عليهم في قوله لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا لما عصوه وتمردوا عليه وخالفوه وقالوا ما قالوا من كلمة الكفر ولم يبق معه مطيع موافق يثق به إلا هرون (قال رب إني لا أملك) لنصرة دينك (إلا نفسي وأخي) وهذا من البث

(قال يحتمل أن لا يقصدوا حقيقة الذهاب ولكن الخ) قال أحمد رحمه الله يريد الزمخشري سألوا رؤية الله جهرة وهي محال عقلا تمنتهم وقد مر له ذلك وبيان سببهم بذلك كان لعدم دوام الإيمان به على أسبقية قدراتهم وتماديهم و ... عن الحق في قوله لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة * عاد كلامه (قال قال رب إني لا أملك إلا نفسي لنصرة دينك الخ) قال أحمد وفي قول موسى عليه السلام ليلة الإسراء لنبينا عليه الصلاة والسلام إني جربت بني إسرائيل وخبرتهم فارجع الى ربك وسله التخفيف فإن أمتك لا تطيق ذلك وتكريره هذا القول مرارا مصداق لما ذكره الزمخشري وأما إن كان المراد بالرجلين غير يوشع وكالب وكانا من العمالقة الذين جاءهم بنو إسرائيل ويكون معنى يخافون أي يخافهم بنو إسرائيل فالضمير على هذا يرجع الى بني إسرائيل والعائد محذوف

والحزن والشكوى إلى الله والحسرة ورقة القلب التي بمثلها تستجلب الرحمة وتستنزل النصرة ونحوه قول يعقوب عليه السلام إنما أشكو بثي وحزني إلى الله وعن علي رضي الله عنه أنه كان يدعو الناس على منبر الكوفة إلى قتال البغاة فما أجابه إلا رجلان فتنفس الصعداء ودعا لهما وقال أين تقعان مما أريد وفي أخي إعراب أخي وجوه أن يكون منصوبا عطفا على نفسي أو على الضمير في إني بمعنى ولا أملك إلا نفسي وإن أخي لا يملك إلا نفسه ومرفوعا عطفا على محل إن واسمها كأنه قيل أنا لا أملك إلا نفسي وهرون كذلك لا يملك إلا نفسه أو على الضمير في لا أملك وجاز للفصل ومجرورا عطفا على الضمير في نفسي وهو ضعيف لقبح العطف على ضمير المجرور إلا بتكرير الجار (فإن قلت) أما كان معه الرجلان المذكوران (قلت) كأنه لم يثق بهما كل الوثوق ولم يطمئن إلى ثباتهما لما ذاق على طول الزمن وتداول الصحبة من أحوال قومه وتلونهم وقسوة قلوبهم فلم يذكر إلا النبي المعصوم الذي لا شبهة في أمره ويجوز أن يقول ذلك لفرط ضجره عندما سمع منهم تقليلا لمن يوافقه ويجوز أن يريد ومن يؤاخيني على ديني (فافرق) فافصل (بيننا) وبينهم بأن تحكم لنا بما نستحق وتحكم عليهم بما يستحقون وهو في معنى الدعاء عليهم ولذلك وصل به قوله فإنها محرمة عليهم على وجه التسبيب أو فباعد بيننا وبينهم وخلصنا من صحبتهم كقوله ونجني من القوم الظالمين (فإنها) فإن الأرض المقدسة (محرمة عليهم) لا يدخلونها ولا يملكونها (فإن قلت) كيف يوفق بين هذا وبين قوله التي كتب الله لكم (قلت) فيه وجهان أحدهما أن يراد كتبها لكم بشرط أن تجاهدوا أهلها فلما أبوا الجهاد قيل فإنها محرمة عليهم والثاني أن يراد فإنها محرمة عليهم أربعين سنة فإذا مضت الأربعون كان ما كتب فقد روي أن موسى سار بمن بقي من بني إسرائيل وكان يوشع على مقدمته ففتح أريحاء وأقام فيها ما شاء الله ثم قبض صلوات الله عليه وقيل لما مات موسى بعث يوشع نبيا فأخبرهم بأنه نبي الله وأن الله أمره بقتال الجبابرة فصدقوه وبايعوه وسار بهم إلى أريحاء وقتل الجبابرين وأخرجهم وصار الشام كله لبني إسرائيل وقيل لم يدخل الأرض المقدسة أحد ممن قال إنا لن ندخلها وهلكوا في التيه ونشأت نواشئ من ذرياتهم فقاتلوا الجبابرين ودخلوها * والعامل في الظرف إما محرمة وإما يتيهون ومعنى (يتيهون في الأرض) يسيرون فيها متحيرين لا يهتدون طريقا والتيه المفازة التي يتاه فيها روي أنهم لبثوا أربعين سنة في ستة فراسخ يسيرون كل يوم جادين حتى إذا سئموا وأمسوا إذا هم بحيث ارتحلوا عنه وكان الغمام يظلهم من حر الشمس ويطلع لهم عمود من نور بالليل يضيء لهم وينزل عليهم المن والسلوى ولا تطول شعورهم وإذا ولد لهم مولود كان عليه ثوب كالظفر يطول بطوله (فإن قلت) فلم كان ينعم عليهم بتظليل الغمام وغيره وهم معاقبون (قلت) كما ينزل بعض النوازل على العصاة عركا لهم وعليهم مع ذلك النعمة متظاهرة ومثل ذلك مثل الوالد المشفق يضرب ولده ويؤدبه ليتأدب ويتثقف ولا يقطع عنه معروفه وإحسانه (فإن قلت) هل كان معهم في التيه موسى وهرون عليهما السلام (قلت) اختلف في ذلك فقيل لم يكونا معهم لأنه كان عقابا وقد طلب موسى إلى ربه أن يفرق بينهما وبينهم وقيل كانا معهم إلا أنه كان ذلك روحا لهما وسلامة لا عقوبة كالنار لإبراهيم وملائكة العذاب وروي أن هرون مات في التيه ومات موسى بعده فيه بسنة ودخل يوشع أريحاء بعد موته بثلاثة أشهر ومات النقباء في التيه بغتة إلا كالب ويوشع (فلا تأس) فلا تحزن عليهم لأنه ندم على الدعاء عليهم فقيل إنهم أحقاء بالعذاب لفسقهم فلا تحزن ولا تندم * هما ابنا آدم لصلبه قابيل وهابيل أوحى الله إلى آدم أن يزوج كل واحد منهما توأمة الآخر وكانت توأمة قابيل أجمل واسمها إقليما فحسد عليها أخاه وسخط فقال لهما آدم قربا قربانا فمن أيكما تقبل زوجها فقبل قربان هابيل بأن نزلت نار فأكلته فازداد قابيل حسدا وسخطا وتوعده بالقتل وقيل هما رجلان من بني إسرائيل (بالحق) تلاوة متلبسة بالحق والصحة أو اتله نبأ متلبسا بالصدق موافقا لما في كتب الأولين أو بالغرض الصحيح وهو تقبيح الحسد لأن المشركين وأهل الكتاب كلهم كانوا يحسدون رسول الله صلى الله عليه وسلم ويبغون عليه أو واتل عليهم وأنت محق صادق و (إذ قربا) نصب بالنبأ أي قصتهم وحديثهم في ذلك الوقت ويجوز أن يكون بدلا من النبأ أي اتل عليهم النبأ نبأ ذلك الوقت على تقدير حذف المضاف والقربان

فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين قال فإنها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون في الأرض فلا تأس على القوم الفاسقين واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق إذ قربا قربانا فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر قال لأقتلنك

وهو المعول عليه في هذا لا شك أن هذين الرجلين ليسا من بني إسرائيل المكتوب عليهم قتال العمالقة واقتضى موسى عليه السلام أني لا أملك من بني إسرائيل المفروض عليهم القتال أمر أحد إلا نفسي وأخي والله أعلم

• قوله تعالى اني أريد أن تبوء بإثمي وإثمك فتكون من أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين (قال ان قلت كيف جاز أن يريد شقاوة أخيه وتعذيبه الخ) قال أحمد وهذا من دسه للمعتقد الفاسد في بيان كلامه والفاسد من هذا اعتقاده ان في الكائنات ما ليس مرادا لله تعالى وتلك القبائح بجملتها انها على زعمه واقعة على خلاف المشيئة الربانية وهذا هو الشرك الخفي فإياك ان تحوم حول شركه والعياذ بالله فاما ارادته لاثم أخيه وعقوبته فمعناه اني لا أريد أن أقتلك فأعاقب ولما لم يكن بد من ارادة أحد الامرين اما اثمه بتقدير ان يدفع عن نفسه فيقتل أخاه واما اثم أخيه بتقدير ان يستسلم وكان غير مريد للاول اضطر الى الثاني فلم يرد اذا اثم أخيه لعينه وانما أراد ان لا يأثم هو بالمدافعة المؤدية الى القتل ولم يكن حينئذ (٤١٢) مشروعية فلزم من ذلك ارادة اثم أخيه وهذا كما يتمنى الانسان الشهادة ومعناها أن يبوء الكافر بقتله وما عليه في ذلك من الاثم ولكن لم يقصد هو اثم الكافر لعينه وانما أراد أن يبذل نفسه في سبيل الله رجاء اثم الكافر بقتله ضمنا وتبعا والذي يدل على ذلك انه لا فرق في حصول درجة الشهادة وفضيلتها بين أن يموت القاتل على الكفر وبين أن يختم له بالايمان فيحبط عنه اثم القتل الذي به كان الشهيد شهيدا أعني بقي الاثم على قاتله أو حبط عنه اذ ذلك لا ينقص من فضيلة شهادته ولا يزيدها ولو كان اثم الكافر بالقتل مقصودا لاختلف الحال انتهى (جدمت باعتبار بقائه واحباطه فدل على انه أمر لازم تبع لا مقصود والله أعلم • عاد كلامه (فان قلت لم جاء الشرط بصيغة الفعل والجزاء باسم الفاعل الخ) قال أحمد وانما امتاز اسم الفاعل عن الفعل بهذه الخصوصية من حيث ان صيغة الفعل لا تعطي سوى حدوث معناه عن الفاعل لا غير واما اتصاف الذات به فذلك أمر يعطيه اسم الفاعل ومن ثم يقولون قام زيد فهو قائم فيجعلون اتصافه بالقيام ناشئا عن صدوره منه ولهذا المعنى قوله تعالى لنكونن من المرجومين عدولا عن الفعل الذي هو لنرجمنك الى الاسم تنبيها يعنون انهم يجعلون هذه لثبوتها ووقوعها به كالسمة والعلامة الثابتة ولا يقتصرون على مجرد ايقاعها به

قال انما يتقبل الله من المتقين لئن بسطت الي يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي اليك لاقتلك اني أخاف الله رب العالمين اني أريد أن تبوء بإثمي وإثمك فتكون من أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين فطوعت له نفسه قتل أخيه فقتله فأصبح من الخاسرين

اسم ما يتقرب به الى الله من نسيكة أو صدقة كما أن الحلوان اسم ما يحلى أي يعطى يقال قرب صدقة وتقرب بها لان تقرب مطاوع قرب قال الأصمعي تقربوا قرف القمع فيعدى بالباء حتى يكون بمعنى قرب (فان قلت) كيف كان قوله (انما يتقبل الله من المتقين) جوابا لقوله لاقتلنك (قلت) لما كان الحسد لاخيه على تقبل قربانه هو الذي حمله على توعده بالقتل قال له انما أتيت من قبل نفسك لانسلاخها من لباس التقوى لا من قبلي فلم تقتلني وما لك لا تعاتب نفسك ولا تحملها على تقوى الله التي هي السبب في القبول فأجابه بكلام حكيم مختصر جامع لمعان وفيه دليل على أن الله تعالى لا يقبل طاعة الا من مؤمن متق فما أنعاه على أكثر العاملين أعمالهم وعن عامر بن عبد الله أنه بكى حين حضرته الوفاة فقيل له ما يبكيك فقد كنت وكنت قال اني أسمع الله يقول انما يتقبل الله من المتقين (ما أنا بباسط يدي اليك لاقتلك) قيل كان أقوى من القاتل وأبطش منه ولكنه تحرج عن قتل أخيه واستسلم له خوفا من الله لان الدفع لم يكن مباحا في ذلك الوقت قاله مجاهد وغيره (اني أريد أن تبوء بإثمي وإثمك) أن تحتمل اثم قتلي لو قتلتك واثم قتلك لي (فان قلت) كيف يحتمل اثم قتله له ولا تزر وازرة وزر أخرى (قلت) المراد بمثل اثمي على الاتساع في الكلام كما تقول قرأت قراءة فلان وكتبت كتابته تريد المثل وهو اتساع فاش مستفيض لا يكاد يستعمل غيره ونحوه قوله عليه الصلاة والسلام المستبان ما قالا فعلى البادي ما لم يعتد المظلوم على أن البادي عليه اثم سبه ومثل اثم سب صاحبه لانه كان سببا فيه الا أن الاثم محطوط عن صاحبه معفو عنه لانه مكافئ مدافع عن عرضه ألا ترى الى قوله ما لم يعتد المظلوم لانه اذا خرج من حد المكافأة واعتدى لم يسلم (فان قلت) فحين كف هابيل عن قتل أخيه واستسلم وتحرج عما كان محظورا في شريعته من الدفع فأين الاثم حتى يتحمل أخوه مثله فيجتمع عليه الاثمان (قلت) هو مقدر فهو يتحمل مثل الاثم المقدر كأنه قال اني أريد أن تبوء بمثل اثمي لو بسطت يدي اليك وقيل بإثمي بإثم قتلي واثمك الذي من أجله لم يتقبل قربانك (فان قلت) فكيف جاز أن يريد شقاوة أخيه وتعذيبه بالنار (قلت) كان ظالما وجزاء الظالم حسن جاز أن يراد ألا ترى الى قوله تعالى (وذلك جزاء الظالمين) واذا جاز أن يريده الله جاز أن يريده العبد لانه لا يريد الا ما هو حسن والمراد بالاثم وبال القتل وما يجره من استحقاق العقاب (فان قلت) لم جاء الشرط بلفظ الفعل والجزاء بلفظ اسم الفاعل وهو قوله لئن بسطت ما أنا بباسط (قلت) ليفيد أنه لا يفعل ما يكتسب به هذا الوصف الشنيع ولذلك أكده بالباء المؤكدة للنفي (فطوعت له نفسه قتل أخيه) فوسعته له ويسرته من طاع له المرتع اذا اتسع وقرأ الحسن فطاوعت وفيه وجهان أن يكون مما جاء من فاعل بمعنى فعل وأن يراد أن قتل أخيه كأنه دعا نفسه الى الاقدام عليه فطاوعته ولم تمتنع وله لزيادة الربط كقولك حفظت لزيد ماله وقيل قتل وهو ابن عشرين سنة وكان قتله عند عقبة حراء وقيل بالبصرة في موضع المسجد الاعظم

(فبعث الله غرابا) روى أنه أول قتيل قتل على وجه الارض من بنى آدم ولما قتله تركه بالعراء لا يدرى ما يصنع به فخاف عليه السباع فحمله فى جراب على ظهره سنة حتى أروح وعكفت عليه السباع فبعث الله غرابين فاقتتلا فقتل أحدهما الآخر فحفر له بمنقاره ورجليه ثم ألقاه فى الحفرة (قال يا ويلتا أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب) و يروى أنه لما قتله اسود جسده وكان أبيض فسأله آدم عن أخيه فقال ما كنت عليه وكيلا فقال بل قتلته ولذلك اسود جسدك وروى أن آدم مكث بعد قتله مائة سنة لا يضحك وأنه رثاه بشعر وهو كذب بحت وما الشعر إلا منحول ملحون وقد صح أن الانبياء عليهم السلام معصومون من الشعر (ليريه) ليريه الله أو ليريه الغراب أى ليعلمه لانه لما كان سبب تعليمه فكأنه قصد تعليمه على سبيل المجاز (سوأة أخيه) عورة أخيه وما لا يجوز أن ينكشف من جسده والسوأة الفضيحة لقبحها قال • يا قوم للسوأة السوآء • أى للفضيحة العظيمة وكنى بها عنها (فأوارى) بالنصب على جواب الاستفهام وقرئ بالسكون على فأنا أوارى أو على التسكين فى موضع النصب للتخفيف (من النادمين) على قتله لما تعب فيه من حمله وتحيره فى أمره وتبين له من عجزه وتلمذه للغراب واسوداد لونه وسخط أبيه ولم يندم ندم التائبين (من أجل ذلك) بسبب ذلك وبعلته وقيل أصله من أجل شرا اذا جناه يأجله أجلا ومنه قوله

وأهل خباء صالح ذات بينهم • قد احتربوا فى عاجل أنا آجله

كأنه اذا قيل من أجلك فعلت كذا أردت من أن جنيت فعلته وأوجبته ويدل عليه قولهم من جرائك فعلته أى من أن جررته بمعنى جنيته وذلك اشارة الى القتل المذكور أى من أن جنى ذلك القتل الكتب وجر (كتبنا على بنى اسرائيل) ومن لابتداء الغاية أى ابتدأ الكتب ونشأ من أجل ذلك ويقال فعلت كذا لاجل كذا وقد يقال أجل كذا بحذف الجار وايصال الفعل قال • أجل أن الله قد فضلكم • وقرئ من أجل ذلك بحذف الهمزة وفتح النون لالقاء حركتها عليها وقرأ أبو جعفر من اجل ذلك بكسر الهمزة وهى لغة فاذا حذف كسر النون ملقيا لكسرة الهمزة عليها (بغير نفس) بغير قتل نفس لا على وجه الاقتصاص (أو فساد) عطف على نفس بمعنى أو بغير فساد (فى الارض) وهو الشرك وقيل قطع الطريق (ومن أحياها) ومن استنقذها من بعض أسباب الهلكة قتل أو غرق أو حرق أو هدم أو غير ذلك (فان قلت) كيف شبه الواحد بالجميع وجعل حكمه كحكمهم (قلت) لان كل انسان يدلى بما يدلى به الآخر من الكرامة على الله وثبوت الحرمة فاذا قتل فقد أهين ما كرم على الله وهتكت حرمته وعلى العكس فلا فرق اذا بين الواحد والجميع فى ذلك (فان قلت) فما الفائدة فى ذكر ذلك (قلت) تعظيم قتل النفس واحيائها فى القلوب ليشمئز الناس عن الجسارة عليها ويتراغبوا فى المحاماة على حرمتها لان المتعرض لقتل النفس اذا تصور قتلها بصورة قتل الناس جميعا عظم ذلك عليه فثبطه وكذلك الذى أراد احياءها وعن مجاهد قاتل النفس جزاؤه جهنم وغضب الله والعذاب العظيم ولو قتل الناس جميعا لم يزد على ذلك وعن الحسن يا ابن آدم أرأيت لو قتلت الناس جميعا أكنت تطمع أن يكون لك عمل يوازى ذلك فيغفر لك به كلا انه شئ سولته لك نفسك والشيطان فكذلك اذا قتلت واحدا (بعد ذلك) بعد ما كتبنا عليهم وبعد مجئ الرسل بالآيات (لمسرفون) يعنى فى القتل لا يبالون بعظمته (يحاربون الله ورسوله) يحاربون رسول الله صلى الله عليه وسلم ومحاربة المسلمين فى حكم محاربته (ويسعون فى الارض فسادا) مفسدين أو لان سعيهم فى الارض لما كان على طريق الفساد نزل منزلة ويفسدون فى الارض فانتصب فسادا على المعنى ويجوز أن يكون مفعولا له أى للفساد نزلت فى قوم هلال بن عويمر وكان بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد وقد مر بهم قوم يريدون رسول الله فقطعوا عليهم وقيل فى العرنيين فأوحى اليه أن من جمع بين القتل وأخذ المال قتل وصلب ومن أفرد القتل قتل ومن أفرد أخذ المال قطعت يده لاخذ المال ورجله لاخافة السبيل ومن أفرد الاخافة نفى من الارض وقيل هذا حكم كل قاطع طريق كافرا كان أو مسلما ومعناه (أن يقتلوا) من غير صلب ان أفردوا القتل (أو يصلبوا) مع القتل ان جمعوا بين القتل والاخذ قال أبو حنيفة ومحمد رحمهما الله يصلب حيا ويطعن حتى يموت (أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف) ان

فبعث الله غرابا يبحث فى الارض ليريه كيف يوارى سوأة أخيه قال يا ويلتا أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأوارى سوأة أخى فأصبح من النادمين من أجل ذلك كتبنا على بنى اسرائيل أنه من قتل نفسا بغير نفس أو فساد فى الارض فكأنما قتل الناس جميعا ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات ثم ان كثيرا منهم بعد ذلك فى الارض لمسرفون انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الارض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف

• قوله تعالى إن الذين كفروا لو أن لهم ما في الأرض جميعا ومثله معه ليفتدوا به من عذاب يوم القيامة ما تقبل منهم ولهم عذاب أليم يريدون أن يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها ولهم عذاب مقيم (قال وما روي عن عكرمة أن نافع بن الأزرق قال لابن عباس يا أعمى البصر أعمى القلب تزعم أن قوما يخرجون من النار الخ) قال أحمد في هذا الفصل من كلامه وتشدقه بالسفاهة على أهل السنة ورميهم بما لا يقولون به من الإخبار بالكذب والتخليق والافتراء ما يحمي الكبد لمحبي السنة وأهلها على الانتصاب للانتصاف منه ولسنا بصدد تصحيح هذه الحكاية ولا وقف الله صحة العقيدة على صحتها • قوله تعالى والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما الآية (قال رفعهما على الابتداء والخبر محذوف (٤١٤) عند سيبويه كأنه الخ) قال أحمد المستقرأ من وجوه القراآت أن العامة لا تتفق فيها أبدا على العدول عن الأفصح وجدير بالقرآن أن يجري على أفصح الوجوه وأن لا يعدل عن الأفصح وما يشتمل عليه كلام العرب الذي لم يصل أحد منهم إلى ذروة فصاحته ولم يتعلق بأهدابها وسيبويه يحاشى من اعتقاد عدول القرآن عن الأفصح واشتماله على الشاذ الذي لا يعد من القرآن ونحن نورد الفصل من كلام سيبويه على هذه الآية ليتضح لك مغزاه وبراءة سيبويه من عهدة هذا النقل قال سيبويه في ترجمة باب الأمر والنهي بعد أن ذكر المواضع التي يختار فيها النصب وملخصها أنه متى بني الاسم على فعل الأمر فذلك موضع اختيار النصب ثم قال كالموضح لامتياز هذه الآية عما اختار فيها النصب وأما قوله عز وجل والسارق والسارقة فاقطعوا الآية وقوله الزانية والزاني فاجلدوا فإن هذا لم يبن على الفعل ولكنه جاء على مثال قوله مثل الجنة التي وعد المتقون ثم قال بعد فيها أنهار فيها كذا يريد سيبويه تمييز هذه الآي عن المواضع التي بين اختيار النصب فيها ووجه التمييز بأن الكلام حيث يختار النصب يكون الاسم فيه مبنيا على الفعل وأما في هذه الآي فليس مبنيا عليه فلا يلزم فيه

أو ينفوا من الأرض ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم إلا الذين تابوا من قبل أن تقدروا عليهم فاعلموا أن الله غفور رحيم يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة وجاهدوا في سبيله لعلكم تفلحون إن الذين كفروا لو أن لهم ما في الأرض جميعا ومثله معه ليفتدوا به من عذاب يوم القيامة ما تقبل منهم ولهم عذاب أليم يريدون أن يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها ولهم عذاب مقيم والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما

أخذوا المال (أو ينفوا من الأرض) إذا لم يزيدوا على الإخافة. وعن جماعة منهم الحسن والنخعي أن الإمام مخير بين هذه العقوبات في كل قاطع طريق من غير تفصيل. والنفي الحبس عند أبي حنيفة وعند الشافعي النفي من بلد إلى بلد لا يزال يطلب وهو هارب فزعا، وقيل ينفى من بلده وكانوا ينفونهم إلى دهلك وهو بلد في أقصى تهامة وناصع وهو بلد من بلاد الحبشة (خزي) ذل وفضيحة (إلا الذين تابوا) استثناء من المعاقبين عقاب قطع الطريق خاصة وأما حكم القتل والجراح وأخذ المال فإلى الأولياء إن شاؤا عفوا وإن شاؤا استوفوا. وعن علي رضي الله عنه أن الحرث بن بدر جاءه تائبا بعدما كان يقطع الطريق فقبل توبته ودرأ عنه العقوبة • الوسيلة كل ما يتوسل به أي يتقرب من قرابة أو صنيعة أو غير ذلك فاستعيرت لما يتوسل به إلى الله تعالى من فعل الطاعات وترك المعاصي وأنشد للبيد

أرى الناس لا يدرون ما قدر أمرهم • ألا كل ذي لب إلى الله واسل

(ليفتدوا به) ليجعلوه فدية لأنفسهم. وهذا تمثيل للزوم العذاب لهم وأنه لا سبيل لهم إلى النجاة منه بوجه. وعن النبي صلى الله عليه وسلم يقال للكافر يوم القيامة أرأيت لو كان لك ملء الأرض ذهبا أكنت تفتدي به فيقول نعم فيقال له قد سئلت أيسر من ذلك. ولو مع ما في حيزه خبر أن (فإن قلت) لم وحد الراجع في قوله ليفتدوا به وقد ذكر شيآن (قلت) هو نحو قوله • فإني وقيار بها لغريب • أو على إجراء الضمير مجرى اسم الإشارة كأنه قيل ليفتدوا بذلك ويجوز أن يكون الواو في ومثله بمعنى مع فيتوحد المرجوع إليه (فإن قلت) فبم ينصب المفعول معه (قلت) بما يستدعيه لو من الفعل لأن التقدير لو ثبت أن لهم ما في الأرض • قرأ أبو واقد أن يخرجوا بضم الياء من أخرج ويشهد لقراءة العامة قوله بخارجين. وما روي عن عكرمة أن نافع بن الأزرق قال لابن عباس يا أعمى البصر أعمى القلب تزعم أن قوما يخرجون من النار وقد قال الله تعالى وما هم بخارجين منها فقال ويحك اقرأ ما فوقها هذا للكفار فمما لفقته المجبرة وليس بأول تكاذيبهم وفراهم وكفاك بما فيه من مواجهة ابن الأزرق ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بين أظهر أعضاده من قريش وأنضاده من بني عبد المطلب وهو حبر الأمة وبحرها ومفسرها بالخطاب الذي لا يجسر على مثله أحد من أهل الدنيا وبرفعه إلى عكرمة دليلين ناصين أن الحديث فرية ما فيها مرية (والسارق والسارقة) رفعهما على الابتداء والخبر محذوف عند سيبويه كأنه قيل وفيما فرض عليكم السارق والسارقة أي حكمهما. ووجه آخر وهو أن يرتفعا بالابتداء والخبر (فاقطعوا أيديهما) ودخول الفاء لتضمنهما معنى الشرط لأن المعنى والذي سرق والتي سرقت فاقطعوا أيديهما والاسم الموصول يضمن معنى الشرط. وقرأ عيسى بن عمر بالنصب وفضلها سيبويه على قراءة العامة لأجل الأمر لأن زيدا فاضربه أحسن من زيد فاضربه. أيديهما يديهما ونحوه فقد صغت قلوبكما اكتفى بتثنية المضاف إليه عن تثنية المضاف وأريد باليدين اليمينان بدليل قراءة عبد الله والسارقون والسارقات

اختيار النصب عاد كلامه قال وانما وضع المثل للحديث الذي ذكر بعده فذكر أخبارا وقصصا فكأنه قال ومن القصص مثل الجنة فهو محمول على هذا الاضمار والله أعلم وكذلك الزانية والزاني لما قال جل ثناؤه سورة أنزلناها وفرضناها قال في جملة الفرائض الزانية والزاني ثم جاء فاجلدوا بعد أن مضى فيهما الرفع يريد سيبويه لم يكن الاسم مبنيا على الفعل المذكور بعده بل بني على محذوف متقدم وجاء الفعل طارئا عاد كلامه قال كما جاء وقائلة خولان فانكح فتاتهم فجاء بالفعل بعد أن عمل فيه المضمر وكذلك والسارق والسارقة وفيما فرض عليكم السارق والسارقة فانما دخلت هذه الاسماء بعد قصص وأحاديث وقد قرأ أناس والسارق والسارقة بالنصب وهو في العربية على ما ذكرت لك من القوة ولكن أبت العامة الا الرفع يريد سيبويه أن قراءة النصب جاء الاسم فيها مبنيا على الفعل غير معتمد على متقدم فكان النصب قويا بالنسبة الى الرفع حيث بني الاسم على الفعل لا على متقدم وليس يعني أنه قوي بالنسبة الى الرفع حيث يعتمد الاسم على المحذوف المتقدم فانه قد بين أن ذلك يخرجه من الباب الذي يختار فيه النصب فكيف يفهم عنه ترجيحه عليه والباب مع القراءتين مختلف وانما يقع الترجيح بعد التساوي في الباب فالنصب أرجح من الرفع حيث يبني الاسم (٤١٥) على الفعل والرفع متعين لا أقول أرجح حيث بني الاسم على كلام متقدم تم

جزاء بما كسبا نكالا من الله والله عزيز حكيم فمن تاب من بعد ظلمه وأصلح فان الله يتوب عليه ان الله غفور رحيم ألم تعلم أن الله له ملك السموات والارض يعذب من يشاء ويغفر لمن يشاء والله على كل شيء قدير يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر من الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم ومن الذين هادوا سماعون للكذب سماعون لقوم آخرين لم يأتوك

والسارقات فاقطعوا أيمانهم والسارق في الشريعة من سرق من الحرز والمقطع الرسغ وعند الخوارج المنكب والمقدار الذي يجب به القطع عشرة دراهم عند أبي حنيفة وعند مالك والشافعي رحمهما الله ربع دينار وعن الحسن درهم وفي مواعظه احذر من قطع يدك في درهم (جزاء) و(نكالا) مفعول لهما (فمن تاب) من السراق (من بعد ظلمه) من بعد سرقته (وأصلح) أمره بالتفصي عن التبعات (فان الله يتوب عليه) ويسقط عنه عقاب الآخرة وأما القطع فلا تسقطه التوبة عند أبي حنيفة وأصحابه وعند الشافعي في أحد قوليه تسقطه (من يشاء) من يجب في الحكمة تعذيبه والمغفرة له من المصرين والتائبين وقيل يسقط حد الحربي اذا سرق بالتوبة ليكون أدعى له الى الاسلام وأبعد من التنفير عنه ولا يسقطه عن المسلم لأن في اقامته اصلاح للمؤمنين والحياة ولكم في القصاص حياة (فان قلت) لم قدم التعذيب على المغفرة (قلت) لأنه قوبل بذلك تقدم السرقة على التوبة قرئ ولا يحزنك بضم الياء ويسرعون والمعنى لا تهتم ولا تبال بمسارعة المنافقين (في الكفر) أي في اظهاره بما يلوح منهم من آثار الكيد للاسلام ومن موالاة المشركين فاني ناصرك عليهم وكافيك شرهم يقال أسرع فيه الشيب وأسرع فيه الفساد بمعنى وقع فيه سريعا فكذلك مسارعتهم في الكفر ووقوعهم وتهافتهم فيه أسرع شيء اذا وجدوا فرصة لم يخطئوها و(آمنا) معمول قالوا و(بأفواههم) متعلق بقالوا لا بآمنا (ومن الذين هادوا) منقطع مما قبله خبر لسماعون أي ومن اليهود قوم سماعون ويجوز أن يعطف على من الذين قالوا ويرتفع سماعون على هم سماعون والضمير راجع الى الفريقين أو الى الذين هادوا ومعنى (سماعون للكذب) قابلون لما يفتريه الاحبار ويفتعلونه من الكذب على الله وتحريف كتابه من قولك الملك يسمع كلام فلان ومنه سمع الله لمن حمده (سماعون لقوم آخرين لم يأتوك) يعني اليهود الذين لم يصلوا الى مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وتجافوا عنه لما أفرط فيهم من شدة البغضاء وتبالغ من العداوة أي قابلون من الاحبار ومن أولئك المفرطين في العداوة الذين لا يقدرون أن ينظروا اليك وقيل سماعون الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لاجل أن يكذبوا عليه بأن يمسخوا ما سمعوا منه بالزيادة والنقصان والتبديل والتغيير سماعون من رسول الله لاجل قوم آخرين من اليهود وجهوهم عيونا ليبلغوهم ما سمعوا منه وقيل

حقق سيبويه هذا القدر بأن الكلام واقع بعد قصص وأخبار ولو كان كما ظنه الزمخشري لم يحتج سيبويه الى تقدير بل كان يرفعه على الابتداء ويجعل الامر خبره كما أعربه الزمخشري فالحاصل على هذا أن النصب على وجه واحد وهو بناء الاسم على فعل الامر والرفع على وجهين أحدهما ضعيف وهو الابتدا وبناء الكلام على الفعل والآخر قوي بالغ كوجه النصب وهو رفعه على خبر ابتداء محذوف دل عليه السياق وحينما تعارض لما وجهان في الرفع واحدهما أقوى والآخر ضعيف تعين حمل القراءة على القوي كما أعربه سيبويه رضي الله عنه والله تعالى أعلم * قوله تعالى ألم تعلم أن الله له ملك السموات والارض يعذب من يشاء ويغفر لمن يشاء والله على كل شيء قدير (قال فان قلت لم قدم التعذيب على المغفرة الخ) قال أحمد هو مبني على أن المراد بالمغفور لهم التائبون وبالمعذبين السراق ولا يجعل المغفرة تابعة للمشيئة الا بقيد التوبة لأن غير التائب على زعمه لا يجوز أن يشاء الله المغفرة له فلذلك ينزل الاطلاق على المتقدم ذكره ونحن نعتقد أن المغفرة في حق غير التائب من الموحدين تتبع المشيئة حتى أن من جملة ما يدخل في عموم قوله ويغفر لمن يشاء السارق الذي لم يتب وعلى هذا يكون تقديم التعذيب لأن السياق للوعيد فيناسب ذلك تقديم ما يليق به من الزواجر والله أعلم

* قوله تعالى ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئا أولئك الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم الآية (قال معنى ومن يرد الله فتنته ومن يرد تركه مفتونا الخ) قال أحمد رحمه الله كم يتلجلج والحق أبلج هذه الآية كما تراها منطبقة على عقيدة أهل السنة في أن الله تعالى أراد الفتنة من المفتونين ولم يرد أن يطهر قلوبهم من دنس الفتنة ووضر الكفر لا كما زعم المعتزلة من أنه تعالى ما أراد الفتنة من أحد وأراد من كل أحد الإيمان وطهارة القلب وإن الواقع من الفتن على خلاف إرادته وإن غير الواقع من طهارة قلوب الكفار مراد ولكن لم يقع فحسبهم هذه الآية وأمثالها لو أراد الله أن يطهر قلوبهم من وضر البدع أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها وما أشنع صرف الزمخشري هذه الآية كما عن ظاهرها بقوله لم يرد الله أن يمنحهم ألطافه لعلمه أن ألطافه لا تنجع فيهم ولا تنفع تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا وإذا لم تنجع ألطاف الله تعالى ولم تنفع فلطف من ينفع وإرادة من تنجع وليس وراء الله للمرء مطمع *

يحرفون الكلم من بعد مواضعه يقولون إن أوتيتم هذا فخذوه وإن لم تؤتوه فاحذروا ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئا أولئك الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم لهم في الدنيا خزي ولهم في الآخرة عذاب عظيم سماعون للكذب أكالون للسحت فإن جاؤوك فاحكم بينهم أو أعرض عنهم وإن تعرض عنهم فلن يضروك شيئا وإن حكمت فاحكم بينهم بالقسط إن الله يحب المقسطين وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله ثم يتولون من بعد ذلك وما أولئك بالمؤمنين إنا أنزلنا التوراة فيها

السماعون بنو قريظة والقوم الآخرون يهود خيبر (يحرفون الكلم) يميلونه ويزيلونه (عن مواضعه) التي وضعه الله تعالى فيها فيهملونه بغير مواضع بعد أن كان ذا مواضع (إن أوتيتم هذا) المحرف المزال عن مواضعه (فخذوه) واعلموا أنه الحق واعملوا به (وإن لم تؤتوه) وأفتاكم محمد بخلافه (فاحذروا) وإياكم وإياه فهو الباطل والضلال وروي أن شريفا من خيبر زنى بشريفة وهما محصنان وحدهما الرجم في التوراة فكرهوا رجمهما لشرفهما فبعثوا رهطا منهم إلى بني قريظة ليسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك وقالوا إن أمركم محمد بالجلد والتحميم فاقبلوا وإن أمركم بالرجم فلا تقبلوا وأرسلوا الزانيين معهم فأمرهم بالرجم فأبوا أن يأخذوا به فجعل بينه وبينهم ابن صوريا فقال هل تعرفون شابا أمرد أبيض أعور يسكن فدك يقال له ابن صوريا قالوا نعم وهو أعلم يهودي على وجه الأرض ورضوا به حكما فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أنشدك الله الذي لا إله إلا هو الذي فلق البحر لموسى ورفع فوقكم الطور وأنجاكم وأغرق آل فرعون والذي أنزل عليكم كتابه وحلاله وحرامه هل تجدون فيه الرجم على من أحصن قال نعم فوثب عليه سفلة اليهود فقال خفت إن كذبته أن ينزل علينا العذاب ثم سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أشياء كان يعرفها من أعلامه فقال أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله النبي الأمي العربي الذي بشر به المرسلون وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالزانيين فرجما عند باب مسجده (ومن يرد الله فتنته) تركه مفتونا وخذلانه (فلن تملك له من الله شيئا) فلن تستطيع له من لطف الله وتوفيقه شيئا (أولئك الذين لم يرد الله) أن يمنحهم من ألطافه ما يطهر به قلوبهم لأنهم ليسوا من أهلها لعلمه أنها لا تنفع فيهم ولا تنجع إن الذين لا يؤمنون بآيات الله لا يهديهم الله كيف يهدي الله قوما كفروا بعد إيمانهم * السحت كل ما لا يحل كسبه وهو من سحته إذا استأصله لأنه مسحوت البركة كما قال تعالى يمحق الله الربا وقرئ السحت بالتخفيف والتثقيل والسحت بفتح السين على لفظ المصدر من سحته والسحت بفتحتين والسحت بكسر السين وكانوا يأخذون الرشا على الأحكام وتحليل الحرام وعن الحسن كان الحاكم في بني إسرائيل إذا أتاه أحدهم برشوة جعلها في كمه فأراها إياه وتكلم بحاجته فيسمع منه ولا ينظر إلى خصمه فيأكل الرشوة ويسمع الكذب وحكي أن عاملا قدم من عمله فجاءه قومه فقدم إليهم الغرائر وجعل يحدثهم بما جرى له في عمله فقال أعرابي من القوم نحن كما قال الله تعالى سماعون للكذب أكالون للسحت وعن النبي صلى الله عليه وسلم كل لحم أنبته السحت فالنار أولى به وقيل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مخيرا إذا تحاكم إليه أهل الكتاب بين أن يحكم بينهم وبين أن لا يحكم وعن عطاء والنخعي والشعبي أنهم إذا ارتفعوا إلى حكام المسلمين فإن شاؤوا حكموا وإن شاؤوا أعرضوا وقيل هو منسوخ بقوله وأن احكم بينهم بما أنزل الله وعند أبي حنيفة رحمه الله إن احتكموا إلينا حملوا على حكم الإسلام وإن زنى منهم رجل بمسلمة أو سرق من مسلم شيئا أقيم عليه الحد وأما أهل الحجاز فإنهم لا يرون إقامة الحدود عليهم يذهبون إلى أنهم قد صولحوا على شركهم وهو أعظم من الحدود ويقولون إن النبي صلى الله عليه وسلم رجم اليهوديين قبل نزول الجزية (فلن يضروك شيئا) لأنهم كانوا لا يتحاكمون إليه إلا لطلب الأيسر والأهون عليهم كالجلد مكان الرجم فإذا أعرض عنهم وأبى الحكومة لهم شق عليهم وتكرهوا إعراضه عنهم وكانوا خلقاء بأن يعادوه ويضاروه فأمن الله سربه (بالقسط) بالعدل والاحتياط كما حكم بالرجم (وكيف يحكمونك) تعجيب من تحكيمهم لمن لا يؤمنون به وبكتابه مع أن الحكم منصوص في كتابهم الذي يدعون الإيمان به (ثم يتولون من بعد ذلك) ثم يعرضون من بعد تحكيمك عن حكمك الموافق لما في كتابهم لا يرضون به (وما أولئك بالمؤمنين) بكتابهم

* قوله تعالى إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والأحبار الآية (قال قوله أسلموا صفة أجريت على النبيين على سبيل المدح الخ) قال أحمد وإنما حمله على حمل هذه الصفة على المدح دون التخصيص والتوضيح أن الأنبياء لا يكونون إلا متصفين بها، فذكر النبوة يستلزم ذكرها فإن ثم حملها على المدح وفيه نظر فإن المدح إنما يكون غالبا بالصفات الخاصة التي يتميز بها الممدوح عمن دونه والإسلام أمر عام يتناول أمم الأنبياء ومتبعيهم كما يتناولهم ألا ترى أنه لا يحسن في مدح النبي أن يقتصر على كونه رجلا مسلما فإن أقل متبعيه كذلك فالوجه والله أعلم أن الصفة قد تذكر للعظم في نفسها وللتنويه بها إذا وصف بها عظيم القدر كما يكون تنويها بقدره موصوفها فالحاصل أنه كما يراد إعظام الموصوف بالصفة العظيمة قد يراد إعظام الصفة بعظم موصوفها وعلى هذا الأسلوب جرى وصف الأنبياء بالصلاح في قوله تعالى وبشرناه بإسحاق نبيا من الصالحين وأمثاله تنويها بقدر الصلاح إذ جعل صفة الأنبياء وبعثا لآحاد الناس على الدأب في تحصيل صفته وكذلك قيل في قوله تعالى الذين يحملون (٤١٧) العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا فأخبر عن الملائكة المقربين بالإيمان تعظيما لقدر الإيمان وبعثا للبشر على الدخول فيه ليساووا الملائكة المقربين في هذه الصفة وإلا فمن المعلوم أن الملائكة مؤمنون ليس إلا ولهذا قال ويستغفرون للذين آمنوا يعني من البشر لثبوت حق الأخوة في الإيمان بين الطائفتين فكذلك والله أعلم جرى وصف الأنبياء في هذه الآية بالإسلام تنويها به ولقد أحسن القائل في أوصاف الأشراف والناظم في مدحه عليه الصلاة والسلام

فإن مدحت محمدا بقصيدتي * فلقد مدحت قصيدتي بمحمد

والإسلام وإن كان من أشرف الأوصاف إذ حاصله معرفة الله تعالى بما يجب له ويستحيل عليه ويجوز في حقه إلا أن النبوة أشرف وأجل لاشتمالها على عموم الإسلام مع خواص المواهب التي لا تسعها العبارة فلو لم يذهب إلى الفائدة المذكورة في ذكر الإسلام بعد النبوة في سياق المدح لخرجنا عن قانون البلاغة المألوف في الكتاب العزيز وفي كلام العرب الفصيح وهو الترقي من الأدنى إلى الأعلى لا التنزل على العكس ألا ترى أبا الطيب كيف زحزح عن هذا الهجيع في قوله

شمس ضحاها هلال ليلتها * در تقاصيرها زبرجدها

فنزل عن الشمس إلى الهلال وعن الدر إلى الزبرجد في سياق المدح فمضغت الألسن عرض بلاغته ومزقت أديم صيغته فعلينا أن نتدبر الآيات المعجزات حتى يتعلق بهمنا بأهداب علوها في البلاغة المعهود لها والله الموفق

هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والأحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء فلا تخشوا الناس واخشون ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون وكتبنا عليهم فيها

كما يدعون أو وما أولئك بالكاملين في الإيمان على سبيل التهكم بهم (فإن قلت) فيها حكم الله ما موضعه من الإعراب قلت إما أن ينتصب حالا من التوراة وهي مبتدأ خبره عندهم وإما أن يرتفع خبرا عنها كقولك وعندهم التوراة ناطقة بحكم الله وإما أن لا يكون له محل وتكون جملة مبينة لأن عندهم ما يغنيهم عن التحكيم كما تقول عندك زيد ينصحك ويشير عليك بالصواب فما تصنع بغيره (فإن قلت) لم أنثت التوراة (قلت) لكونها نظيرة لموماة ودوداة ونحوها في كلام العرب (فإن قلت) علام عطف ثم يتولون (قلت) على يحكمونك (فيها هدى) يهدي للحق والعدل (ونور) يبين ما استبهم من الأحكام (الذين أسلموا) صفة أجريت على النبيين على سبيل المدح كالصفات الجارية على القديم سبحانه لا للتفصلة والتوضيح وأريد بإجرائها التعريض باليهود وأنهم بعداء من ملة الإسلام التي هي دين الأنبياء كلهم في القديم والحديث وأن اليهودية بمعزل منها وقوله الذين أسلموا (للذين هادوا) مناد على ذلك (والربانيون والأحبار) والزهاد والعلماء من ولد هرون الذين التزموا طريقة النبيين وجانبوا دين اليهود (بما استحفظوا من كتاب الله) بما سألهم أنبياؤهم حفظه من التوراة أي بسبب سؤال أنبيائهم إياهم أن يحفظوه من التغيير والتبديل ومن في من كتاب الله للتبيين (وكانوا عليه شهداء) رقباء لئلا يبدل والمعنى يحكم بأحكام التوراة النبيون بين موسى وعيسى وكان بينهما ألف نبي للذين هادوا يحملونهم على أحكام التوراة لا يتركونهم أن يعدلوا عنها كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم من حملهم على حكم الرجم وإرغام أنوفهم وإبائه عليهم ما اشتهوه من الجلد وكذلك حكم الربانيون والأحبار المسلمون بسبب ما استحفظهم أنبياؤهم من كتاب الله والقضاء بأحكامه وبسبب كونهم عليه شهداء ويجوز أن يكون الضمير في استحفظوا للأنبياء والربانيين والأحبار جميعا ويكون الاستحفاظ من الله أي كلفهم الله حفظه وأن يكونوا عليه شهداء (فلا تخشوا الناس) نهي للحكام عن خشيتهم غير الله في حكوماتهم وإدهانهم فيها وإمضائها على خلاف ما أمروا به من العدل لخشية سلطان ظالم أو خيفة أذية أحد من القرباء والأصدقاء (ولا تشتروا) ولا تستبدلوا ولا تستعيضوا (بآيات الله) وأحكامه (ثمنا قليلا) وهو الرشوة وابتغاء الجاه ورضا الناس كما حرف أحبار اليهود كتاب الله وغيروا أحكامه رغبة في الدنيا وطلبا للرياسة فهلكوا (ومن لم يحكم بما أنزل الله) مستهينا به (فأولئك هم الكافرون) والظالمون والفاسقون وصف لهم بالعتو في كفرهم حين ظلموا آيات الله بالاستهانة وتمردوا بأن حكموا بغيرها وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن الكافرين والظالمين

أن النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف والأذن بالأذن والسن بالسن والجروح قصاص فمن تصدق به فهو كفارة له ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون وقفينا على آثارهم بعيسى ابن مريم مصدقا لما بين يديه من التوراة وآتيناه الإنجيل فيه هدى ونور ومصدقا لما بين يديه من التوراة وهدى وموعظة للمتقين وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ولو شاء الله

والفاسقين أهل الكتاب وعنه نعم القوم أنتم ما كان من حلو فلكم وما كان من مر فهو لأهل الكتاب من جحد حكم الله كفر ومن لم يحكم به وهو مقر به فهو ظالم فاسق وعن الشعبي هذه في أهل الإسلام والظالمون في اليهود والفاسقون في النصارى وعن ابن مسعود هو عام في اليهود وغيرهم وعن حذيفة أنتم أشبه الأمم سمتا ببني إسرائيل لتركبن طريقهم حذو النعل بالنعل والقذة بالقذة غير أني لا أدري أتعبدون العجل أم لا ● في مصحف أبي وأنزل الله على بني إسرائيل فيها وفيه وأن الجروح قصاص والمعطوفات كلها قرئت منصوبة ومرفوعة والرفع للعطف على محل أن النفس لأن المعنى وكتبنا عليهم النفس بالنفس إما لإجراء كتبنا مجرى قلنا وإما لأن معنى الجملة التي هي قولك النفس بالنفس مما يقع عليه الكتب كما تقع عليه القراءة تقول كتبت الحمد لله وقرأت سورة أنزلناها ولذلك قال الزجاج لو قرئ إن النفس بالنفس بالكسر لكان صحيحا أو للاستئناف والمعنى فرضنا عليهم فيها (أن النفس) مأخوذة (بالنفس) مقتولة بها إذا قتلتها بغير حق (و) كذلك (العين) مفقوءة (بالعين) (والأنف) مجدوع (بالأنف والأذن) مصلومة (بالأذن والسن) مقلوعة (بالسن والجروح قصاص) ذات قصاص وهو المقاصة ومعناه ما يمكن فيه القصاص وتعرف المساواة وعن ابن عباس رضي الله عنهما كانوا لا يقتلون الرجل بالمرأة فنزلت (فمن تصدق) من أصحاب الحق (به) بالقصاص وعفا عنه (فهو كفارة له) فالتصدق به كفارة للمتصدق يكفر الله من سيئاته ما تقتضيه الموازنة كسائر طاعاته وعن عبد الله بن عمرو يهدم عنه من ذنوبه بقدر ما تصدق به وقيل فهو كفارة للجاني إذا تجاوز عنه صاحب الحق سقط عنه ما لزمه وفي قراءة أبي فهو كفارته له يعني فالمتصدق كفارته له أي الكفارة التي يستحقها له لا ينقص منها وهو تعظيم لما فعل كقوله تعالى فأجره على الله وترغيب في العفو ● وقفيته مثل عقبته إذا أتبعته ثم يقال قفيته بفلان وعقبته به فتعديه إلى الثاني بزيادة الباء (فإن قلت) فأين المفعول الأول في الآية (قلت) هو محذوف والظرف الذي هو (على آثارهم) كالساد مسده لأنه إذا قفى به على أثره فقد قفى به إياه والضمير في آثارهم للنبيين في قوله يحكم بها النبيون الذين أسلموا ● وقرأ الحسن الإنجيل بفتح الهمزة فإن صح عنه فلأنه أعجمي خرج لعجمته عن زنة العربية كما خرج هابيل وآجر (ومصدقا) عطف على محل فيه هدى ومحله النصب على الحال (وهدى وموعظة) يجوز أن ينتصبا على الحال كقوله مصدقا وأن ينتصبا مفعولا لهما كقوله وليحكم كأنه قيل وللهدى والموعظة آتيناه الإنجيل وللحكم بما أنزل الله فيه من الأحكام (فإن قلت) فإن نظمت هدى وموعظة في سلك مصدقا فما تصنع بقوله وليحكم (قلت) أصنع به ما صنعت بهدى وموعظة حين جعلتهما مفعولا لهما فأقدر وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله آتيناه إياه وقرئ وليحكم على لفظ الأمر بمعنى وقلنا ليحكم وروي في قراءة أبي وأن ليحكم بزيادة أن مع الأمر على أن أن موصولة بالأمر كقولك أمرته بأن قم كأنه قيل وآتيناه الإنجيل وأمرنا بأن يحكم أهل الإنجيل وقيل إن عيسى عليه السلام كان متعبدا بما في التوراة من الأحكام لأن الإنجيل مواعظ وزواجر والأحكام فيه قليلة وظاهر قوله وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه يرد ذلك وكذلك قوله لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا وإن ساغ لك أن تقول معناه وليحكموا بما أنزل الله فيه من إيجاب العمل بأحكام التوراة (فإن قلت) أي فرق بين التعريفين في قوله (وأنزلنا إليك الكتاب) وقوله (لما بين يديه من الكتاب) (قلت) الأول تعريف العهد لأنه عنى به القرآن والثاني تعريف الجنس لأنه عنى به جنس الكتب المنزلة ويجوز أن يقال هو للعهد لأنه لم يرد به ما يقع عليه اسم الكتاب على الإطلاق وإنما أريد نوع معلوم منه وهو ما أنزل من السماء سوى القرآن (ومهيمنا) ورقيبا على سائر الكتب لأنه يشهد لها بالصحة والثبات وقرئ ومهيمنا عليه بفتح الميم أي هو من عليه بأن حفظ من التغيير والتبديل كما قال لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه والذي هيمن عليه الله عز وجل أو الحفاظ في كل بلد لو حرف حرف منه أو حركة أو سكون لتنبه عليه كل أحد ولاشمأزوا رادين ومنكرين ● ضمن (ولا تتبع) معنى ولا تنحرف فلذلك عدي بعن كأنه قيل ولا تنحرف عما جاءك من الحق متبعا أهواءهم (لكل جعلنا منكم) أيها الناس (شرعة) شريعة وقرأ يحيى بن وثاب بفتح الشين (ومنهاجا) وطريقا واضحا في الدين تجرون عليه وقيل هذا دليل على أنا غير متعبدين بشرائع من قبلنا

لجعلكم أمة واحدة) جماعة متفقة على شريعة واحدة أو ذوي أمة واحدة أي دين واحد لا اختلاف فيه (ولكن) أراد (ليبلوكم فيما آتاكم) من الشرائع المختلفة هل تعملون بها مذعنين معتقدين أنها مصالح قد اختلفت على حسب الأحوال والأوقات معترفين بأن الله لم يقصد باختلافها إلا ما قضته الحكمة أم تتبعون الشبه وتفرطون في العمل (فاستبقوا الخيرات) فابتدروها وتسابقوا نحوها (إلى الله مرجعكم) استئناف في معنى التعليل لاستباق الخيرات (فينبئكم) فيخبركم بما لا تشكون معه من الجزاء الفاصل بين محقكم ومبطلكم وعاملكم ومفرطكم في العمل (فإن قلت) (وأن احكم بينهم) معطوف على ماذا (قلت) على الكتاب في قوله وأنزلنا إليك الكتاب كأنه قيل وأنزلنا إليك أن احكم على أن أن وصلت بالأمر لأنه فعل كسائر الأفعال ويجوز أن يكون معطوفا على بالحق أي أنزلناه بالحق وبأن احكم (أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك) أن يضلوك عنه ويستنزلوك وذلك أن كعب بن أسيد وعبد الله بن صوريا وشاس بن قيس من أحبار اليهود قالوا اذهبوا بنا إلى محمد نفتنه عن دينه فقالوا يا محمد قد عرفت أنا أحبار اليهود وأنا إن اتبعناك اتبعنا اليهود كلهم وإن بيننا وبين قومنا خصومة فنتحاكم إليك فتقضي لنا عليهم ونحن نؤمن بك ونصدقك فأبى ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت (فإن تولوا) عن الحكم بما أنزل الله إليك وأرادوا غيره (فاعلم أنما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم) يعني بذنب التولي عن حكم الله وإرادة خلافه فوضع ببعض ذنوبهم موضع ذلك وأراد أن لهم ذنوبا جمة كثيرة العدد وأن هذا الذنب مع عظمه بعضها وواحد منها وهذا الإبهام لتعظيم التولي واستسرافهم في ارتكابه ونحو البعض في هذا الكلام ما في قول لبيد * أو يرتبط بعض النفوس حمامها * أراد نفسه وإنما قصد تفخيم شأنها بهذا الإبهام كأنه قال نفسا كبيرة ونفسا أي نفس فكما أن التنكير يعطي معنى التكبير وهو معنى البعضية فكذلك إذا صرح بالبعض (لفاسقون) لمتمردون في الكفر معتدون فيه يعني أن التولي عن حكم الله من التمرد العظيم والاعتداء في الكفر (أفحكم الجاهلية يبغون) فيه وجهان أحدهما أن قريظة والنضير طلبوا إليه أن يحكم بما كان يحكم به أهل الجاهلية من التفاضل بين القتلى وروي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهم القتلى بواء فقال بنو النضير نحن لا نرضى بذلك فنزلت والثاني أن يكون تعييرا لليهود بأنهم أهل كتاب وعلم وهم يبغون حكم الملة الجاهلية التي هي هوى وجهل لا تصدر عن كتاب ولا ترجع إلى وحي من الله تعالى وعن الحسن هو عام في كل من يبغي غير حكم الله والحكم حكمان حكم بعلم فهو حكم الله وحكم بجهل فهو حكم الشيطان وسئل طاوس عن الرجل يفضل بعض ولده على بعض فقرأ هذه الآية وقرئ تبغون بالتاء والياء وقرأ السلمي أفحكم الجاهلية يبغون برفع الحكم على الابتداء وإيقاع يبغون خبرا وإسقاط الراجع عنه كإسقاطه عن الصلة في أهذا الذي بعث الله رسولا وعن الصفة في الناس رجلان رجل أهنت ورجل أكرمت وعن الحال في مررت بهند يضرب زيد وقرأ قتادة أفحكم الجاهلية على أن هذا الحكم الذي يبغونه إنما يحكم به أفعى نجران أو نظيره من حكام الجاهلية فأرادوا بسفههم أن يكون محمد خاتم النبيين حكما كأولئك الحكام * اللام في قوله (لقوم يوقنون) للبيان كاللام في هيت لك أي هذا الخطاب وهذا الاستفهام لقوم يوقنون فإنهم الذين يتيقنون أن لا أعدل من الله ولا أحسن حكما منه * لا تتخذوهم أولياء تنصرونهم وتستنصرونهم وتؤاخونهم وتصافونهم وتعاشرونهم معاشرة المؤمنين ثم علل النهي بقوله (بعضهم أولياء بعض) أي إنما يوالي بعضهم بعضا لاتحاد ملتهم واجتماعهم في الكفر فما لمن دينه خلاف دينهم ولموالاتهم (ومن يتولهم منكم فإنه) من جملتهم وحكمه حكمهم وهذا تغليظ من الله وتشديد في وجوب مجانبة المخالف في الدين واعتزاله كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تراءى ناراهما ومنه قول عمر رضي الله عنه لأبي موسى في كاتبه النصراني لا تكرموهم إذ أهانهم الله ولا تأمنوهم إذ خونهم الله ولا تدنوهم إذ أقصاهم الله وروي أنه قال له أبو موسى لا قوام للبصرة إلا به فقال مات النصراني والسلام يعني هب أنه قد مات فما كنت تكون صانعا حينئذ فاصنعه الساعة واستغن عنه بغيره (إن الله لا يهدي القوم الظالمين) يعني الذين ظلموا أنفسهم بموالاة الكفر يمنعهم الله ألطافه ويخذلهم مقتا لهم (يسارعون فيهم)

لجعلكم أمة واحدة ولكن ليبلوكم فيما آتاكم فاستبقوا الخيرات إلى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك فإن تولوا فاعلم أنما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم وإن كثيرا من الناس لفاسقون أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة

ينكمشون في موالاتهم ويرغبون فيها ويعتذرون بأنهم لا يأمنون أن تصيبهم دائرة من دوائر الزمان أي صرف من صروفه ودولة من دوله فيحتاجوا إليهم وإلى معونتهم وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه أنه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم إن لي موالي من يهود كثيرا عددهم وإني أبرأ إلى الله ورسوله من ولايتهم وأوالي الله ورسوله فقال عبد الله بن أبي إني رجل أخاف الدوائر لا أبرأ من ولاية موالي وهم يهود بني قينقاع (فعسى الله أن يأتي بالفتح) لرسول الله صلى الله عليه وسلم على أعدائه وإظهار المسلمين (أو أمر من عنده) يقطع شأفة اليهود ويجليهم عن بلادهم فيصبح المنافقون نادمين على ما حدثوا به أنفسهم وذلك أنهم كانوا يشكون في أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقولون ما نظن أن يتم له أمر وبالحري أن تكون الدولة والغلبة لهؤلاء وقيل أو أمر من عنده أو أن يؤمر النبي صلى الله عليه وسلم بإظهار أسرار المنافقين وقتلهم فيندموا على نفاقهم وقيل أو أمر من عند الله لا يكون فيه للناس فعل كبني النضير الذين طرح الله في قلوبهم الرعب فأعطوا بأيديهم من غير أن يوجف عليهم بخيل ولا ركاب (ويقول الذين آمنوا) قرئ بالنصب عطفا على أن يأتي وبالرفع على أنه كلام مبتدأ أي ويقول الذين آمنوا في ذلك الوقت وقرئ يقول بغير واو وهي في مصاحف مكة والمدينة والشام كذلك على أنه جواب قائل يقول فماذا يقول المؤمنون حينئذ فقيل يقول الذين آمنوا أهؤلاء الذين أقسموا (فإن قلت) لمن يقولون هذا القول (قلت) إما أن يقوله بعضهم لبعض تعجبا من حالهم وتغابطا بما من الله عليهم من التوفيق في الإخلاص (أهؤلاء الذين أقسموا) لكم بإغلاظ الأيمان أنهم أولياؤكم ومعاضدوكم على الكفار وإما أن يقولوه لليهود لأنهم حلفوا لهم بالمعاضدة والنصرة كما حكى الله عنهم وإن قوتلتم لننصرنكم (حبطت أعمالهم) من جملة قول المؤمنين أي بطلت أعمالهم التي كانوا يتكلفونها في رأي أعين الناس وفيه معنى التعجب كأنه قيل ما أحبط أعمالهم فما أخسرهم أو من قول الله عز وجل شهادة لهم بحبوط الأعمال وتعجبا من سوء حالهم وقرئ من يرتدد ومن يرتد وهو في الإمام بدالين وهو من الكائنات التي أخبر عنها في القرآن قبل كونها وقيل كان أهل الردة إحدى عشرة فرقة ثلاث في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بنو مدلج ورئيسهم ذو الحمار وهو الأسود العنسي وكان كاهنا تنبأ باليمن واستولى على بلاده وأخرج عمال رسول الله صلى الله عليه وسلم فكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى معاذ بن جبل وإلى سادات اليمن فأهلكه الله على يدي فيروز الديلمي بيته فقتله وأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتله ليلة قتل فسر المسلمون وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم من الغد وأتى خبره في آخر شهر ربيع الأول وبنو حنيفة قوم مسيلمة تنبأ وكتب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من مسيلمة رسول الله إلى محمد رسول الله أما بعد فإن الأرض نصفها لي ونصفها لك فأجاب عليه الصلاة والسلام من محمد رسول الله إلى مسيلمة الكذاب أما بعد فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين فحاربه أبو بكر رضي الله عنه بجنود المسلمين وقتل على يدي وحشي قاتل حمزة وكان يقول قتلت خير الناس في الجاهلية وشر الناس في الإسلام أراد في جاهليتي وإسلامي وبنو أسد قوم طليحة بن خويلد تنبأ فبعث إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم خالدا فانهزم بعد القتال إلى الشام ثم أسلم وحسن إسلامه وسبع في عهد أبي بكر رضي الله عنه فزارة قوم عيينة بن حصن وغطفان قوم قرة بن سلمة القشيري وبنو سليم قوم الفجاءة بن عبد ياليل وبنو يربوع قوم مالك بن نويرة وبعض تميم قوم سجاح بنت المنذر المتنبئة التي زوجت نفسها مسيلمة الكذاب وفيها يقول أبو العلاء المعري في كتاب استغفر واستغفري

أمت سجاح ووالاها مسيلمة ∗ كذابة في بني الدنيا وكذاب

وكندة قوم الأشعث بن قيس وبنو بكر بن وائل بالبحرين قوم الحطم بن زيد وكفى الله أمرهم على يدي أبي بكر رضي الله عنه وفرقة واحدة في عهد عمر رضي الله عنه غسان قوم جبلة بن الأيهم نصرته اللطمة وسيرته إلى بلاد الروم بعد إسلامه (فسوف يأتي الله بقوم) قيل لما نزلت أشار رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أبي موسى الأشعري فقال قوم هذا وقيل هم ألفان من النخع وخمسة آلاف من كندة وبجيلة وثلاثة آلاف من أفناء

فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا على ما أسروا في أنفسهم نادمين ويقول الذين آمنوا أهؤلاء الذين أقسموا بالله جهد أيمانهم إنهم لمعكم حبطت أعمالهم فأصبحوا خاسرين يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم

قوله بعث اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم خالدا في أبي السعود أبو بكر وهو الصواب ه مصححه

قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه الآية (قال) محبة العباد لربهم طاعته وابتغاء مرضاته وأن لا يفعلوا ما يوجب سخطه وعقابه ومحبة الله لعباده أن يثيبهم أحسن الثواب على طاعتهم ويعظمهم ويثني عليهم ويرضى عنهم وأما ما يعتقده أجهل الناس وأعداهم للعلم وأهله وأمقتهم للشرع وأسوأهم طريقة وإن كانت طريقتهم عند أمثالهم من الجهلة والسفهاء شيئاً وهم الفرقة المفتعلة المتفعلة من الصوف وما يدينون به من المحبة والعشق والتغني على كراسيهم خربها الله وفي مراقصهم عطلها الله بأبيات الغزل المقولة في المردان الذين يسمونهم شهداء وصعقاتهم التي أين عنها صعقة موسى يوم دك الطور فتعالى الله عنه علواً كبيراً ومن كلماتهم كما أنه بذاته يحبهم كذلك يحبون ذاته فإن الهاء راجعة إلى الذات دون النعوت والصفات انتهى كلامه (قال أحمد) لا شك أن تفسير محبة العبد لله بطاعته له على خلاف الظاهر وهو من المجاز الذي يسمى فيه المسبب باسم السبب والمجاز لا يعدل إليه عن الحقيقة إلا بعد تعذرها فلنتحقق حقيقة المحبة لغة بالقواعد لينظر هل هي ثابتة للعبد متعلقة بالله تعالى أم لا فالمحبة لغة ميل المتصف بها إلى أمر ملذ واللذات الباعثة على المحبة منقسمة إلى مدركة بالحس كلذة الذوق في المطعوم ولذة النظر واللمس في الصور المستحسنة ولذة الشم في الروائح العطرة ولذة السمع في النغمات الحسنة وإلى لذة تدرك بالعقل كلذة الجاه والرياسة والعلوم وما يجري مجراها فقد ثبت أن في اللذات الباعثة على المحبة ما لا يدركه إلا العقل دون الحس ثم تتفاوت المحبة ضرورة بحسب تفاوت البواعث عليها فليس اللذة رياسة الإنسان على أهل قرية كلذته بالرياسة على أقاليم معتبرة وإذا تفاوتت المحبة بحسب تفاوت البواعث فلذات العلوم أيضاً متفاوتة بحسب تفاوت المعلومات فليس معلوم أكمل ولا أجل من المعبود الحق فاللذة الحاصلة في معرفته تعالى ومعرفة جلاله وكماله تكون أعظم والمحبة المنبعثة عنها تكون أمكن وإذا حصلت هذه المحبة بعثت على الطاعات والموافقات (٤٢١) فقد تحصل من ذلك أن محبة العبد ممكنة بل واقعة من كل مؤمن فهي من لوازم الإيمان وشروطه والناس فيها متفاوتون بحسب تفاوت إيمانهم

يحبهم ويحبونه

وإذا كان كذلك وجب تفسير محبة العبد لله بمعناها الحقيقي لغة وكانت الطاعات والموافقات كالمسبب عنها والمترتبة عليها ألا ترى إلى الأعرابي الذي سأل عن الساعة فقال له النبي عليه الصلاة والسلام ما أعددت لها فقال ما أعددت لها كبير عمل ولكن حب الله ورسوله فقال عليه الصلاة والسلام أنت مع من أحببت فهذا الحديث ناطق بأن المفهوم من المحبة لله غير الأعمال والتزام الطاعات لأن الأعرابي نفاها وأثبت الحب وأقره عليه الصلاة والسلام على ذلك ثم إذا ثبت إجراء محبة العبد لله تعالى على حقيقتها لغة فالمحبة في اللغة إذا تأكدت سميت عشقاً فمن تأكدت محبته لله تعالى وظهرت آثار تأكدها عليه من استيعاب الأوقات في ذكره وطاعته فلا يمنع أن تسمى محبته عشقاً إذ العشق ليس إلا المحبة البالغة وما أردت بهذا الفصل إلا تخليص الحق والانتصاف لأحباء الله عز وجل من الزمخشري فإنه خلط في كلامه الغث بالسمين وأطلق القول كما ترى بالقدح الفاحش في المتصوفة من غير تحرز منه ونسب إليهم ما لا يليق بمرتكبه ولا يعد في البهائم فضلاً عن خواص البشر ولا يلزم من تسمي طائفة بهذا الاسم غاصبين له من أهله ثم ارتكابهم ما نقل عنهم مما ينافي حال المتسمين به حقيقة أن يؤاخذ الصالح بالطالح ولا تزر وازرة وزر أخرى وهذا كما أن علم الدين قد انتسب إليهم قوم سموا أنفسهم بأهل العدل والتوحيد ثم خلعوا الربقة فجحدوا صفات الله تعالى وقضاءه وقدره وقالوا إن الأمر أنف وجعلوا لأنفسهم شركاء في المخلوقات وفعلوا وصنعوا فلا يسوغ لنا أن نقدح في علماء أصول الدين مطلقاً لأنهم قد انتسب إليهم من لا حيلة لهم في نفيه عن التسمي بسمتهم ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها ولا شك أن في الناس من أنكر تصور محبة العبد لله إلا بمعنى طاعته له لا غير وهو الذي يجنح إليه الزمخشري وقد بينا تصور ذلك وأوضحناه والمعترفون بتصور ذلك وثبوته ينسبون المنكرين إلى أنهم جهلوا فأنكروا والصبي ينكر على من يعتقد أن وراء اللعب لذة من جماع أو غيره والمنهمك في الشهوات والغرام بالنساء يظن أن ليس وراء ذلك لذة من رياسة أو جاه أو شبه ذلك وكل طائفة تسخر عن فوقها وتعتقد أنهم مشغولون في غير شيء قال الغزالي والمحبون لله يقولون لمن أنكر عليهم ذلك إن تسخروا منا فإنا نسخر

ناس جاهدوا يوم القادسية وقيل هم الأنصار وقيل سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهم فضرب بيده على عاتق سلمان وقال هذا وذووه ثم قال لو كان الإيمان معلقاً بالثريا لناله رجال من أبناء فارس (يحبهم ويحبونه) محبة العباد لربهم طاعته وابتغاء مرضاته وأن لا يفعلوا ما يوجب سخطه وعقابه ومحبة الله لعباده أن يثيبهم أحسن الثواب على طاعتهم ويعظمهم ويثني عليهم ويرضى عنهم وأما ما يعتقده أجهل الناس وأعداهم للعلم وأهله وأمقتهم للشرع وأسوأهم طريقة وإن كانت طريقتهم عند أمثالهم من الجهلة والسفهاء شيئاً وهم الفرقة المتفعلة المفتعلة من الصوف وما يدينون به من المحبة والعشق والتغني على كراسيهم خربها الله وفي مراقصهم عطلها الله بأبيات الغزل المقولة في المردان الذين يسمونهم شهداء وصعقاتهم التي أين عنها صعقة موسى عند دك الطور فتعالى الله عنه علواً كبيراً ومن كلماتهم كما أنه بذاته يحبهم كذلك يحبون ذاته فإن الهاء راجعة إلى الذات دون النعوت والصفات ومنها الحب شرطه أن تلحقه سكرات المحبة فإذا لم يكن ذلك لم تكن فيه حقيقة (فإن قلت) أين الراجع من الجزاء إلى الاسم المتضمن لمعنى الشرط (قلت) هو محذوف معناه

سوف يأتي الله بقوم مكانهم أو قوم غيرهم أو ما أشبه ذلك (أذلة) جمع ذليل وأما ذلول فجمعه ذلل ومن زعم أنه من الذل الذي هو نقيض الصعوبة فقد غبي عنه أن ذلولا لا يجمع على أذلة (فإن قلت) هلا قيل أذلة للمؤمنين أعزة على الكافرين (قلت) فيه وجهان أحدهما أن يضمن الذل معنى الحنو والعطف كأنه قيل عاطفين عليهم على وجه التذلل والتواضع والثاني أنهم مع شرفهم وعلو طبقتهم وفضلهم على المؤمنين خافضون لهم أجنحتهم ونحوه قوله عز وجل أشداء على الكفار رحماء بينهم وقرئ أذلة وأعزة بالنصب على الحال (ولا يخافون لومة لائم) يحتمل أن تكون الواو للحال على أنهم يجاهدون وحالهم في المجاهدة خلاف حال المنافقين فإنهم كانوا موالين لليهود لعنت فإذا خرجوا في جيش المؤمنين خافوا أولياءهم اليهود فلا يعملون شيئا مما يعلمون أنه يلحقهم فيه لوم من جهتهم وأما المؤمنون فكانوا يجاهدون لوجه الله لا يخافون لومة لائم قط وأن يكون للعطف على أن من صفتهم المجاهدة في سبيل الله وأنهم صلاب في دينهم إذا شرعوا في أمر من أمور الدين إنكار منكر أو أمر بمعروف مضوا فيه كالمسامير المحماة لا يرعبهم قول قائل ولا اعتراض معترض ولا لومة لائم يشق عليه جدهم في إنكارهم وصلابتهم في أمرهم واللومة المرة من اللوم وفيها وفي التنكير مبالغتان كأنه قيل لا يخافون شيئا قط من لوم أحد من اللوام و(ذلك) إشارة إلى ما وصف به القوم من المحبة والذلة والعزة والمجاهدة وانتفاء خوف اللومة (يؤتيه) يوفق له (من يشاء) ممن يعلم أن له لطفا (واسع) كثير الفواضل والألطاف (عليم) بمن هو من أهلها عقب النهي عن موالاة من تجب معاداتهم ذكر من تجب موالاتهم بقوله إنما (وليكم الله ورسوله والذين آمنوا) ومعنى إنما وجوب اختصاصهم بالموالاة (فإن قلت) قد ذكرت جماعة فهلا قيل إنما أولياؤكم (قلت) أصل الكلام إنما وليكم الله فجعلت الولاية لله على طريق الأصالة ثم نظم في سلك إثباتها له إثباتها لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين على سبيل التبع ولو قيل إنما أولياؤكم الله ورسوله والذين آمنوا لم يكن في الكلام أصل وتبع وفي قراءة عبد الله إنما مولاكم (فإن قلت) (الذين يقيمون) ما محله (قلت) الرفع على البدل من الذين آمنوا أو على هم الذين يقيمون أو النصب على المدح وفيه تمييز للخلص من الذين آمنوا نفاقا أو واطأت قلوبهم ألسنتهم إلا أنهم مفرطون في العمل (وهم راكعون) الواو فيه للحال أي يعملون ذلك في حال الركوع وهو الخشوع والإخبات والتواضع لله إذا صلوا وإذا زكوا وقيل هو حال من يؤتون الزكاة بمعنى يؤتونها في حال ركوعهم في الصلاة وإنها نزلت في علي كرم الله وجهه حين سأله سائل وهو راكع في صلاته فطرح له خاتمه كأنه كان مرجا في خنصره فلم يتكلف لخلعه كثير عمل تفسد بمثله صلاته (فإن قلت) كيف صح أن يكون لعلي رضي الله عنه واللفظ لفظ جماعة (قلت) جيء به على لفظ الجمع وإن كان السبب فيه رجلا واحدا ليرغب الناس في مثل فعله فينالوا مثل ثوابه ولينبه على أن سجية المؤمنين يجب أن تكون على هذه الغاية من الحرص على البر والإحسان وتفقد الفقراء حتى إن لزهم أمر لا يقبل التأخير وهم في الصلاة لم يؤخروه إلى الفراغ منها (فإن حزب الله) من إقامة الظاهر مقام المضمر ومعناه فإنهم هم الغالبون ولكنهم بذلك جعلوا أعلاما لكونهم حزب الله وأصل الحزب القوم يجتمعون لأمر حزبهم ويحتمل أن يريد بحزب الله الرسول والمؤمنين ويكون المعنى ومن يتولهم فقد تولى حزب الله واعتضد بمن لا يغالب * روي أن رفاعة بن زيد وسويد بن الحرث كانا قد أظهرا الإسلام ثم نافقا وكان رجال من المسلمين يوادونهما فنزلت * يعني أن اتخاذهم دينكم هزوا ولعبا لا يصح أن يقابل باتخاذكم إياهم أولياء بل يقابل ذلك بالبغضاء والشنآن والمنابذة * وفصل المستهزئين بأهل الكتاب والكفار وإن كان أهل الكتاب من الكفار إطلاقا للكفار على المشركين خاصة والدليل عليه قراءة عبد الله ومن الذين أشركوا وقرئ والكفار بالنصب والجر وتعضد قراءة الجر قراءة أبي ومن الكفار (واتقوا الله) في موالاة الكفار وغيرهم (إن كنتم مؤمنين) حقا لأن الإيمان حقا يأبى موالاة أعداء الدين (اتخذوها) الضمير للصلاة أو للمناداة قيل كان رجل من النصارى بالمدينة إذا سمع المؤذن يقول أشهد أن محمدا رسول الله قال حرق الكاذب فدخلت خادمه بنار ذات ليلة وهو نائم فتطايرت منها شرارة في البيت فاحترق البيت واحترق هو وأهله وقيل فيه دليل

أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة وهم راكعون ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم والكفار أولياء واتقوا الله إن كنتم مؤمنين وإذا ناديتم إلى الصلاة اتخذوها هزوا ولعبا ذلك بأنهم قوم

منكم ما تبصرون

* قوله تعالى ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون (قال محمود هذا من إقامة الظاهر مقام المضمر ومعناه الخ قال أحمد ومقابله قوله تعالى إن الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيمة ألا إن الظالمين في عذاب مقيم فوضع الظالمين موضع ضمير الأول ليزيدهم محنة الظلم الى الخسران

قوله تعالى قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة (٢٣ ٤) والخنازير وعبد الطاغوت الآية (قال وعبد الطاغوت عطف على صلة من الخ) قال أحمد رحمه الله السؤال يلزم القدرية لأنهم يزعمون أن الله تعالى إنما أراد منهم أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا وأن عبادتهم للطاغوت قبيحة والله تعالى لا يريد قبحا بل تقع في الوجود على خلاف مشيئته ولذلك يصير الزمخشري الى تأويل الجعل بالخذلان أو بالحكم وكذلك أول قوله تعالى وجعلناهم أئمة يدعون الى النار بمعنى حكمنا عليهم بذلك هذا مقتضى قاعدة القدرية وأما على عقيدة أهل السنة الموحدين حقا فالآية على ظاهرها والله تعالى هو الذي أشقاهم وخلق في قلوبهم طاعة الطاغوت وعبادته ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن والذي وجع القدري في تحقيق الخذلان أو الحكم الذي

لا يعقلون قل يا أهل الكتاب هل تنقمون منا إلا أن آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل من قبل وأن أكثركم فاسقون قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت أولئك شر مكانا وأضل عن سواء السبيل وإذا جاؤكم قالوا آمنا وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به والله أعلم بما كانوا يكتمون وترى كثيرا منهم يسارعون في الإثم

على ثبوت الأذان بنص الكتاب لا بالمنام وحده (لا يعقلون) لأن لعبهم وهزؤهم من أفعال السفهاء والجهلة فكأنه لا عقل لهم * قرأ الحسن هل تنقمون بفتح القاف والفصيح كسرها والمعنى هل تعيبون منا وتنكرون الا الايمان بالكتب المنزلة كلها (وأن أكثركم فاسقون) (فإن قلت) علام عطف قوله وأن أكثركم فاسقون (قلت) فيه وجوه منها أن يعطف على أن آمنا بمعنى وما تنقمون منا إلا الجمع بين إيماننا وبين تمردكم وخروجكم عن الايمان كأنه قيل وما تنكرون منا إلا مخالفتكم حيث دخلنا في الاسلام وأنتم خارجون منه ويجوز أن يكون على تقدير حذف المضاف أي واعتقاد أنكم فاسقون ومنها أن يعطف على المجرور أي وما تنقمون منا إلا الايمان بالله وبما أنزل وبأن أكثركم فاسقون ويجوز أن تكون الواو بمعنى مع أي وما تنقمون منا إلا الايمان مع أن أكثركم فاسقون ويجوز أن يكون تعليلا معطوفا على تعليل محذوف كأنه قيل وما تنقمون منا إلا الايمان لقلة إنصافكم وفسقكم واتباعكم الشهوات ويدل عليه تفسير الحسن بفسقكم نقمتم ذلك علينا * وروي أنه أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم نفر من اليهود فسألوه عمن يؤمن به من الرسل فقال أومن بالله وما أنزل إلينا إلى قوله ونحن له مسلمون فقالوا حين سمعوا ذكر عيسى عليه السلام ما نعلم أهل دين أقل حظا في الدنيا والآخرة منكم ولا دينا شرا من دينكم فنزلت وعن نعيم بن ميسرة وإن أكثركم بالكسر ويحتمل أن ينتصب وأن أكثركم بفعل محذوف يدل عليه هل تنقمون أي ولا تنقمون أن أكثركم فاسقون أو يرتفع على الابتداء والخبر محذوف أي وفسقكم ثابت معلوم عندكم لأنكم علمتم أنا على الحق وأنكم على الباطل الا أن حب الرياسة وكسب الأموال لا يدعكم فتنصفوا (ذلك) إشارة إلى المنقوم ولا بد من حذف مضاف قبله أو قبل من تقديره بشر من أهل ذلك أو دين من لعنه الله و(من لعنه الله) في محل الرفع على قولك هو من لعنه الله كقوله تعالى قل أفأنبئكم بشر من ذلكم النار أو في محل الجر على البدل من شر * وقرئ مثوبة ومثوبة ومثالهما مشورة ومشورة (فإن قلت) المثوبة مختصة بالإحسان فكيف جاءت في الإساءة (قلت) وضعت المثوبة موضع العقوبة على طريقة قوله * تحية بينهم ضرب وجيع * ومنه فبشرهم بعذاب أليم (فإن قلت) المعاقبون من الفريقين هم اليهود فلم شورك بينهم في العقوبة (قلت) كان اليهود لعنهم الله يزعمون أن المسلمين ضالون مستوجبون للعقاب فقيل لهم من لعنه الله شر عقوبة في الحقيقة واليقين من أهل الإسلام في زعمكم ودعواكم (وعبد الطاغوت) عطف على صلة من كأنه قيل ومن عبد الطاغوت وفي قراءة أبي وعبدوا الطاغوت على المعنى وعن ابن مسعود ومن عبدوا وقرئ وعابد الطاغوت عطفا على القردة وعابدي وعباد وعبد وعبد ومعناه الغلو في العبودية كقولهم رجل حذر وفطن للبليغ في الحذر والفطنة قال

أبني لبينى إن أمكم * أمة وإن أباكم عبد

وعبدة بوزن حطم وعبيد وعبد بضمتين جمع عبيد وعبدة بوزن كفرة وعبد وأصله عبدة فحذفت التاء للإضافة أو هو كخدم في جمع خادم وعبد وعباد وأعبد وعبد الطاغوت على البناء للمفعول وحذف الراجع بمعنى وعبد الطاغوت فيهم أو بينهم وعبد الطاغوت بمعنى صار الطاغوت معبودا من دون الله كقولك أمر إذا صار أميرا وعبد الطاغوت بالجر عطفا على من لعنه الله (فإن قلت) كيف جاز أن يجعل الله منهم عبد الطاغوت (قلت) فيه وجهان أحدهما أنه خذلهم حتى عبدوها والثاني أنه حكم عليهم بذلك ووصفهم به كقوله تعالى وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثا وقيل الطاغوت العجل لأنه معبود من دون الله ولأن عبادتهم للعجل مما زينه لهم الشيطان فكانت عبادتهم له عبادة للشيطان وهو الطاغوت وعن ابن عباس رضي الله عنه أطاعوا الكهنة وكل من أطاع أحدا في معصية الله فقد عبده وقرأ الحسن الطواغيت وقيل وجعل منهم القردة أصحاب السبت والخنازير كفار أهل مائدة عيسى وقيل كلا المسخين من أصحاب السبت فشبانهم مسخوا قردة ومشايخهم مسخوا خنازير وروي أن المسلمين كانوا يعيرون اليهود ويقولون يا إخوة القردة والخنازير فينكسون رؤسهم (أولئك) الملعونون الممسوخون (شر مكانا) جعلت الشرارة للمكان

بمفزوع الى التأويل به لم يقدر منه على حقيقة ولم يغمره نفرا الحاق ان اعترف بالحق وترك ارتكاب المراء والتذبذب مع الأهواء والله ولي التوفيق • قوله تعالى وإذا جاؤكم قالوا آمنا وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به (قال المجروران حالان أي دخلوا كافرين الخ) قال أحمد وفي تصدير الجملة الثانية بالضمير تأكيد لاتحاد حالهم في الكفر أي وقد دخلوا بالكفر وخرجوا وهم أولئك على حالهم في الكفر كما تقول لقيت زيدا بعد عوده من سفره وهو هو أي على حاله وفي المثل وعبد الحميد عبد الحميد أي حالته باقية والله أعلم • قوله تعالى وترى كثيرا منهم يسارعون في الإثم والعدوان وأكلهم السحت لبئس ما كانوا يعملون لولا ينهاهم الربانيون والأحبار عن قولهم الإثم وأكلهم السحت لبئس ما كانوا يصنعون (قال الإثم الكذب الخ) قال أحمد وقوله عن قولهم الإثم يدل على أن الإثم الأول قول فيحتمل أن يكون المراد الكذب مطلقا ويحتمل أن يراد كلمة الشرك (٤٢٤) واستدلال الزمخشري على أن المراد الكذب لا يتم وغاية ما يدل على أنه قول فيحتمل الأمرين والله أعلم • عاد كلامه (قال جعلوا آثم من مرتكبي المناكير لأن كل عامل الخ) قال أحمد يعني أنه عبر عن الواقع المذموم من مرتكبي المناكير بالعمل في قوله لبئس ما كانوا يعملون وعبر عن ترك الانكار عليهم حيث ذمه بالصناعة في قوله لبئس ما كانوا يصنعون كان هذا الذم أشد لأنه جعل المذموم عليه صناعة لهم وللرؤساء وحرفة لازمة هم فيها أمكن من أصحاب المناكير في أعمالهم هذا مراده والله أعلم • قوله تعالى وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان الآية (قال غل اليد وبسطها عبارة عن البخل والجود الخ) قال أحمد والنكتة في استعمال هذا المجاز تصوير الحقيقة المعنوية بصورة حسية تلازمها غالبا ولا شيء أثبت من الصور الحسية في الذهن فلما كان الجود والبخل معنيين لا يدركان بالحس فلازمهما صورتان تدركان بالحس وهو بسط اليد للجود وقبضها للبخل عبر عنهما بلازمهما لفائدة الإيضاح والانتقال من المعنويات الى المحسوسات والله أعلم • عاد كلامه (قال فإن قلت قد صح أن قوله يد الله مغلولة عبارة عن البخل الخ) قال أحمد لقد نقص فضيلته التي أوردها في هذا الفصل بما ضمنه هذا السؤال والجواب من القاعدة الفاسدة في أن الله تعالى يستحيل عليه أن يريد من عباده شيئا مما نعاه عليهم وبنى على ذلك استحالة أن يدعو عليهم بالبخل لأنه لم يرده منهم ويستحيل أن يريده منهم فوجه هذا النص بالتأويل والتمسك بالأباطيل والحق أن الله يدعو عليهم بالبخل ودعاؤه عبارة عن خلقه الشح في قلوبهم

والعدوان وأكلهم السحت لبئس ما كانوا يعملون لولا ينهاهم الربانيون والأحبار عن قولهم الإثم وأكلهم السحت لبئس ما كانوا يصنعون وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان

وهي لا تهيه وفيه مبالغة ليست في قولك أولئك شر وأصل دخوله في باب الكناية التي هي أخت المجاز • نزلت في ناس من اليهود كانوا يدخلون على رسول الله صلى الله عليه وسلم ويظهرون له الإيمان نفاقا فأخبره الله تعالى بشأنهم وأنهم يخرجون من مجلسك كما دخلوا لم يتعلق بهم شيء مما سمعوا به من تذكيرك بآيات الله ومواعظك • وقوله بالكفر وبه حالان أي دخلوا كافرين وخرجوا كافرين وتقديره ملتبسين بالكفر • وكذلك قوله وقد دخلوا وهم قد خرجوا ولذلك دخلت قد تقريبا للماضي من الحال ولمعنى آخر وهو أن أمارات النفاق كانت لائحة عليهم وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم متوقعا لإظهار الله ما كتموه فدخل حرف التوقع وهو متعلق بقوله قالوا آمنا أي قالوا ذلك وهذه حالهم • الإثم الكذب بدليل قوله تعالى عن قولهم الإثم (والعدوان) الظلم وقيل الإثم كلمة الشرك وقولهم عزير ابن الله وقيل الإثم ما يختص بهم والعدوان ما يتعداهم الى غيرهم • والمسارعة في الشيء الشروع فيه بسرعة (لبئس ما كانوا يصنعون) كأنهم جعلوا آثم من مرتكبي المناكير لأن كل عامل لا يسمى صانعا ولا كل عمل يسمى صناعة حتى يتمكن فيه ويتدرب وينسب اليه وكأن المعنى في ذلك أن مواقع المعصية معه الشهوة التي تدعوه اليها وتحمله على ارتكابها وأما الذي ينهاه فلا شهوة معه في فعل غيره فإذا فرط في الإنكار كان أشد حالا من المواقع ولعمري أن هذه الآية مما يقذ السامع وينعى على العلماء توانيهم وعن ابن عباس رضي الله عنهما هي أشد آية في القرآن وعن الضحاك ما في القرآن آية أخوف عندي منها • غل اليد وبسطها مجاز عن البخل والجود ومنه قوله تعالى ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط ولا يقصد من يتكلم به إثبات يد ولا غل ولا بسط ولا فرق عنده بين هذا الكلام وبين ما وقع مجازا عنه لأنهما كلامان معتقبان على حقيقة واحدة حتى إنه يستعمله في ملك لا يعطي عطاء قط ولا يمنعه إلا بإشارته من غير استعمال يد وبسطها وقبضها ولو أعطى الأقطع الى المنكب عطاء جزيلا لقالوا ما أبسط يده بالنوال لأن بسط اليد وقبضها عبارتان وقعتا متعاقبتين للبخل والجود وقد استعملوهما حيث لا تصح اليد كقوله

جاد الحمى بسط اليدين بوابل • شكرت نداه تلاعه ووهاده

ولقد جعل لبيد للشمال يدا في قوله • إذ أصبحت بيد الشمال زمامها • ويقال بسط اليأس كفيه في صدري فجعلت لليأس الذي هو من المعاني لا من الأعيان كفان ومن لم ينظر في علم البيان عمي عن تبصر محجة الصواب في تأويل أمثال هذه الآية ولم يتخلص من يد الطاعن إذا عبثت به (فإن قلت) قد صح أن قولهم (يد الله مغلولة) عبارة عن البخل فما تصنع بقوله (غلت أيديهم) ومن حقه أن يطابق ما تقدمه وإلا تنافر الكلام

والقبض في أيديهم فهو الداعي والخالق لا خالق لا هو يخلق لهم البخل ويتقدس عنه لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون فليت الزمخشري لم يتحدث في تفسير القرآن إلا من حيث علم البيان فإنه فيه أفرس الفرسان لا يجاري في ميدانه ولا يماري في بيانه ♦ عاد كلامه (قال فإن قلت لم ثنيت اليد في يداه مبسوطتان وهي مفردة في قولهم يد الله الخ) قال أحمد ولما كان المعهود في العطاء أن يكون إحدى اليدين وهي اليمين وكان الغالب على اليهود لعنت اعتقاد الجسمية بعث عباراتهم عن اليد الواحدة المألوف منها العطاء بين الله تعالى كذبهم في الأمرين في سنة أفضل وفي إضافته إلى الواحدة تنزيلا منهم على اعتقاد الجسمية بنسب الى ذاته صفة الكرم المعبر عنها بالبسط وبأن إضافته إلى اليدين جميعا لأن كلتا يديه يمين كما ورد في الحديث تنبيها على نفي الجسمية ولو كانت ٤٢٥ ثانية جل الله عنها لكانت إحدى

الكلام وزل عن سننه (قلت) يجوز أن يكون معناه الدعاء عليهم بالبخل والنكد ومن ثم كانوا أبخل خلق الله وأنكدهم. ونحوه بيت الأشتر:
بقيت وفري وانحرفت عن العلا ♦ ولقيت أضيافي بوجه عبوس
ويجوز أن يكون دعاء عليهم بغل الأيدي حقيقة يغلون في الدنيا أسارى وفي الآخرة معذبين بأغلال جهنم والطباق من حيث اللفظ وملاحظة أصل المجاز كما تقول سبني سب الله دابره أي قطعه لأن السب أصله القطع (فإن قلت) كيف جاز أن يدعو الله عليهم بما هو قبيح وهو البخل والنكد (قلت) المراد به الدعاء بالخذلان الذي تقسو به قلوبهم فيزيدون بخلا إلى بخلهم ونكدا إلى نكدهم أو بما هو مسبب عن البخل والنكد من لصوق العار بهم وسوء الأحدوثة التي تخزيهم وتمزق أعراضهم (فإن قلت لم ثنيت اليد في قوله تعالى بل يداه مبسوطتان وهي مفردة في يد الله مغلولة (قلت) ليكون رد قولهم وإنكاره أبلغ وأدل على إثبات غاية السخاء له ونفي البخل عنه وذلك أن غاية ما يبذله السخي بماله من نفسه أن يعطيه بيديه جميعا فبنى المجاز على ذلك ♦ وقرئ ولعنوا بسكون العين وفي مصحف عبد الله بل يداه بسطان يقال يده بسط بالمعروف ونحوه مشية سجح وناقة صرح (ينفق كيف يشاء) تأكيد للوصف بالسخاء ودلالة على أنه لا ينفق إلا على مقتضى الحكمة والمصلحة روي أن الله تبارك وتعالى كان قد بسط على اليهود حتى كانوا من أكثر الناس مالا فلما عصوا الله في محمد صلى الله عليه وسلم وكذبوه كف الله تعالى ما بسط عليهم من السعة فعند ذلك قال فنحاص بن عازوراء يد الله مغلولة ورضي بقوله الآخرون فأشركوا فيه (وليزيدن) أي يزدادون عند نزول القرآن لحسدهم تماديا في الجحود وكفرا بآيات الله (وألقينا بينهم العداوة) فكلمهم أبدا مختلف وقلوبهم شتى لا يقع اتفاق بينهم ولا تعاضد (كلما أوقدوا نارا) كلما أرادوا محاربة أحد غلبوا وقهروا ولم يقم لهم نصر من الله على أحد قط وقد أتاهم الإسلام وهم في ملك المجوس وقيل خالفوا حكم التوراة فبعث الله عليهم بختنصر ثم أفسدوا فسلط الله عليهم فطرس الرومي ثم أفسدوا فسلط الله عليهم المجوس ثم أفسدوا فسلط الله عليهم المسلمين وقيل كلما حاربوا رسول الله صلى الله عليه وسلم نصر عليهم وعن قتادة رضي الله عنه لا تلقى اليهود ببلدة إلا وجدتهم من أذل الناس (ويسعون) ويجتهدون في الكيد للإسلام ومحو ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم من كتبهم (ولو أن أهل الكتاب) مع ما عددنا من سيئاتهم (آمنوا) برسول الله صلى الله عليه وسلم وبما جاء به وقرنوا إيمانهم بالتقوى التي هي الشريطة في الفوز بالإيمان (لكفرنا عنهم) تلك السيئات ولم نؤاخذهم بها (ولأدخلناهم) مع المسلمين الجنة وفيه إعلام بعظم معاصي اليهود والنصارى وكثرة سيئاتهم ودلالة على سعة رحمة الله تعالى وفتحه باب التوبة على كل عاص وإن عظمت معاصيه وبلغت مبالغ سيئات اليهود والنصارى وأن الإيمان لا ينجي ولا يسعد إلا مشفوعا بالتقوى كما قال الحسن هذا العمود فأين الأطناب (ولو أنهم

اليدين يمينا والأخرى شمالا ضرورة فلما ثبت أن كلتيهما يمين تعين نفي الجسمية وأضاف الكرم إليهما إلا كما يضاف في الشاهد إلى اليد اليمنى خاصة إذ الأخرى شمال

ينفق كيف يشاء وليزيدن كثيرا منهم ما أنزل إليك من ربك طغيانا وكفرا وألقينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله ويسعون في الأرض فسادا والله لا يحب المفسدين ولو أن أهل الكتاب آمنوا واتقوا لكفرنا عنهم سيئاتهم ولأدخلناهم جنات النعيم ولو أنهم

وليست محلا للتكريم والله أعلم ♦ قوله تعالى ولو أن أهل الكتاب آمنوا واتقوا لكفرنا عنهم سيئاتهم ولأدخلناهم جنات النعيم (قال فيه دليل على أن الإيمان

٥٤ كشاف ل لا ينجي الخ) قال أحمد هو ينفر أبدا من ظاهر هذه الآية فيجعلها دليلا على قاعدته في أن مجرد الإيمان لا ينجي من الخلود في النار حتى يضاف إليه التقوى لأن الله تعالى جعل المجموع في هذه الآية شرطا للتكفير ولإدخال الجنة وظاهره أنهما ما لم يجتمعا لا يوجد تكفير ولا دخول الجنة وأنى له ذلك والإجماع والاتفاق من الفريقين أهل السنة والمعتزلة على أن مجرد الإيمان يجب ما قبله ويمحوه كما ورد النص ولو فرضنا موت الداخل في الإيمان عقيب دخوله فيه لكان كيوم ولدته أمه باتفاق مكفر الخطايا محكوما له بالجنة فدل ذلك على أن اجتماع الأمرين ليس شرطا هذا إن كان المراد بالتقوى الأعمال وإن كانت التقوى على أصل موضعها الخوف من الله عز وجل فهذا المعنى ثابت لكل مؤمن وإن قارف الكبائر وحينئذ لا يتم للزمخشري منه غرض وما هذا إلا لجاج ولجاج في مخالفة المعتقد المستفاد من قوله عليه الصلاة والسلام من قال لا إله إلا الله دخل الجنة وإن زنى وإن سرق كررها النبي صلى الله عليه وسلم مرارا

ثم قال وان رغم أنف أبي ذر لمراجعته رضي الله عنه في ذلك ونحن نقول وان رغم أنف القدرية * قوله تعالى يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس ان الله لا يهدي القوم الكافرين (قال معناه بلغ غير مراقب في التبليغ أحدا ولا خائف أن ينالك مكروه وان لم تفعل معناه وان لم تبلغ جميعه كما أمرتك فلم تبلغ رسالته فلم تبلغ اذا ما كلفت من اداء الرسالة ولم تؤد منها شيئا قط وذلك أن بعضها ليس بأولى بالاداء من البعض فكانت اذا لم تؤد بعضها كأنك أغفلت اداءها جميعا كما أن من لم يؤمن ببعضها كان كمن لم يؤمن بكلها لادلاء كل منها بما يدليه غيرها وكونها كذلك في حكم شيء واحد والشيء الواحد لا يكون مبلغا غير مبلغ مؤمنا به غير مؤمن الى ان قال فان قلت وقوع قوله ٤٢٦ فما بلغت رسالته جزاء للشرط ما وجه صحته قلت فيه وجهان أحدهما انه اذا لم يمتثل الخ قال أحمد وهذا الاتحاد بين الشرط والجزاء ظاهر الا ان حاصله ان لم تبلغ الرسالة لم تبلغ الرسالة فاتحاد المبتدأ والخبر حتى لا يزيد الخبر عليه شيئا في الظاهر كقوله أنا أبو النجم وشعري شعري بجعل الخبر عين المبتدأ بلا مزيد في اللفظ وأراد وشعري شعري المشهور بلاغته والمستفيض فصاحته ولكنه أوهم بالسكوت عن هذه الصفات التي بها تحصل الفائدة [illegible] شعره في فهم السامعين لاشتهاره [illegible] الناس عن ذكرها لشهرتها ووضوحها وكذلك أريد في الآية لأن عدم تبليغ الرسالة أمر معلوم عند الناس مستقر في الافهام انه عظيم شنيع ينقم على مرتكبه بل عدم نشر العلم من العالم أمر فظيع فضلا عن كتمان الرسالة من الرسول فاستغني عن ذكر الزيادات التي يتفاوت بها الشرط والجزاء للصوقها بالجزاء في الافهام وان كل من سمع عدم تبليغ الرسالة فهم ما وراءه من الوعيد والتهديد وحسن هذا الاسلوب في الكتاب العزيز بذكر الشرط عاما بقوله وان لم تفعل ولم يقل فان لم تبلغ الرسالة فما بلغت الرسالة حتى يكون اللفظ متغايرا وهذه المغايرة اللفظية وان كان المعنى واحدا أحسن رونقا وأظهر طلاوة من تكرار اللفظ الواحد في الشرط والجزاء وهذه الذروة انحط عنها أبو النجم بذكر المبتدأ بلفظ الخبر وحق له ان تتضاءل فصاحته عند فصاحة المعجز ولا يعاب عليه في ذلك وهذا الفصل كالباب من علم البيان والله الموفق

أقاموا التوراة والانجيل وما أنزل اليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم منهم أمة مقتصدة وكثير منهم ساء ما يعملون يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس ان الله لا يهدي القوم الكافرين قل يا أهل الكتاب

أقاموا التوراة والانجيل) أقاموا أحكامهما وحدودهما وما فيهما من نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم (وما أنزل اليهم) من سائر كتب الله لأنهم مكلفون الايمان بجميعها فكأنها أنزلت اليهم وقيل هو القرآن لوسع الله عليهم الرزق وكانوا قد قحطوا وقوله (لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم) عبارة عن التوسعة وفيه ثلاثة أوجه أن يفيض عليهم بركات السماء وبركات الأرض وأن يكثر الأشجار المثمرة والزروع المغلة وأن يرزقهم الجنان اليانعة الثمار يجتنون ما تهدل منها من رؤس الشجر ويلتقطون ما تساقط على الأرض من تحت أرجلهم (منهم أمة مقتصدة) طائفة حالها أمم في عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل هي الطائفة المؤمنة عبد الله بن سلام وأصحابه وثمانية وأربعون من النصارى و(ساء ما يعملون) فيه معنى التعجب كأنه قيل وكثير منهم ما أسوأ عملهم وقيل هم كعب بن الأشرف وأصحابه والروم (بلغ ما أنزل اليك) جميع ما أنزل اليك وأي شيء أنزل اليك غير مراقب في تبليغه أحدا ولا خائف أن ينالك مكروه (وان لم تفعل) وان لم تبلغ جميعه كما أمرتك (فما بلغت رسالته) وقرئ رسالاته فلم تبلغ اذا ما كلفت من أداء الرسالات ولم تؤد منها شيئا قط وذلك أن بعضها ليس أولى بالأداء من بعض وان لم تؤد بعضها فكأنك أغفلت أداءها جميعا كما أن من لم يؤمن ببعضها كان كمن لم يؤمن بكلها لادلاء كل منها بما يدليه غيرها وكونها كذلك في حكم شيء واحد والشيء الواحد لا يكون مبلغا غير مبلغ مؤمنا به غير مؤمن به وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان كتمت آية لم تبلغ رسالاتي وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثني الله برسالاته فضقت بها ذرعا فأوحى الله الي ان لم تبلغ رسالاتي عذبتك وضمن لي العصمة فقويت (فان قلت) وقوع قوله فما بلغت رسالاته جزاء للشرط ما وجه صحته (قلت) فيه وجهان أحدهما انه اذا لم يمتثل أمر الله في تبليغ الرسالات وكتمها كلها كأنه لم يبعث رسولا كان أمرا شنيعا لا خفاء بشناعته فقيل ان لم تبلغ منها أدنى شيء وان كان كلمة واحدة فأنت كمن ركب الأمر الشنيع الذي هو كتمان كلها كما عظم قتل النفس بقوله فكأنما قتل الناس جميعا والثاني أن يراد فان لم تفعل فلك ما يوجبه كتمان الوحي كله من العقاب فوضع السبب موضع المسبب ويعضده قوله عليه الصلاة والسلام فأوحى الله الي ان لم تبلغ رسالاتي عذبتك (والله يعصمك) عدة من الله بالحفظ والكلاءة والمعنى والله يضمن لك العصمة من أعدائك فما عذرك في مراقبتهم (فان قلت) أين ضمان العصمة وقد شج في وجهه يوم أحد وكسرت رباعيته صلوات الله عليه (قلت) المراد أنه يعصمه من القتل وفيه أن عليه أن يحتمل كل ما دون النفس في ذات الله فما أشد تكاليف الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وقيل نزلت بعد يوم أحد والناس الكفار دليله قوله (ان الله لا يهدي القوم الكافرين) ومعناه أنه لا يمكنهم مما يريدون انزاله بك من الهلاك وعن أنس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحرس حتى نزلت فأخرج رأسه من قبة أدم وقال انصرفوا أيها

*قوله تعالى ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى الآية (قال فيه الصابئون رفع على الابتداء وخبره محذوف الخ) قال أحمد صدق لا ورود لهذا السؤال مع هذا التوجيه ولكن ثم سؤال متوجه وهو أن يقال لو عطف الصابئين ونصبه كما قرأ ابن كثير لافاد أيضا دخولهم في جملة المتوب عليهم ولفهم من تقديم ذكرهم على النصارى ما يفهم من الرفع من أن هؤلاء الصابئين وهم أوغل الناس في الكفر يتاب عليهم فما الظن بالنصارى ولكان الكلام جملة واحدة بليغة مختصرا ٤٢٧ والعطف افرادي فلم عدل الى الرفع وجعل الكلام جملتين وهل يشار بفائدة على النصب والعطف الافرادي ويجاب عن هذا السؤال بانه لو نصبه وعطفه لم يكن فيه افهام خصوصية لهذا الصنف لان الاصناف كلها معطوف بعضها على بعض عطف المفردات وهذا الصنف من جملتها والخبر عنها واحد وأما مع الرفع فينقطع عن العطف الافرادي وتبقى بقية الاصناف مخصصة بالخبر المعطوف به ويكون خبر هذا الصنف المفرد بمعزل تقديره مثلا والصابئون كذلك فيجيء كأنه مقيس على بقية الاصناف وملحق بها وهو بهذه المثابة لانهم أبعد الاصناف من قبول التوبة فكانوا أحقاء بجعلهم تبعا وفرعا مشبهين بمن هم أقعد منهم بهذا الخبر وفائدة التقديم على الخبر أن يكون توسط هذا المبتدأ المحذوف الخبر بين الجزئين أدل على الخبر المحذوف من ذكره بعد تقضي الكلام وتمامه والله أعلم

لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والانجيل وما أنزل اليكم من ربكم وليزيدن كثيرا منهم ما أنزل اليك من ربك طغيانا وكفرا فلا تأس على القوم الكافرين ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون لقد أخذنا ميثاق بني اسرائيل وأرسلنا اليهم رسلا كلما جاءهم رسول بما لا تهوى أنفسهم

الناس فقد عصمني الله من الناس (لستم على شيء) أي على دين يعتد به حتى يسمى شيئا لفساده وبطلانه كما تقول هذا ليس بشيء تريد تحقيره وتصغير شأنه وفي أمثالهم أقل من لا شيء (فلا تأس) فلا تتأسف عليهم لزيادة طغيانهم وكفرهم فان ضرر ذلك راجع اليهم لا اليك وفي المؤمنين غنى عنهم (والصابئون) رفع على الابتداء وخبره محذوف والنية به التأخير عما في حيز ان من اسمها وخبرها كأنه قيل ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى حكمهم كذا والصابئون كذلك وأنشد سيبويه شاهدا له

والا فاعلموا أنا وأنتم * بغاة ما بقينا في شقاق

أي فاعلموا أنا بغاة وأنتم كذلك (فان قلت) هلا زعمت أن ارتفاعه للعطف على محل ان واسمها (قلت) لا يصح ذلك قبل الفراغ من الخبر لا تقول ان زيدا وعمرو منطلقان (فان قلت) لم لا يصح والنية به التأخير فكأنك قلت ان زيدا منطلق وعمرو (قلت) لأني اذا رفعته رفعته عطفا على محل ان واسمها والعامل في محلهما هو الابتداء فيجب أن يكون هو العامل في الخبر لان الابتداء ينتظم الجزأين في عمله كما تنتظمهما ان في عملها فلو رفعت الصابئون المنوي به التأخير بالابتداء وقد رفعت الخبر بان لأعملت فيهما رافعين مختلفين (فان قلت) فقوله والصابئون معطوف لا بد له من معطوف عليه فما هو (قلت) هو مع خبره المحذوف جملة معطوفة على جملة قوله ان الذين آمنوا الخ ولا محل لها كما لا محل للتي عطفت عليها (فان قلت) ما التقديم والتأخير الا لفائدة فما فائدة هذا التقديم (قلت) فائدته التنبيه على أن الصابئين يتاب عليهم ان صح منهم الايمان والعمل الصالح فما الظن بغيرهم وذلك أن الصابئين أبين هؤلاء المعدودين ضلالا وأشدهم غيا وما سموا صابئين الا لانهم صبؤا عن الاديان كلها أي خرجوا كما أن الشاعر قدم قوله وأنتم تنبيها على أن المخاطبين أوغل في الوصف بالبغاة من قومه حيث عاجل به قبل الخبر الذي هو بغاة لئلا يدخل قومه في البغي قبلهم مع كونهم أوغل فيه منهم وأثبت قدما (فان قلت) فلو قيل والصابئين وإياكم لكان التقديم حاصلا (قلت) لو قيل هكذا لم يكن من التقديم في شيء لانه لا ازالة فيه عن موضعه وانما يقال مقدم ومؤخر للمزال لا للقار في مكانه ومجرى هذه الجملة مجرى الاعتراض في الكلام (فان قلت) كيف قال الذين آمنوا ثم قال (من آمن) (قلت) فيه وجهان أحدهما أن يراد بالذين آمنوا الذين آمنوا بألسنتهم وهم المنافقون وأن يراد بمن آمن من ثبت على الايمان واستقام ولم يخالجه ريبة فيه (فان قلت) ما محل من آمن (قلت) اما الرفع على الابتداء وخبره (فلا خوف عليهم) والفاء لتضمن المبتدأ معنى الشرط ثم الجملة كما هي خبر ان واما النصب على البدل من اسم ان وما عطف عليه أو من المعطوف عليه (فان قلت) فأين الراجع الى اسم ان (قلت) هو محذوف تقديره من آمن منهم كما جاء في موضع آخر وقرئ والصابيون بياء صريحة وهو من تخفيف الهمزة كقراءة من قرأ يستهزيون والصابون وهو من صبوت لانهم صبوا الى اتباع الهوى والشهوات في دينهم ولم يتبعوا أدلة العقل والسمع وفي قراءة أبي رضي الله عنه والصابئين بالنصب وبها قرأ ابن كثير وقرأ عبد الله يا أيها الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون (لقد أخذنا) ميثاقهم بالتوحيد (وأرسلنا اليهم رسلا) ليقفوهم على ما يأتون وما يذرون في دينهم (كلما جاءهم رسول) جملة شرطية وقعت صفة لرسلا والراجع محذوف أي رسول منهم (بما لا تهوى أنفسهم)

* قوله تعالى وأرسلنا إليهم رسلا كلما جاءهم رسول بما لا تهوى أنفسهم فريقا كذبوا وفريقا يقتلون (قال إن قلت أين جواب الشرط الخ) قال أحمد ومما يدل على حذف الجواب أنه جاء ظاهرا في الآية الأخرى وهي توأمة هذه قوله تعالى أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون فأقحم قوله استكبرتم جوابا ثم فسر استكبارهم وصنيعهم بالأنبياء بقتل البعض وتكذيب البعض ولو قدر الزمخشري هنا الجواب المحذوف مثل المنطوق به في أخت الآية فقال وأرسلنا إليهم رسلا كلما جاءهم رسول بما لا تهوى أنفسهم استكبروا والكتاب أولى لأنه مثله عينه * عاد كلامه (قال فإن قلت لم جيء بأحد الفعلين ماضيا الخ) قال أحمد ويكون حالا على حقيقته لأنهم الآن حاولوا قتل محمد عليه أفضل الصلاة والسلام غير [illegible] وقد نقل هذا الوجه في أخت هذه الآية في البقرة وقد مضى وجه آخر وهو أن صيغة الفعل المضارع لاختصاره دون الماضي وتنبيه بقوله تعالى ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فتصبح الأرض مخضرة عدل عن فأصبحت إلى فتصبح تصويرا للحال واستحضارا لها في ذهن السامع ومنه

بأني قد لقيت الغول تهوي * بسهب كالصحيفة صحصحان

فآخذه فأضربه فخرت * صريعا لليدين وللجران

فريقا كذبوا وفريقا يقتلون وحسبوا أن لا تكون فتنة فعموا وصموا ثم تاب الله عليهم ثم عموا وصموا كثير منهم والله بصير بما يعملون لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم وقال المسيح يا بني إسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة وما من إله إلا إله واحد وإن لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب أليم أفلا يتوبون إلى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل

عليه التكليف وهو هم ويضاد شهواتهم من مشاق التكاليف والعمل بالشرائع. فإن قلت أين جواب الشرط فإن قوله (فريقا كذبوا وفريقا يقتلون) ناب عن الجواب لأن الرسول الواحد لا يكون فريقين ولأنه لا يحسن أن تقول إن أكرمت أخي أخاك أكرمت. (قلت) هو محذوف يدل عليه قوله فريقا كذبوا وفريقا يقتلون كأنه قيل كلما جاءهم رسول منهم ناصبوه وقوله فريقا كذبوا جواب مستأنف لقائل يقول كيف فعلوا برسلهم (فإن قلت) لم جيء بأحد الفعلين ماضيا وبالآخر مضارعا (قلت) جيء يقتلون على حكاية الحال الماضية استفظاعا للقتل واستحضارا لتلك الحال الشنيعة للتعجب منها وقرئ أن لا تكون بالنصب على الظاهر وبالرفع على أن أن هي المخففة من الثقيلة أصله أنه لا تكون فتنة فخففت أن وحذف ضمير الشأن (فإن قلت) كيف دخل فعل الحسبان على أن التي للتحقيق (قلت) نزل حسبانهم لقوته في صدورهم منزلة العلم (فإن قلت) فأين مفعولا حسب (قلت) سد ما يشتمل عليه صلة أن وأن من المسند والمسند إليه مسد المفعولين والمعنى وحسب بنو إسرائيل أنه لا يصيبهم من الله فتنة أي بلاء وعذاب في الدنيا والآخرة (فعموا) عن الدين (وصموا) حين عبدوا العجل ثم تابوا عن عبادة العجل (فتاب الله عليهم ثم عموا وصموا) كرة ثانية بطلبهم المحال غير المعقول في صفات الله وهو الرؤية وقرئ عموا وصموا بالضم على تقدير عماهم الله وصمهم أي رماهم وضربهم بالعمى والصمم كما يقال نزكته إذا ضربته بالنيزك وركبته إذا ضربته بركبتك (كثير منهم) بدل من الضمير أو على قولهم أكلوني البراغيث أو هو خبر مبتدإ محذوف أي أولئك كثير منهم * لم يفرق عيسى عليه الصلاة والسلام بينه وبينهم في أنه عبد مربوب كمثلهم وهو احتجاج على النصارى (إنه من يشرك بالله) في عبادته أو فيما هو مختص به من صفاته أو أفعاله (فقد حرم الله عليه الجنة) التي هي دار الموحدين أي حرمه دخولها ومنعه منه كما يمنع المحرم من المحرم عليه (وما للظالمين من أنصار) من كلام الله على أنهم ظلموا وعدلوا عن سبيل الحق فيما تقولوا على عيسى عليه السلام فلذلك لم يساعدهم عليه ولم ينصر قولهم ورده وأنكره وإن كانوا معظمين له بذلك ورافعين من مقداره أو من قول عيسى عليه السلام على معنى ولا ينصركم أحد فيما تقولون ولا يساعدكم عليه لاستحالته وبعده عن المعقول أو ولا ينصركم ناصر في الآخرة من عذاب الله * من في قوله (وما من إله إلا إله واحد) للاستغراق وهي المقدرة مع لا التي لنفي الجنس في قولك لا إله إلا الله والمعنى وما إله قط في الوجود إلا إله موصوف بالوحدانية لا ثاني له وهو الله وحده لا شريك له ومن في قوله (ليمسن الذين كفروا منهم) للبيان كالتي في قوله تعالى فاجتنبوا الرجس من الأوثان (فإن قلت) فهلا قيل ليمسنهم عذاب أليم (قلت) في إقامة الظاهر مقام المضمر فائدة وهي تكرير الشهادة عليهم بالكفر في قوله لقد كفر الذين قالوا وفي البيان فائدة أخرى وهي الإعلام في تفسير الذين كفروا منهم أنهم بمكان من الكفر والمعنى ليمسن الذين كفروا من النصارى خاصة (عذاب أليم) أي نوع شديد الألم من العذاب كما تقول أعطني عشرين من الثياب تريد من الثياب خاصة لا من غيرها من الأجناس التي يجوز أن يتناولها عشرون ويجوز أن تكون للتبعيض على معنى ليمسن الذين بقوا على الكفر منهم لأن كثيرا منهم تابوا من النصرانية (أفلا يتوبون) ألا يتوبون بعد هذه الشهادة المكررة عليهم بالكفر وهذا الوعيد الشديد مما هم عليه وفيه تعجيب من إصرارهم (والله غفور رحيم) يغفر لهؤلاء إن تابوا ولغيرهم (قد خلت من قبله الرسل) صفة لرسول أي ما هو إلا رسول من جنس الرسل الذين خلوا من قبله جاء بآيات من الله كما أتوا بأمثالها إن أبرأ الله الأكمه والأبرص وأحيا الموتى على يده فقد أحيا العصا وجعلها حية تسعى وفلق بها البحر وطمس على يد موسى وإن خلقه من

وأمثاله كثيرة والله أعلم * قوله تعالى انظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر أنى يؤفكون (قال فإن قلت ما معنى التراخي في قوله ثم انظر الخ) قال أحمد ومنه ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم وقوله فقتل كيف قدر ثم قتل كيف قدر وهي في سائر هذه المواضع منقولة من التراخي الزماني إلى التراخي المعنوي في المراتب * قوله تعالى يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل (قال معناه لا تغلوا في دينكم غلوا باطلا الخ قال أحمد يعني بأهل العدل والتوحيد المعتزلة ويعني بغلوهم الذي هو حق عنده أنهم غلوا في التوحيد فجحدوا الصفات الإلهية وغلوا في التعديل ٤٢٩ فصرفوا أكثر الأفعال بل كلها عن أن تكون مخلوقة لله تعالى لا نطو ثها في مفاسد ولأن الله تعالى يعاقب على ما هو قبيح

وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام انظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر أنى يؤفكون قل أتعبدون من دون الله ما لا يملك لكم ضرا ولا نفعا والله هو السميع العليم قل يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون

غير ذكر فقد خلق آدم من غير ذكر ولا أنثى (وأمه صديقة) أي وما أمه أيضا إلا صديقة كبعض النساء المصدقات للأنبياء المؤمنات بهم فما منزلتهما إلا منزلة بشرين أحدهما نبي والآخر صحابي فمن أين اشتبه عليكم أمرهما حتى وصفتموهما بما لم يوصف به سائر الأنبياء وصحابتهم مع أنه لا تميز ولا تفاوت بينهما وبينهم بوجه من الوجوه ثم صرح ببعدهما عما نسب إليهما في قوله (كانا يأكلان الطعام) لأن من احتاج إلى الاغتذاء بالطعام وما يتبعه من الهضم والنفض لم يكن إلا جسما مركبا من عظم ولحم وعروق وأعصاب وأخلاط وأمزجة مع شهوة وقرم وغير ذلك مما يدل على أنه مصنوع مؤلف مدبر كغيره من الأجسام (كيف نبين لهم الآيات) أي الأعلام من الأدلة الظاهرة على بطلان قولهم (أنى يؤفكون) كيف يصرفون عن استماع الحق وتأمله (فإن قلت) ما معنى التراخي في قوله ثم انظر (قلت) معناه ما بين العجبين يعني أنه بين لهم الآيات بيانا عجيبا وأن إعراضهم عنها أعجب منه (ما لا يملك) هو عيسى أي شيئا لا يستطيع أن يضركم بمثل ما يضركم به الله من البلايا والمصائب في الأنفس والأموال ولا أن ينفعكم بمثل ما ينفعكم به من صحة الأبدان والسعة والخصب ولأن كل ما يستطيعه البشر من المضار والمنافع فبإقدار الله وتمكينه فكأنه لا يملك منه شيئا وهذا دليل قاطع على أن أمره مناف للربوبية حيث جعله لا يستطيع ضرا ولا نفعا وصفة الرب أن يكون قادرا على كل شيء لا يخرج مقدور عن قدرته (والله هو السميع العليم) متعلق بأتعبدون أي أتشركون بالله ولا تخشونه وهو الذي يسمع ما تقولون ويعلم ما تعتقدون أو أتعبدون العاجز والله هو السميع العليم الذي يصح منه أن يسمع كل مسموع ويعلم كل معلوم ولن يكون كذلك إلا وهو حي قادر (غير الحق) صفة للمصدر أي لا تغلوا في دينكم غلوا غير الحق أي غلوا باطلا لأن الغلو في الدين غلوان غلو حق وهو أن يفحص عن حقائقه ويفتش عن أباعد معانيه ويجتهد في تحصيل حججه كما يفعل المتكلمون من أهل العدل والتوحيد رضوان الله عليهم وغلو باطل وهو أن يتجاوز الحق ويتخطاه بالإعراض عن الأدلة واتباع الشبه كما يفعل أهل الأهواء والبدع (قد ضلوا من قبل) هم أئمتهم في النصرانية كانوا على الضلال قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم (وأضلوا كثيرا) ممن شايعهم على التثليث (وضلوا) لما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم (عن سواء السبيل) حين كذبوه وحسدوه وبغوا عليه * نزل الله لعنهم في الزبور (على لسان داود) وفي الإنجيل على لسان عيسى وقيل إن أهل أيلة لما اعتدوا في السبت قال داود عليه السلام اللهم العنهم واجعلهم آية فمسخوا قردة ولما كفر أصحاب عيسى عليه السلام بعد المائدة قال عيسى عليه السلام اللهم عذب من كفر بعدما أكل من المائدة عذابا لم تعذبه أحدا من العالمين والعنهم كما لعنت أصحاب السبت فأصبحوا خنازير وكانوا خمسة آلاف رجل ما فيهم امرأة ولا صبي (ذلك بما عصوا) أي لم يكن ذلك اللعن الشنيع الذي كان سبب المسخ إلا لأجل المعصية والاعتداء لا لشيء آخر ثم فسر المعصية والاعتداء بقوله (كانوا لا يتناهون) لا ينهى بعضهم بعضا (عن منكر فعلوه) ثم قال (لبئس ما كانوا يفعلون) للتعجيب من سوء فعلهم مؤكدا لذلك بالقسم فيا حسرة على المسلمين في إعراضهم عن باب التناهي عن المناكير وقلة عبئهم به كأنه ليس من ملة الإسلام في شيء مع

منهما والعدل عندهم أن لا يعاقب على فعل خالقه فهذا غلوهم في التعديل وهو كما ترى منه كالتوحيد لأنهم جعلوا كل مخلوق من الحيوانات خالقا فلم ير على فأشركوا ثلاثة والمعتزلة كما رأيت أشركوا كل أحد بل غير الآدميين في الخلق الذي هو خاص بالرب ويعني الزمخشري بأهل البدع والأهواء من عدا الطائفة المذكورة ويعني بغلوهم الباطل إثبات الصفات لله تعالى وتوحيده على الحق حتى لا خالق سواه ولا مخلوق إلا بقدرته وقد رضي عن شيعته وإخوانه وسكت عن ذكر من عداهم ونحن نقول اللهم ارض عمن هو أحق الطوائف برضاك وهذه دعوة أيضا بلا خلاف والله الموفق

قوله تعالى لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون (قال إن قلت كيف وقع ترك التناهي الخ) قال أحمد وفي هذا تنبيه الأحبار بأمرين قبيحين أحدهما أنهم كانوا يفعلون المنكر والآخر أنهم كانوا تاركين للنهي عنه أي عن أمثاله في المستقبل ولولا زيادة فعلوه لما صرح بوقوعها منهم ولكان المصرح به ترك النهي عن المنكر عند استحقاق النهي وذلك حين الإشراف على تعاطيه وظهور الأمارات الدالة عليه فانتظم ثبوت الأمرين جميعا على أحصر وجه وأبلغه وفي دلالة هذه الآية على المذهب الصحيح الأشعري من أن متعلق النهي فعل وهو الترك خلافا لأبي هاشم المعتزلي في قوله إن متعلقه نفي محض وعدم صرف ووجه دلالة الآية على أن متعلقه فعل أنه عبر عن ترك التناهي الذي وقع توبيخهم عليه بالفعل حيث قال لبئس ما كانوا يفعلون أي لبئس الترك للتناهي فعلا كما تقول زيد نعم الرجل فتجعل الرجل واقعا على زيد وقد سمى تركهم النهي عن المنكر في الآية السالفة قبل هذه صنعا فقال لولا ينهاهم الربانيون والأحبار إلى قوله لبئس ما كانوا يصنعون وذلك أبلغ في الدلالة على أن متعلق النهي أمر ثابت إذ الصنع أمكن من الفعل في الدلالة على الإثبات وقد مر هذا التقرير والله

ترى كثيرا منهم يتولون الذين كفروا لبئس ما قدمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي وما أنزل إليه ما اتخذوهم أولياء ولكن كثيرا منهم فاسقون لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ولتجدن أقربهم مودة

يتلون من كلام الله وقيعه من الملعنات في هذا الباب (فإن قلت) كيف وقع ترك التناهي عن المنكر تفسيرا للمعصية والاعتداء (قلت) من قبل أن الله تعالى أمر بالتناهي فكان الإخلال به معصية وهو اعتداء لأن في التناهي حسما للفساد فكان تركه على عكسه (فإن قلت) ما معنى وصف المنكر بفعلوه ولا يكون النهي بعد الفعل (قلت) معناه لا يتناهون عن معاودة منكر فعلوه أو عن مثل منكر فعلوه أو عن منكر أرادوا فعله كما ترى أمارات الخوض في الفسق وآلاته تسوى وتهيأ فتنكر ويجوز أن يراد لا ينتهون ولا يمتنعون عن منكر فعلوه بل يصرون عليه ويداومون على فعله يقال تناهى عن الأمر وانتهى عنه إذا امتنع منه وتركه (ترى كثيرا منهم) هم منافقو أهل الكتاب كانوا يوالون المشركين ويصافونهم (أن سخط الله عليهم) هو المخصوص بالذم ومحله الرفع كأنه قيل لبئس زادهم إلى الآخرة سخط الله عليهم والمعنى موجب سخط الله (ولو كانوا يؤمنون) إيمانا خالصا غير نفاق (ما اتخذوا المشركين أولياء) يعني أن موالاة المشركين كفى بها دليلا على نفاقهم وأن إيمانهم ليس بإيمان (ولكن كثيرا منهم فاسقون) متمردون في كفرهم ونفاقهم وقيل معناه ولو كانوا يؤمنون بالله وموسى كما يدعون ما اتخذوا المشركين أولياء كما لم يوالهم المسلمون * وصف الله شدة شكيمة اليهود وصعوبة إجابتهم إلى الحق ولين عريكة النصارى وسهولة ارعوائهم وميلهم إلى الإسلام وجعل اليهود قرناء المشركين في شدة العداوة للمؤمنين بل نبه على تقدم قدمهم فيها بتقديمهم على الذين أشركوا وكذلك فعل في قوله ولتجدنهم أحرص الناس على حياة ومن الذين أشركوا ولعمري إنهم لكذلك وأشد وعن النبي صلى الله عليه وسلم ما خلا يهوديان بمسلم إلا هما بقتله * وعلل سهولة مأخذ النصارى وقرب مودتهم للمؤمنين (بأن منهم قسيسين ورهبانا) أي علماء وعبادا (وأنهم) قوم فيهم تواضع واستكانة ولا كبر فيهم واليهود على خلاف ذلك وفيه دليل بين على أن العلم أنفع شيء وأهداه إلى الخير وأدله على الفوز حتى علم القسيسين وكذلك علم الآخرة والتحدث بالعاقبة وإن كانت في راهب والبراءة من الكبر وإن كانت في نصراني * ووصفهم برقة القلوب وأنهم يبكون عند استماع القرآن وذلك نحو ما يحكى عن النجاشي رضي الله عنه أنه قال لجعفر ابن أبي طالب حين اجتمع في مجلسه المهاجرون إلى الحبشة والمشركون وهم يغرونه عليهم ويتطلبون عنتهم عنده هل في كتابكم ذكر مريم قال جعفر فيه سورة تنسب إليها فقرأها إلى قوله ذلك عيسى ابن مريم وقرأ سورة طه إلى قوله وهل أتاك حديث موسى فبكى النجاشي وكذلك فعل قومه الذين وفدوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم سبعون رجلا حين قرأ عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة يس فبكوا

الموفق * قوله تعالى لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون (قال وصف الله تعالى شدة شكيمة اليهود وصعوبة إجابتهم الخ) قال أحمد وتمت قال الذين قالوا إنا نصارى ولم يقل النصارى تعريضا بصلابة اليهود في الكفر والامتناع من الامتثال للأمر لأن اليهود قيل لهم ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم ولا ترتدوا على أدباركم فقابلوا ذلك بأن قالوا فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون والنصارى قالوا نحن أنصار الله ومن ثم سموا نصارى وكذلك أيضا ورد أول هذه السورة ومن الذين قالوا إنا نصارى أخذنا ميثاقهم فنسوا حظا مما ذكروا به فأسند ذلك إلى قولهم والإشارة به إلى قولهم نحن أنصار الله كمعه ههنا ذكرته تنبيها على أنهم لم يثبتوا على الميثاق ولا على ما قالوه من أنهم أنصار الله وفي الآية الثانية ذكر تنبيها على أنهم أقرب حالا من اليهود لأنهم لما ورد عليهم الأمر لم يكافحوه بالرد مكافحة اليهود بل قالوا نحن أنصار الله واليهود قالت فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون فهذا سره والله أعلم

عاد كلامه (قال إن قلت ما معنى قوله ترى أعينهم تفيض من الدمع الخ) قال أحمد وهذه العبارة من أبلغ العبارات وأتمها وهي ثلاث مراتب فالأولى فاض دمع عينه وهذا هو الأصل والثانية محولة من هذه وهي قول القائل فاضت عينه دمعا حولت الفعل إلى العين مجازا ومبالغة ثم نبهت على الأصل والحقيقة بنصب ما كان فاعلا على التمييز والثالثة فيها ٤٣١ هذا التحويل المذكور وهي الواردة في الآية الآن أبلغ من الثانية باطراح التنبيه على الأصل وعدم نصب التمييز وإبرازه في صورة التعليل والله أعلم وإنما كان الكلام مع التعليل أبعد عن الأصل منه مع التمييز لأن التمييز مثله في قد استقر كونه فاعلا في الأصل في مثل تصبب زيد عرقا وتفقأ عمرو شحما واشتعل الرأس شيبا وتفجرت الأرض عيونا فإذا قلت فاضت عينه دمعا فهم هذا الأصل في العادة في أمثاله وأما التعليل فلم يعهد فيه ذلك الإزالة تقول فاضت عينه من ذكر الله كما تقول فاضت عينه من الدمع فلا يفهم التعليل ما يفهم التمييز والله الموفق

للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين وما لنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق ونطمع أن يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين فأثابهم الله بما قالوا جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك جزاء المحسنين والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم

(فإن قلت) بم تعلقت اللام في قوله للذين آمنوا (قلت) بعداوة ومودة على أن عداوة اليهود التي اختصت المؤمنين أشد العداوات وأظهرها، وأن مودة النصارى التي اختصت المؤمنين أقرب المودات وأدناها وجودا وأسهلها حصولا ووصف اليهود بالعداوة والنصارى بالمودة مما يؤذن بالتفاوت ثم وصف العداوة والمودة بالأشد والأقرب (فإن قلت) ما معنى قوله (تفيض من الدمع) (قلت) معناه تمتلئ من الدمع حتى تفيض لأن الفيض أن يمتلئ الإناء أو غيره حتى يطلع ما فيه من جوانبه فوضع الفيض الذي هو من الامتلاء موضع الامتلاء وهو من إقامة المسبب مقام السبب أو قصدت المبالغة في وصفهم بالبكاء فجعلت أعينهم كأنها تفيض بأنفسها أي تسيل من الدمع من أجل البكاء من قولك دمعت عينه دمعا (فإن قلت) أي فرق بين من ومن في قوله (مما عرفوا من الحق) (قلت) الأولى لابتداء الغاية على أن فيض الدمع ابتدأ ونشأ من معرفة الحق وكان من أجله وبسببه والثانية لتبيين الموصول الذي هو ما عرفوا وتحتمل معنى التبعيض على أنهم عرفوا بعض الحق فأبكاهم وبلغ منهم فكيف إذا عرفوه كله وقرؤا القرآن وأحاطوا بالسنة ● وقرئ ترى أعينهم على البناء للمفعول (ربنا آمنا) المراد به إنشاء الإيمان والدخول فيه (فاكتبنا مع الشاهدين) مع أمة محمد صلى الله عليه وسلم الذين هم شهداء على سائر الأمم يوم القيامة لتكونوا شهداء على الناس وقالوا ذلك لأنهم وجدوا ذكرهم في الإنجيل كذلك (وما لنا لا نؤمن بالله) إنكار استبعاد لانتفاء الإيمان مع قيام موجبه وهو الطمع في إنعام الله عليهم بصحبة الصالحين وقيل لما رجعوا إلى قومهم لاموهم فأجابوهم بذلك أو أرادوا وما لنا لا نؤمن بالله وحده لأنهم كانوا مثلثين وذلك ليس بإيمان بالله ومحل لا نؤمن النصب على الحال بمعنى غير مؤمنين كقولك ما لك قائما والواو في (ونطمع) واو الحال (فإن قلت) ما العامل في الحال الأولى والثانية (قلت) العامل في الأولى ما في اللام من معنى الفعل كأنه قيل أي شيء حصل لنا غير مؤمنين وفي الثانية معنى هذا الفعل ولكن مقيدا بالحال الأولى لأنك لو أزلتها وقلت وما لنا ونطمع لم يكن كلاما ويجوز أن يكون ونطمع حالا من لا نؤمن على أنهم أنكروا على نفوسهم أنهم لا يوحدون الله ويطمعون مع ذلك أن يصحبوا الصالحين وأن يكون معطوفا على لا نؤمن على معنى وما لنا نجمع بين التثليث وبين الطمع في صحبة الصالحين أو على معنى وما لنا لا نجمع بينهما بالدخول في الإسلام لأن الكافر ما ينبغي له أن يطمع في صحبة الصالحين ● وقرأ الحسن فآتاهم الله (بما قالوا) بما تكلموا به عن اعتقاد وإخلاص من قولك هذا قول فلان أي اعتقاده وما يذهب إليه (طيبات ما أحل الله لكم) ما طاب ولذ من الحلال ومعنى لا تحرموا لا تمنعوها أنفسكم كمنع التحريم أو لا تقولوا حرمناها على أنفسنا مبالغة منكم في العزم على تركها تزهدا منكم وتقشفا وروي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وصف القيامة يوما لأصحابه فبالغ وأشبع الكلام في الإنذار فرقوا واجتمعوا في بيت عثمان بن مظعون واتفقوا على أن لا يزالوا صائمين قائمين وأن لا يناموا على الفرش ولا يأكلوا اللحم والودك ولا يقربوا النساء والطيب ويرفضوا الدنيا ويلبسوا المسوح ويسيحوا في الأرض ويجبوا مذاكيرهم فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهم إني لم أومر بذلك إن لأنفسكم عليكم حقا فصوموا وأفطروا وقوموا وناموا فإني أقوم وأنام وأصوم وأفطر وآكل اللحم والدسم وآتي النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني ونزلت وروي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يأكل الدجاج والفالوذ وكان يعجبه الحلواء والعسل وقال إن المؤمن حلو يحب الحلاوة وعن ابن مسعود أن رجلا قال له إني حرمت الفرش فتلا هذه الآية وقال نم على فرشك وكفر عن يمينك وعن الحسن أنه دعي إلى طعام ومعه فرقد السبخي وأصحابه فقعدوا على المائدة وعليها الألوان من الدجاج المسمن والفالوذ وغير ذلك فاعتزل فرقد ناحية فسأل الحسن أهو صائم قالوا لا

قوله تعالى ذلك كفارة أيمانكم إذا حلفتم (قال المشار إليه هو المذكور فيما تقدم ولو قيل الخ) قال أحمد بل في هذه الآية وجه لطيف المأخذ في الدلالة على صحة وقوع الكفارة بعد اليمين وقبل الحنث وهو المشهور من مذهب مالك وبيان الاستدلال بها أنه جعل ما بعد الحلف ظرفا لوقوع الكفارة المعتبرة شرعا حيث أضاف إذا إلى مجرد الحلف وليس في الآية إيجاب الكفارة حتى يقال قد اتفق على أنها إنما تجب بالحنث فتعين تقديره مضافا إلى الحلف بل غاية ما في الآية الإشعار بشرعية الكفارة ووقوعها على وجه الاعتبار إذ لا يعطي قوله ذلك كفارة أيمانكم إيجابا بل يعطي صحة واعتبارا والله أعلم وهذا انتصار على من منع التكفير قبل الحنث مطلقا وإن كانت اليمين على بر والأقوال الثلاثة في مذهب مالك إلا أن القول المنصور هو المشهور عندنا كما مر (قال واحفظوا أيمانكم أي فبروا فيها الخ) قال أحمد وفي هذا التي التأويل إشعار بأن الحالف في صورة اليمين بعد تحقق أصلها يشدد عليه ويؤاخذ بالأحوط فأرشده الله إلى حفظ اليمين لئلا يفضي أمره إلى

ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا واتقوا الله الذي أنتم به مؤمنون لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان فكفارته إطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم أو كسوتهم أو تحرير رقبة فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام ذلك كفارة أيمانكم إذا حلفتم واحفظوا أيمانكم

ولكنه يكره هذه الألوان فأقبل الحسن عليه وقال يا لكع أترى لعاب النحل بلباب البر بخالص السمن يعيبه مسلم وعنه أنه قيل له فلان لا يأكل الفالوذ ويقول لا أؤدي شكره قال أفيشرب الماء البارد قالوا نعم قال إنه جاهل إن نعمة الله عليه في الماء البارد أكثر من نعمته عليه في الفالوذ وعنه إن الله تعالى أدب عباده فأحسن أدبهم قال الله تعالى لينفق ذو سعة من سعته ما عاب الله قوما وسع عليهم الدنيا فتنعموا وأطاعوا ولا عذر قوما زواها عنهم فعصوه (ولا تعتدوا) ولا تتعدوا حدود ما أحل الله لكم إلى ما حرم عليكم أو ولا تسرفوا في تناول الطيبات أو جعل تحريم الطيبات اعتداء وظلما فنهى عن الاعتداء ليدخل تحته النهي عن تحريمها دخولا أوليا لوروده على عقبه أو أراد ولا تعتدوا بذلك (وكلوا مما رزقكم الله) أي من الوجوه الطيبة التي تسمى رزقا (حلالا) حال مما رزقكم الله (واتقوا الله) تأكيدا لوصية بما أمر به وزاده تأكيدا بقوله (الذي أنتم به مؤمنون) لأن الإيمان به يوجب التقوى في الانتهاء إلى ما أمر به وعما نهى عنه اللغو في اليمين الساقط الذي لا يتعلق به حكم واختلف فيه فعن عائشة رضي الله عنها أنها سئلت عنه فقالت هو قول الرجل لا والله وبلى والله وهو مذهب الشافعي وعن مجاهد هو الرجل يحلف على الشيء يرى أنه كذلك وليس كما ظن وهو مذهب أبي حنيفة رحمه الله (بما عقدتم الأيمان) بتعقيدكم الأيمان وهو توثيقها بالقصد والنية وروي أن الحسن رضي الله عنه سئل عن لغو اليمين وكان عنده الفرزدق فقال يا أبا سعيد دعني أجب عنك فقال

ولست بمأخوذ بلغو تقوله ● إذا لم تعمد عاقدات العزائم

وقرئ عقدتم بالتخفيف وعاقدتم والمعنى ولكن يؤاخذكم بما عقدتم إذا حنثتم فحذف وقت المؤاخذة لأنه كان معلوما عندهم أو بنكث ما عقدتم فحذف المضاف (فكفارته) فكفارة نكثه والكفارة الفعلة التي من شأنها أن تكفر الخطيئة أي تسترها (من أوسط ما تطعمون) من أقصده لأن منهم من يسرف في إطعام أهله ومنهم من يقتر وهو عند أبي حنيفة رحمه الله نصف صاع من بر أو صاع من غيره لكل مسكين أو يغديهم ويعشيهم وعند الشافعي رحمه الله مد لكل مسكين وقرأ جعفر بن محمد أهاليكم بسكون الياء والأهالي اسم جمع لأهل كالليالي في جمع ليلة والأراضي في جمع أرض وقولهم أهلون كقولهم أرضون بسكون الراء وأما تسكين الياء في حال النصب فللتخفيف كما قالوا رأيت معديكرب تشبيها بالألف (أو كسوتهم) عطف على محل من أوسط وقرئ بضم الكاف نحو قدوة في قدوة وأسوة في إسوة والكسوة ثوب يغطي العورة وعن ابن عباس رضي الله عنه كانت العباءة تجزئ يومئذ وعن ابن عمر إزار أو قميص أو رداء أو كساء وعن مجاهد ثوب جامع وعن الحسن ثوبان أبيضان وقرأ سعيد بن المسيب واليماني أو كأسوتهم بمعنى أو مثل ما تطعمون أهليكم إسرافا كان أو تقتيرا لا تنقصونهم عن مقدار نفقتهم ولكن تساوون بينهم وبينهم (فإن قلت) ما محل الكاف (قلت) الرفع تقديره أو طعامهم كأسوتهم بمعنى كمثل طعامهم إن لم يطعموهم الأوسط (أو تحرير رقبة) شرط الشافعي رحمه الله الإيمان قياسا على كفارة القتل وأما أبو حنيفة وأصحابه فقد جوزوا تحرير الرقبة الكافرة في كل كفارة سوى كفارة القتل (فإن قلت) ما معنى أو (قلت) التخيير وإيجاب إحدى الكفارات الثلاث على الإطلاق بأيتها أخذ المكفر فقد أصاب (فمن لم يجد) إحداها (فصيام ثلاثة أيام) متتابعات عند أبي حنيفة رحمه الله تمسكا بقراءة أبي وابن مسعود رضي الله عنهما فصيام ثلاثة أيام متتابعات وعن مجاهد كل صوم متتابع إلا قضاء رمضان ويتخير في كفارة اليمين (ذلك) المذكور (كفارة أيمانكم) ولو قيل تلك كفارة أيمانكم لكان صحيحا بمعنى تلك الأشياء أو لتأنيث الكفارة والمعنى (إذا حلفتم) وحنثتم فترك ذكر الحنث لوقوع العلم بأن الكفارة إنما تجب بالحنث في الحلف لا بنفس الحلف والتكفير قبل الحنث لا يجوز عند أبي حنيفة وأصحابه ويجوز عند الشافعي بالمال إذا لم يعص الحانث (واحفظوا أيمانكم) فبروا فيها ولا تحنثوا أراد الأيمان

أن يلزم في ظاهر الأمر على وجه الاحتياط ما لم يصدر منه في علم الله تعالى كالذي يحلف بالطلاق وينسى هل قيده بالثلاث مثلا أو أطلقه فيلزمه الثلاث على المذهب المشهور ويحتمل أن يكون في علم الله تعالى أنه إنما حلف بالطلاق مطلقا فأرشد إلى الحفظ لئلا يجره النسيان إلى هذا التشديد والمراد بالأيمان كل ما ينطلق عليه يمين سواء كان حلفا بالله أو بغيره مما يلزم في الشرع حكما والله أعلم
* قوله تعالى إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه (٤٣٢) لعلكم تفلحون إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة

التي أحنث فيها معصية لأن الأيمان اسم جنس يجوز إطلاقه على بعض الجنس وعلى كله وقيل احفظوها بأن تكفروها وقيل احفظوها كيف حلفتم بها ولا تنسوها تهاونا بها (كذلك) مثل ذلك البيان (يبين الله لكم آياته) أعلام شريعته وأحكامه (لعلكم تشكرون) نعمته فيما يعلمكم ويسهل عليكم المخرج منه * أكد تحريم الخمر والميسر وجوها من التأكيد منها تصدير الجملة بإنما ومنها أنه قرنهما بعبادة الأصنام ومنه قوله عليه الصلاة والسلام شارب الخمر كعابد الوثن ومنها أنه جعلهما رجسا كما قال تعالى فاجتنبوا الرجس من الأوثان ومنها أنه جعلهما من عمل الشيطان والشيطان لا يأتي منه إلا الشر البحت ومنها أنه أمر بالاجتناب ومنها أنه جعل الاجتناب من الفلاح وإذا كان الاجتناب فلاحا كان الارتكاب خيبة ومحقة ومنها أنه ذكر ما ينتج منهما من الوبال وهو وقوع التعادي والتباغض من أصحاب الخمر والقمر وما يؤديان إليه من الصد عن ذكر الله وعن مراعاة أوقات الصلاة وقوله (فهل أنتم منتهون) من أبلغ ما ينهى به كأنه قيل قد تلي عليكم ما فيهما من أنواع الصوارف والموانع فهل أنتم مع هذه الصوارف منتهون أم أنتم على ما كنتم عليه كأن لم توعظوا ولم تزجروا (فإن قلت) إلام يرجع الضمير في قوله فاجتنبوه (قلت) إلى المضاف المحذوف كأنه قيل إنما شأن الخمر والميسر أو تعاطيهما أو ما أشبه ذلك ولذلك قال رجس من عمل الشيطان (فإن قلت) لم جمع الخمر والميسر مع الأنصاب والأزلام أولا ثم أفردهما آخرا (قلت) لأن الخطاب مع المؤمنين وإنما نهاهم عما كانوا يتعاطونه من شرب الخمر واللعب بالميسر وذكر الأنصاب والأزلام لتأكيد تحريم الخمر والميسر وإظهار أن ذلك جميعا من أعمال الجاهلية وأهل الشرك فوجب اجتنابه بأسره وكأنه لا مباينة بين من عبد صنما وأشرك بالله في علم الغيب وبين من شرب خمرا أو قامر ثم أفردهما بالذكر ليرى أن المقصود بالذكر الخمر والميسر * وقوله وعن الصلاة اختصاص للصلاة من بين الذكر كأنه قيل وعن الصلاة خصوصا (واحذروا) وكونوا حذرين خاشين لأنهم إذا حذروا دعاهم الحذر إلى اتقاء كل سيئة وعمل كل حسنة ويجوز أن يراد واحذروا ما عليكم في الخمر والميسر أو في ترك طاعة الله والرسول (فإن توليتم فاعلموا) أنكم لم تضروا بتوليكم الرسول لأن الرسول ما كلف إلا البلاغ المبين بالآيات وإنما ضررتم أنفسكم حين أعرضتم عما كلفتم * رفع الجناح عن المؤمنين في أي شيء طعموه من مستلذات المطاعم ومشتهياتها (إذا ما اتقوا) ما حرم عليهم منها (وآمنوا) وثبتوا على الإيمان والعمل الصالح وازدادوه (ثم اتقوا وآمنوا) ثم ثبتوا على التقوى والإيمان (ثم اتقوا وأحسنوا) ثم ثبتوا على اتقاء المعاصي وأحسنوا أعمالهم أو أحسنوا إلى الناس واسوهم بما رزقهم الله من الطيبات وقيل لما نزل تحريم الخمر قالت الصحابة يا رسول الله فكيف بإخواننا الذين ماتوا وهم يشربون الخمر ويأكلون مال الميسر فنزلت يعني أن المؤمنين لا جناح عليهم في أي شيء طعموه من المباحات إذا ما اتقوا المحارم ثم اتقوا وآمنوا ثم اتقوا وأحسنوا على معنى أن أولئك كانوا على هذه الصفة ثناء عليهم وحمدا لأحوالهم في الإيمان والتقوى والإحسان ومثاله أن يقال لك هل على زيد فيما فعل جناح فتقول وقد علمت أن ذلك أمر مباح ليس على أحد جناح في المباح إذا اتقى المحارم وكان مؤمنا محسنا تريد أن زيدا تقي مؤمن محسن وأنه غير مؤاخذ بما فعل * نزلت

كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تشكرون يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول واحذروا فإن توليتم فاعلموا أنما على رسولنا البلاغ المبين ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا إذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات ثم اتقوا وآمنوا ثم اتقوا وأحسنوا والله يحب المحسنين يا أيها الذين آمنوا ليبلونكم الله بشيء من الصيد تناله أيديكم ورماحكم

٥٥ كشاف ل

والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون (قال أكد الله تحريم الخمر والميسر وجوها من التأكيد منها الخ) قال أحمد ويجوز عود الضمير إلى الرجس الذي انطوى على سائر ما ذكر والله أعلم * عاد كلامه (قال فإن قلت لم جمع الخمر والميسر مع الأنصاب الخ) قال أحمد ويرشد إلى أن المقصود الخمر والميسر خاصة لأنهم عما كانوا يتعاطونهما خاصة الآية الأخرى وهي قوله يسئلونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس وإثمهما أكبر من نفعهما فخصهما بالذكر ولم يبت النهي عنهما فعند ذلك ورد أن قوما تركوهما لما فيهما من الإثم وقوما بقوا على تعاطيهما لما فيهما من المنافع ثم نزلت هذه الآية جازمة بالنهي والله أعلم

• قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا ليبلونكم الله بشيء من الصيد تناله أيديكم ورماحكم ليعلم الله من يخافه بالغيب فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم (قال إن قلت ما معنى (٤٣٤) التقليل والتصغير الخ) قال أحمد وقد وردت هذه الصيغة بعينها في المحن المعظمة في قوله تعالى ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين فلا خفاء في عظم هذه البلايا والمحن التي يستحق الصابر عليها أن يبشر لأنه صبر على عظيم وقول الزمخشري

عام الحديبية ابتلاهم الله بالصيد وهم محرمون وكثر عندهم حتى كان يغشاهم في رحالهم فيستمكنون من صيده أخذا بأيديهم وطعنا برماحهم (ليعلم الله من يخافه بالغيب) ليتميز من يخاف عقاب الله وهو غائب منتظر في الآخرة فيتقي الصيد ممن لا يخافه فيقدم عليه (فمن اعتدى) فصاد (بعد ذلك) الابتلاء فالوعيد لاحق به (فإن قلت) ما معنى التقليل والتصغير في قوله بشيء من الصيد (قلت) قلل وصغر ليعلم أنه ليس بفتنة من الفتن العظام التي تدحض عندها أقدام الثابتين كالابتلاء ببذل الأرواح والأموال وإنما هو شبيه بما ابتلي به أهل أيلة من صيد السمك وأنهم إذا لم يثبتوا عنده فكيف شأنهم عند ما هو أشد منه وقرأ إبراهيم يناله بالياء (حرم) محرمون جمع حرام كردح في جمع رداح • والمتعمد أن يقتله وهو ذاكر لإحرامه أو عالم أن ما يقتله مما يحرم عليه قتله فإن قتله وهو ناس لإحرامه أو رمى صيدا وهو يظن أنه ليس بصيد فإذا هو صيد أو قصد برميه غير صيد فعدل السهم عن رميته فأصاب صيدا فهو مخطئ (فإن قلت) فمحظورات الإحرام يستوي فيها العمد والخطأ فما بال التعمد مشروطا في الآية (قلت) لأن مورد الآية فيمن تعمد فقد روي أنه عن لهم في عمرة الحديبية حمار وحش فحمل عليه أبو اليسر فطعنه برمحه فقتله فقيل له إنك قتلت الصيد وأنت محرم فنزلت ولأن الأصل فعل المتعمد والخطأ لاحق به للتغليظ ويدل عليه قوله تعالى ليذوق وبال أمره ومن عاد فينتقم الله منه وعن الزهري نزل الكتاب بالعمد ووردت السنة بالخطإ وعن سعيد بن جبير لا أرى في الخطإ شيئا أخذا باشتراط العمد في الآية وعن الحسن روايتان (فجزاء مثل ما قتل) برفع جزاء ومثل جميعا بمعنى فعليه جزاء يماثل ما قتل من الصيد وهو عند أبي حنيفة قيمة الصيد يقوم حيث صيد فإن بلغت قيمته ثمن هدي تخير بين أن يهدي من النعم ما قيمته قيمة الصيد وبين أن يشتري بقيمته طعاما فيعطي كل مسكين نصف صاع من بر أو صاعا من غيره وإن شاء صام عن طعام كل مسكين يوما فإن فضل ما لا يبلغ طعام مسكين صام عنه يوما أو تصدق به وعند محمد والشافعي رحمهما الله مثله نظيره من النعم فإن لم يوجد له نظير من النعم عدل إلى قول أبي حنيفة رحمه الله (فإن قلت) فما يصنع من يفسر المثل بالقيمة بقوله (من النعم) وهو تفسير للمثل وبقوله هديا بالغ الكعبة (قلت) قد خير من أوجب القيمة بين أن يشتري بها هديا أو طعاما أو يصوم كما خير الله تعالى في الآية فكان قوله من النعم بيانا للهدي المشترى بالقيمة في أحد وجوه التخيير لأن من قوم الصيد واشترى بالقيمة هديا فأهداه فقد جزى بمثل ما قتل من النعم على أن التخيير الذي في الآية بين أن يجزي بالهدي أو يكفر بالإطعام أو بالصوم إنما يستقيم استقامة ظاهرة بغير تعسف إذا قوم ونظر بعد التقويم أي الثلاثة يختار فأما إذا عمد إلى النظير وجعله الواجب وحده من غير تخيير فإذا كان شيئا لا نظير له قوم حينئذ ثم يخير بين الإطعام والصوم ففيه نبو عما في الآية ألا ترى إلى قوله تعالى أو كفارة طعام مساكين أو عدل ذلك صياما كيف خير بين الأشياء الثلاثة ولا سبيل إلى ذلك إلا بالتقويم • وقرأ عبد الله فجزاؤه مثل ما قتل وقرئ فجزاء مثل ما قتل على الإضافة وأصله فجزاء مثل ما قتل بنصب مثل بمعنى فعليه أن يجزي مثل ما قتل ثم أضيف كما تقول عجبت من ضرب زيد ثم من ضرب زيد وقرأ السلمي على الأصل وقرأ محمد بن مقاتل فجزاء مثل ما قتل بنصبهما بمعنى فليجز جزاء مثل ما قتل • وقرأ الحسن من النعم بسكون العين استثقل الحركة على حرف الحلق فسكنه (يحكم به) بمثل ما قتل (ذوا عدل منكم) حكمان عادلان من المسلمين قالوا وفيه دليل على أن المثل القيمة لأن التقويم مما يحتاج إلى النظر والاجتهاد دون الأشياء المشاهدة وعن قبيصة أنه أصاب ظبيا وهو محرم فسأل عمر فشاور عبد الرحمن بن عوف ثم أمره بذبح شاة فقال قبيصة لصاحبه والله ما علم أمير المؤمنين حتى سأل غيره فأقبل عليه ضربا بالدرة وقال أتغمص الفتيا وتقتل الصيد وأنت محرم قال الله تعالى يحكم به

ليعلم الله من يخافه بالغيب فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم ومن قتله منكم متعمدا فجزاء مثل ما قتل من النعم يحكم به ذوا عدل منكم

إنه قلل وصغر تنبيها على أن هذه الفتنة ليست من الفتن العظام مدفوع باستعمالها مع الفتن المتفق على عظمها والظاهر والله أعلم أن المراد بما أشعر به اللفظ من التقليل والتصغير التنبيه على أن جميع ما يقع الابتلاء به من هذه البلايا بعض من كل بالنسبة إلى مقدور الله تعالى وأنه تعالى قادر على أن يكون ما يبلوهم به من ذلك أعظم مما يقع وأهول وأنهم مهما اندفع عنهم ما هو أعظم في المقدور فإنما يدفعه عنهم إلى ما هو أخف وأسهل لطفا بهم ورحمة ليكون هذا التنبيه باعثا لهم على الصبر وحاملا على الاحتمال والذي يرشد إلى أن هذا المراد أن سبق التوعد بذلك لم يكن إلا ليكونوا متوطنين على ذلك عند وقوعه فيكون أيضا باعثا على تحمله لأن مفاجأة المكروه بغتة أصعب والإنذار به قبل وقوعه مما يسهل موقعه وحاصل ذلك لطف

ذوا عدل منكم وهذا عمر وهذا عبد الرحمن وقرأ محمد بن جعفر ذو عدل منكم أراد يحكم به من يعدل منكم ولم يرد الوحدة وقيل أراد الامام (هديا) حال عن جزاء فيمن وصفه بمثل لان الصفة خصصته فقربته من المعرفة أو بدل عن مثل فيمن نصبه أو عن محله فيمن جره ويجوز أن ينتصب حالا عن الضمير في به • ووصف هديا بـ(بالغ الكعبة) لان اضافته غير حقيقية ومعنى بلوغه الكعبة أن يذبح بالحرم فأما التصدق به فحيث شئت عند أبي حنيفة وعند الشافعي في الحرم (فإن قلت) بم يرفع (كفارة) من ينصب جزاء (قلت) يجعلها خبر مبتدأ محذوف كأنه قيل أو الواجب عليه كفارة أو يقدر فعليه أن يجزي جزاء أو كفارة فيعطفها على أن يجزي وقرئ أو كفارة طعام مساكين على الاضافة وهذه الاضافة مبينة كأنه قيل أو كفارة من طعام مساكين كقولك خاتم فضة بمعنى خاتم من فضة وقرأ الاعرج أو كفارة طعام مسكين وانما وحد لانه واقع موقع التبيين فاكتفى بالواحد الدال على الجنس • وقرئ أو عدل ذلك بكسر العين والفرق بينهما ان عدل الشيء ما عادله من غير جنسه كالصوم والاطعام وعدله ما عدل به في المقدار ومنه عدلا الحمل لان كل واحد منهما عدل بالآخر حتى اعتدلا كأن المفتوح تسمية بالمصدر والمكسور بمعنى المفعول به كالذبح ونحوه ونحوهما الحمل والحمل و(ذلك) اشارة الى الطعام و(صياما) تمييز للعدل كقولك لي مثله رجلا والخيار في ذلك الى قاتل الصيد عند أبي حنيفة وأبي يوسف وعند محمد الى الحكمين (ليذوق) متعلق بقوله فجزاء أي فعليه أن يجازي أو يكفر ليذوق سوء عاقبة هتكه لحرمة الاحرام • والوبال المكروه والضرر الذي يناله في العاقبة من عمل سوء لثقله عليه كقوله تعالى فأخذناه أخذا وبيلا ثقيلا والطعام الوبيل الذي يثقل على المعدة فلا يستمرأ (عفا الله عما سلف) لكم من الصيد في حال الاحرام قبل ان تراجعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وتسألوه عن جوازه وقيل عما سلف لكم في الجاهلية منه لانهم كانوا متعبدين بشرائع من قبلهم وكان الصيد فيها محرما (ومن عاد) الى قتل الصيد وهو محرم بعد نزول النهي (فينتقم الله منه) ينتقم خبر مبتدأ محذوف تقديره فهو ينتقم الله منه ولذلك دخلت الفاء ونحوه فمن يؤمن بربه فلا يخاف يعني ينتقم منه في الآخرة واختلف في وجوب الكفارة على العائد فعن عطاء وابراهيم وسعيد بن جبير والحسن وجوبها وعليه عامة العلماء وعن ابن عباس وشريح انه لا كفارة عليه تعلقا بالظاهر وانه لم يذكر الكفارة (صيد البحر) مصيدات البحر مما يؤكل ومما لا يؤكل (وطعامه) وما يطعم من صيده والمعنى أحل لكم الانتفاع بجميع ما يصاد في البحر وأحل لكم أكل المأكول منه وهو السمك وحده عند أبي حنيفة وعند ابن أبي ليلى جميع ما يصاد منه على ان تفسير الآية عنده أحل لكم صيد حيوان البحر وان تطعموه (متاعا لكم) مفعول له أي أحل لكم تمتيعا لكم وهو في المفعول له بمنزلة قوله تعالى ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة في باب الحال لان قوله متاعا لكم مفعول له مختص بالطعام كما أن نافلة حال مختصة بيعقوب يعني أحل لكم طعامه تمتيعا لتنائكم [3] يأكلونه طريا ولسيارتكم يتزودونه قديدا كما تزود موسى عليه السلام الحوت في مسيره الى الخضر عليهما السلام • وقرئ وطعمه • وصيد البر ما صيد فيه وهو ما يفرخ فيه وان كان يعيش في الماء في بعض الاوقات كطير الماء عند أبي حنيفة واختلف فيه فمنهم من حرم على المحرم كل شيء يقع عليه اسم الصيد وهو قول عمر وابن عباس وعن أبي هريرة وعطاء ومجاهد وسعيد بن جبير انهم أجازوا للمحرم أكل ما صاده الحلال وان صاده لاجله اذا لم يدل ولم يشر وكذلك ما ذبحه قبل احرامه وهو مذهب أبي حنيفة وأصحابه رحمهم الله وعند مالك والشافعي وأحمد رحمهم الله لا يباح له ما صيد لاجله (فإن قلت) ما يصنع أبو حنيفة بعموم قوله صيد البر (قلت) قد أخذ أبو حنيفة رحمه الله بالمفهوم من قوله (وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرما) لان ظاهره انه صيد المحرمين دون صيد غيرهم لانهم هم المخاطبون فكأنه قيل وحرم عليكم ما صدتم في البر فيخرج منه مصيد غيرهم ومصيدهم حين كانوا غير محرمين ويدل عليه قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم وقرأ ابن عباس رضي الله عنه وحرم عليكم صيد البر أي الله عز وجل وقرئ ما دمتم بكسر الدال فيمن يقول دام يدام (البيت الحرام) عطف بيان على جهة المدح لا على جهة التوضيح كما تجيء الصفة كذلك

هديا بالغ الكعبة أو كفارة طعام مساكين أو عدل ذلك صياما ليذوق وبال أمره عفا الله عما سلف ومن عاد فينتقم الله منه والله عزيز ذو انتقام أحل لكم صيد البحر وطعامه متاعا لكم وللسيارة وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرما واتقوا الله الذي اليه تحشرون جعل الله الكعبة البيت الحرام

في القصاص فسبحان اللطيف بعباده واذا ذكر لعدو فيما يبتلي به من أنواع الابتلا وأحد المندفع عنه منها أكثر الى ما لا يقف عنده غاية نسأل الله العفو والعافية واللطف في المقدور • قوله تعالى وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرما (قال اختلف في المراد بالصيد الخ) قال أحمد وتخصيص عموم الآية لازم على كلا الطائفتين لان مالكا رضي الله عنه يجيز أكل المحرم لصيد البر اذا صاده حلال لنفسه أو لحلال فلابد اذا على مذهبه من تخصيص العموم المخصوص غاية ذلك ان صورة التخصيص على مذهب أبي حنيفة

---

٣ قوله (لثائكم) الثناء كرمان المقيمون جمع ثاني من ثنا بالمكان أقام اهـ شيخ زاده

تكون أكثر منها على مذهب مالك لانه يجزئ كل ما صاده الحلال من أحل الحرم كما نقله عنه فيجزئ على مذهب مالك بهذه الصورة والله أعلم * قوله تعالى جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس والشهر الحرام والهدى والقلائد الآية (قال معنى قياما للناس انتعاشا لهم في أمر دينهم ودنياهم الخ) قال أحمد وفي هذه الآية ما يبعد تأويلا من التأويلات الثلاثة المذكورة في قوله أول هذه السورة لا تحلوا شعائر الله ولا الشهر الحرام ولا الهدى ولا القلائد فان حمل القلائد ثم على ظاهرها وتأويل صرف الاحلال الى مواقعها من المقلد كقوله ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها يريد مواقع الزينة والنهي عن احلال القلائد يشبه كأنه قال لا تحلوا قلائدها فضلا عما هو متعذر في هذه الآية لانها وردت في سياق الامتنان بما جعله الله قياما للناس من هذه الامور المعدودة وقد خص لفظ البدن في قوله والبدن جعلناها لكم من شعائر الله لكم فيها خير الآية ولا يليق بسياق الامتنان الخروج من الاعلى الى الادنى حتى يقع الامتنان بالقلائد ثم ... فلا تبديل ذلك لانه في سياق النهي أن يخرج من النهي عن الاعلى الى النهي عن الادنى وأما التأويل الآخر وهو بقاء القلائد على حقيقتها وصرف الاحلال للنهي عنه الى حقيقته أي لا تتعرضوا للقلائد ولا تنزعوها كما قال عليه الصلاة والسلام أي قلائدها في دمها وخل بين الناس وبينها فتعذر أيضا (٤٣٦) عنـ... لذي فيه وأما التأويل الثالث وهو حملها على ذوات القلائد فلا يليق بالاثنين فتعين المصير اليه ومن ثم لم يذكر الزمخشري في هذه الآية سواه ووجه صلاحيته وظهوره فيه أن الغرض في سياق النهي افراده بالذكر وتخصيصه بالنهي بعد أن يندرج مع غيره في النهي فكأنه نهي عنه بخصوصيته مرتين والغرض في سياق الامتنان أيضا ذلك وهو تكرير المنة به مندرجا في العموم ومخصوصا بالذكر وأيضا فيليق في الامتنان الترقي من الادنى الى الاعلى بخلاف النهي والله أعلم * قوله تعالى قل لا يستوي الخبيث والطيب ولو أعجبك كثرة الخبيث الآية (قال البون بين الخبيث والطيب بعيد عند الله الخ) قال أحمد رحمه الله وقد ثبت شرعا أن أكثر أهل الجنة من هذه الامة وقد اعترف القدرية بأنهم قليل فيهم وشذوذ بالنسبة الى من عداهم من الطوائف والامم من هذه الملة وهم أيضا معتقدون أنهم الفرقة الناجية الموعودة بالجنة لا غيرهم اذ كل من عداهم على معتقدهم الفاسد مخلد في النار مع الكفار فعلى هذا تكون هذه الطائفة الشاذة القليلة أكثر أهل الجنة وحاشا الله أن يستمر ذلك على عقل عاقل محصل مطلع على ما ورد في السنن من الآثار المكافحة لهذا الظن الفاسد بالرد والتكذيب ومن ثم المعتزلة حتى يتوهمون على هذا الحد وهذا الاستنباط الذي استنبطه الزمخشري من أن المراد بالطيب هذا النفر المعتزلي من قبيل قول بعض ... في قوله تعالى لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير أهل الحديث وأصحاب الرأي يعني الطائفتين وقد أعنف في تفسيره هذه الآية على من قال ذلك وعده من البدع وها هو قد ابتدع قريبا منه في حمله الطيب في هذه الآية على الفريق المعتزلي بل والله شرا من تلك لانه حمل الخبيث على من عداهم من الطوائف السنية نعوذ بالله من ذلك ونبرأ من تجريه

قياما للناس والشهر الحرام والهدى والقلائد ذلك لتعلموا أن الله يعلم ما في السموات وما في الارض وأن الله بكل شيء عليم اعلموا أن الله شديد العقاب وأن الله غفور رحيم ما على الرسول الا البلاغ والله يعلم ما تبدون وما تكتمون قل لا يستوي الخبيث والطيب ولو أعجبك كثرة الخبيث فاتقوا الله يا أولي الألباب لعلكم تفلحون يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء ان تبد لكم تسؤكم

(قياما للناس) انتعاشا لهم في أمر دينهم ودنياهم ونهوضا الى أغراضهم ومقاصدهم في معاشهم ومعادهم لما يتم لهم من أمر حجهم وعمرتهم وتجارتهم وأنواع منافعهم وعن عطاء بن أبي رباح لو تركوه عاما واحدا لم ينظروا ولم يؤخروا (والشهر الحرام) الشهر الذي يؤدى فيه الحج وهو ذو الحجة لأن لاختصاصه من بين الاشهر باقامة موسم الحج فيه شأنا قد عرفه الله تعالى وقيل عنى به جنس الاشهر الحرم (والهدى والقلائد) والمقلد منه خصوصا وهو البدن لأن الثواب فيه أكثر وبهاء الحج معه أظهر (ذلك) اشارة الى جعل الكعبة قياما للناس أو الى ما ذكر من حفظ حرمة الاحرام بترك الصيد وغيره (لتعلموا أن الله يعلم) كل شيء وهو عالم بما يصلحكم وما ينعشكم مما أمركم به وكلفكم (شديد العقاب) لمن انتهك محارمه (غفور رحيم) لمن حافظ عليها (ما على الرسول الا البلاغ) تشديد في ايجاب القيام بما أمر به وأن الرسول قد فرغ مما وجب عليه من التبليغ وقامت عليكم الحجة ولزمتكم الطاعة فلا عذر لكم في التفريط * البون بين الخبيث والطيب بعيد عند الله تعالى وان كان قريبا عندكم فلا تعجبوا بكثرة الخبيث حتى تؤثروه لكثرته على القليل الطيب فان ما تتوهمونه في الكثرة من الفضل لا يوازي النقصان في الخبث وفوات الطيب وهو عام في حلال المال وحرامه وصالح العمل وطالحه وصحيح المذاهب وفاسدها وجيد الناس ورديهم (فاتقوا الله) وآثروا الطيب وان قل على الخبيث وان كثر ومن حق هذه الآية أن تكفح بها وجوه المجبرة اذا افتخروا بالكثرة كما قيل

وكاثر بسعد ان سعدا كثيرة * ولا ترج من سعد وفاء ولا نصرا

وكما قيل

لا يدهمنك من دهمائهم عدد * فان جلهم بل كلهم بقر

وقيل نزلت في حجاج اليمامة حين أراد المسلمون أن يوقعوا بهم فنهوا عن الايقاع بهم وان كانوا مشركين * الجملة الشرطية والمعطوفة عليها أعني قوله (ان تبد لكم تسؤكم وان تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبد لكم) صفة للاشياء والمعنى لا تكثروا مسئلة رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تسألوه عن تكاليف شاقة عليكم ان أفتاكم

بها وتكلفكم ما يشق عليكم وتندموا على السؤال عنها وذلك نحو ما روي أن سراقة بن مالك أو عكاشة
بن محصن قال يا رسول الله الحج علينا كل عام فأعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أعاد مسألته
ثلاث مرات فقال صلى الله عليه وسلم ويحك ما يؤمنك أن أقول نعم والله لو قلت نعم لوجبت ولو وجبت
ما استطعتم ولو تركتم لكفرتم فاتركوني ما تركتكم فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم
فإذا أمرتكم بأمر فخذوا منه ما استطعتم وإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه (وإن تسألوا عنها حين ينزل القرآن)
وإن تسألوا عن هذه التكاليف الصعبة في زمان الوحي وهو ما دام الرسول بين أظهركم يوحى إليه * تبد لكم
تلك التكاليف الصعبة التي تسؤكم وتؤمروا بتحملها فتعرضون أنفسكم لغضب الله بالتفريط فيها (عفا الله
عنها) عفا الله عما سلف من مسألتكم فلا تعودوا إلى مثلها (والله غفور حليم) لا يعاجلكم فيما يفرط منكم
بعقوبته (فإن قلت) كيف قال لا تسألوا عن أشياء ثم قال (قد سألها) ولم يقل قد سأل عنها (قلت) الضمير في
سألها ليس براجع إلى أشياء حتى تجب تعديته بعن وإنما هو راجع إلى المسألة التي دل عليها لا تسألوا يعني قد
سأل قوم هذه المسألة من الأولين (ثم أصبحوا بها) أي بمرجوعها أو بسببها (كافرين) وذلك أن بني إسرائيل
كانوا يستفتون أنبياءهم عن أشياء فإذا أمروا بها تركوها فهلكوا * كان أهل الجاهلية إذا نتجت الناقة خمسة
أبطن آخرها ذكر بحروا أذنها أي شقوها وحرموا ركوبها ولا تطرد عن ماء ولا مرعى وإذا لقيها المعيي لم يركبها
واسمها البحيرة وكان يقول الرجل إذا قدمت من سفري أو برئت من مرضي فناقتي سائبة وجعلها كالبحيرة في
تحريم الانتفاع بها وقيل كان الرجل إذا أعتق عبدا قال هو سائبة فلا عقل بينهما ولا ميراث وإذا ولدت الشاة
أنثى فهي لهم وإن ولدت ذكرا فهو لآلهتهم وإن ولدت ذكرا وأنثى قالوا وصلت أخاها فلم يذبحوا الذكر لآلهتهم
وإذا نتجت من صلب الفحل عشرة أبطن قالوا قد حمى ظهره فلا يركب ولا يحمل عليه ولا يمنع من ماء ولا
مرعى ومعنى (ما جعل) ما شرع ذلك ولا أمر بالتبحير والتسييب وغير ذلك * ولكنهم بتحريمهم ما حرموا
(يفترون على الله الكذب وأكثرهم لا يعقلون) فلا ينسبون التحريم إلى الله حتى يفتروا ولكنهم يقلدون في
تحريمها كبارهم * والواو في قوله (أولو كان آباؤهم) واو الحال قد دخلت عليها همزة الإنكار وتقديره أحسبهم
ذلك ولو كان آباؤهم (لا يعلمون شيئا ولا يهتدون) والمعنى أن الاقتداء إنما يصح بالعالم المهتدي وإنما يعرف
اهتداؤه بالحجة * كان المؤمنون تذهب أنفسهم حسرة على أهل العتو والعناد من الكفرة يتمنون دخولهم
في الإسلام فقيل لهم (عليكم أنفسكم) وما كلفتم من إصلاحها والمشي بها في طرق الهدى (لا يضركم) الضلال
عن دينكم إذا كنتم مهتدين كما قال عز وجل لنبيه عليه الصلاة والسلام فلا تذهب نفسك عليهم حسرات
وكذلك من يتأسف على ما فيه الفسقة من الفجور والمعاصي ولا يزال يذكر معايبهم ومناكيرهم فهو مخاطب
به وليس المراد ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فإن من تركهما مع القدرة عليهما فليس بمهتد وإنما هو
بعض الضلال الذين فصلت الآية بينهم وبينه وعن ابن مسعود أنها قرئت عنده فقال إن هذا ليس بزمانها
إنها اليوم مقبولة ولكن يوشك أن يأتي زمان تأمرون فلا يقبل منكم فحينئذ عليكم أنفسكم فهي على هذا تسلية
لمن يأمر وينهى فلا يقبل منه وبسط لعذره وعنه ليس هذا زمان تأويلها قيل فمتى قال إذا جعل دونها السيف
والسوط والسجن وعن أبي ثعلبة الخشني أنه سئل عن ذلك فقال للسائل سألت عنها خبيرا سألت رسول الله
صلى الله عليه وسلم عنها فقال ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر حتى إذا رأيت شحا مطاعا وهوى متبعا
ودنيا مؤثرة وإعجاب كل ذي رأي برأيه فعليك بنفسك ودع أمر العوام وإن من ورائكم أياما الصبر فيهن كقبض
على الجمر للعامل منهم مثل أجر خمسين رجلا يعملون مثل عمله وقيل كان الرجل إذا أسلم قالوا له سفهت آباءك
ولاموه فنزلت عليكم أنفسكم من أسماء الفعل بمعنى الزموا إصلاح أنفسكم ولذلك جزم جوابه وعن نافع
عليكم أنفسكم بالرفع * وقرئ لا يضركم وفيه وجهان أن يكون خبرا مرفوعا وتنصره قراءة أبي حيوة لا يضيركم
وأن يكون جوابا للأمر مجزوما وإنما ضمت الراء إتباعا لضمة الضاد المنقولة إليها من الراء المدغمة والأصل
لا يضرركم ويجوز أن يكون نهيا ولا يضركم بكسر الضاد وضمها من ضاره يضيره ويضوره * ارتفع اثنان

وإن تسألوا عنها حين
ينزل القرآن تبد لكم
عفا الله عنها والله غفور
حليم قد سألها قوم من
قبلكم ثم أصبحوا بها
كافرين ما جعل الله
من بحيرة ولا سائبة ولا
وصيلة ولا حام ولكن
الذين كفروا يفترون
على الله الكذب وأكثرهم
لا يعقلون وإذا قيل لهم
تعالوا إلى ما أنزل الله
وإلى الرسول قالوا حسبنا
ما وجدنا عليه آباءنا
أولو كان آباؤهم لا يعلمون
شيئا ولا يهتدون يا أيها
الذين آمنوا عليكم
أنفسكم لا يضركم من
ضل إذا اهتديتم إلى الله
مرجعكم جميعا فينبئكم
بما كنتم تعملون يا أيها
الذين آمنوا

على السلف والخلف

على أنه خبر للمبتدأ الذي هو (شهادة بينكم) على تقدير شهادة بينكم شهادة اثنين أو على أنه فاعل شهادة بينكم على معنى فيما فرض عليكم أن يشهد اثنان وقرأ الشعبي شهادة بينكم بالتنوين وقرأ الحسن شهادة بالنصب والتنوين على ليقم شهادة اثنان وإذا حضر ظرف للشهادة وحين الوصية بدل منه وفي إبداله منه دليل على وجوب الوصية وأنها من الأمور اللازمة التي ما ينبغي أن يتهاون بها مسلم ويذهل عنها وحضور الموت مشارفته وظهور أمارات بلوغ الأجل (منكم) من أقاربكم و(من غيركم) من الأجانب (إن أنتم ضربتم في الأرض) يعني إن وقع الموت في السفر ولم يكن معكم أحد من عشيرتكم فاستشهدوا أجنبيين على الوصية وجعل الأقارب أولى لأنهم أعلم بأحوال الميت وبما هو أصلح وهم له أنصح وقيل منكم من المسلمين ومن غيركم من أهل الذمة وقيل هو منسوخ لا تجوز شهادة الذمي على المسلم وإنما جازت في أول الإسلام لقلة المسلمين وتعذر وجودهم في حال السفر وعن مكحول نسخها قوله تعالى وأشهدوا ذوي عدل منكم وروي أن رجلا يقال له بديل بن أبي مريم مولى عمرو بن العاص وكان من المهاجرين خرج مع عدي بن زيد وتميم بن أوس وكانا نصرانيين تجارا إلى الشام فمرض بديل وكتب كتابا فيه ما معه وطرحه في متاعه ولم يخبر به صاحبيه وأوصى إليهما أن يدفعا متاعه إلى أهله ومات ففتشاه وأخذا إناء من فضة فيه ثلثمائة مثقال منقوشا بالذهب فغيباه فأصاب أهل بديل الصحيفة فطالبوهما بالإناء فجحدا فرفعوهما إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت (تحبسونهما) تقفونهما وتصبرونهما للحلف (من بعد الصلاة) من بعد صلاة العصر لأنه وقت اجتماع الناس وعن الحسن بعد صلاة العصر أو الظهر لأن أهل الحجاز كانوا يقعدون للحكومة بعدهما وفي حديث بديل أنها لما نزلت صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة العصر ودعا بعدي وتميم فاستحلفهما عند المنبر فحلفا ثم وجد الإناء بمكة فقالوا إنا اشتريناه من تميم وعدي وقيل هي صلاة أهل الذمة وهم يعظمون صلاة العصر (إن ارتبتم) اعتراض بين القسم والمقسم عليه والمعنى إن ارتبتم في شأنهما واتهمتموهما فحلفوهما وقيل إن أريد بهما الشاهدان فقد نسخ تحليف الشاهدين وإن أريد الوصيان فليس بمنسوخ تحليفهما وعن علي رضي الله عنه أنه كان يحلف الشاهد والراوي إذا اتهمهما والضمير في (به) للقسم وفي (كان) للمقسم له يعني لا نستبدل بصحة القسم بالله عرضا من الدنيا أي لا نحلف بالله كاذبين لأجل المال ولو كان من نقسم له قريبا منا على معنى أن هذه عادتهم في صدقهم وأمانتهم أبدا وأنهم داخلون تحت قوله تعالى كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين (شهادة الله) أي الشهادة التي أمر الله بحفظها وتعظيمها وعن الشعبي أنه وقف على شهادة ثم ابتدأ آلله بالمد على طرح حرف القسم وتعويض حرف الاستفهام منه وروي عنه بغير مد على ما ذكر سيبويه أن منهم من يحذف حرف القسم ولا يعوض منه همزة الاستفهام فيقول الله لقد كان كذا ● وقرئ لملاثمين بحذف الهمزة وطرح حركتها على اللام وإدغام نون من فيها كقوله عادلولى (فإن قلت) ما موقع تحبسونهما (قلت) هو استئناف كلام كأنه قيل بعد اشتراط العدالة فيهما فكيف نعمل إن ارتبنا بهما فقيل تحبسونهما (فإن قلت) كيف فسرت الصلاة بصلاة العصر وهي مطلقة (قلت) لما كانت معروفة عندهم بالتحليف بعدها أغنى ذلك عن التقييد كما لو قلت في بعض أئمة الفقه إذا أخذ في الدرس علم أنها صلاة الفجر ويجوز أن تكون اللام للجنس وأن يقصد بالتحليف على أثر الصلاة أن تكون الصلاة لطفا في النطق بالصدق وناهية عن الكذب والزور إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر (فإن عثر) فإن اطلع (على أنهما استحقا إثما) أي فعلا ما أوجب إثما واستوجبا أن يقال إنهما لمن الآثمين (فآخران) فشاهدان آخران (يقومان مقامهما من الذين استحق عليهم) أي من الذين استحق عليهم الإثم ومعناه من الذين جني عليهم وهم أهل الميت وعشيرته وفي قصة بديل أنه لما ظهرت خيانة الرجلين حلف رجلان من ورثته أنه إناء صاحبهما وأن شهادتهما أحق من شهادتهما و(الأوليان) الأحقان بالشهادة لقرابتهما ومعرفتهما وارتفاعهما على هما الأوليان كأنه قيل ومن هما فقيل الأوليان وقيل هما بدل من الضمير في يقومان أو من آخران ويجوز أن يرتفعا باستحق أي من الذين استحق عليهم انتداب الأوليين منهم للشهادة لاطلاعهم على حقيقة

الحال

شهادة بينكم إذا حضر أحدكم الموت حين الوصية اثنان ذوا عدل منكم أو آخران من غيركم إن أنتم ضربتم في الأرض فأصابتكم مصيبة الموت تحبسونهما من بعد الصلاة فيقسمان بالله إن ارتبتم لا نشتري به ثمنا ولو كان ذا قربى ولا نكتم شهادة الله إنا إذا لمن الآثمين فإن عثر على أنهما استحقا إثما فآخران يقومان مقامهما من الذين استحق عليهم الأوليان فيقسمان بالله لشهادتنا أحق من شهادتهما وما اعتدينا إنا إذا لمن الظالمين

للفاعل • وقرئ الأولين على أنه وصف للذين استحق عليهم مجرور أو منصوب على المدح ومعنى الأولية التقدم على الأجانب في الشهادة لكونهم أحق بها وقرئ الأولين على التثنية وانتصابه على المدح وقرأ الحسن الأولان ويحتج به من يرى رد اليمين على المدعي وأبو حنيفة وأصحابه لا يرون ذلك فوجهه عندهم أن الورثة قد ادعوا على النصرانيين أنهما قد اختانا فحلفا فلما ظهر كذبهما ادعيا الشراء فيما كتما فأنكر الورثة فكانت اليمين على الورثة لإنكارهم الشراء (فإن قلت) فما وجه قراءة من قرأ استحق عليهم الأوليان على البناء للفاعل وهم علي وأبي وابن عباس (قلت) معناه من الورثة الذين استحق عليهم الأوليان من بينهم بالشهادة أن يجردوهما للقيام بالشهادة ويظهروا بهما كذب الكاذبين (ذلك) الذي تقدم من بيان الحكم (أدنى) أن يأتي الشهداء على نحو تلك الحادثة (بالشهادة على وجهها أو يخافوا أن ترد أيمان) أن تكرر أيمان شهود آخرين بعد أيمانهم فيفتضحوا بظهور كذبهم كما جرى في قصة بديل (واسمعوا) سمع إجابة وقبول (يوم يجمع) بدل من المنصوب في قوله واتقوا الله وهو من بدل الاشتمال كأنه قيل واتقوا الله يوم جمعه أو ظرف لقوله لا يهدي أي لا يهديهم طريق الجنة يومئذ كما يفعل بغيرهم أو ينصب على إضمار اذكر أو يوم يجمع الله الرسل كان كيت وكيت و(ماذا) منتصب بأجبتم انتصاب مصدره على معنى أي إجابة أجبتم ولو أريد الجواب لقيل بماذا أجبتم (فإن قلت) ما معنى سؤالهم (قلت) توبيخ قومهم كما كان سؤال الموؤدة توبيخا للوائد (فإن قلت) كيف يقولون (لا علم لنا) وقد علموا بما أجيبوا (قلت) يعلمون أن الغرض بالسؤال توبيخ أعدائهم فيكلون الأمر إلى علمه وإحاطته بما منوا به منهم وكابدوا من سوء إجابتهم إظهارا للتشكي واللجأ إلى ربهم في الانتقام منهم وذلك أعظم على الكفرة وأفت في أعضادهم وأجلب لحسرتهم وسقوطهم في أيديهم إذا اجتمع توبيخ الله وتشكي أنبيائه عليهم ومثاله أن ينكب بعض الخوارج على السلطان خاصة من خواصه نكبة قد عرفها السلطان واطلع على كنهها وعزم على الانتصار له منه فيجمع بينهما ويقول له ما فعل بك هذا الخارجي وهو عالم بما فعل به يريد توبيخه وتبكيته فيقول له أنت أعلم بما فعل بي تفويضا للأمر إلى علم سلطانه واتكالا عليه وإظهارا للشكاية وتعظيما لما حل به منه وقيل من هول ذلك اليوم يفزعون ويذهلون عن الجواب ثم يجيبون بعدما تثوب إليهم عقولهم بالشهادة على أممهم وقيل معناه علمنا ساقط مع علمك ومغمور به لأنك علام الغيوب ومن علم الخفيات لم تخف عليه الظواهر التي منها إجابة الأمم لرسلهم فكأنه لا علم لنا إلى جنب علمك وقيل لا علم لنا بما كان منهم بعدنا وإنما الحكم للخاتمة وكيف يخفى عليهم أمرهم وقد رأوهم سود الوجوه زرق العيون موبخين • وقرئ علام الغيوب بالنصب على أن الكلام قد تم بقوله (إنك أنت) أي إنك الموصوف بأوصافك المعروفة من العلم وغيره ثم نصب علام الغيوب على الاختصاص أو على النداء أو هو صفة لاسم إن (إذ قال الله) بدل من يوم يجمع والمعنى أنه يوبخ الكافرين يومئذ بسؤال الرسل عن إجابتهم وبتعديد ما أظهر على أيديهم من الآيات العظام فكذبوهم وسموهم سحرة أو جاوزوا حد التصديق إلى أن اتخذوهم آلهة كما قال بعض بني إسرائيل فيما أظهر على يد عيسى عليه السلام من البينات والمعجزات هذا سحر مبين واتخذه بعضهم وأمه إلهين (أيدتك) قويتك وقرئ آيدتك على أفعلتك (بروح القدس) بالكلام الذي يحيا به الدين وأضافه إلى القدس لأنه سبب الطهر من أوضار الآثام والدليل عليه قوله تعالى (تكلم الناس) و(في المهد) في موضع الحال لأن المعنى تكلمهم طفلا (وكهلا) إلا أن في المهد فيه دليل على حد من الطفولة وقيل روح القدس جبريل عليه السلام أيد به لتثبيت الحجة (فإن قلت) ما معنى قوله في المهد وكهلا (قلت) معناه تكلمهم في هاتين الحالتين من غير أن يتفاوت كلامك في حين الطفولة وحين الكهولة الذي هو وقت كمال العقل وبلوغ الأشد والحد الذي يستنبأ فيه الأنبياء (والتوراة والإنجيل) خصهما بالذكر مما تناوله الكتاب والحكمة لأن المراد بهما جنس الكتب والحكمة وقيل الكتاب الخط والحكمة

ذلك أدنى أن يأتوا بالشهادة على وجهها أو يخافوا أن ترد أيمان بعد أيمانهم واتقوا الله واسمعوا والله لا يهدي القوم الفاسقين يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم قالوا لا علم لنا إنك أنت علام الغيوب إذ قال الله يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك إذ أيدتك بروح القدس تكلم الناس في المهد وكهلا وإذ علمتك الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل وإذ تخلق من الطين

(قال يوم يجمع بدل من المنصوب الخ) قال أحمد ويكون انتصابه إذاً انتصاب المفعول به لا الظرف على حكم المبدل منه • عاد كلامه (قال أو ظرف لقوله لا يهدي القوم الفاسقين الخ) قال أحمد وهو على هذا أيضا مفعول به • عاد كلامه (قال وماذا منتصب بأجبتم انتصاب مصدره على معنى أي إجابة الخ) قال أحمد والتعظيم في هذا نحو التعظيم بالسكوت عن الصلة في مثل ما حصل الا بعد التي واللتيا • عاد كلامه (قال قيل من الهول يفزعون ويذهلون عن الجواب الخ) قال أحمد وأيضا المسؤول عنه إجابتهم عند دعائهم إياهم إلى الله لا ما حدث بعد ذلك مما لا يتعلق به علم الرسل والله أعلم • عاد كلامه (قال وقرئ علام الغيوب بالنصب الخ) قال أحمد ويكون هذا من باب • أنا أبو النجم وشعري شعري

وقد مر قبل بآيات وأنه ذكرت هذه الثلاثة من الأعراب لاقتسامها الأعلى الحذاق وقليل ما هم * قوله تعالى إذ قال الحواريون يا عيسى ابن مريم هل يستطيع ربك بعد إيمانهم وإخلاصهم ثم قوله وإذ أوحيت إلى الحواريين أن آمنوا بي وبرسولي قالوا آمنا واشهد بأننا مسلمون (قال فإن قلت ما وصفهم بالإيمان والإخلاص وإنما حكى ادعاءهم لهما الخ) قال أحمد وقيل إن معنى هل يستطيع هل يفعل كما تقول للقادر على القيام هل تستطيع أن تقوم مبالغة في التقاضي ونقل هذا القول عن الحسن فعلى هذا يكون إيمانهم سالما عن قدح الشك في القدرة فإن استقام المعبر عن الفعل بالاستطاعة فذلك والله أعلم من باب التعبير عن المسبب بالسبب إذ الاستطاعة من جملة أسباب الإيجاد وعلى عكسه التعبير عن (٤٤٠) إرادة الفعل بالفعل تسمية للسبب الذي هو الإرادة باسم المسبب الذي هو الفعل في مثل قوله

كهيئة الطير بإذني فتنفخ فيها فتكون طيرا بإذني وتبرئ الأكمه والأبرص بإذني وإذ تخرج الموتى بإذني وإذ كففت بني إسرائيل عنك إذ جئتهم بالبينات فقال الذين كفروا منهم إن هذا إلا سحر مبين وإذ أوحيت إلى الحواريين أن آمنوا بي وبرسولي قالوا آمنا واشهد بأننا مسلمون إذ قال الحواريون يا عيسى ابن مريم هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء قال اتقوا الله إن كنتم مؤمنين قالوا نريد أن نأكل منها وتطمئن قلوبنا ونعلم أن قد صدقتنا ونكون عليها من الشاهدين قال عيسى ابن مريم اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيدا لأولنا وآخرنا وآية منك وارزقنا وأنت خير الرازقين قال الله إني منزلها عليكم فمن يكفر بعد منكم فإني أعذبه

الكلام بهما كما هو الصواب (كهيئة الطير) هيئة مثل هيئة الطير (بإذني) بتسهيلي (فتنفخ فيها) الضمير للكاف لأنها صفة الهيئة التي كان يخلقها عيسى عليه السلام وينفخ فيها ولا يرجع إلى الهيئة المضاف إليها لأنها ليست من خلقه ولا من نفخه في شيء وكذلك الضمير في (فتكون) * (تخرج الموتى) تخرجهم من القبور وتبعثهم قيل أخرج سام بن نوح ورجلين وامرأة وجارية (وإذ كففت بني إسرائيل عنك) يعني اليهود حين هموا بقتله وروي أنه لما قال الله تعالى لعيسى اذكر نعمتي عليك كان يلبس الشعر ويأكل الشجر ولا يدخر شيئا لغد يقول مع كل يوم رزقه لم يكن له بيت فيخرب ولا ولد فيموت أينما أمسى بات (أوحيت إلى الحواريين) أمرتهم على ألسنة الرسل (مسلمون) مخلصون من أسلم وجهه لله (عيسى) في محل النصب على اتباع حركته حركة الابن كقولك يا زيد بن عمرو وهي اللغة الفاشية ويجوز أن يكون مضموما كقولك يا زيد بن عمرو والدليل عليه قوله

أحار بن عمرو كأني خمر * ويعدو على المرء ما يأتمر

لأن الترخيم لا يكون إلا في المضموم (فإن قلت) كيف قالوا (هل يستطيع ربك) بعد إيمانهم وإخلاصهم (قلت) ما وصفهم الله بالإيمان والإخلاص وإنما حكى ادعاءهم لهما ثم أتبعه قوله إذ قالوا فآذن أن دعواهم كانت باطلة وأنهم كانوا شاكين وقوله هل يستطيع ربك كلام لا يرد مثله عن مؤمنين معظمين لربهم * وكذلك قول عيسى عليه السلام لهم معناه اتقوا الله ولا تشكوا في اقتداره واستطاعته ولا تقترحوا عليه ولا تتحكموا ما تشتهون من الآيات فتهلكوا إذا عصيتموه بعدها (إن كنتم مؤمنين) إن كانت دعواكم للإيمان صحيحة * وقرئ هل تستطيع ربك أي هل تستطيع سؤال ربك والمعنى هل تسأله ذلك من غير صارف يصرفك عن سؤاله * والمائدة الخوان إذا كان عليه الطعام وهي من ماده إذا أعطاه ورفده كأنها تميد من تقدم إليه (ونكون عليها من الشاهدين) نشهد عليها عند الذين لم يحضروها من بني إسرائيل أو نكون من الشاهدين لله بالوحدانية ولك بالنبوة عاكفين عليها على أن عليها في موضع الحال وكانت دعواهم لإرادة ما ذكروا كدعواهم الإيمان والإخلاص وإنما سأل عيسى وأجيب ليلزموا الحجة بكمالها ويرسل عليهم العذاب إذا خالفوا * وقرئ ويعلم بالياء على البناء للمفعول وتعلم وتكون بالتاء والضمير للقلوب (اللهم) أصله يا الله فحذف حرف النداء وعوضت منه الميم و(ربنا) نداء ثان (تكون لنا عيدا) أي يكون يوم نزولها عيدا قيل هو يوم الأحد ومن ثم اتخذه النصارى عيدا وقيل العيد السرور العائد ولذلك يقال يوم عيد فكان معناه تكون لنا سرورا وفرحا وقرأ عبد الله تكن على جواب الأمر ونظيرهما يرثني ويرثني (لأولنا وآخرنا) بدل من لنا بتكرير العامل أي لمن في زماننا من أهل ديننا ولمن يأتي بعدنا وقيل يأكل منها آخر الناس كما يأكل أولهم ويجوز للمقدمين منا والأتباع وفي قراءة زيد لأولانا وأخرانا بمعنى الأمة والتأنيث

عيسى

إذا قمتم إلى الصلاة وقد مضى في سورة النساء وفي هذا التأويل الحسن تصديق لتأويل أبي حنيفة حيث حمل الطول المانع من نكاح الأمة وجود الحرة في العصمة وعدمه أن لا يملك عصمة الحرة وإن كان قادرا على ذلك فتباح له حينئذ الأمة وحمل قوله ومن لم يستطع منكم طولا أن ينكح المحصنات المؤمنات على معنى ومن لم يملك منكم وحمل النكاح على الوطء فجعل استطاعة الملك المعبر عنه هي الملك كما ترى حتى إن القادر غير المالك عادم الطول عنده فينكح الأمة وقد مضى ذكر مذهبه وكنت أستبعد أنما ضمه لا يكون تأويلا يحتمله اللفظ ويساعده الاستعمال حتى وقفت على تفسير الحسن هذا والله أعلم

عن الامة والجماعة (عذابا) بمعنى تعذيبا والضمير في لا أعذبه للمصدر ولو أريد بالعذاب ما يعذب به لم يكن بد من الباء روى أن عيسى عليه السلام لما أراد الدعاء لبس صوفا ثم قال اللهم أنزل علينا فنزلت سفرة حمراء بين غمامتين غمامة فوقها وأخرى تحتها وهم ينظرون اليها حتى سقطت بين أيديهم فبكى عيسى عليه السلام وقال اللهم اجعلني من الشاكرين اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها مثلة وعقوبة وقال لهم ليقم أحسنكم عملا يكشف عنها ويذكر اسم الله عليها ويأكل منها فقال شمعون رأس الحواريين أنت أولى بذلك فقام عيسى فتوضأ وصلى وبكى ثم كشف المنديل وقال بسم الله خير الرازقين فاذا سمكة مشوية بلا فلوس ولا شوك تسيل دسما وعند رأسها ملح وعند ذنبها خل وحولها من ألوان البقول ما خلا الكراث واذا خمسة أرغفة على واحد منها زيتون وعلى الثاني عسل وعلى الثالث سمن وعلى الرابع جبن وعلى الخامس قديد فقال شمعون يا روح الله أمن طعام الدنيا أم من طعام الآخرة فقال ليس منهما ولكنه شئ اخترعه الله بالقدرة العالية كلوا ما سألتم واشكروا يمددكم الله ويزدكم من فضله فقال الحواريون يا روح الله لو أريتنا من هذه الآية آية أخرى فقال يا سمكة احيي باذن الله فاضطربت ثم قال لها عودي كما كنت فعادت مشوية ثم طارت المائدة ثم عصوا بعدها فمسخوا قردة وخنازير وروى أنهم لما سمعوا بالشريطة وهي قوله تعالى فمن يكفر بعد منكم فاني أعذبه قالوا لا نريدها فلم تنزل وعن الحسن والله ما نزلت ولو نزلت لكانت عيدا الى يوم القيامة لقوله وآخرنا والصحيح أنها نزلت (سبحانك) من أن يكون لك شريك (ما يكون لي) ما ينبغي لي (أن أقول) قولا لا يحق لي أن أقوله (في نفسي) في قلبي والمعنى تعلم معلومي ولا أعلم معلومك ولكنه سلك بالكلام طريق المشاكلة وهو من فصيح الكلام وبينه فقيل (في نفسك) لقوله في نفسي (انك أنت علام الغيوب) تقرير للجملتين معا لأن ما انطوت عليه النفوس من جملة الغيوب ولأن ما يعلمه علام الغيوب لا ينتهي اليه علم أحد ● أن في قوله (أن اعبدوا الله) ان جعلتها مفسرة لم يكن لها بد من مفسر والمفسر اما فعل القول واما فعل الأمر وكلاهما لا وجه له أما فعل القول فيحكى بعده الكلام من غير أن يتوسط بينهما حرف التفسير لا تقول ما قلت لهم الا أن اعبدوا الله ولكن ما قلت لهم الا اعبدوا الله وأما فعل الأمر فمسند الى ضمير الله عز وجل فلو فسرته باعبدوا الله ربي وربكم لم يستقم لأن الله تعالى لا يقول اعبدوا الله ربي وربكم وان جعلتها موصولة بالفعل لم تخل من أن تكون بدلا من ما أمرتني به أو من الهاء في به وكلاهما غير مستقيم لأن البدل هو الذي يقوم مقام المبدل منه ولا يقال ما قلت لهم الا أن اعبدوا الله بمعنى ما قلت لهم الا عبادته لأن العبادة لا تقال وكذلك اذا جعلته بدلا من الهاء لأنك لو أقمت أن اعبدوا الله مقام الهاء فقلت الا ما أمرتني بأن

● قوله تعالى ما قلت لهم الا ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم (قال أن في قوله أن اعبدوا ان جعلتها مفسرة لم يكن لها بد من مفسر الخ) قال أحمد وقد أجاز بعضهم وقوع ان المفسرة بعد صريح القول ولم يقصروها على ما في معناه فيجوز على هذا القول وقوعها تفسيرا لفعل القول وقد أبى الزمخشري في مفصله وقوعها الا بعد فعل في معنى القول كذهبه ههنا ● عاد كلامه (قال وأما فعل الأمر فمسند الى ضمير الله عز وجل الخ) قال أحمد ويجوز أيضا هذا الوجه على صرف التفسير الى المعنى كأنه حكى معنى قول الله عز وجل له بعبارة أخرى وكأن الله تعالى قال له مرهم بعبادتي أو قل لهم على لسان عيسى اعبدوا الله ربي وربكم فلما حكاه عيسى عليه السلام قال اعبدوا الله ربي وربكم فكنى عن اسمه الظاهر بضميره كما قال الله تعالى حكاية عن موسى قال علمها عند ربي في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى الذي جعل لكم الارض مهدا وسلك لكم فيها سبلا وأنزل من السماء ماء فأخرجنا به أزواجا من نبات شتى فانظر كيف جاء (٤٤١) أول الكلام حكاية بقول موسى وموسى لا يقول فأخرجنا ولكن فأخرج الله فلما حكاه الله تعالى عن موسى رد الكلام الى نفسه تعالى وأضاف

عذابا لا أعذبه أحدا من العالمين واذ قال الله يا عيسى بن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي الهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق ان كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك انك أنت علام الغيوب ما قلت لهم الا ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم

الاخراج الى ذاته على طريقة المتكلم لا الحاكي وكذلك قوله تعالى ليقولن خلقهن العزيز العليم الى قوله فأنشرنا به بلدة ميتا وهذا نظيره وقد قدمت نحوا من هذا البحث عند قوله تعالى حكاية عن اليهود انا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله لما استبعد الزمخشري ان تصفه اليهود بهذه الصفات المنافية لاعتقادهم فيه ● عاد كلامه (قال وان جعلت ان موصولة مع فعل الامر الخ) قال أحمد أي ولا يقدر بالعبادة ولكن بالامر بها كأنه قيل ما قلت لهم الا الامر بالعبادة لله والامر مقول لفات على ان جعل العبادة مقولة ليس بعيدا على طريقة ثم يعودون لما قالوا أي للموطوء الذي قالوا فيه قولا يتعلق به وكقوله تعالى ونرثه ما يقول ويأتينا فردا وسيأتي به تصحيح هذا الاستعمال لوروده كثيرا في القرآن الكريم ● عاد كلامه (قال وكذلك اذا جعلته بدلا من الهاء لانك الخ) قال أحمد وهذا أيضا غير ممتنع من البدل وغير واجب لمصيب ما لا يسعه انكاره فقد قال في مفصله ما هذا نصه وقولهم ان البدل في حكم تنحية الاول ايذان منهم باستقلاله بنفسه ومفارقته التأكيد لصفة في كونهما تتمتين لما يتبعانه لا أن يعنوا اهدار الاول واطراحه ألا ترى انك تقول زيدا رأيت غلامه رجلا صالحا فلو ذهبت الى اهدار الاول لم يسد كلامك فانظر كيف رد كلامه في

المفصل هو الحق ما ارتكبه من رد البدل في هذه الآية للزوم طرح الأول فتخلو الصلة من الضمير ولم يحمل هذا القدر مانعا في المثال المذكور مع أنك لو طرحت الأول لخلا الخبر من الضمير العائد ولم يستند الكلام فهذه وجوه أربعة منعها في اعراب أن وكلها مستندة حسبما بيناه وهذه المساجلة في هذا الاعراب من الغرر والحجول في صناعة الاعراب وعلم البيان وقرب من هذا المضمار قليل ♦ عاد كلامه (قال وإن قلت كيف يصنع قلت يحمل فعل الخ) قال أحمد هذا التأويل الذي توقع ان المفسرة بعد فعل في معنى القول وليس قولا صريحا وحمل القول على الأمر يصحح المذهب الآخر في اجازة وقوعها بعدما هو قول ونفيه ولولا ما بين القول والأمر من التفاوت لما جاز اطلاق أحدهما وإرادة الآخر والعجب أن الأمر قسم من أقسام القول وما بينهما الا عموم وخصوص وليس في هذا التأويل الذي سلكه الا كلفة لا طائل وراءها ولو كانت العرب تأبى وقوع المفسرة بعد القول لما وقعت بعد فعل ليس بقول ثم عبرت عن ذلك لفعل ما بقول لأن ذلك كالعود الى موقع الفرار منه وهم بعداء من ذلك ♦ عاد كلامه (قال ويجوز أن تكون موصولة الخ) قال أحمد يريد بجعله عطف بيان أن يسلم من تقدير طرح الأول في البدل وخلو الصلة حينئذ من العائد وقد بينا أن ذلك غير لازم في البدل والعجب أنه أجاز في عطف البيان ما لم يعد من غير عطف البيان والبدل الا في مثل قول المرار أنا ابن التارك البكري بشر لأنه لو جعله بدلا للزم تكرير العامل ووضع اسم الفاعل المعرف بالألف واللام الى العلم ولم يحصل ذلك في غير هذا المثال ومن حيث المعنى أن المعتمد في عطف البيان الأول وأما الثاني فللتوضيح والمعتمد في البدل الثاني (٤٤٢) وأما قول صاحب الكشاف ... قوله تعالى ان تعذبهم فإنهم عبادك وان تغفر

وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيد ان تعذبهم فإنهم عبادك وان تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم قال الله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك الفوز العظيم لله ملك السموات والأرض وما فيهن وهو على كل شيء قدير

اعبدوا الله يصح بقاء الموصول بغير راجع اليه من صلته (فإن قلت) فكيف يصنع (قلت) يحمل فعل القول على معناه لأن معنى ما قلت لهم الا ما أمرتني به ما أمرتهم الا بما أمرتني به حتى يستقيم تفسيره بأن اعبدوا الله ربي وربكم ويجوز أن تكون موصولة عطف بيان للهاء لا بدلا (وكنت عليهم شهيدا) رقيبا كالشاهد على المشهود عليه أمنعهم من أن يقولوا ذلك ويتدينوا به (فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم) تمنعهم من القول به بما نصبت لهم من الأدلة وأرسلت عليهم من البينات وأرسلت اليهم من الرسل (ان تعذبهم فإنهم عبادك) الذين عرفتهم عاصين جاحدين لآياتك مكذبين لأنبيائك (وان تغفر لهم فإنك أنت العزيز) القوي القادر على الثواب والعقاب (الحكيم) الذي لا يثيب ولا يعاقب الا عن حكمة وصواب (فإن قلت) المغفرة لا تكون للكفار فكيف قال وان تغفر لهم (قلت) ما قال انك تغفر لهم ولكنه بنى الكلام على ان غفرت فقال ان عذبتهم عدلت لأنهم أحقاء بالعذاب وان غفرت لهم مع كفرهم لم تعدم في المغفرة وجه حكمة لأن المغفرة حسنة لكل مجرم في المعقول بل متى كان المجرم أعظم جرما كان العفو عنه أحسن ♦ قرئ هذا يوم بالرفع والاضافة وبالنصب اما على أنه ظرف لقال واما على أن هذا مبتدأ والظرف خبر ومعناه هذا الذي ذكرنا من كلام عيسى واقع يوم ينفع ولا يجوز أن يكون فتحا كقوله تعالى يوم لا تملك لأنه مضاف الى متمكن وقرأ الأعمش يوم ينفع بالتنوين كقوله تعالى واتقوا يوما لا تجزي نفس (فإن قلت) ما معنى قوله (ينفع الصادقين صدقهم) ان أريد صدقهم في الآخرة فليست الآخرة بدار عمل وان أريد صدقهم

لهم فإنك أنت العزيز الحكيم (قال ان قلت المغفرة لا تكون للكفار فكيف قال وان تغفر لهم الخ) قال أحمد رحمه الله تذبذب الزمخشري في هذا الموضع فلا الى أهل السنة ولا الى القدرية أما أهل السنة فالمغفرة للكافر جائزة عندهم في حكم الله تعالى عقلا بل في ذات المتقي الخاص كذلك لم يمتنع عقلا من الله تعالى وإذا كان كذلك فهذا الكلام خرج على الجواز العقلي وان كان السمع ورد بتعذيب الكفار وعدم الغفران لهم الا أن ورود السمع بذلك لا يرفع الجواز العقلي وأما القدرية فيزعمون أن المغفرة للكافر ممتنعة عقلا لا تجوز على الله تعالى لمناقضتها الحكمة فمن ثم كشفتهم هذه الآية ماردا ولو كان الأمر كزعمهم لما دخلت كلمة ان المستعملة عند الشك في وقوع الفعل بعدها لصحة في فعل لا شك في عدم وقوعه عقلا ولكان ذلك من باب التعليق بالمحال كان يبيض القار وأشباهه وليس هذا مكانه فقول الزمخشري اذا غفر لهم لم يعدم وجها من الحكمة في المغفرة لأن العفو عن المجرم حسن عقلا لا يأتمر بقواعد السنة اذ لا يفتقر عندهم الى التحسين العقلي ولا يأتلف أيضا بنزعات القدرية لأنهم يزعمون أنه لا وجه من الحكمة في المغفرة للكافر ويقطعون بعدمها تم الحكمة وكيف يخاطب الله تعالى به فحرام عيسى عليه السلام يبرأ الى الله من هذا الاطلاق وعما اشتمل عليه من سوء الأدب وقد قول القائل لمن يخاطبه ما حصل كذا وان تعدم فيه عذرا وجها من المصلحة كلام مستذل وعبارة نازلة عن أوفى مراتب الأدب انما يناطقها المتكلم لمن هو دونه عادة فنسأل الله الهام الأدب وتجنب ما في اساءته من مزلات العطب ♦ قوله تعالى قال الله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم (قال ان قلت ما معناه ان أريد صدقهم في الآخرة الخ) قال أحمد ولو أجاب بحمل الصادقين على الدنيا وصدقهم على الآخرة حتى يكون التقدير هذا يوم ينفع الصادقين في الدنيا صدقهم في الآخرة لكان

أوضح طباقا التفسير قتادة وأخرج لابليس واشباهه من هذا العموم فان ابليس وان صدق في الآخرة الا انه لم يكن من الصادقين في الدنيا فلم ينفعه صدقه في الآخرة والوجهان متقاربان ﴿القول في سورة الانعام وهي مكية﴾ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ الحمد لله الذي خلق السموات والارض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون (قال الفرق بين الجعل والخلق ان الخلق فيه معنى التقدير الخ) قال أحمد وقد وردت جعل وخلق موردا واحدا فورد وخلق منها زوجها وورد وجعل منها زوجها وذلك ظاهر في الترادف لا أن الخاطر ميلا الى الفرق الذي أبداه الزمخشري ويؤيده ان جعل لم يصحب السموات والارض وانما لزمتهما خلق وفي اضافة الخلق في هذه الآية الى السموات والارض والجعل الى الظلمات والنور مصداق للفرق بينهما والله أعلم وعاد كلامه (قال فان قلت لم افرد النور وقات للقصد الخ) قال أحمد وقد سبق للزمخشري الاستدلال بجمع الجنس على التكثير واعتقاده أدل (٤٤٣) على انه كثرة من الافراد وقد قدمنا ما في ذلك من النظر وأسلفنا الاستدلال بقول حبر الامة كتابه أكثر من كتبه على خلاف ذلك وهو رأى الامام أبي المعالي ولو قال الزمخشري ان جمع الظلمات لاختلافها بحسب اختلاف ما ينشأ عنه من أجناس الاجرام وافراد النور لاتحاد الجنس الذي ينشأ عنه وهو النار لكان أولى والله أعلم وعاد كلامه (قال فان قلت علام عطف ثم الذين كفروا بربهم يعدلون الخ) قال أحمد وفي هذا الوجه الثاني نظر من حيث ان عطفه على الصلة يوجب دخوله في حكمها ولو قال الحمد لله الذي الذين كفروا بربهم يعدلون لم يستقم لخلو الجملة من العائد ويمكن أن يقال وضع الظاهر الذي هو ربهم موضع المضمر تفخيما وتعظيما وأصل الكلام الذي هم به يعدلون الذين كفروا أو الذي الذين كفروا يعدلون به باتساع وقوعها صلة رعاية لهذا الاصل فهذا نظر من حيث الاعراب ونظيره قوله تعالى واذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم فيمن جعل ما موصولة لا شرطية فان دخول جاءكم وما بعده في حكم الصلة يستدعي ضميرا عائدا الى الموصول وهو مفقود لفظا لان الظاهر وضع فيه موضع المضمر والاصل ثم جاءكم رسول مصدق به فاستقام عطفه ودخوله في حكم الصلة بهذه الطريقة لكن بقي في آية الانعام هذه تطرق المعنى على الاعراب المذكور وهو انه يصير التقدير الحمد لله الذي الذين كفروا يعدلون ووقوع هذا عقيب الحمد غير مناسب كما ترى فالوجه والله أعلم عطفه على أول الكلام لا على الصلة والله الموفق

سورة الانعام مكية وهي مائة وخمس وستون آية

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله الذي خلق السموات والارض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون هو الذي خلقكم من طين ثم قضى أجلا وأجل مسمى عنده ثم أنتم تمترون وهو الله

صدقهم في الدنيا فليس بصدق لما ورد فيه لانه في معنى الشهادة لعيسى عليه السلام بالصدق فيما يجيب به يوم القيامة (قلت) معناه الصدق المستمر بالصادقين في دنياهم وآخرتهم وعن قتادة متكلمان تكلما يوم القيامة أما ابليس فقال ان الله وعدكم وعد الحق فصدق يومئذ وكان قبل ذلك كاذبا فلم ينفعه صدقه وأما عيسى عليه السلام فكان صادقا في الحياة وبعد الممات فنفعه صدقه (فان قلت) في السموات والارض العقلاء وغيرهم فهلا غلب العقلاء فقيل ومن فيهن (قلت) ما يتناول الاجناس كلها تناولا عاما الا ترى انك تقول اذا رأيت شبحا من بعيد ما هو قبل أن تعرف أعاقل هو أم غيره فكان أولى بارادة العموم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المائدة أعطى من الاجر عشر حسنات ومحى عنه عشر سيئات ورفع له عشر درجات بعدد كل يهودي ونصراني يتنفس في الدنيا

﴿سورة الانعام مكية وعن ابن عباس غير ست آيات وهي مائة وخمس وستون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

• جعل يتعدى الى مفعول واحد اذا كان بمعنى أحدث وأنشأ كقوله (وجعل الظلمات والنور) والى مفعولين اذا كان بمعنى صير كقوله وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا والفرق بين الخلق والجعل أن الخلق فيه معنى التقدير وفي الجعل معنى التضمين كانشاء شئ من شئ أو تصيير شئ شيأ أو نقله من مكان الى مكان ومن ذلك وجعل منها زوجها وجعل الظلمات والنور لان الظلمات من الاجرام المتكاثفة والنور من النار وجعلنا لكم أزواجا أجعل الآلهة الها واحدا (فان قلت) لم أفرد النور (قلت) للقصد الى الجنس كقوله تعالى والملك على أرجائها أولان الظلمات كثيرة لانه ما من جنس من أجناس الاجرام الا وله ظل وظله هو الظلمة بخلاف النور فانه من جنس واحد وهو النار (فان قلت) علام عطف قوله (ثم الذين كفروا بربهم يعدلون) (قلت) اما على قوله الحمد لله على معنى أن الله حقيق بالحمد على ما خلق لانه ما خلقه الا نعمة ثم الذين كفروا به يعدلون فيكفرون نعمته واما على قوله خلق السموات على معنى أنه خلق ما خلق مما لا يقدر عليه أحد سواه ثم هم يعدلون به ما لا يقدر على شئ منه (فان قلت) فما معنى ثم (قلت) استبعاد أن يعدلوا به بعد وضوح آيات قدرته وكذلك ثم أنتم تمترون استبعاد لان يمتروا فيه بعد ما ثبت أنه محييهم ومميتهم وباعثهم (ثم قضى أجلا) أجل الموت (وأجل مسمى عنده) أجل القيامة وقيل الاجل الاول ما بين أن يخلق الى أن يموت

• قوله تعالى هو الذى خلقكم من طين ثم قضى أجلا وأجل مسمى عنده (قال ان قلت المبتدأ النكرة اذا كان خبره ظرفا وجب الخ) قال أحمد وليس فى ارادة هذا المعنى موجب للتقديم وقد ورد وعنده علم الساعة فى سياق التعظيم لها وهو مع ذلك مؤخر عن الخبر فى قوله وتبارك الذى له ملك السموات والارض وما بينهما وعنده علم الساعة واليه ترجعون فالظاهر والله أعلم أن التقديم انما كان لان الكلام مقول من كلام آخر وكان الاصل والله أعلم ثم قضى أجلا وأجل مسمى عنده ذكره مقتضى لما انحل الكلام على لعطف الافرادى غير ابين لاجلين ووقع الثانى بالابتداء وأقرء كانه من التقديم والله أعلم • قوله وهو الله فى السموات وفى الارض يعلم سركم وجهركم ويعلم ما تكسبون (قال فى السموات (٤٤٤) متعلق بمعنى اسم الله الخ) قال أحمد وما الاية من الكرعتاب لانوامتان وان التمدح فى آية

و الثانى ما بين الموت والبعث وهو البرزخ وقيل الاول النوم والثانى الموت (فان قلت) المبتدأ النكرة اذا كان خبره ظرفا وجب تأخيره فلم جاز تقديمه فى قوله وأجل مسمى عنده (قلت) لانه تخصص بالصفة فقارب المعرفة كقوله ولعبد مؤمن خير من مشرك (فان قلت) الكلام السائر أن يقال عندى ثوب جيد ولى عبد كيس وما أشبه ذلك فما أوجب التقديم (قلت) أوجبه أن المعنى وأى أجل مسمى عنده تعظيما لشأن الساعة فلما جرى فيه هذا المعنى وجب التقديم (فى السموات) متعلق بمعنى اسم الله كأنه قيل وهو المعبود فيها ومنه قوله وهو الذى فى السماء اله وفى الارض اله أو وهو المعروف بالالهية أو المتوحد بالالهية فيها أو هو الذى يقال له الله فيها لا يشرك به فى هذا الاسم ويجوز أن يكون الله فى السموات خبرا بعد خبر على معنى أنه الله وأنه فى السموات والارض بمعنى أنه عالم بما فيهما لا يخفى عليه منه شئ كأن ذاته فيهما (فان قلت) كيف موقع قوله (يعلم سركم وجهركم) (قلت) ان أردت المتوحد بالالهية كان تقريرا له لان الذى استوى فى علمه السر والعلانية هو الله وحده وكذلك اذا جعلت فى السموات خبرا بعد خبر والا فهو كلام مبتدأ بمعنى هو يعلم سركم وجهركم أو خبر ثالث (ويعلم ما تكسبون) من الخير والشر ويثيب عليه ويعاقب من فى (من آية) للاستغراق وفى (من آيات ربهم) للتبعيض يعنى وما يظهر لهم دليل قط من الادلة التى يجب فيها النظر والاستدلال والاعتبار الا كانوا عنه معرضين تاركين للنظر لا يلتفتون اليه ولا يرفعون به رأسا لقلة خوفهم وتدبرهم للعواقب (فقد كذبوا) مردود على كلام محذوف كأنه قيل ان كانوا معرضين عن الآيات فقد كذبوا بما هو أعظم آية وأكبرها وهو الحق (لما جاءهم) يعنى القرآن الذى تحدوا به على تبالغهم فى الفصاحة فعجزوا عنه (فسوف يأتيهم أنباء) الشئ الذى (كانوا به يستهزؤن) وهو القرآن أى أخباره وأحواله بمعنى سيعلمون بأى شئ استهزؤا وسيظهر لهم أنه لم يكن بموضع استهزاء وذلك عند ارسال العذاب عليهم فى الدنيا أو يوم القيامة أو عند ظهور الاسلام وعلو كلمته مكن له فى الارض جعل له مكانا فيها ونحوه أرض له ومنه قوله انا مكنا له فى الارض أولم نمكن لهم وأما مكنته فى الارض فأثبته فيها ومنه قوله ولقد مكناهم فيما ان مكناكم فيه ولتقارب المعنيين جمع بينهما فى قوله (مكناهم فى الارض ما لم نمكن لكم) والمعنى لم نعط أهل مكة نحو ما أعطينا عادا وثمود وغيرهم من البسطة فى الاجسام والسعة فى الاموال والاستظهار بأسباب الدنيا والسماء المظلة لان الماء ينزل منها الى السحاب أو السحاب أو المطر والمدرار المغزار (فان قلت) أى فائدة فى ذكر انشاء قرن آخرين بعدهم (قلت) الدلالة على أنه لا يتعاظمه أن يهلك قرنا ويخرب بلاده منهم فانه قادر على أن ينشئ مكانهم آخرين يعمر بهم بلاده كقوله تعالى ولا يخاف عقباها (كتابا) مكتوبا (فى قرطاس) فى ورق (فلمسوه بأيديهم) ولم يقتصر بهم على الرؤية لئلا يقولوا سكرت أبصارنا ولا تبقى لهم علة لقالوا (ان

الرحرف وقع وقع التمدح به ههنا من
فى السموات وفى الارض يعلم سركم وجهركم ويعلم ما تكسبون وما تأتيهم من آية من آيات ربهم الا كانوا عنها معرضين فقد كذبوا بالحق لما جاءهم فسوف يأتيهم أنباء ما كانوا به يستهزؤن ألم يروا كم أهلكنا من قبلهم من قرن مكناهم فى الارض ما لم نمكن لكم وأرسلنا السماء عليهم مدرارا وجعلنا الانهار تجرى من تحتهم فأهلكناهم بذنوبهم وأنشأنا من بعدهم قرنا آخرين ولو نزلنا عليك كتابا فى قرطاس فلمسوه بأيديهم لقال الذين كفروا ان

القدرة على الاعادة والاستئثار بعلم الساعة والتوحد فى الالوهية وفى كونه تعالى المعبود فى السموات والارض مع ذكاء معرفة أو وهو المعروف بالالوهية أو وهو الذى يقال له الله فيهما الخ) قال أحمد وهذه الوجوه كلها كان التعبير وقع فيها بالملزوم عن لوازمه المشهورة به كما وقع ذلك فى قوله • أنا أبو النجم وشعرى شعرى • أى المعروف المشهور لانه بنى على التمنى ذكر شعره وهم السامع عنده ذكره خواصه من الجودة والبلاغة والسلامة لشيع لاشتهاره بذلك واقتصر على قوله شعرى اتكالا على فهم السامع • قوله تعالى ولو نزلنا عليك كتابا فى قرطاس فلمسوه بأيديهم لقال الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين (قال ولم يقتصر بهم على الرؤية لئلا الخ) قال أحمد والظاهر أن فائدة زيادة لمسهم له بأيديهم تحقيق القراءة على قرب أى فقرؤه وهو فى أيديهم لا بعيدا عنهم لما آمنوا والافالخط لا يدرك باللمس حتى يجعل فائدة زيادته ادراكه بوجهين كما يفهم من كلام الزمخشرى

* قوله تعالى وقالوا لولا أنزل عليه ملك ولو أنزلنا ملكا لقضي الامر ثم لا ينظرون (قال يعني لا ينظرون بعد نزوله طرفة عين الخ) قال أحمد لا يحسن أن يجعل سبب مناجزتهم بالهلاك وضوح الآية في نزول الملك فانه ربما يفهم هذا الكلام ان الآيات التي لزمهم الايمان بها دون نزول الملك في الوضوح وليس الامر كذلك والوجه والله أعلم أن يكون سبب تعجيل عقوبتهم بتقدير نزول الملك وعدم ايمانهم أنهم اقترحوا ما لا يتوقف وجوب الايمان عليه اذ الذي يتوقف الوجوب عليه المعجز من حيث كونه معجزا لا المعجز الخاص فاذا أجيبوا على وفق مقترحهم فلم ينجع فيهم كانوا حينئذ على غاية من الرسوخ في العناد المناسب لعدم النظرة والله أعلم (٤٤٥) عاد كلامه (قال) واما لانه يزول الاختيار الذي قاعدة التكليف مبنية عليه عند نزول الملك فيجب اهلاكهم واما لانهم اذا شاهدوا الملك في صورته زهقت أرواحهم من هول ما يشاهدون (قال أحمد) ويقوي هذا الوجه قوله ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا قال ابن عباس ليتمكنوا من رؤيته ولا يهلكوا من مشاهدة صورته * عاد كلامه (قال ومعنى ثم بعد ما بين الامرين قضاء الامر الخ) قال أحمد وهذه النكتة من محاسن تنبيهاته * قوله تعالى قل سيروا في الارض ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين (قال ان قلت أي فرق بين قوله فانظروا وبين قوله ثم انظروا الخ) قال أحمد وأظهر من هذا التأويل أن يجعل الامر بالسير في المكانين واحدا ليكون ذلك سببا في النظر فحيث دخلت الفاء فلاظهار السببية وحيث دخلت ثم فللتنبيه على ان النظر هو المقصود من السير وان السير وسيلة اليه لا غير وشتان بين المقصود والوسيلة والله أعلم

هذا الا سحر مبين وقالوا لولا أنزل عليه ملك ولو أنزلنا ملكا لقضي الامر ثم لا ينظرون ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون ولقد استهزئ برسل من قبلك فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزئون قل سيروا في الارض ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين قل لمن ما في السموات والارض قل لله كتب على نفسه الرحمة ليجمعنكم الى يوم القيامة لا ريب فيه الذين خسروا أنفسهم فهم لا يؤمنون وله ما سكن في الليل والنهار وهو السميع العليم قل أغير الله أتخذ وليا فاطر السموات والارض

هذا الا سحر مبين) تعنتا وعنادا للحق بعد ظهوره (لقضي الامر) لقضي أمر هلاكهم (ثم لا ينظرون) بعد نزوله طرفة عين إما لأنهم إذا عاينوا الملك قد نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم في صورته وهي آية لا شيء أبين منها وأيقن ثم لا يؤمنون كما قال ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة وكلمهم الموتى لم يكن بد من اهلاكهم كما أهلك أصحاب المائدة وإما لأنه يزول الاختيار الذي هو قاعدة التكليف عند نزول الملائكة فيجب اهلاكهم وإما لأنهم إذا شاهدوا ملكا في صورته زهقت أرواحهم من هول ما يشاهدون ومعنى ثم بعد ما بين الأمرين قضاء الأمر وعدم الانظار جعل عدم الانظار أشد من قضاء الأمر لأن مفاجأة الشدة أشد من نفس الشدة (ولو جعلناه ملكا) ولو جعلنا الرسول ملكا كما اقترحوا لأنهم كانوا يقولون لولا أنزل على محمد ملك وتارة يقولون ما هذا إلا بشر مثلكم ولو شاء ربنا لأنزل ملائكة (لجعلناه رجلا) لأرسلناه في صورة رجل كما كان ينزل جبريل على رسول الله صلى الله عليه وسلم في أعم الأحوال في صورة دحية لأنهم لا يبقون مع رؤية الملائكة في صورهم (وللبسنا عليهم) ولخلطنا عليهم ما يخلطون على أنفسهم حينئذ فإنهم يقولون إذا رأوا الملك في صورة انسان هذا انسان وليس بملك فإن قال لهم الدليل على أني ملك أني جئت بالقرآن المعجز وهو ناطق بأني ملك لا بشر كذبوه كما كذبوا محمدا صلى الله عليه وسلم فإذا فعلوا ذلك خذلوا كما هم مخذولون الآن فهو لبس الله عليهم ويجوز أن يراد ولبسنا عليهم حينئذ مثل ما يلبسون على أنفسهم الساعة في كفرهم بآيات الله البينة وقرأ ابن محيصن ولبسنا عليهم بلام واحدة وقرأ الزهري وللبسنا عليهم ما يلبسون بالتشديد (ولقد استهزئ) تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عما كان يلقى من قومه (فحاق) بهم فأحاط بهم الشيء الذي كانوا يستهزئون به وهو الحق حيث أهلكوا من أجل الاستهزاء به (فإن قلت) أي فرق بين قوله فانظروا وبين قوله ثم انظروا (قلت) جعل النظر مسببا عن السير في قوله فانظروا فكأنه قيل سيروا لأجل النظر ولا تسيروا سير الغافلين وأما قوله (سيروا في الأرض ثم انظروا) فمعناه اباحة السير في الأرض للتجارة وغيرها من المنافع وايجاب النظر في آثار الهالكين ونبه على ذلك بثم لتباعد ما بين الواجب والمباح (لمن ما في السموات والأرض) سؤال تبكيت و(قل لله) تقرير لهم أي هو لله لا خلاف بيني وبينكم ولا تقدرون أن تضيفوا شيئا منه الى غيره (كتب على نفسه الرحمة) أي أوجبها على ذاته في هدايتكم الى معرفته ونصب الأدلة لكم على توحيده بما أنتم مقرون به من خلق السموات والأرض * ثم أوعدهم على اغفالهم النظر واشراكهم به من لا يقدر على خلق شيء بقوله (ليجمعنكم الى يوم القيامة) فيجازيكم على اشراككم وقوله (الذين خسروا أنفسهم) نصب على الذم أو رفع أي أريد الذين خسروا أنفسهم أو أنتم الذين خسروا أنفسهم (فإن قلت) كيف جعل عدم ايمانهم مسببا عن خسرانهم والأمر على العكس (قلت) معناه الذين خسروا أنفسهم في علم الله لاختيارهم الكفر فهم لا يؤمنون (وله) عطف على الله (ما سكن في الليل والنهار) من السكنى وتعديه بفي كما في قوله وسكنتم في مساكن الذين ظلموا أنفسهم (وهو السميع العليم) يسمع كل مسموع ويعلم كل معلوم فلا يخفى عليه شيء مما يشتمل عليه الملوان * أولى غير الله همزة الاستفهام دون الفعل الذي هو أتخذ لأن الانكار

قوله تعالى قل انى أخاف ان عصيت ربى عذاب يوم عظيم من يصرف عنه يومئذ فقد رحمه وذلك الفوز المبين (قال المراد الرحمة العظمى وهى النجاة من النار الخ) قال أحمد والذى يلجئ الى تخصيص الرحمة اما بكونها العظمى واما برحمة الثواب انه لو بقيت على اطلاقها لما أفاد الجزاء على الشرط اذ من المعلوم ضرورة ان صرف العذاب رحمة ما وأعجب ان الزمخشرى يصحح تخصيصها برحمة الثواب بان صرف العذاب يستلزم الثواب ولا بد وغيره يصحح (٤٤٦) هذا التخصيص بأنه لا يلزم من صرف العذاب حصول الثواب لجواز أن يصرف عنه العذاب ولا يثاب فلا يفيد الجزاء اذا فتدبر تقويم من يشرح هكذا صححه الفروى والمرى ان قاعدة الاعتزال تلجئ الى ما ذهب اليه

شيء اتخذ غير الله وليا لا فى اتخاذ الولى فكان أولى بالتقديم ونحوه أفغير الله تأمرونى أعبد أيها الجاهلون آلله أذن لكم ﴿ وقرئ فاطر السموات بالجر صفة لله وبالرفع على المدح وقرأ الزهرى فطر وعن ابن عباس رضى الله عنهما ما عرفت ما فاطر السموات والارض حتى أتانى أعرابيان يختصمان فى بئر فقال أحدهما أنا فطرتها أى ابتدأتها (وهو يطعم ولا يطعم) وهو يرزق ولا يرزق كقوله ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون والمعنى أن المنافع كلها من عنده ولا يجوز عليه الانتفاع وقرئ ولا يطعم بفتح الياء وروى ابن المأمون عن يعقوب وهو يطعم ولا يطعم على بناء الاول للمفعول والثانى للفاعل والضمير لغير الله وقرأ الاشهب وهو يطعم ولا يطعم على بنائهما للفاعل وفسر بأن معناه وهو يطعم ولا يستطعم وحكى الازهرى أطعمت بمعنى استطعمت ونحوه أفدت ويجوز أن يكون المعنى وهو يطعم تارة ولا يطعم أخرى على حسب المصالح كقولك هو يعطى ويمنع ويبسط ويقدر ويغنى ويفقر (أوّل من أسلم) لان النبى سابق أمته فى الاسلام كقوله وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين وكقول موسى سبحانك تبت اليك وأنا أول المؤمنين (ولا تكونن) وقيل لى لا تكونن (من المشركين) ومعناه أمرت بالاسلام ونهيت عن الشرك و (من يصرف عنه) العذاب (يومئذ فقد رحمه) الله الرحمة العظمى وهى النجاة كقولك ان أطعمت زيدا من جوعه فقد أحسنت اليه تريد فقد أتممت الاحسان اليه أو فقد أدخله الجنة لان من لم يعذب لم يكن له بد من الثواب وقرئ من يصرف عنه على البناء للفاعل والمعنى من يصرف الله عنه فى ذلك اليوم فقد رحمه بمعنى من يدفع الله عنه ويحفظه وقد علم من المدفوع عنه وترك ذكر المصروف لكونه معلوما أو مذكورا قبله وهو العذاب ويجوز أن ينتصب يومئذ بيصرف انتصاب المفعول به أى من يصرف الله عنه ذلك اليوم أى هوله فقد رحمه وينصر هذه القراءة قراءة أبى رضى الله عنه من يصرف الله عنه (وان يمسسك الله بضر) من مرض أو فقر أو غير ذلك من بلاياه فلا قادر على كشفه الا هو (وان يمسسك بخير) من غنى أو صحة (فهو على كل شيء قدير) فكان قادرا على ادامته أو ازالته (فوق عباده) تصوير للقهر والعلو بالغلبة والقدرة كقوله وانا فوقهم قاهرون ﴿ الشيء أعم العام لوقوعه على كل ما يصح أن يعلم ويخبر عنه فيقع على القديم والجرم والعرض والمحال والمستقيم ولذلك صح أن يقال فى الله عز وجل شيء لا كالاشياء كأنك قلت معلوم لا كسائر المعلومات ولا يصح جسم لا كالاجسام وأراد أى شهيد (أكبر شهادة) فوضع شيأ مقام شهيد ليبالغ فى التعميم (قل الله شهيد بينى وبينكم) يحتمل أن يكون تمام الجواب عند قوله قل الله بمعنى الله أكبر شهادة ثم ابتدأ شهيد بينى وبينكم أى هو شهيد بينى وبينكم وأن يكون الله شهيد بينى وبينكم هو الجواب لدلالته على أن الله عز وجل اذا كان هو الشهيد بينه وبينهم فأكبر شىء شهادة شهيد له (ومن بلغ) عطف على ضمير المخاطبين من أهل مكة أى لانذركم به وأنذر كل من بلغه القرآن من العرب والعجم وقيل من الثقلين وقيل من بلغه الى يوم القيامة وعن سعيد بن جبير من بلغه القرآن فكأنما رأى محمدا صلى الله عليه وسلم (أئنكم لتشهدون) تقرير لهم مع انكار واستبعاد (قل لا أشهد) شهادتكم (الذين آتيناهم الكتاب) يعنى اليهود والنصارى (يعرفونه) يعرفون رسول الله صلى الله عليه وسلم بحليته ونعته الثابت فى الكتابين معرفة خالصة (كما يعرفون أبناءهم) بحلاهم ونعوتهم لا يخفون

وهو يطعم ولا يطعم قل انى أمرت أن أكون أول من أسلم ولا تكونن من المشركين قل انى أخاف ان عصيت ربى عذاب يوم عظيم من يصرف عنه يومئذ فقد رحمه وذلك الفوز المبين وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يمسسك بخير فهو على كل شيء قدير وهو القاهر فوق عباده وهو الحكيم الخبير قل أى شيء أكبر شهادة قل الله شهيد بينى وبينكم وأوحى الى هذا القرآن لانذركم به ومن بلغ أئنكم لتشهدون أن مع الله آلهة أخرى قل لا أشهد قل انما هو اله واحد واننى برىء مما تشركون الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم

الزمخشرى لانقسام المكلفين عندهم الى مستوجب للجنة والعذاب قطعا ويسندون ذلك الى العقل لا الى السمع ﴿ قوله تعالى قل أى شيء أكبر شهادة قل الله شهيد بينى وبينكم (قال شيء أعم العام لوقوعه على كل ما يصح الخ) قال أحمد وتفسيره الشيء يخالف الفريقين الاشعرية فانهم فسروه بالموجود فليس الا والمعتزلة فانهم قالوا المعلوم الذى يصح وجوده واتفقوا على خروج المستحيل وعلى الجملة فهذه المسئلة معدودة من علم الكلام باعتبار ما واما هذا البحث فلغوى يتحاكم فيه لاهل اللغة وظاهرة ولهم عبارات من لا شيء وما أرى غير شيء طعنه وجلا ان الشيء لا ينطلق الا على الموجود اذ لو كان الشيء كل ما يصح أن يعلم عدما كان أو موجودا وممكنا أو مستحيلا لما صدق على أمر ما انه ليس بشيء والامر فى ذلك قريب

* قوله تعالى ثم لم تكن فتنتهم الا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين انظر كيف كذبوا على أنفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون (قال فتنتهم كفرهم والمعنى ثم لم تكن عاقبة كفرهم الخ) قال أحمد وفي الآية دليل بين على أن الاخبار بالشيء على خلاف ما هو به كذب وان لم يعلم المخبر مخالفة خبره لمخبره الا تراه جعل اخبارهم وتبريهم كذبا مع أنه تعالى أخبر انهم ضل عنهم (٤٤٧) ما كانوا يفترون أي سلبوا علمه حينئذ دهشا وحيرة فلم يرفع ذلك اطلاق الكذب عليهم * قوله تعالى ومنهم من يستمع اليك وجعلنا على قلوبهم

الذين خسروا أنفسهم فهم لا يؤمنون ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب بآياته انه لا يفلح الظالمون ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للذين أشركوا أين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون ثم لم تكن فتنتهم الا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين انظر كيف كذبوا على أنفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون ومنهم من يستمع اليك وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقرا وان يروا كل آية لا يؤمنوا بها حتى اذا جاؤك يجادلونك يقول الذين كفروا

عليهم ولا يلتبسون بغيرهم وهذا استشهاد لاهل مكة بمعرفة أهل الكتاب وبصحة نبوته ثم قال (الذين خسروا أنفسهم) من المشركين ومن أهل الكتاب الجاحدين (فهم لا يؤمنون) به جمعوا بين أمرين متناقضين فكذبوا على الله بما لا حجة عليه وكذبوا بما ثبت بالحجة البينة والبرهان الصحيح حيث قالوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا وقالوا والله أمرنا بها وقالوا الملائكة بنات الله وهؤلاء شفعاؤنا عند الله ونسبوا اليه تحريم البحائر والسوائب وذهبوا فكذبوا القرآن والمعجزات وسموها سحرا ولم يؤمنوا بالرسول صلى الله عليه وسلم (ويوم نحشرهم) ناصبه محذوف تقديره ويوم نحشرهم كان كيت وكيت فترك ليبقى على الابهام الذي هو داخل في التخويف (أين شركاؤكم) أي آلهتكم التي جعلتموها شركاء لله وقوله (الذين كنتم تزعمون) معناه تزعمونهم شركاء فحذف المفعولان * وقرئ يحشرهم ثم يقول بالياء فيهما وانما يقال لهم ذلك على وجه التوبيخ ويجوز أن يشاهدوهم الا أنهم حين لا ينفعونهم ولا يكون منهم ما رجوا من الشفاعة فكأنهم غيب عنهم وأن يحال بينهم وبينهم في وقت التوبيخ ليفقدوهم في الساعة التي علقوا بهم الرجاء فيها فيروا مكان خزيهم وحسرتهم (فتنتهم) كفرهم والمعنى ثم لم تكن عاقبة كفرهم الذي لزموه أعمارهم وقاتلوا عليه وافتخروا به وقالوا دين آبائنا الا جحوده والتبرؤ منه والحلف على الانتفاء من التدين به ويجوز أن يراد ثم لم يكن جوابهم الا أن قالوا فسمي فتنة لانه كذب * وقرئ تكن بالتاء وفتنتهم بالنصب وانما أنث أن قالوا لوقوع الخبر مؤنثا كقولك من كانت أمك وقرئ بالياء ونصب الفتنة وبالياء والتاء مع رفع الفتنة * وقرئ ربنا بالنصب على النداء (وضل عنهم) وغاب عنهم (ما كانوا يفترون) أي يفترون الهيته وشفاعته (فان قلت) كيف يصح أن يكذبوا حين يطلعون على حقائق الامور وعلى أن الكذب والجحود لا وجه لمنفعته (قلت) الممتحن ينطق بما ينفعه وبما لا ينفعه من غير تمييز بينهما حيرة ودهشا ألا تراهم يقولون ربنا أخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون وقد أيقنوا بالخلود ولم يشكوا فيه ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك وقد علموا أنه لا يقضى عليهم وأما قول من يقول معناه ما كنا مشركين عند أنفسنا وما علمنا أنا على خطأ في معتقدنا وحمل قوله انظر كيف كذبوا على أنفسهم يعني في الدنيا فتمحل وتعسف وتحريف لافصح الكلام الى ما هو عي واقحام لان المعنى الذي ذهبوا اليه ليس هذا الكلام بمترجم عنه ولا منطبق عليه وهو ناب عنه أشد النبو وما أدري ما يصنع من ذلك تفسيره بقوله تعالى يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له كما يحلفون لكم ويحسبون أنهم على شيء ألا انهم هم الكاذبون بعد قوله ويحلفون على الكذب وهم يعلمون فشبه كذبهم في الآخرة بكذبهم في الدنيا (ومنهم من يستمع اليك) حين تتلو القرآن روي أنه اجتمع أبو سفيان والوليد والنضر وعتبة وشيبة وأبو جهل وأضرابهم يستمعون تلاوة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا للنضر يا أبا قتيلة ما يقول محمد فقال والذي جعلها بيته يعني الكعبة ما أدري ما يقول الا أنه يحرك لسانه ويقول أساطير الاولين مثل ما حدثتكم عن القرون الماضية فقال أبو سفيان اني لاراه حقا فقال أبو جهل كلا فنزلت * والاكنة على القلوب والوقر في الآذان مثل في نبو قلوبهم ومسامعهم عن قبوله واعتقاد صحته ووجه اسناد الفعل الى ذاته وهو قوله وجعلنا للدلالة على أنه أمر ثابت فيهم لا يزول عنهم كأنهم مجبولون عليه أو هي حكاية لما كانوا ينطقون به من قولهم وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب وقرئ وقرا بكسر الواو (حتى اذا جاؤك يجادلونك) هي حتى التي تقع بعدها الجمل والجملة قوله اذا جاؤك (يقول الذين كفروا) ويجادلونك في موضع الحال ويجوز أن تكون الجارة ويكون اذا جاؤك في محل الجر بمعنى حتى وقت مجيئهم ويجادلونك حال وقوله يقول الذين كفروا تفسير له والمعنى أنه

أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقرا (قال الاكنة على القلوب والوقر في الآذان مثل نبو قلوبهم ومسامعهم عن قبوله الخ) قال أحمد رحمه الله وهذه الآية حسام ماض في رد معتقد القدرية الذين يزعمون ان الله تعالى أراد من هؤلاء المستمعين أن يفهموا القرآن ويفقهوه وانه لم يمنعهم من ذلك ومحال على زعمهم أن يمنعهم من ذلك ويريد أن لا يفقهوه لان ذلك عندهم قبيح فانظر كيف تكافحهم هذه الآية بالرد وتنادي عليهم بالخطأ اذ قوله أن يفقهوه معناه كراهة أن يفقهوه وبين الارادة على زعمهم والكراهة على ما ثبتت عنه الآية بون بعيد والله الموفق

تبلغ تكذيبهم الآيات الى أنهم يجادلونك ويناكرونك وفسر مجادلتهم بانهم يقولون (ان هذا الا أساطير الأولين) فيجعلون كلام الله وأصدق الحديث خرافات وأكاذيب وهي الغاية في التكذيب (وهم ينهون) الناس عن القرآن أو عن الرسول عليه الصلاة والسلام واتباعه ويثبطونهم عن الايمان به (وينأون عنه) بأنفسهم فيضلون ويضلون (وان يهلكون) بذلك (الا أنفسهم) ولا يتعداهم الضرر الى غيرهم وان كانوا يظنون أنهم يضرون رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل هو أبو طالب لانه كان ينهى قريشا عن التعرض لرسول الله صلى الله عليه وسلم وينأى عنه ولا يؤمن به وروي انهم اجتمعوا الى أبي طالب وأرادوا برسول الله صلى الله عليه وسلم سوءا فقال

والله لن يصلوا اليك بجمعهم * حتى أوسد في التراب دفينا
فاصدع بأمرك ما عليك غضاضة * وابشر بذاك وقر منه عيونا
ودعوتني وزعمت أنك ناصح * ولقد صدقت وكنت ثم أمينا
وعرضت دينا لا محالة أنه * من خير أديان البرية دينا
لولا الملامة أو حذاري سبة * لوجدتني سمحا بذاك مبينا

فنزلت (ولو ترى) جوابه محذوف تقديره ولو ترى لرأيت أمرا شنيعا (اذ وقفوا على النار) أروها حتى يعاينوها أو اطلعوا عليها اطلاعا هي تحتهم أو أدخلوها فعرفوا مقدار عذابها من قولك وقفته على كذا اذا فهمته وعرفته وقرئ وقفوا على البناء للفاعل من وقف عليه وقوفا (فقالوا يا ليتنا نرد) ثم ابتدؤا (ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين) واعدين الايمان كأنهم قالوا ونحن لا نكذب ونؤمن على وجه الاثبات وشبهه سيبويه بقولهم دعني ولا أعود بمعنى دعني وأنا لا أعود تركتني أولم تتركني ويجوز أن يكون معطوفا على نرد أو حالا على معنى يا ليتنا نرد غير مكذبين وكائنين من المؤمنين فيدخل تحت حكم التمني (فان قلت) يدفع ذلك قوله وانهم لكاذبون لان التمني لا يكون كاذبا (قلت) هذا تمن قد تضمن معنى العدة فجاز أن يتعلق به التكذيب كما يقول الرجل ليت الله يرزقني مالا فأحسن اليك وأكافئك على صنيعك فهذا متمن في معنى الواعد فلو رزق مالا ولم يحسن الى صاحبه ولم يكافئه كذب كأنه قال ان رزقني الله مالا كافأتك على الاحسان وقرئ ولا نكذب ونكون بالنصب باضمار أن على جواب التمني ومعناه ان رددنا لم نكذب ونكن من المؤمنين (بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل) من قبائحهم وفضائحهم في صحفهم وبشهادة جوارحهم عليهم فلذلك تمنوا ما تمنوا ضجرا لا أنهم عازمون على أنهم لو ردوا لآمنوا وقيل هو في المنافقين وانه يظهر نفاقهم الذي كانوا يسرونه وقيل هو في أهل الكتاب وانه يظهر لهم ما كانوا يخفونه من صحة نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم (ولو ردوا) الى الدنيا بعد وقوفهم على النار (لعادوا لما نهوا عنه) من الكفر والمعاصي (وانهم لكاذبون) فيما وعدوا من أنفسهم لا يفون به (وقالوا) عطف على لعادوا أي لو ردوا لكفروا ولقالوا (ان هي الا حياتنا الدنيا) كما كانوا يقولون قبل معاينة القيامة ويجوز أن يعطف على قوله وانهم لكاذبون على معنى وانهم لقوم كاذبون في كل شيء وهم الذين قالوا ان هي الا حياتنا الدنيا وكفى به دليلا على كذبهم (ولو ترى اذ وقفوا على ربهم) مجاز عن الحبس للتوبيخ والسؤال كما يوقف العبد الجاني بين يدي سيده ليعاتبه وقيل وقفوا على جزاء ربهم وقيل عرفوه حق التعريف (قال) مردود على قول قائل قال ماذا قال لهم ربهم اذ وقفوا عليه فقيل قال (أليس هذا بالحق) وهذا تعيير من الله تعالى لهم على التكذيب وقولهم لما كانوا يسمعون من حديث البعث والجزاء ما هو بحق وما هو الا باطل (بما كنتم تكفرون) بكفركم بلقاء الله ببلوغ الآخرة وما يتصل بها وقد حقق الكلام فيه في مواضع أخر (حتى) غاية لكذبوا لا لخسر لان خسرانهم لا غاية له أي ما زال بهم التكذيب الى حسرتهم وقت مجيء الساعة (فان قلت) أما يتحسرون عند موتهم (قلت) لما كان الموت وقوعا في أحوال الآخرة

ان هذا الا أساطير الأولين وهم ينهون عنه وينأون عنه وان يهلكون الا أنفسهم وما يشعرون ولو ترى اذ وقفوا على النار فقالوا يا ليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وانهم لكاذبون وقالوا ان هي الا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين ولو ترى اذ وقفوا على ربهم قال أليس هذا بالحق قالوا بلى وربنا قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله حتى اذا جاءتهم الساعة

* قوله تعالى ولو ترى اذ وقفوا على النار فقالوا يا ليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وانهم لكاذبون (قال وقرئ ولا نكذب ونكون بالنصب باضمار أن على جواب التمني الخ) قال أحمد وكثيرا ما تتقارب صيغة التمني والخبر ألا ترى الى قوله تعالى وبما كانوا يكذبون في قوله ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين الى قوله وبما كانوا يكذبون وهذه المعاهدة انما كانت عقيبا صيغة الخبر والله أعلم وأبين من ذلك قوله تعالى في آية أخرى وهم يصطرخون فيها ربنا أخرجنا نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل فهذا هو التمني بعينه ولكن بصيغة الوعد والخبر الصريحة والله الموفق

ومعدماتها

وهذه منه جعل من جنس الساعة وسمى باسمها ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من مات فقد قامت قيامته أو جعل مجىء الساعة بعد الموت لسرعته كالواقع بغير فترة (بغتة) فجأة وانتصابها على الحال بمعنى باغتة أو على المصدر كأنه قيل بغتتهم الساعة بغتة (فرطنا فيها) الضمير للحياة الدنيا جىء بضميرها وان لم يجر لها ذكر لكونها معلومة أو للساعة على معنى قصرنا فى شأنها وفى الايمان بها كما تقول فرطت فى فلان ومنه فرطت فى جنب الله (يحملون أوزارهم على ظهورهم) كقوله فبما كسبت أيديكم لانه اعتيد حمل الاثقال على الظهور كما ألف الكسب بالايدى (ساء ما يزرون) بئس شيأ يزرون وزرهم كقوله ساء مثلا القوم * جعل أعمال الدنيا لعبا ولهوا واشتغالا بما لا يعنى ولا يعقب منفعة كما تعقب أعمال الآخرة المنافع العظيمة وقوله (للذين يتقون) دليل على أن ما عدا أعمال المتقين لعب ولهو * وقرأ ابن عباس رضى الله عنه ولدار الآخرة * وقرئ تعقلون بالتاء والياء * قد فى (قد نعلم) بمعنى ربما الذى يجىء لزيادة الفعل وكثرته كقوله

أخا ثقة لا تهلك الخمر ماله * ولكنه قد يهلك المال نائله

* والهاء فى (انه) ضمير الشأن (ليحزنك) * قرئ بفتح الياء وضمها و (الذى يقولون) هو قولهم ساحر كذاب (لا يكذبونك) قرئ بالتشديد والتخفيف من كذبه اذا جعله كاذبا فى زعمه وأكذبه اذا وجده كاذبا والمعنى أن تكذيبك أمر راجع الى الله لانك رسوله المصدق بالمعجزات فهم لا يكذبونك فى الحقيقة وانما يكذبون الله بجحود آياته فانته عن حزنك لنفسك وانهم كذبوك وأنت صادق وليشغلك عن ذلك ما هو أهم وهو استعظامك بجحود آيات الله تعالى والاستهانة بكتابه ونحوه قول السيد لغلامه اذا أهانه بعض الناس انهم لم يهينوك وانما أهانونى وفى هذه الطريقة قوله ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله وقيل فانهم لا يكذبونك بقلوبهم ولكنهم يجحدون بألسنتهم وقيل فانهم لا يكذبونك لانك عندهم الصادق الموسوم بالصدق ولكنهم يجحدون بآيات الله وعن ابن عباس رضى الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسمى الامين فعرفوا أنه لا يكذب فى شىء ولكنهم كانوا يجحدون وكان أبو جهل يقول ما نكذبك لانك عندنا صادق وانما نكذب ما جئتنا به وروى أن الاخنس بن شريق قال لابى جهل يا أبا الحكم أخبرنى عن محمد أصادق هو أم كاذب فانه ليس عندنا أحد غيرنا فقال له والله ان محمدا لصادق وما كذب قط ولكن اذا ذهب بنو قصى باللواء والسقاية والحجابة والنبوة فماذا يكون لسائر قريش فنزلت وقوله (ولكن الظالمين) من اقامة الظاهر مقام المضمر للدلالة على أنهم ظلموا فى جحودهم (ولقد كذبت) تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا دليل على أن قوله فانهم لا يكذبونك ليس بنفى لتكذيبه وانما هو من قولك لغلامك ما أهانوك ولكنهم أهانونى (على ما كذبوا وأوذوا) على تكذيبهم وايذائهم (ولا مبدل لكلمات الله) لمواعيده من قوله ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون (ولقد جاءك من نبإ المرسلين) بعض أنبائهم وقصصهم وما كابدوا من مصابرة المشركين * كان يكبر على النبى صلى الله عليه وسلم كفر قومه واعراضهم عما جاء به فنزل ان كان كبر

قوله تعالى قد نعلم انه ليحزنك الذى يقولون فانهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا وأوذوا حتى أتاهم نصرنا ولا مبدل لكلمات الله الآية (قال قد فى قد نعلم بمعنى ربما الذى يجىء لزيادة الفعل وكثرته كقوله ولكنه قد يهلك المال نائله) قال أحمد ومثلها فى قوله وقد تعلمون انى رسول الله اليكم فانه يكثر علمهم برسالته ويؤكده بظهور آياته حتى يقيم عليهم الحجة فى جمعهم بين متناقضين أذيته ورسوخ علمهم برسالته والله أعلم ومنه أيضا قوله * قد أترك القرن مصفرا أنامله * والغرض التعبير عن المعنى بما يشعر بعكسه تنبيها على انه بلغ الآية التى ما بعدها الا الرجوع ٤٤٩ الى الضد وذلك من لطائف لغة العرب وغرائبها * عاد كلامه (قال وقرئ يكذبونك بالتشديد والتخفيف من كذبه الى قوله ولكن الظالمين الخ) قال أحمد فى هذا النوع من اقامة

منه قالوا يا حسرتنا على ما فرطنا فيها وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم ألا ساء ما يزرون وما الحياة الدنيا الا لعب ولهو وللدار الآخرة خير للذين يتقون أفلا تعقلون قد نعلم انه ليحزنك الذى يقولون فانهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا وأوذوا حتى أتاهم نصرنا ولا مبدل لكلمات الله ولقد جاءك من نبإ المرسلين

الظاهر مقام المضمر فائدتان من نكت البيان احداهما الاسهاب فى ذمهم وهذه النكتة يستقل بها الظاهر من

٥٧ كشاف ل

حيث كونه ظاهرا حتى لو كان اسما جامدا والاخرى زيادة صفة تؤكد ذمهم تفهم من المشتق الظاهر * عاد كلامه (قال وقوله ولقد كذبت رسل من قبلك تسلية الخ) قال أحمد رحمه الله لا دلالة فيه لانه مؤتلف مع نفى التكذيب أيضا وموقعه حينئذ من الفصاحة أبين أى هؤلاء لم يكذبوك فحقك أن تصبر عليهم ولا يحزنك أمرهم واذا كان من قبلك من الانبياء قد كذبهم قومهم فصبروا عليهم فأنت اذ لم يكذبوك أجدر بالصبر فقد اتضح كما ترى بالتفسيرين جميعا ولكنه من غير الوجه الذى استدل به وهذه تقريب لما اختاره وذلك ان مثل هذه التسلية قد وردت مصرحا بها فى نحو قوله وان يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك فضلا عن تكذيبهم له تكذيب غيرهم من الامم لانبيائهم وما هو الا تفسير حسن مطابق للواقع مؤيد بالنظائر والله أعلم * قوله تعالى ولو شاء الله لجمعهم على الهدى الآية

(قال بأن يأتيهم بآية ملجئة ولكنه لا يفعل لخروجه عن الحكمة فلا تكونن من الجاهلين من الذين يجهلون ذلك ويرومون ما هو خلافه) قال أحمد وهذه الآية أيضا كافحة لوجه القدرية في زعمهم أن الله تعالى شاء جمع الناس كلهم على الهدى فلم يكن ألا ترى أن الجملة مصدرة بلو ومقتضاها امتناع جوابها لامتناع الواقع بعدها فامتناع جمعهم على الهدى إذا إنما كان لامتناع المشيئة فمن ثم ترى الزمخشري يحمل المشيئة على قهرهم ٤٥٠ على الهدى بآية ملجئة لا يكون الإيمان معها اختيارا حتى يتم له أن هذا الوجه من المشيئة لم يقع وأن مشيئة إيمانهم على الهدى على اختيارهم ثابتة غير متحتمة ولكن لم يقع متعلقها وهذه من خباياه ومكامنه

يعني إنك لا تهدي من أحببت (وإن كان كبر عليك إعراضهم فإن استطعت أن تبتغي نفقا في الأرض) منفذا تنفذ فيه إلى ما تحت الأرض حتى تطلع لهم آية يؤمنون بها (أو سلما في السماء فتأتيهم) منها (بآية) فافعل يعني أنك لا تستطيع ذلك والمراد بيان حرصه على إسلام قومه وتهالكه عليه وأنه لو استطاع أن يأتيهم بآية من تحت الأرض أو من فوق السماء لأتى بها رجاء إيمانهم وقيل كانوا يقترحون الآيات فكان يود أن يجابوا إليها لتمادي حرصه على إيمانهم فقيل له إن استطعت ذلك فافعل دلالة على أنه بلغ من حرصه أنه لو استطاع ذلك لفعله حتى يأتيهم بما اقترحوا من الآيات لعلهم يؤمنون ويجوز أن يكون ابتغاء النفق في الأرض أو السلم في السماء هو الإتيان بالآيات كأنه قيل لو استطعت النفوذ إلى ما تحت الأرض أو الرقي إلى السماء لعل ذلك يكون لك آية يؤمنون عندها وحذف جواب إن كما تقول إن شئت أن تقوم بنا إلى فلان نزوره (ولو شاء الله لجمعهم على الهدى) بأن يأتيهم بآية ملجئة ولكنه لا يفعل لخروجه عن الحكمة (فلا تكونن من الجاهلين) من الذين يجهلون ذلك ويرومون ما هو خلافه (إنما يستجيب الذين يسمعون) يعني أن الذين تحرص على أن يصدقوك بمنزلة الموتى الذين لا يسمعون وإنما يستجيب من يسمع كقوله إنك لا تسمع الموتى (والموتى يبعثهم الله) مثل لقدرته على إلجائهم إلى الاستجابة بأنه هو الذي يبعث الموتى من القبور يوم القيامة (ثم إليه يرجعون) للجزاء فكان قادرا على هؤلاء الموتى بالكفر أن يحييهم بالإيمان وأنت لا تقدر على ذلك وقيل معناه وهؤلاء الموتى يعني الكفرة يبعثهم الله ثم إليه يرجعون فحينئذ يسمعون وأما قبل ذلك فلا سبيل إلى استماعهم وقرئ يرجعون بفتح الياء (لولا نزل عليه آية) نزل بمعنى أنزل وقرئ أن ينزل بالتشديد والتخفيف وذكر الفعل والفاعل مؤنث لأن تأنيث آية غير حقيقي وحسن للفصل وإنما قالوا ذلك مع تكاثر ما أنزل من الآيات على رسول الله صلى الله عليه وسلم لتركهم الاعتداد بما أنزل عليه كأنه لم ينزل عليه شيء من الآيات عنادا منهم (قل إن الله قادر على أن ينزل آية) تضطرهم إلى الإيمان كنتق الجبل على بني إسرائيل ونحوه أو آية إن جحدوها جاءهم العذاب (ولكن أكثرهم لا يعلمون) أن الله قادر على أن ينزل تلك الآية وأن صارفا من الحكمة يصرفه عن إنزالها (إلا أمم أمثالكم) مكتوبة أرزاقها وآجالها وأعمالها كما كتبت أرزاقكم وآجالكم وأعمالكم (ما فرطنا) ما تركنا وما أغفلنا (في الكتاب) في اللوح المحفوظ (من شيء) من ذلك لم نكتبه ولم نثبت ما وجب أن يثبت مما يختص به (ثم إلى ربهم يحشرون) يعني الأمم كلها من الدواب والطير فيعوضها وينصف بعضها من بعض كما روي أنه يأخذ للجماء من القرناء (فإن قلت) كيف قيل الأمم مع إفراد الدابة والطائر (قلت) لما كان قوله تعالى وما من دابة في الأرض ولا طائر دالا على معنى الاستغراق ومغنيا عن أن يقال وما من دواب ولا طير حمل قوله إلا أمم على المعنى (فإن قلت) هلا قيل وما من دابة ولا طائر إلا أمم أمثالكم وما معنى زيادة قوله في الأرض ويطير بجناحيه (قلت) معنى ذلك زيادة التعميم والإحاطة كأنه قيل وما من دابة قط في جميع الأرضين السبع وما من طائر قط في جو السماء من جميع ما يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم محفوظة أحوالها غير مهمل أمرها (فإن قلت) فما الغرض في ذكر ذلك (قلت) الدلالة على عظم قدرته ولطف علمه وسعة سلطانه وتدبيره تلك الخلائق المتفاوتة الأجناس المتكاثرة الأصناف وهو حافظ لما لها وما عليها

وإن كان كبر عليك إعراضهم فإن استطعت أن تبتغي نفقا في الأرض أو سلما في السماء فتأتيهم بآية ولو شاء الله لجمعهم على الهدى فلا تكونن من الجاهلين إنما يستجيب الذين يسمعون والموتى يبعثهم الله ثم إليه يرجعون وقالوا لولا نزل عليه آية من ربه قل إن الله قادر على أن ينزل آية ولكن أكثرهم لا يعلمون وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم ما فرطنا في الكتاب من شيء ثم إلى ربهم يحشرون

فاحذرها والله الموفق

قوله تعالى وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم ما فرطنا في الكتاب من شيء (قال إن قلت هلا قيل وما من دابة ولا طائر الخ) قال أحمد ولم يبين وجه زيادتهما التعميم وللقائل أن يقول يلزم من العموم في أجناس الطير دخول كل طائر في الجو في العموم وإن لم يذكر في الجو وكذلك يلزم من عموم الدواب في سائر أصنافها أن يندرج في ذلك كل دابة في الأرضين وإن لم يذكر في الأرض فلا بد من بيان وجه الزيادة فنقول موقع قوله في الأرض ويطير بجناحيه موقع الوصف العام وصفة العام عامة ضرورة المطابقة فكأنه مع زيادة الصفة تظاهرت صفتان عامتان والله أعلم

* قوله تعالى من يشإ الله يضلله ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم (قال معنى يضلله يخذله ولم يلطف به الخ) قال أحمد وهذا من تحريفاته للهداية والضلالة اتباعا لمعتقده الفاسد في أن الله تعالى لا يخلق الهدى ولا الضلال وانهما من جملة مخلوقات العباد وكم تحرق عليه هذه العقيدة فيروم أن يرقعها وقد اتسع الخرق على الراقع والله الموفق * قوله تعالى قل أرأيتكم إن أتاكم عذاب الله أو أتتكم الساعة أغير الله تدعون ان كنتم صادقين بل اياه تدعون فيكشف ما تدعون اليه ان شاء وتنسون ما تشركون (قال متعلق الاستخبار محذوف تقديره الخ) قال أحمد هو لا بدع أن يحجر وأصحابه يوجب على الله رعاية المصالح بناء على القاعدة الفاسدة من مراعاة الصلاح والاصلح

عليهم مهيمن على أحواله لا يشغله شأن عن شأن وأن المكلفين ليسوا بمخصوصين بذلك دون من عداهم من سائر الحيوان * وقرأ ابن أبي عبلة ولا طائر بالرفع على المحل كأنه قيل وما دابة ولا طائر * وقرأ علقمة ما فرطنا بالتخفيف (فإن قلت) كيف أتبعه قوله (والذين كذبوا بآياتنا) (قلت) لما ذكر من خلائقه وآثار قدرته ما يشهد لربوبيته وينادي على عظمته قال والمكذبون (صم) لا يسمعون كلام المنبه (بكم) لا ينطقون بالحق خابطون في ظلمات الكفر فهم غافلون عن تأمل ذلك والتفكر فيه ثم قال إيذانا بأنهم من أهل الطبع (من يشإ الله يضلله) أي يخذله ويخله وضلاله لم يلطف به لأنه ليس من أهل اللطف (ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم) أي يلطف به لأن اللطف يجدي عليه (أرأيتكم) أخبروني والضمير الثاني لا محل له من الاعراب لأنك تقول أرأيتك زيدا ما شأنه فلو جعلت للكاف محلا لكنت كأنك تقول أرأيت نفسك زيدا ما شأنه وهو خلف من القول ومتعلق الاستخبار محذوف تقديره (ان أتاكم عذاب الله أو أتتكم الساعة) من تدعون ثم بكتهم بقوله (أغير الله تدعون) بمعنى أتخصون آلهتكم بالدعوة فيما هو عادتكم اذا أصابكم ضر أم تدعون الله دونها (بل اياه تدعون) بل تخصونه بالدعاء دون الآلهة (فيكشف ما تدعون اليه) أي ما تدعونه الى كشفه (ان شاء) ان أراد أن يتفضل عليكم ولم يكن مفسدة (وتنسون ما تشركون) وتتركون آلهتكم أو لا تذكرونها في ذلك الوقت لأن أذهانكم في ذلك الوقت مغمورة بذكر ربكم وحده اذ هو القادر على كشف الضر دون غيره ويجوز أن يتعلق الاستخبار بقوله أغير الله تدعون كأنه قيل أغير الله تدعون ان أتاكم عذاب الله (فإن قلت) ان علقت الشرط به فما تصنع بقوله فيكشف ما تدعون اليه مع قوله أو أتتكم الساعة وقوارع الساعة لا تكشف عن المشركين (قلت) قد اشترط في الكشف المشيئة وهو قوله ان شاء ايذانا بأنه ان فعل كان له وجه من الحكمة الا أنه لا يفعل لوجه آخر من الحكمة أرجح منه * البأساء والضراء البؤس والضر وقيل البأساء القحط والجوع والضراء المرض ونقصان الأموال والأنفس والمعنى ولقد أرسلنا اليهم الرسل فكذبوهم فأخذناهم (لعلهم يتضرعون) يتذللون ويتخشعون لربهم ويتوبون عن ذنوبهم (فلولا اذ جاءهم بأسنا تضرعوا) معناه نفي التضرع كأنه قيل فلم يتضرعوا اذ جاءهم بأسنا ولكنه جاء بلولا ليفيد أنه لم يكن لهم عذر في ترك التضرع الا عنادهم وقسوة قلوبهم واعجابهم بأعمالهم التي زينها الشيطان لهم (فلما نسوا ما ذكروا به) من البأساء والضراء أي تركوا الاتعاظ به ولم ينجع فيهم ولم يزجرهم (فتحنا عليهم أبواب كل شيء) من الصحة والسعة وصنوف النعمة ليزاوج عليهم بين نوبتي الضراء والسراء كما يفعل الأب المشفق بولده يخاشنه تارة ويلاطفه أخرى طلبا لصلاحه (حتى اذا فرحوا بما أوتوا) من الخير والنعم لم يزيدوا على الفرح والبطر من غير انتداب لشكر ولا تصد لتوبة واعتذار (أخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون) واجمون متحسرون آيسون (فقطع دابر القوم) آخرهم لم يترك منهم أحد قد استؤصلت شأفتهم

والذين كذبوا بآياتنا صم وبكم في الظلمات من يشإ الله يضلله ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم قل أرأيتكم ان أتاكم عذاب الله أو أتتكم الساعة أغير الله تدعون ان كنتم صادقين بل اياه تدعون فيكشف ما تدعون اليه ان شاء وتنسون ما تشركون ولقد أرسلنا الى أمم من قبلك فأخذناهم بالبأساء والضراء لعلهم يتضرعون فلولا اذ جاءهم بأسنا تضرعوا ولكن قست قلوبهم وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء حتى اذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون فقطع دابر القوم الذين ظلموا

* عاد كلامه (قال وتنسون ما تشركون أي وتتركون آلهتكم الخ) قال أحمد وانما يدعي الاختصاص حيث يقول معناه أتخصون آلهتكم ثم قال بل تخصون الله بالدعاء من حيث تقدم المعمول على الفعل في قوله أغير الله تدعون وقوله بل اياه تدعون وتقديم المعمول عنده يفيد الاختصاص والحصر وقوله تعالى اياك نعبد في قوة قولك لا نعبد الا اياك وقد مضى الكلام عليه * عاد كلامه (قال ويجوز أن يتعلق الاستخبار بقوله أغير الله تدعون الخ) قال أحمد ولقد سدد النظر لولا أنه نغص ذلك بما يفهم وجوب مراعاة المصالح وان مشيئة الله تعالى تابعة للمصلحة وقد تقدم آنفا فاحذره وعليك بما سواه فانه من بديع النظر والله الموفق

والحمد لله رب العالمين قل أرأيتم إن أخذ الله سمعكم وأبصاركم وختم على قلوبكم من إله غير الله يأتيكم به انظر كيف نصرف الآيات ثم هم يصدفون قل أرأيتكم إن أتاكم عذاب الله بغتة أو جهرة هل يهلك إلا القوم الظالمون وما نرسل المرسلين إلا مبشرين ومنذرين فمن آمن وأصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والذين كذبوا بآياتنا يمسهم العذاب بما كانوا يفسقون قل لا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول لكم إني ملك إن أتبع إلا ما يوحى إلي قل هل يستوي الأعمى والبصير المستقيم

(والحمد لله رب العالمين) إيذان بوجوب الحمد عند هلاك الظلمة وأنه من أجل النعم وأجزل القسم ● وقرئ فتحنا بالتشديد (إن أخذ الله سمعكم وأبصاركم) بأن يصمكم ويعميكم (وختم على قلوبكم) بأن يغطي عليها ما يذهب عنده فهمكم وعقلكم (يأتيكم به) أي بذلك إجراء للضمير مجرى اسم الإشارة أو بما أخذ وختم عليه (يصدفون) يعرضون عن الآيات بعد ظهورها ولما كانت البغتة أن يقع الأمر من غير أن يشعر به وتظهر أماراته قيل (بغتة أو جهرة) وعن الحسن ليلا أو نهارا وقرئ بغتة أو جهرة (هل يهلك) أي ما يهلك هلاك تعذيب وسخط إلا الظالمون ● وقرئ هل يهلك بفتح الياء (مبشرين ومنذرين) من آمن بهم وعادوه وأطاعهم ومن كذبهم وعصاهم ولم يرسلهم ليقترح عليهم الآيات بعد وضوح أمرهم بالبراهين القاطعة (وأصلح) ما يجب عليه إصلاحه مما كان ● جعل العذاب ماسا كأنه حي يفعل بهم ما يريد من الآلام ومنه قولهم لقيت منه الأمرين والأقورين حيث جمع مواجع العقلاء وقوله إذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا ● أي لا أدعي ما يستبعد في العقول أن يكون لبشر من ملك خزائن الله وهي قسمه بين الخلق وأرزاقه وعلم الغيب وأني من الملائكة الذين هم أشرف جنس خلقه الله تعالى وأفضله وأقربه منزلة منه أي لم أدع إلهية ولا ملكية لأنه ليس بعد الإلهية منزلة أرفع من منزلة الملائكة حتى تستبعدوا دعواي وتستنكروها وإنما أدعي ما كان مثله لكثير من البشر وهو النبوة (هل يستوي الأعمى والبصير) مثل للضال والمهتدي ويجوز أن يكون مثلا لمن اتبع ما يوحى إليه ومن لم يتبع أو لمن ادعى

● قوله تعالى فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين (قال الحمد ههنا إيذان بوجوب الحمد عند هلاك الخ) قال أحمد ونظيره قوله تعالى وأمطرنا عليهم مطرا فساء مطر المنذرين قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى فمن وقف ههنا وحمل الحمد على إهلاك المتقدم ذكرهم من الطاغين ومنهم من وقف على المنذرين وحمل الحمد مقدمة لما بعده من إقامة البراهين على وحدانية الله تعالى وأنه جل جلاله خير مما يشركون فعلى الأول يكون الحمد ختما وعلى الثاني فاتحة وهو مستعمل فيهما شرعا لكنه في آية النمل أظهر في كونه مفتتحا لما بعده وفي آية الأنعام ختم لما تقدمه ختما إذ لا يقتضي السياق غير ذلك والله أعلم ● قوله تعالى قل لا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول لكم إني ملك إن أتبع إلا ما يوحى إلي قل هل يستوي الأعمى والبصير أفلا تتفكرون الآية (قال أي لا أدعي ما يستبعد في العقول الخ) قال أحمد رحمه الله هو يبني على قاعدته المتقدمة في تفضيل الملائكة على الأنبياء ولعمري إن ظاهر هذه الآية يؤيده فلذلك اهتز لها ورقص في الاستدلال بها ولكن ما عدا أن يقول إنما وردت الآية ردا على الكفار في قولهم ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق لولا أنزل عليه ملك فيكون معه نذيرا أو يلقى إليه كنز الآية فرد قولهم ما لهذا الرسول يأكل الطعام بأنه بشر وذلك شأن البشر ولم يدع أنه ملك حتى يتعجب من أكله الطعام وهذا لا يلزم منه تفضيل الملائكة على الأنبياء لأنه لا خلاف أن الأنبياء يأكلون الطعام وأن الملائكة ليسوا كذلك ٤٥٢ فالتفرقة بهذا الوجه متفق عليها ولا يوجب ذلك أنه قال إن الملائكة أفضل من الأنبياء وكذلك رد قولهم أو يلقى إليه كنز بأنه لا يملك خزائن الله تعالى حتى يأتيهم بكنز منها إلى وفق مقترحهم ولا فيه لهم ذلك حتى يقام عليه الحجة وهذه الآية جاءت في الترتيب على خلاف الترتيب في قوله لن يستنكف المسيح أن يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون قال الزمخشري لأنهم أعلى من الأنبياء وقد أخر ههنا دعوى الملكية عن دعوى الإلهية إذ الإلهية أجل وأعلى والملكية أدنى ولا يعلل ذلك إلا بالتمهيد الذي أسلفته وقد حصلت الإلهية في التقديم والتأخير به للسياق فقد تقتضي البلاغة في بعضه عكس ما تقتضيه في الآخر ولم يحسن الزمخشري في قوله ليس بعد الإلهية منزلة أرفع من منزلة الملائكة فإنه جعل الإلهية من جملة المنازل كالملكية ومثل هذا الإطلاق لا يسوغ والمنزلة عبارة عن المحل الذي ينزل الله فيه العبد من علو وغيره فأطلقها على الإلهية تحريف والله الموفق للصواب ● عاد كلامه (قال والأعمى والبصير مثل للضال والمهتدي الخ) قال أحمد قوله أو ادعى المحال يعني المستحيل ولذلك قابله بالمستقيم يريد الممكن وذلك صحيح في دعوى الإلهية فإنها لا تجوز عقلا وأما مدعي الملكية فلا يقاس بمدعي الإلهية في الاستحالة العقلية ويجوز في القدرة أن يجعل البشر ملكا والملك بشرا كما يجوز أن يجعل البشر أنبياء ويدل على هذا الجواز قوله ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا هذا مع أن العقل يجيزه في قدرة الله تعالى لأن الجواهر متماثلة والمعاني القائمة ببعضها يجوز أن تقوم بكلها

فالمعاني التي بها كان الملك ملكا يجوز أن يخصها الله تعالى للبشر وبالعكس وعدم وقوعه لا يأبى استقامته وامكانه والله الموفق * قوله تعالى (وأنذر به الذين يخافون أن يحشروا الى ربهم ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع لعلهم يتقون) (قال الذين يخافون اما قوم آمنوا الا انهم مفرطون الخ) قال أحمد وانما كانت هذه الحال لازمة لو قيل وأنذر به الذين يحشرون لانه لولا الحال لعم الامر بالانذار كل أحد والمقصود تخصيصه بالبعض وأما وقد قيل وأنذر به الذين يخافون أن يحشروا الى ربهم فهذا الكلام ٤٥٣ مستقل برأسه ومصبوبه تخصيص الانذار المأمور به بالقوم الخائفين من البعث اما لانهم مقرون به واما لانهم محتملون له فيجب لهم الخوف على النظر المفضي الى اليقين دون المتصممين على الجحود وليس كل خائف من البعث لا شفيع له فان الموحدين أجمعين خائفون وهم مشفوع لهم وانما هي بالملازمة التي لا ينفك ذو الحال عنها كالتي في قوله وهو الحق مصدقا فانما هو حينئذ يبنى على قاعدته في انكار الشفاعة فكل خائف عنده لا شفيع له اذ لا يخاف الا أصحاب الكبائر غير التائبين أو الكفار والكل عنده سواء لا شفيع لهم وحيث أثبت الشفاعة جعلها خاصة بزيادة الثواب فلا ينالها الا من يستوجب على زعمه الثواب بعمله الصالح وتكون الشفاعة معدة للمزيد على ما يرضيه فهذا عنده لا يخاف من البعث لانه يستوجب الجنة فمن ثم جعل الحال لازمة اذ الناس قسمان غير خائف فلا تتناوله الآية وخائف فذلك الخائف لانه استوجب العقاب فلا شفاعة تناله وهذه من دفائنه الخفية ومكامنه المزرية فتفطن لها والله الموفق برحمته

أفلا تتفكرون وأنذر به الذين يخافون أن يحشروا الى ربهم ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع لعلهم يتقون ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء فتطردهم فتكون من الظالمين

المستقيم وهو النبوة وضال وهو الالهية والملكية (أفلا تتفكرون) فلا تكونوا ضالين أشباه العميان أو فتعلموا أني ما ادعيت ما لا يليق بالبشر أو فتعلموا أن اتباع ما يوحى الي مما لا بد لي منه (فان قلت) أعلم الغيب ما محله من الاعراب (قلت) النصب عطفا على قوله عندي خزائن الله لانه من جملة المقول كأنه قال لا أقول لكم هذا القول ولا هذا القول (وأنذر به) الضمير راجع الى قوله ما يوحى الي و(الذين يخافون أن يحشروا) هم قوم داخلون في الاسلام مقرون بالبعث الا انهم مفرطون في العمل فينذرهم بما يوحى اليه (لعلهم يتقون) أي يدخلون في زمرة المتقين من المسلمين وهم أهل الكتاب لانهم مقرون بالبعث وأناس من المشركين علم من حالهم أنهم يخافون اذا سمعوا بحديث البعث أن يكون حقا فيهلكوا فهم ممن يرجى أن ينجع فيهم الانذار دون المتمردين منهم فأمر أن ينذر هؤلاء وقوله ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع في موضع الحال من يحشروا بمعنى يخافون أن يحشروا غير منصورين ولا مشفوعا لهم ولا بد من هذه الحال لان كلا محشور فالمخوف انما هو الحشر على هذه الحال * ذكر غير المتقين من المسلمين وأمر بانذارهم ليتقوا ثم أردفهم ذكر المتقين منهم وأمره بتقريبهم واكرامهم وأن لا يطيع فيهم من أرادهم بخلاف ذلك وأثنى عليهم بأنهم يواصلون دعاء ربهم أي عبادته ويواظبون عليها والمراد بذكر الغداة والعشي الدوام وقيل معناه يصلون صلاة الصبح والعصر ووسمهم بالاخلاص في عبادتهم بقوله (يريدون وجهه) والوجه يعبر به عن ذات الشيء وحقيقته روي أن رؤساء من المشركين قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم لو طردت عنا هؤلاء الاعبد يعنون فقراء المسلمين وهم عمار وصهيب وبلال وخباب وسلمان وأضرابهم رضوان الله عليهم وأرواح جبابهم وكانت عليهم جباب من صوف جلسنا اليك وحادثناك فقال عليه الصلاة والسلام ما أنا بطارد المؤمنين قالوا فأقمهم عنا اذا جئنا فاذا قمنا فأقعدهم معك ان شئت فقال نعم طمعا في ايمانهم وروي أن عمر رضي الله عنه قال له لو فعلت حتى ننظر الى ما يصيرون قالوا فاكتب بذلك كتابا فدعا بصحيفة وبعلي رضي الله عنه ليكتب فنزلت فرمى بالصحيفة واعتذر عمر من مقالته قال سلمان وخباب فينا نزلت فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقعد معنا ويدنو منا حتى تمس ركبتنا ركبته وكان يقوم عنا اذا أراد القيام فنزلت واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم فترك القيام عنا الى أن نقوم عنه وقال الحمد لله الذي لم يمتني حتى أمرني أن أصبر نفسي مع قوم من أمتي معكم المحيا ومعكم الممات (ما عليك من حسابهم من شيء) كقوله ان حسابهم الا على ربي وذلك أنهم طعنوا في دينهم واخلاصهم فقال ما عليك من حسابهم من شيء بعد شهادته لهم بالاخلاص وبارادة وجه الله في أعمالهم على معنى وان كان الامر على ما يقولون عند الله فما يلزمك الا اعتبار الظاهر والاتسام بسيمة المتقين وان كان لهم باطن غير مرضي فحسابهم عليهم لازم لهم لا يتعداهم اليك كما أن حسابك عليك لا يتعداك اليهم كقوله ولا تزر وازرة وزر أخرى (فان قلت) أما كفى قوله ما عليك من حسابهم من شيء حتى ضم اليه (وما من حسابك عليهم من شيء) (قلت) قد جعلت الجملتان بمنزلة جملة واحدة وقصد بهما مؤدى واحد وهو المعنى في قوله ولا تزر وازرة وزر أخرى ولا يستقل بهذا المعنى الا الجملتان جميعا كأنه قيل لا تؤاخذ أنت ولا هم بحساب صاحبه وقيل الضمير للمشركين والمعنى لا يؤاخذون بحسابك ولا أنت بحسابهم حتى يهمك ايمانهم ويحركك الحرص عليه الى أن تطرد المؤمنين (فتطردهم) جواب النفي (فتكون من الظالمين) جواب النهي ويجوز أن يكون عطفا على فتطردهم على وجه التسبيب لان كونه ظالما مسبب

عن طردهم * وقرئ بالغدوة والعشي (وكذلك فتنا) ومثل ذلك الفتن العظيم فتنا بعض الناس ببعض أي
ابتليناهم بهم وذلك أن المشركين كانوا يقولون للمسلمين (أهؤلاء الذين منّ الله عليهم من بيننا) أي أنعم
عليهم بالتوفيق لاصابة الحق ولما يسعدهم عنده من دوننا ونحن المقدمون والرؤساء وهم العبيد والفقراء
انكارا لان يكون أمثالهم على الحق وممنونا عليهم من بينهم بالخير ونحوه أألقي الذكر عليه من بيننا لو كان
خيرا ما سبقونا اليه ومعنى فتناهم ليقولوا ذلك خذلناهم فافتتنوا حتى كان افتتانهم سببا لهذا القول لانه
لا يقول مثل قولهم هذا الا مخذول مفتون (أليس الله بأعلم بالشاكرين) أي الله أعلم بمن يقع منه الايمان
والشكر فيوفقه للايمان وبمن يصمم على كفره فيخذله ويمنعه التوفيق (فقل سلام عليكم) اما أن يكون أمرا
بتبليغ سلام الله اليهم واما أن يكون أمرا بأن يبدأهم بالسلام اكراما لهم وتطييبا لقلوبهم وكذلك قوله
(كتب ربكم على نفسه الرحمة) من جملة ما يقول لهم ليسرهم ويبشرهم بسعة رحمة الله وقبوله التوبة منهم
* وقرئ انه فانه بالكسر على الاستئناف كأن الرحمة استفسرت فقيل (انه من عمل منكم) وبالفتح على
الابدال من الرحمة (بجهالة) في موضع الحال أي عمله وهو جاهل وفيه معنيان أحدهما أنه فاعل فعل الجهلة
لان من عمل ما يؤدي الى الضرر في العاقبة وهو عالم بذلك أو ظان فهو من أهل السفه والجهل لا من أهل
الحكمة والتدبير ومنه قول الشاعر

على أنها قالت عشية زرتها * جهلت على عمد ولم تك جاهلا

والثاني أنه جاهل بما يتعلق به من المكروه والمضرة ومن حق الحكيم أن لا يقدم على شيء حتى يعلم حاله وكيفيته
وقيل انها نزلت في عمر رضي الله عنه حين أشار باجابة الكفرة الى ما سألوا ولم يعلم أنها مفسدة * وقرئ
(ولتستبين) بالتاء والياء مع رفع السبيل لانها تذكر وتؤنث وبالتاء على خطاب الرسول مع نصب السبيل
يقال استبان الامر وتبين واستبنته وتبينته والمعنى ومثل ذلك التفصيل البين نفصل آيات القرآن ونلخصها في
صفة أحوال المجرمين من هو مطبوع على قلبه لا يرجى اسلامه ومن يرى فيه امارة القبول وهو الذي يخاف
اذا سمع ذكر القيامة ومن دخل في الاسلام الا أنه لا يحفظ حدوده ولتستوضح سبيلهم فتعامل كلا منهم
بما يجب أن يعامل به فصلنا ذلك التفصيل (نهيت) صرفت وزجرت بما ركب فيّ من أدلة العقل وبما أوتيت من
أدلة السمع عن عبادة ما تعبدون (من دون الله) وفيه استجهال لهم ووصف بالاقتحام فيما كانوا فيه على غير
بصيرة (قل لا أتبع أهواءكم) أي لا أجري في طريقتكم التي سلكتموها في دينكم من اتباع الهوى دون اتباع
الدليل وهو بيان للسبب الذي منه وقعوا في الضلال وتنبيه لكل من أراد اصابة الحق ومجانبة الباطل
(قد ضللت اذا) أي ان اتبعت أهواءكم فأنا ضال وما أنا من الهدى في شيء يعني أنكم كذلك ولما نفى أن يكون
الهوى متبعا نبه على ما يجب اتباعه بقوله (قل اني على بينة من ربي) ومعنى قوله اني على بينة من ربي وكذبتم
به أني من معرفة ربي وأنه لا معبود سواه على حجة واضحة وشاهد صدق (وكذبتم به) أنتم حيث أشركتم به غيره
وقال أنا على بينة من هذا الامر وأنا على يقين منه اذا كان اتباعه لك بدليل * ثم عقبه بما دل على استعظام
تكذيبهم بالله وشدة غضبه عليهم لذلك وأنهم أحقاء بأن يغافصوا بالعذاب المستأصل فقال (ما عندي
ما تستعجلون به) يعني العذاب الذي استعجلوه في قولهم فأمطر علينا حجارة من السماء (ان الحكم الا لله) في
تأخير عذابكم (يقض الحق) أي القضاء الحق في كل ما يقضي من التأخير والتعجيل في أقسامه (وهو خير
الفاصلين) أي القاضين وقرئ يقص الحق أي يتبع الحق والحكمة فيما يحكم به ويقدره من قص أثره (لو أن
عندي) أي في قدرتي وامكاني (ما تستعجلون به) من العذاب (لقضي الامر بيني وبينكم) لاهلكتكم عاجلا
غضبا لربي وامتعاضا من تكذيبكم به ولتخلصت منكم سريعا (والله أعلم بالظالمين) وبما يجب في الحكمة
من كنه عقابهم وقيل على بينة من ربي على حجة من جهة ربي وهي القرآن وكذبتم به أي بالبينة وذكر الضمير
على تأويل البيان أو القرآن (فان قلت) بم انتصب الحق (قلت) بأنه صفة لمصدر يقضي أي يقضي القضاء
الحق ويجوز أن يكون مفعولا به من قولهم قضى الدرع اذا صنعها أي يصنع الحق ويدبره وفي قراءة عبد الله

وكذلك فتنا بعضهم ببعض
ليقولوا أهؤلاء من الله
عليهم من بيننا أليس
الله بأعلم بالشاكرين
واذا جاءك الذين يؤمنون
بآياتنا فقل سلام عليكم
كتب ربكم على نفسه
الرحمة أنه من عمل
منكم سوأ بجهالة ثم
تاب من بعده وأصلح
فانه غفور رحيم وكذلك
نفصل الآيات ولتستبين
سبيل المجرمين قل انى
نهيت أن أعبد الذين
تدعون من دون الله
قل لا أتبع أهواءكم قد
ضللت اذا وما أنا من
المهتدين قل انى على بينة
من ربي وكذبتم به
ما عندي ما تستعجلون به
ان الحكم الا لله يقص
الحق وهو خير الفاصلين
قل لو أن عندي
ما تستعجلون به لقضي
الامر بيني وبينكم والله
أعلم بالظالمين وعنده
مفاتح الغيب لا يعلمها
الا هو ويعلم ما في البر
والبحر وما تسقط من
ورقة الا يعلمها ولا حبة
في ظلمات الارض ولا
رطب ولا يابس

بقضي

● قوله تعالى وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة الا يعلمها ولا حبة في ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس الا في كتاب مبين (قال المفاتح استعارة لان المفاتح يتوصل بها الى ما في المخازن الخ) قال أحمد اطلاق التوصل على الله تعالى ليس سديدا فانه يوهم تجدد وصول بعد تباعد اذ قول القائل توصل زيد الى كذا يفهم انه وصل بعد تكلف وبعد والله تعالى مقدس عن ذلك والغائب كالحاضر في علمه والعلم بالكائن هو العلم بما سيكون لا يتغاير ولا يختلف وليس لنا ٤٥٥ أن نطلق مثل هذا الاطلاق الا عن ثبت والله الموفق

يقضي بالحق (فان قلت) لم أسقطت الياء في الخط (قلت) اتباعا للخط اللفظ وسقوطها في اللفظ لالتقاء الساكنين ● جعل للغيب مفاتح على طريق الاستعارة لان المفاتح يتوصل بها الى ما في المخازن المتوثق منها بالاغلاق والاقفال ومن علم مفاتحها وكيف تفتح توصل اليها فأراد انه هو المتوصل الى المغيبات وحده لا يتوصل اليها غيره كمن عنده مفاتح أقفال المخازن ويعلم فتحها فهو المتوصل الى ما في المخازن والمفاتح جمع مفتح وهو المفتاح وقرئ مفاتيح وقيل هي جمع مفتح بفتح الميم وهو المخزن ● ولا حبة ولا رطب ولا يابس عطف على ورقة وداخل في حكمها كأنه قيل وما يسقط من شئ من هذه الاشياء الا يعلمه وقوله (الا في كتاب مبين) كالتكرير لقوله الا يعلمها لان معنى الا يعلمها ومعنى الا في كتاب مبين واحد والكتاب المبين علم الله تعالى أو اللوح ● وقرئ ولا حبة ولا رطب ولا يابس بالرفع وفيه وجهان أن يكون عطفا على محل من ورقة وأن يكون رفعا على الابتداء وخبره الا في كتاب مبين كقولك لا رجل منهم ولا امرأة الا في الدار (وهو الذي يتوفاكم بالليل) الخطاب للكفرة أي أنتم منسدحون الليل كله كالجيف (ويعلم ما جرحتم بالنهار) ما كسبتم من الآثام فيه (ثم يبعثكم فيه) ثم يبعثكم من القبور في شأن ذلك الذي قطعتم به أعماركم من النوم بالليل وكسب الآثام بالنهار ومن أجله كقولك فيم دعوتني فتقول في أمر كذا (ليقضى أجل مسمى) وهو الاجل الذي سماه وضربه لبعث الموتى وجزائهم على أعمالهم (ثم اليه مرجعكم) وهو المرجع الى موقف الحساب ثم ينبئكم بما كنتم تعملون) في ليلكم ونهاركم (حفظة) ملائكة حافظين لاعمالكم وهم الكرام الكاتبون وعن أبي حاتم السجستاني انه كان يكتب عن الاصمعي كل شئ يلفظ به من فوائد العلم حتى قال فيه أنت شبيه الحفظة تكتب لغط اللفظة فقال أبو حاتم وهذا أيضا مما يكتب (فان قلت) الله تعالى غني بعلمه عن كتبة الملائكة فما فائدتها (قلت) فيها لطف للعباد لانهم اذا علموا أن الله رقيب عليهم والملائكة الذين هم أشرف خلقه موكلون بهم يحفظون عليهم أعمالهم ويكتبونها في صحائف تعرض على رؤس الاشهاد في مواقف القيامة كان ذلك أزجر لهم عن القبيح وأبعد عن السوء (توفته رسلنا) أي استوفت روحه وهم ملك الموت وأعوانه وعن مجاهد جعلت الارض له مثل الطست يتناول من يتناوله وما من أهل بيت الا ويطوف عليهم في كل يوم مرتين وقرئ توفاه ويجوز أن يكون ماضيا ومضارعا بمعنى تتوفاه و (يفرطون) بالتشديد والتخفيف فالتفريط التواني والتأخير عن الحد والافراط مجاوزة الحد أي لا ينقصون مما أمروا به ولا يزيدون فيه (ثم ردوا الى الله) أي الى حكمه وجزائه (مولاهم) مالكهم الذي يلي عليهم أمورهم (الحق) العدل الذي لا يحكم الا بالحق (ألا له الحكم) يومئذ لا حكم فيه لغيره (وهو أسرع الحاسبين) لا يشغله حساب عن حساب وقرئ الحق بالنصب على المدح كقولك الحمد لله الحق (ظلمات البر والبحر) مجاز عن مخاوفهما وأهوالهما يقال لليوم الشديد يوم مظلم ويوم ذو كواكب أي اشتدت ظلمته حتى عاد كالليل ويجوز أن يراد ما يشفون عليه من الخسف في البر والغرق في البحر بذنوبهم فاذا دعوا وتضرعوا كشف الله عنهم الخسف والغرق فنجوا من ظلماتهما (لئن أنجيتنا) على ارادة القول (من هذه) من هذه الظلمة الشديدة ● وقرئ ينجيكم بالتشديد والتخفيف وأنجانا وخفية بالضم والكسر (هو القادر) هو الذي عرفتموه قادرا وهو الكامل القدرة (عذابا من فوقكم) كما أمطر على قوم لوط وعلى أصحاب الفيل الحجارة وأرسل

الا في كتاب مبين وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار ثم يبعثكم فيه ليقضى أجل مسمى ثم اليه مرجعكم ثم ينبئكم بما كنتم تعملون وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة حتى اذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون ثم ردوا الى الله مولاهم الحق ألا له الحكم وهو أسرع الحاسبين قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر تدعونه تضرعا وخفية لئن أنجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين قل الله ينجيكم منها ومن كل كرب ثم أنتم تشركون قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم

● عاد كلامه (قال ولا حبة في ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس عطف على ورقة وداخل في حكمها الخ) قال أحمد وفائدة هذا التكرير التطرية لما بعد عهده لانه لما عطف على ورقة بعد ان سمع الايجاب المقصود للعلم في قوله الا يعلمها وكانت هذه المعطوفات داخلة في ايجاب العلم وهو المقصود وطالت وبعد ارتباط آخرها بالايجاب السالف كان ذلك جديرا بتجديد العهد بالمقصود ثم كان اللائق بالبلاغة المألوفة في القرآن التجديد بعبارة أخرى ليتلقاها السامع غضة جديدة غير مملولة بالتكرير وهذا المراغ ينقب عنه المسيطر في علم البيان ونكت القرآن والله الموفق

* قوله تعالى وإما ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين (قال معناه وإن شغلك بوسوسته حتى تنسى النهي الخ) قال أحمد وهذا التأويل الثاني يروم تنزيله على قاعدة التحسين والتقبيح بالعقل وانه كلف وان لم يرد شرع في التحريم وغيره من الاحكام اذا كانت واضحة للعقل كمجالسة المستهزئين فان قبحها بين بالعقل فهو مستقل بتحريمها وحيث ورد الشرع بذلك فهو كاشف لحكمها ومنبه عليه لا منشئ فيها حكما وقد علمت فساد هذه القاعدة ومخالفتها للعقائد السنية على ان الآية تنبو عنه فانه لو كان النسيان المراد هنا نسيان الحكم الذي يدل عليه العقل قبل ورود هذا النهي لما عبر بالمستقبل في قوله وإما ينسينك فأما وقد ورد بصيغة الاستقبال فلا وجه لحمله على الماضي والله الموفق

أو من تحت أرجلكم أو يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم بأس بعض انظر كيف نصرف الآيات لعلهم يفقهون وكذب به قومك وهو الحق قل لست عليكم بوكيل لكل نبأ مستقر وسوف تعلمون وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره وإما ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين وما على الذين يتقون من حسابهم من شيء ولكن ذكرى لعلهم يتقون وذر الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا وغرتهم الحياة الدنيا وذكر به أن تبسل نفس بما كسبت ليس لها من دون الله ولي ولا شفيع

على قوم نوح والطوفان (أو من تحت أرجلكم) كما أغرق فرعون وخسف بقارون وقيل من فوقكم من قبل أكابركم وسلاطينكم ومن تحت أرجلكم من قبل سفلتكم وعبيدكم وقيل هو حبس المطر والنبات (أو يلبسكم شيعا) أو يخلطكم فرقا مختلفين على أهواء شتى كل فرقة منكم مشايعة لامام ومعنى خلطهم أن ينشب القتال بينهم فيختلطوا ويشتبكوا في ملاحم القتال من قوله

وكتيبة لبستها بكتيبة * حتى اذا التبست نفضت لها يدي

وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم سألت الله أن لا يبعث على أمتي عذابا من فوقهم أو من تحت أرجلهم فأعطاني ذلك وسألته أن لا يجعل بأسهم بينهم فمنعني وأخبرني جبريل أن فناء أمتي بالسيف وعن جابر بن عبد الله لما نزل من فوقكم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أعوذ بوجهك فلما نزل أو من تحت أرجلكم أو يلبسكم شيعا قال هاتان أهون ومعنى الآية الوعيد بأحد أصناف العذاب المعدودة * والضمير في قوله (وكذب به) راجع الى العذاب (وهو الحق) أي لا بد أن ينزل بهم (قل لست عليكم بوكيل) بحفيظ وكل الى أمركم أمنعكم من التكذيب اجبارا انما أنا منذر (لكل نبأ) لكل شيء ينبأ به يعني انباءهم بأنهم يعذبون وايعادهم به (مستقر) وقت استقرار وحصول لا بد منه وقيل الضمير في به للقرآن (يخوضون في آياتنا) في الاستهزاء بها والطعن فيها وكانت قريش في أنديتهم يفعلون ذلك (فأعرض عنهم) ولا تجالسهم وقم عنهم (حتى يخوضوا في حديث غيره) فلا بأس أن تجالسهم حينئذ (وإما ينسينك الشيطان) وان شغلك بوسوسته حتى تنسى النهي عن مجالستهم (فلا تقعد) معهم (بعد الذكرى) بعد أن تذكر النهي * وقرئ ينسينك بالتشديد ويجوز أن يراد وان كان الشيطان ينسينك قبل النهي قبح مجالسة المستهزئين لانها مما تنكره العقول فلا تقعد بعد الذكرى بعد أن ذكرناك قبحها ونبهناك عليه معهم (وما على الذين يتقون من حسابهم من شيء) وما يلزم المتقين الذين يجالسونهم شيء مما يحاسبون عليه من ذنوبهم (ولكن) عليهم أن يذكروهم (ذكرى) اذا سمعوهم يخوضون بالقيام عنهم واظهار الكراهة لهم وموعظتهم (لعلهم يتقون) لعلهم يجتنبون الخوض حياء أو كراهة لمساءتهم ويجوز أن يكون الضمير للذين يتقون أي يذكرونهم ارادة أن يثبتوا على تقواهم ويزدادوها وروي أن المسلمين قالوا لئن كنا نقوم كلما استهزؤا بالقرآن لم نستطع أن نجلس في المسجد الحرام وأن نطوف فرخص لهم (فان قلت) ما محل ذكرى (قلت) يجوز أن يكون نصبا على ولكن يذكرونهم ذكرى أي تذكيرا ورفعا على ولكن عليهم ذكرى ولا يجوز أن يكون عطفا على محل من شيء كقولك ما في الدار من أحد ولكن زيد لان قوله من حسابهم يأبى ذلك (اتخذوا دينهم لعبا ولهوا) أي دينهم الذي كان يجب أن يأخذوا به لعبا ولهوا وذلك أن عبادة الاصنام وما كانوا عليه من تحريم البحائر والسوائب وغير ذلك من باب اللعب واللهو واتباع هوى النفس والعمل بالشهوة ومن جنس الهزل دون الجد أو اتخذوا ما هو لعب ولهو من عبادة الاصنام وغيرها دينا لهم أو اتخذوا دينهم الذي كلفوه ودعوا اليه وهو دين الاسلام لعبا ولهوا حيث سخروا به واستهزؤا وقيل جعل الله لكل قوم عيدا يعظمونه ويصلون فيه ويعمرونه بذكر الله والناس كلهم من المشركين وأهل الكتاب اتخذوا عيدهم لعبا ولهوا غير المسلمين فانهم اتخذوا عيدهم كما شرعه الله * ومعنى ذرهم أعرض عنهم ولا تبال بتكذيبهم واستهزائهم ولا تشغل قلبك بهم (وذكر به) أي بالقرآن (أن تبسل نفس) مخافة أن تسلم الى الهلكة والعذاب وترتهن بسوء كسبها وأصل الابسال المنع لان المسلم اليه يمنع المسلم قال

وابسالي بني بغير جرم * بعوناه ولا بدم مراق

ومنه هذا عليك بسل أي حرام محظور والباسل الشجاع لامتناعه من قرنه أو لانه شديد البسور يقال بسر الرجل

اذا

* قوله تعالى وان تعدل كل عدل لا يؤخذ منها (قال معناه وان تفد كل فداء والعدل الفدية الخ) قال أحمد وهذا أيضا من عيون اعرابه ونكت غرائبه التي طالما ذهل عنها غيره وهو من جنس تدقيقه في منع عود الضمير من قوله فتنفخ فيها الى الهيئة من قوله كهيئة الطير مع انه السابق الى الذهن والجاءه على القول بان العدل ههنا مصدر ان الفعل تعدى اليه بغير واسطة ولو كان المراد الفدى به لكان مفعولا به فلم يتعد اليه الفعل الا بالباء وكان وجه الكلام وان تعدل بكل عدل فلما عدل عنه علم انه مصدر والله أعلم * قوله تعالى قل أندعو من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا ونرد على أعقابنا بعد اذ هدانا الله كالذي استهوته الشياطين في الارض حيران له أصحاب يدعونه الى الهدى ائتنا قل ان هدى الله هو الهدى وأمرنا لنسلم لرب العالمين وأن أقيموا الصلاة واتقوه وهو الذي اليه تحشرون (قال نزلت في أبي بكر رضي الله عنه حين دعاه ابنه عبد الرحمن الى عبادة الاوثان الخ) قال أحمد ومن أنكر الجن واستيلاءها على بعض الاناسي بقدرة الله تعالى حتى يحدث من ذلك الخبطة والصرع ونحوهما فهو ممن استهوته الشياطين في مهامه الضلال العقلي في حيران له أصحاب من الموحدين يدعونه الى الهدى الشرعي ائتنا وهو راكب في ضلالة لتعاسيف لا يلوي عليهم ولا يلتفت لهم فرقة يقول ان الوارد في الشرع من ذلك تخييل كما تقدم في سورة البقرة ومرة يعده من زعمات العرب وزخارفها وقد أسلفنا لك (٤٥٧) في البقرة وآل عمران قولا شافيا فيه لمجدده عهدا

وان تعدل كل عدل لا يؤخذ منها أولئك الذين أبسلوا بما كسبوا لهم شراب من حميم وعذاب أليم بما كانوا يكفرون قل أندعوا من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا ونرد على أعقابنا بعد اذ هدانا الله كالذي استهوته الشياطين في الارض حيران له أصحاب يدعونه الى الهدى ائتنا قل ان هدى الله هو الهدى وأمرنا لنسلم لرب العالمين

والله الموفق عاد كلامه

اذا شئت فموسه فادارادفالوا ابسل والباسل صقبض الوجه (وان تعدل كل عدل لا يؤخذ منها) وان تفد كل فداء والعدل الفدية لان الفادي يعدل المفدى بمثله وكل عدل نصب على المصدر وفاعل يؤخذ قوله منها لا ضمير العدل لان العدل ههنا مصدر فلا يسند اليه الاخذ وأما في قوله تعالى ولا يؤخذ منها عدل فبمعنى المفدى به فصح اسناده اليه (أولئك) اشارة الى المتخذين دينهم لعبا ولهوا وقيل نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله عنه حين دعاه ابنه عبد الرحمن الى عبادة الاوثان (قل أندعوا) أنعبد (من دون الله) الضار النافع ما لا يقدر على نفعنا ولا مضرتنا (ونرد على أعقابنا) راجعين الى الشرك بعد اذ أنقذنا الله منه وهدانا للاسلام (كالذي استهوته الشياطين) كالذي ذهبت به مردة الجن والغيلان (في الارض) المهمه (حيران) تائها ضالا عن الجادة لا يدري كيف يصنع (له) أي لهذا المستهوي (أصحاب) رفقة (يدعونه الى الهدى) الى أن يهدوه الطريق المستوي أو سمى الطريق المستقيم بالهدى يقولون له (ائتنا) وقد اعتسف المهمه تابعا للجن لا يجيبهم ولا يأتيهم وهذا مبني على ما تزعمه العرب وتعتقده أن الجن تستهوي الانسان والغيلان تستولي عليه كقوله كالذي يتخبطه الشيطان من المس فشبه به الضال عن طريق الاسلام التابع لخطوات الشيطان والمسلمون يدعونه اليه فلا يلتفت اليهم (قل ان هدى الله) وهو الاسلام (هو الهدى) وحده وما وراءه ضلال وغي ومن يبتغ غير الاسلام دينا فماذا بعد الحق الا الضلال (فان قلت) فما محل الكاف في قوله كالذي استهوته (قلت) النصب على الحال من الضمير في نرد على أعقابنا أي أننكص مشبهين من استهوته الشياطين (فان قلت) ما معنى استهوته (قلت) هو استفعال من هوى في الارض اذا ذهب فيها كأن معناه طلبت هويه وحرصت عليه (فان قلت) ما محل (وأمرنا) (قلت) النصب عطفا على محل قوله ان هدى الله هو الهدى على أنهما مقولان كأنه قيل قل هذا القول وقل أمرنا لنسلم (فان قلت) ما معنى اللام في (لنسلم) (قلت) هي تعليل للامر بمعنى أمرنا وقيل لنا أسلموا لاجل أن نسلم (فان قلت) فاذا كان هذا واردا في شأن أبي بكر الصديق رضي الله عنه فكيف

٥٨ كشاف ل (قال فان قلت اذا كان هذا واردا في أبي بكر فكيف قيل للرسول عليه الصلاة والسلام قل أندعوا من دون الله الخ) قال أحمد وهو مبني على ان الامر هو الارادة أو من لوازمه ارادة المأمور به وهذا الاعراب منزل على معتقده هذا وأما أهل السنة فكما علمت أن الامر عندهم غير الارادة ولا يستلزمها وقولهم في هذه اللام كقولهم في وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون من نفي كونها تعليلا والوجه في ذلك انهم لما أوضحت لهم الآيات البينات وأزيحت عنهم العلل وتمكنوا من الاسلام والعبادة امتثالا للامر جعلوا بمثابة من أريد منهم ذلك تمكينا لهم على الامتثال ولقطع أعذارهم اذ فعل بهم فعل المراد منهم ذلك وما شأن المريد للشيء اذا كان قادرا على حصوله أن يزيح العلل ويرفع الموانع وكذلك فعل مع المكلفين وان لم تكن الطاعة مرادة من جميعهم وأما اذا كانت اللام هي التي تنصب المصدر كما يقول الزجاج تقديره الامر للاسلام وكذلك يقول في قوله تعالى يريد الله ليبين لكم الارادة للبيان وهي اللام التي تنصب المفعول عنده تقدمه في قولك لزيد ضربت فهي على هذا الوجه غير محتاجة لتأويل وقد قيل انها بمعنى أن كأنه قيل وأمرنا أن نسلم قال هذا القائل وكي ولام كي في أمرت وأردت خاصة بمعنى أن لا على بابهما من التعليل والغرض من دخولها افادة الاستقبال على وجه أوثق وأبلغ اذ لا يتعلق هذان المعنيان أعني الامر والارادة الا بمستقبل وقد جمع بين الثلاثة اللام وكي وان في قوله أردت لكيما ان تطير البيت وهذا الوجه أيضا سالم المعنى من الخلل الذي يعتقده الزمخشري والمحافظة على العقيدة وقد وجدنا السبيل الى ذلك بحمد الله متبينة والله الموفق

* عاد كلامه (قال فان قلت علام عطف قوله وأن أقيموا الخ) قال أحمد وهذا مصداق القول بأن لنسلم معناه أن نسلم وأن اللام فيه رديفة أن لا يراد بها علم أفتلك هو الوجه الصحيح ان شاء الله وفي ورود أقيموا الصلاة محكيا بصيغته وورود نسلم محكيا بمعناه اذ الاصل المطابق لأقيموا أسلموا مصداق لما قدمته عند قوله تعالى ما قلت لهم الا ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم وبينت ثم أن ذلك منزل على أن يكون عيسى عليه السلام حكى قول الله تعالى اعبدوا الله ربكم ورب عيسى عما له بل اعبدوا الله ربي وربكم بهذا مثله في حكاية المعنى دون اللفظ والله أعلم * قوله تعالى (٤٥٨) وكذلك نري ابراهيم ملكوت السموات والارض وليكون من الموقنين فلما جن عليه الليل رأى كوكبا الآية (قال قوله فلما جن عليه الليل

وأن أقيموا الصلاة واتقوه وهو الذي اليه تحشرون وهو الذي خلق السموات والارض بالحق ويوم يقول كن فيكون قوله الحق وله الملك يوم ينفخ في الصور عالم الغيب والشهادة وهو الحكيم الخبير واذ قال ابراهيم لابيه آزر أتتخذ أصناما آلهة اني أراك وقومك في ضلال مبين وكذلك نري ابراهيم ملكوت السموات والارض وليكون من الموقنين فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربي فلما أفل قال لا أحب الآفلين فلما رأى القمر بازغا قال هذا ربي فلما أفل قال لئن لم يهدني ربي لأكونن من القوم الضالين فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي

قيل للرسول عليه الصلاة والسلام قل أندعو (قلت) للاتحاد الذي كان بين رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين خصوصا بينه وبين الصديق أبي بكر رضي الله عنه (فان قلت) علام عطف قوله (وأن أقيموا) (قلت) على موضع لنسلم كأنه قيل وأمرنا أن نسلم وأن أقيموا ويجوز أن يكون التقدير وأمرنا لأن نسلم ولأن أقيموا أي للاسلام ولاقامة الصلاة (قوله الحق) مبتدأ ويوم يقول خبره مقدما عليه وانتصابه بمعنى الاستقرار كقولك يوم الجمعة القتال واليوم بمعنى الحين والمعنى أنه خلق السموات والارض قائما بالحق والحكمة وحين يقول لشيء من الاشياء كن فيكون ذلك الشيء قوله الحق والحكمة أي لا يكون شيئا من السموات والارض وسائر المكونات الا عن حكمة وصواب و(يوم ينفخ) ظرف لقوله (وله الملك) كقوله لمن الملك اليوم ويجوز أن يكون قوله الحق فاعل يكون على معنى وحين يقول لقوله الحق أي لقضائه الحق كن فيكون قوله الحق وانتصاب اليوم بمحذوف دل عليه قوله بالحق كأنه قيل وحين يكون ويقدر يقوم بالحق (عالم الغيب) هو عالم الغيب وارتفاعه على المدح (آزر) اسم أبي ابراهيم عليه السلام وفي كتب التواريخ أن اسمه بالسريانية تارح والاقرب أن يكون وزن آزر فاعل مثل تارح وعابر وعازر وشالخ وفالغ وما أشبهها من أسمائهم وهو عطف بيان لأبيه وقرئ آزر بالضم على النداء وقيل آزر اسم صنم فيجوز أن ينبز به للزومه عبادته كما نبز ابن قيس بالرقيات اللاتي كان يشبب بهن فقيل ابن قيس الرقيات وفي شعر بعض المحدثين

أدعى بأسماء نبزا في قبائلها * كأن أسماء أضحت بعض أسمائي

أو أريد عابد آزر فحذف المضاف وأقيم المضاف اليه مقامه * وقرئ أأزرا تتخذ أصناما آلهة بفتح الهمزة وكسرها بعد همزة الاستفهام وزاي ساكنة وراء منصوبة منونة وهو اسم صنم ومعناه أتعبد أزرا على الانكار ثم قال تتخذ أصناما آلهة تثبيتا لذلك وتقريرا وهو داخل في حكم الانكار لأنه كالبيان له (فلما جن عليه الليل) عطف على قال ابراهيم لابيه وقوله وكذلك نري ابراهيم جملة معترضة بين المعطوف والمعطوف عليه والمعنى ومثل ذلك التعريف والتبصير نعرف ابراهيم ونبصره ملكوت السموات والارض يعني الربوبية والالهية ونوفقه لمعرفتها ونرشده بما شرحنا صدره وسددنا نظره وهديناه لطريق الاستدلال * وليكون من الموقنين فعلنا ذلك ونري حكاية حال ماضية وكان أبوه وقومه يعبدون الاصنام والشمس والقمر والكواكب فأراد أن ينبههم على الخطأ في دينهم وأن يرشدهم الى طريق النظر والاستدلال ويعرفهم أن النظر الصحيح مؤد الى أن شيئا منها لا يصح أن يكون الها لقيام دليل الحدوث فيها وأن وراءها محدثا أحدثها وصانعا صنعها ومدبرا دبر طلوعها وأفولها وانتقالها ومسيرها وسائر أحوالها (هذا ربي) قول من ينصف خصمه مع علمه بأنه مبطل فيحكي قوله كما هو غير متعصب لمذهبه لأن ذلك أدعى الى الحق وأنجى من الشغب ثم يكر عليه بعد حكايته فيبطله بالحجة (لا أحب الآفلين) لا أحب عبادة الارباب المتغيرين عن حال الى حال المتنقلين من مكان الى مكان المحتجبين بستر فان ذلك من صفات الاجرام (بازغا) مبتدئا في الطلوع (لئن لم يهدني ربي) تنبيه لقومه

عطف على قال ابراهيم لابيه الخ) قال أحمد وفي الاعتراض بهذه الجملة تنويه عظيم بما أتى من استدلال ابراهيم عليه السلام على وانه تبصير له من الله تعالى وتسديد * عاد كلامه (قال وكان أبوه آزر وقومه يعبدون الاصنام والشمس والقمر والكواكب الخ) قال أحمد والتعريض بضلالهم ثانيا أصرح وأقوى من قوله أولا لا أحب الآفلين وانما ترقى الى ذلك لان الخصوم قد أقامت عليهم الاستدلال الاول حجة فسوا بالقدح في معتقدهم ولو قيل هذا في الاول فلعلهم كانوا ينفرون ولا يصغون الى الاستدلال فما عرض صلوات الله عليه بأنهم في ضلالة الا بعد أن وثق باصغائهم الى تمام المقصود واستماعهم الى آخره والدليل على ذلك انه ترقى في النوبة الثالثة الى التصريح بالبراءة منهم والتقريع بأنهم على شرك حين قيام الحجة عليهم وتبلج الحق وبلغ من الظهور غاية المقصود والله أعلم

* عاد كلامه (قال وقوله هذا أكبر من باب استعمال النصفة أيضا مع الخصوم الخ) قال أحمد وصدق الزمخشري بل ذلك متعين وقد ورد الحديث الوارد في الشفاعة انهم يأتون ابراهيم عليه السلام فيلتمسون منه الشفاعة فيقول نفسي نفسي لا أسأل احدا غيري ويذكر كذباته الثلاث ويقول لست لها يريد بقوله لسارة هي أختي وانما يعني في الاسلام وقوله انه سقيم وانما يعني همه بقومه وشركهم والموت يسقمه ذلك وقوله بل فعله كبيرهم وقد ذكرت فيه وجوه من التعريض واذا عد صلوات الله عليه وسلامه على نفسه هذه الكلمات مع العلم بأنه غير مؤاخذ بها دل ذلك على انها أعظم ما صدر منه ولو كان الامر على ما يقال من أن هذا الكلام محكي عنه على انه نظره لنفسه لكان أولى أن يعده وأعظم مما ذكرناه لانه حينئذ يكون شكا بل جزما على ان الصحيح ان الانبياء قبل النبوة معصومون من ذلك عاد كلامه (قال فان قلت لم احتج عليهم بالافول دون البزوغ وكلاهما انتقال الخ) قال أحمد وهذا أيضا من عيون نكته ووجوه حسنة * قوله تعالى وحاجه قومه قال أتحاجوني في الله وقد هدان ولا أخاف ما تشركون به

الا أن يشاء ربي شيأ وسع ربي كل شيء علما

هذا أكبر فلما أفلت قال يا قوم اني بريء مما تشركون اني وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض حنيفا وما أنا من المشركين وحاجه قومه قال أتحاجوني في الله وقد هدان ولا أخاف ما تشركون به الا أن يشاء ربي شيأ وسع ربي كل شيء علما أفلا تتذكرون وكيف أخاف ما أشركتم ولا تخافون أنكم أشركتم بالله ما لم ينزل به عليكم سلطانا فأي الفريقين أحق بالامن ان كنتم تعلمون

على ان من اتخذ القمر الها وهو نظير الكوكب في الافول فهو ضال وأن الهداية الى الحق بتوفيق الله ولطفه (هذا أكبر) من باب استعمال النصفة أيضا مع خصومه (اني بريء مما تشركون) من الاجرام التي تجعلونها شركاء لخالقها (اني وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض) أي للذي دلت هذه المحدثات عليه وعلى أنه مبتدئها ومبتدعها وقيل هذا كان نظره واستدلاله في نفسه فحكاه الله والاول أظهر لقوله لئن لم يهدني ربي وقوله يا قوم اني بريء مما تشركون (فان قلت) لم احتج عليهم بالافول دون البزوغ وكلاهما انتقال من حال الى حال (قلت) الاحتجاج بالافول أظهر لانه انتقال مع خفاء واحتجاب (فان قلت) ما وجه التذكير في قوله هذا ربي والاشارة للشمس (قلت) جعل المبتدأ مثل الخبر لكونهما عبارة عن شيء واحد كقولهم ما جاءت حاجتك ومن كانت أمك ولم تكن فتنتهم الا أن قالوا وكان اختيار هذه الطريقة واجبا لصيانة الرب عن شبهة التأنيث الا تراهم قالوا في صفة الله علام ولم يقولوا علامة وان كان العلامة أبلغ احترازا من علامة التأنيث * وقرئ ترى ابراهيم ملكوت السموات والارض بالتاء ورفع الملكوت ومعناه تبصره دلائل الربوبية (وحاجه قومه قال أتحاجوني في الله) وكانوا حاجوه في توحيد الله ونفي الشركاء عنه منكرين لذلك (وقد هدان) يعني الى التوحيد (ولا أخاف ما تشركون به) وقد خوفوه أن معبوداتهم تصيبه بسوء (الا أن يشاء ربي شيأ) الا وقت مشيئة ربي شيأ يخاف فحذف الوقت يعني لا أخاف معبوداتكم في وقت قط لانها لا تقدر على منفعة ولا مضرة الا اذا شاء ربي أن يصيبني بمخوف من جهتها ان أصبت ذنبا أستوجب به انزال المكروه مثل أن يرجمني بكوكب أو بشقة من الشمس أو القمر أو يجعلها قادرة على مضرتي (وسع ربي كل شيء علما) أي ليس بعجب ولا مستبعد أن يكون في علمه انزال المخوف بي من جهتها (أفلا تتذكرون) فتميزوا بين الصحيح والفاسد والقادر والعاجز (وكيف أخاف) لتخويفكم شيأ مأمون الخوف لا يتعلق به ضرر بوجه (و) أنتم (لا تخافون) ما يتعلق به كل مخوف وهو اشراككم بالله ما لم ينزل باشراكه (سلطانا) أي حجة لان الاشراك لا يصح أن يكون عليه حجة كأنه قال وما لكم تنكرون علي الامن في موضع الامن ولا تنكرون على أنفسكم الامن في موضع الخوف ولم يقل فأينا أحق بالامن أنا أم أنتم احترازا من تزكيته نفسه فعدل عنه الى قوله (فأي الفريقين) يعني

أفلا تتذكرون وكيف أخاف ما أشركتم ولا تخافون أنكم أشركتم بالله ما لم ينزل به عليكم سلطانا فأي الفريقين أحق بالامن ان كنتم تعلمون (قال الا أن يشاء معناه الا وقت مشيئة ربي شيأ فحذف الوقت الخ) قال أحمد هو يعني بجعلها قادرة على ان المضرة خلق قدرة يخلق بها المضرة على زعمه على قاعدته وقد علمت ان عقيدة أهل السنة ان ذلك لا يجوز عقلا تعلق غير الله ولا يقدر قدرة مؤثرة في المقدور الا هو وان كان الزمخشري لم يصرح ههنا من عقيدته وانما يعني حيث يصرح أو يكني ما يلائمها ويتنزل عليها وغاية خوف ابراهيم منها لما علق على مشيئة الله لذلك خوف الضرر عندها بقدرة الله تعالى لا بها وكأنه في الحقيقة لم يخف الا من الله لان الخوف الذي أثبته منها معلق بمشيئة الله وقدرته وهو كالخوف منها والله أعلم * عاد كلامه (قال ومعنى كيف أخاف ما أشركتم الخ ما لكم تنكرون على الامن الخ) قال أحمد ويحتمل أن يكون العدول الى ذلك ليعم بالامن كل موحد وبالخوف كل مشرك ويندرج هو في حكم الموحدين وقومه في حكم المشركين وأحسن الجواب ما أفاد وزاد

(قال والمراد بقوله ولم يلبسوا ايمانهم بظلم أى لم يخلطوا ايمانهم بمعصية تفسقهم وأبى تفسير الظلم بالكفر لفظ اللبس) قال أحمد وقد ورد ان الآية لما نزلت عظمت على الصحابة وقالوا أينا لم يظلم نفسه فقال عليه الصلاة والسلام انما هو الظلم فى قول لقمان ان الشرك لظلم عظيم وانما هو يروم بذلك تنزيله على معتقده فى وجوب وعيد العصاة وانهم لاحظ لهم فى الامن كالكفار ويحمل هذه الآية تقتضى تخصيص الامن بالجامعين الامرين الايمان (٤٦٠) والبراءة من المعاصى ونحن نسلم ذلك ولا يلزم أن يكون الخوف اللاحق للعصاة هو الخوف

الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم أولئك لهم الامن وهم مهتدون وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء ان ربك حكيم عليم ووهبنا له اسحق ويعقوب كلا هدينا ونوحا هدينا من قبل ومن ذريته داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهرون وكذلك نجزى المحسنين وزكريا ويحيى وعيسى والياس كل من الصالحين واسمعيل واليسع ويونس ولوطا وكلا فضلنا على العالمين ومن آبائهم وذرياتهم واخوانهم واجتبيناهم وهديناهم الى صراط مستقيم ذلك هدى الله يهدى به من يشاء من عباده ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون أولئك الذين آتيناهم الكتاب والحكم والنبوة فان يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين أولئك الذين هدى الله فبهداهم

من فريقى المشركين والموحدين ثم استأنف الجواب عن السؤال بقوله (الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم) أى لم يخلطوا ايمانهم بمعصية تفسقهم وأبى تفسير الظلم بالكفر لفظ اللبس (وتلك) اشارة الى جميع ما احتج به ابراهيم عليه السلام على قومه من قوله فلما جن عليه الليل الى قوله وهم مهتدون • ومعنى (آتيناها) أرشدناه اليها ووفقناه لها (نرفع درجات من نشاء) يعنى فى العلم والحكمة وقرئ بالتنوين (ومن ذريته) الضمير لنوح أو لابراهيم و (داود) عطف على نوحا أى وهدينا داود (ومن آبائهم) فى موضع النصب عطفا على كلا بمعنى وفضلنا بعض آبائهم (ولو أشركوا) مع فضلهم وتقدمهم وما رفع لهم من الدرجات لكانوا كغيرهم فى حبوط أعمالهم كما قال تعالى وتقدس لئن أشركت ليحبطن عملك (آتيناهم الكتاب) يريد الجنس (فان يكفر بها) بالكتاب والحكمة والنبوة أو بالنبوة (هؤلاء) يعنى أهل مكة (قوما) هم الانبياء المذكورون ومن تابعهم بدليل قوله (أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده) وبدليل وصل قوله فان يكفر بها هؤلاء بما قبله وقيل هم أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم وكل من آمن به وقيل كل مؤمن من بنى آدم وقيل الملائكة ومعنى توكيلهم بها أنهم وفقوا للايمان بها والقيام بحقوقها كما يوكل الرجل بالشئ ليقوم به ويتعهده ويحافظ عليه • والباء فى بها صلة كافرين • وفى بكافرين تأكيد النفى • فبهداهم اقتده فاختص هداهم بالاقتداء ولا تقتد الا بهم وهذا معنى تقديم المفعول والمراد بهداهم طريقتهم فى الايمان بالله وتوحيده وأصول الدين دون الشرائع فانها مختلفة وهى هدى ما لم تنسخ فاذا نسخت لم تبق هدى بخلاف أصول الدين فانها هدى أبدا والهاء فى اقتده للوقف تسقط فى الدرج واستحسن ايثار الوقف لثبات الهاء فى المصحف (وما قدروا الله حق قدره) وما عرفوه حق معرفته فى الرحمة على عباده واللطف بهم حين أنكروا بعثة الرسل والوحى اليهم وذلك من أعظم رحمته وأجل نعمته وما أرسلناك الا رحمة للعالمين أو ما عرفوه حق معرفته فى سخطه على الكافرين وشدة بطشه بهم ولم يخافوه حين جسروا على تلك المقالة العظيمة من انكار النبوة • والقائلون هم اليهود بدليل قراءة من قرأ تجعلونه بالتاء وكذلك تبدونها وتخفون وانما قالوا ذلك مبالغة فى انكار انزال القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم فألزموا ما لا بد لهم من الاقرار به من انزال التوراة على موسى عليه السلام وأدرج تحت الالزام توبيخهم وأن نعى عليهم سوء جهلهم لكتابهم وتحريفهم وابداء بعض واخفاء بعض فقيل (جاء به موسى) وهو نور وهدى للناس حتى غيروه ونقصوه وجعلوه قراطيس مقطعة وورقات مفرقة ليتمكنوا مما راموا من الابداء والاخفاء وروى أن مالك بن الصيف من أحبار اليهود ورؤسائهم قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أنشدك بالذى أنزل التوراة على موسى هل تجد فيها ان الله يبغض الحبر السمين فأنت الحبر السمين قد سمنت من مالك الذى يطعمك اليهود فضحك القوم فغضب ثم التفت الى عمر فقال ما أنزل الله على بشر من شئ فقال له قومه ويلك ما هذا الذى بلغنا عنك قال انه أغضبنى فنزعوه وجعلوا مكانه كعب بن الاشرف وقيل القائلون قريش وقد ألزموا انزال التوراة لانهم كانوا يسمعون من اليهود بالمدينة ذكر موسى والتوراة وكانوا يقولون لو أنا أنزل علينا الكتاب لكنا أهدى منهم (وعلمتم ما لم تعلموا أنتم ولا آباؤكم) الخطاب لليهود أى علمتم على لسان محمد صلى الله عليه وسلم مما أوحى اليه ما لم

اقتده قل لا أسألكم عليه أجرا ان هو الا ذكرى للعالمين وما قدروا الله حق قدره اذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شئ قل من أنزل الكتاب الذى جاء به موسى نورا وهدى للناس تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا وعلمتم ما لم تعلموا أنتم ولا آباؤكم

اللاحق للكفار لان العصاة من المؤمنين انما يخافون العذاب المؤقت وهم آمنون من الخلود وأما الكفار فغير آمنين بوجه والله الموفق • قوله تعالى قل من أنزل الكتاب الذى جاء به موسى نورا وهدى للناس تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا (قال وادرج تحت الالزام توبيخهم وان نعى عليهم الخ) قال أحمد وهذا أيضا من دقة نظره فى الكتاب العزيز والتمهر فى آثار معادنه وابراز محاسنه

تعلموا أنتم وأنتم حملة التوراة ولم تعلمه آباؤكم الاقدمون الذين كانوا أعلم منكم ان هذا القرآن يقص على بنى اسرائيل أكثر الذى هم فيه يختلفون وقيل الخطاب لمن آمن من قريش كقوله تعالى لتنذر قوما ما أنذر آباؤهم (قل الله) أى أنزله الله فانهم لا يقدرون أن يناكروك (ثم ذرهم فى خوضهم) فى باطلهم الذى يخوضون فيه ولا عليك بعد الزام الحجة * ويقال لمن كان فى عمل لا يجدى عليه انما أنت لاعب و(يلعبون) حال من ذرهم أو من خوضهم ويجوز أن يكون فى خوضهم حالا من يلعبون وأن يكون صلة لهم أو لذرهم (مبارك) كثير المنافع والفوائد (ولتنذر) معطوف على ما دل عليه صفة الكتاب كأنه قيل أنزلناه للبركات وتصديق ما تقدمه من الكتب والانذار وقرئ ولينذر بالياء والتاء * وسميت مكة (أم القرى) لانها مكان أول بيت وضع للناس ولانها قبلة أهل القرى كلها ومحجهم ولانها أعظم القرى شأنا ولبعض المجودين

فمن يلق فى بعض القريات رحله * فأم القرى ملقى رحالى ومنتابى

(والذين يؤمنون بالآخرة) يصدقون بالعاقبة ويخافونها (يؤمنون به) بهذا الكتاب وذلك ان أصل الدين خوف العاقبة فمن خافها لم يزل به الخوف حتى يؤمن * وخص الصلاة لانها عماد الدين ومن حافظ عليها كانت لطفا فى المحافظة على أخواتها (ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا) فزعم أن الله بعثه نبيا (أو قال أوحى الى ولم يوح اليه شئ) وهو مسيلمة الحنفى الكذاب أو كذاب صنعاء الاسود العنسى وعن النبى صلى الله عليه وسلم رأيت فيما يرى النائم كأن فى يدى سوارين من ذهب فكبرا على وأهمانى فأوحى الله الى أن انفخهما فنفختهما فطارا عنى فأولتهما الكذابين اللذين أنا بينهما كذاب اليمامة مسيلمة وكذاب صنعاء الاسود العنسى (ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله) هو عبد الله بن سعد بن أبى سرح القرشى كان يكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم فكان اذا أملى عليه سميعا عليما كتب هو عليما حكيما واذا قال عليما حكيما كتب غفورا رحيما فلما نزلت ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين الى آخر الآية عجب عبد الله من تفصيل خلق الانسان فقال تبارك الله أحسن الخالقين فقال عليه الصلاة والسلام اكتبها فكذلك نزلت فشك عبد الله وقال لئن كان محمد صادقا لقد أوحى الى مثل ما أوحى اليه ولئن كان كاذبا لقد قلت كما قال فارتد عن الاسلام ولحق بمكة ثم رجع مسلما قبل فتح مكة وقيل هو النضر بن الحرث والمستهزئون (ولو ترى) جوابه محذوف أى لرأيت أمرا عظيما (اذ الظالمون) يريد الذين ذكرهم من اليهود والمتنبئة فتكون اللام للعهد ويجوز أن تكون للجنس فيدخل فيه هؤلاء لاشتماله * وغمرات الموت شدائده وسكراته وأصل الغمرة ما يغمر من الماء فاستعيرت للشدة الغالبة (باسطوا أيديهم) يبسطون اليهم أيديهم يقولون هاتوا أرواحكم أخرجوها الينا من أجسادكم وهذه عبارة عن العنف فى السياق والالحاح والتشديد فى الارهاق من غير تنفيس وامهال وأنهم يفعلون بهم فعل الغريم المسلط يبسط يده الى من عليه الحق ويعنف عليه فى المطالبة ولا يمهله ويقول له أخرج الى مالى عليك الساعة ولا أريم مكانى حتى أنزعه من أحداقك وقيل معناه باسطوا أيديهم عليهم بالعذاب (أخرجوا أنفسكم) خلصوها من أيدينا أى لا تقدرون على الخلاص (اليوم تجزون) يجوز أن يريدوا وقت الاماتة وما يعذبون به من شدة النزع وأن يريدوا الوقت الممتد المتطاول الذى يلحقهم فيه العذاب فى البرزخ والقيامة * والهون الهوان الشديد واضافة العذاب اليه كقولك رجل سوء يريد العراقة فى الهوان والتمكن فيه (عن آياته تستكبرون) فلا تؤمنون بها (فرادى) منفردين عن أموالكم وأولادكم وما حرصتم عليه وآثرتموه من دنياكم وعن أوثانكم التى زعمتم أنها شفعاؤكم وشركاء لله (كما خلقناكم أول مرة) على الهيئة التى ولدتم عليها فى الانفراد (وتركتم ما خولناكم) ما تفضلنا به عليكم فى الدنيا فشغلتم به عن الآخرة (وراء ظهوركم) لم ينفعكم ولم تحتملوا منه نقيرا ولا قدمتموه لانفسكم (فيكم شركاء) فى استعبادكم لانهم حين دعوهم آلهة وعبدوها فقد جعلوها لله شركاء فيهم وفى استعبادهم * وقرئ فرادى بالتنوين وفراد مثل ثلاث وفردى نحو سكرى (فان قلت) كما خلقناكم

قل الله ثم ذرهم فى خوضهم يلعبون وهذا كتاب أنزلناه مبارك مصدق الذى بين يديه ولتنذر أم القرى ومن حولها والذين يؤمنون بالآخرة يؤمنون به وهم على صلاتهم يحافظون ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو قال أوحى الى ولم يوح اليه شئ ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله ولو ترى اذ الظالمون فى غمرات الموت والملائكة باسطوا أيديهم أخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم أنهم فيكم شركاء لقد

* قوله تعالى ولو ترى اذ الظالمون فى غمرات الموت والملائكة باسطوا أيديهم أخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون (قال أصل الغمرة ما يغمر من الماء فاستعيرت للشدة العالية الخ) قال أحمد هو عنده من مجاز التمثيل ولا حاجة الى ذلك والظاهر انهم يفعلون معهم هذه الامور حقيقة على الصور المحكية واذا أمكن البقاء على الحقيقة فلا معدل عنها * عاد كلامه (وقيل معناه باسطوا أيديهم عليهم بالعذاب الخ) قال أحمد ومثله ويبسطوا اليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء

• قوله تعالى ان الله فالق الحب والنوى يخرج الحي من الميت ومخرج الميت من الحي ذلكم الله فانى تؤفكون فالق الاصباح وجعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا ذلك تقدير العزيز العليم (قال معناه فالق الحب والنوى بالنبات والشجر الخ) قال احمد رحمه الله وقد ورد اخرجها بصيغة الفعل كثير فى قوله يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ويحيي الارض بعد موتها وكذلك تخرجون وقوله أمن يملك السمع والابصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي فعطف أحد القسمين على الآخر كثيرا دليل على أنهما توأمان مقترنان وذلك يبعد قطعه عنه فى آية الانعام هذه وورده الى فالق الحب والنوى فالوجه والله أعلم أن يقال كان الاصل وروده بصيغة اسم الفاعل اسوة أمثاله من الصفات المذكورة (٤٦٢) فى هذه الآية من قوله فالق الحب وفالق الاصباح وجاعل الليل ومخرج الحي من الميت الا انه عدل عن اسم الفاعل الى الفعل المضارع فى هذا الوصف وحده وهو قوله يخرج الحي من الميت ارادة لتصوير اخراج الحي من الميت واستحضاره فى ذهن السامع وهذا التصوير والاستحضار انما يتمكن فى أداء المعنى بالفعل المضارع دون اسم الفاعل والماضي وقد مضى تمثيل ذلك بقوله تعالى ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فتصبح الارض مخضرة فعدل عن الماضي المطابق لقوله أنزل بهذا المعنى ومنه معنى قوله وانى قد لقيت الغول تهوي * بسهب كالصحيفة صحصحان فآخذه فأضربه فخرت صريعا لليدين وللجران فعدل الى المضارع ارادة لتصوير شجاعته واستحضارها لذهن السامع ومنه فاصبحنا الجبال معه يسبحن بالعشي والاشراق والطير محشورة فعدل عن مسبحات وان كان مطابقا لمحشورة لهذا السبب والله أعلم ثم هذا المقصد انما يجيء فيما يكون العناية به أقوى ولاشك ان اخراج الحي من الميت أشهر فى القدرة من عكسه وهو أيضا أول الحالين والنظر أول ما يبدأ فيه ثم القسم الآخر وهو اخراج الميت من الحي بان عنه فكان الاول جديرا بالتصدير والتأكيد فى النفس ولذلك هو مقدم أبدا على القسم الآخر فى الذكر على حسب ترتيبهما فى الواقع وسهل عطف الاسم على الفعل وحسنه ان اسم الفاعل فى معنى الفعل المضارع فكل واحد منهما يقدر بالآخر فلا جناح فى عطفه عليه والله أعلم • عاد كلامه (قال فان قلت ما معنى فلق الصبح والظلمة هى التى تتفلق الخ) قال

فى أى محل هو (قلت) فى محل النصب صفة لمصدر جئتمونا أى مجيئا مثل خلقنا لكم (تقطع بينكم) وقع التقطع بينكم كما تقول جمع بين الشيئين تريد أوقع الجمع بينهما على اسناد الفعل الى مصدره بهذا التأويل ومن رفع فقد أسند الفعل الى الظرف كما تقول قوتل خلفكم وأمامكم وفى قراءة عبد الله لقد تقطع ما بينكم (فالق الحب والنوى) بالنبات والشجر وعن مجاهد أراد الشقين اللذين فى النواة والحنطة (يخرج الحي من الميت) أى الحيوان والنامي من النطف والبيض والحب والنوى (ومخرج) هذه الاشياء الميتة من الحيوان والنامي (فان قلت) كيف قال مخرج الميت من الحي بلفظ اسم الفاعل بعد قوله يخرج الحي من الميت (قلت) عطفه على فالق الحب والنوى لا على الفعل ويخرج الحي من الميت موقعه موقع الجملة المبينة لقوله فالق الحب والنوى لان فلق الحب والنوى بالنبات والشجر الناميين من جنس اخراج الحي من الميت لان النامي فى حكم الحيوان ألا ترى الى قوله يحيي الارض بعد موتها (ذلكم الله) أى ذلكم المحيي والمميت هو الله الذى تحق له الربوبية (فأنى تؤفكون) فكيف تصرفون عنه وعن توليه الى غيره (الاصباح) مصدر سمي به الصبح وقرأ الحسن بفتح الهمزة جمع صبح وأنشد قوله

أفنى رباحا وبنى رباح • تناسخ الامساء والاصباح

بالكسر والفتح مصدرين وجمع مساء وصبح (فان قلت) فما معنى فلق الصبح والظلمة هى التى تتفلق عن الصبح كما قال

تردت به ثم انفرى عن أديمها • تفري ليل عن بياض نهار

(قلت) فيه وجهان أحدهما أن يراد فالق ظلمة الاصباح وهى الغبش فى آخر الليل ومنقضاه الذى يلي الصبح والثانى أن يراد فالق الاصباح الذى هو عمود الفجر عن بياض النهار واسفاره وقالوا انشق عمود الفجر وانصدع الفجر وسموا الفجر فلقا بمعنى مفلوق وقال الطائى

وأزرق الفجر يبدو قبل أبيضه • وأول الغيث قطر ثم ينسكب

• وقرئ فالق الاصباح وجاعل الليل سكنا بالنصب على المدح وقرأ النخعى فلق الاصباح وجعل الليل السكن ما يسكن اليه الرجل ويطمئن استئناسا به واسترواحا اليه من زوج أو حبيب ومنه قيل للنار سكن لانه يستأنس بها ألا تراهم سموها المؤنسة والليل يطمئن اليه المتعب بالنهار لاستراحته فيه وجمامه ويجوز أن يراد وجعل الليل مسكونا فيه من قوله لتسكنوا فيه (والشمس والقمر) قرئ بالحركات الثلاث فالنصب على اضمار فعل دل عليه جاعل الليل أى وجعل الشمس والقمر (حسبانا) أو يعطفان على محل الليل (فان قلت) كيف يكون لليل محل والاضافة حقيقة لان اسم الفاعل المضاف اليه فى معنى المضي ولا تقول زيد ضارب عمرا أمس (قلت) ما هو فى معنى المضي وانما هو دال على جعل مستمر فى الازمنة المختلفة وكذلك فالق الحب وفالق

تقطع بينكم وضل عنكم ما كنتم تزعمون ان الله فالق الحب والنوى يخرج الحي من الميت ومخرج الميت من الحي ذلكم الله فانى تؤفكون فالق الاصباح وجعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا

أحد وقيل الفالق والفالق بمعنى فيكون المراد خالق الاصباح والاظهر ما اقتصر عليه المصنف والله أعلم * قوله تعالى وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر قد فصلنا الآيات لقوم يعلمون وهو الذي أنشأكم من نفس واحدة فمستقر ومستودع قد فصلنا الآيات لقوم يفقهون (قال ان قلت لم قيل مع ذكر النجوم يعلمون الخ) قال أحمد لا يتحقق هذا التفاوت ولا يستدل الى الحقيقة وما هذا الا الجواب الاقناعي والتحقيق انه لما أريد فصل كل منهما بفاصلة تنبيها على استقلال كل واحدة منهما بالمقصود من الحجة كره فصلهما بفاصلتين متساويتين في اللفظ لما في ذلك من التكرار فعدل الى فاصلة مخالفة تحسينا للنظم واتساما بالبلاغة ويحتمل وجه آخر في تخصيص الاولى بالعلم والثانية بالفقه وهو انه لما كان المقصود التعريض بمن لا يتدبر آيات الله ولا يعتبر بمخلوقاته وكانت الآيات المذكورة أولا خارجة عن أنفس النظار ومنافية لها اذ النجوم والنظر فيها وعلم الحكمة الالهية في تدبيرها أمر خارج عن نفس الناظر ولا كذلك النظر في انشائهم من نفس واحدة وتقلباتهم في أطوار مختلفة وأحوال متغايرة فانه نظر لا يعدو نفس الناظر ولا يتجاوزها فاذا تمهد ذلك فجهل الانسان بنفسه وبأحواله وعدم النظر فيها والتفكر أشنع من جهله (٤٦٣) بالامور الخارجة عنه كالنجوم والافلاك ومقادير سيرها وتقلباتها فلما كان الفقه أدنى درجات العلم اذ هو عبارة عن الفهم نفي من أشنع القبيلين جهلا وهم الذين لا يتبصرون في أنفسهم ونفي الادنى أبشع من نفي الاعلى درجة فخص به أسوأ الفريقين حالا ويفقهون مضارع فقه الشئ بكسر القاف اذا فهمه ولو أدنى فهم وليس من فقه بضم القاف لان تلك درجة عالية ومعناه صار فقيها قاله الهروي في معرض الاستدلال على ان فقه أنزل من علم وفي حديث سلمان انه قال وقد سألته امرأة فجاءته فقهت أي فهمت كالمتعجب من فهم المرأة عنه واذا قيل فلان لا يفقه شيأ كان أذم في العرف من قولك فلان لا يعلم شيأ وكأن معنى قولك لا يفقه شيأ ليست له أهلية لفهم وان فهم وأما قولك لا يعلم شيأ فغايته نفي حصول العلم له وقد يكون له أهلية الفهم والعلم لو تعلم والذي يدل على أن التارك للفكرة في نفسه أجهل وأسوأ حالا من التارك للفكرة في غيره قوله تعالى وفي الارض آيات للموقنين وفي أنفسكم أفلا تبصرون فخص التبصر في النفس بعد اندراجها فيما في الارض من الآيات وأنكر على من لا يتبصر في نفسه انكارا مستأنفا وقولنا في ادراج الكلام انه نفي العلم عن أحد الفريقين ونفي الفقه عن الآخر يعني بطريق التعريض حيث خص العلم بالآيات المفصلة والتفقه فيها بقوم فأشعر أن قوما غيرهم لا علم عندهم ولا فقه والله الموفق فتأمل هذا الفصل وان طال بعض الطول فالنظر في الجنس غير مملول

ذلك تقدير العزيز العليم وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر قد فصلنا الآيات لقوم يعلمون وهو الذي أنشأكم من نفس واحدة فمستقر ومستودع قد فصلنا الآيات لقوم يفقهون وهو الذي أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شئ فأخرجنا منه خضرا نخرج منه حبا متراكبا ومن النخل من طلعها قنوان دانية

الاصباح كما تقول انه قادر عالم فلا تقصد زمانا دون زمان والجر عطف على لفظ الليل والرفع على الابتداء والخبر محذوف تقديره والشمس والقمر مجعولان حسبانا أو محسوبان حسبانا ومعنى جعل الشمس والقمر حسبانا جعلهما على حسبان لان حسبان الاوقات يدور بدورهما وسيرهما والحسبان بالضم مصدر حسب كما أن الحسبان بالكسر مصدر حسب ونظيره الكفران والشكران (ذلك) اشارة الى جعلهما حسبانا أي ذلك التسيير بالحساب المعلوم (تقدير العزيز) الذي قهرهما وسخرهما (العليم) بتدبيرهما وتدويرهما (في ظلمات البر والبحر) في ظلمات الليل بالبر والبحر وأضافها اليهما للملابسة أو شبه مشتبهات الطرق بالظلمات * من فتح قاف المستقر كان المستودع اسم مكان مثله أو مصدرا ومن كسرها كان اسم فاعل والمستودع اسم مفعول والمعنى فلكم مستقر في الرحم ومستودع في الصلب أو مستقر فوق الارض ومستودع تحتها أو فمنكم مستقر ومنكم مستودع (فان قلت) لم قيل (يعلمون) مع ذكر النجوم و(يفقهون) مع ذكر انشاء بني آدم (قلت) كان انشاء الانس من نفس واحدة وتصريفهم بين أحوال مختلفة ألطف وأدق صنعة وتدبيرا فكان ذكر الفقه الذي هو استعمال فطنة وتدقيق نظر مطابقا له (فأخرجنا به) بالماء (نبات كل شئ) نبت كل صنف من أصناف النامي يعني أن السبب واحد وهو الماء والمسببات صنوف مفتنة كما قال تسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الاكل (فأخرجنا منه) من النبات (خضرا) شيأ غضا أخضر يقال أخضر وخضر كأعور وعور وهو ما تشعب من أصل النبات الخارج من الحبة (نخرج منه) من الخضر (حبا متراكبا) وهو السنبل و(قنوان) رفع بالابتداء ومن النخل خبره ومن طلعها بدل منه كأنه قيل وحاصلة من طلع النخل قنوان ويجوز أن يكون الخبر محذوفا لدلالة أخرجنا عليه تقديره ومخرجة من طلع النخل قنوان ومن قرأ يخرج منه حب متراكب كان قنوان عنده معطوفا على حب والقنوان جمع قنو ونظيره صنو وصنوان وقرئ بضم القاف وبفتحها على انه اسم جمع كركب لان فعلان ليس من زيادات التكسير (دانية) سهلة المجتنى معرضة للقاطف كالشئ الداني القريب المتناول ولان النخلة وان كانت صغيرة ينالها القاعد فانها تأتي بالثمر لا تنتظر الطول وقال الحسن دانية قريب بعضها من بعض وقيل ذكر القريبة وترك ذكر البعيدة

وجنات من أعناب والزيتون والرمان مشتبها وغير متشابه انظروا الى ثمره اذا أثمر وينعه ان في ذلكم لآيات لقوم يؤمنون وجعلوا لله شركاء الجن وخلقهم وخرقوا له بنين وبنات بغير علم سبحانه وتعالى عما يصفون بديع السموات والأرض أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة وخلق كل شئ وهو بكل شئ عليم ذلكم الله ربكم لا اله الا هو خالق كل شئ فاعبدوه وهو على كل شئ وكيل لا تدركه الابصار

لأن النعمة فيها أظهر وأدل بذكر القريبة على ذكر البعيدة كقوله سرابيل تقيكم الحر وقوله (وجنات من أعناب) فيه وجهان أحدهما أن يراد وثم جنات من أعناب أي مع النخل والثاني أن يعطف على قنوان على معنى وحاصلة أو ومخرجة من النخل قنوان وجنات من أعناب أي من نبات أعناب وقرئ وجنات بالنصب عطفا على نبات كل شئ أي وأخرجنا به جنات من أعناب وكذلك قوله (والزيتون والرمان) والأحسن أن ينتصبا على الاختصاص كقوله والمقيمين الصلاة لفضل هذين الصنفين (مشتبها وغير متشابه) يقال اشتبه الشيئان وتشابها كقولك استويا وتساويا والافتعال والتفاعل يشتركان كثيرا وقرئ متشابها وغير متشابه وتقديره والزيتون متشابها وغير متشابه والرمان كذلك كقوله كنت منه ووالدي بريا والمعنى بعضه متشابها وبعضه غير متشابه في القدر واللون والطعم وذلك دليل على التعمد دون الاهمال (انظروا الى ثمره اذا أثمر) اذا أخرج ثمره كيف يخرجه ضئيلا ضعيفا لا يكاد ينتفع به وانظروا الى حال ينعه ونضجه كيف يعود شيأ جامعا للمنافع وملاذا نظر اعتبار واستبصار واستدلال على قدرة مقدره ومدبره وناقله من حال الى حال وقرئ وينعه بالضم يقال ينعت الثمرة ينعا وينعا وقرأ ابن محيصن ويانعه وقرئ وثمره بالضم ❊ ان جعلت (لله شركاء) مفعولي جعلوا نصبت الجن بدلا من شركاء وان جعلت لله لغوا كان شركاء الجن مفعولين قدم ثانيهما على الأول (فان قلت) فما فائدة التقديم (قلت) فائدته استعظام أن يتخذ لله شريك من كان ملكا أو جنيا أو انسيا أو غير ذلك ولذلك قدم اسم الله على الشركاء ❊ وقرئ الجن بالرفع كأنه قيل من هم فقيل الجن وبالجر على الاضافة التي للتبيين والمعنى أشركوهم في عبادته لأنهم أطاعوهم كما يطاع الله وقيل هم الذين زعموا أن الله خالق الخير وكل نافع وابليس خالق الشر وكل ضار (وخلقهم) وخلق الجاعلين لله شركاء ومعناه وعلموا أن الله خالقهم دون الجن ولم يمنعهم علمهم أن يتخذوا من لا يخلق شريكا للخالق وقيل الضمير للجن وقرئ وخلقهم أي اختلاقهم الافك يعني وجعلوا لله خلقهم حيث نسبوا قبائحهم الى الله في قولهم والله أمرنا بها (وخرقوا له) وخلقوا له أي افتعلوا له (بنين وبنات) وهو قول أهل الكتابين في المسيح وعزير وقول قريش في الملائكة يقال خلق الافك وخرقه واختلقه واخترقه بمعنى وسئل الحسن عنه فقال كلمة عربية كانت العرب تقولها كان الرجل اذا كذب كذبة في نادي القوم يقول له بعضهم قد خرقها والله ويجوز أن يكون من خرق الثوب اذا شقه أي اشتقوا له بنين وبنات وقرئ وخرقوا بالتشديد للتكثير لقوله بنين وبنات وقرأ ابن عمر وابن عباس رضي الله عنهما وحرفوا له بمعنى وزوروا له أولادا لأن المزور محرف مغير للحق الى الباطل (بغير علم) من غير أن يعلموا حقيقة ما قالوه من خطأ أو صواب ولكن رميا بقول عن عمى وجهالة من غير فكر وروية (بديع السموات) من اضافة الصفة المشبهة الى فاعلها كقولك فلان بديع الشعر أي بديع شعره أو هو بديع في السموات والأرض كقولك فلان ثبت الغدر أي ثابت فيه والمعنى أنه عديم النظير والمثل فيها وقيل البديع بمعنى المبدع وارتفاعه على أنه خبر مبتدأ محذوف أو هو مبتدأ وخبره (أنى يكون له ولد) أو فاعل تعالى وقرئ بالجر ردا على قوله وجعلوا لله أو على سبحانه وبالنصب على المدح وفيه ابطال الولد من ثلاثة أوجه أحدها أن مبتدع السموات والأرض وهي أجسام عظيمة لا يستقيم أن يوصف بالولادة لأن الولادة من صفات الأجسام ومخترع الأجسام لا يكون جسما حتى يكون والدا والثاني أن الولادة لا تكون الا بين زوجين من جنس واحد وهو متعال عن مجانس فلم يصح أن تكون له صاحبة فلم تصح الولادة والثالث أنه ما من شئ الا وهو خالقه والعالم به ومن كان بهذه الصفة كان غنيا عن كل شئ والولد انما يطلبه المحتاج ❊ وقرئ ولم يكن له صاحبة بالياء وانما جاز للفصل كقوله لقد ولد الأخيطل أم سوء ❊ (ذلكم) اشارة الى الموصوف بما تقدم من الصفات وهو مبتدأ وما بعده أخبار مترادفة وهي (الله ربكم لا اله الا هو خالق كل شئ) أي ذلكم الجامع لهذه الصفات (فاعبدوه) مسبب عن مضمون الجملة على معنى أن من استجمعت له هذه الصفات كان هو الحقيق بالعبادة فاعبدوه ولا تعبدوا من دونه من بعض خلقه ثم قال (وهو على كل شئ وكيل) يعني وهو مع تلك الصفات

مالك

قوله تعالى لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير (قال البصر هو الجوهر اللطيف الذى ركبه الله تعالى فى حاسة النظر به تدرك الخ) قال أحمد وقد سلف الكلام على هذه الآية فى غير موضع الا ان المصنف تعجل الكلام عليها قبل والذى نريده الآن أن الادراك عبارة عن الاحاطة ومنه قولنا أدركه الغرق أى أحاط به وانا لمدركون أى محاط (٤٦٥) بنا فلتنف اذن عن الابصار احاطتها به عز وعلا لا مجرد الرؤية ثم اما ان نقتصر على ان الآية لا تدل على مخالفتنا أو نزيد فنقول بل لنا ان تخصيص الاحاطة بالنفى يشعر بطريق المفهوم بثبوت ما هو أدنى من ذلك

مالك لكل شئ من الارزاق والآجال رقيب على الاعمال ● البصر هو الجوهر اللطيف الذى ركبه الله فى حاسة النظر به تدرك المبصرات فالمعنى أن الابصار لا تتعلق به ولا تدركه لانه متعال أن يكون مبصرا فى ذاته لان الابصار انما تتعلق بما كان فى جهة أصلا أو تابعا كالاجسام والهيآت (وهو يدرك الابصار) وهو للطف ادراكه للمدركات يدرك تلك الجواهر اللطيفة التى لا يدركها مدرك (وهو اللطيف) يلطف عن أن تدركه الابصار (الخبير) بكل لطيف فهو يدرك الابصار لا تلطف عن ادراكه وهذا من باب اللطف (قد جاءكم بصائر من ربكم) هو وارد على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم لقوله وما أنا عليكم بحفيظ والبصيرة نور القلب الذى به يستبصر كما أن البصر نور العين الذى به تبصر أى جاءكم من الوحى والتنبيه على ما يجوز على الله وما لا يجوز ما هو للقلوب كالبصائر (فمن أبصر) الحق وآمن (فلنفسه) أبصر واياها نفع (ومن عمى) عنه فعلى نفسه عمى واياها ضر بالعمى (وما أنا عليكم بحفيظ) أحفظ أعمالكم وأجازيكم عليها انما أنا منذر والله هو الحفيظ عليكم (وليقولوا) جوابه محذوف تقديره وليقولوا درست نصرفها ومعنى (درست) قرأت وتعلمت وقرئ دارست أى دارست العلماء ودرست بمعنى قدمت هذه الآيات وعفت كما قالوا أساطير الاولين ودرست بضم الراء مبالغة فى درست أى اشتد دروسها ودرست على البناء للمفعول بمعنى قرئت أو عفيت ودارست وفسروها بدارست اليهود محمدا صلى الله عليه وسلم وجاز الاضمار لان الشهرة بالدراسة كانت لليهود عندهم ويجوز أن يكون الفعل للآيات وهو لاهلها أى دارس أهل الآيات وحملتها محمدا وهم أهل الكتاب ودرس أى درس محمد ودارسات على هى دارسات أى قديمات أو ذات دروس كعيشة راضية (فان قلت) أى فرق بين اللامين فى ليقولوا ولنبينه (قلت) الفرق بينهما أن الاولى مجاز والثانية حقيقة وذلك أن الآيات صرفت للتبيين ولم تصرف ليقولوا دارست ولكن لانه حصل هذا القول بتصريف الآيات كما حصل التبيين شبه به فسيق مساقه وقيل ليقولوا كما قيل لنبينه (فان قلت) الام يرجع الضمير فى قوله (ولنبينه) (قلت) الى الآيات لانها فى معنى القرآن كأنه قيل وكذلك نصرف القرآن أو الى القرآن وان لم يجر له ذكر لكونه معلوما أو الى التبيين الذى هو مصدر الفعل كقولهم ضربته زيدا ويجوز أن يراد فيمن قرأ درست ودارست درست الكتاب ودارسته فيرجع الى الكتاب المقدر (لا اله الا هو) اعتراض أكد به ايجاب اتباع الوحى لا محل له من الاعراب ويجوز أن يكون حالا من ربك وهى حال مؤكدة كقوله وهو الحق مصدقا (ولا تسبوا) الآلهة (الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله) وذلك أنهم قالوا عند نزول قوله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم لتنتهين عن سب آلهتنا أو لنهجون الهك وقيل كان المسلمون يسبون آلهتهم فنهوا لئلا يكون سبهم سببا لسب الله تعالى (فان قلت) سب الآلهة حق وطاعة فكيف صح النهى عنه وانما يصح النهى عن المعاصى (قلت) رب طاعة علم أنها تكون مفسدة فتخرج عن أن تكون طاعة فيجب النهى عنها لانها معصية لا لانها طاعة كالنهى عن المنكر هو من أجل الطاعات فاذا علم أنه يؤدى الى زيادة الشر انقلب معصية ووجب النهى عن ذلك النهى كما يجب النهى عن المنكر (فان قلت) فقد روى عن الحسن وابن سيرين أنهما حضرا جنازة فرأى محمد نساء فرجع فقال الحسن لو تركنا الطاعة لاجل المعصية لاسرع ذلك فى ديننا (قلت) ليس هذا مما نحن بصدده لان حضور الرجال الجنازة طاعة وليس بسبب لحضور النساء فانهن يحضرنها حضر الرجال أو لم يحضروا بخلاف سب الآلهة وانما خيل الى محمد أنه مثله حتى نبه عليه الحسن (عدوا) ظلما وعدوانا وقرئ عدوا بضم العين وتشديد الواو بمعناه يقال عدا فلان عدوا وعدوا وعدوانا وعداء وعن ابن كثير عدوا بفتح العين

وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير قد جاءكم بصائر من ربكم فمن أبصر فلنفسه ومن عمى فعليها وما أنا عليكم بحفيظ وكذلك نصرف الآيات وليقولوا درست ولنبينه لقوم يعلمون اتبع ما أوحى اليك من ربك لا اله الا هو وأعرض عن المشركين ولو شاء الله ما أشركوا وما جعلناك عليهم حفيظا وما أنت عليهم بوكيل ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا

وأما مجرد الرؤية فانا نقول لا تحيط به الاوهام وان كانت المعرفة بمجردها حاصلة لكل مؤمن فالاحاطة للعقل منفية كنفى الاحاطة للحس وما دون الاحاطة من المعرفة للعقل

والرؤية للحس ثابت غير منفى ولم يذكر الزمخشرى على احالة الرؤية عقلا دليلا ولا شبهة يحتاج الى القدح فيه ثم معارضته بأدلة الجواز ولكنه اقتصر على استبعاد أن يكون المرئى لا فى جهة فيقتصر معه على الزامه استبعاد أن يكون الموجود لا فى جهة اذ اتباع الوهم يبعدهما جميعا والانقياد الى العقل يبطل هذا الوهم ويجيزهما وهذا القدر كاف بحسب ما أورده فى هذا الموضع والله الموفق

* قوله تعالى وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها قل انما الآيات عند الله وما يشعركم أنها اذا جاءت لا يؤمنون (قال معنى ان الله تعالى قادر على أن ينزل الآيات ولكنه لا ينزلها الا على موجب الحكمة الخ) قال أحمد ومحز الطرق في الآية يتضح بمثال فنقول اذا قال لك القائل أكرم فلانا فانه يكافئك وكنت أنت تعلم منه عدم المكافأة فاذا أنكرت على المشير باكرامه قلت وما يدريك اني اذا أكرمته يكافئني فنكرت عليه اثباته المكافأة وأنت تعلم نفيها فان انعكس الامر فقال لك لا تكرمه فانه لا يكافئك وكنت تعلم منه المكافأة فانكرت على المشير بحرمانه قلت وما يدريك انه لا يكافئني تريد أنا أعلم منه المكافأة فكان مقتضى الانكار على المؤمنين الذين آمنوا لعلمهم بأنهم معاندين فاعتقدوا أنهم يؤمنون عند نزول الآية المقترحة أن يقال وما يدريكم انها اذا جاءت لا يؤمنون كما تقول في المثال منكرا على من أثبت المكافأة وأنت تعلم خلافها وما يدريك انه يكافئني باسقاط لا وان أثبتها انعكس المعنى لأن المعلوم لك الثبوت وأنت تنكر على من نفى فلما جاءت الآية تعلمهم أدنى أي ان الله تعالى علم الايمان منهم وأنكر على المؤمنين نفيهم له والوقوع على خلاف ذلك اختلف

يعني أعداء (بغير علم) على جهالة بالله وبما يجب أن يذكر به (كذلك زينا لكل أمة) مثل ذلك التزيين زينا لكل أمة من أمم الكفرة سوء عملهم أي خليناهم وشأنهم ولم نكفهم حتى حسن عندهم سوء عملهم أو أمهلنا الشيطان حتى زين لهم أو زيناه في زعمهم وقولهم ان الله أمرنا بهذا وزينه لنا (فينبئهم) فيوبخهم عليه ويعاتبهم ويعاقبهم (لئن جاءتهم آية) من مقترحاتهم (ليؤمنن بها قل انما الآيات عند الله) وهو قادر عليها ولكنه لا ينزلها الا على موجب الحكمة أو انما الآيات عند الله لا عندي فكيف أجيبكم اليها وآتيكم بها (وما يشعركم) وما يدريكم (أنها) أن الآية التي تقترحونها (اذا جاءت لا يؤمنون) بها يعني أنا أعلم أنها اذا جاءت لا يؤمنون بها وأنتم لا تدرون بذلك وذلك أن المؤمنين كانوا يطمعون في ايمانهم اذا جاءت تلك الآية ويتمنون مجيئها فقال عز وجل وما يدريكم أنهم لا يؤمنون على معنى أنكم لا تدرون ما سبق علمي به من أنهم لا يؤمنون به ألا ترى الى قوله كما لم يؤمنوا به أول مرة وقيل أنها بمعنى لعلها من قول العرب ائت السوق أنك تشتري لحما وقال امرؤ القيس

عوجا على الطلل المحيل لأننا * نبكي الديار كما بكى ابن خذام

وتقويها قراءة أبي لعلها اذا جاءت لا يؤمنون وقرئ بالكسر على أن الكلام قد تم قبله بمعنى وما يشعركم ما يكون منهم ثم أخبرهم بعلمه فيهم فقال انها اذا جاءت لا يؤمنون البتة ومنهم من حمل لا مزيدة في قراءة الفتح وقرئ وما يشعرهم انها اذا جاءتهم لا يؤمنون أي يحلفون بأنهم يؤمنون عند مجيئها وما يشعرهم أن تكون قلوبهم حينئذ كما كانت عند نزول القرآن وغيره من الآيات مطبوعا عليها فلا يؤمنوا بها (ونقلب أفئدتهم ونذرهم) عطف على لا يؤمنون داخل في حكم وما يشعركم بمعنى وما يشعركم أنهم لا يؤمنون وما يشعركم أنا نقلب أفئدتهم وأبصارهم أي نطبع على قلوبهم وأبصارهم فلا يفقهون ولا يبصرون الحق كما كانوا عند نزول آياتنا أولا لا يؤمنون بها لكونهم مطبوعا على قلوبهم وما يشعركم أنا نذرهم في طغيانهم أي نخليهم وشأنهم لا نكفهم عن الطغيان حتى يعمهوا فيه وقرئ ويقلب ويذرهم بالياء أي الله عز وجل وقرأ الأعمش وتقلب أفئدتهم وأبصارهم على البناء للمفعول (ولو أننا نزلنا اليهم الملائكة) كما قالوا لولا أنزل علينا الملائكة (وكلمهم الموتى) كما قالوا فأتوا بآبائنا (وحشرنا عليهم كل شيء قبلا) كما قالوا أو تأتي بالله والملائكة قبيلا قبلا كفلاء بصحة ما بشرنا به وأنذرنا وجمعت وقيل قبلا قبيلة وقرئ قبلا أي عيانا

بغير علم كذلك زينا لكل أمة عملهم ثم الى ربهم مرجعهم فينبئهم بما كانوا يعملون وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها قل انما الآيات عند الله وما يشعركم انها اذا جاءت لا يؤمنون ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة ونذرهم في طغيانهم يعمهون ولو أننا نزلنا اليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلا ما كانوا ليؤمنوا

العلماء في حمل بعضهم لا على زيادة وبعضهم أول أن بمعنى لعل وبعضهم جعل الكلام جواب قسم محذوف وقد تقدم (لا) ان بعد القسم فقال التقدير والله انها اذا جاءت لا يؤمنون وأما الزمخشري فتفطن لبقاء الآية على ظاهرها وقرارها في نصابها من غير حذف ولا تأويل فقال قوله السالف ونحن نوضح اطراده في المثال المذكور ليتضح وجهه في الآية فنقول اذا حرمت زيدا لعلمك بعدم مكافأته فأشير عليك بالاكرام بناء على أن المشير يظن المكافأة فلك معه حالتان حالة تنكر عليه ادعاء العلم بما تعلم خلافه وحالة تعذره في عدم العلم بما أحطت به علما فان أنكرت عليه قلت وما يدريك انه يكافئ وان عذرته في عدم علمه بأنه لا يكافئ قلت وما يدريك انه لا يكافئ يعني ومن أين تعلم أنت ما علمته أنا من عدم مكافأته وأنت لم تخبر أمره خبري فكذلك الآية انما وردت في الكلام اقامة عذر المؤمنين في عدم علمهم بالغيب في علم الله تعالى وهو عدم ايمان هؤلاء فاستقام دخول لا وتعين وتبين ان سبب الاضطراب التباس الانكار باقامة الاعذار والله الموفق للصواب

• قوله تعالى ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلا ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله (قال معناه إلا أن يشاء الله مشيئة إكراه واضطرار) قال أحمد بل المراد إلا أن يشاء الله منهم اختيار الإيمان فإنه تعالى لو شاء منهم اختيارهم للإيمان لاختاروه وآمنوا حتما ما شاء الله كان والزمخشري بنى على القاعدة الفاسدة في اعتقاده أن الله تعالى شاء منهم الإيمان اختيارا فلم يؤمنوا إذ لا يجب على زعمه طاعته بعموم المشيئة ولا يطلقون القول كما أطلقه سلف هذه الأمة وحملة الشريعة منا من (٤٦٧) قولهم ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن

الا أن يشاء الله ولكن أكثرهم يجهلون وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الانس والجن يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا ولو شاء ربك ما فعلوه فذرهم وما يفترون ولتصغى اليه أفئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة وليرضوه وليقترفوا ما هم مقترفون أفغير الله أبتغي حكما وهو الذي أنزل اليكم الكتاب مفصلا والذين آتيناهم الكتاب يعلمون أنه منزل من ربك بالحق فلا تكونن من الممترين وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم وان تطع أكثر من في الارض يضلوك عن سبيل الله ان يتبعون الا الظن وان هم الا يخرصون ان ربك هو أعلم من يضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين فكلوا مما ذكر اسم الله عليه ان كنتم بآياته مؤمنين وما لكم ألا

(الا أن يشاء الله) مشيئة اكراه واضطرار (ولكن أكثرهم يجهلون) فيقسمون بالله جهد أيمانهم على ما لا يشعرون من حال قلوبهم عند نزول الآيات أو ولكن أكثر المسلمين يجهلون أن هؤلاء لا يؤمنون الا أن يضطرهم فيطمعون في ايمانهم اذا جاءت الآية المقترحة (وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا) وكما جعلنا لك ونبي عدا لك كذلك جعلنا لمن قبلك من الانبياء وأعداءهم لم نمنعهم من العداوة لما فيه من الامتحان الذي هو سبب ظهور الثبات والصبر وكثرة الثواب والاجر • انتصب (شياطين) على البدل من عدوا أو على أنه مفعول أول كقوله وجعلوا لله شركاء الجن (يوحي بعضهم الى بعض) يوسوس شياطين الجن الى شياطين الانس وكذلك بعض الجن الى بعض وبعض الانس الى بعض وعن مالك بن دينار ان شيطان الانس أشد علي من شيطان الجن لاني اذا تعوذت بالله ذهب شيطان الجن عني وشيطان الانس يجيئني فيجرني الى المعاصي عيانا (زخرف القول) ما زينه من القول والوسوسة والاغراء على المعاصي ويموهه (غرورا) خدعا وأخذا على غرة (ولو شاء ربك ما فعلوه) ما فعلوا ذلك أي ما عادوك أو ما أوحى بعضهم الى بعض زخرف القول بأن يكفهم ولا يخليهم وشأنهم (ولتصغى) جوابه محذوف تقديره وليكون ذلك جعلنا لكل نبي عدوا على أن اللام لام الصيرورة وتحقيقها ما ذكر والضمير في (اليه) يرجع الى ما رجع اليه الضمير في فعلوه أي ولتميل الى ما ذكر من عداوة الانبياء ووسوسة الشياطين (أفئدة) الكفار (وليرضوه) لانفسهم (وليقترفوا ما هم مقترفون) من الآثام (أفغير الله أبتغي حكما) على ارادة القول أي قل يا محمد أفغير الله أطلب حاكما يحكم بيني وبينكم ويفصل المحق منا من المبطل (وهو الذي أنزل اليكم الكتاب) المعجز (مفصلا) مبينا فيه الفصل بين الحق والباطل والشهادة لي بالصدق وعليكم بالافتراء • ثم عضد الدلالة على أن القرآن حق بعلم أهل الكتاب أنه حق لتصديقه ما عندهم وموافقته له (فلا تكونن من الممترين) من باب التهييج والالهاب كقوله تعالى ولا تكونن من المشركين أو فلا تكونن من الممترين في أن أهل الكتاب يعلمون أنه منزل بالحق ولا يريبك جحود أكثرهم وكفرهم به ويجوز أن يكون فلا تكونن خطابا لكل أحد على معنى انه اذا تعاضدت الادلة على صحته وصدقه فما ينبغي أن يمتري فيه أحد وقيل الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم خطاب للامة (وتمت كلمات ربك) أي تم كل ما أخبر به وأمر ونهى ووعد وأوعد (صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته) لا أحد يبدل شيئا من ذلك مما هو أصدق وأعدل وصدقا وعدلا نصب على الحال وقرئ كلمة ربك أي ما تكلم به وقيل هي القرآن (وان تطع أكثر من في الارض) من الناس أضلوك لان الاكثر في غالب الامر يتبعون هواهم ثم قال (ان يتبعون الا الظن) وهو ظنهم أن آباءهم كانوا على الحق فهم يقلدونهم (وان هم الا يخرصون) يقدرون أنهم على شيء أو يكذبون في أن الله حرم كذا وأحل كذا • وقرئ من يضل بضم الياء أي يضله الله (فكلوا) مسبب عن انكار اتباع المضلين الذين يحلون الحرام ويحرمون الحلال وذلك أنهم كانوا يقولون للمسلمين انكم تزعمون انكم تعبدون الله فما قتل الله أحق أن تأكلوا مما قتلتم أنتم فقيل للمسلمين ان كنتم متحققين بالايمان فكلوا (مما ذكر اسم الله عليه) خاصة دون ما ذكر عليه اسم غيره من آلهتهم أو مات حتف أنفه وما ذكر اسم الله عليه هو المذكى ببسم الله (وما لكم ألا تأكلوا) وأي غرض لكم في أن لا تأكلوا (وقد فصل لكم) وقد بين لكم (ما حرم عليكم) مما لم يحرم وهو قوله حرمت عليكم الميتة وقرئ فصل لكم ما حرم عليكم على تسمية الفاعل وهو

تأكلوا مما ذكر اسم الله عليه وقد فصل لكم ما حرم عليكم

بل يقولون ان أكثر ما شاءه لم يقع وهو الايمان والصلاح من جميع الخلق فلم يؤمن ويعمل الصالح الا القليل وقليل ما هم وهذا كله مما يتعالى الله عنه علوا كبيرا فاذا صدمهم مثل هذه الآية بادروا الى تحميلها الى المدافعة بحمل المشيئة المنفية على مشيئة القسر والاضطرار وغاية همهم ذلك ان لو كان القرآن يتبع الآراء وأما وهو القدوة والمتبوع فما خالفه حينئذ زحزح عنه فالى النار وما بعد الحق الا الضلال والله

الموفق للصواب * قوله تعالى ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وانه لفسق (قال ان قلت قد ذهب جماعة من المجتهدين الى جواز أكل ما لم يذكر اسم الله عليه بنسيان أو عمد الخ) قال أحمد مذهب مالك وأبي حنيفة سواء في ان متروك التسمية عمدا لا يؤكل سواء كان تهاونا أو غير تهاون والاشهر قول شذ بجواز غير المتهاون في ترك تسميته والآية تساعد مذهب الامامين مساعدة بينة فانه ذكر عقيب غير المسمى عليه قوله وانه لفسق وذلك ان كان عبارة عن فعل المكلف وهو اهمال التسمية أو تسمية غير الله فلا يدخل النسيان لان الناسي غير مكلف فلا يكون فعله فسقا ولا هو فسق وان كان من الفسق الذبيحة التي لم يسم عليها ولم يكن مصدرا كما سميت الذبيحة فسقا فلا بد من نقل الاسم من المصدر الى الذات فالذبيحة التي تركت التسمية عليها نسيانا لا يصح ان تسمى فسقا اذ الفعل الذي ينقل منه هذا الاسم ليس بفسق فاذا تمهد ذلك فاما أن يقول لا دليل في الآية على تحريم منسي التسمية فيبقى على أصل الاباحة أو يقول فيها دليل على اباحته من حيث مفهوم تخصيص النهي عما هو فسق فما ليس بفسق ليس بحرام وهذا المفهوم يستدام لم تكن الميتة متناولة في هذه الآية وأما اذا ثبت اندراجها فقد تعين صرف الفسق الى (٤٦٨) الأكل والمأكول وكان الضمير من قوله وانه عائدا الى المصدر المنهي عنه أو الى الموصول

الا ما اضطررتم اليه وان كثيرا ليضلون بأهوائهم بغير علم ان ربك هو أعلم بالمعتدين وذروا ظاهر الاثم وباطنه ان الذين يكسبون الاثم سيجزون بما كانوا يقترفون ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وانه لفسق وان الشياطين ليوحون الى أوليائهم ليجادلوكم وان أطعتموهم انكم لمشركون أومن كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها كذلك زين للكافرين ما كانوا يعملون وكذلك جعلنا في كل قرية أكابر مجرميها ليمكروا فيها

الله عز وجل (الا ما اضطررتم اليه) مما حرم عليكم فانه حلال لكم في حال الضرورة (وان كثيرا ليضلون) قرئ بفتح الياء وضمها أي يضلون فيحرمون ويحللون (بأهوائهم) وشهواتهم من غير تعلق بشريعة (ظاهر الاثم وباطنه) ما أعلنتم منه وما أسررتم وقيل ما عملتم وما نويتم وقيل ظاهره الزنا في الحوانيت وباطنه الصديقة في السر (وانه لفسق) الضمير راجع الى مصدر الفعل الذي دخل عليه حرف النهي يعني وان الأكل منه لفسق والى الموصول على وان أكله لفسق أو جعل ما لم يذكر اسم الله عليه في نفسه فسقا (فان قلت) قد ذهب جماعة من المجتهدين الى جواز أكل ما لم يذكر اسم الله عليه بنسيان أو عمد (قلت) قد تأوله هؤلاء بالميتة وبما ذكر غير اسم الله عليه كقوله أو فسقا أهل لغير الله به (ليوحون) ليوسوسون (الى أوليائهم) من المشركين (ليجادلوكم) بقولهم ولا تأكلون مما قتله الله وبهذا يرجح تأويل من تأوله بالميتة (انكم لمشركون) لان من اتبع غير الله تعالى في دينه فقد أشرك به ومن حق ذي البصيرة في دينه أن لا يأكل مما لم يذكر اسم الله عليه كيفما كان لما يرى في الآية من التشديد العظيم وان كان أبو حنيفة رحمه الله مرخصا في النسيان دون العمد ومالك والشافعي رحمهما الله فيهما * مثل الذي هداه الله بعد الضلالة ومنحه التوفيق لليقين الذي يميز به بين المحق والمبطل والمهتدي والضال بمن كان ميتا فأحياه الله وجعل له نورا يمشي به في الناس مستضيئا به فيميز بعضهم من بعض ويفصل بين حلاهم ومن بقي على الضلالة بالخابط في الظلمات لا ينفك منها ولا يتخلص ومعنى قوله (كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها) كمن صفته هذه وهي قوله في الظلمات ليس بخارج منها بمعنى هو في الظلمات ليس بخارج منها كقوله تعالى مثل الجنة التي وعد المتقون فيها أنهار أي صفتها هذه وهي قوله فيها أنهار (زين للكافرين) أي زينه الشيطان أو الله عز وجل على قوله زينا لهم أعمالهم ويدل عليه قوله (وكذلك جعلنا في كل قرية أكابر مجرميها) يعني وكما جعلنا في مكة صناديدها ليمكروا فيها كذلك جعلنا في كل قرية أكابر مجرميها لذلك ومعناه خليناهم ليمكروا وما كففناهم عن المكر وخص الأكابر لانهم هم الحاملون على الضلال والماكرون بالناس كقوله أمرنا مترفيها وقرئ أكبر مجرميها على قولك هم أكبر قومهم

وحينئذ يندرج المنسي في النهي ولا يستقيم على ان الميتة مندرجة كاندراج المنسي لان الوجه الذي به تندرج الميتة هو الوجه الذي به يندرج المنسي اذ يكون الفسق اما الأكل واما المأكول نقلا من الأكل ولا ينصرف الى غير ذلك لان الميتة لم يفعل المكلف فيها فعلا يسمى فسقا سوى الأكل والمنسي تسميته لا يستقيم ان يسمى الفعل فيها فسقا لاجل النسيان فيتعين صرفه الى الأكل ومن ثم قوي عند الزمخشري تعميم التحريم حتى في المنسي لانه يرى ان الميتة مرادة من الآية ولا بد اذ هي سبب نزول الآية والتحقيق ان العام الظاهر متى ورد على سبب خاص كان تناوله للسبب ظاهرا باقيا على ظهوره فيما عداه واذا ثبت اندراج الميتة لزم اندراج المنسي تقدم وحينئذ يضطر مع المنسي الى مخصص فيتمسك بقوله عليه الصلاة والسلام ذكر الله على قلب كل مؤمن سمى أو لم يسم وكان الناسي ذاكرا حكما وان لم يكن ذاكرا وجودا وهذا عند التحقيق ليس تخصيصا ولكن منع لاندراج الناسي في العموم وسنده الحديث المذكور ويؤيد بأن العام الوارد على سبب خاص وان قوي تناوله للسبب حتى ينهض الظاهر فيه نصا الا انه ضعيف التناول لما عداه حتى ينحط عن أعالي الظواهر فيه ويكتفى من معارضته بما لا يكتفى به منه لولا السبب وهذا البحث متطلع منه على نكت بديعة والله الموفق للصواب * قوله تعالى قال النار مثواكم خالدين فيها الا ما شاء الله ان ربك حكيم عليم

وما يمكرون إلا بأنفسهم وما يشعرون وإذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما أوتي رسل الله الله أعلم حيث يجعل رسالته سيصيب الذين أجرموا صغار عند الله وعذاب شديد بما كانوا يمكرون فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد في السماء كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون وهذا صراط ربك مستقيما قد فصلنا الآيات لقوم يذكرون لهم دار السلام عند ربهم وهو وليهم بما كانوا يعملون ويوم يحشرهم جميعا يا معشر الجن قد استكثرتم من الإنس وقال أولياؤهم من الإنس ربنا استمتع بعضنا ببعض وبلغنا أجلنا الذي أجلت لنا قال النار مثواكم خالدين فيها إلا ما شاء الله

أكابر قومهم (وما يمكرون إلا بأنفسهم) لأن مكرهم يحيق بهم وهذه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتقدم إليه بالنصرة عليهم ❊ وروي أن الوليد بن المغيرة قال لو كانت النبوة حقا لكنت أولى بها منك لأني أكبر منك سنا وأكثر منك مالا ❊ وروي أن أبا جهل قال زاحمنا بني عبد مناف في الشرف حتى إذا صرنا كفرسي رهان قالوا منا نبي يوحى إليه والله لا نرضى به ولا نتبعه أبدا إلا أن يأتينا وحي كما يأتيه فنزلت ونحوها قوله تعالى بل يريد كل امرئ منهم أن يؤتى صحفا منشرة (الله أعلم) كلام مستأنف للإنكار عليهم وأن لا يصطفى للنبوة إلا من علم أنه يصلح لها وهو أعلم بالمكان الذي يضعها فيه منهم (سيصيب الذين أجرموا) من أكابرها (صغار) وقماءة بعد كبرهم وعظمتهم (وعذاب شديد) في الدارين من الأسر والقتل وعذاب النار (فمن يرد الله أن يهديه) أن يلطف به ولا يريد أن يلطف إلا بمن له لطف (يشرح صدره للإسلام) يلطف به حتى يرغب في الإسلام وتسكن إليه نفسه ويحب الدخول فيه (ومن يرد أن يضله) أن يخذله ويخليه وشأنه وهو الذي لا لطف له (يجعل صدره ضيقا حرجا) يمنعه ألطافه حتى يقسو قلبه وينبو عن قبول الحق وينسد فلا يدخله الإيمان وقرئ ضيقا بالتخفيف والتشديد حرجا بالكسر وحرجا بالفتح وصفا بالمصدر (كأنما يصعد في السماء) كأنما يزاول أمرا غير ممكن لأن صعود السماء مثل فيما يمتنع ويبعد من الاستطاعة وتضيق عنه المقدرة وقرئ يصعد وأصله يتصعد وقرأ عبد الله يتصعد ويصاعد وأصله يتصاعد ويصعد من صعد ويصعد من أصعد (يجعل الله الرجس) يعني الخذلان ومنع التوفيق وصفه بنقيض ما يوصف به التوفيق من الطيب أو أراد الفعل المؤدي إلى الرجس وهو العذاب من الارتجاس وهو الاضطراب (وهذا صراط ربك) وهذا طريقه الذي اقتضته الحكمة وعادته في التوفيق والخذلان (مستقيما) عادلا مطردا وانتصابه على أنه حال مؤكدة كقوله وهو الحق مصدقا (لهم) لقوم يذكرون (دار السلام) دار الله يعني الجنة أضافها إلى نفسه تعظيما لها أو دار السلامة من كل آفة وكدر (عند ربهم) في ضمانه كما تقول لفلان عندي حق لا ينسى أو ذخيرة لهم لا يعلمون كنهها كقوله فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين (وهو وليهم) مواليهم ومحبهم أو ناصرهم على أعدائهم (بما كانوا يعملون) بسبب أعمالهم أو متوليهم بجزاء ما كانوا يعملون (ويوم يحشرهم) منصوب بمحذوف أي واذكر يوم يحشرهم أو ويوم يحشرهم قلنا (يا معشر الجن) أو ويوم نحشرهم وقلنا يا معشر الجن كان ما لا يوصف لفظاعته والضمير لمن يحشر من الثقلين وغيرهم والجن هم الشياطين (قد استكثرتم من الإنس) أضللتم منهم كثيرا أو جعلتموهم أتباعكم فحشر معكم منهم الجم الغفير كما تقول استكثر الأمير من الجنود واستكثر فلان من الأشياع (وقال أولياؤهم من الإنس) الذين أطاعوهم واستمعوا إلى وسوستهم (ربنا استمتع بعضنا ببعض) أي انتفع الإنس بالشياطين حيث دلوهم على الشهوات وعلى أسباب التوصل إليها وانتفع الجن بالإنس حيث أطاعوهم وساعدوهم على مرادهم وشهوتهم في إغوائهم وقيل استمتاع الإنس بالجن ما في قوله وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن وأن الرجل كان إذا نزل واديا وخاف قال أعوذ برب هذا الوادي يعني به كبير الجن واستمتاع الجن بالإنس اعتراف الإنس لهم بأنهم يقدرون على الدفع عنهم وإجارتهم لهم (وبلغنا أجلنا الذي أجلت لنا) يعنون يوم البعث وهذا الكلام اعتراف بما كان منهم من طاعة الشياطين واتباع الهوى والتكذيب بالبعث واستسلام لربهم وتحسر على حالهم (خالدين فيها إلا ما شاء الله) أي يخلدون في عذاب النار الأبد كله إلا ما شاء الله إلا الأوقات التي

(قال معنى هذا الاستثناء أنهم يخلدون في عذاب النار الأبد كله الخ) قال أحمد قد ثبت خلود الكفار في العذاب ثبوتا قطعيا فمن ثم اعتنى العلماء بالكلام على الاستثناء في هذه الآية وفي أختها في سورة هود فذهب بعضهم إلى أنها شاملة لعصاة الموحدين وللكفار والمستثنى العصاة لأنهم لا يخلدون وهذا تأويل أهل السنة وقد غلط الزمخشري في إنكاره في آية (٤٦٩) هود وتناهى إلى ما نعوذ بالله منه فقدح في عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه راوي حديث إنشاء هذا التأويل ونحن نبرأ إلى الله تعالى من القدح في مثل عبد الله وهو من جلة الصحابة رضوان الله عليهم وفقهائهم وزهادهم وذهب بعضهم إلى أن هذا الاستثناء محدود بمشيئة رفع العذاب أي يخلدون إلا أن يشاء الله لو شاء وفائدته إظهار القدرة والإعلان بأن خلودهم إنما كان لأن الله تعالى قد شاءه وكان من الجائز العقلي في مشيئته أن لا يعذبهم ولو عذبهم لا يخلدهم وأن ذلك ليس بأمر واجب عليه وإنما هو مقتضى مشيئته وإرادته عز وجل وفيما على هذا الوجه دفع في صدر المعتزلة الذين يزعمون أن تخليد

الكفار واجب على الله تعالى بمقتضى الحكمة وانه لا يجوز في العقل ان يشاء خلاف ذلك وذهب الزجاج الى وجه لطيف انما يظهر بالبسط فقال المراد والله أعلم الا ما شاء من زيادة العذاب ولم يبين وجه استقامة الاستثناء والمستثنى على هذا التأويل لم يغاير المستثنى منه في الحكم ونحن نبينه فنقول العذاب والعياذ (٤٧٠) بالله على درجات متفاوتة فكأن المراد انهم مخلدون في جنس العذاب الا ما شاء ربك من زيادة تبلغ الغاية وتنتهي الى أقصى النهاية حتى تكاد لبلوغها الغاية ومباينتها نوع العذاب في الشدة تعد ليس من

إن ربك حكيم عليم وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا بما كانوا يكسبون يا معشر الجن والإنس ألم يأتكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا شهدنا على أنفسنا وغرتهم الحياة الدنيا وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين ذلك أن لم يكن ربك مهلك القرى بظلم وأهلها غافلون ولكل درجات مما عملوا وما ربك بغافل عما تعملون وربك الغني ذو الرحمة إن يشأ يذهبكم ويستخلف من بعدكم ما يشاء كما أنشأكم من ذرية قوم آخرين إن ما توعدون لآت وما أنتم بمعجزين قل يا قوم

ينقلون فيها من عذاب النار الى عذاب الزمهرير فقد روي أنهم يدخلون واديا فيه من الزمهرير ما يميز بعض أوصالهم من بعض فيتعاوون ويطلبون الرد الى الجحيم أو يكون من قول الموتور الذي ظفر بواتره ولم يزل يحرق عليه أنيابه وقد طلب اليه أن ينفس عن خناقه أهلكني الله ان نفست عنك الا اذا شئت وقد علم أنه لا يشاء الا التشفي منه بأقصى ما يقدر عليه من التعنيف والتشديد فيكون قوله الا اذا شئت من أشد الوعيد مع تهكم بالموعد لخروجه في صورة الاستثناء الذي فيه اطماع (ان ربك حكيم) لا يعمل شيئا الا بموجب الحكمة (عليم) بأن الكفار يستوجبون عذاب الابد (وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا) نخليهم حتى يتولى بعضهم بعضا كما فعل الشياطين وغواة الانس أو يجعل بعضهم أولياء بعض يوم القيامة وقرناءهم كما كانوا في الدنيا (بما كانوا يكسبون) بسبب ما كسبوا من الكفر والمعاصي * ثم يقال لهم يوم القيامة على جهة التوبيخ (ألم يأتكم رسل منكم) واختلف في أن الجن هل بعث اليهم رسل منهم فتعلق بعضهم بظاهر الآية ولم يفرق بين مكلفين ومكلفين أن يبعث اليهم رسول من جنسهم لانهم به آنس وله آلف وقال آخرون الرسل من الانس خاصة وانما قيل رسل منكم لانه لما جمع الثقلان في الخطاب صح ذلك وان كان من أحدهما كقوله يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان وقيل أراد رسل الرسل من الجن اليهم كقوله تعالى ولوا الى قومهم منذرين وعن الكلبي كانت الرسل قبل أن يبعث محمد صلى الله عليه وسلم يبعثون الى الانس ورسول الله صلى الله عليه وسلم بعث الى الانس والجن (قالوا شهدنا على أنفسنا) حكاية لتصديقهم وايجابهم قوله ألم يأتكم لان الهمزة الداخلة على نفي اتيان الرسل للانكار فكان تقريرا لهم وقولهم شهدنا على أنفسنا اقرار منهم بأن حجة الله لازمة لهم وأنهم محجوجون بها (فان قلت) ما لهم مقرين في هذه الآية جاحدين في قوله والله ربنا ما كنا مشركين (قلت) تتفاوت الاحوال والمواطن في ذلك اليوم المتطاول فيقرون في بعضها ويجحدون في بعضها أو أريد شهادة أيديهم وأرجلهم وجلودهم حين يختم على أفواههم (فان قلت) لم كرر ذكر شهادتهم على أنفسهم (قلت) الاولى حكاية لقولهم كيف يقولون ويعترفون والثانية ذم لهم وتخطئة لرأيهم ووصف لقلة نظرهم لانفسهم وأنهم قوم غرتهم الحياة الدنيا واللذات الحاضرة وكان عاقبة أمرهم أن اضطروا الى الشهادة على أنفسهم بالكفر والاستسلام لربهم واستيجاب عذابه وانما قال ذلك تحذيرا للسامعين من مثل حالهم (ذلك) اشارة الى ما تقدم من بعثة الرسل اليهم وانذارهم سوء العاقبة وهو خبر مبتدأ محذوف أي الامر ذلك (أن لم يكن ربك مهلك القرى) تعليل أي الامر ما قصصناه عليك لانتفاء كون ربك مهلك القرى بظلم على أن أن هي التي تنصب الافعال ويجوز أن تكون مخففة من الثقيلة على معنى لان الشأن والحديث لم يكن ربك مهلك القرى بظلم ولك أن تجعله بدلا من ذلك كقوله وقضينا اليه ذلك الامر أن دابر هؤلاء مقطوع (بظلم) بسبب ظلم قدموا عليه أو ظالما على أنه لو أهلكهم وهم غافلون لم ينبهوا برسول وكتاب لكان ظالما وهو متعال عن الظلم وعن كل قبيح (ولكل) من المكلفين (درجات) منازل (مما عملوا) من جزاء أعمالهم (وما ربك بغافل عما تعملون) بساه عنه يخفى عليه مقاديره وأحواله وما يستحق عليه من الاجر (وربك الغني) عن عباده وعن عبادتهم (ذو الرحمة) يترحم عليهم بالتكليف ليعرضهم للمنافع الدائمة (ان يشأ يذهبكم) أيها العصاة (ويستخلف من بعدكم ما يشاء) من الخلق المطيع (كما أنشأكم من ذرية قوم آخرين) من أولاد قوم آخرين لم يكونوا على مثل صفتكم وهم أهل سفينة نوح عليه السلام المكانة تكون مصدرا يقال مكن مكانة اذا تمكن أبلغ التمكن وبمعنى المكان يقال مكان ومكانة ومقام ومقامة وقوله

جنس العذاب وخارجة عنه والشيء اذا بلغ الغاية عندهم عبروا عنه بالضد كما تقدم في التعبير عن كثرة الفعل برب وقد وهما موضوعان لاصغر الكثرة من العدد وذلك أمر يتداوله العرب وقد جاء أبو الطيب حوله فقال لقد جدت حتى (اعملوا كاد يجهل حاتم * الى المنتهى ومن السرور بكاد فكان هؤلاء اذا بلغوا الى غاية العذاب ونهاية الشدة وقد وصلوا الى الحد الذي يكاد أن يخرج من اسم العذاب بالمطلق حتى يسوغ معاملته في التعبير معاملة المغاير وهو وجه حسن لا يكاد يفهم من كلام الزجاج الا بعد هذا

البسط وفي تفسير ابن عباس رضي الله عنه ما يؤيده والله الموفق * قوله تعالى وكذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركاؤهم الآية (قال المعنى أن شركاءهم من الشياطين أو من سدنة الأصنام زينوا لهم قتل أولادهم الخ) قال أحمد رحمه الله لقد ركب المصنف في هذا الفصل متن عمياء وتاه في تيهاء وأنا أبرأ إلى الله وأبرئ حملة كتابه وحفظة كلامه مما رماهم به فإنه تخيل أن القراء أئمة الوجوه السبعة اختار كل منهم حرفا قرأ به اجتهادا لا نقلا وسماعا فلذلك غلط ابن عامر في قراءته هذه وأخذ يبين أن وجه غلطه رؤيته الياء ثابتة في شركائهم فاستدل بذلك على أنه مجرور وتعين عنده نصب أولادهم بالقياس إذ لا يضاف المصدر إلى أمرين معا فقرأه منصوبا قال المصنف وكانت له مندوحة عن نصبه إلى جره بالإضافة وإبدال الشركاء منه وكان ذلك أولى لمقاربته يعني ابن عامر من الفصل بين المضاف والمضاف إليه الذي يسمج في الشعر فضلا عن النثر فضلا عن المعجز فهذا كله كما ترى ظن من الزمخشري أن ابن عامر قرأ قراءته هذه رأيا منه وكان الصواب خلافه والفصيح سواه ولم يعلم الزمخشري أن هذه القراءة بنصب الأولاد والفصل بين المضاف والمضاف إليه بها يعلم ضرورة أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأها على جبريل كما أنزلها عليه ثم تلاها النبي صلى الله عليه وسلم على عدد التواتر من الأئمة ولم يزل عدد التواتر يتناقلونها ويقرءون بها خلفا عن سلف إلى أن انتهت إلى ابن عامر فقرأها أيضا كما (٤٧١) سمعها فهذه معتقد أهل الحق في جميع الوجوه السبعة أنها متواترة جملة وتفصيلا عن أفصح من نطق بالضاد صلى الله عليه وسلم فإذا علمت العقيدة الصحيحة فلا مبالاة بعدها بقول الزمخشري ولا بقول أمثاله ممن لحن ابن عامر فإن المنكر عليه إنما أنكر ما ثبت أنه براء منه قطعا وضرورة ولولا عذر أن المنكر ليس من أهل الشأنين أعني علم القراءة وعلم الأصول ولا يعد من ذوي الفنين المذكورين لخيف عليه الخروج من ربقة الدين وإنه على هذا العذر لفي عهدة خطرة وزلة منكرة تزيد على زلة من ظن أن تفاصيل الوجوه السبعة فيها ما ليس متواترا فإن هذا القائل لم يثبتها بغير النقل وغايته أنه ادعى أن نقلها لا يشترط فيه التواتر وأما الزمخشري فظن أنها تثبت بالرأي غير موقوفة على النقل وهذا لم يقل به أحد من المسلمين وما حمله على هذا الخيال إلا التغالي في اعتقاد اطراد الأقيسة النحوية فظنها قطعية حتى يرد ما خالفها ثم إذا تنزل معه على اطراد القياس لدى ادعاء مطرد في قراءة ابن عامر هذه لا تخالفه وذلك أن الفصل بين المضاف والمضاف إليه وإن كان عسرا إلا أن المصدر إذا أضيف إلى معموله فهو مقدر بالفعل وهذا التقدير يجعل وهو وإن لم تكن إضافته غير محضة إلا أنه شبيه إضافته غير محضة حتى قال بعض النحاة إن إضافته ليست محضة لذلك فالحاصل أن اتصاله بالمضاف إليه ليس كاتصال غيره وقد جاء الفصل بين المضاف غير المصدر وبين المضاف إليه بالظرف فلا أقل من أن يتميز المصدر على غيره لما بيناه من انفكاكه في التقدير وعدم توغله في الاتصال بأن يفصل بينه وبين المضاف إليه بما ليس أجنبيا منه

اعملوا على مكانتكم إني عامل فسوف تعلمون من تكون له عاقبة الدار إنه لا يفلح الظالمون وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيبا فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا فما كان لشركائهم فلا يصل إلى الله وما كان لله فهو يصل إلى شركائهم ساء ما يحكمون وكذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركاؤهم

(اعملوا على مكانتكم) يحتمل اعملوا على تمكنكم من أمركم وأقصى استطاعتكم وإمكانكم أو اعملوا على جهتكم وحالكم التي أنتم عليها يقال للرجل إذا أمر أن يثبت على حاله على مكانتك يا فلان أي اثبت على ما أنت عليه لا تنحرف عنه (إني عامل) أي عامل على مكانتي التي أنا عليها والمعنى اثبتوا على كفركم وعداوتكم لي فإني ثابت على الإسلام وعلى مصابرتكم (فسوف تعلمون) أينا تكون له العاقبة المحمودة وطريقة هذا الأمر طريقة قوله اعملوا ما شئتم وهي التخلية والتسجيل على المأمور بأنه لا يأتي منه إلا الشر فكأنه مأمور به وهو واجب عليه حتم ليس له أن يتفصى عنه ويعمل بخلافه (فإن قلت) ما موضع (من) (قلت) الرفع إذا كان بمعنى أي وعلق عنه فعل العلم أو النصب إذا كان بمعنى الذي و(عاقبة الدار) العاقبة الحسنى التي خلق الله تعالى هذه الدار لها وهذا طريق من الإنذار لطيف المسلك فيه إنصاف في المقال وأدب حسن مع تضمن شدة الوعيد والوثوق بأن المنذر محق والمنذر مبطل * كانوا يعينون أشياء من حرث ونتاج لله وأشياء منهما لآلهتهم فإذا رأوا ما جعلوه لله زاكيا ناميا يزيد في نفسه خيرا رجعوا فجعلوه للآلهة وإذا زكى ما جعلوه للأصنام تركوه لها واعتلوا بأن الله غني وغير ذلك لحبهم آلهتهم وإيثارهم لها وقوله (مما ذرأ) فيه أن الله كان أولى بأن يجعل له الزاكي لأنه هو الذي ذرأه وزكاه ولا يرد إلى ما لا يقدر على ذرء ولا تزكية (بزعمهم) وقرئ بالضم أي قد زعموا أنه لله والله لم يأمرهم بذلك ولا شرع لهم تلك القسمة التي هي من الشرك لأنهم أشركوا بين الله وبين أصنامهم في القربة (فلا يصل إلى الله) أي لا يصل إلى الوجوه التي كانوا يصرفونه إليها من قرى الضيفان والتصدق على المساكين (فهو يصل إلى شركائهم) من إنفاق عليها بذبح النسائك عندها والإجراء على سدنتها ونحو ذلك (ساء ما يحكمون) في إيثار آلهتهم على الله تعالى وعملهم ما لم يشرع لهم (وكذلك) ومثل ذلك التزيين وهو تزيين الشرك في قسمة القربان بين الله تعالى والآلهة أو ومثل ذلك التزيين البليغ الذي هو علم من الشياطين والمعنى أن شركاءهم من الشياطين أو من سدنة الأصنام زينوا لهم قتل أولادهم بالوأد أو بنحرهم للآلهة

وكأنه بالتقدير فكأنه بالفعل ثم قدم المفعول على الفاعل وأضافه الى الفاعل وبقي المفعول مكانه حين الفك ويسهل ذلك أيضا اعتبار حال المصدر اذ تارة يضاف الى الفاعل وتارة يضاف الى المفعول وقد التزم بعضهم اختصاص الجواز بالفصل بالمفعول بينه وبين الفاعل لوقوعه في غير مرتبته اذ ينوى به التأخير فكأنه لم يفصل كما جاز تقدم المضمر على الظاهر اذا حل في غير رتبته لان النية به التأخير وأنشد أبو عبيدة ٭ فداسهم دوس الحصاد الدائس ٭ وأنشد أيضا
٭ يفركن حب السنبل الكنافج ٭ بالقاع فرك القطن المحالج ٭ ففصل كما ترى بين المصدر وبين الفاعل بالمفعول ومما يقوي عدم توغله في الاضافة جواز العطف على موضع مخفوضه رفعا ونصبا فهذه كلها نكت مؤيدة لقواعد مسطورة وشواهد من أقيسة العربية تجمع شمل القوانين النحوية فهذه (٤٧٢) القراءة وليس غرضنا تصحيح القراءة بقواعد العربية بل تصحيح قواعد العربية بالقراءة

وهذا القدر كاف ان شاء الله في الجمع بينهما والله الموفق وما أمرينه في ادراج الكلام من تقريب اضافة المصدر من غير المحصة اذا أردنا اضافته الى غيره من الوجوه التي يدل

ما جمعناها على أن الفصل غير منكر في اضافته ولا مستبعد من القياس ولم يعرده في الدلالة المذكورة اذ المتفق على عدم ٭ ٭ ٭ الا يسوغ فيها الفصل ولا يمكن استعمال الوجه المذكور بالدلالة والله الموفق

حتى

ليردوهم وليلبسوا عليهم دينهم ولو شاء الله ما فعلوه فذرهم وما يفترون وقالوا هذه أنعام وحرث حجر لا يطعمها الا من نشاء بزعمهم وأنعام حرمت ظهورها وأنعام لا يذكرون اسم الله عليها افتراء عليه سيجزيهم بما كانوا يفترون وقالوا ما في بطون هذه الانعام خالصة

وكان الرجل في الجاهلية يحلف لئن ولد له كذا غلاما لينحرن أحدهم كما حلف عبد المطلب ٭ وقرئ زين على البناء للفاعل الذي هو شركاؤهم ونصب قتل أولادهم وزين على البناء للمفعول الذي هو القتل ورفع شركاؤهم باضمار فعل دل عليه زين كأنه قيل لما قيل زين لهم قتل أولادهم من زينه فقيل زينه لهم شركاؤهم وأما قراءة ابن عامر قتل أولادهم شركائهم برفع القتل ونصب الاولاد وجر الشركاء على اضافة القتل الى الشركاء والفصل بينهما بغير الظرف فشيء لو كان في مكان الضرورات وهو الشعر لكان سمجا مردودا كما سمج ورد ٭ زج القلوص أبي مزاده ٭ فكيف به في الكلام المنثور فكيف به في القرآن المعجز بحسن نظمه وجزالته والذي حمله على ذلك أن رأى في بعض المصاحف شركائهم مكتوبا بالياء ولو قرأ بجر الاولاد والشركاء لان الاولاد شركاؤهم في أموالهم لوجد في ذلك مندوحة عن هذا الارتكاب (ليردوهم) ليهلكوهم بالاغواء (وليلبسوا عليهم دينهم) وليخلطوا عليهم ويشوشوا دينهم ما كانوا عليه من دين اسمعيل عليه السلام حتى زلوا عنه الى الشرك وقيل دينهم الذي وجب أن يكونوا عليه وقيل معناه وليوقعوهم في دين ملتبس (فان قلت) ما معنى اللام (قلت) ان كان التزيين من الشياطين فهي على حقيقة التعليل وان كان من السدنة فعلى معنى الصيرورة (ولو شاء الله) مشيئة قسر (ما فعلوه) لما فعل المشركون ما زين لهم من القتل أو لما فعل الشياطين أو السدنة التزيين أو الارداء أو اللبس أو جميع ذلك ان جعلت الضمير جاريا مجرى اسم الاشارة (وما يفترون) وما يفترونه من الافك أو وافتراءهم (حجر) فعل بمعنى مفعول كالذبح والطحن ويستوي في الوصف به المذكر والمؤنث والواحد والجمع لان حكمه حكم الاسماء غير الصفات وقرأ الحسن وقتادة حجر بضم الحاء وقرأ ابن عباس حرج وهو من التضييق وكانوا اذا عينوا أشياء من حرثهم وأنعامهم لآلهتهم قالوا (لا يطعمها الا من نشاء) يعنون خدم الاوثان والرجال دون النساء (وأنعام حرمت ظهورها) وهي البحائر والسوائب والحوامي (وأنعام لا يذكرون اسم الله عليها) في الذبح وانما يذكرون عليها أسماء الاصنام وقيل لا يحجون عليها ولا يلبون على ظهورها والمعنى أنهم قسموا أنعامهم فقالوا هذه أنعام حجر وهذه أنعام محرمة الظهور وهذه أنعام لا يذكر عليها اسم الله فجعلوها أجناسا بهواهم ونسبوا ذلك التجنيس الى الله (افتراء عليه) أي فعلوا ذلك كله على جهة الافتراء تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا وانتصابه على أنه مفعول له أو حال أو مصدر مؤكد لان قولهم ذلك في معنى الافتراء كانوا يقولون في أجنة البحائر والسوائب ما ولد منها حيا فهو خالص للذكور لا تأكل منه الاناث وما ولد ميتا اشترك فيه الذكور والاناث وأنث (خالصة) للحمل على المعنى لان ما في معنى الاجنة وذكر محرم للحمل على اللفظ ونظيره ومنهم من يستمع اليك

٭ قوله تعالى وقالوا ما في بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا (قال فيه وأنث خالصة للحمل على المعنى لان ما في معنى الاجنة الخ) قال أحمد ايضا وفيه لانه في الآية الاولى رجوع الى اللفظ بعد المعنى وفيه اجمال وفيه ما مر وفيه من أنكر جماعة من متأخري الفن وقوعه في الكتاب العزيز وادعوا ان جميع ما ورد فيه العود على المعنى بعد اللفظ وقد التزم غيرهم اجازة ذلك وعدوا في الكتاب العزيز منه مواضع يمكن صرف الكلام فيها الى غير الموصول وعلى الجملة فالحمل على اللفظ بعد المعنى قليل وغيره أولى ما وجد اليه سبيل وقد ذكر المصنف وجهين آخرين سوى ذلك فقال ويجوز أن تكون التاء للمبالغة مثلها في راوية الشعر وأن يكون مصدرا وقع موقع الخالص كالعافية أي ذو خالصة ويدل عليه قراءة من قرأ خالصة بالنصب على أن قوله لذكورنا هو الخبر وخالصة مصدر مؤكد ولا يجوز أن يكون حالا متقدمة لان المجرور لا يتقدم عليه حاله ولقد أحسن في الاحتراز بمنع الحال من المجرور حتى يتعين المصدر

لذكورنا ومحرم على
أزواجنا وان يكن ميتة
فهم فيه شركاء سيجزيهم
وصفهم انه حكيم عليم
قد خسر الذين قتلوا
أولادهم سفها بغير علم
وحرموا ما رزقهم الله
افتراء على الله قد ضلوا
وما كانوا مهتدين وهو
الذى أنشأ جنات
معروشات وغير
معروشات والنخل
والزرع مختلفا أكله
والزيتون والرمان
متشابها وغير متشابه
كلوا من ثمره اذا أثمر
وآتوا حقه يوم حصاده
ولا تسرفوا انه لا يحب
المسرفين ومن الانعام
حمولة وفرشا كلوا مما
رزقكم الله ولا تتبعوا
خطوات الشيطان انه
لكم عدو مبين ثمانية
أزواج من الضأن
اثنين ومن المعز اثنين
قل آلذكرين حرم أم
الانثيين أما اشتملت
عليه أرحام الانثيين
نبئونى بعلم ان كنتم
صادقين ومن الابل
اثنين ومن البقر اثنين
قل آلذكرين حرم أم
الانثيين أما اشتملت
عليه أرحام الانثيين
أم كنتم شهداء اذ وصاكم
الله بهذا

حتى اذا خرجوا من عندك ويجوز أن تكون التاء للمبالغة مثلها فى راوية الشعر وأن تكون مصدرا وقع موقع الخالص كالعافية أى ذو خالصة ويدل عليه قراءة من قرأ خالصة بالنصب على أن قوله (لذكورنا) هو الخبر وخالصة مصدر مؤكد ولا يجوز أن تكون حالا متقدمة لان المجرور لا يتقدم عليه حاله وقرأ ابن عباس خالصه على الاضافة وفى مصحف عبد الله خالص (وان يكن ميتة) وان يكن ما فى بطونها ميتة وقرئ وان تكن بالتأنيث على وان تكن الاجنة ميتة وقرأ أهل مكة وان تكن ميتة بالتأنيث والرفع على كان التامة وتذكير الضمير فى قوله (فهم فيه شركاء) لان الميتة لكل ميت ذكر أو أنثى فكأنه قيل وان يكن ميت فهم فيه شركاء (سيجزيهم وصفهم) أى جزاء وصفهم الكذب على الله فى التحليل والتحريم من قوله تعالى وتصف ألسنتهم الكذب هذا حلال وهذا حرام * نزلت فى ربيعة ومضر والعرب الذين كانوا يئدون بناتهم مخافة السبى والفقر (سفها بغير علم) لخفة أحلامهم وجهلهم بأن الله هو رازق أولادهم لا هم ● وقرئ قتلوا بالتشديد (ما رزقهم الله) من البحائر والسوائب وغيرها (أنشأ جنات) من الكروم (معروشات) مسموكات (وغير معروشات) متروكات على وجه الارض لم تعرش وقيل المعروشات ما فى الارياف والعمران مما غرسه الناس واهتموا به فعرشوه وغير معروشات مما أنبته الله وحشيا فى البرارى والجبال فهو غير معروش يقال عرشت الكرم اذا جعلت له دعائم وسمكا تعطف عليه القضبان وسقف البيت عرشه (مختلفا أكله) فى اللون والطعم والحجم والرائحة وقرئ أكله بالضم والسكون وهو ثمره الذى يؤكل والضمير للنخل والزرع داخل فى حكمه لكونه معطوفا عليه ومختلفا حال مقدرة لانه لم يكن وقت الانشاء كذلك كقوله تعالى فادخلوها خالدين ● وقرئ ثمره بضمتين (فان قلت) ما فائدة قوله (اذا أثمر) وقد علم أنه اذا لم يثمر لم يؤكل منه (قلت) لما أبيح لهم الاكل من ثمره قيل اذا أثمر ليعلم أن أول وقت الاباحة وقت اطلاع الشجر الثمر لئلا يتوهم أنه لا يباح الا اذا أدرك وأينع (وآتوا حقه يوم حصاده) الآية مكية والزكاة انما فرضت بالمدينة فأريد بالحق ما كان يتصدق به على المساكين يوم الحصاد وكان ذلك واجبا حتى نسخه افتراض العشر ونصف العشر وقيل مدنية والحق هو الزكاة المفروضة ومعناه واعزموا على ايتاء الحق واقصدوه واهتموا به يوم الحصاد حتى لا تؤخروه عن أول وقت يمكن فيه الايتاء (ولا تسرفوا) فى الصدقة كما روى عن ثابت بن قيس بن شماس أنه صرم خمسمائة نخلة ففرق ثمرها كله ولم يدخل منه شيئا فى منزله ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا (حمولة وفرشا) عطف على جنات أى وأنشأ من الانعام ما يحمل الاثقال وما يفرش للذبح أو ينسج من وبره وصوفه وشعره الفرش وقيل الحمولة الكبار التى تصلح للحمل والفرش الصغار كالفصلان والعجاجيل والغنم لانها دانية من الارض للطافة أجرامها مثل الفرش المفروش عليها (ولا تتبعوا خطوات الشيطان) فى التحليل والتحريم من عند أنفسكم كما فعل أهل الجاهلية (ثمانية أزواج) بدل من حمولة وفرشا (اثنين) زوجين اثنين يريد الذكر والانثى كالجمل والناقة والثور والبقرة والكبش والنعجة والتيس والعنز والواحد اذا كان وحده فهو فرد فاذا كان معه غيره من جنسه سمى كل واحد منهما زوجا وهما زوجان بدليل قوله خلق الزوجين الذكر والانثى والدليل عليه قوله تعالى ثمانية أزواج ثم فسرها بقوله من الضأن اثنين ومن المعز اثنين ومن الابل اثنين ومن البقر اثنين ونحو تسميتهم الفرد بالزوج بشرط أن يكون معه آخر من جنسه تسميتهم الزجاجة كأسا بشرط أن يكون فيها خمر ● والضأن والمعز جمع ضائن وماعز كتاجر وتجر وقرئ بفتح العين وقرأ أبى ومن المعزى ● وقرئ اثنان على الابتداء ● الهمزة فى (آلذكرين) للانكار والمراد بالذكرين الذكر من الضأن والذكر من المعز وبالانثيين الانثى من الضأن والانثى من المعز على طريق الجنسية والمعنى انكار أن يحرم الله تعالى من جنسى الغنم ضأنها ومعزها شيئا من نوعى ذكورها واناثها ولا مما تحمل اناث الجنسين وكذلك الذكران من جنسى الابل والبقر والانثيان منهما وما تحمل اناثهما وذلك أنهم كانوا يحرمون ذكورة الانعام تارة واناثها تارة وأولادها كيفما كانت ذكورا واناثا أو مختلطة تارة وكانوا يقولون قد حرمها الله فأنكر ذلك عليهم (نبئونى بعلم) أخبرونى بأمر معلوم من جهة الله تعالى يدل على تحريم ما حرمتم (ان كنتم صادقين) فى أن الله حرمه (أم كنتم شهداء) بل

* قوله تعالى ذلك جزيناهم ببغيهم وإنا لصادقون فإن كذبوك فقل ربكم ذو رحمة واسعة ولا يرد بأسه عن القوم المجرمين (قال معناه ذلك الجزاء جزيناهم ببغيهم بسبب ظلمهم الخ) قال أحمد هذه الآية وردت فيمن كفر وافترى على الله وعيد الكافر بأنه واقع به غير مردود عنه وأهل السنة وإن قالوا بجواز العفو عن العاصي الموحد فلا يقولون إن ذلك محتم ولا يلزمهم ذلك لأن الله تعالى حيث توعد المؤمنين العصاة علق حلول الوعيد بهم بالمشيئة وأخبر أنه يغفر لمن يشاء منهم فمن ثم اعتقدنا أن كل موحد عاص في المشيئة وحيث أطلق وعيدهم في بعض الظواهر فهو محمول

على المقيد ولا يلزمهم حينئذ اعتقاد الخلف في الخبر والزمخشري إنما يندن حول إلزامهم ذلك وأنى له * قوله تعالى

فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا ليضل الناس بغير علم إن الله لا يهدي القوم الظالمين قل لا أجد فيما أوحي إلي محرما على طاعم يطعمه إلا أن يكون ميتة أو دما مسفوحا أو لحم خنزير فإنه رجس أو فسقا أهل لغير الله به فمن اضطر غير باغ ولا عاد فإن ربك غفور رحيم وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما إلا ما حملت ظهورهما أو الحوايا أو ما اختلط بعظم ذلك جزيناهم ببغيهم وإنا لصادقون فإن كذبوك فقل ربكم ذو رحمة واسعة ولا يرد بأسه عن القوم المجرمين سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء

سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا إن تتبعون إلا الظن وإن أنتم إلا تخرصون

أم كنتم شهداء ومعنى الهمزة الإنكار يعني أم شهدتم ربكم حين أمركم بهذا التحريم وذكر المشاهدة على مذهبهم لأنهم كانوا لا يؤمنون برسول وهم يقولون الله حرم هذا الذي نحرمه فتهكم بهم في قوله أم كنتم شهداء على معنى أعرفتم التوصية به مشاهدين لأنكم لا تؤمنون بالرسل (فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا) فنسب إليه تحريم ما لم يحرم (ليضل الناس) وهو عمرو بن لحي بن قمعة الذي بحر البحائر وسيب السوائب (فإن قلت) كيف فصل بين بعض المعدود وبعضه ولم يوال بينه (قلت) قد وقع الفاصل بينهما اعتراضا غير أجنبي من المعدود وذلك أن الله عز وجل من على عباده بإنشاء الأنعام لمنافعهم وبإباحتها لهم فاعترض بالاحتجاج على من حرمها والاحتجاج على من حرمها تأكيد وتشديد للتحليل والاعتراضات في الكلام لا تساق إلا للتوكيد (فيما أوحي إلي) تنبيه على أن التحريم إنما يثبت بوحي الله تعالى وشرعه لا بهوى الأنفس (محرما) طعاما محرما من المطاعم التي حرمتموها (إلا أن يكون ميتة) إلا أن يكون الشيء المحرم ميتة (أو دما مسفوحا) أي مصبوبا سائلا كالدم في العروق لا كالكبد والطحال وقد رخص في دم العروق بعد الذبح (أو فسقا) عطف على المنصوب قبله سمي ما أهل به لغير الله فسقا لتوغله في باب الفسق ومنه قوله تعالى ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وإنه لفسق وأهل صفة له منصوبة المحل ويجوز أن يكون مفعولا له من أهل أي أهل لغير الله به فسقا (فإن قلت) فعلام تعطف (أهل) وإلام يرجع الضمير في (به) على هذا القول (قلت) يعطف على يكون ويرجع الضمير إلى ما يرجع إليه المستكن في يكون (فمن اضطر) فمن دعته الضرورة إلى أكل شيء من هذه المحرمات (غير باغ) على مضطر مثله تارك لمواساته (ولا عاد) متجاوز قدر حاجته من تناوله (فإن ربك غفور رحيم) لا يؤاخذه * ذو الظفر ما له إصبع من دابة أو طائر وكان بعض ذوات الظفر حلالا لهم فلما ظلموا حرم ذلك عليهم فعم التحريم كل ذي ظفر بدليل قوله فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم * وقوله (ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما) كقولك من زيد أخذت ماله تريد بالإضافة زيادة الربط والمعنى أنه حرم عليهم لحم كل ذي ظفر وشحمه وكل شيء منه وترك البقر والغنم على التحليل لم يحرم منهما إلا الشحوم الخالصة وهي الثروب وشحوم الكلى وقوله (إلا ما حملت ظهورهما) يعني إلا ما اشتمل على الظهور والجنوب من السحفة (أو الحوايا) أو اشتمل على الأمعاء (أو ما اختلط بعظم) وهو شحم الألية وقيل الحوايا عطف على شحومهما وأو بمنزلتها في قولهم جالس الحسن أو ابن سيرين (ذلك) الجزاء (جزيناهم) وهو تحريم الطيبات (ببغيهم) بسبب ظلمهم (وإنا لصادقون) فيما أوعدنا به العصاة لا نخلفه كما لا نخلف ما وعدناه أهل الطاعة فلما عصوا وبغوا ألحقنا بهم الوعيد وأحللنا بهم العقاب (فإن كذبوك) في ذلك وزعموا أن الله واسع الرحمة وأنه لا يؤاخذ بالبغي ويخلف الوعيد جودا وكرما (فقل) لهم (ربكم ذو رحمة واسعة) لأهل طاعته (ولا يرد بأسه) مع سعة رحمته (عن القوم المجرمين) فلا تغتروا برجاء رحمته عن خوف نقمته (سيقول الذين أشركوا) إخبار بما سوف يقولونه ولما قالوه قال وقال الذين أشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء يعنون بكفرهم وتمردهم أن شركهم وشرك آبائهم وتحريمهم

الا الظن وإن أنتم إلا تخرصون (قال فيه هذا إخبار بما سوف يقولونه الخ) قال أحمد وهذه ثوابت لنفس على الجواب ومكافحتهم بالرد وإعداد الحجة قبل أوانه كما قال سيقول السفهاء من الناس * عاد كلامه (قال فلما وقع ذلك منهم قال وقال الذين أشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء يعنون بكفرهم الخ) قال أحمد رحمه الله قد تقدم أيضا الكلام على هذه الآية وأوضحنا أن الرد عليهم إنما كان لاعتقادهم أنهم مسلوبون اختيارهم وقدرتهم وأن إشراكهم إنما صدر منهم على وجه الاضطرار وزعموا أنهم يقيمون الحجة على الله ورسله بذلك فرد الله قولهم وكذبهم في دعواهم عدم الاختيار لأنفسهم وشبههم بمن اغتر قبلهم بهذا الخيال فكذب الرسل وأشرك بالله وعول على أنه إنما

فعل ذلك كله بمشيئة الله ورام إلحام الرسل بهذه الشبهة ثم بين الله تعالى أنهم لا حجة لهم في ذلك وأن الحجة البالغة له لا لهم بقوله قل فلله الحجة البالغة ثم أوضح تعالى أن كل واقع بمشيئته وأنه لم يشأ منهم إلا ما صدر عنهم وأنه لو شاء منهم الهداية لاهتدوا أجمعون بقوله فلو شاء لهداكم أجمعين والمقصود من ذلك أن يتمحض وجه الرد عليهم ويتخلص عقيدة نفوذ المشيئة وعموم تعلقها بكل كائن عن الرد وينصرف الرد إلى دعواهم سلب الاختيار لأنفسهم وإلى إقامتهم الحجة بذلك خاصة وإذا تدبرت هذه وجدتها كافية في الرد على من زعم من أهل القبلة أن العبد لا اختيار له ولا قدرة البتة بل هو مجبور على أفعاله مقهور عليها وهم الفرقة المعروفون بالمجبرة والمصنفة بطائفة الحقائق فيسمي أهل السنة مجبرة وإن أثبتوا للعبد اختيارا وقدرة لأنهم يسلبون تأثير قدرة العبد ويجعلونها مقارنة لأفعاله الاختيارية مميزة بينها وبين أفعاله القسرية فلهذه الجهة سوى بينهم وبين المجبرة وجعله لقبا عاما لأهل السنة وجماع الرد على المجبرة الذين ميزناهم عن أهل السنة في قوله تعالى سيقول الذين أشركوا إلى قوله قل فلله الحجة البالغة وتتمة ٤٧٥ الآية رد صراح على طائفة الاعتزال القائلين بأن الله تعالى شاء الهداية منهم أجمعين فلم تقع من أكثرهم ووجه الرد أن لو إذا دخلت على فعل مثبت

كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا إن تتبعون إلا الظن وإن أنتم إلا تخرصون قل فلله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم أجمعين قل هلم شهداءكم الذين يشهدون أن الله حرم هذا فإن شهدوا فلا تشهد معهم ولا تتبع أهواء الذين كذبوا بآياتنا والذين لا يؤمنون بالآخرة وهم بربهم يعدلون قل تعالوا أتل

وتحريمهم ما أحل الله بمشيئة الله وإرادته ولولا مشيئته لم يكن شيء من ذلك كمذهب المجبرة بعينه (كذلك كذب الذين من قبلهم) أي جاؤا بالتكذيب المطلق لأن الله عز وجل ركب في العقول وأنزل في الكتب ما دل على غناه وبراءته من مشيئة القبائح وإرادتها والرسل أخبروا بذلك فمن علق وجود القبائح من الكفر والمعاصي بمشيئة الله وإرادته فقد كذب التكذيب كله وهو تكذيب الله وكتبه ورسله ونبذ أدلة العقل والسمع وراء ظهره (حتى ذاقوا بأسنا) حتى أنزلنا عليهم العذاب بتكذيبهم (قل هل عندكم من علم) من أمر معلوم يصح الاحتجاج به فيما قلتم (فتخرجوه لنا) وهذا من التهكم والشهادة بأن مثل قولهم محال أن يكون له حجة (إن تتبعون إلا الظن) في قولكم هذا (وإن أنتم إلا تخرصون) تقدرون أن الأمر كما تزعمون أو تكذبون، وقرئ كذلك كذب الذين من قبلهم بالتخفيف (قل فلله الحجة البالغة) يعني فإن كان الأمر كما زعمتم أن ما أنتم عليه بمشيئة الله فلله الحجة البالغة عليكم على قود مذهبكم (فلو شاء لهداكم أجمعين) منكم ومن مخالفيكم في الدين فإن تعليقكم دينكم بمشيئة الله يقتضي أن تعلقوا دين من يخالفكم أيضا بمشيئته فتوالوهم ولا تعادوهم وتوافقوهم ولا تخالفوهم لأن المشيئة تجمع بين ما أنتم عليه وبين ما هم عليه (هلم) يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث عند الحجازيين وبنو تميم تؤنث وتجمع والمعنى هاتوا شهداءكم وقربوهم (فإن قلت) كيف أمرهم باستحضار شهدائهم الذين يشهدون أن الله حرم ما زعموه محرما ثم أمره بأن لا يشهد معهم (قلت) أمره باستحضارهم وهم شهداء بالباطل ليلزمهم الحجة ويلقمهم الحجر ويظهر للمشهود لهم بانقطاع الشهداء أنهم ليسوا على شيء لتساوي أقدام الشاهدين والمشهود لهم في أنهم لا يرجعون إلى ما يصح التمسك به وقوله (فلا تشهد معهم) يعني فلا تسلم لهم ما شهدوا به ولا تصدقهم لأنه إذا سلم لهم فكأنه شهد معهم مثل شهادتهم وكان واحدا منهم (ولا تتبع أهواء الذين كذبوا بآياتنا) من وضع الظاهر موضع المضمر للدلالة على أن من كذب بآيات الله وعدل به غيره فهو متبع للهوى لا غير لأنه لو اتبع الدليل لم يكن إلا مصدقا بالآيات موحدا لله تعالى (فإن قلت) هلا قيل قل هلم شهداء يشهدون أن الله حرم هذا وأي فرق بينه وبين المنزل (قلت) المراد أن يحضروا شهداءهم الذين علم أنهم يشهدون لهم وينصرون قولهم وكان المشهود لهم يقلدونهم ويثقون بهم ويعتضدون بشهادتهم ليهدم ما يقومون به فيحق الحق ويبطل الباطل فأضيفت الشهداء إليهم للدلالة على أنهم شهداء

نفته فيقتضي ذلك أن الله تعالى لما قال فلو شاء لهداكم لم يكن الواقع مشيئة هدايتهم ولو شاء هدايتهم لوقعت فهذا تصريح ببطلان زعمهم ومحل عقدهم فإذا تبين اشتمال الآية على رد عقيدة الطائفتين المذكورتين المجبرة في أولها والمعتزلة في آخرها فاعلم أنها جامعة لعقيدة السنة منطبقة عليها فإن أولها كما بينا يثبت للعبد اختيارا وقدرة على وجه يقطع حجته وعذره في المخالفة والعصيان وآخرها يثبت نفوذ مشيئة الله في العبد وأن جميع أفعاله على وفق المشيئة الإلهية خيرا أو غيره وذلك عين عقيدتهم فإنهم كما يثبتون للعبد مشيئة وقدرة يسلبون تأثيرها ويعتقدون أن ثبوتهما قاطع حجته ملزم له بالطاعة على وفق اختياره ويثبتون نفوذ مشيئة الله أيضا وقدرته في أفعال عباده فهم كما رأيت تبع للكتاب العزيز يثبتون ما أثبت وينفون ما نفى مؤيدون بالعقل والنقل والله الموفق * عاد كلامه (قال فإن قلت هلا قيل قل هلم شهداء يشهدون أن الله حرم هذا وأي فرق بينه وبين المنزل الخ) قال أحمد رحمه الله ووجه مناقضته له أنه لو قيل على خلاف المنزل وهو قوله هلم شهداء يشهدون لفهم أن المطالب للشهداء ليس على تحقيق من أن ثم شهداء كما يقول الحاكم للمدعي هات بينة تشهد بذلك فهو لا يتحقق أن للمدعي بينة ثم يكون قوله فإن شهدوا تحقيقا لأن ثم شهداء فالجمع بينهما متناقض كما ترى والله الموفق

محرودون موسومون بالشهادة لهم وبنصرة مذهبهم والدليل عليه قوله تعالى فإن شهدوا فلا تشهد معهم
ولو قيل هلم شهداء يشهدون لكان معناه هاتوا أناسا يشهدون بتحريم ذلك فكان الظاهر طلب شهداء بالحق
وذلك ليس بالغرض ويناقضه قوله تعالى فإن شهدوا فلا تشهد معهم * تعال من الخاص الذي صار عاما
وأصله أن يقوله من كان في مكان عال لمن هو أسفل منه ثم كثر واتسع فيه حتى عم و(ما حرم) منصوب بفعل
التلاوة أي أتل الذي حرمه ربكم أو بحرم يعني أتل أي شيء حرم ربكم لأن التلاوة من القول وأن في (ألا
تشركوا) مفسرة ولا للنهي (فإن قلت) هلا قلت هي التي تنصب الفعل وجعلت أن لا تشركوا بدلا من ما حرم
(قلت) وجب أن يكون لا تشركوا ولا تقربوا ولا تقتلوا ولا تتبعوا السبل نواهي لانعطاف الأوامر عليها
وهي قوله وبالوالدين إحسانا لأن التقدير وأحسنوا بالوالدين إحسانا وأوفوا وإذا قلتم فاعدلوا وبعهد الله
أوفوا (فإن قلت) فما تصنع بقوله وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه فيمن قرأ بالفتح وإنما يستقيم عطفه على أن
لا تشركوا إذا جعلت أن هي الناصبة للفعل حتى يكون المعنى أتل عليكم نفي الإشراك والتوحيد وأتل عليكم
أن هذا صراطي مستقيما (قلت) أجعل قوله وأن هذا صراطي مستقيما علة للاتباع بتقدير اللام كقوله
تعالى وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا بمعنى ولأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه والدليل عليه القراءة
بالكسر كأنه قيل واتبعوا صراطي لأنه مستقيم أو واتبعوا صراطي إنه مستقيم (فإن قلت) إذا جعلت أن
مفسرة لفعل التلاوة وهو معلق بما حرم ربكم وجب أن يكون ما بعده منهيا عنه محرما كله كالشرك وما بعده مما
دخل عليه حرف النهي فما تصنع بالأوامر (قلت) لما وردت هذه الأوامر مع النواهي وتقدمهن جميعا فعل
التحريم واشتركن في الدخول تحت حكمه علم أن التحريم راجع إلى أضدادها وهي الإساءة إلى الوالدين
وبخس الكيل والميزان وترك العدل في القول ونكث عهد الله (من إملاق) من أجل فقر ومن خشيته كقوله
تعالى خشية إملاق (ما ظهر منها وما بطن) مثل قوله ظاهر الإثم وباطنه (إلا بالحق) كالقصاص والقتل
على الردة والرجم (إلا بالتي هي أحسن) إلا بالخصلة التي هي أحسن ما يفعل بمال اليتيم وهي حفظه وتثميره
والمعنى احفظوه عليه حتى يبلغ أشده فادفعوه إليه (بالقسط) بالسوية والعدل (لا نكلف نفسا إلا وسعها)
إلا ما يسعها ولا تعجز عنه وإنما أتبع الأمر بإيفاء الكيل والميزان ذلك لأن مراعاة الحد من القسط الذي لا زيادة
فيه ولا نقصان مما يجري فيه الحرج فأمر ببلوغ الوسع وأن ما وراءه معفو عنه (ولو كان ذا قربى) ولو كان المقول
له أو عليه في شهادة أو غيرها من أهل قرابة القائل فلا ينبغي أن يزيد في القول أو ينقص كقوله ولو على أنفسكم
أو الوالدين والأقربين * وقرئ وأن هذا صراطي مستقيما بتخفيف أن وأصله وأنه هذا صراطي على أن الهاء
ضمير الشأن والحديث وقرأ الأعمش وهذا صراطي وفي مصحف عبد الله وهذا صراط ربكم وفي مصحف أبي
وهذا صراط ربك (ولا تتبعوا السبل) الطرق المختلفة في الدين من اليهودية والنصرانية والمجوسية وسائر
البدع والضلالات (فتفرق بكم) فتفرقكم أيادي سبا (عن سبيله) عن صراط الله المستقيم وهو دين الإسلام
* وقرئ فتفرق بإدغام التاء وروى أبو وائل عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه خط خطا ثم قال
هذا سبيل الرشد ثم خط عن يمينه وعن شماله خطوطا ثم قال هذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه ثم
تلا هذه الآية وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه وعن ابن عباس رضي الله عنهما هذه الآيات محكمات لم
ينسخهن شيء من جميع الكتب وقيل إنهن أم الكتاب من عمل بهن دخل الجنة ومن تركهن دخل النار وعن
كعب الأحبار والذي نفس كعب بيده إن هذه الآيات لأول شيء في التوراة (فإن قلت) علام عطف قوله ثم
آتينا موسى الكتاب (قلت) على وصاكم به (فإن قلت) كيف صح عطفه عليه بثم والإيتاء قبل التوصية بدهر
طويل (قلت) هذه التوصية قديمة لم تزل توصاها كل أمة على لسان نبيهم كما قال ابن عباس رضي الله عنهما
محكمات لم ينسخهن شيء من جميع الكتب فكأنه قيل ذلكم وصاكم به يا بني آدم قديما وحديثا (ثم) أعظم من
ذلك أنا (آتينا موسى الكتاب) وأنزلنا هذا الكتاب المبارك وقيل هو معطوف على ما تقدم قبل شطر
السورة من قوله تعالى ووهبنا له إسحق ويعقوب (تماما على الذي أحسن) تماما للكرامة والنعمة على الذي

ما حرم ربكم عليكم ألا
تشركوا به شيئا وبالوالدين
إحسانا ولا تقتلوا أولادكم
من إملاق نحن نرزقكم
وإياهم ولا تقربوا
الفواحش ما ظهر منها
وما بطن ولا تقتلوا
النفس التي حرم الله إلا
بالحق ذلكم وصاكم به
لعلكم تعقلون ولا تقربوا
مال اليتيم إلا بالتي هي
أحسن حتى يبلغ أشده
وأوفوا الكيل والميزان
بالقسط لا نكلف نفسا
إلا وسعها وإذا قلتم
فاعدلوا ولو كان ذا قربى
وبعهد الله أوفوا ذلكم
وصاكم به لعلكم تذكرون
وأن هذا صراطي
مستقيما فاتبعوه ولا
تتبعوا السبل فتفرق
بكم عن سبيله ذلكم وصاكم
به لعلكم تتقون ثم آتينا
موسى الكتاب تماما
على الذي أحسن
وتفصيلا لكل شيء
وهدى ورحمة لعلهم
بلقاء ربهم يؤمنون
وهذا كتاب أنزلناه
مبارك فاتبعوه واتقوا
لعلكم ترحمون

* قوله تعالى يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرا (قال) فلم يفرق كما ترى بين النفس الكافرة إذا آمنت الخ) قال أحمد رحمه الله هو يروم الاستدلال على صحة عقيدته في أن الكافر والعاصي سواء في الخلود بهذه الآية إذ سوى بينهما في عدم الانتفاع بما يستدركانه بعد ظهور الآيات ولا يتم له ذلك فإن هذا الكلام يشتمل على النوع المعروف من علم البيان

و البلاغة باللف وأصل الكلام يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفسا لم تكن مؤمنة قبل إيمانها بعد ولا نفسا لم تكتسب في إيمانها خيرا قبل ما تكسبه من الخير بعد إلا أنه لف الكلامين فجعلهما كلاما واحدا بلاغة واختصارا وإعجازا وأراد يثبت أن ذلك هو الأصل فهو غير مخالف لقواعد السنة فإنا نقول لا ينفع بعد ظهور الآيات اكتساب الخير وإن نفع الإيمان المتقدم في السلامة من الخلود فهذا بأن يدل على رد الاعتزال أجدر من أن يدل له والله الموفق

أن تقولوا إنما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا وإن كنا عن دراستهم لغافلين أو تقولوا لو أنا أنزل علينا الكتاب لكنا أهدى منهم فقد جاءكم بينة من ربكم وهدى ورحمة فمن أظلم ممن كذب بآيات الله وصدف عنها سنجزي الذين يصدفون عن آياتنا سوء العذاب بما كانوا يصدفون هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي ربك أو يأتي بعض آيات ربك يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرا قل انتظروا إنا منتظرون إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء إنما أمرهم إلى الله ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون من جاء بالحسنة فله

أحسن على من كان محسنا صالحا يريد جنس المحسنين وتدل عليه قراءة عبد الله على الذين أحسنوا أو أراد به موسى عليه السلام أي تتمة للكرامة على العبد الذي أحسن الطاعة في التبليغ وفي كل ما أمر به أو تماما على الذي أحسن موسى من العلم والشرائع من أحسن الشيء إذا أجاد معرفته أي زيادة على علمه على وجه التتميم وقرأ يحيى بن يعمر على الذي أحسن بالرفع أي على الذي هو أحسن بحذف المبتدأ كقراءة من قرأ مثلا ما بعوضة بالرفع أي على الدين الذي هو أحسن دين وأرضاه أو آتينا موسى الكتاب تماما أي تاما كاملا على أحسن ما تكون عليه الكتب أي على الوجه والطريق الذي هو أحسن وهو معنى قول الكلبي أتم له الكتاب على أحسنه (أن تقولوا) كراهة أن تقولوا (على طائفتين) يريد أهل التوراة وأهل الإنجيل (وإن كنا) هي إن المخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة بينها وبين النافية والأصل وإنه كنا عن دراستهم غافلين على أن الهاء ضمير الشأن (عن دراستهم) عن قراءتهم أي لم نعرف مثل دراستهم (لكنا أهدى منهم) لحدة أذهاننا وثقابة أفهامنا وغزارة حفظنا لأيام العرب ووقائعها وخطبها وأشعارها وأسجاعها وأمثالها على أنا أميون * وقرئ أن يقولوا أو يقولوا بالياء (فقد جاءكم بينة من ربكم) تبكيت لهم وهو على قراءة من قرأ يقولوا على لفظ الغيبة أحسن لما فيه من الالتفات والمعنى إن صدقتم فيما كنتم تعدون من أنفسكم فقد جاءكم بينة من ربكم فحذف الشرط وهو من أحاسن الحذوف (فمن أظلم ممن كذب بآيات الله) بعدما عرف صحتها وصدقها أو تمكن من معرفة ذلك (وصدف عنها) الناس فضل وأضل (سنجزي الذين يصدفون عن آياتنا سوء العذاب) كقوله الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب * الملائكة ملائكة الموت أو العذاب (أو يأتي ربك) أو يأتي كل آيات ربك بدليل قوله (أو يأتي بعض آيات ربك) يريد آيات القيامة والهلاك الكلي وبعض الآيات أشراط الساعة كطلوع الشمس من مغربها وغير ذلك وعن البراء بن عازب كنا نتذاكر الساعة إذ أشرف علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما تتذاكرون قلنا نتذاكر الساعة قال إنها لا تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات الدخان ودابة الأرض وخسفا بالمغرب وخسفا بالمشرق وخسفا بجزيرة العرب والدجال وطلوع الشمس من مغربها ويأجوج ومأجوج ونزول عيسى ونارا تخرج من عدن (لم تكن آمنت من قبل) صفة لقوله نفسا وقوله (أو كسبت في إيمانها خيرا) عطف على آمنت والمعنى أن أشراط الساعة إذا جاءت وهي آيات ملجئة مضطرة ذهب أوان التكليف عندها فلم ينفع الإيمان حينئذ نفسا غير مقدمة إيمانها من قبل ظهور الآيات أو مقدمة الإيمان غير كاسبة في إيمانها خيرا فلم يفرق كما ترى بين النفس الكافرة إذا آمنت في غير وقت الإيمان وبين النفس التي آمنت في وقته ولم تكتسب خيرا ليعلم أن قوله الذين آمنوا وعملوا الصالحات جمع بين قرينتين لا ينبغي أن تنفك إحداهما عن الأخرى حتى يفوز صاحبهما ويسعد وإلا فالشقوة والهلاك (قل انتظروا إنا منتظرون) وعيد * وقرئ أن تأتيهم الملائكة بالياء والتاء * وقرأ ابن سيرين لا تنفع بالتاء لكون الإيمان مضافا إلى ضمير المؤنث الذي هو بعضه كقوله ذهبت بعض أصابعه (فرقوا دينهم) اختلفوا فيه كما اختلفت اليهود والنصارى وفي الحديث افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة كلها في الهاوية إلا واحدة وهي الناجية وافترقت النصارى على ثنتين وسبعين فرقة كلها في الهاوية إلا واحدة وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة كلها في الهاوية إلا واحدة وقيل فرقوا دينهم فآمنوا ببعض وكفروا ببعض وقرئ فارقوا دينهم أي تركوه (وكانوا شيعا) فرقا كل فرقة تشيع إماما لها (لست منهم في شيء) أي من السؤال

﴿القول في سورة الأعراف﴾ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ • المص كتاب أنزل اليك فلا يكن في صدرك حرج منه الآية (قال الحرج الشك الخ) قال أحمد ويشهد له قوله تعالى فلا تكونن من الممترين ولهذه النكتة ميز امام الحرمين بين العلم والاعتقاد الصحيح بان المقدر بط الفكر بمعتقد والاعتقاد افتعال منه والعلم يشعر بانحلال العقود وهو الانشراح والثلج والثقة وما أحسن تنبيهه بقوله والاعتقاد افتعال منه بر بدا اذا كان المقدمات للمؤلف ظنية فالاعتقاد لان صيغة الافتعال أبلغ معنى ومنه الاعتقاد والاحتمال ومن ثم ورد

عشر أمثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها وهم لا يظلمون قل انني هداني ربي الى صراط مستقيم دينا قيما ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين قل ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين قل أغير الله أبغي ربا وهو رب كل شيء ولا تكسب كل نفس الا عليها ولا تزر وازرة وزر أخرى ثم الى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون وهو الذي جعلكم خلائف الارض ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم فيما آتاكم ان ربك سريع العقاب وانه لغفور رحيم

﴿سورة الاعراف مكية وهي مائتان وخمس آيات﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

عنهم وعن تعرضهم وقيل من عقابهم وقيل هي منسوخة بآية السيف (عشر أمثالها) على اقامة صفة الجنس المميز مقام الموصوف تقديره عشر حسنات أمثالها وقرئ عشر أمثالها رفعهما جميعا على الوصف وهذا أقل ما وعد من الاضعاف وقد وعد بالواحد سبعمائة و وعد ثوابا بغير حساب ومضاعفة الحسنات فضل ومكافأة السيئات عدل (وهم لا يظلمون) لا ينقص من ثوابهم ولا يزاد على عقابهم (دينا) نصب على البدل من محل الى صراط لان معناه هداني صراطا بدليل قوله و يهديكم صراطا مستقيما • والقيم فيعل من قام كسيد من ساد وهو أبلغ من القائم وقرئ قيما قيم مصدر نعت به و (ملة ابراهيم) عطف بيان و (حنيفا) حال من ابراهيم (قل ان صلاتي ونسكي) وعبادتي وتقربي كله وقيل وذبحي وجمع بين الصلاة والذبح كما في قوله فصل لربك وانحر وقيل صلاتي وحجي من مناسك الحج (ومحياي ومماتي) وما آتيه في حياتي وما أموت عليه من الايمان والعمل الصالح (لله رب العالمين) خالصة لوجهه (وبذلك) من الاخلاص (أمرت وأنا أول المسلمين) لان اسلام كل نبي متقدم لاسلام أمته (قل أغير الله أبغي ربا) جواب عن دعائهم له الى عبادة آلهتهم والهمزة للانكار أي منكر أن أبغي ربا غيره (وهو رب كل شيء) فكل من دونه مربوب ليس في الوجود من له الربوبية غيره كما قال قل أفغير الله تأمروني أعبد (ولا تكسب كل نفس الا عليها) جواب عن قولهم اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم (جعلكم خلائف الارض) لان محمدا صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين خلفت أمته سائر الامم أو جعلهم يخلف بعضهم بعضا أو هم خلفاء الله في أرضه يتملكونها و يتصرفون فيها (ورفع بعضكم فوق بعض درجات) في الشرف والرزق (ليبلوكم فيما آتاكم) من نعمة المال والجاه كيف تشكرون تلك النعمة وكيف يصنع الشريف بالوضيع والحر بالعبد والغني بالفقير (ان ربك سريع العقاب) لمن كفر نعمته (وانه لغفور رحيم) لمن قام بشكرها ووصف العقاب بالسرعة لان ما هو آت قريب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنزلت علي سورة الانعام جملة واحدة يشيعها سبعون ألف ملك لهم زجل بالتسبيح والتحميد فمن قرأ الانعام صلى الله عليه واستغفر له أولئك السبعون ألف ملك بعدد كل آية من سورة الانعام يوما وليلة

﴿سورة الاعراف مكية غير ثمان آيات واسئلهم عن القرية الى واذ نتقنا الجبل وهي مائتان وخمس آيات﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(كتاب) خبر مبتدأ محذوف أي هو كتاب و (أنزل اليك) صفته والمراد بالكتاب السورة (فلا يكن في صدرك حرج منه) أي شك منه كقوله فان كنت في شك مما أنزلنا اليك وسمي الشك حرجا لان الشاك ضيق الصدر حرجه كما أن المتيقن منشرح الصدر منفسحه أي لا تشك في أنه منزل من الله ولا تحرج من تبليغه لانه كان يخاف قومه وتكذيبهم له واعراضهم عنه وأذاهم فكان يضيق صدره من الاداء ولا ينبسط له فأمنه الله ونهاه عن المبالاة بهم (فان قلت) بم تعلق قوله (لتنذر) (قلت) بأنزل أي أنزل اليك لانذارك به أو بالنهي لانه اذا لم يخفهم أنذرهم وكذلك اذا أيقن أنه من عند الله شجعه اليقين على الانذار لان صاحب اليقين جسور متوكل على ربه متكل على عصمته (فان قلت) فما محل (ذكرى) (قلت) يحتمل الحركات الثلاث النصب

المص كتاب أنزل اليك فلا يكن في صدرك حرج منه لتنذر به وذكرى للمؤمنين اتبعوا ما

في الخير كسب وفي نقيضه اكتسب لان النفوس في الشهوات والمخالفات واتباع الاهواء أجد منها في الطاعات وقع الاعراض وعلى ذلك جاء لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت وان كان العلم من الاعلام المأخوذ من العلمة بالتحريك وهي انشراح الشفة وانشقاقها فالذي ذكره الامام حينئذ نهاية في نوعه والله الموفق • عاد كلامه (قال أو ولا تحرج من تبليغه لانه كان يخاف قومه وتكذيبهم له الخ) قال أحمد ويشهد لهذا التأويل قوله تعالى فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك وضائق به صدرك أن يقولوا لولا أنزل اليه كنز أو جاء معه ملك الآية

* عاد كلامه (قال فإن قلت النهي في قوله فلا يكن متوجه إلى الحرج فما وجهه قلت هو من قولهم لا أرينك ههنا) قال أحمد يريد أن الحرج منهي في الآية ظاهرا والمراد النهي عنه والله أعلم * عاد كلامه (قال وقوله هم قائلون حال معطوفة على بياتا كأنه قيل فجاءهم الخ) قال أحمد الاكتفاء بالضمير في الجملة الاسمية الواقعة حالا ضعيف والأفصح دخول الواو كما اختاره الزمخشري وأما الزجاج وغيره فيجعلون أحد الأمرين كافيا في الاسمية إما الواو وإما الضمير وأما قول الزمخشري إن الجملة المعطوفة على حال حذفت منها واو الحال كراهية لاجتماعهما وهي و وعطف أيضا مع مشابهتها فيه نظر وذلك أن واو الحال لا بد أن تمتاز عن واو العطف بمزية ألا تراها تصحب الجملة الاسمية عقيب المفردة في قولك جاءني زيد وهو راكب ولو كانت عاطفة مجردة لاستقبح توسطها بين المتغايرين وإن لم يكن قبيحا فالأفصح خلافه فلما رأيتها تتوسط بينهما والكلام حينئذ هو الأفصح أو المتعين علمت أنها ممتازة بمعنى وخاصية عن واو العطف وإذا ثبت امتيازها عن العاطفة فلا غرو في اجتماعهما وإن كان دونها معنى العطف مضافا إلى تلك الخاصية فأما أن تسلبه حينئذ لاستغناء العاطف عنها أو تستمر عليه كما تجمع الواو ولكن لما فيها من زيادة معنى الاستدراك في مثل قوله ولكن لا يشعرون فعلى هذا كان من الممكن أن تجتمع واو الحال مع العاطف بلا كراهية والذي يدل على ذلك أنك لو قلت سبح لله وأنت راكع أو وأنت ساجد لكان فصيحا لا خبث فيه ولا كراهة فالتحقيق والله أعلم في الجملة المعطوفة على الحال أن المصحح لوقوعها حالا من غير واو هو العاطف إذ يقتضي مشاركة الجملة الثانية لما عطفت عليه في الحال فيستغني عن واو الحال كما أنك تعطف على المقسم به فتدخله في حكم القسم من غير واو موقعة في مثل والليل إذا يغشى والنهار إذا تجلى وفي مثل فلا أقسم بالخنس الجوار الكنس والليل إذا عسعس ولو قلت في غير التلاوة وبالليل إذا عسعس لجاز ولكن يستغنى عن تكرار حرف القسم لنيابة العاطف منابه فهذا والله أعلم سبب استغناء الجملة المعطوفة على الحال عن الواو المصححة للحالية فالحاصل من هذا أنك إن أتيت بواو الحال مصاحبة للعاطف لم تخرج عن حد الفصاحة إلى الاستثقال بل أفدت تأكيدا وإن لم تأت بها كذلك في الفصاحة مع إفادة الاختصار والله الموفق للصواب

بالصغار بعدها كأنه قيل لتنذر به وتذكر تذكيرا لأن الذكرى اسم بمعنى التذكير والرفع عطفا على كتاب أو بأنه خبر مبتدإ محذوف والجر للعطف على محل أن تنذر أي للإنذار وللذكرى (فإن قلت) النهي في قوله فلا يكن متوجه إلى الحرج فما وجهه (قلت) هو من قولهم لا أرينك ههنا (اتبعوا ما أنزل إليكم) من القرآن والسنة (ولا تتبعوا من دونه) من دون الله (أولياء) أي ولا تتولوا من دونه من شياطين الجن والإنس فيحملوكم على عبادة الأوثان والأهواء والبدع ويضلوكم عن دين الله وما أنزل إليكم وأمركم باتباعه وعن الحسن يا ابن آدم أمرت باتباع كتاب الله وسنة محمد صلى الله عليه وسلم والله ما نزلت آية إلا وهو يحب أن تعلم فيم نزلت وما معناها وقرأ مالك بن دينار ولا تبتغوا من الابتغاء ومن يبتغ غير الإسلام دينا ويجوز أن يكون الضمير في من دونه لما أنزل على ولا تتبعوا من دون دين الله دين أولياء (قليلا ما تذكرون) حيث تتركون دين الله وتتبعون غيره وقرئ تذكرون بحذف التاء ويتذكرون بالياء وقليلا نصب بتذكرون أي تذكرون تذكرا قليلا وما مزيدة لتوكيد القلة (فجاءها) فجاء أهلها (بياتا) مصدر واقع موقع الحال بمعنى بائتين يقال بات بياتا حسنا وبيتة حسنة وقوله (هم قائلون) حال معطوفة على بياتا كأنه قيل فجاءهم بأسنا بائتين أو قائلين (فإن قلت) هل يقدر حذف المضاف الذي هو الأهل قبل قرية أو قبل الضمير في أهلكناها (قلت) إنما يقدر المضاف للحاجة ولا حاجة فإن القرية تهلك كما يهلك أهلها وإنما قدرناه قبل الضمير في فجاءها لقوله أو هم قائلون (فإن قلت) لا يقال جاءني زيد هو فارس بغير واو فما بال قوله هم قائلون (قلت) قدر بعض النحويين الواو محذوفة ورده الزجاج وقال لو قلت جاءني زيد راجلا أو هو فارس أو جاءني زيد هو فارس لم يحتج فيه إلى واو لأن الذكر قد عاد إلى الأول والصحيح أنها إذا عطفت على حال قبلها حذفت الواو استثقالا لاجتماع حرفي عطف لأن واو الحال هي واو العطف استعيرت للوصل فقولك جاءني زيد راجلا أو هو فارس كلام فصيح وارد على حده وأما جاءني زيد هو فارس فخبيث (فإن قلت) فما معنى قوله أهلكناها فجاءها بأسنا والإهلاك إنما هو بعد مجيء البأس (قلت) معناه أردنا إهلاكها كقوله إذا قمتم إلى الصلاة وإنما خص هذان الوقتان وقت البيات ووقت القيلولة لأنهما وقت الغفلة والدعة فيكون نزول العذاب فيهما أشد وأفظع وقوم لوط أهلكوا بالليل وقت السحر وقوم شعيب وقت القيلولة (فما كان دعواهم) ما كانوا يدعونه من دينهم وينتحلونه من مذهبهم إلا اعترافهم ببطلانه وفساده وقولهم (إنا كنا ظالمين) فيما كنا عليه ويجوز فما كان استغاثتهم إلا قولهم هذا لأنه لا مستغاث من الله بغيره من قولهم دعواهم يا لكعب ويجوز فما كان دعواهم ربهم إلا اعترافهم لعلمهم أن الدعاء لا ينفعهم وأن لات حين دعاء فلا يزيدون على ذم أنفسهم وتحسرهم على ما كان منهم ودعواهم نصب خبر لكان وأن قالوا رفع اسم له ويجوز العكس (فلنسألن الذين أرسل إليهم) أرسل مسند إلى الجار والمجرور وهو إليهم ومعناه

تتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء قليلا ما تذكرون وكم من قرية أهلكناها فجاءها بأسنا بياتا أو هم قائلون فما كان دعواهم إذ جاءهم بأسنا إلا أن قالوا إنا كنا ظالمين فلنسألن الذين أرسل إليهم ولنسألن المرسلين

* قوله تعالى قال أنظرني الى يوم يبعثون قال انك من المنظرين (قال فان قلت لم أجيب الى استنظاره وانما استنظر ليفسد عباده الخ)
قال أحمد وهذا السؤال انما يورده ويلتزم الجواب عنه القدرية الذين يوجبون على الله تعالى رعاية الصالح في أفعاله وأما أهل السنة فقد
أصغوا الحق الاصغاء الى قوله تعالى لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون فلا يورد أحد منهم هذا السؤال ولا يتعب عنه من يورده
والله الموفق قوله تعالى قال فبما أغويتني لأقعدن لهم صراطك المستقيم (قال والمعنى فبسبب

فلنقصن عليهم بعلم وما كنا غائبين والوزن يومئذ الحق فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم بما كانوا بآياتنا يظلمون ولقد مكناكم في الارض وجعلنا لكم فيها معايش قليلا ما تشكرون ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس لم يكن من الساجدين قال ما منعك ألا تسجد اذ أمرتك قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين قال فاهبط منها فما يكون لك أن تتكبر فيها فاخرج انك من الصاغرين قال أنظرني الى يوم يبعثون قال انك من المنظرين

فلنسألن الذين أرسل اليهم وهم الامم يسألهم عما أجابوا به رسلهم كما قال ويوم يناديهم فيقول ماذا أجبتم المرسلين ويسأل المرسلين عما أجيبوا به كما قال يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم (فلنقصن عليهم) على الرسل والمرسل اليهم ما كان منهم (بعلم) عالمين بأحوالهم الظاهرة والباطنة وأقوالهم وأفعالهم (وما كنا غائبين) عنهم وعما وجد منهم (فان قلت) فاذا كان عالما بذلك وكان يقصه عليهم فما معنى سؤالهم (قلت) معناه التوبيخ والتقريع والتقرير اذا فاهوا به بألسنتهم وشهد عليهم أنبياؤهم (والوزن يومئذ الحق) يعني وزن الاعمال والتمييز بين راجحها وخفيفها ورفعه على الابتداء وخبره يومئذ والحق صفته أي والوزن يوم يسأل الله الامم ورسلهم الوزن الحق أي العدل وقرئ القسط واختلف في كيفية الوزن فقيل توزن صحف الاعمال بميزان له لسان وكفتان تنظر الخلائق اليه تأكيدا للحجة واظهارا للنصفة وقطعا للمعذرة كما يسألهم عن أعمالهم فيعترفون بها بألسنتهم وتشهد بها عليهم أيديهم وأرجلهم وجلودهم وتشهد عليهم الانبياء والملائكة والاشهاد وكما تثبت في صحائفهم فيقرؤنها في موقف الحساب وقيل هي عبارة عن القضاء السوي والحكم العادل (فمن ثقلت موازينه) جمع ميزان أو موزون أي فمن رجحت أعماله الموزونة التي لها وزن وقدر وهي الحسنات أو ما توزن به حسناتهم وعن الحسن وحق لميزان توضع فيه الحسنات أن يثقل وحق لميزان توضع فيه السيئات أن يخف (بآياتنا يظلمون) يكذبون بها ظلما كقوله فظلموا بها (مكناكم في الارض) جعلنا لكم فيها مكانا وقرارا أو ملكناكم فيها وأقدرناكم على التصرف فيها (وجعلنا لكم فيها معايش) جمع معيشة وهي ما يعاش به من المطاعم والمشارب وغيرها أو ما يتوصل به الى ذلك والوجه تصريح الياء وعن ابن عامر انه همز على التشبيه بصحائف (ولقد خلقناكم ثم صورناكم) يعني خلقنا أباكم آدم طينا غير مصور ثم صورناه بعد ذلك ألا ترى الى قوله (ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم) الآية (من الساجدين) ممن سجد لآدم (ألا تسجد) لا في أن لا تسجد صلة بدليل قوله ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي ومثلها لئلا يعلم أهل الكتاب بمعنى ليعلم (فان قلت) ما فائدة زيادتها (قلت) توكيد معنى الفعل الذي تدخل عليه وتحقيقه كأنه قيل ليتحقق علم أهل الكتاب وما منعك أن تحقق السجود وتلزمه نفسك (اذ أمرتك) لأن أمري لك بالسجود أوجبه عليك ايجابا وحتمه عليك حتما لا بد لك منه (فان قلت) لم سأله عن المانع من السجود وقد علم ما منعه (قلت) للتوبيخ ولاظهار معاندته وكفره وكبره وافتخاره بأصله وازدرائه بأصل آدم وأنه خالف أمر ربه معتقدا أنه غير واجب عليه لما رأى أن سجود الفاضل للمفضول خارج من الصواب (فان قلت) كيف يكون قوله (أنا خير منه) جوابا لما منعك وانما الجواب أن يقول منعني كذا (قلت) قد استأنف قصة أخبر فيها عن نفسه بالفضل على آدم وبعلة فضله عليه وهو أن أصله من نار وأصل آدم من طين فعلم منه الجواب وزيادة عليه وهي انكار الامر واستبعاد أن يكون مثله مأمورا بالسجود لمثله كأنه يقول من كان على هذه الصفة كان مستبعدا أن يؤمر بما أمر به (فاهبط منها) من السماء التي هي مكان المطيعين المتواضعين من الملائكة الى الارض التي هي مقر العاصين المتكبرين من الثقلين (فما يكون لك) فما يصح لك (أن تتكبر فيها) وتعصي (فاخرج انك من الصاغرين) من أهل الصغار والهوان على الله وعلى أوليائه لتكبرك كما تقول للرجل قم صاغرا اذا أهنته وفي ضده قم راشدا وذلك انه لما أظهر الاستكبار ألبس الصغار وعن عمر رضي الله عنه من تواضع لله رفع الله حكمته وقال انتعش نعشك الله ومن تكبر وعدا طوره وهصه الله الى الارض (فان قلت) لم أجيب الى استنظاره وانما استنظر ليفسد عباده

وقوعي في الغي لأجتهدن في اغوائهم حتى يفسدوا بسببي الخ) قال أحمد نقض كلام الزمخشري هذا نزعتان عن
الاعتزال خبيثتان احداهما تعريضه الاغواء الى التكليف لانه يعتقد أن الله تعالى لم يغوه أي لم يخلق له الغي ويغويهم
بناء على قاعدة التحسين والتقبيح والصلاح والاصلح فاضطره اعتقاده الى صرف الاغواء الى تكليفه بالسجود لانه كان سببا الى غيه وكثيرا
ما يؤول أفعال الله تعالى اذا أسندها الى ذاته حقيقة الى التسبب ويجعل ذلك من مجاز السببية لان الفعل لما لابسه الفاعل والمفعول

والزمان والمكان والسبب فإسناده الى الفاعل حقيقة وإسناده الى بقيتها مجاز ويجعل الفعل مسندا الى الله تعالى لانه مسببه لا انه فاعله وقد استدل على ذلك فيما سلف بقول مالك بن دينار لرجل رآه مقيدا محبوسا في مال عليه هذه وضعت القيود برجليك وأشار الى سلة فيها أطعمة وألوان مختلفة رآها عند المحبوس أي اعتقدت لهذه الاطعمة كان سببا في تبذير المال الذي آل بك الى وضع القيود في رجليك فعلى هذا يروم حمل هذه الآية يعني بما كلفتني من التكليف الذي كان سببا في خلق الغي لنفسي لأقعدن فيجعل ابليس هو الفاعل في الحقيقة وأما اسناد الفعل الى الله تعالى فمجاز هذه احدى النزعتين والاخرى حمله التكليف من جملة الافعال لانه يزعم ان كلام الله تعالى محدث من جملة أفعاله لا صفة من صفاته والتكليف من الكلام فهاتان نزلتان جمع القدرية بينهما وابليس لعنه الله لم يرض واحدة منهما لانه نسب الاغواء الى الله تعالى اذ هو خالق كل شيء فما الظن بطائفة ترضى لنفسها من خلق الشرك مالم يسبق به ابليس نعوذ بالله من التعرض لسخط الله وعاد كلامه (قال) ومن تكاذيب المجبرة ما حكوه عن طاوس انه كان في المسجد الحرام فجاء رجل من كبار الفقهاء يرمى بالقدر فجلس اليه فقال له طاوس تقوم أو تقام فقام الرجل فقيل له أتقول هذا لرجل فقيه فقال ابليس أفقه منه قال رب بما أغويتني وهذا يقول أنا أغوي نفسي انتهى كلام طاوس على زعمهم وما ظنك بقوم بلغ من تهالكهم على اضافة القبائح الى الله سبحانه وتعالى ان لفقوا الاكاذيب على الرسول والصحابة والتابعين انتهى كلامه (قال أحمد) وانما أوردت مثل هذا من كلامه وان كان غير محتاج الى التنبيه على فساده وحيده عن العقائد الصحيحة لابلاغ الحجة في وجوب الرد عليه وتنبيها على من هداه الله اليه ولقد صدق طاوس رضي الله عنه وأما قول الزمخشري في أهل السنة الذين سماهم مجبرة انهم بتهالكون في نسبة القبائح الى الله سبحانه وتعالى فحاصله انهم يعطون التوحيد حقه حتى لا يؤمنوا بخالق غير الله ولكن يصدقون بقوله تعالى متمدحا الله خالق كل شيء لا كالقدرية الذين هم بتهالكون حتى هم يشركون ويحرفون الكلم عن مواضعه فيؤولون الفاعل بالمسبب فأي الفريقين أحق بالامن ان كنتم تعلمون والله الموفق للصواب

قال فبما أغويتني لأقعدن لهم صراطك المستقيم ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم

ويغويهم (قلت) لما في ذلك من ابتلاء العباد وفي مخالفته من أعظم الثواب وحكمه حكم ما خلق في الدنيا من صنوف الزخارف وأنواع الملاذ والملاهي وما ركب في الانفس من الشهوات ليمتحن بها عباده (فبما أغويتني) فبسبب اغوائك اياي لأقعدن لهم وهو تكليفه اياه ما وقع به في الغي ولم يثبت كما ثبتت الملائكة مع كونهم أفضل منه ومن آدم أنفسا ومناصب وعن الاصم أمرتني بالسجود فحملني الانف على معصيتك والمعنى فبسبب وقوعي في الغي لأجتهدن في اغوائهم حتى يفسدوا بسببي كما فسدت بسببهم (فان قلت) بم تعلقت الباء فان تعلقها بلأقعدن يصد عنه لام القسم لا تقول والله بزيد لأمرن (قلت) تعلقت بفعل القسم المحذوف تقديره فبما أغويتني أقسم بالله لأقعدن أي فبسبب اغوائك أقسم ويجوز أن تكون الباء للقسم أي فأقسم باغوائك لأقعدن وانما أقسم بالاغواء لانه كان تكليفا والتكليف من أحسن أفعال الله لكونه تعريضا لسعادة الابد فكان جديرا بأن يقسم به ومن تكاذيب المجبرة ما حكوه عن طاوس انه كان في المسجد الحرام فجاء رجل من كبار الفقهاء يرمى بالقدر فجلس اليه فقال له طاوس تقوم أو تقام فقام الرجل فقيل له أتقول هذا لرجل فقيه فقال ابليس أفقه منه قال رب بما أغويتني وهذا يقول أنا أغوي نفسي وما ظنك بقوم بلغ من تهالكهم على اضافة القبائح الى الله سبحانه ان لفقوا الاكاذيب على الرسول والصحابة والتابعين وقيل ما للاستفهام كأنه قيل بأي شيء أغويتني ثم ابتدأ لأقعدن واثبات الالف اذا أدخل حرف الجر على ما الاستفهامية قليل شاذ وأصل الغي الفساد ومنه غوى الفصيل اذا بشم والبشم فساد في المعدة (لأقعدن لهم صراطك المستقيم) لأعترضن لهم على طريق الاسلام كما يتعرض العدو على الطريق ليقطعه على السابلة وانتصابه على الظرف كقوله كما عسل الطريق الثعلب وشبهه الزجاج بقولهم ضرب زيد الظهر والبطن أي على الظهر والبطن وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الشيطان قعد لابن آدم بأطرقه فقعد له بطريق الاسلام فقال له تدع دين آبائك فعصاه فأسلم ثم قعد له بطريق الهجرة فقال له تدع ديارك وتتغرب فعصاه فهاجر ثم قعد له بطريق الجهاد فقال له تقاتل فتقتل فيقسم مالك وتنكح امرأتك فعصاه فقاتل (ثم لآتينهم) من الجهات الاربع التي يأتي منها العدو في الغالب وهذا مثل لوسوسته اليهم وتسويله ما أمكنه وقدر عليه كقوله واستفزز من استطعت منهم بصوتك وأجلب عليهم بخيلك ورجلك (فان قلت) كيف قيل (من بين أيديهم ومن خلفهم) بحرف الابتداء (وعن أيمانهم وعن شمائلهم) بحرف المجاوزة (قلت) المفعول فيه عدي

* قوله تعالى فوسوس لهما الشيطان ليبدى لهما ما وورى عنهما من سوآتهما وقال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين وقاسمهما انى لكما لمن الناصحين الآية (قال فيه دليل على أن كشف العورة من عظائم الامور الخ) قال أحمد وفى هذه الكلمات أيضا جنوح الى قاعدة الاعتزال فى أمرين أحدهما قوله ان كشف العورة لم يزل مستقبحا فى العقول فانه ينشأ عن اعتقاده أن التقبيح والتحسين بالعقل وان جاز أن يصدر هذا الكلام من المعتقد لعقيدة السنة الا انه لا يريد به ظاهره اذ التحسين والتقبيح انما يدركان بالشرع (٤٨٢) والسمع لا بالعقل ومعنى هذا الاطلاق لو صدر من سنى أن العقل يدرك المعنى الذى لاجله حسن الشرع الستر وقبح الكشف الامر الثانى استدلاله على تفضيل الملائكة على الانبياء وقد مضى أن ذلك معتقد المعتزلة وان كان بعض أهل السنة قد مال اليه والجواب عمن يعتقد تفضيل الانبياء انه لا يلزم من اعتقاد ابليس لذلك ووسوسته بان الملائكة أفضل ان يكون الامر كذلك فى علم الله تعالى ألا ترى ابليس لعنه الله قد أخبر ان الله تعالى منعهما من الشجرة ليبقيهما حتى لا يخلدا أو لا يكونا ملكين وهو فى ذلك كاذب مبطل ولا دليل فيه لذلك وليس فى الآية ما يوجب تقرير الله تعالى لابليس على ذلك ولا تصديقه فيه بل ختمت الآية بما يدل على أنه كذب لهما وغرهما اذ قال الله تعالى عنه فدلاهما بغرور وما نقل تفضيل الملائكة على النبوة من جملة غروره والله أعلم * عاد كلامه (قال فان قلت المقاسمة ان يقسم لصاحبك ويقسم لك الخ) قال أحمد ويكون فى الكلام حينئذ لف لان آدم وحواء عليهما السلام لا يقسمان له بلفظ المتكلم ولكن بالخطاب فجمل القسم من الجانبين كلاما واحدا اعتمادا لابليس

ولأتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين قال اخرج منها مذؤما مدحورا لمن تبعك منهم لأملأن جهنم منكم أجمعين ويا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة فكلا من حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين فوسوس لهما الشيطان ليبدى لهما ما ووري عنهما من سوآتهما وقال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين وقاسمهما انى لكما لمن الناصحين

اليه الفعل نحو تعديته الى المفعول به فكما اختلفت حروف التعدية فى ذاك اختلفت فى هذا وكانت لغة تؤخذ ولا تقاس وانما يفتش عن صحة موقعها فقط فلما سمعناهم يقولون جلس عن يمينه وعلى يمينه وعن شماله وعلى شماله قلنا معنى على يمينه انه تمكن من جهة اليمين تمكن المستعلى من المستعلى عليه ومعنى عن يمينه انه جلس متجافيا عن صاحب اليمين منحرفا عنه غير ملاصق له ثم كثر حتى استعمل فى المتجافى وغيره كما ذكرنا فى تعال ونحوه من المفعول به قولهم رميت عن القوس وعلى القوس ومن القوس لان السهم يبعد عنها ويستعليها اذا وضع على كبدها للرمى ويبتدأ الرمى منها وكذلك قالوا جلس بين يديه وخلفه بمعنى فيه لانهما ظرفان للفعل ومن بين يديه ومن خلفه لان الفعل يقع فى بعض الجهتين كما تقول جئته من الليل تريد بعض الليل وعن شقيق ما من صباح الا قعد لى الشيطان على أربع مراصد من بين يدى ومن خلفى وعن يمينى وعن شمالى أما من بين يدى فيقول لا تخف فان الله غفور رحيم فأقرأ وانى لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا وأما من خلفى فيخوفنى الضيعة على مخلفى فأقرأ وما من دابة فى الارض الا على الله رزقها وأما من قبل يمينى فيأتينى من قبل الثناء فأقرأ والعاقبة للمتقين وأما من قبل شمالى فيأتينى من قبل الشهوات فأقرأ وحيل بينهم وبين ما يشتهون (ولا تجد أكثرهم شاكرين) قاله تظنيا بدليل قوله ولقد صدق عليهم ابليس ظنه وقيل سمعه من الملائكة باخبار الله تعالى لهم (مذؤما) من ذأمه اذا ذمه * وقرأ الزهرى مذوما بالتخفيف مثل مسول فى مسؤول * واللام فى (لمن تبعك) موطئة للقسم و (لأملأن) جوابه وهو ساد مسد جواب الشرط (منكم) منك ومنهم فغلب ضمير المخاطب كما فى قوله انكم قوم تجهلون وروى عصمة عن عاصم لمن تبعك بكسر اللام بمعنى لمن تبعك منهم هذا الوعيد وهو قوله لأملأن جهنم منكم أجمعين على أن لأملأن فى محل الابتداء ولمن تبعك خبره (ويا آدم) وقلنا يا آدم وقرئ هذى الشجرة والاصل الياء والهاء بدل منها * ويقال وسوس اذا تكلم كلاما خفيا يكرره ومنه وسوس الحلى وهو فعل غير متعد كولولت المرأة ووعوع الذئب ورجل موسوس بكسر الواو ولا يقال موسوس بالفتح ولكن موسوس له وموسوس اليه وهو الذى تلقى اليه الوسوسة ومعنى وسوس له فعل الوسوسة لاجله ووسوس اليه ألقاها اليه (ليبدى) جعل ذلك غرضا له ليسوءهما اذا رأيا ما يؤثران ستره وأن لا يطلع عليه مكشوفا وفيه دليل على أن كشف العورة من عظائم الامور وانه لم يزل مستهجنا فى الطباع مستقبحا فى العقول (فان قلت) ما للواو المضمومة فى (ووري) لم تقلب همزة كما قلبت فى أويصل (قلت) لان الثانية مدة كالعوارى وقد جاء فى قراءة عبد الله أورى بالقلب (الا أن تكونا ملكين) الا كراهة أن تكونا ملكين وفيه دليل على أن الملكية بالمنظر الاعلى وأن البشرية تلمح مرتبتها كلا ولا وقرئ ملكين بكسر اللام كقوله وملك لا يبلى (من الخالدين) من الذين لا يموتون ويبقون فى الجنة ساكنين * وقرئ من سوأتهما بالتوحيد وسوتهما بالواو المشددة (وقاسمهما) وأقسم لهما (انى لكما لمن الناصحين) (فان قلت) المقاسمة أن تقسم لصاحبك ويقسم لك تقول قاسمت فلانا حالفته وتقاسما تحالفا ومنه قوله تعالى تقاسموا بالله لنبيتنه (قلت) كأنه قال لهما أقسم لكما انى لمن الناصحين وقالا له أتقسم بالله انك لمن الناصحين فجعل ذلك مقاسمة

* عاد كلامه (قال أو أقسم لهما على النصيحة وأقسما له على قبولها) قال أحمد وهذا التأويل يتم لوجود المقاسمة عن ذكر المقسم عليه وأما حيث جعل المقسم عليه هو النصيحة لا غير فيعد التأويل المذكور الآن يحمل الأمر على أنه سمى قبول النصيحة نصيحة للمشاكلة والمقابلة كما قيل في قوله تعالى وواعدنا موسى أنه سمى التزام موسى للوفاء والحضور للميعاد ميعادا فاسند التعبير بالمفاعلة والله أعلم

* قوله تعالى قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين (قال سمى ذنبهما ظلما وإن كان صغيرا مغفورا الخ) قال أحمد وهذا أيضا اعتزال خفي لأنهم يزعمون أن اجتناب الكبائر يوجب تكفير الصغائر وإن لم يتب العبد منها فهذا معنى قول الزمخشري وإن كان صغيرا مغفورا أو عاما وسمعت هذا الاعتزال باطلا لأن هذا الكلام يستقيم وروده عن أهل السنة لكنهم يعنون بكونه مغفورا أن الله تعالى تفضل بغفرانه ولو شاء لآخذ به وإن كان الأنبياء معصومين من الكبائر لا كما زعمه المعتزلة من وجوب مغفرته والله الموفق

فدلاهما بغرور فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوآتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وناداهما ربهما ألم أنهكما عن تلكما الشجرة وأقل لكما إن الشيطان لكما عدو مبين قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين قال اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين قال فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباسا يواري سوآتكم وريشا ولباس التقوى ذلك خير

بينهم أو أقسم لهما بالنصيحة وأقسما له بقبولها أو أخرج قسم إبليس على زنة المفاعلة لأنه اجتهد فيه اجتهاد المقاسم (فدلاهما) فنزلهما إلى الأكل من الشجرة (بغرور) بما غرهما به من القسم بالله وعن قتادة وإنما يخدع المؤمن بالله وعن ابن عمر رضي الله عنه أنه كان إذا رأى من عبده طاعة وحسن صلاة أعتقه فكان عبيده يفعلون ذلك طلبا للعتق فقيل له إنهم يخدعونك فقال من خدعنا بالله انخدعنا له (فلما ذاقا الشجرة) وجدا طعمها آخذين في الأكل منها وقيل الشجرة هي السنبلة وقيل شجرة الكرم (بدت لهما سوآتهما) أي تهافت عنهما اللباس فظهرت لهما عوراتهما وكانا لا يريانها من أنفسهما ولا أحدهما من الآخر وعن عائشة رضي الله عنها ما رأيت منه ولا رأى مني وعن سعيد بن جبير كان لباسهما من جنس الأظفار وعن وهب كان لباسهما نورا يحول بينهما وبين النظر * ويقال طفق يفعل كذا بمعنى جعل يفعل كذا وقرأ أبو السمال وطفقا بالفتح (يخصفان) ورقة فوق ورقة على عوراتهما ليستترا بها كما يخصف النعل بأن تجعل طرقة على طرقة وتوثق بالسيور وقرأ الحسن يخصفان بكسر الخاء وتشديد الصاد وأصله يختصفان * وقرأ الزهري يخصفان من أخصف وهو منقول من خصف أي يخصفان أنفسهما وقرئ يخصفان من خصف بالتشديد (من ورق الجنة) قيل كان ورق التين (ألم أنهكما) عتاب من الله تعالى وتوبيخ وتنبيه على الخطإ حيث لم يتحذرا ما حذرهما الله من عداوة إبليس وروي أنه قال لآدم ألم يكن لك فيما منحتك من شجر الجنة مندوحة عن هذه الشجرة فقال بلى وعزتك ولكن ما ظننت أن أحدا من خلقك يحلف بك كاذبا قال فبعزتي لأهبطنك إلى الأرض ثم لا تنال العيش إلا كدا فأهبط وعلم صنعة الحديد وأمر بالحرث فحرث وسقى وحصد وداس وذرى وطحن وعجن وخبز * وسميا ذنبهما وإن كان صغيرا مغفورا ظلما لأنفسهما وقالا (لنكونن من الخاسرين) على عادة الأولياء والصالحين في استعظامهم الصغير من السيآت واستصغارهم العظيم من الحسنات (اهبطوا) الخطاب لآدم وحواء وإبليس و (بعضكم لبعض عدو) في موضع الحال أي متعادين يعاديهما إبليس ويعاديانه (مستقر) استقرار أو موضع استقرار (ومتاع إلى حين) وانتفاع بعيش إلى انقضاء آجالكم وعن ثابت البناني لما أهبط آدم وحضرته الوفاة أحاطت به الملائكة فجعلت حواء تدور حولهم فقال لها خلي ملائكة ربي فإنما أصابني الذي أصابني فيك فلما توفي غسلته الملائكة بماء وسدر وترا وحنطته وكفنته في وتر من الثياب وحفروا له ولحدوا ودفنوه بسرنديب بأرض الهند وقالوا لبنيه هذه سنتكم بعده * جعل ما في الأرض منزلا من السماء لأنه قضي ثم وكتب ومنه وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج * والريش لباس الزينة استعير من ريش الطير لأنه لباسه وزينته أي أنزلنا عليكم لباسين لباسا يواري سوآتكم ولباسا يزينكم لأن الزينة غرض صحيح كما قال لتركبوها وزينة ولكم فيها جمال وقرأ عثمان رضي الله عنه ورياشا جمع ريش كشعب وشعاب (ولباس التقوى) ولباس الورع والخشية من الله تعالى وارتفاعه على الابتداء وخبره إما الجملة التي هي (ذلك خير) كأنه قيل ولباس التقوى هو خير لأن أسماء الإشارة تقرب من الضمائر فيما يرجع إلى عود الذكر وإما المفرد الذي هو خير وذلك صفة للمبتدإ كأنه قيل ولباس التقوى المشار إليه خير ولا تخلو الإشارة من أن يراد بها تعظيم لباس التقوى أو أن تكون إشارة إلى اللباس المواري للسوأة لأن مواراة السوأة من التقوى تفضيلا له على لباس الزينة وقيل لباس التقوى خبر مبتدإ محذوف أي وهو لباس التقوى ثم قيل ذلك خير وفي قراءة عبد الله وأبي ولباس التقوى خير وقيل المراد بلباس التقوى ما يلبس من الدروع والجواشن والمغافر وغيرها مما يتقى به في الحروب وقرئ ولباس التقوى بالنصب

• قوله تعالى انه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم (قال وفيه دليل بين انهم لا يرون الخ) قال أحمد أين يذهب به عما ورد في الحديث الصحيح من اعتراض ابليس رأسهم ومقدمهم للنبي صلى الله عليه وسلم يروم أن يشغله عن صلاته حتى أمكنه الله منه فأخذه عليه الصلاة والسلام فذعته وأراد أن يربطه الى سارية من سواري المسجد يلعب به الصبيان حتى ذكر دعوة سليمان عليه السلام فتركه واذا جاز ذلك للنبي عليه الصلاة والسلام كان جائزا (٤٨٤) لاولياء الله ولمتبعي سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم كرامة لكن الزمخشري يصده عن ذلك جحده لكرامة الاولياء لانه عقيدة اخوانه اذ الكرامة انما يؤتاها الولي الصادق ويكشف

ذلك من آيات الله لعلهم يذكرون يابني آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوآتهما انه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم انا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون واذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها قل ان الله لا يأمر بالفحشاء أتقولون على الله ما لا تعلمون قل أمر ربي بالقسط وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد وادعوه مخلصين له الدين كما بدأكم تعودون فريقا هدى وفريقا حق عليهم الضلالة انهم اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله ويحسبون انهم مهتدون يابني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد

عطفا على لباسا وريشا (ذلك من آيات الله) الدالة على فضله ورحمته على عباده يعني انزال اللباس (لعلهم يذكرون) فيعرفوا عظيم النعمة فيه وهذه الآية واردة على سبيل الاستطراد عقيب ذكر بدو السوآت وخصف الورق عليها اظهارا للمنة فيما خلق من اللباس ولما في العري وكشف العورة من المهانة والفضيحة واشعارا أن الستر باب عظيم من أبواب التقوى (لا يفتننكم الشيطان) لا يمحننكم بأن لا تدخلوا الجنة كما محن أبويكم بأن أخرجهما منها (ينزع عنهما لباسهما) حال أي أخرجهما نازعا لباسهما بأن كان سببا في أن نزع عنهما (انه يراكم هو) تعليل للنهي وتحذير من فتنته بأنه بمنزلة العدو المداجي يكيدكم ويغتالكم من حيث لا تشعرون وعن مالك بن دينار ان عدوا يراك ولا تراه لشديد المؤنة الا من عصم الله (وقبيله) وجنوده من الشياطين وفيه دليل بين أن الجن لا يرون ولا يظهرون للانس وأن اظهارهم أنفسهم ليس في استطاعتهم وأن زعم من يدعي رؤيتهم زور ومخرقة (انا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون) أي خلينا بينهم وبينهم لم نكفهم عنهم حتى تولوهم وأطاعوهم فيما سولوا لهم من الكفر والمعاصي وهذا تحذير آخر أبلغ من الاول (فان قلت) علام عطف وقبيله (قلت) على الضمير في يراكم المؤكد بهو والضمير في انه للشأن والحديث وقرأ اليزيدي وقبيله بالنصب وفيه وجهان أن يعطف على اسم ان وأن تكون الواو بمعنى مع واذا عطفه على اسم ان وهو الضمير في انه كان راجعا الى ابليس • الفاحشة ما تبالغ في قبحه من الذنوب أي اذا فعلوها اعتذروا بأن آباءهم كانوا يفعلونها فاقتدوا بهم وبأن الله تعالى أمرهم بأن يفعلوها وكلاهما باطل من العذر لان أحدهما تقليد والتقليد ليس بطريق للعلم والثاني افتراء على الله والحاد في صفاته كانوا يقولون لو كره الله منا ما نفعله لنقلنا عنه وعن الحسن ان الله تعالى بعث محمدا صلى الله عليه وسلم الى العرب وهم قدرية مجبرة يحملون ذنوبهم على الله وتصديقه قول الله تعالى (واذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها قل ان الله لا يأمر بالفحشاء) لان فعل القبيح مستحيل عليه لعدم الداعي ووجود الصارف فكيف يأمر بفعله (أتقولون على الله ما لا تعلمون) انكار لاضافتهم القبيح اليه وشهادة على ان مبنى قولهم على الجهل المفرط وقيل المراد بالفاحشة طوافهم بالبيت عراة (بالقسط) بالعدل وبما قام في النفوس أنه مستقيم حسن عند كل مميز وقيل بالتوحيد (وأقيموا وجوهكم) وقل أقيموا وجوهكم أي اقصدوا عبادته مستقيمين اليها غير عادلين الى غيرها (عند كل مسجد) في كل وقت سجود أو في كل مكان سجود وهو الصلاة (وادعوه) واعبدوه (مخلصين له الدين) أي الطاعة مبتغين بها وجه الله خالصا (كما بدأكم تعودون) كما أنشأكم ابتداء يعيدكم احتج عليهم في انكارهم الاعادة بابتداء الخلق والمعنى انه يعيدكم فيجازيكم على أعمالكم فأخلصوا له العبادة (فريقا هدى) وهم الذين أسلموا أي وفقهم للايمان (وفريقا حق عليهم الضلالة) أي كلمة الضلالة وعلم الله أنهم يضلون ولا يهتدون وانتصاب قوله وفريقا بفعل مضمر يفسره ما بعده كأنه قيل وخذل فريقا حق عليهم الضلالة (انهم) ان الفريق الذي حق عليهم الضلالة (اتخذوا الشياطين أولياء) أي تولوهم بالطاعة فيما أمروهم به وهذا دليل على أن علم الله لا أثر له في ضلالهم وأنهم هم الضالون باختيارهم وتوليهم الشياطين دون الله (خذوا زينتكم) أي ريشكم ولباس زينتكم (عند كل مسجد) كلما صليتم أو طفتم وكانوا يطوفون عراة وعن طاوس لم يأمرهم بالحرير والديباج وانما كان أحدهم يطوف عريانا ويدع ثيابه وراء المسجد

بها من ينشأ في اسلامه فانهم لي عذر من جحده والتكذيب بها رزق الله الايمان بالكرامات ان لم تكن لنا فلاولياء الله المتقين • قوله تعالى واذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها قل ان الله لا يأمر بالفحشاء أتقولون على الله ما لا تعلمون (قال وكلاهما باطل من العذر لان أحدهما الخ) قال أحمد وهذا أيضا من الاعتزال الخفي وغرضه ان يمهد قاعدة التحسين والتقبيح ومراعاة الصلاح والاصلح واستحالة مخالفة ذلك على الله تعالى ولا يتم من ذلك غرض لان المنكر عليهم دعواهم أن الله تعالى أمرهم بالفحشاء وهم كاذبون في هذه الدعوى ولا يلزم من سلب الامر الارادة

لان الله تعالى يأمر بما لا يريد ويريد ما لا يأمر به ٭ قوله تعالى قل انما حرم ربى الفواحش ما ظهر منها وما بطن والاثم والبغى بغير الحق وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا الآية (قال فى هذا تهكم لانه لا يجوز أن ينزل برهانا بأن يشرك به غيره) قال أحمد وثما

وان طاف وهى عليه ضربوه وانتزعت عنه لانهم قالوا لا نعبد الله فى ثياب أذنبنا فيها وقيل تفاؤلا ليتعروا من الذنوب كما تعروا من الثياب وقيل الزينة المشط وقيل الطيب والسنة أن يأخذ الرجل أحسن هيئته للصلاة وكان بنو عامر فى أيام حجهم لا يأكلون الطعام الا قوتا ولا يأكلون دسما يعظمون بذلك حجهم فقال المسلمون فنا أحق أن نفعل فقيل لهم (وكلوا واشربوا ولا تسرفوا) وعن ابن عباس رضى الله عنه كل ما شئت والبس ما شئت ما أخطأتك خصلتان سرف ومخيلة ويحكى ان الرشيد كان له طبيب نصرانى حاذق فقال لعلى بن الحسين بن واقد ليس فى كتابكم من علم الطب شئ والعلم علمان علم الابدان وعلم الاديان فقال له قد جمع الله الطب كله فى نصف آية من كتابه قال وما هى قال قوله تعالى وكلوا واشربوا ولا تسرفوا فقال النصرانى ولا يؤثر من رسولكم شئ فى الطب فقال قد جمع رسولنا صلى الله عليه وسلم الطب فى ألفاظ يسيرة قال وما هى قال قوله المعدة بيت الداء والحمية رأس الدواء وأعط كل بدن ما عودته فقال النصرانى ما ترك كتابكم ولا نبيكم لجالينوس طبا (زينة الله) من الثياب وكل ما يتجمل به (والطيبات من الرزق) المستلذات من المآكل والمشارب ومعنى الاستفهام فى من انكار تحريم هذه الاشياء قيل كانوا اذا أحرموا حرموا الشاة وما يخرج منها من لحمها وشحمها ولبنها (قل هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا) غير خالصة لهم لان المشركين شركاؤهم فيها (خالصة) لهم (يوم القيامة) لا يشركهم فيها أحد (فان قلت) هلا قيل هى للذين آمنوا ولغيرهم (قلت) لينبه على أنها خلقت للذين آمنوا على طريق الاصالة وأن الكفرة تبع لهم كقوله تعالى ومن كفر فأمتعه قليلا ثم أضطره الى عذاب النار وقرئ خالصة بالنصب على الحال وبالرفع على أنها خبر بعد خبر (الفواحش) ما تفاحش قبحه أى تزايد وقيل هى ما يتعلق بالفروج (والاثم) عام لكل ذنب وقيل شرب الخمر (والبغى) الظلم والكبر أفرده بالذكر كما قال وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى (ما لم ينزل به سلطانا) فيه تهكم لانه لا يجوز أن ينزل برهانا بأن يشرك به غيره (وأن تقولوا على الله) وأن تتقولوا عليه وتفتروا الكذب من التحريم وغيره (ولكل أمة أجل) وعيد لاهل مكة بالعذاب النازل فى أجل معلوم عند الله كما نزل بالامم ٭ وقرئ فاذا جاء آجالهم وقال (ساعة) لانها أقل الاوقات فى استعمال الناس يقول المستعجل لصاحبه فى ساعة يريد أقصر وقت وأقربه (اما يأتينكم) هى ان الشرطية ضمت اليها ما مؤكدة لمعنى الشرط ولذلك لزمت فعلها النون الثقيلة أو الخفيفة (فان قلت) فما جزاء هذا الشرط (قلت) الفاء وما بعده من الشرط والجزاء والمعنى فمن اتقى وأصلح منكم والذين كذبوا منكم وقرئ تأتينكم بالتاء (فمن أظلم) فمن أشنع ظلما ممن تقول على الله ما لم يقله أو كذب ما قاله (أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب) أى مما كتب لهم من الارزاق والاعمار (حتى اذا جاءتهم رسلنا) حتى غاية لنيلهم نصيبهم واستيفائهم له أى الى وقت وفاتهم وهى حتى التى يبتدأ بعدها الكلام والكلام هنا الجملة الشرطية وهى اذا جاءتهم رسلنا قالوا و(يتوفونهم) حال من الرسل أى متوفيهم والرسل ملك الموت وأعوانه ٭ وما وقعت موصولة بأين فى خط المصحف وكان حقها أن تفصل لانها موصولة بمعنى أين الآلهة الذين تدعون (ضلوا عنا) غابوا عنا فلا نراهم ولا ننتفع بهم اعترافا منهم بأنهم لم يكونوا على شئ فيما كانوا عليه وأنهم لم يحمدوه فى العاقبة (قال ادخلوا) أى يقول الله تعالى يوم القيامة لاولئك الذين قال فيهم فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب بآياته وهم كفار العرب (فى أمم) فى موضع الحال أى كائنين فى جملة أمم وفى غمارهم مصاحبين لهم أى ادخلوا فى النار مع أمم (قد خلت من قبلكم) وتقدم زمانهم زمانكم (لعنت أختها) التى ضلت بالاقتداء بها (حتى اذا اداركوا فيها) أى تداركوا بمعنى تلاحقوا واجتمعوا فى النار

وكلوا واشربوا ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون قل انما حرم ربى الفواحش ما ظهر منها وما بطن والاثم والبغى بغير الحق وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون ولكل أمة أجل فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون يا بنى آدم اما يأتينكم رسل منكم يقصون عليكم آياتى فمن اتقى وأصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب بآياته أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب حتى اذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم قالوا أين ما كنتم تدعون من دون الله قالوا ضلوا عنا وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين قال ادخلوا فى أمم قد خلت من قبلكم من الجن والانس فى النار كلما دخلت أمة لعنت أختها حتى اذا اداركوا فيها جميعا

يعنى لتهكم منه لان الكلام جرى مجرى ما له سلطان الا انه لم ينزل لانه اعانى تنزيل السلطان به ولم ينف أن يكون له سلطان وكان أصل الكلام وان تشركوا بالله ما لا سلطان به فينزل فيكون على طريقة ٭ على لاحب لا يهتدى بمناره ٭

قالت أخراهم لأولاهم ربنا هؤلاء أضلونا فآتهم عذابا ضعفا من النار قال لكل ضعف ولكن لا تعلمون وقالت أولاهم لأخراهم فما كان لكم علينا من فضل فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون ان الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط وكذلك نجزي المجرمين لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش وكذلك نجزي الظالمين والذين آمنوا وعملوا الصالحات لا نكلف نفسا الا وسعها أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون ونزعنا ما في صدورهم من غل تجري من تحتهم الانهار وقالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله

(قالت أخراهم) منزلة وهي الاتباع والسفلة (لأولاهم) منزلة وهي القادة والرؤس ومعنى لأولاهم لاجل أولاهم لان خطابهم مع الله لا معهم (عذابا ضعفا) مضاعفا (لكل ضعف) لان كلا من القادة والاتباع كانوا ضالين مضلين (ولكن لا تعلمون) قرئ بالياء والتاء (فما كان لكم علينا من فضل) عطفوا هذا الكلام على قول الله تعالى للسفلة لكل ضعف أي فقد ثبت أن لا فضل لكم علينا وانا متساوون في استحقاق الضعف (فذوقوا العذاب) من قول القادة أو من قول الله لهم جميعا (لا تفتح لهم أبواب السماء) لا يصعد لهم عمل صالح لن يصعد الكلم الطيب كلا ان كتاب الابرار لفي عليين وقيل ان الجنة في السماء فالمعنى لا يؤذن لهم في صعود السماء ولا يطرق لهم اليه ليدخلوا الجنة وقيل لا تصعد أرواحهم اذا ماتوا كما تصعد أرواح المؤمنين وقيل لا تنزل عليهم البركة ولا يغاثون ففتحنا أبواب السماء وقرئ لا تفتح بالتشديد ولا يفتح بالياء ولا تفتح بالتاء والبناء للفاعل ونصب الابواب على أن الفعل للآيات وبالياء على ان الفعل لله عز وجل • وقرأ ابن عباس الجمل بوزن القمل وسعيد بن جبير الجمل بوزن النغر وقرئ الجمل بوزن القفل والجمل بوزن النصب والجمل بوزن الحبل ومعناها القلس الغليظ لانه حبال جمعت وجعلت جملة واحدة وعن ابن عباس رضي الله عنه ان الله أحسن تشبيها من أن يشبه بالجمل يعني أن الحبل مناسب للخيط الذي يسلك في سم الابرة والبعير لا يناسبه الا أن قراءة العامة أوقع لان سم الابرة مثل في ضيق المسلك يقال أضيق من خرت الابرة وقالوا للدليل الماهر خريت للاهتداء به في المضايق المشبهة بأخرات الابر والجمل مثل في عظم الجرم قال

• جسم الجمال وأحلام العصافير •

ان الرجال ليسوا بجزر تراد منهم الاجسام فقيل لا يدخلون الجنة حتى يكون ما لا يكون أبدا من ولوج هذا الحيوان الذي لا يلج الا في باب واسع في ثقب الابرة وعن ابن مسعود أنه سئل عن الجمل فقال زوج الناقة استجهالا للسائل واشارة الى أن طلب معنى آخر تكلف • وقرئ في سم بالحركات الثلاث وقرأ عبد الله في سم المخيط والخياط والمخيط كالحزام والمحزم ما يخاط به وهو الابرة (وكذلك) ومثل ذلك الجزاء الفظيع (نجزي المجرمين) ليؤذن أن الاجرام هو السبب الموصل الى العقاب وأن كل من أجرم عوقب وقد كرره فقال (وكذلك نجزي الظالمين) لان كل مجرم ظالم لنفسه (مهاد) فراش (غواش) أغطية وقرئ غواش بالرفع كقوله تعالى وله الجوار المنشآت في قراءة عبد الله (لا نكلف نفسا الا وسعها) جملة معترضة بين المبتدا والخبر للترغيب في اكتساب ما لا يكتنهه وصف الواصف من النعيم الخالد مع التعظيم بما هو في الوسع وهو الامكان الواسع غير الضيق من الايمان والعمل الصالح وقرأ الاعمش لا تكلف نفس • من كان في قلبه غل على أخيه في الدنيا نزع منه فسلمت قلوبهم وطهرت ولم يكن بينهم الا التواد والتعاطف وعن علي رضي الله عنه اني لارجو أن أكون أنا وعثمان وطلحة والزبير منهم (هدانا لهذا) أي وفقنا لموجب هذا الفوز العظيم وهو الايمان والعمل الصالح (وما كنا لنهتدي) اللام لتوكيد النفي يعنون وما كان يستقيم أن نكون مهتدين لولا هداية الله وتوفيقه وفي مصاحف أهل الشام ما كنا لنهتدي

• قوله تعالى وقالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله لقد جاءت رسل ربنا بالحق ونودوا أن تلكم الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون (قال اللام لتوكيد النفي يعنون وما كان يستقيم الخ) قال أحمد وهذه تكعم وجوه القدرية بالرد فانها شاهدة شهادة تامة مؤكدة باللام على ان المهتدي من خلق الله له الهدى وان غير ذلك محال ان يكون فلا يهتدي الا من هدى الله ولو لم يهده لم يهتد وأما القدرية فيزعمون ان كل مهتد خلق لنفسه الهدى فهو اذا مهتدون لم يهده الله اذ هدى الله للعبد خلق الهدى له وزعمهم ان الله تعالى لم يخلق لاحد من المهتدين الهدى (٤٨٦) ولا يتوقف ذلك على خلقه تعالى الله عما يقولون والاطلاق الزمخشري ذلك جري على عادته في تعريف الهدى من الله تعالى الى اللطف الذي بسببه يخلق العبد الاهتداء يعبر لنفسه فانصف من نفسك وأعرض قول القائل المهتدي من اهتدى بنفسه من غير ان يهديه الله أي يخلق له الهدى على قوله تعالى حكاية عن قول الموحدين في دار الحق وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله وانظر تباين هذين القولين أعني قول المعتزلي في الدنيا وقول الموحد في الآخرة في مقعد صدق واختر لنفسك أي الفريقين تقتدي به وما أراك والطلب لكل عاقل تعدل بهذا القول المحكي عن أولياء الله في دار السلام منوها به في الكتاب العزيز قول قدري ضال تذبذب مع هواه وتعصبه في دار الغرور والزوال نسأل الله حسن المآب والمآل

● عاد كلامه (قال وقوله تعالى ونودوا أن تلكم الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون المراد بسبب أعمالكم لا بالتفضل كما تقول المبطلة) قال أحمد يعني بالمبطلة قوما سمعوا قوله عليه الصلاة والسلام لا يدخل أحد منكم الجنة بعمله ولكن بفضل الله وبرحمته قيل ولا أنت يا رسول الله قال ولا أنا إلا أن يتغمدني الله بفضل منه ورحمة فقالوا أصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم وهؤلاء هم أهل السنة قيل لهم فما معنى قوله تعالى وتلك الجنة التي أورثتموها بما كنتم تعملون قالوا الله تفضل بأن جعل الجنة جزاء العمل فضلا منه ورحمة لا أن ذلك مستحق عليه وواجب كالعبادة ووجوب الديون التي لا اختيار في أدائها فجمعوا بين الدليلين على وجه يطابق دليل العقل الدال على أن الله تعالى يستحيل أن يجب عليه شيء فانظر أيها المنصف هل تجد في هذا الكلام من الباطل ما يوجب أن يلقب أصحابه بالمبطلة وما كم لمسلك البهائم إذا وصح لك أنهم رووا في هذا الرفاء رضه على قوم زعموا أنهم يستحقون على الله تعالى حقا بأعمالهم التي لا ينتفع (٤٨٧) بوجودها ولا يتضرر بتركها

لقد جاءت رسل ربنا بالحق ونودوا أن تلكم الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا قالوا نعم فأذن مؤذن بينهم أن لعنة الله على الظالمين الذين يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا وهم بالآخرة كافرون وبينهما حجاب وعلى الأعراف رجال يعرفون كلا بسيماهم ونادوا أصحاب الجنة أن سلام عليكم لم يدخلوها وهم يطمعون وإذا صرفت أبصارهم تلقاء أصحاب النار قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين ونادى أصحاب الأعراف رجالا يعرفونهم بسيماهم قالوا ما أغنى عنكم جمعكم وما كنتم تستكبرون أهؤلاء الذين أقسمتم لا ينالهم الله برحمة ادخلوا الجنة

يعبروا وعلى أنها جملة موضحة للأولى (لقد جاءت رسل ربنا بالحق) فكان لنا لطفا وتنبيها على الاهتداء فهدينا يقولون ذلك سرورا واغتباطا بما نالوا وتلذذا بالتكلم به لا تقربا وتعبدا كما ترى من رزق خيرا في الدنيا يتكلم بنحو ذلك ولا يتمالك أن لا يقوله للفرح لا للقربة (أن تلكم الجنة) أن مخففة من الثقيلة تقديره ونودوا بأنه تلكم الجنة (أورثتموها) والضمير ضمير الشأن والحديث أو تكون بمعنى أي لأن المناداة من القول كأنه قيل وقيل لهم أي تلكم الجنة أورثتموها (بما كنتم تعملون) بسبب أعمالكم لا بالتفضل كما تقول المبطلة ● أن في (أن قد وجدنا) يحتمل أن تكون مخففة من الثقيلة وأن تكون مفسرة كالتي سبقت آنفا وكذلك (أن لعنة الله على الظالمين) وإنما قالوا لهم ذلك اغتباطا بحالهم وشماتة بأصحاب النار وزيادة في غمهم ولتكون حكايته لطفا لمن سمعها وكذلك قول المؤذن بينهم لعنة الله على الظالمين وهو ملك يأمره الله فينادي بينهم نداء يسمع أهل الجنة وأهل النار وقرئ أن لعنة الله بالتشديد والنصب وقرأ الأعمش إن لعنة الله بكسر إن على إرادة القول أو على إجراء أذن مجرى قال (فإن قلت) هلا قيل ما وعدكم ربكم كما قيل ما وعدنا ربنا (قلت) حذف ذلك تخفيفا لدلالة وعدنا عليه ولقائل أن يقول أطلق ليتناول كل ما وعد الله من البعث والحساب والثواب والعقاب وسائر أحوال القيامة لأنهم كانوا مكذبين بذلك أجمع ولأن الموعود كله مما ساءهم وما نعيم أهل الجنة إلا عذاب لهم فأطلق لذلك (وبينهما حجاب) يعني بين الجنة والنار أو بين الفريقين وهو السور المذكور في قوله تعالى فضرب بينهم بسور (وعلى الأعراف) وعلى أعراف الحجاب وهو السور المضروب بين الجنة والنار وهي أعاليه جمع عرف استعير من عرف الفرس وعرف الديك (رجال) من المسلمين من آخرهم دخولا في الجنة لقصور أعمالهم كأنهم المرجون لأمر الله يحبسون بين الجنة والنار إلى أن يأذن الله لهم في دخول الجنة (يعرفون كلا) من زمر السعداء والأشقياء (بسيماهم) بعلامتهم التي أعلمهم الله تعالى بها إياهم الله ذلك أو تعرفهم الملائكة إذا نظروا إلى أصحاب الجنة نادوهم بالتسليم عليهم (وإذا صرفت أبصارهم تلقاء أصحاب النار) ورأوا ما هم فيه من العذاب استعاذوا بالله وفزعوا إلى رحمته أن لا يجعلهم معهم ● ونادوا رجالا من رؤس الكفرة يقولون لهم (أهؤلاء الذين أقسمتم لا ينالهم الله برحمة) إشارة لهم إلى أهل الجنة الذين كان الرؤساء يستهينون بهم ويحتقرونهم لفقرهم وقلة حظوظهم من الدنيا وكانوا يقسمون أن الله لا يدخلهم الجنة (ادخلوا الجنة) يقال لأصحاب الأعراف ادخلوا الجنة وذلك بعد أن يحبسوا على الأعراف وينظروا إلى الفريقين ويعرفوهم بسيماهم ويقولوا ما يقولون وفائدة ذلك بيان أن الجزاء على قدر الأعمال وأن التقدم والتأخر على حسبها وأن أحدا لا يسبق عند الله إلا بسبقه في العمل ولا يتخلف عنده إلا بتخلفه فيه وليرغب

تعالى وتقدس عن ذلك ويطلقون القول بأن الجزاء أن الجنة ونعيمها اقطاعهم بحق مستحق على الله تعالى، تحصل له علوم فيه بل هو بمثابة دين تقاضاه بعض الناس من مديانه وانظر أي الفريقين المذكورين أحق بلقب المبطلة والسلام ● عاد كلامه (قال فإن قلت هلا قيل ما وعدكم ربكم كما قيل ما وعدنا الخ) قال أحمد ولقائل أن يقول ولو ذكر المفعول حسب ذكره في الأول فقيل فهل وجدتم ما وعدكم ربكم حقا لكان الفعل مطلقا أيضا باعتبار الموعود به لأنه لم يذكر وكان يتناول كل موعود من البعث والحساب والعقاب الذي هو أنواع من جملتها التحسر على نعيم أهل الجنة فليس ذلك خاصا بحذف المفعول الواقع على الموعودين فالوجه أن حذفه إيجاز وتخفيف واستغناء عنه بالأول والله أعلم ● قوله تعالى ادعوا ربكم تضرعا وخفية إنه لا يحب المعتدين

(قال التضرع تفعل من الضراعة وهي الذل الخ) قال أحمد وحسبك في تعين الاسرار في الدعاء قرانه بالتضرع في الآية فالاخلال به كالاخلال بالضراعة الى الله في الدعاء وان دعاء لا تضرع فيه ولا خشوع لقليل الجدوى وكذلك دعاء لا خفية ولا وقار يصحبه وترى كثيرا من أهل زمانك يعتمدون الصراخ (٤٨٨) والصياح في الدعاء خصوصا في الجوامع حتى يعظم اللغط ويشتد وتستد المسامع وتستك

لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة أن أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله قالوا ان الله حرمهما على الكافرين الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعبا وغرتهم الحياة الدنيا فاليوم ننساهم كما نسوا لقاء يومهم هذا وما كانوا بآياتنا يجحدون ولقد جئناهم بكتاب فصلناه على علم هدى ورحمة لقوم يؤمنون هل ينظرون الا تأويله يوم يأتي تأويله يقول الذين نسوه من قبل قد جاءت رسل ربنا بالحق فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا أو نرد فنعمل غير الذي كنا نعمل قد خسروا أنفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون ان ربكم الله الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يغشى الليل النهار يطلبه حثيثا والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين ادعوا ربكم تضرعا وخفية

الطامعون في حال السابقين ويحرصوا على مثل رتبتهم وليتصوروا أن كل أحد يعرف ذلك اليوم بسيماه التي استوجب أن يوسم بها من أهل الخير والشر فيرتدع المسيء عن اساءته ويزيد المحسن في احسانه وليعلم أن العصاة يوبخهم كل أحد حتى أقصر الناس عملا وقوله واذا صرفت أبصارهم فيه أن صارفا يصرف أبصارهم لينظروا فيستعيذوا ويفزعوا وقرأ الأعمش واذا قلبت أبصارهم * وقرئ أدخلوا الجنة على البناء للمفعول وقرأ عكرمة دخلوا الجنة (فان قلت) كيف لاءم هذا بين القراءتين قوله (لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون) (قلت) تأويله أدخلوا أو دخلوا الجنة مقولا لهم لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون (فان قلت) ما محل قوله لم يدخلوها وهم يطمعون (قلت) لا محل له لانه استئناف كأن سائلا سأل عن حال أصحاب الأعراف فقيل لم يدخلوها وهم يطمعون يعني حالهم أن دخولهم الجنة مستأخر عن دخول أهل الجنة فلم يدخلوها لكونهم محبوسين وهم يطمعون لم ييأسوا ويجوز أن يكون له محل بأن يقع صفة لرجال * ما أغنى عنكم جمعكم المال أو كثرتكم واجتماعكم * وما كنتم تستكبرون واستكباركم عن الحق وعلى الناس وقرئ تستكثرون من الكثرة (أفيضوا علينا) فيه دليل على أن الجنة فوق النار (أو مما رزقكم الله) من غيره من الأشربة لدخوله في حكم الافاضة ويجوز أن يراد أو ألقوا علينا مما رزقكم الله من الطعام والفاكهة كقوله * علفتها تبنا وماء باردا * وغير بعيد أن يسألوا ذلك مع يأسهم من الاجابة اليه حيرة في أمرهم كما يفعل المضطر الممتحن (حرمهما على الكافرين) منعهم شراب الجنة وطعامها كما يمنع المكلف ما يحرم عليه ويحظر كقوله * حرام على عيني أن تطعم الكرى * (فاليوم ننساهم) نفعل بهم فعل الناسين الذين ينسون عبيدهم من الخير لا يذكرونهم به (كما نسوا لقاء يومهم هذا) كما فعلوا بلقائه فعل الناسين فلم يخطروه ببالهم ولم يهتموا به (فصلناه على علم) عالمين كيف نفصل أحكامه ومواعظه وقصصه وسائر معانيه حتى جاء حكيما قيما غير ذي عوج وقرأ ابن محيصن فضلناه بالضاد المعجمة يعني فضلناه على جميع الكتب عالمين أنه أهل للتفضيل عليها و(هدى ورحمة) حال من منصوب فصلناه كما أن على علم حال من مرفوعه (الا تأويله) الا عاقبة أمره وما يؤول اليه من تبين صدقه وظهور صحة ما نطق به من الوعد والوعيد (قد جاءت رسل ربنا بالحق) أي تبين وصح أنهم جاؤا بالحق (أو نرد) جملة معطوفة على الجملة التي قبلها داخلة معها في حكم الاستفهام كأنه قيل هل لنا من شفعاء أو هل نرد ورافعه وقوعه موقعا يصلح للاسم كما تقول ابتداء هل يضرب زيد ولا يطلب له فعل آخر يعطف عليه فلا يقدر هل يشفع لنا شافع أو نرد وقرأ ابن أبي اسحق أو نرد بالنصب عطفا على فيشفعوا لنا أو تكون أو بمعنى حتى أن أي يشفعوا لنا حتى نرد فنعمل وقرأ الحسن بنصب نرد ورفع فنعمل بمعنى فنحن نعمل (يغشى الليل النهار يطلبه حثيثا) وقرئ يغشى بالتشديد أي يلحق الليل بالنهار أو النهار بالليل يحتملهما جميعا والدليل على الثاني قراءة حميد بن قيس يغشى الليل النهار بفتح الياء ونصب الليل ورفع النهار أي يدرك النهار الليل ويطلبه حثيثا حسن الملاءمة لقراءة حميد (بأمره) بمشيئته وتصريفه وهو متعلق بمسخرات أي خلقهن جاريات بمقتضى حكمته وتدبيره وكما يريد أن يصرفها سمي ذلك أمرا على التشبيه كأنهن مأمورات بذلك * وقرئ والشمس والقمر والنجوم مسخرات بالرفع * ولما ذكر أنه خلقهن مسخرات بأمره قال (ألا له الخلق والأمر) أي هو الذي خلق الأشياء كلها وهو الذي صرفها على حسب ارادته (تضرعا وخفية) نصب على الحال أي ذوي تضرع وخفية * وكذلك خوفا وطمعا والتضرع تفعل من الضراعة وهو الذل أي تذللا وتملقا * وقرئ وخفية وعن الحسن رضي الله عنه ان الله يعلم القلب التقي والدعاء الخفي ان كان الرجل لقد جمع القرآن وما يشعر به جاره وان كان الرجل لقد فقه الفقه

ويهتز الداعي بالناس ولا يعلم أنه جمع بين بدعتين رفع الصوت في الدعاء وفي المسجد وربما حصلت للعوام حينئذ رقة لا تحصل مع خفض الصوت الكثير ورعاية سمت الوقار وسلوك السنة الثابتة بالآثار وما هي الا رقة شبيهة بالرقة العارضة للنساء والاطفال ليست خارجة عن صميم الفؤاد لانها لو كانت من أصل لكانت عند اتباع السنة في الدعاء وفي خفض الصوت به أوفر وأوفى وأزكى فما أكثر التباس الباطل بالحق على

الكثير ولا يشعر الناس به وإن كان الرجل ليصلي الصلاة الطويلة وعنده الزور وما يشعرون به ولقد أدركنا
أقواماً ما كان على الأرض من عمل يقدرون على أن يعملوه في السر فيكون علانية أبداً ولقد كان المسلمون
يجتهدون في الدعاء وما يسمع لهم صوت إن كان إلا همساً بينهم وبين ربهم وذلك أن الله تعالى يقول ادعوا ربكم
تضرعاً وخفية وقد أثنى على زكريا فقال إذ نادى ربه نداء خفياً وبين دعوة السر ودعوة العلانية سبعون
ضعفاً (إنه لا يحب المعتدين) أي المجاوزين ما أمروا به في كل شيء من الدعاء وغيره وعن ابن جريج هو رفع
الصوت بالدعاء وعنه الصياح في الدعاء مكروه وبدعة وقيل هو الإسهاب في الدعاء وعن النبي صلى الله عليه
وسلم سيكون قوم يعتدون في الدعاء وحسب المرء أن يقول اللهم إني أسألك الجنة وما قرب إليها من قول
وعمل وأعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول وعمل ثم قرأ قوله تعالى إنه لا يحب المعتدين (إن رحمة الله
قريب من المحسنين) كقوله وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحاً وإنما ذكر قريب على تأويل الرحمة
بالرحم أو الترحم أو لأنه صفة موصوف محذوف أي شيء قريب أو على تشبيهه بفعيل الذي هو بمعنى مفعول
كما شبه ذاك به فقيل قتلاء وأسراء أو على أنه بزنة المصدر الذي هو النقيض والصغيب أو لأن تأنيث الرحمة
غير حقيقي * وقرئ نشراً وهو مصدر نشر وانتصابه إما لأن أرسل ونشر متقاربان فكأنه قيل نشرها نشراً
وإما على الحال بمعنى منتشرات ونشراً جمع نشور ونشراً تخفيف نشر كرسل ورسل وقرأ مسروق نشراً بمعنى
منشورات فعل بمعنى مفعول كنقض وحسب ومنه قولهم ضم نشره وبشراً جمع بشير وبشراً بتخفيفه وبشرى
بفتح الباء مصدر من بشره بمعنى بشره أي باشرات وبشرى (بين يدي رحمته) أمام رحمته وهي الغيث الذي
هو من أجل النعم وأحسنها وأجداها أثراً (أقلت) حملت ورفعت واشتقاق الإقلال من القلة لأن الرافع المطيق
يرى الذي يرفعه قليلاً (سحاباً ثقالاً) سحائب ثقالاً بالماء جمع سحابة (سقناه) الضمير للسحاب على اللفظ ولو حمل
على المعنى كالثقال لأنث كما لو حمل الوصف على اللفظ لقيل ثقيلاً (لبلد ميت) لأجل بلد ليس فيه حيا ولسقيه
وقرئ ميت (فأنزلنا به) بالبلد أو بالسحاب أو بالسوق وكذلك (فأخرجنا به * كذلك) مثل ذلك الإخراج
وهو إخراج الثمرات (نخرج الموتى لعلكم تذكرون) فيؤديكم التذكر إلى أنه لا فرق بين الإخراجين إذ كل واحد
منهما إعادة للشيء بعد إنشائه (والبلد الطيب) الأرض الكريمة التربة (والذي خبث) الأرض
السبخة التي لا تنبت ما ينتفع به * بإذن ربه بتيسيره وهو في موضع الحال كأنه قيل يخرج نباته حسناً وافياً
لأنه واقع في مقابلة (نكداً) والنكد الذي لا خير فيه * وقرئ يخرج نباته أي يخرجه البلد وينبته
وقوله والذي خبث صفة للبلد ومعناه والبلد الخبيث لا يخرج نباته إلا نكداً فحذف المضاف الذي هو النبات
وأقيم المضاف إليه الذي هو الراجع إلى البلد مقامه إلا أنه كان مجروراً بارزاً فانقلب مرفوعاً مستكناً لوقوعه
موقع الفاعل أو يقدر ونبات الذي خبث * وقرئ نكداً بفتح الكاف على المصدر أي ذا نكد ونكداً
بإسكانها للتخفيف كقوله نزه عن الريب بمعنى نزه وهذا مثل لمن ينجع فيه الوعظ والتنبيه من المكلفين
ولمن لا يؤثر فيه شيء من ذلك وعن مجاهد آدم وذريته منهم خبيث وطيب وعن قتادة المؤمن سمع كتاب الله
فوعاه بعقله وانتفع به كالأرض الطيبة أصابها الغيث فأنبتت والكافر بخلاف ذلك وهذا التمثيل واقع على
أثر ذكر المطر وإنزاله بالبلد الميت وإخراج الثمرات به على طريق الاستطراد (كذلك) مثل ذلك التصريف
(نصرف الآيات) نرددها ونكررها (لقوم يشكرون) نعمة الله وهم المؤمنون ليفكروا فيها ويعتبروا
بها وقرئ يصرف بالياء أي يصرفها الله (لقد أرسلنا نوحاً) جواب قسم محذوف (فإن قلت) ما لهم
لا يكادون ينطقون بهذه اللام إلا مع قد وقل عنهم نحو قوله حلفت لها بالله حلفة فاجر * لناموا
(قلت) إنما كان ذلك لأن الجملة القسمية لا تساق إلا تأكيداً للجملة المقسم عليها التي هي جوابها
فكانت مظنة لمعنى التوقع الذي هو معنى قد عند استماع المخاطب كلمة القسم قيل أرسل نوح عليه السلام
وهو ابن خمسين سنة وكان نجاراً وهو نوح بن لمك بن متوشلخ بن أخنوخ وأخنوخ اسم إدريس النبي عليه
السلام * وقرئ غيره بالحركات الثلاث فالرفع على المحل كأنه قيل ما لكم إله غيره والجر على اللفظ

إنه لا يحب المعتدين ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها وادعوه خوفاً وطمعاً إن رحمت الله قريب من المحسنين وهو الذي يرسل الرياح بشراً بين يدي رحمته حتى إذا أقلت سحاباً ثقالاً سقناه لبلد ميت فأنزلنا به الماء فأخرجنا به من كل الثمرات كذلك نخرج الموتى لعلكم تذكرون والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه والذي خبث لا يخرج إلا نكداً كذلك نصرف الآيات لقوم يشكرون لقد أرسلنا نوحاً إلى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم

عقول كثيرة من الخلق اللهم أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه

* قوله تعالى قال الملأ من قومه إنا لنراك فى ضلال مبين قال يا قوم ليس بى ضلالة ولكنى رسول من رب العالمين (قال إن قلت لم قال ليس بى ضلالة ولم يقل ضلال الخ) قال أحمد تعليله كون نفيها أبلغ من نفى الضلال بأنها أخص منه غير مستقيم والله أعلم فإن نفى الأخص أعم من نفى الأعم فلا يستلزمه ضرورة أن الأعم لا يستلزم الأخص بخلاف العكس ألا ترى أنك إذا قلت هذا ليس بإنسان لم يستلزم ذلك أن لا يكون حيوانا ولو قلت (٤٩٠) هذا ليس بحيوان لاستلزم أن لا يكون إنسانا فنفى الأعم كما ترى أبلغ من نفى الأخص والتحقيق فى الجواب أن يقال الضلالة أدنى من الضلال وأقل لأنها لا تطلق إلا على الفعلة الواحدة منه وأما الضلال فينطلق على القليل والكثير من جنسه ونفى الأدنى أبلغ من نفى الأعلى لا من حيث كونه أخص وهو من باب التنبيه بالأدنى على الأعلى والله أعلم * قوله تعالى ولكنى رسول من رب العالمين أبلغكم رسالات ربى الآية (قال إن قلت كيف موقع قوله أبلغكم فيه وجهان الخ) قال أحمد وقد استدرك ابن جنى قول أبى الطيب * أنا الذى نظر الأعمى إلى أدبى * عدولا عن لفظ الغيبة لو كان إلى أدبه وهذه الآية والرجز المقوى كفيلان بتحسين ما ارتكبه أبو الطيب

قال الملأ من قومه إنا لنراك فى ضلال مبين قال يا قوم ليس بى ضلالة ولكنى رسول من رب العالمين أبلغكم رسالات ربى وأنصح لكم وأعلم من الله ما لا تعلمون أوعجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم ولتتقوا ولعلكم ترحمون فكذبوه فأنجيناه والذين معه فى الفلك وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا إنهم كانوا قوما عمين وإلى عاد

والنصب على الاستثناء بمعنى ما لكم من إله إلا إياه كقولك ما فى الدار من أحد إلا زيدا وغير زيد (فإن قلت) فما موقع الجملتين بعد قوله اعبدوا الله (قلت) الأولى بيان لوجه اختصاصه بالعبادة والثانية بيان للداعى إلى عبادته لأنه هو المحذور عقابه دون ما كانوا يعبدونه من دون الله * واليوم العظيم يوم القيامة أو يوم نزول العذاب عليهم وهو الطوفان (الملأ) الأشراف والسادة وقيل الرجال ليس معهم نساء (فى ضلال) فى ذهاب عن طريق الصواب والحق * ومعنى الرؤية رؤية القلب * (فإن قلت) لم قال (ليس بى ضلالة) ولم يقل ضلال كما قالوا (قلت) الضلالة أخص من الضلال فكانت أبلغ فى نفى الضلال عن نفسه كأنه قال ليس بى شئ من الضلال كما لو قيل لك ألك تمر فقلت ما لى تمرة (فإن قلت) كيف وقع قوله (ولكنى رسول) استدراكا للانتفاء عن الضلالة (قلت) كونه رسولا من الله مبلغا رسالاته ناصحا فى معنى كونه على الصراط المستقيم فصح لذلك أن يكون استدراكا للانتفاء عن الضلالة * وقرئ أبلغكم بالتخفيف (فإن قلت) كيف موقع قوله أبلغكم (قلت) فيه وجهان أحدهما أن يكون كلاما مستأنفا بيانا لكونه رسول رب العالمين والثانى أن يكون صفة لرسول (فإن قلت) كيف جاز أن يكون صفة والرسول لفظه لفظ الغائب (قلت) جاز ذلك لأن الرسول وقع خبرا عن ضمير المخاطب وكان معناه كما قال * أنا الذى سمتنى أمى حيدره * (رسالات ربى) ما أوحى إلىّ فى الأوقات المتطاولة أو فى المعانى المختلفة من الأوامر والنواهى والمواعظ والزواجر والبشائر والنذائر ويجوز أن يريد رسالاته إليه وإلى الأنبياء قبله من صحف جده إدريس وهى ثلاثون صحيفة ومن صحف شيث وهى خمسون صحيفة (وأنصح لكم) يقال نصحته ونصحت له وفى زيادة اللام مبالغة ودلالة على إمحاض النصيحة وأنها وقعت خالصة للمنصوح له مقصودا بها جانبه لا غير فرب نصيحة ينتفع بها الناصح فيقصد النفعين جميعا ولا نصيحة أمحض من نصيحة الله تعالى ورسله عليهم السلام (وأعلم من الله ما لا تعلمون) أى من صفات الله وأحواله يعنى قدرته الباهرة وشدة بطشه على أعدائه وأن بأسه لا يرد عن القوم المجرمين وقيل لم يسمعوا بقوم حل بهم العذاب قبلهم فكانوا آمنين لا يعلمون ما علمه نوح بوحى الله إليه أو أراد وأعلم من جهة الله أشياء لا علم لكم بها قد أوحى إلىّ بها (أوعجبتم) الهمزة للإنكار والواو للعطف والمعطوف عليه محذوف كأنه قيل أكذبتم وعجبتم (أن جاءكم) من أن جاءكم (ذكر) موعظة (من ربكم على رجل منكم) على لسان رجل منكم كقوله ما وعدتنا على رسلك وذلك أنهم كانوا يتعجبون من نبوة نوح عليه السلام ويقولون ما سمعنا بهذا فى آبائنا الأولين يعنون إرسال البشر ولو شاء ربنا لأنزل ملائكة (لينذركم ولتتقوا) ليحذركم عاقبة الكفر وليوجد منكم التقوى وهى الخشية بسبب الإنذار (ولعلكم ترحمون) ولترحموا بالتقوى إن وجدت منكم (والذين معه) قيل كانوا أربعين رجلا وأربعين امرأة وقيل تسعة بنوه سام وحام ويافث وستة ممن آمن به (فإن قلت) (فى الفلك) بم يتعلق (قلت) هو متعلق بمعه كأنه قيل والذين استقروا معه فى الفلك أو صحبوه فى الفلك ويجوز أن يتعلق بفعل الإنجاء أى أنجيناهم فى السفينة من الطوفان (عمين) عمى القلوب غير مستبصرين وقرئ عامين والفرق بين العمى والعامى أن العمى يدل على عمى ثابت

أخاهم هوداً قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره أفلا تتقون قال الملأ الذين كفروا من قومه إنا لنراك في سفاهة وإنا لنظنك من الكاذبين قال يا قوم ليس بي سفاهة ولكني رسول من رب العالمين أبلغكم رسالات ربي وأنا لكم ناصح أمين أوعجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح وزادكم في الخلق بسطة فاذكروا آلاء الله لعلكم تفلحون قالوا أجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين قال قد وقع عليكم من ربكم رجس وغضب أتجادلونني في أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما نزل الله بها من سلطان فانتظروا إني معكم من المنتظرين فأنجيناه والذين معه برحمة منا وقطعنا دابر الذين كذبوا بآياتنا

ثابت والعمي على عمى حادث ونحوه قوله وصائق به صدرك (أخاهم) واحداً منهم من قولك يا أخا العرب للواحد منهم وإنما جعل واحداً منهم لأنهم أفهم عن رجل منهم وأعرف بحاله في صدقه وأمانته وهو هود بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح وأخاهم عطف على نوحاً و(هوداً) عطف بيان له (فإن قلت) لم حذف العاطف من قوله (قال يا قوم) ولم يقل فقال كما في قصة نوح (قلت) هو على تقدير سؤال سائل قال فما قال لهم هود فقيل قال يا قوم اعبدوا الله وكذلك (قال الملأ) (فإن قلت) لم وصف الملأ (الذين كفروا) دون الملأ من قوم نوح (قلت) كان في أشراف قوم هود من آمن به منهم مرثد بن سعد الذي أسلم وكان يكتم إسلامه فأريدت التفرقة بالوصف ولم يكن في أشراف قوم نوح مؤمن ونحوه قوله تعالى وقال الملأ من قومه الذين كفروا وكذبوا بلقاء الآخرة ويجوز أن يكون وصفاً وارداً للذم لا غير (في سفاهة) في خفة حلم وسخافة عقل حيث تهجر دين قومك إلى دين آخر وجعلت السفاهة ظرفاً على طريق المجاز أرادوا أنه متمكن فيها غير منفك عنها وفي إجابة الأنبياء عليهم السلام من نسبهم إلى الضلال والسفاهة بما أجابوهم به من الكلام الصادر عن الحلم والإغضاء وترك المقابلة بما قالوا لهم مع علمهم بأن خصومهم أضل الناس وأسفههم أدب حسن وخلق عظيم وحكاية الله عز وجل ذلك تعليم لعباده كيف يخاطبون السفهاء وكيف يغضون عنهم ويسبلون أذيالهم على ما يكون منهم (ناصح أمين) أي عرفت فيما بينكم بالنصح والأمانة فما حقي أن أتهم أو أنا لكم ناصح فيما أدعوكم إليه أمين على ما أقول لكم لا أكذب فيه (خلفاء من بعد قوم نوح) أي خلفتموهم في الأرض أو جعلكم ملوكاً في الأرض قد استخلفكم فيها بعدهم (في الخلق بسطة) فيما خلق من أجرامكم ذهاباً في الطول والبدانة قيل كان أقصرهم ستين ذراعاً وأطولهم مائة ذراع (فاذكروا آلاء الله) في استخلافكم وبسطة أجرامكم وما سواهما من عطاياه وواحد الآلاء إلى نحو إنى وآناء وضلع وأضلاع وعنب وأعناب (فإن قلت) إذ في قوله إذ جعلكم خلفاء ما وجه انتصابه (قلت) هو مفعول به وليس بظرف أي اذكروا وقت استخلافكم (أجئتنا لنعبد الله وحده) أنكروا واستبعدوا اختصاص الله وحده بالعبادة وترك دين الآباء في اتخاذ الأصنام شركاء معه حباً لما نشؤوا عليه وإلفاً لما صادفوا آباءهم يتدينون به (فإن قلت) ما معنى المجيء في قوله أجئتنا (قلت) فيه أوجه أن يكون لهود عليه السلام مكان معتزل عن قومه يتحنث فيه كما كان يفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم بحراء قبل المبعث فلما أوحي إليه جاء قومه يدعوهم وأن يريدوا به الاستهزاء لأنهم كانوا يعتقدون أن الله تعالى لا يرسل إلا الملائكة فكأنهم قالوا أجئتنا من السماء كما يجيء الملك وأن لا يريدوا حقيقة المجيء ولكن التعرض بذلك والقصد كما يقال ذهب يشتمني ولا يراد حقيقة الذهاب كأنهم قالوا أقصدتنا لنعبد الله وحده وتعرضت لنا بتكليف ذلك (فأتنا بما تعدنا) استعجال منهم للعذاب (قد وقع عليكم) أي حق عليكم ووجب أو قد نزل عليكم جعل المتوقع الذي لا بد من نزوله بمنزلة الواقع ونحوه قولك لمن طلب إليك بعض المطالب قد كان ذلك وعن حسان أن ابنه عبد الرحمن لسعه زنبور وهو طفل فجاء يبكي فقال له يا بني ما لك قال لسعني طوير كأنه ملتف في بردي حبرة فضمه إلى صدره وقال له يا بني قد قلت الشعر • والرجس العذاب من الارتجاس وهو الاضطراب (في أسماء سميتموها) في أشياء ما هي إلا أسماء ليس تحتها مسميات لأنكم تسمونها آلهة ومعنى الإلهية فيها معدوم ومحال وجوده وهذا كقوله تعالى ما تدعون من دونه من شيء ومعنى سميتموها سميتم بها من سميته زيداً وقطع دابرهم استئصالهم وتدميرهم عن آخرهم وقصتهم أن عاداً قد تبسطوا في البلاد ما بين عمان وحضرموت وكانت لهم أصنام يعبدونها صداء وصمود والهباء فبعث الله إليهم هوداً نبياً وكان من أوسطهم وأفضلهم حسباً فكذبوه وازدادوا عتواً وتجبراً فأمسك الله عنهم القطر ثلاث سنين حتى جهدوا وكان الناس إذا نزل بهم بلاء طلبوا إلى الله تعالى الفرج منه

(قال فإن قلت لم حذف العاطف من قوله تعالى في قصة هود وهذه قال يا قوم ولم يقل فقال قلت لأنه أخرج الكلام جواباً عن سؤال سائل كأنه قيل فما قال هود حينئذ فقيل قال يا قوم وكذلك قال الملأ) قال أحمد وحذف العاطف (٤٩١) من المقاولة ألا ترى قوله في سورة الشعراء حكاية عن تقاول موسى عليه السلام وفرعون كيف أسقط ذكر العاطف منه على كثرة الأقوال المعدودة فيها ولسر في ذلك والله أعلم أن العاطف ينتظم الجمل حين يصيرها كالجملة الواحدة فاجتنب لإرادة استقلال كل واحدة منها في معناها والله أعلم

بمدينته الحرم مسلمهم ومشركهم وأهل مكة إذ ذاك العماليق أولاد عمليق بن لاوذ بن سام بن نوح وسيدهم معاوية بن بكر فجهزت عاد إلى مكة من أماثلهم سبعين رجلا منهم قيل بن عنز ومرثد بن سعد الذي كان يكتم إسلامه فلما قدموا نزلوا على معاوية بن بكر وهو بظاهر مكة خارجا عن الحرم فأنزلهم وأكرمهم وكانوا أخواله وأصهاره فأقاموا عنده شهرا يشربون الخمر وتغنيهم الجرادتان قينتان كانتا لمعاوية فلما رأى طول مقامهم وذهولهم باللهو عما قدموا له أهمه ذلك وقال قد هلك أخوالي وأصهاري وهؤلاء على ما هم عليه وكان يستحيي أن يكلمهم خيفة أن يظنوا به ثقل مقامهم عليه فذكر ذلك للقينتين فقالتا قل شعرا نغنيهم به لا يدرون من قاله فقال معاوية

ألا يا قيل ويحك قم فهينم ❊ لعل الله يسقينا غماما
فيسقي أرض عاد إن عادا ❊ قد امسوا ما يبينون الكلاما

فلما غنتا به قالوا إن قومكم يتغوثون من البلاء الذي نزل بهم وقد أبطأتم عليهم فادخلوا الحرم واستسقوا لقومكم فقال لهم مرثد بن سعد والله لا تسقون بدعائكم ولكن إن أطعتم نبيكم وتبتم إلى الله سقيتم وأظهر إسلامه فقالوا لمعاوية احبس عنا مرثدا لا يقدمن معنا مكة فإنه قد تبع دين هود وترك ديننا ثم دخلوا مكة فقال قيل اللهم اسق عادا ما كنت تسقيهم فأنشأ الله سحابات ثلاثا بيضاء وحمراء وسوداء ثم ناداه مناد من السماء يا قيل اختر لنفسك ولقومك فقال اخترت السوداء فإنها أكثرهن ماء فخرجت على عاد من واد يقال له المغيث فاستبشروا بها وقالوا هذا عارض ممطرنا فجاءتهم منها ريح عقيم فأهلكتهم ونجا هود والمؤمنون معه فأتوا مكة فعبدوا الله فيها حتى ماتوا (فإن قلت) ما فائدة نفي الإيمان عنهم في قوله (وما كانوا مؤمنين) مع إثبات التكذيب بآيات الله (قلت) هو تعريض بمن آمن منهم كمرثد بن سعد ومن نجا مع هود عليه السلام كأنه قال وقطعنا دابر الذين كذبوا منهم ولم يكونوا مثل من آمن منهم ليؤذن أن الهلاك خص المكذبين ونجى الله المؤمنين. قرئ وإلى ثمود بمنع الصرف بتأويل القبيلة وإلى ثمود بالصرف بتأويل الحي أو باعتبار الأصل لأنه اسم أبيهم الأكبر وهو ثمود بن عابر بن إرم بن سام بن نوح وقيل سميت ثمود لقلة مائها من الثمد وهو الماء القليل وكانت مساكنهم الحجر بين الشام والحجاز إلى وادي القرى (قد جاءتكم بينة) آية ظاهرة وشاهد على صحة نبوتي ❊ وكأنه قيل ما هذه البينة فقال (هذه ناقة الله لكم آية) وآية نصب على الحال والعامل فيها ما دل عليه اسم الإشارة من معنى الفعل كأنه قيل أشير إليها آية ولكم بيان لمن هي له آية موجبة عليه الإيمان خاصة وهم ثمود لأنهم عاينوها وسائر الناس أخبروا عنها وليس الخبر كالمعاينة كأنه قال لكم خصوصا وإنما أضيفت إلى اسم الله تعظيما لها وتفخيما لشأنها وأنها جاءت من عنده مكونة من غير فحل وطروقة آية من آياته كما تقول آية الله. وروي أن عادا لما أهلكت عمرت ثمود بلادها وخلفوهم في الأرض وكثروا وعمروا أعمارا طوالا حتى إن الرجل كان يبني المسكن المحكم فينهدم في حياته فنحتوا البيوت من الجبال وكانوا في سعة ورخاء من العيش فعتوا على الله وأفسدوا في الأرض وعبدوا الأوثان فبعث الله تعالى إليهم صالحا عليه السلام وكانوا قوما عربا وصالح من أوسطهم نسبا فدعاهم إلى الله تعالى فلم يتبعه إلا قليل منهم مستضعفون فحذرهم وأنذرهم فسألوه آية فقال أية آية تريدون قالوا اخرج معنا إلى عيدنا في يوم معلوم لهم من السنة فتدعو إلهك وندعو آلهتنا فإن استجيب لك اتبعناك وإن استجيب لنا اتبعتنا فقال صالح نعم فخرج معهم ودعوا أوثانهم وسألوها الاستجابة فلم تجبهم ثم قال سيدهم جندع بن عمرو وأشار إلى صخرة منفردة في ناحية الجبل يقال لها الكاثبة أخرج لنا من هذه الصخرة ناقة مخترجة جوفاء وبراء والمخترجة التي شاكلت البخت فإن فعلت صدقناك وأجبناك فأخذ صالح عليه السلام عليهم المواثيق لئن فعلت ذلك لتؤمنن ولتصدقن قالوا نعم فصلى ودعا ربه فتمخضت الصخرة تمخض النتوج بولدها فانصدعت عن ناقة عشراء جوفاء وبراء كما وصفوا لا يعلم ما بين جنبيها إلا الله تعالى وعظماؤهم ينظرون ثم نتجت ولدا مثلها في العظم فآمن به جندع ورهط من قومه ومنع أعقابهم ناس من رؤوسهم أن يؤمنوا فمكثت الناقة مع ولدها ترعى الشجر وتشرب الماء وكانت ترد غبا

وما كانوا مؤمنين وإلى ثمود أخاهم صالحا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم هذه ناقة الله لكم آية فذروها

ودا

• قوله تعالى قال الملأ الذين استكبروا من قومه للذين استضعفوا لمن آمن منهم (قال إن قلت الضمير في منهم راجع إلى ماذا قلت إلى قومه الخ) قال أحمد قوله إن على الأول بدل الشيء من الشيء وهما لعين واحدة وعلى الثاني بدل بعض من كل • عاد كلامه (قال فإن قلت كيف وقع قولهم إنا بما أرسل به مؤمنون جوابا الخ) قال أحمد وقولهم إنه مؤمنون ليس إخبارا عن وجوب الإيمان به بل عن امتثال الواجب والعمل به ونحن قد امتثلنا • عاد كلامه (قال ولذلك كان جواب الكفرة إنا بالذي الخ) قال أحمد ولو طابقوا بين الكلام لكان مقتضى المطابقة أن يقولوا إنا بما أرسل به كافرون ولكن أبوا ذلك حذرا عما في ظاهره من إثباتهم رسالته وهم يجحدونها وقد يصدر مثل ذلك على سبيل التهكم كما قال فرعون إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون فأثبت إرساله تهكما وليس هذا موضع التهكم فإن الغرض إخبار كل واحد من الفريقين المؤمنين والمكذبين عن حاله فلهذا خلص الكافرون قولهم عن إشعار الإيمان بالرسالة احتياطا للكفر وغلوا في الإصرار

تأكل في أرض الله ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب أليم واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد عاد وبوأكم في الأرض تتخذون من سهولها قصورا وتنحتون الجبال بيوتا فاذكروا آلاء الله ولا تعثوا في الأرض مفسدين قال الملأ الذين استكبروا من قومه للذين استضعفوا لمن آمن منهم أتعلمون أن صالحا مرسل من ربه قالوا إنا بما أرسل به مؤمنون قال الذين استكبروا إنا بالذي آمنتم به كافرون فعقروا الناقة

كان يومها وضعت رأسها في البئر فما ترفعه حتى تشرب كل ماء فيها ثم تتفحج فيحتلبون ما شاؤوا حتى تمتلئ أوانيهم فيشربون ويدخرون. قال أبو موسى الأشعري أتيت أرض ثمود فذرعت مصدر الناقة فوجدته ستين ذراعا وكانت إذا وقع الحر تصيفت بظهر الوادي فتهرب منها أنعامهم فتهبط إلى بطنه وإذا وقع البرد تشتت ببطن الوادي فتهرب مواشيهم إلى ظهره فشق ذلك عليهم وزينت عقرها لهم امرأتان عنيزة أم غنم وصدقة بنت المختار لما أضرت به من مواشيهما وكانتا كثيرتي المواشي فعقروها واقتسموا لحمها وطبخوه فانطلق سقبها حتى رقى جبلا اسمه قارة فرغا ثلاثا وكان صالح قال لهم أدركوا الفصيل عسى أن يرفع عنكم العذاب فلم يقدروا عليه وانفجت الصخرة بعد رغائه فدخلها فقال لهم صالح تصبحون غدا ووجوهكم مصفرة وبعد غد ووجوهكم محمرة واليوم الثالث ووجوهكم مسودة ثم يصبحكم العذاب فلما رأوا العلامات طلبوا أن يقتلوه فأنجاه الله إلى أرض فلسطين ولما كان اليوم الرابع وارتفع الضحى تحنطوا بالصبر وتكفنوا بالأنطاع فأتتهم صيحة من السماء فتقطعت قلوبهم فهلكوا (تأكل في أرض الله) أي الأرض أرض الله والناقة ناقة الله فذروها تأكل في أرض ربها فليست الأرض لكم ولا ما فيها من النبات من إنباتكم (ولا تمسوها بسوء) لا تضربوها ولا تطردوها ولا تريبوها بشيء من الأذى إكراما لآية الله ويروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين مر بالحجر في غزوة تبوك قال لأصحابه لا يدخلن أحد منكم قريتهم ولا تشربوا من مائها ولا تدخلوا على هؤلاء المعذبين إلا أن تكونوا باكين أن يصيبكم مثل الذي أصابهم وقال صلى الله عليه وسلم يا علي أتدري من أشقى الأولين قال الله ورسوله أعلم قال عاقر ناقة صالح أتدري من أشقى الآخرين قال الله ورسوله أعلم قال قاتلك وقرأ أبو جعفر في رواية تأكل في أرض الله وهو في موضع الحال بمعنى آكلة (وبوأكم) ونزلكم والمباءة المنزل (في الأرض) في أرض الحجر بين الحجاز والشام (من سهولها قصورا) أي تبنونها من سهولة الأرض بما تعملون منها من الرهص واللبن والآجر وقرأ الحسن وتنحتون بفتح الحاء وتنحاتون بإشباع الفتحة كقوله ينباع من ذفرى أسيل حرة (فإن قلت) علام انتصب (بيوتا) (قلت) على الحال كما تقول خط هذا الثوب قميصا وابر هذه القصبة قلما وهي من الحال المقدرة لأن الجبل لا يكون بيتا في حال النحت ولا الثوب ولا القصبة قميصا وقلما في حال الخياطة والبري وقيل كانوا يسكنون السهول في الصيف والجبال في الشتاء (للذين استضعفوا) للذين استضعفهم رؤساء الكفار واستذلوهم و(لمن آمن منهم) بدل من الذين استضعفوا (فإن قلت) الضمير في منهم راجع إلى ماذا (قلت) إلى قومه أو إلى الذين استضعفوا (فإن قلت) هل لاختلاف المرجعين أثر في اختلاف المعنى (قلت) نعم وذلك أن الراجع إذا رجع إلى قومه فقد جعل من آمن مفسرا لمن استضعف منهم فدل أن استضعافهم كان مقصورا على المؤمنين وإذا رجع إلى الذين استضعفوا لم يكن الاستضعاف مقصورا عليهم ودل أن المستضعفين كانوا مؤمنين وكافرين (أتعلمون أن صالحا مرسل من ربه) قالوه على سبيل الطنز والسخرية كما تقول للمجسمة أتعلمون أن الله فوق العرش (فإن قلت) كيف صح قولهم (إنا بما أرسل به مؤمنون) جوابا له (قلت) سألوهم عن العلم بإرساله فجعلوا إرساله أمرا معلوما مكشوفا مسلما لا يدخله ريب كأنهم قالوا العلم بإرساله وبما أرسل به ما لا كلام فيه ولا شبهة تدخله لوضوحه وإنارته وإنما الكلام في وجوب الإيمان به فنخبركم أنا به مؤمنون ولذلك كان جواب الكفرة (إنا بالذي آمنتم به كافرون) فوضعوا آمنتم به موضع أرسل به ردا لما جعله المؤمنون معلوما وأخذوه مسلما (فعقروا الناقة) أسند العقر إلى جميعهم لأنه كان برضاهم وإن لم يباشره إلا بعضهم وقد يقال

للقبيلة اضيعة أنتم بعتم كذا وما دعاه الا واحد منهم (وعتوا عن أمر ربهم) وتولوا عنه واستكبروا عن امتثاله عاتين وأمر ربهم ما أمر به على لسان صالح عليه السلام من قوله فذروها تأكل في أرض الله أو شأن ربهم وهو دينه ويجوز أن يكون المعنى وصدر عتوهم عن أمر ربهم كأن أمر ربهم بتركها كان هو السبب في عتوهم ونحو عن هذه ما في قوله وما فعلته عن أمري (ائتنا بما تعدنا) أرادوا من العذاب وإنما أطلقوه لانه كان معلوما واستعجلوه لتكذيبهم به ولذلك علقوه بما هم به كافرون وهو كونه من المرسلين (الرجفة) الصيحة التي زلزلت لها الارض واضطربوا لها (في دارهم) في بلادهم أو في مساكنهم (جاثمين) هامدين لا يتحركون موتى يقال الناس جثم أي قعود لا حراك بهم ولا ينبسون نبسة ومنه المجثمة التي جاء النهي عنها وهي البهيمة تربط وتجمع قوائمها لترمى وعن جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم لما مر بالحجر قال لا تسألوا الآيات فقد سألها قوم صالح فأخذتهم الصيحة فلم يبق منهم الا رجل واحد كان في حرم الله قالوا من هو قال ذاك أبو رغال فلما خرج من الحرم أصابه ما أصاب قومه وروى أن صالحا كان مثله في قومه حد في أمره وروى أنه عليه السلام مر بقبر أبي رغال فقال أتدرون من هذا قالوا الله ورسوله أعلم فذكر قصة أبي رغال وأنه دفن ههنا ودفن معه غصن من ذهب فابتدروه وبحثوا عنه بأسيافهم واستخرجوا الغصن (فتولى عنهم) الظاهر أنه كان مشاهدا لما جرى عليهم وأنه تولى عنهم بعدما أبصرهم جاثمين تولى مغتم متحسر على ما فاته من ايمانهم يتحزن لهم ويقول (يا قوم لقد) بذلت فيكم وسعي ولم آل جهدا في إبلاغكم النصيحة لكم ولكنكم (لا تحبون الناصحين) ويجوز أن يتولى عنهم تولي ذاهب عنهم منكر لاصرارهم حين رأى العلامات قبل نزول العذاب وروى أن عقرهم الناقة كان يوم الاربعاء ونزل بهم العذاب يوم السبت وروى أنه خرج في مائة وعشرة من المسلمين وهو يبكي فالتفت فرأى الدخان ساطعا فعلم أنهم قد هلكوا وكانوا ألفا وخمسمائة دار وروى أنه رجع بمن معه فسكنوا ديارهم (فإن قلت) كيف صح خطاب الموتى وقوله ولكن لا تحبون الناصحين (قلت) قد يقول الرجل لصاحبه وهو ميت وكان قد نصحه حيا فلم يسمع منه حتى ألقى بنفسه في التهلكة يا أخي كم نصحتك وكم قلت لك فلم تقبل مني وقوله ولكن لا تحبون الناصحين حكاية حال ماضية (ولوطا) أي وأرسلنا لوطا و(إذ) ظرف لأرسلنا أو واذكر لوطا وإذ بدل منه بمعنى واذكر وقت (قال لقومه أتأتون الفاحشة) أتفعلون السيئة المتمادية في القبح (ما سبقكم بها) ما عملها قبلكم والباء للتعدية من قولك سبقته بالكرة إذا ضربتها قبله ومنه قوله عليه السلام سبقك بها عكاشة (من أحد من العالمين) من الاولى زائدة لتوكيد النفي وافادة معنى الاستغراق والثانية للتبعيض (فإن قلت) ما موقع هذه الجملة (قلت) هي جملة مستأنفة أنكر عليهم أولا بقوله أتأتون الفاحشة ثم وبخهم عليها فقال أنتم أول من عملها أو على أنه جواب لسؤال مقدر كأنهم قالوا لم لا نأتيها فقال ما سبقكم بها أحد فلا تفعلوا ما لم تسبقوا به (إنكم لتأتون الرجال) بيان لقوله أتأتون الفاحشة والهمزة مثلها في أتأتون للانكار والتقبيح وقرئ إنكم على الاخبار المستأنف لتأتون الرجال من أتى المرأة إذا غشيها (شهوة) مفعول له أي للاشتهاء لا حامل لكم عليه الا مجرد الشهوة من غير داع آخر ولا ذم أعظم منه لانه وصف لهم بالبهيمية وأنه لا داعي لهم من جهة العقل البتة كطلب النسل ونحوه أو حال بمعنى مشتهين تابعين للشهوة غير ملتفتين الى السماجة (بل أنتم قوم مسرفون) أضرب عن الانكار الى الاخبار عنهم بالحال التي توجب ارتكاب القبائح وتدعو الى اتباع الشهوات وهو أنهم قوم عادتهم الاسراف وتجاوز الحدود في كل شيء فمن ثم أسرفوا في باب قضاء الشهوة حتى تجاوزوا المعتاد الى غير المعتاد ونحوه بل أنتم قوم عادون (وما كان جواب قومه الا أن قالوا) يعني ما أجابوه بما يكون جوابا عما كلمهم به لوط عليه السلام من انكار الفاحشة وتعظيم أمرها ووسمهم بسمة الاسراف الذي هو أصل الشر كله ولكنهم جاؤا بشيء آخر لا يتعلق بكلامه ونصيحته من الامر باخراجه ومن معه من المؤمنين من قريتهم ضجرا بهم وبما يسمعونهم من وعظهم ونصحهم وقولهم (إنهم أناس يتطهرون) سخرية بهم وبتطهرهم من الفواحش وافتخارا بما كانوا فيه من القذارة كما يقول الشطار من الفسقة لبعض الصلحاء إذا وعظهم أبعدوا عنا هذا المتقشف وأريحونا من هذا المتزهد (وأهله) ومن يختص به من ذويه أو من المؤمنين (من الغابرين) من الذين غبروا في ديارهم أي بقوا فهلكوا

وعتوا عن أمر ربهم وقالوا يا صالح ائتنا بما تعدنا إن كنت من المرسلين فأخذتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين فتولى عنهم وقال يا قوم لقد أبلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين ولوطا إذ قال لقومه أتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين إنكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء بل أنتم قوم مسرفون وما كان جواب قومه الا أن قالوا أخرجوهم من قريتكم إنهم أناس يتطهرون فأنجيناه وأهله الا امرأته كانت من الغابرين

ولتذكير

والتذكير لتغليب الذكور على الإناث وكانت كافرة موالية لأهل سدوم وروى أنها التفتت فأصابها حجر فماتت * وقيل كانت المؤتفكة خمس مدائن وقيل كانوا أربعة آلاف بين الشام والمدينة فأمطر الله عليهم الكبريت والنار وقيل خسف بالمقيمين منهم وأمطرت الحجارة على مسافريهم وشذاذهم وقيل أمطر عليهم ثم خسف بهم وروى أن تاجرا منهم كان في الحرم فوقف له الحجر أربعين يوما حتى قضى تجارته وخرج من الحرم فوقع عليه (فإن قلت) أي فرق بين مطر وأمطر (قلت) يقال مطرتهم السماء وواد ممطور وفي نوابغ الكلم حرى غير ممطور حرى أن يكون غير ممطور ومعنى مطرتهم أصابتهم بالمطر كقولهم غاثتهم ووبلتهم وجادتهم ورهمتهم ويقال أمطرت عليهم كذا بمعنى أرسلته عليهم إرسال المطر فأمطر علينا حجارة من السماء وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل ومعنى (وأمطرنا عليهم مطرا) وأرسلنا عليهم نوعا من المطر عجيبا يعني الحجارة ألا ترى إلى قوله فساء مطر المنذرين كان يقال لشعيب عليه السلام خطيب الأنبياء لحسن مراجعته قومه وكانوا أهل بخس للمكاييل والموازين (قد جاءتكم بينة من ربكم) معجزة شاهدة بصحة نبوتي أوجبت عليكم الإيمان بي والأخذ بما آمركم به والانتهاء عما أنهاكم عنه فأوفوا ولا تبخسوا (فإن قلت) ما كانت معجزته (قلت) قد وقع العلم بأنه كانت له معجزة لقوله قد جاءتكم بينة من ربكم ولأنه لا بد لمدعي النبوة من معجزة تشهد له وتصدقه وإلا لم تصح دعواه وكان متنبئا لا نبيا غير أن معجزته لم تذكر في القرآن كما لم تذكر أكثر معجزات نبينا صلى الله عليه وسلم فيه ومن معجزات شعيب عليه السلام ما روى من محاربة عصا موسى عليه السلام التنين حين دفع إليه غنمه وولادة الغنم الدرع خاصة حين وعده أن تكون له الدرع من أولادها ووقوع عصى آدم عليه السلام على يده في المرات السبع وغير ذلك من الآيات لأن هذه كلها كانت قبل أن يستنبأ موسى عليه السلام فكانت معجزات لشعيب (فإن قلت) كيف قيل (الكيل والميزان) وهلا قيل المكيال والميزان كما في سورة هود عليه السلام (قلت) أريد بالكيل آلة الكيل وهو المكيال أو سمى ما يكال به بالكيل كما قيل العيش لما يعاش به أو أريد فأوفوا الكيل ووزن الميزان ويجوز أن يكون الميزان كالميعاد والميلاد بمعنى المصدر ويقال بخسته حقه إذا نقصته إياه ومنه قيل للمكس البخس وفي أمثالهم تحسبها حمقاء وهي باخس وقيل (أشياءهم) لأنهم كانوا يبخسون الناس كل شيء في مبايعاتهم أو كانوا مكاسين لا يدعون شيأ إلا مكسوه كما يفعل أمراء الحرمين وروى أنهم كانوا إذا دخل الغريب بلدهم أخذوا دراهمه الجياد وقالوا هي زيوف فقطعوها قطاعا ثم أخذوها بنقصان ظاهر أو أعطوه بدلها زيوفا (بعد إصلاحها) بعد الإصلاح فيها أي لا تفسدوا فيها بعد ما أصلح فيها الصالحون من الأنبياء وأتباعهم العاملين بشرائعهم وإضافته كإضافة قوله بل مكر الليل والنهار بمعنى بل مكركم في الليل والنهار أو بعد إصلاح أهلها على حذف المضاف (ذلكم) إشارة إلى ما ذكر من الوفاء بالكيل والميزان وترك البخس والإفساد في الأرض أو إلى العمل بما أمرهم به ونهاهم عنه ومعنى (خير لكم) يعني في الإنسانية وحسن الأحدوثة وما تطلبونه من التكسب والتربح لأن الناس أرغب في متاجرتكم إذا عرفوا منكم الأمانة والتسوية (إن كنتم مؤمنين) إن كنتم مصدقين لي في قولي ذلكم خير لكم (ولا تقعدوا بكل صراط) ولا تقتدوا بالشيطان في قوله لأقعدن لهم صراطك المستقيم فتقعدوا بكل صراط أي بكل منهاج من مناهج الدين والدليل على أن المراد بالصراط سبيل الحق قوله (وتصدون عن سبيل الله) * ومحل توعدون وما عطف عليه النصب على الحال أي ولا تقعدوا موعدين وصادين عن سبيل الله وباغين لها عوجا (فإن قلت) صراط الحق واحد وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله فكيف قيل بكل صراط (قلت) صراط الحق واحد ولكنه يتشعب إلى معارف وحدود وأحكام كثيرة مختلفة فكانوا إذا رأوا أحدا يشرع في شيء منها أوعدوه وصدوه (فإن قلت) إلام يرجع الضمير في (آمن به) (قلت) إلى كل صراط تقديره توعدون من آمن به وتصدون عنه فوضع الظاهر الذي هو سبيل الله موضع الضمير زيادة في تقبيح أمرهم ودلالة على عظم ما يصدون عنه وقيل كانوا يجلسون على الطرق والمراصد فيقولون لمن يمر بهم إن شعيبا كذاب فلا يفتننكم عن دينكم كما كان يفعل

وأمطرنا عليهم مطرا فانظر كيف كان عاقبة المجرمين وإلى مدين أخاهم شعيبا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم فأوفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها ذلكم خير لكم إن كنتم مؤمنين ولا تقعدوا بكل صراط توعدون وتصدون عن سبيل الله من آمن به

---

* قوله تعالى وأمطرنا عليهم مطرا (قال يقال مطرتهم السماء وواد ممطور الخ) قال أحمد مقصود المصنف الرد على من يقول مطرت السماء في الخير وأمطرت في الشر ويتوهم أنها تفرقة وضعية فبين أن أمطرت معناه أرسلت شيأ على نحو المطر وإن لم يكن ماء حتى لو أرسل الله من السماء أنواعا من الخيرات والأرزاق مثلا كالمن والسلوى لجاز أن يقال فيه أمطرت السماء خيرات أي أرسلتها إرسال المطر فليس للشر خصوصية في هذه الصيغة الرباعية ولكن اتفق أن السماء لم ترسل شيأ سوى المطر إلا وكان عذابا فظن أن الوقع اتفاقا مقصودا في الوضع فنبه على تحقيق الأمر فيه وأحسن وأجمل

* قوله تعالى قال الملأ الذين استكبروا من قومه لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا أو لتعودن في ملتنا الآيات (قال ان قلت كيف خاطبوا شعيبا بصيغة العود الخ) قال أحمد والزمخشري بنى هذا الكلام على أن صيغة العود تستدعي رجوعا لما قد كان عليه قبل والتحقيق في الجواب عن السؤال المذكور منع اقتضاء العود لذلك فان هذا الفعل وان استعمل كذلك الا أنه كثيرا ما يرد بمعنى صار وحينئذ يجوز أن يكون أحال كان ولا يستدعي الرجوع الى حالة سابقة بل عكس ذلك وهو الانتقال من حال سابقة الى حالة مؤتنفة مثل صار وكأنهم قالوا والله أعلم لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا أو لتصيرن كفارا مثلنا وحينئذ يندفع السؤال أو يسلم استعمال العود بمعنى الرجوع الى أمر سابق ويجاب عن ذلك بمثل الجواب عن قوله تعالى الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور الى الظلمات والاخراج يستدعي دخولا سابقا فيما وقع الاخراج منه ونحن نعلم ان المؤمن الذي نشأ في الايمان لم يدخل قط في ظلمة الكفر ولا كان فيها وكذلك الكافر الاصلي لم يدخل قط في نور الايمان ولا كان فيه ولكن (٤٩٦) لما كان الايمان والكفر من الافعال الاختيارية التي خلق الله العبد ميسرا لكل واحد

وتبغونها عوجا واذكروا إذ كنتم قليلا فكثركم وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين وان كان طائفة منكم آمنوا بالذي أرسلت به وطائفة لم يؤمنوا فاصبروا حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين قال الملأ الذين استكبروا من قومه لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا أو لتعودن في ملتنا قال أولو كنا كارهين قد افترينا على الله كذبا ان عدنا في ملتكم بعد اذ نجانا الله منها وما يكون لنا أن نعود فيها الا أن يشاء الله ربنا

قريش بمكة وقيل كانوا يقطعون الطرق وقيل كانوا عشارين (وتبغونها عوجا) وتطلبون لسبيل الله عوجا أي تصفونها للناس بأنها سبيل معوجة غير مستقيمة لتصدوهم عن سلوكها والدخول فيها أو يكون تهكما بهم وأنهم يطلبون لها ما هو محال لأن طريق الحق لا يعوج (واذكروا اذ كنتم قليلا) اذ مفعول به غير ظرف أي واذكروا على جهة الشكر وقت كونكم قليلا عددكم (فكثركم) الله ووفر عددكم قيل ان مدين بن ابراهيم تزوج بنت لوط فولدت فرمى الله في نسلها بالبركة والنماء فكثروا وفشوا ويجوز اذ كنتم مقلين فقراء فكثركم فجعلكم مكثرين موسرين أو كنتم أقلة أذلة فأعزكم بكثرة العدد والعدد (عاقبة المفسدين) آخر أمر من أفسد قبلكم من الامم كقوم نوح وهود وصالح ولوط وكانوا قريبي العهد بما أصاب المؤتفكة (فاصبروا) فتربصوا وانتظروا (حتى يحكم الله بيننا) أي بين الفريقين بأن ينصر المحقين على المبطلين ويظهرهم عليهم وهذا وعيد للكافرين بانتقام الله منهم كقوله فتربصوا انا معكم متربصون أو هو عظة للمؤمنين وحث على الصبر واحتمال ما كان يلحقهم من أذى المشركين الى ان يحكم الله بينهم وينتقم لهم منهم ويجوز أن يكون خطابا للفريقين أي ليصبر المؤمنون على أذى الكفار وليصبر الكفار على ما يسوءهم من ايمان من آمن منهم حتى يحكم الله فيميز الخبيث من الطيب (وهو خير الحاكمين) لان حكمه حق وعدل لا يخاف فيه الحيف * أي ليكونن أحد الامرين اما اخراجكم واما عودكم في الكفر (فان قلت) كيف خاطبوا شعيبا عليه السلام بالعود في الكفر في قولهم (أو لتعودن في ملتنا) وكيف أجابهم بقوله (ان عدنا في ملتكم بعد اذ نجانا الله منها وما يكون لنا ان نعود فيها) والانبياء عليهم السلام لا يجوز عليهم من الصغائر الا ما ليس فيه تنفير فضلا عن الكبائر فضلا عن الكفر (قلت) لما قالوا لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك فعطفوا على ضميره الذين دخلوا في الايمان منهم بعد كفرهم قالوا لتعودن فغلبوا الجماعة على الواحد فجعلوهم عائدين جميعا اجراء للكلام على حكم التغليب وعلى ذلك أجرى شعيب عليه السلام جوابه فقال ان عدنا في ملتكم بعد اذ نجانا الله منها وهو يريد عود قومه الا أنه نظم نفسه في جملتهم وان كان بريئا من ذلك اجراء للكلام على حكم التغليب (فان قلت) فما معنى قوله وما يكون لنا أن نعود فيها (الا أن يشاء الله) والله تعالى متعال أن يشاء ردة المؤمنين وعودهم في الكفر (قلت) معناه الا أن يشاء الله

منهما متمكنا منه لو أراده فعبر عن تمكن المؤمن من الكفر ثم عدوله عنه الى الايمان اختيارا بالاخراج من الظلمات الى النور توفيقا من الله له ولطفا به وخذلانا وبالعكس في حق الكافر وقد مضى نظير هذا النظر عند قوله تعالى أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى وهو من التعبير عن المسبب بالسبب وفائدة اختياره في هذه المواضع تحقيق التمكن والاختيار لاقامة حجة الله على عباده والله أعلم * عاد كلامه الى قوله تعالى وما يكون لنا أن نعود فيها الا أن يشاء الله ربنا (قال ان قلت الله تعالى متقدس عن ان يشاء ردة المؤمنين وعودهم الى الكفر الخ) قال أحمد وهذا السؤال كما ترى مفرع على القاعدة الفاسدة في اعتقاد وجوب رعاية الصلاح والاصلح وهو غير متوجه على قاعدة السنة فظاهر الآية هو المعول عليه لا يجوز تأويله ولا تبديله وأما استدلال الزمخشري على صحة تأويله بقوله وسع ربنا كل شيء علما فمن اختياله في تأويلاته الباطلة بمصيدها ويتبع الشبه ويلفقها وموقع قوله وسع ربنا كل شيء علما الاعتراف بالقصور عن علم العاقبة والاطلاع على الامور الغائبة فان العود الى الكفر جائز في قدرة الله أن يقع من العبد ولو وقع فبقدرة الله ومشيئته المغيبة عن خلقه فالحذر قائم والخوف لازم ولكن لمن وفقه الله تعالى للعقيدة الصحيحة والايمان السالم والله الموفق ونظيره قول ابراهيم عليه السلام ولا أخاف ما تشركون به الا أن يشاء ربي شيئا وسع ربي كل شيء علما لما رد الامر الى المشيئة وهي مغيبة مجد الله تعالى

خذلانا ومنعنا الالطاف لعلمه أنها لا تنفع فينا وتكون عبثا والعبث قبيح لا يفعله الحكيم والدليل عليه قوله (وسع ربنا كل شيء علما) أي هو عالم بكل شيء مما كان ومما يكون وهو يعلم أحوال عباده كيف تتحول وقلوبهم كيف تتقلب وكيف تقسو بعد الرقة وتمرض بعد الصحة وترجع الى الكفر بعد الايمان (على الله توكلنا) في أن يثبتنا على الايمان ويوفقنا لازدياد الايقان ويجوز أن يكون قوله الا أن يشاء الله حسما لطمعهم في العود لأن مشيئة الله لعودهم في الكفر محال خارج عن الحكمة • أولو كنا كارهين الهمزة للاستفهام والواو واو الحال تقديره أتعيدوننا في ملتكم في حال كراهتنا ومع كوننا كارهين وما يكون لنا وما ينبغي لنا وما يصح لنا (ربنا افتح بيننا) احكم بيننا والفتاحة الحكومة أو أظهر أمرنا حتى ينفتح ما بيننا (وبين قومنا) وينكشف بأن تنزل عليهم عذابا يتبين معه أنهم على الباطل (وأنت خير الفاتحين) كقوله وهو خير الحاكمين (فان قلت) كيف أسلوب قوله قد افترينا على الله كذبا ان عدنا في ملتكم (قلت) هو اخبار مقيد بالشرط وفيه وجهان أحدهما أن يكون كلاما مستأنفا فيه معنى التعجب كأنهم قالوا ما أكذبنا على الله ان عدنا في الكفر بعد الاسلام لأن المرتد أبلغ في الافتراء من الكافر لأن الكافر مفتر على الله الكذب حيث يزعم أن لله ندا ولا ند له والمرتد مثله في ذلك وزائد عليه حيث يزعم أنه قد تبين له ما خفي عليه من التمييز بين الحق والباطل والثاني أن يكون قسما على تقدير حذف اللام بمعنى والله لقد افترينا على الله كذبا (وقال الملأ الذين كفروا من قومه) أي أشرافهم للذين دونهم يثبطونهم عن الايمان (لئن اتبعتم شعيبا انكم اذا لخاسرون) لاستبدالكم الضلالة بالهدى كقوله تعالى أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وقيل تخسرون باتباعه فوائد البخس والتطفيف لأنه ينهاكم عنهما ويحملكم على الايفاء والتسوية (فان قلت) ما جواب القسم الذي وطأته اللام في لئن اتبعتم شعيبا وجواب الشرط (قلت) قوله انكم اذا لخاسرون ساد مسد الجوابين (الذين كذبوا شعيبا) مبتدأ خبره (كأن لم يغنوا فيها) وكذلك (كانوا هم الخاسرين) وفي هذا الابتداء معنى الاختصاص كأنه قيل الذين كذبوا شعيبا هم المخصوصون بأن أهلكوا واستؤصلوا كأن لم يقيموا في دارهم لأن الذين اتبعوا شعيبا قد أنجاهم الله الذين كذبوا شعيبا هم المخصوصون بالخسران العظيم دون أتباعه فانهم الرابحون وفي هذا الاستئناف والابتداء وهذا التكرير مبالغة في رد مقالة الملأ لأشياعهم وتسفيه لرأيهم واستهزاء بنصحهم لقومهم واستعظام لما جرى عليهم • الأسى شدة الحزن قال العجاج • وانحلبت عيناه من فرط الأسى • اشتد حزنه على قومه ثم أنكر على نفسه فقال فكيف يشتد حزني على قوم ليسوا بأهل للحزن عليهم لكفرهم واستحقاقهم ما نزل بهم ويجوز أن يريد لقد أعذرت اليكم في الابلاغ والنصيحة والتحذير مما حل بكم فلم تسمعوا قولي ولم تصدقوني فكيف آسى عليكم يعني أنه لا يأسى عليهم لأنهم ليسوا أحقاء بالأسى • وقرأ يحيى بن وثاب فكيف ايسى بكسر الهمزة (الا أخذنا أهلها بالبأساء) بالبؤس والفقر (والضراء) بالضر والمرض لاستكبارهم عن اتباع نبيهم وتعززهم عليه (لعلهم يضرعون) ليتضرعوا ويتذللوا ويحطوا أردية الكبر والعزة (ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة) أي أعطيناهم بدل ما كانوا فيه من البلاء والمحنة الرخاء والصحة والسعة كقوله وبلوناهم بالحسنات والسيئات (حتى عفوا) كثروا ونموا في أنفسهم وأموالهم من قولهم عفا النبات وعفا الشحم والوبر اذا كثرت ومنه قوله صلى الله عليه وسلم وأعفوا اللحى وقال الحطيئة

• بمستأسد القريان عاف نباته • وقال

ولكنا نعض السيف منها • بأسوق عافيات الشحم كوم

(وقالوا قد مس آباءنا الضراء والسراء) يعني وأبطرتهم النعمة وأشروا فقالوا هذه عادة الدهر يعاقب في الناس بين الضراء والسراء وقد مس آباءنا نحو ذلك وما هو بابتلاء من الله لعباده فلم ينتفعوا بعد ابتلائهم بالسيئات والحسنات الا أن أخذناهم بالعذاب (فأخذناهم) أشد الأخذ وأفظعه وهو أخذهم فجأة من غير شعور منهم • اللام في القرى اشارة الى القرى التي دل عليها قوله وما أرسلنا في قرية من نبي كأنه قال ولو أن أهل تلك القرى الذين كذبوا وأهلكوا (آمنوا) بدل كفرهم (واتقوا) المعاصي مكان ارتكابها (لفتحنا عليهم

وسع ربنا كل شيء علما على الله توكلنا ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين وقال الملأ الذين كفروا من قومه لئن اتبعتم شعيبا انكم اذا لخاسرون فأخذتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين الذين كذبوا شعيبا كأن لم يغنوا فيها الذين كذبوا شعيبا كانوا هم الخاسرين فتولى عنهم وقال يا قوم لقد أبلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم فكيف آسى على قوم كافرين وما أرسلنا في قرية من نبي الا أخذنا أهلها بالبأساء والضراء لعلهم يضرعون ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة حتى عفوا وقالوا قد مس آباءنا الضراء والسراء فأخذناهم بغتة وهم لا يشعرون ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم

بالانفراد ببعض العاثيات والله أعلم • عاد كلامه (قال ويجوز أن يكون المراد حسم طمعهم الخ) قال أحمد وهذا من الطراز الاول فالحقه به وسمعا سمعا

* قوله تعالى أولم يهد للذين يرثون الأرض من بعد أهلها أن لو نشاء أصبناهم بذنوبهم ونطبع على قلوبهم (قال إن قلت بم يتعلق قوله ونطبع على قلوبهم الخ) قال أحمد قيل يجوز والله أعلم عطفه عليه ولا يلزم أن يكون المخاطبون موصوفين بالطبع ولا يضرهم إن كانوا كفارا أو مقترفين للذنوب فليس الطبع من لوازم اقتراف الذنب ولا بد إذ الطبع هو التمادي على الكفر والإصرار والغلو في التصميم حتى يكون الموصوف به مأيوسا من قبوله للحق ولا يلزم (٤٩٨) أن يكون كل كافر بهذه المثابة بل إن الكافر يهدد من تماديه على كفره بأن يطبع الله على قلبه فلا يؤمن أبدا وهو مقتضى العطف على أصبناهم فتكون الآية قد هددتهم بأمرين أحدهما الإصابة ببعض ذنوبهم والآخر الطبع على قلوبهم وهذا الثاني أشد من الأول وهو أيضا نوع من الإصابة بالذنوب أو العقوبة عليها ولكنه أنكى أنواع العذاب وأبلغ صنوف العقاب وكثيرا ما يعاقب الله على الذنب بالإيقاع في ذنب أكبر منه وعلى الكفر بزيادة التصميم عليه والغلو فيه كما قال تعالى فزادتهم رجسا إلى رجسهم كما زادت المؤمنين إيمانا إلى إيمانهم وهذا النوع من الثواب والعقاب مناسب لما كان سببا فيه وجزاء عليه فثواب الإيمان إيمان وثواب الكفر كفر وإنما الزمخشري يحاذر من هذا الوجه دخول الطبع في مشيئة الله تعالى وذلك عنده محال لأنه قبيح والله عنده متعال وأنى يتم الفرار من الحق وكم من آية صرحت بوقوع الطبع من الله فضلا عن تعلق المشيئة به

بركات من السماء والأرض) لآتيناهم بالخير من كل وجه وقيل أراد المطر والنبات (ولكن كذبوا فأخذناهم) بسوء كسبهم ويجوز أن تكون اللام في القرى للجنس (فإن قلت) ما معنى فتح البركات عليهم (قلت) تيسيرها عليهم كما يتيسر أمر الأبواب المستغلقة بفتحها ومنه قولهم فتحت على القارئ إذا تعذرت عليه القراءة فيسرتها عليه بالتلقين * البيات يكون بمعنى البيتوتة يقال بات بياتا حسنا ومنه قوله تعالى فجاءها بأسنا بياتا أو هم قائلون وقد يكون بمعنى التبييت كالسلام بمعنى التسليم يقال بيته العدو بياتا فيجوز أن يراد أن يأتيهم بأسنا بائتين أو وقت بيات أو مبيتا أو مبيتين أو يكون بمعنى تبييتا كأنه قيل أن يبيتهم بأسنا بياتا و(ضحى) نصب على الظرف يقال أتيته ضحى وضحيا وضحاء والضحى في الأصل اسم لضوء الشمس إذا أشرقت وارتفعت * والفاء والواو في أفأمن وأوأمن حرفا عطف دخلت عليهما همزة الإنكار (فإن قلت) ما المعطوف عليه ولم عطفت الأولى بالفاء والثانية بالواو (قلت) المعطوف عليه قوله فأخذناهم بغتة وقوله ولو أن أهل القرى إلى يكسبون وقع اعتراضا بين المعطوف والمعطوف عليه وإنما عطفت بالفاء لأن المعنى فعلوا وصنعوا فأخذناهم بغتة أبعد ذلك أمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا بياتا وأمنوا أن يأتيهم بأسنا ضحى * وقرئ أو أمن على العطف بأو (وهم يلعبون) يشتغلون بما لا يجدي عليهم كأنهم يلعبون (فإن قلت) فلم رجع فعطف بالفاء قوله (أفأمنوا مكر الله) (قلت) هو تكرير لقوله أفأمن أهل القرى ومكر الله استعارة لأخذه العبد من حيث لا يشعر ولاستدراجه فعلى العاقل أن يكون في خوفه من مكر الله كالمحارب الذي يخاف من عدوه الكمين والبيات والغيلة وعن الربيع بن خثيم أن ابنته قالت له ما لي أرى الناس ينامون ولا أراك تنام فقال يا بنتاه إن أباك يخاف البيات أراد قوله أن يأتيهم بأسنا بياتا * وقرئ أولم نهد بالنون كأن أن لو نشاء مرفوع بأنه فاعله بمعنى أولم يهد للذين يخلفون من خلا قبلهم في ديارهم ويرثون أرضهم هذا الشأن وهو أنا لو نشاء أصبناهم بذنوبهم كما أصبنا من قبلهم وأهلكنا الوارثين كما أهلكنا المورثين وإذا قرئ بالنون فهو منصوب كأنه قيل أولم يهد الله للوارثين هذا الشأن بمعنى أولم يبين لهم أنا (لو نشاء أصبناهم بذنوبهم) كما أصبنا من قبلهم وإنما عدي فعل الهداية باللام لأنه بمعنى التبيين (فإن قلت) بم تعلق قوله تعالى (ونطبع على قلوبهم) (قلت) فيه أوجه أن يكون معطوفا على ما دل عليه معنى أولم يهد كأنه قيل يغفلون عن الهداية ونطبع على قلوبهم أو على يرثون الأرض أو يكون منقطعا بمعنى ونحن نطبع على قلوبهم (فإن قلت) هل يجوز أن يكون ونطبع بمعنى وطبعنا كما كان لو نشاء بمعنى لو شئنا ويعطف على أصبناهم (قلت) لا يساعد عليه المعنى لأن القوم كانوا مطبوعا على قلوبهم موصوفين بصفة من قبلهم من اقتراف الذنوب والإصابة بها وهذا التفسير يؤدي إلى خلوهم عن هذه الصفة وأن الله تعالى لو شاء لاتصفوا بها (تلك القرى نقص عليك من أنبائها) كقوله هذا بعلي شيخا في أنه مبتدأ وخبر وحال ويجوز أن يكون القرى صفة لتلك ونقص خبرا وأن يكون القرى نقص خبرا بعد خبر (فإن قلت) ما معنى تلك القرى حتى يكون كلاما مفيدا (قلت) هو مفيد ولكن بشرط التقييد بالحال كما يفيد بشرط التقييد بالصفة في قولك هو الرجل الكريم (فإن قلت) ما معنى الإخبار عن القرى بنقص عليك من أنبائها (قلت) معناه أن تلك القرى المذكورة نقص عليك بعض أنبائها ولها أنباء غيرها لم نقصها عليك (فما كانوا ليؤمنوا) عند مجيء الرسل بالبينات بما كذبوه من آيات الله من قبل

بركات من السماء والأرض ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون أفأمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا بياتا وهم نائمون أوأمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا ضحى وهم يلعبون أفأمنوا مكر الله فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون أولم يهد للذين يرثون الأرض من بعد أهلها أن لو نشاء أصبناهم بذنوبهم ونطبع على قلوبهم فهم لا يسمعون تلك القرى نقص عليك من أنبائها ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل

* قوله تعالى انى رسول من رب العالمين حقيق على أن لا أقول على الله الا الحق (قال فيه أربع قراآت المشهورة وحقيق على أن لا أقول الخ) قال أحد المقب يستعمل فى اللغة على وجهين أحدهما قلب الحقيقة الى المجاز لوجه من المبالغة كقوله

* وتشقى الرماح بالضياطرة الحمر * وكقوله قد صرح السرعى كتمان وابتذلت * وضع المحاجن بالمهرية الدقن *

فالحقيقة أن الضياطرة تشقى بالرماح والمهرية تبتذل بالمحاجن فعدل عن ذلك تنبيها على أن الرماح قد تتقصل وتتقصف فى أجوافهم فعبر عن ذلك بالشقاء وان المحاجن كثيرا ما ترفع وتوضع وتستعمل فى ضرب المهرية ورعا (٤٩٩) تعرقت عن ذلك فجعل ذلك ابتذالا لها وقد حام أبو الطيب حول هذا النوع كثيرا فى أمثال قوله

كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين وما وجدنا لأكثرهم من عهد وان وجدنا أكثرهم لفاسقين ثم بعثنا من بعدهم موسى بآياتنا الى فرعون وملئه فظلموا بها فانظر كيف كان عاقبة المفسدين وقال موسى يا فرعون انى رسول من رب العالمين حقيق على أن لا أقول على الله الا الحق قد جئتكم ببينة من ربكم فأرسل معى بنى اسرائيل قال ان كنت جئت بآية فأت بها ان كنت من الصادقين فألقى عصاه فاذا هى

مجىء الرسل أو بعد ما كانوا ليؤمنوا الى آخر أعمارهم بما كذبوا به أولا حين جاءتهم الرسل أى استمروا على التكذيب من لدن مجىء الرسل اليهم الى أن ماتوا مصرين لا يرعوون ولا تلين شكيمتهم فى كفرهم وعنادهم مع تكرر المواعظ عليهم وتتابع الآيات ومعنى اللام تأكيد النفى وأن الايمان كان منافيا لحالهم فى التصميم على الكفر وعن مجاهد هو كقوله ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه (كذلك) مثل ذلك الطبع الشديد نطبع على قلوب الكافرين (وما وجدنا لأكثرهم من عهد) الضمير للناس على الاطلاق أى وما وجدنا لأكثر الناس من عهد يعنى ان أكثرهم نقض عهد الله وميثاقه فى الايمان والتقوى (وان وجدنا) وان الشأن والحديث وجدنا أكثرهم فاسقين خارجين عن الطاعة مارقين ولا يتعرض ويجوز أن يرجع الضمير الى الامم المذكورين وأنهم كانوا اذا عاهدوا الله فى ضر ومخافة لئن أنجيتنا لنكونن من الشاكرين ثم نجاهم نكثوا كما قال قوم فرعون لموسى عليه السلام لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك الى قوله اذا هم ينكثون والوجود بمعنى العلم من قولك وجدت زيدا ذا الحفاظ بدليل دخول ان المخففة واللام الفارقة ولا يسوغ ذلك الا فى المبتدأ والخبر والافعال الداخلة عليهما (من بعدهم) الضمير للرسل فى قوله ولقد جاءتهم رسلهم أو للامم (فظلموا بها) فكفروا بآياتنا أجرى الظلم مجرى الكفر لانهما من واد واحد ان الشرك لظلم عظيم أو فظلموا الناس بسببها حين أوعدوهم وصدوهم عنها وآذوا من آمن بها ولانه اذا وجب الايمان بها فكفروا بدل الايمان كان كفرهم بها ظلما فلذلك قيل فظلموا بها أى كفروا بها واضعين الكفر غير موضعه وهو موضع الايمان * يقال لملوك مصر الفراعنة كما يقال لملوك فارس الاكاسرة فكأنه قال يا ملك مصر وكان اسمه قابوس وقيل الوليد بن مصعب بن الريان (حقيق على أن لا أقول على الله الا الحق) فيه أربع قراآت المشهورة وحقيق على أن لا أقول وهى قراءة نافع وحقيق أن لا أقول وهى قراءة عبد الله وحقيق بأن لا أقول وهى قراءة أبى وفى المشهورة اشكال ولا تخلو من وجوه أحدها أن تكون مما يقلب من الكلام لأمن الالباس كقوله

* وتشقى الرماح بالضياطرة الحمر * ومعناه وتشقى الضياطرة بالرماح وحقيق على أن لا أقول وهى قراءة نافع والثانى أن ما لزمك فقد لزمته فلما كان قول الحق حقيقا عليه كان هو حقيقا على قول الحق أى لازما له والثالث أن يضمن حقيق معنى حريص كما ضمن هيجنى معنى ذكرنى فى بيت الكتاب والرابع وهو الاوجه الادخل فى نكت القرآن أن يغرق موسى فى وصف نفسه بالصدق فى ذلك المقام لاسيما وقد روى أن عدو الله فرعون قال له لما قال انى رسول من رب العالمين كذبت فيقول أنا حقيق على قول الحق أى واجب على قول الحق أن أكون أنا قائله والقائم به ولا يرضى الا بمثله ناطقا به (فأرسل معى بنى اسرائيل) فخلهم حتى يذهبوا معى راجعين الى الارض المقدسة التى هى وطنهم ومولد آبائهم وذلك أن يوسف عليه السلام لما توفى وانقرضت الاسباط غلب فرعون نسلهم واستعبدهم فأنقذهم الله بموسى عليه السلام وكان بين اليوم الذى دخل يوسف مصر واليوم الذى دخله موسى أربعمائة عام (فان قلت) كيف قال له (فأت بها) بعد

والسيف يشقى كما تشقى الضلوع به * وللسيوف كما للناس آجال

والمراد اشقاء السيف انقطاعه فى أضلاع المضروب كما صرح بذلك فى قوله

طوال الردينيات يقصفها دمى * وبيض السريجيات يقطعها لحمى

الوجه الثانى قلب معرى عن هذا المعنى البليغ ولذلك لا يستفصح كقولهم خرق الثوب المسمار وأشباهه وعلى الوجه الاول لا فصح جاءت الآية على هذه القراءة وهو الوجه الرابع من وجوه الزمخشرى وفى طيه من المبالغة ما نبهت عليه وأما الوجه الثانى وهو أن ما لزمك فقد لزمته ففيه نظر من حيث ان اللزوم قد يكون من أحد الطرفين دون الآخر ولزوم موسى عليه السلام لقول الحق من هذا النمط وأما الوجه الثالث فلا يلائم بين القراءتين وقد ذكر لها وجه خامس وهو أن يكون على بمعنى الباء وقيل رميت على القوس بمعنى رميت بالقوس وهو وجه حسن يلائم والله أعلم ويشهد له قراءة أبى حقيق بأن لا أقول

* قوله تعالى سحروا أعين الناس (٥٠٠) واسترهبوهم وجاءوا بسحر عظيم (قال معناه أروها بالحيل والشعوذة الخ) قال أحمد معتقد المعتزلة انكار وجود السحر والشياطين والجن في خبط طويل لهم ومعتقد أهل السنة اقرارها على ما هي عليه لان العقل لا يحيل وجود ذلك وقد ورد السمع بوقوعه فوجب الاقرار بوجوده ولا يمتنع عند أهل السنة

ثعبان مبين ونزع يده فاذا هي بيضاء للناظرين قال الملأ من قوم فرعون ان هذا لساحر عليم يريد أن يخرجكم من أرضكم فماذا تأمرون قالوا أرجه وأخاه وأرسل في المدائن حاشرين يأتوك بكل ساحر عليم وجاء السحرة فرعون قالوا ان لنا لأجرا ان كنا نحن الغالبين قال نعم وانكم لمن المقربين قالوا يا موسى اما أن تلقي واما أن نكون نحن الملقين قال ألقوا فلما ألقوا سحروا أعين الناس

أن يرقى الساحر في الهواء ويستدق فيتولج في الكوة الضيقة ولا يمتنع أن يعمل الله عند ارشاد الساحر ما يستأثر لا اقتدار عليه وذلك واقع بقدرة الله تعالى عند ارشاد الساحر هذا هو الحق واعتقاد الصدق وانما أجريت هذا الفصل لان كلام الزمخشري لا يخلو من رمز الى انكاره لأن هذا النص القاطع بوقوعه يلجمه عن التصريح ثم بالدفاع وكشف القناع ولا يدعه التصميم على اعتقاد المعتزلة من التنفيس عما في نفسه فيسميه شعوذة وحيلة وبالقطع يعلم أن الشعوذة

قوله ان كنت جئت بآية (قلت) معناه ان كنت جئت من عند من أرسلك بآية فأتني بها وأحضرها عندي ليصح دعواك ويثبت صدقك (ثعبان مبين) ظاهر أمره لا يشك في أنه ثعبان وروي أنه كان ثعبانا ذكرا أشعر فاغرا فاه بين لحييه ثمانون ذراعا وضع لحيه الأسفل في الأرض ولحيه الأعلى على سور القصر ثم توجه نحو فرعون ليأخذه فوثب فرعون من سريره وهرب وأحدث ولم يكن أحدث قبل ذلك وهرب الناس وصاحوا وحمل على الناس فانهزموا فمات منهم خمسة وعشرون ألفا قتل بعضهم بعضا ودخل فرعون البيت وصاح يا موسى خذه وأنا أومن بك وأرسل معك بني اسرائيل فأخذه موسى فعاد عصا (فان قلت) بم يتعلق (للناظرين) (قلت) يتعلق ببيضاء والمعنى فاذا هي بيضاء للنظارة ولا تكون بيضاء للنظارة الا اذا كان بياضها بياضا عجيبا خارجا عن العادة يجتمع الناس للنظر اليه كما تجتمع النظارة للعجائب وذلك ما يروى أنه أرى فرعون يده وقال ما هذه قال يدك ثم أدخلها جيبه وعليه مدرعة صوف ونزعها فاذا هي بيضاء بياضا نورانيا غلب شعاعها شعاع الشمس وكان موسى عليه السلام آدم شديد الأدمة (ان هذا لساحر عليم) أي عالم بالسحر ماهر فيه قد أخذ عيون الناس بخدعة من خدعه حتى خيل اليهم العصا حية والآدم أبيض (فان قلت) قد عزي هذا الكلام الى فرعون في سورة الشعراء وأنه قاله للملأ وعزي ههنا اليهم (قلت) قد قاله هو وقالوه هم فحكي قوله ثم وقولهم ههنا أو قاله ابتداء فتلقنته منه الملأ فقالوه لأعقابهم أو قالوه عنه للناس على طريق التبليغ كما يفعل الملوك يرى الواحد منهم الرأي فيكلم به من يليه من الخاصة ثم تبلغه الخاصة العامة والدليل عليه أنهم أجابوه في قولهم (أرجه وأخاه وأرسل في المدائن حاشرين يأتوك بكل ساحر عليم) وقرئ سحار أي يأتوك بكل ساحر مثله في المهارة أو بخير منه وكانت هذه مؤامرة مع القبط وقولهم فماذا تأمرون من أمرته فأمرني بكذا اذا شاورته فأشار عليك برأي وقيل فماذا تأمرون من كلام فرعون قاله للملأ لما قالوا له ان هذا لساحر عليم يريد أن يخرجكم كأنه قيل قال فماذا تأمرون قالوا أرجه وأخاه ومعنى أرجه وأخاه أخرهما وأصدرهما عنك حتى ترى رأيك فيهما وتدبر أمرهما وقيل احبسهما وقرئ أرجئه بالهمزة وأرجه من أرجأه وأرجاه (فان قلت) هلا قيل وجاء السحرة فرعون فقالوا (قلت) هو على تقدير سائل سأل ما قالوا اذ جاؤه فأجيب بقوله (قالوا أئن لنا لأجرا) أي جعلا على الغلبة وقرئ ان لنا لأجرا على الاخبار واثبات الأجر العظيم وايجابه كأنهم قالوا لا بد لنا من أجر والتنكير للتعظيم كقول العرب ان له لابلا وان له لغنما يقصدون الكثرة (فان قلت) (وانكم لمن المقربين) ما الذي عطف عليه (قلت) هو معطوف على محذوف سد مسده حرف الايجاب كأنه قال ايجابا لقولهم ان لنا لأجرا نعم ان لكم لأجرا وانكم لمن المقربين أراد اني لا أقتصر بكم على الثواب وحده وان لكم مع الثواب ما يقل معه الثواب وهو التقريب والتعظيم لأن المثاب انما يتهنأ ويغتبط به اذا نال معه الكرامة والرفعة وروي أنه قال لهم تكونون أول من يدخل وآخر من يخرج وروي أنه دعا برؤساء السحرة ومعلميهم فقال لهم ما صنعتم قالوا قد عملنا سحرا لا يطيقه سحرة أهل الأرض الا أن يكون أمرا من السماء فانه لا طاقة لنا به وروي أنهم كانوا ثمانين ألفا وقيل سبعين ألفا وقيل بضعة وثلاثين ألفا واختلفت الروايات فمن مقل ومن مكثر وقيل كان يعلمهم مجوسيان من أهل نينوى وقيل قال فرعون لا نغالب موسى الا بما هو منه يعني السحر * تخييرهم اياه أدب حسن راعوه معه كما يفعل أهل الصناعات اذا التقوا كالمتناظرين قبل أن يتخاوضوا في الجدال والمتصارعين قبل أن يتآخذوا للصراع وقولهم (واما أن نكون نحن الملقين) فيه ما يدل على رغبتهم في أن يلقوا قبله من تأكيد ضميرهم المتصل بالمنفصل وتعريف الخبر أو تعريف الخبر واقحام الفصل وقد سوغ لهم موسى ما تراغبوا فيه ازدراء لشأنهم وقلة مبالاة بهم وثقة بما كان بصدده من التأييد السماوي وان المعجزة لن يغلبها سحر أبدا (سحروا أعين الناس) أروها بالحيل والشعوذة وخيلوا اليها ما الحقيقة بخلافه كقوله تعالى يخيل اليه من سحرهم أنها

تسعى روي أنهم ألقوا حبالا غلاظا وخشبا طوالا فاذا هي أمثال الحيات قد ملأت الارض وركب بعضها
بعضا (واسترهبوهم) وأرهبوهم ارهابا شديدا كأنهم استدعوا رهبتهم (بسحر عظيم) في باب السحر روي
أنهم لوّنوا حبالهم وخشبهم وجعلوا فيها ما يوهم الحركة قيل جعلوا فيها الزئبق (ما يأفكون) ما موصولة أو
مصدرية بمعنى ما يأفكونه أي يقلبونه عن الحق الى الباطل ويزوّرونه أو افكهم تسمية للمأفوك بالافك روي
أنها لما تلقفت ملء الوادي من الخشب والحبال ورفعها موسى فرجعت عصا كما كانت وأعدم الله بقدرته تلك
الاجرام العظيمة أو فرقها أجزاء لطيفة قالت السحرة لو كان هذا سحرا لبقيت حبالنا وعصينا (فوقع الحق)
فحصل وثبت ومن بدع التفاسير فوقع قلوبهم أي فأثر فيها من قولهم قدح وقيع (وانقلبوا صاغرين) وصاروا
أذلاء مبهوتين (وألقي السحرة) وخروا سجدا كأنما ألقاهم ملق لشدة خرورهم وقيل لم يتمالكوا مما رأوا
فكأنهم ألقوا عن قتادة كانوا أول النهار كفارا سحرة وفي آخره شهداء بررة وعن الحسن تراه ولد في الاسلام
ونشأ بين المسلمين يبيع دينه بكذا وكذا وهؤلاء كفار نشؤا في الكفر بذلوا أنفسهم لله (آمنتم به) على الاخبار
أي فعلتم هذا الفعل الشنيع توبيخ لهم وتقريعا وقرئ أآمنتم بحرف الاستفهام ومعناه الانكار
والاستبعاد (ان هذا لمكر مكرتموه في المدينة) ان صنعكم هذا لحيلة احتلتموها أنتم وموسى في مصر قبل أن
تخرجوا منها الى هذه الصحراء قد تواطأتم على ذلك لغرض لكم وهو أن تخرجوا منها القبط وتسكنوها بني
اسرائيل وكان هذا الكلام من فرعون تمويها على الناس لئلا يتبعوا السحرة في الايمان وروي أن موسى
عليه السلام قال للساحر الاكبر أتؤمن بي ان غلبتك قال لآتين بسحر لا يغلبه سحر وان غلبتني لأومنن بك
وفرعون يسمع فلذلك قال ما قال (فسوف تعلمون) وعيد أجمله ثم فصله بقوله (لأقطعن) وقرئ لأقطعن
بالتخفيف وكذلك ثم لأصلبنكم (من خلاف) من كل شق طرفا وقيل ان أول من قطع من خلاف وصلب
فرعون (انا الى ربنا منقلبون) فيه أوجه أن يريدوا انا لا نبالي بالموت لانقلابنا الى لقاء ربنا ورحمته وخلاصنا
منك ومن لقائك أو ننقلب الى الله يوم الجزاء فيثيبنا على شدة القطع والصلب أو انا جميعا يعنون أنفسهم
وفرعون ننقلب الى الله فيحكم بيننا أو انا لا محالة ميتون منقلبون الى الله فما تقدر أن تفعل بنا الا ما لا بد لنا منه
(وما تنقم منا الا أن آمنا) وما تعيب منا الا الايمان بآيات الله أراد وما تعيب منا الا ما هو أصل المناقب
والمفاخر كلها وهو الايمان ومنه قوله * ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم * (أفرغ علينا صبرا) هب لنا صبرا واسعا
وأكثره علينا حتى يفيض علينا ويغمرنا كما يفرغ الماء افراغا وعن بعض السلف ان أحدكم ليفرغ على أخيه
ذنوبا ثم يقول قد مازحتك أي يغمره بالحياء والخجل أو صب علينا ما يطهرنا من أوضار الآثام وهو الصبر على
ما توعدنا به فرعون لأنهم علموا أنهم اذا استقاموا وصبروا كان ذلك مطهرة لهم (وتوفنا مسلمين) ثابتين على
الاسلام (ويذرك) عطف على ليفسدوا لأنه اذا تركهم ولم يمنعهم وكان ذلك مؤديا الى ما دعوه فسادا والى تركه
وترك آلهته فكأنه تركهم لذلك أو هو جواب للاستفهام بالواو كما يجاب بالفاء نحو قول الحطيئة

ألم أك جاركم ويكون بيني * وبينكم المودة والاخاء

والنصب باضمار أن تقديره أيكون منك ترك موسى ويكون تركه اياك وآلهتك وقرئ ويذرك وآلهتك بالرفع
عطفا على أتذر موسى بمعنى أتذره وأيذرك يعني تطلق له ذلك أو يكون مستأنفا أو حالا على معنى أتذره وهو
يذرك وآلهتك وقرأ الحسن ويذرك بالجزم كأنه قيل يفسدوا كما قرئ وأكن من الصالحين كأنه قيل أصدق
وقرأ أنس رضي الله عنه ونذرك بالنون والنصب أي يصرفنا عن عبادتك فيذرها وقرئ ويذرك والاهتك
أي عبادتك وروي أنهم قالوا له ذلك لأنه وافق السحرة على الايمان ستمائة ألف نفس فأرادوا بالفساد في
الارض ذلك وخافوا أن يغلبوا على الملك وقيل صنع فرعون لقومه أصناما وأمرهم أن يعبدوها تقربا اليه كما
يعبد عبدة الاصنام الاصنام ويقولون ليقربونا الى الله زلفى ولذلك قال أنا ربكم الاعلى (سنقتل أبناءهم) يعني
سنعيد عليهم ما كنا محناهم به من قتل الابناء ليعلموا أنا على ما كنا عليه من الغلبة والقهر وانهم مقهورون
تحت أيدينا كما كانوا وان غلبة موسى لا أثر لها في ملكنا واستيلائنا ولئلا يتوهم العامة أنه هو المولود الذي

واسترهبوهم وجاؤا
بسحر عظيم وأوحينا الى
موسى أن ألق عصاك
فاذا هي تلقف ما يأفكون
فوقع الحق وبطل
ما كانوا يعملون فغلبوا
هنالك وانقلبوا صاغرين
وألقي السحرة ساجدين
قالوا آمنا برب العالمين
رب موسى وهرون
قال فرعون آمنتم به قبل
أن آذن لكم ان هذا
لمكر مكرتموه في المدينة
لتخرجوا منها أهلها
فسوف تعلمون لأقطعن
أيديكم وأرجلكم من
خلاف ثم لأصلبنكم
أجمعين قالوا انا الى ربنا
منقلبون وما تنقم منا
الا أن آمنا بآيات ربنا
لما جاءتنا ربنا أفرغ
علينا صبرا وتوفنا مسلمين
وقال الملأ من قوم
فرعون أتذر موسى
وقومه ليفسدوا في
الارض ويذرك وآلهتك
قال سنقتل أبناءهم
ونستحيي نساءهم وانا
فوقهم قاهرون

لا تعرف في يد ابن عمر رضي
الله عنه حتى يكونها
ولا تؤثر في جسد البشر
حتى يخيل اليه أنه يأتي
نساءه وهو لا يأتيهن
وقد ورد ذلك وأمثاله
مستفيضا واتفاق العمدة
أن كل واقع فبقدرة الله
تعالى ولا يمتنع أن يوقع
تعالى بقدرته عند ارشاد
الساحر أعاجيب يضل
بها من يشاء ويهدي
من يشاء والله الموفق

● قوله تعالى ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين ونقص من الثمرات لعلهم يذكرون الى قوله يعلمون (قال فيه معنى لعلهم يذكرون يتنبهون لان ذلك كان لاصرارهم الخ) قال أحمد دلت اللام على دعواهم استحقاق الحسنة وأما دعوى اختصاصها لهم حتى لا يشركهم فيها أحد فدل عليه تقدير الخبر الذي هو لنا (٢٠٥) وقد علمت طريقة المصنف في استفادة الحصر من تقديم ما حقه أن يؤخر كالمفعول والخبر ونحو هذا كلامه (قال فان قلت كيف قيل فاذا جاءتهم الحسنة الخ) قال أحمد وقد ورد وان تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله وان تصبهم سيئة يقولوا

قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا أن الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين قالوا أوذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا قال عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم في الارض فينظر كيف تعملون ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين ونقص من الثمرات لعلهم يذكرون فاذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وان تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه ألا انما طائرهم عند الله ولكن أكثرهم لا يعلمون وقالوا مهما تأتنا به

خبر المنجمون والكهنة بذهاب ملكه على يده فيثبطهم ذلك عن طاعته ويدعوهم الى اتباعه وانه منتظر بعد (قال موسى لقومه استعينوا بالله) قال لهم ذلك حين قال فرعون سنقتل أبناءهم فجزعوا منه وتضجروا يسكنهم ويسليهم ويعدهم النصرة عليهم ويذكرهم ما وعد الله بني اسرائيل من اهلاك القبط وتوريثهم أرضهم وديارهم (فان قلت) لم أخليت هذه الجملة عن الواو وأدخلت على التي قبلها (قلت) هي جملة مبتدأة مستأنفة وأما وقال الملأ فمعطوفة على ما سبقها من قوله قال الملأ من قوم فرعون ● وقوله (ان الارض لله) يجوز أن تكون اللام للعهد ويراد أرض مصر خاصة كقوله وأورثنا الارض وأن تكون للجنس فيتناول أرض مصر لانها من جنس الارض كما قال ضمرة المرء بأصغريه فأراد بالمرء الجنس وغرضه أن يتناوله تناولا أوليا (والعاقبة للمتقين) بشارة بأن الخاتمة المحمودة للمتقين منهم ومن القبط وأن المشيئة متناولة لهم وقرئ والعاقبة للمتقين بالنصب عطفا على اسم ان وفي قراءة ابن مسعود عطفا على الارض (أوذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا) يعنون قتل أبنائهم قبل مولد موسى عليه السلام الى أن استنبئ واعادته عليهم بعد ذلك وما كانوا يستعبدون به ويمتهنون فيه من أنواع الخدم والمهن ويسومونه من العذاب (عسى ربكم أن يهلك عدوكم) تصريح بما رمز اليه من البشارة قبل وكشف عنه وهو اهلاك فرعون واستخلافهم بعده في أرض مصر (فينظر كيف تعملون) فيرى الكائن منكم من العمل حسنه وقبيحه وشكر النعمة وكفرانها ليجازيكم على حسب ما يوجد منكم وعن عمرو بن عبيد رحمه الله أنه دخل على المنصور قبل الخلافة وعلى مائدته رغيف أو رغيفان وطلب زيادة لعمرو فلم توجد فقرأ عمرو هذه الآية ثم دخل عليه بعد ما استخلف فذكر له ذلك وقال قد بقي فينظر كيف تعملون (بالسنين) بالجدوب والسنة من الاسماء الغالبة كالدابة والنجم ونحو ذلك وقد اشتقوا منها فقالوا أسنت القوم بمعنى أقحطوا وقال ابن عباس رضي الله عنه أما السنون فكانت لباديتهم وأهل مواشيهم وأما نقص الثمرات فكان في أمصارهم وعن كعب يأتي على الناس زمان لا تحمل النخلة الا ثمرة (لعلهم يذكرون) فيتنبهوا على أن ذلك لاصرارهم على الكفر وتكذيبهم لآيات الله ولأن الناس في حال الشدة أضرع خدودا وألين أعطافا وأرق أفئدة وقيل عاش فرعون أربعمائة سنة ولم ير مكروها في ثلثمائة وعشرين سنة ولو أصابه في تلك المدة وجع أو جوع أو حمى لما ادعى الربوبية (فاذا جاءتهم الحسنة) من الخصب والرخاء (قالوا لنا هذه) أي هذه مختصة بنا ونحن مستحقوها ولم نزل في النعمة والرفاهية واللام مثلها في قولك الجل للفرس (وان تصبهم سيئة) من ضيقة وجدب (يطيروا بموسى ومن معه) يتطيروا بهم ويتشاءموا ويقولوا هذه بشؤمهم ولولا مكانهم لما أصابتنا كما قالت الكفرة لرسول الله صلى الله عليه وسلم هذه من عندك (فان قلت) كيف قيل فاذا جاءتهم الحسنة باذا وتعريف الحسنة وان تصبهم سيئة بان وتنكير السيئة (قلت) لان جنس الحسنة وقوعه كالواجب لكثرته واتساعه وأما السيئة فلا تقع الا في الندرة ولا يقع الا شيء منها ومنه قول بعضهم قد عددت أيام البلاء فهلا عددت أيام الرخاء (طائرهم عند الله) أي سبب خيرهم وشرهم عند الله وهو حكمه ومشيئته والله هو الذي يشاء ما يصيبهم من الحسنة والسيئة وليس شؤم أحد ولا يمنه بسبب فيه كقوله تعالى قل كل من عند الله ويجوز أن يكون معناه ألا انما سبب شؤمهم عند الله وهو عملهم المكتوب عنده الذي يجري عليهم ما يسوءهم لاجله ويعاقبون له بعد موتهم بما وعدهم الله في قوله سبحانه النار يعرضون عليها الآية ولا طائر أشأم من هذا وقرأ الحسن انما طيركم عند الله وهو اسم لجمع طائر غير تكسير ونظيره التجر والركب وعند أبي الحسن هو تكسير (مهما) هي ما المضمنة معنى الجزاء ضمت اليها ما المزيدة المؤكدة للجزاء في قولك متى

هذه من عندك فلا بد من فرق ما بينهما ولعل بين سياق الآيتين اختلافا أوجب في كل واحدة منهما ما ذكر فيه قوله تعالى وقالوا مهما تأتنا به من آية لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين (قال مهما هي ما المضمنة معنى الجزاء ضمت اليها ما المزيدة المؤكدة للجزاء الخ) قال أحمد والذي عده أولا من كلام ما سيبويه وسنذكره قال سيبويه وسألت الخليل عن مهما فقال هي ما أدخلت معها ما لغوا بمنزلتها مع متى اذا قلت متى ما تأتني آتك انتهى كلام سيبويه وكان هذا القائل والله أعلم اغتر بتشبيه الخليل لها بمتى ما لفظها في معناها ولم يتنبه لتمثيل بالتابعة من مهما في

ما فيها زائدة مؤكدة للأولى على ما اللاحقة التي عادة كلام سيبويه قال ولكنهم استقبحوا أن يكرروا لفظا واحدا فأبدلوا الهاء من الألف التي في الأولى انتهى نقله عن الخليل قال سيبويه ويجوز أن تكون كإذ ضمت إليها ما انتهى كلامه * قال أحمد ومعنى تشبيه سيبويه لها بإذ ما أن الجزاء بجملة الكلمة لا بالجزء الأول منها خاصة والإمكان عين مذهب الخليل والذي يحقق ذلك أن سيبويه قال أول هذا الباب وأما حيث وإذ فلا يجازى بهما حتى يضم إليهما ما فتصير إذ مع ما بمنزلة إنما وكأنما وليست ما فيهما بلغو ولكن كل واحدة منهما مع ما بمنزلة حرف واحد فانظر قوله وليست ما فيهما بلغو يعني ليست زائدة مؤكدة ولكن لها حظ في اقتضاء الجزاء حتى لا يعد إلا مع حرف الكلمة وفي وراء ذلك نظر في أن سيبويه هل أراد أن ما ضمت إلى مه التي هي الصوت أو إلى ما الجزائية (٥٠٢) والظاهر من مراده أن انضمامها إلى الصوت لأنه لو كانت منضمة إلى ما الجزائية لكانت مستقلة بإفادة الجزاء قبل انضمام ما إليها ولا تكون مثل إذ وحيث ولا يكون تنظير سيبويه مطابقا وهذا الذي وهمه ابن طاهر ونبه عليه تلميذه ابن خروف وعزا ابن خروف هذا المذهب إلى سيبويه ورد قول ابن بابشاذ أن هذا المذهب للخليل خاصة وقد تواطأ ابن بابشاذ والزمخشري على نفي هذا المذهب عن سيبويه وأنه لغيره والظاهر ما قوي به مذهب الخليل والله أعلم أن هذه الكلمة استعملت في الاستفهام حسب استعمالها في الجزاء وأنشدوا * مهما لي الليلة مهما ليه * أودى بنعلي وسرباليه * أراد ما لي الليلة ولا إشكال في أنها ما الاستفهامية كررت تأكيدا كما يقولون لا لا ونعم نعم ثم استكره تكرار اللفظ بعينه فقلبت ألف الأولى هاء وقد جاء قلب الاستفهامية وإن لم يكن تكرار في قولهم مه أحمد وإذا وضح أن مهما الواقعة في الاستفهام أصلها ما مكررة كان ذلك أوضح دليل على أن الواقعة في الجزاء كذلك والاستشهاد بالبيت أمير على العربية والله أعلم وأما رد الزمخشري على من زعم أنها بمعنى متى ما فرد صحيح والآية أصدق شاهد على رده فإن الضمير المجرور فيها عائد إلى مهما حتما وقد اتصل به مفسرها قوله من آية فدل أن الضمير وقع على الآية فلزم وقوع مهما عليها ضرورة إيجاد المرجع في الضمير ومظهره وذهاب هذا القائل إلى إيقاع مهما على الوقت زاعما أنها بمعنى متى ما ذهاب عن الصواب وعذر الزمخشري واضح في الرد على تصحيفه وإغلاظ النكير عليه وتفويق سهام التشنيع إليه فتأمل هذا الفصل ففيه إنارة

من آية لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين وأرسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم

ما تخرج أخرج أينما تكونوا يدرككم الموت فإما نذهبن بك إلا أن الألف قلبت هاء استثقالا لتكرير المتجانسين وهو المذهب السديد البصري ومن الناس من زعم أن مه هي الصوت الذي يصوت به الكاف وما للجزاء كأنه قيل كف ما تأتنا به (من آية لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين) (فإن قلت) ما محل مهما (قلت) الرفع بمعنى أيما شيء تأتنا به أو النصب بمعنى أي شيء تحضرنا تأتنا به ومن آية تبيين لمهما والضميران في به وبها راجعان إلى مهما إلا أن أحدهما ذكر على اللفظ والثاني أنث على المعنى لأنه في معنى الآية ونحوه قول زهير

ومهما تكن عند امرئ من خليقة * وإن خالها تخفى على الناس تعلم

وهذه الكلمة في عداد الكلمات التي يحرفها من لا يد له في علم العربية فيضعها غير موضعها ويحسب مهما بمعنى متى ما ويقول مهما جئتني أعطيتك وهذا من وضعه وليس من كلام واضع العربية في شيء ثم يذهب فيفسر مهما تأتنا به من آية بمعنى الوقت فيلحد في آيات الله وهو لا يشعر وهذا وأمثاله مما يوجب الجثو بين يدي الناظر في كتاب سيبويه (فإن قلت) كيف سموها آية ثم قالوا لتسحرنا بها (قلت) ما سموها آية لاعتقادهم أنها آية وإنما سموها اعتبارا لتسمية موسى وقصدوا بذلك الاستهزاء والتلهي (الطوفان) ما طاف بهم وغلبهم من مطر أو سيل قيل طغى الماء فوق حروثهم وذلك أنهم مطروا ثمانية أيام في ظلمة شديدة لا يرون شمسا ولا قمرا ولا يقدر أحدهم أن يخرج من داره وقيل أرسل الله عليهم السماء حتى كادوا يهلكون وبيوت بني إسرائيل وبيوت القبط مشتبكة فامتلأت بيوت القبط ماء حتى قاموا في الماء إلى تراقيهم فمن جلس غرق ولم تدخل بيوت بني إسرائيل قطرة وفاض الماء على وجه أرضهم وركد فمنعهم من الحرث والبناء والتصرف ودام عليهم سبعة أيام وعن أبي قلابة الطوفان الجدري وهو أول عذاب وقع فيهم فبقي في الأرض وقيل هو الموتان وقيل الطاعون فقالوا لموسى ادع لنا ربك يكشف عنا ونحن نؤمن بك فدعا فرفع عنهم فما آمنوا فنبت لهم تلك السنة من الكلأ والزرع ما لم يعهد مثله فأقاموا شهرا فبعث الله عليهم الجراد فأكلت عامة زروعهم وثمارهم ثم أكلت كل شيء حتى الأبواب وسقوف البيوت والثياب ولم يدخل بيوت بني إسرائيل منها شيء ففزعوا إلى موسى ووعدوه التوبة فكشف عنهم بعد سبعة أيام خرج موسى عليه السلام إلى الفضاء فأشار بعصاه نحو المشرق والمغرب فرجع الجراد إلى النواحي التي جاء منها فقالوا ما نحن بتاركي ديننا فأقاموا شهرا فسلط الله عليهم القمل وهو الحمنان في قول أبي عبيدة كبار القردان وقيل الدبا وهو أولاد الجراد قبل نبات أجنحتها وقيل البراغيث وعن سعيد بن جبير السوس فأكل ما أبقاه الجراد ولحس الأرض وكان يدخل بين ثوب أحدهم وبين جلده فيمصه وكان يأكل أحدهم طعاما فيمتلئ قملا وكان يخرج أحدهم عشرة أجربة إلى الرحى فلا يرد منها إلا يسيرا وعن سعيد بن جبير أنه كان إلى جنبهم كثيب أعفر فضربه موسى بعصاه فصار قملا

فدخلت في أبشارهم وأشعارهم وأشفار عيونهم وحواجبهم ولزم جلودهم كأنه الجدري فصاحوا وصرخوا
وفزعوا الى موسى فرفع عنهم فقالوا قد تحققنا الآن أنك ساحر وعزة فرعون لا نصدقك أبدا فأرسل الله عليهم
بعد شهر الضفادع فدخلت بيوتهم وامتلأت منها آنيتهم وأطعمتهم ولا يكشف أحد شيأ من ثوب ولا طعام
ولا شراب الا وجد فيه الضفادع وكان الرجل اذا أراد أن يتكلم وثبت الضفدع الى فيه وكانت تمتلئ منها
مضاجعهم فلا يقدرون على الرقاد وكانت تقذف بأنفسها في القدور وهي تغلي وفي التنانير وهي تفور
فشكوا الى موسى وقالوا ارحمنا هذه المرة فما بقي الا أن نتوب التوبة النصوح ولا نعود فأخذ عليهم العهود
ودعا فكشف الله عنهم ثم نقضوا العهد فأرسل الله عليهم الدم فصارت مياههم دما فشكوا الى فرعون فقال
انه سحركم فكان يجمع بين القبطي والاسرائيلي على الاناء الواحد فيكون ما يلي الاسرائيلي ماء وما يلي
القبطي دما ويستقيان من ماء واحد فيخرج للقبطي دم وللاسرائيلي الماء حتى ان المرأة القبطية تقول
لجارتها الاسرائيلية اجعلي الماء في فيك ثم مجيه في فيّ فيصير الماء في فيها دما وعطش فرعون حتى أشفى
على الهلاك فكان يمص الأشجار الرطبة فاذا مضغها صار ماؤها الطيب ملحا أجاجا وعن سعيد بن المسيب
سال عليهم النيل دما وقيل سلط الله عليهم الرعاف وروي أن موسى عليه السلام مكث فيهم بعد ما غلب
السحرة عشرين سنة يريهم هذه الآيات وروي أنه لما أراهم اليد والعصا ونقص النفوس والثمرات
قال يارب ان عبدك هذا قد علا في الارض فخذه بعقوبة تجعلها له ولقومه نقمة ولقومي عظة ولمن بعدي
آية فحينئذ بعث الله عليهم الطوفان ثم الجراد ثم ما بعده من النقم • وقرأ الحسن والقمل بفتح القاف
وسكون الميم يريد القمل المعروف (آيات مفصلات) نصب على الحال ومعنى مفصلات مبينات ظاهرات
لا يشكل على عاقل أنها من آيات الله التي لا يقدر عليها غيره وأنها عبرة لهم ونقمة على كفرهم أو فصل بين
بعضها وبعض بزمان تمتحن فيه أحوالهم وينظر أيستقيمون على ما وعدوا من أنفسهم أم ينكثون الزاما
للحجة عليهم (بما عهد عندك) ما مصدرية والمعنى بعهده عندك وهو النبوة والباء اما أن تتعلق بقوله ادع لنا
ربك على وجهين أحدهما أسعفنا الى ما نطلب اليك من الدعاء لنا بحق ما عندك من عهد الله وكرامته بالنبوة
أو ادع الله لنا متوسلا اليه بعهده عندك واما أن يكون قسما مجابا بلنؤمنن أي أقسمنا بعهد الله عندك لئن
كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك (الى أجل هم بالغوه) الى حد من الزمان هم بالغوه لا محالة فمعذبون فيه
لا ينفعهم ما تقدم لهم من الامهال وكشف العذاب الى حلوله (اذا هم ينكثون) جواب لما يعني فلما كشفنا
عنهم فاجؤا النكث وبادروه ولم يؤخروه ولكن كما كشف عنهم نكثوا (فانتقمنا منهم) فأردنا الانتقام منهم
(فأغرقناهم) • واليم البحر الذي لا يدرك قعره وقيل هو لجة البحر ومعظم مائه واشتقاقه من التيمم
لأن المستنفعين به يقصدونه (بأنهم كذبوا بآياتنا) أي كان اغراقهم بسبب تكذيبهم بالآيات وغفلتهم
عنها وقلة فكرهم فيها (القوم الذين كانوا يستضعفون) هم بنو اسرائيل كان يستضعفهم فرعون وقومه •
والارض أرض مصر والشام ملكها بنو اسرائيل بعد الفراعنة والعمالقة وتصرفوا كيف شاؤا في
أطرافها ونواحيها الشرقية والغربية (باركنا فيها) بالخصب وسعة الارزاق (كلمة ربك الحسنى) قوله
ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الارض الى قوله ما كانوا يحذرون والحسنى تأنيث الاحسن صفة
للكلمة ومعنى تمت على بني اسرائيل مضت عليهم واستمرت من قولك تم على الامر اذا مضى عليه (بما
صبروا) بسبب صبرهم وحسبك به حاثا على الصبر ودالا على أن من قابل البلاء بالجزع وكله الله اليه ومن قابله
بالصبر وانتظار النصر ضمن الله له الفرج وعن الحسن عجبت ممن خف كيف خف وقد سمع قوله وتلا الآية
ومعنى خف طاش جزعا وقلة صبر ولم يرزن رزانة أولي الصبر • وقرأ عاصم في رواية وتمت كلمات ربك
الحسنى ونظيره من آيات ربه الكبرى (ما كان يصنع فرعون وقومه) ما كانوا يعملون ويسوون من العمارات
وبناء القصور (وما كانوا يعرشون) من الجنات وهو الذي أنشأ جنات معروشات أو وما كانوا يرفعون
من الابنية المشيدة في السماء كصرح هامان وغيره وقرئ يعرشون بالكسر والضم وذكر اليزيدي
أن الكسر أفصح وبلغني أنه قرأ بعض الناس يغرسون من غرس الاشجار وما أحسبه الا تصحيفا منه

آيات مفصلات فاستكبروا وكانوا قوما مجرمين ولما وقع عليهم الرجز قالوا يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن معك بني اسرائيل فلما كشفنا عنهم الرجز الى أجل هم بالغوه اذا هم ينكثون فانتقمنا منهم فأغرقناهم في اليم بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها التي باركنا فيها وتمت كلمة ربك الحسنى على بني اسرائيل بما صبروا ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون وجاوزنا ببني اسرائيل البحر

للسبيل وشفاء للعليل والله الموفق

فأتوا على قوم يعكفون
على أصنام لهم قالوا
يا موسى اجعل لنا إلها
كما لهم آلهة قال إنكم
قوم تجهلون إن هؤلاء
متبر ما هم فيه وباطل
ما كانوا يعملون قال
أغير الله أبغيكم إلها وهو
فضلكم على العالمين وإذ
أنجيناكم من آل
فرعون يسومونكم سوء
العذاب يقتلون أبناءكم
ويستحيون نساءكم وفي
ذلكم بلاء من ربكم
عظيم وواعدنا موسى
ثلاثين ليلة وأتممناها
بعشر فتم ميقات ربه
أربعين ليلة وقال موسى
لأخيه هرون اخلفني
في قومي وأصلح ولا تتبع
سبيل المفسدين ولما
جاء موسى لميقاتنا
وكلمه ربه قال رب

● وهذا آخر ما اقتص الله من نبأ فرعون والقبط وتكذيبهم بآيات الله وظلمهم ومعاصيهم ثم أتبعه اقتصاص نبأ بني إسرائيل وما أحدثوه بعد انقاذهم من ملكة فرعون واستعباده ومعاينتهم الآيات العظام ومجاوزتهم البحر من عبادة البقر وطلب رؤية الله جهرة وغير ذلك من أنواع الكفر والمعاصي ليعلم حال الانسان وأنه كما وصفه ظلوم كفار جهول كنود الا من عصمه الله وقليل من عبادي الشكور وليسلي رسول الله صلى الله عليه وسلم مما رأى من بني إسرائيل بالمدينة وروي أنه عبر بهم موسى يوم عاشوراء بعدما أهلك الله تعالى فرعون وقومه فصاموه شكرا لله تعالى (فأتوا على قوم) فمروا عليهم (يعكفون على أصنام لهم) يواظبون على عبادتها ويلازمونها قال ابن جريج كانت تماثيل بقر وذلك أول شأن العجل وقيل كانوا قوما من لخم وقيل كانوا من الكنعانيين الذين أمر موسى عليه السلام بقتالهم ● وقرئ وجوزنا بمعنى أجزنا يقال أجاز المكان وجوزه وجاوزه بمعنى جازه كقولك أعلاه وعلاه وعالاه وقرئ يعكفون بضم الكاف وكسرها (اجعل لنا إلها) صنما نعكف عليه (كما لهم آلهة) أصنام يعكفون عليها وما كافة للكاف ولذلك وقعت الجملة بعدها وعن علي رضي الله عنه أن يهوديا قال له اختلفتم بعد نبيكم قبل أن يجف ماؤه فقال قلتم اجعل لنا إلها قبل أن تجف أقدامكم (إنكم قوم تجهلون) تعجب من قولهم على أثر ما رأوا من الآية العظمى والمعجزة الكبرى فوصفهم بالجهل المطلق وأكده لأنه لا جهل أعظم مما رأى منهم ولا أشنع (إن هؤلاء) يعني عبدة تلك التماثيل (متبر ما هم فيه) مدمر مكسر ما هم فيه من قولهم إناء متبر إذا كان فضاضا ويقال لكسار الذهب التبر أي يتبر الله ويهدم دينهم الذي هم عليه على يدي ويحطم أصنامهم هذه ويتركها رضاضا (وباطل ما كانوا يعملون) أي ما عملوا شيئا من عبادتها فيما سلف إلا وهو باطل مضمحل لا ينتفعون به وإن كان في زعمهم تقربا الى الله كما قال تعالى وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا وفي ايقاع هؤلاء اسما لان وتقديم خبر المبتدا من الجملة الواقعة خبرا لها وسم لعبدة الأصنام بأنهم هم المعرضون للتبار وأنه لا يعدوهم البتة وأنه لهم ضربة لازب ليحذرهم عاقبة ما طمحوا اليه ويبغض اليهم ما أحبوا (أغير الله أبغيكم إلها) أغير المستحق للعبادة أطلب لكم معبودا وهو فعل بكم ما فعل دون غيره من الاختصاص بالنعمة التي لم يعطها أحدا غيركم لتختصوه بالعبادة ولا تشركوا به غيره ومعنى الهمزة الانكار والتعجب من طلبتهم مع كونهم مغمورين في نعمة الله عبادة غير الله (يسومونكم سوء العذاب) يبغونكم شدة العذاب من سام السلعة إذا طلبها (فإن قلت) ما محل يسومونكم (قلت) هو استئناف لا محل له ويجوز أن يكون حالا من المخاطبين أو من آل فرعون و(ذلكم) إشارة الى الانجاء أو الى العذاب والبلاء النعمة أو المحنة ● وقرئ يقتلون بالتخفيف ● وروي أن موسى عليه السلام وعد بني إسرائيل وهو بمصر إن أهلك الله عدوهم أتاهم بكتاب من عند الله فيه بيان ما يأتون وما يذرون فلما أهلك فرعون سأل موسى ربه الكتاب فأمره بصوم ثلاثين يوما وهو شهر ذي القعدة فلما أتم الثلاثين أنكر خلوف فيه فتسوك فقالت الملائكة كنا نشم من فيك رائحة المسك فأفسدته بالسواك وقيل أوحى الله تعالى اليه أما علمت أن خلوف فم الصائم أطيب عندي من ريح المسك فأمره الله تعالى أن يزيد عليها عشرة أيام من ذي الحجة لذلك وقيل أمره الله أن يصوم ثلاثين يوما وأن يعمل فيها بما يقربه من الله ثم أنزلت عليه التوراة في العشر وكلم فيها ولقد أجمل ذكر الأربعين في سورة البقرة وفصلها ههنا و(ميقات ربه) ما وقته له من الوقت وضربه له و(أربعين ليلة) نصب على الحال أي تم بالغا هذا العدد و(هرون) عطف بيان لأخيه وقرئ بالضم على النداء (اخلفني في قومي) كن خليفتي فيهم (وأصلح) وكن مصلحا أو وأصلح ما يجب أن يصلح من أمور بني إسرائيل ● ومن دعاك منهم الى الافساد فلا تتبعه ولا تطعه (لميقاتنا) لوقتنا الذي وقتناه وحددناه ومعنى اللام الاختصاص فكأنه قيل واختص مجيئه بميقاتنا كما تقول أتيته لعشر خلون من الشهر (وكلمه ربه) من غير

● قوله تعالى ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه الآية (قال معناه كلمه بغير واسطة الخ) قال أحمد وهذا تصريح منه بخلق الكلام كما هو معتقد المعتزلة والذي يخص به هذه الآية من وجوه الرد عليه انها سيقت مساق الامتنان على موسى باصطفاء الله له تخصيصه اياه بتكليمه وكذلك قال تعالى بعد آيات منها اني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين فلو كان تكليم الله له يعني خلق الحروف والاصوات في بعض الاجرام واستماع موسى لذلك لكان كل أحد

٦٤ كشاف ل يساوي موسى عليه السلام في ذلك بل كان آحاد أصحاب النبي عليه الصلاة والسلام أزيد منه المزية وأحق بالخصوصية من موسى عليه السلام لانهم سمعوا الكلام على الوجه المذكور من أفضل الاجرام وأزكاها خلقا في رسول الله صلى الله عليه وسلم

وكانت مزيتهم أظهر وخصوصيتهم أوفر ونحن نعلم ضرورة من سياق هذه الآية تمييز موسى عليه الصلاة والسلام بهذه المزية فلا يحصل له ذلك إلا باعتقاد أنه سمع الكلام القديم القائم بذات الله سبحانه وتعالى بلا واسطة دليل عليه من حروف ولا غيرها وكما أجزنا من المعقول أن ترى ذات الباري سبحانه وتعالى وإن لم يكن جسماً فكذلك يجيز أن يسمع كلامه وإن لم يكن حرفاً ولا صوتاً والكلام في هذه العقيدة طويل والشوط بطين وهذه النكتة هي الخاصة بهذه الآية والله الموفق. عاد كلامه (قال وقوله أرني أنظر إليك محذوف المفعول الأول مذكور الثاني والتقدير أرني نفسك أنظر إليك الخ) قال أحمد ما أشد ما اضطرب كلامه في هذه الآية لأن غرضه أن يدحض الحق بالضلالة ويثبت بكفه وجه الغزالة هيهات قد تبين الصبح لذي عينين فالحق أبلج لا يخالجه ريب إلا عند ذي عين أما خطأ المقول من إحالة رؤية الله تعالى وموطنه علم الكلام وأحصر وجهه في إفادة ذلك أن الوجود مصحح الرؤية بدليل أن جواز الرؤية حكم يستدعي مصححاً وقد شمل الجواز الجوهر والعرض ولا جامع بينهما يمكن جعله مصححاً سوى الوجود وإذا كان الوجود هو المصحح فقد صحت رؤيته تعالى لوجوده وأما استبعاده أن يرى ما ليس في جهة فمرهون مثله عرض للمعطلة بعثت بصائرهم حتى أنكروا موجوداً إلا في جهة ومن اتبع الأوهام اعتسف مهامه الضلال وهام ولو كانت الرؤية تتوقف على جهة المرئي لكانت المعرفة تتوقف على جهة المعروف ولا خلاف أنه سبحانه يعرف لا في جهة فكذلك يرى لا في جهة فالحق أن موسى عليه السلام إنما طلب الرؤية لعلمه بجواز ذلك على الله تعالى والقدرية

يحرمهم الصمم ويحرمونهم حتى يروموا أن يجعلوا موسى عليه السلام كان على معتقدهم

واسطة كما يكلم الملائكة وكما سمعه من يعلق الكلام منظوماً له في بعض الأجرام كما حقيقة محفوظاً في اللوح وروي أن موسى عليه السلام كان يسمع ذلك الكلام من كل جهة وعن ابن عباس رضي الله عنه كلمه أربعين يوماً وأربعين ليلة وكتب له الألواح وقيل إنما كلمه في أول الأربعين (أرني أنظر إليك) ثاني مفعولي أرني محذوف أي أرني نفسك أنظر إليك (فإن قلت) الرؤية عين النظر فكيف قيل أرني أنظر إليك (قلت) معنى أرني نفسك اجعلني متمكناً من رؤيتك بأن تتجلى لي فأنظر إليك وأراك (فإن قلت) فكيف قال (لن تراني) ولم يقل لن تنظر إلي لقوله أنظر إليك (قلت) لما قال أرني بمعنى اجعلني متمكناً من الرؤية التي هي الإدراك علم أن الطلبة هي الرؤية لا النظر الذي لا إدراك معه فقيل لن تراني ولم يقل لن تنظر إلي (فإن قلت) كيف طلب موسى عليه السلام ذلك وهو من أعلم الناس بالله وصفاته وما يجوز عليه وما لا يجوز وبتعاليه عن الرؤية التي هي إدراك ببعض الحواس وذلك إنما يصح فيما كان في جهة وما ليس بجسم ولا عرض فمحال أن يكون في جهة ومنع المجبرة إحالته في العقول غير لازم لأنه ليس بأول مكابرتهم وارتكابهم وكيف يكون طالبه وقد قال حين أخذت الرجفة الذين قالوا أرنا الله جهرة أتهلكنا بما فعل السفهاء منا إلى قوله تضل بها من تشاء فتبرأ من فعلهم ودعاهم سفهاء وضلالاً (قلت) ما كان طلب الرؤية إلا ليبكت هؤلاء الذين دعاهم سفهاء وضلالاً وتبرأ من فعلهم وليلقمهم الحجر وذلك أنهم حين طلبوا الرؤية أنكر عليهم وأعلمهم الخطأ ونبههم على الحق فلجوا وتمادوا في لجاجهم وقالوا لا بد ولن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأراد أن يسمعوا النص من عند الله باستحالة ذلك وهو قوله لن تراني ليتيقنوا وينزاح عنهم ما دخلهم من الشبهة فلذلك قال رب أرني أنظر إليك (فإن قلت) فهلا قال أرهم ينظروا إليك (قلت) لأن الله سبحانه إنما كلم موسى عليه

وماهم حينئذ إلا من آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيها وأما قوله عليه السلام أتهلكنا بما فعل السفهاء منا فبريء من أقاويلهم وتسفيه لهم وتضليلاً

أرني أنظر إليك قال لن تراني

رأيهم فلا راحة للقدرية في الاستشهاد به على إنكار موسى عليه السلام لجواز الرؤية فإن الذي كان الإهلاك بسببه اتخاذهم العجل وعبادة العجل في قول أكثر المفسرين ثم وإن كان السبب طلبهم للرؤية فليس لأنها غير جائزة على الله ولكن لأن الله تعالى أخبر أنها لا تقع في دار الدنيا وخبره صدق وذلك بعد [illegible] السلام سؤال موسى للرؤية فلما سألوا وقد سمعوا الخبر بعدم وقوعها كان طلبهم خلاف المعلوم تكذيباً للخبر فلذلك سفههم موسى عليه السلام وتبرأ من طلب ما أخبر الله أنه لا يقع ثم ولو كان سؤالهم الرؤية قبل إخبار الله تعالى بعدم وقوعها لما سفههم موسى عليه السلام لاقتراحهم على الله هذه الآية الخاصة وتوقيفهم الإيمان عليها حيث قالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة ألا ترى أن قولهم لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً إلى آخره سؤال فيه جائز ومع ذلك فرعونه لاقتراحهم على الله ما لا يتوقف وجوب الإيمان عليه فهذه المباحث الثلاثة توضح لك سوء نظر الزمخشري ميلاً للهوى وعمايته عن سبيل الهدى والله الموفق. عاد كلامه (قال فإن قلت هلا قال أرهم ينظروا إليك الخ) قال أحمد وهذا الكلام الآخر من الطراز الأول وأقرب شاهد على رده أنه لو كان طلب الرؤية لهم حتى إذا سمعوا منع الله تعالى لها أيقنوا أنها ممتنعة لكان طلبها عيناً غير مفيد لهذا الغرض لأن هؤلاء لا يخلو أمرهم إما أن يكونوا مؤمنين بموسى أو كفاراً به فإن كانوا مؤمنين به فأخباره لهم أن الله تعالى لا يرى ولا يجوز عليه ذلك كاف في حصول المقصود في غير حاجة إلى أن يسأل موسى عليه السلام من الله أن يريه ذاته على علمه أن ذلك محال وإن كانوا كفاراً بموسى عليه السلام فلا يحصل الغرض من ذلك أيضاً لأن الله تعالى إذا امتنعه سؤله من الرؤية فغاية ثبت ذلك لهم بقول موسى عن الله تعالى أنه منعه ذلك وهم كفار بموسى عليه السلام فكيف يفيدهم غيره عن

الله بامتناع ذلك فهذا أوضح مصداق لأن موسى عليه السلام انما طلب الرؤية لنفسه اعتقادا لجوازها على الله تعالى فاخبره الله ان ذلك لا يقع في الدنيا وان كان جائزا * عاد كلامه (قال وقوله أنظر اليك وما فيه من معنى المقابلة الخ) قال أحمد ودعواه ان النظر يستلزم الجسمية فيسلف رده وأما تنزيهه موسى عليه السلام بسببه عنه اذ استحالة الرؤية اليه فهو غني عنه واما اقتداؤه في تفضيله بر سحانه عليه السلام في العلم بالله وبصفاته على واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد والنظام وأبي الهذيل والشيخين فهو قياس عن منصبه العلي وأقل لعوام المقلدين لأهل السنة راجح عند الله على أصحاب البدع والأهواء وان ملؤا الارض نفاقا وشحنوا مصنفاتهم عنادا لأهل السنة وشقاقا وكيف بكليم الله عليه أفضل الصلاة والسلام * عاد كلامه (قال فان قلت ما معنى لن قلت تأكيد النفي الذي تعطيه لا الخ) قال أحمد لن كالقول تشاركك لا في النفي وتمتاز عنها بتأكيده وأما استنباط الزمخشري من ذلك منافاة الرؤية لجلال الباري عز وجل ثم اطلاق المحال على الله تعالى فيستحق عنه واستشهاده على ان لن تشعر باستحالة المنفي بها عقلا مردود كثيرا ٥٠٧ بكثير من الآي كقوله تعالى قل لن تخرجوا معي أبدا فذلك لا يحتمل خروجهم عقلا ولن يؤمن من قومك الا من قد آمن لن تتبعونا ونحوه كلها جائزات عقلا لولا ان الخبر منع من وقوعها والرؤية كذلك * عاد كلامه (قال ثم حقق تعالى عند طلب الرؤية ما مثله عند نسبة الولد الخ) قال أحمد سبحة

(ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف تراني فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا)

السلام وهم يسمعون فلما سمعوا كلام رب العزة أرادوا أن يري موسى ذاته فيبصروه معه كما أسمعه كلامه فسمعوه معه ارادة مبنية على قياس فاسد فلذلك قال موسى أرني أنظر اليك ولأنه اذا زجر عما طلب وأنكر عليه في نبوته واختصاصه وزلفته عند الله تعالى وقيل له لن يكون ذلك كان غيره أولى بالانكار ولأن الرسول امام أمته فكان ما يخاطب به أو ما يخاطب راجعا اليهم وقوله انظر اليك وما فيه من معنى المقابلة التي هي محض التشبيه والتجسيم دليل على انه ترجمة عن مقترحهم وحكاية لقولهم وجل صاحب الجمل أن يجعل الله منظورا اليه مقابلا بحاسة النظر فكيف بمن هو أعرق في معرفة الله تعالى من واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد والنظام وأبي الهذيل والشيخين وجميع المتكلمين (فان قلت) ما معنى لن (قلت) تأكيد النفي الذي تعطيه لا وذلك أن لا تنفي المستقبل تقول لا أفعل غدا فاذا أكدت نفيها قلت لن أفعل غدا والمعنى أن فعله ينافي حالي كقوله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له فقوله لا تدركه الأبصار نفي للرؤية فيما يستقبل ولن تراني تأكيد وبيان لأن المنفي مناف لصفاته (فان قلت) كيف اتصل الاستدراك في قوله (ولكن انظر الى الجبل) بما قبله (قلت) اتصل به على معنى ان النظر الي محال فلا تطلبه ولكن عليك بنظر آخر وهو أن تنظر الى الجبل الذي يرجف لك وبمن طلبت الرؤية لأجلهم كيف أفعل به وكيف أجعله دكا بسبب طلبك الرؤية لتستعظم ما أقدمت عليه بما أريك من عظم أثره كأنه عز وعلا حقق عند طلب الرؤية ما مثله عند نسبة الولد اليه في قوله وتخر الجبال هدا أن دعوا للرحمن ولدا (فان استقر مكانه) كما كان مستقرا ثابتا ذاهبا في جهاته (فسوف تراني) تعليق لوجود الرؤية بوجود ما لا يكون من استقرار الجبل مكانه حين يدكه دكا ويسويه بالارض وهذا كلام مدمج بعضه في بعض وارد على أسلوب عجيب ونمط بديع ألا ترى كيف تخلص من النظر الى النظر بكلمة الاستدراك ثم كيف بنى الوعيد بالرجفة الكائنة بسبب طلب النظر على الشريطة في وجود الرؤية أعني قوله فان استقر مكانه فسوف تراني (فلما تجلى ربه للجبل) فلما ظهر له اقتداره وتصدى له أمره وارادته (جعله دكا) أي مدكوكا مصدر بمعنى مفعول كضرب الأمير والدك والدق أخوان كالشك والشق وقرئ دكاء والدكاء اسم للرابية الناشزة من الارض كالدكة أو أرضا دكاء مستوية ومنه قولهم ناقة دكاء متواضعة السنام وعن الشعبي قال لي الربيع بن خثيم ابسط يدك دكاء أي مدها مستوية وقرأ يحيى بن وثاب دكا أي قطعا دكا جمع دكاء (وخر موسى صعقا) من هول ما رأى وصعق من باب فعلته ففعل يقال صعقته فصعق وأصله من

تجوز الرؤية على الله تعالى عند الزمخشري كنسبة الولد اليه وهذا مفرع على المعتقد السالف بطلانه وليس له في هذا الفصل وظيفة الا تتبع الشبه لامتناع الرؤية سمعا من قبل ثم والحق ان ذلك الجبل انما كان لان الله عز وجل ظهر له آية من ملكوت السماء ولا تستقر الدنيا لظهور شيء من ملكوت السماء وهذا هو المأثور عن السلف في هذه الآية ومعناه عند أبي الحسن رحمه الله فعل فعلا سماه تجليا وكان الغضب اما لأنهم طلبوا رؤية جسمانية في جهة واما لانهم كتموا الخبر بانه لا يرى في الدنيا واما لانهم كفروا بالاقتراح أو بالمجموع * عاد كلامه (قال ومعنى قال استقر مكانه فان ثبت كما كان ذاهبا الخ) قال أحمد وهذه من حيل القدرية في حالة الرؤية يقولون قد علقها الله على شرط محال وهو استقرار الجبل حال دكه والمعلق على المحال محال وهذه حيلة باطلة فان المعلق عليه استقرار الجبل من حيث هو استقرار وذلك ممكن جائز وتعلق العلم بانه لا يستقر له لا يرفع امكان استقراره وتعلق العلم لا يغير المعلوم ولا ينقل حكمه من امكان الى امتناع ولا العكس وحينئذ يتوجه دليلا لأهل السنة فنقول استقرار الجبل ممكن وقد علق عليه وقوع الرؤية والمعلق على الممكن ممكن والمعتزلة يعتقدون ان خلاف المعلوم لا يجوز أن يكون مقدورا ويعبر بقول مقدور ولكن ما تعلقت المشيئة بايجاده وقولك أقعد بالآداب وأسعد بالاجلال في الخطاب

* عاد كلامه (قال ومعنى وخر موسى صعقا وخر مغشيا عليه غشية كالموت وروى ان الملائكة مرت عليه الخ) قال أحمد وهذه حكاية انما يوردها من يتعسف لامتناع الرؤية فيعضد بها عونا وظهرا على المعتقد الفاسد والوجه التورك بالغلط على ناقلها وتنزيه الملائكة عليهم السلام من اهانة موسى كليم الله بالوكز بالرجل والغمص في الخطاب * عاد كلامه (قال فان قلت ان كان طلب الرؤية للغرض الذي ذكرته فمم تاب الخ) قال أحمد أما دك الجبل فقد سلف الكلام على سره وأما تسبيح موسى عليه السلام فلما تبين له من أن العلم قد سبق بعدم وقوع الرؤية في الدنيا والله تعالى مقدس ٥٠٨ عن وقوع خلاف معلومه وعن الخلف في خبره الحق وقوله الصدق فلما تبين ان مطلوبه كان خلاف المعلوم سبح الله وقدس علمه وخبره عن الخلف وأما التوبة في حق الانبياء فلا تستلزم كونها عن ذنب لان منصبهم الجليل ينبغي أن يكون منزها مبرأ من كل ما يغض به ولا شك ان التوقف في حصول الرؤية على الاذن كان أكمل وقد ورد حسنات الأبرار سيئات المقربين * عاد كلامه (قال ثم أعجب من المتسمين بالاسلام المتسمين بأهل السنة والجماعة الخ) قال أحمد رحمه الله وقد استقبل الزمخشري في هذا الفصل الى ما تسمعه من هجاء أهل السنة ولولا الاستناد بحسان بن ثابت الانصاري صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وشاعره والمنافح عنه وروح القدس معه لقلنا لهؤلاء المتلقبين بالعدلية والناجين سلاما ولكن كما نافح حسان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعداءه فنحن ننافح عن أصحاب سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم أعداءهم فنقول

فلما أفاق قال سبحانك تبت اليك وأنا أول المؤمنين قال يا موسى انى اصطفيتك على الناس برسالاتى وبكلامى فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين وكتبنا له فى الالواح من كل شئ موعظة وتفصيلا لكل شئ

الصاعقة ويدل لها الصاعقة من صقعه اذا ضربه على رأسه ومعناه خر مغشيا عليه غشية كالموت وروى أن الملائكة مرت عليه وهو مغشى عليه فجعلوا يلكزونه بأرجلهم ويقولون يا ابن النساء الحيض أطمعت فى رؤية رب العزة (فلما أفاق) من صعقته (قال سبحانك) أنزهك مما لا يجوز عليك من الرؤية وغيرها (تبت اليك) من طلب الرؤية (وأنا أول المؤمنين) بأنك لست بمرئى ولا مدرك بشئ من الحواس (فان قلت) فان كان طلب الرؤية للغرض الذى ذكرته فمم تاب (قلت) من اجرائه تلك المقالة العظيمة وان كان لغرض صحيح على لسانه من غير اذن فيه من الله تعالى فانظر الى اعظام الله تعالى أمر الرؤية فى هذه الآية وكيف أرجف الجبل بطالبيها وجعله دكا وكيف أصعقهم ولم يخل كليمه من نفيان ذلك مبالغة فى اعظام الامر وكيف سبح ربه ملتجئا اليه وتاب من اجراء تلك الكلمة على لسانه وقال أنا أول المؤمنين ثم تعجب من المتسمين بالاسلام المتسمين بأهل السنة والجماعة كيف اتخذوا هذه العظيمة مذهبا ولا يغرنك تسترهم بالبلكفة فانه من منصوبات أشياخهم والقول ما قال بعض العدلية فيهم

لجماعة سموا هواهم سنة * وجماعة حمر لعمرى موكفه
قد شبهوه بخلقه وتخوفوا * شنع الورى فتستروا بالبلكفه

وتفسير آخر وهو أن يريد بقوله أرنى أنظر اليك عرفنى نفسك تعريفا واضحا جليا كأنها ارانة فى جلائها بآية مثل آيات القيامة التى تضطر الخلق الى معرفتك أنظر اليك أعرفك معرفة اضطرار كأنى أنظر اليك كما جاء فى الحديث سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر بمعنى ستعرفونه معرفة جلية هى فى الجلاء كابصاركم القمر اذا امتلأ واستوى قال لن ترانى أى لن تطيق معرفتى على هذه الطريقة ولن تحتمل قوتك تلك الآية المضطرة ولكن انظر الى الجبل فانى أورد عليه وأظهر له آية من تلك الآيات فان ثبت لتجليها واستقر مكانه ولم يتضعضع فسوف تثبت لها وتطيقها فلما تجلى ربه للجبل فلما ظهرت له آية من آيات قدرته وعظمته جعله دكا وخر موسى صعقا لعظم ما رأى فلما أفاق قال سبحانك تبت اليك مما اقترحت وتجاسرت وأنا أول المؤمنين بعظمتك وجلالك وأن شيأ لا يقوم لبطشك وبأسك (اصطفيتك على الناس) اخترتك على أهل زمانك وآثرتك عليهم (برسالاتى) وهى أسفار التوراة (وبكلامى) وبتكليمى اياك (فخذ ما آتيتك) ما أعطيتك من شرف النبوة والحكمة (وكن من الشاكرين) على النعمة فى ذلك فهى من أجل النعم وقيل خر موسى صعقا يوم عرفة وأعطى التوراة يوم النحر (فان قلت) كيف قيل اصطفيتك على الناس وكان هرون مصطفى مثله ونبيا (قلت) أجل ولكنه كان تابعا له وردأ ووزيرا والكليم هو موسى عليه السلام والاصيل فى حمل الرسالة * ذكروا فى عدد الالواح وفى جوهرها وطولها أنها كانت عشرة ألواح وقيل سبعة وقيل لوحين وأنها كانت من زمرد جاء بها جبريل عليه السلام وقيل من زبرجدة خضراء وياقوتة حمراء وقيل أمر الله موسى بقطعها من صخرة صماء لينها له فقطعها بيده وشققها بأصابعه وعن الحسن كانت من خشب نزلت من السماء فيها التوراة وان طولها كان عشرة أذرع وقوله (من كل شئ) فى محل النصب مفعول كتبنا و(موعظة) وتفصيلا بدل

وجماعة كفروا برؤية ربهم * حقا ووعد الله ما لن يخلفه
وتلقبوا عدلية قلنا أجل * عدلوا بربهم فحسبهم سفه
وتلقبوا الناجين كلا انهم * ان لم يكونوا فى لظى فعلى شفه

بدل منه والمعنى كتبنا له كل شيء كان بنو اسرائيل محتاجين اليه في دينهم من المواعظ وتفصيل الاحكام وقيل
أنزلت التوراة وهي سبعون وقر بعير يقرأ الجزء منه في سنة لم يقرأها الا أربعة نفر موسى ويوشع وعزير
وعيسى عليهم السلام وعن مقاتل كتب في الالواح اني أنا الله الرحمن الرحيم لا تشركوا بي شيأ ولا تقطعوا
السبيل ولا تحلفوا باسمي كاذبين فان من حلف باسمي كاذبا فلا أزكيه ولا تقتلوا ولا تزنوا ولا تعقوا الوالدين
(فخذها) فقلنا له خذها عطفا على كتبنا ويجوز أن يكون بدلا من قوله فخذ ما آتيتك والضمير في خذها
للالواح أو لكل شيء لانه في معنى الاشياء أو للرسالات أو للتوراة ومعنى (بقوة) بجد وعزيمة فعل أولي العزم
من الرسل (يأخذوا بأحسنها) أي فيها ما هو حسن وأحسن كالاقتصاص والعفو والانتصار والصبر فمرهم
أن يحملوا على أنفسهم في الاخذ بما هو أدخل في الحسن وأكثر للثواب كقوله تعالى واتبعوا أحسن ما أنزل
اليكم من ربكم وقيل يأخذوا بما هو واجب أو ندب لانه أحسن من المباح ويجوز أن يراد يأخذوا بما أمروا به
دون ما نهوا عنه على قولك الصيف أحر من الشتاء (سأريكم دار الفاسقين) يريد دار فرعون وقومه وهي
مصر كيف أقفرت منهم ودمروا لفسقهم لتعتبروا فلا تفسقوا مثل فسقهم فينكل بكم مثل نكالهم وقيل
منازل عاد وثمود والقرون الذين أهلكهم الله لفسقهم في ممركم عليها في أسفاركم وقيل دار الفاسقين نار جهنم
وقرأ الحسن سأوريكم وهي لغة فاشية بالحجاز يقال أورني كذا وأوريته ووجهه أن تكون من أوريت الزند
كأن المعنى بينه لي وأنره لاستبينه وقرئ سأورثكم وهي قراءة حسنة يصححها قوله وأورثنا القوم الذين كانوا
يستضعفون (سأصرف عن آياتي) بالطبع على قلوب المتكبرين وخذلانهم فلا يفكرون فيها ولا يعتبرون بها
غفلة وانهماكا فيما يشغلهم عنها من شهواتهم وعن الفضيل بن عياض ذكر لنا عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم اذا عظمت أمتي الدنيا نزع عنها هيبة الاسلام واذا تركوا الامر بالمعروف والنهي عن المنكر حرمت
بركة الوحي وقيل سأصرفهم عن ابطالها وان اجتهدوا كما اجتهد فرعون أن يبطل آية موسى بأن جمع لها
السحرة فأبى الله الا علو الحق وانتكاس الباطل ويجوز سأصرفهم عنها وعن الطعن فيها والاستهانة بها
وتسميتها سحرا باهلاكهم وفيه انذار للمخاطبين من عاقبة الذين يصرفون عن الآيات لتكبرهم وكفرهم
بها لئلا يكونوا أمثالهم فيسلك بهم سبيلهم (بغير الحق) فيه وجهان أن يكون حالا بمعنى يتكبرون غير محقين
لان التكبر بالحق لله وحده وأن يكون صلة لفعل التكبر أي يتكبرون بما ليس بحق وما هم عليه من دينهم
(وان يروا كل آية) من الآيات المنزلة عليهم (لا يؤمنوا بها) وقرأ مالك بن دينار وان يروا بضم الياء • وقرئ
سبيل الرشد والرشد والرشاد كقولهم السقم والسقم والسقام • وما أسفه من ركب المفازة فان رأى طريقا
مستقيما أعرض عنه وتركه وان رأى معتسفا مرديا أخذ فيه وسلكه ففاعل نحو ذلك في دينه أسفه (ذلك)
في محل الرفع أو النصب على معنى ذلك الصرف بسبب تكذيبهم أو صرفهم الله ذلك الصرف بسببه (ولقاء
الآخرة) يجوز أن يكون من اضافة المصدر الى المفعول به أي ولقائهم الآخرة ومشاهدتهم أحوالها ومن
اضافة المصدر الى الظرف بمعنى ولقاء ما وعد الله في الآخرة (من بعده) من بعد فراقه اياهم الى الطور (فان
قلت) لم قيل واتخذ قوم موسى عجلا والمتخذ هو السامري (قلت) فيه وجهان أحدهما أن ينسب الفعل اليهم
لان رجلا منهم باشره ووجد فيما بين ظهرانيهم كما يقال بنو تميم قالوا كذا وفعلوا كذا والقائل والفاعل واحد
ولانهم كانوا مريدين لاتخاذه راضين به فكأنهم أجمعوا عليه والثاني أن يراد واتخذوه الها وعبدوه • وقرئ
من حليهم بضم الحاء والتشديد جمع حلي كثدي وثدي ومن حليهم بالكسر للاتباع كدلي ومن حليهم على
التوحيد والحلي اسم لما يتحسن به من الذهب والفضة (فان قلت) لم قال من حليهم ولم يكن الحلي لهم انما
كانت عواري في أيديهم (قلت) الاضافة تكون بأدنى ملابسة وكونها عواري في أيديهم كفى به ملابسة
على أنهم قد ملكوها بعد المهلكين كما ملكوا غيرها من أملاكهم ألا ترى الى قوله عز وجل فأخرجناهم
من جنات وعيون وكنوز ومقام كريم كذلك وأورثناها بني اسرائيل (جسدا) بدنا ذا لحم ودم كسائر
الاجساد • والخوار صوت البقر قال الحسن ان السامري قبض قبضة من تراب من أثر فرس جبريل عليه

فخذها بقوة وأمر
قومك يأخذوا بأحسنها
سأريكم دار الفاسقين
سأصرف عن آياتي
الذين يتكبرون في
الارض بغير الحق وان
يروا كل آية لا يؤمنوا
بها وان يروا سبيل الرشد
لا يتخذوه سبيلا وان
يروا سبيل الغي يتخذوه
سبيلا ذلك بأنهم كذبوا
بآياتنا وكانوا عنها غافلين
والذين كذبوا بآياتنا
ولقاء الآخرة حبطت
أعمالهم هل يجزون
الا ما كانوا يعملون
واتخذ قوم موسى من
بعده من حليهم عجلا
جسدا له خوار

السلام يوم قطع البحر فقذفه في حلي العجل فكان عجلا له خوار وقرأ علي رضي الله عنه جؤار بالجيم والهمزة من جأر إذا صاح وانتصاب جسدا على البدل من عجلا (ألم يروا) حين اتخذوه إلها أنه لا يقدر على كلام ولا على هداية سبيل حتى لا يختاروه على من لو كان البحر مدادا لكلماته لنفد البحر قبل أن تنفد كلماته وهو الذي هدى الخلق إلى سبيل الحق ومناهجه بما ركز في العقول من الأدلة وبما أنزل في كتبه ثم ابتدأ فقال (اتخذوه) أي أقدموا على ما أقدموا عليه من الأمر المنكر (وكانوا ظالمين) واضعين كل شيء في غير موضعه فلم يكن اتخاذ العجل بدعا منهم ولا أول مناكيرهم (ولما سقط في أيديهم) ولما اشتد ندمهم وحسرتهم على عبادة العجل لأن من شأن من اشتد ندمه وحسرته أن يعض يده غما فتصير يده مسقوطا فيها لأن فاه قد وقع فيها وسقط مسند إلى في أيديهم وهو من باب الكناية وقرأ أبو السميفع سقط في أيديهم على تسمية الفاعل أي وقع العض فيها وقال الزجاج معناه سقط الندم في أيديهم أي في قلوبهم وأنفسهم كما يقال حصل في يده مكروه وإن كان محالا أن يكون في اليد تشبيها لما يحصل في القلب وفي النفس بما يحصل في اليد ويرى بالعين (ورأوا أنهم قد ضلوا) وتبينوا ضلالهم تبينا كأنهم أبصروه بعيونهم وقرئ لئن لم ترحمنا ربنا وتغفر لنا بالتاء وربنا بالنصب على النداء وهذا كلام التائبين كما قال آدم وحواء عليهما السلام وإن لم تغفر لنا وترحمنا الأسف الشديد الغضب ومنه قوله فلما آسفونا انتقمنا منهم وقيل هو الحزين (خلفتموني) قمتم مقامي وكنتم خلفائي من بعدي وهذا الخطاب إما أن يكون لعبدة العجل من السامري وأشياعه أو لوجوه بني إسرائيل وهم هرون عليه السلام والمؤمنون معه ويدل عليه قوله اخلفني في قومي والمعنى بئس ما خلفتموني حيث عبدتم العجل مكان عبادة الله أو حيث لم تكفوا من عبد غير الله (فإن قلت) أين ما تقتضيه بئس من الفاعل والمخصوص بالذم (قلت) الفاعل مضمر يفسره ما خلفتموني والمخصوص بالذم محذوف تقديره بئس خلافة خلفتمونيها من بعدي خلافتكم (فإن قلت) أي معنى قوله (من بعدي) بعد قوله خلفتموني (قلت) معناه من بعد ما رأيتم مني من توحيد الله ونفي الشركاء عنه وإخلاص العبادة له أو من بعد ما كنت أحمل بني إسرائيل على التوحيد وأكفهم عما طمحت نحوه أبصارهم من عبادة البقر حين قالوا اجعل لنا إلها كما لهم آلهة ومن حق الخلفاء أن يسيروا بسيرة المستخلف من بعده ولا يخالفوه ونحوه فخلف من بعدهم خلف أي من بعد أولئك الموصوفين بالصفات الحميدة يقال عجل عن الأمر إذا تركه غير تام ونقيضه تم عليه وأعجله عنه غيره ويضمن معنى سبق فيعدى تعديته فيقال عجلت الأمر والمعنى أعجلتم عن أمر ربكم وهو انتظار موسى حافظين لعهده وما وصاكم به فبنيتم الأمر على أن الميعاد قد بلغ آخره ولم أرجع إليكم فحدثتم أنفسكم بموتي فغيرتم كما غيرت الأمم بعد أنبيائهم وروي أن السامري قال لهم حين أخرج لهم العجل وقال هذا إلهكم وإله موسى إن موسى لن يرجع وإنه قد مات وروي أنهم عدوا عشرين يوما بلياليها فجعلوها أربعين ثم أحدثوا ما أحدثوا (وألقى الألواح) وطرحها لما لحقه من فرط الدهش وشدة الضجر عند سماعه حديث العجل غضبا لله وحمية لدينه وكان في نفسه حديدا شديد الغضب وكان هرون ألين منه جانبا ولذلك كان أحب إلى بني إسرائيل من موسى وروي أن التوراة كانت سبعة أسباع فلما ألقى الألواح تكسرت فرفع منها ستة أسباعها وبقي منها سبع واحد وكان فيما رفع تفصيل كل شيء وفيما بقي الهدى والرحمة (وأخذ برأس أخيه) أي بشعر رأسه (يجره إليه) بذؤابته وذلك لشدة ما ورد عليه من الأمر الذي استفزه وذهب بفطنته وظنا بأخيه أنه فرط في الكف (ابن أم) قرئ بالفتح تشبيها بخمسة عشر وبالكسر على طرح ياء الإضافة وابن أمي بالياء وابن إم بكسر الهمزة والميم وقيل كان أخاه لأبيه وأمه فإن صح فإنما أضافه إلى الأم إشارة إلى أنهما من بطن واحد وذلك أدعى إلى العطف والرقة وأعظم للحق الواجب ولأنها كانت مؤمنة فاعتد بنسبها ولأنها هي التي قاست فيه المخاوف والشدائد فذكره بحقها (إن القوم استضعفوني) يعني أني لم آل جهدا في كفهم بالوعظ والإنذار وبما بلغته طاقتي من بذل القوة في مضادتهم حتى قهروني واستضعفوني ولم يبق إلا أن يقتلوني (فلا تشمت بي الأعداء) فلا تفعل بي ما هو أمنيتهم من الاستهانة بي والإساءة إلي وقرئ فلا يشمت بي الأعداء على نهي الأعداء عن الشماتة والمراد أن لا يحل به ما يشمتون به لأجله (ولا تجعلني مع القوم الظالمين) ولا تجعلني في موجدتك علي وعقوبتك لي قرينا لهم وصاحبا أو ولا تعتقد

ألم يروا أنه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا اتخذوه وكانوا ظالمين ولما سقط في أيديهم ورأوا أنهم قد ضلوا قالوا لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا لنكونن من الخاسرين ولما رجع موسى إلى قومه غضبان أسفا قال بئسما خلفتموني من بعدي أعجلتم أمر ربكم وألقى الألواح وأخذ برأس أخيه يجره إليه قال ابن أم إن القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني فلا تشمت بي الأعداء ولا تجعلني مع القوم الظالمين

قوله تعالى والذين عملوا السيئات ثم تابوا من بعدها الآية (قال عظم جناية متخذى العجل أولا ثم أردفها بعظم الخ) قال أحمد يرمض بوجوب وعيد الفساق وأن مغفرة الذنب بدون التوبة ممتنعة من المحال الممتنع وقد تقدم عد ذلك من الأهواء والبدع بل الحق أن المغفرة لما عدا الشرك موكولة إلى المشيئة غير ممتنعة عقلا ثم واقعة نقلا والله الموفق قوله تعالى ٥١١ ولما سكت عن موسى الغضب الآية (قال هذا مثل كأن الغضب كان يغريه على ما فعل ويقول له قل لقومك كذا وألق الألواح وخذ برأس أخيك الخ) قال أحمد وهو من النمط الذى قدمته من قلب الحقيقة إلى المجاز وكان الأصل ولما سكت موسى عن الغضب ولذلك عده بعض أهل العربية من المقلوب ومدركه فى عد خرق الثوب المسمار والتحقيق أنه ليس منه وأن هذا القلب أشرف وأفصح لأنه عائد على معنى بليغ وهو أن الغضب كان متحكما من موسى حتى كأنه يصرفه فى أوامره وكل ما وقع منه حينئذ فعن الغضب صادر حتى كأنه هو الذى أمره به ومثل هذه النكتة الحسنة لا تلفى فى خرق الثوب المسمار بل هى موجودة فى قوله تعالى حقيق على أن لا أقول على الله إلا الحق على خلاف قراءة نافع وقد تقدم ذلك آنفا والله الموفق

قال رب اغفر لى ولأخى وأدخلنا فى رحمتك وأنت أرحم الراحمين إن الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم وذلة فى الحياة الدنيا وكذلك نجزى المفترين والذين عملوا السيئات ثم تابوا من بعدها وآمنوا إن ربك من بعدها لغفور رحيم ولما سكت عن موسى الغضب أخذ الألواح وفى نسختها هدى ورحمة للذين هم لربهم يرهبون واختار موسى قومه سبعين رجلا لميقاتنا فلما أخذتهم الرجفة قال رب لو شئت أهلكتهم من قبل وإياى

فى واحد من الظالمين مع براءتى منهم ومن ظلمهم ولما اعتذر إليه أخوه وذكر له شماتة الأعداء (قال رب اغفر لى ولأخى) ليرضى أخاه ويظهر لأهل الشماتة رضاه عنه فلا تتم لهم شماتتهم واستغفر لنفسه مما فرط منه إلى أخيه ولأخيه أن عسى فرط فى حسن الخلافة وطلب أن لا يتفرقا عن رحمته ولا تزال منتظمة لهما فى الدنيا والآخرة (غضب من ربهم وذلة) الغضب ما أمروا به من قتل أنفسهم والذلة خروجهم من ديارهم لأن ذل الغربة مثل مضروب وقيل هو ما نال أبناءهم وهم بنو قريظة والنضير من غضب الله تعالى بالقتل والجلاء ومن الذلة بضرب الجزية (المفترين) المتكذبين على الله ولا فرية أعظم من قول السامرى هذا إلهكم وإله موسى ويجوز أن يتعلق فى الحياة الدنيا بالذلة وحدها ويراد سينالهم غضب فى الآخرة وذلة فى الحياة الدنيا وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباؤا بغضب من الله (والذين عملوا السيئات) من الكفر والمعاصى كلها (ثم تابوا) ثم رجعوا (من بعدها) إلى الله واعتذروا إليه (وآمنوا) وأخلصوا الإيمان (إن ربك من بعدها) من بعد تلك العظائم (لغفور) لستور عليهم محاء لما كان منهم (رحيم) منعم عليهم بالجنة وهذا حكم عام يدخل تحته متخذو العجل ومن عداهم عظم جنايتهم أولا ثم أردفها تعظيم رحمته ليعلم أن الذنوب وإن جلت وعظمت فإن عفوه وكرمه أعظم وأجل ولكن لا بد من حفظ الشريطة وهى وجوب التوبة والإنابة وما وراءه طمع فارغ وأشعبية باردة لا يلتفت إليها حازم (ولما سكت عن موسى الغضب) هذا مثل كأن الغضب كان يغريه على ما فعل ويقول له قل لقومك كذا وألق الألواح وجر برأس أخيك إليك فترك النطق بذلك وقطع الإغراء ولم يستحسن هذه الكلمة ولم يستفصحها كل ذى طبع سليم وذوق صحيح إلا لذلك ولأنه من قبيل شعب البلاغة وإلا فما لقراءة معاوية بن قرة ولما سكن عن موسى الغضب لا تجد النفس عندها شيأ من تلك الهزة وطرفا من تلك الروعة وقرئ ولما سكت وأسكت أى أسكته الله أو أخوه باعتذاره إليه وتنصله والمعنى ولما طفئ غضبه (أخذ الألواح) التى ألقاها (وفى نسختها) وفيما نسخ منها أى كتب والنسخة فعلة بمعنى مفعول كالخطبة (لربهم يرهبون) دخلت اللام لتقدم المفعول لأن تأخر الفعل عن مفعوله يكسبه ضعفا ونحوه للرؤيا تعبرون وتقول لك ضربت (واختار موسى قومه) أى من قومه فحذف الجار وأوصل الفعل كقوله * منا الذى اختير الرجال سماحة * قيل اختار من اثنى عشر سبطا من كل سبط ستة حتى تتاموا اثنين وسبعين فقال ليتخلف منكم رجلان فتشاحوا فقال إن لمن قعد منكم مثل أجر من خرج فقعد كالب ويوشع وروى أنه لم يصب إلا ستين شيخا فأوحى الله تعالى إليه أن تختار من الشبان عشرة فاختارهم فأصبحوا شيوخا وقيل كانوا أبناء ما عدا العشرين ولم يتجاوزوا الأربعين قد ذهب عنهم الجهل والصبا فأمرهم موسى أن يصوموا ويتطهروا ويطهروا ثيابهم ثم خرج بهم إلى طور سيناء لميقات ربه وكان أمره ربه أن يأتيه فى سبعين من بنى إسرائيل فلما دنا موسى من الجبل وقع عليه عمود الغمام حتى تغشى الجبل كله ودنا موسى ودخل فيه وقال للقوم ادنوا فدنوا حتى إذا دخلوا فى الغمام وقعوا سجدا فسمعوه وهو يكلم موسى يأمره وينهاه افعل ولا تفعل ثم انكشف الغمام فأقبلوا إليه فطلبوا الرؤية فوعظهم وزجرهم وأنكر عليهم فقالوا يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فقال رب أرنى أنظر إليك يريد أن يسمعوا الرد والإنكار من جهته فأجيب بلن ترانى ورجف بهم الجبل فصعقوا ولما كانت الرجفة (قال) موسى (رب لو شئت أهلكتهم من قبل وإياى) وهذا تمن منه للإهلاك قبل أن يرى ما رأى من تبعة طلب الرؤية كما يقول النادم على الأمر

إذا رأى سوء المغبة لو شاء الله لأهلكهم قبل هذا (أتهلكنا بما فعل السفهاء منا) يعني أتهلكنا جميعا يعني نفسه وإياهم لأنه إنما طلب الرؤية زجرا للسفهاء وهم طلبوها سفها وجهلا (إن هي إلا فتنتك) أي محنتك وابتلاؤك حين كلمتني وسمعوا كلامك فاستدلوا بالكلام على الرؤية استدلالا فاسدا حتى افتتنوا وضلوا (تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء) تضل بالمحنة الجاهلين غير الثابتين في معرفتك وتهدي العالمين بك الثابتين بالقول الثابت وجعل ذلك إضلالا من الله وهدى منه لأن محنته لما كانت سببا لأن ضلوا واهتدوا فكأنه أضلهم بها وهداهم على الاتساع في الكلام (أنت ولينا) مولانا القائم بأمورنا (واكتب لنا) وأثبت لنا واقسم (في هذه الدنيا حسنة) عافية وحياة طيبة وتوفيقا في الطاعة (وفي الآخرة) الجنة (هدنا إليك) تبنا إليك وهاد إليه يهود إذا رجع وتاب والهود جمع هائد وهو التائب ولبعضهم

يا راكب الذنب هدهد ۞ واسجد كأنك هدهد

وقرأ أبو وجزة السعدي هدنا إليك بكسر الهاء من هاده يهيده إذا حركه وأماله ويحتمل أمرين أن يكون مبنيا للفاعل وللمفعول بمعنى حركنا إليك أنفسنا وأملناها أو حركنا إليك وأملنا على تقدير فعلنا كقولك عدت بالمريض بكسر العين فعلت من العيادة ويجوز عدت بالإشمام وعدت بإخلاص الضمة فيمن قال عود المريض وقول القول ويجوز على هذه اللغة أن يكون هدنا بالضم فعلنا من هاده يهيده (عذابي) من حاله وصفته أني (أصيب به من أشاء) أي من وجب علي في الحكمة تعذيبه ولم يكن في العفو عنه مساغ لكونه مفسدة ۞ وأما رحمتي فمن حالها وصفتها أنها واسعة تبلغ كل شيء ما من مسلم ولا كافر ولا مطيع ولا عاص إلا وهو متقلب في نعمتي ۞ وقرأ الحسن من أساء من الإساءة ۞ فسأكتب هذه الرحمة كتبة خاصة منكم يا بني إسرائيل للذين يكونون في آخر الزمان من أمة محمد صلى الله عليه وسلم الذين هم بجميع آياتنا وكتبنا يؤمنون لا يكفرون بشيء منها (الذين يتبعون الرسول) الذي نوحي إليه كتابا مختصا به وهو القرآن (النبي) صاحب المعجزات (الذي يجدونه) يجدون نعته أولئك الذين يتبعونه من بني إسرائيل (مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل ۞ ويحل لهم الطيبات) ما حرم عليهم من الأشياء الطيبة كالشحوم وغيرها أو ما طاب في الشريعة والحكم مما ذكر اسم الله عليه من الذبائح وما خلا كسبه من السحت (ويحرم عليهم الخبائث) ما يستخبث من نحو الدم والميتة ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به أو ما خبث في الحكم كالربا والرشوة وغيرهما من المكاسب الخبيثة ۞ الإصر الثقل الذي يأصر صاحبه أي يحبسه من الحراك لثقله وهو مثل لثقل تكليفهم وصعوبته نحو اشتراط قتل الأنفس في صحة توبتهم ۞ وكذلك الأغلال مثل لما كان في شرائعهم من الأشياء الشاقة نحو بت القضاء بالقصاص عمدا كان أو خطأ من غير شرع الدية وقطع الأعضاء الخاطئة وقرض موضع النجاسة من الجلد والثوب وإحراق الغنائم وتحريم العروق في اللحم وتحريم السبت وعن عطاء كانت بنو إسرائيل إذا قامت تصلي لبسوا المسوح وغلوا أيديهم إلى أعناقهم وربما ثقب الرجل ترقوته وجعل فيها طرف السلسلة وأوثقها إلى السارية يحبس نفسه على العبادة وقرئ آصارهم على الجمع (وعزروه) ومنعوه حتى لا يقوى عليه عدو وقرئ بالتخفيف وأصل العزر المنع ومنه التعزير للضرب دون الحد لأنه منع عن معاودة القبيح ألا ترى إلى تسميته الحد والحد هو المنع (والنور) القرآن (فإن قلت) ما معنى قوله (أنزل معه) وإنما أنزل مع جبريل (قلت) معناه أنزل مع نبوته لأن استنباءه كان مصحوبا بالقرآن مشفوعا به ويجوز أن يعلق باتبعوا أي واتبعوا القرآن المنزل مع اتباع النبي والعمل بسنته وبما أمر به ونهى عنه أو واتبعوا القرآن كما اتبعه مصاحبين له في اتباعه (فإن قلت) كيف انطبق هذا الجواب على قول موسى عليه السلام ودعائه (قلت) لما دعا لنفسه ولبني إسرائيل أجيب بما هو منطو على توبيخ بني إسرائيل على استجازتهم الرؤية على الله تعالى وعلى كفرهم بآيات الله العظام التي أجراها على يد موسى وعرض بذلك في قوله والذين هم بآياتنا يؤمنون وأريد أن يكون استماع أوصاف أعقابهم الذين آمنوا برسول الله صلى الله عليه وسلم وما جاء به كعبد الله بن سلام وغيره من أهل الكتابين لطفا لهم وترغيبا في إخلاص الإيمان والعمل الصالح وفي أن يحشروا معهم ولا يفرق

أتهلكنا بما فعل السفهاء منا إن هي إلا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء أنت ولينا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الغافرين واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الآخرة إنا هدنا إليك قال عذابي أصيب به من أشاء ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكوة والذين هم بآياتنا يؤمنون الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون قل يا أيها الناس

انى رسول الله اليكم جميعا الذى له ملك السموات والارض لا اله الا هو يحيى ويميت فآمنوا بالله ورسوله النبى الامى الذى يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون وقطعناهم اثنتى عشرة أسباطا أمما وأوحينا الى موسى اذ استسقاه قومه أن اضرب بعصاك الحجر فانبجست منه اثنتا عشرة عينا قد علم

بينهم وبين أعقابهم عن رحمة الله التى وسعت كل شئ (انى رسول الله اليكم جميعا) قيل بعث كل رسول الى قومه خاصة وبعث محمد صلى الله عليه وسلم الى كافة الانس وكافة الجن وجميعا نصب على الحال من اليكم (فان قلت) (الذى له ملك السموات والارض) ما محله (قلت) الاحسن أن يكون منتصبا باضمار أعنى وهو الذى يسمى النصب على المدح ويجوز أن يكون جرا على الوصف وان حيل بين الصفة والموصوف بقوله اليكم جميعا وقوله (لا اله الا هو) بدل من الصلة التى هى له ملك السموات والارض وكذلك (يحيى ويميت) وفى لا اله الا هو بيان للجملة قبلها لان من ملك العالم كان هو الاله على الحقيقة وفى يحيى ويميت بيان لاختصاصه بالالهية لانه لا يقدر على الاحياء والاماتة غيره (وكلماته) وما أنزل عليه وعلى من تقدمه من الرسل من كتبه ووحيه وقرئ وكلمته على الافراد وهى القرآن أو أراد جنس ما كلم به وعن مجاهد أراد عيسى بن مريم وقيل هى الكلمة التى تكون عنها عيسى وجميع خلقه وهى قوله كن وانما قيل ان عيسى كلمة الله فخص بهذا الاسم لانه لم يكن لكونه سبب غير الكلمة ولم يكن من نطفة تمنى (لعلكم تهتدون) ارادة أن تهتدوا (فان قلت) هلا قيل فآمنوا بالله وبى بعد قوله انى رسول الله اليكم (قلت) عدل عن المضمر الى الاسم الظاهر لتجرى عليه الصفات التى أجريت عليه ولما فى طريقة الالتفات من مزية البلاغة وليعلم أن الذى وجب الايمان به واتباعه هو هذا الشخص المستقل بأنه النبى الامى الذى يؤمن بالله وكلماته كائنا من كان أنا أو غيرى اظهارا للنصفة وتفاديا من العصبية لنفسه (ومن قوم موسى أمة) هم المؤمنون التائبون من بنى اسرائيل لما ذكر الذين تزلزلوا منهم فى الدين وارتابوا حتى أقدموا على العظيمتين عبادة العجل واستجازة رؤية الله تعالى ذكر أن منهم أمة موقنين ثابتين يهدون الناس بكلمة الحق ويدلونهم على الاستقامة ويرشدونهم • وبالحق يعدلون بينهم فى الحكم لا يجورون أو أراد الذين وصفهم ممن أدرك النبى صلى الله عليه وسلم وآمن به من أعقابهم وقيل ان بنى اسرائيل لما قتلوا أنبياءهم وكفروا وكانوا اثنى عشر سبطا تبرأ سبط منهم مما صنعوا واعتذروا وسألوا الله أن يفرق بينهم وبين اخوانهم ففتح الله لهم نفقا فى الارض فساروا فيه سنة ونصفا حتى خرجوا من وراء الصين وهم هنالك حنفاء مسلمون يستقبلون قبلتنا وذكر عن النبى صلى الله عليه وسلم أن جبريل ذهب به ليلة الاسراء نحوهم فكلمهم فقال لهم جبريل هل تعرفون من تكلمون قالوا لا فقال هذا محمد النبى الامى فآمنوا به وقالوا يا رسول الله ان موسى أوصانا من أدرك منكم أحمد فليقرأ عليه منى السلام فرد محمد على موسى عليهما السلام السلام ثم أقرأهم عشر سور من القرآن نزلت بمكة ولم تكن نزلت فريضة غير الصلاة والزكاة وأمرهم أن يقيموا مكانهم وكانوا يسبتون فأمرهم أن يجمعوا ويتركوا السبت وعن مسروق قرئ بين يدى عبد الله فقال رجل انى منهم فقال عبد الله يعنى لمن كان فى مجلسه من المؤمنين وهل يزيد صلحاؤكم عليهم شيأ من يهدى بالحق وبه يعدل وقيل لو كانوا فى طرف من الدنيا متمسكين بشريعة ولم يبلغهم بعضها كانوا معذورين وهذا من باب الفرض والتقدير والا فقد طار الخبر بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم الى كل أفق وتغلغل فى كل نفق ولم يبق الله أهل مدر ولا وبر ولا سهل ولا جبل ولا بر ولا بحر فى مشارق الارض ومغاربها الا وقد ألقاه اليهم وملأ به مسامعهم وألزمهم به الحجة وهو سائلهم عنه يوم القيامة (وقطعناهم) وصيرناهم قطعا أى فرقا وميزنا بعضهم من بعض لقلة الالفة بينهم وقرئ وقطعناهم بالتخفيف (اثنتى عشرة أسباطا) كقولك اثنتى عشرة قبيلة والاسباط أولاد الولد جمع سبط وكانوا اثنتى عشرة قبيلة من اثنى عشر ولدا من ولد يعقوب عليه السلام (فان قلت) مميز ما عدا العشرة مفرد فما وجه مجيئه مجموعا وهلا قيل اثنى عشر سبطا (قلت) لو قيل ذلك لم يكن تحقيقا لان المراد وقطعناهم اثنتى عشرة قبيلة وكل قبيلة أسباط لا سبط فوضع أسباطا موضع قبيلة ونظيره • بين رماحى مالك ونهشل • و (أمما) بدل من اثنتى عشرة بمعنى وقطعناهم أمما لان كل أسباط كانت أمة عظيمة وجماعة كثيفة العدد وكل واحدة كانت تؤم خلاف ما تؤمه الاخرى لا تكاد تأتلف • وقرئ اثنتى عشرة بكسر الشين (فانبجست) فانفجرت والمعنى واحد وهو الانفتاح بسعة وكثرة قال العجاج • وكيف غربى دالج تبجسا • (فان قلت) فهلا قيل فضرب فانبجست (قلت) لعدم الالباس وليجعل

الانبجاس مسببا عن الإيحاء بضرب الحجر للدلالة على أن الموحى إليه لم يتوقف عن اتباع الأمر وأنه من انتفاء الشك عنه بحيث لا حاجة إلى الإفصاح به وقوله (كل أناس) نظير قوله اثنتي عشرة أسباطا يريد كل أمة من تلك الأمم اثنتي عشرة والأناس اسم جمع غير تكسير نحو رخال وتناء وتؤام وأخوات لها ويجوز أن يقال إن الأصل الكسر والتكسير والضمة بدل من الكسرة كما أبدلت في نحو سكارى وغيارى من الفتحة (وظللنا عليهم الغمام) وجعلناه ظليلا عليهم في التيه و (كلوا) على إرادة القول (وما ظلمونا) وما رجع إلينا ضرر ظلمهم بكفرانهم النعم ولكن كانوا يضرون أنفسهم ويرجع وبال ظلمهم إليهم (وإذ قيل لهم) واذكر إذ قيل لهم والقرية بيت المقدس (فإن قلت) كيف اختلفت العبارة ههنا وفي سورة البقرة (قلت) لا بأس باختلاف العبارتين إذا لم يكن هناك تناقض ولا تناقض بين قوله اسكنوا هذه القرية وكلوا منها وبين قوله فكلوا لأنهم إذا سكنوا القرية فتسببت سكناهم للأكل منها فقد جمعوا في الوجود بين سكناها والأكل منها وسواء قدموا الحطة على دخول الباب أو أخروها فهم جامعون في الإيجاد بينهما وترك ذكر الرغد لا يناقض إثباته وقوله (نغفر لكم خطاياكم سنزيد المحسنين) موعد بشيئين بالغفران وبالزيادة وطرح الواو لا يخل بذلك لأنه استئناف مرتب على تقدير قول القائل وماذا بعد الغفران فقيل له سنزيد المحسنين وكذلك زيادة منهم زيادة بيان وأرسلنا وأنزلنا و (يظلمون) و يفسقون من واد واحد وقرئ تغفر لكم خطيئاتكم وتغفر لكم خطاياكم وخطيئاتكم وخطيئتكم على البناء للمفعول (واسألهم) وسل اليهود وقرئ واسلهم وهذا السؤال معناه التقرير والتقريع بقديم كفرهم وتجاوزهم حدود الله والإعلام بأن هذا من علومهم التي لا تعلم إلا بكتاب أو وحي فإذا أعلمهم به من لم يقرأ كتابهم علم أنه من جهة الوحي ونظيره همزة الاستفهام التي يراد بها التقرير في قولك أعدوتم في السبت • والقرية أيلة وقيل مدين وقيل طبرية والعرب تسمي المدينة قرية وعن أبي عمرو بن العلاء ما رأيت قرويين أفصح من الحسن والحجاج يعني رجلين من أهل المدن (حاضرة البحر) قريبة منه راكبة لشاطئه (إذ يعدون في السبت) إذ يتجاوزون حد الله فيه وهو اصطيادهم في يوم السبت وقد نهوا عنه وقرئ يعدون بمعنى يعتدون أدغمت التاء في الدال ونقلت حركتها إلى العين ويعدون من الإعداد وكانوا يعدون آلات الصيد يوم السبت وهم مأمورون بأن لا يشتغلوا فيه بغير العبادة والسبت مصدر سبتت اليهود إذا عظمت سبتها بترك الصيد والاشتغال بالتعبد فمعناه يعدون في تعظيم هذا اليوم وكذلك قوله (يوم سبتهم) معناه يوم تعظيمهم أمر السبت ويدل عليه قوله (ويوم لا يسبتون) وقراءة عمر بن عبد العزيز يوم إسباتهم • وقرئ لا يسبتون بضم الباء وقرأ علي لا يسبتون بضم الياء من أسبتوا وعن الحسن لا يسبتون على البناء للمفعول أي لا يدار عليهم السبت ولا يؤمرون بأن يسبتوا (فإن قلت) إذ يعدون وإذ تأتيهم ما محلهما من الإعراب (قلت) أما الأول فمجرور بدل من القرية والمراد بالقرية أهلها كأنه قيل واسألهم عن أهل القرية وقت عدوانهم في السبت وهو من بدل الاشتمال ويجوز أن يكون منصوبا بكانت أو بحاضرة وأما الثاني فمنصوب بيعدون ويجوز أن يكون بدلا بعد بدل • والحيتان السمك وأكثر ما تستعمل العرب الحوت في معنى السمكة (شرعا) ظاهرة على وجه الماء وعن الحسن تشرع على أبوابهم كأنها الكباش البيض يقال شرع علينا فلان إذا دنا منا وأشرف علينا وشرعت على فلان في بيته فرأيته يفعل كذا (كذلك نبلوهم) أي مثل ذلك البلاء الشديد نبلوهم بسبب فسقهم (وإذ قالت) معطوف على إذ يعدون وحكمه حكمه في الإعراب (أمة منهم) جماعة من أهل القرية من صلحائهم الذين ركبوا الصعب والذلول في موعظتهم حتى أيسوا من قبولهم لآخرين كانوا لا يقلعون عن وعظهم (لم تعظون قوما الله مهلكهم) أي مخترمهم ومطهر الأرض منهم (أو معذبهم عذابا شديدا) لتماديهم في الشر وإنما قالوا ذلك لعلمهم أن الوعظ لا ينفع فيهم (قالوا معذرة إلى ربكم) أي موعظتنا إبلاء عذر إلى الله ولئلا ننسب في النهي عن المنكر إلى بعض التفريط (ولعلهم يتقون) ولطمعنا في أن يتقوا بعض الاتقاء وقرئ معذرة بالنصب أي وعظناهم معذرة إلى ربكم أو اعتذرنا معذرة (فلما نسوا) يعني أهل القرية فلما تركوا ما ذكرهم به الصالحون ترك الناسي لما ينساه

كل أناس مشربهم وظللنا عليهم الغمام وأنزلنا عليهم المن والسلوى كلوا من طيبات ما رزقناكم وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون وإذ قيل لهم اسكنوا هذه القرية وكلوا منها حيث شئتم وقولوا حطة وادخلوا الباب سجدا نغفر لكم خطاياكم سنزيد المحسنين فبدل الذين ظلموا منهم قولا غير الذي قيل لهم فأرسلنا عليهم رجزا من السماء بما كانوا يظلمون واسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر إذ يعدون في السبت إذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا ويوم لا يسبتون لا تأتيهم كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون وإذ قالت أمة منهم لم تعظون قوما الله مهلكهم أو معذبهم عذابا شديدا قالوا معذرة إلى ربكم ولعلهم يتقون فلما نسوا ما ذكروا به

(أنجينا الذين ينهون عن السوء وأخذنا) الظالمين الراكبين للمنكر (فإن قلت) الأمة الذين قالوا لم تعظون من أي الفريقين هم أمن فريق الناجين أم المعذبين (قلت) من فريق الناجين لأنهم من فريق الناهين وما قالوا ما قالوا إلا سائلين عن علة الوعظ والغرض فيه حيث لم يروا فيه غرضا صحيحا لعلمهم بحال القوم وإذا علم الناهي حال المنهي وأن النهي لا يؤثر فيه سقط عنه النهي وربما وجب الترك لدخوله في باب العبث ألا ترى أنك لو ذهبت إلى المكاسين القاعدين على المآصر والجلادين المرتبين للتعذيب لتعظهم وتكفهم عما هم فيه كان ذلك عبثا منك ولم يكن إلا سببا للتلهي بك وأما الآخرون فإنما لم يعرضوا عنهم إما لأن يأسهم لم يستحكم كما استحكم يأس الأولين ولم يخبروهم كما خبروهم أو لفرط حرصهم وجدهم في أمرهم كما وصف الله تعالى رسوله عليه الصلاة والسلام في قوله فلعلك باخع نفسك وقيل الأمة هم الموعوظون لما وعظوا قالوا للواعظين لم تعظون منا قوما تزعمون أن الله مهلكهم أو معذبهم وعن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال ياليت شعري ما فعل بهؤلاء الذين قالوا لم تعظون قوما قال عكرمة فقلت جعلني الله فداك ألا ترى أنهم كرهوا ما هم عليه وخالفوهم وقالوا لم تعظون قوما الله مهلكهم فلم أزل به حتى عرفته أنهم قد نجوا وعن الحسن نجت فرقتان وهلكت فرقة وهم الذين أخذوا الحيتان وروي أن اليهود أمروا باليوم الذي أمرنا به وهو يوم 1)
الجمعة فتركوه واختاروا يوم السبت فابتلوا به وحرم عليهم فيه الصيد وأمروا بتعظيمه فكانت الحيتان تأتيهم يوم السبت شرعا بيضا سمانا كأنها المخاض لا يرى الماء من كثرتها ويوم لا يسبتون لا تأتيهم فكانوا كذلك برهة من الدهر ثم جاءهم إبليس فقال لهم إنما نهيتم عن أخذها يوم السبت فاتخذوا حياضا تسوقون الحيتان إليها يوم السبت فلا تقدر على الخروج منها وتأخذونها يوم الأحد وأخذ رجل منهم حوتا وربط في ذنبه خيطا إلى خشبة في الساحل ثم شواه يوم الأحد فوجد جاره ريح السمك فتطلع في تنوره فقال له إني أرى الله سيعذبك فلما لم يره عذب أخذ في السبت القابل حوتين فلما رأوا أن العذاب لا يعاجلهم صادوا وأكلوا وملحوا وباعوا وكانوا نحوا من سبعين ألفا فصار أهل القرية أثلاثا ثلث نهوا وكانوا نحوا من اثني عشر ألفا وثلث قالوا لم تعظون قوما وثلث هم أصحاب الخطيئة فلما لم ينتهوا قال المسلمون إنا لا نساكنكم فقسموا القرية بجدار للمسلمين باب وللمعتدين باب ولعنهم داود عليه السلام فأصبح الناهون ذات يوم في مجالسهم ولم يخرج من المعتدين أحد فقالوا إن للناس شأنا فعلوا الجدار فنظروا فإذا هم قردة ففتحوا الباب ودخلوا عليهم فعرفت القرود أنسباءها من الإنس والإنس لا يعرفون أنسباءهم من القرود فجعل القرد يأتي نسيبه فيشم ثيابه ويبكي فيقول ألم ننهكم فيقول برأسه بلى وقيل صار الشبان قردة والشيوخ خنازير وعن الحسن أكلوا والله أوخم أكلة أكلها أهلها أثقلها خزيا في الدنيا وأطولها عذابا في الآخرة هاه وايم الله ما حوت أخذه قوم فأكلوه أعظم عند الله من قتل رجل مسلم ولكن الله جعل موعدا والساعة أدهى وأمر (بئيس) شديد يقال بؤس يبؤس بأسا إذا اشتد فهو بئيس وقرئ بئس بوزن حذر وبئس على تخفيف العين ونقل حركتها إلى الفاء كما يقال كبد في كبد وبيس على قلب الهمزة ياء كذيب في ذئب وبيئس على فيعل بكسر الهمزة وفتحها وبيس بوزن ريس على قلب همزة بيئس ياء وإدغام الياء فيها وبيس على تخفيف بيس كهين في هين وبائس على فاعل (فلما عتوا عما نهوا عنه) فلما تكبروا عن ترك ما نهوا عنه كقوله وعتوا عن أمر ربهم (قلنا لهم كونوا قردة) عبارة عن مسخهم قردة كقوله إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون والمعنى أن الله تعالى عذبهم أولا بعذاب شديد فعتوا بعد ذلك فمسخهم وقيل فلما عتوا تكرير لقوله فلما نسوا والعذاب البئيس هو المسخ (تأذن ربك) عزم ربك وهو تفعل من الإيذان وهو الإعلام لأن العازم على الأمر يحدث نفسه به ويؤذنها بفعله وأجري مجرى فعل القسم كعلم الله وشهد الله ولذلك أجيب بما يجاب به القسم وهو قوله (ليبعثن) والمعنى وإذ حتم ربك وكتب على نفسه ليبعثن على اليهود (إلى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب) فكانوا يؤدون الجزية إلى المجوس إلى أن بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم فضربها عليهم فلا تزال مضروبة عليهم إلى آخر الدهر ومعنى ليبعثن عليهم ليسلطن عليهم كقوله بعثنا عليكم عبادا لنا أولي بأس شديد (وقطعناهم في الأرض أمما) وفرقناهم فيها فلا يكاد يخلو بلد من فرقة منهم (منهم الصالحون) الذين آمنوا منهم بالمدينة

أنجينا الذين ينهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون فلما عتوا عما نهوا عنه قلنا لهم كونوا قردة خاسئين وإذ تأذن ربك ليبعثن عليهم إلى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب إن ربك لسريع العقاب وإنه لغفور رحيم وقطعناهم في الأرض أمما منهم الصالحون

1) cf. [illegible]

أو الذين وراء الصين (ومنهم دون ذلك) ومنهم ناس دون ذلك الوصف منحطون عنه وهم الكفرة والفسقة (فإن قلت) ما محل دون ذلك (قلت) الرفع وهو صفة لموصوف محذوف معناه ومنهم ناس منحطون عن الصلاح ونحوه وما منا إلا له مقام معلوم بمعنى وما منا أحد إلا له مقام (وبلوناهم بالحسنات والسيئات) بالنعم والنقم (لعلهم يرجعون) فينيبون (فخلف) من بعد المذكورين (خلف) وهم الذين كانوا في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم (ورثوا الكتاب) التوراة بقيت في أيديهم بعد سلفهم يقرؤونها ويقفون على ما فيها من الأوامر والنواهي والتحليل والتحريم ولا يعملون بها (يأخذون عرض هذا الأدنى) أي حطام هذا الشيء الأدنى يريد الدنيا وما يتمتع به منها وفي قوله هذا الأدنى تخسيس وتحقير والأدنى إما من الدنو بمعنى القرب لأنه عاجل قريب وإما من دنو الحال وسقوطها وقلتها والمراد ما كانوا يأخذونه من الرشا في الأحكام على تحريف الكلام للتسهيل على العامة (ويقولون سيغفر لنا) لا يؤاخذنا الله بما أخذنا والفعل مسند إلى الجار والمجرور وهو لنا ويجوز أن يكون الأخذ الذي هو مصدر يأخذون (وإن يأتهم عرض مثله يأخذوه) الواو للحال أي يرجون المغفرة وهم مصرون عائدون إلى مثل فعلهم غير تائبين وغفران الذنوب لا يصح إلا بالتوبة والمصر لا غفران له (ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب) يعني قوله في التوراة من ارتكب ذنبا عظيما فإنه لا يغفر له إلا بالتوبة (ودرسوا ما فيه) في الكتاب من اشتراط التوبة في غفران الذنوب والذي عليه المجبرة هو مذهب اليهود بعينه كما ترى وعن مالك بن دينار رحمه الله يأتي على الناس زمان إن قصروا عما أمروا به قالوا سيغفر لنا لأنا لم نشرك بالله شيئا كل أمرهم إلى الطمع خيارهم فيهم المداهنة فهؤلاء من هذه الأمة أشباه الذين ذكرهم الله وتلا الآية (والدار الآخرة خير) من ذلك العرض الخسيس (للذين يتقون) الرشا ومحارم الله • وقرئ وورثوا الكتاب وألا تقولوا بالتاء وادارسوا بمعنى تدارسوا (أفلا تعقلون) بالياء والتاء (فإن قلت) ما موقع قوله ألا يقولوا على الله إلا الحق (قلت) هو عطف بيان لميثاق الكتاب ومعنى ميثاق الكتاب الميثاق المذكور في الكتاب وفيه أن إثبات المغفرة بغير توبة خروج عن ميثاق الكتاب وافتراء على الله وتقول عليه ما ليس بحق وإن فسر ميثاق الكتاب بما تقدم ذكره كان أن لا يقولوا مفعولا له ومعناه لئلا يقولوا ويجوز أن تكون أن مفسرة ولا تقولوا نهيا كأنه قيل ألم يقل لهم لا تقولوا على الله إلا الحق (فإن قلت) علام عطف قوله ودرسوا ما فيه (قلت) على ألم يؤخذ عليهم لأنه تقرير فكأنه قيل أخذ عليهم ميثاق الكتاب ودرسوا ما فيه (والذين يمسكون بالكتاب) فيه وجهان أحدهما أن يكون مرفوعا بالابتداء وخبره (إنا لا نضيع أجر المصلحين) والمعنى إنا لا نضيع أجرهم لأن المصلحين في معنى الذين يمسكون بالكتاب كقوله إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات إنا لا نضيع أجر من أحسن عملا والثاني أن يكون مجرورا عطفا على الذين يتقون ويكون قوله إنا لا نضيع اعتراضا • وقرئ يمسكون بالتشديد وتنصره قراءة أبي والذين مسكوا بالكتاب (فإن قلت) التمسك بالكتاب يشتمل على كل عبادة ومنها إقامة الصلاة فكيف أفردت (قلت) إظهارا لمزية الصلاة لكونها عماد الدين وفارقة بين الكفر والإيمان • وقرأ ابن مسعود رضي الله عنه والذين استمسكوا بالكتاب (وإذ نتقنا الجبل فوقهم) قلعناه ورفعناه كقوله ورفعنا فوقهم الطور ومنه نتق السقاء إذا نفضه ليقتلع الزبدة منه • والظلة كل ما أظلك من سقيفة أو سحاب وقرئ بالطاء من أطل عليه إذا أشرف (وظنوا أنه واقع بهم) وعلموا أنه ساقط عليهم وذلك أنهم أبوا أن يقبلوا أحكام التوراة لغلظها وثقلها فرفع الله الطور على رؤوسهم مقدار عسكرهم وكان فرسخا في فرسخ وقيل لهم إن قبلتموها بما فيها وإلا ليقعن عليكم فلما نظروا إلى الجبل خر كل رجل منهم ساجدا على حاجبه الأيسر وهو ينظر بعينه اليمنى إلى الجبل فرقا من سقوطه فلذلك لا ترى يهوديا يسجد إلا على حاجبه الأيسر ويقولون هي السجدة التي رفعت عنا بها العقوبة ولما نشر موسى الألواح وفيها كتاب الله لم يبق جبل ولا شجر ولا حجر إلا اهتز فلذلك لا ترى يهوديا تقرأ عليه التوراة إلا اهتز وأنغض لها رأسه (خذوا ما آتيناكم) على إرادة القول أي وقلنا خذوا ما آتيناكم أو قائلين خذوا ما آتيناكم من الكتاب (بقوة) وعزم على احتمال مشاقه وتكاليفه (واذكروا ما فيه) من الأوامر والنواهي

ومنهم دون ذلك وبلوناهم بالحسنات والسيئات لعلهم يرجعون فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الأدنى ويقولون سيغفر لنا وإن يأتهم عرض مثله يأخذوه ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب ألا يقولوا على الله إلا الحق ودرسوا ما فيه والدار الآخرة خير للذين يتقون أفلا تعقلون والذين يمسكون بالكتاب وأقاموا الصلوة إنا لا نضيع أجر المصلحين وإذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة وظنوا أنه واقع بهم خذوا ما آتيناكم بقوة

ولا

● قوله تعالى وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم الآية (قال هذا من باب التمثيل والتخييل الخ) قال أحمد إطلاق التمثيل أحسن وقد ورد الشرع به وأما إطلاق التخييل على كلام الله تعالى فمردود (٥١٧) ولم يرد به سمع وقد كثر إنكارنا عليه لهذه اللفظة ثم إن القاعدة مستقرة على أن الظاهر ما لم يخالف المعقول يجب إقراره على ما هو عليه فكذلك أقره الأكثرون على ظاهره وحققته ولم يجعلوه مثالا وأما كيفية الإخراج والمخاطبة فالله أعلم بذلك

ولا تنسوه (واذكروا ما فيه) من التعريض للثواب العظيم فارغبوا فيه ويجوز أن يراد خذوا ما آتيناكم من الآية العظيمة بقوة إن كنتم تطيقونه كقوله إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا (واذكروا ما فيه) من الدلالة على القدرة الباهرة والإنذار (لعلكم تتقون) ما أنتم عليه ● وقرأ ابن مسعود وتذكروا وقرئ واذكروا بمعنى وتذكروا (من ظهورهم) بدل من بني آدم بدل البعض من الكل ومعنى أخذ ذرياتهم من ظهورهم إخراجهم من أصلابهم نسلا وإشهادهم على أنفسهم وقوله (ألست بربكم قالوا بلى شهدنا) من باب التمثيل والتخييل ومعنى ذلك أنه نصب لهم الأدلة على ربوبيته ووحدانيته وشهدت بها عقولهم وبصائرهم التي ركبها فيهم وجعلها مميزة بين الضلالة والهدى فكأنه أشهدهم على أنفسهم وقررهم وقال لهم ألست بربكم وكأنهم قالوا بلى أنت ربنا شهدنا على أنفسنا وأقررنا بوحدانيتك وباب التمثيل واسع في كلام الله تعالى ورسوله عليه السلام وفي كلام العرب ونظيره قوله تعالى إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين وقوله ● إذ قالت الأنساع للبطن الحق ● قالت له ريح الصبا قرقار ● ومعلوم أنه لا قول ثم وإنما هو تمثيل وتصوير للمعنى (أن تقولوا) مفعول له أي فعلنا ذلك من نصب الأدلة الشاهدة على صحتها العقول كراهة أن تقولوا (يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين) لم ننبه عليه (أو) كراهة أن (تقولوا إنما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم) فاقتدينا بهم لأن نصب الأدلة على التوحيد وما نبهوا عليه قائم معهم فلا عذر لهم في الإعراض عنه والإقبال على التقليد والاقتداء بالآباء كما لا عذر لآبائهم في الشرك وأدلة التوحيد منصوبة لهم (فإن قلت) بنو آدم وذرياتهم من هم (قلت) عنى ببني آدم أسلاف اليهود الذين أشركوا بالله حيث قالوا عزير ابن الله وبذرياتهم الذين كانوا في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من أخلافهم المقتدين بآبائهم والدليل على أنها في المشركين وأولادهم قوله أو تقولوا إنما أشرك آباؤنا من قبل والدليل على أنها في اليهود الآيات التي عطفت عليها هي والتي عطفت عليها هي على نمطها وأسلوبها وذلك قوله واسألهم عن القرية وإذ قالت أمة منهم لم تعظون وإذ تأذن ربك وإذ نتقنا الجبل فوقهم واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا (أفتهلكنا بما فعل المبطلون) أي كانوا السبب في شركنا لتأسيسهم الشرك وتقدمهم فيه وتركه سنة لنا (وكذلك) ومثل ذلك التفصيل البليغ نفصل الآيات لهم (ولعلهم يرجعون) وإرادة أن يرجعوا عن شركهم نفصلها ● وقرئ ذريتهم على التوحيد وأن يقولوا بالياء (واتل عليهم) على اليهود (نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها) هو عالم من علماء بني إسرائيل وقيل من الكنعانيين اسمه بلعم بن باعوراء أوتي علم بعض كتب الله فانسلخ منها من الآيات بأن كفر بها ونبذها وراء ظهره (فأتبعه الشيطان) فلحقه الشيطان وأدركه وصار قرينا له أو فأتبعه خطواته وقرئ فاتبعه بمعنى فتبعه (فكان من الغاوين) فصار من الضالين الكافرين روي أن قومه طلبوا إليه أن يدعو على موسى ومن معه فأبى وقال كيف أدعو على من معه الملائكة فألحوا عليه ولم يزالوا به حتى فعل (ولو شئنا لرفعناه بها) لعظمناه ورفعناه إلى منازل الأبرار من العلماء بتلك الآيات (ولكنه أخلد إلى الأرض) مال إلى الدنيا ورغب فيها وقيل مال إلى السفالة (فإن قلت) كيف علق رفعه بمشيئة الله تعالى ولم يعلق بعمله الذي يستحق به الرفع (قلت) المعنى ولو لزم العمل بالآيات ولم ينسلخ منها لرفعناه بها وذلك أن مشيئة الله تعالى رفعه تابعة للزومه الآيات فذكرت المشيئة والمراد ما هي تابعة له ومسببة عنه كأنه قيل ولو لزمها لرفعناه بها ألا ترى إلى قوله ولكنه أخلد إلى الأرض فاستدرك المشيئة بإخلاده الذي هو فعله فوجب أن يكون ولو شئنا في معنى ما هو فعله ولو كان الكلام على ظاهره لوجب أن يقال ولو شئنا لرفعناه ولكنا لم نشأ (فمثله كمثل الكلب) فصفته التي هي مثل

واذكروا ما فيه لعلكم تتقون وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين أو تقولوا إنما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم أفتهلكنا بما فعل المبطلون وكذلك نفصل الآيات ولعلهم يرجعون واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث

● عادة كلامه (قال فإن قلت بنو آدم وذرياتهم من هم الخ) قال أحمد والأظهر شمولها جملة بني آدم فيدخل اليهود في عمومها لأن كل واحد من بني آدم يصدق عليه الاسمان جميعا أنه ابن آدم وأنه ذريته ولا يخرج من هذا إلا آدم عليه السلام واعلم أن ذكر الظهور ولا يخلو الكلام عن النوع المسمى في فن البلاغة بالملف اختصارا أو إيجازا

• قوله تعالى ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في أسمائه سيجزون ما كانوا يعملون (قال معنى الحسنى التي هي أحسن الأسماء الخ) قال أحمد أي مما يجوز عليه وإن لم يرد إطلاقه شرعا كالشريف والعارف ونحو ذلك • عاد كلامه (قال كما سمعنا البدو يقولون بجهلهم الخ) قال أحمد وفي هذا (٥١٨) التأويل بعد لأن ترك الدعاء ببعض الأسماء لا يصدق عليه الحاد في العرف ونحوه يطلق على فعل لا على ترك ولكن يتميز عن الوجه الأول بأنه أضاف الأسماء الحسنى فيهن إلى ذاته وهذا أدل على الرحمن منه على مثل أبيض الوجه ونحوه فان هذا ليس من أسمائه إلا أن يقال أضافه إليه تنزيلا على زعمهم

في الخسة والضعة كصفة الكلب في أخس أحواله وأذلها • وهي حال دوام اللهث به واتصاله سواء حمل عليه أي شد عليه وهيج فطرد أو ترك غير متعرض له بالحمل عليه وذلك أن سائر الحيوان لا يكون منه اللهث إلا إذا هيج منه وحرك وإلا لم يلهث والكلب يتصل لهثه في الحالتين جميعا وكان حق الكلام أن يقال ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى الأرض فحططناه ووضعنا منزلته فوضع قوله فمثله كمثل الكلب موضع حططناه أبلغ حط لأن تمثيله بالكلب في أخس أحواله وأذلها في معنى ذلك وعن ابن عباس رضي الله عنه الكلب منقطع الفؤاد يلهث إن حمل عليه أو لم يحمل عليه وقيل معناه إن وعظته فهو ضال وإن لم تعظه فهو ضال كالكلب إن طردته فسعى لهث وإن تركته على حاله لهث (فإن قلت) ما محل الجملة الشرطية (قلت) النصب على الحال كأنه قيل كمثل الكلب ذليلا دائم الذلة لاهثا في الحالتين وقيل لما دعا بلعم على موسى عليه السلام خرج لسانه فوقع على صدره وجعل يلهث كما يلهث الكلب (ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا) من اليهود بعد ما قرءوا نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم في التوراة وذكر القرآن المعجز وما فيه وبشروا الناس باقتراب مبعثه وكانوا يستفتحون به (فاقصص) قصص بلعم الذي هو نحو قصصهم (لعلهم يتفكرون) فيحذرون مثل عاقبته إذا ساروا نحو سيرته وزاغوا شبه زيغه ويعلمون أنك علمته من جهة الوحي فيزدادوا إيقانا بك وتزداد الحجة لزوما لهم (ساء مثلا القوم) أي مثل القوم أو ساء أصحاب مثل القوم وقرأ الجحدري ساء مثل القوم (وأنفسهم كانوا يظلمون) إما أن يكون معطوفا على كذبوا فيدخل في حيز الصلة بمعنى الذين جمعوا بين التكذيب بآيات الله وظلم أنفسهم وإما أن يكون كلاما منقطعا عن الصلة بمعنى وما ظلموا إلا أنفسهم بالتكذيب وتقديم المفعول به للاختصاص كأنه قيل وخصوا أنفسهم بالظلم لم يتعدها إلى غيرها (فهو المهتدي) حمل على اللفظ و(فأولئك هم الخاسرون) حمل على المعنى (كثيرا من الجن والإنس) هم المطبوع على قلوبهم الذين علم الله أنه لا لطف لهم • وجعلهم في أنهم لا يلقون أذهانهم إلى معرفة الحق ولا ينظرون بأعينهم إلى ما خلق الله نظر اعتبار ولا يسمعون ما يتلى عليهم من آيات الله سماع تدبر كأنهم عدموا فهم القلوب وإبصار العيون واستماع الآذان وجعلهم لإغراقهم في الكفر وشدة شكائمهم فيه وأنه لا يأتي منهم إلا أفعال أهل النار مخلوقين للنار دلالة على توغلهم في الموجبات وتمكنهم فيما يؤهلهم لدخول النار ومنه كتاب عمر رضي الله عنه إلى خالد بن الوليد بلغني أن أهل الشأم قد اتخذوا لك دلوكا عجن بخمر وإني لأظنكم آل المغيرة ذرء النار ويقال لمن كان عريقا في بعض الأمور ما خلق فلان إلا لكذا والمراد وصف حال اليهود في عظم ما أقدموا عليه من تكذيب رسول الله صلى الله عليه وسلم مع علمهم أنه النبي الموعود وأنهم من جملة الكثير الذين لا يكاد الإيمان يتأتى منهم كأنهم خلقوا للنار (أولئك كالأنعام) في عدم الفقه والنظر للاعتبار والاستماع للتدبر (بل هم أضل) من الأنعام عن الفقه والاعتبار والتدبر (أولئك هم الغافلون) الكاملون في الغفلة وقيل الأنعام تبصر منافعها ومضارها فتلزم بعض ما تبصره وهؤلاء أكثرهم يعلم أنه معاند فيقدم على النار (ولله الأسماء الحسنى) التي هي أحسن الأسماء لأنها تدل على معان حسنة من تمجيد وتقديس وغير ذلك (فادعوه بها) فسموه بتلك الأسماء (وذروا الذين يلحدون في أسمائه) واتركوا تسمية الذين يميلون عن الحق والصواب فيها فيسمونه بغير الأسماء الحسنى وذلك أن يسموه بما لا يجوز عليه كما سمعنا البدو يقولون بجهلهم يا أبا المكارم يا أبيض الوجه يا نخي أو أن يأبوا تسميته ببعض أسمائه الحسنى نحو أن يقولوا يا الله ولا يقولوا يا رحمن وقد قال الله تعالى قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيا ما تدعوا فله الأسماء الحسنى ويجوز أن يراد لله الأوصاف الحسنى

ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا فاقصص القصص لعلهم يتفكرون ساء مثلا القوم الذين كذبوا بآياتنا وأنفسهم كانوا يظلمون من يهد الله فهو المهتدي ومن يضلل فأولئك هم الخاسرون ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والإنس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في أسمائه سيجزون ما كانوا يعملون

• عاد كلامه (قال ويجوز أن يراد لله الأوصاف الحسنى وهي الوصف بالعدل والخير الخ) قال أحمد لا يدع حشو المعتقد الفاسدة في غير موضع يسعها فإن يكن المراد الأوصاف فالحسنى منها وصف الله بعموم القدرة والإرادة وهي بالمخلوقات حتى لا يشركه معه عباده في خلق أفعالهم ووصف الله تعالى بأنه لا يسأل عما يفعل وأن كل قضائه عدل وأنه لا يجب عليه رعاية ما يتوهمه الخلق مصلحة بعقولهم وأن وعده الصدق وقوله الحق وقدره صدر وثبته توجب وقوعها إلى غير ذلك من أوصافه

وهي الوصف بالعدل والخير والاحسان وتمنعوه الحق فصفوه بها وذروا الذين يلحدون في أوصافه فيصفونه بمشيئة القبائح وخلق الفحشاء والمنكر وبما يدخل في التشبيه كالرؤية ونحوها وقيل الحادهم في أسمائه تسميتهم الاصنام آلهة واشتقاقهم اللات من الله والعزى من العزيز * لما قال ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا فأخبر أن كثيرا من الثقلين عاملون بأعمال أهل النار أتبعه قوله (وممن خلقنا أمة يهدون بالحق) وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول اذا قرأها هذه لكم وقد أعطى القوم بين أيديكم مثلها ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وعنه صلى الله عليه وسلم ان من أمتي قوما على الحق حتى ينزل عيسى عليه السلام وعن الكلبي هم الذين آمنوا من أهل الكتاب وقيل هم العلماء والدعاة الى الدين * الاستدراج استفعال من الدرجة بمعنى الاستصعاد أو الاستنزال درجة بعد درجة قال الأعشى

فلو كنت في جب ثمانين قامة * ورقيت أسباب السماء بسلم
ليستدرجنك القول حتى تهره * وتعلم أني عنكم غير مفحم

ومنه درج الصبي اذا قارب بين خطاه وأدرج الكتاب طواه شيأ بعد شيء ودرج القوم مات بعضهم في اثر بعض ومعنى (سنستدرجهم) سنستدنيهم قليلا قليلا الى ما يهلكهم ونضاعف عقابهم (من حيث لا يعلمون) ما يراد بهم وذلك أن يواتر الله نعمه عليهم مع انهماكهم في الغي فكلما جدد عليهم نعمة ازدادوا بطرا وجددوا معصية فيتدرجون في المعاصي بسبب ترادف النعم ظانين أن مواترة النعم أثرة من الله وتقريب وانما هي خذلان منه وتبعيد فهو استدراج الله تعالى نعوذ بالله منه (وأملي لهم) عطف على سنستدرجهم وهو داخل في حكم السين (ان كيدي متين) سماه كيدا لانه شبيه بالكيد من حيث انه في الظاهر احسان وفي الحقيقة خذلان (ما بصاحبهم) بمحمد صلى الله عليه وسلم (من جنة) من جنون وكانوا يقولون شاعر مجنون وعن قتادة أن النبي صلى الله عليه وسلم علا الصفا فدعاهم فخذا فخذا يحذرهم بأس الله فقال قائلهم ان صاحبكم هذا لمجنون بات يهوت الى الصباح (أولم ينظروا) نظر استدلال (في ملكوت السموات والارض) فيما تدلان عليه من عظم الملك والملكوت الملك العظيم (وما خلق الله من شيء) وفيما خلق الله مما يقع عليه اسم الشيء من أجناس لا يحصرها العدد ولا يحيط بها الوصف (وأن عسى) أن مخففة من الثقيلة والاصل وأنه عسى على أن الضمير ضمير الشأن والمعنى أولم ينظروا في أن الشأن والحديث عسى (أن يكون قد اقترب أجلهم) ولعلهم يموتون عما قريب فيسارعوا الى النظر وطلب الحق وما ينجيهم قبل مغافصة الاجل وحلول العقاب ويجوز أن يراد باقتراب الاجل اقتراب الساعة ويكون من كان التي فيها ضمير الشأن (فان قلت) بم يتعلق قوله (فبأي حديث بعده يؤمنون) (قلت) بقوله عسى أن يكون قد اقترب أجلهم كأنه قيل لعل أجلهم قد اقترب فما لهم لا يبادرون الى الايمان بالقرآن قبل الموت وماذا ينتظرون بعد وضوح الحق وبأي حديث أحق منه يريدون أن يؤمنوا * قرئ ونذرهم بالياء والنون والرفع على الاستئناف ويذرهم بالياء والجزم عطفا على محل فلا هادي له كأنه قيل من يضلل الله لا يهده أحد ويذرهم (يسئلونك) قيل ان قوما من اليهود قالوا يا محمد أخبرنا متى الساعة ان كنت نبيا فانا نعلم متى هي وكان ذلك امتحانا منهم مع علمهم أن الله تعالى قد استأثر بعلمها وقيل السائلون قريش * والساعة من الاسماء الغالبة كالنجم للثريا وسميت القيامة بالساعة لوقوعها بغتة أو لسرعة حسابها أو على العكس لطولها أو لأنها عند الله على طولها كساعة من الساعات عند الخلق (أيان) بمعنى متى وقيل اشتقاقه من أي فعلان منه لان معناه أي وقت وأي فعل من أويت اليه لان البعض آو الى الكل متساند اليه قاله ابن جني وأبى أن يكون من أين لانه زمان وأين مكان وقرأ السلمي إيان بكسر الهمزة (مرساها) ارساؤها أو وقت ارسائها أي اثباتها واقرارها وكل شيء ثقيل رسوه ثباته واستقراره ومنه رسى الجبل وأرسى السفينة والمرسى الانجر الذي ترسى به ولا أثقل من الساعة بدليل قوله ثقلت في السموات والارض والمعنى متى يرسيها الله (انما علمها) أي علم وقت ارسائها عنده قد استأثر به لم يخبر به أحدا من ملك مقرب ولا نبي مرسل ليكاد يخفيها من نفسه ليكون ذلك أدعى الى الطاعة وأزجر عن المعصية كما أخفى الاجل

وممن خلقنا أمة يهدون بالحق وبه يعدلون والذين كذبوا بآياتنا سنستدرجهم من حيث لا يعلمون وأملي لهم ان كيدي متين أولم يتفكروا ما بصاحبهم من جنة ان هو الا نذير مبين أولم ينظروا في ملكوت السموات والارض وما خلق الله من شيء وأن عسى أن يكون قد اقترب أجلهم فبأي حديث بعده يؤمنون من يضلل الله فلا هادي له ويذرهم في طغيانهم يعمهون يسئلونك عن الساعة أيان مرساها قل انما علمها عند ربي

بالجلية وذروا الذين يلحدون في أوصافه فيجحدونها ثم يزعمون انه لا يشمل قدرته المخلوقات بل هي مقسومة بينه وبين عباده ويوجبون عليه رعاية ما يتوهمونه مصلحة ويحجرون واسعا من مغفرته وعفوه وكرمه على الجانين من موحديه الى غير ذلك من الالحاد المعروف بالطائفة المتلقبين عدلية المزكين لانفسهم وهو أعلم بمن اتقى * عاد كلامه (قال وقيل الحادهم في أسمائه تسميتهم الخ) قال أحمد وهذا تفسير حسن ملائم والله أعلم

* قوله تعالى يسألونك كأنك حفى عنها قل انما علمها عند الله ولكن أكثر الناس لا يعلمون (قال معناه كأنك ابلغ فى السؤال عنها الخ) قال أحمد وفى هذا النوع من التكرير نكتة لا تلفى الا فى الكتاب العزيز وهو أجل من أن يشاركه فيها ودونه المعهود فى أمثال هذا التكرير أن الكلام اذا بنى على مقصد واعترض فى اثنائه عارض فأريد الرجوع لتتميم المقصد الاول وقد بعد عهده طرى بذكر المقصد الاول لتتصل نهايته ببدايته وقد تقدم لذلك فى الكتاب العزيز أمثال وسيأتى وهذا منها فانه لما ابتدأ الكلام بقوله يسئلونك عن الساعة أيان مرساها ثم اعترض ذكر الجواب المضمن فى قوله قل انما علمها عند ربى الى قوله بغتة أريد تتميم سؤالهم عنها بوجه من الانكار عليهم وهو المضمن فى قوله كأنك حفى (٥٢٠) عنها وهو شديد التعلق بالسؤال وقد بعد عهده فطرى ذكره تطرية عامة ولا تراه أبدا يطرى الا نوعا من الاجمال كالتذكرة للاول مستغنى عن تفصيله بما تقدم فان ثم قيل يسألونك ولم يذكر المسؤل عنه وهو الساعة اكتفاء بما تقدم فلما كرر السؤال لهذه الفائدة كرر الجواب أيضا مجملا فقال قل انما علمها عند الله ويلاحظ هذا فى تلخيص الكلام بعد بسطه ومن أدق ما وقفت عليه العرب فى هذا النمط من التكرير لاجل بعد العهد تطرية للذكر قوله وحده

بجعل انا هذا وأحقابه ال * أشعر نافدة للماء بجل أى فقط فذكر الالف واللام خاتمة للاول من الرجز ثم لما استفتح الرجز الثانى استبعد العهد بالاول فطرى ذكرها وأبقى الاولى فى مكانها ومن ثم استدل ابن جنى على ان ما كان من الرجز على ثلاثة أجزاء فهو بيت كامل وليس بنصف كما ذهب اليه أبو الحسن قال ولو كان بيتا واحدا لم يكن عهد الاولى متباعدا ولم يكن يحتاج الى تكريرها ألا ترى ان عبيدا لما جاء بقصيدة طويلة الابيات وجعل آخر المصراع الاول أل لم يعد في أول المصراع الثانى لانهما بيت واحد فلم يبعد عهدها بعيد وذلك قوله

يا خليلى أربعا واستخبرا ال * منزل الدارس من أهل الحلال

مثل سحق البرد عفى بعدك ال * قطر مغناه وتأويب الشمال

ثم استرسل فيها كذلك بضعة عشر بيتا فانظر هذه النكتة كيف بلغت العرب فى رعايتها حتى عدت القريب بعيدا والمتقاصر مديدا فتأملها فانها تحفة انما تنفق عند الحذاق الاعيان فى صناعتى العربية والبيان والله المستعان

لا يجليها لوقتها الا هو ثقلت فى السموات والارض لا تأتيكم الا بغتة يسئلونك كأنك حفى عنها قل انما علمها عند الله ولكن أكثر الناس لا يعلمون قل لا أملك لنفسى نفعا ولا ضرا الا ما شاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسنى السوء ان أنا الا نذير وبشير لقوم يؤمنون هو الذى خلقكم

للناس وهو وقت للموت لذلك (لا يجليها لوقتها الا هو) أى لا تزال خفية لا يظهر أمرها ولا يكشف خفاء علمها الا هو وحده اذا جاء بها فى وقتها بغتة لا يجليها بالخبر عنها قبل مجيئها أحد من خلقه لاستمرار الخفاء بها على غيره الى وقت وقوعها (ثقلت فى السموات والارض) أى كل من أهلها من الملائكة والثقلين أهمه شأن الساعة ويود أن يتجلى له علمها وشق عليه خفاؤها وثقل عليه أو ثقلت فيها لان أهلها يتوقعونها ويخافون شدائدها وأهوالها أو لان كل شئ لا يطيقها ولا يقوم لها فهى ثقيلة فيها (الا بغتة) الا فجأة على غفلة منكم وعن النبى صلى الله عليه وسلم ان الساعة تهيج بالناس والرجل يصلح حوضه والرجل يسقى ماشيته والرجل يقوم سلعته فى سوقه والرجل يخفض ميزانه ويرفعه (كأنك حفى عنها) كأنك عالم بها وحقيقته كأنك بليغ فى السؤال عنها لان من بالغ فى المسئلة عن الشئ والتنقير عنه استحكم علمه فيه ورصن وهذا التركيب معناه المبالغة ومنه احفاء الشارب واحتفاء البقل استئصاله وأحفى فى المسئلة اذا ألحف وحفى بفلان وتحفى به بالغ فى البر به وعن مجاهد استحفيت عنها السؤال حتى علمت وقرأ ابن مسعود كأنك حفى بها أى عالم بها بليغ فى العلم بها وقيل عنها متعلق بيسئلونك أى يسئلونك عنها كأنك حفى أى عالم بها وقيل ان قريشا قالوا له ان بيننا وبينك قرابة فقل لنا متى الساعة فقيل يسئلونك عنها كأنك حفى تتحفى بهم فتختصهم بتعليم وقتها لاجل القرابة وتزوى علمها عن غيرهم ولو أخبرت بوقتها لمصلحة عرفها الله فى اخبارك به لكنت مبلغه القريب والبعيد من غير تخصيص كسائر ما أوحى اليك وقيل كأنك حفى بالسؤال عنها تحبه وتؤثره يعنى أنك تكره السؤال عنها لانها من علم الغيب الذى استأثر الله به ولم يؤته أحدا من خلقه (فان قلت) لم كرر يسئلونك وانما علمها عند الله (قلت) للتأكيد ولما جاء به من زيادة قوله كأنك حفى عنها وعلى هذا تكرير العلماء الحذاق فى كتبهم لا يخلون المكرر من فائدة زائدة منهم محمد بن الحسن صاحب أبى حنيفة رحمهما الله (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) أنه العالم بها وأنه المختص بالعلم بها (قل لا أملك لنفسى) هو اظهار للعبودية والانتفاء عما يختص بالربوبية من علم الغيب أى أنا عبد ضعيف لا أملك لنفسى اجتلاب نفع ولا دفع ضرر كالمماليك والعبيد (الا ما شاء) ربى ومالكى من النفع لى والدفع عنى (ولو كنت أعلم الغيب) لكانت حالى على خلاف ما هى عليه من استكثار الخير واستغزار المنافع واجتناب السوء والمضار حتى لا يمسنى شئ منها ولم أكن غالبا مرة ومغلوبا أخرى فى الحروب ورابحا وخاسرا فى التجارات ومصيبا ومخطئا فى التدابير (ان أنا الا) عبد أرسلت نذيرا وبشيرا وما من شأنى أن أعلم الغيب (لقوم يؤمنون) يجوز أن يتعلق بالنذير والبشير جميعا لان النذارة والبشارة انما تنفعان فيهم أو يتعلق بالبشير

* قوله تعالى هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها الى قوله تعالى فتعالى الله عما يشركون (قال الضمير في آتيتنا ولنكونن لهما ولكل من يتناسل من ذريتهما الخ) قال أحمد وأسلم من هذين التفسيرين وأقرب والله أعلم أن يكون المراد جنسي الذكر والانثى لا يقصد فيه الى معين وكان المعنى والله أعلم خلقكم جنسا واحدا وجعل أزواجكم منكم أيضا لتسكنوا اليهن فلما تغشى الجنس الذي هو الذكر الجنس الآخر الذي هو الانثى جرى من هذين الجنسين كيت وكيت وانما نسب هذه المقالة الى الجنس وان كان فيهم الموحدون

وحده ويكون المتعلق بالنذير محذوفا أي الا نذير للكافرين وبشير لقوم يؤمنون (من نفس واحدة) وهي نفس آدم عليه السلام (وجعل منها زوجها) وهي حواء خلقها من جسد آدم من ضلع من أضلاعه أو من جنسها كقوله جعل لكم من أنفسكم أزواجا (ليسكن اليها) ليطمئن اليها ويميل ولا ينفر لان الجنس الى الجنس أميل وبه آنس واذا كانت بعضا منه كان السكون والمحبة أبلغ كما يسكن الانسان الى ولده ويحبه محبة نفسه لكونه بضعة منه وقال ليسكن فذكر بعد ما أنث في قوله واحدة منها زوجها ذهابا الى معنى النفس ليبين أن المراد بها آدم ولان الذكر هو الذي يسكن الى الانثى ويتغشاها فكان التذكير أحسن طباقا للمعنى • والتغشي كناية عن الجماع وكذلك الغشيان والاتيان (حملت حملا خفيفا) خف عليها ولم تلق منه ما يلقى بعض الحبالى من حملهن من الكرب والأذى ولم تستثقله كما يستثقلنه وقد تسمع بعضهن تقول في ولدها ما كان أخفه على كبدي حين حملته (فمرت به) فمضت به الى وقت ميلاده من غير اخداج ولا ازلاق وقيل حملت حملا خفيفا يعني النطفة فمرت به فقامت به وقعدت وقرأ ابن عباس رضي الله عنه فاستمرت به وقرأ يحيى بن يعمر فمرت به بالتخفيف وقرأ غيره فمارت من المرية كقوله أفتمارونه وأفتمرونه ومعناه فوقع في نفسها ظن الحمل فارتابت به (فلما أثقلت) حان وقت ثقل حملها كقولك أقربت وقرئ أثقلت على البناء للمفعول أي أثقلها الحمل (دعوا الله ربهما) دعا آدم وحواء ربهما ومالك أمرهما الذي هو الحقيق بأن يدعى ويلتجأ اليه فقالا (لئن آتيتنا) لئن وهبت لنا (صالحا) ولدا سويا قد صلح بدنه وبرئ وقيل ولدا ذكرا لان الذكورة من الصلاح والجودة والضمير في آتيتنا و(لنكونن) لهما ولكل من يتناسل من ذريتهما (فلما آتاهما) ما طلباه من الولد الصالح السوي (جعلا له شركاء) أي جعل أولادهما له شركاء على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه وكذلك (فيما آتاهما) أي آتى أولادهما وقد دل على ذلك قوله (فتعالى الله عما يشركون) حيث جمع الضمير وآدم وحواء بريئان من الشرك ومعنى اشراكهم فيما آتاهم الله تسميتهم أولادهم بعبد العزى وعبد مناة وعبد شمس وما أشبه ذلك مكان عبد الله وعبد الرحمن وعبد الرحيم ووجه آخر وهو أن يكون الخطاب لقريش الذين كانوا في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم آل قصي ألا ترى الى قوله في قصة أم معبد

فيا لقصي ما زوى الله عنكم • به من فخار لا يبارى وسودد

ويراد هو الذي خلقكم من نفس قصي وجعل من جنسها زوجها عربية قرشية ليسكن اليها فلما آتاهما ما طلبا من الولد الصالح السوي جعلا له شركاء فيما آتاهما حيث سميا أولادهما الاربعة بعبد مناف وعبد العزى وعبد قصي وعبد الدار وجعل الضمير في يشركون لهما ولأعقابهما الذين اقتدوا بهما في الشرك وهذا تفسير حسن لا اشكال فيه • وقرئ شركا أي ذوي شرك وهم الشركاء أو أحدثا لله شركا في الولد • أجريت الاصنام مجرى أولي العلم في قوله (وهم يخلقون) بناء على اعتقادهم فيها وتسميتهم اياها آلهة والمعنى أيشركون ما لا يقدر على خلق شيء كما يخلق الله وهم يخلقون لان الله عز وجل خالقهم أو لا يقدر على اختلاق شيء لانه جماد وهم يخلقون لان عبدتهم يختلقونهم فهم أعجز من عبدتهم (ولا يستطيعون لهم) لعبدتهم (نصرا ولا أنفسهم ينصرون) فيدفعون عنها ما يعتريها من الحوادث بل عبدتهم هم الذين يدفعون عنهم ويحامون عليهم (وان تدعوهم) وان تدعوا هذه الاصنام (الى الهدى) أي الى ما هو هدى ورشاد أو الى أن يهدوكم والمعنى وان تطلبوا منهم كما تطلبون من الله الخير والهدى (لا يتبعوكم) الى مرادكم وطلبتكم ولا يجيبوكم كما يجيبكم الله ويدل عليه قوله فادعوهم فليستجيبوا لكم ان كنتم صادقين (سواء عليكم أدعوتموهم) أم صمتم عن دعائهم في

من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن اليها فلما تغشاها حملت حملا خفيفا فمرت به فلما أثقلت دعوا الله ربهما لئن آتيتنا صالحا لنكونن من الشاكرين فلما آتاهما صالحا جعلا له شركاء فيما آتاهما فتعالى الله عما يشركون أيشركون ما لا يخلق شيأ وهم يخلقون ولا يستطيعون لهم نصرا ولا أنفسهم ينصرون وان تدعوهم الى الهدى لا يتبعوكم سواء عليكم أدعوتموهم أم أنتم صامتون

لان المشركين منهم أئذا ما مت لسوف أخرج حيا وقتل الانسان ما أكفره ان الانسان لفي خسر فانه كذلك على التفسير الاول أضاف الشرك الى أولاد آدم وحواء وهو واقع من بعضهم

وعلى التفسير الثاني أضافه الى قصي وعقبه والمراد البعض وهذا السؤال وارد على التأويلات الثلاثة وجوابه واحد ويسلم هذا الثالث من حذف المضاف المضطر اليه في التأويل الاول ومما ينصرف الى التأويل الثاني من استبعاد تخصيص قصي بهذا الامر المشترك في الجنس وجعل زوجته منه وكون المراد بذلك أن يسكن اليها لان ذلك عام في الجنس والله أعلم

ثم لا فلاح معهم (فإن قلت) هلا قيل أم صمتم ولم وضعت الجملة الاسمية موضع الفعلية (قلت) لأنهم كانوا إذا حزبهم أمر دعوا الله دون أصنامهم كقوله وإذا مس الناس ضر فكانت حالهم المستمرة أن يكونوا صامتين عن دعوتهم فقيل إن دعوتموهم لم تفترق الحال بين إحداثكم دعاءهم وبين ما أنتم عليه من عادة صمتكم عن دعائهم (إن الذين تدعون من دون الله) أي تعبدونهم وتسمونهم آلهة من دون الله (عباد أمثالكم) وقوله عباد أمثالكم استهزاء بهم أي قصارى أمرهم أن يكونوا أحياء عقلاء فإن ثبت ذلك فهم عباد أمثالكم لا تفاضل بينكم ثم أبطل أن يكونوا عبادا أمثالهم فقال (ألهم أرجل يمشون بها) وقيل عباد أمثالكم مملوكون أمثالكم وقرأ سعيد بن جبير إن الذين تدعون من دون الله عبادا أمثالكم بتخفيف إن ونصب عبادا أمثالكم والمعنى ما الذين تدعون من دون الله عبادا أمثالكم على إعمال إن النافية عمل ما الحجازية (قل ادعوا شركاءكم) واستعينوا بهم في عداوتي (ثم كيدون) جميعا أنتم وشركاؤكم (فلا تنظرون) فإني لا أبالي بكم وإنما قال هذا لأنه وثق بعصمة الله وكانوا قد خوفوه آلهتهم فأمر أن يخاطبهم بذلك كما قال قوم هود له إن نقول إلا اعتراك بعض آلهتنا بسوء فقال لهم إني بريء مما تشركون من دونه فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون (إن وليي الله) أي ناصري عليكم الله (الذي نزل الكتاب) الذي أوحى إلي كتابه وأعزني برسالته (وهو يتولى الصالحين) ومن عادته أن ينصر الصالحين من عباده وأنبيائه ولا يخذلهم (ينظرون إليك) يشبهون الناظرين إليك لأنهم صوروا أصنامهم بصورة من قلب حدقته إلى الشيء ينظر إليه (وهم لا يبصرون) وهم لا يدركون المرئي (خذ العفو) ضد الجهد أي خذ ما عفا لك من أفعال الناس وأخلاقهم وما أتى منهم وتسهل من غير كلفة ولا تداقهم ولا تطلب منهم الجهد وما يشق عليهم حتى لا ينفروا كقوله صلى الله عليه وسلم يسروا ولا تعسروا قال

خذي العفو مني تستديمي مودتي * ولا تنطقي في سورتي حين أغضب

وقيل خذ الفضل وما تسهل من صدقاتهم وذلك قبل نزول آية الزكاة فلما نزلت أمر أن يأخذهم بها طوعا أو كرها (وأمر بالعرف) المعروف والجميل من الأفعال (وأعرض عن الجاهلين) ولا تكافئ السفهاء بمثل سفههم ولا تمارهم واحلم عنهم وأغض على ما يسوءك منهم وقيل لما نزلت الآية سأل جبريل فقال لا أدري حتى أسأل ثم رجع فقال يا محمد إن ربك أمرك أن تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك وعن جعفر الصادق أمر الله نبيه عليه الصلاة والسلام بمكارم الأخلاق وليس في القرآن آية أجمع لمكارم الأخلاق منها (وإما ينزغنك من الشيطان نزغ) وإما ينخسنك منه نخس بأن يحملك بوسوسته على خلاف ما أمرت به (فاستعذ بالله) ولا تطعه والنزغ والنسغ الغرز والنخس كأنه ينخس الناس حين يغريهم على المعاصي وجعل النزغ نازغا كما قيل جد جده وروي أنه لما نزلت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف يا رب والغضب فنزل وإما ينزغنك من الشيطان نزغ ويجوز أن يراد بنزغ الشيطان اعتراء الغضب كقول أبي بكر رضي الله عنه إن لي شيطانا يعتريني (طيف من الشيطان) لمة منه مصدر من قولهم طاف به الخيال يطيف طيفا قال

أنى ألم بك الخيال يطيف * أو هو تخفيف طيف فيعل من طاف يطيف كلين أو من طاف يطوف كهين وقرئ طائف وهو يحتمل الأمرين أيضا وهذا تأكيد وتقرير لما تقدم من وجوب الاستعاذة بالله عند نزغ الشيطان وأن المتقين هذه عادتهم إذا أصابهم أدنى نزغ من الشيطان وإلمام بوسوسته (تذكروا) ما أمر الله به ونهى عنه فأبصروا السداد ودفعوا ما وسوس به إليهم ولم يتبعوه أنفسهم * وأما إخوان الشياطين الذين ليسوا بمتقين فإن الشياطين يمدونهم في الغي أي يكونون مددا لهم فيه ويعضدونهم * وقرئ يمدونهم من الإمداد ويمادونهم بمعنى يعاونونهم (ثم لا يقصرون) ثم لا يمسكون عن إغوائهم حتى يصروا ولا يرجعوا وقوله وإخوانهم يمدونهم كقوله * قوم إذا الخيل جالوا في كواثبها * في أن الخبر جار على غير ما هو له ويجوز أن يراد بالإخوان الشياطين ويرجع الضمير المتعلق به إلى الجاهلين فيكون الخبر جاريا على ما هو له والأول أوجه لأن إخوانهم في مقابلة الذين اتقوا (فإن قلت) لم جمع الضمير في إخوانهم والشيطان مفرد (قلت) المراد به الجنس كقوله أولياؤهم الطاغوت * واجتبى الشيء بمعنى جباه لنفسه أي جمعه كقولك اجتمعه أو جبى إليه فاجتباه أي أخذه

إن الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم فادعوهم فليستجيبوا لكم إن كنتم صادقين ألهم أرجل يمشون بها أم لهم أيد يبطشون بها أم لهم أعين يبصرون بها أم لهم آذان يسمعون بها قل ادعوا شركاءكم ثم كيدون فلا تنظرون إن ولي الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين والذين تدعون من دونه لا يستطيعون نصركم ولا أنفسهم ينصرون وإن تدعوهم إلى الهدى لا يسمعوا وتراهم ينظرون إليك وهم لا يبصرون خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه سميع عليم إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون وإخوانهم يمدونهم في الغي ثم لا يقصرون وإذا لم تأتهم بآية قالوا

كقولك جابيت اليه العروس فاجتلاها ومعنى (لولا اجتبيتها) هلا اجتمعتها افتعالا من عند نفسك لانهم كانوا يقولون ان هذا الا افك مفترى أو هلا أخذتها منزلة عليك مقترحة (قل انما أتبع ما يوحى الى من ربى) ولست بمفتعل للآيات أو لست بمقترح لها (هذا بصائر) هذا القرآن بصائر (من ربكم) أى حجج بينة يعود المؤمنون بها بصراء بعد العمى أو هو بمنزلة بصائر القلوب (واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا) ظاهره وجوب الاستماع والانصات وقت قراءة القرآن فى صلاة وغير صلاة وقيل كانوا يتكلمون فى الصلاة فنزلت ثم صار سنة فى غير الصلاة أن ينصت القوم اذا كانوا فى مجلس يقرأ فيه القرآن وقيل معناه واذا تلا عليكم الرسول القرآن عند نزوله فاستمعوا له وقيل معنى فاستمعوا له فاعملوا بما فيه ولا تجاوزوه (واذكر ربك فى نفسك) هو عام فى الاذكار من قراءة القرآن والدعاء والتسبيح والتهليل وغير ذلك (تضرعا وخيفة) متضرعا وخائفا (ودون الجهر) ومتكلما كلاما دون الجهر لان الاخفاء ادخل فى الاخلاص وأقرب الى حسن التفكر (بالغدو والآصال) لفضل هذين الوقتين أو أراد الدوام ومعنى بالغدو بأوقات الغدو وهى الغدوات وقرئ والايصال من آصل اذا دخل فى الاصيل كأقصر وأعتم وهو مطابق للغدو (ولا تكن من الغافلين) من الذين يغفلون عن ذكر الله ويلهون عنه (ان الذين عند ربك) هم الملائكة صلوات الله عليهم ومعنى عند دنو الزلفة والقرب من رحمة الله تعالى وفضله لتوفرهم على طاعته وابتغاء مرضاته (وله يسجدون) ويختصونه بالعبادة لا يشركون به غيره وهو تعريض بمن سواهم من المكلفين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الاعراف جعل الله يوم القيامة بينه وبين ابليس سترا وكان آدم شفيعا له يوم القيامة

﴿سورة الانفال مدنية وهى ست وسبعون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

النفل الغنيمة لانها من فضل الله تعالى وعطائه قال لبيد ان تقوى ربنا خير نفل والنفل ما ينفله الغازى أى يعطاه زائدا على سهمه من المغنم وهو أن يقول الامام تحريضا على البلاء فى الحرب من قتل قتيلا فله سلبه أو قال لسرية ما أصبتم فهو لكم أو فلكم نصفه أو ربعه ولا يخمس النفل ويلزم الامام الوفاء بما وعد منه وعند الشافعى رحمه الله فى أحد قوليه لا يلزم ولقد وقع الاختلاف بين المسلمين فى غنائم بدر وفى قسمتها فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف تقسم ولمن الحكم فى قسمتها للمهاجرين أم للانصار أم لهم جميعا فقيل له قل لهم هى لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الحاكم فيها خاصة يحكم فيها ما يشاء ليس لاحد غيره فيها حكم وقيل شرط لمن كان له بلاء فى ذلك اليوم أن ينفله فتسارع شبانهم حتى قتلوا سبعين وأسروا سبعين فلما يسر الله الفتح قال الشيوخ والوجوه الذين كانوا عند الرايات كنا ردأ لكم وفئة تنحازون اليها ان انهزمتم وقالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم المغنم قليل والناس كثير وان تعط هؤلاء ما شرطت لهم حرمت أصحابك فنزلت وعن سعد بن أبى وقاص قتل أخى عمير يوم بدر فقتلت به سعيد بن العاص وأخذت سيفه فأعجبنى فجئت به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت ان الله قد شفى صدرى من المشركين فهب لى هذا السيف فقال ليس هذا لى ولا لك اطرحه فى القبض فطرحته وبى ما لا يعلمه الا الله تعالى من قتل أخى وأخذ سلبى فما جاوزت الا قليلا حتى جاءنى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد أنزلت سورة الانفال فقال يا سعد انك سألتنى السيف وليس لى وانه قد صار لى فاذهب فخذه وعن عبادة بن الصامت نزلت فينا معشر أصحاب بدر حين اختلفنا فى النفل وساءت فيه أخلاقنا فنزعه الله من أيدينا فجعله لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقسمه بين المسلمين على السواء وكان فى ذلك تقوى الله وطاعة رسوله واصلاح ذات البين * وقرأ ابن محيصن يسألونك علنفال بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام وادغام نون عن فى اللام وقرأ ابن مسعود يسألونك الانفال أى يسألك الشبان ما شرطت لهم من الانفال (فان قلت) ما معنى الجمع بين ذكر الله والرسول فى قوله (قل الانفال لله والرسول) (قلت) معناه ان حكمها مختص بالله ورسوله

لولا اجتبيتها قل انما أتبع ما يوحى الى من ربى هذا بصائر من ربكم وهدى ورحمة لقوم يؤمنون واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون واذكر ربك فى نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول بالغدو والآصال ولا تكن من الغافلين ان الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته ويسبحونه وله يسجدون

(سورة الانفال مدنية وهى ست وسبعون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

يسألونك عن الانفال قل الانفال لله والرسول

 قوله تعالى كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وان فريقا من المؤمنين لكارهون (قال في كا) وجهان أحدهما أن يرتفع محل الكاف الخ) قال أحمد وكان جدي أبو العباس أحمد الفقيه الوزير رحمه الله يذكر في معنى الآية وجها أوجه من هذين وهو أن المراد تشبيه اختصاصه عليه السلام بالانفال

يأمر الله بقسمتها على ما تقتضيه حكمته وعتق الرسول أمر الله فيها وليس الامر في قسمتها مفوضا الى رأى أحد والمراد ان الذي اقتضته حكمة الله وأمر به رسوله أن يواسي المقاتلة المشروط لهم التنفيل الشيوخ الذين كانوا عند الرايات فيقاسموهم على السوية ولا يستأثروا بما شرط لهم فانهم ان فعلوا لم يؤمن أن يقدح ذلك فيما بين المسلمين من التحاب والتصافي (فاتقوا الله) في الاختلاف والتخاصم وكونوا متحدين متآخين في الله (وأصلحوا ذات بينكم) وتآسوا وتساعدوا فيما رزقكم الله وتفضل به عليكم وعن عطاء كان الاصلاح بينهم أن دعاهم وقال اقسموا غنائمكم بالعدل فقالوا قد أكلنا وأنفقنا فقال ليرد بعضكم على بعض (فان قلت) ما حقيقة قوله ذات بينكم (قلت) أحوال بينكم يعني ما بينكم من الاحوال حتى تكون أحوال ألفة ومحبة واتفاق كقوله بذات الصدور وهي مضمراتها لما كانت الاحوال ملابسة للبين قيل لها ذات البين كقولهم اسقني ذا انائك يريدون ما في الاناء من الشراب وقد جعل التقوى واصلاح ذات البين وطاعة الله ورسوله من لوازم الايمان وموجباته ليعلمهم أن كمال الايمان موقوف على التوفر عليها ومعنى قوله (ان كنتم مؤمنين) ان كنتم كاملي الايمان واللام في قوله (انما المؤمنون) اشارة اليهم أي انما الكاملو الايمان من صفتهم كيت وكيت والدليل عليه قوله أولئك هم المؤمنون حقا (وجلت قلوبهم) فزعت وعن أم الدرداء الوجل في القلب كاحتراق السعفة أما تجد له قشعريرة قال بلى قالت فادع الله فان الدعاء يذهبه يعني فزعت لذكره استعظاما له وتهيبا من جلاله وعزة سلطانه وبطشه بالعصاة وعقابه وهذا الذكر خلاف الذكر في قوله ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله لان ذلك ذكر رحمته ورأفته وثوابه وقيل هو الرجل يريد أن يظلم أو يهم بمعصية فيقال له اتق الله فينزع وقرئ وجلت بالفتح وهي لغة نحو وبق في وبق وفي قراءة عبد الله فرقت (زادتهم ايمانا) ازدادوا بها يقينا وطمأنينة نفس لان تظاهر الادلة أقوى للمدلول عليه وأثبت لقدمه وقد حمل على زيادة العمل وعن أبي هريرة رضي الله عنه الايمان سبع وسبعون شعبة أعلاها شهادة أن لا اله الا الله وأدناها اماطة الاذى عن الطريق والحياء شعبة من الايمان وعن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه ان للايمان سننا وفرائض وشرائع فمن استكملها استكمل الايمان ومن لم يستكملها لم يستكمل الايمان (وعلى ربهم يتوكلون) ولا يفوضون أمورهم الى غير ربهم لا يخشون ولا يرجون الا اياه جمع بين أعمال القلوب من الخشية والاخلاص والتوكل وبين أعمال الجوارح من الصلاة والصدقة (حقا) صفة للمصدر المحذوف أي أولئك هم المؤمنون ايمانا حقا أو هو مصدر مؤكد للجملة التي هي أولئك هم المؤمنون كقولك هو عبد الله حقا أي حق ذلك حقا وعن الحسن أن رجلا سأله أمؤمن أنت قال الايمان ايمانان فان كنت تسألني عن الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والجنة والنار والبعث والحساب فأنا مؤمن وان كنت تسألني عن قوله انما المؤمنون فوالله لا أدري أمنهم أنا أم لا وعن الثوري من زعم أنه مؤمن بالله حقا ثم لم يشهد أنه من أهل الجنة فقد آمن بنصف الآية وهذا الزام منه يعني كما لا يقطع بأنه من أهل ثواب المؤمنين حقا فلا يقطع بأنه مؤمن حقا وبهذا تعلق من يستثني في الايمان وكان أبو حنيفة رضي الله عنه ممن لا يستثني فيه وحكي عنه أنه قال لقتادة لم تستثني في ايمانك قال اتباعا لابراهيم عليه السلام في قوله والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين فقال له هلا اقتديت به في قوله أولم تؤمن قال بلى (درجات) شرف وكرامة وعلو منزلة (ومغفرة) وتجاوز لسيئاتهم (ورزق كريم) نعيم الجنة يعني لهم منافع حسنة دائمة على سبيل التعظيم وهذا معنى الثواب (كما أخرجك ربك) فيه وجهان أحدهما أن يرتفع محل الكاف على أنه خبر مبتدأ محذوف تقديره هذه الحال كحال اخراجك يعني أن حالهم في كراهة ما رأيت من تنفيل الغزاة مثل حالهم في كراهة خروجك للحرب والثاني أن ينتصب على أنه صفة مصدر الفعل المقدر في قوله الانفال لله والرسول أي الانفال استقرت لله والرسول وثبتت مع كراهتهم ثباتا مثل ثبات اخراج ربك اياك من بيتك وهم كارهون و (من

فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم وأطيعوا الله ورسوله ان كنتم مؤمنين انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا وعلى ربهم يتوكلون الذين يقيمون الصلوة ومما رزقناهم ينفقون أولئك هم المؤمنون حقا لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم كما أخرجك ربك من

وتفويض أمرها الى حكمه من حيث الاثابة والجزاء باخراجه من بيته مطيعا لله تعالى سامعا لامره راضيا بحكمه على كراهة المؤمنين لذلك في الطاعة فشبه الله تعالى ثوابه بهذه المرتبة بطاعته المرضية فكما بلغت طاعته الغاية في نوع الطاعات فكذلك بلغت اثابة الله له الغاية في جنس المثوبات وجماع هذا المعنى هو المشار اليه بقوله عليه الصلاة والسلام الاجر على قدر النصب والك على هذا المعنى أن تجعل الكاف مرفوعة ومنصوبة على حسب التقدير والله الموفق

بيتك

بيتك) يريد بيته بالمدينة أو المدينة نفسها لانها مهاجره ومسكنه فهي في اختصاصها به كاختصاص البيت بساكنه (بالحق) أي اخراجا ملتبسا بالحكمة والصواب الذي لا محيد عنه (وان فريقا من المؤمنين لكارهون) في موضع الحال أي اخرجك في حال كراهتهم وذلك ان عير قريش أقبلت من الشام فيها تجارة عظيمة ومعها أربعون راكبا منهم أبو سفيان وعمرو بن العاص وعمرو بن هشام فأخبر جبريل رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبر المسلمين فأعجبهم تلقي العير لكثرة الخير وقلة القوم فلما خرجوا بلغ أهل مكة خبر خروجهم فنادى أبو جهل فوق الكعبة يا أهل مكة النجاء النجاء على كل صعب وذلول عيركم أموالكم ان اصابها محمد لن تفلحوا بعدها أبدا وقد رأت أخت العباس بن عبد المطلب رؤيا فقالت لاخيها اني رأيت عجبا رأيت كأن ملكا نزل من السماء فأخذ صخرة من الجبل ثم حلق بها فلم يبق بيت من بيوت مكة الا أصابه حجر من تلك الصخرة فحدث بها العباس فقال أبو جهل ما يرضى رجالهم ان يتنبؤا حتى تتنبأ نساؤهم فخرج أبو جهل بجميع أهل مكة وهم النفير في المثل السائر لا في العير ولا في النفير فقيل له ان العير أخذت طريق الساحل ونجت فارجع بالناس الى مكة فقال لا والله لا يكون ذلك أبدا حتى ننحر الجزور ونشرب الخمور ونقيم القينات والمعازف ببدر فيتسامع جميع العرب بمخرجنا وان محمدا لم يصب العير وأنا قد أعضضناه فمضى بهم الى بدر وبدر ماء كانت العرب تجتمع فيه لسوقهم يوما في السنة فنزل جبريل عليه السلام فقال يا محمد ان الله وعدكم احدى الطائفتين اما العير واما قريشا فاستشار النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه وقال ما تقولون ان القوم قد خرجوا من مكة على كل صعب وذلول فالعير أحب اليكم أم النفير قالوا بل العير أحب الينا من لقاء العدو فتغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ردد عليهم فقال ان العير قد مضت على ساحل البحر وهذا أبو جهل قد أقبل فقالوا يا رسول الله عليك بالعير ودع العدو فقام عند غضب النبي صلى الله عليه وسلم أبو بكر وعمر رضي الله عنهما فأحسنا ثم قام سعد بن عبادة فقال انظر أمرك فامض فوالله لو سرت الى عدن أبين ما تخلف عنك رجل من الانصار ثم قال المقداد بن عمرو يا رسول الله امض لما أمرك الله فانا معك حيث ما أحببت لا نقول لك كما قال بنو اسرائيل لموسى اذهب أنت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا انا معكما مقاتلون ما دامت عين منا تطرف فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال أشيروا علي أيها الناس وهو يريد الانصار لانهم قالوا له حين بايعوه على العقبة انا برآء من ذمامك حتى تصل الى ديارنا فاذا وصلت الينا فأنت في ذمامنا نمنعك مما نمنع منه آباءنا ونساءنا فكان النبي صلى الله عليه وسلم يتخوف أن لا تكون الانصار ترى عليهم نصرته الا على عدو دهمه بالمدينة فقام سعد بن معاذ فقال لكأنك تريدنا يا رسول الله قال أجل قال قد آمنا بك وصدقناك وشهدنا ان ما جئت به هو الحق وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة فامض يا رسول الله لما أردت فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد وما نكره أن تلقى بنا عدونا انا لصبر عند الحرب صدق عند اللقاء ولعل الله يريك منا ما تقر به عينك فسر بنا على بركة الله ففرح رسول الله صلى الله عليه وسلم ونشطه قول سعد ثم قال سيروا على بركة الله وأبشروا فان الله وعدني احدى الطائفتين والله لكأني الآن أنظر الى مصارع القوم وروي أنه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين فرغ من بدر عليك بالعير ليس دونها شيء فناداه العباس وهو في وثاقه لا يصلح فقال له النبي صلى الله عليه وسلم لم قال لان الله وعدك احدى الطائفتين وقد أعطاك ما وعدك وكانت الكراهة من بعضهم لقوله وان فريقا من المؤمنين لكارهون * والحق الذي جادلوا فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم تلقي النفير لايثارهم عليه تلقي العير (بعد ما تبين) بعد اعلام رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنهم ينصرون * وجدالهم قولهم ما كان خروجنا الا للعير وهلا قلت لنا لنستعد ونتأهب وذلك لكراهتهم القتال * ثم شبه حالهم في فرط فزعهم ورعبهم وهم يسار بهم الى الظفر والغنيمة بحال من يعتل الى القتل ويساق على الصغار الى الموت المتيقن وهو مشاهد لاسبابه ناظر اليها لا يشك فيها وقيل كان خوفهم لقلة العدد وأنهم كانوا رجالة وروي أنه ما كان فيهم الا فارسان (اذ) منصوب باضمار اذكر (أنها لكم) بدل من احدى الطائفتين

بيتك بالحق وان فريقا من المؤمنين لكارهون يجادلونك في الحق بعد ما تبين كأنما يساقون الى الموت وهم ينظرون واذ يعدكم الله احدى الطائفتين أنها لكم وتودون أن

والطائفتان العير والنفير و(غير ذات الشوكة) العير لأنه لم يكن فيها إلا أربعون فارسا والشوكة كانت في النفير لعددهم وعدتهم والشوكة الحدة مستعارة من واحدة الشوك ويقال شوك القنا لشباها ومنها قولهم شائك السلاح أي تتمنون أن تكون لكم العير لأنها الطائفة التي لا حدة لها ولا شدة ولا تريدون الطائفة الأخرى (أن يحق الحق) أن يثبته ويعليه (بكلماته) بآياته المنزلة في محاربة ذات الشوكة وبما أمر الملائكة من نزولهم للنصرة وبما قضى من أسرهم وقتلهم وطرحهم في قليب بدر (و) الدابر الآخر فاعل من دبر إذا أدبر ومنه دابرة الطائر وقطع الدابر عبارة عن الاستئصال يعني أنكم تريدون الفائدة العاجلة وسفساف الأمور وأن لا تلقوا ما يرزؤكم في أبدانكم وأحوالكم والله عز وجل يريد معالي الأمور وما يرجع إلى عمارة الدين ونصرة الحق وعلو الكلمة والفوز في الدارين وشتان ما بين المرادين ولذلك اختار لكم الطائفة ذات الشوكة وكسر قوتهم بضعفكم وغلب كثرتهم بقلتكم وأعزكم وأذلهم وحصل لكم ما لا تعارض أدناه العير وما فيها وقرئ بكلمته على التوحيد (فإن قلت) بم يتعلق قوله (ليحق الحق) (قلت) بمحذوف تقديره ليحق الحق ويبطل الباطل فعل ذلك ما فعله إلا لهما وهو إثبات الإسلام وإظهاره وإبطال الكفر ومحقه (فإن قلت) أليس هذا تكريرا (قلت) لا لأن المعنيين متباينان وذلك أن الأول تمييز بين الإرادتين وهذا بيان لغرضه فيما فعل من اختيار ذات الشوكة على غيرها لهم ونصرتهم عليها وأنه ما نصرهم ولا خذل أولئك إلا لهذا الغرض الذي هو سيد الأغراض ويجب أن يقدر المحذوف متأخرا حتى يفيد معنى الاختصاص وينطبق عليه المعنى وقيل قد تعلق بيقطع (فإن قلت) بم يتعلق (إذ تستغيثون) (قلت) هو بدل من إذ يعدكم وقيل بقوله ليحق الحق ويبطل الباطل واستغاثتهم أنهم لما علموا أنه لا بد من القتال طفقوا يدعون الله ويقولون أي ربنا انصرنا على عدوك يا غياث المستغيثين أغثنا وعن عمر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نظر إلى المشركين وهم ألف وإلى أصحابه وهم ثلثمائة فاستقبل القبلة ومد يديه يدعو اللهم أنجز لي ما وعدتني اللهم إن تهلك هذه العصابة لا تعبد في الأرض فما زال كذلك حتى سقط رداؤه فأخذه أبو بكر رضي الله عنه فألقاه على منكبه والتزمه من ورائه وقال يا نبي الله كفاك مناشدتك ربك فإنه سينجز لك ما وعدك (أني ممدكم) أصله بأني ممدكم فحذف الجار وسلط عليه استجاب فنصب محله وعن أبي عمرو أنه قرأ إني ممدكم بالكسر على إرادة القول أو على إجراء استجاب مجرى قال لأن الاستجابة من القول (فإن قلت) هل قاتلت الملائكة يوم بدر (قلت) اختلف فيه فقيل نزل جبريل في يوم بدر في خمسمائة ملك على الميمنة وفيها أبو بكر وميكائيل في خمسمائة على الميسرة وفيها علي بن أبي طالب في صور الرجال عليهم ثياب بيض وعمائم بيض وقد أرخوا أذنابها بين أكتافهم فقاتلت وقيل قاتلت يوم بدر ولم تقاتل يوم الأحزاب ويوم حنين وعن أبي جهل أنه قال لابن مسعود من أين كان ذلك الصوت الذي كنا نسمع ولا نرى شخصا قال من الملائكة فقال أبو جهل هم غلبونا لا أنتم وروي أن رجلا من المسلمين بينما هو يشتد في أثر رجل من المشركين إذ سمع صوت ضربة بالسوط فوقه فنظر إلى المشرك قد خر مستلقيا وشق وجهه فحدث الأنصاري رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صدقت ذاك من مدد السماء وعن أبي داود المازني تبعت رجلا من المشركين لأضربه يوم بدر فوقع رأسه بين يدي قبل أن يصل إليه سيفي وقيل لم يقاتلوا وإنما كانوا يكثرون السواد ويثبتون المؤمنين وإلا فملك واحد كاف في إهلاك أهل الدنيا كلهم فإن جبريل عليه السلام أهلك بريشة من جناحه مدائن قوم لوط وأهلك بلاد ثمود قوم صالح بصيحة واحدة * وقرئ مردفين بكسر الدال وفتحها من قولك ردفه إذا تبعه ومنه قوله تعالى ردف لكم بعض الذي تستعجلون بمعنى ردفكم وأردفته إياه إذا أتبعته ويقال أردفته كقولك أتبعته إذا جئت بعده فلا يخلو المكسور الدال من أن يكون بمعنى متبعين أو متبعين فإن كان بمعنى متبعين فلا يخلو من أن يكون بمعنى متبعين بعضهم بعضا أو متبعين بعضهم لبعض أو بمعنى متبعين إياهم المؤمنين أي يتقدمونهم فيتبعونهم أنفسهم أو متبعين لهم يشيعونهم ويقدمونهم بين أيديهم وهم على ساقتهم ليكونوا على أعينهم وحفظهم أو بمعنى متبعين أنفسهم ملائكة آخرين أو متبعين غيرهم من الملائكة ويعضد هذا الوجه قوله تعالى في سورة آل عمران بثلاثة

غير ذات الشوكة تكون لكم ويريد الله أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني ممدكم بألف من الملائكة مردفين

---

* قوله تعالى ويريد الله أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون (قال يعني أنكم تريدون العاجلة وسفساف الأمور الخ) قال أحمد والتحقيق في التمييز بين الكلامين أن الأول ورد ذكر الإرادة فيه مطلقة غير مقيدة بالوقعة الخاصة كأنه قيل وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم ومن شأن الله تعالى إرادة تحقيق الحق وتمحيق الكفر على الإطلاق ولإرادته أن يحق الحق ويبطل الباطل خصكم بذات الشوكة فبين الكلامين عموم وخصوص وإطلاق وتقييد وفي ذلك ما لا يخفى من المبالغة في تأكيد المعنى بذكره على وجهين الإطلاق والتقييد والله أعلم

*قوله تعالى اذ يغشاكم النعاس أمنة منه (قال وقرئ اذ يغشيكم بالتخفيف والتشديد الخ) قال أحمد ومثل هذا النظر يجري عند قوله تعالى هو الذي يريكم البرق خوفا وطمعا لأن فاعل الارادة هو الله عز وجل وفاعل الخوف والطمع هم وقد انتصب بالفعل فالجواب أنه لما كان الله تعالى اذا أراهم البرق رأوه كانوا فاعلين في المعنى وكان المعنى وهو الذي يريكم البرق فترونه خوفا وطمعا وهذا مثل آية الانفال فان المعول في المعنى فاعل وسيأتي مزيد بحث في هذه النكتة وقد جرى القلم بمثلها ههنا وذلك أن لقائل أن يقول فاعل يغشي النعاس اياهم هو الله تعالى وهو فاعل الامنة أيضا وخالقها وحينئذ يتحد فاعل الفعل والعلة فيرتفع السؤال ويزول

وما جعله الله الا بشرى ولتطمئن به قلوبكم وما النصر الا من عند الله ان الله عزيز حكيم اذ يغشيكم النعاس أمنة منه وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ويذهب عنكم رجز الشيطان وليربط على قلوبكم ويثبت به الاقدام

الاشكال على قواعد السنة التي تقتضي نسبة أفعال الخلق الى الله تعالى على أنه خالقها ومبدعها وانما يرد السؤال أن يقول المعتزلة أن يكون فاعل الفعل متصفا بالعلة كما هو متصف بالفعل والباري عز وجل وان كان خالق الامنة للعبد وكان به آمنا فالعبد هو الفاعل اللغوي وان كان الله تعالى هو الفاعل حقيقة وعقيدة وحينئذ يفتقر السؤال الى الجواب السالف والله الموفق * عاد كلامه (قال فان قلت فعلى غير هذه القراءة قلت كذلك الخ) قال أحمد وجه حسن شرط الادب في اسقاط لفظة التخييل وقد تقدمت له أمثالها

آلاف من الملائكة منزلين بخمسة آلاف من الملائكة مسومين فرأى مردفين بالفتح فهو بمعنى متبعين أو متبعين * وقرئ مردفين بكسر الراء وضمها وتشديد الدال وأصله مرتدفين أي مترادفين أو متبعين من ارتدفه فأدغمت تاء الافتعال في الدال والتقى ساكنان فحركت الراء بالكسر على الاصل أو على اتباع الدال وبالضم على اتباع الميم وعن السدي بآلاف من الملائكة على الجمع ليوافق ما في سورة آل عمران (فان قلت) فبم يعتذر لمن قرأ على التوحيد ولم يفسر المردفين بارداف الملائكة ملائكة آخرين والمردفين بارتدافهم غيرهم (قلت) بأن المراد بالالف من قاتل منهم أو الوجوه منهم الذين من سواهم أتباع لهم (فان قلت) إلام يرجع الضمير في (وما جعله) (قلت) الى قوله أني ممدكم لأن المعنى فاستجاب لكم بامدادكم (فان قلت) ففيمن قرأ بالكسر (قلت) الى قوله اني ممدكم لأنه مفعول القول المضمر فهو في معنى القول ويجوز أن يرجع الى الامداد الذي يدل عليه ممدكم (الا بشرى) الا بشارة لكم بالنصر كالسكينة لبني اسرائيل يعني أنكم استغثتم وتضرعتم لقلتكم وذلتكم فكان الامداد بالملائكة بشارة لكم بالنصر وتسكينا منكم وربطا على قلوبكم (وما النصر الا من عند الله) يريد ولا تحسبوا النصر من الملائكة فان الناصر هو الله لكم وللملائكة أو وما النصر بالملائكة وغيرهم من الاسباب الا من عند الله والمنصور من نصره الله (اذ يغشاكم) بدل ثان من اذ يعدكم أو منصوب بالنصر أو بما في من عند الله من معنى الفعل أو بما جعله الله أو باضمار اذكر وقرئ يغشيكم بالتخفيف والتشديد ونصب النعاس والضمير لله عز وجل و(أمنة) مفعول له (فان قلت) أما وجب أن يكون فاعل الفعل المعلل والعلة واحدا (قلت) بلى ولكن لما كان معنى يغشاكم النعاس تنعسون انتصب أمنة على أن النعاس والامنة لهم والمعنى اذ تنعسون أمنة بمعنى أمنا أي لأمنكم و(منه) صفة لها أي أمنة حاصلة لكم من الله عز وجل (فان قلت) فعلى غير هذه القراءة (قلت) يجوز أن تكون الامنة بمعنى الايمان أي ينعسكم ايمانه أو على يغشيكم النعاس فتنعسون أمنا (فان قلت) هل يجوز أن ينتصب على أن الامنة للنعاس الذي هو فاعل يغشاكم أي يغشاكم النعاس لأمنه على أن اسناد الامن الى النعاس اسناد مجازي وهو لأصحاب النعاس على الحقيقة أو على أنه أنامكم في وقت كان من حق النعاس في مثل ذلك الوقت المخوف أن لا يقدم على غشيانكم وانما غشيكم أمنة حاصلة من الله لولاها لم يغشكم على طريقة التمثيل والتخييل (قلت) لا تبعد فصاحة القرآن عن احتماله وله فيه نظائر وقد ألم به من قال

يهاب النوم أن يغشى عيونا * تهابك فهو نفار شرود

وقرئ أمنة بسكون الميم ونظير أمن أمنة حيي حياة ونحو أمن أمنة رحم رحمة والمعنى أن ما كان بهم من الخوف كان يمنعهم من النوم فلما طامن الله قلوبهم وأمنهم رقدوا وعن ابن عباس رضي الله عنه النعاس في القتال أمنة من الله وفي الصلاة وسوسة من الشيطان (وينزل) قرئ بالتخفيف والتثقيل * وقرأ الشعبي ما ليطهركم به قال ابن جني ما موصولة وصلتها حرف الجر بما جره فكأنه قال ما للطهور و(رجز الشيطان) وسوسته اليهم وتخويفه اياهم من العطش وقيل الجنابة لأنها من تخييله وقرئ رجس الشيطان وذلك أن ابليس تمثل لهم وكان المشركون قد سبقوهم الى الماء ونزل المسلمون في كثيب أعفر تسوخ فيه الاقدام على غير ماء وناموا فاحتلم أكثرهم فقال لهم أنتم يا أصحاب محمد تزعمون أنكم على الحق وأنكم تصلون على غير وضوء وعلى الجنابة وقد عطشتم ولو كنتم على حق ما غلبكم هؤلاء على الماء وما ينتظرون بكم الا أن يجهدكم العطش فاذا قطع العطش أعناقكم مشوا اليكم فقتلوا من أحبوا وساقوا بقيتكم الى مكة فحزنوا حزنا شديدا وأشفقوا

فأنزل الله عز وجل المطر فمطروا ليلا حتى جرى الوادي واتخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه الحياض على عدوة الوادي وسقوا الركاب واغتسلوا وتوضؤوا وتلبد الرمل الذي كان بينهم وبين العدو حتى ثبتت عليه الأقدام وزالت وسوسة الشيطان وطابت النفوس والضمير في به للماء ويجوز أن يكون للربط لأن القلب إذا تمكن فيه الصبر والجراءة ثبتت القدم في مواطن القتال (إذ يوحي) يجوز أن يكون بدلا ثالثا من إذ يعدكم وأن ينتصب بيثبت (أني معكم) مفعول يوحي وقرئ إني بالكسر على إرادة القول أو على إجراء يوحي مجرى يقول كقوله إني معكم والمعنى أني معينكم على التثبيت فثبتوهم وقوله (سألقي * فاضربوا) يجوز أن يكون تفسيرا لقوله أني معكم فثبتوا ولا معونة أعظم من إلقاء الرعب في قلوب الكفرة ولا تثبيت أبلغ من ضرب أعناقهم واجتماعهما غاية النصرة ويجوز أن يكون غير تفسير وأن يراد بالتثبيت أن يخطروا ببالهم ما تقوى به قلوبهم وتصح عزائمهم ونياتهم في القتال وأن يظهروا ما يتيقنون به أنهم ممدون بالملائكة وقيل كان الملك يتشبه بالرجل الذي يعرفون وجهه فيأتي فيقول إني سمعت المشركين يقولون والله لئن حملوا علينا لننكشفن ويمشي بين الصفين فيقول أبشروا فإن الله ناصركم لأنكم تعبدونه وهؤلاء لا يعبدونه * وقرئ الرعب بالتثقيل (فوق الأعناق) أراد أعالي الأعناق التي هي المذابح لأنها مفاصل فكان إيقاع الضرب فيها حزا وتطييرا للرؤوس وقيل أراد الرؤوس لأنها فوق الأعناق يعني ضرب الهام قال * وأضرب هامة البطل المشيح *

و * غشيته وهو في جأواء باسلة * عضبا أصاب سواء الرأس فانفلقا *

* والبنان الأصابع يريد الأطراف والمعنى فاضربوا المقاتل والشوى لأن الضرب إما واقع على مقتل أو غير مقتل فأمرهم بأن يجمعوا عليهم النوعين معا ويجوز أن يكون قوله سألقي إلى قوله كل بنان عقيب قوله فثبتوا الذين آمنوا تلقينا للملائكة ما يثبتونهم به كأنه قال قولوا لهم قولي سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب أو كأنهم قالوا كيف نثبتهم فقيل قولوا لهم قولي سألقي فالضاربون على هذا هم المؤمنون (ذلك) إشارة إلى ما أصابهم من الضرب والقتل والعقاب العاجل ومحله الرفع على الابتداء و(بأنهم) خبره أي ذلك العقاب وقع عليهم بسبب مشاقتهم والمشاقة مشتقة من الشق لأن كلا المتعاديين في شق خلاف شق صاحبه وسئلت في المنام عن اشتقاق المعاداة فقلت لأن هذا في عدوة وذاك في عدوة كما في المخاصمة والمشاقة لأن هذا في خصم أي في جانب وذاك في خصم وهذا في شق وذاك في شق والكاف في ذلك لخطاب الرسول عليه السلام أو لخطاب كل واحد وفي (ذلكم) للكفرة على طريقة الالتفات ومحل ذلكم الرفع على ذلكم العقاب أو العقاب ذلكم (فذوقوه) ويجوز أن يكون نصبا على عليكم ذلكم فذوقوه كقولك زيدا فاضربه (وأن للكافرين) عطف على ذلكم في وجهيه أو نصب على أن الواو بمعنى مع والمعنى ذوقوا هذا العذاب العاجل مع الآجل الذي لكم في الآخرة فوضع الظاهر موضع الضمير وقرأ الحسن وإن للكافرين بالكسر (زحفا) حال من الذين كفروا والزحف الجيش الدهم الذي يرى لكثرته كأنه يزحف أي يدب دبيبا من زحف الصبي إذا دب على استه قليلا قليلا سمي بالمصدر والجمع زحوف والمعنى إذا لقيتموهم للقتال وهم كثير جم وأنتم قليل فلا تفروا فضلا أن تدانوهم في العدد أو تساووهم أو حال من الفريقين أي إذا لقيتموهم متزاحفين هم وأنتم أو حال من المؤمنين كأنهم أشعروا بما كان سيكون منهم يوم حنين حين تولوا مدبرين وهم زحف من الزحوف اثنا عشر ألفا وتقدمة نهي لهم عن الفرار ومشنوق قوله (ومن يولهم يومئذ) أمارة عليه (إلا متحرفا لقتال) هو الكر بعد الفر يخيل عدوه أنه منهزم ثم يعطف عليه وهو باب من خدع الحرب ومكايدها (أو متحيزا) أو منضما (إلى فئة) إلى جماعة أخرى من المسلمين سوى الفئة التي هو فيها وعن ابن عمر رضي الله عنه خرجت سرية وأنا فيهم ففروا فلما رجعوا إلى المدينة استحيوا فدخلوا البيوت فقلت يا رسول الله نحن الفرارون فقال بل أنتم العكارون وأنا فئتكم وانهزم رجل من القادسية فأتى المدينة إلى عمر رضي الله عنه فقال يا أمير المؤمنين هلكت فررت من الزحف فقال عمر رضي الله عنه أنا فئتك وعن ابن عباس رضي الله عنه أن الفرار من

إذ يوحي ربك إلى
الملائكة أني معكم فثبتوا
الذين آمنوا سألقي في
قلوب الذين كفروا
الرعب فاضربوا فوق
الأعناق واضربوا منهم
كل بنان ذلك بأنهم شاقوا
الله ورسوله ومن
يشاقق الله ورسوله
فإن الله شديد العقاب
ذلكم فذوقوه وأن
للكافرين عذاب النار
يا أيها الذين آمنوا إذا
لقيتم الذين كفروا زحفا
فلا تولوهم الأدبار
ومن يولهم يومئذ دبره
إلا متحرفا لقتال أو
متحيزا إلى فئة فقد باء
بغضب من الله ومأواه
جهنم وبئس المصير

فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى وليبلي المؤمنين منه بلاء حسنا إن الله سميع عليم ذلكم وأن الله موهن كيد الكافرين إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح وإن تنتهوا فهو خير لكم وإن تعودوا نعد ولن تغني عنكم فئتكم شيئا ولو كثرت وأن الله مع المؤمنين يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله ورسوله ولا تولوا عنه وأنتم تسمعون ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون إن شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون

الزحف من أكبر الكبائر (فإن قلت) بم انتصب إلا متحرفا (قلت) على الحال وإلا لغو أو على الاستثناء من المولين أي ومن يولهم إلا رجلا منهم متحرفا أو متحيزا * وقرأ الحسن دبره بالسكون ووزن متحيز متفيعل لا متفعل لأنه من حاز يحوز فبناء متفعل منه متحوز * لما كسروا أهل مكة وقتلوا وأسروا أقبلوا على التفاخر فكان القائل يقول قتلت وأسرت ولما طلعت قريش قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه قريش قد جاءت بخيلائها وفخرها يكذبون رسولك اللهم إني أسألك ما وعدتني فأتاه جبريل عليه السلام فقال خذ قبضة من تراب فارمهم بها فقال لما التقى الجمعان لعلي رضي الله عنه أعطني قبضة من حصباء الوادي فرمى بها في وجوههم وقال شاهت الوجوه فلم يبق مشرك إلا شغل بعينيه فانهزموا وردفهم المؤمنون يقتلونهم ويأسرونهم فقيل لهم (فلم تقتلوهم) والفاء جواب شرط محذوف تقديره إن افتخرتم بقتلهم فأنتم لم تقتلوهم (ولكن الله قتلهم) لأنه هو الذي أنزل الملائكة وألقى الرعب في قلوبهم وشاء النصر والظفر وقوى قلوبكم وأذهب عنها الفزع والجزع (وما رميت) أنت يا محمد (إذ رميت ولكن الله رمى) يعني أن الرمية التي رميتها لم ترمها أنت على الحقيقة لأنك لو رميتها لما بلغ أثرها إلا ما يبلغه أثر رمي البشر ولكنها كانت رمية الله حيث أثرت ذلك الأثر العظيم فأثبت الرمية لرسول الله صلى الله عليه وسلم لأن صورتها وجدت منه ونفاها عنه لأن أثرها الذي لا تطيقه البشر فعل الله عز وجل فكأن الله هو فاعل الرمية على الحقيقة وكأنها لم توجد من الرسول عليه السلام أصلا وقرئ ولكن الله قتلهم ولكن الله رمى بتخفيف لكن ورفع ما بعده (وليبلي المؤمنين) وليعطيهم بلاء حسنا عطاء جميلا قال زهير * فأبلاهما خير البلاء الذي يبلو * والمعنى وللإحسان إلى المؤمنين فعل ما فعل وما فعله إلا لذلك (إن الله سميع) لدعائهم (عليم) بأحوالهم (ذلكم) إشارة إلى البلاء الحسن ومحله الرفع أي الغرض ذلكم (وأن الله موهن) معطوف على ذلكم يعني أن الغرض إبلاء المؤمنين وتوهين كيد الكافرين وقرئ موهن بالتشديد وقرئ على الإضافة وعلى الأصل الذي هو التنوين والإعمال (إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح) خطاب لأهل مكة على سبيل التهكم وذلك أنهم حين أرادوا أن ينفروا تعلقوا بأستار الكعبة وقالوا اللهم انصر أقرانا للضيف وأوصلنا للرحم وأفكنا للعاني إن كان محمد على حق فانصره وإن كنا على حق فانصرنا وروي أنهم قالوا اللهم انصر أعلى الجندين وأهدى الفئتين وأكرم الحزبين وروي أن أبا جهل قال يوم بدر اللهم أينا كان أهجر وأقطع للرحم فأحنه اليوم أي فأهلكه وقيل إن تستفتحوا خطاب للمؤمنين (وإن تنتهوا) خطاب للكافرين يعني وإن تنتهوا عن عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم (فهو خير لكم) وأسلم (وإن تعودوا) لمحاربته (نعد) لنصرته عليكم (وأن الله) قرئ بالفتح على ولأن الله مع المؤمنين كان ذلك وقرئ بالكسر وهذه أوجه ويعضدها قراءة ابن مسعود والله مع المؤمنين * وقرئ ولن يغني عنكم بالياء للفصل (ولا تولوا) قرئ بطرح إحدى التاءين وإدغامها والضمير في (عنه) لرسول الله صلى الله عليه وسلم لأن المعنى وأطيعوا رسول الله كقوله والله ورسوله أحق أن يرضوه ولأن طاعة الرسول وطاعة الله شيء واحد من يطع الرسول فقد أطاع الله فكان رجوع الضمير إلى أحدهما كرجوعه إليهما كقولك الإحسان والإجمال لا ينفع في فلان ويجوز أن يرجع إلى الأمر بالطاعة أي ولا تولوا عن هذا الأمر وامتثاله وأنتم تسمعونه أو ولا تتولوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تخالفوه (وأنتم تسمعون) أي تصدقون لأنكم مؤمنون لستم كالصم المكذبين من الكفرة (ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا) أي ادعوا السماع (وهم لا يسمعون) لأنهم ليسوا بمصدقين فكأنهم غير سامعين والمعنى أنكم تصدقون بالقرآن والنبوة فإذا توليتم عن طاعة الرسول في بعض الأمور من قسمة الغنائم وغيرها كان تصديقكم كلا تصديق وأشبه سماعكم سماع من لا يؤمن * ثم قال (إن شر الدواب) أي إن شر من يدب على وجه الأرض أو إن شر البهائم الذين هم صم عن الحق لا يعقلونه

(قال لما جاءت قريش قال عليه الصلاة والسلام هذه قريش جاءت الخ) قال أحمد أوضح مصداق في التمييز بين الحقيقة والمجاز الآية ألا ترى أنك تقول للبليد ليس بحمار وتصدق عليه مع صدق قولك فيه على سبيل التجوز إنه حمار فإذا أثبت للذات من صفات الحمار صدق سلبه بخلاف الحقيقة فافهم أن هذه الآية تكفح وجوه القدرية بالرد وذلك أن الله تعالى أثبت الفعل للعبد ونفاه عنهم ولا محمل لذلك إلا أن ثبوته لهم مجاز والفاعل والخالق حقيقة فهو الله تعالى فأثبته لهم مجازا ونفاه عنهم حقيقة وإياك أن تعرج على تعكيس الزمخشري في تأويل الآية فإنه بطر اعوج وباطل مجلج والحق أبلج والله الموفق بكرمه

* قوله تعالى (ولو علم الله فيهم خيرا لأسمعهم ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون) (قال يعني ولو علم الله أن اللطف ينفع في هؤلاء الخ) قال أحمد رحمه الله إطلاق القول بأن الله تعالى يلطف بالعبد فلا ينفع لطفه مردود فإن اللطف هو إسداء الجميل ولا ألطاف به وإسماع اللطيف من ذلك فإذا أسدى الجميل إلى العبد بأن أسمعه إسماع لطيف به فتلك الغاية المرجوة ومعنى اللطف به على هذا أن يخلق في قلبه قبول الحق وحسن الإصغاء إليه والاهتداء به ولكن لا يتم ذلك على عقيدة الاعتزال لرأي الفاسد في خلق الأفعال لأن مقتضاه أن العبد هو الذي يخلق لنفسه قبول الحق والهداية (٥٣٠) وحسن الإسماع والإصغاء وأن الله تعالى لا يشارك العبد في خلق ذلك بل الذي ينسب إلى الله تعالى إرادة الهداية من جميع الخلق ولا يلزم حصول مراده على العموم تعالى الله عما يقولون ثم ولو تنزل متنزل على هذه القاعدة لما استقام تأويل الزمخشري أيضا فإن

ولو علم الله فيهم خيرا لأسمعهم ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه وأنه إليه تحشرون واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة واعلموا أن الله شديد العقاب واذكروا

جعلهم من جنس البهائم ثم جعلهم شرها (ولو علم الله) في هؤلاء الصم البكم (خيرا) أي انتفاعا باللطف (لأسمعهم) للطف بهم حتى يسمعوا سماع المصدقين ثم قال (ولو أسمعهم لتولوا) عنه يعني ولو لطف بهم لما نفع فيهم اللطف فلذلك منعهم ألطافه أو ولو لطف بهم فصدقوا لارتدوا بعد ذلك وكذبوا ولم يستقيموا وقيل هم بنو عبد الدار بن قصي لم يسلم منهم إلا رجلان مصعب بن عمير وسويد بن حرملة كانوا يقولون نحن صم بكم عمي عما جاء به محمد لا نسمعه ولا نجيبه فقتلوا جميعا بأحد وكانوا أصحاب اللواء وعن ابن جريج هم المنافقون وعن الحسن أهل الكتاب (إذا دعاكم) وحد الضمير كما وحده فيما قبله لأن استجابة رسول الله صلى الله عليه وسلم كاستجابته وإنما يذكر أحدهما مع الآخر للتوكيد والمراد بالاستجابة الطاعة والامتثال وبالدعوة البعث والتحريض وروى أبو هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم مر على باب أبي بن كعب فناداه وهو في الصلاة فعجل في صلاته ثم جاء فقال ما منعك عن إجابتي قال كنت أصلي قال ألم تخبر فيما أوحي إلي استجيبوا لله وللرسول قال لا جرم لا تدعوني إلا أجبتك وفيه قولان أحدهما أن هذا مما اختص به رسول الله صلى الله عليه وسلم والثاني أن دعاءه كان لأمر لم يحتمل التأخير وإذا وقع مثله للمصلي فله أن يقطع صلاته (لما يحييكم) من علوم الديانات والشرائع لأن العلم حياة كما أن الجهل موت قال بعضهم

لا تعجبن الجهول حلته * فذاك ميت وثوبه كفن

وقيل لمجاهدة الكفار لأنهم لو رفضوها لغلبوهم وقتلوهم كقوله ولكم في القصاص حياة وقيل للشهادة لقوله بل أحياء عند ربهم (واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه) يعني أنه يميته فتفوته الفرصة التي هو واجدها وهي التمكن من إخلاص القلب ومعالجة أدوائه وعلله ورده سليما كما يريده الله فاغتنموا هذه الفرصة وأخلصوا قلوبكم لطاعة الله ورسوله (وأنه إليه تحشرون) فيثيبكم على حسب سلامة القلوب وإخلاص الطاعة وقيل معناه إن الله قد يملك على العبد قلبه فيفسخ عزائمه ويغير نياته ومقاصده ويبدله بالخوف أمنا وبالأمن خوفا وبالذكر نسيانا وبالنسيان ذكرا وما أشبه ذلك مما هو جائز على الله تعالى فأما ما يثاب عليه العبد ويعاقب من أفعال القلوب فلا والمجبرة على أنه يحول بين المرء والإيمان إذا كفر وبينه وبين الكفر إذا آمن تعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا وقيل معناه أنه يطلع على كل ما يخطره المرء بباله لا يخفى عليه شيء من ضمائره فكأنه بينه وبين قلبه * وقرئ بين المر بتشديد الراء ووجهه أنه قصد تخفيف الهمزة وألقى حركتها على الراء كالخب ثم نوى الوقف على لغة من يقول مررت بعمر (فتنة) ذنبا قيل هو إقرار المنكر بين أظهرهم وقيل افتراق الكلمة وقيل فتنة عذابا وقوله (لا تصيبن) لا يخلو من أن يكون جوابا للأمر أو نهيا بعد أمر أو صفة لفتنة فإذا كان جوابا فالمعنى إن أصابتكم لا تصيب الظالمين منكم خاصة ولكنها تعمكم وهذا كما يحكى أن علماء بني إسرائيل نهوا عن المنكر تعذيرا فعمهم الله بالعذاب وإذا كانت نهيا بعد أمر فكأنه قيل واحذروا ذنبا أو عقابا ثم قيل لا تتعرضوا للظلم فيصيب العقاب أو أثر الذنب ووباله من ظلم منكم خاصة وكذلك إذا جعلته صفة على

حاصله ولو علم الله فيهم خيرا للطف بهم ولو لطف بهم لما انتفعوا باللطف فيلزم عدم انتفاعهم باللطف على تقدير علم الله الخير فيهم وهذا غير مستقيم لما يلزم عليه من وقوع خلاف المعلوم لله تعالى وذلك محال عقلا فلا يرتفع الإشكال إلا بتغيير الإسماع الواقع جوابا أولا خلاف الإسماع الواقع شرطا ثانيا كيلا أراد بتكرر الوسط فيلزم المحال المذكور وأقرب وجه في اختلاف الإسماعين أن يراد بالأول ولو علم الله فيهم خيرا لأسمعهم إسماعا يخلق لهم به الهداية والقبول ولو أسمعهم لا على أنه يخلق لهم الاهتداء بل إسماعا مجردا من ذلك لتولوا وهم معرضون فهذا هو الوجه في تأويل الآية والله الموفق * قوله تعالى (واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه) (قال معناه أنه يميته فتفوته الفرصة التي هو واجدها الخ) قال أحمد رحمه الله نعم هذا معتقد أهل السنة الذي استعار لهم لقب المجبرة وهو معتقد الحق المؤسس على التقوى وتفويض المخلوقات كلها إلى الواحد الخالق الحق فإن كان ذلك ظلما فأنا بريء من الطائفة المسمية بالعدلية إصرارا على هذا الرأي الباطل والمعتقد الماحل والله الموفق

أراد القول كأنه قيل واتقوا فتنة مقولا فيها لا تصيبن ونظيره قوله

حتى إذا جن الظلام واختلط ● جاؤا بمذق هل رأيت الذئب قط

أي بمذق مقول فيه هذا القول لأن فيه لون الورقة التي هي لون الذئب ويعضد المعنى الأخير قراءة ابن مسعود لتصيبن على جواب القسم المحذوف وعن الحسن نزلت في علي وعمار وطلحة والزبير وهو يوم الجمل خاصة قال الزبير نزلت فينا وقرأناها زمانا وما أرانا من أهلها فإذا نحن المعنيون بها وعن السدي نزلت في أهل بدر فاقتتلوا يوم الجمل وروي أن الزبير كان يساير النبي صلى الله عليه وسلم يوما إذ أقبل علي رضي الله عنه فضحك إليه الزبير فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف حبك لعلي فقال يا رسول الله بأبي أنت وأمي إني أحبه كحبي لولدي أو أشد حبا قال فكيف أنت إذا سرت إليه تقاتله (فإن قلت) كيف جاز أن تدخل النون المؤكدة في جواب الأمر (قلت) لأن فيه معنى النهي إذا قلت انزل عن الدابة لا تطرحك فلذلك جاز لا تطرحنك ولا تصيبن ولا يحطمنكم (فإن قلت) فما معنى من في قوله الذين ظلموا منكم (قلت) التبعيض على الوجه الأول والتبيين على الثاني لأن المعنى لا تصيبنكم خاصة على ظلمكم لأن الظلم أقبح منكم من سائر الناس (وأنتم) نصبه على أنه مفعول به مذكور لا ظرف أي اذكروا وقت كونكم أقلة أذلة مستضعفين (في الأرض) أرض مكة قبل الهجرة تستضعفكم قريش (تخافون أن يتخطفكم الناس) لأن الناس كانوا جميعا لهم أعداء منافين مضادين (فآواكم) إلى المدينة (وأيدكم) بنصره بمظاهرة الأنصار وبإمداد الملائكة يوم بدر (ورزقكم من الطيبات) من الغنائم (لعلكم تشكرون) إرادة أن تشكروا هذه النعم وعن قتادة كان هذا الحي من العرب أذل الناس وأشقاهم عيشا وأعراهم جلدا وأبينهم ضلالا يؤكلون ولا يأكلون فمكن الله لهم في البلاد ووسع لهم في الرزق والغنائم وجعلهم ملوكا ● معنى الخون النقص كما أن معنى الوفاء التمام ومنه تخونه إذا انتقصه ثم استعمل في ضد الأمانة والوفاء لأنك إذا خنت الرجل في شيء فقد أدخلت عليه النقصان فيه وقد استعير فقيل خان الدلو الكرب وخان المشتار السبب لأنه إذا انقطع به فكأنه لم يف له ومنه قوله تعالى وتخونوا أماناتكم والمعنى لا تخونوا الله بأن تعطلوا فرائضه ورسوله بأن لا تستنوا به و(أماناتكم) فيما بينكم بأن لا تحفظوها (وأنتم تعلمون) تبعة ذلك ووباله وقيل وأنتم تعلمون أنكم تخونون يعني أن الخيانة توجد منكم عن تعمد لا عن سهو وقيل وأنتم علماء تعلمون قبح القبيح وحسن الحسن وروي أن نبي الله صلى الله عليه وسلم حاصر يهود بني قريظة إحدى وعشرين ليلة فسألوا الصلح كما صالح إخوانهم بني النضير على أن يسيروا إلى أذرعات وأريحاء من أرض الشام فأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا أن ينزلوا على حكم سعد بن معاذ فأبوا وقالوا أرسل إلينا أبا لبابة مروان بن عبد المنذر وكان مناصحا لهم لأن عياله وماله في أيديهم فبعثه إليهم فقالوا له ما ترى هل ننزل على حكم سعد فأشار إلى حلقه أنه الذبح قال أبو لبابة فما زالت قدماي حتى علمت أني قد خنت الله ورسوله فنزلت فشد نفسه على سارية من سواري المسجد وقال والله لا أذوق طعاما ولا شرابا حتى أموت أو يتوب الله علي فمكث سبعة أيام حتى خر مغشيا عليه ثم تاب الله عليه فقيل له قد تيب عليك فحل نفسك فقال لا والله لا أحلها حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي يحلني فجاءه فحله بيده فقال إن من تمام توبتي أن أهجر دار قومي التي أصبت فيها الذنب وأن أنخلع من مالي فقال صلى الله عليه وسلم يجزيك الثلث أن تتصدق به وعن المغيرة نزلت في قتل عثمان بن عفان رضي الله عنه وقيل أماناتكم ما ائتمنكم الله عليه من فرائضه وحدوده (فإن قلت) وتخونوا جزم هو أم نصب (قلت) يحتمل أن يكون جزما داخلا في حكم النهي وأن يكون نصبا بإضمار أن كقوله وتكتموا الحق وقرأ مجاهد وتخونوا أمانتكم على التوحيد ● جعل الأموال والأولاد فتنة لأنهم سبب الوقوع في الفتنة وهي الإثم أو العذاب أو محنة من الله ليبلوكم كيف تحافظون فيهم على حدوده والله عنده أجر عظيم فعليكم أن تنوطوا بطلبه وبما تؤدي إليه هممكم وتزهدوا في الدنيا ولا تحرصوا على جمع المال وحب الولد حتى تورطوا أنفسكم من أجلهما كقوله المال والبنون الآية وقيل هي من جملة ما نزل في أبي لبابة وما فرط منه لأجل ماله وولده (فرقانا) نصرا لأنه يفرق بين الحق والباطل وبين الكفر

إذ أنتم قليل مستضعفون في الأرض تخافون أن يتخطفكم الناس فآواكم وأيدكم بنصره ورزقكم من الطيبات لعلكم تشكرون يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون واعلموا أنما أموالكم وأولادكم فتنة وأن الله عنده أجر عظيم يا أيها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقانا ويكفر عنكم سيئاتكم ويغفر لكم والله ذو الفضل العظيم وإذ يمكر بك الذين كفروا

بإذلال حزبه والاسلام بإعزاز أهله ومنه قوله تعالى يوم الفرقان أو بيانا وظهورا يشهر أمركم ويبث صيتكم
وآثاركم فى أقطار الارض من قولهم بت أفعل كذا حتى سطع الفرقان أى طلع الفجر أو مخرجا من الشبهات
وتوفيقا وشرحا للصدور أو تفرقة بينكم وبين غيركم من أهل الاديان وفضلا ومزية فى الدنيا والآخرة * لما
فتح الله عليه ذكره مكر قريش به حين كان بمكة ليشكر نعمة الله عز وجل فى نجاته من مكرهم واستيلائه
عليهم وما أتاح الله له من حسن العاقبة والمعنى واذكر اذ يمكرون بك وذلك أن قريشا لما أسلمت الانصار
وبايعوه فرقوا أن يتفاقم أمره فاجتمعوا فى دار الندوة متشاورين فى أمره فدخل عليهم ابليس فى صورة
شيخ وقال أنا شيخ من نجد ما أنا من تهامة دخلت مكة فسمعت باجتماعكم فأردت أن أحضركم ولن تعدموا منى
رأيا ونصحا فقال أبو البخترى رأيى أن تحبسوه فى بيت وتشدوا وثاقه وتسدوا بابه غير كوة تلقون اليه طعامه
وشرابه منها وتتربصوا به ريب المنون فقال ابليس بئس الرأى يأتيكم من يقاتلكم من قومه ويخلصه من
أيديكم فقال هشام بن عمرو رأيى أن تحملوه على جمل وتخرجوه من بين أظهركم فلا يضركم ما صنع واسترحتم
فقال ابليس بئس الرأى يفسد قوما غيركم ويقاتلكم بهم فقال أبو جهل أنا أرى أن تأخذوا من كل بطن غلاما
وتعطوه سيفا صارما فيضربوه ضربة رجل واحد فيتفرق دمه فى القبائل فلا يقوى بنو هاشم على حرب
قريش كلهم فاذا طلبوا العقل عقلناه واسترحنا فقال اللعين صدق هذا الفتى هو أجودكم رأيا فتفرقوا
على رأى أبى جهل مجتمعين على قتله فأخبر جبريل عليه السلام رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمره أن لا يبيت
فى مضجعه وأذن الله له فى الهجرة فأمر عليا رضى الله عنه فنام فى مضجعه وقال له اتشح ببردتى فانه لن يخلص
اليك أمر تكرهه وباتوا مترصدين فلما أصبحوا ثاروا الى مضجعه فأبصروا عليا فبهتوا وخيب الله عز وجل
سعيهم واقتصوا أثره فأبطل الله مكرهم (ليثبتوك) ليسجنوك أو يوثقوك أو يثخنوك بالضرب والجرح
من قولهم ضربوه حتى أثبتوه لا حراك به ولا براح وفلان مثبت وجعا وقرئ ليثبتوك بالتشديد وقرأ النخعى
ليبيتوك من البيات وعن ابن عباس ليقيدوك وهو دليل لمن فسره بالاثبات (ويمكرون) ويخفون المكايد
له (ويمكر الله) ويخفى الله ما أعد لهم حتى يأتيهم بغتة (والله خير الماكرين) أى مكره أنفذ من مكر
غيره وأبلغ تأثيرا أو لأنه لا ينزل الا ما هو حق وعدل ولا يصيب الا بما هو مستوجب (لو نشاء لقلنا مثل
هذا) نفاجة منهم وصلف تحت الراعدة فانهم لم يتوانوا فى مشيئتهم لو ساعدتهم الاستطاعة والا فما منعهم
ان كانوا مستطيعين أن يشاؤا غلبة من تحداهم وقرعهم بالعجز حتى يفوزوا بالقدح المعلى دونه مع فرط أنفتهم
واستنكافهم أن يغلبوا فى باب البيان خاصة وأن يماتنهم واحد فيتطاولوا بامتناع المشيئة ومع ما علم وظهر
ظهور الشمس من حرصهم على أن يقهروا رسول الله صلى الله عليه وسلم وتهالكهم على أن يغمروه وقيل
قائله النضر بن الحارث المقتول صبرا حين سمع اقتصاص الله أحاديث القرون لو شئت لقلت مثل هذا وهو
الذى جاء من بلاد فارس بنسخة حديث رستم واسفنديار فزعم أن هذا مثل ذاك وأنه من جملة تلك الاساطير
وهو القائل (ان كان هذا هو الحق) وهذا أسلوب من الجحود بليغ يعنى ان كان القرآن هو الحق فعاقبنا على
انكاره بالسجيل كما فعلت بأصحاب الفيل أو بعذاب آخر ومراده نفى كونه حقا واذا انتفى كونه حقا لم
يستوجب منكره عذابا فكان تعليق العذاب بكونه حقا مع اعتقاد أنه ليس بحق كتعليقه بالمحال فى قولك
ان كان الباطل حقا فأمطر علينا حجارة وقوله هو الحق تهكم بمن يقول على سبيل التخصيص والتعيين هذا
هو الحق وقرأ الاعمش هو الحق بالرفع على أن هو مبتدأ غير فصل وهو فى القراءة الاولى فصل * ويقال
أمطرت السماء كقوله أسحمت وأسبلت ومطرت كقولك هتنت وهتلت وقد كثر الامطار فى معنى العذاب
(فان قلت) ما فائدة قوله (من السماء) والامطار لا تكون الا منها (قلت) كأنه أريد أن يقال فأمطر علينا السجيل
وهى الحجارة المسومة للعذاب فوضع حجارة من السماء موضع السجيل كما تقول صب عليه مسرودة من حديد
تريد درعا (بعذاب أليم) أى بنوع آخر من جنس العذاب الاليم يعنى أن أمطار السجيل بعض العذاب الاليم
فعذبنا به أو بنوع آخر من أنواعه وعن معاوية أنه قال لرجل من سبأ ما أجهل قومك حين ملكوا عليهم

ليثبتوك أو يقتلوك
أو يخرجوك ويمكرون
ويمكر الله والله خير
الماكرين واذا تتلى
عليهم آياتنا قالوا قد
سمعنا لو نشاء لقلنا مثل
هذا ان هذا الا أساطير
الاولين واذ قالوا اللهم
ان كان هذا هو الحق
من عندك فأمطر علينا
حجارة من السماء أو
ائتنا بعذاب أليم وما
كان الله ليعذبهم وأنت
فيهم وما كان الله معذبهم

امرأة قال أجهل من قومي قومك قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين دعاهم الى الحق ان كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة ولم يقولوا ان كان هذا هو الحق فاهدنا له * اللام لتأكيد النفي والدلالة على أن تعذيبهم وأنت بين أظهرهم غير مستقيم في الحكمة لأن عادة الله وقضية حكمته أن لا يعذب قوما عذاب استئصال ما دام نبيهم بين أظهرهم وفيه اشعار بأنهم مرصدون بالعذاب اذا هاجر عنهم والدليل على هذا الاشعار قوله وما لهم ألا يعذبهم [illegible] بعد اثبات التعذيب كأنه قال وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وهو معذبهم اذا فارقتهم وما لهم أن لا يعذبهم (وهم يستغفرون) في موضع الحال ومعناه نفي الاستغفار عنهم أي ولو كانوا ممن يؤمن ويستغفر من الكفر لما عذبهم كقوله وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون ولكنهم لا يؤمنون ولا يستغفرون ولا يتوقع ذلك منهم وقيل معناه وما كان الله معذبهم وفيهم من يستغفر وهم المسلمون بين أظهرهم ممن تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من المستضعفين وما لهم أن لا يعذبهم الله وأي شيء لهم في انتفاء العذاب عنهم يعني لا حظ لهم في ذلك وهم معذبون لا محالة وكيف لا يعذبون وحالهم أنهم يصدون عن المسجد الحرام كما صدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الحديبية واخراجهم رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين من الصد وكانوا يقولون نحن ولاة البيت والحرم فنصد من نشاء وندخل من نشاء (وما كانوا أولياءه) وما استحقوا مع شركهم وعداوتهم للدين أن يكونوا ولاة أمره وأربابه (ان أولياؤه الا المتقون) من المسلمين ليس كل مسلم أيضا ممن يصلح لأن يلي أمره انما يستأهل ولايته من كان برا تقيا فكيف بالكفرة عبدة الأصنام (ولكن أكثرهم لا يعلمون) كأنه استثنى من كان يعلم وهو يعاند ويطلب الرياسة أو أراد بالأكثر الجميع كما يراد بالقلة العدم * المكاء فعال بوزن الثغاء والرغاء من مكا يمكو اذا صفر ومنه المكاء كأنه سمي بذلك لكثرة مكائه وأصله الصفة نحو الوضاء والقراء وقرئ مكا بالقصر ونظيرهما البكى والبكاء * والتصدية التصفيق تفعلة من الصدى أو من صد يصد ومنه قومك منه يصدون وقرأ الأعمش وما كان صلاتهم بالنصب على تقديم خبر كان على اسمه (فإن قلت) ما وجه هذا الكلام (قلت) هو نحو من قوله

وما كنت أخشى أن يكون عطاؤه * أداهم سودا أو محدرجة سمرا

والمعنى أنه وضع القيود والسياط موضع العطاء ووضعوا المكاء والتصدية موضع الصلاة وذلك أنهم كانوا يطوفون بالبيت عراة الرجال والنساء وهم مشبكون بين أصابعهم يصفرون فيها ويصفقون وكانوا يفعلون نحو ذلك اذا قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم في صلاته يخلطون عليه (فذوقوا) عذاب القتل والأسر يوم بدر بسبب كفركم وأعمالكم التي لا يقدم عليها الا الكفرة * قيل نزلت في المطعمين يوم بدر كان يطعم كل واحد منهم كل يوم عشر جزر وقيل قالوا لكل من كان له تجارة في العير أعينوا بهذا المال على حرب محمد لعلنا ندرك منه ثأرنا بما أصيب منا ببدر وقيل نزلت في أبي سفيان وقد استأجر ليوم أحد ألفين من الأحابيش سوى من استجاش من العرب وأنفق عليهم أربعين أوقية والأوقية اثنان وأربعون مثقالا (ليصدوا عن سبيل الله) أي كان غرضهم في الانفاق الصد عن اتباع محمد وهو سبيل الله وان لم يكن عندهم كذلك (ثم تكون عليهم حسرة) أي تكون عاقبة انفاقها ندما وحسرة فكأن ذاتها تصير ندما وتنقلب حسرة (ثم يغلبون) آخر الأمر وان كانت الحرب بينهم وبين المؤمنين سجالا قبل ذلك فيرجعون طلقاء كتب الله لأغلبن أنا ورسلي (والذين كفروا) والكافرون منهم (الى جهنم يحشرون) لأن منهم من أسلم وحسن اسلامه (ليميز الله الخبيث) الفريق الخبيث من الكفار (من) الفريق (الطيب) من المؤمنين * فيجعل الفريق (الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعا) عبارة عن الجمع والضم حتى يتراكبوا كقوله تعالى كادوا يكونون عليه لبدا يعني لفرط ازدحامهم (أولئك) اشارة الى الفريق الخبيث وقيل ليميز المال الخبيث الذي أنفقه المشركون في عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم من المال الطيب الذي أنفقه المسلمون كأبي بكر وعثمان في نصرته فيركمه فيجعله في جهنم في جملة ما يعذبون به كقوله فتكوى بها جباههم وجنوبهم الآية واللام على هذا متعلقة بقوله ثم تكون عليهم حسرة وعلى الأول بيحشرون وأولئك اشارة الى الذين كفروا * وقرئ ليميز على التخفيف (قل للذين

وهم يستغفرون وما لهم ألا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام وما كانوا أولياءه ان أولياؤه الا المتقون ولكن أكثرهم لا يعلمون وما كان صلاتهم عند البيت الا مكاء وتصدية فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون ان الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون والذين كفروا الى جهنم يحشرون ليميز الله الخبيث من الطيب ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعا فيجعله في جهنم أولئك هم الخاسرون قل للذين كفروا

كفروا من أبي سفيان وأصحابه أي قل لأجلهم هذا القول وهو (ان ينتهوا) ولو كان بمعنى خاطبهم به لقيل ان تنتهوا يغفر لكم وهي قراءة ابن مسعود ونحوه وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيرا ما سبقونا اليه خاطبوا به غيرهم لأجلهم ليسمعوه أي ان ينتهوا عما هم عليه من عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقتاله بالدخول في الاسلام (يغفر لهم ما قد سلف) لهم من العداوة (وان يعودوا) لقتاله (فقد مضت سنة الاولين) منهم الذين حاق بهم مكرهم يوم بدر أو فقد مضت سنة الذين تحزبوا على أنبيائهم من الامم فدمروا فليتوقعوا مثل ذلك ان لم ينتهوا وقيل معناه أن الكفار اذا انتهوا عن الكفر وأسلموا غفر لهم ما قد سلف لهم من الكفر والمعاصي وخرجوا منها كما تنسل الشعرة من العجين ومنه قوله عليه الصلاة والسلام الاسلام يجب ما قبله وقالوا الحربي اذا أسلم لم تبق عليه تبعة قط وأما الذمي فلا يلزمه قضاء حقوق الله وتبقى عليه حقوق الآدميين وبه احتج أبو حنيفة رحمه الله في أن المرتد اذا أسلم لم يلزمه قضاء العبادات المتروكة في حال الردة وقبلها وفسر وان يعودوا بالارتداد وقرئ يغفر لهم على أن الضمير لله عز وجل (وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة) الى أن لا يوجد فيهم شرك قط (ويكون الدين كله لله) ويضمحل عنهم كل دين باطل ويبقى فيهم دين الاسلام وحده (فان انتهوا) عن الكفر وأسلموا (فان الله بما يعملون بصير) يثيبهم على توبتهم واسلامهم وقرئ تعملون بالتاء فيكون المعنى فان الله بما تعملون من الجهاد في سبيله والدعوة الى دينه والاخراج من ظلمة الكفر الى نور الاسلام بصير يجازيكم عليه أحسن الجزاء (وان تولوا) ولم ينتهوا (فان الله مولاكم) أي ناصركم ومعينكم فثقوا بولايته ونصرته (أنما غنمتم) ما موصولة و (من شيء) بيانه قيل من شيء حتى الخيط والمخيط (فأن لله) مبتدأ خبره محذوف تقديره فحق أو فواجب أن لله خمسه وروى الجعفي عن أبي عمرو فإن لله بالكسر وتقويه قراءة النخعي فلله خمسه والمشهورة آكد وأثبت للايجاب كأنه قيل فلا بد من ثبات الخمس فيه ولا سبيل الى الاخلال به والتفريط فيه من حيث انه اذا حذف الخبر واحتمل غير واحد من المقدرات كقولك ثابت واجب حق لازم وما أشبه ذلك كان أقوى لايجابه من النص على واحد وقرئ خمسه بالسكون (فان قلت) كيف قسمة الخمس (قلت) عند أبي حنيفة رحمه الله أنها كانت في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم على خمسة أسهم سهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم وسهم لذوي قرباه من بني هاشم وبني المطلب دون بني عبد شمس وبني نوفل استحقوه حينئذ بالنصرة والمظاهرة لما روي عن عثمان وجبير بن مطعم رضي الله عنهما أنهما قالا لرسول الله صلى الله عليه وسلم هؤلاء اخوتك بنو هاشم لا ننكر فضلهم لمكانك الذي جعلك الله منهم أرأيت اخواننا بني المطلب أعطيتهم وحرمتنا وانما نحن وهم بمنزلة واحدة فقال صلى الله عليه وسلم انهم لم يفارقونا في جاهلية ولا اسلام انما بنو هاشم وبنو المطلب شيء واحد وشبك بين أصابعه وثلاثة أسهم لليتامى والمساكين وابن السبيل وأما بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فسهمه ساقط بموته وكذلك سهم ذوي القربى وانما يعطون لفقرهم فهم أسوة سائر الفقراء ولا يعطى أغنياؤهم فيقسم على اليتامى والمساكين وابن السبيل وأما عند الشافعي رحمه الله فيقسم على خمسة أسهم سهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يصرف الى ما كان يصرفه اليه من مصالح المسلمين كعدة الغزاة من السلاح والكراع ونحو ذلك وسهم لذوي القربى من أغنيائهم وفقرائهم يقسم بينهم للذكر مثل حظ الانثيين والباقي للفرق الثلاث وعند مالك بن أنس رحمه الله الامر فيه مفوض الى اجتهاد الامام ان رأى قسمه بين هؤلاء وان رأى أعطاه بعضهم دون بعض وان رأى غيرهم أولى وأهم فغيرهم (فان قلت) ما معنى ذكر الله عز وجل وعطف الرسول وغيره عليه (قلت) يحتمل أن يكون معنى لله وللرسول لرسول الله صلى الله عليه وسلم كقوله والله ورسوله أحق أن يرضوه وأن يراد بذكره ايجاب سهم سادس يصرف الى وجه من وجوه القرب وأن يراد بقوله فأن لله خمسه أن من حق الخمس أن يكون متقربا به اليه لا غير ثم خص من وجوه القرب هذه الخمسة تفضيلا لها على غيرها كقوله تعالى وجبريل وميكال

ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وان يعودوا فقد مضت سنة الاولين وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله فان انتهوا فان الله بما يعملون بصير وان تولوا فاعلموا أن الله مولاكم نعم المولى ونعم النصير واعلموا أنما غنمتم من شيء فأن لله خمسه وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل

• قوله تعالى واعلموا أنما غنمتم من شيء فأن لله خمسه وللرسول ولذي القربى الآية (قال ان قلت ما معنى ذكر الله وعطف الرسول وغيره عليه الخ) قال أحمد لأن مالكا رضي الله عنه لا يرى ذكر الوجوه المذكورة لبيان أنه لا يصرف فيما سواها وليس لأن يملكها ولا على التحديد حتى لا يجوز الاقتصار على بعض الوجوه دون بعض بل الامر عنده موكول الى نظر الامام يصرف الخمس في مصالح المسلمين ومن جملتها قرابته عليه الصلاة والسلام ولا تحديد عنده في ذلك البتة وهذا التأويل الثالث ينطبق على مذهبه وبيان ذلك أن المراد حينئذ بذكر الله تعالى بيان أن الخمس يصرف في وجوه التقربات لله تعالى غير مقيد ثم تخصيص الوجوه المذكورة بعد ليس تحديدا ولكن تنبيها على فضلها والتخصيص لقصد التفضيل بعد التعميم لا يرفع حكم العموم الأول بل هو قار على حاله كما أن العموم ثابت للملائكة وان خص جبريل وميكال بعده والله تعالى أعلم

ومن كان فعلى الاحتمال الاول مذهب الامامية وعلى الثانى ما قال أبو العالية انه يقسم على ستة أسهم سهم لله تعالى يصرف الى رتاج الكعبة وعنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأخذ الخمس فيضرب بيده فيه فيأخذ منه قبضة فيجعلها للكعبة وهو سهم الله تعالى ثم يقسم ما بقى على خمسة وقيل ان سهم الله تعالى لبيت المال وعلى الثالث مذهب مالك بن أنس وعن ابن عباس رضى الله عنه أنه كان على ستة أسهم لله وللرسول سهمان وسهم لاقاربه حتى قبض فأجرى أبو بكر رضى الله عنه الخمس على ثلاثة وكذلك روى عن عمر ومن بعده من الخلفاء وروى أن أبا بكر رضى الله عنه منع بنى هاشم الخمس وقال انما لكم أن يعطى فقيركم ويزوج أيمكم ويخدم من لا خادم له منكم وأما الغنى منكم فهو بمنزلة ابن سبيل غنى لا يعطى من الصدقة شيأ ولا يتيم موسر وعن زيد بن على رضى الله عنه كذلك قال ليس لنا أن نبنى منه قصورا ولا أن نركب منه البراذين وقيل الخمس كله للقرابة وعن على رضى الله عنه أنه قيل له ان الله تعالى قال واليتامى والمساكين فقال أيتامنا ومساكيننا وعن الحسن رضى الله عنه فى سهم رسول الله صلى الله عليه وسلم انه لولى الامر من بعده وعن الكلبى رضى الله عنه أن الآية نزلت ببدر وقال الواقدى كان الخمس فى غزوة بنى قينقاع بعد بدر بشهر وثلاثة أيام للنصف من شوال على رأس عشرين شهرا من الهجرة (فان قلت) بم تعلق قوله (ان كنتم آمنتم بالله) (قلت) بمحذوف يدل عليه واعلموا المعنى ان كنتم آمنتم بالله فاعلموا أن الخمس من الغنيمة يجب التقرب به فاقطعوا عنه أطماعكم واقتنعوا بالاخماس الاربعة وليس المراد بالعلم المجرد ولكنه العلم المضمن بالعمل والطاعة لامر الله تعالى لان العلم المجرد يستوى فيه المؤمن والكافر (وما أنزلنا) معطوف على بالله أى ان كنتم آمنتم بالله وبالمنزل على عبدنا وقرئ عبدنا كقوله وعبد الطاغوت بضمتين (يوم الفرقان) يوم بدر و(الجمعان) الفريقان من المسلمين والكافرين والمراد ما أنزل عليه من الآيات والملائكة والفتح يومئذ (والله على كل شئ قدير) يقدر على أن ينصر القليل على الكثير والذليل على العزيز كما فعل بكم ذلك اليوم (اذ) بدل من يوم الفرقان * والعدوة شط الوادى بالكسر والضم والفتح وقرئ بهن وبالعدية على قلب الواو ياء لان بينها وبين الكسرة حاجزا غير حصين كما فى الصبية * والدنيا والقصوى تأنيث الادنى والاقصى (فان قلت) كلتاهما فعلى من بنات الواو فلم جاءت احداهما بالياء والثانية بالواو (قلت) القياس هو قلب الواو ياء كالعليا وأما القصوى فكالقود فى مجيئه على الاصل وقد جاء القصيا الا أن استعمال القصوى أكثر كما كثر استعمال استصوب مع مجىء استصاب وأغيلت مع أغالت والعدوة الدنيا مما يلى المدينة والقصوى مما يلى مكة (والركب أسفل منكم) يعنى الركب الاربعين الذين كانوا يقودون العير أسفل منكم بالساحل وأسفل نصب على الظرف معناه مكانا أسفل من مكانكم وهو مرفوع المحل لانه خبر المبتدا (فان قلت) ما فائدة هذا التوقيت وذكر مراكز الفريقين وأن العير كانت أسفل منهم (قلت) الفائدة فيه الاخبار عن الحال الدالة على قوة شأن العدو وشوكته وتكامل عدته وتمهد أسباب الغلبة له وضعف شأن المسلمين والتياث أمرهم وأن غلبتهم فى مثل هذه الحال ليست الا صنعا من الله سبحانه ودليلا على أن ذلك أمر لم يتيسر الا بحوله وقوته وباهر قدرته وذلك أن العدوة القصوى التى أناخ بها المشركون كان فيها الماء وكانت أرضا لا بأس بها ولا ماء بالعدوة الدنيا وهى خبار تسوخ فيها الارجل ولا يمشى فيها الا بتعب ومشقة وكانت العير وراء ظهور العدو مع كثرة عددهم فكانت الحماية دونها تضاعف حميتهم وتشحذ فى المقاتلة عنها نياتهم ولهذا كانت العرب تخرج الى الحرب بظعنهم وأموالهم ليبعثهم الذب عن الحرم والغيرة على الحرم على بذل جهيداهم فى القتال وأن لا يتركوا وراءهم ما يحدثون أنفسهم بالانحياز اليه فيجمع ذلك قلوبهم ويضبط هممهم ويوطن نفوسهم على أن لا يبرحوا مواطنهم ولا يخلوا مراكزهم ويبذلوا منتهى نجدتهم وقصارى شدتهم وفيه تصوير ما دبر سبحانه من أمر وقعة بدر ليقضى أمرا كان مفعولا من اعزاز دينه واعلاء كلمته حين وعد المسلمين احدى الطائفتين مبهمة غير مبينة حتى خرجوا ليأخذوا العير راغبين فى الخروج وشخص بقريش من عن بين ظهرانيهم من تعرض رسول الله صلى الله عليه وسلم لاموالهم حتى نفروا ليمنعوا عيرهم وسبب

ان كنتم آمنتم بالله وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان والله على كل شئ قدير اذ أنتم بالعدوة الدنيا وهم بالعدوة القصوى والركب أسفل منكم

---

* قوله تعالى اذ أنتم بالعدوة الدنيا وهم بالعدوة القصوى والركب أسفل منكم ولو تواعدتم لاختلفتم فى الميعاد (قال ان قلت ما فائدة ذكر مراكز الفريقين وان العير كانت أسفل منهم الخ) قال أحمد وهذا الفصل من خواص حسنات الزمخشرى وتنقيبه عن أسرار الكتاب العزيز

● قوله تعالى وإذ يريكموهم إذ التقيتم في أعينكم قليلا ويقللكم في أعينهم (قال إن قلت بأي طريق يبصرون الكثير قليلا الخ) قال أحمد وفي هذا دليل بين على أن الله تعالى (٥٣٦) هو الذي يخلق الإدراك في الحاسة غير موقوف على سبب من مقابلة أو قرب أو ارتفاع حجب أو غير ذلك إذ لو كانت هذه الأسباب موجبة للرؤية عقلا لما أمكن أن يستتر عنهم البعض وقد أدركوا البعض والسبب الموجب مشترك فعلى هذا يجوز أن يخلق الله الإدراك مع اجتماعها فلا ربط إذاً بين الرؤية ونفيها في مقدرة الله تعالى وهي رادة على القدرية المنكرين لرؤية الله تعالى بناء على اعتبار هذه الأسباب في حصول الإدراك عقلا وأنها تستلزم الجسمية إذ المقابلة والنصب والقرب وارتفاع الحجب إنما تتأتى في جسم فهذه الآية حسبهم في إبطال زعمهم ولكنهم يمرون عليها وهم عنها معرضون والله الموفق

ولو تواعدتم لاختلفتم في الميعاد ولكن ليقضي الله أمرا كان مفعولا ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة وإن الله لسميع عليم إذ يريكهم الله في منامك قليلا ولو أراكهم كثيرا لفشلتم ولتنازعتم في الأمر ولكن الله سلم إنه عليم بذات الصدور وإذ يريكموهم إذ التقيتم في أعينكم قليلا ويقللكم في أعينهم ليقضي الله أمرا كان مفعولا وإلى الله ترجع الأمور يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إن الله مع الصابرين ولا تكونوا

الأسباب حتى ناخ هؤلاء بالعدوة الدنيا وهؤلاء بالعدوة القصوى ووراءهم العير يحامون عليها حتى قامت الحرب على ساق وكان ما كان (ولو تواعدتم) أنتم وأهل مكة وتواضعتم بينكم على موعد تلتقون فيه للقتال لخالف بعضكم بعضا فثبطكم قلتكم وكثرتهم عن الوفاء بالموعد وثبطهم ما في قلوبهم من تهيب رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين فلم يتفق لكم من التلاقي ما وفقه الله وسبب له (ليقضي) متعلق بمحذوف أي ليقضي أمرا كان واجبا أن يفعل وهو نصر أوليائه وقهر أعدائه دبر ذلك وقوله (ليهلك) بدل منه واستعير الهلاك والحياة للكفر والإسلام أي ليصدر كفر من كفر عن وضوح بينة لا عن مخالجة شبهة حتى لا تبقى له على الله حجة ويصدر إسلام من أسلم أيضا عن يقين وعلم بأنه دين الحق الذي يجب الدخول فيه والتمسك به وذلك أن ما كان من وقعة بدر من الآيات الغر المحجلة التي من كفر بعدها كان مكابرا لنفسه مغالطا لها * وقرئ ليهلك بفتح اللام وحيي بإظهار التضعيف (لسميع عليم) يعلم كيف يدبر أموركم ويسوي مصالحكم أو لسميع عليم بكفر من كفر وعقابه وبإيمان من آمن وثوابه (إذ يريكهم الله) نصب بإضمار اذكر أو هو بدل ثان من يوم الفرقان أو متعلق بقوله لسميع عليم أي يعلم المصالح إذ يقللهم في عينك (في منامك) في رؤياك وذلك أن الله عز وجل أراه إياهم في رؤياه قليلا فأخبر بذلك أصحابه فكان تثبيتا لهم وتشجيعا على عدوهم وعن الحسن في منامك في عينك لأنها مكان النوم كما قيل للقطيفة المنامة لأنه ينام فيها وهذا تفسير فيه تعسف وما أحسب الرواية صحيحة فيه عن الحسن وما يلائم علمه بكلام العرب وفصاحته (لفشلتم) لجبنتم وهبتم الإقدام (ولتنازعتم) في الرأي وتفرقت فيما تصنعون كلمتكم وترجحتم بين الثبات والفرار (ولكن الله سلم) أي عصم وأنعم بالسلامة من الفشل والتنازع والاختلاف (إنه عليم بذات الصدور) يعلم ما سيكون فيها من الجراءة والجبن والصبر والجزع (وإذ يريكموهم) الضميران مفعولان يعني وإذ يبصركم إياهم و(قليلا) نصب على الحال وإنما قللهم في أعينهم تصديقا لرؤيا رسول الله صلى الله عليه وسلم وليعاينوا ما أخبرهم به فيزداد يقينهم ويجدوا ويثبتوا قال ابن مسعود رضي الله عنه لقد قللوا في أعيننا حتى قلت لرجل إلى جنبي أتراهم سبعين قال أراهم مائة فأسرنا رجلا منهم فقلنا له كم كنتم قال ألفا (ويقللكم في أعينهم) حتى قال قائل منهم إنما هم أكلة جزور (فإن قلت) الغرض في تقليل الكفار في أعين المؤمنين ظاهر فما الغرض في تقليل المؤمنين في أعينهم (قلت) قد قللهم في أعينهم قبل اللقاء ثم كثرهم فيها بعده ليجترئوا عليهم قلة مبالاة بهم ثم تفجؤهم الكثرة فيبهتوا ويهابوا وتفل شوكتهم حين يرون ما لم يكن في حسابهم وتقديرهم وذلك قوله يرونهم مثليهم رأي العين ولئلا يستعدوا لهم وليعظم الاحتجاج عليهم باستيضاح الآية البينة من قلتهم أولا وكثرتهم آخرا (فإن قلت) بأي طريق يبصرون الكثير قليلا (قلت) بأن يستر الله عنهم بعضه بساتر أو يحدث في عيونهم ما يستقلون به الكثير كما أحدث في أعين الحول ما يرون به الواحد اثنين قيل لبعضهم إن الأحول يرى الواحد اثنين وكان بين يديه ديك واحد فقال ما لي لا أرى هذين الديكين أربعة (إذا لقيتم فئة) إذا حاربتم جماعة من الكفار وترك أن يصفها لأن المؤمنين ما كانوا يلقون إلا الكفار واللقاء اسم للقتال غالب (فاثبتوا) لقتالهم ولا تفروا (واذكروا الله كثيرا) في مواطن الحرب مستظهرين بذكره مستنصرين به داعين له على عدوكم اللهم اخذلهم اللهم اقطع دابرهم (لعلكم تفلحون) لعلكم تظفرون بمرادكم من النصرة والمثوبة وفيه إشعار بأن على العبد أن لا يفتر عن ذكر ربه أشغل ما يكون قلبا وأكثر ما يكون هما وأن تكون نفسه مجتمعة لذلك وإن كانت متوزعة عن غيره وناهيك بما في خطب أمير المؤمنين عليه السلام في أيام صفين وفي مشاهده مع البغاة والخوارج من البلاغة والبيان ولطائف المعاني وبليغات المواعظ والنصائح دليلا على أنهم كانوا لا يشغلهم عن ذكر الله شاغل وإن تفاقم الأمر (ولا تنازعوا) قرئ بتشديد التاء (فتفشلوا) منصوب بإضمار أن أو مجزوم لدخوله في حكم النهي وتدل عليه قراءة من قرأ وتذهب ريحكم بالتاء

والنصب وقراءة من قرأ ويذهب ريحكم بالياء والجزم • والريح الدولة شبهت في نفوذ أمرها وتمشيه بالريح وهبوبها فقيل هبت رياح فلان إذا دالت له الدولة ونفذ أمره ومنه قوله

يا صاحبي ألا لا حي بالوادي • إلا عبيد قعود بين أذواد
أتنظران قليلا ريث غفلتهم • أم تعدوان فإن الريح للعادي

وقيل لم يكن نصر قط إلا بريح يبعثها الله تعالى وفي الحديث نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور • حذرهم ما لقي من التنازع واختلاف الرأي نحو ما وقع لهم بأحد لمخالفتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من فشلهم وذهاب ريحهم (كالذين خرجوا من ديارهم) هم أهل مكة حين خرجوا لحماية العير فأتاهم رسول أبي سفيان وهم بالجحفة أن ارجعوا فقد سلمت عيركم فأبى أبو جهل وقال حتى نقدم بدرا نشرب بها الخمور وتعزف علينا القيان ونطعم بها من حضرنا من العرب فذلك بطرهم ورئاؤهم الناس بإطعامهم فوافوها فسقوا كؤوس المنايا مكان الخمر وناحت عليهم النوائح مكان القيان فنهاهم أن يكونوا مثلهم بطرين مرائين بأعمالهم وأن يكونوا من أهل التقوى والكآبة والحزن من خشية الله عز وجل مخلصين أعمالهم لله (و) اذكر (إذ زين لهم الشيطان أعمالهم) التي عملوها في معاداة رسول الله صلى الله عليه وسلم ووسوس إليهم أنهم لا يغلبون ولا يطاقون وأوهمهم أن اتباع خطوات الشيطان وطاعته مما يجيرهم فلما تلاقى الفريقان نكص الشيطان وتبرأ منهم أي بطل كيده حين نزلت جنود الله وكذا عن الحسن رحمه الله كان ذلك على سبيل الوسوسة ولم يتمثل لهم وقيل لما اجتمعت قريش على السير ذكرت التي بينها وبين كنانة من الحرب فكاد ذلك يثنيهم فتمثل لهم إبليس في صورة سراقة بن مالك بن جعشم الشاعر الكناني وكان من أشرافهم في جند من الشياطين معه راية وقال لا غالب لكم اليوم وإني مجيركم من بني كنانة فلما رأى الملائكة تنزل نكص وقيل كانت يده في يد الحرث بن هشام فلما نكص قال له الحرث إلى أين أتخذلنا في هذه الحال فقال إني أرى ما لا ترون ودفع في صدر الحرث وانطلق وانهزموا فلما بلغوا مكة قالوا هزم الناس سراقة فبلغ ذلك سراقة فقال والله ما شعرت بمسيركم حتى بلغتني هزيمتكم فلما أسلموا علموا أنه الشيطان وفي الحديث وما رؤي إبليس يوما أصغر ولا أدحر ولا أغيظ من يوم عرفة لما يرى من نزول الرحمة إلا ما رؤي يوم بدر (فإن قلت) هلا قيل لا غالبا لكم كما يقال لا ضاربا زيدا عندنا (قلت) لو كان لكم مفعولا لغالب بمعنى لا غالب إياكم لكان الأمر كما قلت لكنه خبر تقديره لا غالب كائن لكم (إذ يقول المنافقون) بالمدينة (والذين في قلوبهم مرض) يجوز أن يكون من صفة المنافقين وأن يراد الذين هم على حرف ليسوا بثابتي الأقدام في الإسلام وعن الحسن هم المشركون (غر هؤلاء دينهم) يعنون أن المسلمين اغتروا بدينهم وأنهم يتقوون به وينصرون من أجله فخرجوا وهم ثلثمائة وبضعة عشر إلى زهاء الألف ثم قال جوابا لهم (ومن يتوكل على الله فإن الله عزيز) غالب يسلط القليل الضعيف على الكثير القوي (ولو ترى) ولو عاينت وشاهدت لأن لو ترد المضارع إلى معنى الماضي كما ترد إن الماضي إلى معنى الاستقبال و(إذ) نصب على الظرف • وقرئ يتوفى بالياء والتاء و(الملائكة) رفعها بالفعل و(يضربون) حال منهم ويجوز أن يكون في يتوفى ضمير الله عز وجل والملائكة مرفوعة بالابتداء ويضربون خبر • وعن مجاهد وأدبارهم أستاههم ولكن الله كريم يكني وإنما خصوهما بالضرب لأن الخزي والنكال في ضربهما أشد وبلغني عن أهل الهند أن عقوبة الزاني عندهم أن يضربه بعض الرجال القوي البطش شيئا عمل من حديد كهيئة الطبق فيه رزة وله مقبض فيضرب به على دبره ضربة واحدة بقوته فيموت في مكانه وقيل يضربون ما أقبل منهم وما أدبر (وذوقوا) معطوف على يضربون على إرادة القول أي ويقولون ذوقوا (عذاب الحريق) أي مقدمة عذاب النار أو وذوقوا عذاب الآخرة بشارة لهم به وقيل كانت معهم مقامع من حديد كلما ضربوا بها التهبت النار أو ويقال لهم يوم القيامة ذوقوا وجواب لو محذوف أي لرأيت أمرا فظيعا منكرا (ذلك بما قدمت أيديكم) يحتمل أن يكون من كلام الله ومن كلام الملائكة وذلك رفع بالابتداء وبما قدمت خبره (وأن الله) عطف عليه أي ذلك العذاب بسببين بسبب كفركم ومعاصيكم وبأن الله (ليس

كالذين خرجوا من ديارهم بطرا ورئاء الناس ويصدون عن سبيل الله والله بما يعملون محيط وإذ زين لهم الشيطان أعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس وإني جار لكم فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه وقال إني بريء منكم إني أرى ما لا ترون إني أخاف الله والله شديد العقاب إذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض غر هؤلاء دينهم ومن يتوكل على الله فإن الله عزيز حكيم ولو ترى إذ يتوفى الذين كفروا الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم وذوقوا عذاب الحريق ذلك بما قدمت أيديكم وأن الله ليس

ظلام للعبيد) لأن تعذيب الكفار من العدل كإثابة المؤمنين وقيل ظلام للتكثير لأجل العبيد أو لأن العذاب من العظم بحيث لولا الاستحقاق لكان المعذب بمثله ظلاما بليغ الظلم متفاقمه الكاف في محل الرفع أي دأب هؤلاء مثل دأب آل فرعون ودأبهم عادتهم وعملهم الذي دأبوا فيه أي داموا عليه وواظبوا و (كفروا) تفسير لدأب آل فرعون و (ذلك) إشارة إلى ما حل بهم يعني ذلك العذاب أو الانتقام بسبب أن الله لم ينبغ له لم يصح في حكمته أن يغير نعمته عند قوم (حتى يغيروا ما) بهم من الحال (فإن قلت) فما كان من تغيير آل فرعون ومشركي مكة حتى غير الله نعمته عليهم ولم تكن لهم حال مرضية فيغيروها إلى حال مسخوطة (قلت) كما تغير الحال المرضية إلى المسخوطة تتغير الحال المسخوطة إلى أسخط منها وأولئك كانوا قبل بعثة الرسول إليهم كفرة عبدة أصنام فلما بعث إليهم بالآيات البينات فكذبوه وعادوه وتحزبوا عليه ساعين في إراقة دمه غيروا حالهم إلى أسوأ مما كانت فغير الله ما أنعم به عليهم من الإمهال وعاجلهم بالعذاب (وأن الله سميع) لما يقول مكذبو الرسل (عليم) بما يفعلون (كدأب آل فرعون) تكرير للتأكيد وفي قوله (بآيات ربهم) زيادة دلالة على كفران النعم وجحود الحق * وفي ذكر الإغراق بيان للأخذ بالذنوب (وكل كانوا ظالمين) وكلهم من غرقى القبط وقتلى قريش كانوا ظالمين أنفسهم بالكفر والمعاصي (الذين كفروا فهم لا يؤمنون) أي أصروا على الكفر ولجوا فيه فلا يتوقع منهم إيمان وهم بنو قريظة عاهدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا يمالئوا عليه فنكثوا بأن أعانوا مشركي مكة بالسلاح وقالوا نسينا وأخطأنا ثم عاهدهم فنكثوا ومالؤوهم يوم الخندق وانطلق كعب بن الأشرف إلى مكة فحالفهم (الذين عاهدت منهم) بدل من الذين كفروا أي الذين عاهدتهم من الذين كفروا وجعلهم شر الدواب لأن شر الناس الكفار وشر الكفار المصرون منهم وشر المصرين الناكثون للعهود (وهم لا يتقون) لا يخافون عاقبة الغدر ولا يبالون ما فيه من العار والنار (فإما تثقفنهم في الحرب) فإما تصادفنهم وتظفرن بهم (فشرد بهم من خلفهم) ففرق عن محاربتك ومناصبتك بقتلهم شر قتلة والنكاية فيهم من وراءهم من الكفرة حتى لا يجسر عليك بعدهم أحد اعتبارا بهم واتعاظا بحالهم وقرأ ابن مسعود رضي الله عنه فشرذ بالذال المعجمة بمعنى ففرق وكأنه مقلوب شذر من قولهم ذهبوا شذر مذر ومنه الشذر الملتقط من المعدن لتفرقه وقرأ أبو حيوة من خلفهم ومعناه فافعل التشريد من ورائهم لأنه إذا شرد الذين وراءهم فقد فعل التشريد في الوراء وأوقعه فيه لأن الوراء جهة المشردين فإذا جعل الوراء ظرفا للتشريد فقد دل على تشريد من فيه فلم يبق فرق بين القراءتين (لعلهم يذكرون) لعل المشردين من ورائهم يتعظون (وإما تخافن من قوم) معاهدين (خيانة) ونكثا بأمارات تلوح لك (فانبذ إليهم) فاطرح إليهم العهد (على سواء) على طريق مستو قصد وذلك أن تظهر لهم نبذ العهد وتخبرهم إخبارا مكشوفا بينا أنك قطعت ما بينك وبينهم ولا تناجزهم الحرب وهم على توهم بقاء العهد فيكون ذلك خيانة منك (إن الله لا يحب الخائنين) فلا يكن منك إخفاء نكث العهد والخداع وقيل على استواء في العلم بنقض العهد وقيل على استواء في العداوة والجار والمجرور في موضع الحال كأنه قيل فانبذ إليهم ثابتا على طريق قصد سوي أو حاصلين على استواء في العلم أو العداوة على أنها حال من النابذ والمنبوذ إليهم معا (سبقوا) فاتوا وأفلتوا من أن يظفر بهم (إنهم لا يعجزون) إنهم لا يفوتون ولا يجدون طالبهم عاجزا عن إدراكهم وقرئ أنهم بالفتح بمعنى لأنهم كل واحدة من المكسورة والمفتوحة تعليل إلا أن المكسورة على طريقة الاستئناف والمفتوحة تعليل صريح وقرئ يعجزون بالتشديد وقرأ ابن محيصن يعجزون بكسر النون * وقرأ الأعمش ولا تحسب الذين كفروا بكسر الباء وفتحها على حذف النون الخفيفة وقرأ حمزة ولا يحسبن بالياء على أن الفعل للذين كفروا وقيل فيه أصله أن سبقوا فحذفت أن كقوله ومن آياته يريكم البرق واستدل عليه بقراءة ابن مسعود رضي الله عنه أنهم سبقوا وقيل وقع الفعل على أنهم لا يعجزون على أن لا صلة وسبقوا في محل الحال بمعنى سابقين أي مفلتين هاربين وقيل معناه ولا يحسبنهم الذين كفروا سبقوا فحذف الضمير لكونه مفهوما وقيل ولا يحسبن قبيل المؤمنين الذين كفروا سبقوا وهذه الأقاويل كلها متمحلة وليست هذه القراءة التي تفرد بها حمزة بنيرة وعن الزهري أنها نزلت

فيمن

بظلام للعبيد كدأب آل فرعون والذين من قبلهم كفروا بآيات الله فأخذهم الله بذنوبهم إن الله قوي شديد العقاب ذلك بأن الله لم يك مغيرا نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وأن الله سميع عليم كدأب آل فرعون والذين من قبلهم كذبوا بآيات ربهم فأهلكناهم بذنوبهم وأغرقنا آل فرعون وكل كانوا ظالمين إن شر الدواب عند الله الذين كفروا فهم لا يؤمنون الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم في كل مرة وهم لا يتقون فإما تثقفنهم في الحرب فشرد بهم من خلفهم لعلهم يذكرون وإما تخافن من قوم خيانة فانبذ إليهم على سواء إن الله لا يحب الخائنين ولا تحسبن الذين كفروا سبقوا إنهم لا يعجزون وأعدوا لهم ما استطعتم

---

* قوله تعالى وأن الله ليس بظلام للعبيد (قال وقيل ظلام للتكثير لأجل العبيد الخ) قال أحمد وبهذه النكتة يجاب عن قول القائل نفي الأدنى أبلغ من نفي الأعلى فلم عدل عن الأبلغ والمراد تنزيه الله تعالى وهو جدير بالمبالغة فهذان الجوابان عتيدان في هذا السؤال

وحين أطلت من فل المشركين (من قوة) من كل ما يتقوى به في الحرب من عددها وعن عقبة بن عامر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول على المنبر ألا ان القوة الرمي قالها ثلاثا ومات عقبة عن سبعين قوسا في سبيل الله وعن عكرمة هي الحصون * والرباط اسم للخيل التي تربط في سبيل الله ويجوز أن يسمى بالرباط الذي هو بمعنى المرابطة ويجوز أن يكون جمع ربيط كفصيل وفصال وقرأ الحسن ومن ربط الخيل بضم الباء وسكونها جمع رباط ويجوز أن يكون قوله (ومن رباط الخيل) تخصيصا للخيل من بين ما يتقوى به كقوله وجبريل وميكال وعن ابن سيرين رحمه الله أنه سئل عمن أوصى بثلث ماله في الحصون فقال يشترى به الخيل فتربط في سبيل الله ويغزى عليها فقيل له انما أوصى في الحصون فقال ألم تسمع قول الشاعر

* ان الحصون الخيل لا مدر القرى * (ترهبون) قرئ بالتخفيف والتشديد وقرأ ابن عباس ومجاهد رضي الله عنهما تخزون والضمير في (به) راجع الى ما استطعتم (عدو الله وعدوكم) هم أهل مكة (وآخرين من دونهم) هم اليهود وقيل المنافقون وعن السدي هم أهل فارس وقيل كفرة الجن وجاء في الحديث ان الشيطان لا يقرب صاحب فرس ولا دارا فيها فرس عتيق وروي أن صهيل الخيل يرهب الجن * جنح له واليه اذا مال * والسلم تؤنث تأنيث نقيضها وهي الحرب قال

السلم تأخذ منها ما رضيت به * والحرب يكفيك من أنفاسها جرع

وقرئ بفتح السين وكسرها وعن ابن عباس رضي الله عنه أن الآية منسوخة بقوله تعالى قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله وعن مجاهد بقوله فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم والصحيح أن الأمر موقوف على ما يرى فيه الامام صلاح الاسلام وأهله من حرب أو سلم وليس بحتم أن يقاتلوا أبدا أو يجابوا الى الهدنة أبدا * وقرأ الأشهب العقيلي فاجنح بضم النون (وتوكل على الله) ولا تخف من ابطانهم المكر في جنوحهم الى السلم فان الله كافيك وعاصمك من مكرهم وخديعتهم قال مجاهد يريد قريظة (فان حسبك الله) فان محسبك الله قال جرير

اني وجدت من المكارم حسبكم * أن تلبسوا حر الثياب وتشبعوا

(وألف بين قلوبهم) التأليف بين قلوب من بعث اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من الآيات الباهرة لأن العرب لما فيهم من الحمية والعصبية والانطواء على الضغينة في أدنى شيء والقائه بين أعينهم الى أن ينتقموا لا يكاد يأتلف منهم قلبان ثم ائتلفت قلوبهم على اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم واتحدوا وأنشؤوا يرمون عن قوس واحدة وذلك لما نظم الله من ألفتهم وجمع من كلمتهم وأحدث بينهم من التحاب والتوادد وأماط عنهم من التباغض والتماقت وكلفهم من الحب في الله والبغض في الله ولا يقدر على ذلك الا من يملك القلوب فهو يقلبها كما يشاء ويصنع فيها ما أراد وقيل هم الأوس والخزرج كان بينهم من الحروب والوقائع ما أهلك سادتهم ورؤساءهم ودق جماجمهم ولم يكن لبغضائهم أمد ومنتهى وبينهما التجاور الذي يهيج الضغائن ويديم التحاسد والتنافس وعادة كل طائفتين كانتا بهذه المثابة أن تتجنب هذه ما آثرته أختها وتكرهه وتنفر عنه فأنساهم الله تعالى ذلك كله حتى اتفقوا على الطاعة وتصافوا وصاروا أنصارا وعادوا أعوانا وما ذاك الا بلطيف صنعه وبليغ قدرته (ومن اتبعك) الواو بمعنى مع وما بعده منصوب تقول حسبك وزيدا درهم ولا تجر لأن عطف الظاهر المجرور على المكني ممتنع قال * فحسبك والضحاك عضب مهند * والمعنى كفاك وكفى تباعك من المؤمنين الله ناصرا أو يكون في محل الرفع أي كفاك الله وكفاك المؤمنون وهذه الآية نزلت بالبيداء في غزوة بدر قبل القتال وعن ابن عباس رضي الله عنه نزلت في اسلام عمر رضي الله عنه وعن سعيد بن جبير أنه أسلم مع النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثة وثلاثون رجلا وست نسوة ثم أسلم عمر فنزلت * التحريض المبالغة في الحث على الأمر من الحرض وهو أن ينهكه المرض ويتبالغ فيه حتى يشفي على الموت أو أن تسميه حرضا وتقول له ما أراك الا حرضا في هذا الأمر ومحرضا فيه ليهيجه ويحرك منه ويقال حركه وحرصه وحرضه وحرشه وحربه بمعنى * وقرئ حرص بالصاد غير المعجمة حكاها الاخفش من الحرص * وهذه عدة من الله وبشارة بأن الجماعة من المؤمنين ان صبروا غلبوا عشرة أمثالهم من الكفار بعون الله تعالى وتأييده ثم قال (بأنهم قوم)

من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف اليكم وأنتم لا تظلمون وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله انه هو السميع العليم وان يريدوا أن يخدعوك فان حسبك الله هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين وألف بين قلوبهم لو أنفقت ما في الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم انه عزيز حكيم يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين يا أيها النبي حرض المؤمنين على القتال ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وان يكن منكم مائة يغلبوا ألفا من الذين كفروا بأنهم قوم

---

* قوله تعالى وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل (قال القوة الرمي روى عقبة ابن عامر انه الرمي الخ) قال أحمد والمطابق للرمي أن يكون الرباط على بابه مصدرا والله أعلم وهو حسبي ونعم الوكيل

لا يفقهون) أي بسبب أن الكفار قوم جهلة يقاتلون على غير احتساب وطلب ثواب كالبهائم فيقل ثباتهم ويعدمون لجهلهم بالله نصرته ويستحقون خذلانه خلاف من يقاتل على بصيرة ومعه ما يستوجب به النصر والاظهار من الله تعالى وعن ابن جريج كان عليهم أن لا يفروا ويثبت الواحد منهم للعشرة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث حمزة رضي الله عنه في ثلاثين راكبا فلقي أبا جهل في ثلثمائة راكب قيل ثم ثقل عليهم ذلك وضجوا منه وذلك بعد مدة طويلة فنسخ وخفف عنهم بمقاومة الواحد الاثنين وقيل كان فيهم قلة في الابتداء ثم لما كثروا بعد نزل التخفيف • وقرئ ضعفا بالفتح والضم كالمكث والمكث والفقر والفقر وضعفاء جمع ضعيف • وقرئ لفعل المسند الى المائة بالتاء والياء في الموضعين والمراد بالضعف الضعف في البدن وقيل في البصيرة والاستقامة في الدين وكانوا متفاوتين في ذلك (فان قلت) لم كرر المعنى الواحد وهو مقاومة الجماعة لأكثر منها مرتين قبل التخفيف وبعده (قلت) للدلالة على أن الحال مع القلة والكثرة واحدة لا تتفاوت لأن الحال قد تتفاوت بين مقاومة العشرين المائتين والمائة الألف وكذلك بين مقاومة المائة المائتين والألف الألفين • وقرئ للنبي على التعريف وأسارى ويثخن بالتشديد ومعنى الاثخان كثرة القتل والمبالغة فيه من قولهم أثخنته الجراحات اذا أثبتته حتى تثقل عليه الحركة وأثخنه المرض اذا أثقله من الثخانة التي هي الغلظ والكثافة يعني حتى يذل الكفر ويضعفه باشاعة القتل في أهله ويعز الاسلام ويقويه بالاستيلاء والقهر ثم الأسر بعد ذلك ومعنى (ما كان) ما صح له وما استقام وكان هذا يوم بدر فلما كثر المسلمون نزل فاما منا بعد واما فداء وروي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتي بسبعين أسيرا فيهم العباس عمه وعقيل بن أبي طالب فاستشار أبا بكر رضي الله عنه فيهم فقال قومك وأهلك استبقهم لعل الله أن يتوب عليهم وخذ منهم فدية تقوي بها أصحابك وقال عمر رضي الله عنه كذبوك وأخرجوك فقدمهم واضرب أعناقهم فان هؤلاء أئمة الكفر وان الله أغناك عن الفداء مكن عليا من عقيل وحمزة من العباس ومكني من فلان لنسيب له فلنضرب أعناقهم فقال صلى الله عليه وسلم ان الله ليلين قلوب رجال حتى تكون ألين من اللبن وان الله ليشدد قلوب رجال حتى تكون أشد من الحجارة وان مثلك يا أبا بكر مثل ابراهيم قال فمن تبعني فانه مني ومن عصاني فانك غفور رحيم ومثلك يا عمر مثل نوح قال رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا ثم قال لأصحابه أنتم اليوم عالة فلا يفلتن أحد منهم الا بفداء أو ضرب عنق وروي أنه قال لهم ان شئتم قتلتموهم وان شئتم فاديتموهم واستشهد منكم بعدتهم فقالوا بل نأخذ الفداء فاستشهدوا بأحد وكان فداء الاسارى عشرين أوقية وفداء العباس أربعين أوقية وعن محمد بن سيرين كان فداؤهم مائة أوقية والاوقية أربعون درهما وستة دنانير وروي أنهم لما أخذوا الفداء نزلت الآية فدخل عمر على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو وأبو بكر يبكيان فقال يا رسول الله أخبرني فان وجدت بكاء بكيت وان لم أجد بكاء تباكيت فقال أبكي على أصحابك في أخذهم الفداء ولقد عرض علي عذابهم أدنى من هذه الشجرة لشجرة قريبة منه وروي أنه قال لو نزل عذاب من السماء لما نجا منه غير عمر وسعد بن معاذ رضي الله عنهما لقوله كان الاثخان في القتل أحب الي (عرض الدنيا) حطامها سمي بذلك لأنه حدث قليل اللبث يريد الفداء (والله يريد الآخرة) يعني ما هو سبب الجنة من اعزاز الاسلام بالاثخان في القتل • وقرئ يريدون بالياء وقرأ بعضهم والله يريد الآخرة بجر الآخرة على حذف المضاف وابقاء المضاف اليه على حاله كقوله

أكل امرئ تحسبين امرأ • ونار توقد بالليل نارا

ومعناه والله يريد عرض الآخرة على التقابل يعني ثوابها (والله عزيز) يغلب أولياءه على أعدائه ويتمكنون منهم قتلا وأسرا ويطلق لهم الفداء ولكنه (حكيم) يؤخر ذلك الى أن يكثروا ويعزوا وهم يعجلون (لولا كتاب من الله سبق) لولا حكم منه سبق اثباته في اللوح وهو أنه لا يعاقب أحدا بخطأ وكان هذا خطأ في الاجتهاد لأنهم نظروا في أن استبقاءهم ربما كان سببا في اسلامهم وتوبتهم وأن فداءهم يتقوى به على الجهاد في سبيل الله وخفي عليهم أن قتلهم أعز للاسلام وأهيب لمن وراءهم وأفل لشوكتهم وقيل كتابه أنه سيحل لهم الفدية التي أخذوها وقيل ان أهل بدر مغفور لهم وقيل انه لا يعذب قوما الا بعد تأكيد الحجة وتقديم النهي ولم

لا يفقهون الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وان يكن منكم ألف يغلبوا ألفين باذن الله والله مع الصابرين ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الارض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم

يتقدم نهى عن ذلك (فكلوا مما غنمتم) روى أنهم أمسكوا عن الغنائم ولم يمدوا أيديهم إليها فنزلت وقيل هو إباحة للفداء لأنه من جملة الغنائم (واتقوا الله) فلا تقدموا على شئ لم يعهد إليكم فيه (فإن قلت) ما معنى الفاء (قلت) التسبيب والسبب محذوف معناه قد أبحت لكم الغنائم فكلوا مما غنمتم * وحلالا نصب على الحال من المغنوم أو صفة للمصدر أى أكلا حلالا وقوله (إن الله غفور رحيم) معناه أنكم إذا اتقيتموه بعد ما فرط منكم من استباحة الفداء قبل أن يؤذن لكم فيه غفر لكم ورحمكم وتاب عليكم (فى أيديكم) فى ملكتكم كأن أيديكم قابضة عليهم * وقرئ من الأسرى (فى قلوبكم خيرا) خلوص إيمان وصحة نية (يؤتكم خيرا مما أخذ منكم) من الفداء إما أن يخلفكم فى الدنيا أضعافه أو يثيبكم فى الآخرة وفى قراءة الأعمش يثبكم خيرا وعن العباس رضى الله عنه أنه قال كنت مسلما لكنهم استكرهونى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن يكن ما تذكره حقا فالله يجزيك فأما ظاهر أمرك فقد كان علينا وكان أحد الذين ضمنوا الطعام لأهل بدر وخرج بالذهب لذلك وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للعباس افد ابنى أخيك عقيل بن أبى طالب ونوفل ابن الحرث فقال يا محمد تركتنى أتكفف قريشا ما بقيت فقال له فأين الذهب الذى دفعته إلى أم الفضل وقت خروجك من مكة وقلت لها لا أدرى ما يصيبنى فى وجهى هذا فإن حدث بى حدث فهو لك ولعبد الله وعبيد الله والفضل فقال العباس وما يدريك قال أخبرنى به ربى قال العباس فأنا أشهد أنك صادق وأن لا إله إلا الله وأنك عبده ورسوله والله لم يطلع عليه أحد إلا الله ولقد دفعته إليها فى سواد الليل ولقد كنت مرتابا فى أمرك فأما إذ أخبرتنى بذلك فلا ريب قال العباس رضى الله عنه فأبدلنى الله خيرا من ذلك لى الآن عشرون عبدا إن أدناهم ليضرب فى عشرين ألفا وأعطانى زمزم ما أحب أن لى بها جميع أموال أهل مكة وأنا أنتظر المغفرة من ربى وروى أنه قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم مال البحرين ثمانون ألفا فتوضأ لصلاة الظهر وما صلى حتى فرقه وأمر العباس أن يأخذ منه فأخذ ما قدر على حمله وكان يقول هذا خير مما أخذ منى وأرجو المغفرة وقرأ الحسن وشيبة مما أخذ منكم على البناء للفاعل (وإن يريدوا خيانتك) نكث ما بايعوك عليه من الإسلام والردة واستحباب دين آبائهم (فقد خانوا الله من قبل) فى كفرهم به ونقض ما أخذ على كل عاقل من ميثاقه (فأمكن منهم) كما رأيتم يوم بدر فسيمكن منهم إن أعادوا الخيانة وقيل المراد بالخيانة منع ما ضمنوا من الفداء * الذين هاجروا أى فارقوا أوطانهم وقومهم حبا لله ورسوله هم المهاجرون * والذين آووهم إلى ديارهم ونصروهم على أعدائهم هم الأنصار (بعضهم أولياء بعض) أى يتولى بعضهم بعضا فى الميراث وكان المهاجرون والأنصار يتوارثون بالهجرة والنصرة دون ذوى القرابات حتى نسخ ذلك بقوله تعالى وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض * وقرئ من ولايتهم بالفتح والكسر أى من توليهم فى الميراث ووجه الكسر أن تولى بعضهم بعضا شبه بالعمل والصناعة كأنه بتوليه صاحبه يزاول أمرا ويباشر عملا (فعليكم النصر) فواجب عليكم أن تنصروهم على المشركين (إلا على قوم) منهم (بينكم وبينهم) عهد فإنه لا يجوز لكم نصرهم عليهم لأنهم لا يبتدئون بالقتال إذ الميثاق مانع من ذلك (والذين كفروا بعضهم أولياء بعض) ظاهره إثبات الموالاة بينهم كقوله تعالى فى المسلمين أولئك بعضهم أولياء بعض ومعناه نهى المسلمين عن موالاة الذين كفروا وموارثتهم وإيجاب مباعدتهم ومصارمتهم وإن كانوا أقارب وأن يتركوا يتوارثون بعضهم بعضا ثم قال (إلا تفعلوه) أى إلا تفعلوا ما أمرتكم به من تواصل المسلمين وتولى بعضهم بعضا حتى فى التوارث تفضيلا لنسبة الإسلام على نسبة القرابة ولم تقطعوا العلائق بينكم وبين الكفار ولم تجعلوا قرابتهم كلا قرابة تحصل فتنة فى الأرض ومفسدة عظيمة لأن المسلمين ما لم يصيروا يدا واحدة على الشرك كان الشرك ظاهرا والفساد زائدا * وقرئ كثير بالثاء (أولئك هم المؤمنون حقا) لأنهم صدقوا إيمانهم وحققوه بتحصيل مقتضياته من هجرة الوطن ومفارقة الأهل والانسلاخ من المال لأجل الدين وليس بتكرار لأن هذه الآية واردة للثناء عليهم والشهادة لهم مع الموعد الكريم والأولى للأمر بالتواصل (والذين آمنوا من بعد) يريد اللاحقين بعد السابقين إلى الهجرة كقوله والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا

فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا واتقوا الله إن الله غفور رحيم يا أيها النبى قل لمن فى أيديكم من الأسرى إن يعلم الله فى قلوبكم خيرا يؤتكم خيرا مما أخذ منكم ويغفر لكم والله غفور رحيم وإن يريدوا خيانتك فقد خانوا الله من قبل فأمكن منهم والله عليم حكيم إن الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك بعضهم أولياء بعض والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شئ حتى يهاجروا وإن استنصروكم فى الدين فعليكم النصر إلا على قوم بينكم وبينهم ميثاق والله بما تعملون بصير والذين كفروا بعضهم أولياء بعض إلا تفعلوه تكن فتنة فى الأرض وفساد كبير والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك هم المؤمنون حقا لهم مغفرة ورزق كريم والذين آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فأولئك منكم

بالاعمال الصالحة وهم وجعلهم منهم تفضلا منه وترغيبا (وأولوا الارحام) أولو القرابات أولى بالتوارث وهو نسخ للتوارث بالهجرة والنصرة (فى كتاب الله) تعالى فى حكمه وقسمته وقيل فى اللوح وقيل فى القرآن وهو آية المواريث وقد استدل به أصحاب أبى حنيفة رحمه الله على توريث ذوى الارحام عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الانفال وبراءة فأنا شفيع له يوم القيامة وشاهد أنه برىء من النفاق وأعطى عشر حسنات بعدد كل منافق ومنافقة وكان العرش وحملته يستغفرون له أيام حياته فى الدنيا

﴿سورة التوبة مدنية وهى مائة وثلاثون وقيل تسع وعشرون آية﴾

لها عدة أسماء براءة التوبة المقشقشة المبعثرة المشردة المخزية الفاضحة المثيرة الحافرة المنكلة المدمدمة سورة العذاب لأن فيها التوبة على المؤمنين وهى تقشقش من النفاق أى تبرئ منه وتبعثر عن أسرار المنافقين تبحث عنها وتثيرها وتحفر عنها وتفضحهم وتنكلهم وتشردهم وتخزيهم وتدمدم عليهم وعن حذيفة رضى الله عنه انكم تسمونها سورة التوبة وانما هى سورة العذاب والله ما تركت أحدا الا نالت منه (فان قلت) هلا صدرت بآية التسمية كما فى سائر السور (قلت) سأل عن ذلك ابن عباس عثمان رضى الله عنهما فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا نزلت عليه السورة أو الآية قال اجعلوها فى الموضع الذى يذكر فيه كذا وكذا وتوفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يبين لنا أين نضعها وكانت قصتها شبيهة بقصتها فلذلك قرنت بينهما وكانتا تدعيان القرينتين وعن أبى بن كعب انما توهموا ذلك لان فى الانفال ذكر العهود وفى براءة نبذ العهود وسئل ابن عيينة رضى الله عنه فقال اسم الله سلام وأمان فلا يكتب فى النبذ والمحاربة قال الله تعالى ولا تقولوا لمن ألقى اليكم السلام لست مؤمنا قيل فان النبى صلى الله عليه وسلم قد كتب الى أهل الحرب بسم الله الرحمن الرحيم قال انما ذلك ابتداء يدعوهم ولم ينبذ اليهم ألا تراه يقول سلام على من اتبع الهدى فمن دعى الى الله عز وجل فأجاب ودعى الى الجزية فأجاب فقد اتبع الهدى وأما النبذة فانما هو البراءة واللعنة وأهل الحرب لا يسلم عليهم ولا يقال لا تفرق ولا تخف ومترس ولا بأس هذا أمان كله وقيل سورة الانفال والتوبة سورة واحدة كلتاهما نزلت فى القتال تعدان السابعة من الطول وهى سبع وما بعدها المئون وهذا قول ظاهر لانهما معا مائتان وست فهما بمنزلة احدى الطول وقد اختلف أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بعضهم الانفال وبراءة سورة واحدة وقال بعضهم هما سورتان فتركت بينهما فرجة لقول من قال هما سورتان وتركت بسم الله الرحمن الرحيم لقول من قال هما سورة واحدة (براءة) خبر مبتدأ محذوف أى هذه براءة و(من) لابتداء الغاية متعلق بمحذوف وليس بصلة كما فى قولك برئت من الدين والمعنى هذه براءة واصلة من الله ورسوله (الى الذين عاهدتم) كما تقول كتاب من فلان الى فلان ويجوز أن يكون براءة مبتدأ لتخصيصها بصفتها والخبر الى الذين عاهدتم كما تقول رجل من بنى تميم فى الدار وقرئ براءة بالنصب على اسمعوا براءة وقرأ أهل نجران من الله بكسر النون والوجه الفتح مع لام التعريف لكثرته والمعنى ان الله ورسوله قد برئا من العهد الذى عاهدتم به المشركين وأنه منبوذ اليهم (فان قلت) لم علقت البراءة بالله ورسوله والمعاهدة بالمسلمين (قلت) قد أذن الله فى معاهدة المشركين أولا فاتفق المسلمون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وعاهدوهم فلما نقضوا العهد أوجب الله تعالى النبذ اليهم فخوطب المسلمون بما تجدد من ذلك فقيل لهم اعلموا أن الله ورسوله قد برئا مما عاهدتم به المشركين روى أنهم عاهدوا المشركين من أهل مكة وغيرهم من العرب فنكثوا الا ناسا منهم وهم بنو ضمرة وبنو كنانة فنبذ العهد الى الناكثين وأمروا أن يسيحوا فى الارض أربعة أشهر آمنين أين شاؤا لا يتعرض لهم وهى الاشهر الحرم فى قوله فاذا انسلخ الاشهر الحرم

براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين الآية (قال معناه ان الله ورسوله قد برئا من العهد الذى عاهدتم به المشركين الخ) قال أحمد وورائه ماذكره سر آخر هو المرعى والله أعلم وذلك ان نسبة العهد الى الله ورسوله فى مقام نسب اليه المسلمين من المشركين لا تحسن شرعا ألا ترى الى وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم لامراء السرايا حيث يقول لهم واذا نزلت

وأولوا الارحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله ان الله بكل شئ عليم

﴿سورة التوبة مدنية وهى مائة وثلاثون وقيل تسع وعشرون آية﴾

براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين فسيحوا فى الارض أربعة أشهر واعلموا أنكم

بحصن فطلبوا النزول على حكم الله فأنزلهم على حكمك فانك لا تدرى أصادفت حكم الله فيهم أولا وان طلبوا ذمة الله فأنزلهم على ذمتك فلأن تخفر ذمتك خير من أن تخفر ذمة الله فنظر الى أمره عليه الصلاة والسلام بتوقير ذمة الله مخافة أن تخفر وان كان لم يحصل بعد ذلك الامر المتوقع فتوقير عهد الله وقد تحقق من المشركين النكث وقد تبرأ من الله ورسوله بأن لا ينسب العهد المنبوذ الى الله أحرى وأجدر فلذلك نسب العهد الى المسلمين دون البراءة منه والله أعلم

الحرم وذلك لصيانة الاشهر الحرم من القتل والقتال فيها وكان نزولها سنة تسع من الهجرة وفتح مكة سنة ثمان وكان الامير فيها عتاب بن أسيد فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر رضي الله عنه على موسم سنة تسع ثم أتبعه عليا رضي الله عنه راكب العضباء ليقرأها على أهل الموسم فقيل له لو بعثت بها الى أبي بكر رضي الله عنه فقال لا يؤدي عني الا رجل مني فلما دنا علي سمع أبو بكر الرغاء فوقف وقال هذا رغاء ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما لحقه قال أمير أو مأمور قال مأمور وروي أن أبا بكر لما كان ببعض الطريق هبط جبريل عليه السلام فقال يا محمد لا يبلغن رسالتك الا رجل منك فأرسل عليا فرجع أبو بكر رضي الله عنهما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله أشيء نزل من السماء قال نعم فسر وأنت على الموسم وعلي ينادي بالآي فلما كان قبل التروية خطب أبو بكر رضي الله عنه وحدثهم عن مناسكهم وقام علي رضي الله عنه يوم النحر عند جمرة العقبة فقال يا أيها الناس اني رسول رسول الله اليكم فقالوا بماذا فقرأ عليهم ثلاثين أو أربعين آية وعن مجاهد رضي الله عنه ثلاث عشرة آية ثم قال أمرت بأربع أن لا يقرب البيت بعد هذا العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ولا يدخل الجنة الا كل نفس مؤمنة وأن يتم الى كل ذي عهد عهده فقالوا عند ذلك يا علي أبلغ ابن عمك أنا قد نبذنا العهود وراء ظهورنا وأنه ليس بيننا وبينه عهد الا طعن بالرماح وضرب بالسيوف وقيل انما أمر أن لا يبلغ عنه الا رجل منه لان العرب عادتهم في نقض عهودها أن يتولى ذلك على القبيلة رجل منها فلو تولاه أبو بكر رضي الله عنه لجاز أن يقولوا هذا خلاف ما نعرف فيساق نقض العهود فأزيحت علتهم بتولية ذلك عليا رضي الله عنه (فان قلت) الاشهر الاربعة ما هي (قلت) عن الزهري رضي الله عنه ان براءة نزلت في شوال فهي أربعة أشهر شوال وذو القعدة وذو الحجة والمحرم وقيل هي عشرون من ذي الحجة والمحرم وصفر وشهر ربيع الاول وعشر من شهر ربيع الآخر وكانت حرما لانهم أومنوا فيها وحرم قتلهم وقتالهم أو على التغليب لان ذا الحجة والمحرم منها وقيل لعشر من ذي القعدة الى عشر من ربيع الاول لان الحج في تلك السنة كان في ذلك الوقت للنسيء الذي كان فيهم ثم صار في السنة الثانية في ذي الحجة (فان قلت) ما وجه اتفاق أكثر العلماء على جواز مقاتلة المشركين في الاشهر الحرم وقد صانها الله تعالى عن ذلك (قلت) قالوا قد نسخ وجوب الصيانة وأبيح قتال المشركين فيها (غير معجزي الله) لا تفوتونه وان أمهلكم • وهو مخزيكم أي مذلكم في الدنيا بالقتل وفي الآخرة بالعذاب (وأذان) ارتفاعه كارتفاع براءة على الوجهين ثم الجملة معطوفة على مثلها ولا وجه لقول من قال انه معطوف على براءة كما لا يقال عمرو معطوف على زيد في قولك زيد قائم وعمرو قاعد والاذان بمعنى الايذان وهو الاعلام كما أن الامان والعطاء بمعنى الايمان والاعطاء (فان قلت) أي فرق بين معنى الجملة الاولى والثانية (قلت) تلك اخبار بثبوت البراءة وهذه اخبار بوجوب الاعلام بما ثبت (فان قلت) لم علقت البراءة بالذين عوهدوا من المشركين وعلق الاذان بالناس (قلت) لان البراءة مختصة بالمعاهدين والناكثين منهم وأما الاذان فعام لجميع الناس من عاهد ومن لم يعاهد ومن نكث من المعاهدين ومن لم ينكث (يوم الحج الاكبر) يوم عرفة وقيل يوم النحر لان فيه تمام الحج ومعظم أفعاله من الطواف والنحر والحلق والرمي وعن علي رضي الله عنه أن رجلا أخذ بلجام دابته فقال ما الحج الاكبر قال يومك هذا خل عن دابتي وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقف يوم النحر عند الجمرات في حجة الوداع فقال هذا يوم الحج الاكبر ووصف الحج بالاكبر لان العمرة تسمى الحج الاصغر أو جعل الوقوف بعرفة هو الحج الاكبر لانه معظم واجباته لانه اذا فات فات الحج وكذلك ان أريد به يوم النحر لان ما يعمل فيه معظم أفعال الحج فهو الحج الاكبر وعن الحسن رضي الله عنه سمي يوم الحج الاكبر لاجتماع المسلمين والمشركين فيه وموافقته لاعياد أهل الكتاب ولم يتفق ذلك قبله ولا بعده فعظم في قلب كل مؤمن وكافر • حذفت الباء التي هي صلة الاذان تخفيفا وقرئ ان الله بالكسر لان الاذان في معنى القول (ورسوله) عطف على المنوي في بريء أو على محل ان المكسورة واسمها وقرئ بالنصب عطفا على اسم ان أو لان الواو بمعنى مع أي بريء معه منهم وبالجر على الجوار وقيل على القسم كقوله لعمرك ويحكى أن أعرابيا سمع رجلا يقرأها فقال

غير معجزي الله وأن الله
مخزي الكافرين
وأذان من الله ورسوله
الى الناس يوم الحج الاكبر
أن الله بريء من
المشركين ورسوله فان
تبتم

• قوله تعالى الا الذين عاهدتم (قال ان قلت مم هذا الاستثناء قلت وجهه ان يكون مستثنى الخ) قال أحمد ويجوز أن يكون قوله فسيحوا خطابا من الله تعالى للمشركين غير مضمر قبله القول ويكون الاستثناء على هذا من قوله الى الذين عاهدتم كأنه قيل براءة من الله ورسوله الى المعاهدين الا الباقين على العهد فأتموا اليهم أيها المسلمون عهدهم ويكون فيه خروج من خطاب المسلمين في قوله الى الذين عاهدتم الى خطاب المشركين في قوله فسيحوا ثم التفت من التكلم الى الغيبة بقوله واعلموا أنكم غير معجزي الله وأصله واعلموا أنكم غير معجزي وأتى وفي هذا الالتفات بعد الالتفات الاول افتنان في أساليب البلاغة وتفخيم للشأن وتعظيم الامر ثم يتلو هذا الالتفات العود الى خطاب المسلمين بقوله الا الذين (٥٤٤) عاهدتم ثم لم ينقصوكم فأتموا وكل هذا من حسنات الفصاحة وغاية الزمخشري على تقدير القول قبل فسيحوا مراعاة أن يطابق قوله فأتموا اذ المخاطب على هذا التقدير المسلمون أولا وثانيا ولا يكون فيه شيء من الالتفاتات المبنية على التأويل الذي ذكرناه وكلا الوجهين مما يسوغ من البلاغة ويطلع وطرف من الفصاحة والله أعلم • قوله تعالى واقعدوا لهم كل مرصد (قال فيه المرصد الممر والمجتاز الخ) قال أحمد ويكون انتصابه دون حرف من الاتساع لان المرصد ظرف مختص والاصل قصور الفعل عن نصبه ويكون مثل قوله في الاتساع • كما عسل الطريق الثعلب • ويحتمل والله أعلم أن يكون مرصد مصدرا لان صيغة اسم الزمان والمكان والمصدر من فعله واحد فعلى هذا يكون منصوبا انتصابا أصليا لان اقعدوا في معنى ارصدوا كأنه قيل وارصدوهم كل مرصد الا ان الظرفية يقويها قوله حيث وجدتموهم فيقتضيها قصد المطابقة بين ظرفي المكان والله أعلم

ان كان الله برئ من رسوله فأنا منه بريء فلببه الرجل الى عمر فحكى الاعرابي قراءته فعندها أمر عمر رضي الله عنه بتعلم العربية (فان تبتم) من الكفر والغدر (فهو خير لكم وان توليتم) عن التوبة أو ثبتم على التولي والاعراض عن الاسلام والوفاء (فاعلموا أنكم غير) سابقين الله تعالى ولا فائتين أخذه وعقابه (فان قلت) مم استثنى قوله (الا الذين عاهدتم) (قلت) وجهه أن يكون مستثنى من قوله فسيحوا في الارض لان الكلام خطاب للمسلمين ومعناه براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين فقولوا لهم سيحوا الا الذين عاهدتم منهم ثم لم ينقضوا فأتموا اليهم عهدهم والاستثناء بمعنى الاستدراك كأنه قيل بعد أن أمروا في الناكثين ولكن الذين لم ينكثوا فأتموا اليهم عهدهم ولا تجروهم مجراهم ولا تجعلوا الوفي كالغادر • ان الله يحب المتقين يعني ان قضية التقوى أن لا يسوى بين الفريقين فاتقوا الله في ذلك (لم ينقصوكم شيئا) لم يقتلوا منكم أحدا ولم يضروكم قط (ولم يظاهروا) ولم يعاونوا (عليكم) عدوا كما عدت بنو بكر على خزاعة عيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم وظاهرتهم قريش بالسلاح حتى وفد عمرو بن سالم الخزاعي على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنشد

لاهم اني ناشد محمدا • حلف أبينا وأبيك الأتلدا
ان قريشا أخلفوك الموعدا • ونقضوا ذمامك المؤكدا
هم بيتونا بالحطيم هجدا • وقتلونا ركعا وسجدا

فقال عليه الصلاة والسلام لا نصرت ان لم أنصركم وقرئ لم ينقضوكم بالضاد معجمة أي لم ينقضوا عهدكم ومعنى (فأتموا اليهم) فأدوه اليهم تاما كاملا قال ابن عباس رضي الله عنه بقي لحي من كنانة من عهدهم تسعة أشهر فأتم اليهم عهدهم • انسلخ الشهر كقولك انجرد الشهر وسنة جرداء و(الاشهر الحرم) التي أبيح فيها للناكثين أن يسيحوا (فاقتلوا المشركين) يعني الذين نقضوكم وظاهروا عليكم (حيث وجدتموهم) من حل أو حرم (وخذوهم) وأسروهم والاخيذ الاسير (واحصروهم) وقيدوهم وامنعوهم من التصرف في البلاد وعن ابن عباس رضي الله عنه حصرهم أن يحال بينهم وبين المسجد الحرام (كل مرصد) كل ممر ومجتاز ترصدونهم به وانتصابه على الظرف كقوله لأقعدن لهم صراطك المستقيم (فخلوا سبيلهم) فأطلقوا عنهم بعد الاسر والحصر أو فكفوا عنهم ولا تتعرضوا لهم كقوله • خل السبيل لمن يبني المناره • وعن ابن عباس رضي الله عنه دعوهم واتيان المسجد الحرام (ان الله غفور رحيم) يغفر لهم ما سلف من الكفر والغدر (أحد) مرتفع بفعل الشرط مضمرا يفسره الظاهر تقديره وان استجارك أحد استجارك ولا يرتفع بالابتداء لان ان من عوامل الفعل لا تدخل على غيره والمعنى وان جاءك أحد من المشركين بعد انقضاء الاشهر لا عهد بينك وبينه ولا ميثاق فاستأمنك ليسمع ما تدعو اليه من التوحيد والقرآن وتبين ما بعثت له فأمنه (حتى يسمع كلام الله) ويتدبره

فهو خير لكم وان توليتم فاعلموا أنكم غير معجزي الله وبشر الذين كفروا بعذاب أليم الا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئا ولم يظاهروا عليكم أحدا فأتموا اليهم عهدهم الى مدتهم ان الله يحب المتقين فاذا انسلخ الاشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكوة فخلوا سبيلهم ان الله غفور رحيم وان أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله

ويطلع على حقيقة الأمر (ثم أبلغه) بعد ذلك داره التي يأمن فيها إن لم يسلم ثم قاتله إن شئت من غير غدر ولا خيانة وهذا الحكم ثابت في كل وقت وعن الحسن رضي الله عنه هي محكمة إلى يوم القيامة وعن سعيد ابن جبير جاء رجل من المشركين إلى علي رضي الله عنه فقال إن أراد الرجل منا أن يأتي محمدا بعد انقضاء هذا الأجل يسمع كلام الله أو يأتيه لحاجة قتل قال لا لأن الله تعالى يقول وإن أحد من المشركين استجارك الآية وعن السدي والضحاك رضي الله عنهما هي منسوخة بقوله تعالى فاقتلوا المشركين (ذلك) أي ذلك الأمر يعني الأمر بالإجارة في قوله فأجره (ب)سبب (أنهم) قوم جهلة (لا يعلمون) ما الإسلام وما حقيقة ما تدعو إليه فلا بد من إعطائهم الأمان حتى يسمعوا ويفهموا الحق (كيف) استفهام في معنى الاستنكار والاستبعاد لأن يكون للمشركين عهد عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم أضداد وغرة صدورهم يعني محال أن يثبت لهؤلاء عهد فلا تطمعوا في ذلك ولا تحدثوا به نفوسكم ولا تفكروا في قتلهم ثم استدرك ذلك بقوله (إلا الذين عاهدتم) أي ولكن الذين عاهدتم منهم (عند المسجد الحرام) ولم يظهر منهم نكث كبني كنانة وبني ضمرة فتربصوا أمرهم ولا تقاتلوهم (فما استقاموا لكم) على العهد (فاستقيموا لهم) على مثله (إن الله يحب المتقين) يعني أن التربص بهم من أعمال المتقين (كيف) تكرار لاستبعاد ثبات المشركين على العهد وحذف الفعل لكونه معلوما كما قال

وخبرتماني أنما الموت بالقرى * فكيف وهاتا هضبة وقليب

يريد فكيف مات أي كيف يكون لهم عهد (و) حالهم أنهم (إن يظهروا عليكم) بعد ما سبق لهم من تأكيد الأيمان والمواثيق لم ينظروا في حلف ولا عهد ولم يبقوا عليكم (لا يرقبوا فيكم إلا) لا يراعوا حلفا وقيل قرابة وأنشد لحسان رضي الله عنه

لعمرك إن إلك من قريش * كإل السقب من رأل النعام

وقيل إلا إلها وقرئ إيلا بمعناه وقيل جبرئيل وجبرئل من ذلك وقيل منه اشتق الإل بمعنى القرابة كما اشتقت الرحم من الرحمن والوجه أن اشتقاق الإل بمعنى الحلف لأنهم إذا تحالفوا رفعوا به أصواتهم وشهروه من الأل وهو الجؤار وله أليل أي أنين يرفع به صوته ودعت ألليها إذا ولولت ثم قيل لكل عهد وميثاق إل وسميت به القرابة لأن القرابة عقدت بين الرجلين ما لا يعقده الميثاق (يرضونكم) كلام مبتدأ في وصف حالهم من مخالفة الظاهر الباطن مقرر لاستبعاد الثبات منهم على العهد وإباء القلوب مخالفة ما فيها من الأضغان لما يجرونه على ألسنتهم من الكلام الجميل (وأكثرهم فاسقون) متمردون خلعاء لا مروءة تزعهم ولا شمائل مرضية تردعهم كما يوجد ذلك في بعض الكفرة من التفادي عن الكذب والنكث والتعفف عما يثلم العرض ويجر أحدوثة السوء (اشتروا) استبدلوا (بآيات الله) بالقرآن والإسلام (ثمنا قليلا) وهو اتباع الأهواء والشهوات (فصدوا عن سبيله) فعدلوا عنه أو صرفوا غيرهم وقيل هم الأعراب الذين جمعهم أبو سفيان وأطعمهم (هم المعتدون) المجاوزون الغاية في الظلم والشرارة (فإن تابوا) عن الكفر ونقض العهد (فإخوانكم في الدين) فهم إخوانكم على حذف المبتدأ كقوله تعالى فإن لم تعلموا آباءهم فإخوانكم (ونفصل الآيات) ونبينها وهذا اعتراض كأنه قيل وإن من تأمل تفصيلها فهو العالم بعثا وتحريضا على تأمل ما فصل من أحكام المشركين المعاهدين وعلى المحافظة عليها (وطعنوا في دينكم) وثلبوه وعابوه (فقاتلوا أئمة الكفر) فقاتلوهم فوضع أئمة الكفر موضع ضميرهم إشعارا بأنهم إذا نكثوا في حال الشرك تمردا وطغيانا وطرحا لعادات الكرام الأوفياء من العرب ثم آمنوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وصاروا إخوانا للمسلمين في الدين ثم رجعوا فارتدوا عن الإسلام ونكثوا ما بايعوا عليه من الإيمان والوفاء بالعهود وقعدوا يطعنون في دين الله ويقولون ليس دين محمد بشيء فهم أئمة الكفر وذوو الرياسة والتقدم فيه لا يشق كافر غبارهم وقالوا إذا طعن الذمي في دين الإسلام طعنا ظاهرا جاز قتله لأن العهد معقود معه على أن لا يطعن فإذا طعن فقد نكث عهده وخرج من الذمة (إنهم لا أيمان لهم) جمع يمين وقرئ لا إيمان لهم أي لا إسلام لهم أو لا يعطون الأمان بعد الردة والنكث ولا سبيل إليه (فإن قلت) كيف أثبت لهم الإيمان في قوله وإن نكثوا أيمانهم ثم نفاها عنهم (قلت) أراد أيمانهم التي أظهروها ثم قال لا أيمان لهم على الحقيقة وأيمانهم ليست بأيمان

ثم أبلغه مأمنه ذلك بأنهم قوم لا يعلمون كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله إلا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم إن الله يحب المتقين كيف وإن يظهروا عليكم لا يرقبوا فيكم إلا ولا ذمة يرضونكم بأفواههم وتأبى قلوبهم وأكثرهم فاسقون اشتروا بآيات الله ثمنا قليلا فصدوا عن سبيله إنهم ساء ما كانوا يعملون لا يرقبون في مؤمن إلا ولا ذمة وأولئك هم المعتدون فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فإخوانكم في الدين ونفصل الآيات لقوم يعلمون وإن نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم فقاتلوا أئمة الكفر إنهم لا أيمان لهم

• قوله تعالى كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله إلا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم إن الله يحب المتقين كيف وإن يظهروا عليكم لا يرقبوا فيكم إلا ولا ذمة الآية (قال كيف تكرار لاستبعاد ثبات الخ) قال أحمد السر في تكرار كيف والله أعلم

لعلهم ينتهون ألا
تقاتلون قوما نكثوا
أيمانهم وهموا بإخراج
الرسول وهم بدؤكم
أول مرة أتخشونهم
فالله أحق أن تخشوه
إن كنتم مؤمنين
قاتلوهم يعذبهم الله
بأيديكم ويخزهم
وينصركم عليهم ويشف
صدور قوم مؤمنين
ويذهب غيظ قلوبهم
ويتوب الله على من
يشاء والله عليم حكيم
أم حسبتم أن تتركوا
ولما يعلم الله الذين
جاهدوا منكم ولم يتخذوا
من دون الله ولا رسوله
ولا المؤمنين وليجة
والله خبير بما تعملون
ما كان للمشركين أن
يعمروا مساجد الله
شاهدين على أنفسهم
بالكفر أولئك

أنه لما ذكر الاستبعاد
ثبات عهدهم عند الله
ولم يذكر إذ ذاك السبب
البعد للغاية باستثناء
الباقين على العهد وطال
الكلام أعيدت كيف
تطرية للذكر وليأخذ
بعض الكلام بحجزة
بعض فلم يقصد مجرد
التكرار بل هذا الأمر
الذي انطوى عليه وقد
تقدمت له أمثال والله
الموفق

وبه استشهد أبو حنيفة رحمه الله على أن يمين الكافر لا تكون يمينا وعند الشافعي رحمه الله يمينهم يمين وقال
معناه أنهم لا يوفون بها بدليل أنه وصفها بالنكث (لعلهم ينتهون) متعلق بقوله فقاتلوا أئمة الكفر أي ليكن
غرضكم في مقاتلتهم بعد ما وجد منهم ما وجد من العظائم أن تكون المقاتلة سببا في انتهائهم عما هم عليه
وهذا من غاية كرمه وفضله وعوده على المسيء بالرحمة كلما عاد (فإن قلت) كيف لفظ أئمة (قلت) همزة
بعدها همزة بين بين أي بين مخرج الهمزة والياء وتحقيق الهمزتين قراءة مشهورة وإن لم تكن مقبولة
عند البصريين وأما التصريح بالياء فليس بقراءة ولا يجوز أن تكون قراءة ومن صرح بها فهو لاحن
محرف (ألا تقاتلون) دخلت الهمزة على لا تقاتلون تقريرا بانتفاء المقاتلة ومعناه الحض عليها على سبيل
المبالغة (قوما نكثوا أيمانهم) التي حلفوها في المعاهدة (وهموا بإخراج الرسول) من مكة حين تشاوروا في أمره
بدار الندوة حتى أذن الله تعالى له في الهجرة فخرج بنفسه (وهم بدؤكم أول مرة) أي وهم الذين كانت منهم
البداءة بالمقاتلة لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءهم أولا بالكتاب المنير وتحداهم به فعدلوا عن
المعارضة لعجزهم عنها إلى القتال فهم البادئون بالقتال والبادئ أظلم فما يمنعكم من أن تقاتلوهم بمثله وأن
تصدموهم بالشر كما صدموكم وبخهم بترك مقاتلتهم وحضهم عليها ثم وصفهم بما يوجب الحض عليها ويقرر
أن من كان في مثل صفاتهم من نكث العهد وإخراج الرسول والبدء بالقتال من غير موجب حقيق بأن
لا تترك مصادمته وأن يوبخ من فرط فيها (أتخشونهم) تقرير بالخشية منهم وتوبيخ عليها (فالله أحق أن
تخشوه) فقاتلوا أعداءه (إن كنتم مؤمنين) يعني أن قضية الإيمان الصحيح أن لا يخشى المؤمن إلا ربه
ولا يبالي بمن سواه كقوله تعالى ولا يخشون أحدا إلا الله ولما وبخهم الله على ترك القتال جرد لهم الأمر
به فقال (قاتلوهم) ووعدهم ليثبت قلوبهم ويصحح نياتهم (يعذبهم الله بأيديكم) قتلا (ويخزهم) أسرا (وينصركم
عليهم) (ويشف صدور) طائفة من المؤمنين وهم خزاعة قال ابن عباس رضي الله عنه
هم بطون من اليمن وسبأ قدموا مكة فأسلموا فلقوا من أهلها أذى شديدا فبعثوا إلى رسول الله صلى الله
عليه وسلم يشكون إليه فقال أبشروا فإن الفرج قريب (ويذهب غيظ) قلوبهم لما لقيتم منهم من
المكروه وقد حصل الله لهم هذه المواعيد كلها فكان ذلك دليلا على صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم
وصحة نبوته (ويتوب الله على من يشاء) ابتداء كلام وإخبار بأن بعض أهل مكة يتوب عن كفره وكان ذلك
أيضا فقد أسلم ناس منهم وحسن إسلامهم وقرئ ويتوب بالنصب بإضمار أن ودخول التوبة في جملة
ما أجيب به الأمر من طريق المعنى (والله عليم) يعلم ما سيكون كما يعلم ما قد كان (حكيم) لا يفعل إلا ما اقتضته
الحكمة (أم) منقطعة ومعنى الهمزة فيها التوبيخ على وجود الحسبان والمعنى أنكم لا تتركون على ما أنتم
عليه حتى يتبين الخلص منكم وهم الذين جاهدوا في سبيل الله لوجه الله ولم يتخذوا وليجة أي بطانة من الذين
يضادون رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين رضوان الله عليهم (ولما) معناها التوقع وقد دلت على
أن تبين ذلك وإيضاحه متوقع كائن وأن الذين لم يخلصوا دينهم لله يميز بينهم وبين المخلصين وقوله (ولم يتخذوا)
معطوف على جاهدوا داخل في حيز الصلة كأنه قيل ولما يعلم الله المجاهدين منكم والمخلصين غير المتخذين
وليجة من دون الله والوليجة فعيلة من ولج كالدخيلة من دخل والمراد بنفي العلم نفي المعلوم كقول القائل
ما علم الله مني ما قيل في يريد ما وجد ذلك مني (ما كان للمشركين) ما صح لهم وما استقام (أن يعمروا مسجد
الله) يعني المسجد الحرام لقوله وعمارة المسجد الحرام وأما القراءة بالجمع ففيها وجهان أحدهما أن يراد المسجد
الحرام وإنما قيل مساجد لأنه قبلة المساجد كلها وإمامها فعامره كعامر جميع المساجد ولأن كل بقعة
منه مسجد والثاني أن يراد جنس المساجد وإذا لم يصلحوا لأن يعمروا جنسها دخل تحت ذلك أن لا يعمروا
المسجد الحرام الذي هو صدر الجنس ومقدمته وهو آكد لأن طريقته طريقة الكناية كما لو قلت فلان
لا يقرأ كتب الله كنت أنفى لقراءته القرآن من تصريحك بذلك و (شاهدين) حال من الواو في يعمروا
والمعنى ما استقام لهم أن يجمعوا بين أمرين متنافيين عمارة متعبدات الله مع الكفر بالله وبعبادته ومعنى

شهادتهم على أنفسهم بالكفر ظهور كفرهم وأنهم نصبوا أصنامهم حول البيت وكانوا يطوفون عراة ويقولون لا نطوف عليها بثياب قد أصبنا فيها المعاصي وكلما طافوا بها شوطا سجدوا لها وقيل هو قولهم لبيك لا شريك لك الا شريك هو لك تملكه وما ملك وقيل قد أقبل المهاجرون والانصار على أسرى بدر فعيروهم بالشرك وطفق علي بن أبي طالب رضي الله عنه يوبخ العباس بقتال رسول الله صلى الله عليه وسلم وقطيعة الرحم وأغلظ له في القول فقال العباس تذكرون مساوينا وتكتمون محاسننا فقال أولكم محاسن قالوا نعم ونحن أفضل منكم أجرا انا لنعمر المسجد الحرام ونحجب الكعبة ونسقي الحجيج ونفك العاني فنزلت (حبطت أعمالهم) التي هي العمارة والحجابة والسقاية وفك العناة واذا هدم الكفر أو الكبيرة الاعمال الثابتة الصحيحة اذا تعقبتها فما ظنك بالمقارن والى ذلك أشار في قوله شاهدين حيث جعله حالا عنهم ودل على أنهم قارنون بين العمارة والشهادة بالكفر على أنفسهم في حال واحدة وذلك محال غير مستقيم (انما يعمر مساجد الله) وقرئ بالتوحيد أي انما تستقيم عمارة هؤلاء وتكون معتدا بها والعمارة تتناول رم ما استرم منها وقمها وتنظيفها وتنويرها بالمصابيح وتعظيمها واعتيادها للعبادة والذكر ومن الذكر درس العلم بل هو أجله وأعظمه وصيانتها مما لم تبن له المساجد من أحاديث الدنيا فضلا عن فضول الحديث وعن النبي صلى الله عليه وسلم يأتي في آخر الزمان ناس من أمتي يأتون المساجد فيقعدون فيها حلقا ذكرهم الدنيا وحب الدنيا لا تجالسوهم فليس لله بهم حاجة وفي الحديث الحديث في المسجد يأكل الحسنات كما تأكل البهيمة الحشيش وقال عليه السلام قال الله تعالى ان بيوتي في أرضي المساجد وان زواري فيها عمارها فطوبى لعبد تطهر في بيته ثم زارني في بيتي فحق على المزور أن يكرم زائره وعنه عليه السلام من ألف المسجد ألفه الله وقال عليه السلام اذا رأيتم الرجل يعتاد المساجد فاشهدوا له بالايمان وعن أنس رضي الله عنه من أسرج في مسجد سراجا لم تزل الملائكة وحملة العرش تستغفر له ما دام في ذلك المسجد ضوءه (فان قلت) هلا ذكر الايمان برسول الله صلى الله عليه وسلم (قلت) لما علم وشهر أن الايمان بالله تعالى قرينته الايمان بالرسول عليه السلام لاشتمال كلمة الشهادة والاذان والاقامة وغيرها عليهما مقترنين مزدوجين كأنهما شيء واحد غير منفك أحدهما عن صاحبه انطوى تحت ذكر الايمان بالله تعالى الايمان بالرسول عليه السلام وقيل دل عليه بذكر اقامة الصلاة وايتاء الزكاة (فان قلت) كيف قيل (ولم يخش الا الله) والمؤمن يخشى المحاذير ولا يتمالك أن لا يخشاها (قلت) هي الخشية والتقوى في أبواب الدين وأن لا يختار على رضا الله رضا غيره لتوقع مخوف واذا اعترضه أمران أحدهما حق الله والآخر حق نفسه أن يخاف في الله فيؤثر حق الله على حق نفسه وقيل كانوا يخشون الاصنام ويرجونها فأريد نفي تلك الخشية عنهم (فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين) تبعيد للمشركين عن مواقف الاهتداء وحسم لأطماعهم من الانتفاع بأعمالهم التي استعظموها وافتخروا بها وأملوا عاقبتها بأن الذين آمنوا وضموا الى ايمانهم العمل بالشرائع مع استشعار الخشية والتقوى اهتداؤهم دائر بين عسى ولعل فما بال المشركين يقطعون أنهم مهتدون ونائلون عند الله الحسنى وفي هذا الكلام ونحوه لطف للمؤمنين في ترجيح الخشية على الرجاء ورفض الاغترار بالله تعالى ● السقاية والعمارة مصدران من سقى وعمر كالصيانة والوقاية ولا بد من مضاف محذوف تقديره (أجعلتم) أهل (سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله) وتصدقه قراءة ابن الزبير وأبي وجزة السعدي وكان من القراء سقاة الحاج وعمرة المسجد الحرام والمعنى انكار أن يشبه المشركون بالمؤمنين وأعمالهم المحبطة بأعمالهم المثبتة وأن يسوى بينهم ● وجعل تسويتهم ظلما بعد ظلمهم بالكفر وروي أن المشركين قالوا لليهود نحن سقاة الحجيج وعمار المسجد الحرام أفنحن أفضل أم محمد وأصحابه فقالت لهم اليهود أنتم أفضل وقيل ان عليا رضي الله عنه قال للعباس يا عم ألا تهاجرون ألا تلحقون برسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ألست في أفضل من الهجرة أسقي حاج بيت الله وأعمر المسجد الحرام فلما نزلت قال العباس ما أراني الا تارك سقايتنا فقال عليه السلام أقيموا على سقايتكم فان لكم فيها خيرا

حبطت أعمالهم وفي النار هم خالدون انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلوة وآتى الزكاة ولم يخش الا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله لا يستوون عند الله والله لا يهدي القوم الظالمين الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم

● قوله تعالى ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد الله شاهدين على أنفسهم بالكفر أولئك حبطت أعمالهم الآية (قال اذا هدم الكفر أو الكبيرة الاعمال الخ) قال أحمد كلام صحيح الا قوله ان الكبيرة تهدم الاعمال فانه تفريع على قاعدة المعتزلة والحق خلافها ● قوله تعالى انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر الى قوله عسى أولئك أن يكونوا من المهتدين (قال في هذه الآية تبعيد للمشركين الخ) قال أحمد وأكثرهم يقول ان عسى من الله واجبة بناء منهم على ان استعمالها غير مصروفة للمخاطبين والحق فيما قال الزمخشري ولكن الخطاب مصروف اليهم أي حال هؤلاء المؤمنين حال من ترجوه والعاقبة عند الله معلومة ولله عاقبة الامور

● قوله تعالى لقد نصركم الله في مواطن كثيرة ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيأ (قال مواطن الحرب مقاماتها ومواقفها الخ) قال أحمد لا منع والله أعلم من عطف الظرفين المكاني والزماني أحدهما على الآخر وناصبهما واحد كعطف أحد المعمولين على الآخر والعمل واحد إذ يجوز أن تقول ضرب زيد عمرا في المسجد ويوم الجمعة كما تقول ضربت زيدا وعمرا ولا يحتاج إلى إضمار فعل جديد غير الأول هذا مع أنه لا بد من تغاير الفعلين الواقعين بالمعمولين حقيقة وذلك إذا قلت أضرب زيدا اليوم وعمرا غدا

أعظم درجة عند الله وأولئك هم الفائزون يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم خالدين فيها أبدا إن الله عنده أجر عظيم يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم وإخوانكم أولياء إن استحبوا الكفر على الإيمان ومن يتولهم منكم فأولئك هم الظالمون قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين لقد نصركم الله في مواطن كثيرة ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيأ وضاقت عليكم الأرض بما رحبت

(أعظم درجة عند الله) من أهل السقاية والعمارة عندكم (وأولئك هم الفائزون) لا أنتم والمختصون بالفوز دونكم ● قرئ يبشرهم بالتخفيف والتثقيل ● وتنكير المبشر به لوقوعه وراء صفة الواصف وتعريف المعرّف وعن ابن عباس رضي الله عنه هي في المهاجرين خاصة ● كان قبل فتح مكة من آمن لم يتم إيمانه إلا بأن يهاجر ويصارم أقاربه الكفرة ويقطع موالاتهم فقالوا يا رسول الله إن نحن اعتزلنا من خالفنا في الدين قطعنا آباءنا وأبناءنا وعشائرنا وذهبت تجاراتنا وهلكت أموالنا وخربت ديارنا وبقينا ضائعين فنزلت فهاجروا فجعل الرجل يأتيه ابنه أو أبوه أو أخوه أو بعض أقاربه فلا يلتفت إليه ولا ينزله ولا ينفق عليه ثم رخص لهم بعد ذلك وقيل نزلت في التسعة الذين ارتدوا ولحقوا بمكة فنهى الله تعالى عن موالاتهم وعن النبي صلى الله عليه وسلم لا يطعم أحدكم طعم الإيمان حتى يحب في الله ويبغض في الله حتى يحب في الله أبعد الناس ويبغض في الله أقرب الناس إليه ● وقرئ عشيرتكم وعشيراتكم وقرأ الحسن وعشائركم (فتربصوا حتى يأتي الله بأمره) وعيد عن ابن عباس هو فتح مكة وعن الحسن هي عقوبة عاجلة أو آجلة وهذه آية شديدة لا ترى أشد منها كأنها تنعى على الناس ما هم عليه من رخاوة عقد الدين واضطراب حبل اليقين فلينصف أورع الناس وأتقاهم من نفسه هل يجد عنده من التصلب في ذات الله والثبات على دين الله ما يستحب له دينه على الآباء والأبناء والإخوان والعشائر والمال والمساكن وجميع حظوظ الدنيا ويتجرد منها لأجله أم يزوي الله عنه أحقر شيء منها لمصلحته فلا يدري أي طرفيه أطول ويغويه الشيطان عن أجل حظ من حظوظ الدين فلا يبالي كأنما وقع على أنفه ذباب فطيره ● مواطن الحرب مقاماتها ومواقفها قال

وكم موطن لولاي طحت كما هوى ● بأجرامه من قلة النيق منهوي

وامتناعه من الصرف لأنه جمع وعلى صيغة لم يأت عليها واحد والمواطن الكثيرة وقعات بدر وقريظة والنضير والحديبية وخيبر وفتح مكة ● (فإن قلت) كيف عطف الزمان على المكان وهو (يوم حنين) على المواطن (قلت) معناه وموطن يوم حنين أو في أيام مواطن كثيرة ويوم حنين ويجوز أن يراد بالموطن الوقت كمقتل الحسين على أن الواجب أن يكون يوم حنين منصوبا بفعل مضمر لا بهذا الظاهر وموجب ذلك أن قوله (إذ أعجبتكم) بدل من يوم حنين فلو جعلت ناصبه هذا الظاهر لم يصح لأن كثرتهم لم تعجبهم في جميع تلك المواطن ولم يكونوا كثيرا في جميعها فبقي أن يكون ناصبه فعلا خاصا به إلا إذا نصبت إذ بإضمار اذكر وحنين واد بين مكة والطائف كانت فيه الوقعة بين المسلمين وهم اثنا عشر ألفا الذين حضروا فتح مكة منضما إليهم ألفان من الطلقاء وبين هوازن وثقيف وهم أربعة آلاف فيمن ضامهم من أمداد سائر العرب فكانوا الجم الغفير فلما التقوا قال رجل من المسلمين لن نغلب اليوم من قلة فساءت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل قائلها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل أبو بكر رضي الله عنه وذلك قوله إذ أعجبتكم كثرتكم فاقتتلوا قتالا شديدا وأدركت المسلمين كلمة الإعجاب بالكثرة وزل عنهم أن الله هو الناصر لا كثرة الجنود فانهزموا حتى بلغ فلهم مكة وبقي رسول الله صلى الله عليه وسلم وحده وهو ثابت في مركزه لا يتحلحل ليس معه إلا عمه العباس رضي الله عنه آخذا بلجام دابته وأبو سفيان بن الحرث ابن عمه وناهيك بهذه الواحدة شهادة صدق على تناهي

لم يشك في أن الضربين متغايران بتغاير زمنيهما ومع ذلك فالعمل واحد في الصناعة فعلى هذا يجوز في الآية والله أعلم بقاء كل واحد من الطرفين على حاله غير مؤول إلى الآخر على أن الزمخشري أوجب تعدد الفعل وتقدير ناصب لظرف الزمان غير الفعل الأول وإن كان عنده جميع ما نفى له لأن كثرتهم لم تكن ثابتة في جميع المواطن يريد ولو ذهبت إلى اتحاد الناصب لزم ذلك وهذا غير لازم ألا ترى أنك لو قلت أضرب زيدا حين يقوم وحين يقعد لكان الناصب للظرفين واحدا وهما متغايران وإنما يمتنع عمل الفعل الواحد في ظرفي زمان مختلفين عند عدم العطف المتوسط بينهما والله أعلم

شجاعته

ثم وليتم مدبرين ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل جنودا لم تروها وعذب الذين كفروا وذلك جزاء الكافرين ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء والله غفور رحيم يا أيها الذين آمنوا انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء ان الله عليم حكيم قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق

شجاعته ورباطة جأشه صلى الله عليه وسلم وما هي الا من آيات النبوة وقال يا رب ائتني بما وعدتني وقال صلى الله عليه وسلم للعباس وكان صيتا صح بالناس فنادى الانصار فخذا فخذا ثم نادى يا أصحاب الشجرة يا أصحاب سورة البقرة فكروا عنقا واحدا وهم يقولون لبيك لبيك ونزلت الملائكة عليهم الثياب البيض على خيول بلق فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى قتال المسلمين فقال هذا حين حمي الوطيس ثم أخذ كفا من تراب فرماهم به ثم قال انهزموا ورب الكعبة فانهزموا قال العباس لكأني أنظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يركض خلفهم على بغلته (بما رحبت) ما مصدرية والباء بمعنى مع أي مع رحبها وحقيقته ملتبسة برحبها على أن الجار والمجرور في موضع الحال كقولك دخلت عليه بثياب السفر أي متلبسا بها لم أحلها تعني مع ثياب السفر والمعنى لا تجدون موضعا تستصلحونه لهربكم اليه ونجاتكم لفرط الرعب فكأنها ضاقت عليكم (ثم وليتم مدبرين) ثم انهزمتم (سكينته) رحمته التي سكنوا بها وآمنوا (وعلى المؤمنين) الذين انهزموا وقيل هم الذين ثبتوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حين وقع الهرب (وأنزل جنودا) يعني الملائكة وكانوا ثمانية آلاف وقيل خمسة آلاف وقيل ستة عشر ألفا (وعذب الذين كفروا) بالقتل والأسر وسبي النساء والذراري (ثم يتوب الله) أي يسلم بعد ذلك ناس منهم وروي أن ناسا منهم جاؤوا فبايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على الاسلام وقالوا يا رسول الله أنت خير الناس وأبر الناس وقد سبي أهلونا وأولادنا وأخذت أموالنا قيل سبي يومئذ ستة آلاف نفس وأخذ من الابل والغنم ما لا يحصى فقال ان عندي ما ترون ان خير القول أصدقه اختاروا اما ذراريكم ونساءكم واما أموالكم قالوا ما كنا نعدل بالأحساب شيئا فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان هؤلاء جاؤوا مسلمين وانا خيرناهم بين الذراري والأموال فلم يعدلوا بالأحساب شيئا فمن كان بيده سبي وطابت نفسه أن يرده فشأنه ومن لا فليعطنا وليكن قرضا علينا حتى نصيب شيئا فنعطيه مكانه قالوا رضينا وسلمنا فقال اني لا أدري لعل فيكم من لا يرضى فمروا عرفاءكم فليرفعوا ذلك الينا فرفعت اليه العرفاء أن قد رضوا النجس مصدر يقال نجس نجسا وقذر قذرا ومعناه ذوو نجس لأن معهم الشرك الذي هو بمنزلة النجس ولأنهم لا يتطهرون ولا يغتسلون ولا يجتنبون النجاسات فهي ملابسة لهم أو جعلوا كأنهم النجاسة بعينها مبالغة في وصفهم بها وعن ابن عباس رضي الله عنه أعيانهم نجسة كالكلاب والخنازير وعن الحسن من صافح مشركا توضأ وأهل المذاهب على خلاف هذين القولين وقرئ نجس بكسر النون وسكون الجيم على تقدير حذف الموصوف كأنه قيل انما المشركون جنس نجس أو ضرب نجس وأكثر ما جاء تابعا لرجس وهو تخفيف نجس نحو كبد في كبد (فلا يقربوا المسجد الحرام) فلا يحجوا ولا يعتمروا كما كانوا يفعلون في الجاهلية (بعد عامهم هذا) بعد حج عامهم هذا وهو عام تسع من الهجرة حين أمر أبو بكر على الموسم وهو مذهب أبي حنيفة وأصحابه ويدل عليه قول علي كرم الله وجهه حين نادى ببراءة ألا لا يحج بعد عامنا هذا مشرك ولا يمنعون من دخول الحرم والمسجد الحرام وسائر المساجد عندهم وعند الشافعي يمنعون من المسجد الحرام خاصة وعند مالك يمنعون منه ومن غيره من المساجد وعن عطاء رضي الله عنه أن المراد بالمسجد الحرام الحرم وأن على المسلمين أن لا يمكنوهم من دخوله ونهي المشركين أن يقربوه راجع الى نهي المسلمين عن تمكينهم منه وقيل المراد أن يمنعوا من تولي المسجد الحرام والقيام بمصالحه ويعزلوا عن ذلك (وان خفتم عيلة) أي فقرا بسبب منع المشركين من الحج وما كان لكم في قدومهم عليكم من الارفاق والمكاسب (فسوف يغنيكم الله من فضله) من عطائه أو من تفضله بوجه آخر فأرسل السماء عليهم مدرارا فأغزر بها خيرهم وأكثر ميرهم وأسلم أهل تبالة وجرش فحملوا الى مكة الطعام وما يعاش به فكان ذلك أعود عليهم مما خافوا العيلة لفواته وعن ابن عباس رضي الله عنه ألقى الشيطان في قلوبهم الخوف وقال من أين تأكلون فأمرهم الله بقتال أهل الكتاب وأغناهم بالجزية وقيل بفتح البلاد والغنائم * وقرئ عائلة بمعنى المصدر كالعاقبة أو حالا عائلة ومعنى قوله (ان شاء) الله ان أوجبت الحكمة اغناءكم وكان مصلحة لكم في دينكم (ان الله عليم) بأحوالكم (حكيم) لا يعطي ولا يمنع الا عن حكمة

قوله تعالى انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا (قال هذا النهي راجع الى نهي المسلمين عن تمكينهم منه) قال أحمد وقد يستدل به من يقول ان الكفار مخاطبون بفروع الشريعة وخصوصا بالمنهي فان ظاهر الآية توجه النهي الى المشركين الا أنه بعيد لأن المعلوم من المشركين انهم لا ينزجرون بهذا النهي والمقصود تطهير المسجد الحرام بابعادهم عنه فلا يحصل هذا المقصود الا بنهي المسلمين عن

من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل

وصواب (من الذين أوتوا الكتاب) بيان للذين مع ما في حيزه نفى عنهم الايمان بالله لان اليهود مثنية والنصارى مثلثة وايمانهم باليوم الآخر لانهم فيه على خلاف ما يجب وتحريم ما حرم الله ورسوله لانهم لا يحرمون ما حرم في الكتاب والسنة وعن أبي روق لا يعملون بما في التوراة والانجيل وأن يدينوا دين الحق وأن يعتقدوا دين الاسلام الذي هو الحق وما سواه الباطل وقيل دين الله يقال فلان يدين بكذا اذا اتخذه دينه ومعتقده وسميت جزية لانها طائفة مما على أهل الذمة أن يجزوه أي يقضوه أو لانهم يجزون بها من من عليهم بالاعفاء عن القتل (عن يد) اما أن يراد يد المعطي أو الآخذ فمعناه على ارادة يد المعطي حتى يعطوها عن يد أي عن يد مؤاتية غير ممتنعة لان من أبى وامتنع لم يعط يده بخلاف المطيع المنقاد ولذلك قالوا أعطى بيده اذا انقاد وأصحب ألا ترى الى قولهم نزع يده عن الطاعة كما قال خلع ربقة الطاعة عن عنقه أو حتى يعطوها عن يد الى يد نقدا غير نسيئة لا مبعوثا على يد أحد ولكن عن يد المعطي الى يد الآخذ وأما على ارادة يد الآخذ فمعناه حتى يعطوها عن يد قاهرة مستولية أو عن انعام عليهم لان قبول الجزية منهم وترك أرواحهم لهم نعمة عظيمة عليهم (وهم صاغرون) أي تؤخذ منهم على الصغار والذل وهو أن يأتي بها بنفسه ماشيا غير راكب ويسلمها وهو قائم والمتسلم جالس وأن يتلتل تلتلة ويؤخذ بتلبيبه ويقال له أد الجزية وان كان يؤديها ويزخ في قفاه وتسقط بالاسلام عند أبي حنيفة ولا يسقط به خراج الارض واختلف فيمن تضرب عليه فعند أبي حنيفة تضرب على كل كافر من ذمي ومجوسي وصابئ وحربي الا على مشركي العرب وحدهم روى الزهري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صالح عبدة الاوثان على الجزية الا من كان من العرب وقال لاهل مكة هل لكم في كلمة اذا قلتموها دانت لكم بها العرب وأدت اليكم العجم الجزية وعند الشافعي لا تؤخذ من مشركي العجم والمأخوذ عند أبي حنيفة في أول كل سنة من الفقير الذي له كسب اثنا عشر درهما ومن المتوسط في الغنى ضعفها ومن المكثر ضعف الضعف ثمانية وأربعون ولا تؤخذ من فقير لا كسب له وعند الشافعي يؤخذ في آخر السنة من كل واحد دينار فقيرا كان أو غنيا كان له كسب أو لم يكن (عزير ابن الله) مبتدأ وخبر كقوله المسيح ابن الله وعزير اسم أعجمي كعازر وعيزار وعزرائيل ولعجمته وتعريفه امتنع صرفه ومن نون فقد جعله عربيا وأما قول من قال سقوط التنوين لالتقاء الساكنين كقراءة من قرأ أحد الله أو لان الابن وقع وصفا والخبر محذوف وهو معبودنا فتمحل عنه مندوحة وهو قول ناس من اليهود ممن كان بالمدينة وما هو بقول كلهم عن ابن عباس رضي الله عنه جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم سلام بن مشكم ونعمان بن أوفى وشاس بن قيس ومالك بن الصيف فقالوا ذلك وقيل قاله فنحاص وسبب هذا القول أن اليهود قتلوا الانبياء بعد موسى عليه السلام فرفع الله عنهم التوراة ومحاها من قلوبهم فخرج عزير وهو غلام يسيح في الارض فأتاه جبريل عليه السلام فقال له الى أين تذهب قال أطلب العلم فحفظه التوراة فأملاها عليهم عن ظهر لسانه لا يخرم حرفا فقالوا ما جمع الله التوراة في صدره وهو غلام الا لانه ابنه والدليل على أن هذا القول كان فيهم أن الآية تليت عليهم فما أنكروا ولا كذبوا مع تهالكهم على التكذيب (فان قلت) كل قول يقال بالفم فما معنى قوله (ذلك قولهم بأفواههم) (قلت) فيه وجهان أحدهما أن يراد أنه قول لا يعضده برهان فما هو الا لفظ يفوهون به فارغ من معنى تحته كالالفاظ المهملة التي هي أجراس ونغم لا تدل على معان وذلك أن القول الدال على معنى لفظه مقول بالفم ومعناه مؤثر في القلب وما لا معنى له مقول بالفم لا غير والثاني أن يراد بالقول المذهب كقولهم قول أبي حنيفة يريدون مذهبه وما يقول به كأنه قيل ذلك مذهبهم ودينهم بأفواههم لا بقلوبهم لانه لا حجة معه ولا شبهة حتى يؤثر في القلوب وذلك أنهم اذا اعترفوا أنه لا صاحبة له لم تبق شبهة في انتفاء الولد (يضاهون) لا بد فيه من حذف مضاف تقديره يضاهي قولهم قولهم ثم حذف المضاف وأقيم الضمير المضاف اليه مقامه فانقلب مرفوعا والمعنى أن الذين كانوا في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من اليهود والنصارى يضاهي قولهم قول قدمائهم يعني أنه كفر قديم فيهم غير مستحدث أو يضاهي قول المشركين الملائكة بنات الله تعالى الله عنه وقيل الضمير للنصارى أي يضاهي قولهم المسيح ابن الله قول اليهود عزير ابن الله لانهم أقدم منهم

تمكينهم من قربانه ويرشد الى ان المخاطب في الحقيقة المسلمون تصدير الكلام بخطابهم في قوله يا أيها الذين آمنوا وتعقيبه أيضا بخطابهم بقوله وان خفتم عيلة وكثيرا ما يتوجه النهي على من المراد خلافه وعلى ما المراد خلافه اذا كان ثم ملازمة كقوله لا أرينك ههنا اذ غرض الارأتيم متساوون والله أعلم • قوله تعالى حتى يعطوا الجزية عن يد (قال اما أن يراد به المعطي أو الآخذ الخ) قال أحمد فيكون كاليد في قوله عليه السلام لا تبيعوا الذهب الى قوله الا يدا بيد • عاد كلامه (قال وان أريد به الآخذ فمعناه حتى يعطوها الخ) قال أحمد وهذا الوجه أملى بالفائدة والله أعلم

وقرئ

وقرئ يضاهئون بالهمز من قولهم امرأة ضهيأ على فعيل وهي التي ضاهأت الرجال في أنها لا تحيض وهمزتها مزيدة كما في غرقئ (قاتلهم الله) أي هم أحقاء بأن يقال لهم هذا تعجبا من شناعة قولهم كما يقال لقوم ركبوا شنعاء قاتلهم الله ما أعجب فعلهم (أنى يؤفكون) كيف يصرفون عن الحق * اتخاذهم أربابا أنهم أطاعوهم في الأمر بالمعاصي وتحليل ما حرم الله وتحريم ما حلله كما تطاع الأرباب في أوامرهم ونحوه تسمية أتباع الشيطان فيما يوسوس به عبادة له بل كانوا يعبدون الجن يا أبت لا تعبد الشيطان وعن عدي بن حاتم رضي الله عنه انتهيت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي عنقي صليب من ذهب فقال أليسوا يحرمون ما أحل الله فتحرمونه ويحلون ما حرم الله فتحلونه قلت بلى قال فتلك عبادتهم وعن فضيل رضي الله عنه ما أبالي أطعت مخلوقا في معصية الخالق أو صليت لغير القبلة وأما المسيح فحين جعلوه ابنا لله فقد أهلوه للعبادة ألا ترى الى قوله قل ان كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين (وما أمروا الا ليعبدوا إلها واحدا) أمرتهم بذلك أدلة العقل والنصوص في الانجيل والمسيح عليه السلام انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة (سبحانه) تنزيه له عن الاشراك واستبعاد له ويجوز أن يكون الضمير في وما أمروا للمتخذين أربابا أي وما أمر هؤلاء الذين هم عندهم أرباب الا ليعبدوا الله ويوحدوه فكيف يصح أن يكونوا أربابا وهم مأمورون مستعبدون مثلهم * مثل حالهم في طلبهم أن يبطلوا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم بالتكذيب بحال من يريد أن ينفخ في نور عظيم منبث في الآفاق يريد الله أن يزيده ويبلغه الغاية القصوى في الاشراق أو الاضاءة ليطفئه بنفخه ويطمسه (ليظهره) ليظهر الرسول عليه السلام (على الدين كله) على أهل الأديان كلهم أو ليظهر دين الحق على كل دين (فان قلت) كيف جاز أبى الله الا كذا ولا يقال كرهت أو أبغضت الا زيدا (قلت) قد أجرى أبى مجرى لم يرد ألا ترى كيف قوبل يريدون أن يطفئوا بقوله ويأبى الله وكيف أوقع موقع ولا يريد الله الا أن يتم نوره * معنى أكل الأموال على وجهين اما أن يستعملها فأطلق الأكل وأريد الأخذ ألا ترى الى قولهم أخذ الطعام وتناوله واما على أن الأموال يؤكل بها فهي سبب الأكل ومنه قوله

ان لنا أحمرة عجافا * يأكلن كل ليلة اكافا

يريد علفا يشترى بثمن الاكاف ومعنى أكلهم بالباطل انهم كانوا يأخذون الرشا في الأحكام والتخفيف والمسامحة في الشرائع (والذين يكنزون) يجوز أن يكون اشارة الى الكثير من الأحبار والرهبان للدلالة على اجتماع خصلتين مذمومتين فيهم أخذ البراطيل وكنز الأموال والضن بها عن الانفاق في سبيل الخير ويجوز أن يراد المسلمون الكانزون غير المنفقين ويقرن بينهم وبين المرتشين من اليهود والنصارى تغليظا ودلالة على أن من يأخذ منهم السحت ومن لا يعطي منكم طيب ماله سواء في استحقاق البشارة بالعذاب الأليم وقيل نسخت الزكاة آية الكنز وقيل هي ثابتة وانما عني بترك الانفاق في سبيل الله منع الزكاة وعن النبي صلى الله عليه وسلم ما أدي زكاته فليس بكنز وان كان باطنا وما بلغ أن يزكى فلم يزك فهو كنز وان كان ظاهرا وعن عمر رضي الله عنه أن رجلا سأله عن أرض له باعها فقال أحرز مالك الذي أخذت احفر له تحت فراش امرأتك قال أليس بكنز قال ما أدي زكاته فليس بكنز وعن ابن عمر رضي الله عنه كل ما أديت زكاته فليس بكنز وان كان تحت سبع أرضين وما لم تؤد زكاته فهو الذي ذكره الله تعالى وان كان على ظهر الأرض (فان قلت) فما تصنع بما روى سالم بن الجعد رضي الله عنه انها لما نزلت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تبا للذهب تبا للفضة قالها ثلاثا فقالوا له أي مال نتخذ قال لسانا ذاكرا وقلبا خاشعا وزوجة تعين أحدكم على دينه وبقوله عليه الصلاة والسلام من ترك صفراء أو بيضاء كوي بها وتوفي رجل فوجد في مئزره دينار فقال كية وتوفي آخر فوجد في مئزره ديناران فقال كيتان (قلت) كان هذا قبل أن تفرض الزكاة فأما بعد فرض الزكاة فالله أعدل وأكرم من أن يجمع عبده مالا من حيث أذن له فيه ويؤدي عنه ما أوجب عليه فيه ثم يعاقبه ولقد كان كثير من الصحابة كعبد الرحمن بن عوف وطلحة بن عبيد الله وعبيد الله رضي الله عنهم يقتنون الأموال ويتصرفون فيها وما عابهم أحد ممن أعرض عن القنية لأن الاعراض

قاتلهم الله أنى يؤفكون اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا الا ليعبدوا الها واحدا لا اله الا هو سبحانه عما يشركون يريدون أن يطفؤا نور الله بأفواههم ويأبى الله الا أن يتم نوره ولو كره الكافرون هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون يا أيها الذين آمنوا ان كثيرا من الأحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم يوم

* قوله تعالى ويأبى الله الا أن يتم نوره (قال ان قلت كيف جاز أبى الله الا كذا ولا يقال كرهت الخ) قال أحمد ولا يقال على هذا ان الاباء عدم الارادة فكما صح الايجاب بعد نفي الارادة فينبغي أن يصح بعد ما هو في معناها مطلقا لانا نقول لوجود حرف النفي أثر في تصحيح مجيء حرف الايجاب بعده فلا يلزم ذلك والله أعلم

اختيار الافضل والادخل في الورع والزهد في الدنيا والاقتناء مباح موسع لا يذم صاحبه ولكل شيء حد وما روي عن علي رضي الله عنه أربعة آلاف فما دونها نفقة فما زاد فهو كنز كلام في الافضل (فان قلت) لم قيل ولا ينفقونها وقد ذكر شيآن (قلت) ذهابا بالضمير الى المعنى دون اللفظ لان كل واحد منهما جملة وافية وعدة كثيرة ودنانير ودراهم فهو كقوله وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا وقيل ذهب به الى الكنوز وقيل الى الاموال وقيل معناه ولا ينفقونها والذهب كما أن معنى قوله * فاني وقيار بها لغريب * وقيار كذلك (فان قلت) لم خصا بالذكر من بين سائر الاموال (قلت) لانهما قانون التمول وأثمان الاشياء ولا يكنزهما الا من فضلا عن حاجته ومن كثرا عنده حتى يكنزهما لم يعدم سائر أجناس المال فكان ذكر كنزهما دليلا على ما سواهما (فان قلت) ما معنى قوله (يحمى عليها) وهلا قيل تحمى من قولك حمي الميسم وأحميته ولا تقول أحميت على الحديد (قلت) معناه أن النار تحمى عليها أي توقد ذات حمي وحر شديد من قوله نار حامية ولو قيل يوم تحمى لم يعط هذا المعنى (فان قلت) فاذا كان الاحماء للنار فلم ذكر الفعل (قلت) لانه مسند الى الجار والمجرور أصله يوم تحمى النار عليها فلما حذفت النار قيل يحمى عليها لانتقال الاسناد عن النار الى عليها كما تقول رفعت القصة الى الامير فان لم تذكر القصة قلت رفع الى الامير وعن ابن عامر أنه قرأ تحمى بالتاء * وقرأ أبو حيوة يكوى بالياء (فان قلت) لم خصت هذه الاعضاء (قلت) لانهم لم يطلبوا بأموالهم حيث لم ينفقوها في سبيل الله الا الاغراض الدنيوية من وجاهة عند الناس وتقدم وأن يكون ماء وجوههم مصونا عندهم يتلقون بالجميل ويحيون بالاكرام ويبجلون ويحتشمون ومن أكل طيبات يتضلعون منها وينفخون جنوبهم ومن لبس ناعمة من الثياب يطرحونها على ظهورهم كما ترى أغنياء زمانك هذه أغراضهم وطلباتهم من أموالهم لا يخطرون ببالهم قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ذهب أهل الدثور بالاجور وقيل لانهم كانوا اذا أبصروا الفقير عبسوا واذا ضمهم واياه مجلس ازوروا عنه وتولوا بأركانهم وولوه ظهورهم وقيل معناه يكوون على الجهات الاربع مقاديمهم ومآخيرهم وجنوبهم (هذا ما كنزتم) على ارادة القول وقوله (لانفسكم) أي كنزتموه لتنتفع به نفوسكم وتتلذذ وتحصل لها الاغراض التي حامت حولها وما علمتم أنكم كنزتموه لتستضر به أنفسكم وتتعذب وهو توبيخ لهم (فذوقوا ما كنتم تكنزون) وقرئ تكنزون بضم النون أي وبال المال الذي كنتم تكنزونه أو وبال كونكم كانزين (في كتاب الله) فيما أثبته وأوجبه من حكمه ورآه حكمة وصوابا وقيل في اللوح (أربعة حرم) ثلاثة سرد ذو القعدة وذو الحجة والمحرم وواحد فرد وهو رجب ومنه قوله عليه السلام في خطبته في حجة الوداع ألا ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض السنة اثنا عشر شهرا منها أربعة حرم ثلاث متواليات ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان والمعنى رجعت الاشهر الى ما كانت عليه وعاد الحج في ذي الحجة وبطل النسيء الذي كان في الجاهلية وقد وافقت حجة الوداع ذا الحجة وكانت حجة أبي بكر رضي الله عنه قبلها في ذي القعدة (ذلك الدين القيم) يعني أن تحريم الاشهر الاربعة هو الدين المستقيم دين ابراهيم واسمعيل وكانت العرب قد تمسكت به وراثة منهما وكانوا يعظمون الاشهر الحرم ويحرمون القتال فيها حتى لو لقي الرجل قاتل أبيه أو أخيه لم يهجه وسموا رجبا الاصم ومنصل الاسنة حتى أحدثت النسيء فغيروا (فلا تظلموا فيهن) في الحرم (أنفسكم) أي لا تجعلوا حرامها حلالا وعن عطاء تالله ما يحل للناس أن يغزوا في الحرم ولا في الاشهر الحرم الا أن يقاتلوا وما نسخت وعن عطاء الخراساني رضي الله عنه أحلت القتال في الاشهر الحرم براءة من الله ورسوله وقيل معناه لا تأثموا فيهن بيانا لعظم حرمتهن كما عظم أشهر الحج بقوله تعالى فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق الآية وان كان ذلك محرما في سائر الشهور (كافة) حال من الفاعل أو المفعول (مع المتقين) ناصر لهم حثهم على التقوى بضمان النصر لاهلها * والنسيء تأخير حرمة الشهر الى شهر آخر وذلك أنهم كانوا أصحاب حروب وغارات فاذا جاء الشهر الحرام وهم محاربون شق عليهم ترك المحاربة فيحلونه ويحرمون مكانه شهرا آخر حتى رفضوا تخصيص الاشهر الحرم بالتحريم فكانوا يحرمون من بين شهور العام أربعة أشهر وذلك قوله تعالى (ليواطئوا عدة ما حرم الله) أي

ليوافقوا

يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لانفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق السموات والارض منها أربعة حرم ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن أنفسكم وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة واعلموا ان الله مع المتقين انما النسيء زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاما ويحرمونه عاما ليواطئوا عدة ما حرم الله

* قوله تعالى يوم يحمى عليها في نار جهنم (قال ان قلت هلا قيل تحمى كما يقال حمي الميسم وأحميته الخ) قال أحمد وفي هذا الفصل دقائق اعراب يشوب حسنها اغراب والله الموفق

ليواطئوا العدة التي هي الاربعة ولا يخالفوها وقد خالفوا التخصيص الذي هو أحد الواجبين وربما زادوا في
عدد الشهور فيجعلونها ثلاثة عشر أو أربعة عشر ليتسع لهم الوقت ولذلك قال عز وعلا ان عدة الشهور عند
الله اثنا عشر شهرا يعني من غير زيادة زادوها * والضمير في يحلونه ويحرمونه للنسيء أي اذا أحلوا شهرا من
الاشهر الحرم عاما رجعوا فحرموه في العام القابل يروى أنه حدث ذلك في كنانة لانهم كانوا فقراء محاويج الى
الغارة وكان جنادة بن عوف الكناني مطاعا في الجاهلية وكان يقوم على جمل في الموسم فيقول بأعلى صوته ان
آلهتكم قد أحلت لكم المحرم فأحلوه ثم يقوم في القابل فيقول ان آلهتكم قد حرمت عليكم المحرم فحرموه *
جعل النسيء زيادة في الكفر لان الكافر كلما أحدث معصية ازداد كفرا فزادتهم رجسا الى رجسهم كما ان
المؤمن اذا أحدث طاعة ازداد ايمانا فزادتهم ايمانا وهم يستبشرون وقرئ يضل على البناء للمفعول ويضل بفتح
الياء والضاد ويضل على أن الفعل لله عز وجل * وقرأ الزهري ليوطئوا بالتشديد * والنسيء مصدر نسأه
اذا أخره يقال نسأه نسأ ونساء ونسيا كقولك مسه مسا ومساسا ومسيسا وقرئ بهن جميعا وقرئ النسي بوزن
الهدى والنسي بوزن النهي وهما تخفيف النسيء والنسء (فان قلت) ما معنى قوله (فيحلوا ما حرم الله) (قلت)
معناه فيحلوا بمواطأة العدة وحدها من غير تخصيص ما حرم الله من القتال أو من ترك الاختصاص للاشهر
بعينها (زين لهم سوء أعمالهم) خذلهم الله فحسبوا أعمالهم القبيحة حسنة (والله لا يهدي) أي لا يلطف بهم
بل يخذلهم وقرئ زين لهم سوء أعمالهم على البناء للفاعل وهو الله عز وجل (اثاقلتم) تثاقلتم وبه قرأ الاعمش
أي تباطأتم وتقاعستم وضمن معنى الميل والاخلاد فعدي بالى والمعنى ملتم الى الدنيا وشهواتها وكرهتم مشاق
السفر ومتاعبه ونحوه أخلد الى الارض واتبع هواه وقيل ملتم الى الاقامة بأرضكم ودياركم وقرئ أثاقلتم
على الاستفهام الذي معناه الانكار والتوبيخ (فان قلت) فما العامل في اذ وحرف الاستفهام مانع أن يعمل
فيه (قلت) ما دل عليه قوله اثاقلتم أو ما في ما لكم من معنى الفعل كأنه قيل ما تصنعون اذ قيل لكم كما تعمله
في الحال اذا قلت ما لك قائما وكان ذلك في غزوة تبوك في سنة عشر بعد رجوعهم من الطائف استنفروا في
وقت عسرة وقحط وقيظ مع بعد الشقة وكثرة العدو فشق عليهم وقيل ما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في
غزوة الا ورى عنها بغيرها الا في غزوة تبوك ليستعد الناس تمام العدة (من الآخرة) أي بدل الآخرة كقوله
لجعلنا منكم ملائكة (في الآخرة) في جنب الآخرة (الا تنفروا) سخط عظيم على المتثاقلين حيث أوعدهم
بعذاب أليم مطلق يتناول عذاب الدارين وأنه يهلكهم ويستبدل بهم قوما آخرين خيرا منهم وأطوع وأنه غني
عنهم في نصرة دينه لا يقدح تثاقلهم فيها شيئا وقيل الضمير للرسول أي ولا تضروه لان الله وعده أن يعصمه
من الناس وأن ينصره ووعد الله كائن لا محالة وقيل يريد بقوله قوما غيركم أهل اليمن وقيل أبناء فارس
والظاهر مستغن عن التخصيص (فان قلت) كيف يكون قوله فقد (نصره الله) جوابا للشرط (قلت) فيه
وجهان أحدهما الا تنصروه فسينصره من نصره حين لم يكن معه الا رجل واحد ولا أقل من الواحد فدل
بقوله فقد نصره الله على أنه ينصره في المستقبل كما نصره في ذلك الوقت والثاني أنه أوجب له النصرة وجعله
منصورا في ذلك الوقت فلن يخذل من بعده وأسند الاخراج الى الكفار كما أسند اليهم في قوله من قريتك
التي أخرجتك لانهم حين هموا باخراجه أذن الله له في الخروج فكأنهم أخرجوه (ثاني اثنين) أحد اثنين
كقوله ثالث ثلاثة وهما رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر الصديق رضي الله عنه يروى أن
جبريل عليه السلام لما أمره بالخروج قال من يخرج معي قال أبو بكر وانتصابه على الحال وقرئ ثاني اثنين
بالسكون و(اذ هما) بدل من اذ أخرجه والغار ثقب في أعلى ثور وهو جبل في يمنى مكة على مسيرة ساعة
مكثا فيه ثلاثا (اذ يقول) بدل ثان قيل طلع المشركون فوق الغار فأشفق أبو بكر رضي الله عنه على رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال ان تصب اليوم ذهب دين الله فقال عليه الصلاة والسلام ما ظنك باثنين الله
ثالثهما وقيل لما دخلا الغار بعث الله تعالى حمامتين فباضتا في أسفله والعنكبوت فنسجت عليه وقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم اللهم أعم أبصارهم فجعلوا يترددون حول الغار ولا يفطنون قد أخذ الله أبصارهم

فيحلوا ما حرم الله زين لهم سوء أعمالهم والله لا يهدي القوم الكافرين يا أيها الذين آمنوا ما لكم اذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم الى الارض أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة الا قليل الا تنفروا يعذبكم عذابا أليما ويستبدل قوما غيركم ولا تضروه شيئا والله على كل شيء قدير الا تنصروه فقد نصره الله اذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين اذ هما في الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا فأنزل الله

---

* قوله الا تنفروا يعذبكم عذابا أليما ويستبدل قوما غيركم ولا تضروه شيئا والله على كل شيء قدير (قال في هذه الآية سخط عظيم على المتثاقلين حيث أوعدهم عذابا أليما الخ) قال أحمد ويقرب اعادة الضمير الى الرسول ان الضمير في قوله الا تنصروه عقيب ذلك عائد اليه اتفاقا والله أعلم

* قوله تعالى عفا الله عنك لم أذنت لهم (قال هذا كناية عن الجناية لأن العفو رادف لها الخ) قال أحمد رحمه الله ليس له أن يفسر هذه الآية بهذا التفسير وهو بين أحد أمرين إما أن لا يكون هو المراد وإما أن يكون هو المراد ولكن قد أجل الله نبيه الكريم عن مخاطبته بصريح العتب وخصوصا في حق المصطفى عليه الصلاة والسلام فالزمخشري في كلا التقديرين ذاهل عما يجب من حقه عليه الصلاة والسلام ولقد أحسن من قال (٥٥٤) في هذه الآية إن من لطف الله تعالى بنبيه أن بدأه بالعفو قبل العتب ولو قال له ابتداء لم أذنت لهم لتفطر قلبه عليه الصلاة والسلام فمثل هذا الأدب يجب احتذاؤه في حق سيد البشر عليه أفضل الصلاة والسلام * عاد كلامه (قال) وقوله لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله الى قوله إنما يستأذنك الذين لا يؤمنون بالله الآية قال معناه ليس من عادة المؤمنين أن يستأذنوك في أن يجاهدوا الخ (قال) أحمد وهذا الأدب يجب أن يقتفى مطلقا فلا يليق أبدا بالمرء أن يستأذن أخاه في أن يسدي إليه معروفا ولا بالمضيف أن يستأذن ضيفه في أن يقدم إليه طعاما فإن الاستئذان في أمثال هذه المواطن أمارة التكلف والتكره وصلوات الله على خليله وسلامه لقد بلغ من كرمه وأدبه مع ضيوفه أنه كان لا يتعاطى شيئا من أسباب التهيؤ للضيافة بمرأى منهم فلذلك مدحه الله تعالى على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم بهذه الخلة الجليلة والآداب الجليلة فقال

سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا والله عزيز حكيم انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون لو كان عرضا قريبا وسفرا قاصدا لاتبعوك ولكن بعدت عليهم الشقة وسيحلفون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم يهلكون أنفسهم والله يعلم إنهم لكاذبون عفا الله عنك لم أذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر

عنه وقالوا من أنكر صحبة أبي بكر رضي الله عنه فقد كفر لإنكاره كلام الله وليس ذلك لسائر الصحابة (سكينته) ما ألقى في قلبه من الأمنة التي سكن عندها وعلم أنهم لا يصلون إليه * والجنود الملائكة يوم بدر والأحزاب وحنين * وكلمة الذين كفروا دعوتهم إلى الكفر (وكلمة الله) دعوته إلى الإسلام وقرئ كلمة الله بالنصب والرفع أوجه و(هي) فصل أو مبتدأ وفيها تأكيد فضل كلمة الله في العلو وأنها المختصة به دون سائر الكلم (خفافا وثقالا) خفافا في النفور لنشاطكم له وثقالا عنه لمشقته عليكم أو خفافا لقلة عيالكم وأذيالكم وثقالا لكثرتها أو خفافا من السلاح وثقالا منه أو ركبانا ومشاة أو شبانا وشيوخا أو مهازيل وسمانا أو صحاحا ومراضا وعن ابن أم مكتوم أنه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم أعلي أن أنفر قال نعم حتى نزل قوله ليس على الأعمى حرج وعن ابن عباس نسخت بقوله ليس على الضعفاء ولا على المرضى وعن صفوان بن عمرو كنت واليا على حمص فلقيت شيخا كبيرا قد سقط حاجباه من أهل دمشق على راحلته يريد الغزو فقلت يا عم لقد أعذر الله إليك فرفع حاجبيه وقال يا ابن أخي استنفرنا الله خفافا وثقالا ألا إنه من يحبه يبتليه وعن الزهري خرج سعيد بن المسيب إلى الغزو وقد ذهبت إحدى عينيه فقيل له إنك عليل صاحب ضرر فقال استنفرنا الله الخفيف والثقيل فإن لم يمكني الحرب كثرت السواد وحفظت المتاع (وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم) إيجاب للجهاد بهما إن أمكن أو بأحدهما على حسب الحال والحاجة * العرض ما عرض لك من منافع الدنيا يقال الدنيا عرض حاضر يأكل منه البر والفاجر أي لو كان ما دعوا إليه غنما قريبا سهل المنال (وسفرا قاصدا) وسطا مقاربا (والشقة) المسافة الشاطة الشاقة وقرأ عيسى بن عمر بعدت عليهم الشقة بكسر العين والشين ومنه قوله

يقولون لا تبعد وهم يدفنونه * ولا بعد إلا ما توارى الصفائح

(بالله) متعلق بسيحلفون أو هو من جملة كلامهم والقول مراد في الوجهين أي سيحلفون يعني المتخلفين عند رجوعك من غزوة تبوك معتذرين يقولون بالله (لو استطعنا لخرجنا معكم) أو سيحلفون بالله يقولون لو استطعنا وقوله لخرجنا سد مسد جوابي القسم ولو جميعا والإخبار بما سوف يكون بعد القفول من حلفهم واعتذارهم وقد كان من جملة المعجزات ومعنى الاستطاعة استطاعة العدة أو استطاعة الأبدان كأنهم تمارضوا وقرئ لو استطعنا بضم الواو تشبيها لها بواو الجمع في قوله فتمنوا الموت (يهلكون أنفسهم) إما أن يكون بدلا من سيحلفون أو حالا بمعنى مهلكين والمعنى أنهم يوقعونها في الهلاك بحلفهم الكاذب وما يحلفون عليه من التخلف ويحتمل أن يكون حالا من قوله لخرجنا أي لخرجنا معكم وإن أهلكنا أنفسنا وألقيناها في التهلكة بما نحملها من المسير في تلك الشقة وجاء به على لفظ الغائب لأنه مخبر عنهم ألا ترى أنه لو قيل سيحلفون بالله لو استطاعوا لخرجوا لكان سديدا يقال حلف بالله ليفعلن ولأفعلن فالغيبة على حكم الإخبار والتكلم على الحكاية (عفا الله عنك) كناية عن الجناية لأن العفو رادف لها ومعناه أخطأت وبئس ما فعلت و(لم أذنت لهم) بيان لما كنى عنه بالعفو ومعناه مالك أذنت لهم في القعود عن الغزو حين استأذنوك واعتلوا لك بعللهم وهلا استأنيت بالإذن (حتى يتبين لك) من صدق في عذره ممن كذب فيه وقيل شيئان فعلهما رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يؤمر بهما إذنه للمنافقين وأخذه من الأسارى فعاتبه الله (لا يستأذنك) ليس من عادة المؤمنين أن يستأذنوك في أن يجاهدوا وكان الخلص من المهاجرين والأنصار يقولون لا نستأذن النبي أبدا ولنجاهدن

تعالى فراغ إلى أهله فجاء بعجل سمين أي ذهب على خفاء منهم كيلا يشعروا به والمهتم بأمر ضيفه يرى منه بعد كالمستأذن له في الضيافة فهذا من الآداب التي ينبغي أن يتمسك بها ذوو المروأة وأولو القوة وأشد من الاستئذان في الخروج للجهاد ونصرة الدين التثاقل عن المبادرة إليه بعد الحض عليه والمناداة وأسوأ أحوال المتثاقل وقد دعي الناس إلى الغزاة أن يكون متمسكا بشعبة من النفاق نعوذ بالله من التعرض لسخطه * قوله تعالى ولو أرادوا الخروج لأعدوا له عدة ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم وقيل اقعدوا مع القاعدين (قال إن قلت كيف جاز أن يوقع الله في نفوسهم كره هذا الخروج للغزو الخ) قال أحمد وهذا الفصل من كلامه مبني على قاعدتين فاسدتين إيجاب مراعاة المصالح على الله تعالى والتحسين والتقبيح وقد تكرر بطلان ذلك فاحذره واعلم أن معتقد السنة أن الله تعالى ألقى كراهة الخروج في قلوبهم لأنه أراد تثبيطهم وانصافهم إلى ذلك إرادة راحة المخلصين من مرافقتهم إذ الأمر ليس شرطا في وجود المشيئة والله الموفق * عاد كلامه (قال فإن قلت ما معنى قوله مع القاعدين الخ) قال أحمد وهذا من تنبيهاته الحسنة ونزيده بسطا فنقول لو قيل اقعدوا مقتصرا عليه لم يفد سوى أمرهم بالقعود وكذلك كونوا مع القاعدين ولا تحصل هذه الفائدة من إلحاقهم بهؤلاء الأصناف الموصوفين عند الناس بالتخلف والتقاعد الموسومين بهذه السمة إلا من عبارة الآية ولعن الله فرعون لقد بالغ في توعد موسى عليه السلام بقوله لأجعلنك من المسجونين ولم يقل لأجعلنك مسجونا لمثل هذه النكتة من المبالغة

أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم والله عليم بالمتقين إنما يستأذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر وارتابت قلوبهم فهم في ريبهم يترددون ولو أرادوا الخروج لأعدوا له عدة ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم وقيل اقعدوا مع القاعدين لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلا خبالا ولأوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة

أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم ومعنى (أن يجاهدوا) في أن يجاهدوا أو كراهة أن يجاهدوا (والله عليم بالمتقين) شهادة لهم بالانتظام في زمرة المتقين وعدة لهم بأجزل الثواب (إنما يستأذنك) يعني المنافقين وكانوا تسعة وثلاثين رجلا (يترددون) عبارة عن التحير لأن التردد ديدن المتحير كما أن الثبات والاستقرار ديدن المستبصر * وقرئ عدة بمعنى عدته فعل بالعدة ما فعل بالعدة من قال وأخلفوك عد الأمر الذي وعدوا من حذف تاء التأنيث وتعويض المضاف إليه منها وقرئ عدة بكسر العين بغير إضافة وعده بإضافة (فإن قلت) كيف موقع حرف الاستدراك (قلت) لما كان قوله ولو أرادوا الخروج معطيا معنى نفي خروجهم واستعدادهم للغزو قيل (ولكن كره الله انبعاثهم) كأنه قيل ما خرجوا ولكن تثبطوا عن الخروج لكراهة انبعاثهم كما تقول ما أحسن إلى زيد ولكن أساء إلي (فثبطهم) فكسلهم وخذلهم وضعف رغبتهم في الانبعاث (وقيل اقعدوا) جعل إلقاء الله في قلوبهم كراهة الخروج أمرا بالقعود وقيل هو قول الشيطان بالوسوسة وقيل هو قول بعضهم لبعض وقيل هو إذن رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم في القعود (فإن قلت) كيف جاز أن يوقع الله تعالى في نفوسهم كراهة الخروج إلى الغزو وهي قبيحة وتعالى الله عن إلهام القبيح (قلت) خروجهم كان مفسدة لقوله لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلا خبالا فكان إيقاع كراهة ذلك الخروج في نفوسهم حسنا ومصلحة (فإن قلت) فلم خطأ رسول الله صلى الله عليه وسلم في الإذن لهم فيما هو مصلحة (قلت) لأن إذن رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم لم يكن للنظر في هذه المصلحة ولا علمها إلا بعد القفول بإعلام الله تعالى ولكن لأنهم استأذنوه في ذلك واعتذروا إليه فكان عليه أن يتفحص عن كنه معاذيرهم ولا يتجوز في قبولها فمن ثم أتاه العتاب ويجوز أن يكون في ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم الإذن لهم مع تثبيط الله إياهم مصلحة أخرى فبإذنه لهم فقدت تلك المصلحة وذلك أنه إذا ثبطهم الله فلم يستعدوا وكان قعودهم بغير إذن من رسول الله صلى الله عليه وسلم قامت عليهم الحجة ولم تبق لهم معذرة ولقد تدارك الله ذلك حيث هتك أستارهم وكشف أسرارهم وشهد عليهم بالنفاق وأنهم لا يؤمنون بالله واليوم الآخر (فإن قلت) ما معنى قوله (مع القاعدين) (قلت) هو ذم لهم وتعجيز وإلحاق بالنساء والصبيان والزمنى الذين شأنهم القعود والجثوم في البيوت وهم القاعدون والخالفون والخوالف ويبينه قوله تعالى رضوا بأن يكونوا مع الخوالف (إلا خبالا) ليس من الاستثناء المنقطع في شيء كما يقولون لأن الاستثناء المنقطع هو أن يكون المستثنى من غير جنس المستثنى منه كقولك ما زادوكم خيرا إلا خبالا والمستثنى منه في هذا الكلام غير مذكور وإذا لم يذكر وقع الاستثناء من أعم العام الذي هو الشيء فكان استثناء متصلا لأن الخبال بعض أعم العام كأنه قيل ما زادوكم شيئا إلا خبالا والخبال الفساد والشر (ولأوضعوا خلالكم) ولسعوا بينكم بالتضريب والنمائم وإفساد ذات البين يقال وضع البعير وضعا إذا أسرع وأوضعته أنا والمعنى ولأوضعوا ركائبهم بينكم والمراد الإسراع بالنمائم لأن الراكب أسرع من الماشي وقرأ ابن الزبير رضي الله عنه ولأرقصوا من رقصت الناقة رقصا إذا أسرعت وأرقصتها قال * والراقصات إلى منى فالغبغب * وقرئ ولأوفضوا (فإن قلت) كيف خط في المصحف ولا أوضعوا بزيادة الألف (قلت) كانت الفتحة تكتب ألفا قبل الخط العربي والخط العربي اخترع قريبا من نزول القرآن وقد بقي من ذلك الألف أثر في الطباع فكتبوا صورة الهمزة ألفا وفتحتها ألفا أخرى ونحوه أولا أذبحنه (يبغونكم الفتنة) يحاولون أن يفتنوكم بأن يوقعوا الخلاف فيما

بينكم ويفسدوا نياتكم في مغزاكم (وفيكم سماعون لهم) أي نمامون يسمعون حديثكم فينقلونه إليهم أو فيكم قوم
يسمعون للمنافقين ويطيعونهم (لقد ابتغوا الفتنة) أي العنت ونصب الغوائل والسعي في تشتيت شملك
وتفريق أصحابك عنك كما فعل عبد الله بن أبي يوم أحد حين انصرف بمن معه وعن ابن جريج رضي الله عنه
وقفوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم على الثنية ليلة العقبة وهم اثنا عشر رجلا ليفتكوا به (من قبل) من قبل
غزوة تبوك (وقلبوا لك الأمور) ودبروا لك الحيل والمكايد ودوروا الآراء في إبطال أمرك وقرئ وقلبوا
بالتخفيف (حتى جاء الحق) وهو تأييدك ونصرك (وظهر أمر الله) وغلب دينه وعلا شرعه (ائذن لي) في
القعود (ولا تفتني) ولا توقعني في الفتنة وهي الإثم بأن لا تأذن لي فإني إن تخلفت بغير إذنك أثمت وقيل ولا
تلقني في الهلكة فإني إذا خرجت معك هلك مالي وعيالي وقيل قال الجد بن قيس قد علمت الأنصار أني مستهتر
بالنساء ولا تفتني ببنات الأصفر يعني نساء الروم ولكني أعينك بمال فاتركني وقرئ ولا تفتني من أفتنه (ألا في
الفتنة سقطوا) أي إن الفتنة هي التي سقطوا فيها وهي فتنة التخلف وفي مصحف أبي رضي الله عنه سقط لأن
من موحد اللفظ مجموع المعنى (لمحيطة بالكافرين) يعني أنها تحيط بهم يوم القيامة أو هي محيطة بهم الآن
لأن أسباب الإحاطة معهم فكأنهم في وسطها (إن تصبك) في بعض الغزوات (حسنة) ظفر وغنيمة (تسؤهم
وإن تصبك مصيبة) نكبة وشدة في بعضها نحو ما جرى يوم أحد يفرحوا بما امتازوا عن المؤمنين من القعود (يقولوا
قد أخذنا أمرنا) أي أمرنا الذي نحن متسمون به من الحذر والتيقظ والعمل بالحزم (من قبل) من قبل ما وقع
(ويتولوا) عن مقام التحدث بذلك والاجتماع له إلى أهاليهم (وهم فرحون) مسرورون وقيل تولوا أعرضوا
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم • قرأ ابن مسعود رضي الله عنه قل هل يصيبنا وقرأ طلحة رضي الله عنه هل
يصيبنا بتشديد الياء ووجهه أن يكون يفيعل لا يفعل لأنه من بنات الواو كقولهم الصواب وصاب السهم
يصوب ومصاوب في جمع مصيبة فحق يفعل منه يصوب ألا ترى إلى قولهم صوب رأيه إلا أن يكون من لغة
من يقول صاب السهم يصيب ومنه قوله أسهمي الصائبات والصيب واللام في قوله (إلا ما كتب الله لنا)
مفيدة معنى الاختصاص كأنه قيل لن يصيبنا إلا ما اختصنا الله بإثباته وإيجابه من النصرة عليكم أو الشهادة
ألا ترى إلى قوله (هو مولانا) أي الذي يتولانا ونتولاه ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا وأن الكافرين لا مولى
لهم (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) وحق المؤمنين أن لا يتوكلوا على غير الله فليفعلوا ما هو حقهم (إلا إحدى
الحسنيين) إلا إحدى العاقبتين اللتين كل واحدة منهما هي حسنى العواقب وهما النصرة والشهادة (ونحن
نتربص بكم) إحدى السوأيين من العواقب إما (أن يصيبكم الله بعذاب من عنده) وهو قارعة من السماء
نازلة على عاد وثمود (أو) بعذاب (بأيدينا) وهو القتل على الكفر (فتربصوا) بنا ما ذكرنا من عواقبنا (إنا معكم
متربصون) ما هو عاقبتكم فلا بد أن يلقى كلنا ما يتربصه لا يتجاوزه (أنفقوا) يعني في سبيل الله ووجوه البر
(طوعا أو كرها) نصب على الحال أي طائعين أو مكرهين (فإن قلت) كيف أمرهم بالإنفاق ثم قال (لن يتقبل
منكم) (قلت) هو أمر في معنى الخبر كقوله تبارك وتعالى قل من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مدا ومعناه
لن يتقبل منكم أنفقتم طوعا أو كرها ونحوه قوله تعالى استغفر لهم أو لا تستغفر لهم وقوله
• أسيئي بنا أو أحسني لا ملومة • أي لن يغفر الله لهم استغفرت لهم أم لم تستغفر لهم ولا نلومك أسأت إلينا
أم أحسنت (فإن قلت) متى يجوز نحو هذا (قلت) إذا دل الكلام عليه كما جاز عكسه في قولك رحم الله
زيدا وغفر له (فإن قلت) لم فعل ذلك (قلت) لنكتة فيه وهي أن كثيرا كأنه يقول لعزة امتحني لطف
محلك عندي وقوة محبتي لك وعامليني بالإساءة والإحسان وانظري هل يتفاوت حالي معك مسيئة كنت
أو محسنة وفي معناه قول القائل

أخوك الذي إن قمت بالسيف عامدا • لتضربه لم يستغشك في الود

وكذلك المعنى أنفقوا وانظروا هل يتقبل منكم واستغفر لهم أو لا تستغفر لهم وانظر هل ترى اختلافا
بين حال الاستغفار وتركه (فإن قلت) ما الغرض في نفي التقبل أهو ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم

وفيكم سماعون لهم
والله عليم بالظالمين لقد
ابتغوا الفتنة من قبل
وقلبوا لك الأمور حتى
جاء الحق وظهر أمر
الله وهم كارهون ومنهم
من يقول ائذن لي ولا
تفتني ألا في الفتنة
سقطوا وإن جهنم
لمحيطة بالكافرين إن
تصبك حسنة تسؤهم
وإن تصبك مصيبة
يقولوا قد أخذنا أمرنا
من قبل ويتولوا وهم
فرحون قل لن يصيبنا
إلا ما كتب الله لنا هو
مولانا وعلى الله فليتوكل
المؤمنون قل هل
تربصون بنا إلا إحدى
الحسنيين ونحن نتربص
بكم أن يصيبكم الله بعذاب
من عنده أو بأيدينا
فتربصوا إنا معكم
متربصون قل أنفقوا
طوعا أو كرها لن
يتقبل منكم

قبله منهم وردّه عليهم ما يبدلون منه أم هو كونه غير مقبول عند الله تعالى ذاهبا هباء لا ثواب له (قلت)
يحتمل الأمرين جميعا وقوله طوعا أو كرها معناه طائعين من غير إلزام من الله ورسوله أو ملزمين وسمي الإلزام
إكراها لأنهم منافقون فكان إلزامهم الإنفاق شاقا عليهم كالإكراه أو طائعين من غير إكراه من رؤسائكم
لأن رؤساء أهل النفاق كانوا يحملون على الإنفاق لما يرون من المصلحة فيه أو مكرهين من جهتهم روي
أنها نزلت في الجد بن قيس حين تخلف عن غزوة تبوك وقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم هذا مالي أعينك
به فاتركني (إنكم) تعليل لرد إنفاقهم والمراد بالفسق التمرد والعتو (أنهم) فاعل منع وهم وأن تقبل
مفعولاه • وقرئ أن تقبل بالتاء والياء على البناء للمفعول ونفقتهم ونفقاتهم على الجمع والتوحيد وقرأ
السلمي أن يقبل منهم نفقتهم على أن الفعل لله عز وجل (كسالى) بالضم والفتح جمع كسلان نحو
سكارى وغيارى في جمع سكران وغيران وكسلهم لأنهم لا يرجون بصلاتهم ثوابا ولا يخشون بتركها عقابا
فهي ثقيلة عليهم كقوله تعالى وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين وقرأت في بعض الأخبار أن رسول الله صلى الله
عليه وسلم كره للمؤمن أن يقول كسلت كأنه ذهب في هذه الآية فإن الكسل من صفات المنافقين
فما ينبغي أن يسنده المؤمن إلى نفسه (فإن قلت) الكراهية خلاف الطواعية وقد جعلهم الله تعالى طائعين
في قوله طوعا ثم وصفهم بأنهم لا ينفقون إلا وهم كارهون (قلت) المراد بطوعهم أنهم يبذلونه من غير إلزام
من رسول الله صلى الله عليه وسلم أو من رؤسائهم وما طوعهم ذاك إلا عن كراهية واضطرار لا عن رغبة
واختيار الإعجاب بالشيء أن يسر به سرور راض به متعجب من حسنه والمعنى فلا تستحسن ولا تفتتن بما أوتوا
من زينة الدنيا كقوله تعالى ولا تمدن عينيك فإن الله تعالى إنما أعطاهم ما أعطاهم للعذاب بأن عرضه
للتغنم والسبي وبلاهم فيه بالآفات والمصائب وكلفهم الإنفاق منه في أبواب الخير وهم كارهون له على
رغم أنوفهم وأذاقهم أنواع الكلف والمحن في جمعه واكتسابه وفي تربية أولادهم (فإن قلت) إن صح تعليق
التعذيب بإرادة الله تعالى فما بال زهوق أنفسهم (وهم كافرون) (قلت) المراد الاستدراج بالنعم كقوله
تعالى إنما نملي لهم ليزدادوا إثما كأنه قيل ويريد أن يديم عليهم نعمه إلى أن يموتوا وهم كافرون ملتهون
بالتمتع عن النظر للعاقبة (لمنكم) لمن جملة المسلمين (يفرقون) يخافون القتل وما يفعل بالمشركين فيتظاهرون
بالإسلام تقية (ملجأ) مكانا يلجؤن إليه متحصنين به من رأس جبل أو قلعة أو جزيرة (أو مغارات)
أو غيرانا وقرئ بضم الميم من أغار الرجل وغار إذا دخل الغور وقيل هو تعدية غار الشيء وأغرته أنا يعني أمكنة
يغيرون فيها أشخاصهم ويجوز أن يكون من أغار الثعلب إذا أسرع بمعنى مهارب ومفار (أو مدخلا)
أو نفقا يندسون فيه وينجحرون وهو مفتعل من الدخول وقرئ مدخلا من دخل ومدخلا من أدخل
مكانا يدخلون فيه أنفسهم وقرأ أبي بن كعب رضي الله عنه متدخلا وقرئ لوالوا إليه لالتجؤا إليه (يجمحون)
يسرعون إسراعا لا يردهم شيء من الفرس الجموح وهو الذي إذا حمل لم يرده اللجام وقرأ أنس رضي الله عنه
يجمزون فسئل فقال يجمحون ويجمزون ويشتدون واحد (يلمزك) يعيبك في قسمة الصدقات ويطعن
عليك قيل هم المؤلفة قلوبهم وقيل هو ابن ذي الخويصرة رأس الخوارج كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقسم غنائم حنين فقال اعدل يا رسول الله فقال صلوات الله عليه وسلامه ويلك إن لم أعدل فمن يعدل وقيل
هو أبو الجواظ من المنافقين قال ألا ترون إلى صاحبكم إنما يقسم صدقاتكم في رعاة الغنم وهو يزعم أنه يعدل
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا أبا لك أما كان موسى راعيا أما كان داود راعيا فلما ذهب قال عليه
الصلاة والسلام احذروا هذا وأصحابه فإنهم منافقون وقرئ يلمزك بالضم ويلمزك ويلامزك التثقيل والبناء
على المفاعلة مبالغة في اللمز • ثم وصفهم بأن رضاهم وسخطهم لأنفسهم لا للدين وما فيه صلاح أهله لأن رسول
الله صلى الله عليه وسلم استعطف قلوب أهل مكة يومئذ بتوفير الغنائم عليهم فضجر المنافقون منه وإذا للمفاجأة
أي وإن لم يعطوا منها فاجؤا السخط • وجواب لو محذوف تقديره ولو أنهم رضوا لكان خيرا لهم والمعنى ولو أنهم
رضوا ما أصابهم به الرسول من الغنيمة وطابت به نفوسهم وإن قل نصيبهم وقالوا كفانا فضل الله وصنعه وحسبنا

إنكم كنتم قوما فاسقين وما منعهم أن تقبل منهم نفقاتهم إلا أنهم كفروا بالله وبرسوله ولا يأتون الصلاة إلا وهم كسالى ولا ينفقون إلا وهم كارهون فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم إنما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا وتزهق أنفسهم وهم كافرون ويحلفون بالله إنهم لمنكم وما هم منكم ولكنهم قوم يفرقون لو يجدون ملجأ أو مغارات أو مدخلا لولوا إليه وهم يجمحون ومنهم من يلمزك في الصدقات فإن أعطوا منها رضوا وإن لم يعطوا منها إذا هم يسخطون ولو أنهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله وقالوا حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله ورسوله إنا إلى الله راغبون

• قوله تعالى انما الصدقات للفقراء الآية الى آخرها (قال هذا قصر لجنس الصدقات على الاصناف المعدودة وانها مختصة بها الخ) قال أحمد وهو مذهب مالك رضي الله عنه والقول بوجوب صرفها الى جميع الاصناف حتى لا يجوز ترك صنف واحد منها أخذا من اشعار اللام بالتمليك كما ذهب اليه الشافعي لا يساعده السياق فان الآية مصدرة بكلمة الحصر الدالة على ان غيرهم لا يستحق فيها نصيبا وهذا هو الغرض الذي سيقت له لا اقتصارها فيما سواه والله أعلم • عاد كلامه (قال فان قلت لم عدل عن اللام الى في في الاربعة الاخيرة الخ) قال أحمد وثم سر آخر هو أظهر وأقرب وذلك ان الاصناف الاربعة الاوائل ملاك لما عساه يدفع اليهم وانما يأخذونه ملكا فكان دخول اللام لائقا بهم وأما الاربعة الاواخر فلا يملكون ما يصرف نحوهم بل ولا يصرف اليهم ولكن في مصالح تتعلق بهم فالمال الذي يصرف في الرقاب انما يتناوله السادة المكاتبون (٥٥٨) والذين يعتقون فليس نصيبهم مصروفا الى أيديهم حتى يعبر عن ذلك باللام المشعرة بتملكهم لما يصرف نحوهم وانما هم محال لهذا الصرف والمصلحة المتعلقة به وكذلك العاملون انما يصرف نصيبهم لارباب ديونهم

انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم

من قسم لما سبق رضي الله عنهما أخرى فبينما رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثر ما آتانا اليوم (انا الى الله) في أن يغنينا ويخولنا فضله (راغبون) (انما الصدقات للفقراء) قصر لجنس الصدقات على الاصناف المعدودة وانها مختصة بهم لا تتجاوزها الى غيرها كأنه قيل انما هي لهم لا لغيرهم ونحوه قولك انما الخلافة لقريش تريد لا تتعداهم ولا تكون لغيرهم فيحتمل أن تصرف الى الاصناف كلها وأن تصرف الى بعضها وعليه مذهب أبي حنيفة رضي الله عنه وعن حذيفة وابن عباس وغيرهما من الصحابة والتابعين رضي الله عنهم أنهم قالوا في أي صنف منها وضعتها أجزأك وعن سعيد بن جبير رضي الله عنه لو نظرت الى أهل بيت من المسلمين فقراء متعففين فجبرتهم بها كان أحب الي وعند الشافعي رضي الله عنه لا بد من صرفها الى الاصناف الثمانية وعن عكرمة رضي الله عنه أنها تفرق في الاصناف الثمانية وعن الزهري أنه كتب لعمر بن عبد العزيز تفريق الصدقات على الاصناف الثمانية (والعاملين عليها) السعاة الذين يقبضونها (والمؤلفة قلوبهم) أشراف من العرب كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستألفهم على أن يسلموا فيرضخ لهم شيئا منها حين كان في المسلمين قلة (وفي الرقاب) المكاتبون يعانون منها وقيل الاسارى وقيل تبتاع الرقاب فتعتق (والغارمين) الذين ركبتهم الديون ولا يملكون بعدها ما يبلغ النصاب وقيل الذين تحملوا الحمالات فتداينوا فيها وغرموا (وفي سبيل الله) فقراء الغزاة والحجيج المنقطع بهم (وابن السبيل) المسافر المنقطع عن ماله فهو فقير حيث هو غني حيث ماله (فريضة من الله) في معنى المصدر المؤكد لان قوله انما الصدقات للفقراء معناه فرض الله الصدقات لهم وقرئ فريضة بالرفع على تلك فريضة (فان قلت) لم عدل عن اللام الى في في الاربعة الاخيرة (قلت) للايذان بانهم أرسخ في استحقاق التصدق عليهم ممن سبق ذكره لان في للوعاء فنبه على انهم أحقاء بان توضع فيهم الصدقات ويجعلوا مظنة لها ومصبا وذلك لما في فك الرقاب من الكتابة أو الرق أو الاسر وفي فك الغارمين من الغرم من التخليص والانقاذ ولجمع الغازي الفقير أو المنقطع في الحج بين الفقر والعبادة وكذلك ابن السبيل جامع بين الفقر والغربة عن الاهل والمال وتكرير في في قوله وفي سبيل الله وابن السبيل فيه فضل ترجيح لهذين على الرقاب والغارمين (فان قلت) فكيف وقعت هذه الآية في تضاعيف ذكر المنافقين ومكايدهم (قلت) دل بكون هذه الاصناف مصارف الصدقات خاصة دون غيرهم على أنهم ليسوا منهم حسما لاطماعهم واشعارا باستيجابهم الحرمان وأنهم بعداء عنها وعن مصارفها فما لهم وما لها وما سلطهم على التكلم فيها ولمز قاسمها صلوات الله عليه وسلامه • الاذن الرجل الذي يصدق كل ما يسمع ويقبل قول كل أحد سمي بالجارحة التي هي آلة السماع كأن جملته أذن سامعة ونظيره قولهم للربيئة عين • وايذاؤهم له هو

تضاعيف الذكر لهم لا لهم وأما سبيل الله فواضح فيه ذلك وأما ابن السبيل فكأنه كان مندرجا في سبيل الله وانما أفرد بالذكر تنبيها على خصوصيته مع انه مجرد من الحرفين جميعا وعطفه على المجرور باللام ممكن ولكنه على القريب منه أقرب والله أعلم وكان جدي أبو العباس أحمد بن فارس الفقيه الوزير استنبط من تغاير الحرفين المذكورين وجها في الاستدلال لمالك على ان الغرض بيان المصرف واللام لذلك لام الملك فيقول متعلق الجار والواقع خبرا عن الصدقات محذوف فيتعين تقديره فاما ان يكون التقدير انما الصدقات مصروفة للفقراء كقول مالك أو مملوكة للفقراء كقول الشافعي لكن الاول متعين لانه تقدير يكتفى به في الحرفين جميعا يصح تعلق اللام به وفي معا فيصح ان تقول هذا الشيء مصروف في كذا بخلاف تقديره مملوكة فانه انما يلتئم مع اللام وعند الانتهاء الى في يحتاج الى تقديره مصروفة ليلتئم بها فتقديره من اللام عام التعلق شامل الصحة متعين والله الموفق

ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو أذن قل أذن خير لكم يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين ورحمة للذين آمنوا منكم

قولهم فيه هو أذن * وأذن خير كقولك رجل صدق تريد الجودة والصلاح كأنه قيل نعم هو أذن ولكن نعم الأذن ويجوز أن يريد هو أذن في الخير والحق وفيما يجب سماعه وقبوله وليس بأذن في غير ذلك ودل عليه قراءة حمزة ورحمة بالجر عطفا عليه أي هو أذن خير ورحمة لا يسمع غيرهما ولا يقبله * ثم فسر كونه أذن خير بأنه يصدق بالله لما قام عنده من الأدلة ويقبل من المؤمنين الخلص من المهاجرين والأنصار وهو رحمة لمن آمن منكم أي أظهر الإيمان أيها المنافقون حيث يسمع منكم ويقبل إيمانكم الظاهر ولا يكشف أسراركم ولا يفضحكم ولا يفعل بكم ما يفعل بالمشركين مراعاة لما رأى الله من المصلحة في الإبقاء عليكم * وأذن كما قلتم إلا أنه أذن خير لكم لا أذن سوء فسلم لهم قولهم فيه إلا أنه فسر بما هو مدح له وثناء عليه وإن كانوا قصدوا به المذمة والتقصير بفطنته وشهامته وأنه من أهل سلامة القلوب والغرة وقيل إن جماعة منهم ذموه صلوات الله عليه وسلامه وبلغه ذلك فاشتغلت قلوبهم فقال بعضهم لا عليكم فإنما هو أذن سامعة قد سمع كلام المبلغ فإذا ونحن نأتيه ونعتذر إليه فيسمع عذرنا أيضا فيرضى فقيل هو أذن خير لكم * وقرئ أذن خير لكم على أن أذن خبر مبتدإ محذوف وخير كذلك أي هو أذن هو خير لكم يعني إن كان كما تقولون فهو خير لكم لأنه يقبل معاذيركم ولا يكافئكم على سوء دخلتكم وقرأ نافع بتخفيف الذال (فإن قلت) لم عدي فعل الإيمان بالباء إلى الله تعالى وإلى المؤمنين باللام (قلت) لأنه قصد التصديق بالله الذي هو نقيض الكفر به فعدي بالباء وقصد السماع من المؤمنين وأن يسلم لهم ما يقولونه ويصدقه لكونهم صادقين عنده فعدي باللام ألا ترى إلى قوله وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين ما أنباه عن الباء ونحوه فما آمن لموسى إلا ذرية من قومه أنؤمن لك واتبعك الأرذلون آمنتم له قبل أن آذن لكم (فإن قلت) ما وجه قراءة ابن أبي عبلة ورحمة بالنصب (قلت) هي علة معللها محذوف تقديره ورحمة لكم يأذن لكم فحذف لأن قوله أذن خير لكم يدل عليه (لكم ليرضوكم) الخطاب للمسلمين وكان المنافقون يتكلمون بالمطاعن أو يتخلفون عن الجهاد ثم يأتونهم فيعتذرون إليهم ويؤكدون معاذيرهم بالحلف ليعذروهم ويرضوا عنهم فقيل لهم إن كنتم مؤمنين كما تزعمون فأحق من أرضيتم الله ورسوله بالطاعة والوفاق * وإنما وحد الضمير لأنه لا تفاوت بين رضا الله ورضا رسوله صلى الله عليه وسلم فكانا في حكم مرضي واحد كقولك إحسان زيد وإجماله نعشني وجبر مني أو والله أحق أن يرضوه ورسوله كذلك * المحادة مفاعلة من الحد كالمشاقة من الشق (فأن له) على حذف الخبر أي فحق أن له (نار جهنم) وقيل معناه فله وأن تكرير لأن في قوله أنه تأكيدا ويجوز أن يكون فأن له معطوفا على أنه على أن جواب من محذوف تقديره ألم يعلموا أنه من يحادد الله ورسوله يهلك فإن له نار جهنم وقرئ ألم تعلموا بالتاء * كانوا يستهزؤن بالإسلام وأهله وكانوا يحذرون أن يفضحهم الله بالوحي فيهم حتى قال بعضهم والله لا أرانا إلا شر خلق الله لوددت أني قدمت فجلدت مائة جلدة وأن لا ينزل فينا شيء يفضحنا * والضمير في عليهم وتنبئهم للمؤمنين وفي قلوبهم للمنافقين وصح ذلك لأن المعنى يقود إليه ويجوز أن تكون الضمائر للمنافقين لأن السورة إذا نزلت في معناهم فهي نازلة عليهم ومعنى تنبئهم بما في قلوبهم كأنها تقول لهم في قلوبكم كيت وكيت يعني أنها تذيع أسرارهم عليهم حتى يسمعوها مذاعة منتشرة فكأنها تخبرهم بها وقيل معنى يحذر الأمر بالحذر أي ليحذر المنافقون (فإن قلت) الحذر واقع على إنزال السورة في قوله (يحذر المنافقون أن تنزل عليهم سورة) فما معنى قوله (مخرج ما تحذرون) (قلت) معناه محصل مبرز إنزال السورة أو أن الله مظهر ما كنتم تحذرونه أي تحذرون إظهاره من نفاقكم بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يسير في غزوة تبوك وركب من المنافقين يسيرون بين يديه فقالوا انظروا إلى هذا الرجل يريد أن يفتتح قصور الشام وحصونه هيهات هيهات فأطلع الله نبيه عليه السلام على ذلك فقال احبسوا على الركب فأتاهم فقال قلتم كذا وكذا فقالوا يا نبي الله لا والله ما كنا في شيء من أمرك ولا من أمر أصحابك ولكن كنا في شيء مما

والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم يحلفون بالله لكم ليرضوكم والله ورسوله أحق أن يرضوه إن كانوا مؤمنين ألم يعلموا أنه من يحادد الله ورسوله فأن له نار جهنم خالدا فيها ذلك الخزي العظيم يحذر المنافقون أن تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم قل استهزؤا إن الله مخرج ما تحذرون ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب قل

---

* قوله تعالى ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو أذن قل أذن خير لكم يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين (قال الأذن الرجل الذي يصدق كل ما يسمع سمي الرجل بالجارحة التي هي آلة السماع الخ) قال أحمد لا شيء أبلغ من الرد عليهم بهذا الوجه لأنه في الأول إطماع لهم بالموافقة ثم كر على طمعهم بالحسم وأعقبهم في تنقصه باليأس منه ويضاهي هذا من مستعملات الفقهاء القول بالموجب لأن في أوله إطماعا للخصم بالتسليم ثم بتا للطمع على قرب ولا شيء أقطع من الإطماع ثم اليأس يتلوه ويعقبه والله الموفق

يخوض فيه الركب ليقصر بعضنا على بعض السفر (أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤن) لم يعبأ باعتذارهم
لأنهم كانوا كاذبين فيه وجعلوا كأنهم معترفون باستهزائهم وبأنه موجود منهم حتى وبخوا بأخطائهم موقع
الاستهزاء حيث جعل المستهزأ به يلي حرف التقرير وذلك إنما يستقيم بعد وقوع الاستهزاء وثبوته (لا تعتذروا)
لا تشتغلوا باعتذاراتكم الكاذبة فإنها لا تنفعكم بعد ظهور سركم (قد كفرتم) قد ظهر كفركم باستهزائكم
(بعد إيمانكم) بعد إظهاركم الإيمان (إن نعف عن طائفة منكم) بإحداثهم التوبة وإخلاصهم الإيمان
بعد النفاق (نعذب طائفة بأنهم كانوا مجرمين) مصرين على النفاق غير تائبين منه أو إن نعف عن طائفة منكم
لم يؤذوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يستهزؤا فلا نعذبهم في العاجل نعذب في العاجل طائفة بأنهم كانوا
مجرمين مؤذين لرسول الله صلى الله عليه وسلم مستهزئين ● وقرأ مجاهد إن تعف عن طائفة على البناء للمفعول
مع التأنيث والوجه التذكير لأن المسند إليه الظرف كما تقول سير بالدابة ولا تقول سيرت بالدابة ولكنه
ذهب إلى المعنى كأنه قيل إن ترحم طائفة فأنث لذلك وهو غريب والجيد قراءة العامة إن يعف عن طائفة
بالتذكير وتعذب طائفة بالتأنيث ● وقرئ إن يعف عن طائفة يعذب طائفة على البناء للفاعل وهو الله
عز وجل (بعضهم من بعض) أريد به نفي أن يكونوا من المؤمنين وتكذيبهم في قولهم ويحلفون بالله إنهم
لمنكم وتقرير قوله وما هم منكم ثم وصفهم بما يدل على مضادة حالهم لحال المؤمنين (يأمرون بالمنكر)
بالكفر والمعاصي (وينهون عن المعروف) عن الإيمان والطاعات (ويقبضون أيديهم) شحا بالمبار
والصدقات والإنفاق في سبيل الله (نسوا الله) أغفلوا ذكره (فنسيهم) فتركهم من رحمته وفضله (هم
الفاسقون) هم الكاملون في الفسق الذى هو التمرد في الكفر والانسلاخ عن كل خير وكفى المسلم زاجرا
أن يلم بما يكسبه هذا الاسم الفاحش الذى وصف الله به المنافقين حين بالغ في ذمهم وإذا كره رسول الله
صلى الله عليه وسلم للمسلم أن يقول كسلت لأن المنافقين وصفوا بالكسل في قوله كسالى فما ظنك بالفسق
(خالدين فيها) مقدرين الخلود (هي حسبهم) دلالة على عظم عذابها وأنه لا شيء أبلغ منه وأنه بحيث لا يزاد عليه
نعوذ بالله من سخطه وعذابه (ولعنهم الله) وأهانهم مع التعذيب وجعلهم مذمومين ملحقين بالشياطين
الملاعين كما عظم أهل الجنة وألحقهم بالملائكة المكرمين (ولهم عذاب مقيم) ولهم نوع من العذاب سوى
الصلي بالنار مقيم دائم كعذاب النار ويجوز أن يريد ولهم عذاب مقيم معهم في العاجل لا ينفكون عنه
وهو ما يقاسونه من تعب النفاق والظاهر المخالف للباطن خوفا من المسلمين وما يحذرونه أبدا من الفضيحة
ونزول العذاب إن اطلع على أسرارهم ● الكاف محلها رفع على أنتم مثل الذين من قبلكم أو نصب على فعلتم
مثل ما فعل الذين من قبلكم وهو أنكم استمتعتم وخضتم كما استمتعوا وخاضوا ونحوه قول النمر

● كاليوم مطلوبا ولا طلبا ● بإضمار لا أرى وقوله (كانوا أشد منكم قوة) تفسير لتشبيههم بهم وتمثيل فعلهم بفعلهم
والخلاق النصيب وهو ما خلق للإنسان أي قدر من خير كما قيل له قسم لأنه قسم ونصيب لأنه نصب
أي أثبت ● والخوض الدخول في الباطل واللهو (كالذي خاضوا) كالفوج الذى خاضوا أو كالخوض الذى
خاضوه (فإن قلت) أي فائدة في قوله فاستمتعوا بخلاقهم وقوله كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم مغن عنه
كما أغنى قوله كالذي خاضوا عن أن يقال وخاضوا فخضتم كالذي خاضوا (قلت) فائدته أن يذم الأولين بالاستمتاع
بما أوتوا من حظوظ الدنيا ورضاهم بها والتهائهم بشهواتهم الفانية عن النظر في العاقبة وطلب الفلاح في
الآخرة وأن يخسس أمر الاستمتاع ويهجن أمر الراضي به ثم يشبه بعد ذلك حال المخاطبين بحالهم كما تريد
أن تنبه بعض الظلمة على سماجة فعله فتقول أنت مثل فرعون كان يقتل بغير جرم ويعذب ويعسف وأنت
تفعل مثل فعله وأما وخضتم كالذي خاضوا فمعطوف على ما قبله مستند إليه مستغن باستناده إليه عن
تلك التقدمة (حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة) نقيض قوله وآتيناه أجره في الدنيا وإنه في الآخرة
لمن الصالحين (وأصحاب مدين) وأهل مدين وهم قوم شعيب (والمؤتفكات) مدائن قوم لوط وقيل

أبالله وآياته ورسوله
كنتم تستهزؤن
لا تعتذروا قد كفرتم
بعد إيمانكم إن نعف
عن طائفة منكم نعذب
طائفة بأنهم كانوا
مجرمين المنافقون
والمنافقات بعضهم من
بعض يأمرون بالمنكر
وينهون عن المعروف
ويقبضون أيديهم نسوا
الله فنسيهم إن المنافقين
هم الفاسقون وعد الله
المنافقين والمنافقات
والكفار نار جهنم
خالدين فيها هي حسبهم
ولعنهم الله ولهم عذاب
مقيم كالذين من قبلكم
كانوا أشد منكم قوة
وأكثر أموالا وأولادا
فاستمتعوا بخلاقهم
فاستمتعتم بخلاقكم كما
استمتع الذين من قبلكم
بخلاقهم وخضتم كالذى
خاضوا أولئك حبطت
أعمالهم في الدنيا
والآخرة وأولئك هم
الخاسرون ألم يأتهم
نبأ الذين من قبلهم قوم
نوح وعاد وثمود وقوم
إبراهيم وأصحاب مدين
والمؤتفكات أتتهم
رسلهم بالبينات

قريات قوم لوط وهود وصالح وائتفاكهن انقلاب أحوالهن عن الخير إلى الشر (فما كان الله ليظلمهم) فما صح منه أن يظلمهم وهو حكيم لا يجوز عليه القبيح وأن يعاقبهم بغير جرم ولكن ظلموا أنفسهم حيث كفروا به فاستحقوا عقابه (بعضهم أولياء بعض) في مقابلة قوله في المنافقين بعضهم من بعض (سيرحمهم الله) السين مفيدة وجود الرحمة لا محالة فهي تؤكد الوعد كما تؤكد الوعيد في قولك سأنتقم منك يوما تعني أنك لا تفوتني وإن تباطأ ذلك ونحوه سيجعل لهم الرحمن ودا ولسوف يعطيك ربك فترضى سوف يؤتيهم أجورهم (عزيز) غالب على كل شيء قادر عليه فهو يقدر على الثواب والعقاب (حكيم) واضع كلا موضعه على حسب الاستحقاق (ومساكن طيبة) عن الحسن قصورا من اللؤلؤ والياقوت الأحمر والزبرجد و(عدن) علم بدليل قوله جنات عدن التي وعد الرحمن ويدل عليه ما روى أبو الدرداء رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عدن دار الله التي لم ترها عين ولم تخطر على قلب بشر لا يسكنها غير ثلاثة النبيون والصديقون والشهداء يقول الله تعالى طوبى لمن دخلك وقيل هي مدينة في الجنة وقيل نهر جناته على حافاته (ورضوان من الله أكبر) وشيء من رضوان الله أكبر من ذلك كله لأن رضاه هو سبب كل فوز وسعادة ولأنهم ينالون برضاه عنهم تعظيمه وكرامته والكرامة أكبر أصناف الثواب ولأن العبد إذا علم أن مولاه راض عنه فهو أكبر في نفسه مما وراءه من النعم وإنما تتهنأ له برضاه كما إذا علم بسخطه تنغصت عليه ولم يجد لها لذة وإن عظمت وسمعت بعض أولي الهمة البعيدة والنفس المرة من مشايخنا يقول لا تطمح عيني ولا تنازع نفسي إلى شيء مما وعد الله في دار الكرامة كما تطمح وتنازع إلى رضاه عني وأن أحشر في زمرة المهديين المرضيين عنده (ذلك) إشارة إلى ما وعد الله أو إلى الرضوان أي هو (الفوز العظيم) وحده دون ما يعده الناس فوزا وروي أن الله عز وجل يقول لأهل الجنة هل رضيتم فيقولون وما لنا لا نرضى وقد أعطيتنا ما لم تعط أحدا من خلقك فيقول أنا أعطيكم أفضل من ذلك قالوا وأي شيء أفضل من ذلك قال أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم أبدا (جاهد الكفار) بالسيف (والمنافقين) بالحجة (واغلظ عليهم) في الجهادين جميعا ولا تحابهم وكل من وقف منه على فساد في العقيدة فهذا الحكم ثابت فيه يجاهد بالحجة وتستعمل معه الغلظة ما أمكن منها عن ابن مسعود إن لم يستطع بيده فبلسانه فإن لم يستطع فليكفهر في وجهه فإن لم يستطع فبقلبه يريد الكراهة والبغضاء والتبري منه وقد حمل الحسن جهاد المنافقين على إقامة الحدود عليهم إذا تعاطوا أسبابها أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك شهرين ينزل عليه القرآن ويعيب المنافقين المتخلفين فيسمع من معه منهم منهم الجلاس بن سويد فقال الجلاس والله لئن كان ما يقول محمد لإخواننا الذين خلفناهم وهم سادتنا وأشرافنا حقا لنحن شر من الحمير فقال عامر بن قيس الأنصاري للجلاس أجل والله إن محمدا لصادق وأنت شر من الحمار وبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستحضر فحلف بالله ما قال فرفع عامر يده فقال اللهم أنزل على عبدك ونبيك تصديق الكاذب وتكذيب الصادق فنزلت (يحلفون بالله ما قالوا) فقال الجلاس يا رسول الله لقد عرض الله علي التوبة والله لقد قلته وصدق عامر فتاب الجلاس وحسنت توبته (وكفروا بعد إسلامهم) وأظهروا كفرهم بعد إظهارهم الإسلام (وهموا بما لم ينالوا) وهو الفتك برسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك عند مرجعه من تبوك توافق خمسة عشر منهم على أن يدفعوه عن راحلته إلى الوادي إذا تسنم العقبة بالليل فأخذ عمار بن ياسر بخطام راحلته يقودها وحذيفة خلفها يسوقها فبيناهما كذلك إذ سمع حذيفة بوقع أخفاف الإبل وبقعقعة السلاح فالتفت فإذا قوم متلثمون فقال إليكم إليكم يا أعداء الله فهربوا وقيل هم المنافقون بقتل عامر لرده على الجلاس وقيل أرادوا أن يتوجوا عبد الله بن أبي وإن لم يرض رسول الله صلى الله عليه وسلم (وما نقموا) وما أنكروا وما عابوا (إلا أن أغناهم الله) وذلك أنهم كانوا حين قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة في ضنك من العيش لا يركبون الخيل ولا يحوزون الغنيمة فأثروا بالغنائم وقتل للجلاس مولى فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بديته اثني عشر ألفا فاستغنى (فإن يتوبوا) هي الآية التي تاب عندها الجلاس (في الدنيا والآخرة) بالقتل والنار • وروي أن ثعلبة بن حاطب قال يا رسول الله ادع الله أن يرزقني مالا فقال صلى الله عليه وسلم يا ثعلبة قليل

فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ومساكن طيبة في جنات عدن ورضوان من الله أكبر ذلك هو الفوز العظيم يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد إسلامهم وهموا بما لم ينالوا وما نقموا إلا أن أغناهم الله ورسوله من فضله فإن يتوبوا يك خيرا لهم وإن يتولوا يعذبهم الله عذابا أليما في الدنيا والآخرة وما لهم في الأرض من ولي ولا نصير ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن

• قوله تعالى يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم (قال معناه جاهد الكفار بالسيف والمنافقين بالحجة الخ) قال أحمد والحق أن إلطافه بالحجة للمنافق إغلاظ عليه أيضا والله الموفق

* قوله تعالى استغفر لهم أو لا تستغفر لهم الخ (قال قد ذكرنا أن هذا الأمر في معنى الخبر الخ) قال أحمد وما يذكره الزمخشري في هذا وأمثاله من محذوف هو المقصود بالأمر وهذا وقع موقعه كقول كثير عزة * أسيئي بنا أو أحسني لا ملومة * كأنه يقول لها امتحني محبتك عندي وقوة محبتي لك ثم عاملي بالإساءة والإحسان وانظري هل يتفاوت حالي معك مسيئة أو محسنة وكذلك معنى الآية استغفر لهم أو لا تستغفر لهم وانظر هل يغفر لهم في حالتي الاستغفار وتركه وهل يتفاوت الحال أو لا

تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه فراجعه وقال والذي بعثك بالحق لئن رزقني الله مالاً لأعطين كل ذي حق حقه فدعا له فاتخذ غنماً فنمت كما ينمي الدود حتى ضاقت بها المدينة فنزل وادياً وانقطع عن الجماعة والجمعة فسأل عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل كثر ماله حتى لا يسعه واد فقال يا ويح ثعلبة فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم مصدقين لأخذ الصدقات فاستقبلهما الناس بصدقاتهم ومرا بثعلبة فسألاه الصدقة وأقرآه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي فيه الفرائض فقال ما هذه إلا جزية ما هذه إلا أخت الجزية وقال ارجعا حتى أرى رأيي فلما رجعا قال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يكلماه يا ويح ثعلبة مرتين فنزلت فجاءه ثعلبة بالصدقة فقال إن الله منعني أن أقبل منك فجعل التراب على رأسه فقال هذا عملك قد أمرتك فلم تطعني فقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء بها إلى أبي بكر رضي الله عنه فلم يقبلها وجاء بها إلى عمر رضي الله عنه في خلافته فلم يقبلها وهلك في زمان عثمان رضي الله عنه * وقرئ لنصدقن ولنكونن بالنون الخفيفة فيهما (من الصالحين) قال ابن عباس رضي الله عنه يريد الحج (فأعقبهم) عن الحسن وقتادة رضي الله عنهما أن الضمير للبخل يعني فأورثهم البخل (نفاقاً) متمكناً (في قلوبهم) لأنه كان سبباً فيه وداعياً إليه والظاهر أن الضمير لله عز وجل والمعنى فخذلهم حتى نافقوا وتمكن في قلوبهم نفاقهم فلا ينفك عنها إلى أن يموتوا بسبب إخلافهم ما وعدوا الله من التصدق والصلاح وكونهم كاذبين ومنه جعل خلف الوعد ثلث النفاق * وقرئ يكذبون بالتشديد وألم تعلموا بالتاء عن علي رضي الله عنه (سرهم ونجواهم) ما أسروه من النفاق والعزم على إخلاف ما وعدوه وما يتناجون به فيما بينهم من المطاعن في الدين وتسمية الصدقة جزية وتدبير منعها (الذين يلمزون) محله النصب أو الرفع على الذم ويجوز أن يكون في محل الجر بدلاً من الضمير في سرهم ونجواهم وقرئ يلمزون بالضم (المطوعين) المتطوعين المتبرعين روي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حث على الصدقة فجاء عبد الرحمن بن عوف بأربعين أوقية من ذهب وقيل بأربعة آلاف درهم وقال كان لي ثمانية آلاف فأقرضت ربي أربعة وأمسكت أربعة لعيالي فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم بارك الله لك فيما أعطيت وفيما أمسكت فبارك الله له حتى صولحت تماضر امرأته عن ربع الثمن على ثمانين ألفاً وتصدق عاصم بن عدي بمائة وسق من تمر وجاء أبو عقيل الأنصاري رضي الله عنه بصاع من تمر فقال بت ليلتي أجر بالجرير على صاعين فتركت صاعاً لعيالي وجئت بصاع فأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ينثره على الصدقات فلمزهم المنافقون وقالوا ما أعطى عبد الرحمن وعاصم إلا رياء وإن كان الله ورسوله لغنيين عن صاع أبي عقيل ولكنه أحب أن يذكر بنفسه ليعطى من الصدقات فنزلت (إلا جهدهم) إلا طاقتهم وقرئ بالفتح والضم (سخر الله منهم) كقوله الله يستهزئ بهم في أنه خبر غير دعاء ألا ترى إلى قوله (ولهم عذاب أليم) * سأل عبد الله بن عبد الله بن أبي رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان رجلاً صالحاً أن يستغفر لأبيه في مرضه ففعل فنزلت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله قد رخص لي فسأزيد على السبعين فنزلت سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم وقد ذكرنا أن هذا الأمر في معنى الخبر كأنه قيل لن يغفر الله لهم استغفرت لهم أم لم تستغفر لهم وأن فيه معنى الشرط وذكرنا النكتة في المجيء به على لفظ الأمر والسبعون جار مجرى المثل في كلامهم للتكثير قال علي بن أبي طالب عليه السلام

لأصبحن العاص وابن العاصي * سبعين ألفاً عاقدي النواصي

(فإن قلت) كيف خفي على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو أفصح العرب وأخبرهم بأساليب الكلام وتمثيلاته

من الصالحين فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون فأعقبهم نفاقاً في قلوبهم إلى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون ألم يعلموا أن الله يعلم سرهم ونجواهم وأن الله علام الغيوب الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات والذين لا يجدون إلا جهدهم فيسخرون منهم سخر الله منهم ولهم عذاب أليم استغفر لهم أو لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم ذلك بأنهم كفروا بالله ورسوله والله لا يهدي القوم الفاسقين فرح

قال أحمد وقد ورد بصيغة الخبر في الآية الأخرى في قوله تعالى سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم * عاد كلامه (قال فإن قلت كيف خفي على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو أفصح من نطق بالضاد الخ) قال أحمد وقد أنكر القاضي رضي الله عنه حديث الاستغفار ولم يصححه وتغالى قوم في قبوله حتى اتخذوه عمدة في مفهوم المخالفة وبنوه على أنه عليه السلام فهم من تحديد الغفران بالسبعين ثبوت الغفران بالزائد عليه وذلك سبب إنكار القاضي عليهم

وتمثيل لأنه والذي يفهم من ذكر هذا العدد كثرة الاستغفار كيف وقد تلاه بقوله ذلك بأنهم كفروا الآية فبين
الصارف عن المغفرة لهم حتى قال قد رخص لي ربي فسأزيد على السبعين (قلت) لم يخف عليه ذلك ولكنه
خيل بما قال إظهاراً لغاية رحمته ورأفته على من بعث إليه كقول إبراهيم عليه السلام ومن عصاني فإنك غفور
رحيم وفي إظهار النبي صلى الله عليه وسلم الرأفة والرحمة لطف لأمته ودعاء لهم إلى ترحم بعضهم على بعض
(المخلفون) الذين استأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم من المنافقين فأذن لهم وخلفهم في المدينة في غزوة
تبوك أو الذين خلفهم كسلهم ونفاقهم والشيطان (بمقعدهم) بقعودهم عن الغزو (خلاف رسول الله) خلفه
يقال أقام خلاف الحي بمعنى بعدهم ظعنوا ولم يظعن معهم وتشهد له قراءة أبي حيوة خلف رسول الله وقيل
هو بمعنى المخالفة لأنهم خالفوه حيث قعدوا ونهض وانتصابه على أنه مفعول له أو حال أي قعدوا لمخالفته أو
مخالفين له (أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم) تعريض بالمؤمنين وبتحملهم المشاق العظام لوجه الله تعالى وبما
فعلوا من بذل أموالهم وأرواحهم في سبيل الله تعالى وإيثارهم ذلك على الدعة والخفض وكره ذلك المنافقون
وكيف لا يكرهونه وما فيهم ما في المؤمنين من باعث الإيمان وداعي الإيقان (قل نار جهنم أشد حرا) استجهال
لهم لأن من تصون من مشقة ساعة فوقع بسبب ذلك التصون في مشقة الأبد كان أجهل من كل جاهل
ولبعضهم

مسرة أحقاب تلقيت بعدها ❋ مساءة يوم أريها شبه الصاب
فكيف بأن تلقى مسرة ساعة ❋ وراء تقضيها مساءة أحقاب

❋ فسيضحكون قليلا ويبكون كثيرا (جزاء) إلا أنه أخرج على لفظ الأمر للدلالة على أنه حتم واجب
لا يكون غيره يروى أن أهل النفاق يبكون في النار عمر الدنيا لا يرقأ لهم دمع ولا يكتحلون بنوم ❋ وإنما قال
(إلى طائفة منهم) لأن منهم من تاب عن النفاق وندم على التخلف أو اعتذر بعذر صحيح وقيل لم يكن المخلفون
كلهم منافقين فأراد بالطائفة المنافقين منهم (فاستأذنوك للخروج) يعني إلى غزوة بعد غزوة تبوك و(أول
مرة) هي الخرجة إلى غزوة تبوك وكان إسقاطهم عن ديوان الغزاة عقوبة لهم على تخلفهم الذي علم الله أنه لم
يدعهم إليه إلا النفاق بخلاف غيرهم من المتخلفين (مع الخالفين) قد مر تفسيره وقرأ مالك بن دينار رحمه الله
مع الخلفين على قصر الخالفين (فإن قلت) مرة نكرة وضعت موضع المرات للتفضيل فلم ذكر اسم التفضيل
المضاف إليها وهو دال على واحدة من المرات (قلت) أكثر اللغتين هند أكبر النساء وهي أكبرهن ثم إن قولك
هي كبرى امرأة لا تكاد تعثر عليه ولكن هي أكبر امرأة وأول مرة وآخر مرة وعن قتادة ذكر لنا أنهم كانوا
اثني عشر رجلا قيل فيهم ما قيل ❋ وروي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقوم على قبور المنافقين ويدعو
لهم فلما مرض رأس النفاق عبد الله بن أبي بعث إليه ليأتيه فلما دخل عليه قال أهلكك حب اليهود فقال
يا رسول الله بعثت إليك لتستغفر لي لا لتؤنبني وسأله أن يكفنه في شعاره الذي يلي جلده ويصلي عليه فلما مات
دعاه ابنه حباب إلى جنازته فسأله عن اسمه فقال أنت عبد الله بن عبد الله الحباب اسم شيطان فلما هم بالصلاة
عليه قال له عمر أتصلي على عدو الله فنزلت وقيل أراد أن يصلي عليه فجذبه جبريل (فإن قلت) كيف جازت له
تكرمة المنافق وتكفينه في قميصه (قلت) كان ذلك مكافأة له على صنيع سبق له وذلك أن العباس رضي
الله عنه عم رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أخذ أسيرا ببدر لم يجدوا له قميصا وكان رجلا طوالا فكساه عبد الله
قميصه وقال له المشركون يوم الحديبية إنا لا نأذن لمحمد ولكنا نأذن لك فقال لا إن لي في رسول الله صلى الله
عليه وسلم أسوة حسنة فشكر رسول الله صلى الله عليه وسلم له ذلك وإجابة له إلى مسألته إياه فقد كان عليه
الصلاة والسلام لا يرد سائلا وكان يتوفر على دواعي المروءة ويعمل بعادات الكرام وإكراما لابنه الرجل
الصالح فقد روي أنه قال له أسألك أن تكفنه في بعض قمصانك وأن تقوم على قبره لا يشمت به الأعداء وعلما
بأن تكفينه في قميصه لا ينفعه مع كفره فلا فرق بينه وبين غيره من الأكفان وليكون إلباسه إياه لطفا لغيره
فقد روي أنه قيل له لم وجهت إليه بقميصك وهو كافر فقال إن قميصي لن يغني عنه من الله شيئا وإني أؤمل من
الله أن يدخل في الإسلام كثير بهذا السبب فيروى أنه أسلم ألف من الخزرج لما رأوه طلب الاستشفاء

المخلفون بمقعدهم
خلاف رسول الله
وكرهوا أن يجاهدوا
بأموالهم وأنفسهم في
سبيل الله وقالوا لا تنفروا
في الحر قل نار جهنم
أشد حرا لو كانوا يفقهون
فليضحكوا قليلا وليبكوا
كثيرا جزاء بما كانوا
يكسبون فإن رجعك
الله إلى طائفة منهم
فاستأذنوك للخروج
فقل لن تخرجوا معي
أبدا ولن تقاتلوا معي
عدوا إنكم رضيتم
بالقعود أول مرة فاقعدوا
مع الخالفين ولا تصل
على أحد منهم مات
أبدا ولا تقم على قبره

أنفسهم وهم كافرون وإذا أنزلت سورة أن آمنوا بالله وجاهدوا مع رسوله استأذنك أولو الطول منهم وقالوا ذرنا نكن مع القاعدين رضوا بأن يكونوا مع الخوالف وطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون لكن الرسول والذين آمنوا معه جاهدوا بأموالهم وأنفسهم وأولئك لهم الخيرات وأولئك هم المفلحون أعد الله لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ذلك الفوز العظيم وجاء المعذرون من الأعراب ليؤذن لهم وقعد الذين كذبوا الله ورسوله سيصيب الذين كفروا منهم عذاب أليم ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج إذا نصحوا لله ورسوله ما على المحسنين من سبيل والله غفور رحيم ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم قلت لا أجد ما أحملكم عليه تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزنا ألا يجدوا ما ينفقون إنما السبيل على الذين يستأذنونك وهم أغنياء رضوا بأن يكونوا مع الخوالف وطبع الله على قلوبهم فهم لا يعلمون يعتذرون إليكم إذا رجعتم إليهم قل لا تعتذروا

ثوب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذلك ترحمه واستغفاره كان للدعاء إلى التراحم والتعاطف لأنهم إذا رأوه يترحم على من يظهر الإيمان وباطنه على خلاف ذلك دعا المسلم إلى أن يتعطف على من واطأ قلبه لسانه ورآه حتما عليه (فإن قلت) وكيف جازت الصلاة عليه (قلت) لم يتقدم نهي عن الصلاة عليهم وكانوا يجرون مجرى المسلمين لظاهر إيمانهم لما في ذلك من المصلحة وعن ابن عباس رضي الله عنه ما أدري ما هذه الصلاة إلا أني أعلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يخادع (مات) صفة لأحد وإنما قيل مات وماتوا بلفظ الماضي والمعنى على الاستقبال على تقدير الكون والوجود لأنه كائن موجود لا محالة (إنهم كفروا) تعليل للنهي وقد أعيد قوله (ولا تعجبك) لأن تجدد النزول له شأن في تقرير ما نزل له وتأكيده وإرادة أن يكون على بال من المخاطب لا ينساه ولا يسهو عنه وأن يعتقد أن العمل به مهم يفتقر إلى فضل عناية به لا سيما إذا تراخى ما بين النزولين فأشبه الشيء الذي أهم صاحبه فهو يرجع إليه في أثناء حديثه ويتخلص إليه وإنما أعيد هذا المعنى لقوته فيما يجب أن يحذر منه * يجوز أن يراد السورة بتمامها وأن يراد بعضها في قوله (وإذا أنزلت سورة) كما يقع القرآن والكتاب على كله وعلى بعضه وقيل هي براءة لأن فيها الأمر بالإيمان والجهاد (أن آمنوا) هي أن المفسرة (أولو الطول) ذوو الفضل والسعة من طال عليه طولا (مع القاعدين) مع الذين لهم علة وعذر في التخلف (فهم لا يفقهون) ما في الجهاد من الفوز والسعادة وما في التخلف من الشقاء والهلاك (لكن الرسول) أي إن تخلف هؤلاء فقد نهد إلى الغزو من هو خير منهم * وأخلص نية ومعتقدا كقوله فإن يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوما فإن استكبروا فالذين عند ربك (الخيرات) تتناول منافع الدارين لإطلاق اللفظ وقيل الحور لقوله فيهن خيرات (المعذرون) من عذر في الأمر إذا قصر فيه وتوانى ولم يجد وحقيقته أن يوهم أن له عذرا فيما يفعل ولا عذر له أو المعتذرون بإدغام التاء في الذال ونقل حركتها إلى العين ويجوز في العربية كسر العين لالتقاء الساكنين وضمها للإتباع لكن لم تثبت بهما قراءة وهم الذين يعتذرون بالباطل كقوله يعتذرون إليكم إذا رجعتم إليهم وقرئ المعذرون بالتخفيف وهو الذي يجتهد في العذر ويحتشد فيه قيل هم أسد وغطفان قالوا إن لنا عيالا وإن بنا جهدا فأذن لنا في التخلف وقيل هم رهط عامر بن الطفيل قالوا إن غزونا معك أغارت أعراب طيء على أهالينا ومواشينا فقال صلى الله عليه وسلم سيغنيني الله عنكم وعن مجاهد نفر من غفار اعتذروا فلم يعذرهم الله تعالى وعن قتادة اعتذروا بالكذب وقرئ المعذرون بتشديد العين والذال من تعذر بمعنى اعتذر وهذا غير صحيح لأن التاء لا تدغم في العين إدغامها في الطاء والزاي والصاد في المطوعين وازكى واصدق وقيل أريد المعتذرون بالصحة وبه فسر المعذرون والمعذرون على قراءة ابن عباس رضي الله عنه الذين لم يفرطوا في العذر (وقعد الذين كذبوا الله ورسوله) هم منافقو الأعراب الذين لم يجيئوا ولم يعتذروا وظهر بذلك أنهم كذبوا الله ورسوله في ادعائهم الإيمان وقرأ أبي كذبوا بالتشديد (سيصيب الذين كفروا منهم) من الأعراب (عذاب أليم) في الدنيا بالقتل وفي الآخرة بالنار (الضعفاء) الهرمى والزمنى * والذين لا يجدون الفقراء قيل هم مزينة وجهينة وبنو عذرة * والنصح لله ورسوله الإيمان بهما وطاعتهما في السر والعلن وتوليهما والحب والبغض فيهما كما يفعل الموالي الناصح بصاحبه (على المحسنين) على المعذورين الناصحين ومعنى لا سبيل عليهم لا جناح عليهم ولا طريق للعاتب عليهم (قلت لا أجد) حال من الكاف في أتوك وقد قبله مضمرة كما قيل في قوله أو جاؤكم حصرت صدورهم أي إذا ما أتوك قائلا لا أجد (تولوا) ولقد حصر الله المعذورين في التخلف الذين ليس لهم في أبدانهم استطاعة والذين عدموا آلة الخروج والذين سألوا المعونة فلم يجدوها وقيل المستحملون أبو موسى الأشعري وأصحابه وقيل البكاؤون وهم ستة نفر من الأنصار (تفيض من الدمع) كقولك تفيض دمعا وهو أبلغ من يفيض دمعها لأن العين جعلت كأن كلها دمع فائض ومن للبيان كقولك أفديك من رجل ومحل الجار والمجرور النصب على التمييز (ألا يجدوا) لئلا يجدوا ومحله نصب على أنه مفعول له وناصبه المفعول له الذي هو حزنا (فإن قلت) (رضوا) ما موقعه (قلت) هو استئناف كأنه قيل ما بالهم استأذنوا وهم أغنياء فقيل رضوا بالدناءة والضعة والانتظام في جملة الخوالف (وطبع الله على قلوبهم) يعني

ان

● قوله تعالى ومن الأعراب من يتخذ ما ينفق مغرما ويتربص بكم الدوائر عليهم دائرة السوء (قال دوائر الزمان دوله وعقبه لتذهب غلبتكم عليه الخ) قال أحمد وفي آية براءة مزيد على مجانسة الدعاء لحال المدعو عليهم ولقولهم وذلك أن الذي نسب إليهم تربص الدوائر مطلقا والذي دعي عليهم به دائرة السوء على التقييد فأسوأ الدوائر لا على الإطلاق والله الموفق ٥٦٥ ● قوله تعالى وصلوات الرسول

أن السبب في استئذانهم رضاهم بالدناءة والضعة وخذلان الله تعالى إياهم (فإن قلت) فهل يجوز أن يكون قوله قلت لا أجد استئنافا مثله كأنه قيل إذا ما أتوك لتحملهم تولوا فقيل ما لهم تولوا باكين فقيل قلت لا أجد ما أحملكم عليه إلا أنه وسط بين الشرط والجزاء كالاعتراض (قلت) نعم ويحسن (لن نؤمن لكم) علة للنهي عن الاعتذار لأن غرض المعتذر أن يصدق فيما يعتذر به فإذا علم أنه مكذب وجب عليه الإخلال وقوله (قد نبأنا الله من أخباركم) علة لانتفاء تصديقهم لأن الله عز وجل إذا أوحى إلى رسوله الإعلام بأخبارهم وأحوالهم وما في ضمائرهم من الشر والفساد لم يستقم مع ذلك تصديقهم في معاذيرهم (وسيرى الله عملكم) أتنيبون أم تثبتون على كفركم (ثم تردون) إليه وهو عالم كل غيب وشهادة وسر وعلانية فيجازيكم على حسب ذلك (لتعرضوا عنهم) فلا توبخوهم ولا تعاتبوهم (فأعرضوا عنهم) فأعطوهم طلبتهم (إنهم رجس) تعليل لترك معاتبتهم يعني أن المعاتبة لا تنفع فيهم ولا تصلحهم لأنهم أرجاس لا سبيل إلى تطهيرهم المؤمن يوبخ على زلة تفرط منه ليطهره التوبيخ بالحمل على التوبة والاستغفار وأما هؤلاء فأرجاس لا سبيل إلى تطهيرهم (ومأواهم جهنم) يعني وكفتهم النار عتابا وتوبيخا فلا تتكلفوا عتابهم (لترضوا عنهم) أي غرضهم في الحلف بالله طلب رضاكم لينفعهم ذلك في دنياهم (فإن ترضوا عنهم) فإن رضاكم وحدكم لا ينفعهم إذا كان الله ساخطا عليهم وكانوا عرضة لعاجل عقوبته وآجلها وقيل إنما قيل ذلك لئلا يتوهم متوهم أن رضا المؤمنين يقتضي رضا الله عنهم قيل هم جد بن قيس ومعتب بن قشير وأصحابهما وكانوا ثمانين رجلا منافقين فقال النبي صلى الله عليه وسلم حين قدم المدينة لا تجالسوهم ولا تكلموهم وقيل جاء عبد الله بن أبي يحلف أن لا يتخلف عنه أبدا (الأعراب) أهل البدو (أشد كفرا ونفاقا) من أهل الحضر لجفائهم وقسوتهم وتوحشهم ونشئهم في بعد من مشاهدة العلماء ومعرفة الكتاب والسنة (وأجدر ألا يعلموا) وأحق بأن يجهلوا حدود الدين وما أنزل الله من الشرائع والأحكام ومنه قوله صلى الله عليه وسلم إن الجفاء والقسوة في الفدادين (والله عليم) يعلم حال كل أحد من أهل الوبر والمدر (حكيم) فيما يصيب به مسيئهم ومحسنهم مخطئهم ومصيبهم من عقابه وثوابه (مغرما) غرامة وخسرانا والغرامة ما ينفقه الرجل وليس يلزمه لأنه لا ينفق إلا تقية من المسلمين ورياء لا لوجه الله عز وجل وابتغاء المثوبة عنده (ويتربص بكم الدوائر) دوائر الزمان دوله وعقبه لتذهب غلبتكم عليه فيتخلص من إعطاء الصدقة (عليهم دائرة السوء) دعاء معترض دعي عليهم بنحو ما دعوا به كقوله عز وجل وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم وقرئ السوء بالضم وهو العذاب كما قيل له سيئة والسوء بالفتح وهو ذم للدائرة كقولك رجل سوء في نقيض قولك رجل صدق لأن من دارت عليه ذام لها (والله سميع) لما يقولون إذا توجهت عليهم الصدقة (عليم) بما يضمرون وقيل هم أعراب أسد وغطفان وتميم (قربات) مفعول ثان ليتخذ والمعنى أن ما ينفقه سبب لحصول القربات عند الله (وصلوات الرسول) لأن الرسول كان يدعو للمتصدقين بالخير والبركة ويستغفر لهم كقوله اللهم صل على آل أبي أوفى وقال تعالى وصل عليهم فلما كان ما ينفق سببا لذلك قيل يتخذ ما ينفق قربات وصلوات (ألا إنها) شهادة من الله للمتصدق بصحة ما اعتقد من كون نفقته قربات وصلوات وتصديق لرجائه على طريق الاستئناف مع حرفي التنبيه والتحقيق المؤذنين بثبات الأمر وتمكنه وكذلك (سيدخلهم) وما في السين من تحقيق الوعد وما أدل هذا الكلام على رضا الله تعالى عن المتصدقين وأن الصدقة منه بمكان إذا خلصت النية من صاحبها وقرئ قربة بضم الراء وقيل هم عبد الله ذو البجادين ورهطه (السابقون الأولون من المهاجرين) هم الذين صلوا إلى القبلتين وقيل الذين شهدوا بدرا وعن الشعبي من بايع بالحديبية وهي

لن نؤمن لكم قد نبأنا الله من أخباركم وسيرى الله عملكم ورسوله ثم تردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون سيحلفون بالله لكم إذا انقلبتم إليهم لتعرضوا عنهم فأعرضوا عنهم إنهم رجس ومأواهم جهنم جزاء بما كانوا يكسبون يحلفون لكم لترضوا عنهم فإن ترضوا عنهم فإن الله لا يرضى عن القوم الفاسقين الأعراب أشد كفرا ونفاقا وأجدر ألا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله والله عليم حكيم ومن الأعراب من يتخذ ما ينفق مغرما ويتربص بكم الدوائر عليهم دائرة السوء والله سميع عليم ومن الأعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر ويتخذ ما ينفق قربات عند الله وصلوات الرسول ألا إنها قربة لهم سيدخلهم الله في رحمته إن الله غفور رحيم والسابقون الأولون من المهاجرين

ألا إنها قربة لهم سيدخلهم الله في رحمته الآية (قال ما أدل هذا الكلام على أن الصدقة من الله بمكان الخ) قال أحمد وللقدرية كما علمت مذهب في أن الفاسق ليس بمؤمن ولا كافر وأنه مخلد في النار وإن كان موحدا وغرض الزمخشري أن يجعل الفسق الذي وسم به المنافق هو الذي وسم به الموحد حتى يكون استحقاقهما للخلود واحدا فاحذره والله أعلم

قوله تعالى وممن حولكم من الأعراب منافقون ومن أهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم (قال معناه أنه مع شهامتك
وفطنتك وصدق فراستك يخفون عليك الخ) قال أحمد وكأن قوله تعالى مردوا على النفاق توطئة لتقرير خفاء حالهم عنه عليه
الصلاة والسلام لما لهم من الخبرة ٥٦٦ في النفاق والضراوة به والله أعلم ● قوله تعالى وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا
وآخر سيئا عسى الله أن يتوب عليهم (قال إن قلت قد جعل كل واحد منهما مخلوطا فما المخلوط به الخ) قال أحمد والتحقيق في هذا أنك إذا قلت خلطت الماء باللبن فالمصرح به في هذا الكلام أن الماء

الأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجري تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا ذلك الفوز العظيم وممن حولكم من الأعراب منافقون ومن أهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم سنعذبهم مرتين ثم يردون إلى عذاب عظيم وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا عسى الله

المخلوط واللبن مخلوط به والمدلول عليه لزوما لا تصريحا كون الماء مخلوطا به واللبن مخلوطا وإذا قلت خلطت الماء واللبن فالمصرح به جعل كل واحد منهما مخلوطا وأما ما خلط به كل واحد
منهما فغير مصرح به بل من اللازم أن كل واحد منهما مخلوط به يحتمل أن يكون قرينة أو غيره فقول الزمخشري إن وفيه
قولك خلطت الماء واللبن يفيد ما يفيده مع الباء وزيادة ليس كذلك فالظاهر في الآية والله أعلم أن العدول عن الباء إنما كان لتضمين
الخلط معنى العمل كأنه قيل عملوا عملا صالحا وآخر سيئا ثم أضاف إلى العمل معنى الخلط فعبر عنهما بما به والله أعلم

بيعة الرضوان ما بين الهجرتين (ومن الأنصار) أهل بيعة العقبة الأولى وكانوا سبعة نفر وأهل العقبة
الثانية وكانوا سبعين والذين آمنوا حين قدم عليهم أبو زرارة مصعب بن عمير فعلمهم القرآن وقرأ عمر رضي الله
عنه والأنصار بالرفع عطفا على السابقون ● وعن عمر أنه كان يرى أن قوله والذين اتبعوهم بإحسان بغير
واو صفة للأنصار حتى قال له زيد إنه بالواو فقال ائتوني بأبي فقال تصديق ذلك في أول الجمعة وآخرين منهم
وأوسط الحشر والذين جاؤا من بعدهم وآخر الأنفال والذين آمنوا من بعد وروي أنه سمع رجلا يقرؤه بالواو
فقال من أقرأك قال أبي فدعاه فقال أقرأنيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وإنك لتبيع القرظ بالبقيع قال
صدقت وإن شئت قلت شهدنا وغبتم ونصرنا وخذلتم وآوينا وطردتم ومن ثم قال عمر لقد كنت أرانا
رفعنا رفعة لا يبلغها أحد بعدنا وارتفع السابقون بالابتداء وخبره (رضي الله عنهم) ومعناه رضي عنهم لأعمالهم
(ورضوا عنه) لما أفاض عليهم من نعمته الدينية والدنيوية وفي مصاحف أهل مكة تجري من تحتها وهي
قراءة ابن كثير وفي سائر المصاحف تحتها بغير من (وممن حولكم) يعني حول بلدتكم وهي المدينة (منافقون)
وهم جهينة وأسلم وأشجع وغفار وكانوا نازلين حولها (ومن أهل المدينة) عطف على خبر المبتدأ الذي هو ممن
حولكم ويجوز أن يكون جملة معطوفة على المبتدأ والخبر إذا قدرت ومن أهل المدينة قوم مردوا على النفاق
على أن مردوا صفة موصوف محذوف كقوله أنا ابن جلا وعلى الوجه الأول لا يخلو من أن يكون كلاما مبتدأ
أو صفة لمنافقون فصل بينها وبينه بمعطوف على خبره (مردوا على النفاق) تمهروا فيه من مرن فلان عمله
ومرد عليه إذا درب به وضري حتى لان عليه ومهر فيه ودل على مرانتهم عليه ومهارتهم فيه بقوله (لا تعلمهم)
أي يخفون عليك مع فطنتك وشهامتك وصدق فراستك لفرط تنوقهم في تحامي ما يشككك في أمرهم ثم قال
(نحن نعلمهم) أي لا يعلمهم إلا الله ولا يطلع على سرهم غيره لأنهم يبطنون الكفر في سويداوات قلوبهم إبطانا
ويبرزون لك ظاهرا كظاهر المخلصين من المؤمنين لا تشك معه في إيمانهم وذلك أنهم مردوا على النفاق
وضروا به ولهم فيه اليد الطولى (سنعذبهم مرتين) قيل هما القتل وعذاب القبر وقيل الفضيحة وعذاب القبر
وعن ابن عباس رضي الله عنه أنهم اختلفوا في هاتين المرتين فقال قام رسول الله صلى الله عليه وسلم خطيبا
يوم الجمعة فقال اخرج يا فلان فإنك منافق اخرج يا فلان فإنك منافق فأخرج ناسا وفضحهم فهذا العذاب الأول
والثاني عذاب القبر وعن الحسن أخذ الزكاة من أموالهم ونهك أبدانهم (إلى عذاب عظيم) إلى عذاب النار
(اعترفوا بذنوبهم) أي لم يعتذروا من تخلفهم بالمعاذير الكاذبة كغيرهم ولكن اعترفوا على أنفسهم بأنهم
بئس ما فعلوا متذممين نادمين وكانوا ثلاثة أبو لبابة مروان بن عبد المنذر وأوس بن ثعلبة ووديعة بن حزام وقيل
كانوا عشرة فسبعة منهم أوثقوا أنفسهم لما بلغهم ما نزل في المتخلفين فأيقنوا بالهلاك فأوثقوا أنفسهم على
سواري المسجد فقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل المسجد فصلى ركعتين وكانت عادته صلى الله عليه
وسلم كلما قدم من سفر فرآهم موثقين فسأل عنهم فذكر له أنهم أقسموا أن لا يحلوا أنفسهم حتى يكون رسول
الله صلى الله عليه وسلم هو الذي يحلهم فقال وأنا أقسم أن لا أحلهم حتى أومر فيهم فنزلت فأطلقهم وعذرهم
فقالوا يا رسول الله هذه أموالنا التي خلفتنا عنك فتصدق بها وطهرنا فقال ما أمرت أن آخذ من أموالكم
شيئا فنزلت خذ من أموالهم (عملا صالحا) خروجا إلى الجهاد (وآخر سيئا) تخلفا عنه عن الحسن وعن الكلبي
التوبة والإثم (فإن قلت) قد جعل كل واحد منهما مخلوطا فما المخلوط به (قلت) كل واحد منهما مخلوط ومخلوط
به لأن المعنى خلط كل واحد منهما بالآخر كقولك خلطت الماء واللبن تريد خلطت كل واحد منهما بصاحبه

وفيه ما ليس في قولك خلطت الماء واللبن لأنك جعلت الماء مخلوطا واللبن مخلوطا به وإذا قلته بالواو جعلت الماء واللبن مخلوطين ومخلوطا بهما كأنك قلت خلطت الماء باللبن واللبن بالماء ويجوز أن يكون من قولهم بعت الشاء شاة ودرهما بمعنى شاة بدرهم (فإن قلت) كيف قيل (أن يتوب عليهم) وما ذكرت توبتهم (قلت) قد ذكر اعترافهم بذنوبهم وهو دليل على التوبة فقد ذكرت توبتهم (تطهرهم) صفة لصدقة وقرئ تطهرهم من أطهره بمعنى طهره وتطهرهم بالجزم جوابا للأمر ولم يقرأ وتزكيهم إلا بإثبات الياء والتاء في تطهرهم للخطاب أو لغيبة المؤنث والتزكية مبالغة في التطهير وزيادة فيه أو بمعنى الإنماء والبركة في المال (وصل عليهم) واعطف عليهم بالدعاء لهم وترحم والسنة أن يدعو المصدق لصاحب الصدقة إذا أخذها وعن الشافعي رحمه الله أحب أن يقول الوالي عند أخذ الصدقة آجرك الله فيما أعطيت وجعله لك طهورا وبارك لك فيما أبقيت * وقرئ إن صلوتك على التوحيد (سكن لهم) يسكنون إليه وتطمئن قلوبهم بأن الله قد تاب عليهم (والله سميع) يسمع اعترافهم بذنوبهم ودعاءهم (عليم) بما في ضمائرهم من الغم والندم لما فرط منهم * قرئ (ألم يعلموا) بالياء والتاء وفيه وجهان أحدهما أن يراد المتوب عليهم يعني ألم يعلموا قبل أن يتاب عليهم وتقبل صدقاتهم (أن الله هو يقبل التوبة) إذا صحت ويقبل الصدقات إذا صدرت عن خلوص النية وهو للتخصيص والتأكيد وأن الله تعالى من شأنه قبول توبة التائبين وقيل معنى التخصيص فيه هو أن ذلك ليس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما الله سبحانه هو الذي يقبل التوبة ويردها فاقصدوه بها ووجهوها إليه (وقل) لهؤلاء التائبين (اعملوا) فإن عملكم لا يخفى خيرا كان أو شرا على الله وعباده كما رأيتم وتبين لكم والثاني أن يراد غير التائبين ترغيبا لهم في التوبة فقد روي أنهم لما تيب عليهم قال الذين لم يتوبوا هؤلاء الذين تابوا كانوا بالأمس معنا لا يكلمون ولا يجالسون فما لهم فنزلت (فإن قلت) فما معنى قوله ويأخذ الصدقات (قلت) هو مجاز عن قبوله لها وعن ابن مسعود رضي الله عنه إن الصدقة تقع في يد الله تعالى قبل أن تقع في يد السائل والمعنى أنه يتقبلها ويضاعف عليها وقوله (فسيرى الله) وعيد لهم وتحذير من عاقبة الإصرار والذهول عن التوبة * قرئ مرجون ومرجؤون من أرجيته وأرجأته إذا أخرته ومنه المرجئة يعني وآخرون من المتخلفين موقوف أمرهم (إما يعذبهم) إن بقوا على الإصرار ولم يتوبوا (وإما يتوب عليهم) إن تابوا وهم ثلاثة كعب بن مالك وهلال بن أمية ومرارة بن الربيع أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه أن لا يسلموا عليهم ولا يكلموهم ولم يفعلوا كما فعل أبو لبابة وأصحابه من شد أنفسهم على السواري وإظهار الجزع والغم فلما علموا أن أحدا لا ينظر إليهم فوضوا أمرهم إلى الله تعالى وأخلصوا نياتهم ونصحت توبتهم فرحمهم الله (والله عليم حكيم) وفي قراءة عبد الله غفور رحيم وإما للعباد أي خافوا عليهم العذاب وارجوا لهم الرحمة * في مصاحف أهل المدينة والشام الذين اتخذوا بغير واو لأنها قصة على حيالها وفي سائرها بالواو على عطف قصة مسجد الضرار الذي أحدثه المنافقون على سائر قصصهم روي أن بني عمرو بن عوف لما بنوا مسجد قباء بعثوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأتيهم فأتاهم فصلى فيه فحسدتهم إخوتهم بنو غنم بن عوف وقالوا نبني مسجدا ونرسل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي فيه ويصلي فيه أبو عامر الراهب إذا قدم من الشام ليثبت لهم الفضل والزيادة على إخوتهم وهو الذي سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم الفاسق وقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد لا أجد قوما يقاتلونك إلا قاتلتك معهم فلم يزل يقاتله إلى يوم حنين فلما انهزمت هوازن خرج هاربا إلى الشام وأرسل إلى المنافقين أن استعدوا بما استطعتم من قوة وسلاح فإني ذاهب إلى قيصر وآت بجنود ومخرج محمدا وأصحابه من المدينة فبنوا مسجدا بجنب مسجد قباء وقالوا للنبي صلى الله عليه وسلم بنينا مسجدا لذي العلة والحاجة والليلة المطيرة والشاتية ونحن نحب أن تصلي لنا فيه وتدعو لنا بالبركة فقال صلى الله عليه وسلم إني على جناح سفر وحال شغل وإذا قدمنا إن شاء الله صلينا فيه فلما قفل من غزوة تبوك سألوه إتيان المسجد فنزلت عليه فدعا بمالك بن الدخشم ومعن بن عدي وعامر بن السكن ووحشي قاتل حمزة فقال لهم انطلقوا إلى هذا المسجد الظالم أهله فاهدموه وأحرقوه ففعل وأمر أن يتخذ مكانه كناسة تلقى فيها الجيف

أن يتوب عليهم إن الله غفور رحيم خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم إن صلوتك سكن لهم والله سميع عليم ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات وأن الله هو التواب الرحيم وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون وآخرون مرجون لأمر الله إما يعذبهم وإما يتوب عليهم والله عليم حكيم والذين اتخذوا مسجدا

قوله وإما للعباد كتب عليه يعني أن الشك وهو لا يجوز على الله فهو إلى العباد كما في أو يزيدون وأصل في أمثاله يتذكر اه كتبه المصحح

والقمامة ومات أبو عامر بالشام بقنسرين (ضرارا) مضارة لإخوانهم أصحاب مسجد قباء ومعازة (وكفرا) وتقوية للنفاق (وتفريقا بين المؤمنين) لأنهم كانوا يصلون مجتمعين في مسجد قباء فيغتص بهم فأرادوا أن يتفرقوا عنه وتختلف كلمتهم (وإرصادا) وإعدادا لأجل (من حارب الله ورسوله) وهو الراهب أعدوه له ليصلي فيه ويظهر على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل كل مسجد بني مباهاة أو رياء وسمعة أو لغرض سوى ابتغاء وجه الله أو بمال غير طيب فهو لاحق بمسجد الضرار وعن شقيق أنه لم يدرك الصلاة في مسجد بني عامر فقيل له مسجد بني فلان لم يصلوا فيه بعد فقال لا أحب أن أصلي فيه فإنه بني على ضرار وكل مسجد بني على ضرار أو رياء أو سمعة فإن أصله ينتهي إلى المسجد الذي بني ضرارا وعن عطاء لما فتح الله تعالى الأمصار على يد عمر رضي الله عنه أمر المسلمين أن يبنوا المساجد وأن لا يتخذوا في مدينة مسجدين يضار أحدهما صاحبه (فإن قلت) والذين اتخذوا ما محله من الإعراب (قلت) محله النصب على الاختصاص كقوله والمقيمين الصلاة وقيل هو مبتدأ خبره محذوف معناه وفيمن وصفنا الذين اتخذوا كقوله والسارق والسارقة (فإن قلت) بم يتصل قوله (من قبل) (قلت) باتخذوا أي اتخذوا مسجدا من قبل أن ينافق هؤلاء بالتخلف (إن أردنا) ما أردنا ببناء هذا المسجد (إلا) الخصلة (الحسنى) أو الإرادة الحسنى وهي الصلاة وذكر الله والتوسعة على المصلين (لمسجد أسس على التقوى) قيل هو مسجد قباء أسسه رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلى فيه أيام مقامه بقباء وهي يوم الاثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس وخرج يوم الجمعة وهو أولى لأن الموازنة بين مسجدي قباء أوقع وقيل هو مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة وعن أبي سعيد الخدري سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المسجد الذي أسس على التقوى فأخذ حصباء فضرب بها الأرض وقال هو مسجدكم هذا مسجد المدينة (من أول يوم) من أول يوم من أيام وجوده (فيه رجال يحبون أن يتطهروا) قيل لما نزلت مشى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه المهاجرون حتى وقف على باب مسجد قباء فإذا الأنصار جلوس فقال أمؤمنون أنتم فسكت القوم ثم أعادها فقال عمر يا رسول الله إنهم لمؤمنون وأنا معهم فقال صلى الله عليه وسلم أترضون بالقضاء قالوا نعم قال أتصبرون على البلاء قالوا نعم قال أتشكرون في الرخاء قالوا نعم قال صلى الله عليه وسلم مؤمنون ورب الكعبة فجلس ثم قال يا معشر الأنصار إن الله عز وجل قد أثنى عليكم فما الذي تصنعون عند الوضوء وعند الغائط فقالوا يا رسول الله نتبع الغائط الأحجار الثلاثة ثم نتبع الأحجار الماء فتلا النبي صلى الله عليه وسلم رجال يحبون أن يتطهروا وقرئ أن يطهروا بالإدغام وقيل هو عام في التطهر من النجاسات كلها وقيل كانوا لا ينامون الليل على الجنابة ويتبعون الماء أثر البول وعن الحسن هو التطهر من الذنوب بالتوبة وقيل يحبون أن يتطهروا بالحمى المكفرة لذنوبهم فحموا عن آخرهم (فإن قلت) ما معنى المحبتين (قلت) محبتهم للتطهر أنهم يؤثرونه ويحرصون عليه حرص المحب للشيء المشتهى له على إيثاره ومحبة الله تعالى إياهم أنه يرضى عنهم ويحسن إليهم كما يفعل المحب بمحبوبه وقرئ أسس بنيانه وأسس بنيانه على البناء للفاعل والمفعول وأسس بنيانه جمع أساس على الإضافة وأساس بنيانه بالفتح والكسر جمع أس وأساس بنيانه على أفعال جمع أس أيضا وأس بنيانه والمعنى أفمن أسس بنيان دينه على قاعدة قوية محكمة وهي الحق الذي هو تقوى الله ورضوانه (خير أم من) أسسه على قاعدة هي أضعف القواعد وأرخاها وأقلها بقاء وهو الباطل والنفاق الذي مثله مثل (شفا جرف هار) في قلة الثبات والاستمساك وضع شفا الجرف في مقابلة التقوى لأنه جعل مجازا عما ينافي التقوى (فإن قلت) فما معنى قوله (فانهار به في نار جهنم) (قلت) لما جعل الجرف الهار مجازا عن الباطل قيل فانهار به في نار جهنم على معنى فطاح به الباطل في نار جهنم إلا أنه رشح المجاز فجيء بلفظ الانهيار الذي هو للجرف وليصور أن المبطل كأنه أسس بنيانا على شفا جرف من أودية جهنم فانهار به ذلك الجرف فهوى في قعرها والشفا الحرف والشفير وجرف الوادي جانبه الذي يتحفر أصله بالماء وتجرفه السيول فيبقى واهيا والهار الهائر وهو المتصدع الذي أشفى على التهدم والسقوط ووزنه فعل قصر عن فاعل كخلف من خالف ونظيره شاك وصات في شائك

ضرارا وكفرا وتفريقا بين المؤمنين وإرصادا لمن حارب الله ورسوله من قبل وليحلفن إن أردنا إلا الحسنى والله يشهد إنهم لكاذبون لا تقم فيه أبدا لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير أم من أسس بنيانه على شفا جرف هار فانهار به في نار جهنم والله لا يهدي القوم الظالمين

وصائت

لا يزال بنيانهم الذى بنوا ريبة فى قلوبهم الا أن تقطع قلوبهم والله عليم حكيم ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا فى التوراة والانجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله وبشر المؤمنين

وصانت وألفه ليست بألف فاعل انما هي عينه وأصله هور وشوك وصوت ولا ترى أبلغ من هذا الكلام ولا أدل على حقيقة الباطل وكنه أمره * وقرئ جرف بسكون الراء (فان قلت) فما وجه ما روى سيبويه عن عيسى بن عمر على تقوى من الله بالتنوين (قلت) قد جعل الالف للالحاق لا للتأنيث كتترى فيمن نون ألحقها بجعفر وفى مصحف أبى فانهارت به قواعده وقيل حفرت بقعة من مسجد الضرار فرؤى الدخان يخرج منه وروى أن مجمع بن جارية كان امامهم فى مسجد الضرار فكلم بنو عمرو بن عوف أصحاب مسجد قباء عمر بن الخطاب فى خلافته أن يأذن لمجمع فيؤمهم فى مسجدهم فقال لا ولا نعمة عين أليس بامام مسجد الضرار فقال يا أمير المؤمنين لا تعجل على فوالله لقد صليت بهم والله يعلم أنى لا أعلم ما أضمروا فيه ولو علمت ما صليت معهم فيه كنت غلاما قارئا للقرآن وكانوا شيوخا لا يقرؤن من القرآن شيئا فعذره وصدقه وأمره بالصلاة بقومه * ريبة شكا فى الدين ونفاقا وكان القوم منافقين وانما حملهم على بناء ذلك المسجد كفرهم ونفاقهم كما قال عز وجل ضرارا وكفرا فلما هدمه رسول الله صلى الله عليه وسلم ازدادوا لما غاظهم من ذلك وعظم عليهم تصميما على النفاق ومقتا للاسلام فمعنى قوله (لا يزال بنيانهم الذى بنوا ريبة فى قلوبهم) لا يزال هدمه سبب شك ونفاق زائد على شكهم ونفاقهم لا يزول وسمه عن قلوبهم ولا يضمحل أثره (الا أن تقطع قلوبهم) قطعا وتفرق أجزاء فحينئذ يسلون عنه وأما ما دامت سالمة مجتمعة فالريبة باقية فيها متمكنة فيجوز أن يكون ذكر التقطيع تصويرا لحال زوال الريبة عنها ويجوز أن يراد حقيقة تقطيعها وما هو كائن منه بقتلهم أو فى القبور أو فى النار وقرئ يقطع بالياء وتقطع بالتخفيف وتقطع بفتح التاء بمعنى تتقطع وتقطع قلوبهم على أن الخطاب للرسول أى الا أن تقطع أنت قلوبهم بقتلهم وقرأ الحسن الى أن وفى قراءة عبد الله ولو قطعت قلوبهم وعن طلحة ولو قطعت قلوبهم على خطاب الرسول أو كل مخاطب وقيل معناه الا أن يتوبوا توبة تتقطع بها قلوبهم ندما وأسفا على تفريطهم * مثل الله اثابتهم بالجنة على بذلهم أنفسهم وأموالهم فى سبيله بالشروى وروى تاجرهم فأغلى لهم الثمن وعن عمر رضى الله عنه جعل لهم الصفقتين جميعا وعن الحسن أنفسا هو خلقها وأموالا هو رزقها وروى أن الانصار حين بايعوه على العقبة قال عبد الله بن رواحة اشترط لربك ولنفسك ما شئت قال أشترط لربى أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا وأشترط لنفسى أن تمنعونى مما تمنعون منه أنفسكم قال فاذا فعلنا ذلك فما لنا قال لكم الجنة قالوا ربح البيع لا نقيل ولا نستقيل ومر برسول الله صلى الله عليه وسلم أعرابى وهو يقرؤها فقال كلام من قال كلام الله قال بيع والله مربح لا نقيله ولا نستقيله فخرج الى الغزو واستشهد (يقاتلون) فيه معنى الامر كقوله تجاهدون فى سبيل الله بأموالكم وأنفسكم * وقرئ يقتلون ويقتلون على بناء الاول للفاعل والثانى للمفعول وعلى العكس (وعدا) مصدر مؤكد أخبر بأن هذا الوعد الذى وعده للمجاهدين فى سبيله وعد ثابت قد أثبته (فى التوراة والانجيل) كما أثبته فى القرآن ثم قال (ومن أوفى بعهده من الله) لأن اخلاف الميعاد قبيح لا يقدم عليه الكرام من الخلق مع جوازه عليهم لحاجتهم فكيف بالغنى الذى لا يجوز عليه القبيح قط ولا ترى ترغيبا فى الجهاد أحسن منه وأبلغ (التائبون) رفع على المدح أى هم التائبون يعنى المؤمنين المذكورين ويدل عليه قراءة عبد الله وأبى رضى الله عنهما التائبين بالياء الى والحافظين نصبا على المدح ويجوز أن يكون جرا صفة للمؤمنين وجوز الزجاج أن يكون مبتدأ خبره محذوف أى التائبون العابدون من أهل الجنة أيضا وان لم يجاهدوا كقوله وكلا وعد الله الحسنى وقيل هو رفع على البدل من الضمير فى يقاتلون ويجوز أن يكون مبتدأ وخبره العابدون وما بعده خبر بعد خبر أى التائبون من الكفر على الحقيقة الجامعون لهذه الخصال وعن الحسن هم الذين تابوا من الشرك وتبرؤا من النفاق و(العابدون) الذين عبدوا الله وحده وأخلصوا له العبادة وحرصوا عليها و(السائحون) الصائمون شبهوا بذوى السياحة فى الارض فى امتناعهم من شهواتهم وقيل هم طلبة العلم يسيحون فى الارض يطلبونه فى مظانه * قيل قال صلى الله عليه وسلم لعمه أبى طالب أنت أعظم الناس على حقا وأحسنهم عندى يدا فقل كلمة تجب لك بها شفاعتى فأبى فقال لا أزال أستغفر لك ما لم أنه عنه فنزلت وقيل لما افتتح مكة سأل أى أبويه أحدث

ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم وما كان استغفار ابراهيم لابيه الا عن موعدة وعدها اياه فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه ان ابراهيم لأواه حليم وما كان الله ليضل قوما بعد اذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون ان الله بكل شيء عليم ان الله له ملك السموات والارض يحيي ويميت وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم ثم تاب عليهم انه بهم رؤف رحيم وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى اذا ضاقت عليهم الارض

به عهدا فقيل أمك آمنة فزار قبرها بالابواء ثم قام مستعبرا فقال اني استأذنت ربي في زيارة قبر أمي فأذن لي واستأذنته في الاستغفار لها فلم يأذن لي فنزلت وهذا أصح لان موت أبي طالب كان قبل الهجرة وهذا آخر ما نزل بالمدينة وقيل استغفر لابيه وقيل قال المسلمون ما يمنعنا أن نستغفر لآبائنا وذوي قرابتنا وقد استغفر ابراهيم لابيه وهذا محمد يستغفر لعمه (ما كان للنبي) ما صح له الاستغفار في حكم الله وحكمته (من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم) لانهم ماتوا على الشرك وقرأ طلحة وما استغفر ابراهيم لابيه وعنه وما يستغفر ابراهيم على حكاية الحال الماضية (الا عن موعدة وعدها اياه) أي وعدها ابراهيم أباه وهو قوله لأستغفرن لك ويدل عليه قراءة الحسن وحماد الراوية وعدها أباه (فان قلت) كيف خفي على ابراهيم أن الاستغفار للكافر غير جائز حتى وعده (قلت) يجوز أن يظن أنه ما دام يرجى منه الايمان جاز الاستغفار له على أن امتناع جواز الاستغفار للكافر انما علم بالوحي لان العقل يجوز أن يغفر الله للكافر ألا ترى الى قوله عليه السلام لعمه لأستغفرن لك ما لم أنه وعن الحسن قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان فلانا يستغفر لآبائه المشركين فقال ونحن نستغفر لهم فنزلت وعن علي رضي الله عنه رأيت رجلا يستغفر لابويه وهما مشركان فقلت له فقال أليس قد استغفر ابراهيم (فان قلت) فما معنى قوله (فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه) (قلت) معناه فلما تبين له من جهة الوحي أنه لن يؤمن وأنه يموت كافرا وانقطع رجاؤه عنه قطع استغفاره فهو كقوله من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم ● أواه فعال من أوه كلأال من اللؤلؤ وهو الذي يكثر التأوه ومعناه أنه لفرط ترحمه ورقته وحلمه كان يتعطف على أبيه الكافر ويستغفر له مع شكاسته عليه وقوله لأرجمنك يعني ما أمر الله باتقائه واجتنابه كالاستغفار للمشركين وغيره مما نهى عنه وبين أنه محظور لا يؤاخذ به عباده الذين هداهم للاسلام ولا يسميهم ضلالا ولا يخذلهم الا اذا قدموا عليه بعد بيان حظره عليهم وعلمهم بأنه واجب الاتقاء والاجتناب وأما قبل العلم والبيان فلا سبيل عليهم كما لا يؤاخذون بشرب الخمر ولا ببيع الصاع بالصاعين قبل التحريم وهذا بيان لعذر من خاف المؤاخذة بالاستغفار للمشركين قبل ورود النهي عنه وفي هذه الآية شديدة ما ينبغي أن يغفل عنها وهي أن المهدي للاسلام اذا أقدم على بعض محظورات الله داخل في حكم الاضلال ● والمراد بما يتقون ما يجب اتقاؤه للنهي فأما ما يعلم بالعقل كالصدق في الخبر ورد الوديعة فغير موقوف على التوقيف (تاب الله على النبي) كقوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر وقوله واستغفر لذنبك وهو بعث للمؤمنين على التوبة وأنه ما من مؤمن الا وهو محتاج الى التوبة والاستغفار حتى النبي والمهاجرون والانصار وابانة لفضل التوبة ومقدارها عند الله وأن صفة التوابين الاوابين صفة الانبياء كما وصفهم بالصالحين ليظهر فضيلة الصلاح وقيل معناه تاب الله عليه من اذنه للمنافقين في التخلف عنه كقوله عفا الله عنك (في ساعة العسرة) في وقتها والساعة مستعملة في معنى الزمان المطلق كما استعملت الغداة والعشية واليوم

● غداة طفت علماء بكر بن وائل ● وكنا حسبنا كل بيضاء شحمة ● عشية قارعنا جذام وحميرا

اذا جاء يوما وارثي يبتغي الغنى ● يجد جمع كف غير ملأى ولا صفرا

والعسرة حالهم في غزوة تبوك كانوا في عسرة من الظهر يعتقب العشرة على بعير واحد وفي عسرة من الزاد تزودوا التمر المدود والشعير المسوس والاهالة الزنخة وبلغت بهم الشدة أن اقتسم التمرة اثنان وربما مصها الجماعة ليشربوا عليها الماء وفي عسرة من الماء حتى نحروا الابل واعتصروا فروثها وفي شدة زمان من حمارة القيظ ومن الجدب والقحط والضيقة الشديدة (كاد يزيغ قلوب فريق منهم) عن الثبات على الايمان أو عن اتباع الرسول في تلك الغزوة والخروج معه وفي كاد ضمير الشأن وشبهه سيبويه بقولهم ليس خلق الله مثله وقرئ تزيغ بالتاء وفي قراءة عبد الله من بعد ما زاغت قلوب فريق منهم يريد المتخلفين من المؤمنين كأبي لبابة وأمثاله (ثم تاب عليهم) تكرير للتوكيد ويجوز أن يكون الضمير للفريق تاب عليهم لكيدودتهم (الثلاثة) كعب بن مالك ومرارة بن الربيع وهلال بن أمية ومعنى (خلفوا) خلفوا عن الغزو وقيل عن أبي لبابة وأصحابه حيث تيب عليهم بعدهم وقرئ خلفوا أي خلفوا الغازين بالمدينة أو فسدوا من الخالفة

● قوله تعالى وما كان الله ليضل قوما بعد اذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون (قال فأما ما يدرك حظره بالعقل الخ) قال أحمد هذا تفريع على قاعدة التحسين والتقبيح وان العقل حاكم والشرع كاشف لما خفي عليه تابع لمقتضاه وهذه القاعدة قد سبق بطلانها في غير ما موضع والله الموفق

وخلوف الفم. وقرأ جعفر الصادق رضي الله عنه خالفوا. وقرأ الأعمش وعلى الثلاثة المخلفين (بما رحبت)
برحبها أي مع سعتها وهو مثل للحيرة في أمرهم كأنهم لا يجدون فيها مكاناً يقرون فيه قلقاً وجزعاً مما هم فيه
(وضاقت عليهم أنفسهم) أي قلوبهم لا يسعها أنس ولا سرور لأنها حرجت من فرط الوحشة والغم (وظنوا)
وعلموا (أن لا ملجأ من) سخط (الله إلا) إلى استغفاره (ثم تاب عليهم ليتوبوا) ثم رجع عليهم بالقبول والرحمة
كرة بعد أخرى ليستقيموا على توبتهم ويثبتوا وليتوبوا أيضاً فيما يستقبل إن فرطت منهم خطيئة علماً منهم
أن الله تواب على من تاب ولو عاد في اليوم مائة مرة. روي أن ناساً من المؤمنين تخلفوا عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم منهم من بدا له وكره مكانه فلحق به. عن الحسن بلغني أنه كان لأحدهم حائط كان خيراً من مائة ألف
درهم فقال يا حائطاه ما خلفني إلا ظلك وانتظار ثمرك اذهب فأنت في سبيل الله ولم يكن لآخر إلا أهله فقال
يا أهلاه ما بطأني ولا خلفني إلا الضن بك لا جرم والله لأكابدن الشدائد حتى ألحق برسول الله فركب ولحق به
ولم يكن لآخر إلا نفسه لا أهل ولا مال فقال يا نفس ما خلفني إلا حب الحياة لك والله لأكابدن الشدائد حتى
ألحق برسول الله فتأبط زاده ولحق به. قال الحسن كذلك والله المؤمن يتوب من ذنوبه ولا يصر عليها. وعن أبي
ذر الغفاري أن بعيره أبطأ به فحمل متاعه على ظهره واتبع أثر رسول الله صلى الله عليه وسلم ماشياً فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لما رأى سواده كن أبا ذر فقال الناس هو ذاك فقال رحم الله أبا ذر يمشي وحده
ويموت وحده ويبعث وحده. وعن أبي خيثمة أنه بلغ بستانه وكانت له امرأة حسناء فرشت له في الظل
وبسطت له الحصير وقربت إليه الرطب والماء البارد فنظر فقال ظل ظليل ورطب يانع وماء بارد وامرأة
حسناء ورسول الله صلى الله عليه وسلم في الضح والريح ما هذا بخير فقام فرحل ناقته وأخذ سيفه ورمحه ومر
كالريح فمد رسول الله صلى الله عليه وسلم طرفه إلى الطريق فإذا براكب يزهاه السراب فقال كن أبا خيثمة
فكانه ففرح به رسول الله صلى الله عليه وسلم واستغفر له. ومنهم من بقي لم يلحق به منهم الثلاثة قال كعب لما
قفل رسول الله صلى الله عليه وسلم سلمت عليه فرد علي كالمغضب بعد ما ذكرني وقال ليت شعري ما خلف كعباً
فقيل له ما خلفه إلا حسن برديه والنظر في عطفيه فقال معاذ والله ما أعلم إلا فضلاً وإسلاماً ونهى عن كلامنا
أيها الثلاثة فتنكر لنا الناس ولم يكلمنا أحد من قريب ولا بعيد فلما مضت أربعون ليلة أمرنا أن نعتزل
نساءنا ولا نقربهن فلما تمت خمسون ليلة إذا أنا بنداء من ذروة سلع أبشر يا كعب بن مالك فخررت ساجداً
وكنت كما وصفني ربي وضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وتتابعت البشارة فلبست
ثوبي وانطلقت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا هو جالس في المسجد وحوله المسلمون فقام إلي طلحة بن
عبيد الله يهرول حتى صافحني وقال لتهنك توبة الله عليك فلن أنساها لطلحة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو يستنير استنارة القمر أبشر يا كعب بخير يوم مر عليك منذ ولدتك أمك ثم تلا علينا الآية. وعن أبي بكر
الوراق أنه سئل عن التوبة النصوح فقال أن تضيق على التائب الأرض بما رحبت وتضيق عليه نفسه كتوبة
كعب بن مالك وصاحبيه (مع الصادقين) وقرئ من الصادقين وهم الذين صدقوا في دين الله نية وقولاً وعملاً
أو الذين صدقوا في إيمانهم ومعاهدتهم لله ورسوله على الطاعة من قوله رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه وقيل
هم الثلاثة أي كونوا مثل هؤلاء في صدقهم وثباتهم وعن ابن عباس رضي الله عنه الخطاب لمن آمن من أهل
الكتاب أي كونوا مع المهاجرين والأنصار ووافقوهم وانتظموا في جملتهم واصدقوا مثل صدقهم وقيل لمن تخلف
من الطلقاء عن غزوة تبوك. وعن ابن مسعود رضي الله عنه لا يصلح الكذب في جد ولا هزل ولا أن يعد أحدكم
صبيه ثم لا ينجزه اقرؤوا إن شئتم وكونوا مع الصادقين فهل فيها من رخصة (ولا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه)
أمروا بأن يصحبوه على البأساء والضراء وأن يكابدوا معه الأهوال برغبة ونشاط واغتباط وأن يلقوا أنفسهم
من الشدائد ما تلقاه نفسه علماً بأنها أعز نفس عند الله وأكرمها عليه فإذا تعرضت مع كرامتها وعزتها للخوض
في شدة وهول وجب على سائر الأنفس أن تتهافت فيما تعرضت له ولا يكترث لها أصحابها ولا يقيموا لها وزناً
وتكون أخف شيء عليهم وأهونه فضلاً عن أن يربؤوا بأنفسهم عن متابعتها ومصاحبتها ويضنوا بها على ما سمح

بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه ثم تاب عليهم ليتوبوا إن الله هو التواب الرحيم يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين ما كان لأهل المدينة ومن حولهم من الأعراب أن يتخلفوا عن رسول الله ولا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه

قوله تعالى وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون (قال معناه أن نفير الكافة لطلب العلم غير ممكن الخ) قال أحمد قوله وما كان المؤمنون لينفروا كافة على التفسير الأول أمر لا نهي وعلى الثاني خبر والمراد به (٥٧٢) النهي لأنه في الأول راجع إلى نفير أهل البوادي إلى المدينة للتفقه وهذا لو أمكن الجميع فعله لكان جائزا أو واجبا وإن لم يمكن وجب على بعضهم القيام عن باقيهم على طريق وجوب الكفاية وأما في الثاني فلأن المؤمنين نفروا من المدينة للجهاد أجمعين وكان ذلك ممكنا بل واقعا فنهوا عن اطراح التفقه بالكلية وأمروا به أمر كفاية والله أعلم • قال أحمد ولا أحدق تأخري عن حضور الغزاة عذرا إلا صرف الهمة لتحرير هذا المصنف في تفقهت في أصل الدين وقواعد العقائد مؤيدا بآيات الكتاب العزيز مع ما اشتمل عليه من صيانة حوزتها من مكايد أهل البدع والأهواء وأنا مع ذلك أرجو من الله حسن التوجه بلغنا الله الخير ووفقنا لما يرضيه وجعل أعمالنا خالصة لوجهه الكريم

ذلك بأنهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة في سبيل الله ولا يطؤن موطئا يغيظ الكفار ولا ينالون من عدو نيلا إلا كتب لهم به عمل صالح إن الله لا يضيع أجر المحسنين ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة ولا يقطعون واديا إلا كتب لهم ليجزيهم الله أحسن ما كانوا يعملون وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين

سببه عليه وهذا نهي بليغ مع تقبيح لأمرهم وتوبيخ لهم عليه وتهييج لمتابعته بأنفة وحمية (ذلك) إشارة إلى ما دل عليه قوله ما كان لهم أن يتخلفوا من وجوب مشايعته كأنه قيل ذلك الوجوب بسبب (أنهم لا يصيبهم) شيء من عطش ولا تعب ولا مجاعة في طريق الجهاد ولا يدوسون مكانا من أمكنة الكفار بحوافر خيولهم وأخفاف رواحلهم وأرجلهم ولا يتصرفون في أرضهم تصرفا يغيظهم ويضيق صدورهم (ولا ينالون من عدو نيلا) ولا يرزؤنهم شيئا بقتل أو أسر أو غنيمة أو هزيمة أو غير ذلك (إلا كتب لهم به عمل صالح) واستوجبوا الثواب ونيل الزلفى عند الله وذلك مما يوجب المشايعة ويجوز أن يراد بالوطء الإيقاع والإبادة لا الوطء بالأقدام والحوافر كقوله عليه السلام آخر وطأة وطئها الله بوج والموطئ إما مصدر كالمورد وإما مكان فإن كان مكانا فمعنى يغيظ الكفار يغيظهم وطؤه والنيل أيضا يجوز أن يكون مصدرا مؤكدا وأن يكون بمعنى المنيل ويقال نال منه إذا رزأه ونقصه وهو عام في كل ما يسوءهم وينكيهم ويلحق بهم ضررا وفيه دليل على أن من قصد خيرا كان سعيه فيه مشكورا من قيام وقعود ومشي وكلام وغير ذلك وكذلك الشر وبهذه الآية استشهد أصحاب أبي حنيفة أن المدد القادم بعد انقضاء الحرب يشارك الجيش في الغنيمة لأن وطء ديارهم مما يغيظهم وينكي فيهم ولقد أسهم النبي صلى الله عليه وسلم لابني عامر وقد قدما بعد تقضي الحرب وأمد أبو بكر الصديق رضي الله عنه المهاجر بن أبي أمية وزياد بن أبي لبيد بعكرمة بن أبي جهل مع خمسمائة نفس فلحقوا بعد ما فتحوا فأسهم لهم وعند الشافعي لا يشارك المدد الغانمين وقرأ عبيد بن عمير ظماء بالمد يقال ظمئ ظماءة وظماء (ولا ينفقون نفقة صغيرة) ولو تمرة ولو علاقة سوط (ولا كبيرة) مثل ما أنفق عثمان رضي الله عنه في جيش العسرة (ولا يقطعون واديا) أي أرضا في ذهابهم ومجيئهم والوادي كل منفرج بين جبال وآكام يكون منفذا للسيل وهو في الأصل فاعل من ودى إذا سال ومنه الودي وقد شاع في استعمال العرب بمعنى الأرض يقولون لا تصل في وادي غيرك (إلا كتب لهم) ذلك من الإنفاق وقطع الوادي ويجوز أن يرجع الضمير فيه إلى عمل صالح وقوله (ليجزيهم) متعلق بكتب أي أثبت في صحائفهم لأجل الجزاء • اللام لتأكيد النفي ومعناه أن نفير الكافة عن أوطانهم لطلب العلم غير صحيح ولا ممكن وفيه أنه لو صح وأمكن ولم يؤد إلى مفسدة لوجب لوجوب التفقه على الكافة ولأن طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة (فلولا نفر) فحين لم يمكن نفير الكافة ولم يكن مصلحة فهلا نفر (من كل فرقة منهم طائفة) أي من كل جماعة كثيرة جماعة قليلة منهم يكفونهم النفير (ليتفقهوا في الدين) ليتكلفوا الفقاهة فيه ويتجشموا المشاق في أخذها وتحصيلها (ولينذروا قومهم) وليجعلوا غرضهم ومرمى همتهم في التفقه إنذار قومهم وإرشادهم والنصيحة لهم لا ما ينتحيه الفقهاء من الأغراض الخسيسة ويؤمونه من المقاصد الركيكة من التصدر والترؤس والتبسط في البلاد والتشبه بالظلمة في ملابسهم ومراكبهم ومنافسة بعضهم بعضا وفشو داء الضرائر بينهم وانقلاب حماليق أحدهم إذا لمح ببصره مدرسة لآخر أو شرذمة جثوا بين يديه وتهالكه على أن يكون موطأ العقب دون الناس كلهم فما أبعد هؤلاء من قوله عز وجل لا يريدون علوا في الأرض ولا فسادا (لعلهم يحذرون) إرادة أن يحذروا الله فيعملوا عملا صالحا ووجه آخر وهو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا بعث بعثا بعد غزوة تبوك وبعد ما أنزل في المتخلفين من الآيات الشداد استبق المؤمنون عن آخرهم إلى النفير وانقطعوا جميعا عن استماع الوحي والتفقه في الدين فأمروا أن ينفر من كل فرقة منهم طائفة إلى الجهاد ويبقى أعقابهم يتفقهون حتى لا ينقطعوا عن التفقه الذي هو الجهاد الأكبر لأن الجدال بالحجة أعظم أثرا من الجلاد بالسيف

* قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة (قال القتال واجب مع كافة الكفرة قريبهم وبعيدهم الخ) قال أحمد يتعين القتال على أحد فريقين اما من نزل بهم عدو وفيهم قوة عليه ثم على من قرب منهم حتى يكتفوا واما من عينهم الامام لذلك وان بعدت بهم الدار واذا أوجب الله على هذه الامة القتال وازعاج العدو من دياره واخراجه من قراره فوجوبه وقد نزل العدو بدار الاسلام أجدر * قوله تعالى واذا ما أنزلت سورة نظر بعضهم الى بعض هل يراكم من (٥٧٣) أحد ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم (قال معناه تغامزوا

يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة واعلموا أن الله مع المتقين واذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه ايمانا فأما الذين آمنوا فزادتهم ايمانا وهم يستبشرون وأما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا الى رجسهم وماتوا وهم كافرون أولا يرون أنهم يفتنون في كل عام مرة أو مرتين ثم لا يتوبون ولا هم يذكرون واذا ما أنزلت سورة نظر بعضهم الى بعض هل يراكم من أحد ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم بأنهم قوم لا يفقهون لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤف رحيم فان تولوا فقل حسبي الله لا اله الا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم

بالسيف وقوله ليتفقهوا الضمير فيه للفرق الباقية بعد الطوائف النافرة من بينهم ولينذروا قومهم ولينذر الفرق الباقية قومهم النافرين اذا رجعوا اليهم بما حصلوا في أيام غيبتهم من العلوم وعلى الأول الضمير للطائفة النافرة الى المدينة للتفقه (يلونكم) يقربون منكم والقتال واجب مع كافة الكفرة قريبهم وبعيدهم ولكن الأقرب فالأقرب أوجب ونظيره وأنذر عشيرتك الأقربين وقد حارب رسول الله صلى الله عليه وسلم قومه ثم غيرهم من عرب الحجاز ثم غزا الشام وقيل هم قريظة والنضير وفدك وخيبر وقيل الروم لأنهم كانوا يسكنون الشام والشام أقرب الى المدينة من العراق وغيره وهكذا المفروض على أهل كل ناحية أن يقاتلوا من وليهم ما لم يضطر اليهم أهل ناحية أخرى وعن ابن عمر رضي الله عنه أنه سئل عن قتال الديلم فقال عليك بالروم * وقرئ غلظة بالحركات الثلاث فالغلظة كالشدة والغلظة كالضغطة والغلظة كالسخطة ونحوه واغلظ عليهم ولا تهنوا وهو يجمع الجرأة والصبر على القتال وشدة العداوة والعنف في القتل والأسر ومنه ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله (مع المتقين) ينصر من اتقاه ولم يترأف على عدوه (فمنهم من يقول) فمن المنافقين من يقول بعضهم لبعض (أيكم زادته هذه) السورة (ايمانا) انكارا واستهزاء بالمؤمنين واعتقادهم زيادة الايمان بزيادة العلم الحاصل بالوحي والعمل به وأيكم مرفوع بالابتداء وقرأ عبيد بن عمير أيكم بالنصب على اضمار فعل يفسره زادته تقديره أيكم زادت زادته هذه ايمانا (فزادتهم ايمانا) لأنها أزيد لليقين والثبات وأثلج للصدر أو فزادتهم عملا فان زيادة العمل زيادة في الايمان لأن الايمان يقع على الاعتقاد والعمل (فزادتهم رجسا الى رجسهم) كفرا مضموما الى كفرهم لأنهم كلما جددوا بتجديد الله الوحي كفرا ونفاقا ازداد كفرهم واستحكم وتضاعف عقابهم * وقرئ أولا يرون بالياء والتاء (يفتنون) يبتلون بالمرض والقحط وغيرهما من بلاء الله ثم لا ينتهون ولا يتوبون عن نفاقهم ولا يذكرون ولا يعتبرون ولا ينظرون في أمرهم أو يبتلون بالجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ويعاينون أمره وما ينزل الله عليه من نصرته وتأييده أو يفتنهم الشيطان فيكذبون وينقضون العهود مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقتلهم وينكل بهم ثم لا ينزجرون (نظر بعضهم الى بعض) تغامزوا بالعيون انكارا للوحي وسخرية به قائلين (هل يراكم من أحد) من المسلمين لننصرف فانا لا نصبر على استماعه ويغلبنا الضحك فنخاف الافتضاح بينهم أو ترامقوا يتشاورون في تدبير الخروج والانسلال لواذا يقولون هل يراكم من أحد وقيل معناه واذا ما أنزلت سورة في عيب المنافقين (صرف الله قلوبهم) دعاء عليهم بالخذلان وبصرف قلوبهم عما في قلوب أهل الايمان من الانشراح (بأنهم) بسبب أنهم (قوم لا يفقهون) لا يتدبرون حتى يفقهوا (من أنفسكم) من جنسكم ومن نسبكم عربي قرشي مثلكم ثم ذكر ما يتبع المجانسة والمناسبة من النتائج بقوله (عزيز عليه ما عنتم) أي شديد عليه شاق لكونه بعضا منكم عنتكم ولقاؤكم المكروه فهو يخاف عليكم سوء العاقبة والوقوع في العذاب (حريص عليكم) حتى لا يخرج أحد منكم عن اتباعه والاستسعاد بدين الحق الذي جاء به (بالمؤمنين) منكم ومن غيركم (رؤف رحيم) * وقرئ من أنفسكم أي من أشرفكم وأفضلكم وقيل هي قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم وفاطمة وعائشة رضي الله عنهما وقيل لم يجمع الله اسمين من أسمائه لأحد غير رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله رؤف رحيم (فان تولوا) فان اعرضوا عن الايمان بك وناصبوك فاستعن بالله وفوض اليه فهو كافيك معرتهم ولا يضرونك وهو ناصرك عليهم

بالعيون انكارا للوحي الخ) قال أحمد يحتمل الدعاء كما فسره ويحتمل الاخبار بأن الله صرف قلوبهم أي منعها من تلقي الحق بالقبول ولكن الزمخشري يفر من جعله خبرا لأن صرف القلوب عن الحق لا يجوز على الله تعالى عنده بناء على قاعدة الصلاح والأصلح ولا يزال يؤول الظاهر اذا اقتضى ذلك كما مر له في قوله ختم الله على قلوبهم فلما احتملت هذه الآية الدعاء والخبر على حد سواء تعين عنده جعله دعاء ثم في هذا الدعاء مناسبة للفعل الصادر منهم وهو الانصراف كقوله وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم وكقوله ويتربصون بكم الدوائر عليهم دائرة السوء

*وقرئ العظيم بالرفع وعن ابن عباس رضي الله عنه العرش لا يقدر أحد قدره وعن أبي بن كعب آخر آية نزلت لقد جاءكم رسول من أنفسكم وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما نزل علي القرآن الا آية آية وحرفا حرفا ما خلا سورة براءة وقل هو الله أحد فانهما أنزلتا علي ومعهما سبعون ألف صف من الملائكة

﴿سورة يونس مكية وهي مائة وتسع آيات﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(الر) تعديد للحروف على طريق التحدي و(تلك آيات الكتاب) اشارة الى ما تضمنته السورة من الآيات والكتاب السورة و(الحكيم) ذو الحكمة لاشتماله عليها ونطقه بها أو وصف بصفة محدثه قال الاعشى

وغريبة تأتي الملوك حكيمة * قد قلتها ليقال من ذا قالها

* الهمزة لانكار التعجب والتعجيب منه و(أن أوحينا) اسم كان وعجبا خبرها وقرأ ابن مسعود عجب فجعله اسما وهو نكرة وأن أوحينا خبرا وهو معرفة كقوله * يكون مزاجها عسل وماء * والاجود أن تكون كان تامة وأن أوحينا بدلا من عجب (فان قلت) فما معنى اللام في قوله أكان للناس عجبا وما الفرق بينه وبين قولك أكان عند الناس عجبا (قلت) معناه أنهم جعلوه لهم أعجوبة يتعجبون منها ونصبوه علما لهم يوجهون نحوه استهزاءهم وانكارهم وليس في عند الناس هذا المعنى والذي تعجبوا منه أن يوحى الى بشر وأن يكون رجلا من أفناء رجالهم دون عظيم من عظمائهم فقد كانوا يقولون العجب أن الله لم يجد رسولا يرسله الى الناس الا يتيم أبي طالب وأن يذكر لهم البعث وينذر بالنار ويبشر بالجنة وكل واحد من هذه الامور ليس بعجب لان الرسل المبعوثين الى الامم لم يكونوا الا بشرا مثلهم وقال الله تعالى قل لو كان في الارض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا وارسال الفقير أو اليتيم ليس بعجب أيضا لان الله تعالى انما يختار من استحق الاختيار لجمعه أسباب الاستقلال بما اختير له من النبوة والغنى والتقدم في الدنيا ليس من تلك الاسباب في شيء وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى والبعث للجزاء على الخير والشر هو الحكمة العظمى فكيف يكون عجبا انما العجب العجيب والمنكر في العقول تعطيل الجزاء (أن أنذر الناس) أن هي المفسرة لان الايحاء فيه معنى القول ويجوز أن تكون المخففة من الثقيلة وأصله أنه أنذر الناس على معنى ان الشأن قولنا أنذر الناس و(أن لهم) الباء معه محذوف (قدم صدق عند ربهم) أي سابقة وفضلا ومنزلة رفيعة (فان قلت) لم سميت السابقة قدما (قلت) لما كان السعي والسبق بالقدم سميت المسعاة الجميلة والسابقة قدما كما سميت النعمة يدا لانها تعطى باليد وباعا لان صاحبها يبوع بها فقيل لفلان قدم في الخير واضافته الى صدق دلالة على زيادة فضل وأنه من السوابق العظيمة وقيل مقام صدق (ان هذا) ان هذا الكتاب وما جاء به محمد (لسحر) ومن قرأ لساحر فهذا اشارة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو دليل عجزهم واعترافهم به وان كانوا كاذبين في تسميته سحرا وفي قراءة أبي ما هذا الا سحر (يدبر) يقضي ويقدر على حسب مقتضى الحكمة ويفعل ما يفعل المتحري للصواب الناظر في أدبار الامور وعواقبها لئلا يلقاه ما يكره آخرا و(الامر) أمر الخلق كله وأمر ملكوت السموات والارض والعرش (فان قلت) ما موقع هذه الجملة (قلت) قد دل بالجملة قبلها على عظمة شأنه وملكه بخلق السموات والارض مع بسطتها واتساعها في وقت يسير وبالاستواء على العرش وأتبعها هذه الجملة لزيادة الدلالة على العظمة وأنه لا يخرج أمر من الامور من قضائه وتقديره وكذلك قوله (ما من شفيع الا من بعد اذنه) دليل على العزة والكبرياء كقوله يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون الا من أذن له الرحمن و(ذلكم) اشارة الى المعلوم بتلك العظمة أي ذلك العظيم الموصوف بما وصف به هو (ربكم) وهو الذي يستحق منكم العبادة (فاعبدوه) وحده ولا تشركوا به بعض خلقه من ملك أو انسان فضلا عن جماد لا يضر ولا ينفع (أفلا تذكرون) فان أدنى التفكر والنظر ينبهكم على الخطإ فيما أنتم عليه (اليه مرجعكم جميعا) أي لا ترجعون في العاقبة الا اليه فاستعدوا للقائه (وعد الله) مصدر مؤكد لقوله اليه مرجعكم

وحقا

﴿سورة يونس مكية وهي مائة وتسع آيات﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الر تلك آيات الكتاب الحكيم أكان للناس عجبا أن أوحينا الى رجل منهم أن أنذر الناس وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق عند ربهم قال الكافرون ان هذا لسحر مبين ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض في ستة أيام ثم استوى على العرش يدبر الامر ما من شفيع الا من بعد اذنه ذلكم الله ربكم فاعبدوه أفلا تذكرون اليه مرجعكم جميعا وعد الله

(القول في سورة يونس)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

*قوله تعالى وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق عند ربهم (قال أي سابقة وفضلا ومنزلة رفيعة الخ) قال أحمد ولم يرد في سابقة السوء تسميتها قدما اما لان المجاز لا يطرد واما أن يكون مطردا ولكن غلب العرف على قصرها كما يغلب في الحقيقة والله أعلم

* قوله تعالى ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بايمانهم تجرى من تحتهم الانهار فى جنات النعيم (قال معناه يسددهم بسبب ايمانهم للاستقامة الخ) قال أحمد هو يقرر بذلك زعمه فى أن شرط دخول الجنة العمل الصالح وان من لم يعمل مخلد فى النار كالكافر وانى له ذلك وقد جعل الله سبب الهداية الى الجنة مطلق الايمان فقال يهديهم ربهم بايمانهم وقول (٥٧٥) الزمخشرى ان المراد اضافة العمل

حقا انه يبدؤ الخلق ثم يعيده ليجزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط والذين كفروا لهم شراب من حميم وعذاب أليم بما كانوا يكفرون هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ما خلق الله ذلك الا بالحق يفصل الآيات لقوم يعلمون ان فى اختلاف الليل والنهار وما خلق الله فى السموات والارض لآيات لقوم يتقون ان الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها والذين هم عن آياتنا غافلون أولئك مأواهم النار بما كانوا يكسبون ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بايمانهم تجرى من تحتهم الانهار فى جنات النعيم دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين

و(حقا) مصدر مؤكد لقوله وعد الله (انه يبدؤ الخلق ثم يعيده) استئناف معناه التعليل لوجوب المرجع اليه وهو أن الغرض ومقتضى الحكمة بابتداء الخلق واعادته هو جزاء المكلفين على أعمالهم وقرئ أنه يبدؤ الخلق بمعنى لانه أو هو منصوب بالفعل الذى نصب وعد الله أى وعد الله وعد بدء الخلق ثم اعادته والمعنى اعادة الخلق بعد بدئه * وقرئ وعد الله على لفظ الفعل ويبدئ من أبدأ ويجوز أن يكون مرفوعا بما نصب حقا أى حق حقا بدء الخلق كقوله

أحقا عباد الله أن لست جائيا * ولا ذاهبا الا على رقيب

* وقرئ حق أنه يبدؤ الخلق كقولك حق أن زيدا منطلق (بالقسط) بالعدل وهو متعلق بيجزى والمعنى ليجزيهم بقسطه ويوفيهم أجورهم أو بقسطهم وبما أقسطوا وعدلوا ولم يظلموا حين آمنوا وعملوا صالحا لان الشرك ظلم قال الله تعالى ان الشرك لظلم عظيم والعصاة ظلام لانفسهم وهذا أوجه لمقابلة قوله بما كانوا يكفرون * الياء فى (ضياء) منقلبة عن واو ضوء لكسرة ما قبلها وقرئ ضئاء بهمزتين بينهما ألف على القلب بتقديم اللام على العين كما قيل فى عاقة والضياء أقوى من النور (وقدره) وقدر القمر والمعنى وقدر مسيره (منازل) أو قدره ذا منازل كقوله تعالى والقمر قدرناه منازل (والحساب) وحساب الاوقات من الشهور والايام والليالى (ذلك) اشارة الى المذكور أى ما خلقه الا ملتبسا بالحق الذى هو الحكمة البالغة ولم يخلقه عبثا * وقرئ يفصل بالياء * وخص المتقين لانهم يحذرون العاقبة فيدعوهم الحذر الى النظر والتدبر (لا يرجون لقاءنا) لا يتوقعونه أصلا ولا يخطرونه ببالهم لغفلتهم المستولية عليهم المذهلة باللذات وحب العاجل عن التفطن للحقائق أو لا يأملون حسن لقائنا كما يأمله السعداء أو لا يخافون سوء لقائنا الذى يجب أن يخاف (ورضوا بالحياة الدنيا) من الآخرة وآثروا القليل الفانى على الكثير الباقى كقوله تعالى أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة (واطمأنوا بها) وسكنوا فيها سكون من لا يزعج عنها فبنوا شديدا وأملوا بعيدا (يهديهم ربهم بايمانهم) يسددهم بسبب ايمانهم للاستقامة على سلوك السبيل المؤدى الى الثواب ولذلك جعل (تجرى من تحتهم الانهار) بيانا له وتفسيرا لان التمسك بسبب السعادة كالوصول اليها ويجوز أن يريد يهديهم فى الآخرة بنور ايمانهم الى طريق الجنة كقوله تعالى يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم ومنه الحديث ان المؤمن اذا خرج من قبره صور له عمله فى صورة حسنة فيقول له أنا عملك فيكون له نورا وقائدا الى الجنة والكافر اذا خرج من قبره صور له عمله فى صورة سيئة فيقول له أنا عملك فينطلق به حتى يدخله النار (فان قلت) فلقد دلت هذه الآية على أن الايمان الذى يستحق به العبد الهداية والتوفيق والنور يوم القيامة هو ايمان مقيد وهو الايمان المقرون بالعمل الصالح والايمان الذى لم يقترن بالعمل الصالح فصاحبه لا توفيق له ولا نور (قلت) الامر كذلك ألا ترى كيف أوقع الصلة مجموعا فيها بين الايمان والعمل كأنه قال ان الذين جمعوا بين الايمان والعمل الصالح ثم قال بايمانهم أى بايمانهم هذا المضموم اليه العمل الصالح وهو بين واضح لا شبهة فيه (دعواهم) دعاؤهم لان اللهم نداء لله ومعناه اللهم انا نسبحك كقول القانت فى دعاء القنوت اللهم اياك نعبد ولك نصلى ونسجد ويجوز أن يراد بالدعاء العبادة وأعتزلكم وما تدعون من دون الله على معنى أن لا تكليف فى الجنة ولا عبادة وما عبادتهم الا أن يسبحوا الله ويحمدوه وذلك ليس بعبادة انما يلهمونه فينطقون به تلذذا بلا كلفة كقوله تعالى وما كان صلاتهم عند البيت الا مكاء وتصدية (وآخر دعواهم) وخاتمة دعائهم الذى هو التسبيح (أن) يقولوا (الحمد لله رب العالمين) * ومعنى وتحيتهم فيها سلام أن بعضهم يحيى بعضا

لا ينتهض عن حيز الدعوى فان الله تعالى علق بغير الايمان وان جرى لغيره ذكر أولا فلا يلزم اندراجه تاليا ولا مجموع فيه وشبهته ان الايمان المحمول حينا مضاف الى ضمير الصالحين فيلزم أخذ الصلاح قيدا فى السبب وهو ممنوع فان الضمير انما يعود على الذوات لا باعتبار الصفات وقد تقدمت لهذه المباحثة أمثال وأشكال والله الموفق

* قوله تعالى ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير الآية قال أحمد وهذا أيضاً من تنبيهات الزمخشري الحسنة التي تقوم على دقة نظره شاهدة وبينة ولا يكاد وضع المصدر مؤكداً أو مقارناً لغير فعله في الكتاب العزيز يخلو من مثل هذه الفائدة الجليلة وأغلب غاياتهم أن يقولوا في قوله تعالى والله أنبتكم من الارض نباتاً انه أجرى المصدر على الفعل مقدراً عدم الزيادة أو هذا المصدر لفعل دل عليه المذكور تقديره فنبتم نباتاً ولا يزيدون على ذلك وإذا أمعن الفطن في بحثه وناجى فكرته هل قرن المصدر في كتاب الله بغير فعله لفائدة أو لا تسور لطف النظر على مثل هذه الفوائد العلية من أشباه هذه الفائدة والله أعلم في اقتران قوله نباتاً بقوله أنبتكم لتنبيه على سرعة نفوذ القدرة في المقدور وسرعة امضاء حكمها حتى كأن

ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير لقضي إليهم أجلهم فنذر الذين لا يرجون لقاءنا في طغيانهم يعمهون وإذا مس الانسان الضر دعانا لجنبه أو قاعداً أو قائماً فلما كشفنا عنه ضره مر كأن لم يدعنا إلى ضر مسه كذلك زين للمسرفين ما كانوا يعملون ولقد أهلكنا القرون من قبلكم لما ظلموا وجاءتهم رسلهم بالبينات وما كانوا ليؤمنوا كذلك نجزي القوم المجرمين ثم جعلناكم خلائف في الارض من بعدهم لننظر كيف تعملون وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا

بالسلام وقيل هي تحية الملائكة إياهم اضافة للمصدر إلى المفعول وقيل تحية الله لهم وأن هي المخففة من الثقيلة وأصله أنه الحمد لله على أن الضمير للشأن كقوله * أن هالك كل من يحفى وينتعل * وقرئ أن الحمد لله بالتشديد ونصب الحمد * أصله (ولو يعجل الله للناس الشر) تعجيله لهم الخير فوضع (استعجالهم بالخير) موضع تعجيله لهم الخير إشعاراً بسرعة إجابته لهم وإسعافه بطلبتهم حتى كأن استعجالهم بالخير تعجيل لهم والمراد أهل مكة وقولهم فأمطر علينا حجارة من السماء يعني ولو عجلنا لهم الشر الذي دعوا به كما نعجل لهم الخير ونجيبهم إليه (لقضي إليهم أجلهم) لأميتوا وأهلكوا وقرئ لقضى إليهم أجلهم على البناء للفاعل وهو الله عز وجل وتنصره قراءة عبد الله لقضينا إليهم أجلهم (فإن قلت) فكيف اتصل به قوله (فنذر الذين لا يرجون لقاءنا) وما معناه (قلت) قوله ولو يعجل الله متضمن معنى نفي التعجيل كأنه قيل ولا نعجل لهم الشر ولا نقضي إليهم أجلهم فنذرهم (في طغيانهم) أي فنمهلهم ونفيض عليهم النعمة مع طغيانهم إلزاماً للحجة عليهم (لجنبه) في موضع الحال بدليل عطف الحالين عليه أي دعانا مضطجعاً (أو قاعداً أو قائماً) (فإن قلت) فما فائدة ذكر هذه الأحوال (قلت) معناه أن المضرور لا يزال داعياً لا يفتر عن الدعاء حتى يزول عنه الضر فهو يدعونا في حالاته كلها كان مضطجعاً عاجز النهض متخاذل النوء أو كان قاعداً لا يقدر على القيام أو كان قائماً لا يطيق المشي والمضطرب إلى أن يخف كل الخفة ويرزق الصحة بكمالها والمسحة بتمامها ويجوز أن يراد أن من المضرورين من هو أشد حالاً وهو صاحب الفراش ومنهم من هو أخف وهو القادر على القعود ومنهم المستطيع للقيام وكلهم لا يستغنون عن الدعاء واستدفاع البلاء لأن الانسان للجنس (مر) أي مضى على طريقته الأولى قبل مس الضر ونسي حال الجهد أو مر عن موقف الابتهال والتضرع لا يرجع إليه كأنه لا عهد له به (كأن لم يدعنا) كأنه لم يدعنا فخفف وحذف ضمير الشأن قال * كأن ثدياه حقان * (كذلك) مثل ذلك التزيين (زين للمسرفين) زين الشيطان بوسوسته أو الله بخذلانه وتخليته ما كانوا يعملون من الاعراض عن الذكر واتباع الشهوات (لما) ظرف لأهلكنا والواو في (وجاءتهم) للحال أي ظلموا بالتكذيب وقد جاءتهم رسلهم بالحجج والشواهد على صدقهم وهي المعجزات وقوله (وما كانوا ليؤمنوا) يجوز أن يكون عطفاً على ظلموا وأن يكون اعتراضاً واللام لتأكيد النفي يعني وما كانوا يؤمنون حقاً تأكيداً لنفي إيمانهم وأن الله قد علم منهم أنهم يصرون على كفرهم وأن الإيمان مستبعد منهم والمعنى أن السبب في إهلاكهم تكذيبهم الرسل وعلم الله أنه لا فائدة في إمهالهم بعد أن ألزموا الحجة ببعثة الرسل (كذلك) مثل ذلك الجزاء يعني الإهلاك (نجزي) كل مجرم وهو وعيد لأهل مكة على إجرامهم بتكذيب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرئ يجزي بالياء (ثم جعلناكم) الخطاب للذين بعث إليهم محمد صلى الله عليه وسلم أي استخلفناكم في الارض بعد القرون التي أهلكنا (لننظر) أتعملون خيراً أم شراً فنعاملكم على حسب عملكم و(كيف) في محل النصب بتعملون لا بننظر لأن معنى الاستفهام فيه يحجب أن يتقدم عليه عامله (فإن قلت) كيف جاز النظر على الله تعالى وفيه معنى المقابلة (قلت) هو مستعار للعلم المحقق الذي هو العلم بالشيء موجوداً شبه بنظر الناظر وعيان المعاين في تحققه * غاظهم ما في القرآن

انبات الله لهم نفس نباتهم أي إذا وجد من الله الانبات وجد لهم النبات حتماً حتى كأن احد الأمرين عين الآخر فقرن به والله أعلم * قوله تعالى ثم جعلناكم خلائف في الارض من بعدهم لننظر كيف تعملون (قال فيه ان قلت كيف جاز النظر على الله تعالى الخ) قال أحمد وكنت أحسب أن الزمخشري يقتصر على انكار رؤية العبد لله تعالى فضم إلى ذلك انكار رؤية الله والجمع بين هذين الزعمين عقيدة طائفة من القدرية يقولون ان الله لا يرى ولا يرى تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً وقد تقدم ابطال دعواهم ان النظر يستلزم المقابلة والجسمية فلا نعيده والله الموفق

من ذم عبادة الاوثان والوعيد للمشركين فقالوا (ائت بقرآن) آخر ليس فيه ما يغيظنا من ذلك نتبعك (أو بدله)
بان تجعل مكان آية عذاب آية رحمة وتسقط ذكر الآلهة وذم عبادتها • فأمر بان يجيب عن التبديل لانه
داخل تحت قدرة الانسان وهو أن يضع مكان آية عذاب آية رحمة مما أنزل وأن يسقط ذكر الآلهة وأما
الاتيان بقرآن آخر فغير مقدور عليه للانسان (ما يكون لي) ما ينبغي لي وما يحل لي كقوله تعالى ما يكون لي أن
أقول ما ليس لي بحق (أن أبدله من تلقاء نفسي) من قبل نفسي وقرئ بفتح التاء من غير أن يأمرني بذلك
ربي (ان أتبع الا ما يوحى الي) لا آتي ولا أذر شيأ من نحو ذلك الا متبعا لوحي الله وأوامره ان نسخت آية
تبعت النسخ وان بدلت آية مكان آية تبعت التبديل وليس الي تبديل ولا نسخ (اني أخاف ان عصيت ربي)
بالتبديل والنسخ من عند نفسي (عذاب يوم عظيم) (فان قلت) أما ظهر وتبين لهم العجز عن الاتيان بمثل
القرآن حتى قالوا ائت بقرآن غير هذا (قلت) بلى ولكنهم كانوا لا يعترفون بالعجز وكانوا يقولون لو نشاء لقلنا
مثل هذا ويقولون افترى على الله كذبا فينسبونه الى الرسول ويزعمونه قادرا عليه وعلى مثله مع علمهم بأن
العرب مع كثرة فصحائها وبلغائها اذا عجزوا عنه كان الواحد منهم أعجز (فان قلت) لعلهم أرادوا ائت بقرآن غير
هذا أو بدله من جهة الوحي كما أتيت بالقرآن من جهته وأراد بقوله ما يكون لي ما يتسهل لي وما يمكنني أن
أبدله (قلت) يرده قوله اني أخاف ان عصيت ربي (فان قلت) فما كان غرضهم وهم أدهى الناس وأنكرهم
في هذا الاقتراح (قلت) الكيد والمكر أما اقتراح ابدال قرآن بقرآن ففيه انه من عندك وأنك قادر
على مثله فأبدل مكانه آخر وأما اقتراح التبديل والتغيير فللطمع ولاختبار الحال وأنه ان وجد منه تبديل
فاما أن يهلكه الله فينجوا منه أولا يهلكه فيسخروا منه ويجعلوا التبديل حجة عليه وتصحيحا لافترائه على الله
(لو شاء الله ما تلوته عليكم) يعني ان تلاوته ليست الا بمشيئة الله واحداثه أمرا عجيبا خارجا عن العادات وهو
أن يخرج رجل أمي لم يتعلم ولم يستمع ولم يشاهد العلماء ساعة من عمره ولا نشأ في بلد فيه علماء فيقرأ عليكم
كتابا فصيحا يبهر كل كلام فصيح ويعلو على كل منثور ومنظوم مشحونا بعلوم من علوم الاصول والفروع
وأخبار مما كان وما يكون ناطقا بالغيوب التي لا يعلمها الا الله وقد بلغ بين ظهرانيكم أربعين سنة تطلعون على
أحواله ولا يخفى عليكم شيء من أسراره وما سمعتم منه حرفا من ذلك ولا عرفه به أحد من أقرب الناس منه
وألصقهم به (ولا أدراكم به) ولا أعلمكم به على لساني وقرأ الحسن ولا أدرأتكم به على لغة من يقول أعطأته
وأرضأته في معنى أعطيته وأرضيته وتعضده قراءة ابن عباس ولا أنذرتكم به ورواه الفراء ولا أدرأتكم به
بالهمز وفيه وجهان أحدهما أن تقلب الالف همزة كما قيل لبأت بالحج ورثأت الميت وحلأت السويق وذلك
لان الالف والهمزة من واد واحد ألا ترى أن الالف اذا مستها الحركة انقلبت همزة والثاني أن يكون من
درأته اذا دفعته وأدرأته اذا جعلته دارئا والمعنى ولا جعلتكم بتلاوته خصماء تدرؤونني بالجدال وتكذبونني
وعن ابن كثير ولأدراكم به بلام الابتداء لاثبات الادراء ومعناه لو شاء الله ما تلوته أنا عليكم ولأعلمكم به على
لسان غيري ولكنه يمن على من يشاء من عباده فخصني بهذه الكرامة ورآني لها أهلا دون سائر الناس (فقد
لبثت فيكم عمرا) وقرئ عمرا بالسكون يعني فقد أقمت فيما بينكم يافعا وكهلا فلم تعرفوني متعاطيا شيأ من نحوه
ولا قدرت عليه ولا كنت متواصفا بعلم وبيان فتتهموني باختراعه (أفلا تعقلون) فتعلموا أنه ليس الا من الله
لا من مثلي وهذا جواب عما دسوه تحت قولهم ائت بقرآن غير هذا من اضافة الافتراء اليه (ممن افترى على
الله كذبا) يحتمل أن يريد افتراء المشركين على الله في قولهم انه ذو شريك وذو ولد وأن يكون تفاديا مما أضافوه
اليه من الافتراء (ما لا يضرهم ولا ينفعهم) الاوثان التي هي جماد لا تقدر على نفع ولا ضر وقيل ان عبدوها
لم تنفعهم وان تركوا عبادتها لم تضرهم ومن حق المعبود أن يكون مثيبا على الطاعة معاقبا على المعصية وكان
أهل الطائف يعبدون اللات وأهل مكة العزى ومناة وهبل واسافا ونائلة (و) كانوا (يقولون هؤلاء شفعاؤنا
عند الله) وعن النضر بن الحرث اذا كان يوم القيامة شفعت لي اللات والعزى (أتنبئون الله بما لا يعلم)
أتخبرونه بكونهم شفعاء عنده وهو انباء بما ليس بمعلوم لله واذا لم يكن معلوما له وهو العالم الذات المحيط بجميع

ائت بقرآن غير هذا أو بدله قل ما يكون لي أن أبدله من تلقاء نفسي ان أتبع الا ما يوحى الي اني أخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا أدراكم به فقد لبثت فيكم عمرا من قبله أفلا تعقلون فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب بآياته انه لا يفلح المجرمون ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله قل أتنبئون الله بما لا يعلم

• قوله تعالى • هو الذي يسيركم في البر والبحر حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءتها ريح عاصف الآية (قال إن قلت كيف جعل الكون في الفلك غاية الخ) قال أحمد وهذه أيضاً من النكت التي لا يكتنه حسنها وقد مر لي قبل الوقوف عليها مثل هذا النظر بعينه في قوله تعالى وابتلوا اليتامى حتى إذا بلغوا النكاح فإن آنستم منهم رشداً فادفعوا إليهم أموالهم وقد استدل الزمخشري بها لأبي حنيفة في أن الصغير (٥٧٨) يبتلى قبل البلوغ ويدفع إليه قدر من المال يتصرف فيه خلافاً لمالك فإنه لا يرى الابتلاء إلا بعد البلوغ قال الزمخشري ووجه الاستدلال أن الله تعالى جعل البلوغ غاية الابتلاء فيلزم وقوع الابتلاء قبله ضرورة كونه مقدماته واعترضت هذا الاستدلال فيما سلف بأن المجعول غاية هو حاصل ما في حيز حتى من البلوغ مقروناً بإيناس الرشد وهذا المجموع هو الذي يلزم وقوعه بعد الابتلاء ولا يلزم من ذلك أن يقع كل واحد من مفرديه بعد الابتلاء بل من الممكن أن يقع أحدهما قبل كأنه والآخر بعده فلا يحصل المجموع إلا بعد الابتلاء ويوضح ذلك هذه الآية فإنه تعالى جعل غاية تسييرهم في الفلك كونهم فيها مع ما ذكر معه ونحن نعلم أن كونهم في الفلك وذلك أحد ما جعل غاية متقدم على التسيير وإن كان المجموع إنما يكون بوقوع الحادثة بجملتها بعد الكون في الفلك والله أعلم وإنما بسطت القول ههنا لفوائده ثم تجديداً لما مضى عهداً

في السموات ولا في الأرض سبحانه وتعالى عما يشركون وما كان الناس إلا أمة واحدة فاختلفوا ولولا كلمة سبقت من ربك لقضي بينهم فيما فيه يختلفون ويقولون لولا أنزل عليه آية من ربه فقل إنما الغيب لله فانتظروا إني معكم من المنتظرين وإذا أذقنا الناس رحمة من بعد ضراء مستهم إذا لهم مكر في آياتنا قل الله أسرع مكراً إن رسلنا يكتبون ما تمكرون • هو الذي يسيركم في البر والبحر حتى إذا كنتم في الفلك

المعلومات لم يكن شيئاً لأن الشيء ما يعلم ويخبر عنه فكان خبراً ليس له مخبر عنه (فإن قلت) كيف أنبؤوا الله بذلك (قلت) هو تهكم بهم وبما ادعوه من المحال الذي هو شفاعة الأصنام وإعلام بأن الذي أنبؤوا به باطل غير منطو تحت الصحة فكأنهم يخبرونه بشيء لا يتعلق به علمه كما يخبر الرجل الرجل بما لا يعلمه وقرئ أتنبئون بالتخفيف وقوله (في السموات ولا في الأرض) تأكيد لنفيه لأن ما لم يوجد فيهما فهو منتف معدوم (تشركون) قرئ بالتاء والياء وما موصولة أو مصدرية أي عن الشركاء الذين يشركونهم به أو عن إشراكهم (وما كان الناس إلا أمة واحدة) حنفاء متفقين على ملة واحدة من غير أن يختلفوا بينهم وذلك في عهد آدم إلى أن قتل قابيل هابيل وقيل بعد الطوفان حين لم يذر الله من الكافرين دياراً (ولولا كلمة سبقت من ربك) وهو تأخير الحكم بينهم إلى يوم القيامة (لقضي بينهم) عاجلاً فيما اختلفوا فيه ولميز المحق من المبطل وسبق كلمته بالتأخير لحكمة أوجبت أن تكون هذه الدار دار تكليف وتلك دار ثواب وعقاب وقالوا (لولا أنزل عليه آية من ربه) أرادوا آية من الآيات التي كانوا يقترحونها وكانوا لا يعتدون بما أنزل عليه من الآيات العظام المتكاثرة التي لم ينزل على أحد من الأنبياء مثلها وكفى بالقرآن وحده آية باقية على وجه الدهر بديعة غريبة في الآيات دقيقة المسلك من بين المعجزات وجعلوا نزولها كلا نزول وكأنه لم ينزل عليه آية قط حتى قالوا لولا أنزل عليه آية واحدة من ربه وذلك لفرط عنادهم وتماديهم في التمرد وانهماكهم في الغي (فقل إنما الغيب لله) أي هو المختص بعلم الغيب المستأثر به لا علم لي ولا لأحد به يعني أن الصارف عن إنزال الآيات المقترحة أمر مغيب لا يعلمه إلا هو (فانتظروا) نزول ما اقترحتموه (إني معكم من المنتظرين) لما يفعل الله بكم لعنادكم وجحودكم الآيات • سلط الله القحط سبع سنين على أهل مكة حتى كادوا يهلكون ثم رحمهم بالحيا فلما رحمهم طفقوا يطعنون في آيات الله ويعادون رسول الله صلى الله عليه وسلم ويكيدونه وإذا الأولى للشرط والآخرة جوابها وهي إذا المفاجأة والمكر إخفاء الكيد وطيه من الجارية الممكورة المطوية الخلق ومعنى (مستهم) خالطتهم حتى أحسوا بسوء أثرها فيهم (فإن قلت) ما وصفهم بسرعة المكر فكيف صح قوله (أسرع مكراً) (قلت) بلى دلت على ذلك كلمة المفاجأة كأنه قال وإذا رحمناهم من بعد ضراء فاجؤوا وقوع المكر منهم وسارعوا إليه قبل أن يغسلوا رؤوسهم من مس الضراء ولم يتلبثوا ريثما يسيغون غصتهم والمعنى أن الله تعالى دبر عقابكم وهو موقعه بكم قبل أن تدبروا كيف تعملون في إطفاء نور الإسلام (إن رسلنا يكتبون) إعلام بأن ما تظنونه خافياً لا يخفى على الله وهو منتقم منكم وقرئ يمكرون بالتاء والياء وقيل مكرهم قولهم سقينا بنوء كذا وعن أبي هريرة إن الله ليصبح القوم بالنعمة ويمسيهم بها فيصبح طائفة منهم بها كافرين يقولون مطرنا بنوء كذا • وقرأ زيد بن ثابت ينشركم ومثله قوله فانتشروا في الأرض ثم إذا أنتم بشر تنتشرون (فإن قلت) كيف جعل الكون في الفلك غاية للتسيير في البحر والتسيير في البحر إنما هو بالكون في الفلك (قلت) لم يجعل الكون في الفلك غاية للتسيير في البحر ولكن مضمون الجملة الشرطية الواقعة بعد حتى بما في حيزها كأنه قيل يسيركم حتى إذا وقعت هذه الحادثة وكان كيت وكيت من مجيء الريح العاصف وتراكم الأمواج والظن للهلاك والدعاء بالإنجاء (فإن قلت) ما جواب إذا (قلت) جاءتها (فإن قلت) فدعوا (قلت) بدل من ظنوا لأن دعاءهم من لوازم ظنهم الهلاك فهو ملتبس به (فإن قلت) ما فائدة صرف الكلام عن الخطاب إلى الغيبة (قلت) المبالغة

كأنه يذكر لغيرهم حالهم ليعجبهم منها ويستدعي منهم الإنكار والتقبيح (فإن قلت) ما وجه قراءة أم الدرداء في الفلكي بزيادة ياء النسب (قلت) قيل هما زائدتان كما في الخارجي والأحمري ويجوز أن يراد به اللج والماء الغمر الذي لا تجري الفلك إلا فيه والضمير في (جرين) للفلك لأنه جمع فلك كالأسد في فعل أخي فعل وفي قراءة أم الدرداء للفلك أيضاً لأن الفلكي يدل عليه (جاءتها) جاءت الريح الطيبة أي تلقتها وقيل الضمير للفلك (من كل مكان) من جميع أمكنة الموج (أحيط بهم) أي أهلكوا جعل إحاطة العدو بالحي مثلاً في الهلاك (مخلصين له الدين) من غير إشراك به لأنهم لا يدعون حينئذ غيره معه (لئن أنجيتنا) على إرادة القول أو لأن دعوا من جملة القول (يبغون في الأرض) يفسدون فيها ويعبثون مترقين في ذلك ممعنين فيه من قولك بغى الجرح إذا ترامى إلى الفساد (فإن قلت) فما معنى قوله (بغير الحق) والبغي لا يكون بحق (قلت) بلى وهو استيلاء المسلمين على أرض الكفرة وهدم دورهم وإحراق زروعهم وقطع أشجارهم كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ببني قريظة * قرئ متاع الحياة الدنيا بالنصب (فإن قلت) ما الفرق بين القراءتين (قلت) إذا رفعت كان المتاع خبراً للمبتدأ الذي هو بغيكم وعلى أنفسكم صلته كقوله فبغى عليهم ومعناه إنما بغيكم على أمثالكم والذين جنسهم جنسكم يعني بغي بعضكم على بعض منفعة الحياة الدنيا لا بقاء لها وإذا نصبت فعلى أنفسكم خبر غير صلة معناه إنما بغيكم وبال على أنفسكم ومتاع الحياة الدنيا في موضع المصدر المؤكد كأنه قيل تتمتعون متاع الحياة الدنيا ويجوز أن يكون الرفع على هو متاع الحياة الدنيا بعد تمام الكلام وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لا تمكر ولا تعن ماكراً ولا تبغ ولا تعن باغياً ولا تنكث ولا تعن ناكثاً وكان يتلوها وعنه عليه الصلاة والسلام أسرع الخير ثواباً صلة الرحم وأعجل الشر عقاباً البغي واليمين الفاجرة وروي ثنتان يعجلهما الله تعالى في الدنيا البغي وعقوق الوالدين وعن ابن عباس رضي الله عنه لو بغى جبل على جبل لدك الباغي وكان المأمون يتمثل بهذين البيتين في أخيه

يا صاحب البغي إن البغي مصرعة * فاربع فخير فعال المرء أعدله

فلو بغى جبل يوماً على جبل * لاندك منه أعاليه وأسفله

وعن محمد بن كعب ثلاث من كن فيه كن عليه البغي والنكث والمكر قال الله تعالى إنما بغيكم على أنفسكم * هذا من التشبيه المركب شبهت حال الدنيا في سرعة تقضيها وانقراض نعيمها بعد الإقبال بحال نبات الأرض في جفافه وذهابه حطاماً بعد ما التف وتكاثف وزين الأرض بخضرته ورفيفه (فاختلط به) فاشتبك بسببه حتى خالط بعضه بعضاً (أخذت الأرض زخرفها وازينت) كلام فصيح جعلت الأرض آخذة زخرفها على التمثيل بالعروس إذا أخذت الثياب الفاخرة من كل لون فاكتستها وتزينت بغيرها من ألوان الزين وأصل ازينت تزينت فأدغم وبالأصل قرأ عبد الله وقرئ وأزينت على أفعلت من غير إعلال كأغيلت أي صارت ذات زينة وازيانت بوزن ابياضت (قادرون عليها) متمكنون من منفعتها محصلون لثمرتها رافعون لغلتها (أتاها أمرنا) وهو ضرب زرعها ببعض العاهات بعد أمنهم واستيقانهم أنه قد سلم (فجعلناها) فجعلنا زرعها (حصيداً) شبيهاً بما يحصد من الزرع في قطعه واستئصاله (كأن لم تغن) كأن لم يغن زرعها أي لم ينبت على حذف المضاف في هذه المواضع لا بد منه وإلا لم يستقم المعنى وقرأ الحسن كأن لم يغن بالياء على أن الضمير للمضاف المحذوف الذي هو الزرع وعن مروان أنه قرأ على المنبر كأن لم تتغن بالأمس من قول الأعشى

* طويل الثواء طويل التغني * والأمس مثل في الوقت القريب كأنه قيل كأن لم تغن آنفاً (دار السلام) الجنة أضافها إلى اسمه تعظيماً لها وقيل السلام السلامة لأن أهلها سالمون من كل مكروه وقيل لفشو السلام بينهم وتسليم الملائكة عليهم إلا قيلاً سلاماً سلاماً (ويهدي) ويوفق (من يشاء) وهم الذين علم أن اللطف يجدي عليهم لأن مشيئته تابعة لحكمته ومعناه يدعو العباد كلهم إلى دار السلام ولا يدخلها إلا المهديون (الحسنى) المثوبة الحسنى (وزيادة) وما يزيد على المثوبة وهي التفضل ويدل عليه قوله تعالى ويزيدهم من فضله وعن علي رضي الله عنه الزيادة غرفة من لؤلؤة واحدة وعن ابن عباس رضي الله عنه الحسنى الحسنة

وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءتها ريح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا أنهم أحيط بهم دعوا الله مخلصين له الدين لئن أنجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين فلما أنجاهم إذا هم يبغون في الأرض بغير الحق يا أيها الناس إنما بغيكم على أنفسكم متاع الحياة الدنيا ثم إلينا مرجعكم فننبئكم بما كنتم تعملون إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض مما يأكل الناس والأنعام حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلاً أو نهاراً فجعلناها حصيداً كأن لم تغن بالأمس كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون والله يدعو إلى دار السلام ويهدي من يشاء إلى صراط مستقيم للذين أحسنوا الحسنى وزيادة

---

* قوله تعالى للذين أحسنوا الحسنى وزيادة (ذكر) في الزيادة تفاسير كثيرة ثم قال وزعمت المشبهة والمجبرة أن الزيادة النظر إلى وجه الله تعالى الخ

(قال) أحمد نسبة تفسير الزيادة برؤية الله تعالى الى زعم أهل السنة الملقبين عنده بالمشبهة والمجبرة من ورع على دينه المعروف في التكذيب بما لم يحط به علما وهذا التفسير مستفيض منقول عن جملة الصحابة والحديث المروي فيه مدون في الصحاح متفق على صحته وقد جعل أهل السنة جازوا به من عند أنفسهم من قبل قال المصرون على الكفر لسيد البشر وصاحب السنة ائت بقرآن غير هذا أو بدله جملا له على أنه جاء به من عنده فلأهل السنة إذاً أسوة بصاحبها ولقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة فابتلاء

ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها وترهقهم ذلة ما لهم من الله من عاصم كأنما أغشيت وجوههم قطعا من الليل مظلما أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للذين أشركوا مكانكم أنتم وشركاؤكم فزيلنا بينهم وقال شركاؤهم ما كنتم إيانا تعبدون فكفى بالله شهيدا بيننا وبينكم إن كنا عن عبادتكم لغافلين هنالك تبلو كل نفس ما أسلفت وردوا الى الله

والزيادة عشر أمثالها وعن الحسن رضي الله عنه عشر أمثالها الى سبعمائة ضعف وعن مجاهد رضي الله عنه الزيادة مغفرة من الله ورضوان وعن يزيد بن شجرة الزيادة أن تمر السحابة بأهل الجنة فتقول ما تريدون أن أمطركم فلا يريدون شيئا إلا أمطرتهم وزعمت المشبهة والمجبرة أن الزيادة النظر الى وجه الله تعالى وجاءت بحديث مرقوع إذا دخل أهل الجنة الجنة نودوا أن يا أهل الجنة فيكشف الحجاب فينظرون اليه فوالله ما أعطاهم الله شيئا هو أحب اليهم منه (ولا يرهق وجوههم) لا يغشاها (قتر) غبرة فيها سواد (ولا ذلة) ولا أثر هوان وكسوف بال والمعنى لا يرهقهم ما يرهق أهل النار إذ كرا بما يزيدهم (?) ... ألا ترى الى قوله تعالى ترهقها قترة وترهقهم ذلة (فان قلت) ما وجه قوله (والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها) وكيف يتلاءم (قلت) لا يخلو إما أن يكون والذين كسبوا معطوفا على قوله للذين أحسنوا كأنه قيل وللذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها وإما أن يقدر وجزاء الذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها على معنى جزاؤهم أن تجازى سيئة واحدة بسيئة مثلها لا يزاد عليها وهذا أوجه من الأول لأن في الأول عطفا على عاملين وإن كان الأخفش يجيزه وفي هذا دليل على أن المراد بالزيادة الفضل لأنه دل بترك الزيادة على السيئة على عدله ودل ثمة بإثبات الزيادة على المثوبة على فضله وقرئ يرهقهم ذلة بالياء (من الله من عاصم) أي لا يعصمهم أحد من سخط الله وعذابه ويجوز ما لهم من جهة الله ومن عنده من يعصمهم كما يكون للمؤمنين (مظلما) حال من الليل ومن قرأ قطعا بالسكون من قوله بقطع من الليل جعله صفة له ويعضده قراءة أبي بن كعب كأنما يغشى وجوههم قطع من الليل مظلم (فان قلت) إذا جعلت مظلما حالا من الليل فما العامل فيه (قلت) لا يخلو إما أن يكون أغشيت من قبل أن من الليل صفة لقوله قطعا فكان إفضاؤه الى الموصوف كإفضائه الى الصفة وإما أن يكون معنى الفعل في من الليل (مكانكم) الزموا مكانكم لا تبرحوا حتى تنظروا ما يفعل بكم و(أنتم) أكد به الضمير في مكانكم لسده مسد قوله الزموا (وشركاؤكم) عطف عليه وقرئ وشركاءكم على أن الواو بمعنى مع والعامل فيه ما في مكانكم من معنى الفعل (فزيلنا بينهم) ففرقنا بينهم وقطعنا أقرانهم والوصل التي كانت بينهم في الدنيا أو فباعدنا بينهم بعد الجمع بينهم في الموقف وتبرؤ شركائهم منهم ومن عبادتهم كقوله تعالى ثم قيل لهم أين ما كنتم تشركون من دون الله قالوا ضلوا عنا وقرئ فزايلنا بينهم كقولك صاعر خده وصعره وكالمته وكلمته (ما كنتم إيانا تعبدون) إنما كنتم تعبدون الشياطين حيث أمروكم أن تتخذوا لله أندادا فأطعتموهم (إن كنا) هي المخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة بينها وبين النافية وهم الملائكة والمسيح ومن عبدوه من دون الله من أولي العقل وقيل الأصنام ينطقها الله عز وجل فتشافههم بذلك مكان الشفاعة التي زعموها وعلقوا بها أطماعهم (هنالك) في ذلك المقام وفي ذلك الموقف أو في ذلك الوقت على استعارة اسم المكان للزمان (تبلو كل نفس) تختبر وتذوق (ما أسلفت) من العمل فتعرف كيف هو أقبيح أم حسن أنافع أم ضار أمقبول أم مردود كما يتعرف الرجل الشيء باختباره ويتعرفه ليكتنه حاله ومنه قوله تعالى يوم تبلى السرائر وعن عاصم نبلو كل نفس بالنون ونصب كل أي نختبرها باختبار ما أسلفت من العمل فنعرف حالها بمعرفة حال عملها إن كان حسنا فهي سعيدة وإن كان سيئا فهي شقية والمعنى نفعل بها فعل الخابر كقوله تعالى ليبلوكم أيكم أحسن عملا ويجوز أن يراد نصيب بالبلاء وهو العذاب كل نفس عاصية بسبب ما أسلفت من الشر وقرئ تتلو أي تتبع ما أسلفت لأن عمله هو الذي يهديه الى طريق الجنة أو الى طريق النار أو تقرأ في صحيفتها ما قدمت من خير أو شر

الحق بالباطل قديم والله الموفق وأن في قوله تعالى على أثر ذلك ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة بعد قالصحة هذا التفسير فإن فيه تنبيها على كرم وجوههم بالنظر الى وجه الله تعالى بخبر ربهم أن لا يرهق وجوههم مولاهم قتر البعد ولا ذلة الحجاب عكس المحرومين المحجوبين فان وجوههم مرهقة بقتر الطرد وذلة البعد نسأل الله الكريم أولئك يغشى وجوههم أنوار المشاهدة وهؤلاء يغشى وجوههم كقطع الليل المظلم منهم شقي وسعيد

مولاهم الحق وضل عنهم ما كانوا يفترون قل من يرزقكم من السماء والأرض أمن يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الأمر فسيقولون الله فقل أفلا تتقون فذلكم الله ربكم الحق فماذا بعد الحق إلا الضلال فأنى تصرفون كذلك حقت كلمة ربك على الذين فسقوا أنهم لا يؤمنون قل هل من شركائكم من يبدؤ الخلق ثم يعيده قل الله يبدؤ الخلق ثم يعيده فأنى تؤفكون قل هل من شركائكم من يهدي إلى الحق قل الله يهدي للحق أفمن يهدي إلى الحق أحق أن يتبع أمن لا يهدي إلا أن يهدى فما لكم كيف تحكمون وما يتبع أكثرهم إلا ظنا إن الظن لا يغني من الحق شيأ إن الله عليم بما يفعلون وما كان هذا القرآن أن يفترى من دون الله ولكن تصديق الذي بين يديه

(مولاهم الحق) ربهم الصادق ربوبيته لأنهم كانوا يتولون ما ليس لربوبيته حقيقة أو الذي يتولى حسابهم وثوابهم العدل الذي لا يظلم أحدا وقرئ الحق بالنصب على تأكيد قوله ردوا إلى الله كقولك هذا عبد الله الحق لا الباطل أو على المدح كقولك الحمد لله أهل الحمد (وضل عنهم ما كانوا يفترون) وضاع عنهم ما كانوا يدعون أنهم شركاء الله أو بطل عنهم ما كانوا يختلقون من الكذب وشفاعة الآلهة (قل من يرزقكم من السماء والأرض) أي يرزقكم منهما جميعا لم يقتصر برزقكم على جهة واحدة ليفيض عليكم نعمته ويوسع رحمته (أمن يملك السمع والأبصار) من يستطيع خلقهما وتسويتهما على الحد الذي سويا عليه من الفطرة العجيبة أو من يحميهما ويحصنهما من الآفات مع كثرتها في المدد الطوال وهما لطيفان يؤذيهما أدنى شيء بكلاءته وحفظه (ومن يدبر الأمر) ومن يلي تدبير أمر العالم كله جاء بالعموم بعد الخصوص (أفلا تتقون) أفلا تقون أنفسكم ولا تحذرون عليها عقابه فيما أنتم بصدده من الضلال (فذلكم) إشارة إلى من هذه قدرته وأفعاله (ربكم الحق) الثابت ربوبيته ثباتا لا ريب فيه لمن حقق النظر (فماذا بعد الحق إلا الضلال) يعني أن الحق والضلال لا واسطة بينهما فمن تخطى الحق وقع في الضلال (فأنى تصرفون) عن الحق إلى الضلال وعن التوحيد إلى الشرك وعن السعادة إلى الشقاء (كذلك) مثل ذلك الحق (حقت كلمت ربك) أي كما حق وثبت أن الحق بعده الضلال أو كما حق أنهم مصروفون عن الحق فكذلك حقت كلمة ربك (على الذين فسقوا) أي تمردوا في كفرهم وخرجوا إلى الحد الأقصى فيه و(أنهم لا يؤمنون) بدل من الكلمة أي حق عليهم انتفاء الإيمان وعلم الله منهم ذلك أو حق عليهم كلمة الله أنهم من أهل الخذلان وأن إيمانهم غير كائن أو أراد بالكلمة العدة بالعذاب وأنهم لا يؤمنون تعليل بمعنى لأنهم لا يؤمنون (فإن قلت) كيف قيل لهم (هل من شركائكم من يبدؤ الخلق ثم يعيده) وهم غير معترفين بالإعادة (قلت) قد وضعت إعادة الخلق لظهور برهانها موضع ما إن دفعه دافع كان مكابرا رادا للظاهر البين الذي لا مدخل للشبهة فيه دلالة على أنهم في إنكارهم لها منكرون أمرا مسلما معترفا بصحته عند العقلاء وقال لنبيه صلى الله عليه وسلم (قل الله يبدؤ الخلق ثم يعيده) فأمره بأن ينوب عنهم في الجواب يعني أنه لا يدعهم لجاجهم ومكابرتهم أن ينطقوا بكلمة الحق فكلم عنهم * يقال هداه للحق وإلى الحق فجمع بين اللغتين * ويقال هدى بنفسه بمعنى اهتدى كما يقال شرى بمعنى اشترى ومنه قوله (أمن لا يهدي) وقرئ لا يهدي بفتح الهاء وكسرها مع تشديد الدال والأصل يهتدي فأدغم وفتحت الهاء بحركة التاء أو كسرت لالتقاء الساكنين وقد كسرت الياء لاتباع ما بعدها * وقرئ إلا أن يهدى من هداه وهدّاه للمبالغة ومنه قولهم تهدى ومعناه أن الله وحده هو الذي يهدي للحق بما ركب في المكلفين من العقول وأعطاهم من التمكين للنظر في الأدلة التي نصبها لهم وبما لطف بهم ووفقهم وألهمهم وأخطر ببالهم ووقفهم على الشرائع فهل من شركائكم الذين جعلتم أنداد الله أحد من أشرفهم كالملائكة والمسيح وعزير يهدي إلى الحق مثل هداية الله * ثم قال أفمن يهدي إلى الحق هذه الهداية أحق بالاتباع أم الذي لا يهدي أي لا يهتدي بنفسه أو لا يهدي غيره إلا أن يهديه الله وقيل معناه أم من لا يهتدي من الأوثان إلى مكان فينتقل إليه (إلا أن يهدى) إلا أن ينقل أو لا يهتدي ولا يصح منه الاهتداء إلا أن ينقله الله من حاله إلى أن يجعله حيوانا مكلفا فيهديه (فما لكم كيف تحكمون) بالباطل حيث تزعمون أنهم أنداد الله (وما يتبع أكثرهم) في إقرارهم بالله (إلا ظنا) لأنه قول غير مستند إلى برهان عندهم (إن الظن) في معرفة الله (لا يغني من الحق) وهو العلم (شيأ) وقيل وما يتبع أكثرهم في قولهم للأصنام إنها آلهة وإنها شفعاء عند الله إلا الظن والمراد بالأكثر الجميع (إن الله عليم) وعيد على ما يفعلون من اتباع الظن وتقليد الآباء * وقرئ تفعلون بالتاء (وما كان هذا القرآن) افتراء (من دون الله ولكن) كان (تصديق الذي بين يديه) وهو ما تقدمه من الكتب المنزلة لأنه معجز دونها فهو عيار عليها شاهد لصحتها كقوله تعالى هو الحق مصدقا لما بين يديه وقرئ ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل الكتاب على ولكن هو تصديق وتفصيل ومعنى وما كان أن يفترى وما صح

* قوله تعالى قل من يرزقكم من السماء والأرض (قال معناه أي من يرزقكم منهما جميعا الخ) (٥٨١) قال أحمد وهذه الآية كافحة لوجوه القدرية الزاعمين أن الأرزاق منقسمة فمنها ما رزقه الله العبد وهو الحلال ومنها ما رزقه العبد لنفسه وهو الحرام وهذه الآية نعية عليهم هذا الشرك الخفي لو سمعوا أفأنت تسمع الصم ولو كانوا لا يعقلون

وما استمانا به وكان محالاً أن يكون مثله في علو أمره وإعجازه مفترى (وتفصيل الكتاب) وتبيين ما كتب وفرض من الأحكام والشرائع من قوله كتاب الله عليكم (فإن قلت) بم اتصل قوله (لا ريب فيه من رب العالمين) (قلت) هو داخل في حيز الاستدراك كأنه قال ولكن كان تصديقا وتفصيلا منتفيا عنه الريب كائنا من رب العالمين ويجوز أن يراد ولكن كان تصديقا من رب العالمين وتفصيلا منه لا ريب في ذلك فيكون من رب العالمين متعلقا بتصديق وتفصيل ويكون لا ريب فيه اعتراضا كما تقول زيد لا شك فيه كريم (أم يقولون افتراه) بل أيقولون اختلقه على أن الهمزة تقرير لإلزام الحجة عليهم أو إنكار لقولهم واستبعاد والمعنيان متقاربان (قل) إن كان الأمر كما تزعمون (فأتوا) أنتم على وجه الافتراء (بسورة مثله) فأنتم مثلي في العربية والفصاحة ومعنى بسورة مثله أي شبيهة به في البلاغة وحسن النظم وقرئ بسورة مثله على الإضافة أي بسورة كتاب مثله (وادعوا) من دون الله (من استطعتم) من خلقه للاستعانة به على الإتيان بمثله يعني أن الله وحده هو القادر على أن يأتي بمثله لا يقدر على ذلك أحد غيره فلا تستعينوا بغيره ثم استعينوا بكل من دونه (إن كنتم صادقين) أنه افتراء (بل كذبوا) بل سارعوا إلى التكذيب بالقرآن وفاجؤه في بديهة السماع قبل أن يفقهوه ويعلموا كنه أمره وقبل أن يتدبروه ويقفوا على تأويله ومعانيه وذلك لفرط نفورهم عما يخالف دينهم وشرادهم عن مفارقة دين آبائهم كالناشئ على التقليد من الحشوية إذا أحس بكلمة لا توافق ما نشأ عليه وألفه وإن كانت أضوأ من الشمس في ظهور الصحة وبيان الاستقامة أنكرها في أول وهلة واشمأز منها قبل أن يحس إدراكها بحاسة سمعه من غير فكر في صحة أو فساد لأنه لم يشعر قلبه إلا صحة مذهبه وفساد ما عداه من المذاهب (فإن قلت) ما معنى التوقع في قوله (ولما يأتهم تأويله) (قلت) معناه أنهم كذبوا به على البديهة قبل التدبر ومعرفة التأويل تقليدا للآباء وكذبوه بعد التدبر تمردا وعنادا فذمهم بالتسرع إلى التكذيب قبل العلم به وجاء بكلمة التوقع ليؤذن أنهم علموا بعد علو شأنه وإعجازه لما كرر عليهم التحدي ورازوا قواهم في المعارضة واستيقنوا عجزهم عن مثله فكذبوا به بغيا وحسدا (كذلك) أي مثل ذلك التكذيب (كذب الذين من قبلهم) يعني قبل النظر في معجزات الأنبياء وقبل تدبرها من غير إنصاف من أنفسهم ولكن قلدوا الآباء وعاندوا وقيل نزلت في الذين كذبوا وهم شاكون ويجوز أن يكون معنى ولما يأتهم تأويله ولم يأتهم بعد تأويل ما فيه من الإخبار بالغيوب أي عاقبته حتى يتبين لهم أهو كذب أم صدق يعني أنه كتاب معجز من جهتين من جهة إعجاز نظمه ومن جهة ما فيه من الإخبار بالغيوب فتسرعوا إلى التكذيب به قبل أن ينظروا في نظمه وبلوغه حد الإعجاز وقبل أن يخبروا أخباره بالمغيبات وصدقه وكذبه (ومنهم من يؤمن به) من يصدق به في نفسه ويعلم أنه حق ولكنه يعاند بالتكذيب ومنهم من يشك فيه لا يصدق به أو يكون للاستقبال أي ومنهم من سيؤمن به ومنهم من سيصر (وربك أعلم بالمفسدين) بالمعاندين أو المصرين (وإن كذبوك) وإن تموا على تكذيبك ويئست من إجابتهم فتبرأ منهم وخلهم فقد أعذرت كقوله تعالى فإن عصوك فقل إني بريء وقيل هي منسوخة بآية السيف (ومنهم من يستمعون إليك) معناه ومنهم ناس يستمعون إليك إذا قرأت القرآن وعلمت الشرائع ولكنهم لا يعون ولا يقبلون وناس ينظرون إليك ويعاينون أدلة الصدق وأعلام النبوة ولكنهم لا يصدقون ثم قال أتطمع أنك تقدر على إسماع الصم ولو انضم إلى صممهم عدم عقولهم لأن الأصم العاقل ربما تفرس واستدل إذا وقع في صماخه دوي الصوت فإذا اجتمع سلب السمع والعقل جميعا فقد تم الأمر وأتحسب أنك تقدر على هداية العمي ولو انضم إلى العمى وهو فقد البصر فقد البصيرة لأن الأعمى الذي له في قلبه بصيرة قد يحدس ويتظنن وأما العمى مع الحمق فجهد البلاء يعني أنهم في اليأس من أن يقبلوا ويصدقوا كالصم والعمي الذين لا بصائر لهم ولا عقول وقوله (أفأنت. أفأنت) دلالة على أنه لا يقدر على إسماعهم وهدايتهم إلا الله عز وجل بالقسر والإلجاء كما لا يقدر على رد الأصم والأعمى المسلوبي العقل حديدي السمع والبصر راجحي العقل إلا هو وحده (إن الله لا يظلم الناس شيئا) أي لا ينقصهم شيئا مما يتصل بمصالحهم من بعثة الرسل وإنزال الكتب ولكنهم

يظلمون

وتفصيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله كذلك كذب الذين من قبلهم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين ومنهم من يؤمن به ومنهم من لا يؤمن به وربك أعلم بالمفسدين وإن كذبوك فقل لي عملي ولكم عملكم أنتم بريئون مما أعمل وأنا بريء مما تعملون ومنهم من يستمعون إليك أفأنت تسمع الصم ولو كانوا لا يعقلون ومنهم من ينظر إليك أفأنت تهدي العمي ولو كانوا لا يبصرون إن الله لا يظلم الناس شيئا ولكن الناس أنفسهم يظلمون ويوم يحشرهم كأن لم يلبثوا

قوله تعالى بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله (قال معناه أنهم كذبوا به على البديهة قبل التدبر ومعرفة التأويل الخ) قال أحمد وكان التكذيب قبل الإحاطة بعلمه ربما يوهم عذرا للمكذب فجاءت كلمة لما مشعرة بأنهم قد أحاطوا بعلمه حتى تنصرم أعذارهم ويتحقق شقاؤهم والله أعلم

يظلمون أنفسهم بالكفر والتكذيب ويجوز أن يكون وعيدا للمكذبين يعني أن ما يلحقهم يوم القيامة من العذاب لاحق بهم على سبيل العدل والاستيجاب ولا يظلمهم الله به ولكنهم ظلموا أنفسهم باقتراف ما كان سببا فيه (الا ساعة من النهار) يستقربون وقت لبثهم في الدنيا وقيل في القبور لهول ما يرون (يتعارفون بينهم) يعرف بعضهم بعضا كأنهم لم يتفارقوا الا قليلا وذلك عند خروجهم من القبور ثم ينقطع التعارف بينهم لشدة الأمر عليهم (فان قلت) كأن لم يلبثوا ويتعارفون كيف موقعهما (قلت) أما الأولى فحال من هم أي يحشرهم مشبهين بمن لم يلبث الا ساعة وأما الثانية فاما أن تتعلق بالظرف واما أن تكون مبينة لقوله كأن لم يلبثوا الا ساعة لأن التعارف لا يبقى مع طول العهد وينقلب تناكرا (قد خسر) على ارادة القول أي يتعارفون بينهم قائلين ذلك أو هي شهادة من الله تعالى على خسرانهم والمعنى أنهم وضعوا في تجارتهم وبيعهم الايمان بالكفر (وما كانوا مهتدين) للتجارة عارفين بها وهو استئناف فيه معنى التعجب كأنه قيل ما أخسرهم (فالينا مرجعهم) جواب نتوفينك وجواب نرينك محذوف كأنه قيل واما نرينك بعض الذي نعدهم في الدنيا فذاك أو نتوفينك قبل أن نريكه فنحن نريكه في الآخرة (فان قلت) الله شهيد على ما يفعلون في الدارين فما معنى ثم (قلت) ذكرت الشهادة والمراد مقتضاها ونتيجتها وهو العقاب كأنه قال ثم الله معاقب على ما يفعلون وقرأ ابن أبي عبلة ثم بالفتح أي هنالك ويجوز أن يراد أن الله مؤد شهادته على أفعالهم يوم القيامة حين ينطق جلودهم وألسنتهم وأيديهم وأرجلهم شاهدة عليهم (ولكل أمة رسول) يبعث اليهم لينبههم على التوحيد ويدعوهم الى دين الحق (فاذا جاء) هم (رسولهم) بالبينات فكذبوه ولم يتبعوه (قضي بينهم) أي بين النبي ومكذبيه (بالقسط) بالعدل فأنجي الرسول وعذب المكذبون كقوله وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا أو ولكل أمة من الأمم يوم القيامة رسول تنسب اليه وتدعى به فاذا جاء رسولهم الموقف ليشهد عليهم بالكفر والايمان كقوله تعالى وجيء بالنبيين والشهداء وقضي بينهم بالحق (متى هذا الوعد) استعجال لما وعدوا من العذاب استبعادا له (لا أملك لنفسي ضرا) من مرض أو فقر (ولا نفعا) من صحة أو غنى (الا ما شاء الله) استثناء منقطع أي ولكن ما شاء الله من ذلك كائن فكيف أملك لكم الضرر وجلب العذاب (لكل أمة أجل) يعني أن عذابكم له أجل مضروب عند الله وحد محدود من الزمان (اذا جاء) ذلك الوقت أنجز وعدكم لا محالة فلا تستعجلوا وقرأ ابن سيرين فاذا جاء آجالهم (بياتا) نصب على الظرف بمعنى وقت بيات (فان قلت) هلا قيل ليلا أو نهارا (قلت) لأنه أريد ان أتاكم عذابه وقت بيات فبيتكم وأنتم ساهون نائمون لا تشعرون كما يبيت العدو المباغت والبيات بمعنى التبييت كالسلام بمعنى التسليم وكذلك قوله (نهارا) معناه في وقت أنتم فيه مشتغلون بطلب المعاش والكسب ونحوه بياتا وهم نائمون ضحى وهم يلعبون والضمير في (منه) للعذاب والمعنى ان العذاب كله مكروه مر المذاق موجب للنفار فأي شيء يستعجلون منه وليس شيء منه يوجب الاستعجال ويجوز أن يكون معناه التعجب كأنه قيل أي شيء هول شديد يستعجلون منه ويجوز أن تكون من للبيان في هذا الوجه وقيل الضمير في منه لله تعالى (فان قلت) بم تعلق الاستفهام وأين جواب الشرط (قلت) تعلق بأرأيتم لأن المعنى أخبروني ماذا يستعجل منه المجرمون وجواب الشرط محذوف وهو تندموا على الاستعجال أو تعرفوا الخطأ فيه (فان قلت) فهلا قيل ماذا تستعجلون منه (قلت) أريدت الدلالة على موجب ترك الاستعجال وهو الاجرام لأن من حق المجرم أن يخاف التعذيب على اجرامه ويهلك فزعا من مجيئه وان أبطأ فضلا أن يستعجله ويجوز أن يكون ماذا يستعجل منه المجرمون جوابا للشرط كقولك ان أتيتك ماذا تطعمني ثم تتعلق الجملة بأرأيتم وأن يكون (أثم اذا ما وقع آمنتم به) جواب الشرط وماذا يستعجل منه المجرمون اعتراضا والمعنى ان أتاكم عذابه آمنتم به بعد وقوعه حين لا ينفعكم الايمان ودخول حرف الاستفهام على ثم كدخوله على الواو والفاء في قوله أفأمن أهل القرى أوأمن أهل القرى (آلآن) على ارادة القول أي قيل لهم اذا آمنوا بعد وقوع العذاب آلآن آمنتم به (وقد كنتم به تستعجلون) يعني وقد كنتم به تكذبون لأن استعجالهم كان على جهة التكذيب والانكار وقرئ آلان بحذف الهمزة التي بعد اللام والقاء حركتها على

الا ساعة من النهار يتعارفون بينهم قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله وما كانوا مهتدين واما نرينك بعض الذي نعدهم أو نتوفينك فالينا مرجعهم ثم الله شهيد على ما يفعلون ولكل أمة رسول فاذا جاء رسولهم قضي بينهم بالقسط وهم لا يظلمون ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين قل لا أملك لنفسي ضرا ولا نفعا الا ما شاء الله لكل أمة أجل اذا جاء أجلهم فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون قل أرأيتم ان أتاكم عذابه بياتا أو نهارا ماذا يستعجل منه المجرمون أثم اذا ما وقع آمنتم به آلآن وقد كنتم به تستعجلون

---

* قوله تعالى قل أرأيتم ان أتاكم عذابه بياتا أو نهارا ماذا يستعجل منه المجرمون (قال ان قلت هلا قيل ماذا تستعجلون منه الخ) قال أحمد وفي هذا النوع البليغ نكتتان احداهما وضع الظاهر مكان المضمر والأخرى ذكر الظاهر بصيغة زائدة مناسبة للصدر وكلاهما مستقل بوجه من البلاغة والمبالغة والله أعلم

ثم قيل للذين ظلموا
ذوقوا عذاب الخلد
هل تجزون إلا بما
كنتم تكسبون
ويستنبئونك أحق هو
قل إي وربي إنه لحق
وما أنتم بمعجزين ولو أن
لكل نفس ظلمت ما في
الأرض لافتدت به
وأسروا الندامة لما رأوا
العذاب وقضي بينهم
بالقسط وهم لا يظلمون
ألا إن لله ما في السموات
والأرض ألا إن وعد
الله حق ولكن أكثرهم
لا يعلمون هو يحيي
ويميت وإليه ترجعون
يا أيها الناس قد جاءتكم
موعظة من ربكم وشفاء
لما في الصدور وهدى
ورحمة للمؤمنين قل
بفضل الله وبرحمته
فبذلك فليفرحوا هو
خير مما يجمعون قل
أرأيتم ما أنزل الله لكم
من رزق فجعلتم منه
حراما وحلالا قل آلله
أذن لكم أم على الله
تفترون وما ظن الذين
يفترون على الله الكذب
يوم القيامة إن الله
لذو فضل على الناس
ولكن أكثرهم
لا يشكرون وما تكون
في شأن وما تتلوا

للإمام (ثم قيل للذين ظلموا) عطف على قيل المضمر قبل آلآن (ويستنبئونك) ويستخبرونك فيقولون (أحق
هو) وهو استفهام على جهة الإنكار والاستهزاء وقرأ الأعمش آلحق هو وهو أدخل في الاستهزاء لتضمنه
معنى التعريض بأنه باطل وذلك أن اللام للجنس فكأنه قيل أهو الحق لا الباطل أو أهو الذي سميتموه الحق
والضمير للعذاب الموعود (إي) بمعنى نعم في القسم خاصة كما كان هل بمعنى قد في الاستفهام خاصة وسمع منهم
يقولون في التصديق إيو فيصلونه بواو القسم ولا ينطقون به وحده (وما أنتم بمعجزين) بفائتين العذاب وهو
لاحق بكم لا محالة (ظلمت) صفة لنفس على ولو أن لكل نفس ظالمة (ما في الأرض) أي ما في الدنيا اليوم من
خزائنها وأموالها وجميع منافعها على كثرتها (لافتدت به) لجعلته فدية لها يقال فداه فافتدى ويقال افتداه
أيضا بمعنى فداه (وأسروا الندامة لما رأوا العذاب) لأنهم بهتوا لرؤيتهم ما لم يحتسبوه ولم يخطر ببالهم وعاينوا
من شدة الأمر وتفاقمه ما سلبهم قواهم وبهرهم فلم يطيقوا عنده بكاء ولا صراخا ولا ما يفعله الجازع سوى
إسرار الندم والحسرة في القلوب كما ترى المقدم للصلب يثخنه ما دهمه من فظاعة الخطب ويغلب حتى لا ينبس
بكلمة ويبقى جامدا مبهوتا وقيل أسروا الندامة أخفاها رؤساؤهم من سفلتهم الذين أضلوهم حياء منهم وخوفا من
توبيخهم وقيل أسروها أخلصوها إما لأن إخفاءها إخلاصها وإما من قولهم سر الشيء لخالصه وفيه تهكم بهم
وبإخطائهم وقت إخلاص الندامة وقيل أسروا الندامة أظهروها من قولهم أسر الشيء وأشره إذا أظهره
وليس هناك تجلد (وقضي بينهم) أي بين الظالمين والمظلومين دل على ذلك ذكر الظلم ثم أتبع ذلك الإعلام
بأن له الملك كله وأنه المثيب المعاقب وما وعده من الثواب والعقاب حق وهو القادر على الإحياء والإماتة
لا يقدر عليهما غيره وإلى حسابه وجزائه المرجع ليعلم أن الأمر كذلك فيخاف ويرجى ولا يغتر به المغترون (قد
جاءتكم موعظة) أي قد جاءكم كتاب جامع للفوائد من موعظة وتنبيه على التوحيد (و) هو (شفاء) أي
دواء (لما في الصدور) من العقائد الفاسدة ودعاء إلى الحق (ورحمة) لمن آمن به منكم وأصل الكلام بفضل الله
وبرحمته فليفرحوا بذلك فليفرحوا فالتكرير للتأكيد والتقرير وإيجاب اختصاص الفضل والرحمة بالفرح
دون ما عداهما من فوائد الدنيا فحذف أحد الفعلين لدلالة المذكور عليه والفاء داخلة لمعنى الشرط كأنه قيل
إن فرحوا بشيء فليخصوهما بالفرح فإنه لا مفروح به أحق منهما ويجوز أن يراد بفضل الله وبرحمته فليعتنوا
فبذلك فليفرحوا ويجوز أن يراد قد جاءتكم موعظة بفضل الله وبرحمته فبذلك فبمجيئها فليفرحوا وقرئ
فلتفرحوا بالتاء وهو الأصل والقياس وهي قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما روي وعنه لتأخذوا
مصافكم قاله في بعض الغزوات وفي قراءة أي فافرحوا (هو) راجع إلى ذلك وقرئ تجمعون بالياء [illegible]
وعن أبي بن كعب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تلا قل بفضل الله وبرحمته فقال بكتاب الله والإسلام وقيل
فضله الإسلام ورحمته ما وعد عليه (أرأيتم) أخبروني (ما أنزل الله) ما في موضع النصب بأنزل أو بأرأيتم في
معنى أخبروني (فجعلتم منه حراما وحلالا) أي أنزله الله رزقا حلالا فبعضتموه وقلتم هذا حلال وهذا حرام
كقولهم هذه أنعام وحرث حجر ما في بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا (آلله أذن لكم)
متعلق بأرأيتم وقل تكرير للتأكيد والمعنى أخبروني آلله أذن لكم في التحليل والتحريم فأنتم تفعلون ذلك بإذنه
(أم على الله تفترون) في نسبة ذلك إليه ويجوز أن تكون الهمزة للإنكار وأم منقطعة بمعنى بل أتفترون
على الله تقرير للافتراء وكفى بهذه الآية زاجرة زجرا بليغا عن التجوز فيما يسئل عنه من الأحكام وباعثة على
وجوب الاحتياط فيه وأن لا يقول أحد في شيء جائز أو غير جائز إلا بعد إيقان وإتقان ومن لم يوقن فليتق الله
وليصمت وإلا فهو مفتر على الله (يوم القيامة) منصوب بالظن وهو ظن واقع فيه يعني أي شيء ظن المفترين في
ذلك اليوم ما يصنع بهم فيه وهو يوم الجزاء بالإحسان والإساءة وهو وعيد عظيم حيث أبهم أمره وقرأ عيسى
بن عمر وما ظن على لفظ الفعل ومعناه أي ظن ظنوا يوم القيامة وجيء به على لفظ الماضي لأنه كائن فكأن
قد كان (إن الله لذو فضل على الناس) حيث أنعم عليهم بالعقل ورحمهم بالوحي وتعليم الحلال والحرام (ولكن
أكثرهم لا يشكرون) هذه النعمة ولا ينتفعون بما هدوا إليه (وما تكون في شأن) ما نافية والخطاب لرسول الله

صلى

صلى الله عليه وسلم والشأن الأمر وأصله الهمز بمعنى القصد من شأنت شأنه إذا قصدت قصده والضمير في (منه) للشأن لأن تلاوة القرآن شأن من شأن رسول الله صلى الله عليه وسلم بل هو معظم شأنه أو للتنزيل كأنه قيل وما تتلو من التنزيل من قرآن لأن كل جزء منه قرآن والإضمار قبل الذكر تفخيم له أو لله عز وجل (ولا تعملون) أنتم جميعا (من عمل) أي عمل كان (إلا كنا عليكم شهودا) شاهدين رقباء نحصي عليكم (إذ تفيضون فيه) من أفاض في الأمر إذا اندفع فيه (وما يعزب) قرئ بالضم والكسر وما يبعد وما يغيب ومنه الروض العازب (ولا أصغر من ذلك ولا أكبر) القراءة بالنصب والرفع والوجه النصب على نفي الجنس والرفع على الابتداء ليكون كلاما برأسه وفي العطف على محل من مثقال ذرة أو على لفظ مثقال ذرة فتحا في موضع الجر لامتناع الصرف إشكال لأن قولك لا يعزب عنه شيء إلا في كتاب مشكل (فإن قلت) لم قدمت الأرض على السماء بخلاف قوله في سورة سبأ عالم الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض (قلت) حق السماء أن تقدم على الأرض ولكنه لما ذكر شهادته على شؤون أهل الأرض وأحوالهم وأعمالهم ووصل بذلك قوله لا يعزب عنه لاءم ذلك أن قدم الأرض على السماء على أن العطف بالواو حكمه حكم التثنية (أولياء الله) الذين يتولونه بالطاعة ويتولاهم بالكرامة وقد فسر ذلك في قوله (الذين آمنوا وكانوا يتقون) فهو توليهم إياه (لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة) فهو توليه إياهم وعن سعيد بن جبير أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل من أولياء الله فقال هم الذين يذكر الله برؤيتهم يعني السمت والهيئة وعن ابن عباس رضي الله عنه الإخبات والسكينة وقيل هم المتحابون في الله وعن عمر رضي الله عنه سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول إن من عباد الله عبادا ما هم بأنبياء ولا شهداء يغبطهم الأنبياء والشهداء يوم القيامة لمكانهم من الله قالوا يا رسول الله خبرنا من هم وما أعمالهم فعسانا نحبهم قال هم قوم تحابوا في الله على غير أرحام بينهم ولا أموال يتعاطونها فوالله إن وجوههم لنور وإنهم لعلى منابر من نور لا يخافون إذا خاف الناس ولا يحزنون إذا حزن الناس ثم قرأ الآية الذين آمنوا نصب أو رفع على المدح أو على وصف الأولياء أو على الابتداء والخبر لهم البشرى والبشرى في الدنيا ما بشر الله به المؤمنين المتقين في غير مكان من كتابه وعن النبي صلى الله عليه وسلم هي الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو ترى له وعنه عليه الصلاة والسلام ذهبت النبوة وبقيت المبشرات وقيل هي محبة الناس له والذكر الحسن وعن أبي ذر قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم الرجل يعمل العمل لله ويحبه الناس فقال تلك عاجل بشرى المؤمن وعن عطاء لهم البشرى عند الموت تأتيهم الملائكة بالرحمة قال الله تعالى تتنزل عليهم الملائكة أن لا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة وأما البشرى في الآخرة فتلقي الملائكة إياهم مسلمين مبشرين بالفوز والكرامة وما يرون من بياض وجوههم وإعطاء الصحائف بأيمانهم وما يقرؤون منها وغير ذلك من البشارات (لا تبديل لكلمات الله) لا تغيير لأقواله ولا إخلاف لمواعيده كقوله تعالى ما يبدل القول لدي و(ذلك) إشارة إلى كونهم مبشرين في الدارين وكلتا الجملتين اعتراض (ولا يحزنك) وقرئ ولا يحزنك من أحزنه (قولهم) تكذيبهم لك وتهديدهم وتشاورهم في تدبير هلاكك وإبطال أمرك وسائر ما يتكلمون به في شأنك (إن العزة لله) استئناف بمعنى التعليل كأنه قيل ما لي لا أحزن فقيل إن العزة لله جميعا أي إن الغلبة والقهر في ملكة الله جميعا لا يملك أحد شيئا منها لا هم ولا غيرهم فهو يغلبهم وينصرك عليهم كتب الله لأغلبن أنا ورسلي إنا لننصر رسلنا وقرأ أبو حيوة أن العزة بالفتح بمعنى لأن العزة على صريح التعليل ومن جعله بدلا من قولهم ثم أنكره فالمنكر هو تخريجه لا ما أنكره من القراءة به (هو السميع العليم) يسمع ما يقولون ويعلم ما يدبرون ويعزمون عليه وهو مكافئهم بذلك (من في السموات ومن في الأرض) يعني العقلاء المميزين وهم الملائكة والثقلان وخصهم ليؤذن أن هؤلاء إذا كانوا له وفي مملكته فهم عبيد كلهم وهو سبحانه وتعالى ربهم ولا يصلح أحد منهم للربوبية ولا أن يكون شريكا له فيها فما وراءهم مما لا يعقل أحق أن لا يكون له ندا وشريكا وليدل على أن من اتخذ غيره ربا من ملك أو إنسي فضلا عن صنم أو غير ذلك فهو مبطل تابع لما أدى إليه التقليد وترك النظر ومعنى وما يتبعون شركاء أي وما يتبعون حقيقة الشركاء وإن

منه من قرآن ولا تعملون من عمل إلا كنا عليكم شهودا إذ تفيضون فيه وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة لا تبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم ولا يحزنك قولهم إن العزة لله جميعا هو السميع العليم ألا إن لله من في السموات ومن في الأرض وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء

كانوا يسمونها شركاء لأن شركة الله في الربوبية محال (إن يتبعون إلا الظن) ظنهم أنهم شركاء (وإن هم إلا يخرصون)
يحزرون ويقدرون أن تكون شركاء تقديرا باطلا ويجوز أن يكون وما يتبع في معنى الاستفهام يعني وأي
شيء يتبعون وشركاء على هذا نصب بيدعون وعلى الأول بيتبع وكان حقه وما يتبع الذين يدعون من دون الله
شركاء شركاء فاقتصر على أحدهما للدلالة ويجوز أن تكون ما موصولة معطوفة على من كأنه قيل ولله
ما يتبعه الذين يدعون من دون الله شركاء أي وله شركاؤهم ✽ وقرأ علي بن أبي طالب رضي الله عنه تدعون بالتاء
ووجهه أن يحمل وما يتبع على الاستفهام أي وأي شيء يتبع الذين تدعونهم شركاء من الملائكة والنبيين يعني
أنهم يتبعون الله ويطيعونه فما لكم لا تفعلون مثل فعلهم كقوله تعالى أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم
الوسيلة ثم صرف الكلام عن الخطاب إلى الغيبة فقال إن يتبع هؤلاء المشركون إلا الظن ولا يتبعون ما يتبع
الملائكة والنبيون من الحق ✽ ثم نبه على عظيم قدرته ونعمته الشاملة لعباده التي يستحق بها أن يوحدوه
بالعبادة بأنه جعل لهم الليل مظلما ليسكنوا فيه مما يقاسون في نهارهم من تعب التردد في المعاش والنهار مضيئا
يبصرون فيه مطالب أرزاقهم ومكاسبهم (لقوم يسمعون) سماع معتبر مدكر (سبحانه) تنزيه له عن اتخاذ
الولد وتعجب من كلمتهم الحمقاء (هو الغني) علة لنفي الولد لأن ما يطلب به الولد من يلد وما يطلبه له السبب
في كله الحاجة فمن الحاجة منتفية عنه كان الولد عنه منتفيا (له ما في السموات وما في الأرض) فهو مستغن
بملكه لهم عن اتخاذ أحد منهم ولدا (إن عندكم من سلطان بهذا) ما عندكم من حجة بهذا القول والباء حقها
أن تتعلق بقوله إن عندكم على أن يجعل القول مكانا للسلطان كقولك ما عندكم بأرضكم موز كأنه قيل إن عندكم
فيما تقولون سلطان (أتقولون على الله ما لا تعلمون) لما نفى عنهم البرهان جعلهم غير عالمين فدل على أن كل
قول لا برهان عليه لقائله فذاك جهل وليس بعلم (يفترون على الله الكذب) بإضافة الولد إليه (متاع في الدنيا)
أي افتراؤهم هذا منفعة قليلة في الدنيا وذلك حيث يقيمون رياستهم في الكفر ومناصبة النبي صلى الله عليه
وسلم بالتظاهر به ثم يلقون الشقاء المؤبد بعده (كبر عليكم) عظم عليكم وشق وثقل ومنه قوله تعالى وإنها لكبيرة
إلا على الخاشعين ويقال تعاظمه الأمر (مقامي) مكاني يعني نفسه كما تقول فعلت كذا لمكان فلان وفلان ثقيل
الظل ومنه ولمن خاف مقام ربه بمعنى خاف ربه أو قيامي ومكثي بين أظهركم مددا طوالا ألف سنة إلا خمسين
عاما أو مقامي وتذكيري لأنهم كانوا إذا وعظوا الجماعة قاموا على أرجلهم يعظونهم ليكون مكانهم بينا
وكلامهم مسموعا كما يحكى عن عيسى صلوات الله عليه أنه كان يعظ الحواريين قائما وهم قعود (فأجمعوا
أمركم وشركاءكم) من أجمع الأمر وأزمعه إذا نواه وعزم عليه قال ✽ هل أغدون يوما وأمري مجمع ✽ والواو بمعنى
مع يعني فأجمعوا أمركم مع شركائكم وقرأ الحسن وشركاؤكم بالرفع عطفا على الضمير المتصل وجاز من غير تأكيد
بالمنفصل لقيام الفاصل مقامه لطول الكلام كما تقول اضرب زيدا وعمرو وقرئ فاجمعوا من الجمع وشركاءكم
نصب للعطف على المفعول أو لأن الواو بمعنى مع وفي قراءة أبي فأجمعوا أمركم وادعوا شركاءكم (فإن قلت)
كيف جاز إسناد الإجماع إلى الشركاء (قلت) على وجه التهكم كقوله قل ادعوا شركاءكم ثم كيدون
(فإن قلت) ما معنى الأمرين أمرهم الذي يجمعونه وأمرهم الذي لا يكون عليهم غمة (قلت) أما الأمر الأول
فالقصد إلى إهلاكه يعني فأجمعوا ما تريدون من إهلاكي واحتشدوا فيه وابذلوا وسعكم في كيدي وإنما قال
ذلك إظهارا لقلة مبالاته وثقته بما وعده ربه من كلاءته وعصمته إياه وأنهم لن يجدوا إليه سبيلا وأما الثاني
ففيه وجهان أحدهما أن يراد مصاحبتهم له وما كانوا فيه معه من الحال الشديدة عليهم المكروهة عندهم
يعني ثم أهلكوني لئلا يكون عيشكم بسببي غصة وحالكم عليكم غمة أي غما وهما والغم والغمة كالكرب
والكربة والثاني أن يراد به ما أريد بالأمر الأول والغمة السترة من غمه إذا ستره ومنها قوله عليه السلام ولا غمة
في فرائض الله أي لا تستر ولكن يجاهر بها يعني ولا يكن قصدكم إلى إهلاكي مستورا عليكم ولكن مكشوفا
مشهورا تجاهرونني به (ثم اقضوا إلي) ذلك الأمر الذي تريدون بي أي أدوا إلي قطعه وتصحيحه كقوله تعالى
وقضينا إليه ذلك الأمر أو أدوا إلي ما هو حق عليكم عندكم من هلاكي كما يقضي الرجل غريمه (ولا تنظرون)

إن يتبعون إلا الظن وإن هم إلا يخرصون هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا إن في ذلك لآيات لقوم يسمعون قالوا اتخذ الله ولدا سبحانه هو الغني له ما في السموات وما في الأرض إن عندكم من سلطان بهذا أتقولون على الله ما لا تعلمون قل إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون متاع في الدنيا ثم إلينا مرجعهم ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون واتل عليهم نبأ نوح إذ قال لقومه يا قوم إن كان كبر عليكم مقامي وتذكيري بآيات الله فعلى الله توكلت فأجمعوا أمركم وشركاءكم ثم لا يكن أمركم عليكم غمة ثم اقضوا إلي ولا تنظرون

* قوله تعالى قالوا إن هذا لسحر مبين قال موسى أتقولون للحق لما جاءكم أسحر هذا ولا يفلح الساحرون (قال إن قلت هم قطعوا بقولهم إن هذا لسحر مبين على أنه سحر الخ) قال أحمد والفرق بين الوجهين غموض وإيضاحه (٥٨٧) أن القول على الوجه الأول وقع كناية

ولا تمهلون وقرئ ثم أفضوا إلى بالفاء بمعنى ثم انتهوا إلى بشركم وقيل هو من أفضى الرجل إذا خرج إلى الفضاء أي أصحروا به لي وأبرزوه لي (فإن توليتم) فإن أعرضتم عن تذكيري ونصيحتي (فما سألتكم من أجر) فما كان عندي ما ينفركم عني وتتهموني لأجله من طمع في أموالكم وطلب أجر على عظتكم (إن أجري إلا على الله) وهو الثواب الذي يثيبني به في الآخرة أي ما نصحتكم إلا لوجه الله لا لغرض من أغراض الدنيا (وأمرت أن أكون من المسلمين) الذين لا يأخذون على تعليم الدين شيئاً ولا يطلبون به دنيا يريد أن ذلك مقتضى الإسلام والذي كل مسلم مأمور به والمراد أن يجعل الحجة لازمة لهم ويبرئ ساحته فذكر أن توليهم لم يكن عن تفريط منه في سوق الأمر معهم على الطريق الذي يجب أن يساق عليه وإنما ذلك لعنادهم وتمردهم لا غير (فكذبوه) فتموا على تكذيبه وكانت تكذيبهم له في آخر المدة المتطاولة كتكذيبهم في أولها وذلك عند مشارفة الهلاك بالطوفان (وجعلناهم خلائف) يخلفون الهالكين بالغرق (كيف كان عاقبة المنذرين) تعظيم لما جرى عليهم وتحذير لمن أنذرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عن مثله وتسلية له (من بعده) من بعد نوح (رسلاً إلى قومهم) يعني هوداً وصالحاً وإبراهيم ولوطاً وشعيباً (فجاؤهم بالبينات) بالحجج الواضحة المثبتة لدعواهم (فما كانوا ليؤمنوا) فما كان إيمانهم إلا ممتنعاً كالمحال لشدة شكيمتهم في الكفر وتصميمهم عليه (بما كذبوا به من قبل) يريد أنهم كانوا قبل بعثة الرسل أهل جاهلية مكذبين بالحق فما وقع فصل بين حالتيهم بعد بعثة الرسل وقبلها كأن لم يبعث إليهم أحد (كذلك نطبع) مثل ذلك الطبع المحكم نطبع (على قلوب المعتدين) والطبع جار مجرى الكناية عن عنادهم ولجاجهم لأن الخذلان يتبعه ألا ترى كيف أسند إليهم الاعتداء ووصفهم به (من بعدهم) من بعد الرسل (بآياتنا) بالآيات التسع (فاستكبروا) عن قبولها وهو أعظم الكبر أن يتهاون العبيد برسالة ربهم بعد تبينها ويتعظموا عن تقبلها (وكانوا قوماً مجرمين) كفاراً ذوي آثام عظام فلذلك استكبروا عنها واجترؤا على ردها (فلما جاءهم الحق من عندنا) فلما عرفوا أنه هو الحق وأنه من عند الله لا من قبل موسى وهرون (قالوا) لحبهم الشهوات (إن هذا لسحر مبين) وهم يعلمون أن الحق أبعد شيء من السحر الذي ليس إلا تمويهاً وباطلاً (فإن قلت) هم قطعوا بقولهم إن هذا لسحر مبين على أنه سحر فكيف قيل لهم أتقولون أسحر هذا (قلت) فيه أوجه أن يكون معنى قوله (أتقولون للحق) أتعيبونه وتطعنون فيه وكان عليكم أن تذعنوا له وتعظموه من قولهم فلان يخاف القالة وبين الناس تقاول إذا قال بعضهم لبعض ما يسوءه ونحو القول الذكر في قوله سمعنا فتى يذكرهم ثم قال (أسحر هذا) فأنكر ما قالوه في عيبه والطعن عليه وأن يحذف مفعول أتقولون وهو ما دل عليه قولهم إن هذا لسحر مبين كأنه قيل أتقولون ما تقولون يعني قولهم إن هذا لسحر مبين ثم قيل أسحر هذا وأن يكون جملة قوله أسحر هذا ولا يفلح الساحرون حكاية لكلامهم كأنهم قالوا أجئتما بالسحر تطلبان به الفلاح (ولا يفلح الساحرون) كما قال موسى للسحرة ما جئتم به السحر إن الله سيبطله (لتلفتنا) لتصرفنا واللفت والفتل أخوان ومطاوعهما الالتفات والانفتال (عما وجدنا عليه آباءنا) يعنون عبادة الأصنام (وتكون لكما الكبرياء) أي الملك لأن الملوك موصوفون بالكبر ولذلك قيل للملك الجبار ووصف بالصيد والشوس ولذلك وصف ابن الرقيات مصعباً في قوله

ملكه ملك رأفة ليس فيه * جبروت منه ولا كبرياء

ينفي ما عليه الملوك من ذلك ويجوز أن يقصدوا ذمهما وأنهما إن ملكا أرض مصر تجبرا وتكبرا كما قال القبطي لموسى عليه السلام إن تريد إلا أن تكون جباراً في الأرض (وما نحن لكما بمؤمنين) أي مصدقين لكما فيما جئتما به وقرئ يطبع ويكون لكما بالياء (ما جئتم به) ما موصولة واقعة مبتدأ و(السحر) خبر أي الذي جئتم به هو السحر لا الذي سماه فرعون وقومه سحراً من آيات الله وقرئ آلسحر على الاستفهام فعلى هذه

فإن توليتم فما سألتكم من أجر إن أجري إلا على الله وأمرت أن أكون من المسلمين فكذبوه فنجيناه ومن معه في الفلك وجعلناهم خلائف وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا فانظر كيف كان عاقبة المنذرين ثم بعثنا من بعده رسلا إلى قومهم فجاؤهم بالبينات فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل كذلك نطبع على قلوب المعتدين ثم بعثنا من بعدهم موسى وهرون إلى فرعون وملئه بآياتنا فاستكبروا وكانوا قوما مجرمين فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا إن هذا لسحر مبين قال موسى أتقولون للحق لما جاءكم أسحر هذا ولا يفلح الساحرون قالوا أجئتنا لتلفتنا عما وجدنا عليه آباءنا وتكون لكما الكبرياء في الأرض وما نحن لكما بمؤمنين وقال فرعون ائتوني بكل ساحر عليم فلما جاء السحرة قال لهم موسى ألقوا ما أنتم ملقون فلما ألقوا قال موسى ما جئتم به السحر

عن العيب لا يقتضي معمولا وفي الثاني على بابه يطلب معمولا والله أعلم * قوله تعالى قال موسى ما جئتم به السحر إن الله سيبطله (قال ما موصولة مبتدأ والسحر خبر أي الذي جئتم به الخ) قال أحمد وليس المراد في القراءة الأولى الإخبار بأن ما جاؤا به سحر خاصة ولكن مع تنزيه ما جاء به

من كونه سحرا انما يستفاد ذلك مما في هذا النظم المخصوص من افادة الحصر ولو مرت بخاطر الامام أبي المعالي في مسئلة تحريمة التكبير لم يعدل عن الاستشهاد بها الى افادة هذا النظم الحصر فتأمل ان موسى عليه السلام حيث أطلقه فانما أراد اضافة السحر الى ما جاؤا به محصورا فيه حتى لا يتعدى الى الحق الذي جاء به هو منه شئ وأما القراءة الثانية ففيها والله أعلم ارشاد الى ان قول موسى عليه السلام أولا أتقولون للحق لما جاءكم أسحر هذا حكاية لقولهم ويكون أسحر هذا هو الذي قالوه ولا ينقض ذلك حكاية الله عنهم انهم قالوا ان هذا لسحر مبين وذلك اما لانهم قالوا الامرين جميعا تارة بالاستفهام على سبيل الاستهتار بالحق والاستهزاء بكونه سحرا او لاستهزاء بالحق استكارا له بل قد يكون الاستفهام من جهة او طى أبلغ من الاخبار ألا ترى انهم يقولون في قوله أأنت أم سالم أبلغ في البت من قوله مخبرا أنت أم سالم ثم تنوعا بصيغة تمام الحاصة ست الانكار ودعوى انه سحر فقالوا ان هذا لسحر مبين فحكى الله تعالى عنهم هذا القول الثاني وبخهم موسى على قولهم الاول (٥٨٨) ومعنى العبارتين ومقصدهما واحد واما ان لا يكونوا قالوا سوى أسحر هذا على سبيل الانكار

ان الله سيبطله ان الله لا يصلح عمل المفسدين ويحق الله الحق بكلماته ولو كره المجرمون فما آمن لموسى الا ذرية من قومه على خوف من فرعون وملئهم أن يفتنهم وان فرعون لعال في الارض وانه لمن المسرفين وقال موسى يا قوم ان كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا ان كنتم مسلمين فقالوا على الله توكلنا ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين ونجنا برحمتك من القوم الكافرين وأوحينا الى موسى وأخيه ان تبوآ لقومكما بمصر بيوتا واجعلوا بيوتكم قبلة وأقيموا الصلاة وبشر المؤمنين وقال موسى ربنا انك آتيت فرعون

فهي ما استفهامية أي أي شئ جئتم به أهو السحر وقرأ عبد الله ما جئتم به سحر وقرأ أبي ما أتيتم به سحر والمعنى لا ما أتيت به (ان الله سيبطله) سيمحقه أو يظهر بطلانه باظهار المعجزة على الشعوذة (لا يصلح عمل المفسدين) لا يثبته ولا يديمه ولكن يسلط عليه الدمار (ويحق الله الحق) ويثبته (بكلماته) بأوامره وقضاياه وقرئ بكلمته بأمره ومشيئته (فما آمن لموسى) في أول أمره (الا ذرية من قومه) الا طائفة من ذراري بني اسرائيل كأنه قيل الا أولاد من أولاد قومه وذلك انه دعا الآباء فلم يجيبوه خوفا من فرعون وأجابته طائفة من أبنائهم مع الخوف وقيل الضمير في قومه لفرعون والذرية مؤمن آل فرعون وآسية امرأته وخازنه وامرأة خازنه وماشطته (فان قلت) الام يرجع الضمير في قوله (وملئهم) (قلت) الى فرعون بمعنى آل فرعون كما يقال ربيعة ومضر أو لانه ذو أصحاب يأتمرون له ويجوز ان يرجع الى الذرية أي على خوف من فرعون وخوف من أشراف بني اسرائيل لانهم كانوا يمنعون أعقابهم خوفا من فرعون عليهم وعلى أنفسهم ويدل عليه قوله (ان يفتنهم) يريد ان يعذبهم (وان فرعون لعال في الارض) لغالب فيها قاهر (وانه لمن المسرفين) في الظلم والفساد وفي الكبر والعتو بادعائه الربوبية (ان كنتم آمنتم بالله) صدقتم به وبآياته (فعليه توكلوا) فاليه أسندوا أمركم في العصمة من فرعون ثم شرط في التوكل الاسلام وهو ان يسلموا نفوسهم لله أي يجعلوها له سالمة خالصة لا حظ للشيطان فيها لان التوكل لا يكون مع التخليط ونظيره في الكلام ان ضربك زيد فاضربه ان كانت بك قوة (فقالوا على الله توكلنا) انما قالوا ذلك لان القوم كانوا مخلصين لا جرم أن الله سبحانه قبل توكلهم وأجاب دعاءهم ونجاهم وأهلك من كانوا يخافونه وجعلهم خلفاء في أرضه فمن أراد أن يصلح للتوكل على ربه والتفويض اليه فعليه برفض التخليط الى الاخلاص (لا تجعلنا فتنة) موضع فتنة لهم أي عذابا يعذبوننا ويفتنوننا عن ديننا أو فتنة لهم يفتنون بنا ويقولون لو كان هؤلاء على الحق لما أصيبوا (تبوآ) اتخذا مباءة كقولك توطنه اذا اتخذه وطنا والمعنى اجعلا بمصر بيوتا من بيوته مباءة لقومكما ومرجعا يرجعون اليه للعبادة والصلاة فيه (واجعلوا بيوتكم) تلك (قبلة) أي مساجد متوجهة نحو القبلة وهي الكعبة وكان موسى ومن معه يصلون الى الكعبة وكانوا في أول أمرهم مأمورين بان يصلوا في بيوتهم في خفية من الكفرة لئلا يظهروا عليهم فيؤذوهم ويفتنوهم عن دينهم كما كان المؤمنون على ذلك في أول الاسلام بمكة (فان قلت) كيف نوع الخطاب فثنى أولا ثم جمع ثم وحد آخرا (قلت) خوطب موسى وهرون عليهما السلام أن يتبوآ

حسبما تقدم حكاه الله تعالى عنهم ومما له لانه يلزم ان من دهم من الاستفهام الانكار وبين القول انه سحر وحكى موسى عليه السلام قولهم لقومهما بمعناه ولم يؤده بعبارة أخرى وحكاية القصص المتلوة في الكتاب العزيز بصيغ مختلفة لا محمل لها سوى انها معان منقولة الى اللغة العربية فيترجم عنها بالالفاظ المترادفة المتساوية المعاني وحاصل هذا البحث ان قول موسى عليه السلام أتقولون للحق لما جاءكم أسحر هذا انما حكى فيه قولهم ويرشد لهذا انه كان أهم عندما أتوا بالسحر عثل مقالتهم مستنهما فقال ما جئتم به السحر على قراءة الاستفهام فرضا ووفاء على السواء والذي يحقق لك ان الاستفهام والاخبار في مثل هذا المعنى مؤداهما واحد ان الله تعالى حكى قول موسى عليه السلام ما جئتم به السحر على الوجهين الخبر والاستفهام على ما قضته القراءتان وهو قول واحد دل على ان مؤدى الامرين واحد ضرورة صدق الخبر وتحامل الزمخشري على تأويل القول بالتعييب أو اضمار مفعول تقولون استشكالا لوقوع الاستفهام محكيا بالقول والمحكي أولا عنهم الخبر وقد أوضحنا انه لا تنافر ولا تنافي بين الامرين وشديد الفضل عزم لتمسك فانه من دقائق النكت والله الموفق

● قوله تعالى وقال موسى ربنا انك آتيت فرعون وملأه زينة وأموالا في الحياة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك (قال قلت هو دعاء بلفظ الامر الخ) قال أحمد وهذا من اعتزاله الحق الذي هو ادق من دبيب النمل يكاد الاطلاع عليه أن يكون كشفا ووجه ذلك انه علم ان الظاهر بل والباطن ان اللام للتعليل وان الفعل منصوب بها ومعنى ذلك اخبار موسى عليه السلام بان الله اعطاهم الزينة والاموال وما يتبعها من النعم استدراجا ليزدادوا اثما وضلالة كما اخبر تعالى عن امثالهم بقوله انما نملي لهم ليزدادوا اثما وهذا المعنى منتظم على جعل اللام للتعليل والزمخشري بنى على القاعدة الفاسدة في

وملأه زينة وأموالا في الحياة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم قال قد أجيبت دعوتكما فاستقيما ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون وجاوزنا ببني اسرائيل البحر فأتبعهم فرعون وجنوده بغيا وعدوا حتى اذا أدركه الغرق قال آمنت انه لا اله الا الذي آمنت به بنو اسرائيل وأنا من المسلمين آلآن وقد عصيت قبل وكنت

أن يوصيهما بنوتاو يبصر (اهالله) [illegible] وذلك مما يعترض في الخطاب [illegible] وأقوم [illegible] الساجد والصلاة فيها لأن ذلك واجب على الجمهور ثم خص موسى عليه السلام بالبشارة التي هي الغرض تعظيما لها وللمبشر بها الزينة ما يتزين به من لباس أو حلي أو فرش أو أثاث وغير ذلك وعن ابن عباس رضي الله عنه كانت لهم من فسطاط مصر الى أرض الحبشة جبال فيها معادن من ذهب وفضة وزبرجد وياقوت (فان قلت) ما معنى قوله (ربنا ليضلوا عن سبيلك) (قلت) هو دعاء بلفظ الامر كقوله ربنا اطمس واشدد وذلك أنه لما عرض عليهم آيات الله وبيناته عرضا مكررا ورد عليهم النصائح والمواعظ زمانا طويلا وحذرهم عذاب الله وانتقامه وأنذرهم عاقبة ما كانوا عليه من الكفر والضلال المبين ورآهم لا يزيدون على عرض الآيات الا كفرا وعلى الانذار الا استكبارا وعن النصيحة الا نبوا ولم يبق له مطمع فيهم وعلم بالتجربة وطول الصحبة أنه لا يجيء منهم الا الغي والضلال وأن ايمانهم كالمحال الذي لا يدخل تحت الصحة أو علم ذلك بوحي من الله شدة غضبه عليهم وأفرط مقته وكراهته لحالهم فدعا الله عليهم بما علم أنه لا يكون غيره كما تقول لعن الله ابليس وأخزى الله الكفرة مع علمك أنه لا يكون غير ذلك وليشهد عليهم بانه لم يبق له فيهم حيلة وأنهم لا يستأهلون الا أن يخذلوا ويخلى بينهم وبين ضلالهم يتسكعون فيه كأنه قال ليثبتوا على ما هم عليه من الضلال وليكونوا ضلالا وليطبع الله على قلوبهم فلا يؤمنوا وما علي منهم هم أحق بذلك وأحق كما يقول الاب المشفق لولده الشاطر اذا ما لم يقبل منه حسرة على ما فاته من قبول نصيحته وحردا عليه لا أن يريد خلاعه واتباعه هواه ● ومعنى الشد على القلوب الاستيثاق منها حتى لا يدخلها الايمان (فلا يؤمنوا) جواب للدعاء الذي هو اشدد أو دعاء بلفظ النهي وقد حملت اللام في ليضلوا على التعليل على أنهم جعلوا نعمة الله سببا في الضلال فكأنهم أوتوها ليضلوا وقوله فلا يؤمنوا عطف على ليضلوا وقوله ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم دعاء معترض بين المعطوف والمعطوف عليه ● وقرأ الفضل الرقاشي أئنك آتيت على الاستفهام والطمس هو المسخ ● قرئ دعواتكما قيل كان موسى يدعو وهرون يؤمن ويجوز أن يكونا جميعا يدعوان والمعنى ان دعاءكما مستجاب وما طلبتما كائن ولكن في وقته (فاستقيما) فاثبتا على ما أنتما عليه من الدعوة والزيادة في الزام الحجة فقد لبث نوح عليه السلام في قومه ألف عام الا خمسين عاما ولا تستعجلا قال ابن جريج مكث موسى بعد الدعاء أربعين سنة (ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون) أي لا تتبعا طريق الجهلة بعادة الله في تعليق الامور بالمصالح ولا تعجلا فان العجلة ليست بمصلحة وهذا كما قال لنوح عليه السلام اني أعظك أن تكون من الجاهلين ● وقرئ ولا تتبعان بالنون الخفيفة وكسرها لالتقاء الساكنين تشبيها بنون التثنية وبتخفيف التاء من تبع ● قرأ الحسن وجوزنا من أجاز المكان وجوزه وجاوزه وليس من جوز الذي في بيت الاعشى

● واذا تجوزها حبال قبيلة ● لأنه لو كان منه لكان حقه أن يقال وجوزنا بني اسرائيل في البحر كما قال

● كما جوز السكي في الباب فيتق ● (فأتبعهم) فلحقهم يقال تبعته حتى أتبعته ● وقرأ الحسن وعدوا وقرئ أنه بالفتح على حذف الباء التي هي صلة الايمان وانه بالكسر على الاستئناف بدلا من آمنت ● كرر المخذول المعنى الواحد ثلاث مرات في ثلاث عبارات حرصا على القبول ثم لم يقبل منه حيث أخطأ وقته وقاله حين لم يبق له اختيار قط وكانت المرة الواحدة كافية في حال الاختيار وعند بقاء التكليف (آلآن) أتؤمن الساعة في وقت الاضطرار حين أدركك الغرق وأيست من نفسك قيل قال ذلك حين ألجمه الغرق يعني حين أوشك أن يغرق وقيل قاله بعد أن غرق في نفسه والذي يحكى أنه حين قال آمنت أخذ جبريل من حال البحر فدسه في

امتناع ذلك على الله تعالى لاعتقاده ان من الجور ان يملي لهم في الضلالة ويبقيهم عليها فهو متبجل لرد من الآيات بحمل الحيلة في تأويلها وردها الى معتقده وجعلها تبعا له كما تقدم له تأويل قوله ليزدادوا اثما وكأين من آية غراء رام أن يسترغثها ويطفئ نورها بأمثال هذه التأويلات الرديئة لفظا وعقدا ويأبى الله الا أن يتم نوره ثم لا يسعه الا أن يحمل موسى عليه السلام على أمثال هذه المعتقدات ولقد برأه الله وكان عند الله وجيها ● قوله تعالى آلآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين (قال معناه أتؤمن الساعة في وقت اضطرارك حين أدركك الغرق الخ) قال أحمد

من المفسدين فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية وإن كثيرا من الناس عن آياتنا لغافلون ولقد بوأنا بني إسرائيل مبوأ صدق ورزقناهم من الطيبات فما اختلفوا حتى جاءهم العلم إن ربك يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك فاسأل الذين يقرؤون الكتاب من قبلك

ولقد أنكر منكرا وغضب لله وللملائكة كما يجب لهم والله الموفق ● قوله تعالى فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك فاسأل الذين يقرؤون الكتاب من قبلك (قال إن قلت كيف قال له عليه السلام فإن كنت في شك مع قوله في الكفرة وإنهم لفي شك منه مريب الخ) قال أحمد ولو قال هذا المفسر إن نفي الشك عنه عليه الصلاة والسلام وتوطئة الأمر بالسؤال لتقوم حجته على المسؤولين لا ليستفيد بسؤالهم علما لمزيد نفي الارتياب فقوله قل لمن ما في السموات والأرض قل لله فأمر بالسؤال والجواب جميعا لكان أقوم وأسلم والله أعلم

فيه ولغضب الله على الكافر في وقت قد علم أن إيمانه لا ينفعه وأما ما يضم إليه من قولهم خشية أن تدركه رحمة الله فمن زيادات الباهتين لله وملائكته وفيه جهالتان إحداهما أن الإيمان يصح بالقلب كإيمان الأخرس فحال البحر لا يمنعه والأخرى أن من كره إيمان الكافر وأحب بقاءه على الكفر فهو كافر لأن الرضا بالكفر كفر (من المفسدين) من الضالين المضلين عن الإيمان كقوله الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون وروي أن جبريل عليه السلام أتاه بفتيا ما قول الأمير في عبد لرجل نشأ في ماله ونعمته فكفر نعمته وجحد حقه وادعى السيادة دونه فكتب فرعون فيه يقول أبو العباس الوليد بن مصعب جزاء العبد الخارج على سيده الكافر نعماءه أن يغرق في البحر فلما ألجمه الغرق ناوله جبريل خطه فعرفه (ننجيك) بالتشديد والتخفيف نبعدك مما وقع فيه قومك من قعر البحر وقيل نلقيك بنجوة من الأرض ● وقرئ ننحيك بالحاء نلقيك بناحية مما يلي البحر وذلك أنه طرح بعد الغرق بجانب البحر قال كعب رماه الماء إلى الساحل كأنه ثور (ببدنك) في موضع الحال أي في الحال التي لا روح فيك وإنما أنت بدن أو ببدنك كاملا سويا لم ينقص منه شيء ولم يتغير أو عريانا لست إلا بدنا من غير لباس أو بدرعك قال عمرو بن معديكرب

أعاذل شكتي بدني وسيفي ● وكل مقلص سلس القياد

وكانت له درع من ذهب يعرف بها وقرأ أبو حنيفة رحمه الله بأبدانك وهو على وجهين إما أن يكون مثل قولهم هوى بأجرامه يعني ببدنك كله وافيا بأجزائه أو يريد بدروعك كأنه كان مظاهرا بينها (لمن خلفك آية) لمن وراءك من الناس علامة وهم بنو إسرائيل وكان في أنفسهم أن فرعون أعظم شأنا من أن يغرق وروي أنهم قالوا ما مات فرعون ولا يموت أبدا وقيل أخبرهم موسى بهلاكه فلم يصدقوه فألقاه الله على الساحل حتى عاينوه وكأن مطرحه كان على ممر من بني إسرائيل حتى قيل لمن خلفك وقيل لمن خلفك لمن يأتي بعدك من القرون ومعنى كونه آية أن تظهر للناس عبوديته ومهانته وأن ما كان يدعيه من الربوبية باطل محال وأنه مع ما كان فيه من عظم الشأن وكبرياء الملك آل أمره إلى ما ترون لعصيانه ربه عز وجل فما الظن بغيره أو لتكون عبرة تعتبر بها الأمم بعدك فلا يجترئوا على نحو ما اجترأت عليه إذا سمعوا بحالك وبهوانك على الله ● وقرئ لمن خلقك بالقاف أي لتكون لخالقك آية كسائر آياته ويجوز أن يراد ليكون طرحك على الساحل وحدك وتمييزك من بين المغرقين لئلا يشتبه على الناس أمرك ولئلا يقولوا لادعائك العظمة إن مثله لا يغرق ولا يموت آية من آيات الله التي لا يقدر عليها غيره وليعلموا أن ذلك تعمد منه لإماطة الشبهة في أمرك (مبوأ صدق) منزلا صالحا مرضيا وهو مصر والشام (فما اختلفوا) في دينهم وما تشعبوا فيه شعبا إلا من بعد ما قرؤوا التوراة وكسبوا العلم بدين الحق ولزمهم الثبات عليه واتحاد الكلمة وعلموا أن الاختلاف فيه تفرق عنه وقيل هو العلم بمحمد صلى الله عليه وسلم واختلاف بني إسرائيل وهم أهل الكتاب اختلافهم في صفته ونعته وأنه هو أم ليس به بعد ما جاءهم العلم والبيان أنه هو لم يرتابوا فيه كما قال الله تعالى الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم (فإن قلت) كيف قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم (فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك) مع قوله في الكفرة وإنهم لفي شك منه مريب (قلت) فرق عظيم بين قوله وإنهم لفي شك منه مريب بإثبات الشك لهم على سبيل التأكيد والتحقيق وبين قوله فإن كنت في شك بمعنى الفرض والتمثيل كأنه قيل فإن وقع لك شك مثلا وخيل لك الشيطان خيالا منه تقديرا (فاسأل الذين يقرؤون الكتاب) والمعنى أن الله عز وجل قدم ذكر بني إسرائيل وهم قرأة الكتاب ووصفهم بأن العلم قد جاءهم لأن أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم مكتوب عندهم في التوراة والإنجيل وهم يعرفونه كما يعرفون أبناءهم فأراد أن يؤكد علمهم بصحة القرآن وصحة نبوة محمد عليه السلام ويبالغ في ذلك فقال فإن وقع لك شك فرضا وتقديرا وسبيل من خالجته شبهة في الدين أن يسارع إلى حلها وإماطتها إما بالرجوع إلى قوانين الدين وأدلته وإما بمقادحة العلماء المنبهين على الحق فسل علماء أهل الكتاب يعني أنهم من الإحاطة بصحة ما أنزل إليك وقتلها علما بحيث يصلحون لمراجعة مثلك ومساءلتهم فضلا عن غيرك فالغرض وصف الأحبار بالرسوخ في العلم بصحة ما أنزل إلى رسول

* قوله تعالى ولو شاء ربك لآمن من فى الارض كلهم جميعا (قال المراد مشيئة القسر والالجاء) قال أحمد وهذا من دسه الاعتزال مخلطا وخلط الباطل بالحق مدلسا ولما علم أن الآية تقتضى عدم مشيئة الله تعالى لايمان الخلق (٥٩١) بصيغة الكلية وانه انما شاء ذلك عن آمن لا عمن كفر اذ مقتضى لولا امتناع وكان ذلك رادا لمعتقده لأنهم يزعمون ان الله تعالى شاء الايمان من جميع أهل الارض فلم يؤمن الا بعضهم

لا وصف رسول الله بالشك فيه ثم قال (لقد جاءك الحق من ربك) أى ثبت عندك بالآيات والبراهين القاطعة أن ما أتاك هو الحق الذى لا مدخل فيه للمرية (فلا تكونن من الممترين ولا تكونن من الذين كذبوا بآيات الله) أى فاثبت ودم على ما أنت عليه من انتفاء المرية عنك والتكذيب بآيات الله ويجوز أن يكون على طريقة التهييج والالهاب كقوله فلا تكونن ظهيرا للكافرين ولا يصدنك عن آيات الله بعد اذ أنزلت اليك ولزيادة التثبيت والعصمة ولذلك قال عليه السلام عند نزوله لا أشك ولا أسأل بل أشهد أنه الحق وعن ابن عباس رضى الله عنه لا والله ما شك طرفة عين ولا سأل أحدا منهم وقيل خوطب رسول الله صلى الله عليه وسلم والمراد خطاب أمته ومعناه وان كنتم فى شك مما أنزلنا اليكم كقوله وأنزلنا اليكم نورا مبينا وقيل الخطاب للسامع ممن يجوز عليه الشك كقول العرب اذا عز أخوك فهن وقيل ان للنفى أى فما كنت فى شك فاسأل يعنى لا نأمرك بالسؤال لانك شاك ولكن لتزداد يقينا كما ازداد ابراهيم عليه السلام بمعاينة احياء الموتى وقرئ فاسأل الذين يقرؤن الكتب (حقت عليهم كلمة ربك) ثبت عليهم قول الله الذى كتبه فى اللوح وأخبر به الملائكة أنهم يموتون كفارا فلا يكون غيره وتلك كتابة معلوم لا كتابة مقدر ومراد تعالى الله عن ذلك (فلولا كانت) فهلا كانت (قرية) واحدة من القرى التى أهلكناها تابت عن الكفر وأخلصت الايمان قبل المعاينة ولم تؤخر كما أخر فرعون الى أن أخذ بمخنقه (فنفعها ايمانها) بأن يقبله الله منها لوقوعه فى وقت الاختيار وقرأ أبى وعبد الله فهلا كانت (الا قوم يونس) استثناء من القرى لأن المراد أهاليها وهو استثناء منقطع بمعنى ولكن قوم يونس لما آمنوا ويجوز أن يكون متصلا والجملة فى معنى النفى كأنه قيل ما آمنت قرية من القرى الهالكة الا قوم يونس وانتصابه على أصل الاستثناء وقرئ بالرفع على البدل هكذا روى عن الجرمى والكسائى روى أن يونس عليه السلام بعث الى نينوى من أرض الموصل فكذبوه فذهب عنهم مغاضبا فلما فقدوه خافوا نزول العذاب فلبسوا المسوح وعجوا أربعين ليلة وقيل قال لهم يونس ان أجلكم أربعون ليلة فقالوا ان رأينا أسباب الهلاك آمنا بك فلما مضت خمس وثلاثون أغامت السماء غيما أسود هائلا يدخن دخانا شديدا ثم يهبط حتى يغشى مدينتهم ويسود سطوحهم فلبسوا المسوح وبرزوا الى الصعيد بأنفسهم ونسائهم وصبيانهم ودوابهم وفرقوا بين النساء والصبيان وبين الدواب وأولادها فحن بعضها الى بعض وعلت الاصوات والعجيج وأظهروا الايمان والتوبة وتضرعوا فرحمهم الله وكشف عنهم وكان يوم عاشوراء يوم الجمعة وعن ابن مسعود بلغ من توبتهم أن ترادوا المظالم حتى ان الرجل كان يقتلع الحجر وقد وضع عليه أساس بنائه فيرده وقيل خرجوا الى شيخ من بقية علمائهم فقالوا قد نزل بنا العذاب فما ترى فقال لهم قولوا يا حى حين لا حى ويا حى محيى الموتى ويا حى لا اله الا أنت فقالوها فكشف عنهم وعن الفضيل بن عياض قالوا اللهم ان ذنوبنا قد عظمت وجلت وأنت أعظم منها وأجل افعل بنا ما أنت أهله ولا تفعل بنا ما نحن أهله (ولو شاء ربك) مشيئة القسر والالجاء (لآمن من فى الارض كلهم) على وجه الاحاطة والشمول (جميعا) مجتمعين على الايمان مطبقين عليه لا يختلفون فيه ألا ترى الى قوله (أفأنت تكره الناس) يعنى انما يقدر على اكراههم واضطرارهم الى الايمان هو لا أنت وايلاء الاسم حرف الاستفهام للاعلام بأن الاكراه ممكن مقدور عليه وانما الشأن فى المكره من هو وما هو الا هو وحده لا يشارك فيه لانه هو القادر على أن يفعل فى قلوبهم ما يضطرون عنده الى الايمان وذلك غير مستطاع للبشر (وما كان لنفس) يعنى من النفوس التى علم أنها تؤمن (الا باذن الله) أى بتسهيله وهو منح الالطاف (ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون) قابل الاذن بالرجس وهو الخذلان والنفس المعلوم ايمانها بالذين لا يعقلون وهم المصرون على الكفر كقوله صم بكم عمى فهم لا يعقلون وسمى الخذلان رجسا وهو العذاب لانه سببه وقرئ الرجز بالزاى

لقد جاءك الحق من ربك فلا تكونن من الممترين ولا تكونن من الذين كذبوا بآيات الله فتكون من الخاسرين ان الذين حقت عليهم كلمت ربك لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الاليم فلولا كانت قرية آمنت فنفعها ايمانها الا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزى فى الحياة الدنيا ومتعناهم الى حين ولو شاء ربك لآمن من فى الارض كلهم جميعا أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين وما كان لنفس أن تؤمن الا باذن الله ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون قل انظروا

أحمد يحرف مشيئة الايمان الى مشيئة القسر والالجاء ليتم له ان المشيئة المرادة فى الآية لم تقع لاتفاقه على ان الله تعالى ما قسر الخلق ولا سلب اختيارهم بل أمرهم بالايمان وخلق لهم اختيارا له وقصدا وهذا كما ترى لا يعد فى التأويل بل هو أجدر بالتعطيل فوجب رده واقرار الظاهر على حاله نعوذ بالله من زيغ الشيطان واضلاله والله الموفق

وقرئ ونجعل بالنون (ماذا في السموات والارض) من الآيات والعبر (وما تغني الآيات والنذر) والرسل المنذرون أو الانذارات (عن قوم لا يؤمنون) لا يتوقع إيمانهم وهم الذين لا يعقلون وقرئ وما يغني بالياء وما نافية أو استفهامية (أيام الذين خلوا من قبلهم) وقائع الله تعالى فيهم كما يقال أيام العرب لوقائعها (ثم ننجي رسلنا) معطوف على كلام محذوف يدل عليه قوله الا مثل أيام الذين خلوا من قبلهم كأنه قيل نهلك الامم ثم ننجي رسلنا على حكاية الاحوال الماضية (والذين آمنوا) ومن آمن معهم * كذلك ننج المؤمنين مثل ذلك الانجاء ننجي المؤمنين منكم ونهلك المشركين و(حقا علينا) اعتراض يعني حق ذلك علينا حقا وقرئ ننجي بالتشديد (يا أيها الناس) يا أهل مكة (ان كنتم في شك من ديني) وصحته وسداده فهذا ديني فاستمعوا وصفه واعرضوه على عقولكم وانظروا فيه بعين الانصاف لتعلموا أنه دين لا مدخل فيه للشك وهو أني لا أعبد الحجارة التي تعبدونها من دون من هو إلهكم وخالقكم (ولكن أعبد الله الذي يتوفاكم) وانما وصفه بالتوفي ليريهم أنه الحقيق بأن يخاف ويتقى فيعبد دون ما لا يقدر على شيء (وأمرت أن أكون من المؤمنين) يعني أن الله أمرني بذلك بما ركب في من العقل وبما أوحى الي في كتابه وقيل معناه ان كنتم في شك من ديني ومما أنا عليه أأثبت عليه أم أتركه وأوافقكم فلا تحدثوا أنفسكم بالمحال ولا تشكوا في أمري واقطعوا عني أطماعكم واعلموا أني لا أعبد الذين تعبدون من دون الله ولا أختار الضلالة على الهدى كقوله قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون أمرت أن أكون أصله بأن أكون فحذف الجار وهذا الحذف يحتمل أن يكون من الحذف المطرد الذي هو حذف الحروف الجارة مع أن وأن وأن يكون من الحذف غير المطرد وهو قوله أمرتك الخير فاصدع بما تؤمر (فان قلت) عطف قوله (وأن أقم) على أن أكون فيه اشكال لان أن لا تخلو من أن تكون التي للعبارة أو التي تكون مع الفعل في تأويل المصدر فلا يصح أن تكون للعبارة وان كان الامر مما يتضمن معنى القول لان عطفها على الموصولة يأبى ذلك والقول بكونها موصولة مثل الاولى لا يساعد عليه لفظ الامر وهو أقم لان الصلة حقها أن تكون جملة تحتمل الصدق والكذب (قلت) قد سوغ سيبويه أن توصل أن بالامر والنهي وشبه ذلك بقولهم أنت الذي تفعل على الخطاب لان الغرض وصلها بما تكون معه في معنى المصدر والامر والنهي دالان على المصدر دلالة غيرهما من الافعال أقم وجهك استقم اليه ولا تلتفت يمينا ولا شمالا و(حنيفا) حال من الدين أو من الوجه (فان فعلت) معناه فان دعوت من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك فكنى عنه بالفعل ايجازا (فانك اذا من الظالمين) اذا جزاء للشرط وجواب لسؤال مقدر كأن سائلا سأل عن تبعة عبادة الاوثان وجعل من الظالمين لانه لا ظلم أعظم من الشرك ان الشرك لظلم عظيم * أتبع النهي عن عبادة الاوثان ووصفها بأنها لا تنفع ولا تضر أن الله عز وجل هو الضار النافع الذي ان أصابك بضر لم يقدر على كشفه الا هو وحده دون كل أحد فكيف بالجماد الذي لا شعور به وكذلك ان أرادك بخير لم يرد أحد ما يريده بك من فضله واحسانه فكيف بالاوثان فهو الحقيق اذا بأن توجه اليه العبادة دونها وهو أبلغ من قوله ان أرادني الله بضر هل هن كاشفات ضره أو أرادني برحمة هل هن ممسكات رحمته (فان قلت) لم ذكر المس في أحدهما والارادة في الثاني (قلت) كأنه أراد أن يذكر الامرين جميعا الارادة والاصابة في كل واحد من الضر والخير وأنه لا راد لما يريد منهما ولا مزيل لما يصيب به منهما فأوجز الكلام بأن ذكر المس وهو الاصابة في أحدهما والارادة في الآخر ليدل بما ذكر على ما ترك على أنه قد ذكر الاصابة بالخير في قوله تعالى (يصيب به من يشاء من عباده) والمراد بالمشيئة مشيئة المصلحة (قد جاءكم الحق) فلم يبق لكم عذر ولا على الله حجة فمن اختار الهدى واتباع الحق فما نفع باختياره الا نفسه ومن آثر الضلال فما ضر الا نفسه واللام وعلى دلا على معنى النفع والضر * وكل اليهم الامر بعد ابانة الحق وازاحة العلل وفيه حث على ايثار الهدى واطراح الضلال مع ذلك (وما أنا عليكم بوكيل) بحفيظ موكول الى أمركم وحملكم على ما أريد انما أنا بشير ونذير (واصبر) على دعوتهم واحتمال أذاهم واعراضهم (حتى يحكم الله) لك بالنصرة عليهم والغلبة وروي أنها لما نزلت جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم الانصار فقال انكم ستجدون بعدي أثرة فاصبروا حتى تلقوني يعني

ماذا في السموات والارض وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون فهل ينتظرون الا مثل أيام الذين خلوا من قبلهم قل فانتظروا اني معكم من المنتظرين ثم ننجي رسلنا والذين آمنوا كذلك حقا علينا ننج المؤمنين قل يا أيها الناس ان كنتم في شك من ديني فلا أعبد الذين تعبدون من دون الله ولكن أعبد الله الذي يتوفاكم وأمرت أن أكون من المؤمنين وأن أقم وجهك للدين حنيفا ولا تكونن من المشركين ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك فان فعلت فانك اذا من الظالمين وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يردك بخير فلا راد لفضله يصيب به من يشاء من عباده وهو الغفور الرحيم قل يا أيها الناس قد جاءكم الحق من ربكم فمن اهتدى فانما يهتدي لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها وما أنا عليكم بوكيل واتبع ما يوحى اليك واصبر حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين

أى أمرت فى هذه الآية بالصبر على ما سامتنى الكفرة فصبرت فاصبروا أنتم على ما يسومكم الامراء الجورة قال أنس فلم نصبر وروى أن أبا قتادة تخلف عن تلقى معاوية حين قدم المدينة وقد تلقته الانصار ثم دخل عليه من بعد فقال له مالك لم تتلقنا قال لم تكن عندنا دواب قال فأين النواضح قال قطعناها فى طلبك وطلب أبيك يوم بدر وقد قال صلى الله عليه وسلم يا معشر الانصار انكم ستلقون بعدى أثرة قال معاوية فماذا قال قال فاصبروا حتى تلقونى قال فاصبر قال اذن نصبر فقال عبد الرحمن بن حسان

ألا أبلغ معاوية بن حرب * أمير الظالمين نثا كلامى
بأنا صابرون فمنظروكم * الى يوم التغابن والخصام

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة يونس أعطى من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق بيونس وكذب به وبعدد من غرق مع فرعون

﴿سورة هود عليه السلام مكية وهى مائة وثلاث وعشرون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(أحكمت آياته) نظمت نظما رصينا محكما لا يقع فيه نقض ولا خلل كالبناء المحكم المرصف ويجوز أن يكون نقلا بالهمزة من حكم بضم الكاف اذا صار حكيما أى جعلت حكيمة كقوله تعالى آيات الكتاب الحكيم وقيل منعت من الفساد من قولهم أحكمت الدابة اذا وضعت عليها الحكمة لتمنعها من الجماح قال جرير

أبنى حنيفة أحكموا سفهاءكم * انى أخاف عليكم أن أغضبا

وعن قتادة أحكمت من الباطل (ثم فصلت) كما تفصل القلائد بالفرائد من دلائل التوحيد والاحكام والمواعظ والقصص أو جعلت فصولا سورة سورة وآية آية أو فرقت فى التنزيل ولم تنزل جملة واحدة أو فصل فيها ما يحتاج اليه العباد أى بين ولخص وقرئ أحكمت آياته ثم فصلت أى أحكمتها أنا ثم فصلتها وعن عكرمة والضحاك ثم فصلت أى فرقت بين الحق والباطل (فان قلت) ما معنى ثم (قلت) ليس معناها التراخى فى الوقت ولكن فى الحال كما تقول هى محكمة أحسن الاحكام ثم مفصلة أحسن التفصيل وفلان كريم الاصل ثم كريم الفعل وكتاب خبر مبتدإ محذوف وأحكمت صفة له وقوله (من لدن حكيم خبير) صفة ثانية ويجوز أن يكون خبرا بعد خبر وأن يكون صلة لاحكمت وفصلت أى من عنده احكامها وتفصيلها وفيه طباق حسن لان المعنى أحكمها حكيم وفصلها أى بينها وشرحها خبير عالم بكيفيات الامور (ألا تعبدوا) مفعول له على معنى لئلا تعبدوا أو تكون أن مفسرة لان فى تفصيل الآيات معنى القول كأنه قيل قال لا تعبدوا الا الله أو أمركم أن لا تعبدوا الا الله (وأن استغفروا) أى أمركم بالتوحيد والاستغفار ويجوز أن يكون كلاما مبتدأ منقطعا عما قبله على لسان النبى صلى الله عليه وسلم اغراء منه على اختصاص الله بالعبادة ويدل عليه قوله اننى لكم منه نذير وبشير كأنه قال ترك عبادة غير الله اننى لكم منه نذير كقوله تعالى فضرب الرقاب والضمير فى منه لله عز وجل أى اننى لكم نذير وبشير من جهته كقوله رسول من الله أو هى صلة لنذير أى أنذركم منه ومن عذابه ان كفرتم وأبشركم بثوابه ان آمنتم (فان قلت) ما معنى ثم فى قوله (ثم توبوا اليه) (قلت) معناه استغفروا من الشرك ثم ارجعوا اليه بالطاعة أو استغفروا والاستغفار توبة ثم أخلصوا التوبة واستقيموا عليها كقوله ثم استقاموا (يمتعكم) يطول نفعكم فى الدنيا بمنافع حسنة مرضية من عيشة واسعة ونعمة متتابعة (الى أجل مسمى) الى أن يتوفاكم كقوله فلنحيينه حياة طيبة (ويؤت كل ذى فضل فضله) ويعط فى الآخرة كل من كان له فضل فى العمل وزيادة فيه جزاء فضله لا يبخس منه أو فضله فى الثواب والدرجات تتفاضل فى الجنة على قدر تفاضل الطاعات (وان تولوا) وان تتولوا (عذاب يوم كبير) هو يوم القيامة وصف بالكبر كما وصف بالعظم والثقل * وبين عذاب اليوم الكبير بأن مرجعهم الى من هو قادر على كل شئ فكان قادرا على أشد ما أراد من عذابهم لا يعجزه وقرئ وان تولوا من ولى (يثنون صدورهم) يزورون عن الحق

﴿سورة هود عليه السلام مكية وهى مائة وثلاث وعشرون آية﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الر كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير ألا تعبدوا الا الله اننى لكم منه نذير وبشير وأن استغفروا ربكم ثم توبوا اليه يمتعكم متاعا حسنا الى أجل مسمى ويؤت كل ذى فضل فضله وان تولوا فانى أخاف عليكم عذاب يوم كبير الى الله مرجعكم وهو على كل شئ قدير ألا انهم يثنون صدورهم

ويزورّون عنه لان من أقبل على الشيء استقبله بصدره ومن ازورّ عنه وانحرف ثنى عنه صدره وطوى
عنه كشحه (ليستخفوا منه) يعني ويريدون ليستخفوا من الله فلا يطلع رسوله والمؤمنين على ازورارهم
ونظير اضمار يريدون لعود المعنى الى اضماره الاضمار في قوله تعالى اضرب بعصاك البحر فانفلق معناه
فضرب فانفلق ومعنى (ألا حين يستغشون ثيابهم) ويريدون الاستخفاء حين يستغشون ثيابهم أيضا
كراهة لاستماع كلام الله تعالى كقول نوح عليه السلام جعلوا أصابعهم في آذانهم واستغشوا ثيابهم ثم قال
(يعلم ما يسرون وما يعلنون) يعني أنه لا تفاوت في علمه بين اسرارهم واعلانهم فلا وجه لتوصلهم الى
ما يريدون من الاستخفاء والله مطلع على ثنيهم صدورهم واستغشائهم ثيابهم ونفاقهم غير نافق عنده روي أنها
نزلت في الاخنس بن شريق وكان يظهر لرسول الله صلى الله عليه وسلم المحبة وله منطق حلو وحسن سياق
للحديث فكان يجالس رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحادثه وهو يضمر خلاف ما يظهر وقيل نزلت
في المنافقين ❊ وقرئ تثنوني صدورهم وتثنوني تفعوعل من الثني كاحلولى من الحلاوة وهو بناء مبالغة
قرئ بالتاء والياء وعن ابن عباس لتثنوني وقرئ تثنون وأصله تثنونن تفعوعل من الثن وهو ما هش وضعف
من الكلأ يريد مطاوعة صدورهم للثني كما يثنى الهش من النبات أو أراد ضعف ايمانهم ومرض قلوبهم
وقرئ تثنئن من اثنأن افعال منه ثم همز كما قيل ابيأضت وادهأمت وقرئ تثنوي بوزن ترعوي (فان قلت)
كيف قال (على الله رزقها) بلفظ الوجوب وانما هو تفضل (قلت) هو تفضل الا انه لما ضمن أن يتفضل به
عليهم رجع التفضل واجبا كنذور العباد ❊ والمستقر مكانه من الارض ومسكنه ❊ والمستودع حيث كان
مودعا قبل الاستقرار من صلب أو رحم أو بيضة (كل) كل واحد من الدواب ورزقها ومستقرها ومستودعها
في اللوح يعني ذكرها مكتوب فيه مبين (وكان عرشه على الماء) أي ما كان تحته خلق قبل خلق السموات
والارض وارتفاعه فوقها الا الماء وفيه دليل على أن العرش والماء كانا مخلوقين قبل السموات والارض
وقيل وكان الماء على متن الريح والله أعلم بذلك وكيفما كان فبقدرة ملك كل ذلك مقدرته وكلما زادت الاجرام
كانت أحوج الى الامساك (ليبلوكم) متعلق بخلق أي خلقهن لحكمة بالغة وهي أن يجعلها مساكن
لعباده وينعم عليهم فيها بفنون النعم ويكلفهم الطاعات واجتناب المعاصي فمن شكر وأطاع أثابه ومن كفر
وعصى عاقبه ولما أشبه ذلك اختبار المختبر قال ليبلوكم يريد ليفعل بكم ما يفعل المبتلي لاحوالكم كيف تعملون
(فان قلت) كيف جاز تعليق فعل البلوى (قلت) لما في الاختبار من معنى العلم لانه طريق اليه فهو ملابس
له كما تقول انظر أيهم أحسن وجها واسمع أيهم أحسن صوتا لان النظر والاستماع من طرق العلم (فان قلت)
كيف قيل (أيكم أحسن عملا) وأعمال المؤمنين هي التي تتفاوت الى حسن وأحسن فأما أعمال المؤمنين
والكافرين فتفاوتها الى حسن وقبيح (قلت) الذين هم أحسن عملا هم المتقون وهم الذين استبقوا الى
تحصيل ما هو غرض الله من عباده فخصهم بالذكر واطرح ذكر من وراءهم تشريفا لهم وتنبيها على
مكانهم منه وليكون ذلك لطفا للسامعين وترغيبا في حيازة فضلهم وعن النبي صلى الله عليه وسلم ليبلوكم أيكم
أحسن عقلا وأورع عن محارم الله وأسرع في طاعة الله ❊ وقرئ ولئن قلت انكم مبعوثون بفتح الهمزة ووجهه
أن يكون من قولهم ائت السوق أنك تشتري لنا لحما وأنك تشتري بمعنى علك أي ولئن قلت لهم لعلكم
مبعوثون بمعنى توقعوا بعثكم وظنوه ولا تبتوا القول بانكاره لقالوا (ان هذا الا سحر مبين) يعنون البعث القول
ببطلانه ويجوز أن تضمن قلت معنى ذكرت ومعنى قولهم ان هذا الا سحر مبين ان السحر أمر باطل وأن
بطلانه كبطلان السحر تشبيها له به أو أشاروا بهذا الى القرآن لان القرآن هو الناطق بالبعث فاذا جعلوه
سحرا فقد اندرج تحته انكار ما فيه من البعث وغيره وقرئ ان هذا الا ساحر يريدون الرسول والساحر كاذب
مبطل (العذاب) عذاب الآخرة وقيل عذاب يوم بدر وعن ابن عباس قتل جبريل المستهزئين (الى أمة)
الى جماعة من الاوقات (ما يحبسه) ما يمنعه من النزول استعجالا له على وجه التكذيب والاستهزاء (يوم
يأتيهم) منصوب بخبر ليس ويستدل به من يستجيز تقديم خبر ليس على ليس وذلك أنه اذا جاز تقديم معمول

خبرها

ليستخفوا منه ألا حين
يستغشون ثيابهم يعلم
ما يسرون وما يعلنون
انه عليم بذات الصدور
وما من دابة في الارض
الا على الله رزقها ويعلم
مستقرها ومستودعها
كل في كتاب مبين وهو
الذي خلق السموات
والارض في ستة أيام
وكان عرشه على الماء
ليبلوكم أيكم أحسن عملا
ولئن قلت انكم مبعوثون
من بعد الموت ليقولن
الذين كفروا ان هذا
الا سحر مبين ولئن أخرنا
عنهم العذاب الى أمة
معدودة ليقولن
ما يحبسه ألا يوم يأتيهم
ليس مصروفا

﴿القول في سورة
هود عليه السلام﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

❊ قوله تعالى وما من
دابة في الارض الا على
الله رزقها (قال ان قلت
كيف قال على الله رزقها
بلفظ الوجوب الخ)
قال أحمد كل ما يسديه
الله تعالى من رزق لعبده
أو مكان في الدنيا أو
ثواب في الآخرة فذلك
كله فضل ولا واجب
على الله تعالى وان ورد
مثل هذه الصيغة
فمحمول على ان الله
عز وجل لما وعدهم
فضله ووعده وخبره
صدق وجب وقوع

خبرها عليها كان ذلك دليلاً على جواز تقديم خبرها لأن المعمول تابع للعامل فلا يقع إلا حيث يقع العامل (وحاق بهم) وأحاط بهم (ما كانوا به يستهزئون) العذاب الذي كانوا به يستعجلون وإنما وضع يستهزئون موضع يستعجلون لأن استعجالهم كان على جهة الاستهزاء والمعنى ويحيق بهم إلا أنه جاء على عادة الله في أخباره (الإنسان) للجنس (رحمة) نعمة من صحة وأمن وجدة (ثم نزعناها منه) ثم سلبناه تلك النعمة (إنه ليئوس) شديد اليأس من أن تعود إليه مثل تلك النعمة المسلوبة قاطع رجاءه من سعة فضل الله من غير صبر ولا تسليم لقضائه ولا استرجاع (كفور) عظيم الكفران لما سلف له من التقلب في نعمة الله نساء له (ذهب السيئات عني) أي المصائب التي ساءتني (إنه لفرح) أشر بطر (فخور) على الناس بما أذاقه الله من نعمائه قد شغله الفرح والفخر عن الشكر (إلا الذين) آمنوا فإن عادتهم إن نالتهم رحمة أن يشكروا وإن زالت عنهم نعمة أن يصبروا كانوا يقترحون عليه آيات تعنتاً لا استرشاداً لأنهم لو كانوا مسترشدين لكانت آية واحدة مما جاء به كافية في رشادهم ومن اقتراحاتهم لولا أنزل عليه كنز أو جاء معه ملك وكانوا لا يعتدون بالقرآن ويتهاونون به وبغيره مما جاء به من البينات فكان يضيق صدر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يلقي إليهم ما لا يقبلونه ويضحكون منه فحرّكه الله منه وهيّجه لأداء الرسالة وطرح المبالاة بردّهم واستهزائهم واقتراحهم بقوله (فلعلك تارك بعض ما يوحى إليك) أي لعلك تترك أن تلقيه إليهم وتبلغه إياهم مخافة ردّهم له وتهاونهم به (وضائق به صدرك) بأن تتلوه عليهم (أن يقولوا) مخافة أن يقولوا (لولا أنزل عليه كنز) أي هلا أنزل عليه ما اقترحنا نحن من الكنز والملائكة ولم ينزل عليه ما لا نريده ولا نقترحه ثم قال (إنما أنت نذير) أي ليس عليك إلا أن تنذرهم بما أوحي إليك وتبلغهم ما أمرت بتبليغه ولا عليك ردّوا أو تهاونوا أو اقترحوا (والله على كل شيء وكيل) يحفظ ما يقولون وهو فاعل بهم ما يجب أن يفعل فتوكل عليه وكل أمرك إليه وعليك بتبليغ الوحي بقلب فسيح وصدر منشرح غير ملتفت إلى استكبارهم ولا مبال بسفههم واستهزائهم (فإن قلت) لم عدل عن ضيق إلى ضائق (قلت) ليدل على أنه ضيق عارض غير ثابت لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أفسح الناس صدراً ومثله قولك زيد سيد وجواد تريد السيادة والجود الثابتين المستقرين فإذا أردت الحدوث قلت سائد وجائد ونحوه كانوا قوماً عامين في بعض القراءات وقول السمهري العكلي

بمنزلة أما اللئيم فسامن ❊ بها وكرام الناس باد شحوبها

(أم) منقطعة ❊ والضمير في (افتراه) لما يوحى إليك ❊ تحداهم أولاً بعشر سور ثم بسورة واحدة كما يقول المخاير في الخط لصاحبه اكتب عشرة أسطر نحو ما أكتب فإذا تبين له العجز عن مثل خطه قال قد اقتصرت منك على سطر واحد (مثله) بمعنى أمثاله ذهاباً إلى مماثلة كل واحدة منها له (مفتريات) صفة لعشر سور لما قالوا افتريت القرآن واختلقته من عند نفسك وليس من عند الله قاودهم على دعواهم وأرخى معهم العنان وقال هبوا أني اختلقته من عند نفسي ولم يوح إليّ وأن الأمر كما قلتم فأتوا أنتم أيضاً بكلام مثله مختلق من عند أنفسكم فأنتم عرب فصحاء مثلي لا تعجزون عن مثل ما أقدر عليه من الكلام (فإن قلت) كيف يكون ما يأتون به مثله وما يأتون به مفترى وهذا غير مفترى (قلت) معناه مثله في حسن البيان والنظم وإن كان مفترى (فإن قلت) ما وجه جمع الخطاب بعد إفراده وهو قوله لكم فاعلموا بعد قوله قل (قلت) معناه فإن لم يستجيبوا لك وللمؤمنين لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين كانوا يتحدونهم وقد قال في موضع آخر فإن لم يستجيبوا لك فاعلم ويجوز أن يكون الجمع لتعظيم رسول الله صلى الله عليه وسلم كقوله ❊ فإن شئت حرمت النساء سواكم ❊ ووجه آخر وهو أن يكون الخطاب للمشركين والضمير في لم يستجيبوا لمن استطعتم يعني فإن لم يستجب لكم من تدعونه من دون الله إلى المظاهرة على معارضته لعلمهم بالعجز عنه وأن طاقتهم أقصر من أن تبلغه (فاعلموا أنما أنزل بعلم الله) أي أنزل ملتبساً بما لا يعلمه إلا الله من نظم معجز للخلق وإخبار بغيوب لا سبيل لهم إليه (و) اعلموا عند ذلك (أن لا إله إلا الله) وحده وأن توحيده واجب والإشراك به ظلم عظيم (فهل أنتم مسلمون) مبايعون بالإسلام بعد هذه الحجة القاطعة وهذا وجه حسن مطرد ومن جعل الخطاب للمسلمين فمعناه

عنهم وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون ولئن أذقنا الإنسان منا رحمة ثم نزعناها منه إنه ليئوس كفور ولئن أذقناه نعماء بعد ضراء مسته ليقولن ذهب السيئات عني إنه لفرح فخور إلا الذين صبروا وعملوا الصالحات أولئك لهم مغفرة وأجر كبير فلعلك تارك بعض ما يوحى إليك وضائق به صدرك أن يقولوا لولا أنزل عليه كنز أو جاء معه ملك إنما أنت نذير والله على كل شيء وكيل أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين فإن لم يستجيبوا لكم فاعلموا أنما أنزل بعلم الله وأن لا إله إلا هو فهل أنتم مسلمون من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها

لموعود أي بتفصيل في العقل أن لا يقع للمروم الخلف في خبر الصادق فعبر عن ذلك بتعبيره عن وجوب التكليف وبينهما بعد الفرق المذكور هذه قاعدة أهل الحق وقد مر الكلام عليها عند قوله تعالى إنما التوبة على الله والله الموفق

﴿قوله تعالى يضاعف لهم العذاب ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون (قال أراد أنهم لفرط تصامهم عن استماع الحق وكراهتهم له كأنهم الخ) قال أحمد أهل الحق وإن نفوا تأثير استطاعة العبد وخلصوا الخلق لقدرة الخالق عز وجل لا ينفون استطاعة العبد نفسها ولا ما يجده من نفسه من الفرق حالة الحركات القسرية والاختيارية وإنما الذي ينفي الاستطاعة جملة هم الجبرة حقيقة لا أهل السنة والحق

نوف إليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون أفمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه ومن قبله كتاب موسى إماما ورحمة أولئك يؤمنون به ومن يكفر به من الأحزاب فالنار موعده فلا تك في مرية منه إنه الحق من ربك ولكن أكثر الناس لا يؤمنون ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أولئك يعرضون على ربهم ويقول الأشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين الذين يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا وهم بالآخرة هم كافرون أولئك لم يكونوا معجزين في الأرض وما كان لهم من دون الله من أولياء يضاعف لهم العذاب ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون أولئك الذين

فاثبتوا على العلم الذي أنتم عليه وازدادوا يقيناً وثبات قدم على أنه منزل من عند الله وعلى التوحيد ومعنى فهل أنتم مسلمون فهل أنتم مخلصون (نوف إليهم) نوصل إليهم أجور أعمالهم وافية كاملة من غير بخس في الدنيا وهو ما يرزقون فيها من الصحة والرزق وقيل هم أهل الرياء يقال للقراء منهم أردت أن يقال فلان قارئ فقد قيل ذلك ولمن وصل الرحم وتصدق فعلت حتى يقال فقد قيل ولمن قاتل فقتل قاتلت حتى يقال فلان جريء فقد قيل وعن أنس بن مالك هم اليهود والنصارى إن أعطوا سائلاً أو وصلوا رحماً عجل لهم جزاء ذلك بتوسعة في الرزق وصحة في البدن وقيل هم الذين جاهدوا من المنافقين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسهم لهم في الغنائم وقرئ يوف بالياء على أن الفعل لله عز وجل وتوف إليهم أعمالهم بالتاء على البناء للمفعول وفي قراءة الحسن نوفي بالتخفيف وإثبات الياء لأن الشرط وقع ماضياً كقوله ﴿يقول لا غائب مالي ولا حرم﴾ (وحبط ما صنعوا فيها) وحبط في الآخرة ما صنعوه أو صنيعهم يعني لم يكن له ثواب لأنهم لم يريدوا به الآخرة إنما أرادوا به الدنيا وقد وفي إليهم ما أرادوا (وباطل ما كانوا يعملون) أي كان عملهم في نفسه باطلاً لأنه لم يعمل لوجه صحيح والعمل الباطل لا ثواب له وقرئ وبطل على الفعل وعن عاصم وباطلاً بالنصب وفيه وجهان أن تكون ما إبهامية وينتصب بيعملون ومعناه وباطلاً أي باطل كانوا يعملون وأن تكون بمعنى المصدر على وبطل بطلاناً ما كانوا يعملون (أفمن كان على بينة) معناه أمن كان يريد الحياة الدنيا كمن كان على بينة أي لا يعقبونهم في المنزلة ولا يقاربونهم يريد أن بين الفريقين تفاوتاً بعيداً وتبايناً بيناً وأراد بهم من آمن من اليهود كعبد الله بن سلام وغيره كان على بينة (من ربه) أي على برهان من الله وبيان أن دين الإسلام حق وهو دليل العقل (ويتلوه) ويتبع ذلك البرهان (شاهد منه) أي شاهد يشهد بصحته وهو القرآن منه من الله أو شاهد من القرآن فقد تقدم ذكره آنفاً (ومن قبله) ومن قبل القرآن (كتاب موسى) وهو التوراة أي ويتلو ذلك البرهان أيضاً من قبل القرآن كتاب موسى وقرئ كتاب موسى بالنصب ومعناه كان على بينة من ربه وهو الدليل على أن القرآن حق ويتلوه ويقرأ القرآن شاهد منه شاهد ممن كان على بينة كقوله وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب ومن قبله كتاب موسى ويتلو من قبل القرآن التوراة (إماماً) كتاباً مؤتماً به في الدين قدوة فيه (ورحمة) ونعمة عظيمة على المنزل إليهم (أولئك) يعني من كان على بينة (يؤمنون به) يؤمنون بالقرآن (ومن يكفر به من الأحزاب) يعني أهل مكة ومن ضامهم من المتحزبين على رسول الله صلى الله عليه وسلم (فالنار موعده فلا تك في مرية) وقرئ مرية بالضم وهما الشك (منه) من القرآن أو من الموعد (يعرضون على ربهم) يحبسون في الموقف وتعرض أعمالهم ويشهد عليهم (الأشهاد) من الملائكة والنبيين بأنهم الكذابون على الله بأنه اتخذ ولداً وشريكاً ويقال (ألا لعنة الله على الظالمين) فواخزياه وافضيحتاه والأشهاد جمع شاهد أو شهيد كأصحاب وأشراف (ويبغونها عوجاً) يصفونها بالاعوجاج وهي مستقيمة أو يبغون أهلها أن يعوجوا بالارتداد وهم الثانية لتأكيد كفرهم بالآخرة واختصاصهم به (أولئك لم يكونوا معجزين في الأرض) أي ما كانوا يعجزون الله في الدنيا أن يعاقبهم لو أراد عقابهم وما كان لهم من يتولاهم فينصرهم منه ويمنعهم من عقابه ولكنه أراد إنظارهم وتأخير عقابهم إلى هذا اليوم وهو من كلام الأشهاد (يضاعف لهم العذاب) وقرئ يضعف (ما كانوا يستطيعون السمع) أراد أنهم لفرط تصامهم عن استماع الحق وكراهتهم له كأنهم لا يستطيعون السمع ولعل

مع الزمخشري في هذا الموضع الأبي عصمته حيث يقول موقعوعاً بها على أهل العدل يعني الآية المذكورة وهذه بعض مقطعة عظيمة وهب أن المجبر غلط في الاستدلال بالآية على معتقده فكيف يستجيز أن يطلق على إرادة الآية مقوعوعة وإنما تلا كتاب الله تعالى غير أن خطأه في تصحيح معتقده الباطل به ومن الزمخشري الا يتسامح كثيراً فيما يجب من الآداب لكتاب الله العزيز وإنما يليق التسامح إذا كان يفسر شعر امرئ القيس أو الحارث بن حلزة وأما أدب القرآن فيضيق عن أسهل من ذلك والله الموفق

* قوله تعالى مثل الفريقين كالاعمى والاصم والبصير والسميع هل يستويان مثلا أفلا تذكرون (قال شبه فريق الكافرين بالاعمى والاصم وفريق المؤمنين بالبصير والسميع الى قوله أن تكون الواو الخ) قال أحمد يحتاج فيها على الوجه الاول فانها لعطف الموصوف على الموصوف وأما نظيره الآية بتشبيه امرئ القيس فى كونه شبه تشبيهين اثنين ففيه نظر فان امرأ القيس شبه كل واحد من الرطب واليابس تشبيها واحدا والآية على التفسير الاول شبهت كل واحد من الكافر والمؤمن تشبيهين وانما يطابق بيت امرئ القيس على الوجه الثانى فان مقتضاه ان كل واحد منهما شبه تشبيها واحدا ولكن فى صفتين متعددتين والامر فى ذلك قريب والله أعلم

خسروا أنفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون لاجرم أنهم فى الآخرة هم الاخسرون ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأخبتوا الى ربهم أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون مثل الفريقين كالاعمى والاصم والبصير والسميع هل يستويان مثلا أفلا تذكرون ولقد أرسلنا نوحا الى قومه انى لكم نذير مبين أن لاتعبدوا الا الله انى أخاف عليكم عذاب يوم أليم فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما نراك الا بشرا مثلنا وما نراك اتبعك الا الذين هم أراذلنا بادى الرأى وما نرى لكم علينا

بعض المجبرة يتوثب اذا عثر عليه فيوعوع به على أهل العدل كأنه لم يسمع الناس يقولون فى كل لسان هذا كلام لاأستطيع أن أسمعه وهذا مما يمجه سمعى ويحتمل أن يريد بقوله وما كان لهم من أولياء أنهم جعلوا آلهتهم أولياء من دون الله وولاية آلهتهم ليست بشئ فما كان لهم فى الحقيقة من أولياء ثم بين نفى كونهم أولياء بقوله ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون فكيف يصلحون للولاية وقوله يضاعف لهم العذاب اعتراض بوعيد (خسروا أنفسهم) اشتروا عبادة الآلهة بعبادة الله فكان خسرانهم فى تجارتهم مالا خسران أعظم منه وهو أنهم خسروا أنفسهم (وضل عنهم) وبطل عنهم وضاع ما اشتروه وهو (ما كانوا يفترون) من الآلهة وشفاعتها (لاجرم) فسر فى مكان آخر (هم الاخسرون) لاترى أحدا أبين خسرانا منهم (وأخبتوا الى ربهم) واطمأنوا اليه وانقطعوا الى عبادته بالخشوع والتواضع من الخبت وهى الارض المطمئنة ومنه قولهم للشئ الدنئ الخبيت قال

ينفع الطيب القليل من الرز ... ق ولا ينفع الكثير الخبيت

وقيل التاء فيه بدل من الثاء * شبه فريق الكافرين بالاعمى والاصم وفريق المؤمنين بالبصير والسميع وهو من اللف والطباق وفيه معنيان أن يشبه الفريق تشبيهين اثنين كما شبه امرؤ القيس قلوب الطير بالحشف والعناب وأن يشبهه بالذى جمع بين العمى والصمم أو الذى جمع بين البصر والسمع على أن تكون الواو فى الاصم وفى والسميع لعطف الصفة على الصفة كقوله * الصابح فالغانم فالآيب * (هل يستويان) يعنى الفريقين (مثلا) تشبيها * أى أرسلناه وجاء فى لكم نذير ومعناه أرسلناه ملتبسا بهذا الكلام وهو قوله (انى لكم نذير مبين) بالكسر فلما اتصل به الجار فتح كما فتح فى كأن والمعنى على الكسر وهو قولك ان زيدا كالاسد وقرئ بالكسر على ارادة القول (أن لاتعبدوا) بدل من انى لكم نذير أى أرسلناه بأن لاتعبدوا (الا الله) أو تكون أن مفسرة متعلقة بأرسلنا أو بنذير * وصف اليوم بأليم من الاسناد المجازى لوقوع الالم فيه (فان قلت) فاذا وصف به العذاب (قلت) مجازى مثله لان الاليم فى الحقيقة هو المعذب ونظيرهما قولك نهارك صائم وجد جده (الملأ) الاشراف من قولهم فلان ملئ بكذا اذا كان مطيقا له وقد ملؤا بالامر لانهم ملؤا بكفايات الامور واضطلعوا بها وبتدبيرها أو لانهم يتمالؤن أى يتظاهرون ويتساندون أو لانهم يملؤن القلوب هيبة والمجالس أبهة أو لانهم ملاء بالاحلام والآراء الصائبة (ما نراك الا بشرا مثلنا) تعريض بأنهم أحق منه بالنبوة وأن الله لو أراد أن يجعلها فى أحد من البشر لجعلها فيهم فقالوا هب أنك واحد من الملا وموازيهم فى المنزلة فما جعلك أحق منهم ألا ترى الى قولهم وما نرى لكم علينا من فضل أو أرادوا أنه كان ينبغى أن يكون ملكا لا بشرا * والاراذل جمع الارذل كقوله أكابر مجرميها أحاسنكم أخلاقا * وقرئ بادئ الرأى بالهمز بمعنى اتبعوك أول الرأى أو ظاهر الرأى وانتصابه على الظرف أصله وقت حدوث أول رأيهم أو وقت حدوث ظاهر رأيهم فحذف ذلك وأقيم المضاف اليه مقامه أرادوا أن اتباعهم لك انما هو شئ عن لهم بديهة من غير روية ونظر وانما استرذلوا المؤمنين لفقرهم وتأخرهم فى الاسباب الدنيوية لانهم كانوا جهالا ما كانوا يعلمون الا ظاهرا من الحياة الدنيا فكان الاشرف عندهم من له جاه ومال كما ترى أكثر المتسمين بالاسلام يعتقدون ذلك ويبنون عليه اكرامهم واهانتهم ولقد زل عنهم أن التقدم فى الدنيا لايقرب أحدا من الله وانما يبعده ولا يرفعه بل يضعه فضلا أن يجعله سببا فى الاختيار للنبوة والتأهيل لها على أن الانبياء

* قوله تعالى فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما نراك الا بشرا مثلنا وما نراك اتبعك الا الذين هم أراذلنا بادى الرأى (قال هو تعريض بأنهم كانوا أحق منه بالنبوة الخ) قال أحمد ويحتمل فى الوجهين أن يكون المراد أول الرأى ولكنه ترك الهمز استثقالا الا أن يكون القارئ بها بالياء ليس من مذهبه تسهيل الهمز والمعنيان متقاربان وقد زعم هؤلاء أن يعيروا نوحا بأن اتبعه من وجهين أحدهما أن المتبعين أراذل ليسوا قدوة ولا أسوة والثانى أنهم مع ذلك لم يتروّوا فى اتباعه ولا أمعنوا الفكرة فى صحة ما جاء به وانما بادروا الى ذلك من غير فكرة ولا روية وغرض هؤلاء أن لا يقوم عليهم حجة بأن منهم من صدقه وآمن به والله أعلم

* قوله تعالى ولا ينفعكم نصحي إن أردت أن أنصح لكم إن كان الله يريد أن يغويكم هو ربكم (قال إن قلت ما وجه ترادف هذين الشرطين اخ) قال أحمد ونظير هذه الآية من مسائل الفقهاء قول القائل أنت طالق إن شربت إن أكلت وهي المترجمة بمسألة اعتراض الشرط على الشرط والمنقول عن الشافعية أنها إن شربت ثم أكلت لم تطلق وإن أكلت ثم شربت حنثت وهذا الفرق مبناه على جعل الجزء الشرط الآخر الذي يليه ثم جعلهما معا جزاء للشرط المتوسط ولذلك سر في العربية لا نطول بذكره وعليه أعرب الزمخشري هذه الآية كما رأيت والله أعلم

عليهم السلام بعثوا مرغبين في طلب الآخرة ورفض الدنيا مزهدين فيها مصغرين لشأنها وشأن من أخلد إليها فما أبعد حالهم من الاتصاف بما يبعد من الله والتشرف بما هو ضعة عند الله (من فضل) من زيادة شرف علينا تؤهلكم للنبوة (بل نظنكم كاذبين) فيما تدعونه (أرأيتم) أخبروني (إن كنت على بينة) على برهان (من ربي) وشاهد منه يشهد بصحة دعواي (وآتاني رحمة من عنده) يعني النبوة لأن البينة في نفسها هي الرحمة ويجوز أن يريد بالبينة المعجزة وبالرحمة النبوة (فإن قلت) فقوله (فعميت) ظاهر على الوجه الأول فما وجهه على الوجه الثاني وحقه أن يقال فعميتا (قلت) الوجه أن يقدر فعميت بعد البينة وأن يكون حذفه للاقتصار على ذكره مرة ومعنى عميت خفيت وقرئ فعميت بمعنى أخفيت وفي قراءة أبي فعماها عليكم (فإن قلت) فما حقيقته (قلت) حقيقته أن الحجة كما جعلت بصيرة ومبصرة جعلت عمياء لأن الأعمى لا يهتدي ولا يهدي غيره فمعنى فعميت عليكم البينة فلم تهدكم كما لو عمي على القوم دليلهم في المفازة بقوا بغير هاد (فإن قلت) فما معنى قراءة أبي (قلت) المعنى أنهم صمموا على الإعراض عنها فخلاهم الله وتصميمهم فجعلت تلك التخلية تعمية منه والدليل عليه قوله (أنلزمكموها وأنتم لها كارهون) يعني أنكرهكم على قبولها ونقسركم على الاهتداء بها وأنتم تكرهونها ولا تختارونها ولا إكراه في الدين وقد جيء بضميري المفعولين متصلين جميعا ويجوز أن يكون الثاني منفصلا كقولك أنلزمكم إياها ونحوه فسيكفيكهم الله ويجوز فسيكفيك إياهم وحكي عن أبي عمرو إسكان الميم ووجهه أن الحركة لم تكن إلا خلسة خفيفة فظنها الراوي سكونا والإسكان الصريح لحن عند الخليل وسيبويه وحذاق البصريين لأن الحركة الإعرابية لا يسوغ طرحها إلا في ضرورة الشعر والضمير في قوله (لا أسألكم عليه) راجع إلى قوله إني لكم نذير مبين أن لا تعبدوا إلا الله وقرئ وما أنا بطارد الذين آمنوا بالتنوين على الأصل (فإن قلت) ما معنى قوله (إنهم ملاقو ربهم) (قلت) معناه أنهم يلاقون الله فيعاقب من طردهم أو يلاقونه فيجازيهم على ما في قلوبهم من إيمان صحيح ثابت كما ظهر لي منهم وما أعرف غيره منهم أو على خلاف ذلك مما تعرفونهم به من بناء إيمانهم على بادي الرأي من غير نظر وتفكر وما علي أن أشق عن قلوبهم وأتعرف سر ذلك منهم حتى أطردهم إن كان الأمر كما تزعمون ونحوه ولا تطرد الذين يدعون ربهم الآية أو هم مصدقون بلقاء ربهم موقنون به عالمون أنهم ملاقوه لا محالة (تجهلون) تتسافهون على المؤمنين وتدعونهم أراذل من قوله

* ألا لا يجهلن أحد علينا *

أو تجهلون لقاء ربكم أو تجهلون أنهم خير منكم (من ينصرني من الله) من يمنعني من انتقامه (إن طردتهم) وكانوا يسألونه أن يطردهم ليؤمنوا به أنفة من أن يكونوا معهم على سواء (ولا أعلم الغيب) معطوف على عندي خزائن الله أي لا أقول عندي خزائن الله ولا أقول أنا أعلم الغيب ومعناه لا أقول لكم عندي خزائن الله فأدعي فضلا عليكم في الغنى حتى تجحدوا فضلي بقولكم وما نرى لكم علينا من فضل ولا أدعي علم الغيب حتى تنسبوني إلى الكذب والافتراء أو حتى أطلع على ما في نفوس أتباعي وضمائر قلوبهم (ولا أقول إني ملك) حتى تقولوا لي ما أنت إلا بشر مثلنا ولا أحكم على من استرذلتم من المؤمنين لفقرهم أن الله (لن يؤتيهم خيرا) في الدنيا والآخرة لهوانهم عليه كما تقولون مساعدة لكم ونزولا على هواكم (إني إذا لمن الظالمين) إن قلت شيئا من ذلك والازدراء افتعال من زرى عليه إذا عابه وأزرى به قصر به يقال ازدرته عينه واقتحمته عينه (جادلتنا فأكثرت جدالنا) معناه أردت جدالنا وشرعت فيه فأكثرته كقولك جاد فلان فأكثر وأطاب (فأتنا بما تعدنا) من العذاب المعجل (إنما يأتيكم به الله) أي ليس الإتيان بالعذاب إلي إنما هو إلى من كفرتم به وعصيتموه (إن شاء) يعني إن اقتضت حكمته أن يعجله لكم وقرأ ابن عباس رضي الله عنهما فأكثرت جدلنا (فإن قلت) ما وجه ترادف هذين الشرطين

من فضل بل نظنكم كاذبين قال يا قوم أرأيتم إن كنت على بينة من ربي وآتاني رحمة من عنده فعميت عليكم أنلزمكموها وأنتم لها كارهون ويا قوم لا أسألكم عليه مالا إن أجري إلا على الله وما أنا بطارد الذين آمنوا إنهم ملاقوا ربهم ولكني أراكم قوما تجهلون ويا قوم من ينصرني من الله إن طردتهم أفلا تذكرون ولا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول إني ملك ولا أقول للذين تزدري أعينكم لن يؤتيهم الله خيرا الله أعلم بما في أنفسهم إني إذا لمن الظالمين قالوا يا نوح قد جادلتنا فأكثرت جدالنا فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين قال إنما يأتيكم به الله إن شاء وما أنتم بمعجزين ولا ينفعكم نصحي إن أردت أن أنصح لكم

(قلت)

(قلت) قوله (ان كان الله يريد أن يغويكم) جزاؤه ما دل عليه قوله لا ينفعكم نصحي وهذا الدال في حكم ما دل عليه فوصل بشرط كما وصل الجزاء بالشرط في قولك ان أحسنت الى أحسنت اليك ان أمكنني (فان قلت) ما معنى قوله ان كان الله يريد أن يغويكم (قلت) اذا عرف الله من الكافر الاصرار فخلاه وشأنه ولم يلجئه سمى ذلك اغواء واضلالا كما أنه اذا عرف منه أنه يتوب ويرعوى فلطف به سمى ارشادا وهداية وقيل أن يغويكم أن يهلككم من غوى الفصيل غوى اذا بشم فهلك ومعناه أنكم اذا كنتم من التصميم على الكفر بالمنزلة التي لا ينفعكم نصائح الله ومواعظه وسائر ألطافه كيف ينفعكم نصحي (فعلي اجرامي) وقرئ بلفظ المصدر والجمع كقوله والله يعلم اسرارهم وأسرارهم ونحو جرم وأجرام قفل وأقفال وينصر الجمع أن فسره الاولون بآثامي والمعنى ان صح وثبت أني افتريته فعلي عقوبة اجرامي أي افترائي وكان حقي حينئذ أن تعرضوا عني وتتألبوا علي (وأنا بريء) يعني ولم يثبت ذلك وأنا بريء منه ومعنى (مما تجرمون) من اجرامكم في اسناد الافتراء الي فلا وجه لاعراضكم ومعاداتكم (لن يؤمن) اقناط من ايمانهم وأنه كالمحال الذي لا تعلق به للتوقع (الا من قد آمن) الا من قد وجد منه ما كان يتوقع من ايمانه وقد للتوقع وقد أصابت محزها (فلا تبتئس) فلا تحزن حزن بائس مستكين قال

ما يقسم الله أقبل غير مبتئس • منه وأقعد كريما ناعم البال

والمعنى فلا تحزن بما فعلوه من تكذيبك وايذائك ومعاداتك فقد حان وقت الانتقام لك منهم (بأعيننا) في موضع الحال بمعنى اصنعها محفوظا وحقيقته ملتبسا بأعيننا كأن لله معه أعينا تكلؤه أن يزيغ في صنعته عن الصواب وأن لا يحول بينه وبين عمله أحد من أعدائه (ووحينا) وأنا نوحي اليك ونلهمك كيف تصنع عن ابن عباس رضي الله عنه لم يعلم كيف صنعة الفلك فأوحى الله اليه أن يصنعها مثل جؤجؤ الطائر (ولا تخاطبني في الذين ظلموا) ولا تدعني في شأن قومك واستدفاع العذاب عنهم بشفاعتك (انهم مغرقون) انهم محكوم عليهم بالاغراق وقد وجب ذلك وقضى به القضاء وجف القلم فلا سبيل الى كفه كقوله يا ابراهيم أعرض عن هذا انه قد جاء أمر ربك وانهم آتيهم عذاب غير مردود (ويصنع الفلك) حكاية حال ماضية (سخروا منه) ومن عمله السفينة وكان يعملها في برية في أبعد موضع من الماء وفي وقت عز الماء فيه عزة شديدة فكانوا يتضاحكون ويقولون له يا نوح صرت نجارا بعدما كنت نبيا (فانا نسخر منكم) يعني في المستقبل (كما تسخرون) منا الساعة أي نسخر منكم سخرية مثل سخريتكم اذا وقع عليكم الغرق في الدنيا والحرق في الآخرة وقيل ان تستجهلونا فيما نصنع فانا نستجهلكم فيما أنتم عليه من الكفر والتعرض لسخط الله وعذابه فأنتم أولى بالاستجهال منا أو ان تستجهلونا فانا نستجهلكم في استجهالكم لانكم لا تستجهلون الا عن جهل بحقيقة الامر وبناء على ظاهر الحال كما هو عادة الجهلة في البعد عن الحقائق وروى أن نوحا عليه السلام اتخذ السفينة في سنتين وكان طولها ثلاثمائة ذراع وعرضها خمسون ذراعا وطولها في السماء ثلاثون ذراعا وكانت من خشب الساج وجعل لها ثلاثة بطون فحمل في البطن الاسفل الوحوش والسباع والهوام وفي البطن الاوسط الدواب والانعام وركب هو ومن معه في البطن الاعلى مع ما يحتاج اليه من الزاد وحمل معه جسد آدم عليه السلام وجعله معترضا بين الرجال والنساء وعن الحسن كان طولها ألفا ومائتي ذراع وعرضها ستمائة وقيل ان الحواريين قالوا لعيسى عليه السلام لو بعثت لنا رجلا شهد السفينة يحدثنا عنها فانطلق بهم حتى انتهى الى كثيب من تراب فأخذ كفا من ذلك التراب فقال أتدرون من هذا قالوا الله ورسوله أعلم قال هذا كعب ابن حام قال فضرب الكثيب بعصاه فقال قم باذن الله فاذا هو قائم ينفض التراب عن رأسه وقد شاب فقال له عيسى عليه السلام أهكذا هلكت قال لا مت وأنا شاب ولكني ظننت أنها الساعة فمن ثم شبت قال حدثنا عن سفينة نوح قال كان طولها ألف ذراع ومائتي ذراع وعرضها ستمائة ذراع وكانت ثلاث طبقات طبقة للدواب والوحوش وطبقة للانس وطبقة للطير ثم قال له عد باذن الله كما كنت فعاد ترابا (من يأتيه) في محل النصب تعلمون أي فسوف تعلمون الذي يأتيه (عذاب يخزيه) ويعني به اياهم ويريد بالعذاب عذاب الدنيا وهو الغرق

ان كان الله يريد أن يغويكم هو ربكم واليه ترجعون أم يقولون افتراه قل ان افتريته فعلي اجرامي وأنا بريء مما تجرمون وأوحي الى نوح أنه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن فلا تبتئس بما كانوا يفعلون واصنع الفلك بأعيننا ووحينا ولا تخاطبني في الذين ظلموا انهم مغرقون ويصنع الفلك وكلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه قال ان تسخروا منا فانا نسخر منكم كما تسخرون فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه

(ويحل عليه) حلول الدين والحق اللازم الذي لا انفكاك له عنه (عذاب مقيم) وهو عذاب الآخرة (حتى) هي التي يبتدأ بعدها الكلام دخلت على الجملة من الشرط والجزاء (فإن قلت) وقعت غاية لماذا (قلت) لقوله ويصنع الفلك أي وكان يصنعها إلى أن جاء وقت الموعد (فإن قلت) فإذا اتصلت حتى بيصنع فما تصنع بما بينهما من الكلام (قلت) هو حال من يصنع كأنه قال يصنعها والحال أنه كلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه (فإن قلت) فما جواب كلما (قلت) أنت بين أمرين إما أن تجعل سخروا جوابا وقال استئنافا على تقدير سؤال سائل أو تجعل سخروا بدلا من مر أو صفة لملأ وقال جوابا (وأهلك) عطف على اثنين وكذلك (ومن آمن) يعني واحمل أهلك والمؤمنين من غيرهم * واستثنى من أهله من سبق عليه القول أنه من أهل النار وما سبق عليه القول بذلك إلا للعلم بأنه يختار الكفر لا لتقديره عليه وإرادته به تعالى الله عن ذلك قال الضحاك أراد ابنه وامرأته (إلا قليل) روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال كانوا ثمانية نوح وأهله وبنوه الثلاثة ونساؤهم وعن محمد بن إسحق كانوا عشرة خمسة رجال وخمس نسوة وقيل كانوا اثنين وسبعين رجلا وامرأة وأولاد نوح سام وحام ويافث ونساؤهم فالجميع ثمانية وسبعون نصفهم رجال ونصفهم نساء * يجوز أن يكون كلاما واحدا وكلامين فالكلام الواحد أن يتصل بسم الله باركبوا حالا من الواو بمعنى اركبوا فيها مسمين الله أو قائلين بسم الله وقت إجرائها ووقت إرسائها إما لأن المجرى والمرسى للوقت وإما لأنهما مصدران كالإجراء والإرساء حذف منهما الوقت المضاف كقولهم خفوق النجم ومقدم الحاج ويجوز أن يراد مكانا الإجراء والإرساء وانتصابهما بما في بسم الله من معنى الفعل أو بما فيه من إرادة القول والكلامان أن يكون بسم الله مجراها ومرساها جملة من مبتدأ وخبر مقتضبة أي بسم الله إجراؤها وإرساؤها يروى أنه كان إذا أراد أن تجري قال بسم الله فجرت وإذا أراد أن ترسو قال بسم الله فرست ويجوز أن يقحم الاسم كقوله ثم اسم السلام عليكما ويراد بالله إجراؤها وإرساؤها أي بقدرته وأمره * وقرئ مجراها ومرساها بفتح الميم من جرى ورسا إما مصدرين أو وقتين أو مكانين وقرأ مجاهد مجريها ومرسيها بلفظ اسم الفاعل مجروري المحل صفتين لله (فإن قلت) ما معنى قولك جملة مقتضبة (قلت) معناه أن نوحا عليه السلام أمرهم بالركوب ثم أخبرهم بأن مجراها ومرساها بذكر اسم الله أو بأمره وقدرته ويحتمل أن تكون غير مقتضبة بأن تكون في موضع الحال كقوله

* وجاؤا بهم سكرى عليهم * فلا تكون كلاما برأسه ولكن فضلة من فضلات الكلام الأول وانتصاب هذه الحال عن ضمير الفلك كأنه قيل اركبوا فيها مجراة ومرساة باسم الله بمعنى التقدير كقوله تعالى ادخلوها خالدين (إن ربي لغفور رحيم) أي لولا مغفرته لذنوبكم ورحمته إياكم لما أنجاكم (فإن قلت) بم اتصل قوله (وهي تجري بهم) (قلت) بمحذوف دل عليه اركبوا فيها بسم الله كأنه قيل فركبوا فيها يقولون بسم الله وهي تجري بهم أي تجري وهم فيها (في موج كالجبال) يريد موج الطوفان شبه كل موجة منه بالجبل في تراكمها وارتفاعها (فإن قلت) الموج ما يرتفع فوق الماء عند اضطرابه وزخيره وكان الماء قد التقى وطبق ما بين السماء والأرض وكانت الفلك تجري في جوف الماء كما تسبح السمكة فما معنى جريها في الموج (قلت) كان ذلك قبل التطبيق وقبل أن يغمر الطوفان الجبال ألا ترى إلى قول ابنه سآوي إلى جبل يعصمني من الماء قيل كان اسم ابنه كنعان وقيل يام * وقرأ علي رضي الله عنه ابنها والضمير لامرأته وقرأ محمد بن علي وعروة بن الزبير ابنه بفتح الهاء يريدان ابنها فاكتفيا بالفتحة عن الألف وبه ينصر مذهب الحسن قال قتادة سألته فقال والله ما كان ابنه فقلت إن الله حكى عنه إن ابني من أهلي وأنت تقول لم يكن ابنه وأهل الكتاب لا يختلفون في أنه كان ابنه فقال ومن يأخذ دينه من أهل الكتاب واستدل بقوله من أهلي ولم يقل مني ولنسبته إلى أمه وجهان أحدهما أن يكون ربيبا له كعمر بن أبي سلمة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأن يكون لغير رشدة وهذه غضاضة عصمت منها الأنبياء عليهم السلام وقرأ السدي ونادى نوح ابناه على الندبة والترثي أي قال يا ابناه * والمعزل مفعل من عزله عنه إذا نحاه وأبعده يعني وكان في مكان عزل فيه نفسه عن أبيه وعن مركب المؤمنين وقيل كان في معزل عن دين أبيه (يا بني) قرئ بكسر الياء اقتصارا عليه من ياء الإضافة وبالفتح اقتصارا عليه من الألف المبدلة من ياء

ويحل عليه عذاب مقيم حتى إذا جاء أمرنا وفار التنور قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين وأهلك إلا من سبق عليه القول ومن آمن وما آمن معه إلا قليل وقال اركبوا فيها بسم الله مجراها ومرساها إن ربي لغفور رحيم وهي تجري بهم في موج كالجبال ونادى نوح ابنه وكان في معزل يا بني اركب معنا ولا تكن مع الكافرين قال سآوي إلى جبل يعصمني من الماء قال لا عاصم اليوم من أمر الله

* قوله تعالى بسم الله مجراها ومرساها (قال ويجوز أن يقحم الاسم الخ) قال أحمد هو من اعتقاد أن الاسم هو المسمى ولو اعتقد ذلك لما جعله مقحما والله أعلم

* قوله تعالى لا عاصم اليوم من أمر الله الا من رحم (قال المراد الا الراحم وهو الله تعالى أو لا عاصم اليوم الخ) قال أحمد والاحتمالات الممكنة أربعة لا عاصم الا راحم ولا معصوم الا مرحوم ولا عاصم الا مرحوم ولا معصوم الا راحم فالاولان استثناء من الجنس والآخران من غير الجنس وزاد الزمخشري خامسا وهو لا عاصم الا مرحوم على انه من الجنس بتأويل حذف المضاف تقديره لا مكان عاصم الا مكان مرحوم والمراد بالنفى التعريض بعدم عصمة الجبل وبالمثبت التعريض بعصمة السفينة والكل جائز وبعضها أقرب من بعض والله أعلم * قوله تعالى وقيل يا أرض ابلعى ماءك ويا سماء أقلعى وغيض الماء وقضى الامر واستوت ٦٠١ على الجودى وقيل بعدا للقوم الظالمين (قال نداء الارض والسماء بما ينادى به العاقل الخ) قال أحمد ومن هذا النمط فى السكوت عن ذكر الموصوف اكتفاء بصفاته لانفراده بها السكوت عن ذكر الاوصاف احيانا اكتفاء بذكر الموصوف لتبينه بها وتوحده فيها وانه متى ذكر فكأنما قد ذكرت بذكره فى مثل قوله وهو الله فى السموات وفى الارض الآية فالمراد وهو الله الموصوف بصفات الكمال المشهور بها فى العالمين ومنه * أنا أبو النجم وشعرى شعرى * ولقد تحيل الشعراء على التعلق باذيال هذه المعانى اللطيفة فقال أبو الطيب يمدح عضد الدولة
لا تحمدهما واحمد هماما اذا لم يسم حامده عناكا
يعنى لا تمدح سواك فانك المنفرد بالمدائح حتى اذا ذكرت ولم يسم الممدوح بها لم يسبق الى ذهن أحد غيرك لتفردك بها * قوله تعالى قال رب ان ابنى من أهلى وان وعدك الحق وأنت أحكم الحاكمين (قال أى أعلم الحكام وأعدلهم لانه لا فضل

الاضافة فى قولك يا بنيا وسقطت الياء والالف لالتقاء الساكنين لان الراء بعدهما ساكنة (الا من رحم) الا الراحم وهو الله تعالى أو لا عاصم اليوم من الطوفان الا من رحم الله أى الا مكان من رحم الله من المؤمنين وكان لهم غفورا رحيما فى قوله ان ربى لغفور رحيم وذلك أنه لما جعل الجبل عاصما من الماء قال له لا يعصمك اليوم معتصم قط من جبل ونحوه سوى معتصم واحد وهو مكان من رحمهم الله ونجاهم يعنى السفينة وقيل لا عاصم بمعنى لا ذا عصمة الا من رحمه الله كقوله ماء دافق وعيشة راضية وقيل الا من رحم استثناء منقطع كأنه قيل ولكن من رحمه الله فهو المعصوم كقوله ما لهم به من علم الا اتباع الظن وقرئ الا من رحم على البناء للمفعول * نداء الارض والسماء بما ينادى به الحيوان المميز على لفظ التخصيص والاقبال عليهما بالخطاب من بين سائر المخلوقات وهو قوله يا أرض ويا سماء ثم أمرهما بما يؤمر به أهل التمييز والعقل من قوله ابلعى ماءك وأقلعى من الدلالة على الاقتدار العظيم وأن السموات والارض وهذه الاجرام العظام منقادة لتكوينه فيها ما يشاء غير ممتنعة عليه كأنها عقلاء مميزون قد عرفوا عظمته وجلالته وثوابه وعقابه وقدرته على كل مقدور وتبينوا تحتم طاعته عليهم وانقيادهم له وهم يهابونه ويفزعون من التوقف دون الامتثال له والنزول على مشيئته على الفور من غير ريث فكما يرد عليهم أمره كان المأمور به مفعولا لا حبس ولا ابطاء * والبلع عبارة عن النشف * والاقلاع الامساك يقال أقلع المطر وأقلعت الحمى (وغيض الماء) من غاضه اذا نقصه (وقضى الامر) وأنجز ما وعد الله نوحا من هلاك قومه (واستوت) واستقرت السفينة (على الجودى) وهو جبل بالموصل (وقيل بعدا) يقال بعد بعدا وبعدا اذا أرادوا البعد البعيد من حيث الهلاك والموت ونحو ذلك ولذلك اختص بدعاء السوء ومجئ اخباره على الفعل المبنى للمفعول للدلالة على الجلال والكبرياء وأن تلك الامور العظام لا تكون الا بفعل فاعل قادر وتكوين مكون قاهر وأن فاعلها فاعل واحد لا يشارك فى أفعاله فلا يذهب الوهم الى أن يقول غيره يا أرض ابلعى ماءك ويا سماء أقلعى ولا أن يقضى ذلك الامر الهائل غيره ولا أن تستوى السفينة على متن الجودى وتستقر عليه الا بتسويته واقراره ولما ذكرنا من المعانى والنكت استفصح علماء البيان هذه الآية ورقصوا لها رؤسهم لا لتجانس الكلمتين وهما قوله ابلعى وأقلعى وذلك وان كان لا يخلى الكلام من حسن فهو كغير الملتفت اليه بازاء تلك المحاسن التى هى اللب وما عداها قشور وعن قتادة استقلت بهم السفينة لعشر خلون من رجب وكانت فى الماء خمسين ومائة يوم واستقرت بهم على الجودى شهرا وهبط بهم يوم عاشوراء وروى أنها مرت بالبيت فطافت به سبعا وقد أعتقه الله من الغرق وروى أن نوحا صام يوم الهبوط وأمر من معه فصاموا شكرا لله تعالى * نداؤه ربه دعاؤه له وهو قوله رب مع ما بعده من اقتضاء وعده فى تنجية أهله (فان قلت) فاذا كان النداء هو قوله رب فكيف عطف قال رب على نادى بالفاء (قلت) أريد بالنداء ارادة النداء ولو أريد النداء نفسه لجاء كما جاء قوله اذ نادى ربه نداء خفيا قال رب بغير فاء (ان ابنى من أهلى) أى بعض أهلى لانه كان ابنه من صلبه أو كان ربيبا له فهو بعض أهله (وان وعدك الحق) وان كل وعد تعده فهو الحق الثابت الذى لا شك فى انجازه والوفاء به وقد وعدتنى أن تنجى أهلى فما بال ولدى (وأنت أحكم الحاكمين) أى أعلم الحكام وأعدلهم لانه لا فضل

الا من رحم وحال بينهما الموج فكان من المغرقين وقيل يا أرض ابلعى ماءك ويا سماء أقلعى وغيض الماء وقضى الامر واستوت على الجودى وقيل بعدا للقوم الظالمين ونادى نوح ربه فقال رب ان ابنى من أهلى وان وعدك الحق وأنت أحكم الحاكمين قال يا نوح انه ليس من أهلك انه عمل غير صالح فلا تسألن ما ليس لك به علم انى أعظك أن تكون من الجاهلين قال رب انى أعوذ بك

حاكم على غيره الا بالعلم الخ) قال أحمد ثم حدث بعد الزمخشري ترفع عن أقضى القضاة الى قاضي القضاة والذي تلاحظوا به في ارتفاع هذه الثانية على الاولى ان الاولى تقتضي مشاركة القضاة لاقضاهم في الوصف وان زاد عليهم فترفعوا الى أن لا يشركهم أحد في وصفهم ممن دونهم في المذهب فعدلوا عما يشاركون فيه الى ما ليس كذلك فاقترحوا لرئيسهم تسميته بقاضي القضاة أي هو الذي يقضي بين القضاة ولا يشاركه منهم أحد في وصفه وجعلوا الذي يليه في الرتبة أقضى القضاة الا أنهم انما يعنون قاضي قضاة زمانه أو قطره واذا جاز أن يطلق على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه أقضى قضاة الصحابة في زمانه كما أطلقه عليه النبي عليه الصلاة والسلام حيث قال أقضاكم علي فدخل في الخطاب الصحابة وغيرهم فلا حرج ان شاء الله أن يطلق على أعدل قضاة الزمان أو الاقاليم وأعلمهم قاضي القضاة وأقضى القضاة أي قضاة زمانه وبلده وكل قرن باسم في زمنه وشبه زمن فيه بذلك الاقضى * قوله تعالى انه عمل غير صالح (قال فهلا قيل انه عمل فاسد قلت لما نفاه عن أهله نفى عنه الخ) قال أحمد ولهذا الذي والله أعلم قيل له عليه الصلاة والسلام وأنذر عشيرتك الاقربين وان كان مأمورا بالانذار على العموم ولكن لما كانت أهلية النبي عليه الصلاة والسلام مظنة الاتكال والقصور عن العمل خص أهله بالانذار ايذانا بذلك والله أعلم ولهذا لما أنزلت أنذرهم النبي صلى الله عليه وسلم وقال اني لا أملك لكم من الله شيئا أو قال ذلك لكل واحد منهم بخصوصه * قوله تعالى فلا تسألن ما ليس لك به علم اني أعظك أن تكون من الجاهلين (قال فان قلت قد وعده الله أن ينجي أهله ومن كان عنده الخ) قال أحمد وفي كلام الزمخشري ما يدل على انه يعتقد ان نوحا عليه السلام صدر منه ما أوجب نسبة الجهل اليه ومعاتبته على ذلك وليس الامر كما تخيله الزمخشري ونحن نوضح الحق في الآية منزلا على نصها مع تنزيه نوح عليه السلام عما توهم الزمخشري نسبته اليه فنقول لما وعد فعوتب نوح أولا تنجية أهله الا من سبق عليه القول منهم ولم يكن كشف له باطن امرأته المذكور ولا مطلعا على باطن أمره بل معتقدا لظاهر حال انه مؤمن بقي على التمسك بصيغة العموم للاهلية الثابتة ولم يعارضها يقين في كفره حتى يخرج من الاهل ويدخل في المستثنين فسأل الله فيه بناء على ذلك فتبين له انه من المستثنين وانه ولا علم له بذلك فلذلك سأل فيه وهذا أن يكون ابانة عذر أولى منه أن يكون عتبا فان نوحا عليه السلام لا يكلفه الله علما استأثر به غيبا وأما قوله اني أعظك أن تكون من الجاهلين فالمراد منه النهي عن وقوع السؤال في المستقبل بعد ان أعلمه الله باطن أمره وانه ان وقع في المستقبل في السؤال كان من الجاهلين والغرض من ذلك تقديم ما يبقيه عليه السلام على سمة العصمة والموعظة لا تستدعي وقوع ذنب بل المقصد منها أن لا يقع الذنب في الاستقبال ولذلك امتثل عليه الصلاة والسلام ذلك واستعاذ بالله أن يقع منه ما نهي عنه والله أعلم

الحكم على غيره الا بالعلم والعدل ورب غريق في الجهل والجور من متقلدي الحكومة في زمانك قد لقب أقضى القضاة ومعناه أحكم الحاكمين فاعتبر واستعبر ويجوز أن يكون من الحكمة على أن يبنى من الحكمة حاكم بمعنى النسبة كما قيل دارع من الدرع وحائض وطالق على مذهب الخليل (انه عمل غير صالح) تعليل لانتفاء كونه من أهله وفيه ايذان بأن قرابة الدين غامرة لقرابة النسب وأن نسيبك في دينك ومعتقدك من الاباعد في المنصب وان كان حبشيا وكنت قرشيا لصيقك وخصيصك ومن لم يكن على دينك وان كان أمس أقاربك رحما فهو أبعد بعيد منك وجعلت ذاته عملا غير صالح مبالغة في ذمه كقولها * فانما هي اقبال وادبار * وقيل الضمير لنداء نوح أي ان نداءك هذا عمل غير صالح وليس بذاك (فان قلت) فهلا قيل انه عمل فاسد (قلت) لما نفاه عن أهله نفى عنه صفتهم بكلمة النفي التي يستبقي معها لفظ المنفي وآذن بذلك انه انما أنجى من أنجى من أهله لصلاحهم لا لانهم أهلك وأقاربك وأن هذا لما انتفى عنه الصلاح لم تنفعه أبوتك كقوله كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئا وقرئ عمل غير صالح أي عمل عملا غير صالح * وقرئ فلا تسألن بكسر النون بغير ياء الاضافة وبالنون المثقلة بياء وبغير ياء يعني فلا تلتمس مني ملتمسا أو التماسا لا تعلم أصواب هو أم غير صواب حتى تقف على كنهه وذكر المسألة دليل على أن النداء كان قبل أن يغرق حين خاف عليه (فان قلت) لم سمى نداءه سؤالا ولا سؤال فيه (قلت) قد تضمن دعاؤه معنى السؤال وان لم يصرح به لانه اذا ذكر الموعد بنجاة أهله في وقت مشارفة ولده الغرق فقد استنجز * وجعل سؤال ما لا يعرف كنهه جهلا وغباوة ووعظه أن لا يعود اليه والى أمثاله من أفعال الجاهلين (فان قلت) قد وعده أن ينجي أهله وما كان عنده أن ابنه ليس منهم دينا فلما أشفى على الغرق تشابه عليه الامر لان العدة قد سبقت له وقد عرف الله حكيما لا يجوز عليه فعل القبيح وخلف الميعاد فطلب اماطة الشبهة وطلب اماطة الشبهة واجب فلم زجر وسمى سؤاله جهلا (قلت) ان الله عز وعلا قدم له الوعد بانجاء أهله مع استثناء من سبق عليه القول منهم فكان عليه أن يعتقد أن في جملة أهله من هو مستوجب للعذاب لكونه غير صالح وأن كلهم ليسوا بناجين وأن لا تخالجه شبهة حين شارف ولده الغرق في أنه من المستثنين لا من المستثنى منهم

فهو تنبيه على أن اشتبه عليه مما يجب أن لا يشتبه (أن أسألك) من أن أطلب منك في المستقبل ما لا علم لي بصحته
تأدبا بأدبك واتعاظا بموعظتك (وإلا تغفر لي) ما فرط مني من ذلك (وترحمني) بالتوبة علي (أكن من الخاسرين)
أعمالا * وقرئ يا نوح اهبط بضم الباء (بسلام منا) مسلما محفوظا من جهتنا أو مسلما عليك مكرما (وبركات
عليك) ومباركا عليك والبركات الخيرات النامية وقرئ وبركة على التوحيد (وعلى أمم ممن معك) يحتمل أن
تكون من للبيان فيراد الأمم الذين كانوا معه في السفينة لأنهم كانوا جماعات أو قيل لهم أمم لأن الأمم تتشعب
منهم وأن تكون لابتداء الغاية أي على أمم ناشئة ممن معك وهي الأمم إلى آخر الدهر وهو الوجه وقوله (وأمم)
رفع بالابتداء و(سنمتعهم) صفة والخبر محذوف تقديره وممن معك أمم سنمتعهم وإنما حذف لأن قوله ممن معك
يدل عليه والمعنى أن السلام منا والبركات عليك وعلى أمم مؤمنين ينشؤون ممن معك وممن معك أمم ممتعون
بالدنيا منقلبون إلى النار وكان نوح عليه السلام أبا الأنبياء والخلق بعد الطوفان منه وممن كان معه في
السفينة وعن محمد بن كعب القرظي دخل في ذلك السلام كل مؤمن ومؤمنة إلى يوم القيامة وفيما بعده
من المتاع والعذاب كل كافر وعن ابن زيد هبطوا والله عنهم راض ثم أخرج منهم نسلا منهم من رحم ومنهم من
عذب وقيل المراد بالأمم الممتعة قوم هود وصالح ولوط وشعيب (تلك) إشارة إلى قصة نوح عليه السلام ومحلها
رفع على الابتداء والجمل بعدها أخبار أي تلك القصة بعض أنباء الغيب موحاة إليك مجهولة عندك وعند
قومك (من قبل هذا) من قبل إيحائي إليك وإخبارك بها أو من قبل هذا العلم الذي كسبته بالوحي أو من قبل
هذا الوقت (فاصبر) على تبليغ الرسالة وأذى قومك كما صبر نوح وتوقع في العاقبة لك ولمن كذبك نحو ما قيض
لنوح ولقومه (إن العاقبة) في الفوز والنصر والغلبة (للمتقين) وقوله ولا قومك معناه أن قومك الذين
أنت منهم على كثرتهم ووفور عددهم إذا لم يكن ذلك شأنهم ولا سمعوه ولا عرفوه فكيف برجل منهم كما تقول لم
يعرف هذا عبد الله ولا أهل بلده (أخاهم) واحدا منهم وانتصابه للعطف على أرسلنا نوحا و(هودا) عطف
بيان و(غيره) بالرفع صفة على محل الجار والمجرور وقرئ غيره بالجر صفة على اللفظ (إن أنتم إلا مفترون)
مفترون على الله بالكذب باتخاذكم الأوثان له شركاء * ما من رسول إلا واجه قومه بهذا القول لأن شأنهم
النصيحة والنصيحة لا يمحضها ولا يمحصها إلا حسم المطامع وما دام يتوهم شيء منها لم تنجع ولم تنفع (أفلا تعقلون)
إذ تردون نصيحة من لا يطلب عليها أجرا إلا من الله وهو ثواب الآخرة ولا شيء أنفى للتهمة من ذلك وقيل
(استغفروا ربكم) آمنوا به (ثم توبوا إليه) من عبادة غيره لأن التوبة لا تصح إلا بعد الإيمان * والمدرار الكثير
الدرور وكان هود عليه السلام قصد استمالتهم إلى الإيمان وترغيبهم فيه بكثرة المطر وزيادة القوة لأن القوم كانوا
أصحاب زروع وبساتين وعمارات حراصا عليها أشد الحرص فكانوا أحوج شيء إلى الماء وكانوا مدلين بما
أوتوا من شدة القوة والبطش والبأس والنجدة مستحرزين بها من العدو مهيبين في كل ناحية وقيل أراد
القوة في المال وقيل القوة على النكاح وقيل حبس عنهم القطر ثلاث سنين وعقمت أرحام نسائهم وعن
الحسن بن علي رضي الله عنهما أنه وفد على معاوية فلما خرج تبعه بعض حجابه فقال إني رجل ذو مال ولا يولد لي
علمني شيئا لعل الله يرزقني ولدا فقال عليك بالاستغفار فكان يكثر الاستغفار حتى ربما استغفر في يوم واحد
سبعمائة مرة فولد له عشرة بنين فبلغ ذلك معاوية فقال هلا سألته مم قال ذلك فوفد وفدة أخرى فسأله الرجل
فقال ألم تسمع قول هود عليه السلام ويزدكم قوة إلى قوتكم وقول نوح عليه السلام ويمددكم بأموال وبنين
(ولا تتولوا) ولا تعرضوا عني وعما أدعوكم إليه وأرغبكم فيه (مجرمين) مصرين على إجرامكم وآثامكم
(ما جئتنا ببينة) كذب منهم وجحود كما قالت قريش لرسول الله صلى الله عليه وسلم لولا أنزل عليه آية من ربه
مع فوت آياته الحصر (عن قولك) حال من الضمير في تاركي آلهتنا كأنه قيل وما نترك آلهتنا صادرين عن
قولك (وما نحن لك بمؤمنين) وما يصح من أمثالنا أن يصدقوا مثلك فيما يدعوهم إليه إقناطا له من
الإجابة (اعتراك) مفعول نقول وإلا لغو والمعنى ما نقول إلا قولنا اعتراك بعض آلهتنا بسوء أي خبلك ومسك
بجنون لسبك إياها وصدك عنها وعداوتك لها مكافأة لك منها على سوء فعلك بسوء الجزاء فمن ثم تتكلم بكلام

أن أسألك ما ليس لي
به علم وإلا تغفر لي وترحمني
أكن من الخاسرين
قيل يا نوح اهبط بسلام
منا وبركات عليك وعلى
أمم ممن معك وأمم
سنمتعهم ثم يمسهم منا
عذاب أليم تلك من
أنباء الغيب نوحيها
إليك ما كنت تعلمها
أنت ولا قومك من قبل
هذا فاصبر إن العاقبة
للمتقين وإلى عاد أخاهم
هودا قال يا قوم اعبدوا
الله ما لكم من إله غيره
إن أنتم إلا مفترون يا قوم
لا أسألكم عليه أجرا
إن أجري إلا على الذي
فطرني أفلا تعقلون
ويا قوم استغفروا ربكم
ثم توبوا إليه يرسل
السماء عليكم مدرارا
ويزدكم قوة إلى قوتكم
ولا تتولوا مجرمين قالوا
يا هود ما جئتنا ببينة
وما نحن بتاركي آلهتنا
عن قولك وما نحن لك
بمؤمنين إن نقول إلا
اعتراك بعض آلهتنا
بسوء قال إني أشهد الله
واشهدوا أني بريء

المجانين وتهذي بهم دبابات المرتعين وليس بعجب من أولئك أن يسموا التوبة والاستغفار خبلا وجنونا وهم عاد أعلام الكفر وأوتاد الشرك وانما العجب من قوم من المتظاهرين بالاسلام سمعناهم يسمون التائب من ذنوبه مجنونا والمنيب الى ربه مخبلا ولم نجدهم معه على عشر مما كانوا عليه في أيام جاهليته من المراودة وما ذلك الا لفرق من الالحاد في الآن يمض وضب من الزندقة أراد أن يطلع رأسه وقد دلت أجوبتهم المتقدمة على أن القوم كانوا جفاة غلاظا لا يبالون بالبهت ولا يلتفتون الى النصح ولا تلين شكيمتهم للرشد وهذا الاخير دال على جهل مفرط وبله متناه حيث اعتقدوا في حجارة أنها تنتصر وتنتقم ولعلهم حين أجازوا العقاب كانوا يجيزون الثواب ومن أعظم الآيات أن يواجه بهذا الكلام رجل واحد أمة عطاشا الى اراقة دمه يرمونه عن قوس واحدة وذلك لثقته بربه وأنه يعصمه منهم فلا تنشب فيه مخالبهم ونحو ذلك قال نوح عليه السلام لقومه ثم اقضوا الي ولا تنظرون أكد براءته من آلهتهم وشركهم ووثقها بما جرت به عادة الناس من توثيقهم الامور بشهادة الله وشهادة العباد فيقول الرجل الله شهيد على أني لا أفعل كذا ويقول لقومه كونوا شهداء على أني لا أفعله (فان قلت) هلا قيل اني أشهد الله وأشهدكم (قلت) لان اشهاد الله على البراءة من الشرك اشهاد صحيح ثابت في معنى تثبيت التوحيد وشد معاقده وأما اشهادهم فما هو الا تهاون بدينهم ودلالة على قلة المبالاة بهم فحسب فعدل به عن لفظ الاول لاختلاف ما بينهما وجيء به على لفظ الامر بالشهادة كما يقول الرجل لمن يبس الثرى بينه وبينه أشهد على أني لا أحبك تهكما به واستهانة بحاله (مما تشركون من دونه) من اشراككم آلهة من دونه أو مما تشركونه من آلهة من دونه أي أنتم تجعلونها شركاء له ولم يجعلها هو شركاء ولم ينزل بذلك سلطانا (فكيدوني جميعا) أنتم وآلهتكم أعجل ما تفعلون من غير انظار فاني لا أبالي بكم وبكيدكم ولا أخاف معرتكم وان تعاونتم علي وأنتم الاقوياء الشداد فكيف تضرني آلهتكم وما هي الا جماد لا يضر ولا ينفع وكيف تنتقم مني اذا نلت منها وصددت عن عبادتها بأن تخبلني وتذهب بعقلي ولما ذكر توكله على الله وثقته بحفظه وكلاءته من كيدهم وصفه بما يوجب التوكل عليه من اشتمال ربوبيته عليه وعليهم ومن كون كل دابة في قبضته وملكته وتحت قهره وسلطانه والاخذ بنواصيها تمثيل لذلك (ان ربي على صراط مستقيم) يريد أنه على طريق الحق والعدل في ملكه لا يفوته ظالم ولا يضيع عنده معتصم به (فان تولوا) فان تتولوا (فان قلت) الابلاغ كان قبل التولي فكيف وقع جزاء للشرط (قلت) معناه فان تتولوا لم أعاتب على تفريط في الابلاغ وكنتم محجوجين بأن ما أرسلت به اليكم قد بلغكم فأبيتم الا تكذيب الرسالة وعداوة الرسول (ويستخلف) كلام مستأنف يريد ويهلككم الله ويجيء بقوم آخرين يخلفونكم في دياركم وأموالكم (ولا تضرونه) بتوليكم (شيئا) من ضرر قط لانه لا يجوز عليه المضار والمنافع وانما تضرون أنفسكم وفي قراءة عبد الله ويستخلف بالجزم وكذلك ولا تضروه عطفا على محل فقد أبلغتكم والمعنى ان تتولوا يعذرني ويستخلف قوما غيركم ولا تضروا الا أنفسكم (على كل شيء حفيظ) أي رقيب عليه مهيمن فما تخفى عليه أعمالكم ولا يغفل عن مؤاخذتكم ومن كان رقيبا على الاشياء كلها حافظا لها وكانت مفتقرة الى حفظه من المضار لم يضر مثله مثلكم (والذين آمنوا معه) قيل كانوا أربعة آلاف (فان قلت) ما معنى تكرير التنجية (قلت) ذكر أولا أنه حين أهلك عدوهم نجاهم ثم قال (ونجيناهم من عذاب غليظ) على معنى وكانت تلك التنجية من عذاب غليظ وذلك أن الله عز وجل بعث عليهم السموم فكانت تدخل في أنوفهم وتخرج من أدبارهم فتقطعهم عضوا عضوا وقيل أراد بالثانية التنجية من عذاب الآخرة ولا عذاب أغلظ منه وأشد وقوله برحمة منا يريد بسبب الايمان الذي أنعمنا عليهم بالتوفيق له (وتلك عاد) اشارة الى قبورهم وآثارهم كأنه قال سيحوا في الارض فانظروا اليها واعتبروا ثم استأنف وصف أحوالهم فقال (جحدوا بآيات ربهم وعصوا رسله) لانهم اذا عصوا رسولهم فقد عصوا جميع رسل الله لا نفرق بين أحد من رسله قيل لم يرسل اليهم الا هود وحده (كل جبار عنيد) يريد رؤساءهم وكبراءهم ودعاتهم الى تكذيب الرسل ومعنى اتباع أمرهم طاعتهم

مما تشركون من دونه فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون اني توكلت على الله ربي وربكم ما من دابة الا هو آخذ بناصيتها ان ربي على صراط مستقيم فان تولوا فقد أبلغتكم ما أرسلت به اليكم ويستخلف ربي قوما غيركم ولا تضرونه شيئا ان ربي على كل شيء حفيظ ولما جاء أمرنا نجينا هودا والذين آمنوا معه برحمة منا ونجيناهم من عذاب غليظ وتلك عاد جحدوا بآيات ربهم وعصوا رسله واتبعوا أمر كل جبار عنيد وأتبعوا في هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة ألا ان عادا كفروا ربهم

أشهد الله وأشهدكم الخ) قال أحمد وتلخيص ما قاله ان صيغة الخبر لا تحتمل سوى الاخبار بوقوع الاشهاد منه فلما كان اشهاد الله واقعا محققا عبر عنه بصيغة الخبر لانه اشهاد صحيح ثابت وعبر عن اشهادهم بصيغة الامر التي تتضمن الاستهانة بدينهم وقلة المبالاة به وهو مراده في هذا المقام منهم ويحتمل أن يكون اشهاده لهم حقيقة والغرض اقامة الحجة عليهم وانما عدل الى صيغة الامر عن صيغة الخبر للتمييز بين خطابه لله تعالى وخطابه لهم بأن يعبر عن خطاب الله تعالى بصيغة الخبر التي هي أجل وأوقر وللمخاطب من صيغة الامر والله الموفق للصواب

طاغيتهم ولما كانوا تابعين لهم دون الرسل جعلت اللعنة تابعة لهم في الدارين تكبهم على وجوههم في عذاب الله و(ألا) وتكرارها مع النداء على كفرهم والدعاء عليهم تهويل لأمرهم وتفظيع له وبعث على الاعتبار بهم والحذر من مثل حالهم (فإن قلت) (بعدا) دعاء بالهلاك فما معنى الدعاء به عليهم بعد هلاكهم (قلت) معناه الدلالة على أنهم كانوا مستأهلين له ألا ترى إلى قوله

إخوتي لا تبعدوا أبدا * وبلى والله قد بعدوا

(قوم هود) عطف بيان لعاد (فإن قلت) ما الفائدة في هذا البيان والبيان حاصل بدونه (قلت) الفائدة فيه أن يوسموا بهذه الدعوة وسما وتجعل فيهم أمرا محققا لا شبهة فيه بوجه من الوجوه ولأن عادا عادان الأولى القديمة التي هي قوم هود والقصة فيهم والأخرى إرم (هو أنشأكم من الأرض) لم ينشئكم منها إلا هو ولم يستعمركم فيها غيره وإنشاؤهم منها خلق آدم من التراب (واستعمركم فيها) وأمركم بالعمارة والعمارة متنوعة إلى واجب وندب ومباح ومكروه وكان ملوك فارس قد أكثروا من حفر الأنهار وغرس الأشجار وعمروا الأعمار الطوال مع ما كان فيهم من عسف الرعايا فسأل نبي من أنبياء زمانهم ربه عن سبب تعميرهم فأوحى إليه أنهم عمروا بلادي فعاش فيها عبادي وعن معاوية بن أبي سفيان أنه أخذ في إحياء الأرض في آخر أمره فقيل له فقال ما حملني عليه إلا قول القائل

ليس الفتى بفتى لا يستضاء به * ولا يكون له في الأرض آثار

وقيل استعمركم من العمر واستبقاكم فيها وقيل جعل من العمرى وفيه وجهان أحدهما أن يكون استعمر في معنى أعمر كقولك استهلكه ومعناه أعمركم فيها دياركم ثم هو وارثها منكم عند انقضاء أعماركم والثاني أن يكون بمعنى جعلكم معمرين دياركم فيها لأن الرجل إذا ورث داره من بعده فكأنما أعمره إياها لأنه يسكنها عمره ثم يتركها لغيره (قريب) داني الرحمة سهل المطلب (مجيب) لمن دعاه وسأله (فينا مرجوا) كانت تلوح فيك مخايل الخير وأمارات الرشد فكنا نرجوك لننتفع بك وتكون مشاورا في الأمور ومسترشدا في التدابير فلما نطقت بهذا القول انقطع رجاؤنا عنك وعلمنا أن لا خير فيك وعن ابن عباس فاضلا خيرا نقدمك على جميعنا وقيل كنا نرجو أن تدخل في ديننا وتوافقنا على ما نحن عليه (يعبد آباؤنا) حكاية حال ماضية (مريب) من أرابه إذا أوقعه في الريبة وهي قلق النفس وانتفاء الطمأنينة باليقين أو من أراب الرجل إذا كان ذا ريبة على الإسناد المجازي قيل (إن كنت على بينة من ربي) بحرف الشك وكان على يقين أنه على بينة لأن خطابه للجاحدين فكأنه قال قدروا أني على بينة من ربي وأني نبي على الحقيقة وانظروا إن تابعتكم وعصيت ربي في أوامره فمن يمنعني من عذاب الله (فما تزيدونني) إذن حينئذ (غير تخسير) يعني تخسرون أعمالي وتبطلونها أو فما تزيدونني بما تقولون لي وتحملونني عليه غير أن أخسركم أي أنسبكم إلى الخسران وأقول لكم إنكم خاسرون (آية) نصب على الحال قد عمل فيها ما دل عليه اسم الإشارة من معنى الفعل * (فإن قلت) فبم يتعلق (لكم) (قلت) بآية حالا منها متقدمة لأنها لو تأخرت لكانت صفة لها فلما تقدمت انتصبت على الحال (عذاب قريب) عاجل لا يستأخر عن مسكم لها بسوء إلا يسيرا وذلك ثلاثة أيام ثم يقع عليكم (تمتعوا) استمتعوا بالعيش (في داركم) في بلدكم وتسمى البلاد الديار لأنه يدار فيها أي يتصرف يقال ديار بكر لبلادهم وتقول العرب الذين حوالي مكة نحن من عرب الدار يريدون من عرب البلد وقيل في دار الدنيا وقيل عقروها يوم الأربعاء وهلكوا يوم السبت (غير مكذوب) غير مكذوب فيه فاتسع في الظرف بحذف الحرف وإجرائه مجرى المفعول به كقولك يوم مشهود من قوله ويوم شهدناه أو على المجاز كأنه قيل للوعد نفي بك فإذا وفى به فقد صدق ولم يكذب أو وعد غير كذب على أن المكذوب مصدر كالمجلود والمعقول وكالمصدوقة بمعنى الصدق (ومن خزي يومئذ) قرئ مفتوح الميم لأنه مضاف إلى إذ وهو غير متمكن كقوله

ألا بعدا لعاد قوم هود وإلى ثمود أخاهم صالحا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها فاستغفروه ثم توبوا إليه إن ربي قريب مجيب قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا أتنهانا أن نعبد ما يعبد آباؤنا وإننا لفي شك مما تدعونا إليه مريب قال يا قوم أرأيتم إن كنت على بينة من ربي وآتاني منه رحمة فمن ينصرني من الله إن عصيته فما تزيدونني غير تخسير ويا قوم هذه ناقة الله لكم آية فذروها تأكل في أرض الله ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب قريب فعقروها فقال تمتعوا في داركم ثلاثة أيام ذلك وعد غير مكذوب فلما جاء أمرنا نجينا صالحا والذين آمنوا معه برحمة منا ومن خزي يومئذ إن ربك هو القوي العزيز وأخذ الذين ظلموا الصيحة فأصبحوا في ديارهم جاثمين كأن لم يغنوا فيها ألا إن ثمود كفروا ربهم ألا بعدا لثمود ولقد جاءت

قيل عادة قوم هود الذي كذبوه ولا تحري تناسب الآي بذلك فإن قبلها واتبعوا أمر كل جبار عنيد
وقيل ذلك حفيظ وغليظ وغير ذلك مما هو على وزن فعيل المناسب لمعول في الفواق والله أعلم

* قوله تعالى ولقد جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى قالوا سلاما قال سلام فما لبث أن جاء بعجل حنيذ فلما رأى أيديهم لا تصل اليه نكرهم وأوجس منهم خيفة قالوا لا تخف انا أرسلنا الى قوم لوط الآية (قال قيل انه كان ينزل في طرف من الأرض فخاف ان يريدوا به مكروها الخ) قال أحمد وقد وردت قصة ابراهيم هذه في ثلاثة مواضع هذا أحدها وهو دل على انه انما أوجس منهم خيفة لعلمه انهم ملائكة وعدم علمه فيم جاؤا الثاني في الحجر قوله ونبئهم عن ضيف ابراهيم الى قوله لا توجل انا نبشرك فلم يطمئنوا الا من انهم ملائكة ولكن بانهم يبشرون له فدل على استشعاره انه لم يكونهم ملائكة وجل مما جاؤا فيه الثالث في الذاريات فأوجس منهم خيفة قالوا لا تخف وبشروه فهو أيضا كذلك وأما لوط فلم يشعر انهم ملائكة حتى أعلموه بذلك الا ترى الى قوله تعالى قالوا يا لوط انا رسل ربك لن يصلوا اليك فأول ما أعلموا به انهم رسل

رسلنا ابراهيم بالبشرى قالوا سلاما قال سلام فما لبث ان جاء بعجل حنيذ فلما رأى أيديهم لا تصل اليه نكرهم وأوجس منهم خيفة قالوا لا تخف انا أرسلنا الى قوم لوط وامرأته قائمة فضحكت فبشرناها باسحق ومن وراء اسحق يعقوب قالت يا ويلتا أألد وانا عجوز وهذا بعلي

فالفرق بين هذه الآية وبين آي ابراهيم مصداق لأن ابراهيم علم كونهم ملائكة ولوط لم يعلم ذلك ولا يبعد من فضل ابراهيم على لوط ان يبعد على فراسته أن يعلم انهم ملائكة دون لوط عليهما السلام * عاد كلامه (قال ومعنى أوجس أضمر وانما قالوا لا تخف لانهم رأوا أثر الخوف الخ) قال أحمد وهذا التأويل وهم فيه الزمخشري والله أعلم لانهم انما علموا خوفه ووجله باخباره بذلك ويدل عليه قوله تعالى في آية أخرى قال انا منكم وجلون قالوا لا توجل والقصة واحدة والله الموفق للصواب * عاد كلامه (قال وضحكت وجئته لانها أمرت بذهاب الخيفة الخ) قال أحمد ويبعد هذا التأويل انها قالت بعد يا ويلتا أألد وانا عجوز وهذا بعلي شيخا ان هذا لشيء عجيب فلو كان حيضها قبل بشارتها لما تعجبت اذ لا عجب في حمل من تحيض والحيض في العادة مهماز على امكان الحمل والله الموفق

* على حين عاتبت المشيب على الصبا * (وقلت) علام عطف (قلت) على نجينا لان تقديره ونجيناهم من خزي يومئذ كما قال ونجيناهم من عذاب غليظ على وكانت التنجية من خزي يومئذ أي من ذله ومهانته وفضيحته ولا خزي أعظم من خزي من كان هلاكه بغضب الله وانتقامه ويجوز أن يريد بيومئذ يوم القيامة كما فسر العذاب الغليظ بعذاب الآخرة * وقرئ ألا ان ثمود وألا لثمود كلاهما بالصرف وامتناعه فالصرف للذهاب الى الحي أو الأب الأكبر ومنعه للتعريف والتأنيث بمعنى القبيلة (رسلنا) يريد الملائكة عن ابن عباس جاءه جبريل عليه السلام وملكان معه وقيل جبريل وميكائيل واسرافيل وقيل كانوا تسعة وعن السدي أحد عشر (بالبشرى) هي البشارة بالولد وقيل بهلاك قوم لوط والظاهر الولد (سلاما) سلمنا عليك سلاما (سلام) أمركم سلام وقرئ فقالوا سلما قال سلم بمعنى السلام وقيل سلم وسلام كحرم وحرام وأنشد

مررنا فقلنا ايه سلم فسلمت * كما اكتل بالبرق الغمام اللوائح

(فما لبث أن جاء) فما لبث في المجيء به بل عجل فيه أو فما لبث مجيئه * والعجل ولد البقرة ويسمى الحسيل والخبش بلغة أهل السراة وكان مال ابراهيم عليه الصلاة والسلام البقر (حنيذ) مشوي بالرضف في أخدود وقيل حنيذ يقطر دسمه من حنذت الفرس اذا ألقيت عليه الجل حتى تقطر عرقا ويدل عليه بعجل سمين * نكره وأنكره واستنكره ومنكور قليل في كلامهم وكذلك أنا أنكرك ولكن منكر ومستنكر وأنكرك قال الاعشى

وأنكرتني وما كان الذي نكرت * من الحوادث الا الشيب والصلعا

قيل كان ينزل في طرف من الارض فخاف أن يريدوا به مكروها وقيل كانت عادتهم انه اذا مس من يطرقهم طعامهم أمنوه والا خافوه والظاهر انه أحس بأنهم ملائكة ونكرهم لانه تخوف أن يكون نزولهم لامر أنكره الله عليه أو لتعذيب قومه ألا ترى الى قولهم لا تخف انا أرسلنا الى قوم لوط وانما يقال هذا لمن عرفهم ولم يعرف فيم أرسلوا (فأوجس) فأضمر * وانما قالوا لا تخف لانهم رأوا أثر الخوف والتغير في وجهه أو عرفوه بتعريف الله أو علموا ان علمه بانهم ملائكة موجب للخوف لانهم كانوا لا ينزلون الا بعذاب (وامرأته قائمة) قيل كانت قائمة وراء الستر تسمع تحاورهم وقيل كانت قائمة على رؤسهم تخدمهم وفي مصحف عبد الله وامرأته قائمة وهو قاعد (فضحكت) سرورا بزوال الخيفة أو بهلاك أهل الخبائث أو كان ضحكها ضحك انكار لغفلتهم وقد أظلهم العذاب وقيل كانت تقول لابراهيم اضمم لوطا ابن أخيك اليك فاني أعلم انه سينزل بهؤلاء القوم عذاب فضحكت سرورا لما أتى الامر على ما توهمت وقيل فضحكت فحاضت وقرأ محمد بن زياد الاعرابي فضحكت بفتح الحاء (يعقوب) رفع بالابتداء كأنه قيل ومن وراء اسحق يعقوب مولود أو موجود أي من بعده وقيل الوراء ولد الولد وعن الشعبي انه قيل له أهذا ابنك فقال نعم من الوراء وكان ولد ولده وقرئ يعقوب بالنصب كأنه قيل ووهبنا له اسحق ومن وراء اسحق يعقوب على طريقة قوله ليسوا مصلحين عشيرة ولا ناعب * الالف في (يا ويلتا) مبدلة من ياء الاضافة وكذلك في يا لهفا ويا عجبا

وقرأ

وقرأ الحسن باويلتى بالياء على الاصل و(شيخا) نصب حال دل عليه اسم الاشارة وقرئ شيخ على انه خبر مبتدأ
محذوف أى هذا بعلى هو شيخ أو بعلى بدل من المبتدأ وشيخ خبر أو يكونان معا خبرين قيل بشرت ولها تسع
وتسعون سنة ولابراهيم مائة وعشرون سنة (ان هذا لشئ عجيب) أن يولد ولد من هرمين وهو استبعاد
من حيث العادة التى أجراها الله وانما أنكرت عليها الملائكة تعجبها و(قالوا أتعجبين من أمر الله) لانها كانت
فى بيت الآيات ومهبط المعجزات والامور الخارقة للعادات فكان عليها أن تتوقر ولا يزدهيها ما يزدهى
سائر النساء الناشئات فى غير بيوت النبوة وأن تسبح الله وتمجده مكان التعجب والى ذلك أشارت الملائكة
صلوات الله عليهم فى قولهم رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت أرادوا ان هذه وأمثالها مما يكرمكم به رب
العزة ويخصكم بالانعام به يا أهل بيت النبوة فليست بمكان عجب وأمر الله قدرته وحكمته وقوله (رحمت
الله وبركاته عليكم) كلام مستأنف علل به انكار التعجب كأنه قيل اياك والتعجب فان أمثال هذه الرحمة
والبركة متكاثرة من الله عليكم وقيل الرحمة النبوة والبركات الاسباط من بنى اسرائيل لان الانبياء منهم
وكلهم من ولد ابراهيم (حميد) فاعل ما يستوجب به الحمد من عباده (مجيد) كريم كثير الاحسان اليهم
و(أهل البيت) نصب على النداء أو على الاختصاص لان أهل البيت مدح لهم اذ المراد أهل بيت خليل
الرحمن (الروع) ما أوجس من الخيفة حين نكر أضيافه والمعنى أنه لما اطمأن قلبه بعد الخوف وملئ
سرورا بسبب البشرى بدل الغم فرغ للمجادلة (فان قلت) أين جواب لما (قلت) هو محذوف كما حذف
فى قوله فلما ذهبوا به وأجمعوا وقوله (يجادلنا) كلام مستأنف دال على الجواب وتقديره اجترأ على خطابنا
أو فطن لمجادلتنا أو قال كيت وكيت ثم ابتدأ فقال يجادلنا فى قوم لوط وقيل فى يجادلنا هو جواب لما وانما
جئ به مضارعا لحكاية الحال وقيل ان لما ترد المضارع الى معنى الماضى كما ترد ان الماضى الى معنى
الاستقبال وقيل معناه أخذ يجادلنا وأقبل يجادلنا والمعنى يجادل رسلنا ومجادلته اياهم أنهم قالوا انا
مهلكو أهل هذه القرية فقال أرأيتم لو كان فيها خمسون رجلا من المؤمنين أتهلكونها قالوا لا قال
فأربعون قالوا لا قال فثلاثون قالوا لا حتى بلغ العشرة قالوا لا قال أرأيتم ان كان فيها رجل واحد مسلم
أتهلكونها قالوا لا فعند ذلك قال ان فيها لوطا قالوا نحن أعلم بمن فيها لننجينه وأهله (فى قوم لوط) فى معناهم
وعن ابن عباس قالوا له ان كان فيها خمسة يصلون رفع عنهم العذاب وعن قتادة ما قوم لا يكون فيهم عشرة
فيهم خير وقيل كان فيها أربعة آلاف ألف انسان (ان ابراهيم لحليم) غير عجول على كل من أساء اليه (أواه)
كثير التأوه من الذنوب (منيب) تائب راجع الى الله بما يحب ويرضى وهذه الصفات دالة على رقة القلب
والرأفة والرحمة فبين ان ذلك مما حمله على المجادلة فيهم رجاء أن يرفع عنهم العذاب ويمهلوا لعلهم يحدثون
التوبة والانابة كما حمله على الاستغفار لابيه (يا ابراهيم) على ارادة القول أى قالت له الملائكة (أعرض عن
هذا) الجدال وان كانت الرحمة ديدنك فلا فائدة فيه (انه قد جاء أمر ربك) وهو قضاؤه وحكمه الذى
لا يصدر الا عن صواب وحكمة والعذاب نازل بالقوم لا محالة لا مرد له بجدال ولا دعاء ولا غير ذلك * كانت
مساءة لوط وضيق ذرعه لانه حسب انهم انس فخاف عليهم خبث قومه وان يعجز عن مقاومتهم ومدافعتهم
وروى أن الله تعالى قال لهم لا تهلكوهم حتى يشهد عليهم لوط أربع شهادات فلما مشى معهم منطلقا بهم الى
منزله قال لهم أما بلغكم أمر هذه القرية قالوا وما أمرهم قال أشهد بالله انها لشر قرية فى الارض عملا يقول
ذلك أربع مرات فدخلوا معه منزله ولم يعلم بذلك أحد فخرجت امرأته فأخبرت بهم قومها * يقال يوم عصيب
وعصوصب اذا كان شديدا من قولك عصبه اذا شده (يهرعون) يسرعون كأنما يدفعون دفعا (ومن قبل
كانوا يعملون السيئات) ومن قبل ذلك الوقت كانوا يعملون الفواحش ويكثرونها فضروا بها ومرنوا
عليها وقل عندهم استقباحها فلذلك جاؤا يهرعون مجاهرين لا يكفهم حياء وقيل معناه وقد عرف لوط
عادتهم فى عمل الفواحش قبل ذلك (هؤلاء بناتى) أراد أن يقى أضيافه ببناته وذلك غاية الكرم وأراد هؤلاء
بناتى فتزوجوهن وكان تزويج المسلمات من الكفار جائزا كما زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم ابنتيه من
عتبة بن أبى لهب وأبى العاص بن وائل قبل الوحى وهما كافران وقيل كان لهم سيدان مطاعان فأراد أن

شيخا ان هذا لشئ
عجيب قالوا أتعجبين
من أمر الله رحمت الله
وبركاته عليكم أهل
البيت انه حميد مجيد
فلما ذهب عن ابراهيم
الروع وجاءته البشرى
يجادلنا فى قوم لوط ان
ابراهيم لحليم أواه
منيب يا ابراهيم أعرض
عن هذا انه قد جاء أمر
ربك وانهم آتيهم
عذاب غير مردود
ولما جاءت رسلنا لوطا
سئ بهم وضاق بهم
ذرعا وقال هذا يوم
عصيب وجاءه قومه
يهرعون اليه ومن قبل
كانوا يعملون السيئات
قال يا قوم هؤلاء بناتى
هن أطهر لكم

يزوجها البنتيه وقرأ ابن مروان هن أطهر لكم بالنصب وضعفه سيبويه وقال احتبى ابن مروان في لحنه وعن أبي عمرو بن العلاء من قرأ هن أطهر بالنصب فقد تربع في لحنه وذلك أن انتصابه على أن يجعل حالا قد عمل فيها ما في هؤلاء من معنى الفعل كقوله هذا بعلي شيخا أو ينصب هؤلاء بفعل مضمر كأنه قيل خذوا هؤلاء وبناتي بدل ويعمل هذا المضمر في الحال وهن فصل وهذا لا يجوز لأن الفصل مختص بالوقوع بين جزأي الجملة ولا يقع بين الحال وذي الحال وقد خرج له وجه لا يكون هن فيه فصلا وذلك أن يكون هؤلاء مبتدأ وبناتي هن جملة في موضع خبر المبتدا كقولك هذا أخي هو ويكون أطهر حالا (فاتقوا الله) بإيثارهن عليهم (ولا تخزون) ولا تهينوني ولا تفضحوني من الخزي أو ولا تخجلوني من الخزاية وهي الحياء (في ضيفي) في حق ضيوفي فإنه إذا خزي ضيف الرجل أو جاره فقد خزي الرجل وذلك من عراقة الكرم وأصالة المروءة (أليس منكم رجل رشيد) رجل واحد يهتدي إلى سبيل الحق وفعل الجميل والكف عن السوء * وقرئ ولا تخزون بطرح الياء ويجوز أن يكون عرض البنات عليهم مبالغة في تواضعه لهم وإظهارا لشدة امتعاضه مما أوردوا عليه طمعا في أن يستحيوا منه ويرقوا له إذا سمعوا ذلك فيتركوا له ضيوفه مع ظهور الأمر واستقرار العلم عنده وعندهم أن لا مناكحة بينه وبينهم ومن ثم (قالوا لقد علمت) مستشهدين بعلمه (ما لنا في بناتك من حق) لأنك لا ترى مناكحتنا وما هو إلا عرض سابري ٣ وقيل لما اتخذوا إتيان الذكران مذهبا ودينا لتواطئهم عليه كان عندهم أنه هو الحق وأن نكاح الإناث من الباطل فلذلك قالوا ما لنا في بناتك من حق قط لأن نكاح الإناث أمر خارج من مذهبنا الذي نحن عليه ويجوز أن يقولوه على وجه الخلاعة والغرض نفي الشهوة (لتعلم ما نريد) عنوا إتيان الذكور وما لهم فيه من الشهوة * جواب لو محذوف كقوله تعالى ولو أن قرآنا سيرت به الجبال بمعنى لو أن لي بكم قوة لفعلت بكم وصنعت يقال ما لي به قوة وما لي به طاقة ونحوه لا قبل لهم بها وما لي به يدان لأنه في معنى لا أضطلع به ولا أستقل به * ومعنى لو قويت عليكم بنفسي أو أويت إلى قوي أستند إليه وأتمنع به فيحميني منكم فشبه القوي العزيز بالركن من الجبل في شدته ومنعته ولذلك قالت الملائكة وقد وجدت عليه إن ركنك لشديد وقال النبي صلى الله عليه وسلم رحم الله أخي لوطا كان يأوي إلى ركن شديد * وقرئ أو آوي بالنصب بإضمار أن كأنه قيل لو أن لي بكم قوة أو أويا كقولها * للبس عباءة وتقر عيني * وقرئ إلى ركن بضمتين وروي أنه أغلق بابه حين جاؤوا وجعل يرادهم ما حكى الله عنه ويجادلهم فتسوروا الجدار فلما رأت الملائكة ما لقي لوط من الكرب قالوا يا لوط إن ركنك لشديد (إنا رسل ربك لن يصلوا إليك) فافتح الباب ودعنا وإياهم ففتح الباب فدخلوا فاستأذن جبريل عليه السلام ربه في عقوبتهم فأذن له فقام في الصورة التي يكون فيها فنشر جناحه وله جناحان وعليه وشاح من در منظوم وهو براق الثنايا فضرب بجناحه وجوههم فطمس أعينهم وأعماهم كما قال الله تعالى فطمسنا أعينهم فصاروا لا يعرفون الطريق فخرجوا وهم يقولون النجاء النجاء فإن في بيت لوط قوما سحرة * لن يصلوا إليك جملة موضحة للتي قبلها لأنهم إذا كانوا رسل الله لم يصلوا إليه ولم يقدروا على ضرره * وقرئ فاسر بالقطع والوصل وإلا امرأتك بالرفع والنصب وروي أنه قال لهم متى موعد هلاكهم قالوا الصبح فقال أريد أسرع من ذلك فقالوا (أليس الصبح بقريب) وقرئ الصبح بضمتين (فإن قلت) ما وجه قراءة من قرأ إلا امرأتك بالنصب (قلت) استثناها من قوله فأسر بأهلك والدليل عليه قراءة عبد الله فأسر بأهلك بقطع من الليل إلا امرأتك ويجوز أن ينتصب عن لا يلتفت على أصل الاستثناء وإن كان الفصيح هو البدل أعني قراءة من قرأ بالرفع فأبدلها عن أحد وفي إخراجها مع أهله روايتان روي أنه أخرجها معهم وأمر أن لا يلتفت منهم أحد إلا هي فلما سمعت هدة العذاب التفتت وقالت يا قوماه فأدركها حجر فقتلها وروي أنه أمر بأن يخلفها مع قومها فإن هواها إليهم فلم يسر بها واختلاف القراءتين لاختلاف الروايتين (جعلنا عاليها سافلها) جعل جبريل جناحه في أسفلها ثم رفعها إلى السماء حتى سمع أهل السماء نباح الكلاب وصياح الديكة ثم قلبها عليهم وأتبعوا الحجارة من فوقهم (من سجيل) قيل هي كلمة معربة من سنك وكل بدليل قوله حجارة من طين وقيل هي من أسجله إذا أرسله لأنه ترسل على الظالمين ويدل عليه قوله

لنرسل

فاتقوا الله ولا تخزون في ضيفي أليس منكم رجل رشيد قالوا لقد علمت ما لك في بناتك من حق وإنك لتعلم ما نريد قال لو أن لي بكم قوة أو آوي إلى ركن شديد قالوا يا لوط إنا رسل ربك لن يصلوا إليك فأسر بأهلك بقطع من الليل ولا يلتفت منكم أحد إلا امرأتك إنه مصيبها ما أصابهم إن موعدهم الصبح أليس الصبح بقريب فلما جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليها حجارة من سجيل

٣ (قوله سابري) في المثل عرض سابري يقوله من يعرض عليه الشيء عرضا لا يبالغ فيه اهـ من هامش الأصل

* قوله تعالى ويا قوم أوفوا المكيال والميزان بالقسط ولا تبخسوا الناس أشياءهم (قال ان قلت النهي عن النقصان أمر بالايفاء الخ) قال أحمد ولمن قال ان الامر بالشيء ليس نهيا عن ضده أن يستدل بهذه الآية فان الامر لو كان عين النهي عن الضد لكان وروده عقيبه تكرارا وفي كلام الزمخشري ما يدل على انه وهم فاعتقد ان النهي في الآية قبل الامر وذلك سهو وغفلة وكل مأخوذ من قوله ومتروك الا المعصوم وأما قوله ان الايفاء حسن في العقول فتفريع على قاعدة التحسين والتقبيح وقد سبق بطلانها وبينا ان التحسين والتقبيح موطنهما من الشرع ولا مجال للعقل في حكم شرعي * قوله تعالى بقية الله خير لكم ان كنتم مؤمنين (٦٠٩) (قال بقية الله ما يبقى لكم من الحلال الخ) قال أحمد المنقول عن المعتزلة ان الكفار غير مخاطبين بفروع الشريعة لا نهيا ولا أمرا وقد جوز بعضهم خطابهم بالنهي وهذه الآية تدل على انهم مخاطبون في حال الكفر بشرط الايمان وقد قرره الزمخشري على ذلك * عاد كلامه قال فان قلت بقية الله خير للكفرة لانهم يطلبون معها من تبعة البخس الخ) قال أحمد وهذا أيضا من اقرار الزمخشري الآية على ظاهرها ومعنى السؤال ان الكفار اذا قدرنا خطابهم بالفروع انتفعوا باجتناب المنهيات في الدار الآخرة لان ثمرة الخلاف في مسئلة خطاب الكفار انما تظهر في الدار الآخرة واذا كانوا ينتفعون بذلك فلا معنى لاشتراط الايمان والحال مع وجوده وعدمه في الانتفاع بالامتثال سواء ومعنى الجواب ان ظهور الانتفاع بالامتثال انما يتحقق مع الايمان وأما مع الكفر فهم مخلدون في العذاب فلا تظهر الفائدة على خفاء في تحقق مأمن العذاب والله الموفق * عاد كلامه (قال ويجوز أن يراد ما يبقى لكم من الطاعات عند الله الخ) قال أحمد قد تقدم أن عقيدة أهل السنة أن لا خالق ولا رازق الا الله ايمانا بقوله هل من خالق غير الله يرزقكم واذا كان الرزق عبارة عن كل ما يقيم به الخلق بنيتهم لزم اندراج الحرام تحت هذا الاطلاق عقدا وحقيقة وأما اطلاق القول باضافته على الخصوص الى الله تعالى فامر خارج عن الاعتقاد راجع الى الاتباع والله الموفق

مسومة عند ربك وما هي من الظالمين ببعيد * والى مدين أخاهم شعيبا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره ولا تنقصوا المكيال والميزان انى أراكم بخير وانى أخاف عليكم عذاب يوم محيط * ويا قوم أوفوا المكيال والميزان بالقسط ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا في الارض مفسدين * بقية الله خير لكم ان كنتم مؤمنين

للمرسل عليهم تجارة وقيل عن كتب الله أن يعذبهم به من السجل وسجل لهم الارسال (منضود) نضد في السماء نضدا معدا للعذاب وقيل يرسل بعضه في أثر بعض متتابعا (مسومة) معلمة للعذاب وعن الحسن رضي الله عنه كانت معلمة ببياض وحمرة وقيل عليها سيما يعلم بها أنها ليست من حجارة الارض وقيل مكتوب على كل واحد اسم من يرمى به (وما هي) من كل ظالم ببعيد وفيه وعيد لاهل مكة وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه سأل جبريل عليه السلام فقال يعني ظالمي أمتك ما من ظالم منهم الا وهو بعرض حجر يسقط عليه من ساعة الى ساعة وقيل الضمير للقرى أي هي قريبة من ظالمي مكة يمرون بها في مسايرهم (ببعيد) بشيء بعيد ويجوز أن يراد وما هي بمكان بعيد لانها وان كانت في السماء وهي مكان بعيد الا أنها اذا هوت منها فهي أسرع شيء لحوقا بالمرمي فكأنها بمكان قريب منه (انى أراكم بخير) يريد بثروة وسعة تغنيكم عن التطفيف أو أراكم بنعمة من الله حقها أن تقابل بغير ما تفعلون أو أراكم بخير فلا تزيلوه عنكم بما أنتم عليه كقول مؤمن آل فرعون يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين في الارض فمن ينصرنا من بأس الله ان جاءنا (يوم محيط) مهلك من قوله وأحيط بثمره وأصله من احاطة العدو (فان قلت) وصف العذاب بالاحاطة أبلغ أم وصف اليوم بها (قلت) بل وصف اليوم بها لان اليوم زمان يشتمل على الحوادث فاذا أحاط بعذابه فقد اجتمع للمعذب ما اشتمل عليه منه كما اذا أحاط بنعيمه (فان قلت) النهي عن النقصان أمر بالايفاء فما فائدة قوله أوفوا (قلت) نهوا أولا عن عين القبيح الذي كانوا عليه من نقص المكيال والميزان لان في التصريح بالقبيح نعيا على المنهي وتعييرا له ثم ورد الامر بالايفاء الذي هو حسن في العقول مصرحا بلفظه لزيادة ترغيب فيه وبعث عليه وجيء به مقيدا بالقسط أي ليكن الايفاء على وجه العدل والتسوية من غير زيادة ولا نقصان أمرا بما هو الواجب لان ما جاوز العدل فضل وأمر مندوب اليه وفيه توقيف على أن الموفي عليه أن ينوي بالوفاء القسط لان الايفاء وجه حسنه أنه قسط وعدل فهذه ثلاث فوائد والبخس الهضم والنقص ويقال للمكس البخس قال زهير

* وفي كل ما باع امرؤ بخس درهم *

وروي مكس درهم وكانوا يأخذون من كل شيء يباع شيئا كما تفعل السماسرة أو كانوا يمكسون الناس أو كانوا ينقصون من أثمان ما يشترون من الاشياء فنهوا عن ذلك * والعثي في الارض نحو السرقة والغارة وقطع السبيل ويجوز أن يجعل التطفيف والبخس عثيا منهم في الارض (بقيت الله) ما يبقى لكم من الحلال بعد التنزه عما هو حرام عليكم (خير لكم ان كنتم مؤمنين) بشرط أن تؤمنوا وانما خوطبوا بترك التطفيف والبخس والفساد في الارض وهم كفرة بشرط الايمان (فان قلت) بقية الله خير للكفرة لانهم يسلمون معها من تبعة البخس والتطفيف فلم شرط الايمان (قلت) لظهور فائدتها مع الايمان من حصول الثواب مع النجاة من العقاب وخفائها مع فقده لانغماس صاحبها في غمرات الكفر وفي ذلك استعظام للايمان وتنبيه على جلالة شأنه ويجوز أن يراد ان كنتم مصدقين لي فيما أقول لكم وأنصح به اياكم ويجوز أن يراد ما يبقى لكم عند الله من الطاعات خير لكم كقوله والباقيات الصالحات خير عند

• قوله تعالى قالوا يا شعيب أصلواتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا أو أن نفعل في أموالنا ما نشاء (قال معناه تأمرك بتكليف أن نترك ما يعبد آباؤنا الى قوله بتاء الخطاب فيهما) قال أحمد في هذه القراءة يكون أن نفعل معطوفا على أن نترك وهي المشهور ولا يجوز ذلك والله أعلم لاستحالة المعنى فيتعين العطف فيها على ما يعبد كأنهم قالوا أصلواتك تأمرك أن نترك عبادة آبائك أو معبود آبائنا على أنها مصدرية أو موصولة ثم قالوا (٦١٠) أو أن نفعل أي أو نترك نفعل في أموالنا ما نشاء هذه القراءة فتتمة لها ولا حاجة الى اضمار الزمخشري المضاف تقديره تأمرك بتكليف ان نترك واحتياجه لذلك بأن الانسان لا يؤمر بفعل غيره اذا والمسئلة فرع من فروع حذف الافعال ومع ذلك كله فتقدير المصنف في الآية

وما أنا عليكم بحفيظ قالوا يا شعيب أصلواتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا أو أن نفعل في أموالنا ما نشاء انك لأنت الحليم الرشيد قال يا قوم أرأيتم ان كنت على بينة من ربي ورزقني منه رزقا حسنا وما أريد أن أخالفكم الى ما أنهاكم عنه ان أريد الا الاصلاح ما استطعت وما توفيقي الا بالله عليه توكلت واليه أنيب ويا قوم

ربك وأضيفت البقية الى الله من حيث هي رزقه الذي يجوز أن يضاف اليه وأما الحرام فلا يضاف الى الله ولا يسمى رزقا واذا أريد بها الطاعة فكما تقول طاعة الله • وقرئ تقية الله بالتاء وهي تقواه ومراقبته التي تصرف عن المعاصي والقبائح (وما أنا عليكم بحفيظ) وما بعثت لأحفظ عليكم أعمالكم وأجازيكم عليها وانما بعثت مبلغا ومنبها على الخير وقد أعذرت حين أنذرت • كان شعيب عليه السلام كثير الصلوات وكان قومه اذا رأوه يصلي تغامزوا وتضاحكوا فقصدوا بقولهم (أصلواتك تأمرك) السخرية والهزء والصلاة وان جاز أن تكون آمرة على طريق المجاز كما كانت ناهية في قوله ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر وأن يقال ان الصلاة تأمر بالجميل والمعروف كما يقال تدعو اليه وتبعث عليه الا أنهم ساقوا الكلام مساق الطنز وجعلوا الصلاة آمرة على سبيل التهكم بصلاته وأرادوا أن هذا الذي تأمر به من ترك عبادة الأوثان باطل لا وجه لصحته وأن مثله لا يدعوك اليه داعي عقل ولا يأمرك به آمر فطنة فلم يبق الا أن يأمرك به آمر هذيان ووسوسة شيطان وهو صلواتك التي تداوم عليها في ليلك ونهارك وعندهم أن الصلاة من باب الجنون ومما يتولع به المجانين والموسوسون من بعض الأقوال والأفعال ومعنى تأمرك (أن نترك) تأمرك بتكليف أن نترك (ما يعبد آباؤنا) فحذف المضاف الذي هو التكليف لأن الانسان لا يؤمر بفعل غيره • وقرئ أصلاتك بالتوحيد • وقرأ ابن أبي عبلة أو أن تفعل في أموالنا ما تشاء بتاء الخطاب فيهما وهو ما كان يأمرهم به من ترك التطفيف والبخس والاقتناع بالحلال القليل من الحرام الكثير وقيل كان ينهاهم عن حذف الدراهم والدنانير وتقطيعها وأرادوا بقولهم (انك لأنت الحليم الرشيد) نسبته الى غاية السفه والغي فعكسوا ليتهكموا به كما يتهكم بالشحيح الذي لا يبض حجره فيقال له لو أبصرك حاتم لسجد لك وقيل معناه انك للمتصف بالحلم والرشد في قومك يعنون أن ما تأمر به لا يطابق حالك وما شهرت به (ورزقني منه) أي من لدنه (رزقا حسنا) وهو ما رزقه من النبوة والحكمة وقيل رزقا حسنا حلالا طيبا من غير بخس ولا تطفيف (فان قلت) أين جواب أرأيتم وماله لم يثبت كما أثبت في قصة نوح ولوط (قلت) جوابه محذوف وانما لم يثبت لأن اثباته في القصتين دل على مكانه ومعنى الكلام ينادي عليه والمعنى أخبروني ان كنت على حجة واضحة ويقين من ربي وكنت نبيا على الحقيقة أيصح لي أن لا آمركم بترك عبادة الأوثان والكف عن المعاصي والأنبياء لا يبعثون الا لذلك • يقال خالفني فلان الى كذا اذا قصده وأنت مول عنه وخالفني عنه اذا ولى عنه وأنت قاصده ويلقاك الرجل صادرا عن الماء فتسأله عن صاحبه فيقول خالفني الى الماء يريد أنه قد ذهب اليه واردا وأنا ذاهب عنه صادرا ومنه قوله تعالى وما أريد أن أخالفكم الى ما أنهاكم عنه يعني أن أسبقكم الى شهواتكم التي نهيتكم عنها لأستبد بها دونكم (ان أريد الا الاصلاح) ما أريد الا أن أصلحكم بموعظتي ونصيحتي وأمري بالمعروف ونهيي عن المنكر (ما استطعت) ظرف أي مدة استطاعتي للاصلاح وما دمت متمكنا منه لا آلو فيه جهدا أو بدل من الاصلاح أي المقدار الذي استطعته منه ويجوز أن يكون على تقدير حذف المضاف على قولك الا الاصلاح اصلاح ما استطعت أو مفعولا له كقوله

• ضعيف النكاية أعداءه • أي ما أريد الا أن أصلح ما استطعت اصلاحه من فاسدكم (وما توفيقي الا بالله) وما كوني موفقا لاصابة الحق فيما آتي وأذر ووقوعه موافقا لرضا الله الا بمعونته وتأييده والمعنى انه استوفق ربه في امضاء الأمر على سننه وطلب منه التأييد والاظهار على عدوه وفي ضمنه تهديد للكفار وحسم

فتوجيهه ليس بشيء على القراءة المذكورة ولكن لان عرف التخاطب في مثله يقتضي ذلك والله أعلم • قوله تعالى ان أريد الا الاصلاح ما استطعت (قال ما استطعت ظرف أي مدة استطاعتي للاصلاح وما دمت متمكنا منه ويجوز أن يكون على حذف مضاف تقديره الا الاصلاح اصلاح ما استطعت أو يكون معمولا للمصدر كقوله • ضعيف النكاية أعداءه •) قال أحمد والظاهر انه ظرف كهو في قوله فاتقوا الله ما استطعتم وأما جعله معمولا للمصدر وقد عرف بالألف واللام فبعيد لأن اعمال المصدر المعرف في المفعول الصريح ليس بذلك قالوا ولم يوجد في القرآن عاملا في مفعول صريح ولا في غيره الا في قوله لا يحب الله الجهر بالسوء فأعمله في الجار والمجرور

لاطماعهم فيه * جرم مثل كسب فى تعديه الى مفعول واحد والى مفعولين تقول جرم ذنبا وكسبه وجرمته ذنبا وكسبته اياه قال * جرمت فزارة بعدها أن يغضبوا * ومنه قوله تعالى (لا يجرمنكم شقاقى أن يصيبكم) أى لا يكسبنكم شقاقى اصابة العذاب وقرأ ابن كثير بضم الياء من أجرمته ذنبا اذا جعلته جارما له أى كاسبا وهو منقول من جرم المتعدى الى مفعول واحد كما نقل أكسبه المال من كسب المال وكما لا فرق بين كسبته مالا وأكسبته اياه فكذلك لا فرق بين جرمته ذنبا وأجرمته اياه والقراءتان مستويتان فى المعنى لا تفاوت بينهما الا ان المشهورة أفصح لفظا كما أن كسبته مالا أفصح من أكسبته والمراد بالفصاحة أنه على ألسنة الفصحاء من العرب الموثوق بعربيتهم أدور وهم له أكثر استعمالا * وقرأ أبو حيوة ورويت عن نافع مثل ما أصاب بالفتح لاضافته الى غير متمكن كقوله * لم يمنع الشرب منها غير أن نطقت * (وما قوم لوط منكم ببعيد) يعنى أنهم أهلكوا فى عهد قريب من عهدكم فهم أقرب الهالكين منكم أو لا يبعدون منكم فى الكفر والمساوى وما يستحق به الهلاك (فان قلت) ما للبعيد لم يرد على ما يقتضيه قوم من حمله على لفظه أو معناه (قلت) اما أن يراد وما اهلاكهم ببعيد أو وما هم بشئ بعيد أو بزمان أو مكان بعيد ويجوز أن يسوى فى قريب وبعيد وقليل وكثير بين المذكر والمؤنث لورودها على زنة المصادر التى هى الصهيل والنهيق ونحوهما (رحيم ودود) عظيم الرحمة للتائبين فاعل بهم ما يفعل البليغ المودة بمن يوده من الاحسان والاجمال (ما نفقه كثيرا مما تقول) لأنهم كانوا لا يلقون اليه أذهانهم رغبة عنه وكراهية له كقوله وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه أو كانوا يفقهونه ولكنهم لم يقبلوه فكأنهم لم يفقهوه أو قالوا ذلك على وجه الاستهانة به كما يقول الرجل لصاحبه اذا لم يعبأ بحديثه ما أدرى ما تقول أو جعلوا كلامه هذيانا وتخليطا لا ينفعهم كثير منه وكيف لا ينفعهم كلامه وهو خطيب الانبياء وقيل كان ألثغ (فينا ضعيفا) لا قوة لك ولا عز فيما بيننا فلا تقدر على الامتناع منا ان أردنا بك مكروها وعن الحسن ضعيفا مهينا وقيل ضعيفا أعمى وحمير تسمى المكفوف ضعيفا كما يسمى ضريرا وليس بسديد لأن فينا يأباه ألا ترى أنه لو قيل انا لنراك فينا أعمى لم يكن كلاما لأن الاعمى أعمى فيهم وفى غيرهم ولذلك قللوا قومه حيث جعلوهم رهطا * والرهط من الثلاثة الى العشرة وقيل الى السبعة وانما قالوا ولولا رهطك احتراما لهم واعتدادا بهم لانهم كانوا على ملتهم لا خوفا من شوكتهم وعزتهم (لرجمناك) لقتلناك شر قتلة (وما أنت علينا بعزيز) أى لا تعز علينا ولا تكرم حتى نكرمك من القتل ونرفعك عن الرجم وانما يعز علينا رهطك لانهم من أهل ديننا لم يختاروك علينا ولم يتبعوك دوننا وقد دل ايلاء ضميره حرف النفى على ان الكلام واقع فى الفاعل لا فى الفعل كأنه قيل وما أنت علينا بعزيز بل رهطك هم الاعزة علينا ولذلك قال فى جوابهم (أرهطى أعز عليكم من الله) ولو قيل وما عززت علينا لم يصح هذا الجواب (فان قلت) فالكلام واقع فيه وفى رهطه وانهم الاعزة عليهم دونه فكيف صح قوله أرهطى أعز عليكم من الله (قلت) تهاونهم به وهو نبى الله تهاون بالله فحين عز عليهم رهطه دونه كان رهطه أعز عليهم من الله ألا ترى الى قوله تعالى من يطع الرسول فقد أطاع الله (واتخذتموه وراءكم ظهريا) ونسيتموه وجعلتموه كالشئ المنبوذ وراء الظهر لا يعبأ به والظهرى منسوب الى الظهر والكسر من تغييرات النسب ونظيره قولهم فى النسبة الى أمس امسى (بما تعملون محيط) قد أحاط بأعمالكم علما فلا يخفى عليه شئ منها (على مكانتكم) لا تخلو المكانة من أن تكون بمعنى المكان يقال مكان ومكانة ومقام ومقامة أو تكون مصدرا من مكن مكانة فهو مكين والمعنى اعملوا قارين على جهتكم التى أنتم عليها من الشرك والشنآن لى أو اعملوا متمكنين من عداوتى مطيقين لها (انى عامل) على حسب ما يؤتينى الله من النصرة والتأييد ويمكننى (من يأتيه) يجوز أن تكون من استفهامية معلقة لفعل العلم عن عمله فيها كأنه قيل سوف تعلمون أينا يأتيه عذاب يخزيه وأينا هو كاذب وأن تكون موصولة قد عمل فيها كأنه قيل سوف تعلمون الشقى الذى يأتيه عذاب يخزيه والذى هو كاذب (فان قلت) أى فرق بين ادخال الفاء ونزعها فى سوف تعلمون (قلت) ادخال الفاء وصل ظاهر بحرف موضوع للوصل ونزعها وصل خفى تقديرى بالاستئناف الذى هو جواب لسؤال مقدر كأنهم قالوا

لا يجرمنكم شقاقى أن يصيبكم مثل ما أصاب قوم نوح أو قوم هود أو قوم صالح وما قوم لوط منكم ببعيد واستغفروا ربكم ثم توبوا اليه ان ربى رحيم ودود قالوا يا شعيب ما نفقه كثيرا مما تقول وانا لنراك فينا ضعيفا ولولا رهطك لرجمناك وما أنت علينا بعزيز قال يا قوم أرهطى أعز عليكم من الله واتخذتموه وراءكم ظهريا ان ربى بما تعملون محيط ويا قوم اعملوا على مكانتكم انى عامل سوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ومن هو كاذب

عن اقتفاء الاعراب لى وجوهه وهى ممكنة عتيدة منهن خصوصا فى أفصح الكلام والله أعلم * قوله تعالى انا لنراك فينا ضعيفا ولولا رهطك لرجمناك (قال فيه معنى قولهم ضعيفا أى لا قوة لك ولا عز فيما بيننا الخ) قال أحمد وهذا من محاسن نكته الدالة على انه كان مليا بالحذاقة فى علم البيان والله المستعان

• قوله تعالى اني عامل سوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ومن هو كاذب وارتقبوا اني معكم رقيب (قال ان قلت قد ذكر عملهم على مكانتهم الخ) قال أحمد والظاهر والله أعلم ان الكلام من جملتهم فالاول وهو قوله من يأتيه عذاب يخزيه مضمن ذكر جزائهم الذي يجازون به وهو الكذب ويكون من باب عطف الصفة على الصفة والموصوف واحد كما تقول لمن تهدده ستعلم من يهان ومن يعاقب وإنما يعني المخاطب في الكلامين (٦١٢) فاذ ثبت صرف الكلامين اليهم لم يخل ذلك من دلالة على ذكر عاقبة هؤلاء اذ أحد الفريقين اذا كان مبطلا فالآخر هو المحق قطعا فاذكره لاحدى العاقبتين صريحا يفهم ذكر الاخرى تعريضا والتعريض كما علمت في كثير من مواضعه أبلغ وأوقع من التصريح

فماذا يكون اذا عملنا نحن على مكانتنا وعملت أنت فقال سوف تعلمون فوصل تارة بالفاء وتارة بالاستئناف للتفنن في البلاغة كما هو عادة بلغاء العرب وأقوى الوصلين وأبلغهما الاستئناف وهو باب من أبواب علم البيان تتكاثر محاسنه (وارتقبوا) وانتظروا العاقبة وما أقول لكم (اني معكم رقيب) أي منتظر والرقيب بمعنى الراقب من رقبه كالضريب والصريم بمعنى الضارب والصارم أو بمعنى المراقب كالعشير والنديم أو بمعنى المرتقب كالفقير والرفيع بمعنى المفتقر والمرتفع (فان قلت) قد ذكر عملهم على مكانتهم وعمله على مكانته ثم أتبعه ذكر عاقبة العاملين منه ومنهم فكان القياس أن يقول من يأتيه عذاب يخزيه ومن هو صادق حتى ينصرف من يأتيه عذاب يخزيه الى الجاحدين ومن هو صادق الى النبي المبعوث اليهم (قلت) القياس ما ذكرت ولكنهم لما كانوا يدعونه كاذبا قال ومن هو كاذب يعني في زعمكم ودعواكم تجهيلا لهم (فان قلت) ما بال ساقتي قصة عاد وقصة مدين جاءتا بالواو والساقتان الوسطيان بالفاء (قلت) قد وقعت الوسطيان بعد ذكر الوعد وذلك قوله ان موعدهم الصبح ذلك وعد غير مكذوب فجيء بالفاء الذي هو للتسبيب كما تقول وعدته فلما جاء الميعاد كان كيت وكيت وأما الاخريان فلم تقعا بتلك المثابة وإنما وقعتا مبتدأتين فكان حقهما أن تعطفا بحرف الجمع على ما قبلهما كما تعطف قصة على قصة • الجاثم اللازم لمكانه لا يريم كاللابد يعني أن جبريل صاح بهم صيحة فزهق روح كل واحد منهم بحيث هو قعصا (كأن لم يغنوا) كأن لم يقيموا في ديارهم أحياء متصرفين مترددين البعد بمعنى البعد وهو الهلاك كالرشد بمعنى الرشد ألا ترى الى قوله (كما بعدت) وقرأ السلمي بعدت بضم العين والمعنى في البناءين واحد وهو نقيض القرب الا أنهم أرادوا التفرقة بين البعد من جهة الهلاك وبين غيره فغيروا البناء كما فرقوا بين ضماني الخير والشر فقالوا وعد وأوعد وقراءة السلمي جاءت على الاصل اعتبارا لمعنى البعد من غير تخصيص كما يقال ذهب فلان ومضى في معنى الموت وقيل معناه بعدا لهم من رحمة الله كما بعدت ثمود منها (بآياتنا وسلطان مبين) فيه وجهان أن يراد أن هذه الآيات فيها سلطان مبين لموسى على صدق نبوته وأن يراد بالسلطان المبين العصا لانها أبهرها (وما أمر فرعون برشيد) تجهيل لمتبعيه حيث شايعوه على أمره وهو ضلال مبين لا يخفى على من فيه أدنى مسكة من العقل وذلك أنه ادعى الالهية وهو بشر مثلهم وجاهر بالعسف والظلم والشر الذي لا يأتي الا من شيطان مارد فمثله بمعزل من الالهية ذاتا وأفعالا فاتبعوه وسلموا له دعواه وتتابعوا على طاعته والامر الرشيد الذي فيه رشد أي وما في أمره رشد إنما هو غي صريح وضلال ظاهر مكشوف وإنما يتبع العقلاء من يرشدهم ويهديهم لا من يضلهم ويعمي عليهم وفيه أنهم عاينوا الآيات والسلطان المبين في أمر موسى عليه السلام وعلموا أن معه الرشد والحق ثم عدلوا عن اتباعه الى اتباع من ليس في أمره رشد قط (يقدم قومه) أي كما كان قدوة لهم في الضلال كذلك يتقدمهم الى النار وهم يتبعونه ويجوز أن يريد بقوله وما أمر فرعون برشيد وما أمره بصالح حميد العاقبة ويكون قوله يقدم قومه تفسيرا لذلك وايضاحا أي كيف يرشد أمر من هذه عاقبته والرشد يستعمل في كل ما يحمد ويرتضى كما استعمل الغي في كل ما يذم ويتسخط ويقال قدمه بمعنى تقدمه ومنه قادمة الرحل كما يقال قدمه بمعنى تقدمه ومنه مقدمة الجيش وأقدم بمعنى تقدم ومنه مقدم العين (فان قلت) هلا قيل يقدم قومه فيوردهم ولم جيء بلفظ الماضي (قلت) لان الماضي يدل على أمر موجود مقطوع به فكأنه قيل يقدمهم فيوردهم النار لا محالة و(الورد) المورد (المورود) الذي وردوه شبه بالفارط الذي يتقدم الواردة

وارتقبوا اني معكم رقيب ولما جاء أمرنا نجينا شعيبا والذين آمنوا معه برحمة منا وأخذت الذين ظلموا الصيحة فأصبحوا في ديارهم جاثمين كأن لم يغنوا فيها ألا بعدا لمدين كما بعدت ثمود ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين الى فرعون وملئه فاتبعوا أمر فرعون وما أمر فرعون برشيد يقدم قومه يوم القيامة فأوردهم النار وبئس الورد المورود

وهذه منه والذي يدل على ان الكلامين لهما وان عاقبة أمر شعيب لم تذكر استغناء عنها بذكر عاقبتهم كما بيناه في الآية التي في أول هذه السورة وهي قوله تعالى قال ان تسخروا منا فانا نسخر منكم كما تسخرون فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم الاتراه كيف اكتفى بذلك عن أن يقول ومن هو على خلاف ذلك وكذلك قوله في سورة الانعام قل يا قوم اعملوا على مكانتكم اني عامل فسوف تعلمون من تكون له عاقبة الدار فذكرها هنا أيضا احدى العاقبتين لان المراد بهذه العاقبة عاقبة الخير وحتى أطلقت فلا يعني الا ذلك كقوله والعاقبة للتقين واستغنى عن ذكر مقابلتها والله أعلم فتأمل هذا الفصل فانه تحفة لمن همه تطلب درر الكتاب العزيز وضم

وأتبعوا في هذه لعنة ويوم القيامة بئس الرفد المرفود ذلك من أنباء القرى نقصه عليك منها قائم وحصيد وما ظلمناهم ولكن ظلموا أنفسهم فما أغنت عنهم آلهتهم التي يدعون من دون الله من شيء لما جاء أمر ربك وما زادوهم غير تتبيب وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد إن في ذلك لآية لمن خاف عذاب الآخرة ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود وما نؤخره إلا لأجل معدود يوم يأت

الواردة إلى الماء وشبه أتباعه بالواردة ثم قيل بئس الورد المورود الذي يردونه النار لأن الورد إنما يراد لتسكين العطش وتبريد الأكباد والنار ضده (وأتبعوا في هذه) في هذه الدنيا (لعنة) أي يلعنون في الدنيا ويلعنون في الآخرة (بئس الرفد المرفود) رفدهم أي بئس العون المعان وذلك أن اللعنة في الدنيا رفد للعذاب ومدد له وقد رفدت باللعنة في الآخرة وقيل بئس العطاء المعطى (ذلك) مبتدأ (من أنباء القرى نقصه عليك) خبر بعد خبر أي ذلك النبأ بعض أنباء القرى المهلكة مقصوص عليك (منها) الضمير للقرى أي بعضها باق وبعضها عافي الأثر كالزرع القائم على ساقه والذي حصد (فإن قلت) ما محل هذه الجملة (قلت) هي مستأنفة لا محل لها (وما ظلمناهم) بإهلاكنا إياهم (ولكن ظلموا أنفسهم) بارتكاب ما به أهلكوا (فما أغنت عنهم آلهتهم) فما قدرت أن ترد عنهم بأس الله (يدعون) يعبدون وهي حكاية حال ماضية و (لما) منصوب بما أغنت (أمر ربك) عذابه ونقمته (تتبيب) تخسير يقال تب إذا خسر وتببه غيره إذا أوقعه في الخسران * محل الكاف رفع تقديره ومثل ذلك الأخذ (أخذ ربك) والنصب فيمن قرأ وكذلك أخذ ربك بلفظ الفعل * وقرئ إذا أخذ القرى (وهي ظالمة) حال من القرى (أليم شديد) وجيع صعب على المأخوذ وهذا تحذير من وخامة عاقبة الظلم لكل أهل قرية ظالمة من كفار مكة وغيرها بل لكل من ظلم غيره أو نفسه بذنب يقترفه فعلى كل من أذنب أن يحذر أخذ ربه الأليم الشديد فيبادر التوبة ولا يغتر بالإمهال (ذلك) إشارة إلى ما قص الله من قصص الأمم الهالكة بذنوبهم (لآية لمن خاف) لعبرة له لأنه ينظر إلى ما أحل بالمجرمين في الدنيا وما هو إلا أنموذج مما أعد لهم في الآخرة فإذا رأى عظمه وشدته اعتبر به عظم العذاب الموعود فيكون له عبرة وعظة ولطفا في زيادة التقوى والخشية من الله تعالى ونحوه إن في ذلك لعبرة لمن يخشى (ذلك) إشارة إلى يوم القيامة لأن عذاب الآخرة دل عليه و (الناس) رفع باسم المفعول الذي هو مجموع كما يرفع بفعله إذا قلت يجمع له الناس (فإن قلت) لأي فائدة أوثر اسم المفعول على فعله (قلت) لما في اسم المفعول من دلالة على ثبات معنى الجمع لليوم وأنه يوم لا بد من أن يكون ميعادا مضروبا لجمع الناس له وأنه الموصوف بذلك صفة لازمة وهو أثبت أيضا لإسناد الجمع إلى الناس وأنهم لا ينفكون منه ونظيره قول المتهدد إنك لمنهوب مالك محروب قومك فيه من تمكن الوصف وثباته ما ليس في الفعل وإن شئت فوازن بينه وبين قوله يوم يجمعكم ليوم الجمع تعثر على صحة ما قلت لك ومعنى يجمعون له يجمعون لما فيه من الحساب والثواب والعقاب (يوم مشهود) مشهود فيه فاتسع في الظرف بإجرائه مجرى المفعول به كقوله * ويوم شهدناه سليما وعامرا * أي يشهد فيه الخلائق الموقف لا يغيب عنه أحد والمراد بالمشهود الذي كثر شاهدوه ومنه قولهم لفلان مجلس مشهود وطعام محضور قال في محفل من نواصي الناس مشهود (فإن قلت) فما منعك أن تجعل اليوم مشهودا في نفسه دون أن تجعله مشهودا فيه كما قال الله تعالى فمن شهد منكم الشهر فليصمه (قلت) الغرض وصف ذلك اليوم بالهول والعظم وتميزه من بين الأيام فإن جعلته مشهودا في نفسه فسائر الأيام كذلك مشهودات كلها ولكن يجعل مشهودا فيه حتى يحصل التميز كما تميز يوم الجمعة عن أيام الأسبوع بكونه مشهودا فيه دونها ولم يجز أن يكون مشهودا في نفسه لأن سائر أيام الأسبوع مثله يشهدها كل من يشهده وكذلك قوله فمن شهد منكم الشهر فليصمه الشهر منتصب ظرفا لا مفعولا به وكذلك الضمير في فليصمه والمعنى فمن شهد منكم في الشهر فليصم فيه يعني فمن كان منكم مقيما حاضرا لوطنه في شهر رمضان فليصم فيه ولو نصبته مفعولا فالمسافر والمقيم كلاهما يشهدان الشهر لا يشهده المقيم ويغيب عنه المسافر * الأجل يطلق على مدة التأجيل كلها وعلى منتهاها فيقولون انتهى الأجل وبلغ الأجل آخره ويقولون حل الأجل فإذا جاء أجلهم يراد آخر مدة التأجيل والعد إنما هو للمدة لا لغايتها ومنتهاها فمعنى قوله (وما نؤخره إلا لأجل معدود) إلا لانتهاء مدة معدودة بحذف المضاف وقرئ وما يؤخره بالياء * وقرئ يوم يأت بغير ياء ونحوه قولهم لا أدر حكاه الخليل وسيبويه وحذف الياء والاجتزاء عنها بالكسرة كثير في لغة هذيل (فإن قلت) فاعل يأتي ما هو (قلت) الله عز وجل كقوله هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله أو يأتي ربك ونحوها وتعضده قراءة من قرأ وما يؤخره

بعضها إلى بعض والله الموفق للصواب قوله تعالى ذلك يوم مجموع له الناس (قال فيه إن قلت لم عدل عن الفعل إلى اسم المفعول الخ) قال أحمد وهذا كمرور قوله تعالى إنا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشي والإشراق والطير محشورة فاستعمل الفعل حيث يليق به واسم المفعول حيث يحسن استعماله أيضا الخ * قوله تعالى وذلك يوم مشهود (قال المراد مشهود فيه فاتسع في الظرف الخ) قال أحمد يكون المشهود الذي هو المفعول به مسكوتا عنه مبهما ومن الإبهام ما يكون تفخيما وهذا كأنه

بالياء وقوله بإذنه ويجوز أن يكون الفاعل ضمير اليوم كقوله تعالى أو يأتيهم الساعة (فإن قلت) بم انتصب الظرف (قلت) إما أن ينتصب بلا تكلم وإما بإضمار اذكر وإما بالانتهاء المحذوف في قوله لأجل معدود أي ينتهي الأجل يوم يأتي (فإن قلت) فإذا جعلت الفاعل ضمير اليوم فقد جعلت اليوم وقتا لإتيان اليوم وحددت الشيء بنفسه (قلت) المراد إتيان هوله وشدائده (لا تكلم) لا تتكلم وهو نظير قوله لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن (فإن قلت) كيف يوفق بين هذا وبين قوله تعالى يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها وقوله تعالى هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون (قلت) ذلك يوم طويل له مواقف ومواطن ففي بعضها يجادلون عن أنفسهم وفي بعضها يكفون عن الكلام فلا يؤذن لهم وفي بعضها يؤذن لهم فيتكلمون وفي بعضها يختم على أفواههم وتتكلم أيديهم وتشهد أرجلهم (فمنهم) الضمير لأهل الموقف ولم يذكروا لأن ذلك معلوم ولأن قوله لا تكلم نفس يدل عليه وقد مر ذكر الناس في قوله مجموع له الناس • والشقي الذي وجبت له النار لإساءته • والسعيد الذي وجبت له الجنة لإحسانه • وقراءة العامة بفتح الشين وعن الحسن شقوا بالضم كما قرئ سعدوا • والزفير إخراج النفس • والشهيق رده قال الشماخ

بعيد مدى التطريب أول صوته • زفير ويتلوه شهيق محشرج

(ما دامت السموات والأرض) فيه وجهان أحدهما أن تراد سموات الآخرة وأرضها وهي دائمة مخلوقة للأبد والدليل على أن لها سموات وأرضا قوله تعالى يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات وقوله وأورثنا الأرض نتبوأ من الجنة حيث نشاء ولأنه لا بد لأهل الآخرة مما يقلهم ويظلهم إما سماء يخلقها الله أو يظلهم العرش وكل ما أظلك فهو سماء والثاني أن يكون عبارة عن التأبيد ونفي الانقطاع كقول العرب ما دام تعار وما أقام ثبير وما لاح كوكب وغير ذلك من كلمات التأبيد (فإن قلت) فما معنى الاستثناء في قوله (إلا ما شاء ربك) وقد ثبت خلود أهل الجنة والنار في الأبد من غير استثناء (قلت) هو استثناء من الخلود في عذاب النار ومن الخلود في نعيم الجنة وذلك أن أهل النار لا يخلدون في عذاب النار وحده بل يعذبون بالزمهرير وبأنواع من العذاب سوى عذاب النار وبما هو أغلظ منها كلها وهو سخط الله عليهم وخسؤه لهم وإهانته إياهم وكذلك أهل الجنة لهم سوى الجنة ما هو أكبر منها وأجل موقعا منهم وهو رضوان الله كما قال وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ومساكن طيبة في جنات عدن ورضوان من الله أكبر ولهم ما يتفضل الله به عليهم سوى ثواب الجنة مما لا يعرف كنهه إلا هو فهو المراد بالاستثناء والدليل عليه قوله عطاء غير مجذوذ ومعنى قوله في مقابلته (إن ربك فعال لما يريد) أنه يفعل بأهل النار ما يريد من العذاب كما يعطي أهل الجنة عطاءه الذي لا انقطاع له فتأمله فإن القرآن يفسر بعضه بعضا ولا يخدعنك عنه قول المجبرة إن المراد بالاستثناء خروج أهل الكبائر من النار بالشفاعة فإن الاستثناء الثاني ينادي على تكذيبهم ويسجل بافترائهم وما ظنك بقوم نبذوا كتاب الله لما روى لهم بعض النوابت عن عبد الله بن عمرو بن العاص ليأتين على جهنم يوم تصفق فيه أبوابها ليس فيها أحد وذلك بعدما يلبثون فيها أحقابا وقد بلغني أن من الضلال من اعتقد هذا الحديث فاعتقد أن الكفار لا يخلدون في النار وهذا ونحوه والعياذ بالله من الخذلان المبين زادنا الله هداية إلى الحق ومعرفة بكتابه وتنبها على أن نعقل عنه ولئن صح هذا عن ابن العاص فمعناه أنهم يخرجون من حر النار إلى برد الزمهرير فذلك خلو جهنم وصفق أبوابها وأقول ما كان لابن عمرو في سيفيه ومقاتلته بهما علي بن أبي طالب رضي الله عنه ما يشغله عن تسيير هذا الحديث (غير مجذوذ) غير مقطوع ولكنه ممتد إلى غير نهاية كقوله لهم أجر غير ممنون • ولما قص قصص عبدة الأوثان وذكر ما أحل بهم من نقمه وما أعد لهم من عذابه قال (فلا تك في مرية مما يعبد هؤلاء) أي فلا تشك بعد ما أنزل عليك من هذه القصص في سوء عاقبة عبادتهم وتعرضهم لما أصاب أمثالهم قبلهم تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وعدة بالانتقام منهم ووعيدا لهم ثم قال (ما يعبدون إلا كما يعبد آباؤهم) يريد أن حالهم في الشرك مثل حال آبائهم من غير تفاوت بين الحالين وقد بلغك ما نزل بآبائهم فسينزلن بهم مثله وهو استئناف معناه تعليل

لا تكلم نفس إلا بإذنه فمنهم شقي وسعيد فأما الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق خالدين فيها ما دامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك إن ربك فعال لما يريد وأما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها ما دامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك عطاء غير مجذوذ فلا تك في مرية مما يعبد هؤلاء ما يعبدون إلا كما يعبد آباؤهم من قبل

النهي عن المرية وما في مما يجوز أن تكون مصدرية وموصولة أي من عبادتهم وكعبادتهم أو مما يعبدون
من الأوثان ومثل ما يعبدون منها (وإنا لموفوهم نصيبهم) أي حظهم من العذاب كما وفينا آباءهم أنصباءهم
(فإن قلت) كيف نصب (غير منقوص) حالا عن النصيب الموفى (قلت) يجوز أن يوفى وهو ناقص ويوفى
وهو كامل ألا تراك تقول وفيته شطر حقه وثلث حقه وحقه كاملا وناقصا (فاختلف فيه) آمن به قوم وكفر
به قوم كما اختلف في القرآن (ولولا كلمة) يعني كلمة الإنظار إلى يوم القيامة (لقضي بينهم) بين قوم موسى
أو قومك وهذه من جملة التسلية أيضا (وإن كلا) التنوين عوض من المضاف إليه يعني وإن كلهم وإن جميع
المختلفين فيه (ليوفينهم) جواب قسم محذوف واللام في لما موطئة للقسم وما مزيدة والمعنى وإن جميعهم
والله ليوفينهم (ربك أعمالهم) من حسن وقبيح وإيمان وجحود وقرئ وإن كلا بالتخفيف على إعمال المخففة
عمل الثقيلة اعتبارا لأصلها الذي هو التثقيل وقرأ أبي وإن كل لما ليوفينهم على أن إن نافية ولما بمعنى إلا
وقراءة عبد الله مفسرة لها وإن كل إلا ليوفينهم وقرأ الزهري وسليمان بن أرقم وإن كلا لما ليوفينهم بالتنوين
كقوله أكلا لما والمعنى وإن كلا ملمومين بمعنى مجموعين كأنه قيل وإن كلا جميعا كقوله فسجد الملائكة كلهم
أجمعون (فاستقم كما أمرت) فاستقم استقامة مثل الاستقامة التي أمرت بها على جادة الحق غير عادل عنها
(ومن تاب معك) معطوف على المستتر في استقم وجاز للعطف عليه ولم يؤكد بمنفصل لقيام الفاصل مقامه
والمعنى فاستقم أنت وليستقم من تاب عن الكفر وآمن معك (ولا تطغوا) ولا تخرجوا عن حدود الله
(إنه بما تعملون بصير) عالم فهو مجازيكم فاتقوه وعن ابن عباس ما نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم
في جميع القرآن آية كانت أشد ولا أشق عليه من هذه الآية ولهذا قال شيبتني هود والواقعة وأخواتهما
وروي أن أصحابه قالوا له لقد أسرع فيك الشيب فقال شيبتني هود وعن بعضهم رأيت رسول الله صلى الله
عليه وسلم في النوم فقلت له روي عنك أنك قلت شيبتني هود فقال نعم فقلت ما الذي شيبك منها أقصص
الأنبياء وهلاك الأمم قال لا ولكن قوله فاستقم كما أمرت وعن جعفر الصادق رضي الله عنه فاستقم كما أمرت
قال افتقر إلى الله بصحة العزم قرئ ولا تركنوا بفتح الكاف وضمها مع فتح التاء وعن أبي عمرو بكسر التاء وفتح
الكاف على لغة تميم في كسرهم حروف المضارعة إلا الياء في كل ما كان من باب علم يعلم ونحوه قراءة من قرأ
فتمسكم النار بكسر التاء وقرأ ابن أبي عبلة ولا تركنوا على البناء للمفعول من أركنه إذا أماله والنهي متناول
للانحطاط في هواهم والانقطاع إليهم ومصاحبتهم ومجالستهم وزيارتهم ومداهنتهم والرضا بأعمالهم
والتشبه بهم والتزيي بزيهم ومد العين إلى زهرتهم وذكرهم بما فيه تعظيم لهم وتأمل قوله ولا تركنوا فإن
الركون هو الميل اليسير وقوله (إلى الذين ظلموا) أي إلى الذين وجد منهم الظلم ولم يقل إلى الظالمين وحكي
أن الموفق صلى خلف الإمام فقرأ بهذه الآية فغشي عليه فلما أفاق قيل له فقال هذا فيمن ركن إلى من ظلم
فكيف بالظالم وعن الحسن رحمه الله جعل الله الدين بين لاءين ولا تطغوا ولا تركنوا ولما خالط الزهري
السلاطين كتب إليه أخ له في الدين عافانا الله وإياك أبا بكر من الفتن فقد أصبحت بحال ينبغي لمن عرفك أن
يدعو لك الله ويرحمك أصبحت شيخا كبيرا وقد أثقلتك نعم الله بما فهمك الله من كتابه وعلمك من سنة نبيه
وليس كذلك أخذ الله الميثاق على العلماء قال الله سبحانه لتبيننه للناس ولا تكتمونه واعلم أن أيسر ما ارتكبت
وأخف ما احتملت أنك آنست وحشة الظالم وسهلت سبيل الغي بدنوك ممن لم يؤد حقا ولم يترك باطلا حين
أدناك اتخذوك قطبا تدور عليك رحى باطلهم وجسرا يعبرون عليك إلى بلائهم وسلما يصعدون فيك إلى
ضلالهم يدخلون الشك بك على العلماء ويقتادون بك قلوب الجهلاء فما أيسر ما عمروا لك في جنب ما خربوا
عليك وما أكثر ما أخذوا منك في جنب ما أفسدوا عليك من دينك فما يؤمنك أن تكون ممن قال الله فيهم
فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا فإنك تعامل من لا يجهل
ويحفظ عليك من لا يغفل فداو دينك فقد دخله سقم وهيئ زادك فقد حضر السفر البعيد وما يخفى على الله من
شيء في الأرض ولا في السماء والسلام وقال سفيان في جهنم واد لا يسكنه إلا القراء الزائرون للملوك وعن

وإنا لموفوهم نصيبهم غير منقوص ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه ولولا كلمة سبقت من ربك لقضي بينهم وإنهم لفي شك منه مريب وإن كلا لما ليوفينهم ربك أعمالهم إنه بما يعملون خبير فاستقم كما أمرت ومن تاب معك ولا تطغوا إنه بما تعملون بصير ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار

* قوله تعالى وإنا لموفوهم نصيبهم غير منقوص (قال) أي حظهم من العذاب وإنما نصب غير منقوص حالا من النصيب الموفى لأنه يجوز أن يوفى وهو ناقص ويوفى وهو كامل ألا تراك تقول وفيته شطر حقه وحقه كاملا (قال أحمد) وهم والله أعلم فإن التوفية تستلزم عدم نقصان الموفى كاملا كان أو ناقصا فقولك وفيته نصف حقه يستلزم عدم نقصانه فما وجه انتصابه حالا عنه والأوجه أن يقال استعملت التوفية بمعنى الإعطاء كما استعمل التوفي بمعنى الأخذ ومن قال أعطيت فلانا حقه كان جديرا أن يؤكده بقوله غير منقوص والله أعلم

لا وزعى مامن شئ أبغض الى الله من عالم يزور عاملا وعن محمد بن مسلمة الذباب على العذرة أحسن من قارئ على باب هؤلاء وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من دعا لظالم بالبقاء فقد أحب أن يعصى الله فى أرضه ولقد سئل سفيان عن ظالم أشرف على الهلاك فى برية هل يسقى شربة ماء فقال لا فقيل له يموت فقال دعه يموت (وما لكم من دون الله من أولياء) حال من قوله فتمسكم أى فتمسكم النار وأنتم على هذه الحال ومعناه وما لكم من دون الله من أنصار يقدرون على منعكم من عذابه لا يقدر على منعكم منه غيره (ثم لا تنصرون) ثم لا ينصركم هو لأنه وجب فى حكمته تعذيبكم وترك الابقاء عليكم (فان قلت) فما معنى ثم (قلت) معناها الاستبعاد لأن النصرة من الله مستبعدة مع استيجابهم العذاب واقتضاء حكمته له (طرفى النهار) غدوة وعشية (وزلفا من الليل) وساعات من الليل وهى ساعاته القريبة من آخر النهار من أزلفه اذا قربه وازدلف اليه وصلاة الغدوة الفجر وصلاة العشية الظهر والعصر لأن ما بعد الزوال عشى وصلاة الزلف المغرب والعشاء وانتصاب طرفى النهار على الظرف لأنهما مضافان الى الوقت كقولك أقمت عنده جميع النهار وأتيته نصف النهار وأوله وآخره تنصب هذا كله على اعطاء المضاف حكم المضاف اليه ونحوه وأطراف النهار وقرئ وزلفا بضمتين وزلفا بسكون اللام وزلفى بوزن قربى فالزلف جمع زلفة كظلم فى ظلمة والزلف بالسكون نحو بسرة وبسر والزلف بضمتين نحو يسر فى يسر والزلفى بمعنى الزلفة كما أن القربى بمعنى القربة وهو ما يقرب من آخر النهار من الليل وقيل وزلفا من الليل وقربا من الليل وحقها على هذا التفسير أن تعطف على الصلاة أى أقم الصلاة طرفى النهار وأقم زلفا من الليل على معنى وأقم صلاة تتقرب بها الى الله عز وجل فى بعض الليل (ان الحسنات يذهبن السيئات) فيه وجهان أحدهما أن يراد تكفير الصغائر بالطاعات وفى الحديث ان الصلاة الى الصلاة كفارة ما بينهما ما اجتنبت الكبائر والثانى ان الحسنات يذهبن السيئات بأن يكن لطفا فى تركها كقوله ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر وقيل نزلت فى أبى اليسر عمرو بن غزية الانصارى كان يبيع التمر فأتته امرأة فأعجبته فقال لها ان فى البيت أجود من هذا التمر فذهب بها الى بيته فضمها الى نفسه وقبلها فقالت له اتق الله فتركها وندم فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره بما فعل فقال صلى الله عليه وسلم انتظر أمر ربى فلما صلى صلاة العصر نزلت فقال نعم اذهب فانها كفارة لما عملت وروى أنه أتى أبا بكر فأخبره فقال استر على نفسك وتب الى الله فأتى عمر رضى الله عنه فقال له مثل ذلك ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت فقال عمر أهذا له خاصة أم للناس عامة فقال بل للناس عامة وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له توضأ وضوأ حسنا وصل ركعتين ان الحسنات يذهبن السيئات (ذلك) اشارة الى قوله فاستقم فما بعده (ذكرى للذاكرين) عظة للمتعظين ثم كر الى التذكير بالصبر بعد ما جاء بما هو خاتمة للتذكير وهذا الكر وله فضل خصوصية ومزية وتنبيه على مكان الصبر ومحله كأنه قال وعليك بما هو أهم مما ذكرت به وأحق بالتوصية وهو الصبر على امتثال ما أمرت به والانتهاء عما نهيت عنه ولا يتم شئ منه الا به (فان الله لا يضيع أجر المحسنين) جاء بما هو مشتمل على الاستقامة واقامة الصلوات والانتهاء عن الطغيان والركون الى الظالمين والصبر وغير ذلك من الحسنات (فلولا كان من القرون) فهلا كان وقد حكوا عن الخليل كل لولا فى القرآن فمعناها هلا الا التى فى الصافات وما صحت هذه الحكاية ففى غير الصافات لولا أن تداركه نعمة من ربه لنبذ بالعراء ولولا رجال مؤمنون ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن اليهم (أولوا بقية) أولو فضل وخير وسمى الفضل والجودة بقية لأن الرجل يستبقى مما يخرجه أجوده وأفضله فصار مثلا فى الجودة والفضل ويقال فلان من بقية القوم أى من خيارهم وبه فسر بيت الحماسة

• ان تذنبوا ثم يأتينى بقيتكم • ومنه قولهم فى الزوايا خبايا وفى الرجال بقايا ويجوز أن تكون البقية بمعنى البقوى كالتقية بمعنى التقوى أى فهلا كان منهم ذوو بقاء على أنفسهم وصيانة لها من سخط الله وعقابه وقرئ أولوا بقية بوزن لقية من بقاه يبقيه اذا رقبه وانتظره ومنه بقينا رسول الله صلى الله عليه وسلم والبقية المرة من مصدره والمعنى فلولا كان منهم أولو مراقبة وخشية من انتقام الله كأنهم ينتظرون ايقاعه بهم

لاشفعهم

وما لكم من دون الله من أولياء ثم لا تنصرون وأقم الصلاة طرفى النهار وزلفا من الليل ان الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين واصبر فان الله لا يضيع أجر المحسنين فلولا كان من القرون من قبلكم أولوا بقية ينهون عن الفساد فى الارض

لاشياعهم (الا قليلا) استثناء منقطع معناه ولكن قليلا ممن أنجينا من القرون نهوا عن الفساد وسائرهم
تاركون للنهي * ومن في (ممن أنجينا) حقها أن تكون للبيان لا للتبعيض لان النجاة انما هي للناهين
وحدهم بدليل قوله تعالى أنجينا الذين ينهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا (فان قلت) هل لوقوع هذا
الاستثناء متصلا وجه يحمل عليه (قلت) ان جعلته متصلا على ما عليه ظاهر الكلام كان المعنى فاسدا لانه
يكون تحضيضا لاولي البقية على النهي عن الفساد الا للقليل من الناجين منهم كما تقول هلا قرأ قومك
القرآن الا الصلحاء منهم تريد استثناء الصلحاء من المحضضين على قراءة القرآن وان قلت في تحضيضهم على
النهي عن الفساد معنى نفيه عنهم فكأنه قيل ما كان من القرون أولو بقية الا قليلا كان استثناء متصلا ومعنى
صحيحا وكان انتصابه على أصل الاستثناء وان كان الافصح أن يرفع على البدل (واتبع الذين ظلموا ما أترفوا فيه)
أراد بالذين ظلموا تاركي النهي عن المنكرات أي لم يهتموا بما هو ركن عظيم من أركان الدين وهو الامر
بالمعروف والنهي عن المنكر وعقدوا هممهم بالشهوات واتبعوا ما عرفوا فيه التنعم والترفه من حب الرياسة
والثروة وطلب أسباب العيش الهني ورفضوا ما وراء ذلك ونبذوه وراء ظهورهم وقرأ أبو عمرو في رواية
الجعفي وأتبع الذين ظلموا يعني وأتبعوا جزاء ما أترفوا فيه ويجوز أن يكون المعنى في القراءة المشهورة أنهم
اتبعوا جزاء اترافهم وهذا معنى قوي لتقدم الانجاء كأنه قيل الا قليلا ممن أنجينا منهم وهلك السائر (فان قلت)
علام عطف قوله واتبع الذين ظلموا (قلت) ان كان معناه واتبعوا الشهوات كان معطوفا على مضمر لان
المعنى الا قليلا ممن أنجينا منهم نهوا عن الفساد واتبع الذين ظلموا شهواتهم فهو عطف على نهوا وان كان معناه
واتبعوا جزاء الاتراف فالواو للحال كأنه قيل أنجينا القليل وقد اتبع الذين ظلموا جزاءهم (فان قلت) فقوله
(وكانوا مجرمين) (قلت) على أترفوا أي اتبعوا الاتراف وكونهم مجرمين لان تابع الشهوات مغمور بالآثام
أو أريد بالاجرام اغفالهم للشكر أو على اتبعوا أي اتبعوا شهواتهم وكانوا مجرمين بذلك ويجوز أن يكون
اعتراضا وحكما عليهم بأنهم قوم مجرمون (كان) بمعنى صح واستقام * واللام لتأكيد النفي و(بظلم) حال من
الفاعل والمعنى واستحال في الحكمة أن يهلك الله القرى ظالما لها (وأهلها) قوم (مصلحون) تنزيها لذاته
عن الظلم وايذانا بأن اهلاك المصلحين من الظلم وقيل الظلم الشرك ومعناه أنه لا يهلك القرى بسبب شرك
أهلها وهم مصلحون يتعاطون الحق فيما بينهم ولا يضمون الى شركهم فسادا آخر * (ولو شاء ربك لجعل الناس
أمة واحدة) يعني لاضطرهم الى أن يكونوا أهل أمة واحدة أي ملة واحدة وهي ملة الاسلام كقوله ان
هذه أمتكم أمة واحدة وهذا الكلام يتضمن نفي الاضطرار وأنه لم يضطرهم الى الاتفاق على دين الحق
ولكنه مكنهم من الاختيار الذي هو أساس التكليف فاختار بعضهم الحق وبعضهم الباطل فاختلفوا
فلذلك قال (ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك) الا ناسا هداهم الله ولطف بهم فاتفقوا على دين الحق غير
مختلفين فيه (ولذلك خلقهم) ذلك اشارة الى ما دل عليه الكلام الاول وتضمنه يعني ولذلك من التمكين
والاختيار الذي كان عنه الاختلاف خلقهم ليثيب مختار الحق بحسن اختياره ويعاقب مختار الباطل بسوء
اختياره (وتمت كلمة ربك) وهي قوله للملائكة (لاملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين) لعلمه بكثرة من
يختار الباطل (وكلا) التنوين فيه عوض من المضاف اليه كأنه قيل وكل نبأ (نقص عليك) و(من أنباء الرسل)
بيان لكل و(ما نثبت به فؤادك) بدل من كلا ويجوز أن يكون المعنى وكل اقتصاص نقص عليك على معنى
وكل نوع من أنواع الاقتصاص نقص عليك يعني على الاساليب المختلفة وما نثبت به مفعول نقص ومعنى
تثبيت فؤاده زيادة يقينه وما فيه طمأنينة قلبه لان تكاثر الادلة أثبت للقلب وأرسخ للعلم (وجاءك في هذه
الحق) أي في هذه السورة أو في هذه الانباء المقتصة ما هو حق (وموعظة وذكرى * وقل للذين
لا يؤمنون) من أهل مكة وغيرهم (اعملوا) على حالكم وجهتكم التي أنتم عليها (انا عاملون وانتظروا) بنا
الدوائر (انا منتظرون) أن ينزل بكم نحو ما قص الله من النقم النازلة بأشباهكم (ولله غيب السموات والارض)
لا تخفى عليه خافية مما يجري فيهما فلا تخفى عليه أعمالكم (واليه يرجع الامر كله) فلا بد أن يرجع اليه أمرهم

الا قليلا ممن أنجينا منهم واتبع الذين ظلموا ما أترفوا فيه وكانوا مجرمين وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك ولذلك خلقهم وتمت كلمة ربك لاملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك وجاءك في هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين وقل للذين لا يؤمنون اعملوا على مكانتكم انا عاملون وانتظروا انا منتظرون ولله غيب السموات والارض واليه يرجع الامر كله

وأمرك فيستقيم لك منهم (فاعبده وتوكل عليه) فإنه كافيك وكافلك (وما ربك بغافل عما يعملون) وقرئ تعملون بالتاء أي أنت وهم على تغليب المخاطب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة هود أعطي من الأجر عشر حسنات بعدد من صدق بنوح ومن كذب به وهود وصالح وشعيب ولوط وابراهيم وموسى وكان يوم القيامة من السعداء ان شاء الله تعالى ذلك

﴿سورة يوسف مكية وهي مائة واحدى عشرة آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(تلك) اشارة الى آيات السورة و(الكتاب المبين) السورة أي تلك الآيات التي أنزلت اليك في هذه السورة آيات السورة الظاهر أمرها في اعجاز العرب وتبكيتهم أو التي تبين لمن تدبرها أنها من عند الله لا من عند البشر أو الواضحة التي لا تشتبه على العرب معانيها لنزولها بلسانهم أو قد أبين فيها ما سألت عنه اليهود من قصة يوسف فقد روي أن علماء اليهود قالوا لكبراء المشركين سلوا محمدا لم انتقل آل يعقوب من الشام الى مصر وعن قصة يوسف (انا أنزلناه) أي أنزلنا هذا الكتاب الذي فيه قصة يوسف في حال كونه (قرآنا عربيا) وسمي بعض القرآن قرآنا لأن القرآن اسم جنس يقع على كله وبعضه (لعلكم تعقلون) ارادة أن تفهموه وتحيطوا بمعانيه ولا يلتبس عليكم ولو جعلناه قرآنا أعجميا لقالوا لولا فصلت آياته (نحن نقص عليك أحسن القصص) على وجهين يكون مصدرا بمعنى الاقتصاص تقول قص الحديث يقصه قصصا كقولك شله يشله شللا اذا طرده ويكون فعلا بمعنى مفعول كالنفض والحسب ونحوه النبأ والخبر في معنى المنبأ به والمخبر به ويجوز أن يكون من تسمية المفعول بالمصدر كالخلق والصيد وان أريد المصدر فمعناه نحن نقص عليك أحسن الاقتصاص (بما أوحينا اليك هذا القرآن) أي بايحائنا اليك هذه السورة على أن يكون أحسن منصوبا نصب المصدر لاضافته اليه ويكون المقصوص محذوفا لأن قوله بما أوحينا اليك هذا القرآن مغن عنه ويجوز أن ينتصب هذا القرآن بنقص كأنه قيل نحن نقص عليك أحسن الاقتصاص هذا القرآن بايحائنا اليك والمراد بأحسن الاقتصاص أنه اقتص على أبدع طريقة وأعجب أسلوب ألا ترى أن هذا الحديث مقتص في كتب الأولين وفي كتب التواريخ ولا ترى اقتصاصه في كتاب منها مقاربا لاقتصاصه في القرآن وان أريد بالقصص المقصوص فمعناه نحن نقص عليك أحسن ما يقص من الأحاديث وانما كان أحسنه لما يتضمن من العبر والنكت والحكم والعجائب التي ليست في غيرها والظاهر أنه أحسن ما يقتص في بابه كما يقال في الرجل هو أعلم الناس وأفضلهم يراد في فنه (فان قلت) م اشتقاق القصص (قلت) من قص أثره اذا تبعه لأن الذي يقص الحديث يتبع ما حفظ منه شيئا فشيئا كما يقال تلا القرآن اذا قرأه لأنه يتلو أي يتبع ما حفظ منه آية بعد آية (وان كنت) ان مخففة من الثقيلة واللام هي التي تفرق بينها وبين النافية والضمير في (قبله) راجع الى قوله ما أوحينا والمعنى وان الشأن والحديث كنت من قبل ايحائنا اليك من الغافلين عنه أي من الجاهلين به ما كان لك فيه علم قط ولا طرق سمعك طرف منه (اذ قال يوسف) بدل من أحسن القصص وهو من بدل الاشتمال لأن الوقت مشتمل على القصص وهو المقصوص فاذا قص وقته فقد قص أو باضمار اذكر ويوسف اسم عبراني وقيل عربي وليس بصحيح لأنه لو كان عربيا لانصرف عن خلوه عن سبب آخر سوى التعريف (فان قلت) فما تقول فيمن قرأ يوسف بكسر السين أو يوسف بفتحها هل يجوز على قراءته أن يقال هو عربي لأنه على وزن المضارع المبني للفاعل أو للمفعول من آسف وانما منع الصرف للتعريف ووزن الفعل (قلت) لا لأن القراءة المشهورة قامت بالشهادة على أن الكلمة أعجمية فلا تكون عربية تارة وأعجمية أخرى ونحو يوسف يونس رويت فيه هذه اللغات الثلاث ولا يقال هو عربي لأنه في لغتين منها بوزن المضارع من آنس وأونس وعن النبي صلى الله عليه وسلم اذا قيل من الكريم فقولوا الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف

فاعبده وتوكل عليه وما ربك بغافل عما تعملون

﴿سورة يوسف مكية وهي مائة واحدى عشرة آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

الر تلك آيات الكتاب المبين انا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا اليك هذا القرآن وان كنت من قبله لمن الغافلين اذ قال يوسف لابيه

ابن يعقوب بن إسحق بن إبراهيم (يا أبت) قرئ بالحركات الثلاث (فإن قلت) ما هذه التاء (قلت) تاء تأنيث وقعت عوضا من ياء الإضافة والدليل على أنها تاء تأنيث قلبها هاء في الوقف (فإن قلت) كيف جاز إلحاق تاء التأنيث بالمذكر (قلت) كما جاز نحو قولك حمامة ذكر وشاة ذكر ورجل ربعة وغلام يفعة (فإن قلت) فلم ساغ تعويض تاء التأنيث من ياء الإضافة (قلت) لأن التأنيث والإضافة يتناسبان في أن كل واحد منهما زيادة مضمومة إلى الاسم في آخره (فإن قلت) فما هذه الكسرة (قلت) هي الكسرة التي كانت قبل الياء في قولك يا أبي قد زحلقت إلى التاء لاقتضاء تاء التأنيث أن يكون ما قبلها مفتوحا (فإن قلت) فما بال الكسرة لم تسقط بالفتحة التي اقتضتها التاء وتبقى التاء ساكنة (قلت) امتنع ذلك فيها لأنها اسم والأسماء حقها التحريك لأصالتها في الإعراب وإنما جاز تسكين الياء وأصلها أن تحرك تخفيفا لأنها حرف لين وأما التاء فحرف صحيح نحو كاف الضمير فلزم تحريكها (فإن قلت) يشبه الجمع بين التاء وبين هذه الكسرة الجمع بين العوض والمعوض منه لأنها في حكم الياء إذا قلت يا غلام فكما لا يجوز يا أبتي لا يجوز يا أبت (قلت) الياء والكسرة قبلها شيئان والتاء عوض من أحد الشيئين وهو الياء والكسرة غير متعرض لها فلا يجمع بين العوض والمعوض منه إلا إذا جمع بين التاء والياء لا غير ألا ترى إلى قولهم يا أبتا مع كون الألف فيه بدلا من الياء كيف جاز الجمع بينها وبين التاء ولم يعد ذلك جمعا بين العوض والمعوض منه فالكسرة أبعد من ذلك (فإن قلت) فقد دلت الكسرة في يا غلام على الإضافة لأنها قرينة الياء ولصيقتها فإن دلت على مثل ذلك في يا أبت فالتاء المعوضة لغو وجودها كعدمها (قلت) بل حالها مع التاء كحالها مع الياء إذا قلت يا أبي (فإن قلت) فما وجه من قرأ بفتح التاء وضمها (قلت) أما من فتح فقد حذف الألف من يا أبتا واستبقى الفتحة قبلها كما فعل من حذف الياء في يا غلام ويجوز أن يقال حركها بحركة الياء المعوض منها في قولك يا أبي وأما من ضم فقد رأى اسما في آخره تاء تأنيث فأجراه مجرى الأسماء المؤنثة بالتاء فقال يا أبت كما تقول يا ثبة ٣ من غير اعتبار لكونها عوضا من ياء الإضافة * وقرئ إني رأيت بتحريك الياء وأحد عشر بسكون العين تخفيفا لتوالي المتحركات فيما هو في حكم اسم واحد وكذلك إلى تسعة عشر إلا اثني عشر لئلا يلتقي ساكنان ورأيت من الرؤيا لا من الرؤية لأن ما ذكره معلوم أنه منام لأن الشمس والقمر لو اجتمعا مع الكواكب ساجدة ليوسف في حال اليقظة لكانت آية عظيمة ليعقوب عليه السلام ولما خفيت عليه وعلى الناس (فإن قلت) ما أسماء تلك الكواكب (قلت) روى جابر أن يهوديا جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد أخبرني عن النجوم التي رآهن يوسف فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل جبريل عليه السلام فأخبره بذلك فقال النبي صلى الله عليه وسلم لليهودي إن أخبرتك هل تسلم قال نعم قال جربان والطارق والذيال وقابس وعمودان والفليق والمصبح والضروح والفرغ ووثاب وذو الكتفين رآها يوسف والشمس والقمر نزلن من السماء وسجدن له فقال اليهودي إي والله إنها لأسماؤها وقيل الشمس والقمر أبواه وقيل أبوه وخالته والكواكب إخوته وعن وهب أن يوسف رأى وهو ابن سبع سنين أن إحدى عشرة عصا طوالا كانت مركوزة في الأرض كهيئة الدارة وإذا عصا صغيرة تثب عليها حتى اقتلعتها وغلبتها فوصف ذلك لأبيه فقال إياك أن تذكر هذا لإخوتك ثم رأى وهو ابن ثنتي عشرة سنة الشمس والقمر والكواكب تسجد له فقصها على أبيه فقال له لا تقصها عليهم فيبغوا لك الغوائل وقيل كان بين رؤيا يوسف ومصير إخوته إليه أربعون سنة وقيل ثمانون (فإن قلت) لم أخر الشمس والقمر (قلت) أخرهما ليعطفهما على الكواكب على طريق الاختصاص بيانا لفضلهما واستبدادهما بالمزية على غيرهما من الطوالع كما أخر جبريل وميكائيل عن الملائكة ثم عطفهما عليها لذلك ويجوز أن تكون الواو بمعنى مع أي رأيت الكواكب مع الشمس والقمر (فإن قلت) ما معنى تكرر رأيت (قلت) ليس بتكرار إنما هو كلام مستأنف على تقدير سؤال وقع جوابا له كأن يعقوب عليه السلام قال له عند قوله إني رأيت أحد عشر كوكبا كيف رأيتها سائلا عن حال رؤيتها فقال (رأيتهم لي ساجدين) (فإن قلت) لم أجريت مجرى العقلاء في رأيتهم لي ساجدين (قلت) لأنه لما وصفها بما هو خاص

يا أبت إني رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين قال يا بني لا تقصص رؤياك على إخوتك

﴿القول في سورة يوسف عليه السلام﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

* قوله تعالى إني رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين (قال إن قلت ما معنى تكرار رأيت الخ) قال أحمد وأحسن من ذلك أن الكلام طال بين الفعل والحال فطري ذكر الفعل لمناسبة الحال وهي المقصودة إذ الآية في السجود كانت والله أعلم

٣ (قوله يا ثبة) بالمثناة تشديد الموحدة في غالب النسخ وفي القاموس الثبة بالكسر الحالة الشديدة اهـ وفي نسخة يا أبة تأنيث ابن اهـ من هامش الأصل

للعقلاء وهو السجود أجرى عليها حكمهم كأنها عاقلة وهذا كثير شائع في كلامهم أن يلابس الشيء الشيء
من بعض الوجوه فيعطى حكماً من أحكامه إظهاراً لأثر الملابسة والمقاربة * عرف يعقوب عليه السلام دلالة
الرؤيا على أن يوسف يبلغه الله مبلغاً من الحكمة ويصطفيه للنبوة وينعم عليه بشرف الدارين كما فعل
بآبائه فخاف عليه حسد الإخوة وبغيهم * والرؤيا بمعنى الرؤية إلا أنها مختصة بما كان منها في المنام دون اليقظة
فرق بينهما بحرفي التأنيث كما قيل القربة والقربى وقرئ رؤياك بقلب الهمزة واواً وسمع الكسائي رياك ورياك
بالإدغام وضم الراء وكسرها وهي ضعيفة لأن الواو في تقدير الهمزة فلا يقوى إدغامها كما لم يقو الإدغام
في قولهم اتزر من الإزار واتجر من الأجر (فيكيدوا) منصوب بإضمار أن والمعنى إن قصصتها عليهم كادوك
(فإن قلت) هلا قيل فيكيدوك كما قيل فكيدوني (قلت) ضمن معنى فعل يتعدى باللام ليفيد معنى فعل
الكيد مع إفادة معنى الفعل المضمن فيكون آكد وأبلغ في التخويف وذلك نحو فيحتالوا لك ألا ترى إلى
تأكيده بالمصدر (عدو مبين) ظاهر العداوة لما فعل بآدم وحواء ولقوله لأقعدن لهم صراطك المستقيم
فهو يحمل على الكيد والمكر وكل شر ليورط من يحمله ولا يؤمن أن يحملهم على مثله (وكذلك) ومثل
ذلك الاجتباء (يجتبيك ربك) يعني وكما اجتباك لمثل هذه الرؤيا العظيمة الدالة على شرف وعز وكبرياء شأن
كذلك يجتبيك ربك لأمور عظام وقوله (ويعلمك) كلام مبتدأ غير داخل في حكم التشبيه كأنه قيل وهو
يعلمك ويتم نعمته عليك والاجتباء الاصطفاء افتعال من جبيت الشيء إذا حصلته لنفسك وجبيت الماء في
الحوض جمعته * والأحاديث الرؤيا لأن الرؤيا إما حديث نفس أو ملك أو شيطان * وتأويلها عبارتها
وتفسيرها وكان يوسف عليه السلام أعبر الناس للرؤيا وأصحهم عبارة لها ويجوز أن يراد بتأويل الأحاديث
معاني كتب الله وسنن الأنبياء وما غمض واشتبه على الناس من أغراضها ومقاصدها يفسرها لهم ويشرحها
ويدلهم على مودعات حكمها وسميت أحاديث لأنه يحدث بها عن الله ورسله فيقال قال الله وقال الرسول كذا
وكذا ألا ترى إلى قوله تعالى فبأي حديث بعده يؤمنون الله نزل أحسن الحديث وهو اسم جمع للحديث
وليس بجمع أحدوثة * ومعنى إتمام النعمة عليهم أنه وصل لهم نعمة الدنيا بنعمة الآخرة بأن جعلهم أنبياء في
الدنيا وملوكاً ونقلهم عنها إلى الدرجات العلا في الجنة وقيل أتمها على إبراهيم بالخلة والإنجاء من النار ومن
ذبح الولد وعلى إسحق بإنجائه من الذبح وفدائه بذبح عظيم وبإخراج يعقوب والأسباط من صلبه
وقيل علم يعقوب أن يوسف يكون نبياً وإخوته أنبياء استدلالاً بضوء الكواكب فلذلك قال وعلى آل يعقوب
وقيل لما بلغت الرؤيا إخوة يوسف حسدوه وقالوا ما رضي أن سجد له إخوته حتى سجد له أبواه وقيل كان
يعقوب مؤثراً له بزيادة المحبة والشفقة لصغره ولما يرى فيه من المخايل وكان إخوته يحسدونه فلما رأى
الرؤيا ضاعف له المحبة وكان يضمه كل ساعة إلى صدره ولا يصبر عنه فتبالغ فيهم الحسد وقيل لما قص رؤياه
على يعقوب قال هذا أمر مشتت يجمعه الله لك بعد دهر طويل * وآل يعقوب أهله وهم نسله وغيرهم وأصل
آل أهل بدليل تصغيره على أهيل إلا أنه لا يستعمل إلا فيمن له خطر يقال آل النبي وآل الملك ولا يقال آل
الحائك ولا آل الحجام ولكن أهلهما * وأراد بالأبوين الجد وأبا الجد لأنهما في حكم الأب في الأصالة ومن ثم
يقولون ابن فلان وإن كان بينه وبين فلان عدة (وإبراهيم وإسحق) عطف بيان لأبويك (إن ربك عليم)
يعلم من يحق له الاجتباء (حكيم) لا يتم نعمته إلا على من يستحقها (في يوسف وإخوته) أي في قصتهم
وحديثهم (آيات) علامات ودلائل على قدرة الله وحكمته في كل شيء (للسائلين) لمن سأل عن قصتهم
وعرفها وقيل آيات على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم للذين سألوه من اليهود عنها فأخبرهم بالصحة من
غير سماع من أحد ولا قراءة كتاب * وقرئ آية وفي بعض المصاحف عبرة وقيل إنما قص الله تعالى
على النبي عليه الصلاة والسلام خبر يوسف وبغي إخوته عليه لما رأى من بغي قومه عليه ليتأسى به
وقيل أسماؤهم يهوذا وروبيل وشمعون ولاوي وربالون ويشجر ودينة ودان ونفتالي وجاد وآشر السبعة
الأولون كانوا من ليا بنت خالة يعقوب والأربعة الآخرون من سريتين زلفة وبلهة فلما توفيت ليا تزوج

فيكيدوا لك كيدا ان
الشيطان للانسان
عدو مبين وكذلك
يجتبيك ربك ويعلمك
من تأويل الاحاديث
ويتم نعمته عليك وعلى
آل يعقوب كما أتمها على
أبويك من قبل ابراهيم
واسحاق ان ربك عليم
حكيم لقد كان في يوسف
واخوته آيات للسائلين
اذ قالوا

حبها

* قوله تعالى إذ قالوا ليوسف وأخوه أحب إلى أبينا منا ونحن عصبة (قال اللام للتوكيد دخلت للاشعار بأن زيادة محبة أبيهم لهما أمر ثابت الخ) قال أحمد وهذه تؤيد قراءة ابن مروان هؤلاء بناتي هن أطهر لكم بالنصب وقد قال سيبويه فيها احتبى ابن مروان في لحنه أي تمكن وحيث تأيدت بقراءة أمير المؤمنين كرم الله وجهه فلا بد من التماس المحمل الصحيح (٦٣١) لها وليس ذلك ببعيد إن شاء الله فنقول لو قالوا ليوسف وأخوه أحب إلى أبينا منا ونحن نحن على طريقة أنا أبو النجم وشعري شعري ونحو أنا أنا وأنت أنت لم يكن في هذا الكلام مقال وقد علمت أن معنى أنا أنا أي المعروف بالأوصاف ... الى

... استغنى عن ذكره ولا بعد والحالة هذه في حذف الخبر لمساواته المبتدأ وعدم زيادته عليه لفظا وراحة من تكرار اللفظ بعينه والسياق يرشد إلى المحذوف وإذا كان كذلك فقول القائل ليوسف وأخوه أحب إلى أبينا منا ونحن معه ونحن نحن ولكن استغنوا عن الخبر المساوي لما ذكرناه فقولهم ونحن كلام تام بالتقدير المذكور فلا غرو في وقوع الحال بعده وهذا بعينه يجري في قوله هؤلاء بناتي هن أطهر لكم فقوله هن في حكم الكلام التام والمراد هؤلاء بناتي هن المشهورات بالأوصاف الحميدة الظاهرة وأصل الكلام هن هن فوقع الحال بعد التمام والله أعلم

ليوسف وأخوه أحب إلى أبينا منا ونحن عصبة إن أبانا لفي ضلال مبين اقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضا يخل لكم وجه أبيكم وتكونوا من بعده قوما صالحين قال قائل منهم لا تقتلوا يوسف وألقوه في غيابة الجب يلتقطه بعض السيارة إن كنتم فاعلين قالوا يا أبانا مالك لا تأمنا على يوسف وإنا له لناصحون أرسله معنا غدا يرتع ويلعب وإنا له لحافظون قال إني

أختها راحيل فولدت بنيامين ويوسف (ليوسف) اللام للابتداء وفيها تأكيد وتحقيق لمضمون الجملة أرادوا أن زيادة محبته لهما أمر ثابت لا شبهة فيه (وأخوه) هو بنيامين وإنما قالوا أخوه وهم جميعا إخوته لأن أمهما كانت واحدة وقيل (أحب) في الاثنين لأن أفعل من لا يفرق فيه بين الواحد وما فوقه ولا بين المذكر والمؤنث إذا كان معه من ولا بد من الفرق مع لام التعريف وإذا أضيف جاز الأمران والواو في (ونحن عصبة) واو الحال يعني أنه يفضلهما في المحبة علينا وهما اثنان صغيران لا كفاية فيهما ولا منفعة ونحن جماعة عشرة رجال كفاة نقوم بمرافقه فنحن أحق بزيادة المحبة منهما لفضلنا بالكثرة والمنفعة عليهما (إن أبانا لفي ضلال مبين) أي في ذهاب عن طريق الصواب في ذلك * والعصبة والعصابة العشرة فصاعدا وقيل إلى الأربعين سموا بذلك لأنهم جماعة تعصب بهم الأمور ويستكفون النوائب وروى النزال بن سبرة عن علي رضي الله عنه ونحن عصبة بالنصب وقيل معناه ونحن نجتمع عصبة وعن ابن الأنباري هذا كما تقول العرب إنما العامري عمته أي يتعهد عمته (اقتلوا يوسف) من جملة ما حكي بعد قوله إذ قالوا كأنهم أطبقوا على ذلك إلا من قال لا تقتلوا يوسف وقيل الآمر بالقتل شمعون وقيل دان والباقون كانوا راضين فجعلوا آمرين (أرضا) أرضا منكورة مجهولة بعيدة من العمران وهو معنى تنكيرها وإخلائها من الوصف ولإبهامها من هذا الوجه نصبت نصب الظروف المبهمة (يخل لكم وجه أبيكم) يقبل عليكم إقبالة واحدة لا يلتفت عنكم إلى غيركم والمراد سلامة محبته لهم ممن يشاركهم فيها وينازعهم إياها فكان ذكر الوجه لتصوير معنى إقباله عليهم لأن الرجل إذا أقبل على الشيء أقبل بوجهه ويجوز أن يراد بالوجه الذات كما قال تعالى ويبقى وجه ربك وقيل يخل لكم يفرغ لكم من الشغل بيوسف (من بعده) من بعد يوسف أي من بعد كفايته بالقتل أو التغريب أو يرجع الضمير إلى مصدر اقتلوا أو اطرحوا (قوما صالحين) تائبين إلى الله مما جنيتم عليه أو يصلح ما بينكم وبين أبيكم بعذر تمهدونه أو تصلح دنياكم وتنتظم أموركم بعده بخلو وجه أبيكم * وتكونوا إما مجزوم عطفا على يخل لكم أو منصوب بإضمار أن والواو بمعنى مع كقوله وتكتموا الحق (قال قائل منهم) هو يهوذا وكان أحسنهم فيه رأيا وهو الذي قال فلن أبرح الأرض قال لهم القتل عظيم (وألقوه في غيابة الجب) وهي غوره وما غاب منه عن عين الناظر وأظلم من أسفله قال المنخل

إذا أنا يوما غيبتني غيابتي * فسيروا بسيري في العشيرة والأهل

أراد غيابة حفرته التي يدفن فيها وقرئ غيابات على الجمع وغيابات بالتشديد وقرأ الجحدري غيبة والجب البئر لم تطو لأن الأرض تجب جبا لا غير (يلتقطه) يأخذه (بعض السيارة) بعض الأقوام الذين يسيرون في الطريق وقرئ تلتقطه بالتاء على المعنى لأن بعض السيارة سيارة كقوله * كما شرقت صدر القناة من الدم * ومنه ذهبت بعض أصابعه (إن كنتم فاعلين) إن كنتم على أن تفعلوا ما يحصل به غرضكم فهذا هو الرأي (مالك لا تأمنا) قرئ بإظهار النونين وبالإدغام بإشمام وبغير إشمام وتيمنا بكسر التاء مع الإدغام والمعنى لم تخافنا عليه ونحن نريد له الخير ونحبه ونشفق عليه وما وجد منا في بابه ما يدل على خلاف النصيحة والمقة وأرادوا بذلك لما عزموا على كيد يوسف استنزاله عن رأيه وعادته في حفظه منهم وفيه دليل على أنه أحس منهم بما أوجب أن لا يأمنهم عليه (نرتع) نتسع في أكل الفواكه وغيرها وأصل الرتعة الخصب والسعة وقرئ نرتع من ارتعى يرتعي * وقرئ يرتع ويلعب بالياء ويرتع من أرتع ماشيته وقرأ العلاء بن سيابة يرتع بكسر العين ويلعب بالرفع على الابتداء (فإن قلت) كيف استجاز لهم يعقوب عليه السلام اللعب (قلت) كان

أمهم الاستباق والانتضال ليضروا أنفسهم ويحتاج إليه لقتال العدو لا للهو بدليل قوله إنا ذهبنا نستبق وإنما سموه لعبا لأنه في صورته (ليحزنني) اللام لام الابتداء كقوله إن ربك ليحكم بينهم ودخولها أحد ما ذكره سيبويه من سبب المضارعة * اعتذر إليهم بشيئين أحدهما أن ذهابهم به ومفارقته إياه مما يحزنه لأنه كان لا يصبر عنه ساعة والثاني خوفه عليه من عدوة الذئب إذا غفلوا عنه برعيهم ولعبهم أو قل به اهتمامهم ولم تصدق بحفظه عنايتهم وقيل رأى في النوم أن الذئب قد شد على يوسف فكان يحذره فمن ثم قال ذلك فلقنهم العلة وفي أمثالهم البلاء موكل بالمنطق * وقرئ الذئب بالهمزة على الأصل وبالتخفيف وقيل اشتقاقه من تذاءبت الريح إذا أتت من كل جهة * القسم محذوف تقديره والله (لئن أكله الذئب) واللام موطئة للقسم وقوله (إنا إذا لخاسرون) جواب للقسم مجزئ عن جزاء الشرط * والواو في ونحن عصبة واو الحال حلفوا له لئن كان ما خافه من خطفة الذئب أخاهم من بينهم وحالهم أنهم عشرة رجال بمثلهم تعصب الأمور وتكفى الخطوب إنهم إذا لقوم خاسرون أي هالكون ضعفا وخورا وعجزا أو مستحقون أن يهلكوا لأنه لا غناء عندهم ولا جدوى في حياتهم أو مستحقون لأن يدعى عليهم بالخسار والدمار وأن يقال خسرهم الله ودمرهم حين أكل الذئب بعضهم وهم حاضرون وقيل إن لم نقدر على حفظ بعضنا فقد هلكت مواشينا إذا وخسرناها (فإن قلت) قد اعتذر إليهم بعذرين فلم أجابوا عن أحدهما دون الآخر (قلت) هو الذي كان يغيظهم ويذيقهم الأمرين فأعاروه آذانا صما ولم يعبؤوا به (أن يجعلوه) مفعول أجمعوا من قولك أجمع الأمر وأزمعه فأجمعوا أمركم * وقرئ في غيابات الجب قيل هو بئر بيت المقدس وقيل بأرض الأردن وقيل بين مصر ومدين وقيل على ثلاثة فراسخ من منزل يعقوب وجواب لما محذوف ومعناه فعلوا به من الأذى ما فعلوا فقد روي أنهم لما برزوا به إلى البرية أظهروا له العداوة وأخذوا يهينونه ويضربونه وكلما استغاث بواحد منهم لم يغثه إلا بالإهانة والضرب حتى كادوا يقتلونه فجعل يصيح يا أبتاه لو تعلم ما يصنع بابنك أولاد الإماء فقال يهوذا أما أعطيتموني موثقا أن لا تقتلوه فلما أرادوا إلقاءه في الجب تعلق بثيابهم فنزعوها من يديه فتعلق بحائط البئر فربطوا يديه ونزعوا قميصه فقال يا إخوتاه ردوا علي قميصي أتوارى به فقالوا ادع الشمس والقمر والأحد عشر كوكبا تؤنسك ودلوه في البئر فلما بلغ نصفها ألقوه ليموت وكان في البئر ماء فسقط فيه ثم أوى إلى صخرة فقام عليها وهو يبكي فنادوه فظن أنها رحمة أدركتهم فأجابهم فأرادوا أن يرضخوه ليقتلوه فمنعهم يهوذا وكان يهوذا يأتيه بالطعام ويروى أن إبراهيم عليه السلام حين ألقي في النار جرد عن ثيابه فأتاه جبريل بقميص من حرير الجنة فألبسه إياه فدفعه إبراهيم إلى إسحق وإسحق إلى يعقوب فجعله يعقوب في تميمة علقها في عنق يوسف فجاء جبريل فأخرجه وألبسه إياه (وأوحينا إليه) قيل أوحي إليه في الصغر كما أوحي إلى يحيى وعيسى وقيل كان إذ ذاك مدركا وعن الحسن كان له سبع عشرة سنة (لتنبئنهم بأمرهم هذا) وإنما أوحي إليه ليؤنس في الظلمة والوحشة ويبشر بما يؤول إليه أمره ومعناه لتتخلصن مما أنت فيه ولتحدثن إخوتك بما فعلوا بك (وهم لا يشعرون) أنك يوسف لعلو شأنك وكبرياء سلطانك وبعد حالك عن أوهامهم ولطول العهد المبدل للهيآت والأشكال وذلك أنهم حين دخلوا عليه ممتارين فعرفهم وهم له منكرون دعا بالصواع فوضعه على يده ثم نقره فطن فقال إنه ليخبرني هذا الجام أنه كان لكم أخ من أبيكم يقال له يوسف وكان يدنيه دونكم وأنكم انطلقتم به وألقيتموه في غيابة الجب وقلتم لأبيكم أكله الذئب وبعتموه بثمن بخس ويجوز أن يتعلق وهم لا يشعرون بقوله وأوحينا على أنا آنسناه بالوحي وأزلنا عن قلبه الوحشة وهم لا يشعرون ذلك ويحسبون أنه مرهق مستوحش لا أنيس له وقرئ لننبئنهم بالنون على أنه وعيد لهم وقوله وهم لا يشعرون متعلق بأوحينا لا غير * وعن الحسن عشيا على تصغير عشي يقال لقيته عشيا وعشيانا وأصيلا وأصيلانا وروي عشى بضم العين والقصر وقال عشوا من البكاء وروي أن امرأة حاكمت إلى شريح فبكت فقال له الشعبي يا أبا أمية أما تراها تبكي فقال قد جاء إخوة يوسف يبكون وهم ظلمة ولا ينبغي لأحد أن يقضي إلا بما أمر

ليحزنني أن تذهبوا به وأخاف أن يأكله الذئب وأنتم عنه غافلون قالوا لئن أكله الذئب ونحن عصبة إنا إذا لخاسرون فلما ذهبوا به وأجمعوا أن يجعلوه في غيابة الجب وأوحينا إليه لتنبئنهم بأمرهم هذا وهم لا يشعرون وجاؤا أباهم عشاء يبكون

---

* قوله تعالى قال إني ليحزنني أن تذهبوا به وأخاف أن يأكله الذئب وأنتم عنه غافلون قالوا لئن أكله الذئب ونحن عصبة إنا إذا لخاسرون (قال) اعتذر لهم بأمرين أحدهما حزنه لمفارقته الثاني خوفه عليه من الذئب إذا غفلوا عنه الخ (قال أحمد) وكان أشغل الأمرين لقلبه خوف الذئب عليه لأنه مظنة هلاكه وأما حزنه لمفارقته ريثما يرتع ويلعب ويعود سالما إليه فأمر سهل فكأنهم لم يشتغلوا إلا بتأمينه وطمأنينته من أشد الأمرين عليه والله أعلم

أن يقضي به من لسعة مرضيه وروي أنه لما سمع صوتهم فزع وقال ما لكم يا بني هل أصابكم في غنمكم شيء قالوا لا قال فما لكم وأين يوسف (قالوا يا أبانا إنا ذهبنا نستبق) أي نتسابق والافتعال والتفاعل يشتركان كالانتضال والتناضل والارتماء والترامي وغير ذلك والمعنى نتسابق في العدو أو في الرمي وجاء في التفسير ننتضل (بمؤمن لنا) بمصدق لنا (ولو كنا صادقين) ولو كنا عندك من أهل الصدق والثقة لشدة محبتك ليوسف فكيف وأنت سيء الظن بنا غير واثق بقولنا (بدم كذب) ذي كذب أو وصف بالمصدر مبالغة كأنه نفس الكذب وعينه كما يقال للكذاب هو الكذب بعينه والزور بذاته ونحوه فهن به جود وأنتم به بخل وقرئ كذبا نصبا على الحال بمعنى جاؤا به كاذبين ويجوز أن يكون مفعولا له وقرأت عائشة رضي الله عنها كدب بالدال غير المعجمة أي كدر وقيل طري وقال ابن جني أصله من الكدب وهو الفوف البياض الذي يخرج على أظفار الأحداث كأنه دم قد أثر في قميصه روي أنهم ذبحوا سخلة ولطخوه بدمها وزل عنهم أن يمزقوه وروي أن يعقوب لما سمع بخبر يوسف صاح بأعلى صوته وقال أين القميص فأخذه وألقاه على وجهه وبكى حتى خضب وجهه بدم القميص وقال تالله ما رأيت كاليوم ذئبا أحلم من هذا أكل ابني ولم يمزق عليه قميصه وقيل كان في قميص يوسف ثلاث آيات كان دليلا ليعقوب على كذبهم وألقاه على وجهه فارتد بصيرا ودليلا على براءة يوسف حين قد من دبر (فإن قلت) على قميصه ما محله (قلت) محله النصب على الظرف كأنه قيل وجاؤا فوق قميصه بدم كما تقول جاء على جماله بأحمال (فإن قلت) هل يجوز أن تكون حالا متقدمة (قلت) لا لأن حال المجرور لا تتقدم عليه (سولت) سهلت من السول وهو الاسترخاء أي سهلت (لكم أنفسكم أمرا) عظيما ارتكبتموه من يوسف وهونته في أعينكم استدل على فعلهم به بما كان يعرف من حسدهم وبسلامة القميص أو أوحي إليه بأنهم قصدوه (فصبر جميل) خبر أو مبتدأ لكونه موصوفا أي فأمري صبر جميل أو فصبر جميل أمثل وفي قراءة أبي فصبرا جميلا والصبر الجميل جاء في الحديث المرفوع أنه الذي لا شكوى فيه ومعناه لا شكوى فيه إلى الخلق ألا ترى إلى قوله إنما أشكو بثي وحزني إلى الله وقيل لا أعايشكم على كآبة الوجه بل أكون لكم كما كنت وقيل سقط حاجبا يعقوب على عينيه فكان يرفعهما بعصابة فقيل له ما هذا فقال طول الزمان وكثرة الأحزان فأوحى الله تعالى إليه يا يعقوب أتشكوني قال يا رب خطيئة فاغفرها لي (والله المستعان) أي أستعينه (على) احتمال (ما تصفون) من هلاك يوسف والصبر على الرزية (وجاءت سيارة) رفقة تسير من قبل مدين إلى مصر وذلك بعد ثلاثة أيام من إلقاء يوسف في الجب فأخطؤا الطريق فنزلوا قريبا منه وكان الجب في قفرة بعيدة من العمران لم يكن إلا للرعاة وقيل كان ماؤه ملحا فعذب حين ألقي فيه يوسف (فأرسلوا) رجلا يقال له مالك بن ذعر الخزاعي ليطلب لهم الماء والوارد الذي يرد الماء ليستقي للقوم (يا بشرى) نادى البشرى كأنه يقول تعالي فهذا من آونتك وقرئ يا بشراي على إضافتها إلى نفسه وفي قراءة الحسن وغيره يا بشري بالياء مكان الألف جعلت الياء بمنزلة الكسرة قبل ياء الإضافة وهي لغة للعرب مشهورة سمعت أهل السروات يقولون في دعائهم يا سيدي وموليّ وعن نافع يا بشراي بالسكون وليس بالوجه لما فيه من التقاء الساكنين على غير حده إلا أن يقصد الوقف وقيل لما أدلى دلوه أي أرسلها إلى الجب تعلق يوسف بالحبل فلما خرج إذا هو بغلام أحسن ما يكون فقال يا بشراي (هذا غلام) وقيل ذهب به فلما دنا من أصحابه صاح بذلك يبشرهم به (وأسروه) الضمير للوارد وأصحابه أخفوه من الرفقة وقيل أخفوا أمره ووجدانهم له في الجب وقالوا لهم دفعه إلينا أهل الماء لنبيعه لهم بمصر وعن ابن عباس أن الضمير لإخوة يوسف وأنهم قالوا للرفقة هذا غلام لنا قد أبق فاشتروه منا وسكت يوسف مخافة أن يقتلوه و(بضاعة) نصب على الحال أي أخفوه متاعا للتجارة والبضاعة ما بضع من المال للتجارة أي قطع (والله عليم بما يعملون) لم يخف عليه أسرارهم وهو وعيد لهم حيث استبضعوا ما ليس لهم أو والله عليم بعمل إخوة يوسف بأبيهم وأخيهم من سوء الصنيع (وشروه) وباعوه (بثمن بخس) مبخوس ناقص عن القيمة نقصانا ظاهرا أو زيف ناقص العيار (دراهم)

قالوا يا أبانا إنا ذهبنا نستبق وتركنا يوسف عند متاعنا فأكله الذئب وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين وجاؤا على قميصه بدم كذب قال بل سولت لكم أنفسكم أمرا فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون وجاءت سيارة فأرسلوا واردهم فأدلى دلوه قال يا بشرى هذا غلام وأسروه بضاعة والله عليم بما يعملون وشروه بثمن بخس دراهم

قوله تعالى وجاؤا أباهم عشاء يبكون (قال روي أنه لما سمع أصواتهم قال يا بني هل أصابكم في غنمكم شيء قالوا لا الخ) قال أحمد وقوله على اتهامهم أنهم ادعوا الوجه الخاص الذي خاف يعقوب عليه السلام هلاكه بسببه أولا وهو أكل الذئب إياه فاتهمهم أن يكونوا تلقفوا العذر من قوله لهم وأخاف أن يأكله الذئب وكثيرا ما تتلقى الأعذار الباطلة من في الخاطب المتعذر إليه حتى كان بعض أمراء المؤمنين يلقن السارق الإنكار

لا دنانير (معدودة) قليلة تعد عدا ولا توزن لانهم كانوا لا يزنون الا ما بلغ الاوقية وهي الاربعون ويعدون ما دونها وقيل للقليلة معدودة لان الكثيرة يمتنع من عدها لكثرتها وعن ابن عباس كانت عشرين درهما وعن السدى اثنين وعشرين (وكانوا فيه من الزاهدين) ممن يرغب عما في يده فيبيعه بما طف من الثمن لانهم التقطوه والملتقط للشئ متهاون به لا يبالي بما باعه ولانه يخاف أن يعرض له مستحق ينتزعه من يده فيبيعه من أول مساوم باوكس الثمن ويجوز أن يكون معنى وشروه واشتروه يعنى الرفقة من اخوته وكانوا فيه من الزاهدين لانهم اعتقدوا أنه آبق فخافوا أن يخطروا بمالهم فيه ويروى أن اخوته اتبعوهم يقولون لهم استوثقوا منه لا يأبق وقوله فيه ليس من صلة الزاهدين لان الصلة لا تتقدم على الموصول ألا تراك لا تقول وكان زيدا من الضاربين وانما هو بيان كانه قيل في أي شئ زهدوا فقال زهدوا فيه (الذى اشتراه) قيل هو قطفير أو اطفير وهو العزيز الذى كان على خزائن مصر والملك يومئذ الريان بن الوليد رجل من العماليق وقد آمن بيوسف ومات في حياة يوسف فملك بعده قابوس بن مصعب فدعاه يوسف الى الاسلام فأبى واشتراه العزيز وهو ابن سبع عشرة سنة وأقام في منزله ثلاث عشرة سنة واستوزره ريان بن الوليد وهو ابن ثلاثين سنة وآتاه الله العلم والحكمة وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة وتوفى وهو ابن مائة وعشرين سنة وقيل كان الملك في أيامه فرعون موسى عاش أربعمائة سنة بدليل قوله ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات وقيل فرعون موسى من أولاد فرعون يوسف وقيل اشتراه العزيز بعشرين دينارا وزوجي نعل وثوبين أبيضين وقيل ادخلوه السوق يعرضونه فترافعوا في ثمنه حتى بلغ ثمنه وزنه مسكا وورقا وحريرا فابتاعه قطفير بذلك المبلغ (أكرمي مثواه) اجعلى منزله ومقامه عندنا كريما أي حسنا مرضيا بدليل قوله انه ربى أحسن مثواى والمراد تفقديه بالاحسان وتعهديه بحسن الملكة حتى تكون نفسه طيبة في صحبتنا ساكنة في كنفنا ويقال للرجل كيف أبو مثواك وأم مثواك لمن ينزل به من رجل أو امرأة يراد هل تطيب نفسك بثوائك عنده وهل يراعى حق نزولك به * واللام في لامرأته متعلقة بقال لا باشتراه (عسى أن ينفعنا) لعله اذا تدرب وراض الامور وفهم مجاريها نستظهر به على بعض ما نحن بسبيله فينفعنا بكفايته وأمانته أو نتبناه ونقيمه مقام الولد وكان قطفير عقيما لا يولد له وقد تفرس فيه الرشد فقال ذلك وقيل أفرس الناس ثلاثة العزيز حين تفرس في يوسف فقال لامرأته أكرمى مثواه عسى أن ينفعنا والمرأة التى أتت موسى وقالت لابيها يا أبت استأجره وأبو بكر حين استخلف عمر رضى الله عنهما وروى أنه سأله عن نفسه فأخبره بنسبه فعرفه (وكذلك) الاشارة الى ما تقدم من انجائه وعطف قلب العزيز عليه والكاف منصوب تقديره ومثل ذلك الانجاء والعطف (مكنا) له أي كما أنجيناه وعطفنا عليه العزيز كذلك مكناه في أرض مصر وجعلناه ملكا يتصرف فيها بأمره ونهيه (ولنعلمه من تأويل الاحاديث) كان ذلك الانجاء والتمكين لان غرضنا ليس الا ما تحمد عاقبته من علم وعمل (والله غالب على أمره) على أمر نفسه لا يمنع عما يشاء ولا ينازع ما يريد ويقضى أو على أمر يوسف يدبره لا يكله الى غيره فقد أراد اخوته به ما أرادوا ولم يكن الا ما أراد الله ودبره (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) أن الامر كله بيد الله * قيل في الاشد ثماني عشرة سنة وعشرون وثلاث وثلاثون وأربعون وقيل أقصاه ثنتان وستون (حكما) حكمة وهو العلم بالعمل واجتناب ما يجهل فيه وقيل حكما بين الناس وفقها (وكذلك نجزى المحسنين) تنبيه على أنه كان محسنا في عمله متقيا في عنفوان أمره وأن الله آتاه الحكم والعلم جزاء على احسانه وعن الحسن من أحسن عبادة ربه في شبيبته آتاه الله الحكمة في اكتهاله * المراودة مفاعلة من راد يرود اذا جاء وذهب كأن المعنى خادعته عن نفسه أي فعلت ما يفعل المخادع لصاحبه عن الشئ الذى لا يريد أن يخرجه من يده يحتال أن يغلبه عليه ويأخذه منه وهى عبارة عن التمحل لمواقعته اياها (وغلقت الابواب) قيل كانت سبعة قرئ هيت بفتح الهاء وكسرها مع فتح التاء وبناؤه كبناء أين وعيط وهيت كجير وهيت كحيث وهئت بمعنى تهيأت يقال هاء يهيء مثل جاء يجيء اذا تهيأ وهئت لك واللام من صلة الفعل وأما في الاصوات فللبيان كأنه قيل لك أقول هذا كما تقول هلم لك (معاذ الله) أعوذ بالله معاذا (انه) ان الشأن والحديث

معدودة وكانوا فيه من الزاهدين وقال الذى اشتراه من مصر لامرأته أكرمى مثواه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا وكذلك مكنا ليوسف فى الارض ولنعلمه من تأويل الاحاديث والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون ولما بلغ أشده آتيناه حكما وعلما وكذلك نجزى المحسنين وراودته التى هو فى بيتها عن نفسه وغلقت الابواب وقالت هيت لك قال معاذ الله انه

(١) قوله تعالى وشروه بثمن بخس دراهم معدودة (قال المعدودة كناية عن القلة الخ) قال أستاذنا ومن التعبير عن القلة بالمعدودة [illegible] على الكثرة بالاحصاء أحصيهم عددا واستأصلهم بددا ولا تبق منهم أحدا ان المعدودة وان كان أحد معانيهم عددا في الظاهر الا ان هذا ليس مرادا لان الله تعالى أحصى كل شئ عددا وأحاط به علما فلا بد من مقصود وراء ذلك وهو لازم العدد وذلك القلة فلما كان كل قليل معدودا وكل كثير غير معدود عبر عنهم بالقلة وعبر عنها بلازمها وهو الاحصاء والله أعلم

(ربي) سيدي ومالكي يريد قطفير (أحسن مثواي) حين قال لك أكرمي مثواه فما جزاؤه أن أخلفه في
أهله سوء الخلافة وأخونه فيهم (إنه لا يفلح الظالمون) الذين يجازون الحسن بالسيء وقيل أراد الزناة لأنهم
ظالمون أنفسهم وقيل أراد الله تعالى لأنه مسبب الأسباب ٭ هم بالأمر إذا قصده وعزم عليه قال

هممت ولم أفعل وكدت وليتني ٭ تركت على عثمان تبكي حلائله

ومنه قولك لا أفعل ذلك ولا كيدا ولا هما أي ولا أكاد أن أفعله كيدا ولا أهم بفعله هما حكاه سيبويه ومنه
الهمام وهو الذي إذا هم بأمر أمضاه ولم ينكل عنه وقوله (ولقد همت به) معناه ولقد همت بمخالطته (وهم بها)
وهم بمخالطتها (لولا أن رأى برهان ربه) جوابه محذوف تقديره لولا أن رأى برهان ربه لخالطها فحذف لأن
قوله وهم بها يدل عليه كقولك هممت بقتله لولا أني خفت الله معناه لولا أني خفت الله لقتلته (فإن قلت) كيف
جاز على نبي الله أن يكون منه هم بالمعصية وقصد إليها (قلت) المراد أن نفسه مالت إلى المخالطة ونازعت إليها
عن شهوة الشباب وقرمه ميلا يشبه الهم به والقصد إليه وكما تقتضيه صورة تلك الحال التي تكاد تذهب
بالعقول والعزائم وهو يكسر ما به ويرده بالنظر في برهان الله المأخوذ على المكلفين من وجوب اجتناب
المحارم ولو لم يكن ذلك الميل الشديد المسمى هما لشدته لما كان صاحبه ممدوحا عند الله بالامتناع لأن استعظام
الصبر على الابتلاء على حسب عظم الابتلاء وشدته ولو كان همه كهمها عن عزيمة لما مدحه الله بأنه من
عباده المخلصين ويجوز أن يريد بقوله وهم بها وشارف أن يهم بها كما يقول الرجل قتلته لو لم أخف الله يريد
مشارفة القتل ومشافهته كأنه شرع فيه (فإن قلت) قوله وهم بها داخل تحت حكم القسم في قوله ولقد همت
به أم هو خارج منه (قلت) الأمران جائزان ومن حق القارئ إذا قدر خروجه من حكم القسم وجعله كلاما
برأسه أن يقف على قوله ولقد همت به ويبتدئ قوله وهم بها لولا أن رأى برهان ربه وفيه أيضا إشعار بالفرق
بين الهمين (فإن قلت) لم جعلت جواب لولا محذوفا يدل عليه هم بها وهلا جعلته هو الجواب مقدما (قلت)
لأن لولا لا يتقدم عليها جوابها من قبل أنه في حكم الشرط وللشرط صدر الكلام وهو مع ما في حيزه من
الجملتين مثل كلمة واحدة ولا يجوز تقديم بعض الكلمة على بعض وأما حذف بعضها إذا دل الدليل عليه فجائز
(فإن قلت) فلم جعلت لولا متعلقة بهم بها وحده ولم تجعلها متعلقة بجملة قوله ولقد همت به وهم بها لأن الهم
لا يتعلق بالجواهر ولكن بالمعاني فلا بد من تقدير المخالطة والمخالطة لا تكون إلا من اثنين معا فكأنه قيل ولقد
هما بالمخالطة لولا أن منع مانع أحدهما (قلت) نعم ما قلت ولكن الله سبحانه قد جاء بالهمين على سبيل التفصيل
حيث قال ولقد همت به وهم بها فكان أغناه العلة فوجب أن يكون التقدير ولقد همت بمخالطته وهم
بمخالطتها على أن المراد بالمخالطتين توصلها إلى ما هو حظها من قضاء شهوتها منه وتوصله إلى ما هو حظه من
قضاء شهوته منها لولا أن رأى برهان ربه فترك التوصل إلى حظه من الشهوة فلذلك كانت لولا حقيقة بأن
تعلق بهم بها وحده وقد فسر هم يوسف بأنه حل الهميان وجلس منها مجلس المجامع وبأنه حل تكة سراويله
وقعد بين شعبها الأربع وهي مستلقية على قفاها وفسر البرهان بأنه سمع صوتا إياك وإياها فلم يكترث له فسمعه
ثانيا فلم يعمل به فسمع ثالثا أعرض عنها فلم ينجع فيه حتى مثل له يعقوب عاضا على أنملته وقيل ضرب بيده في
صدره فخرجت شهوته من أنامله وقيل كل ولد يعقوب له اثنا عشر ولدا إلا يوسف فإنه ولد له أحد عشر ولدا
من أجل ما نقص من شهوته حين هم وقيل صيح به يا يوسف لا تكن كالطائر كان له ريش فلما زنى قعد لا ريش له
وقيل بدت كف فيما بينهما ليس لها عضد ولا معصم مكتوب فيها وإن عليكم لحافظين كراما كاتبين فلم ينصرف
ثم رأى فيها ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة وساء سبيلا فلم ينته ثم رأى فيها واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله فلم
ينجع فيه فقال الله لجبريل عليه السلام أدرك عبدي قبل أن يصيب الخطيئة فانحط جبريل وهو يقول
يا يوسف أتعمل عمل السفهاء وأنت مكتوب في ديوان الأنبياء وقيل رأى تمثال العزيز وقيل قامت المرأة إلى
صنم كان هناك فسترته وقالت أستحيي منه أن يرانا فقال يوسف استحييت ممن لا يسمع ولا يبصر ولا أستحيي
من السميع البصير العليم بذات الصدور وهذا ونحوه مما يورده أهل الحشو والجبر الذين دينهم بهت الله تعالى

وفي أحسن مثواي إنه لا يفلح الظالمون ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه

وأنبيائه وأهل العدل والتوحيد ليسوا من مقالاتهم ورواياتهم بحمد الله بسبيل ولو وجدت من يوسف عليه السلام أدنى زلة لنعيت عليه وذكرت توبته واستغفاره كما نعيت على آدم زلته وعلى داود وعلى نوح وعلى أيوب وعلى ذي النون وذكرت توبتهم واستغفارهم كيف وقد أثنى عليه وسمي مخلصا فعلم بالقطع أنه ثبت في ذلك المقام الدحض وأنه جاهد نفسه مجاهدة أولي القوة والعزم ناظرا في دليل التحريم ووجه القبح حتى استحق من الله الثناء فيما أنزل من كتب الأولين ثم في القرآن الذي هو حجة على سائر كتبه ومصداق لها ولم يقتصر إلا على استيفاء قصته وضرب سورة كاملة عليها ليجعل له لسان صدق في الآخرين كما جعله لجده الخليل إبراهيم عليه السلام وليقتدي به الصالحون إلى آخر الدهر في العفة وطيب الإزار والتثبت في مواقف العثار فأخزى الله أولئك في إيرادهم ما يؤدي إلى أن يكون إنزال الله السورة التي هي أحسن القصص في القرآن العربي المبين ليقتدى بنبي من أنبياء الله في القعود بين شعب الزانية وفي حل تكته للوقوع عليها وفي أن ينهاه ربه ثلاث كرات ويصاح به من عنده ثلاث صيحات بقوارع القرآن وبالتوبيخ العظيم وبالوعيد الشديد وبالتشبيه بالطائر الذي سقط ريشه حين سفد غير أنثاه وهو جاثم في مربضه لا يتحلحل ولا ينتهي ولا ينتبه حتى يتداركه الله بجبريل وبإجباره ولو أن أوقح الزناة وأشطرهم وأحدهم حدقة وأجلحهم وجها لقي بأدنى ما لقي به مما ذكروا لما بقي له عرق ينبض ولا عضو يتحرك فيا له من مذهب ما أفحشه ومن ضلال ما أبينه (كذلك) الكاف منصوب المحل أي مثل ذلك التثبيت ثبتناه أو مرفوعه أي الأمر مثل ذلك (لنصرف عنه السوء) من خيانة السيد (والفحشاء) من الزنا (إنه من عبادنا المخلصين) الذين أخلصوا دينهم لله وبالفتح الذين أخلصهم الله لطاعته بأن عصمهم ويجوز أن يريد بالسوء مقدمات الفاحشة من القبلة والنظر بشهوة ونحو ذلك وقوله من عبادنا معناه بعض عبادنا أي هو مخلص من جملة المخلصين أي هو ناشئ منهم لأنه من ذرية إبراهيم الذين قال فيهم إنا أخلصناهم بخالصة (واستبقا الباب) وتسابقا إلى الباب على حذف الجار وإيصال الفعل كقوله واختار موسى قومه أو على تضمين استبقا معنى ابتدرا فر منها يوسف فأسرع يريد الباب ليخرج وأسرعت وراءه لتمنعه الخروج (فإن قلت) كيف وحد الباب وقد جمعه في قوله وغلقت الأبواب (قلت) أراد باب البراني الذي هو المخرج من الدار والمخلص من العار فقد روى كعب أنه لما هرب يوسف جعل فراش القفل يتناثر ويسقط حتى خرج من الأبواب (وقدت قميصه من دبر) اجتذبته من خلفه فانقد أي انشق حين هرب منها إلى الباب وتبعته تمنعه (وألفيا سيدها) وصادفا بعلها وهو قطفير تقول المرأة لبعلها سيدي وقيل إنما لم يقل سيدهما لأن ملك يوسف لم يصح فلم يكن سيدا له على الحقيقة قيل ألفياه مقبلا يريد أن يدخل وقيل جالسا مع ابن عم للمرأة ولما اطلع منها زوجها على تلك الهيئة المريبة وهي مغتاظة على يوسف إذ لم يؤاتها جاءت بحيلة جمعت فيها غرضيها وهما تبرئة ساحتها عند زوجها من الريبة والغضب على يوسف وتخويفه طمعا في أن يؤاتيها خيفة منها ومن مكرها وكرها لما أيست من مؤاتاته طوعا ألا ترى إلى قولها ولئن لم يفعل ما آمره ليسجنن وما نافية أي ليس جزاؤه إلا السجن ويجوز أن تكون استفهامية بمعنى أي شيء جزاؤه إلا السجن كما تقول من في الدار إلا زيد (فإن قلت) كيف لم تصرح في قولها بذكر يوسف وأنه أراد بها سوءا (قلت) قصدت العموم وأن كل من أراد بأهلك سوءا فحقه أن يسجن أو يعذب لأن ذلك أبلغ فيما قصدت من تخويف يوسف وقيل العذاب الأليم الضرب بالسياط ولما أغرت به وعرضته للسجن والعذاب وجب عليه الدفع عن نفسه فقال (هي راودتني عن نفسي) ولولا ذلك لكتم عليها (وشهد شاهد من أهلها) قيل كان ابن عم لها وإنما ألقى الله الشهادة على لسان من هو من أهلها لتكون أوجب للحجة عليها وأوثق لبراءة يوسف وأنفى للتهمة عنه وقيل هو الذي كان جالسا مع زوجها لدى الباب وقيل كان حكيما يرجع إليه الملك ويستشيره ويجوز أن يكون بعض أهلها كان في الدار فبصر بها من حيث لا تشعر فأغضبه الله ليوسف بالشهادة له والقيام بالحق

قوله تعالى قالت ما جزاء من أراد بأهلك سوءا الا أن يسجن أو عذاب أليم (قال ان قلت لم قالت ما قالت غير مصرحة بذكر يوسف الخ) قال أحمد أو أظهرت بهذا الاجمال الحياء والحشمة أن تقول لبعلها هذا أراد بي سوءا ولذلك أيضا كنت بالسوء عما أضمرته من الفاحشة مبالغة في المكر والكيد وإبعاد التهمة عنها لتوقي ما يشعر منها بالتبرج والتعقيب على الضد من مقصودها وإن وافق ملاحظتها بحشمة الاجمال قول ابنة شعيب تمدح موسى عليه السلام فيما حكى الله عنها قالت احداهما يا أبت استأجره ان خير من استأجرت القوي الأمين ولم تقل انه قوي أمين حياء من التعيين وحشمة وخفرا ولكن هذه اعتمدت على هذا الأدب شيمة الحياء وامرأة العزيز غلب عليها المكايد والاستعمال لذلك الغرض الفاسد من المكر والله أعلم

كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء انه من عبادنا المخلصين واستبقا الباب وقدت قميصه من دبر وألفيا سيدها لدى الباب قالت ما جزاء من أراد بأهلك سوءا الا أن يسجن أو عذاب أليم قال هي راودتني عن نفسي وشهد شاهد من أهلها ان كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين وان كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين

* قوله تعالى وشهد شاهد من أهلها ان كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين وان كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين (قال ان قلت لم سمى قوله شهادة وما هو بلفظ الشهادة الخ) قال أحمد ومهما أفدوه من ذلك في اتباعه لها يحتمل مثله في اتباعها له فربما تقدد قميصه من قبل بتقدير أن يكون اجتذبها حتى صارا متقابلين فدفعته عن نفسها وهذا بعينه يحتمل اذا كانت هي التابعة أن تكون اجتذبته حتى صارا متقابلين ثم جذبت قميصه اليها من قبل بل هو هنا أظهر لان الموجب لقد القميص غالبا الجذب لا الدفع * عاد كلامه (قال والثاني أن يسرع خلفها ليلحقها فيعثر في مقادم قميصه فيشقه) قال أحمد وهذا بعينه يحتمل لو كانت هي التابعة وهو فار منها فانقد قميصه في اسراعه للفرار والله أعلم فليس كلام الزمخشري في هذا الفصل بذاك والحق والله ولي التوفيق ان الشاهد المذكور ان كان صبيا في المهد كما ورد في بعض الحديث فالآية في مجرد كلامه قبل أوانه حتى لو قال صدق يوسف وكذبت لكفى برهانا على صدقه عليه السلام كما كان مجرد احمار عيسى عليه السلام في المهد برهانا على صدق مريم فلا تتوقف المناسبة بين الامارة المنصوبة وما رتب عليها لان العمدة في الدلالة نصب الامناسبة وان كان الشاهد بعض أهلها كان في الدار فبصر بها من حيث لا تشعر فأغضبه الله ليوسف بالشهادة له والقيام بالحق كما ذكر الزمخشري فهذا والله أعلم كان من حقه أن يصرح بما رأى فيصدق يوسف ويكذبها ولكنه أراد أن لا يكون هو الفاضح لها ووثق بأن انقداد قميصه ان كان من دبر فيصير امارة لصدقه وكذبها ثم ذكر القسم الآخر وهو قده من قبل على علم بأنه لم يتقدد من قبل حتى ينفي عن نفسه التهمة في الشهادة وقصد النصيحة وبسطهما جميعا وقد ذكر امارة على صدقها (٦٢٧) المعلوم نفيه ثم ذكر امارة على صدقه المعلوم وجوده ومن ثم قدم امارة على صدقها على امارة صدقه في الذكر ازاحة للتهمة ووثوقا بأن الامارة الثابتة هي الواقعة فلا يضره تأخيرها وهذه اللمحة بعينها والله أعلم هي التي راعاها مؤمن آل فرعون في قوله وان يك كاذبا فعليه كذبه وان يك صادقا يصبكم بعض الذي يعدكم فقدم قسم الكذب على قسم الصدق ازاحة للتهمة التي خشي أن تتطرق اليه في حق موسى عليه السلام ووثوقا بأن القسم الثاني وهو صدقه هو الواقع ولا يضره تأخيره في الذكر لهذه الفائدة ومن ثم قال بعض الذي يعدكم ولم يقل كل ما يعدكم تعريضا بأنه متهم عليه وتحريض على أن ينصفه في حقه ويخوفه ونحو هذا النحو تأخير يوسف عليه السلام الكشف وعاء أخيه لانه لو بدأ به لفطنوا انه هو الذي أمر بوضع السقاية فيه والله أعلم فقصد هذا الشاهد الامارة الآخرة فقط والمناسبة فيها محققة وأما الامارة الاولى فليست مقصودة وانما ذكرها توطئة كما تقدم ولم يلتمس لها مناسبة جلية مخرجة على التعيين وانما هي كالفرض والتقدير والله أعلم وكأنه قال ان كان قميصه قد من قبل فهي صادقة لكنه يعلم انتفاء الامارة المذكورة فيعلق صدقها على محال وهو وجود قده من قبل حالة نفيه فهذا التقرير هو الصواب والحق اللباب والله الموفق * وأما ان كان الشاهد الحكيم الذي كان الملك يرجع اليه ويستشيره كما ورد في بعض التفاسير فلابد من التماس المناسبة في الطرفين لانها عهدة الحكيم وأقرب وجه في المناسبة ان قد القميص من دبر دليل على ادباره عنها وقده من قبل دليل على اقباله عليها بوجهه والله أعلم * قوله تعالى انه من كيدكن ان كيدكن عظيم (قال الضمير راجع الى قولها ما جزاء من أراد بأهلك سوءا الخ) قال أحمد وفيما أتاه هذا العالم نظر لان الآية التي ذكر فيها كيد الشيطان من قول الله تعالى غير محكي وأما هذه الآية فكيد النساء فيها من قول العزيز ولكن حكاه الله تعالى عنه فيحتمل حكايته عنه أن يكون تصحيحا له ويحتمل أن لا يكون المراد تصويبه وأيضا فان كيد الشيطان مذكور في الآية مقابلا لكيد الله تعالى فكان ضعيفا بالنسبة اليه ألا ترى أول الآية الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله والذين كفروا يقاتلون في

فلما رأى قميصه قد من دبر قال انه من كيدكن ان كيدكن عظيم

بالحق وقيل كان ابن خال لها صبيا في المهد وعن النبي صلى الله عليه وسلم تكلم أربعة وهم صغار ابن ماشطة فرعون وشاهد يوسف وصاحب جريج وعيسى (فان قلت) لم سمى قوله شهادة وما هو بلفظ الشهادة (قلت) لما أدى مؤدى الشهادة في أن ثبت به قول يوسف وبطل قولها سمى شهادة (فان قلت) الجملة الشرطية كيف جازت حكايتها بعد فعل الشهادة (قلت) لانها قول من القول أو على ارادة القول كأنه قيل وشهد شاهد فقال ان كان قميصه (فان قلت) ان دل قد قميصه من دبر على أنها كاذبة وأنها هي التي تبعته واجتبذت ثوبه اليها فقدته فمن أين دل قده من قبل على أنها صادقة وأنه كان تابعها (قلت) من وجهين أحدهما أنه اذا كان تابعها وهي دافعته عن نفسها قدت قميصه من قدامه بالدفع والثاني أن يسرع خلفها ليلحقها فيتعثر في مقادم قميصه فيشقه وقرئ من قبل ومن دبر بالضم على مذهب الغايات والمعنى من قبل القميص ومن دبره وأما التنكير فمعناه من جهة يقال لها قبل ومن جهة يقال لها دبر وعن ابن أبي اسحق أنه قرأ من قبل ومن دبر بالفتح كأنه جعلهما علمين للجهتين فمنعهما الصرف للعلمية والتأنيث وقرئ بسكون العين (فان قلت) كيف جاز الجمع بين ان الذي هو للاستقبال وبين كان (قلت) لان المعنى ان يعلم انه كان قميصه قد ونحوه كقولك ان أحسنت الي فقد أحسنت اليك من قبل لمن يمتن عليك باحسانه تريد ان تمتن علي أمتن عليك (فلما رأى) يعني قطفير وعلم براءة يوسف وصدقه وكذبها (قال انه) ان قولك ما جزاء من أراد بأهلك سوءا أو ان هذا الامر وهو طمعها في يوسف (من كيدكن) الخطاب لها ولأمتها وانما استعظم كيد النساء لانه وان كان في الرجال

الا ان النساء ألطف كيدا وأنفذ حيلة ولهن في ذلك نيقة ورفق وبذلك يغلبن الرجال ومنه قوله تعالى ومن شر النفاثات في العقد والقصريات من بينهن معهن ما ليس مع غيرهن من البوائق وعن بعض العلماء أنا أخاف من النساء أكثر مما أخاف من الشيطان لان الله تعالى يقول ان كيد الشيطان كان ضعيفا وقال للنساء ان كيدكن عظيم (يوسف) حذف منه حرف النداء لانه منادى قريب مفاطن للحديث وفيه تقريب له وتلطيف لمحله (أعرض عن هذا) الامر واكتمه ولا تحدث به (واستغفري) أنت (لذنبك انك كنت من الخاطئين) من جملة القوم المتعمدين للذنب يقال خطئ اذا أذنب متعمدا وانما قال من الخاطئين بلفظ التذكير تغليبا للذكور على الاناث وما كان العزيز الا رجلا حليما وروى أنه كان قليل الغيرة (وقال نسوة) وقال جماعة من النساء وكن خمسا امرأة الساقي وامرأة الخباز وامرأة صاحب الدواب وامرأة صاحب السجن وامرأة الحاجب والنسوة اسم مفرد لجمع المرأة وتأنيثه غير حقيقي كتأنيث اللمة ولذلك لم تلحق فعله تاء التأنيث وفيه لغتان كسر النون وضمها (في المدينة) في مصر (امرأت العزيز) يردن قطفير والعزيز الملك بلسان العرب (فتاها) غلامها يقال فتاي وفتاتي أي غلامي وجاريتي (شغفها) خرق حبه شغاف قلبها حتى وصل الى الفؤاد والشغاف حجاب القلب وقيل جلدة رقيقة يقال لها لسان القلب قال النابغة

وقد حال هم دون ذلك والج • مكان الشغاف تبتغيه الاصابع

وقرئ شعفها بالعين من شعف البعير اذا هنأه فأحرقه بالقطران قال

• كما شعف المهنوءة الرجل الطالي •

و(حبا) نصب على التمييز (في ضلال مبين) في خطأ وبعد عن طريق الصواب (بمكرهن) باغتيابهن وسوء قالتهن وقولهن امرأة العزيز عشقت عبدها الكنعاني ومقتها وسمى الاغتياب مكرا لانه في خفية وحال غيبة كما يخفي الماكر مكره وقيل كانت استكتمتهن سرها فأفشينه عليها (أرسلت اليهن) دعتهن قيل دعت أربعين امرأة منهن الخمس المذكورات (وأعتدت لهن متكأ) ما يتكئن عليه من نمارق قصدت بتلك الهيئة وهي قعودهن متكئات والسكاكين في أيديهن أن يدهشن ويبهتن عند رؤيته ويشغلن عن نفوسهن فتقع أيديهن على أيديهن فيقطعنها لان المتكئ اذا بهت لشيء وقعت يده على يده ولا يبعد أن تقصد الجمع بين المكر بهن وبين فضح العاشق في أيديهن لتبكيتهن بالحجة ولتهول يوسف من مكرها اذا خرج على أربعين نسوة مجتمعات في أيديهن الخناجر توهمهن أنهن يثبن عليه وقيل متكأ مجلس طعام لانهم كانوا يتكئون للطعام والشراب والحديث كعادة المترفين ولذلك نهى أن يأكل الرجل متكئا وآتين السكاكين لما يحتاج اليه ما كان وقيل متكأ طعاما من قولك اتكأنا عند فلان طعمنا على سبيل الكناية لان من دعوته ليطعم عندك اتخذت له تكأة يتكئ عليها قال جميل

فظللنا بنعمة واتكأنا • وشربنا الحلال من قلله

وعن مجاهد متكأ طعاما يحز حزا كان المعنى يعتمد بالسكين لان القاطع يتكئ على المقطوع بالسكين • وقرئ متكا بغير همز وعن الحسن متكاء بالمد كأنه مفتعال وذلك لاشباع فتحة الكاف كقوله بمنتزاح بمعنى بمنتزح وينباع بمعنى ينبع وقرئ متكا وهو الاترج وأنشد

فأهدت متكة لبني أبيها • تخب بها العثمثمة الوقاح

وكانت أهدت أترجة على ناقة وكأنها الاترجة التي ذكرها أبو داود في سننه انها شقت بنصفين وحملا كالعدلين على جمل وقيل الزماورد وعن وهب أترجا وموزا وبطيخا وقيل أعتدت لهن ما يقطع من متك الشيء بمعنى بتكه اذا قطعه وقرأ الاعرج متكأ مفعلا من تكئ يتكأ اذا اتكأ (أكبرنه) أعظمنه وهبن ذلك الحسن الرائع والجمال الفائق قيل كان فضل يوسف على الناس في الحسن كفضل القمر ليلة البدر على نجوم السماء وعن النبي صلى الله عليه وسلم مررت بيوسف الليلة التي عرج بي الى السماء فقلت لجبريل من هذا فقال يوسف فقيل يا رسول الله كيف رأيته قال كالقمر ليلة البدر وقيل كان يوسف اذا سار في أزقة مصر يرى تلألؤ وجهه على الجدران كما يرى نور الشمس من الماء عليها وقيل ما كان أحد يستطيع وصف

يوسف أعرض عن هذا واستغفري لذنبك انك كنت من الخاطئين وقال نسوة في المدينة امرأت العزيز تراود فتاها عن نفسه قد شغفها حبا انا لنراها في ضلال مبين فلما سمعت بمكرهن أرسلت اليهن وأعتدت لهن متكأ وآتت كل واحدة منهن سكينا وقالت اخرج عليهن فلما رأينه أكبرنه

سبيل الطاغوت فقاتلوا أولياء الشيطان ان كيد الشيطان كان ضعيفا أيضا فان الكيد الذي يتعاطاه النساء وغيرهن مستفاد من الشيطان بوسوسته وتسويله وشواهد الشرع قائمة على ذلك فلا يتصور حينئذ أن يكون كيدهن أعظم من كيده والله أعلم

* قوله ما هذا بشرا إن هذا إلا ملك كريم (قال نفين عنه البشرية لغرابة جماله ومباعدة حسنه الخ) قال أحمد تقدم القول في مسئلة التفضيل شفاء والزمخشري لا بدعه لتعصب المعتقد لفاسد أن يحمله على مثل هذه المشافهات برمي بها أهل الحق فينسب إليهم الاجبار والمكابرة في الضروريات وجحد الحقائق تعكيسا وهذا كله هم برآء منه وحسبه (٦٢٩) من المقابلة بتلك خطوة في اعتقاد أن تفضيل الملك عند قائله ليس ضروريا ولا عقليا نظريا ولكن سمعيا وقد شرع في الاستدلال على هذه العقيدة بالضرورة التي ادعى أنها مركوزة في الطباع ثم حكم بأن كل مركوز في الطباع حق وحده وصار الكلام في طباع النساء القائلات ما هذا بشرا وإذا كان كل مركوز في الطبع حقا فإن ركوز حب الشهوات وإيثار العاجلة وجميع أمهات الذنوب مركوز في الطباع أيكون ذلك حقا إلا عند ناظر بعين الهوى أعشى في سبيل الهدى والله ولي التوفيق * قوله تعالى قالت فذلكن الذي لمتنني فيه (قال لم تقل فهذا وهو حاضر الخ) قال أحمد وبهذا أجيب عما أورده من السؤال في قوله تعالى أول البقرة لم ذلك الكتاب لما جعل الإشارة إلى الحروف المذكورة فقال إن قلت كيف أشار إليها وهي قريبة كما يشار إلى البعيد وأجاب هو بأن كل منقض بعيد وأجبت أنا بأن الإشارة بذلك إلى بعد منزلة هذا الكتاب بالنسبة إلى كتب الله تعالى

وقطعن أيديهن وقلن حاش لله ما هذا بشرا إن هذا إلا ملك كريم قالت فذلكن الذي لمتنني فيه ولقد راودته عن نفسه فاستعصم ولئن لم يفعل ما آمره ليسجنن وليكونا من الصاغرين قال رب السجن أحب إلي مما

يوسف وقيل كان يشبه آدم يوم خلقه ربه وقيل ورث الجمال من جدته سارة وقيل أكبرنه بمعنى حضن والهاء للسكت يقال أكبرت المرأة إذا حاضت وحقيقته دخلت في الكبر لأنها بالحيض تخرج من حد الصغر إلى حد الكبر وكأن أبا الطيب أخذ من هذا التفسير قوله

خف الله واستر ذا الجمال ببرقع * فإن لحت حاضت في الخدور العواتق

(قطعن أيديهن) جرحنها كما تقول كنت أقطع اللحم فقطعت يدي تريد جرحتها * حاشا كلمة تفيد معنى التنزيه في باب الاستثناء تقول أساء القوم حاشا زيد قال

حاشا أبي ثوبان إن به * ضنا عن الملحاة والشتم

وهي حرف من حروف الجر فوضعت موضع التنزيه والبراءة فمعنى حاش الله براءة الله وتنزيه الله وهي قراءة ابن مسعود على إضافة حاشا إلى الله إضافة البراءة ومن قرأ حاشا لله فنحو قولك سقيا لك كأنه قال براءة ثم قال لله لبيان من يبرأ وينزه والدليل على تنزيل حاشا منزلة المصدر قراءة أبي السمال حاشا لله بالتنوين وقراءة أبي عمرو حاش لله بحذف الألف الآخرة وقراءة الأعمش حش لله بحذف الألف الأولى وقرئ حاش الله بسكون الشين على أن الفتحة تبعت الألف في الإسقاط وهي ضعيفة لما فيها من التقاء الساكنين على غير حده وقرئ حاشا الإله (فإن قلت) فلم جاز في حاشا لله أن لا ينون بعد إجرائه مجرى براءة الله (قلت) مراعاة لأصله الذي هو الحرفية ألا ترى إلى قولهم جلست من عن يمينه كيف تركوا عن غير معرب على أصله وعلى في قوله غدت من عليه منقلبا ألفه إلى الياء مع الضمير والمعنى تنزيه الله تعالى من صفات العجز والتعجب من قدرته على خلق جميل مثله وأما قوله حاشا لله ما علمنا عليه من سوء فالتعجب من قدرته على خلق عفيف مثله (ما هذا بشرا) نفين عنه البشرية لغرابة جماله ومباعدة حسنه لما عليه محاسن الصور وأثبتن له الملكية وبتتن بها الحكم وذلك لأن الله عز وجل ركز في الطباع أن لا أحسن من الملك كما ركز فيها أن لا أقبح من الشيطان ولذلك يشبه كل متناه في الحسن والقبح بهما وما ركز ذلك فيها إلا لأن الحقيقة كذلك كما ركز في الطباع أن لا أدخل في الشر من الشياطين ولا أجمع للخير من الملائكة إلا ما عليه الفئة الخاسئة المجبرة من تفضيل الإنسان على الملك وما هو إلا من تعكيسهم للحقائق وجحودهم للعلوم الضرورية ومكابرتهم في كل باب وإعمال ما عمل ليس هي اللغة القدمى الحجازية وبها ورد القرآن ومنها قوله تعالى ما هن أمهاتهم ومن قرأ على سليقته من بني تميم قرأ بشر بالرفع وهي قراءة ابن مسعود وقرئ ما هذا بشرى أي ما هو بعبد مملوك لئيم (إن هذا إلا ملك كريم) تقول هذا بشرى أي حاصل بشرى بمعنى هذا مشترى وتقول هذا لك بشرى أم بكرى والقراءة هي الأولى لموافقتها المصحف ومطابقة بشر لملك (قالت فذلكن) ولم تقل فهذا وهو حاضر رفعا لمنزلته في الحسن واستحقاق أن يحب ويفتتن به وربأ بحاله واستبعادا لمحله ويجوز أن يكون إشارة إلى المعنى بقولهن عشقت عبدها الكنعاني تقول هو ذلك العبد الكنعاني الذي صورتن في أنفسكن ثم لمتنني فيه تعني أنكن لم تصورنه بحق صورته ولو صورتنه بما عاينتن لعذرتنني في الافتتان به * الاستعصام بناء مبالغة يدل على الامتناع البليغ والتحفظ الشديد كأنه في عصمة وهو يجتهد في الاستزادة منها ونحوه استمسك واستوسع الفتق واستجمع الرأي واستفحل الخطب وهذا بيان لما كان من يوسف عليه السلام لا مزيد عليه وبرهان لا شيء أنور منه على أنه بريء مما أضاف إليه أهل الحشو مما فسروا به الهم والبرهان (فإن قلت) الضمير في (آمره) راجع إلى الموصول أم إلى يوسف (قلت) بل إلى الموصول والمعنى ما آمر به فحذف الجار كما في قولك أمرتك الخير ويجوز أن تجعل

ما مصدرية فيرجع الى يوسف ومعناه ولئن لم يفعل أمري اياه اي موجب أمري ومقتضاه * قرئ وليكونا بالتشديد والتخفيف والتخفيف أولى لان النون كتبت في المصحف ألفا على حكم الوقف وذلك لا يكون الا في الخفيفة * وقرئ السجن بالفتح على المصدر وقال (يدعونني) على اسناد الدعوة اليهن جميعا لانهن تنصحن له وزين له مطاوعتها وقلن له اياك والقاء نفسك في السجن والصغار والتجأ الى ربه عند ذلك وقال رب نزول السجن أحب الي من ركوب المعصية (فان قلت) نزول السجن مشقة على النفس شديدة وما دعونه اليه لذة عظيمة فكيف كانت المشقة أحب اليه من اللذة (قلت) كانت أحب اليه وآثر عنده نظرا في حسن الصبر على احتمالها لوجه الله وفي قبح المعصية وفي عاقبة كل واحدة منهما لا نظرا في مشتهى النفس ومكروهها (والا تصرف عني كيدهن) فزع منه الى ألطاف الله وعصمته كعادة الانبياء والصالحين فيما عزم عليه ووطن عليه نفسه من الصبر لا أن يطلب منه الاجبار على التعفف والالجاء اليه (أصب اليهن) أمل اليهن والصبوة الميل الى الهوى ومنه الصبا لان النفوس تصبو اليها لطيب نسيمها وروحها وقرئ أصب اليهن من الصبابة (من الجاهلين) من الذين لا يعملون بما يعلمون لان من لا جدوى لعلمه فهو ومن لا يعلم سواء أو من السفهاء لان الحكيم لا يفعل القبيح * وعاد ذكر الاستجابة ولم يتقدم الدعاء لان قوله والا تصرف عني فيه معنى طلب الصرف والدعاء باللطف (السميع) لدعوات الملتجئين اليه (العليم) بأحوالهم وما يصلحهم (ثم بدا لهم) فاعله مضمر لدلالة ما يفسره عليه وهو ليسجننه والمعنى بدا لهم بداء أي ظهر لهم رأي ليسجننه والضمير في لهم للعزيز وأهله (من بعد ما رأوا الآيات) وهي الشواهد على براءته وما كان ذلك الا باستنزال المرأة لزوجها وفتلها منه في الذروة والغارب وكان مطواعا لها وجملا ذلولا زمامه في يدها حتى أنساه ذلك ما عاين من الآيات وعمل برأيها في سجنه والحاق الصغار به كما أوعدته به وذلك لما أيست من طاعته لها أو لطمعها في أن يذلله السجن ويسخره لها وفي قراءة الحسن لتسجننه بالتاء على الخطاب خاطب به بعضهم العزيز ومن يليه أو العزيز وحده على وجه التعظيم (حتى حين) الى زمان كأنها اقترحت أن يسجن زمانا حتى تبصر ما يكون منه وفي قراءة ابن مسعود عتى حين وهي لغة هذيل وعن عمر رضي الله عنه أنه سمع رجلا يقرأ عتى حين فقال من أقرأك قال ابن مسعود فكتب اليه ان الله أنزل هذا القرآن فجعله عربيا وأنزله بلغة قريش فأقرئ الناس بلغة قريش ولا تقرئهم بلغة هذيل والسلام * مع يدل على معنى الصحبة واستحداثها تقول خرجت مع الامير تريد مصاحبا له فيجب أن يكون دخولهما السجن مصاحبين له (فتيان) عبدان للملك خبازه وشرابيه رقي اليه أنهما يسمانه فأمر بهما الى السجن فأدخلا السجن ساعة أدخل يوسف عليه السلام (اني أراني) يعني في المنام وهي حكاية حال ماضية (أعصر خمرا) يعني عنبا تسمية للعنب بما يؤول اليه وقيل الخمر بلغة عمان اسم للعنب وفي قراءة ابن مسعود أعصر عنبا (من المحسنين) من الذين يحسنون عبارة الرؤيا أي يجيدونها رأياه يقص عليه بعض أهل السجن رؤياه فيؤولها له فقالا له ذلك أو من العلماء لانهما سمعاه يذكر للناس ما علما به أنه عالم أو من المحسنين الى أهل السجن فأحسن الينا بأن تفرج عنا الغمة بتأويل ما رأينا ان كانت لك يد في تأويل الرؤيا روي أنه كان اذا مرض رجل منهم قام عليه واذا ضاق أوسع له واذا احتاج جمع له وعن قتادة كان في السجن ناس قد انقطع رجاؤهم وطال حزنهم فجعل يقول ابشروا واصبروا تؤجروا ان لهذا لأجرا فقالوا بارك الله عليك ما أحسن وجهك وما أحسن خلقك لقد بورك لنا في جوارك فمن أنت يا فتى قال أنا يوسف ابن صفي الله يعقوب ابن ذبيح الله اسحق ابن خليل الله ابرهيم فقال له عامل السجن لو استطعت خليت سبيلك ولكني أحسن جوارك فكن في أي بيوت السجن شئت وروي أن الفتيين قالا له انا لنحبك من حين رأيناك فقال أنشدكما بالله أن لا تحباني فوالله ما أحبني أحد قط الا دخل علي من حبه بلاء لقد أحبتني عمتي فدخل علي من حبها بلاء ثم أحبني أبي فدخل علي من حبه بلاء ثم أحبتني زوجة صاحبي فدخل علي من حبها بلاء فلا تحباني بارك الله فيكما وعن الشعبي أنهما تحالما له ليمتحناه فقال الشرابي اني أراني في بستان فاذا بأصل حبلة عليها ثلاثة عناقيد من عنب فقطفتها وعصرتها في كأس الملك وسقيته وقال الخباز اني أراني وفوق رأسي ثلاث سلال فيها أنواع الاطعمة

يدعونني اليه والا تصرف عني كيدهن أصب اليهن وأكن من الجاهلين فاستجاب له ربه فصرف عنه كيدهن انه هو السميع العليم ثم بدا لهم من بعد ما رأوا الآيات ليسجننه حتى حين ودخل معه السجن فتيان قال أحدهما اني أراني أعصر خمرا وقال الآخر اني أراني أحمل فوق رأسي خبزا تأكل الطير منه نبئنا

وسباع الطير تنهش منها (فان قلت) الام يرجع الضمير فى قوله نبئنا بتأويله (قلت) الى ما قصا عليه والضمير يجرى مجرى اسم الاشارة فى نحوه كأنه قيل نبئنا بتأويل ذلك ولما استعبراه ووصفاه بالاحسان افترص ذلك فوصل به وصف نفسه بما هو فوق علم العلماء وهو الاخبار بالغيب وأنه ينبئهما بما يحمل اليهما من الطعام فى السجن قبل أن يأتيهما ويصفه لهما ويقول اليوم يأتيكما طعام من صفته كيت وكيت فيجدانه كما أخبرهما وجعل ذلك تخلصا الى أن يذكر لهما التوحيد ويعرض عليهما الايمان ويزينه لهما ويقبح اليهما الشرك بالله وهذه طريقة على كل ذى علم أن يسلكها مع الجهال والفسقة اذا استفتاه واحد منهم أن يقدم الهداية والارشاد والموعظة والنصيحة أولا ويدعوه الى ما هو أولى به وأوجب عليه مما استفتى فيه ثم يفتيه بعد ذلك وفيه أن العالم اذا جهلت منزلته فى العلم فوصف نفسه بما هو بصدده وغرضه أن يقتبس منه وينتفع به فى الدين لم يكن من باب التزكية (بتأويله) ببيان ماهيته وكيفيته لان ذلك يشبه تفسير المشكل والاعراب عن معناه (ذلكما) اشارة لهما الى التأويل أى ذلك التأويل والاخبار بالمغيبات (مما علمنى ربى) وأوحى به الى ولم أقله عن تكهن وتنجم (انى تركت) يجوز أن يكون كلاما مبتدأ وأن يكون تعليلا لما قبله أى علمنى ذلك وأوحى الى لانى رفضت ملة أولئك واتبعت ملة الانبياء المذكورين وهى الملة الحنيفية وأراد بأولئك الذين لا يؤمنون أهل مصر ومن كان الفتيان على دينهم وتكريرهم للدلالة على أنهم خصوصا كافرون بالآخرة وأن غيرهم كانوا قوما مؤمنين بها وهم الذين على ملة ابراهيم ولتوكيد كفرهم بالجزاء تنبيها على ما هم عليه من الظلم والكبائر التى لا يرتكبها الا من هو كافر بدار الجزاء ويجوز أن يكون فيه تعريض بما منى به من جهتهم حين أودعوه السجن بعد ما رأوا الآيات الشاهدة على براءته وأن ذلك ما لا يقدم عليه الا من هو شديد الكفر بالجزاء وذكر آباءه ليريهما أنه من بيت النبوة بعد أن عرفهما أنه نبى يوحى اليه بما ذكر من اخباره بالغيوب ليقوى رغبتهما فى الاستماع اليه واتباع قوله (ما كان لنا) ما صح لنا معشر الانبياء (أن نشرك بالله) أى شئ كان من ملك أو جنى أو انسى فضلا أن نشرك به صنما لا يسمع ولا يبصر ثم قال (ذلك) التوحيد (من فضل الله علينا وعلى الناس) أى على الرسل وعلى المرسل اليهم لانهم نبهوهم عليه وأرشدوهم اليه (ولكن أكثر الناس) المبعوث اليهم (لا يشكرون) فضل الله فيشركون ولا ينتبهون وقيل ان ذلك من فضل الله علينا لانه نصب لنا الادلة التى ننظر فيها ونستدل بها وقد نصب مثل تلك الادلة لسائر الناس من غير تفاوت ولكن أكثر الناس لا ينظرون ولا يستدلون اتباعا لاهوائهم فيبقون كافرين غير شاكرين (يا صاحبى السجن) يريد يا صاحبى فى السجن فأضافهما الى السجن كما تقول يا سارق الليلة فكما أن الليلة مسروق فيها غير مسروقة فكذلك السجن مصحوب فيه غير مصحوب وانما المصحوب غيره وهو يوسف عليه السلام ونحوه قولك لصاحبيك يا صاحبى الصدق فتضيفهما الى الصدق ولا تريد أنهما صحبا الصدق ولكن كما تقول رجلا صدق وسميتهما صاحبين لانهما صحباك ويجوز أن يريد يا ساكنى السجن كقوله أصحاب النار وأصحاب الجنة (أأرباب متفرقون) يريد التفرق فى العدد والتكاثر يقول أأن تكون لكما أرباب شتى يستعبدكما هذا ويستعبدكما هذا (خير لكما أم) أن يكون لكما رب واحد قهار لا يغالب ولا يشارك فى الربوبية بل هو (القهار) الغالب وهذا مثل ضربه لعبادة الله وحده ولعبادة الاصنام (ما تعبدون) خطاب لهما ولمن على دينهما من أهل مصر (الا أسماء) يعنى أنكم سميتم ما لا يستحق الالهية آلهة ثم طفقتم تعبدونها فكأنكم لا تعبدون الا أسماء فارغة لا مسميات تحتها ومعنى (سميتموها) سميتم بها يقال سميته بزيد وسميته زيدا (ما أنزل الله بها) أى بتسميتها (من سلطان) من حجة (ان الحكم) فى أمر العبادة والدين (الا لله) ثم بين ما حكم به فقال (أمر ألا تعبدوا الا اياه ذلك الدين القيم) الثابت الذى دلت عليه البراهين (أما أحدكما) يريد الشرابى (فيسقى ربه) سيده وقرأ عكرمة فيسقى ربه أى يسقى ما يروى به على البناء للمفعول روى أنه قال للاول ما رأيت من الكرمة وحسنها هو الملك وحسن حالك عنده وأما القضبان الثلاثة فانها ثلاثة أيام تمضى فى السجن ثم تخرج وتعود الى ما كنت عليه وقال للثانى ما رأيت من السلال ثلاثة أيام ثم تخرج فتقتل (قضى الامر) قطع وتم ما (تستفتيان)

بتأويله انا نراك من
المحسنين قال لا يأتيكما
طعام ترزقانه الا نبأتكما
بتأويله قبل أن يأتيكما
ذلكما مما علمنى ربى انى
تركت ملة قوم لا يؤمنون
بالله وهم بالآخرة هم
كافرون واتبعت ملة
آبائى ابراهيم واسحق
ويعقوب ما كان لنا أن
نشرك بالله من شئ ذلك
من فضل الله علينا وعلى
الناس ولكن أكثر الناس
لا يشكرون يا صاحبى
السجن أأرباب متفرقون
خير أم الله الواحد
القهار ما تعبدون من
دونه الا أسماء سميتموها
أنتم وآباؤكم ما أنزل الله
بها من سلطان ان الحكم
الا لله أمر ألا تعبدوا الا
اياه ذلك الدين القيم
ولكن أكثر الناس
لا يعلمون يا صاحبى
السجن أما أحدكما
فيسقى ربه خمرا وأما
الآخر فيصلب فتأكل
الطير من رأسه قضى
الامر الذى فيه
تستفتيان وقال للذى

فيه من أمر كما وشأنكما (فان قلت) ما استفتيا في أمر واحد بل في أمرين مختلفين فما وجه التوحيد (قلت) المراد
بالامر ما اتهما به من سم الملك وما سجنا من أجله وظنا أن ما رأياه في معنى ما نزل بهما فكأنهما كانا يستفتيانه
في الامر الذي نزل بهما أعاقبته نجاة أم هلاك فقال لهما قضي الامر الذي فيه تستفتيان أي ما يجر اليه من
العاقبة وهي هلاك أحدهما ونجاة الآخر وقيل جحدا وقالا ما رأينا شيأ على ما روي أنهما تحالما له فأخبرهما
أن ذلك كائن صدقتما أو كذبتما (ظن أنه ناج) الظان هو يوسف ان كان تأويله بطريق الاجتهاد وان كان
بطريق الوحي فالظان هو الشرابي ويكون الظن بمعنى اليقين (اذكرني عند ربك) صفني عند الملك
بصفتي وقص عليه قصتي لعله يرحمني وينتاشني من هذه الورطة (فأنساه الشيطان) فأنسى الشرابي (ذكر
ربه) أن يذكره لربه وقيل فأنسى يوسف ذكر الله حين وكل أمره الى غيره (بضع سنين) البضع ما بين الثلاث
الى التسع وأكثر الاقاويل على أنه لبث فيه سبع سنين (فان قلت) كيف يقدر الشيطان على الانساء
(قلت) يوسوس الى العبد بما يشغله عن الشيء من أسباب النسيان حتى يذهب عنه ويزل عن قلبه ذكره
وأما الانساء ابتداء فلا يقدر عليه الا الله عز وجل ما ننسخ من آية أو ننسها (فان قلت) ما وجه اضافة الذكر
الى ربه اذا أريد به الملك وما هي باضافة المصدر الى الفاعل ولا الى المفعول (قلت) قد لابسه في قولك فأنساه
الشيطان ذكر ربه أو عند ربه فجازت اضافته اليه لان الاضافة تكون بأدنى ملابسة أو على تقدير فأنساه
الشيطان ذكر اخبار ربه فحذف المضاف الذي هو الاخبار (فان قلت) لم أنكر على يوسف الاستعانة بغير
الله في كشف ما كان فيه وقد قال الله تعالى وتعاونوا على البر والتقوى وقال حكاية عن عيسى عليه السلام
من أنصاري الى الله وفي الحديث الله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه المسلم من فرج عن مؤمن
كربة فرج الله عنه كربة من كرب الآخرة وعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
لم يأخذه النوم ليلة من الليالي وكان يطلب من يحرسه حتى جاء سعد فسمعت غطيطه وهل ذلك الامثل
التداوي بالادوية والتقوي بالاشربة والاطعمة وان كان ذلك لان الملك كان كافرا فلا خلاف في جواز أن
يستعان بالكفار في دفع الظلم والغرق والحرق ونحو ذلك من المضار (قلت) كما اصطفى الله تعالى الانبياء على
خليقته فقد اصطفى لهم أحسن الامور وأفضلها وأولاها والاحسن والاولى بالنبي أن لا يكل أمره اذا
ابتلي ببلاء الا الى ربه ولا يعتضد الا به خصوصا اذا كان المعتضد به كافرا لئلا يشمت به الكفار ويقولوا لو كان
هذا على الحق وكان له رب لما استغاث بنا وعن الحسن أنه كان يبكي اذا قرأها ويقول نحن اذا نزل بنا أمر
فزعنا الى الناس * لما دنا فرج يوسف رأى ملك مصر الريان بن الوليد رؤيا عجيبة هالته رأى سبع بقرات
سمان خرجن من نهر يابس وسبع بقرات عجاف فابتلعت العجاف السمان ورأى سبع سنبلات خضر قد
انعقد حبها وسبعا أخر يابسات قد استحصدت وأدركت فالتوت اليابسات على الخضر حتى غلبن عليها
فاستعبرها فلم يجد في قومه من يحسن عبارتها (سمان) جمع سمين وسمينة وكذلك رجال ونسوة كرام (فان
قلت) هل من فرق بين ايقاع سمان صفة للمميز وهو بقرات دون المميز وهو سبع وأن يقال سبع بقرات سمانا
(قلت) اذا أوقعتها صفة لبقرات فقد قصدت الى أن تميز السبع بنوع من البقرات وهي السمان منهن
لا بجنسهن ولو وصفت بها السبع لقصدت الى تمييز السبع بجنس البقرات لا بنوع منها ثم رجعت فوصفت
المميز بالجنس بالسمن (فان قلت) هلا قيل سبع عجاف على الاضافة (قلت) التمييز موضوع لبيان
الجنس والعجاف وصف لا يقع البيان به وحده (فان قلت) فقد يقولون ثلاثة فرسان وخمسة أصحاب (قلت)
الفارس والصاحب والراكب ونحوها صفات جرت مجرى الاسماء فأخذت حكمها وجاز فيها ما لم يجز في
غيرها ألا تراك لا تقول عندي ثلاثة ضخام وأربعة غلاظ (فان قلت) ذاك مما يشكل وما نحن بسبيله
لا اشكال فيه ألا ترى أنه لم يقل بقرات سبع عجاف لوقوع العلم بأن المراد البقرات (قلت) ترك الاصل
لا يجوز مع وقوع الاستغناء عما ليس بأصل وقد وقع الاستغناء بقولك سبع عجاف عما تقترحه من التمييز
بالوصف والعجف الهزال الذي ليس بعده والسبب في وقوع عجاف جمعا لعجفاء وأفعل وفعلاء لا يجمعان على

ظن أنه ناج منهما اذكرني
عند ربك فأنساه
الشيطان ذكر ربه
فلبث في السجن بضع
سنين وقال الملك اني أرى
سبع بقرات سمان
يأكلهن سبع عجاف
وسبع سنبلات خضر
وأخر يابسات

يا أيها الملأ أفتونى فى رؤياى ان كنتم للرؤيا تعبرون قالوا أضغاث أحلام وما نحن بتأويل الاحلام بعالمين وقال الذى نجا منهما وادكر بعد أمة أنا أنبئكم بتأويله فأرسلون يوسف أيها الصديق أفتنا فى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات لعلى أرجع الى الناس لعلهم يعلمون قال تزرعون سبع سنين

فعال حمله على سمان لانه نقيضه ومن دأبهم حمل النظير على النظير والنقيض على النقيض (فان قلت) هل فى الآية دليل على أن السنبلات اليابسة كانت سبعا كالخضر (قلت) الكلام مبنى على انصبابه الى هذا العدد فى البقرات السمان والعجاف والسنابل الخضر فوجب أن يتناول معنى الاخر السبع ويكون قوله وأخر يابسات بمعنى وسبعا أخر (فان قلت) هل يجوز أن يعطف قوله وأخر يابسات على سنبلات خضر فيكون مجرور المحل (قلت) يؤدى الى تدافع وهو أن عطفها على سنبلات خضر يقتضى أن تدخل فى حكمها فتكون معها مميزا للسبع المذكورة ولفظ الاخر يقتضى أن تكون غير السبع بيانه أنك تقول عندى سبعة رجال قيام وقعود بالجر فيصح لانك ميزت السبعة برجال موصوفين بالقيام والقعود على أن بعضهم قيام وبعضهم قعود فلو قلت عنده سبعة رجال قيام وآخرين قعود تدافع ففسد (يا أيها الملأ) كأنه أراد الاعيان من العلماء والحكماء • واللام فى قوله (للرؤيا) اما أن تكون للبيان كقوله وكانوا فيه من الزاهدين واما أن تدخل لان العامل اذا تقدم عليه معموله لم يكن فى قوته على العمل فيه مثله اذا تأخر عنه فعضد بها كما يعضد بها اسم الفاعل اذا قلت هو عابر للرؤيا لانحطاطه عن الفعل فى القوة ويجوز أن يكون للرؤيا خبر كان كما تقول كان فلان لهذا الامر اذا كان مستقلا به متمكنا منه و(تعبرون) خبرا آخر أو حالا وأن يضمن تعبرون معنى فعل يتعدى باللام كأنه قيل ان كنتم تنتدبون لعبارة الرؤيا وحقيقة عبرت الرؤيا ذكرت عاقبتها وآخر أمرها كما تقول عبرت النهر اذا قطعته حتى تبلغ آخر عرضه وهو عبره ونحوه أولت الرؤيا اذا ذكرت مآلها وهو مرجعها وعبرت الرؤيا بالتخفيف هو الذى اعتمده الاثبات ورأيتهم ينكرون عبرت بالتشديد والتعبير والمعبر وقد عثرت على بيت أنشده المبرد فى كتاب الكامل لبعض الاعراب

رأيت رؤيا ثم عبرتها • وكنت للاحلام عبارا

(أضغاث أحلام) تخاليطها وأباطيلها وما يكون منها من حديث نفس أو وسوسة شيطان وأصل الاضغاث ما جمع من أخلاط النبات وحزم الواحد ضغث فاستعيرت لذلك والاضافة بمعنى من أى أضغاث من أحلام والمعنى هى أضغاث أحلام (فان قلت) ما هو الا حلم واحد فلم قالوا أضغاث أحلام فجمعوا (قلت) هو كما تقول فلان يركب الخيل ويلبس عمائم الخز لمن لا يركب الا فرسا واحدا وما له الا عمامة فردة تزيدا فى الوصف فهؤلاء أيضا تزيدوا فى وصف الحلم بالبطلان فجمعوه أضغاث أحلام ويجوز أن يكون قد قص عليهم مع هذه الرؤيا رؤيا غيرها (وما نحن بتأويل الاحلام بعالمين) اما أن يريدوا بالاحلام المنامات الباطلة خاصة فيقولوا ليس لها عندنا تأويل فان التأويل انما هو للمنامات الصحيحة الصالحة واما أن يعترفوا بقصور علمهم وأنهم ليسوا فى تأويل الاحلام بنحارير (وادكر) بالدال وهو الفصيح وعن الحسن واذكر بالذال المعجمة والاصل تذكر أى تذكر الذى نجا من الفتيين من القتل يوسف وما شاهد منه (بعد أمة) بعد مدة طويلة وذلك أنه حين استفتى الملك فى رؤياه وأعضل على الملأ تأويلها تذكر الناجى يوسف وتأويله رؤياه ورؤيا صاحبه وطلبه اليه أن يذكره عند الملك وقرأ الاشهب العقيلى بعد امة بكسر الهمزة والامة النعمة قال عدى

ثم بعد الفلاح والملك والامة • وارتهم هناك القبور

أى بعد ما أنعم عليه بالنجاة وقرئ بعد أمه أى بعد نسيان يقال أمه يأمه أمها اذا نسى ومن قرأ بسكون الميم فقد خطئ (أنا أنبئكم بتأويله) أنا أخبركم به عمن عنده علمه وفى قراءة الحسن أنا آتيكم بتأويله (فأرسلون) فابعثونى اليه لأسأله ومرونى باستعباره وعن ابن عباس لم يكن السجن فى المدينة • المعنى فأرسلوه الى يوسف فأتاه فقال (يوسف أيها الصديق) أيها البليغ فى الصدق وانما قال له ذلك لانه ذاق أحواله وتعرف صدقه فى تأويل رؤياه ورؤيا صاحبه حيث جاء كما أول ولذلك كلمه كلام محترز فقال (لعلى أرجع الى الناس لعلهم يعلمون) لانه ليس على يقين من الرجوع فربما اخترم دونه ولا من علمهم فربما لم يعلموا أو معنى لعلهم يعلمون لعلهم يعلمون فضلك ومكانك من العلم فيطلبوك ويخلصوك من محنتك (تزرعون) خبر فى معنى الامر كقوله تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون وانما يخرج الامر فى صورة الخبر للمبالغة فى ايجاب ايجاد المأمور

• قوله تعالى قالوا أضغاث أحلام وما نحن بتأويل الاحلام بعالمين (قال يحتمل أن يكون مرادهم بالاحلام المنامات الخ) قال أحمد وهذا هو الظاهر وحمل الكلام على الاول يصير من وادى على لاحب لا يهتدى بمناره كأنهم قالوا ولا تأويل للاحلام الباطلة فنكون به عالمين وقول الملك لهم أولا ان كنتم للرؤيا تعبرون دليل على انهم لم يكونوا فى علمه عالمين لانه أتى بكلمة الشك وجاء اعترافهم بالقصور مطابقا للشك الذى أخرجه مخرج استفهامهم عن كونهم عالمين بالرؤيا أولا وقول الفتى أنا أنبئكم بتأويله الى قوله لعلى أرجع الى الناس لعلهم يعلمون دليل أيضا على ذلك والله أعلم

• قوله تعالى فلما جاءه الرسول قال ارجع الى ربك فاسأله ما بال النسوة اللاتى قطعن أيديهن ان ربى بكيدهن عليم (قال انما تأنى وتثبت فى اجابة الملك ليظهر براءة ساحته عما قرف به الخ) قال أحمد ولقد مدحه النبى صلى الله عليه وسلم على هذه الاناة بقوله ولو لبثت فى السجن بعض مالبث يوسف لاجبت الداعى وكان فى طى هذه المدحة بالاناة والتثبت تنزيهه وتبرئته مما لعله يسبق الى الوهم من انه هم بزليخا هما يؤاخذ به لانه اذا صبر وتثبت فيما له أن لا يصبر فيه وهو الخروج من السجن مع ان الدواعى متوفرة على الخروج منه فلأن يصبر فيما عليه أن يصبر فيه من الهم أولى وأجدر والله أعلم

فيجعل كأنه يوجد فهو يخبر عنه والدليل على كونه فى معنى الامر قوله فذروه فى سنبله (دأبا) بسكون الهمزة وتحريكها وهما مصدرا دأب فى العمل وهو حال من المأمورين أى دائبين اما على تدأبون دأبا واما على ايقاع المصدر حالا بمعنى ذوى دأب (فذروه فى سنبله) لئلا يتسوس و (يأكلن) من الاسناد المجازى جعل أكل أهلهن مسندا اليهن (تحصنون) تحرزون وتخبئون (يغاث الناس) من الغوث أو من الغيث يقال غيثت البلاد اذا مطرت ومنه قول الاعرابية غثنا ما شئنا (يعصرون) بالياء والتاء يعصرون العنب والزيتون والسمسم وقيل يحلبون الضروع وقرئ يعصرون على البناء للمفعول من عصره اذا أنجاه وهو مطابق للاغاثة ويجوز أن يكون المبنى للفاعل بمعنى ينجون كأنه قيل فيه يغاث الناس وفيه يغيثون أنفسهم أى يغيثهم الله ويغيث بعضهم بعضا وقيل يعصرون يمطرون من أعصرت السحابة وفيه وجهان اما أن يضمن أعصرت معنى مطرت فيعدى تعديته واما أن يقال الاصل أعصرت عليهم فحذف الجار وأوصل الفعل تأول البقرات السمان والسنبلات الخضر بسنين مخاصيب والعجاف واليابسات بسنين مجدبة ثم بشرهم بعد الفراغ من تأويل الرؤيا بأن العام الثامن يجئ مباركا خصيبا كثير الخير غزير النعم وذلك من جهة الوحى وعن قتادة زاده الله علم سنة (فان قلت) معلوم أن السنين المجدبة اذا انتهت كان انتهاؤها بالخصب والا لم توصف بالانتهاء فلم قلت ان علم ذلك من جهة الوحى (قلت) ذلك معلوم علما مطلقا لا مفصلا وقوله فيه يغاث الناس وفيه يعصرون تفصيل لحال العام وذلك لا يعلم الا بالوحى • انما تأنى وتثبت فى اجابة الملك وقدم سؤال النسوة ليظهر براءة ساحته عما قرف به وسجن فيه لئلا يتسلق به الحاسدون الى تقبيح أمره عنده ويجعلوه سلما الى حط منزلته لديه ولئلا يقولوا ما خلد فى السجن سبع سنين الا لامر عظيم وجرم كبير حق به أن يسجن ويعذب ويستكف شره وفيه دليل على أن الاجتهاد فى نفى التهم واجب وجوب اتقاء الوقوف فى مواقفها قال عليه السلام من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يقفن مواقف التهم ومنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للمارين به فى معتكفه وعنده بعض نسائه هى فلانة اتقاء للتهمة وعن النبى صلى الله عليه وسلم لقد عجبت من يوسف وكرمه وصبره والله يغفر له حين سئل عن البقرات العجاف والسمان ولو كنت مكانه ما أخبرتهم حتى أشترط أن يخرجونى ولقد عجبت منه حين أتاه الرسول فقال ارجع الى ربك ولو كنت مكانه ولبثت فى السجن مالبث لاسرعت الاجابة وبادرتهم الباب ولما ابتغيت العذر ان كان لحليما ذا أناة وانما قال سل الملك عن حال النسوة ولم يقل سله أن يفتش عن شأنهن لان السؤال مما يهيج الانسان ويحركه للبحث عما سئل عنه فأراد أن يورد عليه السؤال ليجد فى التفتيش عن حقيقة القصة وفص الحديث حتى يتبين له براءته بيانا مكشوفا يتميز فيه الحق من الباطل • وقرئ النسوة بضم النون ومن كرمه وحسن أدبه أنه لم يذكر سيدته مع ما صنعت به وتسببت فيه من السجن والعذاب واقتصر على ذكر المقطعات أيديهن (ان ربى) ان الله تعالى (بكيدهن عليم) أراد أنه كيد عظيم لا يعلمه الا الله لبعد غوره أو استشهد بعلم الله على أنهن كدنه وأنه برئ مما قرف به أو أراد الوعيد لهن أى هو عليم بكيدهن فمجازيهن عليه (ما خطبكن) ما شأنكن (اذ راودتن يوسف) هل وجدتن منه ميلا اليكن (قلن حاش لله) تعجبا من عفته وذهابه بنفسه عن شئ من الريبة ومن نزاهته عنها (قالت امرأت العزيز الآن حصحص الحق) أى ثبت واستقر وقرئ حصحص على البناء للمفعول وهو من حصحص البعير اذا ألقى ثفناته للاناخة قال

فحصحص فى صم الصفا ثفناته • وناء بسلمى نوأة ثم صمما

دأبا فما حصدتم فذروه فى سنبله الا قليلا مما تأكلون ثم يأتى من بعد ذلك سبع شداد يأكلن ما قدمتم لهن الا قليلا مما تحصنون ثم يأتى من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس وفيه يعصرون وقال الملك ائتونى به فلما جاءه الرسول قال ارجع الى ربك فاسأله ما بال النسوة اللاتى قطعن أيديهن ان ربى بكيدهن عليم قال ما خطبكن اذ راودتن يوسف عن نفسه قلن حاش لله ما علمنا عليه من سوء قالت امرأت العزيز الآن حصحص الحق أنا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين

عاد كلامه قال وانما قال فاسأله ما بال النسوة اللاتى قطعن أيديهن ولم يكشف ولا له عن القصة ولا أوضحها له لان السؤال مجملا مما يهيج الملك على الكشف والبحث والاستعلام ويحصل البراءة له عليه السلام من ذلك والله الموفق

*قوله تعالى قلن حاش لله ما علمنا عليه من سوء قالت امرأة العزيز الآن حصحص الحق أنا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين (قال لامزيد على شهادتهن له بالبراءة واعترافهن على أنفسهن الخ) قال أحمد الصحيح من مذاهب أهل السنة تنزيه الانبياء عن الكبائر والصغائر جميعا وتبع الآي المشعرة بوقوع الصغائر بالتأويل وذهب منهم طائفة مع القدرية الى تجويز الصغائر عليهم بشرط أن لا تكون منفرة والصحيح عندنا في قصة يوسف عليه السلام انه مبرأ عن الوقوع فيما يؤاخذ به وان الوقف عند قوله همت به ثم يبتدأ وهم بها لولا أن رأى برهان ربه كما تقول قتلت زيدا لولا أني أخاف الله ولا يكون الهم واقعا لوجود المانع منه وهو رؤية البرهان وان كان الزمخشري يعرض بأهل السنة فقد برأ معتقدهم وان كان يعرض بالمجبرة والحشوية حقيقة فشأنه وإياهم ٦٣٥ *عاد كلامه (قال وقوله ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب الخ من كلام يوسف عليه السلام والمعنى ان ذلك الجد في ظهور البراءة ليعلم الخ) قال أحمد وارادته لعموم الاحوال أدخل في تنزيهه وأدل على ان الغرض بهذا الكلام التواضع منه والتبري من تزكية النفس فهو أدل على هذا المعنى من حمله على الحادثة الخاصة والله أعلم *عاد كلامه (قال وقيل ذلك كله كلام امرأة العزيز أي ذلك الذي قلت الخ) قال أحمد وانما يجري الكلام على هذا الوجه اذا ألجأ اليه محوج كقوله فماذا تأمرون فلا يمكن جعله من قول الملأ بوجه فتعين أن يصرف الضمير عنه الى فرعون وأما هذه الآية فهي تتلو قوله وانه لمن الصادقين الى ما قبل ذلك من الضمائر العائدة الى يوسف عليه السلام قطعا ولا ضرورة تدعو الى حمل الضمير في ليعلم على العزيز وجعله من كلام يوسف وقد تضمنت الآية المصدرة بقول زليخا وذلك قوله قالت امرأة العزيز وفي سياق الآية ما يرشد الى ان هذا القول جرى منها ويوسف عليه السلام بعد في السجن لم يحضر الى الملك وانه لما تحققت براءته بقولها بعث يخرجه من السجن فذلك قوله وقال الملك ائتوني به أستخلصه لنفسي *عاد كلامه (قال ولقد لفقت المبطلة روايات مصنوعة الخ) قال أحمد ولقد صدق في التوريك على نقلة هذه الزيادات بالبهت وذلك شأن المبطلة من كل طائفة كما لفقت القدرية على قصة موسى حين طلب الرؤية وخر صعقا ان الملائكة جعلت تنكزه بأرجلها وتقول يا ابن النساء الحيض طمعت في رؤية رب العزة كل ذلك ليتم لهم غرضهم في انه طلب لهم محالا في المعقول على الله تعالى ويحق الله الحق بكلماته ويبطل الباطل والله الموفق

ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب وأن الله لا يهدي كيد الخائنين وما أبرئ نفسي ان النفس لأمارة بالسوء الا ما رحم ربي ان ربي غفور رحيم وقال الملك ائتوني به أستخلصه لنفسي

ولا مزيد على شهادتهن له بالبراءة والنزاهة واعترافهن على أنفسهن بأنه لم يتعلق بشيء مما قرفته به لانهن خصومه واذا اعترف الخصم بأن صاحبه على الحق وهو على الباطل لم يبق لاحد مقال وقالت المجبرة والحشوية نحن قد بقي لنا مقال ولابد لنا من ان ندق في فروة من ثبتت براءته (ذلك ليعلم) من كلام يوسف أي ذلك التثبت والتشمر لظهور البراءة ليعلم العزيز (أني لم أخنه) بظهر الغيب في حرمته *ومحل (بالغيب) الحال من الفاعل أو المفعول على معنى وأنا غائب عنه خفي عن عينه أو وهو غائب عني خفي عن عيني ويجوز أن يكون ظرفا أي بمكان الغيب وهو الخفاء والاستتار وراء الابواب السبعة المغلقة و ليعلم (أن الله لا يهدي كيد الخائنين) لا ينفذه ولا يسدده وكأنه تعريض بامرأته في خيانتها أمانة زوجها وبه في خيانته أمانة الله حين ساعدها بعد ظهور الآيات على حبسه ويجوز أن يكون تأكيدا لامانته وانه لو كان خائنا لما هدى الله كيده ولا سدده *ثم أراد أن يتواضع لله ويهضم نفسه لئلا يكون لها مزكيا وبحالها في الامانة معجبا ومفتخرا كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا سيد ولد آدم ولا فخر وليبين أن ما فيه من الامانة ليس به وحده وانما هو بتوفيق الله ولطفه وعصمته فقال (وما أبرئ نفسي) من الزلل وما أشهد لها بالبراءة الكلية ولا أزكيها ولا يخلو اما أن يريد في هذه الحادثة لما ذكرنا من الهم الذي هو ميل النفس عن طريق الشهوة البشرية لا عن طريق القصد والعزم واما أن يريد عموم الاحوال (ان النفس لأمارة بالسوء) أراد الجنس أي ان هذا الجنس يأمر بالسوء ويحمل عليه بما فيه من الشهوات (الا ما رحم ربي) الا البعض الذي رحمه ربي بالعصمة كالملائكة ويجوز أن يكون ما رحم في معنى الزمان أي الا وقت رحمة ربي يعني أنها أمارة بالسوء في كل وقت وأوان الا وقت العصمة ويجوز أن يكون استثناء منقطعا أي ولكن رحمة ربي هي التي تصرف الاساءة كقوله ولا هم ينقذون الا رحمة وقيل معناه ذلك ليعلم الله أني لم أخنه لان المعصية خيانة وقيل هو من كلام امرأة العزيز أي ذلك الذي قلت ليعلم يوسف أني لم أخنه ولم أكذب عليه في حال الغيبة وجئت بالصحيح والصدق فيما سئلت عنه وما أبرئ نفسي مع ذلك من الخيانة فاني قد خنته حين قرفته وقلت ما جزاء من أراد بأهلك سوأ الا أن يسجن وأودعته السجن تريد الاعتذار مما كان منها ان كل نفس لأمارة بالسوء الا ما رحم ربي الا نفسا رحمها الله بالعصمة كنفس يوسف (ان ربي غفور رحيم) استغفرت ربها واسترحمته مما ارتكبت (فان قلت) كيف صح أن يجعل من كلام يوسف ولا دليل على ذلك (قلت) كفى بالمعنى دليلا قائدا الى أن يجعل من كلامه ونحوه قوله قال الملأ من قوم فرعون ان هذا لساحر عليم يريد أن يخرجكم من أرضكم بسحره ثم قال فماذا تأمرون وهو من كلام فرعون يخاطبهم ويستشيرهم وعن ابن جريج هذا من تقديم القرآن وتأخيره ذهب الى أن ذلك ليعلم متصل بقوله فاسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن أيديهن ولقد لفقت المبطلة روايات مصنوعة فزعموا

ن يوسف حين قال انى لم أخنه بالغيب قال له جبريل ولا حين هممت بها وقالت له امرأة العزيز ولا حين
حللت تكة سراويلك يا يوسف وذلك لتهالكهم على بهت الله ورسله • يقال استخلصه واستخصه اذا جعله خالصا
لنفسه وخاصا به (فلما كلمه) وشاهد منه ما لم يحتسب (قال) أيها الصديق (انك اليوم لدينا مكين) ذو مكانة
ومنزلة (أمين) مؤتمن على كل شئ روى أن الرسول جاءه فقال أجب الملك فخرج من السجن ودعا لاهله اللهم
عطف عليهم قلوب الاخيار ولا تعم عليهم الاخبار فهم أعلم الناس بالاخبار فى الواقعات وكتب على باب السجن
هذه منازل البلوى وقبور الاحياء وشماتة الاعداء وتجربة الاصدقاء ثم اغتسل وتنظف من درن السجن
ولبس ثيابا جددا فلما دخل على الملك قال اللهم انى أسألك بخيرك من خيره وأعوذ بعزتك وقدرتك من شره
ثم سلم عليه ودعا له بالعبرانية فقال ما هذا اللسان قال لسان آبائى وكان الملك يتكلم بسبعين لسانا فكلمه بها
فأجابه بجميعها فتعجب منه وقال أيها الصديق انى أحب أن أسمع رؤياى منك فقال رأيت بقرات فوصف
لونهن وأحوالهن ومكان خروجهن ووصف السنبل وما كان منها على الهيئة التى رآها الملك لا يخرم منها حرفا
وقال له من حقك أن تجمع الطعام فى الاهراء فيأتيك الخلق من النواحى يمتارون منك ويجتمع لك من الكنوز
ما لم يجتمع لاحد قبلك (قال اجعلنى على خزائن الارض) ولنى خزائن أرضك (انى حفيظ عليم) أمين أحفظ
ما تستحفظنيه عالم بوجوه التصرف وصف نفسه بالامانة والكفاية اللتين هما طلبة الملوك ممن يولونه وانما قال
ذلك ليتوصل الى امضاء أحكام الله تعالى واقامة الحق وبسط العدل والتمكن مما لاجله تبعث الانبياء الى
العباد ولعلمه أن أحدا غيره لا يقوم مقامه فى ذلك فطلب التولية ابتغاء وجه الله لا لحب الملك والدنيا وعن
النبى صلى الله عليه وسلم رحم الله أخى يوسف لو لم يقل اجعلنى على خزائن الارض لاستعمله من ساعته ولكنه
أخر ذلك سنة (فان قلت) كيف جاز أن يتولى عملا من يد كافر ويكون تبعا له وتحت أمره وطاعته (قلت) روى
مجاهد أنه كان قد أسلم وعن قتادة هو دليل على أنه يجوز أن يتولى الانسان عملا من يد سلطان جائر وقد كان
السلف يتولون القضاء من جهة البغاة ويرونه واذا علم النبى أو العالم أنه لا سبيل الى الحكم بأمر الله ودفع الظلم
الا بتمكين الملك الكافر أو الفاسق فله أن يستظهر به وقيل كان الملك يصدر عن رأيه ولا يعترض عليه فى كل
ما رأى فكان فى حكم التابع له والمطيع (وكذلك) ومثل ذلك التمكين الظاهر (مكنا ليوسف) فى أرض مصر
روى أنها كانت أربعين فرسخا فى أربعين (يتبوأ منها حيث يشاء) قرئ بالنون والياء أى كل مكان أراد أن
يتخذه منزلا ومتبوأ له لم يمنع منه لاستيلائه على جميعها ودخوله تحت ملكه وسلطانه روى أن الملك توجه
وختمه بخاتمه ورداه بسيفه ووضع له سريرا من ذهب مكللا بالدر والياقوت وروى أنه قال له أما السرير فأشد
به ملكك وأما الخاتم فأدبر به أمرك وأما التاج فليس من لباسى ولا لباس آبائى فقال قد وضعته اجلالا لك
واقرارا بفضلك فجلس على السرير ودانت له الملوك وفوض الملك اليه أمره وعزل قطفير ثم مات بعد فزوجه
الملك امرأته زليخا فلما دخل عليها قال أليس هذا خيرا مما طلبت فوجدها عذراء وولدت له ولدين افرائيم
وميشا وأقام العدل بمصر وأحبته الرجال والنساء وأسلم على يديه الملك وكثير من الناس وباع من أهل مصر
فى سنى القحط الطعام بالدنانير والدراهم فى السنة الاولى حتى لم يبق معهم شئ منها ثم بالحلى والجواهر ثم
بالدواب ثم بالضياع والعقار ثم برقابهم حتى استرقهم جميعا فقالوا والله ما رأينا كاليوم ملكا أجل ولا أعظم منه
فقال للملك كيف رأيت صنع الله بى فيما خولنى فما ترى قال الرأى رأيك قال فانى أشهد الله وأشهدك انى
أعتقت أهل مصر عن آخرهم ورددت عليهم أملاكهم وكان لا يبيع من أحد من الممتارين أكثر من حمل
بعير تقسيطا بين الناس • وأصاب أرض كنعان وبلاد الشام نحو ما أصاب أرض مصر وأرسل يعقوب بنيه
ليمتاروا واحتبس بنيامين (نصيب برحمتنا) بعطائنا فى الدنيا من الملك والغنى وغيرهما من النعم (من نشاء) من
اقتضت الحكمة أن نشاء له ذلك (ولا نضيع أجر المحسنين) أن نأجرهم فى الدنيا (ولأجر الآخرة خير) لهم
قال سفيان بن عيينة المؤمن يثاب على حسناته فى الدنيا والآخرة والفاجر يعجل له الخير فى الدنيا وماله فى

الآخرة

فلما كلمه قال انك اليوم
لدينا مكين أمين قال
اجعلنى على خزائن
الارض انى حفيظ عليم
وكذلك مكنا ليوسف
فى الارض يتبوأ منها
حيث يشاء نصيب
برحمتنا من نشاء ولا
نضيع أجر المحسنين
ولأجر الآخرة خير
للذين آمنوا وكانوا
يتقون وجاء اخوة
يوسف فدخلوا عليه
فعرفهم وهم له منكرون

الآخرة من خلاق ولا هذه الآية * لم يعرفوه لطول العهد ومفارقته إياهم في سن الحداثة ولاعتقادهم أنه قد هلك ولذهابه عن أوهامهم لقلة فكرهم فيه واهتمامهم بشأنه ولبعد حاله التي بلغها من الملك والسلطان عن حاله التي فارقوه عليها طريحاً في البئر مشرياً بدراهم معدودة حتى لو تخيل لهم أنه هو لكذبوا أنفسهم وظنونهم ولأن الملك مما يبدل الزي ويلبس صاحبه من التهيب والاستعظام ما ينكر له المعروف وقيل رأوه على زي فرعون عليه ثياب الحرير جالساً على سرير في عنقه طوق من ذهب وعلى رأسه تاج فما خطر ببالهم أنه هو وقيل ما رأوه إلا من بعيد بينهم وبينه مسافة وحجاب وما وقفوا إلا حيث يقف طلاب الحوائج وإنما عرفهم لأنه فارقهم وهم رجال ورأى زيهم قريباً من زيهم إذ ذاك ولأن همته كانت معقودة بهم وبمعرفتهم فكان يتأمل ويتفطن وعن الحسن ما عرفهم حتى تعرفوا له (ولما جهزهم بجهازهم) أي أصلحهم بعدتهم وهي عدة السفر من الزاد وما يحتاج إليه المسافرون وأوقر ركائبهم بما جاؤا له من الميرة وقرئ بجهازهم بكسر الجيم (قال ائتوني بأخ لكم من أبيكم) لا بد من مقدمة سبقت له معهم حتى اجتر القول هذه المسألة روي أنه لما رآهم وكلموه بالعبرانية قال لهم أخبروني من أنتم وما شأنكم فإني أنكركم قالوا نحن قوم من أهل الشام رعاة أصابنا الجهد فجئنا نمتار فقال لعلكم جئتم عيوناً تنظرون عورة بلادي قالوا معاذ الله نحن إخوة بنو أب واحد وهو شيخ صديق نبي من الأنبياء اسمه يعقوب قال كم أنتم قالوا كنا اثني عشر فهلك منا واحد قال وكم أنتم هاهنا قالوا عشرة قال فأين الأخ الحادي عشر قالوا هو عند أبيه يتسلى به من الهالك قال فمن يشهد لكم أنكم لستم عيوناً وأن الذي تقولون حق قالوا إنا ببلاد لا يعرفنا فيها أحد فيشهد لنا قال فدعوا بعضكم عندي رهينة وائتوني بأخيكم من أبيكم وهو يحمل رسالة من أبيكم حتى أصدقكم فاقترعوا بينهم فأصابت القرعة شمعون وكان أحسنهم رأياً في يوسف فخلفوه عنده وكان قد أحسن إنزالهم وضيافتهم (ولا تقربون) فيه وجهان أحدهما أن يكون داخلاً في حكم الجزاء مجزوماً عطفاً على محل قوله فلا كيل لكم كأنه قيل فإن لم تأتوني به تحرموا ولا تقربوا وأن يكون بمعنى النهي (سنراود عنه أباه) سنخادعه عنه ونجتهد ونحتال حتى ننتزعه من يده (وإنا لفاعلون) وإنا لقادرون على ذلك لا نتعايا به أو وإنا لفاعلون ذلك لا محالة لا نفرط فيه ولا نتوانى (لفتيته) وقرئ لفتيانه وهما جمع فتى كالإخوة والإخوان في أخ وفعلة للقلة وفعلان للكثرة أي لغلمانه الكيالين (لعلهم يعرفونها) لعلهم يعرفون حق ردها وحق التكرم بإعطاء البدلين (إذا انقلبوا إلى أهلهم) وفرغوا ظروفهم (لعلهم يرجعون) لعل معرفتهم بذلك تدعوهم إلى الرجوع إلينا وكانت بضاعتهم النعال والأدم وقيل تخوف أن لا يكون عند أبيه من المتاع ما يرجعون به وقيل لم ير من الكرم أن يأخذ من أبيه وإخوته ثمناً وقيل علم أن ديانتهم تحملهم على رد البضاعة لا يستحلون إمساكها فيرجعون لأجلها وقيل معنى لعلهم يرجعون لعلهم يردونها (منع منا الكيل) يريدون قول يوسف فإن لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي لأنهم إذا أنذروا بمنع الكيل فقد منع الكيل (نكتل) نرفع المانع من الكيل ونكتل من الطعام ما نحتاج إليه وقرئ يكتل بمعنى يكتل أخونا فينضم اكتياله إلى اكتيالنا أو يكن سبباً للاكتيال فإن امتناعه بسببه (هل آمنكم عليه) يريد أنكم قلتم في يوسف وإنا له لحافظون كما تقولونه في أخيه ثم خنتم بضمانكم فما يؤمنني من مثل ذلك ثم قال (فالله خير حافظا) فتوكل على الله فيه ودفعه إليهم وحافظاً تمييز كقولك هو خيرهم رجلاً ولله دره فارساً ويجوز أن يكون حالاً وقرئ حفظاً وقرأ الأعمش فالله خير حافظ وقرأ أبو هريرة خير الحافظين (وهو أرحم الراحمين) فأرجو أن ينعم علي بحفظه ولا يجمع علي مصيبتين * وقرئ ردت إلينا بالكسر على أن كسرة الدال المدغمة نقلت إلى الراء كما في قيل وبيع وحكى قطرب ضرب زيد على نقل كسرة الراء فيمن سكنها إلى الضاد (ما نبغي) للنفي أي ما نبغي في القول وما نتزيد فيما وصفنا لك من إحسان الملك إلينا وإكرامه وكانوا قالوا له إنا قدمنا على خير رجل أنزلنا وأكرمنا كرامة لو كان رجلاً من آل يعقوب ما أكرمنا كرامته أو ما نبتغي شيئاً وراء ما فعل بنا من الإحسان أو على الاستفهام بمعنى أي شيء نطلب وراء هذا وفي قراءة ابن مسعود ما تبغي بالتاء على مخاطبة يعقوب معناه أي شيء تطلب وراء هذا من الإحسان أو من الشاهد على صدقنا وقيل معناه ما نريد

ولما جهزهم بجهازهم قال ائتوني بأخ لكم من أبيكم ألا ترون أني أوف الكيل وأنا خير المنزلين فإن لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي ولا تقربون قالوا سنراود عنه أباه وإنا لفاعلون وقال لفتيانه اجعلوا بضاعتهم في رحالهم لعلهم يعرفونها إذا انقلبوا إلى أهلهم لعلهم يرجعون فلما رجعوا إلى أبيهم قالوا يا أبانا منع منا الكيل فأرسل معنا أخانا نكتل وإنا له لحافظون قال هل آمنكم عليه إلا كما أمنتكم على أخيه من قبل فالله خير حافظا وهو أرحم الراحمين ولما فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم ردت إليهم قالوا يا أبانا ما نبغي

* قوله تعالى وجاء إخوة يوسف فدخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون (قال إنما أنكروه لبعد العهد وتغير الصورة الخ) قال أحمد وتوارد الفاءين في دخولهم عليه ومعرفته إياهم عند ذلك تدل على أن مجرد دخولهم عليه استعقبته المعرفة بلا مهلة والله أعلم

* قوله تعالى قال لن أرسله معكم حتى تؤتون موثقا من الله (قال معناه أن إرساله معكم مناف الخ) قال أحمد لن للنفي المؤكد وما قول الزمخشري في المنافاة له وجه وراء ذلك غرض لعب يطلع عليه من قبل كلامه عليها وذلك أنه اعتقد في إحالة الرؤية على الله تعالى على أن قوله تعالى لن تراني معناه أن الرؤية منافية لحالي وحمل هذه المنافاة من مقتضى لن ثم زعم ذلك في هذه اللفظة حيثما وقعت كل ذلك لتمرن الأذهان على أن هذه مقتضى لن وقد سبق وجه الرد عليه في ذلك عند كلامه * (قال وقوله لتأتنني به إلا أن يحاط بكم معناه إلا أن تغلبوا فلا تطيقوا الإتيان الخ) قال أحمد وأخص هذا النوع من الاستثناء بالنفي لأن المستثنى منه مسكوت عنه والنفي عام إذ يلزم من نفي الإتيان مثلا نفي جميع العوارض اللاحقة به ضرورة فكأنه لعمومه مقرون بذكر المستثنى منه ولا كذلك الإتيان فإنه لا إشعار له بعموم الأحوال لأنه لا يتوقف إلا على أحدها والله أعلم ولقد صدقت هذه القصة المثل السائر وهو قولهم البلاء موكل بالمنطق فإن يعقوب عليه السلام قال أولا في حق يوسف وأخاف أن يأكله الذئب فابتلي من ناحية هذا القول وقال ههنا ثانيا إلا أن يحاط بكم أي تغلبوا عليه فابتلي أيضا بذلك وأحيط بهم وغلبوا عليه

هذه بضاعتنا ردت إلينا ونمير أهلنا ونحفظ أخانا ونزداد كيل بعير ذلك كيل يسير قال لن أرسله معكم حتى تؤتون موثقا من الله لتأتنني به إلا أن يحاط بكم فلما آتوه موثقهم قال الله على ما نقول وكيل وقال يا بني لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من أبواب متفرقة وما أغني عنكم من الله من شيء

ملك بضاعة أخرى وقوله (هذه بضاعتنا ردت إلينا) جملة مستأنفة موضحة لقوله ما نبغي والجمل بعدها معطوفة عليها على معنى أن بضاعتنا ردت إلينا فنستظهر بها (ونمير أهلنا) في رجوعنا إلى الملك (ونحفظ أخانا) فما يصيبه شيء مما نخافه ونزداد باستصحاب أخينا وسق بعير زائد على أوسق أباعرنا فأي شيء نبتغي وراء هذه المباغي التي نستصلح بها أحوالنا ونوسع ذات أيدينا وقالوا (ونزداد كيل بعير) لما ذكرنا أنه كان لا يزيد للرجل على حمل بعير للتقسيط (فإن قلت) هذا إذا فسرت البغي بالطلب فأما إذا فسرته بالكذب والتزيد في القول كانت الجملة الأولى وهي قوله هذه بضاعتنا ردت إلينا بيانا لصدقهم وانتفاء التزيد عن قولهم فما تصنع بالجمل البواقي (قلت) أعطفها على قوله ما نبغي على معنى لا نبغي فيما نقول ونمير أهلنا ونفعل كيت وكيت ويجوز أن يكون كلاما مبتدأ كقولك وينبغي أن نمير أهلنا كما تقول سعيت في حاجة فلان واجتهدت في تحصيل غرضه ويجب أن أسعى وينبغي لي أن لا أقصر ويجوز أن يراد ما نبغي وما ننطق إلا بالصواب فيما نشير به عليك من تجهيزنا مع أخينا ثم قالوا هذه بضاعتنا نستظهر بها ونمير أهلنا ونفعل ونصنع بيانا لأنهم لا يبغون في رأيهم وأنهم مصيبون فيه وهو وجه حسن واضح (ذلك كيل يسير) أي ذلك مكيل قليل لا يكفينا يعنون ما يكال لهم فأرادوا أن يزدادوا إليه ما يكال لأخيهم أو يكون ذلك إشارة إلى كيل بعير أي ذلك الكيل شيء قليل يجيبنا إليه الملك ولا يضايقنا فيه أو سهل عليه متيسر لا يتعاظمه ويجوز أن يكون من كلام يعقوب وأن حمل بعير واحد شيء يسير لا يخاطر لمثله بالولد كقوله ذلك ليعلم (لن أرسله معكم) مناف لحالي وقد رأيت منكم ما رأيت إرساله معكم (حتى تؤتون موثقا من الله) حتى تعطوني ما أتوثق به من عند الله أراد أن يحلفوا له بالله وإنما جعل الحلف بالله موثقا منه لأن الحلف به مما تؤكد به العهود وتشدد وقد أذن الله في ذلك فهو إذن منه (لتأتنني به) جواب اليمين لأن المعنى حتى تحلفوا لتأتنني به (إلا أن يحاط بكم) إلا أن تغلبوا فلم تطيقوا الإتيان به أو إلا أن تهلكوا (فإن قلت) أخبرني عن حقيقة هذا الاستثناء ففيه إشكال (قلت) أن يحاط بكم مفعول له والكلام المثبت الذي هو قوله لتأتنني به في تأويل النفي معناه لا تمتنعون من الإتيان به إلا للإحاطة بكم أي لا تمتنعون منه لعلة من العلل إلا لعلة واحدة وهي أن يحاط بكم فهو استثناء من أعم العام في المفعول له والاستثناء من أعم العام لا يكون إلا في النفي وحده فلا بد من تأويله بالنفي ونظيره من الإثبات المتأول بمعنى النفي قولهم أقسمت بالله لما فعلت وإلا فعلت تريد ما أطلب منك إلا الفعل (على ما نقول) من طلب الموثق وإعطائه (وكيل) رقيب مطلع وإنما نهاهم أن يدخلوا من باب واحد لأنهم كانوا ذوي بهاء وشارة حسنة اشتهرهم أهل مصر بالقربة عند الملك والتكرمة الخاصة التي لم تكن لغيرهم فكانوا مظنة لطموح الأبصار إليهم من بين الوفود وأن يشار إليهم بالأصابع ويقال هؤلاء أضياف الملك انظروا إليهم ما أحسنهم من فتيان وما أحقهم بالإكرام لأمر ما أكرمهم الملك وقربهم وفضلهم على الوافدين عليه فخاف لذلك أن يدخلوا كوكبة واحدة فيعانوا لجمالهم وجلالة أمرهم في الصدور فيصيبهم ما يسوءهم ولذلك لم يوصهم بالتفرق في الكرة الأولى لأنهم كانوا مجهولين مغمورين بين الناس (فإن قلت) هل للإصابة بالعين وجه تصح عليه (قلت) يجوز أن يحدث الله عز وجل عند النظر إلى الشيء والإعجاب به نقصانا فيه وخللا من بعض الوجوه ويكون ذلك ابتلاء من الله وامتحانا منه لعباده ليتميز المحققون من أهل الحشو فيقول المحقق هذا فعل الله ويقول الحشوي هو أثر العين كما قال تعالى وما جعلنا عدتهم إلا فتنة للذين كفروا الآية وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يعوذ الحسن والحسين فيقول أعيذكما بكلمات الله التامة من كل عين لامة ومن كل شيطان وهامة (وما أغني عنكم من الله من شيء) يعني إن أراد الله بكم سوءا لم ينفعكم ولم يدفع عنكم ما أشرت به عليكم من

السرق وهو مصيبكم لا محالة (ان الحكم الا لله) ثم قال (ولما دخلوا من حيث أمرهم أبوهم) أي متفرقين (ما كان يغني عنهم) رأي يعقوب ودخولهم متفرقين شيأ قط حيث أصابهم ما ساءهم مع تفرقهم من اضافة السرقة اليهم وافتضاحهم بذلك وأخذ أخيهم بوجدان الصواع في رحله وتضاعف المصيبة على أبيهم (الا حاجة) استثناء منقطع على معنى ولكن حاجة (في نفس يعقوب قضاها) وهي شفقته عليهم واظهارها بما قاله لهم ووصاهم به (وانه لذو علم) يعني قوله وما أغني عنكم وعلمه بأن القدر لا يغني عنه الحذر (آوى اليه أخاه) ضم اليه بنيامين وروي انهم قالوا له هذا أخونا قد جئناك به فقال لهم أحسنتم وأصبتم وستجدون ذلك عندي فأنزلهم وأكرمهم ثم أضافهم وأجلس كل اثنين منهم على مائدة فبقي بنيامين وحده فبكى وقال لو كان أخي يوسف حيا لأجلسني معه فقال يوسف بقي أخوكم وحيدا فأجلسه معه على مائدته وجعل يواكله وقال أنتم عشرة فلينزل كل اثنين منكم بيتا وهذا لا ثاني له فيكون معي فبات يوسف يضمه اليه ويشم رائحته حتى أصبح وسأله عن ولده فقال لي عشرة بنين اشتققت أسماءهم من اسم أخ لي هالك فقال له أتحب أن أكون أخاك بدل أخيك الهالك قال من يجد أخا مثلك ولكن لم يلدك يعقوب ولا راحيل فبكى يوسف وقام اليه وعانقه وقال له (اني أنا أخوك) يوسف (فلا تبتئس) فلا تحزن (بما كانوا يعملون) بنا فيما مضى فان الله قد أحسن الينا وجمعنا على خير ولا تعلمهم بما أعلمتك وعن ابن عباس تعرف اليه وعن وهب لم يقل له اني أخوك بل أخوك بدل أخيك المفقود فلا تبتئس بما كنت تلقى منهم من الحسد والأذى فقد أمنتهم وروي انه قال له فأنا لا أفارقك قال قد علمت اغتمام والدي بي فاذا حبستك ازداد غمه ولا سبيل الى ذلك الا أن أنسبك الى ما لا يجمل قال لا أبالي فافعل ما بدا لك قال فاني أدس صاعي في رحلك ثم أنادي عليك بأنك قد سرقته ليتهيأ لي ردك بعد تسريحك معهم قال افعل (فلما جهزهم بجهازهم جعل السقاية) مشربة يسقى بها وهي الصواع قيل كان يسقى بها الملك ثم جعلت صاعا يكال به وقيل كانت الدواب تسقى بها ويكال بها وقيل كانت اناء مستطيلا يشبه المكوك وقيل هي المكوك الفارسي الذي يلتقي طرفاه تشرب به الأعاجم وقيل كانت من فضة مموهة بالذهب وقيل كانت من ذهب وقيل كانت مرصعة بالجواهر (ثم أذن مؤذن) ثم نادى مناد يقال آذنه أعلمه وأذن أكثر الاعلام ومنه المؤذن لكثرة ذلك منه روي انهم ارتحلوا وأمهلهم يوسف حتى انطلقوا ثم أمر بهم فأدركوا وحبسوا ثم قيل لهم ذلك * والعير الابل التي عليها الأحمال لأنها تعير أي تذهب وتجيء وقيل هي قافلة الحمير ثم كثر حتى قيل لكل قافلة عير كأنها جمع عير وأصلها فعل كسقف وسقف فعل به ما فعل ببيض وعيد والمراد أصحاب العير كقوله يا خيل الله اركبي * وقرأ ابن مسعود وجعل السقاية على حذف جواب لما كأنه قيل فلما جهزهم بجهازهم وجعل السقاية في رحل أخيه أمهلهم حتى انطلقوا ثم أذن مؤذن * وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي تفقدون من أفقدته اذا وجدته فقيدا * وقرئ صواع وصاع وصوع وصوع بفتح الصاد وضمها والعين معجمة وغير معجمة (وأنا به زعيم) يقوله المؤذن يريد وأنا بحمل البعير كفيل أؤديه الى من جاء به وأراد وسق بعير من طعام جعلا لمن حصله (تالله) قسم فيه معنى التعجب مما أضيف اليهم وانما قالوا لقد علمتم فاستشهدوا بعلمهم لما ثبت عندهم من دلائل دينهم وأمانتهم في كرتي مجيئهم ومداخلتهم للملك ولأنهم دخلوا وأفواه رواحلهم مكعومة لئلا تتناول زرعا أو طعاما لأحد من أهل السوق ولأنهم ردوا بضاعتهم التي وجدوها في رحالهم (وما كنا سارقين) وما كنا قط نوصف بالسرقة وهي منافية لحالنا (قالوا فما جزاؤه) الضمير للصواع أي فما جزاء سرقته (ان كنتم كاذبين) في جحودكم وادعائكم البراءة منه (قالوا جزاؤه من وجد في رحله) أي جزاء سرقته أخذ من وجد في رحله وكان حكم السارق في آل يعقوب أن يسترق سنة فلذلك استفتوا في جزائه وقولهم (فهو جزاؤه) تقرير للحكم أي فأخذ السارق نفسه هو جزاؤه لا غير كقولك حق زيد أن يكسى ويطعم وينعم عليه فذلك حقه أي فهو حقه لتقرر ما ذكرته من استحقاقه وتلزمه ويجوز أن يكون جزاؤه مبتدأ والجملة الشرطية كما هي خبره على اقامة الظاهر فيها مقام المضمر والأصل جزاؤه من وجد في رحله فهو هو فوضع الجزاء موضع هو كما تقول لصاحبك من أخو زيد فيقول لك أخوه من يقعد الى جنبه فهو هو

ان الحكم الا لله عليه توكلت وعليه فليتوكل المتوكلون ولما دخلوا من حيث أمرهم أبوهم ما كان يغني عنهم من الله من شيء الا حاجة في نفس يعقوب قضاها وانه لذو علم لما علمناه ولكن أكثر الناس لا يعلمون ولما دخلوا على يوسف آوى اليه أخاه قال اني أنا أخوك فلا تبتئس بما كانوا يعملون فلما جهزهم بجهازهم جعل السقاية في رحل أخيه ثم أذن مؤذن أيتها العير انكم لسارقون قالوا وأقبلوا عليهم ماذا تفقدون قالوا نفقد صواع الملك ولمن جاء به حمل بعير وأنا به زعيم قالوا تالله لقد علمتم ما جئنا لنفسد في الأرض وما كنا سارقين قالوا فما جزاؤه ان كنتم كاذبين قالوا جزاؤه من وجد في رحله فهو جزاؤه كذلك نجزي الظالمين

يرجع الضمير الأول الى من والثاني الى الجزاء ثم تقول فهو جزاؤه فيقع الظاهر مقام المضمر ويحتمل أن يكون جزاؤه خبر مبتدأ محذوف أي المسؤول عنه جزاؤه ثم أفتوا بقولهم من وجد في رحله فهو جزاؤه كما يقول من يستفتي في جزاء صيد المحرم جزاء صيد المحرم ثم يقول ومن قتله منكم متعمدا فجزاء مثل ما قتل من النعم (فبدأ بأوعيتهم) قيل قال لهم من وكل بهم لا بد من تفتيش أوعيتكم فانصرف بهم الى يوسف فبدأ بتفتيش أوعيتهم قبل وعاء بنيامين لنفي التهمة حتى بلغ وعاءه فقال ما أظن هذا أخذ شيئا فقالوا والله لا نتركه حتى تنظر في رحله فانه أطيب لنفسك وأنفسنا فاستخرجوه منه • وقرأ الحسن وعاء أخيه بضم الواو وهي لغة وقرأ سعيد بن جبير إعاء أخيه بقلب الواو همزة (ثم استخرجها) ذكر ضمير الصواع مرات ثم أنثه (فان قلت) قالوا رجع بالتأنيث على السقاية أو أنث الصواع لأنه يذكر ويؤنث ولعل يوسف كان يسميه سقاية وعبيده صواعا فقد وقع فيما يتصل به من الكلام سقاية وفيما يتصل بهم منه صواعا (كذلك كدنا) مثل ذلك الكيد العظيم كدنا (ليوسف) يعني علمناه اياه وأوحينا به اليه (ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك) تفسير للكيد وبيان له لأنه كان في دين ملك مصر وما كان يحكم به في السارق أن يغرم مثلي ما أخذ لا أن يلزم ويستعبد (الا أن يشاء الله) أي ما كان يأخذه الا بمشيئة الله واذنه فيه (نرفع درجات من نشاء) في العلم كما رفعنا درجة يوسف فيه وقرئ يرفع بالياء ودرجات بالتنوين (وفوق كل ذي علم عليم) فوقه أرفع درجة منه في علمه أو وفوق العلماء كلهم عليم هم دونه في العلم وهو الله عز وعلا (فان قلت) ما أذن الله فيه يجب أن يكون حسنا فأي وجه حسن لهذا الكيد وما هو الا بهتان وتسريق لمن لم يسرق وتكذيب لمن لم يكذب وهو قوله انكم لسارقون فما جزاؤه ان كنتم كاذبين (قلت) هو في صورة البهتان وليس ببهتان في الحقيقة لأن قوله انكم لسارقون تورية عما جرى مجرى السرقة من فعلهم بيوسف وقيل كان ذلك القول من المؤذن لا من يوسف وقوله ان كنتم كاذبين فرض لانتفاء براءتهم وفرض التكذيب لا يكون تكذيبا على أنه لو صرح لهم بالتكذيب كما صرح لهم بالتسريق لكان له وجه لأنهم كانوا كاذبين في قولهم وتركنا يوسف عند متاعنا فأكله الذئب هذا وحكم هذا الكيد حكم الحيل الشرعية التي يتوصل بها الى مصالح ومنافع دينية كقوله تعالى لأيوب عليه السلام وخذ بيدك ضغثا ليتخلص من جلده ولا يحنث وكقول ابراهيم عليه السلام هي أختي لتسلم من يد الكافر وما الشرائع كلها الا مصالح وطرق الى التخلص من الوقوع في المفاسد وقد علم الله تعالى في هذه الحيلة التي لقنها يوسف مصالح عظيمة فجعلها سلما وذريعة اليها فكانت حسنة جميلة وانزاحت عنها وجوه القبح لما ذكرنا (أخ له) أرادوا يوسف روي أنهم لما استخرجوا الصاع من رحل بنيامين نكس اخوته رؤسهم حياء وأقبلوا عليه وقالوا له ما الذي صنعت فضحتنا وسودت وجوهنا يا بني راحيل ما يزال لنا منكم بلاء متى أخذت هذا الصاع فقال بنو راحيل الذين لا يزال منكم عليهم البلاء ذهبتم بأخي فأهلكتموه ووضع هذا الصواع في رحلي الذي وضع البضاعة في رحالكم • واختلف فيما أضافوا الى يوسف من السرقة فقيل كان أخذ في صباه صنما لجده أبي أمه فكسره وألقاه بين الجيف في الطريق وقيل دخل كنيسة فأخذ تمثالا صغيرا من ذهب كانوا يعبدونه فدفنه وقيل كانت في المنزل عناق أو دجاجة فأعطاها السائل وقيل كانت لابراهيم عليه السلام منطقة يتوارثها أكابر ولده فورثها اسحق ثم وقعت الى ابنته وكانت أكبر أولاده فحضنت يوسف وهي عمته بعد وفاة أمه وكانت لا تصبر عنه فلما شب أراد يعقوب أن ينتزعه منها فعمدت الى المنطقة فحزمتها على يوسف تحت ثيابه وقالت فقدت منطقة اسحق فانظروا من أخذها فوجدوها محزومة على يوسف فقالت انه لي سلم أفعل به ما شئت فخلاه يعقوب عندها حتى ماتت (فأسرها) أضمر على شريطة التفسير تفسيره (أنتم شر مكانا) وانما أنث لأن قوله أنتم شر مكانا جملة أو كلمة على تسميتهم الطائفة من الكلام كلمة كأنه قيل فأسر الجملة أو الكلمة التي هي قوله أنتم شر مكانا والمعنى قال في نفسه أنتم شر مكانا لأن قوله قال أنتم شر مكانا بدل من أسرها وفي قراءة ابن مسعود فأسره على التذكير يريد القول أو الكلام ومعنى أنتم شر مكانا أنتم شر منزلة في السرق لأنكم سارقون بصحة لسرقتكم أخاكم من أبيكم (والله أعلم بما تصفون) يعلم أنه لم يصح لي ولا لأخي سرقة

فبدأ بأوعيتهم قبل وعاء أخيه ثم استخرجها من وعاء أخيه كذلك كدنا ليوسف ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك الا أن يشاء الله نرفع درجات من نشاء وفوق كل ذي علم عليم قالوا ان يسرق فقد سرق أخ له من قبل فأسرها يوسف في نفسه ولم يبدها لهم قال أنتم شر مكانا والله أعلم بما تصفون قالوا يا أيها العزيز ان له أبا شيخا كبيرا

* قوله تعالى وماشهدنا الابما علمنا وما كنا للغيب حافظين (قال معناه وما شهدنا عليه بالسرقة الابما علمناه من سرقته الخ) قال أحمد اما أن يكون مقتضى شرعهم حينئذ ان مجرد وجود الشئ بيد المدعى عليه بعد انكاره يوجب له أحكام السارق فيكون العلم على ظاهره اذا واما أن لا يكون كذلك فهذا القدر من مجرد وجوده في رحله لا يوجب علم كونه سارقا وغايته ان يفيد ظنا بينا فيكون المراد بالعلم ههنا الظن وقد ورد مثله ويكون قولهم وما كنا للغيب حافظين تنبيها على أن مستندهم فيما قالوه (٦٤١) ظن يقتضى ظاهر الحال وأما كشف باطن الامر الموجب للعلم فيدعوا يدعونه عليه * عاد كلامه (قال وقولهم وما كنا للغيب حافظين معناه وما علمنا انه سيسرق حين أعطيناك الموثق الخ)

قال معاذ الله أن نأخذ الا من وجدنا متاعنا عنده انا اذا لظالمون فلما استيأسوا منه خلصوا نجيا قال كبيرهم ألم تعلموا أن أباكم قد أخذ عليكم موثقا من الله ومن قبل ما فرطتم في يوسف فلن أبرح الارض حتى يأذن لى أبى أو يحكم الله لى وهو خير الحاكمين ارجعوا الى أبيكم فقولوا يا أبانا ان ابنك سرق وما شهدنا الا بما علمنا وما كنا للغيب حافظين واسئل القرية التى كنا فيها والعير التى أقبلنا فيها وانا لصادقون قال بل سولت لكم أنفسكم أمرا فصبر جميل عسى الله أن يأتينى

وليس الامر كما تصفون * استعطفوه بذكرهم اياه حق أبيهم يعقوب وانه شيخ كبير السن أو كبير القدر وأن بنيامين أحب اليه منهم وكانوا قد أخبروه بأن ولدا له قد هلك وهو عليه ثكلان وانه مستأنس بأخيه (فخذ أحدنا مكانه) فخذه بدله على وجه الاسترهان أو الاستعباد (انا نراك من المحسنين) الينا فأتمم احسانك أومن عادتك الاحسان فاجر على عادتك ولا تغيرها (معاذ الله) هو كلام موجه ظاهره انه وجب على قضية فتواكم أخذ من وجد الصواع في رحله واستعباده فلو أخذنا غيره كان ذلك ظلما في مذهبكم فلم تطلبون ما عرفتم أنه ظلم وباطنه أن الله أمرنى وأوحى الى بأخذ بنيامين واحتباسه لمصلحة أو لمصالح جمة علمها في ذلك فلو أخذت غير من أمرنى بأخذه كنت ظالما وعاملا على خلاف الوحى ومعنى معاذ الله (أن نأخذ) نعوذ بالله معاذا من أن نأخذ فأضيف المصدر الى المفعول به وحذف من و (اذا) جواب لهم وجزاء لان المعنى ان أخذنا بدله ظلمنا (استيأسوا) يئسوا وزيادة السين والتاء في المبالغة نحو ما مر في استعصم * والنجى على معنيين يكون بمعنى المناجى كالعشير والسمير بمعنى المعاشر والمسامر ومنه قوله تعالى وقربناه نجيا وبمعنى المصدر الذى هو التناجى كما قيل النجوى بمعناه ومنه قيل قوم نجى كما قيل واذ هم نجوى تنزيلا للمصدر منزلة الاوصاف ويجوز أن يقال هم نجى كما قيل هم صديق لانه بزنة المصادر وجمع أنجية قال * انى اذا ما القوم كانوا أنجيه * ومعنى (خلصوا) اعتزلوا وانفردوا عن الناس خالصين لا يخالطهم سواهم (نجيا) ذوى نجوى أو فوجا نجيا أى مناجيا لمناجاة بعضهم بعضا وأحسن منه أنهم تمحضوا تناجيا لاستجماعهم لذلك وافاضتهم فيه بجد واهتمام كأنهم في أنفسهم صورة التناجى وحقيقته وكان تناجيهم في تدبير أمرهم على أى صفة يذهبون وماذا يقولون لابيهم في شأن أخيهم كقوم تعايوا بما دهمهم من الخطب فاحتاجوا الى التشاور (كبيرهم) في السن وهو روبيل وقيل رئيسهم وهو شمعون وقيل كبيرهم في العقل والرأى وهو يهوذا (ما فرطتم في يوسف) فيه وجوه أن تكون ما صلة أى ومن قبل هذا قصرتم في شأن يوسف ولم تحفظوا عهد أبيكم وأن تكون مصدرية على أن محل المصدر الرفع على الابتداء وخبره الظرف وهو من قبل ومعناه ووقع من قبل تفريطكم في يوسف أو النصب عطفا على مفعول ألم تعلموا وهو أن أباكم كأنه قيل ألم تعلموا أخذ أبيكم عليكم موثقا وتفريطكم من قبل في يوسف وأن تكون موصولة بمعنى ومن قبل هذا ما فرطتموه أى قدمتموه في حق يوسف من الجناية العظيمة ومحله الرفع أو النصب على الوجهين (فلن أبرح الارض) فلن أفارق أرض مصر (حتى يأذن لى أبى) في الانصراف اليه (أو يحكم الله لى) بالخروج منها أو بالانتصاف ممن أخذ أخى أو بخلاصه من يده بسبب من الاسباب (وهو خير الحاكمين) لانه لا يحكم أبدا الا بالعدل والحق * وقرئ سرق أى نسب الى السرقة (وما شهدنا) عليه بالسرقة (الا بما علمنا) من سرقته وتيقناه لان الصواع استخرج من وعائه ولا شئ أبين من هذا (وما كنا للغيب حافظين) وما علمنا أنه سيسرق حين أعطيناك الموثق أو ما علمنا أنك تصاب به كما أصبت بيوسف ومن قرأ سرق فمعناه وما شهدنا الا قدر ما علمنا من التسريق وما كنا للغيب للامر الخفى حافظين أسرق بالصحة أم دس الصاع في رحله ولم يشعر (القرية التى كنا فيها) هى مصر أى أرسل الى أهلها فسلهم عن كنه القصة (والعير التى أقبلنا فيها) وأصحاب العير وكانوا قوما من كنعان من جيران يعقوب وقيل من أهل صنعاء * معناه فرجعوا الى أبيهم فقالوا له ما قال لهم أخوهم فـ(قال بل سولت لكم أنفسكم أمرا)

قال أحمد وانما تتمشى القراءتان على التأويل الذى ذكره وهو انهم عنوا بالعلم ما صاروا اليه في السرقة ظنا يقتضى ظاهر الحال واحترزوا من يعتقد انهم علموا ذلك حقيقة فقالوا وما كنا للغيب حافظين فالقراءتان على التأويل المذكور يقتضيان تبرؤهم من دعوى العلم الجازم عليه وأما على غيره من التأويلات المذكورة فلا تتمشى القراءتان لان مقتضى الاولى الجزم عليه بالسرقة على ومقتضى الثانية التبرى من الجزم والله أعلم

* قوله تعالى بل سولت لكم أنفسكم أمرا (قال معناه ان هذا شئ أردتموه الخ) قال أحمد وهذا من الزمخشري اسلاف جواب عن سؤال كان قائلا يقول هم في الوقعة الاولى سولت لهم أنفسهم أمرا بلا مراء وأما في هذه الوقعة الثانية فلم يتعمدوا في حق بنيامين سوأ ولا أخبروا أباهم الا بالواقع على جليته وما تركوه عصر الا مغلوبين عن استصحابه فما وجه قوله ثانيا بل سولت لكم أنفسكم أمرا كما قال لهم أولا واذا اورد السؤال على هذا التقرير (٦٤٢) فلا بد من زيد بسط في الجواب فنقول كانوا عند يعقوب عليه السلام حينئذ متهمين وهم قمن باتهامه لما أسلموه في حق يوسف عليه السلام وقامت عنده قرينة تؤكد التهمة وتقويها وهي أخذ الملك له في السرقة ولم يكن ذلك الا من دين يعقوب وحده لا من دين غيره من الناس ولا من عادتهم والى ذلك وقعت الاشارة بقوله تعالى

بهم جميعا انه هو العليم الحكيم وتولى عنهم وقال يا أسفى على يوسف وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم قالوا تالله تفتؤ تذكر يوسف حتى تكون

ارجعوه والالف أدرى. لك الرحل أن السارق يؤخذ بسرقته لولا فتواكم وتعليمكم (بهم جميعا) بيوسف وأخيه وروبيل أو غيره (انه هو العليم) بحالي في الحزن والأسف (الحكيم) الذي لم يبتلني بذلك الا لحكمة ومصلحة (وتولى عنهم) وأعرض عنهم كراهة لما جاؤا به (يا أسفى) أضاف الاسف وهو أشد الحزن والحسرة الى نفسه والالف بدل من ياء الاضافة والتجانس بين لفظتي الاسف ويوسف مما يقع مطبوعا غير متعمل فيملح ويبدع ونحوه اثاقلتم الى الارض أرضيتم وهم ينهون عنه وينأون عنه يحسبون أنهم يحسنون صنعا من باب ... وعن النبي صلى الله عليه وسلم لم تعط أمة من الامم انا لله وانا اليه راجعون عند المصيبة الا أمة محمد صلى الله عليه وسلم ألا ترى الى يعقوب حين أصابه ما أصابه لم يسترجع وانما قال يا أسفى (فان قلت) كيف تأسف على يوسف دون أخيه ودون الثالث والرزء الاحدث أشد على النفس وأظهر أثرا (قلت) هو دليل على تمادي أسفه على يوسف وانه لم يقع فائت عنده موقعه وان الرزء فيه مع تقادم عهده كان غضا عنده طريا * ولم تنسني أوفى المصيبات بعده * ولان الرزء في يوسف كان قاعدة مصيباته التي ترتبت عليها الرزايا في ولده فكان الاسف عليه أسفا على من لحق به (وابيضت عيناه) اذا كثر الاستعبار محقت العبرة سواد العين وقلبته الى بياض كدر قيل قد عمي بصره وقيل كان يدرك ادراكا ضعيفا * قرئ من الحزن ومن الحزن الحزن كان سبب البكاء الذي حدث منه البياض فكأنه حدث من الحزن قيل ما جفت عينا يعقوب من وقت فراق يوسف الى حين لقائه ثمانين عاما وما على وجه الارض أكرم على الله من يعقوب وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه سأل جبريل عليه السلام ما بلغ من وجد يعقوب على يوسف قال وجد سبعين ثكلى قال فما كان له من الاجر قال أجر مائة شهيد وما ساء ظنه بالله ساعة قط (فان قلت) كيف جاز لنبي الله أن يبلغ به الجزع ذلك المبلغ (قلت) الانسان مجبول على أن لا يملك نفسه عند الشدائد من الحزن ولذلك حمد صبره وأن يضبط نفسه حتى لا يخرج الى ما لا يحسن ولقد بكى رسول الله صلى الله عليه وسلم على ولده ابراهيم وقال القلب يجزع والعين تدمع ولا نقول ما يسخط الرب وانا عليك يا ابراهيم لمحزونون وانما الجزع المذموم ما يقع من الجهلة من الصياح والنياحة ولطم الصدور والوجوه وتمزيق الثياب وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه بكى على ولد بعض بناته وهو يجود بنفسه فقيل يا رسول الله تبكي وقد نهيتنا عن البكاء فقال ما نهيتكم عن البكاء وانما نهيتكم عن صوتين أحمقين صوت عند الفرح وصوت عند الترح وعن الحسن انه بكى على ولد أو غيره فقيل له في ذلك فقال ما رأيت الله جعل الحزن عارا على يعقوب (فهو كظيم) فهو مملوء من الغيظ على أولاده ولا يظهر ما يسوءهم فعيل بمعنى مفعول بدليل قوله وهو مكظوم من كظم السقاء اذا شده على ملئه والكظم بفتح الظاء مخرج النفس يقال أخذ بأكظامه (تفتؤ) أراد لا تفتؤ فحذف حرف النفي لانه لا يلتبس بالاثبات لانه لو كان اثباتا لم يكن بد من اللام والنون ونحوه * فقلت يمين الله أبرح قاعدا * ومعنى لا تفتؤ لا تزال وعن مجاهد لا تفتر من حبه كأنه جعل الفتوء والفتور أخوين يقال ما فتئ يفعل قال أوس

فما فتئت خيل تثوب وتدعي * ويلحق منها لاحق وتقطع

ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك الا أن يشاء الله تعالى على وجه اتهام يعقوب لهم فعلم ان الملك انما أخذ في ذلك بفتواهم له به وظن أنهم أفتوه بذلك بعد ظهور السرقة تعمدا ليتخلف أخوهم وكان الواقع انهم استفتوا من قبل أن يدعى عليهم السرقة فذكروا ما عندهم ولم يشعروا ان المقصود الزامهم بما قالوا وتمام من هو بحيث تتطرق التهمة اليه لا حرج عليه ... وصاحبها يرجع ... حرصا الى الولد من الولد ويحتمل والله أعلم أن يكون الوجه الذي سوغ له هذا القول في حقهم أنهم جعلوا مجرد وجود الصواع في رحل من وجد في رحله سرقة من غير أن يحيلوا الحكم على ثبوت كونه سارقا بوجه معلوم وهذا في شرعنا لا يثبت السرقة على من ادعيت عليه فان كان شرعهم مثل شرعنا في ذلك فقد عدوا اذ غير محررة وهو اشعار بأنهم كانوا حراصا على ثبوت السرقة عليه ويؤكد ذلك قولهم ان يسرق فقد سرق أخ له من قبل يؤكدون بذلك ثبوت السرقة عليه والله أعلم وقوله لهم بل سولت لكم أنفسكم أمرا واقع مكانه من حالهم وان كان شرعهم يقتضي ذلك مخالفا للشرع عاد العهدة على الجواب الاول والله المستعان

• قوله تعالى قال هل علمتم مافعلتم بيوسف وأخيه اذ أنتم جاهلون (قال أناهم من جهة الدين وكان حليما موفقا فكلمهم مستفهما عن معرفة وجه القبح الخ) قال أحمد وفى تلطفهم بقوله اذ أنتم جاهلون كالاعتذار عنهم لان فعل القبيح على جهل بقدر قبحه أسهل من فعله على علم وهم لو نصر وافى طرق الاعتذار لم يلفوا عذرا كهذا ألا ترى ان موسى عليه السلام لما اعتذر عن نفسه لم يزد على أن قال فعلتها اذا وأنا من الضالين وروى أنهم لما قالوا مسنا وأهلنا الضر وتضرعوا اليه ارفضت عيناه (٦٤٣) ثم قال هذا القول وقيل أدوا
اليه كتابا من يعقوب
اسرائيل الله بن اسحق
ذبيح الله بن ابراهيم
خليل الله الى عزيز مصر
أما بعد فانا أهل بيت
موكل بنا البلاء أما جدى
فشدت يداه ورجلاه
ورمى الى النار ليحرق
فجعلها الله عليه بردا
وسلاما وأما أبى فوضعت
المدية فى قفاه ليذبح
ففداه الله وأما أنا فكان لى ابن وكان أحب أولادى الى فذهب به اخوته الى البرية ثم أتونى بقميصه ملطخا بالدم وقالوا قد أكله الذئب فذهبت عيناى من بكائى عليه ثم كان لى ابن وكان أخاه من أمه وكنت أتسلى به فذهبوا به ثم رجعوا فقالوا انه سرق وانك حبسته لذلك وانا أهل بيت لا نسرق ولا نلد سارقا فان رددته على والا دعوت عليك دعوة تبلغ السابع من ولدك والسلام فلما قرأ الكتاب بكى وكتب الجواب اصبروا كما صبروا تظفروا كما ظفروا

حرضا أو تكون من
الهالكين قال انما
أشكو بثى وحزنى الى الله
وأعلم من الله مالا تعلمون
يا بنى اذهبوا فتحسسوا
من يوسف وأخيه ولا
تيأسوا من روح الله
انه لا ييأس من روح
الله الا القوم الكافرون
فلما دخلوا عليه قالوا
يا أيها العزيز مسنا وأهلنا
الضر وجئنا ببضاعة
مزجاة فأوف لنا الكيل
وتصدق علينا ان الله
يجزى المتصدقين قال
هل علمتم مافعلتم بيوسف
وأخيه اذ أنتم جاهلون
قالوا أئنك لأنت يوسف
قال أنا يوسف وهذا أخى
قد من الله علينا انه

(حرضا) مشفيا على الهلاك مرضا وأحرضه المرض ويستوى فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث لانه مصدر والصفة حرض بكسر الراء ونحوهما دنف ودنف وجاءت القراءة بهما جميعا وقرأ الحسن حرضا بضمتين ونحوه فى الصفات رجل جنب وغرب • البث أصعب الهم الذى لا يصبر عليه صاحبه فيبثه الى الناس أى ينشره ومنه باثه أمره وأبثه اياه ومعنى (انما أشكو) انى لا أشكو الى أحد منكم ومن غيركم انما أشكو الى ربى داعيا له وملتجئا اليه فخلونى وشكايتى وهذا معنى توليه عنهم أى فتولى عنهم الى الله والشكاية اليه وقيل دخل على يعقوب جار له فقال يا يعقوب قد تهشمت وفنيت ومابلغت من السن مابلغ أبوك فقال هشمنى وأفنانى ماابتلانى الله به من هم يوسف فأوحى الله اليه يا يعقوب أتشكونى الى خلقى قال يا رب خطيئة أخطأتها فاغفرلى فغفر له فكان بعد ذلك اذا سئل قال انما أشكو بثى وحزنى الى الله وروى انه أوحى الى يعقوب انما وجدت عليكم لانكم ذبحتم شاة فقام ببابكم مسكين فلم تطعموه وان أحب خلقى الى الأنبياء ثم المساكين فاصنع طعاما وادع عليه المساكين وقيل اشترى جارية مع ولدها فباع ولدها فبكت حتى عميت (وأعلم من الله مالا تعلمون) أى أعلم من صنعه ورحمته وحسن ظنى به انه يأتينى بالفرج من حيث لا أحتسب وروى انه رأى ملك الموت فى منامه فسأله هل قبضت روح يوسف فقال لا والله هو حى فاطلبه وقرأ الحسن وحزنى بفتحتين وحزنى بضمتين قتادة (فتحسسوا من يوسف وأخيه) فتعرفوا منهما وتطلبوا خبرهما وقرئ بالجيم كما قرئ بهما فى الحجرات وهما تفعل من الاحساس وهو المعرفة فالتحسس يعنى منهم الكفر ومن الحس وهو الطلب ومنه قالوا المشاعر والاحساس الحواس والجواس (من روح الله) من فرجه وتنفيسه وقرأ الحسن وقتادة من روح الله بالضم أى من رحمته التى يحيا بها العباد (الضر) الهزال من الشدة والجوع (مزجاة) مدفوعة يدفعها كل تاجر رغبة عنها واحتقارا لها من أزجيته اذا دفعته وطردته والريح تزجى السحاب قيل كانت من متاع الاعراب صوف وسمن وقيل الصنوبر وحبة الخضراء وقيل سويق المقل والاقط وقيل دراهم زيوف لا تؤخذ الا بوضيعة (فأوف لنا الكيل) الذى هو حقنا (وتصدق علينا) وتفضل علينا بالمسامحة والاغماض عن رداءة البضاعة أو زدنا على حقنا فسموا ما هو فضل وزيادة لا تلزمه صدقة لان الصدقات محظورة على الأنبياء وقيل كانت تحل لغير نبينا وسئل ابن عيينة عن ذلك فقال ألم تسمع وتصدق علينا أراد انها كانت حلالا لهم والظاهر انهم تمسكنوا له وطلبوا اليه أن يتصدق عليهم ومن ثم رق لهم وملكته الرحمة عليهم فلم يتمالك أن عرفهم نفسه وقوله (ان الله يجزى المتصدقين) شاهد لذلك لذكر الله وجزائه والصدقة العطية التى تبتغى بها المثوبة من الله ومنه قول الحسن لمن سمعه يقول اللهم تصدق على ان الله تعالى لا يتصدق انما يتصدق الذى يبتغى الثواب قل اللهم أعطنى أو تفضل على أو ارحمنى (قال هل علمتم) أتاهم من جهة الدين وكان حليما موفقا فكلمهم مستفهما عن معرفة وجه القبح الذى يجب أن يراعيه التائب فقال هل علمتم قبح (مافعلتم بيوسف وأخيه اذ أنتم جاهلون) لا تعلمون قبحه فلذلك أقدمتم عليه يعنى هل علمتم قبحه فتتبتم الى الله منه لان علم القبح يدعو الى الاستقباح والاستقباح يجر الى التوبة فكان كلامه شفقة عليهم وتنصحا لهم فى الدين لا معاتبة وتثريبا ايثارا لحق الله على حق نفسه فى ذلك المقام الذى يتنفس فيه المكروب وينفث المصدور ويتشفى المغيظ المحنق ويدرك ثأره الموتور فلله أخلاق الأنبياء

ما أوطأها وأصعبها وإنه حسب عقولهم ما أزرتهم أو أزعجها وقيل لم يرد نفي العلم عنهم لأنهم كانوا علماء ولكنهم لما لم يفعلوا ما يقتضيه العلم ولا يقدم عليه إلا جاهل سماهم جاهلين وقيل معناه إذ أنتم صبيان في حد السفه والطيش قبل أن تبلغوا أوان الحلم والرزانة وروى أنهم لما قالوا مسنا وأهلنا الضر وتضرعوا إليه ارفضت عيناه ثم قال هذا القول وقيل أدوا إليه كتاب يعقوب من يعقوب إسرائيل الله بن إسحق ذبيح الله بن إبراهيم خليل الله إلى عزيز مصر أما بعد فإنا أهل بيت موكل بنا البلاء أما جدي فشدت يداه ورجلاه ورمى به في النار ليحرق فنجاه الله وجعلت النار عليه بردا وسلاما وأما أبي فوضع السكين على قفاه ليقتل ففداه الله وأما أنا فكان لي ابن وكان أحب أولادي إلي فذهب به إخوته إلى البرية ثم أتوني بقميصه ملطخا بالدم وقالوا قد أكله الذئب فذهبت عيناي من بكائي عليه ثم كان لي ابن وكان أخاه من أمه وكنت أتسلى به فذهبوا به ثم رجعوا وقالوا إنه سرق وإنك حبسته لذلك وإنا أهل بيت لا نسرق ولا نلد سارقا فإن رددته علي وإلا دعوت عليك دعوة تدرك السابع من ولدك والسلام فلما قرأ يوسف الكتاب لم يتمالك وعيل صبره فقال لهم ذلك وروى أنه لما قرأ الكتاب بكى وكتب الجواب اصبر كما صبروا تظفر كما ظفروا (فإن قلت) ما فعلهم بأخيه (قلت) تعريضهم إياه للغم والثكل بإفراده عن أخيه لأبيه وأمه وجفاؤهم به حتى كان لا يستطيع أن يكلم أحدا منهم إلا كلام الذليل للعزيز وإيذاؤهم له بأنواع الأذى • قرئ أئنك على الاستفهام وإنك على الإيجاب وفي قراءة أبي أئنك أو أنت يوسف على معنى أئنك يوسف أو أنت يوسف فحذف الأول لدلالة الثاني عليه وهذا كلام متعجب مستغرب لما يسمع فهو يكرر الاستثبات (فإن قلت) كيف عرفوه (قلت) رأوا في روائه وشمائله حين كلمهم بذلك ما شعروا به أنه هو مع علمهم بأن ما خاطبهم به لا يصدر مثله إلا عن حنيف مسلم من سنخ إبراهيم لا عن بعض أعزاء مصر وقيل تبسم عند ذلك فعرفوه بثناياه وكانت كاللؤلؤ المنظوم وقيل ما عرفوه حتى رفع التاج عن رأسه فنظروا إلى علامة بقرنه كانت ليعقوب وسارة مثلها تشبه الشامة البيضاء (فإن قلت) قد سألوه عن نفسه فلم أجابهم عنها وعن أخيه (قلت) لأنه كان في ذكر أخيه بيان لما سألوه عنه (من يتق) من يخف الله وعقابه (ويصبر) عن المعاصي وعلى الطاعات (فإن الله لا يضيع أجرهم) فوضع المحسنين موضع الضمير لاشتماله على المتقين والصابرين (لقد آثرك الله علينا) أي فضلك علينا بالتقوى والصبر وسيرة المحسنين • وإن شأننا وحالنا أنا كنا خاطئين متعمدين للإثم لم نتق ولم نصبر لا جرم أن الله أعزك بالملك وأذلنا بالتمسكن بين يديك (لا تثريب عليكم) لا تأنيب عليكم ولا عتب وأصل التثريب من الثرب وهو الشحم الذي هو غاشية الكرش ومعناه إزالة الثرب كما أن التجليد والتقريع إزالة الجلد والقرع لأنه إذا ذهب كان ذلك غاية الهزال والعجف الذي ليس بعده فضرب مثلا للتقريع الذي يمزق الأعراض ويذهب بماء الوجوه (فإن قلت) بم تعلق اليوم (قلت) بالتثريب أو بالمقدر في عليكم من معنى الاستقرار أو بيغفر والمعنى لا أثربكم اليوم وهو اليوم الذي هو مظنة التثريب فما ظنكم بغيره من الأيام ثم ابتدأ فقال (يغفر الله لكم) فدعا لهم بمغفرة ما فرط منهم يقال غفر الله لك ويغفر الله لك على لفظ الماضي والمضارع جميعا ومنه قول المشمت يهديكم الله ويصلح بالكم أو اليوم يغفر الله لكم بشارة بعاجل غفران الله لما تجدد يومئذ من توبتهم وندمهم على خطيئتهم وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ بعضادتي باب الكعبة يوم الفتح فقال لقريش ما ترونني فاعلا بكم قالوا نظن خيرا أخ كريم وابن أخ كريم وقد قدرت فقال أقول ما قال أخي يوسف لا تثريب عليكم اليوم وروى أن أبا سفيان لما جاء ليسلم قال له العباس إذا أتيت الرسول فاتل عليه قال لا تثريب عليكم ففعل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم غفر الله لك ولمن علمك وروى أن إخوته لما عرفوه أرسلوا إليه إنك تدعونا إلى طعامك بكرة وعشية ونحن نستحيي منك لما فرط منا فيك فقال يوسف إن أهل مصر وإن ملكت فيهم فإنهم ينظرون إلي بالعين الأولى ويقولون سبحان من بلغ عبدا بيع بعشرين درهما ما بلغ ولقد شرفت الآن بكم وعظمت في العيون حيث علم الناس أنكم إخوتي وأني من حفدة إبراهيم (اذهبوا بقميصي هذا) قيل هو القميص المتوارث الذي كان في تعويذ يوسف وكان من الجنة أمره جبريل عليه

السلام

من يتق ويصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين قالوا تالله لقد آثرك الله علينا وإن كنا لخاطئين قال لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين اذهبوا بقميصي هذا فألقوه على وجه أبي

(قال فإن قلت بم تعلق اليوم في قوله لا تثريب عليكم اليوم الخ) قال أحمد وهذا المعنى إنما يتوجه على الإعراب الأول وهو الأوجه ألا ترى إلى قولهم بعد ذلك يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا إنا كنا خاطئين وقوله سوف أستغفر لكم ربي دل على أنهم كانوا بعد في عهدة الذنب ولو كان متحققا بمغفرته للزم أن يقطعوا بغفران ذنبهم حينئذ بإخبار النبي الصديق ويحتمل أن يقال إنما أراد مغفرة ما يرجع إلى حقه دون حق أبيه إذ الإثم كان مشتركا بينهما والله أعلم

السلام أن يرسله اليه فان فيه ريح الجنة لا يقع على مبتلى ولا سقيم الا عوفي (يأت بصيرا) يصر بصيرا كقولك
جاء البناء محكما بمعنى صار ويشهد له فارتد بصيرا أو يأت الي وهو بصير وينصره قوله (وأتوني بأهلكم أجمعين)
أي يأتني أبي ويأتني آله جميعا وقيل يهوذا هو الحامل قال أنا أحزنته بحمل القميص ملطوخا بالدم اليه
فأفرحه كما أحزنته وقيل حمله وهو حاف حاسر من مصر الى كنعان وبينهما مسيرة ثمانين فرسخا (ولما فصلت العير)
خرجت من عريش مصر يقال فصل من البلد فصولا اذا انفصل منه وجاوز حيطانه وقرأ ابن عباس فلما
انفصل العير (قال) لولد ولده ومن حوله من قومه (اني لأجد ريح يوسف) أوجده الله ريح القميص حين
أقبل من مسيرة ثمان والتفنيد النسبة الى الفند وهو الخرف وانكار العقل من هرم يقال شيخ مفند ولا
يقال عجوز مفندة لانها لم تكن في شبيبتها ذات رأي فتفند في كبرها والمعنى لولا تفنيدكم اياي لصدقتموني (الى
ضلالك القديم) الى ذهابك عن الصواب قدما في افراط محبتك ليوسف واكثارك ذكره ورجائك للقائه
وكان عندهم أنه قد مات (ألقاه) طرح البشير القميص على وجه يعقوب أو ألقاه يعقوب (فارتد بصيرا)
فرجع بصيرا يقال رده فارتد وارتده اذا ارتجعه (ألم أقل لكم) يعني قوله اني لأجد ريح يوسف أو قوله
ولا تيأسوا من روح الله وقوله (اني أعلم) كلام مبتدأ لم يقع عليه القول ولك أن توقعه عليه وتريد قوله انما
أشكو بثي وحزني الى الله وأعلم من الله ما لا تعلمون وروي أنه سأل البشير كيف يوسف فقال هو ملك مصر
فقال ما أصنع بالملك على أي دين تركته قال على دين الاسلام قال الآن تمت النعمة (سوف أستغفر لكم ربي)
قيل أخر الاستغفار الى وقت السحر وقيل الى ليلة الجمعة ليتعمد به وقت الاجابة وقيل ليتعرف حالهم في
صدق التوبة واخلاصها وقيل أراد الدوام على الاستغفار لهم فقد روي أنه كان يستغفر لهم كل ليلة جمعة في
نيف وعشرين سنة وقيل قام الى الصلاة في وقت السحر فلما فرغ رفع يديه وقال اللهم اغفر لي جزعي على يوسف
وقلة صبري عنه واغفر لولدي ما أتوا الى أخيهم فأوحى اليه ان الله قد غفر لك ولهم أجمعين وروي أنهم قالوا له
وقد غلبتهم الكآبة ما يغني عنا عفوكما ان لم يعف عنا ربنا فان لم يوح اليك بالعفو فلا قرت لنا عين أبدا فاستقبل
الشيخ القبلة قائما يدعو وقام يوسف خلفه يؤمن وقاموا خلفهما أذلة خاشعين عشرين سنة حتى بلغ جهدهم
وظنوا انها الهلكة نزل جبريل عليه السلام فقال ان الله قد أجاب دعوتك في ولدك وعقد مواثيقهم بعدك
على النبوة وقد اختلف في استنبائهم (فلما دخلوا على يوسف) قيل وجه يوسف الى أبيه جهازا ومائتي
راحلة ليتجهز اليه بمن معه وخرج يوسف والملك في أربعة آلاف من الجند والعظماء وأهل مصر بأجمعهم
فتلقوا يعقوب وهو يمشي يتوكأ على يهوذا فنظر الى الخيل والناس فقال يا يهوذا هذا فرعون مصر قال لا هذا
ولدك فلما لقيه قال يعقوب عليه السلام السلام عليك يا مذهب الأحزان وقيل ان يوسف قال له لما التقيا يا أبت
بكيت علي حتى ذهب بصرك ألم تعلم أن القيامة تجمعنا فقال بلى ولكن خشيت أن تسلب دينك فيحال بيني
وبينك وقيل ان يعقوب وولده دخلوا مصر وهم اثنان وسبعون ما بين رجل وامرأة وخرجوا منها مع موسى
ومقاتلتهم ستمائة ألف وخمسمائة وبضعة وسبعون رجلا سوى الذرية والهرمى وكانت الذرية ألف ألف
ومائتي ألف (آوى اليه أبويه) ضمهما اليه واعتنقهما قال ابن أبي اسحق كانت أمه تحيى وقيل هما أبوه
وخالته ماتت أمه فتزوجها وجعلها أحد الأبوين لان الرابة تدعى أما لقيامها مقام الأم أو لأن الخالة أم كما أن
العم أب ومنه قوله واله آبائك ابراهيم واسمعيل واسحق (فان قلت) ما معنى دخولهم عليه قبل دخولهم مصر
(قلت) كأنه حين استقبلهم نزل لهم في مضرب أو بيت ثم دخلوا عليه وضم اليه أبويه ثم قال لهم (ادخلوا
مصر ان شاء الله آمنين) ولما دخل مصر وجلس في مجلسه مستويا على سريره واجتمعوا اليه أكرم أبويه
فرفعهما على السرير (وخروا له) يعني الاخوة الأحد عشر والأبوين (سجدا) ويجوز أن يكون قد خرج
في قبة من قباب الملوك التي تحمل على البغال فأمر أن يرفع اليه أبواه فدخلا عليه القبة فآواهما اليه بالضم
والاعتناق وقربهما منه وقال بعد ذلك ادخلوا مصر (فان قلت) بم تعلقت المشيئة (قلت) بالدخول مكيفا
بالأمن لأن القصد الى اتصافهم بالأمن في دخولهم فكأنه قيل لهم اسلموا وآمنوا في دخولكم ان شاء الله

يأت بصيرا وأتوني
بأهلكم أجمعين ولما
فصلت العير قال أبوهم
اني لأجد ريح يوسف
لولا أن تفندون قالوا
تالله انك لفي ضلالك
القديم فلما أن جاء
البشير ألقاه على وجهه
فارتد بصيرا قال ألم أقل
لكم اني أعلم من الله
ما لا تعلمون قالوا يا أبانا
استغفر لنا ذنوبنا انا
كنا خاطئين قال سوف
أستغفر لكم ربي انه هو
الغفور الرحيم فلما دخلوا
على يوسف آوى اليه
أبويه وقال ادخلوا مصر
ان شاء الله آمنين ورفع
أبويه على العرش وخروا
له سجدا وقال يا أبت هذا
تأويل رؤياي من قبل
قد جعلها ربي حقا وقد
أحسن بي اذ أخرجني
من السجن وجاء بكم

ونظيره قولك للغازي ارجع سالما غانما إن شاء الله فلا تعلق المشيئة بالرجوع مطلقا ولكن مقيدا بالسلامة والغنيمة مكيفا بهما والتقدير ادخلوا مصر آمنين إن شاء الله دخلتم آمنين ثم حذف الجزاء لدلالة الكلام عليه ثم اعترض بالجملة الجزائية بين الحال وذي الحال ومن بدع التفاسير أن قوله إن شاء الله من باب التقديم والتأخير وأن موضعها ما بعد قوله سوف أستغفر لكم ربي في كلام يعقوب وما أدري ما أقول فيه وفي نظائره (فإن قلت) كيف جاز لهم أن يسجدوا لغير الله (قلت) كانت السجدة عندهم جارية مجرى التحية والتكرمة كالقيام والمصافحة وتقبيل اليد ونحوها مما جرت عليه عادة الناس من أفعال شهرت في التعظيم والتوقير وقيل ما كانت إلا انحناء دون تعفير الجباه وخرورهم سجدا يأباه وقيل معناه وخروا لأجل يوسف سجدا لله شكرا وهذا أيضا فيه نبوة * يقال أحسن إليه وبه وكذلك أساء إليه وبه قال * أسيئي بنا أو أحسني لا ملومة * (من البدو) من البادية لأنهم كانوا أهل عمد وأصحاب مواش يتنقلون في المياه والمناجع (نزغ) أفسد بيننا وأغرى وأصله من نخس الرائض الدابة وحمله على الجري يقال نزغه ونسغه إذا نخسه (لطيف لما يشاء) لطيف التدبير لأجله رفيق حتى يجيء على وجه الحكمة والصواب وروي أن يوسف أخذ بيد يعقوب فطاف به في خزائنه فأدخله خزائن الورق والذهب وخزائن الحلي وخزائن الثياب وخزائن السلاح وغير ذلك فلما أدخله خزانة القراطيس قال يا بني ما أعقك عندك هذه القراطيس وما كتبت إلي على ثمان مراحل قال أمرني جبريل قال أو ما تسأله قال أنت أبسط إليه مني فسله قال جبريل عليه السلام الله تعالى أمرني بذلك لقولك وأخاف أن يأكله الذئب قال فهلا خفتني وروي أن يعقوب أقام معه أربعا وعشرين سنة ثم مات وأوصى أن يدفنه بالشام إلى جنب أبيه إسحق فمضى بنفسه ودفنه ثم عاد إلى مصر وعاش بعد أبيه ثلاثا وعشرين سنة فلما تم أمره وعلم أنه لا يدوم له طلبت نفسه الملك الدائم الخالد فتاقت نفسه إليه فتمنى الموت وقيل ما تمناه نبي قبله ولا بعده فتوفاه الله طيبا طاهرا فتخاصم أهل مصر وتشاحوا في دفنه كل يحب أن يدفن في محلتهم حتى هموا بالقتال فرأوا من الرأي أن عملوا له صندوقا من مرمر وجعلوه فيه ودفنوه في النيل بمكان يمر عليه الماء ثم يصل إلى مصر ليكونوا كلهم فيه شرعا واحدا وولد له افراثيم وميشا وولد لافراثيم نون ولنون يوشع فتى موسى ولقد توارثت الفراعنة من العماليق بعده مصر ولم يزل بنو إسرائيل تحت أيديهم على بقايا دين يوسف وآبائه إلى أن بعث الله موسى صلى الله عليه وسلم من في (من الملك) و(من تأويل الأحاديث) للتبعيض لأنه لم يعط إلا بعض ملك الدنيا أو بعض ملك مصر وبعض التأويل (أنت وليي) أنت الذي تتولاني بالنعمة في الدارين وتوصل الملك الفاني بالملك الباقي (توفني مسلما) طلب للوفاة على حال الإسلام ولأن يختم له بالخير والحسنى كما قال يعقوب لولده ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون ويجوز أن يكون تمنيا للموت على ما قيل (وألحقني بالصالحين) من آبائي أو على العموم وعن عمر بن عبد العزيز أن ميمون بن مهران بات عنده فرآه كثير البكاء والمسألة للموت فقال له صنع الله على يديك خيرا كثيرا أحييت سننا وأمت بدعا وفي حياتك خير وراحة للمسلمين فقال أفلا أكون كالعبد الصالح لما أقر الله عينه وجمع له أمره قال توفني مسلما وألحقني بالصالحين (فإن قلت) علام انتصب فاطر السموات (قلت) على أنه وصف لقوله رب كقولك أخا زيد حسن الوجه أو على النداء (ذلك) إشارة إلى ما سبق من نبأ يوسف والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ومحله الابتداء وقوله (من أنباء الغيب نوحيه إليك) خبران ويجوز أن يكون اسما موصولا بمعنى الذي ومن أنباء الغيب صلته ونوحيه الخبر والمعنى أن هذا النبأ غيب لم يحصل لك إلا من جهة الوحي لأنك لم تحضر بني يعقوب حين أجمعوا أمرهم وهو إلقاؤهم أخاهم في البئر كقوله وأجمعوا أن يجعلوه في غيابة الجب * وهذا تهكم بقريش وبمن كذبه لأنه لم يخف على أحد من المكذبين أنه لم يكن من حملة هذا الحديث وأشباهه ولا لقي فيه أحدا ولا سمع منه ولم يكن من علم قومه فإذا أخبر به وقص هذا القصص العجيب الذي أعجز حملته ورواته لم تقع شبهة في أنه ليس منه وأنه من جهة الوحي فإذا أنكروه تهكم بهم وقيل لهم قد علمتم يا مكابرة أنه لم يكن مشاهدا لمن مضى من القرون الخالية ونحوه وما كنت بجانب الغربي إذ قضينا إلى موسى الأمر (وهم

من البدو من بعد أن نزغ الشيطان بيني وبين إخوتي إن ربي لطيف لما يشاء إنه هو العليم الحكيم رب قد آتيتني من الملك وعلمتني من تأويل الأحاديث فاطر السموات والأرض أنت وليي في الدنيا والآخرة توفني مسلما وألحقني بالصالحين ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك وما كنت لديهم إذ أجمعوا أمرهم وهم

يمكرون) بيوسف ويبغون له الغوائل (وما أكثر الناس) يريد العموم كقوله ولكن أكثر الناس لا يؤمنون وعن ابن عباس رضي الله عنه أراد أهل مكة أي وما هم بمؤمنين (ولو حرصت) وتهالكت على إيمانهم لتصميمهم على الكفر وعنادهم (وما تسألهم) على ما تحدثهم به وتذكرهم أن ينيلوك منفعة وجدوى كما يعطى حملة الأحاديث والأخبار (إن هو إلا ذكر) عظة من الله (للعالمين) عامة وحث على طلب النجاة على لسان رسول من رسله (من آية) من علامة ودلالة على الخالق وعلى صفاته وتوحيده (يمرون عليها) ويشاهدونها وهم معرضون عنها لا يعتبرون بها وقرئ والأرض بالرفع على الابتداء ويمرون عليها خبره وقرأ السدي والأرض بالنصب على ويطؤن الأرض يمرون عليها وفي مصحف عبد الله والأرض يمشون عليها برفع الأرض والمراد ما يرون من آثار الأمم الهالكة وغير ذلك من العبر (وما يؤمن أكثرهم) في إقراره بالله وبأنه خلقه وخلق السموات والأرض إلا وهو مشرك بعبادته الوثن وعن الحسن هم أهل الكتاب معهم شرك وإيمان وعن ابن عباس رضي الله عنهما هم الذين يشبهون الله بخلقه (غاشية) نقمة تغشاهم وقيل ما يغمرهم من العذاب ويجللهم وقيل الصواعق (هذه سبيلي) هذه السبيل التي هي الدعوة إلى الإيمان والتوحيد سبيلي والسبيل والطريق يذكران ويؤنثان ثم فسر سبيله بقوله (أدعوا إلى الله على بصيرة) أي أدعو إلى دينه مع حجة واضحة غير عمياء و(أنا) تأكيد للمستتر في أدعو (ومن اتبعني) عطف عليه يريد أدعو إليها أنا ويدعو إليها من اتبعني ويجوز أن يكون أنا مبتدأ وعلى بصيرة خبرا مقدما ومن اتبعني عطفا على أنا إخبارا مبتدأ بأنه ومن اتبعه على حجة وبرهان لا على هوى ويجوز أن يكون على بصيرة حالا من أدعو عاملة الرفع في أنا ومن اتبعني (وسبحان الله) وأنزهه من الشركاء (إلا رجالا) لا ملائكة لأنهم كانوا يقولون لو شاء ربنا لأنزل ملائكة وعن ابن عباس رضي الله عنهما يريد ليست فيهم امرأة وقيل في سجاح المتنبئة ● ولم تزل أنبياء الله ذكرانا ● وقرئ نوحي إليهم بالنون (من أهل القرى) لأنهم أعلم وأحلم وأهل البوادي فيهم الجهل والجفاء والقسوة (ولدار الآخرة) ولدار الساعة أو الحال الآخرة (خير للذين اتقوا) للذين خافوا الله فلم يشركوا به ولم يعصوه وقرئ أفلا تعقلون بالتاء والياء (حتى) متعلقة بمحذوف دل عليه الكلام كأنه قيل وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا فتراخى نصرهم حتى إذا استيأسوا عن النصر (وظنوا أنهم قد كذبوا) أي كذبتهم أنفسهم حين حدثتهم بأنهم ينصرون أو رجاؤهم لقولهم رجاء صادق ورجاء كاذب والمعنى أن مدة التكذيب والعداوة من الكفار وانتظار النصر من الله وتأميله قد تطاولت عليهم وتمادت حتى استشعروا القنوط وتوهموا أن لا نصر لهم في الدنيا فجاءهم نصرنا فجأة من غير احتساب وعن ابن عباس رضي الله عنهما وظنوا حين ضعفوا وغلبوا أنهم قد أخلفوا ما وعدهم الله من النصر وقال كانوا بشرا وتلا قوله وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله فإن صح هذا عن ابن عباس فقد أراد بالظن ما يخطر بالبال ويهجس في القلب من شبه الوسوسة وحديث النفس على ما عليه البشرية وأما الظن الذي هو ترجح أحد الجائزين على الآخر فغير جائز على رجل من المسلمين فما بال رسل الله الذين هم أعرف الناس بربهم وأنه متعال عن خلف الميعاد منزه عن كل قبيح وقيل وظن المرسل إليهم أن الرسل قد كذبوا أي أخلفوا أو وظن المرسل إليهم أنهم كذبوا من جهة الرسل أي كذبتهم الرسل في أنهم ينصرون عليهم ولم يصدقوهم فيه وقرئ كذبوا بالتشديد على وظن الرسل أنهم قد كذبتهم قومهم فيما وعدوهم من العذاب والنصرة عليهم وقرأ مجاهد كذبوا بالتخفيف على البناء للفاعل على وظن الرسل أنهم قد كذبوا فيما حدثوا به قومهم من النصرة إما على تأويل ابن عباس وإما على أن قومهم إذ لم يروا لموعدهم أثرا قالوا لهم إنكم قد كذبتمونا فيكونون كاذبين عند قومهم أو وظن المرسل إليهم أن الرسل قد كذبوا ولو قرئ بهذا مشددا لكان معناه وظن الرسل أن قومهم كذبوهم في موعدهم ● وقرئ فنجي بالتخفيف والتشديد من أنجاه ونجاه وفنجى

يمكرون وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين وما تسألهم عليه من أجر إن هو إلا ذكر للعالمين وكأين من آية في السموات والأرض يمرون عليها وهم عنها معرضون وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون أفأمنوا أن تأتيهم غاشية من عذاب الله أو تأتيهم الساعة بغتة وهم لا يشعرون قل هذه سبيلي أدعوا إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا نوحي إليهم من أهل القرى أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ولدار الآخرة خير للذين اتقوا أفلا تعقلون حتى إذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا جاءهم نصرنا فنجي

● قوله تعالى حتى إذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا جاءهم نصرنا (قال معناه يئسوا من النصر وظنوا أن أنفسهم كذبتهم الخ) قال أحمد ولا يلزم أن يكون الله قد وعدهم بالنصر في الدنيا بل كانوا يظنون ذلك ويرجونه لا عن إخبار ووحي ● عاد كلامه (قال ونقل عن ابن عباس أنه قال ظنوا حين ضعفوا وغلبوا الخ) قال أحمد وهذا أيضا تأويل حسن يجمع بين القراءتين لأن ظن الأمم كذب رسلهم تكذيب لهم فيؤدي مؤدى قراءة التشديد

على لفظ الماضي المبني للمفعول وقرأ ابن محيصن فنجا والمراد (من نشاء) المؤمنون لأنهم الذين يستأهلون أن يشاء نجاتهم وقد بين ذلك بقوله (ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين) والضمير في (قصصهم) للرسل وينصره قراءة من قرأ في قصصهم بكسر القاف وقيل هو راجع إلى يوسف وإخوته (فإن قلت) فالام يرجع الضمير في (ما كان حديثا يفترى) فيمن قرأ بالكسر (قلت) إلى القرآن أي ما كان القرآن حديثا يفترى (ولكن) كان (تصديق الذي بين يديه) أي قبله من الكتب السماوية (وتفصيل كل شيء) يحتاج إليه في الدين لأنه القانون الذي يستند إليه السنة والإجماع والقياس بعد أدلة العقل وانتصاب ما نصب بعد لكن للعطف على خبر كان وقرئ ذلك بالرفع على ولكن هو تصديق الذي بين يديه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم علموا أرقاءكم سورة يوسف فإنه أيما مسلم تلاها وعلمها أهله وما ملكت يمينه هون الله عليه سكرات الموت وأعطاه القوة أن لا يحسد مسلما

﴿سورة الرعد مختلف فيها وهي خمس وأربعون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(تلك) إشارة إلى آيات السورة والمراد بالكتاب السورة أي تلك الآيات آيات السورة الكاملة العجيبة في بابها ثم قال (والذي أنزل إليك) من القرآن كله هو (الحق) الذي لا مزيد عليه لا هذه السورة وحدها وفي أسلوب هذا الكلام قول الأنماري هم كالحلقة المفرغة لا يدرى أين طرفاها تريد الكملة (الله) مبتدأ و(الذي) خبره بدليل قوله وهو الذي مد الأرض ويجوز أن يكون صفة وقوله يدبر الأمر يفصل الآيات خبر بعد خبر وينصره ما تقدمه من ذكر الآيات (رفع السموات بغير عمد ترونها) كلام مستأنف استشهاد برؤيتهم لها كذلك وقيل هي صفة لعمد ويعضده قراءة أبي ترونه وقرئ عمد بضمتين (يدبر الأمر) يدبر أمر ملكه وربوبيته (يفصل) آياته في كتبه المنزلة (لعلكم توقنون) بالجزاء وبأن هذا المدبر والمفصل لا بد لكم من الرجوع إليه وقرأ الحسن ندبر بالنون (جعل فيها زوجين اثنين) خلق فيها من جميع أنواع الثمرات زوجين زوجين حين مدها ثم تكثرت بعد ذلك وتنوعت وقيل أراد بالزوجين الأسود والأبيض والحلو والحامض والصغير والكبير وما أشبه ذلك من الأصناف المختلفة (يغشي الليل النهار) يلبسه مكانه فيصير أسود مظلما بعدما كان أبيض منيرا وقرئ يغشي بالتشديد (قطع متجاورات) بقاع مختلفة مع كونها متجاورة متلاصقة طيبة إلى سبخة وكريمة إلى زهيدة وصلبة إلى رخوة وصالحة للزرع لا للشجر إلى أخرى على عكسها مع انتظامها جميعا في جنس الأرضية وذلك دليل على قادر مريد موقع لأفعاله على وجه دون وجه • وكذلك الزروع والكروم والنخيل النابتة في هذه القطع مختلفة الأجناس والأنواع وهي تسقى بماء واحد وتراها متغايرة الثمر في الأشكال والألوان والطعوم والروائح متفاضلة فيها وفي بعض المصاحف قطعا متجاورات على وجعل • وقرئ وجنات بالنصب للعطف على زوجين أو بالجر على كل الثمرات • وقرئ وزرع ونخيل بالجر عطفا على أعناب أو جنات • والصنوان جمع صنو وهي النخلة لها رأسان وأصلهما واحد وقرئ بالضم والكسر لغة أهل الحجاز والضم لغة بني تميم وقيس تسقى بالتاء والياء (ونفضل) بالنون والياء على البناء للفاعل والمفعول جميعا (في الأكل) بضم الكاف وسكونها (وإن تعجب) يا محمد من قولهم في إنكار البعث فقولهم عجيب حقيق بأن يتعجب منه لأن من قدر على إنشاء ما عدد عليك من الفطر العظيمة ولم يعي بخلقهن كانت الإعادة أهون شيء عليه وأيسره فكان إنكارهم أعجوبة من الأعاجيب (أئذا كنا) إلى آخر قولهم يجوز أن يكون في محل الرفع بدلا من قولهم وأن يكون منصوبا بالقول وإذا نصب بما دل عليه قوله أئنا لفي خلق جديد (أولئك الذين كفروا بربهم) أولئك الكاملون المتمادون في كفرهم (وأولئك الأغلال في أعناقهم) وصف بالإصرار كقوله إنا جعلنا في أعناقهم أغلالا ونحوه • لهم عن الرشد أغلال وأقياد • أو هو من جملة الوعيد (بالسيئة قبل الحسنة) بالنقمة قبل العافية والإحسان إليهم بالإمهال وذلك أنهم سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأتيهم بالعذاب استهزاء

بين يديه وتفصيل كل شيء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون

(سورة الرعد مختلف فيها وهي خمسة وأربعون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

المر تلك آيات الكتاب والذي أنزل إليك من ربك الحق ولكن أكثر الناس لا يؤمنون الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى يدبر الأمر يفصل الآيات لعلكم بلقاء ربكم توقنون وهو الذي مد الأرض وجعل فيها رواسي وأنهارا ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين يغشي الليل النهار إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون وفي الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الأكل إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون وإن تعجب فعجب قولهم أئذا كنا ترابا أئنا لفي خلق جديد أولئك الذين كفروا بربهم وأولئك الأغلال في أعناقهم وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة

منهم بالإنذار (وقد خلت من قبلهم المثلات) أي عقوبات أمثالهم من المكذبين فما لهم لم يعتبروا بها فلا يستهزؤا والمثلة العقوبة بوزن السمرة والمثلة لما بين العقاب والمعاقب عليه من المماثلة وجزاء سيئة سيئة مثلها ويقال أمثلت الرجل من صاحبه وأقصصته منه والمثال القصاص وقرئ المثلات بضمتين لإتباع الفاء العين والمثلات بفتح الميم وسكون الثاء كما يقال السمرة والمثلات بضم الميم وسكون الثاء تخفيف المثلات بضمتين والمثلات جمع مثلة كركبة وركبات (لذو مغفرة للناس على ظلمهم) أي مع ظلمهم أنفسهم بالذنوب ومحله الحال بمعنى ظالمين لأنفسهم وفيه أوجه أن يريد السيئات المكفرة لمجتنب الكبائر أو الكبائر بشرط التوبة أو يريد بالمغفرة الستر والإمهال وروي أنها لما نزلت قال النبي عليه السلام لولا عفو الله وتجاوزه ما هنأ أحدا العيش ولولا وعيده وعقابه لاتكل كل أحد (لولا أنزل عليه آية من ربه) لم يعتدوا بالآيات المنزلة على رسول الله صلى الله عليه وسلم عنادا فاقترحوا نحو آيات موسى وعيسى من انقلاب العصا حية وإحياء الموتى ● فقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم إنما أنت رجل أرسلت منذرا مخوفا لهم من سوء العاقبة وناصحا كغيرك من الرسل وما عليك إلا الإتيان بما يصح به أنك رسول منذر وصحة ذلك حاصلة بأية آية كانت والآيات كلها سواء في حصول صحة الدعوى بها لا تفاوت بينها والذي عنده كل شيء بمقدار يعطي كل نبي آية على حسب ما اقتضاه علمه بالمصالح وتقديره لها (ولكل قوم هاد) من الأنبياء يهديهم إلى الدين ويدعوهم إلى الله بوجه من الهداية وبآية خص بها ولم يجعل الأنبياء شرعا واحدا في آيات مخصوصة ووجه آخر وهو أن يكون المعنى أنهم يجحدون كون ما أنزل عليك آيات ويعاندون فلا يهمنك ذلك إنما أنت منذر فما عليك إلا أن تنذر لا أن تثبت الإيمان في صدورهم ولست بقادر عليه ولكل قوم هاد قادر على هدايتهم بالإلجاء وهو الله تعالى ولقد دل بما أردفه من ذكر آيات علمه وتقديره الأشياء على قضايا حكمته أن إعطاءه كل منذر آيات خلاف آيات غيره أمر مدبر بالعلم النافذ مقدر بالحكمة الربانية ولو علم في إجابتهم إلى مقترحهم خيرا ومصلحة لأجابهم إليه وأما على الوجه الثاني فقد دل به على أن من هذه قدرته وهذا علمه هو القادر وحده على هدايتهم العالم بأي طريق يهديهم ولا سبيل إلى ذلك لغيره (الله يعلم) يحتمل أن يكون كلاما مبتدأ وأن يكون المعنى هو الله تفسيرا لهاد على الوجه الأخير ثم ابتدئ فقيل يعلم (ما تحمل كل أنثى) وما في ما تحمل وما تغيض وما تزداد إما موصولة وإما مصدرية فإن كانت موصولة فالمعنى أنه يعلم ما تحمله من الولد على أي حال هو من ذكورة وأنوثة وتمام وخداج وحسن وقبح وطول وقصر وغير ذلك من الأحوال الحاضرة والمترقبة ويعلم ما تغيضه الأرحام أي تنقصه يقال غاض الماء وغضته أنا ومنه قوله تعالى وغيض الماء وما تزداده أي تأخذه زائدا تقول أخذت منه حقي وازددت منه كذا ومنه قوله تعالى وازدادوا تسعا ويقال زدته فزاد بنفسه وازداد ومما تنقصه الرحم وتزداده عدد الولد فإنها تشتمل على واحد وقد تشتمل على اثنين وثلاثة وأربعة ويروى أن شريكا كان رابع أربعة في بطن أمه ومنه جسد الولد فإنه يكون تاما ومخدجا ومنه مدة ولادته فإنها تكون أقل من تسعة أشهر وأزيد عليها إلى سنتين عند أبي حنيفة وإلى أربع عند الشافعي وإلى خمس عند مالك وقيل إن الضحاك ولد لسنتين وهرم بن حيان بقي في بطن أمه أربع سنين ولذلك سمي هرما ومنه الدم فإنه يقل ويكثر وإن كانت مصدرية فالمعنى أنه يعلم حمل كل أنثى ويعلم غيض الأرحام وازديادها لا يخفى عليه شيء من ذلك ومن أوقاته وأحواله ويجوز أن يراد غيوض ما في الأرحام وزيادته فأسند الفعل إلى الأرحام وهو لما فيها على أن الفعلين غير متعديين ويعضده قول الحسن الغيوضة أن تضع لثمانية أشهر أو أقل من ذلك والازدياد أن تزيد على تسعة أشهر وعنه الغيض الذي يكون سقطا لغير تمام والازدياد ما ولد لتمام (بمقدار) بقدر وحد لا يجاوزه ولا ينقص عنه كقوله إنا كل شيء خلقناه بقدر (الكبير) العظيم الشأن الذي كل شيء دونه (المتعال) المستعلي على كل شيء بقدرته أو الذي كبر عن صفات المخلوقين وتعالى عنها (وسارب) ذاهب في سربه بالفتح أي في طريقه ووجهه يقال سرب في الأرض سروبا والمعنى سواء عنده من استخفى أي طلب الخفاء في مختبإ بالليل في ظلمته

وقد خلت من قبلهم المثلات وإن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم وإن ربك لشديد العقاب ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آية من ربه إنما أنت منذر ولكل قوم هاد الله يعلم ما تحمل كل أنثى وما تغيض الأرحام وما تزداد وكل شيء عنده بمقدار عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال سواء منكم من أسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار

(القول في سورة الرعد)
(بسم الله الرحمن الرحيم)

● قوله تعالى وإن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم (قال ومحل على ظلمهم الحال بمعنى ظالمين لأنفسهم الخ) قال أحمد الوجه الحق بقاء الوعد على الإطلاق إلا حيث دل الدليل على التقييد في غير الموحد فإن ظلمه أعني شركه لا يغفر وما عدا الشرك فمغفرته في المشيئة والزمخشري يأبى على عقيدته التي وضح فسادها إلا استمالة القرآن لمصاحب الكبائر وإن كان موحدا إلا بالتوبة فيقيد مطلقا ويحجر واسعا والله الموفق

سواء منكم من أسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وإذا أراد الله بقوم سوءا فلا مرد له وما لهم من دونه من وال * هو الذي يريكم البرق خوفا وطمعا وينشئ السحاب الثقال * ويسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء

ومن يضطرب في الطرقات ظاهرا بالنهار يبصره كل أحد (فإن قلت) كان حق العبارة أن يقال ومن هو مستخف بالليل ومن هو سارب بالنهار حتى يتناول معنى الاستواء المستخفي والسارب وإلا فقد تناول واحدا هو مستخف وسارب (قلت) فيه وجهان أحدهما أن قوله وسارب عطف على من هو مستخف لا على مستخف والثاني أنه عطف على مستخف إلا أن من في معنى الاثنين كقوله * نكن مثل من يا ذئب يصطحبان * كأنه قيل سواء منكم اثنان مستخف بالليل وسارب بالنهار * والضمير في (له) مردود على من كأنه قيل لمن أسر ومن جهر ومن استخفى ومن سرب (معقبات) جماعات من الملائكة تعتقب في حفظه وكلاءته والأصل معتقبات فأدغمت التاء في القاف كقوله وجاء المعذرون بمعنى المعتذرون ويجوز معقبات بكسر العين ولم يقرأ به أو هو مفعلات من عقبه إذا جاء على عقبه كما يقال قفاه لأن بعضهم يعقب بعضا أو لأنهم يعقبون ما يتكلم به فيكتبونه (يحفظونه من أمر الله) هما صفتان جميعا وليس من أمر الله بصلة للحفظ كأنه قيل له معقبات من أمر الله أو يحفظونه من أجل أمر الله أي من أجل أن الله أمرهم بحفظه والدليل عليه قراءة علي رضي الله عنه وابن عباس وزيد بن علي وجعفر بن محمد وعكرمة يحفظونه بأمر الله أو يحفظونه من بأس الله ونقمته إذا أذنب بدعائهم له ومسئلتهم ربهم أن يمهله رجاء أن يتوب وينيب كقوله قل من يكلؤكم بالليل والنهار من الرحمن وقيل المعقبات الحرس والجلاوزة حول السلطان يحفظونه في توهمه وتقديره من أمر الله أي من قضاياه ونوازله أو على التهكم به وقرئ له معاقيب جمع معقب أو معقبة والياء عوض من حذف إحدى القافين في التكسير (إن الله لا يغير ما بقوم) من العافية والنعمة (حتى يغيروا ما بأنفسهم) من الحال الجميلة بكثرة المعاصي (من وال) ممن يلي أمرهم ويدفع عنهم (خوفا وطمعا) لا يصح أن يكونا مفعولا لهما لأنهما ليسا بفعل فاعل الفعل المعلل إلا على تقدير حذف المضاف أي إرادة خوف وطمع أو على معنى إخافة وإطماعا ويجوز أن يكونا منتصبين على الحال من البرق كأنه في نفسه خوف وطمع أو على ذا خوف وذا طمع أو من المخاطبين أي خائفين وطامعين ومعنى الخوف والطمع أن وقوع الصواعق يخاف عند لمع البرق ويطمع في الغيث قال أبو الطيب

فتى كالسحاب الجون تخشى وترتجى * يرجى الحيا منها وتخشى الصواعق

وقيل يخاف المطر من له فيه ضرر كالمسافر ومن في جرينه التمر والزبيب ومن له بيت يكف ومن البلاد ما لا ينتفع أهله بالمطر كأهل مصر ويطمع فيه من له فيه نفع ويحيا به (السحاب) اسم الجنس والواحدة سحابة و(الثقال) جمع ثقيلة لأنك تقول سحابة ثقيلة وسحاب ثقال كما تقول امرأة كريمة ونساء كرام وهي الثقال بالماء (ويسبح الرعد بحمده) ويسبح سامعو الرعد من العباد الراجين للمطر حامدين له أي يصيحون سبحان الله والحمد لله وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول سبحان من يسبح الرعد بحمده وعن علي رضي الله عنه سبحان من سبحت له وإذا اشتد الرعد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم لا تقتلنا بغضبك ولا تهلكنا بعذابك وعافنا قبل ذلك وعن ابن عباس أن اليهود سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن الرعد ما هو فقال ملك من الملائكة موكل بالسحاب معه مخاريق من نار يسوق بها السحاب وعن الحسن خلق من خلق الله ليس بملك ومن بدع المتصوفة الرعد صعقات الملائكة والبرق زفرات أفئدتهم والمطر بكاؤهم (والملائكة من خيفته)

* قوله تعالى سواء منكم من أسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار (قال فيه إن قلت كان من حق الكلام أن يقال ومن هو مستخف بالليل ومن هو سارب بالنهار الخ) قال أحمد مقتضى السؤال الذي أورده الزمخشري أن يكون الواو عاطفة لإحدى الصفتين على الأخرى ومقتضى ما أجاب به أن يعطف أحد الموصوفين على الآخر ويحتمل الآية وجها آخر وهو أن يكون الموصول محذوفا وصلته باقية والمعنى ومن هو مستخف بالليل ومن هو سارب بالنهار وحذف الموصول المعطوف وبقاء صلته شائع وخصوصا وقد تكرر الموصول في الآية ثلاثا ومنه ١٥٠ قوله تعالى وما أدري ما يفعل بي ولا بكم والأصل ولا ما يفعل بكم وإلا كان حرف النفي دخيلا في غير موضعه لأن الجملة الثانية لو قدرت داخلة في صلة الأول بواسطة العطف لم يكن للنفي موقع والغرض في الأول الموصول لا الصلة ومنه

فمن يهجو رسول الله منكم * ويمدحه وينصره سواء

أي ومن يمدحه وينصره والله أعلم * عاد كلامه (قال ومعنى قوله معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله هما صفتان جميعا وليس من أمر الله صلة للحفظ كأنه قيل له الخ) قال أحمد وحقيقة هذا الوجه أنهم يحفظونه من الأمر الذي علم الله أنه يدفعه عنه بسبب دعائهم ولولا هذا السبب لكان في علم الله أن النقمة تحل عليه لأن الله عز وجل يعلم ما لا يكون لو كان كيف كان يكون وسع ربنا كل شيء علما * قوله تعالى هو الذي يريكم البرق خوفا وطمعا وينشئ السحاب الثقال الآية (قال خوفا وطمعا لا يصح أن يكونا مفعولا لهما لأنهما ليسا بفعل الخ) قال أحمد ومفعولا لهما على أن المفعول له في مثل هذا الفعل فاعل في المعنى لأنه إذا أراهم فقد رأوا

ويسبح

ويسبح الملائكة من هيبته وإجلاله • ذكر علمه النافذ في كل شيء واستواء الظاهر والخفي عنده وما دل على قدرته الباهرة ووحدانيته ثم قال (وهم) يعني الذين كفروا وكذبوا رسول الله وأنكروا آياته (يجادلون في الله) حيث ينكرون على رسوله ما يصفه به من القدرة على البعث وإعادة الخلائق بقولهم من يحيي العظام وهي رميم ويردون الوحدانية باتخاذ الشركاء والأنداد ويجعلونه بعض الأجسام المتوالدة بقولهم الملائكة بنات الله فهذا جدالهم بالباطل كقوله وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق وقيل الواو للحال أي فيصيب بها من يشاء في حال جدالهم وذلك أن أربد أخا لبيد بن ربيعة العامري قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين وفد عليه مع عامر بن الطفيل قاصدين لقتله فرمى الله عامرا بغدة كغدة البعير وموت في بيت سلولية وأرسل على أربد صاعقة فقتلته أخبرنا عن ربنا أمن نحاس هو أم من حديد (المحال) المماحلة وهي شدة المماكرة والمكايدة ومنه تمحل لكذا إذا تكلف استعمال الحيلة واجتهد فيه ومحل بفلان إذا كاده وسعى به إلى السلطان ومنه الحديث ولا تجعله علينا ماحلا مصدقا وقال الأعشى

فرع نبع يهتز في غصن المجـ ـد غزير الندى شديد المحال

والمعنى أنه شديد المكر والكيد لأعدائه يأتيهم بالهلكة من حيث لا يحتسبون وقرأ الأعرج بفتح الميم على أنه مفعل من حال يحول محالا إذا احتال ومنه أحول من ذئب أي أشد حيلة ويجوز أن يكون المعنى شديد الفقار ويكون مثلا في القوة والقدرة كما جاء فساعد الله أشد وموساه أحد لأن الحيوان إذا اشتد محاله كان منعوتا بشدة القوة والاضطلاع بما يعجز عنه غيره ألا ترى إلى قولهم فقرته الفواقر وذلك أن الفقار عمود الظهر وقوامه (دعوة الحق) فيه وجهان أحدهما أن تضاف الدعوة إلى الحق الذي هو نقيض الباطل كما تضاف الكلمة إليه في قولك كلمة الحق للدلالة على أن الدعوة ملابسة للحق مختصة به وأنها بمعزل من الباطل والمعنى أن الله سبحانه يدعى فيستجيب الدعوة ويعطي الداعي سؤاله إن كان مصلحة له فكانت دعوة ملابسة للحق لكونه حقيقا بأن يوجه إليه الدعاء لما في دعوته من الجدوى والنفع بخلاف ما لا ينفع ولا يجدي دعاؤه والثاني أن تضاف إلى الحق الذي هو الله عز وعلا على معنى دعوة المدعو الحق الذي يسمع فيجيب وعن الحسن الحق هو الله وكل دعاء إليه دعوة الحق (فإن قلت) ما وجه اتصال هذين الوصفين بما قبله (قلت) أما على قصة أربد فظاهر لأن إصابته بالصاعقة محال من الله ومكر به من حيث لم يشعر وقد دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه وعلى صاحبه بقوله اللهم اخسفهما بما شئت فأجيب فيهما فكانت الدعوة دعوة حق وأما على الأول فوعيد للكفرة على مجادلتهم رسول الله بحلول محاله بهم وإجابة دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم إن دعا عليهم فيهم (والذين يدعون) والآلهة الذين يدعوهم الكفار (من دون الله لا يستجيبون لهم بشيء) من طلباتهم (إلا كباسط كفيه) إلا استجابة كاستجابة باسط كفيه أي كاستجابة الماء من بسط كفيه إليه يطلب منه أن يبلغ فاه والماء جماد لا يشعر ببسط كفيه ولا بعطشه وحاجته إليه ولا يقدر أن يجيب دعاءه ويبلغ فاه وكذلك ما يدعونه جماد لا يحس بدعائهم ولا يستطيع إجابتهم ولا يقدر على نفعهم وقيل شبهوا في قلة جدوى دعائهم لآلهتهم بمن أراد أن يغرف الماء بيديه ليشربه فبسطهما ناشرا أصابعه فلم تلق كفاه منه شيئا ولم يبلغ طلبته من شربه • وقرئ تدعون بالتاء وكباسط كفيه بالتنوين (إلا في ضلال) إلا في ضياع لا منفعة فيه لأنهم إن دعوا الله لم يجبهم وإن دعوا الآلهة لم تستطع إجابتهم (ولله يسجد) أي ينقادون لإحداث ما أراده فيهم من أفعاله شاؤا أو أبوا لا يقدرون أن يمتنعوا عليه وتنقاد له (ظلالهم) أيضا حيث تتصرف على مشيئته في الامتداد والتقلص والفيء والزوال • وقرئ بالغدو والإيصال من آصلوا إذا دخلوا في الأصيل (قل الله) حكاية لاعترافهم وتأكيد له عليهم لأنه إذا قال لهم من رب السموات والأرض لم يكن لهم بد من أن يقولوا الله كقوله قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون الله وهذا كما يقول المناظر لصاحبه أهذا قولك فإذا قال هذا قولي قال هذا قولك فيحكي إقراره تقريرا له عليه واستيثاقا منه ثم يقول له فيلزمك على هذا القول كيت وكيت ويجوز أن يكون تلقينا أي إن كعوا عن الجواب فلقنهم فإنهم يتلقنونه ولا يقدرون أن ينكروه

وهم يجادلون في الله وهو شديد المحال له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء إلا كباسط كفيه إلى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه وما دعاء الكافرين إلا في ضلال ولله يسجد من في السموات والأرض طوعا وكرها وظلالهم بالغدو والآصال قل من رب السموات والأرض قل الله قل

والأصل وهو الذي يريكم البرق فترونه خوفا وطمعا أي ترقبونه وتترجونه تارة لأجل الخوف وتارة لأجل الطمع والله أعلم • قوله تعالى له دعوة الحق (قال فيه وجهان أحدهما أن تضاف الدعوة إلى الحق الخ) قال أحمد دس تحت تأويل الأول نبذة من الاعتزال على وجه الاختزال فحذر واسما من لطف الله واستجابة أدعية عباده وحتم رعاية المصالح وجعل معنى إضافة الدعوة إلى الحق التماسها بالمصلحة وقد تكشف الغطاء وتبين أن الله تعالى لا تعلل أفعاله ولا تقف استجابته على الشرط المذكور وغرضنا إيقاظ المطلع لهذه المواضع من غفلة بتحيزها إلى بدعة وضلالة والله الموفق

(أفاتخذتم من دونه أولياء) أبعد أن علمتموه رب السموات والأرض اتخذتم من دونه أولياء فجعلتم ما كان يجب أن يكون سبب التوحيد من علمكم وإقراركم سبب الإشراك (لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرا) لا يستطيعون لأنفسهم أن ينفعوها أو يدفعوا عنها ضررا فكيف يستطيعونه لغيرهم وقد آثرتموهم على الخالق الرازق المثيب المعاقب فما أبين ضلالكم (أم جعلوا) بل أجعلوا ومعنى الهمزة الإنكار و(خلقوا) صفة لشركاء يعني أنهم لم يتخذوا لله شركاء خالقين قد خلقوا مثل خلق الله (فتشابه) عليهم خلق الله وخلقهم حتى يقولوا قدر هؤلاء على الخلق كما قدر الله عليه فاستحقوا العبادة فنتخذهم له شركاء ونعبدهم كما يعبد إذ لا فرق بين خالق وخالق ولكنهم اتخذوا له شركاء عاجزين لا يقدرون على ما يقدر عليه الخلق فضلا أن يقدروا على ما يقدر عليه الخالق (قل الله خالق كل شيء) لا خالق غير الله ولا يستقيم أن يكون له شريك في الخلق فلا يكون له شريك في العبادة (وهو الواحد) المتوحد بالربوبية (القهار) لا يغالب وما عداه مربوب ومقهور

• هذا مثل ضربه الله للحق وأهله والباطل وحزبه كما ضرب الأعمى والبصير والظلمات والنور مثلا لهما فمثل الحق وأهله بالماء الذي ينزله من السماء فتسيل به أودية الناس فيحيون به وينفعهم أنواع المنافع وبالفلز الذي ينتفعون به في صوغ الحلي منه واتخاذ الأواني والآلات المختلفة ولو لم يكن إلا الحديد الذي فيه البأس الشديد لكفى به وأن ذلك ماكث في الأرض باق بقاء ظاهرا يثبت الماء في منافعه وتبقى آثاره في العيون والبئار والحبوب والثمار التي تنبت به مما يدخر ويكنز وكذلك الجواهر تبقى أزمنة متطاولة وشبه الباطل في سرعة اضمحلاله ووشك زواله وانسلاخه عن المنفعة بزبد السيل الذي يرمي به وبزبد الفلز الذي يطفو فوقه إذا أذيب (فإن قلت) لم نكرت الأودية (قلت) لأن المطر لا يأتي إلا على طريق المناوبة بين البقاع فيسيل بعض أودية الأرض دون بعض (فإن قلت) فما معنى قوله (بقدرها) (قلت) بمقدارها الذي عرف الله أنه نافع للممطور عليهم غير ضار ألا ترى إلى قوله وأما ما ينفع الناس لأنه ضرب المطر مثلا للحق فوجب أن يكون مطرا خالصا للنفع خاليا من المضرة ولا يكون كبعض الأمطار والسيول الجواحف (فإن قلت) فما فائدة قوله (ابتغاء حلية أو متاع) (قلت) الفائدة فيه كالفائدة في قوله بقدرها لأنه جمع الماء والفلز في النفع في قوله وأما ما ينفع الناس لأن المعنى وأما ما ينفعهم من الماء والفلز فذكر وجه الانتفاع بما يوقد عليه منه وأذاب وهو الحلية والمتاع وقوله ومما يوقدون عليه في النار ابتغاء حلية أو متاع عبارة جامعة لأنواع الفلز مع إظهار الكبرياء في ذكره على وجه التهاون به كما هو هجيرى الملوك نحو ما جاء في ذكر الآجر فأوقد لي يا هامان على الطين ومن لابتداء الغاية أي ومنه ينشأ زبد مثل زبد الماء أو للتبعيض بمعنى وبعضه زبد رابيا منتفخا مرتفعا على وجه السيل (جفاء) يجفؤه السيل أي يرمي به وجفأت القدر بزبدها وأجفأ السيل وأجفل وفي قراءة رؤبة بن العجاج جفالا وعن أبي حاتم لا يقرأ بقراءة رؤبة لأنه كان يأكل الفأر وقرئ يوقدون بالياء أي يوقد الناس (للذين استجابوا) اللام متعلقة بيضرب أي كذلك يضرب الله الأمثال للمؤمنين الذين استجابوا وللكافرين الذين لم يستجيبوا أي هما مثلا الفريقين و(الحسنى) صفة لمصدر استجابوا أي استجابوا الاستجابة الحسنى وقوله (لو أن لهم) كلام مبتدأ في ذكر ما أعد لغير المستجيبين وقيل قد تم الكلام عند قوله كذلك يضرب الله الأمثال وما بعده كلام مستأنف والحسنى مبتدأ خبره للذين استجابوا والمعنى لهم المثوبة الحسنى

أفاتخذتم من دونه أولياء لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرا قل هل يستوي الأعمى والبصير أم هل تستوي الظلمات والنور أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم قل الله خالق كل شيء وهو الواحد القهار أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها فاحتمل السيل زبدا رابيا ومما يوقدون عليه في النار ابتغاء حلية أو متاع زبد مثله كذلك يضرب الله الحق والباطل فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض كذلك يضرب الله الأمثال للذين استجابوا لربهم الحسنى والذين لم يستجيبوا له لو أن لهم ما في الأرض جميعا ومثله معه لافتدوا به أولئك لهم

• قوله تعالى أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم قل الله خالق كل شيء (قال أم منقطعة بمعنى بل والهمزة ومعناها هنا الإنكار الخ) قال أحمد وفي قوله تعالى خلقوا كخلقه في سياق الإنكار تهكم بهم لأن غير الله لا يخلق خلقا البتة لا بطريق المشابهة والمساواة لله تقدس عن التشبيه ولا بطريق الانحطاط والقصور فقد كان يكفي في الإنكار عليهم أن الشركاء التي اتخذوها لا تخلق مطلقا ولكن جاء في قوله تعالى كخلقه تهكم ٦٥٢ يزيد الإنكار تأكيدا والزمخشري لا يطبق التنبيه على هذه النكتة مع كونه أفطن من أن تستتر عنه لأن معتقده أن غير الله يخلق وهم العبيد يخلقون أفعالهم على زعمه ولكن لا يخلقون كخلق الله لأن الله تعالى يخلق الجواهر والأعراض والعبيد لا يخلقون سوى أفعالهم لا غير وفي قوله عز من قائل الله خالق كل شيء لقصم لأقوال وهي المشركين الأولين ثم لأقوال أتباعهم في هذه الضلالة كالقدرية فإن الله تعالى بت هذه البتة أن كل شيء يصدق عليه أنه مخلوق جوهرا كان أو عرضا فعلا لعبده أو غيره فالله خالقه ولا يبقى بقية تحتمل معها الإشراك إلا عند كل أثيم أفاك يسمع آيات الله تتلى عليه ثم يصر مستكبرا كأن لم يسمعها كأن في أذنيه وقرا فبشره بعذاب أليم فلا مرية في تقصير لسان الزمخشري عند هذه الآية وقرب شقاشقه والله الموفق

* قوله تعالى وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية الآية (قال المراد مما رزقناهم من الحلال لان الحرام لا يكون رزقا ولا يسند الى الله تعالى) قال أحمد الحق أن لا رازق الا الله ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين كما انه لا خالق الا الله هل من خالق غير الله فاذا قضى العقل والسمع جميعا ان لا رازق الا الله فأى مقال بعد ذلك يبقى للقدرى الزاعم ان أكثر العبيد يرزقون أنفسهم لان الغالب الحرام وهو مع ذلك مصمم على معتقده الفاسد لا يدعه ولا تكعمه القوارع السمعية والعقلية ولا تردعه فبأى حديث بعد الله ٦٥٣ وآياته يؤمنون * قوله تعالى أولئك لهم عقبى الدار (قال المراد عقبة الدنيا من مرجع أهلها الخ) قال

وهى الجنة والذين لم يستجيبوا مبتدأ خبره لو مع ما فى حيزه و(سوء الحساب) المناقشة فيه وعن النخعى أن يحاسب الرجل بذنبه كله لا يغفر منه شئ * دخلت همزة الانكار على الفاء فى قوله (أفمن يعلم) لانكار أن تقع شبهة بعد ما ضرب من المثل فى ان حال من علم (أنما أنزل اليك من ربك الحق) فاستجاب بمعزل من حال الجاهل الذى لم يستبصر فيستجيب كبعد ما بين الزبد والماء والخبث والابريز (انما يتذكر أولو الالباب) أى الذين عملوا على قضيات عقولهم فنظروا واستبصروا (الذين يوفون بعهد الله) مبتدأ وأولئك لهم عقبى الدار خبره كقوله والذين ينقضون عهد الله أولئك لهم اللعنة ويجوز أن يكون صفة لاولى الالباب والاول أوجه * وعهد الله ما عقدوه على أنفسهم من الشهادة بربوبيته وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى (ولا ينقضون الميثاق) ولا ينقضون كل ما وثقوه على أنفسهم وقبلوه من الايمان بالله وغيره من المواثيق بينهم وبين الله وبين العباد تعميم بعد تخصيص (ما أمر الله به أن يوصل) من الارحام والقرابات ويدخل فيه وصل قرابة رسول الله وقرابة المؤمنين الثابتة بسبب الايمان انما المؤمنون اخوة بالاحسان اليهم على حسب الطاقة ونصرتهم والذب عنهم والشفقة عليهم والنصيحة لهم وطرح التفرقة بين أنفسهم وبينهم وافشاء السلام عليهم وعيادة مرضاهم وشهود جنائزهم ومنه مراعاة حق الاصحاب والخدم والجيران والرفقاء فى السفر وكل ما تعلق منهم بسبب حتى الهرة والدجاجة وعن الفضيل بن عياض أن جماعة دخلوا عليه بمكة فقال من أين أنتم قالوا من أهل خراسان قال اتقوا الله وكونوا من حيث شئتم واعلموا ان العبد لو أحسن الاحسان كله وكانت له دجاجة فأساء اليها لم يكن من المحسنين (ويخشون ربهم) أى يخشون وعيده كله (ويخافون) خصوصا (سوء الحساب) فيحاسبون أنفسهم قبل أن يحاسبوا (صبروا) مطلق فيما يصبر عليه من المصائب فى النفوس والاموال ومشاق التكاليف (ابتغاء وجه) الله لا ليقال ما أصبره وأحمله للنوازل وأوقره عند الزلازل ولا لئلا يعاب بالجزع ولئلا يشمت به الاعداء كقوله * وتجلدى للشامتين أريهم * ولا لانه لا طائل تحت الهلع ولا مرد فيه للفائت كقوله

ماان جزعت ولا هلعت ولا يرد بكاى زندا

وكل عمل له وجوه يعمل عليها فعلى المؤمن أن ينوى منها ما به كان حسنا عند الله والا لم يستحق به ثوابا وكان فعلا كلا فعل (مما رزقناهم) من الحلال لان الحرام لا يكون رزقا ولا يسند الى الله (سرا وعلانية) يتناول النوافل لانها فى السر أفضل والفرائض لوجوب المجاهرة بها نفيا للتهمة (ويدرؤن بالحسنة السيئة) ويدفعونها عن ابن عباس يدفعون بالحسن من الكلام ما يرد عليهم من سيئ غيرهم وعن الحسن اذا حرموا أعطوا واذا ظلموا عفوا واذا قطعوا وصلوا وعن ابن كيسان اذا أذنبوا تابوا وقيل اذا رأوا منكرا أمروا بتغييره (عقبى الدار) عاقبة الدنيا وهى الجنة لانها التى أراد الله أن تكون عاقبة الدنيا ومرجع أهلها و(جنات عدن) بدل من عقبى الدار * وقرئ فنعم بفتح النون والاصل نعم فى كسر النون فنقل كسرة العين اليها ومن فتح فقد سكن العين ولم ينقل * وقرئ يدخلونها على البناء للمفعول * وقرأ ابن أبى عبلة صلح بضم اللام والفتح أفصح أعلم ان الانساب لا تنفع اذا تجردت من الاعمال الصالحة * وآباؤهم جمع أبوى كل واحد منهم فكأنه قيل من آبائهم وأمهاتهم (سلام عليكم) فى موضع الحال لان المعنى قائلين سلام عليكم أو مسلمين (فنعم) بم

سوء الحساب ومأواهم جهنم وبئس المهاد أفمن يعلم أنما أنزل اليك من ربك الحق كمن هو أعمى انما يتذكر أولوا الالباب الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم أقاموا الصلوة وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية ويدرؤن بالحسنة السيئة أولئك لهم عقبى الدار جنات عدن يدخلونها ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم

أحمد قد تكرر ذكر العاقبة المطلقة مثل وسيعلم الكافر لمن عقبى الدار ومن تكون له عاقبة الدار والعاقبة للمتقين والمراد فى جميع ذلك عقبى الخير واستعداد الزمخشرى يستنبط من تكرر مجىء العاقبة المطلقة والمراد عاقبة الخير انها هى التى أرادها الله فهى الاصل والعاقبة الاخرى لما لم تكن مرادة بل عارضة على خلاف المراد والاصل لم يكن من حقها ان يعبر عنها الا مقيدة بقيدها كقوله وعقبى الكافرين النار كل ذلك من الزمخشرى تمهل على أن ينسب الى الله ارادة ما لم يقع ومشيئة ما لم يكن مصادمة لما أطلق الله به ألسنة حملة الشريعة ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن وليس فى مجىء مثل ذلك على الاطلاق ما يعين أنه الاصل باعتبار الارادة فعله الاصل باعتبار الامر ونحن نقول ان المؤدى الى حسن العاقبة مأمور به والمؤدى الى سوئها منهى عنه فمن ثم كانت عاقبة الخير هى الاصل والله الموفق

تعلق قوله (بما صبرتم) (فنعم) محذوف تقديره هذا بما صبرتم يعنون هذا الثواب بسبب صبركم أو بدل
ما احتملتم من مشاق الصبر ومتاعبه هذه الملاذ والنعم والمعنى لئن تعبتم في الدنيا لقد استرحتم الساعة كقوله
* بما قد أرى فيها أوانس بدنا * وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يأتي قبور الشهداء على رأس كل حول
فيقول السلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار ويجوز أن يتعلق بسلام أي نسلم عليكم ونكرمكم بصبركم (من
بعد ميثاقه) من بعد ما أوثقوه به من الاعتراف والقبول (سوء الدار) يحتمل أن يراد سوء عاقبة الدنيا لأنه في
مقابلة عقبى الدار ويجوز أن يراد بالدار جهنم وبسوئها عذابها (الله يبسط الرزق) أي الله وحده هو يبسط
الرزق ويقدره دون غيره وهو الذي بسط رزق أهل مكة ووسعه عليهم (وفرحوا) بما بسط لهم من الدنيا فرح
بطر وأشر لا فرح سرور بفضل الله وإنعامه عليهم ولم يقابلوه بالشكر حتى يستوجبوا نعيم الآخرة وخفي
عليهم أن نعيم الدنيا في جنب نعيم الآخرة ليس إلا شيئاً نزراً يتمتع به كعجالة الراكب وهو ما يتعجله من تميرات أو
شربة سويق أو نحو ذلك (فإن قلت) كيف طابق قولهم (لولا أنزل عليه آية من ربه) قوله (قل إن الله يضل من
يشاء) (قلت) هو كلام يجري مجرى التعجب من قولهم وذلك أن الآيات الباهرة المتكاثرة التي أوتيها رسول
الله صلى الله عليه وسلم لم يؤتها نبي قبله وكفى بالقرآن وحده آية وراء كل آية فإذا جحدوها ولم يعتدوا بها وجعلوه
كأن آية لم تنزل عليه قط كان موضعاً للتعجب والاستنكار فكأنه قيل لهم ما أعظم عنادكم وما أشد تصميمكم
على كفركم إن الله يضل من يشاء من كان على صفتكم من التصميم وشدة الشكيمة في الكفر فلا سبيل إلى
اهتدائهم وإن أنزلت كل آية (ويهدي إليه من) كان على خلاف صفتكم (أناب) أقبل إلى الحق وحقيقته
دخل في نوبة الخير (الذين آمنوا) بدل من من أناب (وتطمئن قلوبهم بذكر الله) بذكر رحمته ومغفرته بعد
القلق والاضطراب من خشيته كقوله ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله أو تطمئن بذكر دلائله الدالة
على وحدانيته أو تطمئن بالقرآن لأنه معجزة بينة تسكن القلوب وتثبت اليقين فيها (الذين آمنوا) مبتدأ
(طوبى لهم) خبره ويجوز أن يكون بدلاً من القلوب على تقدير حذف المضاف أي تطمئن القلوب قلوب
الذين آمنوا وطوبى مصدر من طاب كبشرى وزلفى ومعنى طوبى لك أصبت خيراً وطيباً ومحلها النصب
أو الرفع كقولك طيباً لك وطيب لك وسلاماً لك وسلام لك والقراءة في قوله (وحسن مآب) بالرفع والنصب
تدلك على محليها واللام في لهم للبيان مثلها في سقيا لك والواو في طوبى منقلبة عن ياء لضمة ما قبلها كموقن
وموسر وقرأ مكوزة الأعرابي طيبى لهم فكسر الطاء لتسلم الياء كما قيل بيض ومعيشة (كذلك أرسلناك)
مثل ذلك الإرسال أرسلناك يعني أرسلناك إرسالاً له شأن وفضل على سائر الإرسالات ثم فسر كيف أرسله
فقال (في أمة قد خلت من قبلها أمم) أي أرسلناك في أمة قد تقدمتها أمم كثيرة فهي آخر الأمم وأنت خاتم
الأنبياء (لتتلو عليهم الذي أوحينا إليك) لتقرأ عليهم الكتاب العظيم الذي أوحينا إليك (وهم يكفرون) وحال
هؤلاء أنهم يكفرون (بالرحمن) بالبليغ الرحمة الذي وسعت رحمته كل شيء وما بهم من نعمة فمنه فكفروا بنعمته
في إرسال مثلك إليهم وإنزال هذا القرآن المعجز المصدق لسائر الكتب عليهم (قل هو ربي) الواحد المتعالي
عن الشركاء (عليه توكلت) في نصرتي عليكم (وإليه متاب) فيثيبني على مصابرتكم ومجاهدتكم (ولو أن قرآنا)
جوابه محذوف كما تقول لغلامك لو أني قمت إليك وتترك الجواب والمعنى ولو أن قرآنا (سيرت به الجبال) عن
مقارها وزعزعت عن مضاجعها (أو قطعت به الأرض) حتى تتصدع وتتزايل قطعاً (أو كلم به الموتى) فتسمع
وتجيب لكان هذا القرآن لكونه غاية في التذكير ونهاية في الإنذار والتخويف كما قال لو أنزلنا هذا القرآن
على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله وهذا المعنى ما فسرت به قوله لتتلو عليهم الذي أوحينا إليك
من إرادة تعظيم ما أوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من القرآن وقيل معناه ولو أن قرآناً وقع به تسيير
الجبال وتقطيع الأرض وتكليم الموتى وتنبيههم لما آمنوا به ولما تنبهوا عليه كقوله ولو أننا نزلنا إليهم
الملائكة الآية وقيل إن أبا جهل بن هشام قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم سير بقرآنك الجبال عن مكة
حتى تتسع لنا فنتخذ فيها البساتين والقطائع كما سخرت لداود عليه السلام إن كنت نبياً كما تزعم فلست بأهون

بما صبرتم فنعم عقبى
الدار والذين ينقضون
عهد الله من بعد ميثاقه
ويقطعون ما أمر الله
به أن يوصل ويفسدون
في الأرض أولئك لهم
اللعنة ولهم سوء الدار
الله يبسط الرزق لمن
يشاء ويقدر وفرحوا
بالحياة الدنيا وما الحياة
الدنيا في الآخرة إلا متاع
ويقول الذين كفروا
لولا أنزل عليه آية من
من ربه قل إن الله
يضل من يشاء ويهدي
إليه من أناب الذين
آمنوا وتطمئن قلوبهم
بذكر الله ألا بذكر الله
تطمئن القلوب الذين
آمنوا وعملوا الصالحات
طوبى لهم وحسن
مآب كذلك أرسلناك
في أمة قد خلت من
قبلها أمم لتتلوا عليهم
الذي أوحينا إليك وهم
يكفرون بالرحمن قل
هو ربي لا إله إلا هو عليه
توكلت وإليه متاب ولو
أن قرآنا سيرت به
الجبال أو قطعت به
الأرض أو كلم به الموتى

على

بل لله الأمر جميعا أفلم ييأس الذين آمنوا أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعا ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة أو تحل قريبا من دارهم حتى يأتي وعد الله إن الله لا يخلف الميعاد ولقد استهزئ برسل من قبلك فأمليت للذين كفروا ثم أخذتهم فكيف كان عقاب أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت وجعلوا لله شركاء قل سموهم أم تنبئونه بما لا يعلم في الأرض أم بظاهر من القول بل زين للذين كفروا

على الله من داود أو سخر لنا الريح لنركبها ونتجر إلى الشام ثم نرجع في يومنا فقد شق علينا قطع المسافة البعيدة كما سخرت لسليمان عليه السلام أو ابعث لنا رجلين أو ثلاثة ممن مات من آبائنا منهم قصي بن كلاب فنزلت ومعنى تقطيع الأرض على هذا قطعها بالسير ويجوز أن يتعلق بما قبله وهو قوله وهم يكفرون بالرحمن ولو أن قرآنا سيرت به الجبال وما بينهما اعتراض وليس ببعيد من السداد وقيل قطعت به الأرض شققت فجعلت أنهارا وعيونا (بل لله الأمر جميعا) على معنيين أحدهما بل لله القدرة على كل شيء وهو قادر على الآيات التي اقترحوها إلا أن علمه بأن إظهارها مفسدة يصرفه والثاني بل لله أن يلجئهم إلى الإيمان وهو قادر على الإلجاء لولا أنه بنى أمر التكليف على الاختيار ويعضده قوله (أفلم ييأس الذين آمنوا أن لو يشاء الله) يعني مشيئة الإلجاء والقسر (لهدى الناس جميعا) ومعنى أفلم ييأس أفلم يعلم قيل هي لغة قوم من النخع وقيل إنما استعمل اليأس بمعنى العلم لتضمنه معناه لأن اليائس عن الشيء عالم بأنه لا يكون كما استعمل الرجاء في معنى الخوف والنسيان في معنى الترك لتضمن ذلك قال سحيم بن وثيل الرياحي

أقول لهم بالشعب إذ ييسرونني ● ألم تيأسوا أني ابن فارس زهدم

ويدل عليه أن عليا وابن عباس وجماعة من الصحابة والتابعين قرؤوا أفلم يتبين وهو تفسير أفلم ييأس وقيل إنما كتبه الكاتب وهو ناعس مستوي السينات وهذا ونحوه مما لا يصدق في كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وكيف يخفى مثل هذا حتى يبقى ثابتا بين دفتي الإمام وكان متقلبا في أيدي أولئك الأعلام المحتاطين في دين الله المهيمنين عليه لا يغفلون عن جلائله ودقائقه خصوصا عن القانون الذي إليه المرجع والقاعدة التي عليها البناء وهذه والله فرية ما فيها مرية ويجوز أن يتعلق أن لو يشاء بآمنوا على أولم يقنط عن إيمان هؤلاء الكفرة الذين آمنوا بأن لو يشاء الله لهدى الناس جميعا ولهداهم (تصيبهم بما صنعوا) من كفرهم وسوء أعمالهم (قارعة) داهية تقرعهم بما يحل الله بهم في كل وقت من صنوف البلايا والمصائب في نفوسهم وأولادهم وأموالهم (أو تحل) القارعة (قريبا) منهم فيفزعون ويضطربون ويتطاير إليهم شررها ويتعدى إليهم شرورها (حتى يأتي وعد الله) وهو موتهم أو القيامة وقيل ولا يزال كفار مكة تصيبهم بما صنعوا برسول الله صلى الله عليه وسلم من العداوة والتكذيب قارعة لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان لا يزال يبعث السرايا فتغير حول مكة وتختطف منهم وتصيب من مواشيهم أو تحل أنت يا محمد قريبا من دارهم بجيشك كما حل بالحديبية حتى يأتي وعد الله وهو فتح مكة وكان الله قد وعده ذلك ● الإملاء الإمهال وأن يترك ملاوة من الزمان في خفض وأمن كالبهيمة يملى لها في المرعى وهذا وعيد لهم وجواب عن اقتراحهم الآيات على رسول الله صلى الله عليه وسلم استهزاء به وتسلية له (أفمن هو قائم) احتجاج عليهم في إشراكهم بالله يعني أفالله الذي هو قائم رقيب (على كل نفس) صالحة أو طالحة (بما كسبت) يعلم خيره وشره ويعد لكل جزاءه كمن ليس كذلك ويجوز أن يقدر ما يقع خبرا للمبتدأ ويعطف عليه وجعلوا وتمثيله أفمن هو بهذه الصفة لم يوحدوه (وجعلوا) له وهو الله الذي يستحق العبادة وحده (شركاء قل سموهم) أي جعلتم له شركاء فسموهم له من هم ونبئوه بأسمائهم ثم قال (أم تنبئونه) على أم المنقطعة كقولك للرجل قل لي من زيد أم هو أقل من أن يعرف ومعناه بل أتنبئونه بشركاء لا يعلمهم في الأرض وهو العالم بما في السموات والأرض فإذا لم يعلمهم علم أنهم ليسوا بشيء يتعلق به العلم والمراد نفي أن يكون له شركاء ونحوه قل أتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الأرض (أم بظاهر من القول) بل أتسمونهم شركاء بظاهر من القول من غير أن يكون لذلك حقيقة كقوله ذلك قولهم بأفواههم ما تعبدون من دونه إلا أسماء سميتموها وهو هذا الاحتجاج وأساليبه العجيبة التي ورد عليها مناد على نفسه بلسان طلق ذلق أنه ليس من كلام البشر لمن عرف وأنصف من نفسه فتبارك الله أحسن

● قوله تعالى أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت الآية (قال ومعناه بل أتنبئونه بشركاء الخ) قال أحمد وحقيقة هذا النفي أنهم ليسوا شركاء وأن الله لا يعلمهم كذلك لأنهم ليسوا كذلك وإن كانت لهم ذوات ثابتة يعلمها الله إلا أنها مربوبة حادثة لا آلهة معبودة ولكن يجيء النفي على هذا النحو للتوبيخ [illegible] ولو أتى الكلام على الأصل غير محتج به للتصريف البديع لكان وجعلوا لله شركاء وما هم شركاء فلم يكن بهذا الموقع الذي تقتضيه التلاوة عند كلامه (قال وهذا الاحتجاج وأساليبه العجيبة التي ورد عليها الخ) قال أحمد هذه الكلمة كلمة حق أراد بها باطلا لأنه يعرض فيها بخلق القرآن فتنبه لها وما أسرع المطالع لهذا الفصل أن يمر على لسانه وقلبه ويستحسنه وهو غافل عما تحته لولا هذا التنبيه والإيقاظ والله أعلم

الملقين. قرئ أتنبئونه بالتخفيف (مكرهم) كيدهم للإسلام بشركهم (وصدوا) قرئ بالحركات الثلاث وقرأ ابن أبي إسحق وصدٌّ بالتنوين (ومن يضلل الله) ومن يخذله لعلمه أنه لا يهتدي (فما له من هاد) فما له من أحد يقدر على هدايته (لهم عذاب في الحياة الدنيا) وهو ما ينالهم من القتل والأسر وسائر المحن ولا يلحقهم إلا عقوبة لهم على الكفر ولذلك سماه عذابا (وما لهم من الله من واق) وما لهم من حافظ من عذابه أو ما لهم من جهته واق من رحمته (مثل الجنة) صفتها التي هي في غرابة المثل وارتفاعه بالابتداء والخبر محذوف على مذهب سيبويه أي فيما قصصنا عليكم مثل الجنة وقال غيره الخبر (تجري من تحتها الأنهار) كما تقول صفة زيد أسمر وقال الزجاج معناه مثل الجنة جنة تجري من تحتها الأنهار على حذف الموصوف تمثيلا لما غاب عنا بما نشاهد وقرأ علي رضي الله عنه أمثال الجنة على الجمع أي صفاتها (أكلها دائم) كقوله لا مقطوعة ولا ممنوعة (وظلها) دائم لا ينسخ كما ينسخ في الدنيا بالشمس (والذين آتيناهم الكتاب) يريد من أسلم من اليهود كعبد الله ابن سلام وكعب وأصحابهما ومن أسلم من النصارى وهم ثمانون رجلا أربعون بنجران وثمانية باليمن واثنان وثلاثون بأرض الحبشة وغيرهم من أهل الكتاب هؤلاء (يفرحون بما أنزل إليك ومن الأحزاب) يعني ومن أحزابهم وهم كفرتهم الذين تحزبوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعداوة نحو كعب بن الأشرف وأصحابه والسيد والعاقب أسقفي نجران وأشياعهما (من ينكر بعضه) لأنهم كانوا لا ينكرون الأقاصيص وبعض الأحكام والمعاني مما هو ثابت في كتبهم غير محرف وكانوا ينكرون ما هو نعت الإسلام ونعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وغير ذلك مما حرفوه وبدلوه من الشرائع (فإن قلت) كيف اتصل قوله (قل إنما أمرت أن أعبد الله) بما قبله (قلت) هو جواب للمنكرين معناه قل إنما أمرت فيما أنزل إلي بأن أعبد الله ولا أشرك به فإنكاركم له إنكار لعبادة الله وتوحيده فانظروا ماذا تنكرون مع ادعائكم وجوب عبادة الله وأن لا يشرك به قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ● وقرأ نافع في رواية أبي خليد ولا أشركُ بالرفع على الاستئناف كأنه قال وأنا لا أشرك به ويجوز أن يكون في موضع الحال على معنى أمرت أن أعبد الله غير مشرك به (إليه أدعو) خصوصا لا أدعو إلى غيره (وإليه) لا إلى غيره مرجعي وأنتم تقولون مثل ذلك فلا معنى لإنكاركم (وكذلك أنزلناه) ومثل ذلك الإنزال أنزلناه مأمورا فيه بعبادة الله وتوحيده والدعوة إليه وإلى دينه والإنذار بدار الجزاء (حكما عربيا) حكمة عربية مترجمة بلسان العرب وانتصابه على الحال ● كانوا يدعون رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أمور يوافقهم عليها منها أن يصلي إلى قبلتهم بعد ما حوله الله عنها فقيل له لئن تابعتهم على دين ما هو إلا أهواء وشبه بعد ثبوت العلم عندك بالبراهين والحجج القاطعة خذلك الله فلا ينصرك ناصر وأهلكك فلا يقيك منه واق وهذا من باب الإلهاب والتهييج والبعث للسامعين على الثبات في الدين والتصلب فيه وأن لا يزل زال عند الشبهة بعد استمساكه بالحجة وإلا فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم من شدة الشكيمة بمكان ● كانوا يعيبونه بالزواج والولاد كما كانوا يقولون ما لهذا الرسول يأكل الطعام وكانوا يقترحون عليه الآيات وينكرون النسخ فقيل كان الرسل قبله بشرا مثله ذوي أزواج وذرية وما كان لهم أن يأتوا بآيات برأيهم ولا يأتون بما يقترح عليهم والشرائع مصالح تختلف باختلاف الأحوال والأوقات فلكل وقت حكم يكتب على العباد أي يفرض عليهم على ما يقتضيه استصلاحهم (يمحو الله ما يشاء) ينسخ ما يستصوب نسخه ويثبت بدله ما يرى المصلحة في إثباته أو يتركه غير منسوخ وقيل يمحو من ديوان الحفظة ما ليس بحسنة ولا سيئة لأنهم مأمورون بكتبة كل قول وفعل (ويثبت) غيره وقيل يمحو كفر التائبين ومعاصيهم بالتوبة ويثبت إيمانهم وطاعاتهم وقيل يمحو بعض الخلائق ويثبت بعضا من الأناسي وسائر الحيوان والنبات والأشجار وصفاتها وأحوالها والكلام في نحو هذا واسع المجال (وعنده أم الكتاب) أصل كل كتاب وهو اللوح المحفوظ لأن كل كائن مكتوب فيه ● وقرئ ويثبت (وإن ما نرينك) وكيفما دارت الحال أريناك مصارعهم وما وعدناهم من إنزال العذاب عليهم أو توفيناك قبل ذلك فما يجب عليك إلا تبليغ الرسالة فحسب وعلينا لا عليك حسابهم وجزاؤهم على أعمالهم فلا يهمنك إعراضهم ولا تستعجل بعذابهم (أولم يروا أنا نأتي الأرض) أرض الكفر (ننقصها من

مكرهم وصدوا عن السبيل ومن يضلل الله فما له من هاد لهم عذاب في الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أشق وما لهم من الله من واق مثل الجنة التي وعد المتقون تجري من تحتها الأنهار أكلها دائم وظلها تلك عقبى الذين اتقوا وعقبى الكافرين النار والذين آتيناهم الكتاب يفرحون بما أنزل إليك ومن الأحزاب من ينكر بعضه قل إنما أمرت أن أعبد الله ولا أشرك به إليه أدعو وإليه مآب وكذلك أنزلناه حكما عربيا ولئن اتبعت أهواءهم بعدما جاءك من العلم ما لك من الله من ولي ولا واق ولقد أرسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم أزواجا وذرية وما كان لرسول أن يأتي بآية إلا بإذن الله لكل أجل كتاب يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب وإن ما نرينك بعض الذي نعدهم أو نتوفينك فإنما عليك البلاغ وعلينا الحساب أولم يروا أنا نأتي الأرض ننقصها من

• قوله تعالى قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب (قال المراد والذي عنده علم القرآن الخ) قال أحمد فيكون المراد حينئذ جنس المؤمنين (قال وقيل ومن هو من علماء أهل الكتاب الذين أسلموا لانهم ١٥٧ يشهدون بنعته في كتبهم) قال أحمد فالكتاب على التأويل الاول مراد به القرآن خاصة وعلى الثاني جنس الكتب المتقدمة عليه (قال وقيل هو الله عز وجل والكتاب

اللوح المحفوظ وعن الحسن لا والله ما يعني الا الله والمعنى كفى بالذي يستحق العبادة وبالذي لا يعلم ما في اللوح المحفوظ الا هو شهيدا بيني وبينكم وتعضده قراءة من قرأ ومن عنده علم الكتاب على من الجارة) قال أحمد وانما قدر الزمخشري في المعطوف عليه اسم الله الذي يستحق العبادة حذرا من عطف الصفة على الموصوف وعدولا الى أنه عطف احدى الصفتين على الاخرى تقديرا وانما أخذ الحصر حيث يقول ومن لا يعلم علم الكتاب الا هو من أنه قدم الخبر الذي هو عنده على مبتدئه وشأن الزمخشري أخذ الحصر من التقديم والله الموفق للصواب

أطرافها) بما نفتح على المسلمين من بلادهم فننقص دار الحرب ونزيد في دار الاسلام وذلك من آيات النصرة والغلبة ونحوه أفلا يرون أنا نأتي الارض ننقصها من أطرافها أفهم الغالبون سنريهم آياتنا في الآفاق والمعنى عليك بالبلاغ الذي حملته ولا تهتم بما وراء ذلك فنحن نكفيكه ونتم ما وعدناك من الظفر ولا يضجرك تأخره فان ذلك لما نعلم من المصالح التي لا تعلمها ثم طيب نفسه ونفس عنها بما ذكر من طلوع تباشير الظفر وقرئ ننقصها بالتشديد (لا معقب لحكمه) لا راد لحكمه والمعقب الذي يكر على الشيء فيبطله وحقيقته الذي يعقبه أي يقفيه بالرد والابطال ومنه قيل لصاحب الحق معقب لانه يقفي غريمه بالاقتضاء والطلب قال لبيد • طلب المعقب حقه المظلوم • والمعنى أنه حكم للاسلام بالغلبة والاقبال وعلى الكفر بالادبار والانتكاس (وهو سريع الحساب) فعما قليل يحاسبهم في الآخرة بعد عذاب الدنيا (فان قلت) ما محل قوله لا معقب لحكمه (قلت) هو جملة محلها النصب على الحال كأنه قيل والله يحكم نافذا حكمه كما تقول جاءني زيد بلا عمامة على رأسه ولا قلنسوة تريد حاسرا (وقد مكر الذين من قبلهم) وصفهم بالمكر ثم جعل مكرهم كلا مكر بالاضافة الى مكره فقال (فلله المكر جميعا) ثم فسر ذلك بقوله (يعلم ما تكسب كل نفس وسيعلم الكافر لمن عقبى الدار) لان من علم ما تكسب كل نفس وأعد لها جزاءها هو المكر كله لانه يأتيهم من حيث لا يعلمون وهم في غفلة مما يراد بهم وقرئ الكفار والكافرون والذين كفروا والكفر أي أهله والمراد بالكافر الجنس وقرأ جناح بن حبيش وسيعلم الكافر من أعلمه أي سيخبر (كفى بالله شهيدا) لما أظهر من الادلة على رسالتي (ومن عنده علم الكتاب) والذي عنده علم القرآن وما ألف عليه من النظم المعجز الفائت لقوى البشر وقيل ومن هو من علماء أهل الكتاب الذين أسلموا لانهم يشهدون بنعته في كتبهم وقيل هو الله عز وعلا والكتاب اللوح المحفوظ وعن الحسن لا والله ما يعني الا الله والمعنى كفى بالذي يستحق العبادة وبالذي لا يعلم علم ما في اللوح الا هو شهيدا بيني وبينكم وتعضده قراءة من قرأ ومن عنده علم الكتاب على من الجارة أي ومن لدنه علم الكتاب لان علم من علمه من فضله ولطفه وقرئ ومن عنده علم الكتاب على من الجارة وعلم على البناء للمفعول وقرئ ومن عنده علم الكتاب (فان قلت) بم ارتفع علم الكتاب (قلت) في القراءة التي وقع فيها عنده صلة يرتفع العلم بالمقدر في الظرف فيكون فاعلا لان الظرف اذا وقع صلة أوغل في شبه الفعل لاعتماده على الموصول فعمل عمل الفعل كقولك مررت بالذي في الدار أخوه فأخوه فاعل كما تقول بالذي استقر في الدار أخوه وفي القراءة التي لم يقع فيها عنده صلة يرتفع العلم بالابتداء • عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الرعد أعطي من الاجر عشر حسنات بوزن كل سحاب مضى وكل سحاب يكون الى يوم القيامة وبعث يوم القيامة من الموفين بعهد الله

﴿سورة ابراهيم عليه السلام مكية وهي احدى وخمسون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(كتاب) هو كتاب يعني السورة • وقرئ ليخرج الناس • والظلمات والنور استعارتان للضلال والهدى (باذن ربهم) بتسهيله وتيسيره مستعار من الاذن الذي هو تسهيل للحجاب وذلك ما يمنحهم من اللطف والتوفيق (الى صراط العزيز الحميد) بدل من قوله الى النور بتكرير العامل كقوله للذين استضعفوا لمن آمن منهم ويجوز أن يكون على وجه الاستئناف كأنه قيل الى أي نور فقيل الى صراط العزيز الحميد وقوله (الله) عطف بيان للعزيز الحميد لانه جرى مجرى الاسماء الاعلام لغلبته واختصاصه بالمعبود الذي تحق له العبادة كما غلب النجم في الثريا وقرئ بالرفع على هو الله • الويل نقيض الوأل وهو النجاة اسم معنى كالهلاك

أطرافها والله يحكم لا معقب لحكمه وهو سريع الحساب وقد مكر الذين من قبلهم فلله المكر جميعا يعلم ما تكسب كل نفس وسيعلم الكفار لمن عقبى الدار ويقول الذين كفروا لست مرسلا قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب

﴿سورة ابراهيم عليه السلام مكية وهي احدى وخمسون آية﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الر كتاب أنزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور باذن ربهم الى صراط العزيز الحميد الله الذي له ما في السموات وما في الارض وويل للكافرين

من عذاب شديد الذين يستحبون الحياة الدنيا على الآخرة ويصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا أولئك في ضلال بعيد وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم فيضل الله من يشاء ويهدي من يشاء وهو العزيز الحكيم ولقد أرسلنا موسى بآياتنا

لانه لا يشتق منه فعل انما يقال ويلا له فينتصب نصب المصادر ثم يرفع رفعها لافادة معنى الثبات فيقال ويل له كقوله سلام عليك ولما ذكر الخارجين من ظلمات الكفر الى نور الايمان توعد الكافرين بالويل (فان قلت) ما وجه اتصال قوله (من عذاب شديد) بالويل (قلت) لان المعنى أنهم يولولون من عذاب شديد ويضجون منه ويقولون يا ويلاه كقوله دعوا هنالك ثبورا (الذين يستحبون) مبتدأ خبره أولئك في ضلال بعيد ويجوز أن يكون مجرورا صفة للكافرين ومنصوبا على الذم أو مرفوعا على أعني الذين يستحبون أو هم الذين يستحبون والاستحباب الايثار والاختيار وهو استفعال من المحبة لان المؤثر للشئ على غيره كأنه يطلب من نفسه أن يكون أحب اليها وأفضل عندها من الآخر * وقرأ الحسن ويصدون بضم الياء وكسر الصاد يقال صده عن كذا وأصده قال * أناس أصدوا الناس بالسيف عنهم * والهمزة فيه داخلة على صد صدودا لتنقله من غير التعدي الى التعدي وأما صده فموضوع على التعدية كمنعه وليست بفصيحة كأوقفه لان الفصحاء استغنوا بصده ووقفه عن تكلف التعدية بالهمزة (ويبغونها عوجا) ويطلبون لسبيل الله زيغا واعوجاجا وأن يدلوا الناس على أنها سبيل ناكبة عن الحق غير مستوية والاصل ويبغون لها فحذف الجار وأوصل الفعل (في ضلال بعيد) أي ضلوا عن طريق الحق ووقفوا دونه بمراحل (فان قلت) فما معنى وصف الضلال بالبعد (قلت) هو من الاسناد المجازي والبعد في الحقيقة للضال لانه هو الذي يتباعد عن الطريق فوصف به فعله كما تقول جد جده ويجوز أن يراد في ضلال ذي بعد أو فيه بعد لان الضال قد يضل عن الطريق مكانا قريبا وبعيدا (الا بلسان قومه ليبين لهم) أي ليفهموا عنه ما يدعوهم اليه فلا يكون لهم حجة على الله ولا يقولوا لم نفهم ما خوطبنا به كما قال ولو جعلناه قرآنا أعجميا لقالوا لولا فصلت آياته (فان قلت) لم يبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الى العرب وحدهم وانما بعث الى الناس جميعا قل يا أيها الناس اني رسول الله اليكم جميعا بل الى الثقلين وهم على ألسنة مختلفة فان لم تكن للعرب حجة فلغيرهم الحجة وان لم تكن لغيرهم حجة فلو نزل بالعجمية لم تكن للعرب حجة أيضا (قلت) لا يخلو إما أن ينزل بجميع الالسنة أو بواحد منها فلا حاجة الى نزوله بجميع الالسنة لان الترجمة تنوب عن ذلك وتكفي التطويل فبقي أن ينزل بلسان واحد فكان أولى الالسنة لسان قوم الرسول لانهم أقرب اليه فاذا فهموا عنه وتبينوه وتنوقل عنهم وانتشر قامت التراجم ببيانه وتفهيمه كما ترى الحال وتشاهدها من نيابة التراجم في كل أمة من أمم العجم مع ما في ذلك من اتفاق أهل البلاد المتباعدة والاقطار المتنازحة والامم المختلفة والاجيال المتفاوتة على كتاب واحد واجتهادهم في تعلم لفظه وتعلم معانيه وما يتشعب من ذلك من جلائل الفوائد وما يتكاثر في اتعاب النفوس وكد القرائح فيه من القرب والطاعات المفضية الى جزيل الثواب ولانه أبعد من التحريف والتبديل وأسلم من التنازع والاختلاف ولانه لو نزل بألسنة الثقلين كلها مع اختلافها وكثرتها وكان مستقلا بصفة الاعجاز في كل واحد منها وكلم الرسول العربي كل أمة بلسانها كما كلم أمته التي هو منها يتلوه عليهم معجزا لكان ذلك أمرا قريبا من الالجاء ومعنى بلسان قومه بلغة قومه وقرئ بلسن قومه واللسن واللسان كالريش والرياش بمعنى اللغة وقرئ بلسن قومه بضم اللام والسين مضمومة أو ساكنة وهو جمع لسان كعماد وعمد وعمد على التخفيف وقيل الضمير في قومه لمحمد صلى الله عليه وسلم ورووه عن الضحاك وأن الكتب كلها نزلت بالعربية ثم أداها كل نبي بلغة قومه وليس بصحيح لان قوله ليبين لهم ضمير القوم وهم العرب فيؤدي الى أن الله أنزل التوراة من السماء بالعربية ليبين للعرب وهذا معنى فاسد (فيضل الله من يشاء ويهدي من يشاء) كقوله فمنكم كافر ومنكم مؤمن لان الله لا يضل الا من يعلم أنه لن يؤمن ولا يهدي الا من يعلم أنه يؤمن والمراد بالاضلال التخلية ومنع الالطاف وبالهداية التوفيق واللطف فكان ذلك كناية عن الكفر والايمان (وهو العزيز) فلا يغلب على مشيئته (الحكيم) فلا يخذل الا أهل الخذلان ولا يلطف الا بأهل اللطف

(القول في سورة ابراهيم عليه السلام) (بسم الله الرحمن الرحيم) * قوله تعالى وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم (قال أي ليفهموا عنه ما يدعوهم اليه فلا يكون لهم حجة الخ) قال أحمد جميع الفصل مرضي لكن في هذه الخاتمة نظر لان فيها اشعارا بأن اعجاز القرآن من حيث اللغة العربية خاصة يتقاصر عن اعجازه لو قدر منزلا بكل لسان حتى انه لو نزل بجميع اللغات لبلغ من الوضوح الى حد يكاد أن يكون الجاء الى الايمان به وهذا فيه نظر والقول به غير متعين لان المعجز يفيد العلم بصدق من ظهر على يده ومتى حصل العلم لم يكن بين علم وعلم تفاوت ولا ترجيح فلو نزل القرآن بجميع اللغات لكان العلم الحاصل منه وقد نزل بلغة واحدة هو العلم الحاصل منه لو نزل بالجميع لا تفاوت ولا ترجيح بين العلمين هذا هو التحقيق والله أعلم والزمخشري يبني في كثير من كلامه على أن العلوم تتفاوت وتنقسم الى جلي وأجلى وهو من الحق بمعزل وأغاليط ذلك طائفة ظاهرية والله الموفق

(ان

* قوله تعالى (جاءتهم رسلهم بالبينات فردوا أيديهم في أفواههم) قال معناه عضوها غيظا وضجرا مما جاءت به الرسل الخ) قال أحمد وأقوى هذه الوجوه هذا الوجه الذي بدأ به المصنف على اختصاصه بالقوة وإنما كان كذلك لأن إقناطهم الرسل من الإيمان قولا وفعلا بوضع اليد في الفم هو المناسب لحدهم في الكفر وتصديرا العبارة بالحرف المؤكد ومواجهة الرسل بضمائر الخطاب وإعادة ذلك مبالغة في أنا كفرنا ليس السياق يناسب للضحك ولا الغيظ ولا التصميت الرسل كمناسبته لإقناطهم من القبول ألا ترى أنهم لما أعادوا للرسل القول ولم ينكروا عليهم عودهم إلى المجادلة دل على أنهم لم يسكتوهم أولا ولا كان غرضهم ذلك والله أعلم

(أن أخرج) بمعنى أي أخرج لأن الإرسال فيه معنى القول كأنه قيل أرسلناه وقلنا له أخرج ويجوز أن تكون أن الناصبة للفعل وإنما صلح أن توصل بفعل الأمر لأن الغرض وصلها بما تكون معه في تأويل المصدر وهو الفعل والأمر وغيره سواء في الفعلية والدليل على جواز أن تكون الناصبة للفعل قولهم أوعز إليه بأن افعل فأدخلوا عليها حرف الجر وكذلك التقدير بأن أخرج قومك (وذكرهم بأيام الله) وأنذرهم بوقائعه التي وقعت على الأمم قبلهم قوم نوح وعاد وثمود ومنه أيام العرب لحروبها وملاحمها كيوم ذي قار ويوم الفجار ويوم قضة وغيرها وهو الظاهر وعن ابن عباس رضي الله عنه نعماؤه وبلاؤه فأما نعماؤه فإنه ظلل عليهم الغمام وأنزل عليهم المن والسلوى وفلق لهم البحر وأما بلاؤه فهلاك القرون (لكل صبار شكور) يصبر على بلاء الله ويشكر نعماءه فإذا سمع بما أنزل الله من البلاء على الأمم أو أفاض عليهم من النعم تنبه على ما يجب عليه من الصبر والشكر واعتبر وقيل أراد لكل مؤمن لأن الشكر والصبر من سجاياهم تنبيها عليهم (إذ أنجاكم) ظرف للنعمة بمعنى الإنعام أي إنعامه عليكم ذلك الوقت (فإن قلت) هل يجوز أن ينتصب بعليكم (قلت) لا يخلو من أن يكون صلة للنعمة بمعنى الإنعام أو غير صلة إذا أردت بالنعمة العطية فإذا كان صلة لم يعمل فيه وإذا كان غير صلة بمعنى اذكروا نعمة الله مستقرة عليكم عمل فيه ويتبين الفرق بين الوجهين أنك إذا قلت نعمة الله عليكم فإن جعلته صلة لم يكن كلاما حتى تقول فائضة أو نحوها وإلا كان كلاما ويجوز أن يكون إذ بدلا من نعمة الله أي اذكروا وقت إنجائكم وهو من بدل الاشتمال (فإن قلت) في سورة البقرة يذبحون وفي الأعراف يقتلون وههنا (ويذبحون) مع الواو فما الفرق (قلت) الفرق أن التذبيح حيث طرح الواو جعل تفسيرا للعذاب وبيانا له وحيث أثبت جعل التذبيح لأنه أوفى على جنس العذاب وزاد عليه زيادة ظاهرة كأنه جنس آخر (فإن قلت) كيف كان فعل آل فرعون بلاء من ربهم (قلت) تمكينهم وإمهالهم حتى فعلوا ما فعلوا ابتلاء من الله ووجه آخر وهو أن ذلك إشارة إلى الإنجاء وهو بلاء عظيم والبلاء يكون ابتلاء بالنعمة والمحنة جميعا قال تعالى ونبلوكم بالشر والخير فتنة وقال زهير

* فأبلاهما خير البلاء الذي يبلو *

(وإذ تأذن ربكم) من جملة ما قال موسى لقومه وانتصابه للعطف على قوله نعمة الله عليكم كأنه قيل وإذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم واذكروا حين تأذن ربكم ومعنى تأذن ربكم آذن ربكم ونظير تأذن وآذن توعد وأوعد وتفضل وأفضل ولا بد في تفعل من زيادة معنى ليس في أفعل كأنه قيل وإذ آذن ربكم إيذانا بليغا تنتفي عنده الشكوك وتنزاح الشبه والمعنى وإذ تأذن ربكم فقال (لئن شكرتم) أو أجرى تأذن مجرى قال لأنه ضرب من القول وفي قراءة ابن مسعود وإذ قال ربكم لئن شكرتم أي لئن شكرتم يا بني إسرائيل ما خولتكم من نعمة الإنجاء وغيرها من النعم بالإيمان الخالص والعمل الصالح (لأزيدنكم) نعمة إلى نعمة ولأضاعفن لكم ما آتيتكم (ولئن كفرتم) وغمطتم ما أنعمت به عليكم (إن عذابي لشديد) لمن كفر نعمتي (وقال موسى إن تكفروا أنتم) يا بني إسرائيل والناس كلهم فإنما ضررتم أنفسكم وحرمتموها الخير الذي لا بد لكم منه وأنتم إليه محاويج والله غني عن شكركم (حميد) مستوجب للحمد بكثرة أنعمه وأياديه وإن لم يحمده الحامدون (والذين من بعدهم لا يعلمهم إلا الله) جملة من مبتدأ وخبر وقعت اعتراضا أو عطف الذين من بعدهم على قوم نوح ولا يعلمهم إلا الله اعتراض والمعنى أنهم من الكثرة بحيث لا يعلم عددهم إلا الله وعن ابن عباس رضي الله عنه بين عدنان وإسمعيل ثلاثون أبا لا يعرفون وكان ابن مسعود إذا قرأ هذه الآية قال كذب النسابون يعني أنهم يدعون علم الأنساب وقد نفى الله علمها عن العباد (فردوا أيديهم في أفواههم) فعضوها غيظا وضجرا مما جاءت به الرسل كقوله عضوا عليكم الأنامل من الغيظ أو ضحكا واستهزاء كمن غلبه الضحك فوضع يده على فيه أو أشاروا بأيديهم إلى ألسنتهم وما نطقت به من قولهم (إنا كفرنا بما أرسلتم به) أي هذا جوابنا لكم ليس عندنا غيره إقناطا لهم من التصديق

أن أخرج قومك من الظلمات إلى النور وذكرهم بأيام الله إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور وإذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم إذ أنجاكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب ويذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم وإذ تأذن ربكم لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عذابي لشديد وقال موسى إن تكفروا أنتم ومن في الأرض جميعا فإن الله لغني حميد ألم يأتكم نبأ الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم لا يعلمهم إلا الله جاءتهم رسلهم بالبينات فردوا أيديهم في أفواههم وقالوا إنا كفرنا بما أرسلتم به وإنا لفي شك

• عاد كلامه (قال وقولهم ان أنتم الا بشر مثلنا معناه فلم تختصون بالنبوة دوننا ولو أرسل الله الى البشر رسلا لجعلهم من جنس أفضل منهم وهم الملائكة) قال أحمد

ومن ثم اتكأ على الانتصار لاعتقاده تفضيل الملائكة على الرسل من البشر يستدعي حتى جعل الكفار على أنهم كانوا يعتقدون كما تعتقد القدرية في تفضيل الملك على الرسول لانه يدعي ذلك أمرا مركوزا في الطباع معلوما ضرورة والله الموفق

مما تدعوننا اليه مريب قالت رسلهم أفي الله شك فاطر السموات والارض يدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم ويؤخركم الى أجل مسمى قالوا ان أنتم الا بشر مثلنا تريدون أن تصدونا عما كان يعبد آباؤنا فأتونا بسلطان مبين قالت لهم رسلهم ان نحن الا بشر مثلكم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده وما كان لنا أن نأتيكم بسلطان الا باذن الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون وما لنا الا نتوكل على الله وقد هدانا سبلنا ولنصبرن على ما آذيتمونا وعلى الله فليتوكل المتوكلون وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من أرضنا أو لتعودن في ملتنا فأوحى اليهم ربهم لنهلكن الظالمين ولنسكننكم الارض من بعدهم ذلك

ألا ترى الى قوله فردوا أيديهم في أفواههم وقالوا انا كفرنا بما أرسلتم به وهذا قول قوي أو وضعوها على أفواههم يقولون للأنبياء أطبقوا أفواهكم واسكتوا أو ردوها في أفواه الأنبياء يشيرون لهم الى السكوت أو وضعوها على أفواههم يسكتونهم ولا يذرونهم يتكلمون وقيل الأيدي جمع يد وهي النعمة بمعنى الأيادي أي ردوا نعم الأنبياء التي هي أجل النعم من مواعظهم ونصائحهم وما أوحي اليهم من الشرائع والآيات في أفواههم لأنهم اذا كذبوها ولم يقبلوها فكأنهم ردوها في أفواههم ورجعوها الى حيث جاءت منه على طريق المثل (مما تدعوننا اليه) من الايمان بالله وقرئ تدعونا بادغام النون (مريب) موقع في الريبة أو ذي ريبة من أرابه وأراب الرجل وهي قلق النفس وأن لا تطمئن الى الأمر (أفي الله شك) أدخلت همزة الانكار على الظرف لأن الكلام ليس في الشك انما هو في المشكوك فيه وأنه لا يحتمل الشك لظهور الأدلة وشهادتها عليه (يدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم) أي يدعوكم الى الايمان ليغفر لكم أو يدعوكم لأجل المغفرة كقوله دعوته لينصرني ودعوته ليأكل معي وقال

دعوت لما نابني مسورا • فلبى فلبي يدي مسور

(فان قلت) ما معنى التبعيض في قوله من ذنوبكم (قلت) ما علمته جاء هكذا الا في خطاب الكافرين كقوله واتقوه وأطيعون يغفر لكم من ذنوبكم يا قومنا أجيبوا داعي الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم وقال في خطاب المؤمنين هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم الى أن قال يغفر لكم ذنوبكم وغير ذلك مما يقفك عليه الاستقراء وكان ذلك للتفرقة بين الخطابين ولئلا يسوي بين الفريقين في الميعاد وقيل أريد أنه يغفر لهم ما بينهم وبين الله بخلاف ما بينهم وبين العباد من المظالم ونحوها (ويؤخركم الى أجل مسمى) الى وقت قد سماه الله وبين مقداره يبلغكموه ان آمنتم والا عاجلكم بالهلاك قبل ذلك الوقت (ان أنتم) ما أنتم (الا بشر مثلنا) لا فضل بيننا وبينكم ولا فضل لكم علينا فلم تخصون بالنبوة دوننا ولو أرسل الله الى البشر رسلا لجعلهم من جنس أفضل منهم وهم الملائكة (بسلطان مبين) بحجة بينة وقد جاءتهم رسلهم بالبينات والحجج وانما أرادوا بالسلطان المبين آية قد اقترحوها تعنتا ولجاجا (ان نحن الا بشر مثلكم) تسليم لقولهم وأنهم بشر مثلهم يعنون أنهم مثلهم في البشرية وحدها فأما ما وراء ذلك فما كانوا مثلهم ولكنهم لم يذكروا فضلهم تواضعا منهم واقتصروا على قولهم (ولكن الله يمن على من يشاء من عباده) بالنبوة لأنه قد علم أنه لا يختصهم بتلك الكرامة الا وهم أهل لاختصاصهم بها لخصائص فيهم قد استأثروا بها على أبناء جنسهم (الا باذن الله) أرادوا أن الاتيان بالآية التي اقترحتموها ليس الينا ولا في استطاعتنا وما هو الا أمر يتعلق بمشيئة الله (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) أمر منهم للمؤمنين كافة بالتوكل وقصدوا به أنفسهم قصدا أوليا أمروها به كأنهم قالوا ومن حقنا أن نتوكل على الله في الصبر على معاندتكم ومعاداتكم وما يجري علينا منكم ألا ترى الى قوله (وما لنا أن لا نتوكل على الله) ومعناه وأي عذر لنا في أن لا نتوكل عليه (وقد هدانا) وقد فعل بنا ما يوجب توكلنا عليه وهو التوفيق لهداية كل واحد منا سبيله الذي يجب عليه سلوكه في الدين (فان قلت) كيف كرر الأمر بالتوكل (قلت) الأول لاستحداث التوكل وقوله (فليتوكل المتوكلون) معناه فليثبت المتوكلون على ما استحدثوا من توكلهم وقصدهم الى أنفسهم على ما تقدم (لنخرجنكم أو لتعودن) ليكونن أحد الأمرين لا محالة اما اخراجكم واما عودكم حالفين على ذلك (فان قلت) كأنهم كانوا على ملتهم حتى يعودوا فيها (قلت) معاذ الله ولكن العود بمعنى الصيرورة وهو كثير في كلام العرب كثرة فاشية لا تكاد تسمعهم يستعملون صار ولكن عاد ما عرفت أراه عاد لا يكلمني ما عاد لفلان مال أو خاطبوا به كل رسول ومن آمن به فغلبوا في الخطاب الجماعة على الواحد (لنهلكن الظالمين) حكاية تقتضي اضمار القول أو اجراء الايحاء مجرى القول لأنه ضرب منه وقرأ أبو حيوة ليهلكن وليسكننكم بالياء اعتبارا لأوحى وأن لفظه لفظ الغيبة

• قوله تعالى وعلى الله فليتوكل المؤمنون الخ (قال ان قلت كيف كرر ذلك بعد قوله وعلى الله فليتوكل المؤمنون الخ) قال أحمد وبهذا يخرج عن وادي من قال قتيلا فله سلبه والله أعلم

ونحوه قولك أقسم زيد ليخرجن ولا حرجن * والمراد بالارض أرض الظالمين وديارهم ونحوه وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها وأورثكم أرضهم وديارهم وعن النبي صلى الله عليه وسلم من آذى جاره ورثه الله داره ولقد عاينت هذا في مدة قريبة كان لي خال يظلمه عظيم القرية التي أنا منها ويؤذيني فيه فمات ذلك العظيم وملكني الله ضيعته فنظرت يوما الى أبناء خالي يترددون فيها ويدخلون في دورها ويخرجون ويأمرون وينهون فذكرت قول رسول الله صلى الله عليه وسلم وحدثتهم به وسجدنا شكرا لله (ذلك) اشارة الى ما قضى به الله من اهلاك الظالمين واسكان المؤمنين ديارهم أي ذلك الامر حق (لمن خاف مقامي) موقفي وهو موقف الحساب لانه موقف الله الذي يقف فيه عباده يوم القيامة أو على اقحام المقام وقيل خاف قيامي عليه وحفظي لاعماله والمعنى أن ذلك حق للمتقين كقوله والعاقبة للمتقين (واستفتحوا) واستنصروا الله على أعدائهم ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح أو استحكموا الله وسألوه القضاء بينهم من الفتاحة وهي الحكومة كقوله تعالى ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وهو معطوف على أوحى اليهم وقرئ واستفتحوا بلفظ الامر وعطفه على لنهلكن أي أوحى اليهم ربهم وقال لهم لنهلكن وقال لهم استفتحوا (وخاب كل جبار عنيد) معناه فنصروا وظفروا وأفلحوا وخاب كل جبار عنيد وهم قومهم وقيل واستفتح الكفار على الرسل ظنا منهم بأنهم على الحق والرسل على الباطل وخاب كل جبار عنيد منهم ولم يفلح باستفتاحه (من ورائه) من بين يديه قال

عسى الكرب الذي أمسيت فيه * يكون وراءه فرج قريب

وهذا وصف حاله وهو في الدنيا لانه مرصد لجهنم فكأنها بين يديه وهو على شفيرها أو وصف حاله في الآخرة حين يبعث ويوقف (فان قلت) علام عطف (ويسقى) (قلت) على محذوف تقديره من ورائه جهنم يلقى فيها ما يلقى ويسقى من ماء صديد كأنه أشد عذابها فخصص بالذكر مع قوله ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت (فان قلت) ما وجه قوله تعالى (من ماء صديد) (قلت) صديد عطف بيان لماء قال ويسقى من ماء فأبهمه ابهاما ثم بينه بقوله صديد وهو ما يسيل من جلود أهل النار (يتجرعه) يتكلف جرعه (ولا يكاد يسيغه) دخل كاد للمبالغة يعني ولا يقارب أن يسيغه فكيف تكون الاساغة كقوله لم يكد يراها أي لم يقرب من رؤيتها فكيف يراها (ويأتيه الموت من كل مكان) كأن أسباب الموت وأصنافه كلها قد تألبت عليه وأحاطت به من جميع الجهات تفظيعا لما يصيبه من الآلام وقيل من كل مكان من جسده حتى من ابهام رجله وقيل من أصل كل شعرة (ومن ورائه) ومن بين يديه (عذاب غليظ) أي في كل وقت يستقبله يتلقى عذابا أشد مما قبله وأغلظ وعن الفضيل هو قطع الانفاس وحبسها في الاجساد ويحتمل أن يكون أهل مكة قد استفتحوا أي استمطروا والفتح المطر في سني القحط التي أرسلت عليهم بدعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يسقوا فذكر سبحانه ذلك وأنه خيب رجاء كل جبار عنيد وأنه يسقى في جهنم بدل سقياه ماء آخر وهو صديد أهل النار واستفتحوا على هذا التفسير كلام مستأنف منقطع عن حديث الرسل وأممهم * هو مبتدأ محذوف الخبر عند سيبويه تقديره وفيما يقص عليك (مثل الذين كفروا بربهم) والمثل مستعار للصفة التي فيها غرابة (وقوله أعمالهم كرماد) جملة مستأنفة على تقدير سؤال سائل يقول كيف مثلهم فقيل أعمالهم كرماد ويجوز أن يكون المعنى مثل أعمال الذين كفروا بربهم أو هذه الجملة خبر للمبتدأ أي صفة الذين كفروا أعمالهم كرماد كقولك صفة زيد عرضه مصون وماله مبذول أو يكون أعمالهم بدلا من مثل الذين كفروا على تقدير مثل أعمالهم وكرماد الخبر * وقرئ الرياح (في يوم عاصف) جعل العصف لليوم وهو لما فيه وهو الريح أو الرياح كقولك يوم ماطر وليلة ساكرة وانما السكور لريحها وقرئ في يوم عاصف بالاضافة وأعمال الكفرة المكارم التي كانت لهم من صلة الارحام وعتق الرقاب وفداء الاسارى وعقر الابل للاضياف واغاثة الملهوفين والاجارة وغير ذلك من صنائعهم شبهها في حبوطها وذهابها هباء منثورا لبنائها على غير أساس من معرفة الله والايمان به وكونها لوجهه برماد طيرته الريح العاصف (لا يقدرون) يوم القيامة (مما كسبوا) من أعمالهم (على شيء) أي لا يرون له أثرا من ثواب كما لا يقدر من الرماد المطير في الريح على شيء (ذلك هو الضلال البعيد)

لمن خاف مقامي وخاف
وعيد واستفتحوا وخاب
كل جبار عنيد من
ورائه جهنم ويسقى من
ماء صديد يتجرعه ولا
يكاد يسيغه ويأتيه
الموت من كل مكان
وما هو بميت ومن ورائه
عذاب غليظ مثل الذين
كفروا بربهم أعمالهم
كرماد اشتدت به الريح
في يوم عاصف لا يقدرون
مما كسبوا على شيء
ذلك هو الضلال البعيد
ألم تر أن الله خلق
السموات والارض

* قوله تعالى ألم تر أن الله خلق السموات والارض بالحق ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد وما ذلك على الله بعزيز (قال معناه خلقها بالحكمة والغرض الصحيح الخ) قال أحمد وهذا من اعتزاله الخفي وقد تقدمت أمثاله * عاد كلامه (قال معناه وما ذلك على الله بعزيز أي هين عليه لانه قادر بالذات الخ) قال أحمد وهذا اعتزال صراح لم يتقمع في ابرازه وما أشنع قوله عن الله جل جلاله خلص له الداعي وأمضى الصارف وما أنباه عن سمع المحققين العارفين بآداب الله تعالى وبما يجب في حق جلاله وقد تقدم مقبسه كفاية * قوله تعالى فقال الضعفاء للذين استكبروا انا كنا لكم تبعا فهل أنتم مغنون عنا من عذاب الله من شئ قالوا لو هدانا الله لهديناكم سواء علينا أجزعنا أم صبرنا ما لنا من محيص (قال الذي قال لهم الضعفاء كان توبيخا لهم الخ) قال أحمد استشعر دلالة الآية لعقيدة السنة المشتملة على ان الله تعالى مهما شاء كان وما لم يشأ لم يكن وان هداية المشركين مما لم يشأه ولو شاءها لاهتدوا واعتقد أن هذه الدلالة من ايراد هذا الكلام عن الكفار في دار الحق حين حقت لهم الحقائق وانكشف الغطاء والمقصود من اقتصاصه نذار أمثالهم في الدنيا وتحذيرهم من الحسرة والندم في الآخرة اذا حق عليهم العذاب واعترفوا بالحق وقالوا القول المذكور وهذا يرشد الى أنه كلام صحيح المعنى لو

فلما فطن الزمخشري لذلك شرع في تقرير تخطئتهم في هذا القول في الآخرة كما خطأهم في الدنيا التي لها اعتقد أن الله تعالى شاء ما لا يكون ويكون ما لا يشاء ومن ذلك هداية الكفار فان الله تعالى يشاءها في الدنيا لكنها لم تكن وأبى له ذلك وسياق الآية يصوب الكلام المذكور وينفر العاقلين عنه في الدنيا ويحذرهم من التورط فيما يؤدي الى هذا الندم حيث لا ينفع ويجر الى هذه الحسرة اذ لا تنجع كما أورد كلام الشيطان عقيب ذلك حين يعترف بالحق في دار الحق وحيث لا ينفعه ايمانه فيقول ان الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم الخ واعا سيق تحذيرا ونذارا تعالى والله الموفق

بالحق ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد وما ذلك على الله بعزيز وبرزوا لله جميعا فقال الضعفاء للذين استكبروا انا كنا لكم تبعا فهل أنتم مغنون عنا من عذاب الله من شئ قالوا لو هدانا الله لهديناكم

اشارة الى بعد ضلالهم عن طريق الحق وعن الثواب (بالحق) بالحكمة والغرض الصحيح والامر العظيم ولم يخلقها عبثا ولا شهوة * وقرئ خالق السموات والارض (ان يشأ يذهبكم) أي هو قادر على أن يعدم الناس ويخلق مكانهم خلقا آخر على شكلهم أو على خلاف شكلهم اعلاما منه باقتداره على اعدام الموجود وايجاد المعدوم يقدر على الشئ وجنس ضده (وما ذلك على الله بعزيز) بمتعذر بل هو هين عليه يسير لانه قادر الذات لا اختصاص له بمقدور دون مقدور فاذا خلص له الداعي الى شئ وانتفى الصارف تكون من غير توقف كتحريك اصبعك اذا دعاك اليه داع ولم يعترض دونه صارف وهذه الآية بيان لابعادهم في الضلال وعظيم خطئهم في الكفر بالله لوضوح آياته الشاهدة له الدالة على قدرته الباهرة وحكمته البالغة وأنه هو الحقيق بأن يعبد ويخاف عقابه ويرجى ثوابه في دار الجزاء (وبرزوا لله) ويبرزون يوم القيامة وعجئ به بلفظ الماضي لان ما أخبر به عز وعلا لصدقه كأنه قد كان ووجد ونحوه ونادى أصحاب الجنة ونادى أصحاب النار ونظائر له ومعنى بروزهم لله والله تعالى لا يتوارى عنه شئ حتى يبرز له أنهم كانوا يستترون من العيون عند ارتكاب الفواحش ويظنون أن ذلك خاف على الله فاذا كان يوم القيامة انكشفوا لله عند أنفسهم وعلموا أن الله لا يخفى عليه خافية أو خرجوا من قبورهم فبرزوا لحساب الله وحكمه (فان قلت) لم كتب (الضعفؤا) بواو قبل الهمزة (قلت) كتب على لفظ من يفخم الالف قبل الهمزة فيميلها الى الواو ونظيره علماؤا بني اسرائيل والضعفاء الاتباع والعوام والذين استكبروا ساداتهم وكبراؤهم الذين استتبعوهم واستغووهم وصدوهم عن الاستماع الى الانبياء واتباعهم (تبعا) تابعين جمع تابع على تبع كقولهم خادم وخدم وغائب وغيب أو ذوي تبع والتبع الاتباع يقال تبعه تبعا (فان قلت) أي فرق بين من في (من عذاب الله) وبينه في (من شئ) (قلت) الاولى للتبيين والثانية للتبعيض كأنه قيل هل أنتم مغنون عنا بعض الشئ الذي هو عذاب الله ويجوز أن تكونا للتبعيض معا بمعنى هل أنتم مغنون عنا بعض شئ هو بعض عذاب الله أي بعض بعض عذاب الله (فان قلت) فما معنى قوله (لو هدانا الله لهديناكم) (قلت) الذي قال لهم الضعفاء كان توبيخا لهم وعتابا على استتباعهم واستغوائهم وقولهم فهل أنتم مغنون عنا من باب التبكيت لانهم قد علموا أنهم لا يقدرون على الاغناء عنهم فأجابوهم معتذرين عما كان منهم اليهم بأن الله لو هداهم الى الايمان لهدوهم ولم يضلوهم اما موركين الذنب في ضلالهم واضلالهم على الله كما حكى الله عنهم وقالوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شئ يقولون ذلك في الآخرة كما كانوا يقولونه في الدنيا ويدل عليه قوله حكاية عن المنافقين يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له كما يحلفون لكم ويحسبون أنهم على شئ واما أن يكون المعنى لو كنا من أهل اللطف فلطف بنا ربنا واهتدينا لهديناكم الى الايمان وقيل معناه

• قوله تعالى وقال الشيطان لما قضي الامر ان الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم الخ (قال وروى ان الشيطان يقوم عند ذلك خطيبا الخ) قال أحمد قد حمل قول الكفار في الآية الاولى على ابطال الاتصال لانه لا يلائم معتقده واستشهد على ان الكذب حينئذ غير ممتنع ولا متعذر بقوله تعالى فيحلفون له كما يحلفون لكم ثم لما ظن ان قول الشيطان هذا يلائم معتقده اجتهد في الاستدلال على تصويبه وتصحيحه وان كان قاله الشيطان كل ذلك منه اتباع للهوى حيثما توجه وأينما سلك ونحن معشر

سواء علينا أجزعنا أم صبرنا ما لنا من محيص وقال الشيطان لما قضي الامر ان الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان الا أن دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا أنفسكم ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخي اني كفرت بما أشركتمون من قبل

لو هدانا الله طريق النجاة من العذاب لهديناكم أي لاغنينا عنكم وسلكنا بكم طريق النجاة كما سلكنا بكم طريق الهلكة (سواء علينا أجزعنا أم صبرنا) مستويان علينا الجزع والصبر والهمزة وأم للتسوية ونحوه اصبروا أو لا تصبروا سواء عليكم وروي أنهم يقولون تعالوا نجزع فيجزعون خمسمائة عام فلا ينفعهم فيقولون تعالوا نصبر فيصبرون كذلك ثم يقولون سواء علينا (فان قلت) كيف اتصل قوله سواء علينا بما قبله (قلت) اتصاله به من حيث ان عتابهم لهم كان جزعا مما هم فيه فقالوا سواء علينا أجزعنا أم صبرنا يريدون أنفسهم واياهم لاجتماعهم في عقاب الضلالة التي كانوا مجتمعين فيها يقولون ما هذا الجزع والتوبيخ ولا فائدة في الجزع كما لا فائدة في الصبر والامر من ذلك أطم أو لما قالوا لو هدانا الله طريق النجاة لاغنينا عنكم وأنجيناكم أتبعوه الاقناط من النجاة فقالوا (ما لنا من محيص) أي منجى ومهرب جزعنا أم صبرنا ويجوز أن يكون من كلام الضعفاء والمستكبرين جميعا كأنه قيل قالوا جميعا سواء علينا كقوله ذلك ليعلم أني لم أخنه والمحيص يكون مصدرا كالمغيب والمشيب ومكانا كالمبيت والمصيف ويقال حاص عنه وجاض بمعنى واحد (لما قضي الامر) لما قطع الامر وفرغ منه وهو الحساب وتصادر الفريقين ودخول أحدهما الجنة ودخول الآخر النار وروي أن الشيطان يقوم عند ذلك خطيبا في الاشقياء من الجن والانس فيقول ذلك (ان الله وعدكم وعد الحق) وهو البعث والجزاء على الاعمال فوفى لكم بما وعدكم (ووعدتكم) خلاف ذلك (فأخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان) من تسلط وقهر فأقسركم على الكفر والمعاصي وألجئكم اليها (الا أن دعوتكم) الا دعائي اياكم الى الضلالة بوسوستي وتزييني وليس الدعاء من جنس السلطان ولكنه كقولك ما تحيتهم الا الضرب (فلا تلوموني ولوموا أنفسكم) حيث اغتررتم بي وأطعتموني اذ دعوتكم ولم تطيعوا ربكم اذ دعاكم وهذا دليل على أن الانسان هو الذي يختار الشقاوة أو السعادة ويحصلها لنفسه وليس من الله الا التمكين ولا من الشيطان الا التزيين ولو كان الامر كما تزعم المجبرة لقال فلا تلوموني ولا أنفسكم فان الله قضى عليكم الكفر وأجبركم عليه (فان قلت) قول الشيطان باطل لا يصح التعلق به (قلت) لو كان هذا القول منه باطلا لبين الله بطلانه وأظهر انكاره على أنه لا طائل له في النطق بالباطل في ذلك المقام ألا ترى الى قوله ان الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم كيف أتى فيه بالحق والصدق وفي قوله وما كان لي عليكم من سلطان وهو مثل قول الله تعالى ان عبادي ليس لك عليهم سلطان الا من اتبعك من الغاوين (ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخي) لا ينجي بعضنا بعضا من عذاب الله ولا يغيثه والاصراخ الاغاثة • وقرئ بمصرخيّ بكسر الياء وهي ضعيفة واستشهدوا لها ببيت مجهول

قال لها هل لك يا تا فيّ • قالت له ما أنت بالمرضيّ

وكأنه قدر ياء الاضافة ساكنة وقبلها ياء ساكنة فحركها بالكسر لما عليه أصل التقاء الساكنين ولكنه غير صحيح لان ياء الاضافة لا تكون الا مفتوحة حيث قبلها ألف في نحو عصاي فما بالها وقبلها ياء (فان قلت) جرت الياء الاولى مجرى الحرف الصحيح لاجل الادغام فكأنها ياء وقعت ساكنة بعد حرف صحيح ساكن فحركت بالكسر على الاصل (قلت) هذا قياس حسن ولكن الاستعمال المستفيض الذي هو بمنزلة الخبر المتواتر تتضاءل اليه القياسات • ما في (بما أشركتمون) مصدرية و (من قبل) متعلقة بأشركتمون يعني كفرت اليوم باشراككم اياي من قبل هذا اليوم أي في الدنيا كقوله تعالى ويوم القيامة يكفرون بشرككم ومعنى كفره باشراككم اياه تبرؤه منه واستنكاره له كقوله تعالى انا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وقيل من قبل يتعلق بكفرت وما موصولة أي كفرت من قبل حين أبيت السجود لآدم بالذي أشركتمونيه

أهل السنة الملقبين عنده بالجبرة نقول ان الله تعالى انما أورد هذا الكلام غير راد له ولا محاك فيه الشيطان كما اقتص كلام الكفار في الآية الاولى كذلك ونحن نعتقد ان الملامة انما تتوجه على المكلف وأما الله تعالى فقدس عن ذلك وحجته البالغة وقضاؤه الحق وذلك ان مصترف ما خلقه الله تعالى للعبد من الاختيار الذي يجده من نفسه عند تجاذب طرفي الافعال الارادية ضرورة وبذلك قامت الحجة له على خلقه وان سلبنا عن قدرة الخلق تأثيرها في الفعل فلا تناقض اذا بين عقيدة السنة وبين صرف الملامة الى المكلف والله الموفق

● قوله تعالى وأدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها باذن ربهم تحيتهم فيها سلام (قال وقرأ الحسن وعمرو بن عبيد وأدخل الذين آمنوا على فعل المتكلم الخ) قال أحمد فان قلت ما الذي صرف الزمخشري عن حمله على الالتفات من التكلم الى الغيبة والجاء الى تعلقه بما بعده وقد كانت له فى ذلك مندوحة والالتفات على هذا الوجه كثير مستفيض ألا ترى الى قوله تعالى طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى ثم قال تنزيلا ممن خلق الارض ولم يقل تنزيلا منا قلت لامر ما صرف الكلام عن هذا الوجه وهو ان ظاهر أدخل بلفظ المتكلم يشعر بان ادخالهم الجنة لم يكن بواسطة بل من الله تعالى مباشرة وظاهر الاذن يشعر باضافة الدخول الى الواسطة فبينهما تنافر ولكن يحسن عندي أن يعلق بخالدين والخلود غير الدخول فلا تنافر والله أعلم

وهو الله عز وجل تقول شركت زيدا فاذا نقلت بالهمزة قلت أشركنيه فلان أي جعلني له شريكا ونحو ما هذه ما في قولهم سبحان ما سخركن لنا ومعنى اشراكهم الشيطان بالله طاعتهم له فيما كان يزينه لهم من عبادة الاوثان وغيرها وهذا آخر قول ابليس وقوله (ان الظالمين) قول الله عز وجل ويحتمل أن يكون من جملة قول ابليس وانما حكى الله عز وجل ما سيقوله فى ذلك الوقت ليكون لطفا للسامعين فى النظر لعاقبتهم والاستعداد لما لا بد لهم من الوصول اليه وأن يتصوروا فى أنفسهم ذلك المقام الذي يقول الشيطان فيه ما يقول فيخافوا ويعملوا ما يخلصهم منه وينجيهم ● وقرئ فلا يلوموني بالياء على طريقة الالتفات كقوله تعالى حتى اذا كنتم فى الفلك وجرين بهم ● وقرأ الحسن وعمرو بن عبيد وأدخل الذين آمنوا على فعل المتكلم بمعنى وأدخل أنا وهذا دليل على أنه من قول الله لا من قول ابليس (باذن ربهم) متعلق بأدخل أي أدخلتهم الملائكة الجنة باذن الله وأمره (فان قلت) فبم يتعلق فى القراءة الاخرى وقولك وأدخلهم أنا باذن ربهم كلام غير ملتئم (قلت) الوجه فى هذه القراءة أن يتعلق قوله باذن ربهم بما بعده أي (تحيتهم فيها سلام) باذن ربهم يعني أن الملائكة يحيونهم باذن ربهم ● قرئ ألم تر ساكنة الراء كما قرئ من يتقي وفيه ضعف (ضرب الله مثلا) اعتمد مثلا ووضعه و (كلمة طيبة) نصب بمضمر أي جعل كلمة طيبة (كشجرة طيبة) وهو تفسير لقوله ضرب الله مثلا كقولك شرف الامير زيدا كساه حلة وحمله على فرس ويجوز أن ينتصب مثلا وكلمة بضرب أي ضرب كلمة طيبة مثلا بمعنى جعلها مثلا ثم قال كشجرة طيبة على أنها خبر مبتدأ محذوف بمعنى هي كشجرة طيبة (أصلها ثابت) يعني فى الارض ضارب بعروقه فيها (وفرعها) وأعلاها ورأسها (فى السماء) ويجوز أن يريد وفروعها على الاكتفاء بلفظ الجنس وقرأ أنس بن مالك كشجرة طيبة ثابت أصلها (فان قلت) أي فرق بين القراءتين (قلت) قراءة الجماعة أقوى معنى لان فى قراءة أنس أجريت الصفة على الشجرة واذا قلت مررت برجل أبوه قائم فهو أقوى معنى من قولك مررت برجل قائم أبوه لان المخبر عنه انما هو الاب لا رجل والكلمة الطيبة كلمة التوحيد وقيل كل كلمة حسنة كالتسبيحة والتحميدة والاستغفار والتوبة والدعوة وعن ابن عباس شهادة أن لا اله الا الله وأما الشجرة فكل شجرة مثمرة طيبة الثمار كالنخلة وشجرة التين والعنب والرمان وغير ذلك وعن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ذات يوم ان الله ضرب مثل المؤمن شجرة فأخبروني ما هي فوقع الناس فى شجر البوادي وكنت صبيا فوقع فى قلبي أنها النخلة فهبت رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أقولها وأنا أصغر القوم وروي فمنعني مكان عمر واستحييت فقال لي عمر يا بني لو كنت قلتها لكانت أحب الي من حمر النعم ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا انها النخلة وعن ابن عباس رضي الله عنهما شجرة فى الجنة وقوله فى السماء معناه فى جهة العلو والصعود ولم يرد المظلة كقولك فى الجبل طويل فى السماء تريد ارتفاعه وشموخه (تؤتي أكلها كل حين) تعطي ثمرها كل وقت وقته الله لاثماره (باذن ربها) بتيسير خالقها وتكوينه (لعلهم يتذكرون) لان فى ضرب الامثال زيادة افهام وتذكير وتصوير للمعاني (كشجرة خبيثة) كمثل شجرة خبيثة أي صفتها كصفتها وقرئ ومثل كلمة بالنصب عطفا على كلمة طيبة والكلمة الخبيثة كلمة الشرك وقيل كل كلمة قبيحة وأما الشجرة الخبيثة فكل شجرة لا يطيب ثمرها كشجرة الحنظل والكشوث ونحو ذلك وقوله (اجتثت من فوق الارض) فى مقابلة قوله أصلها ثابت ومعنى اجتثت استؤصلت وحقيقة الاجتثاث أخذ الجثة كلها (ما لها من قرار) أي استقرار يقال قر الشئ قرارا كقولك ثبت ثباتا شبه بها القول الذي لم يعضد بحجة فهو داحض غير ثابت والذي لا يبقى انما يضمحل عن قريب لبطلانه من قولهم الباطل لجلج وعن قتادة أنه قيل لبعض العلماء ما تقول فى كلمة خبيثة فقال ما أعلم لها فى الارض مستقرا ولا فى السماء مصعدا الا أن تلزم عنق صاحبها حتى يوافي بها

القيامة

ان الظالمين لهم عذاب أليم ● وأدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها باذن ربهم تحيتهم فيها سلام ● ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها فى السماء ● تؤتي أكلها كل حين باذن ربها ويضرب الله الامثال للناس لعلهم يتذكرون ● ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الارض ما لها من قرار ● يثبت الله الذين آمنوا

• قوله تعالى قل لعبادى الذين آمنوا يقيموا الصلاة الآية (قال فيه المقول محذوف الخ) قال أحمد وفى هذا الاعراب نظر لان الجواب حينئذ يكون خبرا من الله تعالى بانه من قال لهم هذا القول امتثلوا مقتضاه فاقاموا الصلاة وأنفقوا ولكنهم قد قيل لهم ولم يمتثل كثير منهم وخبر الله تعالى لا يتخلف عن المخبر وهذه النكتة هى الباعثة لكثير من المعربين على العدول (٦٦٥) عن هذا الوجه من الاعراب مع تبادره فيما اذكر بادى الرأى ويمكن تصحيحه بحمل العام على الغالب لا على الاستغراق ويقوى بوجهين لطيفين أحدهما ان هذا النمط لم يرد الا موصوفا بالايمان الحق المنوه بايمانه عند الامر كهذه الآية وكقوله وقل لعبادى يقولوا التى هى أحسن وقل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن الثانى تكرر تحسينه للموصوفين بانهم عباد الله المشرفون باضافتهم الى اسم الله وقد قالوا ان لفظ العباد لم يرد فى الكتاب العزيز الا مدحة للمؤمنين وخاصة وصادف اضافته اليه تعالى اضافة التشريف فالحاصل من ذلك ان المأمور فى هذه الآية من هو بصدد الامتثال وفى حيز المسارعة للطاعة فالخبر فى أمثالهم حق وصدق اما على العموم ان أريد أو على الغالب والله أعلم • عاد كلامه قال وجوزوا أن يكون يقيموا بمعنى ليقيموا ويكون هذا هو المقول الخ

بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء ألم تر الى الذين بدلوا نعمت الله كفرا وأحلوا قومهم دار البوار جهنم يصلونها وبئس القرار وجعلوا لله أندادا ليضلوا عن سبيله قل تمتعوا فان مصيركم الى النار قل لعبادى الذين آمنوا يقيموا الصلاة وينفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية من قبل

القيامة (بالقول الثابت) الذى ثبت بالحجة والبرهان فى قلب صاحبه وتمكن فيه فاعتقده واطمأنت اليه نفسه وتثبيتهم به فى الدنيا أنهم اذا فتنوا فى دينهم لم يزلوا كما ثبت الذين فتنهم أصحاب الاخدود والذين نشروا بالمناشير ومشطت لحومهم بأمشاط الحديد وكما ثبت جرجيس وشمسون وغيرهما وتثبيتهم فى الآخرة أنهم اذا سئلوا عند تواقف الاشهاد عن معتقدهم ودينهم لم يتلعثموا ولم يبهتوا ولم تحيرهم أهوال الحشر وقيل معناه الثبات عند سؤال القبر وعن البراء بن عازب رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر قبض روح المؤمن فقال ثم يعاد روحه فى جسده فيأتيه ملكان فيجلسانه فى قبره ويقولان له من ربك وما دينك ومن نبيك فيقول ربى الله ودينى الاسلام ونبيى محمد فينادى مناد من السماء أن صدق عبدى فذلك قوله يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت (ويضل الله الظالمين) الذين لم يتمسكوا بحجة فى دينهم وانما اقتصروا على تقليد كبارهم وشيوخهم كما قلد المشركون آباءهم فقالوا انا وجدنا آباءنا على أمة واضلالهم فى الدنيا أنهم لا يثبتون فى مواقف الفتن وتزل أقدامهم أول شئ وهم فى الآخرة أضل وأزل (ويفعل الله ما يشاء) أى ما توجبه الحكمة لان مشيئة الله تابعة للحكمة من تثبيت المؤمنين وتأييدهم وعصمتهم عند ثباتهم وعزمهم ومن اضلال الظالمين وخذلانهم والتخلية بينهم وبين شأنهم عند زللهم (بدلوا نعمت الله) أى شكر نعمة الله (كفرا) لان شكرها الذى وجب عليهم وضعوا مكانه كفرا فكأنهم غيروا الشكر الى الكفر وبدلوه تبديلا ونحوه وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون أى شكر رزقكم حيث وضعتم التكذيب موضعه ووجه آخر وهو أنهم بدلوا نفس النعمة كفرا على أنهم لما كفروها سلبوها فبقوا مسلوبى النعمة موصوفين بالكفر حاصلا لهم الكفر بدل النعمة وهم أهل مكة أسكنهم الله حرمه وجعلهم قوام بيته وأكرمهم بمحمد صلى الله عليه وسلم فكفروا نعمة الله بدل ما لزمهم من الشكر العظيم أو أصابهم الله بالنعمة فى الرخاء والسعة لايلافهم الرحلتين فكفروا نعمته فضربهم بالقحط سبع سنين فحصل لهم الكفر بدل النعمة وكذلك حين أسروا وقتلوا يوم بدر وقد ذهبت عنهم النعمة وبقى الكفر طوقا فى أعناقهم وعن عمر رضى الله عنه هم الافجران من قريش بنو المغيرة وبنو أمية فأما بنو المغيرة فكفيتموهم يوم بدر وأما بنو أمية فمتعوا حتى حين وقيل هم متنصرة العرب جبلة بن الايهم وأصحابه (وأحلوا قومهم) ممن تابعهم على الكفر (دار البوار) دار الهلاك وعطف (جهنم) على دار البوار عطف بيان • وقرئ ليضلوا بفتح الياء وضمها (فان قلت) الضلال والاضلال لم يكن غرضهم فى اتخاذ الانداد فما معنى اللام (قلت) لما كان الضلال والاضلال نتيجة اتخاذ الانداد كما كان الاكرام فى قولك جئتك لتكرمنى نتيجة المجئ دخلته اللام وان لم يكن غرضا على طريق التشبيه والتقريب (تمتعوا) ايذان بأنهم لانغماسهم فى التمتع بالحاضر وأنهم لا يعرفون غيره ولا يريدونه مأمورون به قد أمرهم آمر مطاع لا يسعهم أن يخالفوه ولا يملكون لانفسهم أمرا دونه وهو أمر الشهوة والمعنى ان دمتم على ما أنتم عليه من الامتثال لامر الشهوة (فان مصيركم الى النار) ويجوز أن يراد الخذلان والتخلية ونحوه قل تمتع بكفرك قليلا انك من أصحاب النار • المقول محذوف لان جواب قل يدل عليه وتقديره (قل لعبادى الذين آمنوا) أقيموا الصلاة وأنفقوا (يقيموا الصلاة وينفقوا) وجوزوا أن يكون يقيموا وينفقوا بمعنى ليقيموا ولينفقوا ويكون هذا هو المقول قالوا وانما جاز حذف اللام لان الامر الذى هو قل عوض منه ولو قيل يقيموا الصلاة وينفقوا ابتداء بحذف اللام لم يجز (فان قلت) علام انتصب (سرا وعلانية) (قلت) على الحال أى ذوى سر وعلانية بمعنى مسرين ومعلنين أو على الظرف أى وقتى سر وعلانية أو على المصدر أى انفاق سر وانفاق علانية والمعنى

الانفاق المتطوع به من الصدقات والاعلان بالواجب. والخلال المخالة (فان قلت) كيف طابق الامر بالانفاق
وصف اليوم بأنه (لا بيع فيه ولا خلال) (قلت) من قبل أن الناس يخرجون أموالهم في عقود المعاوضات
فيعطون بدلا ليأخذوا مثله وفي المكارمات ومهاداة الاصدقاء ليستجروا بهداياهم أمثالها أو خيرا منها وأما
الانفاق لوجه الله خالصا كقوله وما لأحد عنده من نعمة تجزى الا ابتغاء وجه ربه الاعلى فلا يفعله الا المؤمنون
الخلص فبعثوا عليه ليأخذوا بدله في يوم لا بيع فيه ولا خلال أي لا انتفاع فيه بمبايعة ولا بمخالة ولا بما ينفقون
فيه أموالهم من المعاوضات والمكارمات وانما ينتفع فيه بالانفاق لوجه الله وقرئ لا بيع فيه ولا خلال بالرفع
(الله) مبتدأ و(الذي خلق) خبره و(من الثمرات) بيان للرزق أي أخرج به رزقا هو ثمرات ويجوز أن يكون من
الثمرات مفعول أخرج و(رزقا) حالا من المفعول أو نصبا على المصدر من أخرج لانه في معنى رزق (بأمره)
قوله كن (دائبين) يدأبان في سيرهما وانارتهما ودرئهما الظلمات وصلاحهما ما يصلحان من الارض
والابدان والنبات (وسخر لكم الليل والنهار) يتعاقبان خلفة لمعاشكم وسباتكم (وآتاكم من كل ما سألتموه)
من للتبعيض أي آتاكم بعض جميع ما سألتموه نظرا في مصالحكم وقرئ من كل بالتنوين وما سألتموه نفي ومحله
النصب على الحال أي آتاكم من جميع ذلك غير سائليه ويجوز أن تكون ما موصولة على وآتاكم من كل ذلك
ما احتجتم اليه ولم تصلح أحوالكم ومعايشكم الا به فكأنكم سألتموه أو طلبتموه بلسان الحال (لا تحصوها)
لا تحصروها ولا تطيقوا عدها وبلوغ آخرها هذا اذا أرادوا أن يعدوها على الاجمال وأما التفصيل فلا يقدر
عليه ولا يعلمه الا الله (لظلوم) يظلم النعمة باغفال شكرها (كفار) شديد الكفران لها وقيل ظلوم في الشدة
يشكو ويجزع كفار في النعمة يجمع ويمنع والانسان للجنس فيتناول الاخبار بالظلم والكفران من
يوجدان منه (هذا البلد) يعني البلد الحرام ورد الله أمانا وكفاه كل باغ وظالم وأجاب فيه دعوة خليله ابراهيم
عليه السلام (آمنا) ذا أمن (فان قلت) أي فرق بين قوله اجعل هذا بلدا آمنا وبين قوله اجعل هذا البلد
آمنا (قلت) قد سأل في الاول أن يجعله من جملة البلاد التي يأمن أهلها ولا يخافون وفي الثاني أن يخرجه من
صفة كان عليها من الخوف الى ضدها من الامن كأنه قال هو بلد مخوف فاجعله آمنا (واجنبني) وقرئ
وأجنبني وفيه ثلاث لغات جنبه الشر وجنبه وأجنبه فأهل الحجاز يقولون جنبني شره بالتشديد وأهل نجد
جنبني وأجنبني والمعنى ثبتنا وأدمنا على اجتناب عبادتها (وبني) أراد بنيه من صلبه وسئل ابن عيينة كيف
عبدت العرب الاصنام فقال ما عبد أحد من ولد اسمعيل صنما واحتج بقوله واجنبني وبني (أن نعبد الاصنام)
انما كانت أنصاب حجارة لكل قوم قالوا البيت حجر فحيثما نصبنا حجرا فهو بمنزلة البيت فكانوا يدورون
بذلك الحجر ويسمونه الدوار فاستحب أن يقال طاف بالبيت ولا يقال دار بالبيت (انهن أضللن كثيرا من
الناس) فخوفني أن يعصمني وبني من ذلك وعاجلني منه لان الناس ضلوا بسببهن فكأنهن أضللنهم
كما تقول فتنتهم الدنيا وغرتهم أي افتتنوا بها واغتروا بسببها (فمن تبعني) على ملتي وكان حنيفا مسلما
مثلي (فانه مني) أي هو بعضي لفرط اختصاصه بي وملابسته لي وكذلك قوله من غشنا فليس منا أي ليس
بعض المؤمنين على أن الغش ليس من أفعالهم وأوصافهم (ومن عصاني فانك غفور رحيم) تغفر له ما سلف
منه من عصياني اذا بدا له فيه واستحدث الطاعة لي وقيل معناه ومن عصاني فيما دون الشرك (من ذريتي)
بعض أولادي وهم اسمعيل ومن ولد منه (بواد) هو وادي مكة (غير ذي زرع) لا يكون فيه شيء من زرع قط
كقوله قرآنا عربيا غير ذي عوج بمعنى لا يوجد فيه اعوجاج ما فيه الا الاستقامة لا غير وقيل للبيت المحرم لان
الله حرم التعرض له والتهاون به وجعل ما حوله حرما لمكانه أو لانه لم يزل ممنعا عزيزا يهابه كل جبار كالشيء المحرم
الذي حقه أن يجتنب أو لانه محترم عظيم الحرمة لا يحل انتهاكها أو لانه حرم على الطوفان أي منع منه كما سمي
عتيقا لانه أعتق منه فلم يستول عليه (ليقيموا الصلاة) اللام متعلقة بأسكنت أي ما أسكنتهم هذا الوادي
الخلاء البلقع من كل مرتفق ومرتزق الا ليقيموا الصلاة عند بيتك المحرم ويعمروه بذكرك وعبادتك وما تعمر به
مساجدك ومتعبداتك متبركين بالبقعة التي شرفتها على البقاع مستسعدين بجوارك الكريم متقربين اليك

ان يأتي يوم لا بيع فيه
ولا خلال الله الذي
خلق السموات
والارض وأنزل من
السماء ماء فأخرج به
من الثمرات رزقا لكم
وسخر لكم الفلك لتجري
في البحر بأمره وسخر
لكم الانهار وسخر لكم
الشمس والقمر دائبين
وسخر لكم الليل والنهار
وآتاكم من كل ما سألتموه
وان تعدوا نعمة الله لا
تحصوها ان الانسان
لظلوم كفار واذ قال
ابراهيم رب اجعل
هذا البلد آمنا واجنبني
وبني أن نعبد الاصنام
رب انهن أضللن كثيرا
من الناس فمن تبعني
فانه مني ومن عصاني
فانك غفور رحيم ربنا
اني أسكنت من ذريتي
بواد غير ذي زرع عند
بيتك المحرم ربنا ليقيموا
الصلاة فاجعل

أفئدة من الناس تهوى اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون ربنا انك تعلم ما نخفى وما نعلن وما يخفى على الله من شئ فى الارض ولا فى السماء الحمد لله الذى وهب لى على الكبر اسمعيل واسحق ان ربى لسميع الدعاء رب اجعلنى مقيم الصلاة

بالمكوث عند بيتك والطواف به والركوع والسجود حوله مستنزلين الرحمة التى آثرت بها سكان حرمك (أفئدة من الناس) أفئدة من أفئدة الناس ومن للتبعيض ويدل عليه ماروى عن مجاهد لو قال أفئدة الناس لزحمتكم عليه فارس والروم وقيل لو لم يقل من لازدحموا عليه حتى الروم والترك والهند ويجوز أن يكون من للابتداء كقولك القلب منى سقيم تريد قلبى فكأنه قيل أفئدة ناس وانما نكرت المضاف اليه فى هذا التمثيل لتنكير أفئدة لانها فى الآية نكرة ليتناول بعض الافئدة وقرئ آفدة بوزن عاقدة وفيه وجهان أحدهما أن يكون من القلب كقولك آدر فى أدور والثانى أن يكون اسم فاعل من أفدت الرحلة اذا عجلت أى جماعة أو جماعات يرحلون اليهم ويعجلون نحوهم وقرئ أفدة وفيه وجهان أن تطرح الهمزة للتخفيف وان كان الوجه أن تخفف باخراجها بين بين وأن يكون من أفد (تهوى اليهم) تسرع اليهم وتطير نحوهم شوقا ونزاعا من قوله

* يهوى مخارمها هوى الاجدل *

وقرئ تهوى اليهم على البناء للمفعول من هوى اليه وأهواه غيره وتهوى اليهم من هوى يهوى اذا أحب ضمن معنى تنزع فعدى تعديته (وارزقهم من الثمرات) مع سكناهم واديا ما فيه شئ منها بأن تجلب اليهم من البلاد (لعلهم يشكرون) النعمة فى أن يرزقوا أنواع الثمرات حاضرة فى واد يباب ليس فيه نجم ولا شجر ولا ماء لا جرم أن الله عز وجل أجاب دعوته فجعله حرما آمنا تجبى اليه ثمرات كل شئ رزقا من لدنه ثم فضله فى وجود أصناف الثمار فيه على كل ريف وعلى أخصب البلاد وأكثرها ثمارا وفى أى بلد من بلاد الشرق والغرب ترى الاعجوبة التى يريكها الله بواد غير ذى زرع وهى اجتماع البواكير والفواكه المختلفة الازمان من الربيعية والصيفية والخريفية فى يوم واحد وليس ذلك من آياته بعجيب متعنا الله بسكنى حرمه ووفقنا لشكر نعمه وأدام لنا التشرف بالدخول تحت دعوة ابراهيم عليه السلام ورزقنا طرفا من سلامة ذلك القلب السليم * النداء المكرر دليل التضرع واللجأ الى الله تعالى (انك تعلم ما نخفى وما نعلن) تعلم السر كما تعلم العلن علما لا تفاوت فيه لان غيبا من الغيوب لا يحتجب عنك والمعنى انك أعلم بأحوالنا وما يصلحنا وما يفسدنا منا وأنت أرحم بنا وأنصح لنا منا بأنفسنا ولها فلا حاجة الى الدعاء والطلب وانما ندعوك اظهارا للعبودية لك وتخشعا لعظمتك وتذللا لعزتك وافتقارا الى ما عندك واستعجالا لنيل أياديك وولها الى رحمتك وكما يتملق العبد بين يدى سيده رغبة فى اصابة معروفه مع توفر السيد على حسن الملكة وعن بعضهم أنه رفع حاجته الى كريم فأبطأ عليه النجح فأراد أن يذكره فقال مثلك لا يذكر استقصارا ولا توهما لغفلة عن حوائج السائلين ولكن ذا الحاجة لا تدعه حاجته أن لا يتكلم فيها وقيل ما نخفى من الوجد لما وقع بيننا من الفرقة وما نعلن من البكاء والدعاء وقيل ما نخفى من كآبة الافتراق وما نعلن يريد ما جرى بينه وبين هاجر حين قالت له عند الوداع الى من تكلنا قال الى الله أكلكم قالت آلله أمرك بهذا قال نعم قالت اذن لا نخشى تركتنا الى كاف (وما يخفى على الله من شئ) من كلام الله عز وجل تصديقا لابراهيم عليه السلام كقوله وكذلك يفعلون أو من كلام ابراهيم يعنى وما يخفى على الله الذى هو عالم الغيب من شئ فى كل مكان ومن للاستغراق كأنه قيل وما يخفى عليه شئ ما * على فى قوله (على الكبر) بمعنى مع كقوله

انى على ما ترين من كبرى * أعلم من حيث تؤكل الكتف

وهو فى موضع الحال معناه وهب لى وأنا كبير وفى حال الكبر روى ان اسمعيل ولد له وهو ابن تسع وتسعين سنة وولد له اسحق وهو ابن مائة وثنتى عشرة سنة وقد روى انه ولد له اسمعيل لاربع وستين واسحق لتسعين وعن سعيد بن جبير لم يولد لابراهيم الا بعد مائة وسبع عشرة سنة وانما ذكر حال الكبر لان المنة بهبة الولد فيها أعظم من حيث انها حال وقوع اليأس من الولادة والظفر بالحاجة على عقب اليأس من أجل النعم وأحلاها فى نفس الظافر ولان الولادة فى تلك السن العالية كانت آية لابراهيم (ان ربى لسميع الدعاء) كان قد دعا ربه وسأله الولد فقال رب هب لى من الصالحين فشكر لله ما أكرمه به من اجابته (فان قلت) الله تعالى يسمع كل دعاء أجابه أو لم يجبه (قلت) هو من قولك سمع الملك كلام فلان اذا اعتد به وقبله ومنه سمع الله لمن حمده وفى الحديث ما أذن الله لشئ كاذنه لنبى يتغنى بالقرآن (فان قلت) ما هذه الاضافة اضافة السميع الى الدعاء

(قلت) اضافة السميع الى مفعوله وأصله لسميع الدعاء وقد ذكر سيبويه فعيلا في جملة أبنية المبالغة العاملة عمل الفعل كقولك هذا ضروب زيدا وضراب أخاه ومنحار إبله وحذر أمورا ورحيم أباه ويجوز أن يكون من اضافة فعيل الى فاعله ويجعل دعاء الله سميعا على الاسناد المجازي والمراد سماع الله (ومن ذريتي) وبعض ذريتي عطفا على المنصوب في اجعلني وانما بعض لانه علم باعلام الله أن يكون في ذريته كفار وذلك قوله لا ينال عهدي الظالمين (وتقبل دعاء) أي عبادتي واعتزلكم وما تدعون من دون الله ● في قراءة أبي ولابوي وقرأ سعيد بن جبير ولوالدي على الافراد يعني أباه وقرأ الحسن بن علي رضي الله عنهما ولولدي يعني اسمعيل واسحق وقرئ لولدي بضم الواو والولد بمعنى الولد كالعدم والعدم وقيل جمع ولد كأسد في أسد وفي بعض المصاحف ولذريتي (فان قلت) كيف جاز له أن يستغفر لابويه وكانا كافرين (قلت) هو من مجوزات العقل لا يعلم امتناع جوازه الا بالتوقيف وقيل أراد بوالديه آدم وحواء وقيل بشرط الاسلام ويأباه قوله الا قول ابراهيم لابيه لاستغفرن لك لانه لو شرط الاسلام لكان استغفارا صحيحا لا مقال فيه فكيف يستثنى الاستغفار الصحيح من جملة ما يؤتسى فيه بابراهيم (يوم يقوم الحساب) أي يثبت وهو مستعار من قيام القائم على الرجل والدليل عليه قولهم قامت الحرب على ساقها ونحوه قولهم ترجلت الشمس اذا أشرقت وثبت ضوؤها كأنها قامت على رجل ويجوز أن يسند الى الحساب قيام أهله اسنادا مجازيا أو يكون مثل واسأل القرية وعن مجاهد قد استجاب الله له فيما سأل فلم يعبد أحد من ولده صنما بعد دعوته وجعل البلد آمنا ورزق أهله من الثمرات وجعله اماما وجعل في ذريته من يقيم الصلاة وأراه مناسكه وتاب عليه وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال كانت الطائف من أرض فلسطين فلما قال ابراهيم ربنا اني أسكنت الآية رفعها الله فوضعها حيث وضعها رزقا للحرم (فان قلت) يتعالى الله عن السهو والغفلة فكيف يحسبه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو أعلم الناس به غافلا حتى قيل (ولا تحسبن الله غافلا) (قلت) ان كان خطابا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ففيه وجهان أحدهما التثبيت على ما كان عليه من أنه لا يحسب الله غافلا كقوله ولا تكونن من المشركين ولا تدع مع الله الها آخر كما جاء في الامر يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله والثاني أن المراد بالنهي عن حسبانه غافلا الايذان بأنه عالم بما يعمل الظالمون لا يخفى عليه منه شئ وأنه معاقبهم على قليله وكثيره على سبيل الوعيد والتهديد كقوله والله بما تعملون عليم يريد الوعيد ويجوز أن يراد ولا تحسبنه يعاملهم معاملة الغافل عما يعملون ولكن معاملة الرقيب عليهم المحاسب على النقير والقطمير وان كان خطابا لغيره ممن يجوز أن يحسبه غافلا لجهله بصفاته فلا سؤال فيه وعن ابن عيينة تسلية للمظلوم وتهديد للظالم فقيل له من قال هذا فغضب وقال انما قاله من علمه ● وقرئ نؤخرهم بالنون والياء (تشخص فيه الابصار) أي أبصارهم لا تقر في أماكنها من هول ما ترى (مهطعين) مسرعين الى الداعي وقيل الاهطاع أن تقبل ببصرك على المرئي تديم النظر اليه لا تطرف (مقنعي رؤسهم) رافعيها (لا يرتد اليهم طرفهم) لا يرجع اليهم أن يطرفوا بعيونهم أي لا يطرفون ولكن عيونهم مفتوحة ممدودة من غير تحريك للاجفان أو لا يرجع اليهم نظرهم فينظروا الى أنفسهم ● والهواء الخلاء الذي لم تشغله الاجرام فوصف به فقيل قلب فلان هواء اذا كان جبانا لا قوة في قلبه ولا جرأة ويقال للاحمق أيضا قلبه هواء قال زهير

● من الظلمان جؤجؤه هواء ● لان النعام مثل في الجبن والحمق وقال حسان

● فأنت مجوف نخب هواء ● وعن ابن جريج أفئدتهم هواء صفر من الخير خالية منه وقال أبو عبيدة جوف لا عقول لهم (يوم يأتيهم العذاب) مفعول ثان لأنذر وهو يوم القيامة ومعنى (أخرنا الى أجل قريب) ردنا الى الدنيا وأمهلنا الى أمد وحد من الزمان قريب نتدارك ما فرطنا فيه من اجابة دعوتك واتباع رسلك أو أريد باليوم يوم هلاكهم بالعذاب العاجل أو يوم موتهم معذبين بشدة السكرات ولقاء الملائكة بلا بشرى وانهم يسألون يومئذ أن يؤخرهم ربهم الى أجل قريب كقوله لولا أخرتني الى أجل قريب فأصدق (أولم تكونوا أقسمتم) على ارادة القول وفيه وجهان أن يقولوا ذلك بطرا وأشرا ولما استولى عليهم من عادة

الجهل

ومن ذريتي ربنا وتقبل دعاء ربنا اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين يوم يقوم الحساب ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون انما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الابصار مهطعين مقنعي رؤسهم لا يرتد اليهم طرفهم وأفئدتهم هواء وأنذر الناس يوم يأتيهم العذاب فيقول الذين ظلموا ربنا أخرنا الى أجل قريب نجب دعوتك ونتبع الرسل أولم تكونوا أقسمتم من قبل

بالجبل والسهم وأن يقولوه بلسان الحال حيث بنوا شديدا وأملوا بعيدا و (ما لكم) جواب القسم وإنما جاء بلفظ الخطاب لقوله أقسمتم ولو حكى لفظ المقسمين لقيل ما لنا (من زوال) والمعنى أقسمتم أنكم باقون في الدنيا لا تزالون بالموت والفناء وقيل لا تنتقلون إلى دار أخرى يعني كفرهم بالبعث كقوله وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت. يقال سكن الدار وسكن فيها ومنه قوله تعالى (وسكنتم في مساكن الذين ظلموا أنفسهم) لأن السكنى من السكون الذي هو اللبث والأصل تعديه بفي كقولك قر في الدار وغني فيها وأقام فيها ولكنه لما نقل إلى سكون خاص تصرف فيه فقيل سكن الدار كما قيل تبوأها وأوطنها ويجوز أن يكون سكنوا من السكون أي قروا فيها واطمأنوا طيبي النفوس سائرين سيرة من قبلهم في الظلم والفساد لا يحدثونها بما لقي الأولون من أيام الله وكيف كان عاقبة ظلمهم فيعتبروا ويرتدعوا (وتبين لكم) بالأخبار والمشاهدة (كيف) أهلكناهم وانتقمنا منهم وقرئ ونبين لكم بالنون (وضربنا لكم الأمثال) أي صفات ما فعلوا وما فعل بهم وهي في الغرابة كالأمثال المضروبة لكل ظالم (وقد مكروا مكرهم) أي مكرهم العظيم الذي استفرغوا فيه جهدهم (وعند الله مكرهم) لا يخلو إما أن يكون مضافا إلى الفاعل كالأول على معنى ومكتوب عند الله مكرهم فهو مجازيهم عليه بمكر هو أعظم منه أو يكون مضافا إلى المفعول على معنى وعند الله مكرهم الذي يمكرهم به وهو عذابهم الذي يستحقونه يأتيهم به من حيث لا يشعرون ولا يحتسبون (وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال) وإن عظم مكرهم وتبالغ في الشدة فضرب زوال الجبال منه مثلا لتفاقمه وشدته أي وإن كان مكرهم مسوى لإزالة الجبال معدا لذلك وقد جعلت إن نافية واللام مؤكدة لها كقوله تعالى وما كان الله ليضيع إيمانكم والمعنى ومحال أن تزول الجبال بمكرهم على أن الجبال مثل لآيات الله وشرائعه لأنها بمنزلة الجبال الراسية ثباتا وتمكنا وتنصره قراءة ابن مسعود وما كان مكرهم وقرئ لتزول بلام الابتداء على وإن كان مكرهم من الشدة بحيث تزول منه الجبال وتنقلع من أماكنها وقرأ علي وعمر رضي الله عنهما وإن كاد مكرهم (مخلف وعده رسله) يعني قوله إنا لننصر رسلنا كتب الله لأغلبن أنا ورسلي (فإن قلت) هلا قيل مخلف رسله وعده ولم قدم المفعول الثاني على الأول (قلت) قدم الوعد ليعلم أنه لا يخلف الوعد أصلا كقوله إن الله لا يخلف الميعاد ثم قال رسله ليؤذن أنه إذا لم يخلف وعده أحدا وليس من شأنه إخلاف المواعيد كيف يخلفه رسله الذين هم خيرته وصفوته وقرئ مخلف وعده رسله بجر الرسل ونصب الوعد وهذه في الضعف كمن قرأ قتل أولادهم شركائهم (عزيز) غالب لا يماكر (ذو انتقام) لأوليائه من أعدائه (يوم تبدل الأرض) انتصابه على البدل من يوم يأتيهم أو على الظرف للانتقام والمعنى يوم تبدل هذه الأرض التي تعرفونها أرضا أخرى غير هذه المعروفة وكذلك السموات والتبديل التغيير وقد يكون في الذوات كقولك بدلت الدراهم دنانير ومنه بدلناهم جلودا غيرها وبدلناهم بجنتيهم جنتين وفي الأوصاف كقولك بدلت الحلقة خاتما إذا أذبتها وسويتها خاتما فنقلتها من شكل إلى شكل ومنه قوله تعالى فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات واختلف في تبديل الأرض والسموات فقيل تبدل أوصافها فتسير عن الأرض جبالها وتفجر بحارها وتسوى فلا يرى فيها عوج ولا أمت وعن ابن عباس هي تلك الأرض وإنما تغير وأنشد

وما الناس بالناس الذين عهدتهم * ولا الدار بالدار التي كنت تعلم

وتبدل السماء بانتثار كواكبها وكسوف شمسها وخسوف قمرها وانشقاقها وكونها أبوابا وقيل يخلق بدلها أرض وسموات أخر وعن ابن مسعود وأنس يحشر الناس على أرض بيضاء لم يخطئ عليها أحد خطيئة وعن علي رضي الله عنه تبدل أرضا من فضة وسموات من ذهب وعن الضحاك أرضا من فضة بيضاء كالصحائف وقرئ يوم نبدل الأرض بالنون (فإن قلت) كيف قال (الواحد القهار) (قلت) هو كقوله لمن الملك اليوم لله الواحد القهار لأن الملك إذا كان لواحد غلاب لا يغالب ولا يعاز فلا مستغاث لأحد إلى غيره ولا مستجار كان

ما لكم من زوال وسكنتم في مساكن الذين ظلموا أنفسهم وتبين لكم كيف فعلنا بهم وضربنا لكم الأمثال وقد مكروا مكرهم وعند الله مكرهم وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله إن الله عزيز ذو انتقام يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار وترى المجرمين يومئذ

قال أحمد وفيما قاله نظر لأن الفعل متى تقيد بمعمول انقطع إطلاقه فليس تقديم الوعد في الآية دليلا على إطلاق الفعل باعتبار الموعود حتى يكون ذكر الرسل ثانيا كالأجنبي من الإطلاق الأول ولا فرق في المعنى الذي ذكره بين تقديم ذكر الرسل وتأخيره ولا يبعد تقديم المفعول الثاني إلا إيذانا بالعناية في مقصود المتكلم والأمر بهذه المثابة في الآية لأنها وردت في سياق الإنذار والتهديد للظالمين بما توعدهم الله تعالى به على ألسنة الرسل فالمهم في التهديد ذكر الوعيد وأما كونه على ألسنة الرسل فذلك أمر لا يقف التصوير عليه ولا بد حتى لو فرض التوعد من الله تعالى على غير لسان رسول لكان الخوف منه حسبيا كافيا والله أعلم

﴿القول في سورة الحجر﴾ (بسم الله الرحمن الرحيم) * قوله تعالى ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين (قال ان قلت ما معنى تقليل ودادتهم الخ) قال أحمد لا شك ان العرب تعبر عن المعنى بما يؤدي عكس مقصوده كثيرا ومنه قوله * قد أترك القرن مصفرا أنامله *
ونحا عندح بالا كثار من ذلك (٦٧٠) وقد عبر بقد المفيدة للتقليل ومنه والله أعلم قد تعلمون أني رسول الله والمقصود توبيخهم على أذاهم لموسى عليه السلام على توفر علمهم برسالته ومناصحته لهم وقد اختلف توجيه علماء البيان لذلك فمنهم من وجهه بما ذكره الزمخشري آنفا ومن التنبيه بالادنى على الاعلى ومنهم من وجهه بان المقصود في ذلك الايذان بان المعنى قد بلغ الغاية حتى كاد أن يرجع الى الضد وذلك شأن كل ما انتهى لنهايته أن يعود الى عكسه * وقد أفصح أبو الطيب ذلك بقوله * ولجدت حتى كدت تبخل حائلا * للمنتهى ومن السرور بكاد * وكلا هذين الوجهين يحمل الكلام على المبالغة بنوع من الايقاظ الها والعمدة في ذلك على سياق الكلام لانه اذا اقتضى مثلا تكثيرا فدخلت فيه عبارة يشعر ظاهرها بالتقليل استيقظ السامع بان المراد المبالغة على احدى الطريقتين المذكورتين والله أعلم ٣ كذا بالاصل وليحرر اهـ

الامر في غاية الصعوبة والشدة (مقرنين) قرن بعضهم مع بعض أو مع الشياطين أو قرنت أيديهم الى أرجلهم مغللين وقوله (في الاصفاد) اما أن يتعلق بمقرنين أي يقرنون في الاصفاد واما أن لا يتعلق به فيكون المعنى مقرنين مصفدين والاصفاد القيود وقيل الاغلال وأنشد لسلامة بن جندل

وزيد الخيل قد لاقى صفادا * يعض بساعد وبعظم ساق

* القطران فيه ثلاث لغات قطران وقطران وقطران بفتح القاف وكسرها مع سكون الطاء وهو ما يتحلب من شجر يسمى الابهل فيطبخ فتهنأ به الابل الجربى فيحرق الجرب بحره وحدته والجلد وقد تبلغ حرارته الجوف ومن شأنه أن يسرع فيه اشتعال النار وقد يستسرج به وهو أسود اللون منتن الريح فتطلى به جلود أهل النار حتى يعود طلاؤه لهم كالسرابيل وهي القمص لتجتمع عليهم الاربع لذع القطران وحرقته واسراع النار في جلودهم واللون الوحش ونتن الريح على أن التفاوت بين القطرانين كالتفاوت بين النارين وكل ما وعده الله أو أوعد به في الآخرة فبينه وبين ما نشاهد من جنسه ما لا يقادر قدره وكأنه ما عندنا منه الا الاسامي والمسميات ثمة فكرمه الواسع نعوذ من سخطه ونسأله التوفيق فيما ينجينا من عذابه وقرئ من قطر آن والقطر النحاس أو الصفر المذاب والآني المتناهي حره (وتغشى وجوههم النار) كقوله تعالى أفمن يتقي بوجهه سوء العذاب يوم القيامة يوم يسحبون في النار على وجوههم لان الوجه أعز موضع في ظاهر البدن وأشرفه كالقلب في باطنه ولذلك قال تطلع على الافئدة وقرئ وتغشى وجوههم بمعنى تتغشى أي يفعل بالمجرمين ما يفعل (ليجزي الله كل نفس) مجرمة (ما كسبت) أو كل نفس من مجرمة ومطيعة لانه اذا عاقب المجرمين لاجرامهم علم أنه يثيب المطيعين لطاعتهم (هذا بلاغ للناس) كفاية في التذكير والموعظة يعني بهذا ما وصفه من قوله ولا تحسبن الى قوله سريع الحساب (ولينذروا) معطوف على محذوف أي لينصحوا ولينذروا (به) بهذا البلاغ وقرئ ولينذروا بفتح الياء من نذر به اذا علمه واستعد له (وليعلموا أنما هو اله واحد) لانهم اذا خافوا ما أنذروا به دعتهم المخافة الى النظر حتى يتوصلوا الى التوحيد لان الخشية أم الخير كله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة ابراهيم أعطي من الاجر عشر حسنات بعدد كل من عبد الاصنام وعدد من لم يعبد

﴿سورة الحجر مكية وهي تسع وتسعون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(تلك) اشارة الى ما تضمنته السورة من الآيات * والكتاب والقرآن المبين السورة وتنكير القرآن للتفخيم والمعنى تلك آيات الكتاب الكامل في كونه كتابا وأي قرآن مبين كأنه قيل الكتاب الجامع للكمال والغرابة في البيان * وقرئ ربما وربتما بالتشديد وبدون تاء وربما بضم والفتح مع التخفيف (فان قلت) لم دخلت على المضارع وقد أبوا دخولها الا على الماضي (قلت) لان المترقب في اخبار الله تعالى بمنزلة الماضي المقطوع به في تحققه فكأنه قيل ربما ود (فان قلت) متى تكون ودادتهم (قلت) عند الموت أو يوم القيامة اذا عاينوا حالهم وحال المسلمين وقيل اذا رأوا المسلمين يخرجون من النار وهذا أيضا باب من الودادة (فان قلت) فما معنى التقليل (قلت) هو وارد على مذهب العرب في قولهم لعلك ستندم على فعلك وربما ندم الانسان على ما فعل ولا يشكون في تندمه ولا يقصدون تقليله ولكنهم أرادوا لو كان الندم مشكوكا فيه أو كان قليلا لحق عليك أن لا تفعل هذا الفعل لان العقلاء يتحرزون من التعرض للغم المظنون كما يتحرزون من المتيقن ومن القليل

مقرنين في الاصفاد سرابيلهم من قطران وتغشى وجوههم النار ليجزي الله كل نفس ما كسبت ان الله سريع الحساب هذا بلاغ للناس ولينذروا به وليعلموا أنما هو اله واحد وليذكر أولوا الالباب

(سورة الحجر مكية وهي تسع وتسعون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الر تلك آيات الكتاب وقرآن مبين ربما يود الذين كفروا

منه كما من الكثير وكذلك المعنى في الآية لو كانوا يودون الاسلام مرة واحدة فبالحرى أن يسارعوا اليه فكيف وهم يودونه في كل ساعة و(لو كانوا مسلمين) حكاية ودادتهم وانما جيء بها على لفظ الغيبة لانهم مخبر عنهم كقولك حلف بالله ليفعلن ولو قيل حلف بالله لأفعلن ولو كنا مسلمين لكان حسنا سديدا وقيل تدهشهم أهوال ذلك اليوم فيبقون مبهوتين فان حانت منهم افاقة في بعض الاوقات من سكرتهم تمنوا ذلك قيل (ذرهم) يعني اقطع طمعك من ارعوائهم ودعهم عن النهي عما هم عليه والصد عنه بالتذكرة والنصيحة وخلهم (يأكلوا ويتمتعوا) بدنياهم وتنفيذ شهواتهم ويشغلهم أملهم وتوقعهم لطول الاعمار واستقامة الاحوال وأن لا يلقوا في العاقبة الا خيرا (فسوف يعلمون) سوء صنيعهم والغرض الايذان بأنهم من أهل الخذلان وأنهم لا يجيء منهم الا ما هم فيه وأنه لا زاجر لهم ولا واعظ الا معاينة ما ينذرون به حين لا ينفعهم الوعظ ولا سبيل الى اتعاظهم قبل ذلك فأمر رسوله بأن يخليهم وشأنهم ولا يشتغل بما لا طائل تحته وأن يبالغ في تخليتهم حتى يأمرهم بما لا يزيدهم الا ندما في العاقبة وفيه الزام للحجة ومبالغة في الانذار واعذار فيه وفيه تنبيه على أن ايثار التلذذ والتنعم وما يؤدي اليه طول الامل هجيرى أكثر الناس ليس من أخلاق المؤمنين وعن بعضهم التمرغ في الدنيا من أخلاق الهالكين (ولها كتاب) جملة واقعة صفة لقرية والقياس أن لا تتوسط الواو بينهما كما في قوله تعالى وما أهلكنا من قرية الا لها منذرون وانما توسطت لتأكيد لصوق الصفة بالموصوف كما يقال في الحال جاءني زيد عليه ثوب وجاءني وعليه ثوب كتاب (معلوم) مكتوب معلوم وهو أجلها الذي كتب في اللوح وبين ألا ترى الى قوله (ما تسبق من أمة أجلها) في موضع كتابها وأنث الامة أولا ثم ذكرها آخرا حملا على اللفظ والمعنى وقال (وما يستأخرون) بحذف عنه لانه معلوم • قرأ الاعمش يا أيها الذي ألقي عليه الذكر وكان هذا النداء منهم على وجه الاستهزاء كما قال فرعون ان رسولكم الذي أرسل اليكم لمجنون وكيف يقرون بنزول الذكر عليه وينسبونه الى الجنون والتعكيس في كلامهم للاستهزاء والتهكم مذهب واسع وقد جاء في كتاب الله في مواضع منها فبشرهم بعذاب أليم انك لأنت الحليم الرشيد وقد يوجد كثيرا في كلام العجم والمعنى انك لتقول قول المجانين حين تدعي أن الله نزل عليك الذكر • لو ركبت مع لا وما لمعنيين معنى امتناع الشيء لوجود غيره ومعنى التحضيض وأما هل فلم تركب الا مع لا وحدها للتحضيض قال ابن مقبل

لوما الحياء ولوما الدين عبتكما • ببعض ما فيكما اذ عبتما عوري

والمعنى هلا تأتينا بالملائكة يشهدون بصدقك ويعضدونك على انذارك كقوله تعالى لولا أنزل اليه ملك فيكون معه نذيرا أو هلا تأتينا بالملائكة للعقاب على تكذيبنا لك ان كنت صادقا كما كانت تأتي الامم المكذبة برسلها • قرئ تنزل بمعنى تتنزل وتنزل على البناء للمفعول من نزل وننزل الملائكة بالنون ونصب الملائكة (الا بالحق) الا تنزلا ملتبسا بالحكمة والمصلحة ولا حكمة في أن تأتيكم عيانا تشاهدونهم ويشهدون لكم بصدق النبي صلى الله عليه وسلم لانكم حينئذ مصدقون عن اضطرار ومثله قوله تعالى وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق وقيل الحق الوحي أو العذاب و(اذا) جواب وجزاء لانه جواب لهم وجزاء الشرط مقدر تقديره ولو نزلنا الملائكة ما كانوا منظرين وما أخر عذابهم (انا نحن نزلنا الذكر) رد لانكارهم واستهزائهم في قولهم يا أيها الذي نزل عليه الذكر ولذلك قال انا نحن فأكد عليهم أنه هو المنزل على القطع والبتات وأنه هو الذي بعث به جبريل الى محمد صلى الله عليه وسلم ومن بين يديه ومن خلفه رصد حتى نزل وبلغ محفوظا من الشياطين وهو حافظه في كل وقت من كل زيادة ونقصان وتحريف وتبديل بخلاف الكتب المتقدمة فانه لم يتول حفظها وانما استحفظها الربانيين والاحبار فاختلفوا فيما بينهم بغيا فكان التحريف ولم يكل القرآن الى غير حفظه (فان قلت) فحين كان قوله انا نحن نزلنا الذكر ردا لانكارهم واستهزائهم فكيف اتصل به قوله (وانا له لحافظون) (قلت) قد جعل ذلك دليلا على أنه منزل من عنده آية لانه لو كان من قول البشر أو غير آية لتطرق عليه الزيادة والنقصان كما يتطرق على كل كلام سواه وقيل الضمير في له لرسول الله صلى الله عليه وسلم كقوله تعالى والله يعصمك (في شيع الاولين) في فرقهم وطوائفهم والشيعة الفرقة اذا اتفقوا على مذهب وطريقة ومعنى

لو كانوا مسلمين ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الامل فسوف يعلمون وما أهلكنا من قرية الا ولها كتاب معلوم ما تسبق من أمة أجلها وما يستأخرون وقالوا يا أيها الذي نزل عليه الذكر انك لمجنون لوما تأتينا بالملائكة ان كنت من الصادقين ما ننزل الملائكة الا بالحق وما كانوا اذا منظرين انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون ولقد أرسلنا من قبلك في شيع الاولين

قوله تعالى انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون (قال هذا رد لانكارهم واستهزائهم الخ) قال أحمد ويحتمل ان يراد حفظه مما يشينه من تناقض واختلاف لا يخلو عنه الكلام المفترى وذلك أيضا من الدليل على أنه من عند الله كما قال تعالى في آية أخرى ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا

* قوله تعالى كذلك نسلكه فى قلوب المجرمين (قال معناه يلقيه فى قلوبهم مكذبا به الخ) قال أحمد والمراد والله أعلم اقامة الحجة على المكذبين بان الله تعالى سلك القرآن فى قلوبهم وأدخله فى سويدائها كما سلك ذلك فى قلوب المؤمنين المصدقين فكذب به هؤلاء وصدق به هؤلاء كل على علم وفهم ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حى عن بينة ولئلا يكون للكفار على الله حجة بأنهم ما فهموا وجوه الاعجاز كما فهمه من آمن فاعلمهم الله تعالى من الآن وهم فى مهلة وامكان أنهم ما كفروا الا على علم معاندين باغين غير معذورين والله أعلم ولذلك عقبه الله تعالى بقوله ولو فتحنا عليهم بابا (٦٧٢) من السماء فظلوا فيه يعرجون لقالوا انما سكرت أبصارنا بل نحن قوم مسحورون أى هؤلاء فهموا القرآن وعلموا وجوه اعجازه ولاح ذلك فى قلوبهم وقرروا لكنهم قوم عادتهم العناد وشيمتهم اللدد حتى لو سلك بهم أوضح السبيل وادعاها الى الايمان بضرورة المشاهدة وذلك بان يفتح لهم باب فى السماء ويعرج بهم اليه حتى يدخلوا منه نهارا والى ذلك الاشارة بقوله فظلوا لان الظلول انما يكون نهارا لقالوا بعد هذا الايضاح العظيم المكشوف انما سكرت أبصارنا وسحرنا محمد وما هذه الا خيالات لاحقة فقد تحقق وأسجل عليهم بذلك انهم لا عذر لهم فى التكذيب من عدم سماع ووعى ووصول الى القلوب وفهم كما فهم غيرهم من المصدقين لان ذلك كله حاصل لهم وانما حملهم العناد واللدد والاصرار لا غير والله أعلم

وما يأتيهم من رسول الا كانوا به يستهزؤن كذلك نسلكه فى قلوب المجرمين لا يؤمنون به وقد خلت سنة الاولين ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون لقالوا انما سكرت أبصارنا بل نحن قوم مسحورون ولقد جعلنا فى السماء بروجا وزيناها للناظرين وحفظناها من كل شيطان رجيم الا من استرق السمع فأتبعه شهاب مبين والارض مددناها وألقينا فيها رواسى وأنبتنا فيها من كل شئ موزون وجعلنا لكم فيها معايش ومن لستم له برازقين وان من شئ الا عندنا خزائنه وما ننزله الا بقدر معلوم وأرسلنا الرياح لواقح فأنزلنا من السماء ماء فأسقيناكموه وما أنتم له بخازنين وانا لنحن نحيى ونميت

أرسلناه فيهم نبأناه فيهم وجعلناه رسولا فيما بينهم (وما يأتيهم) حكاية حال ماضية لان ما لا تدخل على مضارع الا وهو فى معنى الحال ولا على ماض الا وهو قريب من الحال * يقال سلكت الخيط فى الابرة وأسلكته اذا أدخلته فيها ونظمته وقرئ نسلكه والضمير للذكر أى مثل ذلك السلك ونحوه نسلك الذكر (فى قلوب المجرمين) على معنى أنه يلقيه فى قلوبهم مكذبا مستهزأ به غير مقبول كما لو أنزلت بلئيم حاجة فلم يجبك لها فقلت كذلك أنزلها باللئام تعنى مثل هذا الانزال أنزلها بهم مردودة غير مقضية ومحل قوله (لا يؤمنون به) النصب على الحال أى غير مؤمن به أو هو بيان لقوله كذلك نسلكه (سنة الاولين) طريقتهم التى سنها الله فى اهلاكهم حين كذبوا رسلهم وبالذكر المنزل عليهم وهو وعيد لاهل مكة على تكذيبهم * قرئ يعرجون بالضم والكسر (سكرت) حيرت أو حبست من الابصار من السكر أو السكر وقرئ سكرت بالتخفيف أى حبست كما يحبس النهر من الجرى وقرئ سكرت من السكر أى حارت كما يحار السكران والمعنى أن هؤلاء المشركين بلغ من غلوهم فى العناد أن لو فتح لهم باب من أبواب السماء ويسر لهم معراج يصعدون فيه اليها ورأوا من العيان ما رأوا لقالوا هو شئ نتخايله لا حقيقة له ولقالوا قد سحرنا محمد بذلك وقيل الضمير للملائكة أى لو أريناهم الملائكة يصعدون فى السماء عيانا لقالوا ذلك * وذكر الظلول ليجعل عروجهم بالنهار ليكونوا مستوضحين لما يرون وقال انما ليدل على أنهم يبتون القول بان ذلك ليس الا تسكيرا للابصار (من استرق) فى محل النصب على الاستثناء وعن ابن عباس أنهم كانوا لا يحجبون عن السموات فلما ولد عيسى منعوا من ثلاث سموات فلما ولد محمد منعوا من السموات كلها (شهاب مبين) ظاهر للمبصرين (موزون) وزن بميزان الحكمة وقدر بمقدار تقتضيه لا يصلح فيه زيادة ولا نقصان أو له وزن وقدر فى أبواب النعمة والمنفعة وقيل ما يوزن من نحو الذهب والفضة والنحاس والحديد وغيرها (معايش) بياء صريحة بخلاف الشمائل والخبائث ونحوهما فان تصريح الياء فيها خطأ والصواب الهمزة أو اخراج الياء بين بين وقد قرئ معائش بالهمز على التشبيه (ومن لستم له برازقين) عطف على معايش أو على محل لكم كأنه قيل وجعلنا لكم فيها معايش وجعلنا لكم من لستم له برازقين أو وجعلنا لكم معايش ومن لستم له برازقين وأراد بهم العيال والمماليك والخدم الذين يحسبون أنهم يرزقونهم ويخطئون فان الله هو الرزاق يرزقهم واياهم ويدخل فيه الانعام والدواب وكل ما بتلك المثابة مما الله رازقه وقد سبق الى ظنهم أنهم هم الرازقون ولا يجوز أن يكون مجرورا عطفا على الضمير المجرور فى لكم لانه لا يعطف على الضمير المجرور * ذكر الخزائن تمثيل والمعنى وما من شئ ينتفع به العباد الا ونحن قادرون على ايجاده وتكوينه والانعام به وما نعطيه الا بمقدار معلوم نعلم أنه مصلحة له فضرب الخزائن مثلا لاقتداره على كل مقدور (لواقح) فيه قولان أحدهما أن الريح لاقح اذا جاءت بخير من انشاء سحاب ماطر كما قيل للتى لا تأتى بخير ريح عقيم والثانى أن اللواقح بمعنى الملاقح كما قال

* ومختبط مما تطيح الطوائح *

يريد المطاوح جمع مطيحة * وقرئ وأرسلنا الريح على تأويل الجنس (فأسقيناكموه) فجعلناه لكم سقيا (وما أنتم له بخازنين) نفى عنهم ما أثبته لنفسه فى قوله وان من شئ الا عندنا

خزائنه

حرثته كأنه قال نحن الخازنون للماء على معنى نحن القادرون على خلقه في السماء وانزاله منها وما أنتم عليه بقادرين دلالة على عظيم قدرته واظهارا لعجزهم (ونحن الوارثون) أي الباقون بعد هلاك الخلق كله وقيل للباقي وارث استعارة من وارث الميت لانه يبقى بعد فنائه ومنه قوله صلى الله عليه وسلم في دعائه واجعله الوارث منا (ولقد علمنا) من استقدم ولادة وموتا ومن تأخر من الاولين والآخرين أو من خرج من أصلاب الرجال ومن لم يخرج بعد أو من تقدم في الاسلام وسبق الى الطاعة ومن تأخر وقيل المستقدمين في صفوف الجماعة والمستأخرين وروى أن امرأة حسناء كانت في المصليات خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان بعض القوم يستقدم لئلا ينظر اليها وبعض يستأخر ليبصرها فنزلت (هو يحشرهم) أي هو وحده القادر على حشرهم والعالم بحصرهم مع افراط كثرتهم وتباعد أطراف عددهم (انه حكيم عليم) باهر الحكمة واسع العلم يفعل كل ما يفعل على مقتضى الحكمة والصواب وقد أحاط علما بكل شئ * الصلصال الطين اليابس الذي يصلصل وهو غير مطبوخ واذا طبخ فهو فخار قالوا اذا توهمت في صوته مدا فهو صليل وان توهمت فيه ترجيعا فهو صلصلة وقيل هو تضعيف صل اذا أنتن * والحمأ الطين الاسود المتغير * والمسنون المصور من سنة الوجه وقيل المصبوب المفرغ أي أفرغ صورة انسان كما تفرغ الصور من الجواهر المذوبة في أمثلتها وقيل المنتن من سننت الحجر على الحجر اذا حككته به فالذي يسيل بينهما سنين ولا يكون الا منتنا (من حمإ) صفة لصلصال أي خلقه من صلصال كائن من حمإ وحق (مسنون) بمعنى مصور أن يكون صفة لصلصال كأنه أفرغ الحمأ فصور منها تمثال انسان أجوف فيبس حتى اذا نقر صلصل ثم غيره بعد ذلك الى جوهر آخر (والجان) للجن كآدم للناس وقيل هو ابليس وقرأ الحسن وعمرو بن عبيد والجأن بالهمز (من نار السموم) من نار الحر الشديد النافذ في المسام قيل هذه السموم جزء من سبعين جزأ من سموم النار التي خلق الله منها الجان (واذ قال ربك) واذكر وقت قوله (سويته) عدلت خلقته وأكملتها وهيأتها لنفخ الروح فيها ومعنى (ونفخت فيه من روحي) وأحييته وليس ثمة نفخ ولا منفوخ وانما هو تمثيل لتحصيل ما يحيا به فيه * واستثنى ابليس من الملائكة لانه كان بينهم مأمورا معهم بالسجود فغلب اسم الملائكة ثم استثنى بعد التغليب كقولك رأيتهم الا هندا و(أبى) استئناف على تقدير قول قائل يقول هلا سجد فقيل أبى ذلك واستكبر عنه وقيل معناه ولكن ابليس أبى * حرف الجر مع أن محذوف تقديره (مالك) في (ألا تكون مع الساجدين) بمعنى أي غرض لك في ترك السجود وأي داع لك اليه * اللام في (لاسجد) لتأكيد النفي ومعناه لا يصح مني وينافي حالي ويستحيل أن أسجد لبشر (رجيم) شيطان من الذين يرجمون بالشهب أو مطرود من رحمة الله لان من يطرد يرجم بالحجارة ومعناه ملعون لان اللعن هو الطرد من الرحمة والابعاد منها * والضمير في منها راجع الى الجنة أو السماء أو الى جملة الملائكة * وضرب يوم الدين حد اللعنة اما لانه أبعد غاية يضربها الناس في كلامهم كقوله مادامت السموات والارض في التأبيد واما أن يراد أنك مذموم مدعو عليك باللعن في السموات والارض الى يوم الدين من غير أن تعذب فاذا جاء ذلك اليوم عذبت بما ينسى اللعن معه * ويوم الدين ويوم يبعثون ويوم الوقت المعلوم في معنى واحد ولكن خولف بين العبارات سلوكا بالكلام طريقة البلاغة * وقيل انما سأل الانظار الى اليوم الذي فيه يبعثون لئلا يموت لانه لا يموت يوم البعث أحد فلم يجب الى ذلك وأنظر الى آخر أيام التكليف (بما أغويتني) الباء للقسم وما مصدرية وجواب القسم (لأزينن) والمعنى أقسم باغوائك اياي لأزينن لهم ومعنى اغوائه اياه تسبيبه لغيه بأن أمره بالسجود لآدم عليه السلام فأفضى ذلك الى غيه وما الامر بالسجود الا حسن وتعريض للثواب بالتواضع والخضوع لامر الله ولكن ابليس اختار الاباء والاستكبار فهلك والله تعالى برئ من غيه ومن ارادته والرضا به ونحو قوله (بما أغويتني لأزينن لهم) قوله فبعزتك لأغوينهم أجمعين في أنه اقسام الا أن أحدهما اقسام بصفته والثاني اقسام بفعله وقد فرق الفقهاء بينهما ويجوز أن لا يكون قسما ويقدر قسم محذوف ويكون المعنى بسبب تسبيبك لاغوائي أقسم لأفعلن بهم نحو ما فعلت بي من التسبيب لاغوائهم بأن أزين لهم المعاصي وأوسوس اليهم ما يكون سبب

ونحن الوارثون ولقد
علمنا المستقدمين منكم
ولقد علمنا المستأخرين
وان ربك هو يحشرهم
انه حكيم عليم ولقد
خلقنا الانسان من
صلصال من حمإ مسنون
والجان خلقناه من قبل
من نار السموم واذ قال
ربك للملائكة اني خالق
بشرا من صلصال من
حمإ مسنون فاذا سويته
ونفخت فيه من روحي
فقعوا له ساجدين
فسجد الملائكة كلهم
أجمعون الا ابليس أبى
أن يكون مع الساجدين
قال يا ابليس مالك ألا
تكون مع الساجدين
قال لم أكن لاسجد
لبشر خلقته من صلصال
من حمإ مسنون قال
فاخرج منها فانك رجيم
وان عليك اللعنة الى
يوم الدين قال رب
فأنظرني الى يوم يبعثون
قال فانك من المنظرين
الى يوم الوقت المعلوم
قال رب بما أغويتني
لأزينن لهم

(في الأرض) في الدنيا التي هي دار الغرور كقوله تعالى أخلد إلى الأرض واتبع هواه أو أراد أني
أقدر على الاحتيال لآدم والتزيين له الأكل من الشجرة وهو في السماء فأنا على التزيين لأولاده في الأرض
أقدر أو أراد لأجعلن مكان التزيين عندهم الأرض ولأوقعن تزييني فيها أي لأزينها في أعينهم ولأحدثنهم
بأن الزينة في الدنيا وحدها حتى يستحبوها على الآخرة ويطمئنوا إليها دونها ونحوه يخلد إلى الأرض وتهالكوا على
* استثنى المخلصين لأنه علم أن كيده لا يعمل فيهم ولا يقبلون منه * أي (هذا) طريق حق (علي) أن أراعيه
وهو أن لا يكون لك سلطان على عبادي إلا من اختار اتباعك منهم لغوايته وقرئ علي وهو من علو الشرف
والفضل (لموعدهم) الضمير للغاوين وقيل أبوابها أطباقها وأدراكها فأعلاها للموحدين والثاني لليهود
والثالث للنصارى والرابع للصابئين والخامس للمجوس والسادس للمشركين والسابع للمنافقين وعن ابن
عباس رضي الله عنهما إن جهنم لمن ادعى الربوبية ولظى لعبدة النار والحطمة لعبدة الأصنام وسقر لليهود
والسعير للنصارى والجحيم للصابئين والهاوية للموحدين * وقرئ جزء بالتخفيف والتثقيل وقرأ الزهري جز
بالتشديد كأنه حذف الهمزة وألقى حركتها على الزاي كقولك خب في خبء ثم وقف عليه بالتشديد كقولهم
الرجل ثم أجرى الوصل مجرى الوقف * المتقي على الإطلاق من يتقي ما يجب اتقاؤه مما نهي عنه وعن ابن
عباس رضي الله عنهما اتقوا الكفر والفواحش ولهم ذنوب تكفرها الصلوات وغيرها (ادخلوها) على
إرادة القول وقرأ الحسن أدخلوها (بسلام) سالمين أو مسلما عليكم تسلم عليكم الملائكة * الغل الحقد الكامن
في القلب من انغل في جوفه وتغلغل أي إن كان لأحدهم في الدنيا غل على آخر نزع الله ذلك من قلوبهم وطيب
نفوسهم وعن علي رضي الله عنه أرجو أن أكون أنا وعثمان وطلحة والزبير منهم وعن الحرث الأعور كنت
جالسا عنده إذ جاء ابن طلحة فقال له علي مرحبا بك يا ابن أخي أما والله إني لأرجو أن أكون أنا وأبوك ممن
قال الله تعالى ونزعنا ما في صدورهم من غل فقال له قائل كلا الله أعدل من أن يجمعك وطلحة في مكان واحد
فقال فلمن هذه الآية لا أم لك وقيل معناه طهر الله قلوبهم من أن يتحاسدوا على الدرجات في الجنة ونزع
منها كل غل وألقى فيها التوادد والتحابب (إخوانا) نصب على الحال و(على سرر متقابلين) كذلك وعن مجاهد
تدور بهم الأسرة حيثما داروا فيكونون في جميع أحوالهم متقابلين * لما أتم ذكر الوعد والوعيد أتبعه
(نبئ عبادي) تقرير ما ذكر وتمكينا له في النفوس * وعن ابن عباس رضي الله عنهما غفور لمن تاب وعذابه
لمن لم يتب وعطف (ونبئهم) على نبئ عبادي ليتخذوا ما أحل من العذاب بقوم لوط عبرة يعتبرون بها سخط الله
وانتقامه من المجرمين ويتحققوا عنده أن عذابه هو العذاب الأليم (سلاما) أي نسلم عليك سلاما أو سلمت
سلاما (وجلون) خائفون وكان خوفه لامتناعهم من الأكل وقيل لأنهم دخلوا بغير إذن وبغير وقت * وقرأ
الحسن لا توجل بضم التاء من أوجله يوجله إذا أخافه وقرئ لا تأجل ولا تواجل من واجله بمعنى أوجله
* وقرئ نبشرك بفتح النون والتخفيف (إنا نبشرك) استئناف في معنى التعليل للنهي عن الوجل أرادوا أنك
بمثابة الآمن المبشر فلا توجل * يعني (أبشرتموني) مع مس الكبر بأن يولد لي أي أن الولادة أمر عجيب
مستنكر في العادة مع الكبر (فبم تبشرون) هي ما الاستفهامية دخلها معنى التعجب كأنه قال فبأي أعجوبة
تبشروني أو أراد أنكم تبشرونني بما هو غير متصور في العادة فبأي شيء تبشرون يعني لا تبشروني في الحقيقة
بشيء لأن البشارة بمثل هذا بشارة بغير شيء ويجوز أن لا يكون صلة لبشر ويكون سؤالا عن الوجه والطريقة
يعني بأي طريقة تبشرونني بالولد والبشارة به لا طريقة لها في العادة * وقوله (بشرناك بالحق) يحتمل أن
تكون الباء فيه صلة أي بشرناك باليقين الذي لا لبس فيه أو بشرناك بطريقة هي حق وهو قول الله ووعده
وأنه قادر على أن يوجد ولدا من غير أبوين فكيف من شيخ فان وعجوز عاقر * وقرئ تبشرون بفتح النون
وبكسرها على حذف نون الجمع والأصل تبشرونني وتبشرون بإدغام نون الجمع في نون العماد * وقرئ من
القنطين من قنط يقنط * وقرئ ومن يقنط بالحركات الثلاث في النون * أراد ومن يقنط من رحمة ربه إلا
المخطئون طريق الصواب أو إلا الكافرون كقوله لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون يعني لم أستنكر

في الأرض ولأغوينهم
أجمعين إلا عبادك منهم
المخلصين قال هذا
صراط علي مستقيم
إن عبادي ليس لك
عليهم سلطان إلا من
اتبعك من الغاوين وإن
جهنم لموعدهم أجمعين
لها سبعة أبواب لكل
باب منهم جزء مقسوم
إن المتقين في جنات
وعيون ادخلوها بسلام
آمنين ونزعنا ما في
صدورهم من غل
إخوانا على سرر
متقابلين لا يمسهم فيها
نصب وما هم منها
بمخرجين نبئ عبادي
أني أنا الغفور الرحيم
وأن عذابي هو العذاب
الأليم ونبئهم عن ضيف
إبراهيم إذ دخلوا عليه
فقالوا سلاما قال إنا
منكم وجلون قالوا
لا توجل إنا نبشرك بغلام
عليم قال أبشرتموني
على أن مسني الكبر فبم
تبشرون قالوا بشرناك
بالحق فلا تكن من
القانطين قال ومن
يقنط من رحمة ربه إلا
الضالون قال فما خطبكم
أيها المرسلون قالوا إنا
أرسلنا إلى قوم مجرمين

ذلك

* قوله تعالى انا أرسلنا الى قوم مجرمين الا آل لوط انا لمنجوهم أجمعين الا امرأته قدرنا انها لمن الغابرين (قال ان قلت هل الاستثناء الاول متصل الخ) قال أحمد وجعله الاول منقطعا أولى وأمكن وذلك ان في استثنائهم من الضمير العائد على قوم منكرين بعدا من حيث ان موقع الاستثناء اخراج ما لولاه لدخل المستثنى في حكم الاول وهذا الدخول متعذر من التنكير ولذلك قلما تجد النكرة يستثنى منها الا في سياق نفي لانها حينئذ تعم فيتحقق الدخول لولا الاستثناء ومن ثم لم يحسن رأيت قوما الا زيدا وحسن ما رأيت أحدا الا زيدا والله أعلم * عاد كلامه (قال فان قلت لم جاز تعليق فعل التقدير في قوله قدرنا انها لمن الغابرين الخ) قال أحمد وهذه أيضا من دفائنه الاعتزالية في جحد القضاء والقدر واعتقاد أن الامر أنف لانهم لا يعتقدون ان الله تعالى مريد لا كثر ٦٧٥ أفعال عبيده من معصية ومباح وغيرهما ولا مقدر لها على العبد بمعنى انه مريد ولكنه عالم بما سيعملونه على خلاف مشيئته وارادته فالتقدير عندهم هو العلم لا الارادة ثم استدل على ان التقدير هو العلم بتعليق فعله عن العمل وذلك من خواص فعل العلم

الا آل لوط انا لمنجوهم أجمعين الا امرأته قدرنا انها لمن الغابرين فلما جاء آل لوط المرسلون قال انكم قوم منكرون قالوا بل جئناك بما كانوا فيه يمترون وأتيناك بالحق وانا لصادقون فأسر بأهلك بقطع من الليل واتبع أدبارهم ولا يلتفت منكم أحد وامضوا

ذلك قنوطا من رحمته ولكن استبعادا له في العادة التي أجراها الله (فان قلت) قوله تعالى (الا آل لوط) استثناء متصل أم منقطع (قلت) لا يخلو من أن يكون استثناء من قوم فيكون منقطعا لان القوم موصوفون بالاجرام فاختلف لذلك الجنسان وأن يكون استثناء من الضمير في مجرمين فيكون متصلا كانه قيل الى قوم قد أجرموا كلهم الا آل لوط وحدهم كما قال فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين (فان قلت) فهل يختلف المعنى لاختلاف الاستثناءين (قلت) نعم وذلك أن آل لوط مخرجون في المنقطع من حكم الارسال وعلى أنهم أرسلوا الى القوم المجرمين خاصة ولم يرسلوا الى آل لوط أصلا ومعنى ارسالهم الى القوم المجرمين كارسال الحجر أو السهم الى المرمى في أنه في معنى التعذيب والاهلاك كانه قيل انا أهلكنا قوما مجرمين ولكن آل لوط أنجيناهم وأما في المتصل فهم داخلون في حكم الارسال وعلى أن الملائكة أرسلوا اليهم جميعا ليهلكوا هؤلاء وينجوا هؤلاء فلا يكون الارسال مخلصا بمعنى الاهلاك والتعذيب كما في الوجه الاول (فان قلت) فقوله (انا لمنجوهم) بم يتعلق على الوجهين (قلت) اذا انقطع الاستثناء جرى مجرى خبر لكن في الاتصال بآل لوط لان المعنى لكن آل لوط منجون واذا اتصل كان كلاما مستأنفا كان ابراهيم عليه السلام قال لهم فما حال آل لوط فقالوا انا لمنجوهم (فان قلت) فقوله (الا امرأته) مم استثنى وهل هو استثناء من استثناء (قلت) استثنى من الضمير المجرور في قوله لمنجوهم وليس من الاستثناء من الاستثناء في شئ لان الاستثناء من الاستثناء انما يكون فيما اتحد الحكم فيه وأن يقال أهلكناهم الا آل لوط الا امرأته كما اتحد الحكم في قول المطلق أنت طالق ثلاثا الا اثنتين الا واحدة وفي قول المقر لفلان على عشرة دراهم الا ثلاثة الا درهما فأما في الآية فقد اختلف الحكمان لان الا آل لوط متعلق بأرسلنا أو بمجرمين والا امرأته قد تعلق بمنجوهم فأنى يكون استثناء من استثناء * وقرئ لمنجوهم بالتخفيف والتثقيل (فان قلت) لم جاز تعليق فعل التقدير في قوله (قدرنا انها لمن الغابرين) والتعليق من خصائص أفعال القلوب (قلت) لتضمن فعل التقدير معنى العلم ولذلك فسر العلماء تقدير الله أعمال العباد بالعلم (فان قلت) لم أسند الملائكة فعل التقدير وهو لله وحده الى أنفسهم ولم يقولوا قدر الله (قلت) لما لهم من القرب والاختصاص بالله الذي ليس لاحد غيرهم كما يقول خاصة الملك دبرنا كذا وأمرنا بكذا والمدبر والآمر هو الملك لا هم وانما يظهرون بذلك اختصاصهم وأنهم لا يتميزون عنه وقرئ قدرنا بالتخفيف (منكرون) أي تنكركم نفسي وتنفر منكم فأخاف أن تطرقوني بشر بدليل قوله (بل جئناك بما كانوا فيه يمترون) أي ما جئناك بما تنكرنا لاجله بل جئناك بما فيه فرحك وسرورك وتشفيك من عدوك وهو العذاب الذي كنت تتوعدهم بنزوله فيمترون فيه ويكذبونك (بالحق) باليقين من عذابهم (وانا لصادقون) في الاخبار بنزوله بهم * وقرئ فاسر بقطع الهمزة ووصلها من أسرى وسرى وروى صاحب الاقليد فسر من السير * والقطع في آخر الليل قال

واحسن ما فطر لى بعد غوره ودقة فطنته في ابتغاء آية يلفقها ويمائلها البراهين الواضح فلفقها وفي كلامه شاهد على رده فان التقدير يعتقده متضمن معنى العلم ومن شأن الفعل المضمن معنى آخر أن يبقى على معناه الاصلي مضافا اليه المعنى الطارئ فيفيدهما جميعا فالتقدير اذا كما أفاد العلم الطارئ يفيد الارادة أصلا ووضعا والله أعلم على ان من الناس من جعل قوله تعالى قدرنا انها لمن الغابرين من كلامه تعالى غير محكي عن الملائكة وهو الظاهر فان الذي يجعله من قول الملائكة يحتاج في نسبتهم التقدير الى أنفسهم الى تأويل ويجعله من باب قول خواص الملك دبرنا كذا وأمرنا بكذا وانما يعنون دبر الملك وأمر وبذلك أوله الزمخشري وان كان أصله لا يحتاج معه الى التأويل لانه اذا جعل قدرنا بمعنى علمنا انها لمن الغابرين فلا غرو في علم الملائكة ذلك باخبار الله تعالى اياهم به وانما يحتاج الى التأويل من جعل قدرنا بمعنى أردنا وقضينا وجعله من قول الملائكة والله أعلم

أضحى لياب وتطرق فى النجوم * كم علينا من قطع ليل بهيم

وقيل هو بعد ما يمضي شيء صالح من الليل (فإن قلت) ما معنى أمره باتباع أدبارهم ونهيهم عن الالتفات (قلت) قد بعث الله الهلاك على قومه ونجاه وأهله إجابة لدعوته عليهم وخرج مهاجرا فلم يكن له بد من الاجتهاد فى شكر الله وإدامة ذكره وتفريغ باله لذلك فأمر بأن يقدمهم لئلا يشتغل بمن خلفه قلبه وليكون مطلعا عليهم وعلى أحوالهم فلا تفرط منهم التفاتة احتشاما منه ولا غيرها من الهفوات فى تلك الحال المهولة المحذورة ولئلا يتخلف منهم أحد لغرض له فيصيبه العذاب وليكون مسيره مسير الهارب الذي يقدم سربه ويفوت به ونهوا عن الالتفات لئلا يروا ما ينزل بقومهم من العذاب فيرقوا لهم وليوطنوا نفوسهم على المهاجرة ويطيبوها عن مساكنهم ويمضوا قدما غير ملتفتين إلى ما وراءهم كالذي يتحسر على مفارقة وطنه فلا يزال يلوي إليه أخادعه كما قال

تلفت نحو الحي حتى وجدتني * وجعت من الإصغاء ليتا وأخدعا

أو جعل النهي عن الالتفات كناية عن مواصلة السير وترك التواني والتوقف لأن من يلتفت لا بد له فى ذلك من أدنى وقفة (حيث تؤمرون) قيل هو مصر وعدى وامضوا إلى حيث تعديته إلى الظرف المبهم لأن حيث مبهم فى الأمكنة وكذلك الضمير فى تؤمرون * وعدى قضينا بإلى لأنه ضمن معنى أوحينا كأنه قيل وأوحينا إليه مقضيا مبتوتا وفسر (ذلك الأمر) بقوله (أن دابر هؤلاء مقطوع) وفى إبهامه وتفسيره تفخيم للأمر وتعظيم له وقرأ الأعمش إن بالكسر على الاستئناف كأن قائلا قال أخبرنا عن ذلك الأمر فقال إن دابر هؤلاء وفى قراءة ابن مسعود وقلنا إن دابر هؤلاء ودابرهم آخرهم يعني يستأصلون عن آخرهم حتى لا يبقى منهم أحد (أهل المدينة) أهل سدوم التي ضرب بقاضيها المثل فى الجور مستبشرين بالملائكة (فلا تفضحون) بفضيحة ضيفي لأن من أسيء إلى ضيفه أو جاره فقد أسيء إليه كما أن من أكرم من يتصل به فقد أكرم (ولا تخزون) ولا تذلون بإذلال ضيفي من الخزي وهو الهوان أو ولا تشوروا بي من الخزاية وهي الحياء (عن العالمين) عن أن تجير منهم أحدا أو تدفع عنهم أو تمنع بيننا وبينهم فإنهم كانوا يتعرضون لكل أحد وكان يقوم صلى الله عليه وسلم بالنهي عن المنكر والحجز بينهم وبين المتعرض له فأوعدوه وقالوا لئن لم تنته يا لوط لتكونن من المخرجين وقيل عن ضيافة الناس وإنزالهم وكانوا نهوه أن يضيف أحدا قط (هؤلاء بناتي) إشارة إلى النساء لأن كل أمة أولاد نبيها رجالهم بنوه ونساؤهم بناته فكأنه قال لهم هؤلاء بناتي فانكحوهن وخلوا بني فلا تتعرضوا لهم (إن كنتم فاعلين) شك فى قبولهم لقوله كأنه قال إن فعلتم ما أقول لكم وما أظنكم تفعلون وقيل إن كنتم تريدون قضاء الشهوة فيما أحل الله دون ما حرم (لعمرك) على إرادة القول أي قالت الملائكة للوط عليه السلام لعمرك (إنهم لفي سكرتهم) أي غوايتهم التي أذهبت عقولهم وتمييزهم بين الخطإ الذي هم عليه وبين الصواب الذي تشير به عليهم من ترك البنين إلى البنات (يعمهون) يتحيرون فكيف يقبلون قولك ويصغون إلى نصيحتك وقيل الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأنه أقسم بحياته وما أقسم بحياة أحد قط كرامة له والعمر والعمر واحد إلا أنهم خصوا القسم بالمفتوح لإيثار الأخف فيه وذلك لأن الحلف كثير الدور على ألسنتهم ولذلك حذفوا الخبر وتقديره لعمرك مما أقسم به كما حذفوا الفعل فى قولك تالله وقرئ فى سكرهم وفى سكراتهم (الصيحة) صيحة جبريل عليه السلام (مشرقين) داخلين فى الشروق وهو بزوغ الشمس (من سجيل) قيل من طين عليه كتاب من السجل ودليله قوله تعالى حجارة من طين مسومة عند ربك أي معلمة بكتاب (للمتوسمين) للمتفرسين المتأملين وحقيقة المتوسمين النظار المتثبتون فى نظرهم حتى يعرفوا حقيقة سمة الشيء يقال توسمت فى فلان كذا أي عرفت وسمه فيه * والضمير فى عاليها سافلها لقرى قوم لوط (وإنها) وإن هذه القرى يعني آثارها (لبسبيل مقيم) ثابت يسلكه الناس لم يندرس بعد وهم يبصرون تلك الآثار وهو تنبيه لقريش كقوله وإنكم لتمرون عليهم مصبحين (أصحاب الأيكة) قوم شعيب (وإنهما) يعني قرى قوم لوط والأيكة وقيل الضمير للأيكة ومدين لأن شعيبا كان مبعوثا إليهم فلما ذكر الأيكة دل بذكرها على مدين فجاء بضميرهما (لبإمام مبين) لبطريق واضح والإمام اسم ما يؤتم به فسمي به الطريق ومطمر

البناء

حيث تؤمرون وقضينا إليه ذلك الأمر أن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين وجاء أهل المدينة يستبشرون قال إن هؤلاء ضيفي فلا تفضحون واتقوا الله ولا تخزون قالوا أولم ننهك عن العالمين قال هؤلاء بناتي إن كنتم فاعلين لعمرك إنهم لفي سكرتهم يعمهون فأخذتهم الصيحة مشرقين فجعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل إن في ذلك لآيات للمتوسمين وإنها لبسبيل مقيم إن في ذلك لآية للمؤمنين وإن كان أصحاب الأيكة لظالمين فانتقمنا منهم وإنهما لبإمام مبين ولقد كذب

---

* قوله تعالى واتبع أدبارهم ولا يلتفت منكم أحد (قال إن قلت ما معنى أمره باتباع أدبارهم الخ) قال أحمد ولبعض هذه المقاصد عاتب الله تعالى نبيه موسى عليه السلام حيث تقدم قومه فقال وما أعجلك عن قومك يا موسى والله أعلم * عاد كلامه (قال ونهوا عن الالتفات لئلا يروا ما ينزل بقومهم من العذاب الخ) قال أحمد ولقد سمعت هذه الآية

السماء واللوح الذي يكتب فيه لأنهما يؤمّان (أصحاب الحجر) ثمود والحجر واديهم وهو بين المدينة والشأم (المرسلين) يعني بتكذيبهم صالحاً لأن من كذب واحداً منهم فكأنما كذبهم جميعاً أو أراد صالحاً ومن معه من المؤمنين كما قيل الخبيبون في ابن الزبير وأصحابه وعن جابر مررنا مع النبي صلى الله عليه وسلم على الحجر فقال لنا لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم إلا أن تكونوا باكين حذراً أن يصيبكم مثل ما أصاب هؤلاء ثم زجر النبي صلى الله عليه وسلم راحلته فأسرع حتى خلفها (آمنين) لوثاقة البيوت واستحكامها من أن تتهدم ويتداعى بنيانها ومن نقب اللصوص ومن الأعداء وحوادث الدهر أو آمنين من عذاب الله يحسبون أن الجبال تحميهم منه (ما كانوا يكسبون) من بناء البيوت الوثيقة والأموال والعدد (إلا بالحق) إلا خلقا ملتبسا بالحق والحكمة لا باطلا وعبثا أو بسبب العدل والانصاف يوم الجزاء على الأعمال (وإن الساعة لآتية) وإن الله ينتقم لك فيها من أعدائك ويجازيك وإياهم على حسناتك وسيئاتهم فإنه ما خلق السموات والأرض وما بينهما إلا لذلك (فاصفح) فأعرض عنهم واحتمل ما تلقى منهم إعراضا جميلا بحلم وإغضاء وقيل هو منسوخ بآية السيف ويجوز أن يراد به المخالقة فلا يكون منسوخا (إن ربك هو الخلاق) الذي خلقك وخلقهم وهو (العليم) بحالك وحالهم فلا يخفى عليه ما يجري بينكم وهو يحكم بينكم أو إن ربك هو الذي خلقكم وعلم ما هو الأصلح لكم وقد علم أن الصفح اليوم أصلح إلى أن يكون السيف أصلح وفي مصحف أبي وعثمان إن ربك هو الخالق وهو يصلح للقليل والكثير والخلاق للكثير لا غير كقولك قطع الثياب وقطع الثوب والثياب (سبعا) سبع آيات وهي الفاتحة أو سبع سور وهي الطوال واختلف في السابعة فقيل الأنفال وبراءة لأنهما في حكم سورة واحدة ولذلك لم يفصل بينهما بآية التسمية وقيل سورة يونس وقيل هي آل حم أو سبع صحائف وهي الأسباع و(المثاني) من التثنية وهي التكرير لأن الفاتحة مما تكرر قراءتها في الصلاة وغيرها أو من الثناء لاشتمالها على ما هو ثناء على الله الواحدة مثناة أو مثنية صفة للآية وأما السور أو الأسباع فلما وقع فيها من تكرير القصص والمواعظ والوعد والوعيد وغير ذلك ولما فيها من الثناء كأنها تثني على الله تعالى بأفعاله العظمى وصفاته الحسنى ومن إما للبيان أو للتبعيض إذا أردت بالسبع الفاتحة أو الطوال وللبيان إذا أردت الأسباع ويجوز أن يكون كتب الله كلها مثاني لأنها تثني عليه ولما فيها من المواعظ المكررة ويكون القرآن بعضها (فإن قلت) كيف صح عطف القرآن العظيم على السبع وهل هو إلا عطف الشيء على نفسه (قلت) إذا عني بالسبع الفاتحة أو الطوال فما وراءهن ينطلق عليه اسم القرآن لأنه اسم يقع على البعض كما يقع على الكل ألا ترى إلى قوله بما أوحينا إليك هذا القرآن يعني سورة يوسف وإذا عنيت الأسباع فالمعنى ولقد آتيناك ما يقال له السبع المثاني والقرآن العظيم أي الجامع لهذين النعتين وهو الثناء أو التثنية والعظم * أي لا تطمح ببصرك طموح راغب فيه متمن له (إلى ما متعنا به أزواجا منهم) أصنافا من الكفار (فإن قلت) كيف وصل هذا بما قبله (قلت) يقول لرسوله صلى الله عليه وسلم قد أوتيت النعمة العظمى التي كل نعمة وإن عظمت فهي إليها حقيرة ضئيلة وهي القرآن العظيم فعليك أن تستغني به ولا تمدن عينيك إلى متاع الدنيا ومنه الحديث ليس منا من لم يتغن بالقرآن وحديث أبي بكر من أوتي القرآن فرأى أن أحدا أوتي من الدنيا أفضل مما أوتي فقد صغر عظيما وعظم صغيرا وقيل وافت من بصرى وأذرعات سبع قوافل ليهود بني قريظة والنضير فيها أنواع البز والطيب والجوهر وسائر الأمتعة فقال المسلمون لو كانت هذه الأموال لنا لتقوينا بها ولأنفقناها في سبيل الله فقال لهم الله عز وعلا لقد أعطيتكم سبع آيات هي خير من هذه القوافل السبع (ولا تحزن عليهم) أي لا تتمن أموالهم ولا تحزن عليهم أنهم لم يؤمنوا فيتقوى بمكانهم الإسلام وينتعش بهم المؤمنون * وتواضع لمن معك من فقراء المؤمنين وضعفائهم وطب نفسا عن إيمان الأغنياء والأقوياء (وقل) لهم (إني أنا النذير المبين) أنذركم ببيان وبرهان أن عذاب الله نازل بكم (فإن قلت) بم تعلق

أصحاب الحجر المرسلين وآتيناهم آياتنا فكانوا عنها معرضين وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا آمنين فأخذتهم الصيحة مصبحين فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق وإن الساعة لآتية فاصفح الصفح الجميل إن ربك هو الخلاق العليم ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم لا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجا منهم ولا تحزن عليهم واخفض جناحك للمؤمنين وقل إني أنا النذير المبين

على وجازتها آداب المسافرين انهم ديني أو دنيوي من الآمر والمأمور والتابع والمتبوع ما فرطنا في الكتاب من شيء * قوله تعالى ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم لا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجا منهم (قال إن قلت كيف وصل هذا بما قبله الخ) قال أحمد وهذا هو الصواب في معنى الحديث وقد حمله كثير من العلماء على الغناء وادعى هؤلاء أن تغنى بمعنى استغنى من الغناء الممدود لا من الغنى المقصور وإن فعله استغنى خاصة وقد وجدت بما تغنى من الغنى المقصور في الحديث الصحيح في الخيل وأما التي هي ستر لرجل ربطها تغنيا وتعففا فهذا من الغنى المقصور قطعا وتغانيا وهو مصدر تغنى فدل ذلك على أنه مستعمل من البناءين جميعا على خلاف دعوى المخالف والله الموفق

قوله (كما أنزلنا) (قلت) فيه وجهان أحدهما أن يتعلق بقوله ولقد آتيناك أي أنزلنا عليك مثل ما أنزلنا على أهل الكتاب وهم المقتسمون (الذين جعلوا القرآن عضين) حيث قالوا بعنادهم وعدوانهم بعضه حق موافق للتوراة والانجيل وبعضه باطل مخالف لهما فاقتسموه الى حق وباطل وعضوه وقيل كانوا يستهزئون به فيقول بعضهم سورة البقرة لي ويقول الآخر سورة آل عمران لي ويجوز أن يراد بالقرآن ما يقرؤونه من كتبهم وقد اقتسموه بتحريفهم وبأن اليهود أقرت ببعض التوراة وكذبت ببعض والنصارى أقرت ببعض الانجيل وكذبت ببعض وهذه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن صنيع قومه بالقرآن وتكذيبهم وقولهم سحر وشعر وأساطير بأن غيرهم من الكفرة فعلوا بغيره من الكتب نحو فعلهم والثاني أن يتعلق بقوله وقل اني أنا النذير المبين أي وأنذر قريشا مثل ما أنزلنا من العذاب على المقتسمين يعني اليهود وهو ما جرى على قريظة والنضير جعل المتوقع بمنزلة الواقع وهو من الاعجاز لانه اخبار بما سيكون وقد كان ويجوز أن يكون الذين جعلوا القرآن عضين منصوبا بالنذير أي أنذر المعضين الذين يجزؤون القرآن الى سحر وشعر وأساطير مثل ما أنزلنا على المقتسمين وهم الاثنا عشر الذين اقتسموا مداخل مكة أيام الموسم فقعدوا في كل مدخل متفرقين لينفروا الناس عن الايمان برسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بعضهم لا تغتروا بالخارج منا فانه ساحر ويقول الآخر كذاب والآخر شاعر فأهلكهم الله يوم بدر وقبله بآفات كالوليد بن المغيرة والعاص ابن وائل والاسود بن المطلب وغيرهم أو مثل ما أنزلنا على الرهط الذين تقاسموا على أن يبيتوا صالحا عليه السلام والاقتسام بمعنى التقاسم (فان قلت) اذا علقت قوله كما أنزلنا بقوله ولقد آتيناك فما معنى توسط لا تمدن الى آخره بينهما (قلت) لما كان ذلك تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن تكذيبهم وعداوتهم اعترض بما هو مدد لمعنى التسلية من النهي عن الالتفات الى دنياهم والتأسف على كفرهم ومن الامر بأن يقبل بمجامعه على المؤمنين * عضين أجزاء جمع عضة وأصلها عضوة فعلة من عضى الشاة اذا جعلها أعضاء قال رؤبة * وليس دين الله بالمعضى * وقيل هي فعلة من عضهته اذا بهته وعن عكرمة العضه السحر بلغة قريش يقولون للساحرة عاضهة ولعن النبي صلى الله عليه وسلم العاضهة والمستعضهة نقصانها على الاول واو وعلى الثاني هاء (لنسألنهم) عبارة عن الوعيد وقيل يسألهم سؤال تقريع وعن أبي العالية يسأل العباد عن خلتين عما كانوا يعبدون وماذا أجابوا المرسلين (فاصدع بما تؤمر) فاجهر به وأظهره يقال صدع بالحجة اذا تكلم بها جهارا كقولك صرح بها من الصديع وهو الفجر والصدع في الزجاجة الابانة وقيل فاصدع فافرق بين الحق والباطل بما تؤمر والمعنى بما تؤمر به من الشرائع فحذف الجار كقوله * أمرتك الخير فافعل ما أمرت به * ويجوز أن تكون ما مصدرية أي بأمرك مصدر من المبني للمفعول * عن عروة بن الزبير في المستهزئين هم خمسة نفر ذوو أسنان وشرف الوليد بن المغيرة والعاص بن وائل والاسود بن عبد يغوث والاسود بن المطلب والحرث بن الطلاطلة وعن ابن عباس رضي الله عنه ماتوا كلهم قبل بدر قال جبريل عليه السلام للنبي صلى الله عليه وسلم أمرت أن أكفيكهم فأومأ الى ساق الوليد فمر بنبال فتعلق بثوبه سهم فلم ينعطف تعظما لاخذه فأصاب عرقا في عقبه فقطعه فمات وأومأ الى أخمص العاص بن وائل فدخلت فيها شوكة فقال لدغت لدغت وانتفخت رجله حتى صارت كالرحى ومات وأشار الى عيني الاسود بن المطلب فعمي وأشار الى أنف الحرث بن قيس فامتخط قيحا فمات والى الاسود بن عبد يغوث وهو قاعد في أصل شجرة فجعل ينطح رأسه بالشجرة ويضرب وجهه بالشوك حتى مات (بما يقولون) من أقاويل الطاعنين فيك وفي القرآن (فسبح) فافزع فيما نابك الى الله والفزع الى الله هو الذكر الدائم وكثرة السجود يكفك ويكشف عنك الغم * ودم على عبادة ربك (حتى يأتيك اليقين) أي الموت أي ما دمت حيا فلا تخل بالعبادة وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان اذا حزبه أمر فزع الى الصلاة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الحجر كان له من الاجر عشر حسنات بعدد المهاجرين والانصار والمستهزئين بمحمد صلى الله عليه وسلم

كما أنزلنا على المقتسمين الذين جعلوا القرآن عضين فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين انا كفيناك المستهزئين الذين يجعلون مع الله الها آخر فسوف يعلمون ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين واعبد ربك حتى يأتيك اليقين

قوله الحرث بن قيس كتب عليه لعله مع اذا كان الطلاطلة لقب قيس والا فليس من المعدودين قبل اهـ وعبارة أبي السعود في اللف والحرث بن قيس ابن الطلاطلة اهـ كتبه مصححه

﴿سورة النحل مكية غير ثلاث آيات في آخرها وتسمى سورة النعم وهي مائة وثمان وعشرون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

* كانوا يستعجلون ما وعدوا من قيام الساعة ونزول العذاب بهم يوم بدر استهزاء وتكذيبا بالوعد فقيل لهم (أتى أمر الله) الذي هو بمنزلة الآتي الواقع وإن كان منتظرا لقرب وقوعه (فلا تستعجلوه) روى أنه لما نزلت اقتربت الساعة قال الكفار فيما بينهم إن هذا يزعم أن القيامة قد قربت فأمسكوا عن بعض ما تعملون حتى ننظر ما هو كائن فلما تأخرت قالوا ما نرى شيئا فنزلت اقترب للناس حسابهم فأشفقوا وانتظروا قربها فلما امتدت الأيام قالوا يا محمد ما نرى شيئا مما تخوفنا به فنزلت أتى أمر الله فوثب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورفع الناس رؤسهم فنزلت فلا تستعجلوه فاطمأنوا وقرئ تستعجلوه بالتاء والياء (سبحانه وتعالى عما يشركون) تبرأ عز وجل عن أن يكون له شريك وأن تكون آلهتهم له شركاء أو عن إشراكهم على أن ما موصولة أو مصدرية (فإن قلت) كيف اتصل هذا باستعجالهم (قلت) لأن استعجالهم استهزاء وتكذيب وذلك من الشرك وقرئ تشركون بالتاء والياء وقرئ ينزل بالتخفيف والتشديد وقرئ تنزل الملائكة أي تتنزل (بالروح من أمره) بما يحيي القلوب الميتة بالجهل من وحيه أو بما يقوم في الدين مقام الروح في الجسد (أن أنذروا) بدل من الروح أي ينزلهم بأن أنذروا وتقديره بأنه أنذروا أي بأن الشأن أقول لكم أنذروا أو تكون أن مفسرة لأن تنزيل الملائكة بالوحي فيه معنى القول ومعنى أنذروا (أنه لا إله إلا أنا) اعلموا بأن الأمر ذلك من نذرت بكذا إذا علمته والمعنى يقول لهم أعلموا الناس قولي لا إله إلا أنا (فاتقون) ثم دل على وحدانيته وأنه لا إله إلا هو بما ذكر مما لا يقدر عليه غيره من خلق السموات والأرض وخلق الإنسان وما يصلحه وما لا بد له منه من خلق البهائم لأكله وركوبه وجر أثقاله وسائر حاجاته وخلق ما لا يعلمون من أصناف خلائقه ومثله متعال عن أن يشرك به غيره وقرئ تشركون بالتاء والياء (فإذا هو خصيم مبين) فيه معنيان أحدهما فإذا هو منطيق مجادل عن نفسه مكافح للخصوم مبين للحجة بعد ما كان نطفة من مني جماد الأحس به ولا حركة دلالة على قدرته والثاني فإذا هو خصيم لربه منكر على خالقه قائل من يحيي العظام وهي رميم وصفا للإنسان بالإفراط في الوقاحة والجهل والتمادي في كفران النعمة وقيل نزلت في أبي بن خلف الجمحي حين جاء بالعظم الرميم إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد أترى الله يحيي هذا بعد ما قد رم (والأنعام) الأزواج الثمانية وأكثر ما تقع على الإبل وانتصابها بمضمر يفسره الظاهر كقوله والقمر قدرناه ويجوز أن يعطف على الإنسان أي خلق الإنسان والأنعام ثم قال (خلقها لكم) أي ما خلقها إلا لكم ولمصالحكم يا جنس الإنسان * والدفء اسم ما يدفأ به كما أن الملء اسم ما يملأ به وهو الدفاء من لباس معمول من صوف أو وبر أو شعر وقرئ دف بطرح الهمزة وإلقاء حركتها على الفاء (ومنافع) هي نسلها ودرها وغير ذلك (فإن قلت) تقديم الظرف في قوله (ومنها تأكلون) مؤذن بالاختصاص وقد يؤكل من غيرها (قلت) الأكل منها هو الأصل الذي يعتمده الناس في معايشهم وأما الأكل من غيرها من الدجاج والبط وصيد البر والبحر فكغير المعتد به وكالجاري مجرى التفكه ويحتمل أن طعمتكم منها لأنكم تحرثون بالبقر فالحب والثمار التي تأكلونها منها وتكتسبون بكراء الإبل وتبيعون نتاجها وألبانها وجلودها * من الله بالتجمل بها كما من بالانتفاع بها لأنه من أغراض أصحاب المواشي بل هو من معاظمها لأن الرعيان إذا روحوها بالعشي وسرحوها بالغداة فزينت بإراحتها وتسريحها الأفنية وتجاوب فيها الثغاء والرغاء آنست أهلها وفرحت أربابها وأجلتهم في عيون الناظرين إليها وكسبتهم الجاه والحرمة عند الناس ونحوه لتركبوها وزينة يواري سوآتكم وريشا (فإن قلت) لم قدمت الإراحة على التسريح (قلت) لأن الجمال في الإراحة أظهر إذا أقبلت ملأى البطون حافلة الضروع ثم أوت إلى الحظائر حاضرة لأهلها * وقرأ عكرمة حينا تريحون وحينا تسرحون على أن تريحون وتسرحون وصف للحين والمعنى تريحون فيه وتسرحون فيه كقوله تعالى يوما لا تجزي والده * وقرئ بشق الأنفس بكسر الشين وفتحها وقيل هما لغتان في

﴿سورة النحل مكية هي مائة وثمان وعشرون آية﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

أتى أمر الله فلا تستعجلوه سبحانه وتعالى عما يشركون ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده أن أنذروا أنه لا إله إلا أنا فاتقون خلق السموات والأرض بالحق تعالى عما يشركون خلق الإنسان من نطفة فإذا هو خصيم مبين والأنعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون وتحمل أثقالكم إلى بلد

(القول في سورة النحل)
(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله تعالى والأنعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون (قال إن قلت لم قدم المجرور وأجاب بأن الأكل منها هو الأصل الخ) قال أحمد ومدار هذا التقرير على أن تقديم معمول الفعل يوجب حصره فيه فكأنه قال وإنما تأكلون منها

● قوله تعالى وتحمل أثقالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه الا بشق الانفس (قال ان قلت كيف طابق قوله لم تكونوا بالغيه قوله وتحمل أثقالكم الخ) قال أحمد ويحتمل أن يكون المراد تحمل أثقالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه بها الا بشق الانفس واستغنى بذكر البلوغ عن ذكر حملها الا بشق الانفس لافادة ان المسافر لا يستغنى عن أثقال يستصحبها والمعنى الاول أعلى والله أعلم ● قوله تعالى والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة (قال ان قلت هلا ورد المعطوف والمعطوف عليه على سنن واحد الخ) قال أحمد يعنى بذلك ان زينة نصب مجردا من لام التعليل لانه فعل فاعل الفعل الاول وبعينه اقتران الركوب باللام لانه فعل المخاطبين ومتى لم يتحد الفاعل تعين دخول اللام وفى هذا الجواب نظر فان لقائل ان يقول كان من الممكن مجيئهما معا باللام فيأتيان على سنن واحد ولا عذر فى ذلك فالسؤال قائم والجواب المستبد عنه ان المقصود المعتبر الاصلى فى هذه الاصناف هو الركوب وأما التزين بها فامر تابع غير مقصود قصد الركوب فقرن المقصود المهم باللام المفيدة للتعليل تنبيها على انه أهم الغرضين وأقوى السببين وتجرد التزين منها تنبيها على تبعيته أو قصوره عن الركوب والله أعلم ● قوله تعالى

لم تكونوا بالغيه الا بشق الانفس ان ربكم لرؤف رحيم والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق ما لا تعلمون وعلى الله قصد السبيل ومنها جائر ولو شاء لهداكم أجمعين هو الذى أنزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر

معنى المشقة وبينهما فرق وهو أن المفتوح مصدر شق الامر عليه شقا وحقيقته راجعة الى الشق الذى هو الصدع وأما الشق فالنصف كأنه يذهب نصف قوته لما يناله من الجهد (فان قلت) ما معنى قوله (لم تكونوا بالغيه) كأنهم كانوا زمانا يتحملون المشاق فى بلوغه حتى حملت الابل أثقالهم (قلت) معناه وتحمل أثقالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه فى التقدير لو لم تخلق الابل الا بجهد أنفسكم لا انهم لم يكونوا بالغيه فى الحقيقة (فان قلت) كيف طابق قوله لم تكونوا بالغيه قوله وتحمل أثقالكم وهلا قيل لم تكونوا حاملها اليه (قلت) طابقه من حيث ان معناه وتحمل أثقالكم الى بلد بعيد قد علمتم انكم لا تبلغونه بأنفسكم الا بجهد ومشقة فضلا أن تحملوا على ظهوركم أثقالكم ويجوز أن يكون المعنى لم تكونوا بالغيه بها الا بشق الانفس وقيل أثقالكم أجرامكم وعن عكرمة البلد مكة (لرؤف رحيم) حيث رحمكم بخلق هذه الحوامل وتيسير هذه المصالح (والخيل والبغال والحمير) عطف على الانعام أى وخلق هؤلاء للركوب والزينة وقد احتج على حرمة أكل لحومهن بأن علل خلقها بالركوب والزينة ولم يذكر الاكل بعدما ذكره فى الانعام (فان قلت) لم انتصب (وزينة) (قلت) لانه مفعول له وهو معطوف على محل لتركبوها (فان قلت) هلا ورد المعطوف والمعطوف عليه على سنن واحد (قلت) لان الركوب فعل المخاطبين وأما الزينة فعل الزائن وهو الخالق وقرئ لتركبوها زينة بغير واو أى وخلقها زينة لتركبوها أو تجعل زينة حالا منها أى وخلقها لتركبوها وهى زينة وجمال (ويخلق ما لا تعلمون) يجوز أن يريد به ما يخلق فينا ولنا مما لا نعلم كنهه وتفاصيله ويمن علينا بذكره كما من بالاشياء المعلومة مع الدلالة على قدرته ويجوز أن يخبرنا بأن له من الخلائق ما لا علم لنا به ليزيدنا دلالة على اقتداره بالاخبار بذلك وان طوى عنا علمه لحكمة له فى طيه وقد حمل على ما خلق فى الجنة والنار مما لم يبلغه وهم أحد ولا خطر على قلبه ● المراد بالسبيل الجنس ولذلك أضاف اليها القصد وقال ومنها جائر ● والقصد مصدر بمعنى الفاعل وهو القاصد يقال سبيل قصد وقاصد أى مستقيم كأنه يقصد الوجه الذى يؤمه السالك لا يعدل عنه ومعنى قوله (وعلى الله قصد السبيل) أن هداية الطريق الموصل الى الحق واجبة عليه كقوله ان علينا للهدى (فان قلت) لم غير أسلوب الكلام فى قوله (ومنها جائر) (قلت) ليعلم ما يجوز اضافته اليه من السبيلين وما لا يجوز ولو كان الامر كما تزعم المجبرة لقيل وعلى الله قصد السبيل وعليه جائرها أو وعليه الجائر وقرأ عبد الله ومنكم جائر يعنى ومنكم جائر عن القصد بسوء اختياره والله برىء منه (ولو شاء لهداكم أجمعين) قسرا والجاء (لكم) متعلق بأنزل أو بشراب خبرا له ● والشراب ما يشرب (شجر) يعنى الشجر الذى ترعاه المواشى وفى حديث عكرمة لا تأكلوا ثمن الشجر فانه سحت

وعلى الله قصد السبيل ومنها جائر ولو شاء لهداكم أجمعين (قال ومعناه أن هداية الطريق الموصل الى الحق واجبة الخ) قال أحمد أراد بذلك أن يذهب به عن تتمة الآية وذلك قوله تعالى ولو شاء لهداكم أجمعين ولو كان الامر كما تزعم القدرية لكان سياق الكلام ولو شاء لهداكم أجمعين وما كانهم الا يؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعض فان ذهبوا الى تأويل الهداية بالقسر والالجاء فانهم لا يحرفون الكلم من بعد مواضعه وأما المخالفة بين الاسلوبين فلان سياق الكلام لاقامة حجة الله تعالى على الخلق بأنه بين السبيل القاصد والجائر وهدى قوما اختاروا الهدى وأضل قوما اختاروا الضلالة لانفسهم وقد تقدم فى غير ما موضع ان كل فعل صدر على يد العبد فله اعتباران هو من حيث كونه موجودا مخلوق لله تعالى ومضاف اليه بهذا الاعتبار وهو من حيث كونه مقترنا باختيار العبد له وتأتيه له وتيسره عليه يضاف الى العبد وان تعدد هذين الاعتبارين ثابت فى كل فعل فناسب اقامة الحجة على العباد اضافة الهداية الى الله تعالى باعتبار خلقه لها واضافة الضلال الى العبد باعتبار اختياره له والحاصل انه ذكر فى كل واحد من الفعلين نسبة غير النسبة المذكورة فى الآخر ليناسب ذلك اقامة الحجة البالغة والله الموفق للصواب

• عاد كلامه الى قوله لتأكلوا منه لحما طريا (قال هو السمك ووصفه بالطراوة لان الفساد يسرع اليه الخ) قال أحمد وكان ذلك تعليم لاكله وارشاد الى انه لا ينبغي ان يتناول الا طريا والاطباء يقولون ان تناوله بعد ذهاب طراوته أضر شيء يكون والله أعلم • عاد كلامه الى قوله تعالى وتستخرجوا منه حلية تلبسونها (قال الحلية هي اللؤلؤ والمرجان الخ) قال أحمد ولله در مالك (٦٨١) رضى الله عنه حيث جعل للزوج الحجر على زوجته فيما له بال من مالها وذلك مقدر

بالزائد على الثلث حقه ... بالتحمل فانظر الى ... حال من مال امرأته ومن زينتها حتى

فيه تسيمون ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات ان في ذلك لآية لقوم يتفكرون وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون وما ذرأ لكم في الارض مختلفا ألوانه ان في ذلك لآية لقوم يذكرون وهو الذي سخر البحر لتأكلوا منه لحما طريا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون وألقى في الارض رواسي أن تميد بكم وأنهارا وسبلا لعلكم تهتدون وعلامات وبالنجم هم يهتدون أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون وان تعدوا نعمة الله

يعني الكلأ (تسيمون) من سامت الماشية اذا رعت فهي سائمة وأسامها صاحبها وهو من السومة وهي العلامة لانها تؤثر بالرعي علامات في الارض • وقرئ ننبت بالنون (فان قلت) لم قيل ومن كل الثمرات (قلت) لان كل الثمرات لا تكون الا في الجنة وانما أنبت في الارض بعض من كلها للتذكرة (يتفكرون) ينظرون فيستدلون بها عليه وعلى قدرته وحكمته • والآية الدلالة الواضحة • وعن بعضهم ينبت بالتشديد وقرأ أبي بن كعب ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والاعناب بالرفع • قرئت كلها بالنصب على وجعل النجوم مسخرات أو على أن معنى تسخيرها للناس تصييرها نافعة لهم حيث يسكنون بالليل ويبتغون من فضله بالنهار ويعلمون عدد السنين والحساب بمسير الشمس والقمر ويهتدون بالنجوم فكأنه قيل ونفعكم بها في حال كونها مسخرات لما خلقن له بأمره ويجوز أن يكون المعنى أنه سخرها أنواعا من التسخير جمع مسخر بمعنى تسخير من قولك سخره الله مسخرا كقولك سرحه مسرحا كأنه قيل وسخرها لكم تسخيرات بأمره وقرئ بنصب الليل والنهار وحدهما ورفع ما بعدهما على الابتداء والخبر وقرئ والنجوم مسخرات بالرفع وما قبله بالنصب وقال (ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون) فجمع الآية وذكر العقل لان الآثار العلوية أظهر دلالة على القدرة الباهرة وأبين شهادة للكبرياء والعظمة (وما ذرأ لكم) معطوف على الليل والنهار يعني ما خلق فيها من حيوان وشجر وثمر وغير ذلك مختلف الهيئات والمناظر (لحما طريا) هو السمك ووصفه بالطراوة لان الفساد يسرع اليه فيسارع الى أكله خيفة الفساد عليه (فان قلت) ما بال الفقهاء قالوا اذا حلف الرجل لا يأكل لحما فأكل سمكا لم يحنث والله تعالى سماه لحما كما ترى (قلت) مبنى الايمان على العادة وعادة الناس اذا ذكر اللحم على الاطلاق أن لا يفهم منه السمك واذا قال الرجل لغلامه اشتر بهذه الدراهم لحما فجاء بالسمك كان حقيقا بالانكار ومثاله أن الله تعالى سمى الكافر دابة في قوله ان شر الدواب عند الله الذين كفروا فلو حلف حالف لا يركب دابة فركب كافرا لم يحنث (حلية) هي اللؤلؤ والمرجان والمراد بلبسهم لبس نسائهم لانهن من جملتهم ولانهن انما يتزين بها من أجلهم فكأنها زينتهم ولباسهم • المخر شق الماء بحيزومها وعن الفراء هو صوت جري الفلك بالرياح • وابتغاء الفضل التجارة (أن تميد بكم) كراهة أن تميل بكم وتضطرب والمائد الذي يدار به اذا ركب البحر • قيل خلق الله الارض فجعلت تمور فقالت الملائكة ما هي بمقر أحد على ظهرها فأصبحت وقد أرسيت بالجبال لم تدر الملائكة مم خلقت (وأنهارا) وجعل فيها أنهارا لان ألقى فيه معنى جعل ألا ترى الى قوله ألم نجعل الارض مهادا والجبال أوتادا (وعلامات) هي معالم الطرق وكل ما يستدل به السابلة من جبل ومنهل وغير ذلك • والمراد بالنجم الجنس كقولك كثر الدرهم في أيدي الناس وعن السدي هو الثريا والفرقدان وبنات نعش والجدي وقرأ الحسن وبالنجم بضمتين وبضمة وسكون وهو جمع نجم كرهن ورهن والسكون تخفيف وقيل حذف الواو من النجوم تخفيفا (فان قلت) قوله (وبالنجم هم يهتدون) مخرج عن سنن الخطاب مقدم فيه النجم مقحم فيه هم كأنه قيل وبالنجم خصوصا هؤلاء خصوصا يهتدون فمن المراد بهم (قلت) كأنه أراد قريشا كان لهم اهتداء بالنجوم في مسايرهم وكان لهم بذلك علم لم يكن مثله لغيرهم فكان الشكر أوجب عليهم والاعتبار ألزم لهم فخصصوا (فان قلت) من لا يخلق أريد به الاصنام فلم جيء بمن الذي هو لأولي العلم (قلت) فيه أوجه أحدها أنهم سموها آلهة وعبدوها فأجروها مجرى أولي العلم ألا ترى الى قوله على أثره والذين يدعون من دون الله لا يخلقون شيأ وهم يخلقون والثاني المشاكلة بينه وبين من يخلق

جعل حظ المرأة من ماله وزينتها حلية له فعبر عن حظه في لبسها بلبسه تأكيدا معبرا عن حظها سواء مؤيدا بالحديث المروي في الباب والله أعلم • قوله تعالى أفمن يخلق كمن لا يخلق الآية (قال ان قلت من لا يخلق أريد به الاصنام الخ) قال أحمد هو يحوم على ان العباد يخلقون أفعالهم وان المراد اظهار التفاوت بين من يخلق منهم ومن لا يخلق كالعاجزين والزمنى حتى يثبت التفاوت بين من يخلق منهم وبين الاصنام بطريق الاولى وقد مكن منه الطمع حتى اعتقد انه يثبت خلق العبد لافعاله بتنزيله الآية على

والثالث أن يكون المعنى أن من يخلق ليس كمن لا يخلق من أولي العلم فكيف بما لا علم عنده كقوله ألهم أرجل يمشون بها يعني أن الآلهة حالهم منحطة عن حال من لهم أرجل وأيد وآذان وقلوب لأن هؤلاء أحياء وهم أموات فكيف تصح لهم العبادة لا أنها لو صحت لهم هذه الأعضاء لصح أن يعبدوا * فإن قلت هو إلزام للذين عبدوا الأوثان وسموها آلهة تشبيها بالله فقد جعلوا غير الخالق مثل الخالق فكان حق الإلزام أن يقال لهم أفمن لا يخلق كمن يخلق (قلت) حين جعلوا غير الله مثل الله في تسميته باسمه والعبادة له وسووا بينه وبينه فقد جعلوا الله تعالى من جنس المخلوقات وشبيها بها فأنكر عليهم ذلك بقوله أفمن يخلق كمن لا يخلق (لا تحصوها) لا تضبطوا عددها ولا تبلغه طاقتكم فضلا أن تطيقوا القيام بحقها من أداء الشكر أتبع ذلك ما عدد من نعمه تنبيها على أن وراءها ما لا ينحصر ولا يعد (إن الله لغفور رحيم) حيث يتجاوز عن تقصيركم في أداء شكر النعمة ولا يقطعها عنكم لتفريطكم ولا يعاجلكم بالعقوبة على كفرانها (والله يعلم ما تسرون وما تعلنون) من أعمالكم وهو وعيد (والذين يدعون) والآلهة الذين يدعوهم الكفار (من دون الله) وقرئ بالتاء وقرئ يدعون على البناء للمفعول * نفى عنهم خصائص الإلهية بنفي كونهم خالقين وأحياء لا يموتون وعالمين بوقت البعث وأثبت لهم صفات الخلق بأنهم مخلوقون وأنهم أموات وأنهم جاهلون بالغيب ومعنى (أموات غير أحياء) أنهم لو كانوا آلهة على الحقيقة لكانوا أحياء غير أموات أي غير جائز عليها الموت كالحي الذي لا يموت وأمرهم على العكس من ذلك والضمير في يبعثون للداعين أي لا يشعرون متى تبعث عبدتهم وفيه تهكم بالمشركين وأن آلهتهم لا يعلمون وقت بعثهم فكيف يكون لهم وقت جزاء منهم على عبادتهم وفيه دلالة على أنه لا بد من البعث وأنه من لوازم التكليف ووجه آخر وهو أن يكون المعنى أن الناس يخلقونهم بالنحت والتصوير وهم لا يقدرون على نحو ذلك فهم أعجز من عبدتهم أموات جمادات لا حياة فيها غير أحياء يعني أن من الأموات ما يعقب موته حياة كالنطف التي ينشئها الله حيوانا وأجساد الحيوان التي تبعث بعد موتها وأما الحجارة فأموات لا يعقب موتها حياة وذلك أعرق في موتها (وما يشعرون أيان يبعثون) أي وما يعلم هؤلاء الآلهة متى تبعث الأحياء تهكما بحالها لأن شعور الجماد محال فكيف بشعور ما لا يعلمه حي إلا الحي القيوم سبحانه ووجه ثالث وهو أن يراد بالذين يدعون الملائكة وكان ناس منهم يعبدونهم وأنهم أموات أي لا بد لهم من الموت غير أحياء غير باقية حياتهم وما يشعرون ولا علم لهم بوقت بعثهم وقرئ إيان بكسر الهمزة (إلهكم إله واحد) يعني أنه قد ثبت بما تقدم من إبطال أن تكون الإلهية لغيره وأنها له وحده لا شريك له فيها فكان من نتيجة ثبات الوحدانية ووضوح دليلها استمرارهم على شركهم وأن قلوبهم منكرة للوحدانية وهم مستكبرون عنها وعن الإقرار بها (لا جرم) حقا (أن الله يعلم) سرهم وعلانيتهم فيجازيهم وهو وعيد (إنه لا يحب المستكبرين) يجوز أن يريد المستكبرين عن التوحيد يعني المشركين ويجوز أن يعم كل مستكبر ويدخل هؤلاء تحت عمومه (ماذا) منصوب بأنزل بمعنى أي شيء أنزل ربكم أو مرفوع بالابتداء بمعنى أي شيء أنزله ربكم فإذا نصبت فمعنى (أساطير الأولين) ما يدعون نزوله أساطير الأولين وإذا رفعته فالمعنى المنزل أساطير الأولين كقوله ماذا ينفقون قل العفو فيمن رفع (فإن قلت) هو كلام متناقض لأنه لا يكون منزل ربهم وأساطير (قلت) هو على السخرية كقوله إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون وهو كلام بعضهم لبعض أو قول المسلمين لهم وقيل هو قول المقتسمين الذين اقتسموا مداخل مكة ينفرون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سألهم وفود الحاج عما أنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا أحاديث الأولين وأباطيلهم (ليحملوا أوزارهم) أي قالوا ذلك إضلالا للناس وصدا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فحملوا أوزار ضلالهم (كاملة) وبعض أوزار من ضل بضلالهم وهو وزر الإضلال لأن المضل والضال شريكان هذا يضله وهذا يطاوعه على إضلاله فيتحاملان الوزر ومعنى اللام التعليل من غير أن يكون غرضا كقولك خرجت من البلد مخافة الشر (بغير علم) حال من المفعول أي يضلون من لا يعلم أنهم ضلال وإنما وصف بالضلال واحتمال الوزر من أضلوه وإن لم يعلم لأنه كان عليه أن يبحث وينظر بعقله حتى يميز بين المحق والمبطل * القواعد أساطين البناء التي تعمده وقيل الأساس وهذا تمثيل يعني أنهم سووا منصوبات ليمكروا بها الله

ورسوله

لا تحصوها إن الله لغفور رحيم والله يعلم ما تسرون وما تعلنون والذين يدعون من دون الله لا يخلقون شيئا وهم يخلقون أموات غير أحياء وما يشعرون أيان يبعثون إلهكم إله واحد فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة وهم مستكبرون لا جرم أن الله يعلم ما يسرون وما يعلنون إنه لا يحب المستكبرين وإذا قيل لهم ماذا أنزل ربكم قالوا أساطير الأولين ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم ألا ساء ما يزرون قد مكر الذين من قبلهم فأتى الله بنيانهم

هذا التأويل ويتمنى لو له ذلك * وما كل ما يتمنى المرء يدركه * عاد كلامه (قال فإن قلت هو إلزام للذين عبدوا الأوثان وسموها آلهة تشبيها بالله تعالى وكان من حق الإلزام الخ) قال أحمد وقد تقدم الكلام في ذلك عند قوله تعالى وليس الذكر كالأنثى فجدد به العهد

• قوله تعالى وقال الذين أشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء نحن ولا آباؤنا الى قوله ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة (قال يعني انهم أشركوا بالله (٦٨٢) وحرموا ما أحل الله الخ) قال أحمد

ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم لا كهؤلاء المصورين تلك الصورة * وقيل هو تمثيل يعني أنهم سووا منصوبات ليمكروا بها الله ورسوله فجعل الله هلاكهم في تلك المنصوبات كحال قوم بنوا بنيانا وعمدوه بالاساطين فأتى البنيان من الاساطين بأن ضعضعت فسقط عليهم السقف وهلكوا ونحوه من حفر لأخيه جبا وقع فيه منكبا وقيل هو نمروذ بن كنعان حين بنى الصرح ببابل طوله خمسة آلاف ذراع وقيل فرسخان فأهب الله الريح فخر عليه وعلى قومه فهلكوا * ومعنى اتيان الله اتيان أمره (من القواعد) من جهة القواعد (من حيث لا يشعرون) من حيث لا يحتسبون ولا يتوقعون * وقرئ فأتى الله بيتهم فخر عليهم السقف بضمتين (يخزيهم) يذلهم بعذاب الخزي ربنا انك من تدخل النار فقد أخزيته يعني هذا لهم في الدنيا ثم العذاب في الآخرة (شركاءي) على الاضافة الى نفسه حكاية لاضافتهم ليوبخهم بها على طريق الاستهزاء بهم (تشاقون فيهم) تعادون وتخاصمون المؤمنين في شأنهم ومعناهم وقرئ تشاقون بكسر النون بمعنى تشاقونني لان مشاقة المؤمنين كأنها مشاقة لله (قال الذين أوتوا العلم) هم الانبياء والعلماء من أممهم الذين كانوا يدعونهم الى الايمان ويعظونهم فلا يلتفتون اليهم ويتكبرون عليهم ويشاقونهم يقولون ذلك شماتة بهم وحكى الله ذلك من قولهم ليكون لطفا لمن سمعه وقيل هم الملائكة * قرئ تتوفاهم بالتاء والياء وقرئ الذين توفاهم بادغام التاء في التاء (فألقوا السلم) فسالموا وأخبتوا وجاؤا بخلاف ما كانوا عليه في الدنيا من الشقاق والكبر وقالوا (ما كنا نعمل من سوء) وجحدوا ما وجد منهم من الكفر والعدوان فرد عليهم أولو العلم (ان الله عليم بما كنتم تعملون) فهو يجازيكم عليه وهذا أيضا من الشماتة وكذلك (فادخلوا أبواب جهنم * خيرا) أنزل خيرا (فان قلت) لم نصب هذا ورفع الاول (قلت) فصلا بين جواب المقر وجواب الجاحد يعني أن هؤلاء لما سئلوا لم يتلعثموا وأطبقوا الجواب على السؤال بينا مكشوفا مفعولا للانزال فقالوا خيرا أي أنزل خيرا وأولئك عدلوا بالجواب عن السؤال فقالوا هو أساطير الاولين وليس من الانزال في شيء وروي أن أحياء العرب كانوا يبعثون أيام الموسم من يأتيهم بخبر النبي صلى الله عليه وسلم فاذا جاء الوافد كفه المقتسمون وأمروه بالانصراف وقالوا ان لم تلقه كان خيرا لك فيقول أنا شر وافد ان رجعت الى قومي دون أن أستطلع أمر محمد وأراه فيلقى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيخبرونه بصدقه وأنه نبي مبعوث فهم الذين قالوا خيرا وقوله (للذين أحسنوا) وما بعده بدل من خيرا حكاية لقول الذين اتقوا أي قالوا هذا القول فقدم عليه تسميته خيرا ثم حكاه ويجوز أن يكون كلاما مبتدأ عدة للقائلين ويجعل قولهم من جملة احسانهم ويحمدوا عليه (حسنة) مكافأة في الدنيا باحسانهم ولهم في الآخرة ما هو خير منها كقوله فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة (ولنعم دار المتقين) دار الآخرة فحذف المخصوص بالمدح لتقدم ذكره و(جنات عدن) خبر مبتدا محذوف ويجوز أن يكون المخصوص بالمدح (طيبين) طاهرين من ظلم أنفسهم بالكفر والمعاصي لانه في مقابلة ظالمي أنفسهم (يقولون سلام عليكم) قيل اذا أشرف العبد المؤمن على الموت جاءه ملك فقال السلام عليك يا ولي الله الله يقرأ عليك السلام ويبشره بالجنة (تأتيهم الملائكة) قرئ بالتاء والياء يعني أن تأتيهم لقبض الارواح و(أمر ربك) العذاب المستأصل أو القيامة (كذلك) أي مثل ذلك الفعل من الشرك والتكذيب (فعل الذين من قبلهم وما ظلمهم الله) بتدميرهم (ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) لانهم فعلوا ما استوجبوا به التدمير (سيئات ما عملوا) جزاء سيئات أعمالهم أو هو كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها * هذا من جملة ما عدد من أصناف كفرهم وعنادهم من شركهم بالله وانكار وحدانيته بعد قيام الحجج وانكار البعث واستعجاله استهزاء منهم به وتكذيبهم الرسول وشقاقهم واستكبارهم عن قبول الحق يعني أنهم أشركوا بالله وحرموا ما أحل الله من البحيرة والسائبة وغيرهما ثم نسبوا فعلهم الى الله وقالوا لو شاء لم نفعل وهذا مذهب المجبرة بعينه (كذلك فعل

من قبلهم فخر عليهم السقف من فوقهم وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون ثم يوم القيامة يخزيهم ويقول أين شركاءي الذين كنتم تشاقون فيهم قال الذين أوتوا العلم ان الخزي اليوم والسوء على الكافرين الذين تتوفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم فألقوا السلم ما كنا نعمل من سوء بلى ان الله عليم بما كنتم تعملون فادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فلبئس مثوى المتكبرين وقيل للذين اتقوا ماذا أنزل ربكم قالوا خيرا للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة ولدار الآخرة خير ولنعم دار المتقين جنات عدن يدخلونها تجري من تحتها الانهار لهم فيها ما يشاؤن كذلك يجزي الله المتقين الذين تتوفاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون هل ينظرون الا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي أمر ربك كذلك فعل الذين من قبلهم وما ظلمهم الله ولكن كانوا أنفسهم يظلمون فأصابهم سيئات ما عملوا وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن وقال الذين أشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء نحن ولا آباؤنا ولا حرمنا من دونه من شيء كذلك فعل

قد تكرر منه مثل هذا الفصل في أخت الآية المتقدمة في سورة الانعام وقد صاحبته ثم بما فيه مقنع ان شاء الله والذي زاده هاهنا

معتقده على ما زعمه بقوله تعالى ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ووجه تمسكه به أن الله تعالى قسم العبادة إلى قسمين مأمور به ومنهي عنه والأمر والنهي عند المصنف راجعان إلى المشيئة بناء على زعم القدرية في إنكار كلام النفس وجحد الاقتضاء إلى الإرادة والحاصل (٦٨٤) حينئذ من هذه التتمة أن الله تعالى شاء عبادة الحق له وشاء اجتنابهم عبادة الطاغوت ولم يشأ منهم أن يشركوا به وتخيل هذه المشيئة على لسان كل رسول بعثه إلى أمة من الأمم بخلاف التتمة

الذين من قبلهم فهل على الرسل إلا البلاغ المبين ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين إن تحرص على هداهم فإن الله لا يهدي من يضل وما لهم من ناصرين وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت بلى وعدا عليه حقا ولكن أكثر الناس لا يعلمون ليبين لهم الذي يختلفون فيه وليعلم الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون والذين هاجروا

الذين من قبلهم) أي أشركوا وحرموا حلال الله فلما نبهوا على قبح فعلهم وركوه على ربهم (فهل على الرسل) إلا أن يبلغوا الحق وأن الله لا يشاء الشرك والمعاصي بالبيان والبرهان ويطلعوا على بطلان الشرك وقبحه وبراءة الله تعالى من أفعال العباد وأنهم فاعلوها بقصدهم وإرادتهم واختيارهم والله تعالى باعثهم على جميلها وموفقهم له وزاجرهم عن قبيحها وموعدهم عليه • ولقد أمد إبطال قدر السوء ومشيئة الشر بأنه ما من أمة إلا وقد بعث فيهم رسولا يأمرهم بالخير الذي هو الإيمان وعبادة الله وباجتناب الشر الذي هو طاعة الطاغوت (فمنهم من هدى الله) أي لطف به لأنه عرفه من أهل اللطف (ومنهم من حقت عليه الضلالة) أي ثبت عليه الخذلان والترك من اللطف لأنه عرفه مصمما على الكفر لا يأتي منه خير (فسيروا في الأرض فانظروا) ما فعلت بالمكذبين حتى لا يبقى لكم شبهة في أني لا أقدر الشر ولا أشاؤه حيث أفعل ما أفعل بالأشرار • ثم ذكر عناد قريش وحرص رسول الله صلى الله عليه وسلم على إيمانهم وعرفه أنهم من قسم من حقت عليه الضلالة وأنه (لا يهدي من يضل) أي لا يلطف بمن يخذل لأنه عبث والله تعالى متعال عن العبث لأنه من قبيل القبائح التي لا تجوز عليه • وقرئ لا يهدى أي لا يقدر أحد على هداية من خذله الله وقوله (وما لهم من ناصرين) دليل على أن المراد بالإضلال الخذلان الذي هو نقيض النصرة ويجوز أن يكون لا يهدي بمعنى لا يهتدي يقال هداه الله فهدى وفي قراءة أبي فإن الله لا هادي لمن يضل ولمن أضل وهي معاضدة لمن قرأ لا يهدى على البناء للمفعول وفي قراءة عبد الله يهدي بإدغام تاء يهتدي وهي معاضدة للأولى وقرئ يضل بالفتح • وقرأ النخعي إن تحرص بفتح الراء وهي لغة (وأقسموا بالله) معطوف على وقال الذين أشركوا إيذانا بأنهما كفرتان عظيمتان موصوفتان حقيقتان بأن تحكيا وتدونا توريكهم على مشيئة الله وإنكارهم البعث مقسمين عليه و(بلى) إثبات لما بعد النفي أي بلى يبعثهم • ووعدا مصدر مؤكد لما دل عليه بلى لأن يبعث موعد من الله وبين أن الوفاء بهذا الموعد حق واجب عليه في الحكمة (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) أنهم يبعثون أو أنه وعد واجب على الله لأنهم يقولون لا يجب على الله شيء لا ثواب عامل ولا غيره من مواجب الحكمة (ليبين لهم) متعلق بما دل عليه بلى أي يبعثهم ليبين لهم والضمير لمن يموت وهو عام للمؤمنين والكافرين والذي اختلفوا فيه هو الحق (وليعلم الذين كفروا أنهم) كذبوا في قولهم لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء وفي قولهم لا يبعث الله من يموت وقيل يجوز أن يتعلق بقوله ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أي بعثناه ليبين لهم ما اختلفوا فيه وأنهم كانوا على الضلالة قبله مفترين على الله الكذب (قولنا) مبتدأ و(أن نقول) خبره و(كن فيكون) من كان التامة التي بمعنى الحدوث والوجود أي إذا أردنا وجود شيء فليس إلا أن نقول له أحدث فهو يحدث عقيب ذلك لا يتوقف وهذا مثل لأن مرادا لا يمتنع عليه وأن وجوده عند إرادته تعالى غير متوقف كوجود المأمور به عند أمر الآمر المطاع إذا ورد على المأمور المطيع الممتثل ولا قول ثم والمعنى أن إيجاد كل مقدور على الله تعالى بهذه السهولة فكيف يمتنع عليه البعث الذي هو من شق المقدورات وقرئ فيكون عطفا على نقول (والذين هاجروا) هم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ظلمهم أهل مكة

• ترجمة على معنى صدر الآية مؤكدة بمقتضاه هذا هو الذي رده المصنف فهو وقد بينا أن مبناه على إنكار كلام النفس الثابت قطعا فهو باطل جزما والحق أن الله تعالى أوضح في الآيتين جميعا أن الذي أنكره من المشركين لو شاء الله ما أشركنا إنما هو احتجاجهم على الله تعالى بمشيئته التي لا حجة لهم فيها مع ما خلق لهم من الاختيار بقوله ههنا فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة وبقوله في آخر آية الأنعام فلله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم أجمعين فتبين فيهما أنه هو الذي شاء منهم الإشراك والضلالة ولو شاء هدايتهم أجمعين لاهتدوا عن آخرهم وحصل من هذا البيان صرف الإنكار عليهم إلى غير نسبة المشيئة لله تعالى وذلك هو الذي قدمناه في إقامتهم الحجة على الله بمشيئته مع أن حجتهم في ذلك داحضة ولله عليهم الحجة البالغة الواضحة والله الموفق

ففروا

في الله من بعد ما ظلموا لنبوئنهم في الدنيا حسنة ولأجر الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا نوحي إليهم فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون بالبينات والزبر وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون أفأمن الذين مكروا السيئات أن يخسف الله بهم الأرض أو يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون أو يأخذهم في تقلبهم فما هم بمعجزين أو يأخذهم على تخوف فإن ربكم لرؤوف رحيم أولم يروا إلى ما خلق الله من شيء يتفيؤ ظلاله عن اليمين والشمائل سجدا لله وهم داخرون ولله يسجد ما في السموات وما في الأرض

هاجروا بدينهم إلى الله منهم من هاجر إلى الحبشة ثم إلى المدينة فجمع بين الهجرتين ومنهم من هاجر إلى المدينة وقيل هم الذين كانوا محبوسين معذبين بعد هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلما خرجوا تبعوهم فردوهم منهم بلال وصهيب وخباب وعمار وعن صهيب أنه قال لهم أنا رجل كبير إن كنت معكم لم أنفعكم وإن كنت عليكم لم أضركم فافتدى منهم بماله وهاجر فلما رآه أبو بكر رضي الله عنه قال له ربح البيع يا صهيب وقال له عمر نعم الرجل صهيب لو لم يخف الله لم يعصه وهو ثناء عظيم يريد لو لم يخلق الله النار لأطاعه فكيف (في الله) في حقه ولوجهه (حسنة) صفة للمصدر أي لنبوئنهم تبوئة حسنة وفي قراءة علي رضي الله عنه لنثوينهم ومعناه إثواءة حسنة وقيل لننزلنهم في الدنيا منزلة حسنة وهي الغلبة على أهل مكة الذين ظلموهم وعلى العرب قاطبة وعلى أهل المشرق والمغرب وعن عمر رضي الله عنه أنه كان إذا أعطى رجلا من المهاجرين عطاء قال خذ بارك الله لك فيه هذا ما وعدك الله في الدنيا وما ذخر لك في الآخرة أكثر وقيل لنبوئنهم مباءة حسنة وهي المدينة حيث آواهم أهلها ونصروهم (لو كانوا يعلمون) الضمير للكفار أي لو علموا أن الله يجمع لهؤلاء المستضعفين في أيديهم الدنيا والآخرة لرغبوا في دينهم ويجوز أن يرجع الضمير إلى المهاجرين أي لو كانوا يعلمون ذلك لزادوا في اجتهادهم وصبرهم (الذين صبروا) أي هم الذين صبروا أو أعني الذين صبروا وكلاهما مدح أي صبروا على العذاب وعلى مفارقة الوطن الذي هو حرم الله المحبوب في كل قلب فكيف بقلوب قوم هو مسقط رؤوسهم وعلى المجاهدة وبذل الأرواح في سبيل الله ❁ قالت قريش الله أعظم من أن يكون رسوله بشرا فقيل (وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا نوحي إليهم) على ألسنة الملائكة (فاسألوا أهل الذكر) وهم أهل الكتاب ليعلموكم أن الله لم يبعث إلى الأمم السالفة إلا بشرا (فإن قلت) بم تعلق قوله (بالبينات) (قلت) له متعلقات شتى فإما أن يتعلق بما أرسلنا داخلا تحت حكم الاستثناء مع رجالا أي وما أرسلنا إلا رجالا بالبينات كقولك ما ضربت إلا زيدا بالسوط لأن أصله ضربت زيدا بالسوط وإما برجالا صفة له أي رجالا ملتبسين بالبينات وإما بأرسلنا مضمرا كأنه قيل بم أرسلوا فقلت بالبينات فهو على كلامين والأول على كلام واحد وإما بيوحى أي يوحى إليهم بالبينات وإما بلا تعلمون على أن الشرط في معنى التبكيت والإلزام كقول الأجير إن كنت عملت لك فأعطني حقي وقوله فاسألوا أهل الذكر اعتراض على الوجوه المتقدمة وأهل الذكر أهل الكتاب وقيل للكتاب الذكر لأنه موعظة وتنبيه للغافلين (ما نزل إليهم) يعني ما نزل الله إليهم في الذكر مما أمروا به ونهوا عنه ووعدوا وأوعدوا (ولعلهم يتفكرون) وإرادة أن يصغوا إلى تنبيهاته فينتبهوا ويتأملوا (مكروا السيئات) أي المكرات السيئات وهم أهل مكة وما مكروا به رسول الله صلى الله عليه وسلم (في تقلبهم) متقلبين في مسايرهم ومتاجرهم وأسباب دنياهم (على تخوف) متخوفين وهو أن يهلك قوما قبلهم فيتخوفوا فيأخذهم بالعذاب وهم متخوفون متوقعون وهو خلاف قوله من حيث لا يشعرون وقيل هو من قولك تخوفته وتخونته إذا تنقصته قال زهير

تخوف الرحل منها تامكا قردا ❁ كما تخوف عود النبعة السفن

أي يأخذهم على أن يتنقصهم شيئا بعد شيء في أنفسهم وأموالهم حتى يهلكوا وعن عمر رضي الله عنه أنه قال على المنبر ما تقولون فيها فسكتوا فقام شيخ من هذيل فقال هذه لغتنا التخوف التنقص فقال فهل تعرف العرب ذلك في أشعارها قال نعم قال شاعرنا وأنشد البيت فقال عمر أيها الناس عليكم بديوانكم لا يضل قالوا وما ديواننا قال شعر الجاهلية فإن فيه تفسير كتابكم (فإن ربكم لرؤوف رحيم) حيث يحلم عنكم ولا يعاجلكم مع استحقاقكم ❁ قرئ أولم يروا وتتفيؤ بالياء والتاء وما موصولة بخلق الله وهو مبهم بيانه (من شيء يتفيؤ ظلاله) واليمين بمعنى الأيمان و(سجدا) حال من الظلال (وهم داخرون) حال من الضمير في ظلاله لأنه في معنى الجمع وهو ما خلق الله من كل شيء له ظل وجمع بالواو لأن الدخور من أوصاف العقلاء أو لأن في جملة ذلك من يعقل فغلب والمعنى أولم يروا إلى ما خلق الله من الأجرام التي لها ظلال متفيئة عن أيمانها وشمائلها أي عن جانبي كل واحد منها وشقيه استعارة من يمين الإنسان وشماله لجانبي الشيء أي ترجع الظلال من جانب إلى جانب

* قوله تعالى ولله يسجد ما في السموات وما في الأرض من دابة والملائكة الآية (قال إن قلت سجود المكلفين مما انتظمه هذا الكلام خلاف سجود غيرهم فكيف عبر عن النوعين بلفظ واحد الخ) قال أحمد وهذا منه بناء على امتناع تناول اللفظ الواحد لحقيقته ومجازه معاً ولم يزل ذلك متناقضاً فإن السجود يتناول فعل المكلف حقيقة ويتناول حال غير المكلف بطريق مجاز لتنسمه وقد أريد جميعاً من الآية والزمخشري ينكر ذلك في مواضع مررت عليها من كتابه هذا وظاهر مراده ههنا أن السجود عبارة عن قدر مشترك بين فعل المكلف وحال غير المكلف وهو عدم الامتناع عند القدرية وغرضه من ذلك أن يكون اللفظ متواطئاً فيهما حذراً من الجمع بين الحقيقة والمجاز لأنه يأبى ذلك ولا يتم له هذا المقصد في الآية

من دابة والملائكة وهم لا يستكبرون يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون وقال الله لا تتخذوا إلهين اثنين إنما هو إله واحد فإياي فارهبون وله ما في السموات والأرض وله الدين واصباً أفغير الله تتقون وما بكم من نعمة فمن الله ثم إذا مسكم الضر فإليه تجأرون ثم إذا كشف الضر عنكم

منقادة لله غير ممتنعة عليه فيما سخرها له من التفيؤ والأجرام في أنفسها داخرة أيضاً صاغرة منقادة لأفعال الله فيها لا تمتنع (من دابة) يجوز أن يكون بياناً لما في السموات وما في الأرض جميعاً على أن في السموات خلقاً لله يدبون فيها كما يدب الأناسي في الأرض وأن يكون بياناً لما في الأرض وحده ويراد بما في السموات الخلق الذي يقال له الروح وأن يكون بياناً لما في الأرض وحده ويراد بما في السموات الملائكة وكرر ذكرهم على معنى والملائكة خصوصاً من بين الساجدين لأنهم أطوع الخلق وأعبدهم ويجوز أن يراد بما في السموات ملائكتهن وبقوله والملائكة ملائكة الأرض من الحفظة وغيرهم (فإن قلت) سجود المكلفين مما انتظمه هذا الكلام خلاف سجود غيرهم فكيف عبر عن النوعين بلفظ واحد (قلت) المراد بسجود المكلفين طاعتهم وعبادتهم وبسجود غيرهم انقياده لإرادة الله وأنه غير ممتنع عليها وكلا السجودين يجمعهما معنى الانقياد فلم يختلفا فلذلك جاز أن يعبر عنهما بلفظ واحد (فإن قلت) فهلا جيء بمن دون ما تغليباً للعقلاء من الدواب على غيرهم (قلت) لأنه لو جيء بمن لم يكن فيه دليل على التغليب فكان متناولاً للعقلاء خاصة فجيء بما هو صالح للعقلاء وغيرهم إرادة العموم (يخافون) يجوز أن يكون حالاً من الضمير في لا يستكبرون أي لا يستكبرون خائفين وأن يكون بياناً لنفي الاستكبار وتأكيداً له لأن من خاف الله لم يستكبر عن عبادته (من فوقهم) إن علقته بيخافون فمعناه يخافونه أن يرسل عليهم عذاباً من فوقهم وإن علقته بربهم حالاً منه فمعناه يخافون ربهم عالياً لهم قاهراً كقوله وهو القاهر فوق عباده وإنا فوقهم قاهرون وفيه دليل على أن الملائكة مكلفون مدارون على الأمر والنهي والوعد والوعيد كسائر المكلفين وأنهم بين الخوف والرجاء (فإن قلت) إنما جمعوا بين العدد والمعدود فيما وراء الواحد والاثنين فقالوا عندي رجال ثلاثة وأفراس أربعة لأن المعدود عار عن الدلالة على العدد الخاص وأما رجل ورجلان وفرس وفرسان فمعدودان فيهما دلالة على العدد فلا حاجة إلى أن يقال رجل واحد ورجلان اثنان فما وجه قوله (إلهين اثنين) (قلت) الاسم الحامل لمعنى الإفراد والتثنية دال على شيئين على الجنسية والعدد المخصوص فإذا أريدت الدلالة على أن المعني به منهما والذي يساق إليه الحديث هو العدد شفع بما يؤكده فدل به على القصد إليه والعناية به ألا ترى أنك لو قلت إنما هو إله ولم تؤكده بواحد لم يحسن وخيل أنك تثبت الإلهية لا الوحدانية (فإياي فارهبون) نقل للكلام عن الغيبة إلى التكلم وجاز لأن الغالب هو المتكلم وهو من طريقة الالتفات وهو أبلغ في الترهيب من قوله وإياه فارهبوه ومن أن يجيء ما قبله على لفظ المتكلم (الدين) الطاعة (واصباً) حال عمل فيه الظرف والواصب الواجب الثابت لأن كل نعمة منه فالطاعة واجبة له على كل منعم عليه ويجوز أن يكون من الوصب أي وله الدين ذا كلفة ومشقة ولذلك سمي تكليفاً أو وله الجزاء دائماً سرمداً لا يزول يعني الثواب والعقاب (وما بكم من نعمة) وأي شيء حل بكم أو اتصل بكم من نعمة فهو من الله (فإليه تجأرون) فما تتضرعون إلا إليه والجؤار رفع الصوت بالدعاء والاستغاثة قال الأعشى يصف راهباً

يراوح من صلوات المليك ... طوراً سجوداً وطوراً جؤارا

وقرئ تجرون بطرح الهمزة وإلقاء حركتها على الجيم وقرأ قتادة كاشف الضر على فاعل بمعنى فعل وهو أقوى

والله أعلم لأن كونها آية سجدة يدل على أن المراد من السجود المذكور فيها منسوباً للمكلفين هو الفعل الخاص المتعارف شرعاً الذي يكون ذكره سبباً للفعل سنية معدودة في عزائم السجود لا القدر الأعم المشترك والله أعلم

من

* قوله تعالى وهم لا يستكبرون يخافون (قال فيه يجوز أن يكون حالاً من الضمير الخ) قال أحمد هذا الثاني هو الوجه ليس إلا وأما الحال فيعطي انتقالاً ويوهم تقييد العدم استكبارهم مع أن الواقع أن عدم استكبارهم مطلق غير مقيد بحال والله الموفق * قوله تعالى وقال الله لا تتخذوا إلهين اثنين إنما هو إله واحد (قال إن قلت ما فائدة قوله اثنين مع إغناء التثنية عن ذلك الخ) قال أحمد وهذا الفصل من حسناته التي لا يدافع عنها والله الموفق

قوله تعالى (وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم الخ) قال فيه ظل بمعنى صار قال أحمد ٣ وجاز أن يراد الظلول نهارا القصد المبالغة في وصفهم بالعناد والإصرار وأنهم لو عرجوا إلى الوقت الذي لا يتغابى على البصر فيه شيء في السماء لعاندوا على كفرهم وتكذيبهم والله أعلم * قوله تعالى (ويجعلون لله ما يكرهون وتصف ألسنتهم الكذب أن لهم الحسنى) (قال المراد ما يكرهونه البنات وشركاء في رياستهم واستخفاف برسلهم الخ) قال أحمد وقيس هؤلاء من إذا أعجبه شيء من ماله جعله لله (٦٨٧) مثل ما أحب أمة له أعتقها وإذا اشتهى طعاما قدم إليه تصدق به على حسب وارد ينقل مثل هذا عن السلف الصالح من الصحابة كابن عمر ونظرائه ومن تابعهم فيها ويجعلون لله ما يشتهون اللهم إنا نسأل رتبة أوليائك فإنا نحبهم فإن أحب قوما حشر معهم

إذا فريق منكم بربهم يشركون ليكفروا بما آتيناهم فتمتعوا فسوف تعلمون ويجعلون لما لا يعلمون نصيبا مما رزقناهم تالله لتسألن عما كنتم تفترون ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم يتوارى من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هون أم يدسه في التراب ألا ساء ما يحكمون للذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء ولله المثل الأعلى وهو العزيز الحكيم ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ما ترك عليها من دابة ولكن يؤخرهم إلى أجل مسمى فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون ويجعلون لله ما يكرهون وتصف ألسنتهم الكذب أن لهم الحسنى لا جرم أن لهم النار وأنهم

من كشف لأن بناء المغالبة يدل على المبالغة (فإن قلت) فما معنى قوله (إذا فريق منكم بربهم يشركون) (قلت) يجوز أن يكون الخطاب في قوله وما بكم من نعمة فمن الله عاما ويريد بالفريق فريق الكفرة وأن يكون الخطاب للمشركين ومنكم للبيان لا للتبعيض كأنه قال فإذا فريق كافر وهم أنتم ويجوز أن يكون فيهم من اعتبر كقوله فلما نجاهم إلى البر فمنهم مقتصد (ليكفروا بما آتيناهم) من نعمة الكشف عنهم كأنهم جعلوا غرضهم في الشرك كفران النعمة (فتمتعوا فسوف تعلمون) تخلية ووعيد وقرئ فيمتعوا بالياء مبنيا للمفعول عطفا على ليكفروا ويجوز أن يكون ليكفروا فيمتعوا من الأمر الوارد في معنى الخذلان والتخلية واللام لام الأمر (لما لا يعلمون) أي لآلهتهم ومعنى لا يعلمونها أنهم يسمونها آلهة ويعتقدون فيها أنها تضر وتنفع وتشفع عند الله وليس كذلك وحقيقتها أنها جماد لا يضر ولا ينفع فهم إذا جاهلون بها وقيل الضمير في لا يعلمون للآلهة أي لأشياء غير موصوفة بالعلم ولا تشعر أجعلوا لها نصيبا في أنعامهم وزروعهم أم لا وكانوا يجعلون لهم ذلك تقربا إليهم (تالله لتسألن) وعيد (عما كنتم تفترون) من الإفك في زعمكم أنها آلهة وأنها أهل للتقرب إليها كانت خزاعة وكنانة تقول الملائكة بنات الله (سبحانه) تنزيه لذاته من نسبة الولد إليه أو تعجب من قولهم (ولهم ما يشتهون) يعني البنين ويجوز في ما يشتهون الرفع على الابتداء والنصب على أن يكون معطوفا على البنات أي وجعلوا لأنفسهم ما يشتهون من الذكور و(ظل) بمعنى صار كما يستعمل بات وأصبح وأمسى بمعنى الصيرورة ويجوز أن يجيء ظل لأن أكثر الوضع يتفق بالليل فيظل نهاره مغتما مربد الوجه من الكآبة والحياء من الناس (وهو كظيم) مملوء حنقا على المرأة (يتوارى من القوم) يستخفي منهم (من) أجل (سوء) المبشر به ومن أجل تعييرهم ويحدث نفسه وينظر أيمسك ما بشر به (على هون) على هوان وذل (أم يدسه في التراب) أم يئده • وقرئ أيمسكها على هون أم يدسها على التأنيث وقرئ على هوان (ألا ساء ما يحكمون) حيث يجعلون الولد الذي هذا محله عندهم لله ويجعلون لأنفسهم من هو على عكس هذا الوصف (مثل السوء) صفة السوء وهي الحاجة إلى الأولاد الذكور وكراهة الإناث ووأدهن خشية الإملاق وإقرارهم على أنفسهم بالشح البالغ (ولله المثل الأعلى) وهو الغنى عن العالمين والنزاهة عن صفات المخلوقين وهو الجواد الكريم (بظلمهم) بكفرهم ومعاصيهم (ما ترك عليها) أي على الأرض (من دابة) قط ولأهلكها كلها بشؤم ظلم الظالمين وعن أبي هريرة أنه سمع رجلا يقول إن الظالم لا يضر إلا نفسه فقال بلى والله حتى إن الحبارى لتموت في وكرها بظلم الظالم وعن ابن مسعود كاد الجعل يهلك في جحره بذنب ابن آدم أو من دابة ظالمة وعن ابن عباس من دابة من مشرك يدب عليها وقيل لو أهلك الآباء بكفرهم لم تكن الأبناء (ويجعلون لله ما يكرهون) لأنفسهم من البنات ومن شركاء في رياستهم ومن الاستخفاف برسلهم والتهاون برسالاتهم ويجعلون له أرذل أموالهم ولأصنامهم أكرمها (وتصف ألسنتهم) مع ذلك (أن لهم الحسنى) عند الله كقوله ولئن رجعت إلى ربي إن لي عنده للحسنى وعن بعضهم أنه قال لرجل من ذوي اليسار كيف تكون يوم القيامة إذا قال الله تعالى هاتوا ما دفع إلى السلاطين وأعوانهم فيؤتى بالدواب والثياب وأنواع الأموال الفاخرة وإذا قال هاتوا ما دفع إلي فيؤتى بالكسر والخرق

٣ (قول المحشي وجاز أن يراد الظلول نهارا القصد المبالغة في وصفهم بالعناد الخ) لعله استقال نظرا لا يخفى أنه مما يناسب الكلام في تفسير قوله تعالى ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون الآية فالمناسب حينئذ إسقاطه من هنا وليحرر اهـ مصححه

وما لا يؤبه له أما تستحيي من ذلك الموقف وقرأ هذه الآية وعن مجاهد أن لهم الحسنى هو قول قريش لنا
البنون وأن لهم الحسنى بدل من الكذب * وقرئ الكذب جمع كذوب صفة للالسنة (مفرطون) قرئ
مفتوح الراء ومكسورها مخففا ومشددا فالمفتوح بمعنى مقدمون الى النار معجلون اليها من أفرطت فلانا
وفرطته في طلب الماء اذا قدمته وقيل منسيون متروكون من أفرطت فلانا خلفي اذا خلفته ونسيته
والمكسور المخفف من الافراط في المعاصي والمشدد من التفريط في الطاعات وما يلزمهم (فهو وليهم اليوم)
حكاية الحال الماضية التي كان يزين الشيطان أعمالهم فيها أو فهو وليهم في الدنيا ويجوز أن يكون اليوم عبارة عن
زمان الدنيا ومعنى وليهم قرينهم وبئس القرين أو يجعل فهو وليهم اليوم حكاية للحال الآتية وهي حال
كونهم معذبين في النار أي فهو ناصرهم اليوم لا ناصر لهم غيره نفيا للناصر لهم على أبلغ الوجوه ويجوز أن
يرجع الضمير الى مشركي قريش وأنه زين للكفار قبلهم أعمالهم فهو ولي هؤلاء لانهم منهم ويجوز أن يكون
على حذف المضاف أي فهو ولي أمثالهم اليوم (وهدى ورحمة) معطوفان على محل لتبين الا أنهما انتصبا على
أنهما مفعول لهما لانهما فعلا الذي أنزل الكتاب ودخلت اللام على لتبين لانه فعل المخاطب لا فعل المنزل وانما
ينتصب مفعولا له ما كان فعل فاعل الفعل المعلل * والذي اختلفوا فيه البعث لانه كان فيهم من يؤمن به
ومنهم عبد المطلب وأشياء من التحريم والتحليل والانكار والاقرار (لقوم يسمعون) سماع انصاف وتدبر
لان من لم يسمع بقلبه فكأنه أصم لا يسمع * ذكر سيبويه الانعام في باب ما لا ينصرف في الاسماء المفردة
الواردة على أفعال كقولهم ثوب أكياش ولذلك رجع الضمير اليه مفردا وأما في سورة المؤمنين
فلان معناه الجمع ويجوز أن يقال في الانعام وجهان أحدهما أن يكون تكسير نعم كالاجبال في جبل وأن يكون
اسما مفردا مقتضيا لمعنى الجمع كنعم فاذا ذكر فكما يذكر نعم في قوله

في كل عام نعم تحوونه * يلقحه قوم وتنتجونه

واذا أنث ففيه وجهان أنه تكسير نعم وأنه في معنى الجمع * وقرئ نسقيكم بالفتح والضم وهو استئناف كأنه قيل
كيف العبرة فقيل نسقيكم (من بين فرث ودم) أي يخلق الله اللبن وسيطا بين الفرث والدم يكتنفانه وبينه
وبينهما برزخ من قدرة الله لا يبغي أحدهما عليه بلون ولا طعم ولا رائحة بل هو خالص من ذلك كله قيل اذا
أكلت البهيمة العلف فاستقر في كرشها طبخته فكان أسفله فرثا وأوسطه لبنا وأعلاه دما والكبد مسلطة على
هذه الاصناف الثلاثة تقسمها فتجري الدم في العروق واللبن في الضروع ويبقى الفرث في الكرش فسبحان الله
ما أعظم قدرته وألطف حكمته لمن تفكر وتأمل وسئل شقيق عن الاخلاص فقال تمييز العمل من العيوب
كتمييز اللبن من بين فرث ودم (سائغا) سهل المرور في الحلق ويقال لم يغص أحد باللبن قط وقرئ سيغا بالتشديد
وسيغا بالتخفيف كهين ولين (فان قلت) أي فرق بين من الاولى والثانية (قلت) الاولى للتبعيض لان اللبن
بعض ما في بطونها كقولك أخذت من مال زيد ثوبا والثانية لابتداء الغاية لان بين الفرث والدم مكان الاسقاء
الذي منه يبتدأ فهو صلة لنسقيكم كقولك سقيته من الحوض ويجوز أن يكون حالا من قوله لبنا مقدما عليه
فيتعلق بمحذوف أي كائنا من بين فرث ودم ألا ترى أنه لو تأخر فقيل لبنا من بين فرث ودم كان صفة له وانما
قدم لانه موضع العبرة فهو قمن بالتقديم وقد احتج بعض من يرى أن المني طاهر على من جعله نجسا لجريه
في مسلك البول بهذه الآية وأنه ليس بمستنكر أن يسلك مسلك البول وهو طاهر كما خرج اللبن من بين فرث
ودم طاهرا (فان قلت) بم تعلق قوله (ومن ثمرات النخيل والاعناب) (قلت) بمحذوف تقديره ونسقيكم من
ثمرات النخيل والاعناب أي من عصيرها وحذف لدلالة نسقيكم قبله عليه وقوله (تتخذون منه سكرا) بيان
وكشف عن كنه الاسقاء أو يتعلق بتتخذون ومنه من تكرير الظرف للتوكيد كقولك زيد في الدار فيها ويجوز
أن يكون تتخذون صفة موصوف محذوف كقوله بكفي كان من أرمى البشر تقديره ومن ثمرات النخيل
والاعناب ثمر تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا لانهم يأكلون بعضها ويتخذون من بعضها السكر (فان
قلت) فالام يرجع الضمير في منه اذا جعلته ظرفا مكررا (قلت) الى المضاف المحذوف الذي هو العصير

مفرطون تالله لقد
أرسلنا الى أمم من قبلك
فزين لهم الشيطان
أعمالهم فهو وليهم اليوم
ولهم عذاب أليم وما
أنزلنا عليك الكتاب
الا لتبين لهم الذي
اختلفوا فيه وهدى
ورحمة لقوم يؤمنون
والله أنزل من السماء
ماء فأحيا به الارض
بعد موتها ان في ذلك
لآية لقوم يسمعون
وان لكم في الانعام لعبرة
نسقيكم مما في بطونه
من بين فرث ودم لبنا
خالصا سائغا للشاربين
ومن ثمرات النخيل
والاعناب تتخذون منه
سكرا ورزقا حسنا ان
في ذلك لآية لقوم
يعقلون وأوحى ربك
الى النحل

كما

كأن رجع في قوله تعالى أو هم قائلون إلى الأهل المحذوف والسكر الخمر سميت بالمصدر من سكر سكرا وسكرا نحو رشد رشدا ورشدا قال

وجاؤنا بهم سكر علينا ۞ فأجلى اليوم والسكران صاحي

وفيه وجهان أحدهما أن تكون منسوخة وممن قال بنسخها الشعبي والنخعي والثاني أن يجمع بين العتاب والمنة وقيل السكر النبيذ وهو عصير العنب والزبيب والتمر إذا طبخ حتى يذهب ثلثاه ثم يترك حتى يشتد وهو حلال عند أبي حنيفة إلى حد السكر ويحتج بهذه الآية وبقوله صلى الله عليه وسلم الخمر حرام لعينها والسكر من كل شراب وبأخبار جمة ولقد صنف شيخنا أبو علي الجبائي قدس الله روحه غير كتاب في تحليل النبيذ فلما شيخ وأخذت منه السن العالية قيل له لو شربت منه ما تتقوى به فأبى فقيل له فقد صنفت في تحليله فقال تناولته الدعارة فسمج في المروءة وقيل السكر الطعم وأنشد ۞ جعلت أعراض الكرام سكرا ۞ أي تنقلت بأعراضهم وقيل هو من الخمر وأنه إذا ابترك في أعراض الناس فكأنه تخمر بها والرزق الحسن الخل والرب والتمر والزبيب وغير ذلك ويجوز أن يجعل السكر رزقا حسنا كأنه قيل تتخذون منه ما هو سكر ورزق حسن الإيحاء إلى النحل إلهامها والقذف في قلوبها وتعليمها على وجه هو أعلم به لا سبيل لأحد إلى الوقوف عليه وإلا فنيقتها في صنعتها ولطفها في تدبير أمرها وإصابتها فيما يصلحها دلائل بينة شاهدة على أن الله أودعها علما بذلك وفطنها كما أولى أولي العقول عقولهم ۞ وقرأ يحيى بن وثاب إلى النحل بفتحتين وهو مذكر كالنخل وتأنيثه على المعنى (أن اتخذي) هي أن المفسرة لأن الإيحاء فيه معنى القول ۞ وقرئ بيوتا بكسر الباء لأجل الياء ويعرشون بكسر الراء وضمها يرفعون من سقوف البيوت وقيل ما يبنون للنحل في الجبال والشجر والبيوت من الأماكن التي تتعسل فيها والضمير في يعرشون للناس (فإن قلت) ما معنى من في قوله أن اتخذي (من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون) وهلا قيل في الجبال وفي الشجر (قلت) أريد معنى البعضية وأن لا تبني بيوتها في كل جبل وكل شجر وكل ما يعرش ولا في كل مكان منها (من كل الثمرات) إحاطة بالثمرات التي تجرس النحل وتعتاد أكلها أي ابني البيوت ثم كلي من كل ثمرة تشتهينها فإذا أكلتها (فاسلكي سبل ربك) أي الطرق التي ألهمك وأفهمك في عمل العسل أو فاسلكي ما أكلت في سبل ربك أي في مسالكه التي يحيل فيها بقدرته النور المر عسلا من أجوافك ومنافذ مأكلك أو إذا أكلت الثمار في المواضع البعيدة من بيوتك فاسلكي إلى بيوتك راجعة سبل ربك لا تتوعر عليك ولا تلتبسي فيها فقد بلغني أن النحل ربما أجدب عليها ما حولها فتسافر إلى البلد البعيد في طلب النجعة وأراد بقوله ثم كلي ثم اقصدي أكل الثمرات فاسلكي في طلبها في مظانها سبل ربك (ذللا) جمع ذلول وهي حال من السبل لأن الله ذللها لها ووطأها وسهلها كقوله هو الذي جعل لكم الأرض ذلولا أو من الضمير في فاسلكي أي وأنت ذلل منقادة لما أمرت به غير ممتنعة (شراب) يريد العسل لأنه مما يشرب (مختلف ألوانه) منه أبيض وأسود وأصفر وأحمر (فيه شفاء للناس) لأنه من جملة الأشفية والأدوية المشهورة النافعة وقل معجون من المعاجين لم يذكر الأطباء فيه العسل وليس الغرض أنه شفاء لكل مريض كما أن كل دواء كذلك وتنكيره إما لتعظيم الشفاء الذي فيه أو لأن فيه بعض الشفاء وكلاهما محتمل وعن النبي صلى الله عليه وسلم أن رجلا جاء إليه فقال إن أخي يشتكي بطنه فقال اذهب واسقه العسل فذهب ثم رجع فقال قد سقيته فما نفع فقال اذهب واسقه عسلا فقد صدق الله وكذب بطن أخيك فسقاه فشفاه الله فبرأ كأنما أنشط من عقال وعن عبد الله بن مسعود العسل شفاء من كل داء والقرآن شفاء لما في الصدور فعليكم بالشفاءين القرآن والعسل ومن بدع تأويلات الرافضة أن المراد بالنحل علي وقومه وعن بعضهم أنه قال عند المهدي إنما النحل بنو هاشم يخرج من بطونهم العلم فقال له رجل جعل الله طعامك وشرابك مما يخرج من بطونهم فضحك المهدي وحدث به المنصور فاتخذوه أضحوكة من أضاحيكهم (إلى أرذل العمر) إلى أخسه وأحقره وهو خمس وسبعون سنة عن علي رضي الله عنه وتسعون سنة عن قتادة لأنه لا عمر أسوأ حالا من عمر الهرم (لكي لا يعلم بعد علم شيئا) ليصير إلى حالة شبيهة بحال الطفولة في النسيان وأن يعلم شيئا ثم يسرع في

أن اتخذي من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون ثم كلي من كل الثمرات فاسلكي سبل ربك ذللا يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون والله خلقكم ثم يتوفاكم ومنكم من يرد إلى أرذل العمر لكي لا يعلم بعد علم شيئا إن الله عليم قدير والله فضل بعضكم على بعض في الرزق فما الذين فضلوا برادي رزقهم على ما ملكت أيمانهم فهم فيه سواء

(قال قلت أريد معنى البعضية وأن لا تبني بيوتها الخ) قال أحمد ويقرب هذا المعنى الذي نبه عليه الزمخشري في تبعيض المتعلقة باتخاذ البيوت إطلاق الأكل كأنه تعالى وكل الأكل إلى شهوتها واختيارها فلم يحجر عليها فيه ولم يحجر عليها في البيوت وأمرت باتخاذها في بعض المواضع دون بعض لأن مصلحة الأكل حاصلة على الإطلاق باستمراء مشتهاها منه وأما البيوت فلا تحصل مصلحتها في كل موضع ولهذا المعنى دخلت ثم لتفاوت الأمرين في الحجر عليها في اتخاذ البيوت والإطلاق لها في تناول الثمرات كما تقول راع الحلال فيما تأكله ثم كل أي شيء شئت فتوسط ثم لتفاوت الحجر والإطلاق فسبحان اللطيف الخبير

* قوله تعالى فلا تضربوا لله الأمثال ان الله يعلم وأنتم لا تعلمون (قال تمثيل للاشراك بالله والتشبيه به الخ) قال أحمد فعلى تفسيره الاوّل يكون قوله لله متعلقاً بالامثال كأنه قيل ولا تمثلوا الله ولا تشبهوه وعلى الثاني يكون متعلقاً بالفعل الذى هو تضربوا كأنه قيل فلا تمثلوا لله الامثال فان ضرب المثل (٦٩٠) انما يستعمل من العالم لغير العالم ليبين له ما خفي عنه والله تعالى هو العالم وأنتم لا تعلمون فتمثيل غير العالم للعالم عكس للحقيقة والله أعلم * عاد كلامه (قال فان قلت لم قال مملوكا لا يقدر على شئ الخ) قال أحمد والقول بصحة ملكه هو مذهب الامام مالك رضى الله عنه وفى هذه الآية له متمسك لان الله تعالى مثل بالمملوك

أفبنعمة الله يجحدون * والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة ورزقكم من الطيبات أفبالباطل يؤمنون وبنعمت الله هم يكفرون * ويعبدون من دون الله ما لا يملك لهم رزقا من السموات والأرض شيأ ولا يستطيعون * فلا تضربوا لله الأمثال ان الله يعلم وأنتم لا تعلمون * ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على شئ

سبحانه ولا ينبغي له أن يسئل عنه وقيل لئلا يعقل من بعد عقله الاول شيأ وقيل لئلا يعلم زيادة علم على علمه * أى جعلكم متفاوتين فى الرزق فرزقكم أفضل مما رزق مماليككم وهم بشر مثلكم واخوانكم فكان ينبغى أن تردوا فضل ما رزقتموه عليهم حتى تتساووا فى الملبس والمطعم كما يحكى عن أبى ذر أنه سمع النبى صلى الله عليه وسلم يقول انما هم اخوانكم فاكسوهم مما تلبسون وأطعموهم مما تطعمون فما رؤى عبده بعد ذلك الا ورداؤه رداؤه وازاره ازاره من غير تفاوت (أفبنعمة الله يجحدون) فجعل ذلك من جملة جحود النعمة وقيل هو مثل ضربه الله للذين جعلوا له شركاء فقال لهم أنتم لا تسوون بينكم وبين عبيدكم فيما أنعمت به عليكم ولا تجعلونهم فيه شركاء ولا ترضون ذلك لانفسكم فكيف رضيتم أن تجعلوا عبيدى لى شركاء وقيل المعنى أن الموالى والمماليك أنا رازقهم جميعاً فهم فى رزقى سواء فلا تحسبن الموالى أنهم يردون على مماليكهم من عندهم شيأ من الرزق فانما ذلك رزقى أجريه اليهم على أيديهم وقرئ تجحدون بالتاء والياء (من أنفسكم) من جنسكم وقيل هو خلق حواء من ضلع آدم * والحفدة جمع حافد وهو الذى يحفد أى يسرع فى الطاعة والخدمة ومنه قول القانت واليك نسعى ونحفد وقال

حفد الولائد بينهن وأسلمت * بأكفهن أزمة الاجمال

واختلف فيهم فقيل هم الاختان على البنات وقيل أولاد الاولاد وقيل أولاد المرأة من الزوج الاول وقيل المعنى وجعل لكم حفدة أى خدماً يحفدون فى مصالحكم ويعينونكم ويجوز أن يراد بالحفدة البنون أنفسهم كقوله سكراً ورزقاً حسناً كأنه قيل وجعل لكم منهن أولاداً هم بنون وهم حافدون أى جامعون بين الامرين (من الطيبات) يريد بعضها لان كل الطيبات فى الجنة وما طيبات الدنيا الا أنموذج منها (أفبالباطل يؤمنون) وهو ما يعتقدون من منفعة الاصنام وبركتها وشفاعتها وما هو الا وهم باطل لم يتوصلوا اليه بدليل ولا أمارة فليس لهم ايمان الا به كأنه شئ معلوم مستيقن * ونعمة الله المشاهدة المعاينة التى لا شبهة فيها لذى عقل وتمييز هم كافرون بها منكرون لها كما ينكر المحال الذى لا تتصوره العقول وقيل الباطل ما يسوّل لهم الشيطان من تحريم البحيرة والسائبة وغيرهما ونعمة الله ما أحل لهم * الرزق يكون بمعنى المصدر وبمعنى ما يرزق فان أردت المصدر نصبت به (شيأ) كقوله أو اطعام يتيماً على لا يملك أن يرزق شيأ وان أردت المرزوق كان شيأ بدلا منه بمعنى قليلا ويجوز أن يكون تأكيداً للا يملك أى لا يملك شيأ من الملك * ومن السموات والارض صلة للرزق ان كان مصدراً بمعنى لا يرزق من السموات مطراً ولا من الارض نباتاً وصفة ان كان اسماً لما يرزق * والضمير فى (ولا يستطيعون) لما لانه فى معنى الآلهة بعد ما قيل لا يملك على اللفظ ويجوز أن يكون للكفار يعنى ولا يستطيع هؤلاء مع أنهم أحياء متصرفون أولو ألباب من ذلك شيأ فكيف بالجماد الذى لا حس به (فان قلت) ما معنى قوله ولا يستطيعون بعد قوله لا يملك وهل هما الا شئ واحد (قلت) ليس فى لا يستطيعون تقدير راجع وانما المعنى لا يملكون أن يرزقوا والاستطاعة منفية عنهم أصلا لانهم موات الا أن يقدر الراجع ويراد بالجمع بين نفى الملك والاستطاعة التوكيد أو يراد أنهم لا يملكون الرزق ولا يمكنهم أن يملكوه ولا يتأتى ذلك منهم ولا يستقيم (فلا تضربوا لله الامثال) تمثيل للاشراك بالله والتشبيه به لان من يضرب الامثال مشبه حالا بحال وقصة بقصة (ان الله يعلم) كنه ما تفعلون وعظمه وهو معاقبكم عليه بما يوازيه فى العظم لان العقاب على مقدار الاثم (وأنتم لا تعلمون) كنهه وكنه عقابه فذلك هو الذى جركم اليه وجرأكم عليه فهو تعليل للنهى عن الشرك ويجوز أن يراد فلا تضربوا لله الامثال ان الله يعلم كيف يضرب الامثال وأنتم لا تعلمون * ثم علمهم كيف تضرب فقال مثلكم فى اشراككم بالله الاوثان مثل من سوّى بين عبد مملوك عاجز عن التصرف وبين حر مالك قد رزقه الله مالا فهو يتصرف فيه وينفق منه كيف شاء (فان قلت) لم قال (مملوكا لا يقدر على شئ) وكل

لانه منتف القدرة وعدم الملك والتصرف عاماً ثم أفصح عن المعنى المقصود وهو ان هذا المملوك ليس ممن اتفق ان ملكه سيده فملك وقدر بل هو على الاصل المعهود فى المماليك عاجز غير قادر ولو لم يكن ملك العبد متصوراً ومعهوداً شرعاً وعرفاً لكان قوله تعالى لا يقدر على شئ كالتكرار لما فهم من قوله عبداً مملوكا وقول القائل يقول به احترازاً من المكاتب بعيد من فصاحة القرآن فانه لو كان العبد لا يصح منه ملك البتة الا فى حال الكتابة لكانت ارادته حينئذ من اطلاق اللفظ كالالغاز الذى لا يعهد مثله فى بيان القرآن واشتماله على صنوف

عبد

البلاغة ومثل هذا أنكره الامام أبو المعالي على من حمل قوله عليه السلام أيما امرأة نكحت بغير اذن وليها على المكاتبة لبعد القصد اليها على شذوذها وأما الاحتراز به عن المأذون له فيبنى على القول بان المراد بعدم القدرة عدم المكنة من التصرف وان لم يكن المأذون له مالكا عنده قال القائل وهذا بعيد عن مطابقة قوله ومن رزقناه منا رزقا حسنا فانه يوجب أن يكون المراد بقوله لا يقدر على شيء لا يملك شيئا من الرزق كما تقول في الرجل المفلس فلان لا يقدر على شيء أي لا يملك شيئا يقدر على التصرف فيه فتخلص من هذا البحث ان في الآية محلا للنصرة لمذهب مالك وان كان للقائل أن يقول هذه الصفة لازمة كالايضاح له انه (٦٩١) ضرب المثل بالمملوك كأنه قيل

ومن رزقناه منا رزقا حسنا فهو ينفق منه سرا وجهرا هل يستوون الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون وضرب الله مثلا رجلين أحدهما أبكم لا يقدر على شيء وهو كل على مولاه أينما يوجهه لا يأت بخير هل يستوي هو ومن يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم ولله غيب السموات والأرض وما أمر الساعة الا كلمح البصر أو هو أقرب ان الله على كل شيء قدير والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيأ وجعل لكم السمع والابصار والافئدة لعلكم تشكرون ألم يروا الى الطير مسخرات في جو السماء ما يمسكهن الا الله ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون والله جعل لكم من بيوتكم سكنا وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا تستخفونها

عبد مملوك وغيره قادر على التصرف (فان قلت) لم ذكر المملوك (قلت) ليميز من الحر لان اسم العبد يقع عليهما جميعا لانهما من عباد الله وأما لا يقدر على شيء فليميز عن المكاتب والمأذون له لانهما يقدران على التصرف واختلفوا في العبد هل يصح له ملك والمذهب الظاهر أنه لا يصح له (فان قلت) من في قوله (ومن رزقناه) ما هي (قلت) الظاهر انها موصوفة كأنه قيل وحرا رزقناه ليطابق عبدا ولا يمتنع أن تكون موصولة (فان قلت) لم قيل (يستوون) على الجمع (قلت) معناه هل يستوي الاحرار والعبيد ● الابكم الذي ولد أخرس فلا يفهم ولا يفهم (وهو كل على مولاه) أي ثقل وعيال على من يلي أمره ويعوله (أينما يوجهه) حيثما يرسله ويصرفه في مطلب حاجة أو كفاية مهم لم ينفع ولم يأت بنجح (هل يستوي هو ومن) هو سليم الحواس نفاع ذو كفايات مع رشد وديانة فهو (يأمر) الناس (بالعدل) والخير (وهو) في نفسه (على صراط مستقيم) على سيرة صالحة ودين قويم وهذا مثل ثان ضربه الله لنفسه ولما يفيض على عباده ويشملهم من آثار رحمته وألطافه ونعمه الدينية والدنيوية وللاصنام التي هي أموات لا تضر ولا تنفع ● وقرئ أينما يوجه بمعنى أينما يتوجه من قولهم أينما أوجه ألق سعدا وقرأ ابن مسعود أينما يوجه على البناء للمفعول (ولله غيب السموات والارض) أي يختص به علم ما غاب فيهما عن العباد وخفي عليهم علمه أو أراد بغيب السموات والارض يوم القيامة على أن علمه غائب عن أهل السموات والارض لم يطلع عليه أحد منهم (الا كلمح البصر أو هو أقرب) أي هو عند الله وان تراخى كما تقولون أنتم في الشيء الذي تستقربونه هو كلمح البصر أو هو أقرب اذا بالغتم في استقرابه ونحوه قوله ويستعجلونك بالعذاب ولن يخلف الله وعده وان يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون أي هو عنده دان وهو عندكم بعيد وقيل المعنى أن اقامة الساعة وامانة الاحياء واحياء الاموات من الاولين والآخرين يكون في أقرب وقت وأوحاه (ان الله على كل شيء قدير) فهو يقدر على أن يقيم الساعة ويبعث الخلق لانه بعض المقدورات ثم دل على قدرته بما بعده ● وقرئ امهاتكم بضم الهمزة وكسرها والهاء مزيدة في أمات كما زيدت في أراق فقيل أهراق وشذت زيادتها في الواحدة قال ● أمهتي خندف والياس أبي ● (لا تعلمون شيأ) في موضع الحال ومعناه غير عالمين شيأ من حق المنعم الذي خلقكم في البطون وسواكم وصوركم ثم أخرجكم من الضيق الى السعة وقوله (وجعل لكم) معناه وما ركب فيكم هذه الاشياء الا آلات لازالة الجهل الذي ولدتم عليه واجتلاب العلم والعمل به من شكر المنعم وعبادته والقيام بحقوقه والترقي الى ما يسعدكم ● والافئدة في فؤاد كالاغربة في غراب وهو من جموع القلة التي جرت مجرى جموع الكثرة والقلة اذا لم يرد في السماع غيرها كما جاء شسوع في جمع شسع لا غير فجرت ذلك المجرى ● وقرئ ألم يروا بالتاء والياء (مسخرات) مذللات للطيران بما خلق لها من الاجنحة والاسباب المواتية لذلك ● والجو الهواء المتباعد من الارض في سمت العلو واللوح مثله (ما يمسكهن) في قبضهن وبسطهن ووقوفهن (الا الله) بقدرته (من بيوتكم) التي تسكنونها من الحجر والمدر والاخبية وغيرها ● والسكن فعل بمعنى مفعول وهو ما يسكن اليه وينقطع اليه من بيت أو الف (بيوتا) هي القباب والابنية من الادم والانطاع (تستخفونها) ترونها خفيفة المحمل في الضرب

وانما ضربنا المثل بالمملوك لان صفته اللازمة له وسمته المعروفة به انه لا يقدر على شيء أي لا يصح منه ملك وكثيرا ما يجيء الحال والصفة لا يقصد بواحد منهما تقييد ولا تخصيص ولكن ايضاح وتفسير ومن ذلك قوله تعالى ومن يدع مع الله الها آخر لا برهان له به فقوله لا برهان له به لا يقصد به تمييزه سوى الله من اله لان كل مدعو الها غير الله تعالى لا برهان به وانما أريد ان عدم البرهان من لوازم دعاء اله غير الله تعالى فهذا أقصى ما يمكن أن ينتصر به القائل بعدم صحة ملك العبد ولنا أن نقول في دفعه ان الاصل في الصفة والحال وشبههما التخصيص والتقييد وأما الوارد من ذلك لازما فنادر على خلاف الاصل والله الموفق

● قوله تعالى وجعل لكم من جلود الانعام بيوتاً تستخفونها يوم ظعنكم ويوم اقامتكم (قال المراد يخف عليكم حملها ونقلها الخ) قال أحمد والتفسير الاول أولى لان ظهور المنة في خفتها انما يتحقق في حال السفر وأما المستوطن فغير منتقل وما أحسن قول الزمخشري في يوم اقامتكم ان المراد خفة ضربها وسهولة ذلك عليهم والله أعلم ● قوله تعالى وجعل لكم سرابيل تقيكم الحر وسرابيل تقيكم بأسكم (قال هي القمصان والثياب من الصوف والكتان (٦٩٢) وغيرها الخ) قال أحمد يعني عند العرب وخصوصاً قاطنى الحجاز وهم الاصل في هذا

يوم ظعنكم ويوم اقامتكم ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها أثاثاً ومتاعاً الى حين والله جعل لكم مما خلق ظلالاً وجعل لكم من الجبال أكناناً وجعل لكم سرابيل تقيكم الحر وسرابيل تقيكم بأسكم كذلك يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون فان تولوا فانما عليك البلاغ المبين يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها وأكثرهم الكافرون ويوم نبعث من كل أمة شهيداً ثم لا يؤذن للذين كفروا ولاهم يستعتبون واذا رأى الذين ظلموا العذاب فلا يخفف عنهم ولاهم ينظرون واذا رأى الذين أشركوا شركاءهم قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعوا من دونك فألقوا اليهم القول انكم لكاذبون وألقوا الى الله يومئذ السلم وضل عنهم ما كانوا يفترون

والنقض والنقل (يوم ظعنكم ويوم اقامتكم) أي يوم ترحلون خف عليكم حملها ونقلها ويوم تنزلون وتقيمون في مكان لم يثقل عليكم ضربها أو هي خفيفة عليكم في أوقات السفر والحضر جميعاً على أن اليوم بمعنى الوقت (ومتاعاً) وشيأ يتمتع به (الى حين) الى أن تقضوا منه أوطاركم أو الى أن يبلى ويفنى أو الى أن تموتوا ● وقرئ يوم ظعنكم بالسكون (مما خلق) من الشجر وسائر المستظلات (أكناناً) جمع كن وهو ما يستكن به من البيوت المنحوتة في الجبال والغيران والكهوف (سرابيل) هي القمصان والثياب من الصوف والكتان والقطن وغيرها (تقيكم الحر) لم يذكر البرد لان الوقاية من الحر أهم عندهم وقلما يهمهم البرد لكونه يسيراً محتملاً وقيل ما يقي من الحر يقي من البرد فدل ذكر الحر على البرد (وسرابيل تقيكم بأسكم) يريد الدروع والجواشن والسربال عام يقع على كل ما كان من حديد وغيره (لعلكم تسلمون) أي تنظرون في نعمه الفائضة فتؤمنون به وتنقادون له وقرئ تسلمون من السلامة أي تشكرون فتسلمون من العذاب أو تسلم قلوبكم من الشرك وقيل تسلمون من الجراح بلبس الدروع (فان تولوا) فلم يقبلوا منك فقد تمهد عذرك بعدما أديت ما وجب عليك من التبليغ فذكر سبب العذر وهو البلاغ ليدل على المسبب (يعرفون نعمت الله) التي عددناها حيث يعترفون بها وأنها من الله (ثم ينكرونها) بعبادتهم غير المنعم بها وقولهم هي من الله ولكنها بشفاعة آلهتنا وقيل انكارهم قولهم ورثناها من آبائنا وقيل قولهم لولا فلان ما أصبت كذا لبعض نعم الله وانما لا يجوز التكلم بنحو هذا اذا لم يعتقد أنها من الله وانه أجراها على يد فلان وجعله سبباً في نيلها (وأكثرهم الكافرون) أي الجاحدون غير المعترفين وقيل نعمة الله نبوة محمد عليه السلام كانوا يعرفونها ثم ينكرونها عناداً وأكثرهم الجاحدون المنكرون بقلوبهم (فان قلت) ما معنى ثم (قلت) الدلالة على أن انكارهم أمر مستبعد بعد حصول المعرفة لان حق من عرف النعمة أن يعترف لا أن ينكر (شهيداً) نبيها يشهد لهم وعليهم بالايمان والتصديق والكفر والتكذيب (ثم لا يؤذن للذين كفروا) في الاعتذار والمعنى لا حجة لهم فدل بترك الاذن على أن لا حجة لهم ولا عذر وكذا عن الحسن (ولاهم يستعتبون) ولاهم يسترضون أي لا يقال لهم أرضوا ربكم لان الآخرة ليست بدار عمل (فان قلت) فما معنى ثم هذه (قلت) معناها أنهم يمنون بعد شهادة الانبياء عليهم بما هو أطم منها وهو أنهم يمنعون الكلام فلا يؤذن لهم في القاء معذرة ولا ادلاء بحجة ● وانتصاب اليوم بمحذوف تقديره واذكر يوم نبعث أو يوم نبعث وقعوا فيما وقعوا فيه وكذلك اذا رأوا العذاب بغتهم وثقل عليهم (فلا يخفف عنهم ولاهم ينظرون) كقوله بل تأتيهم بغتة فتبهتهم الآية ● ان أرادوا بالشركاء آلهتهم فمعنى شركاؤنا آلهتنا التي دعوناها شركاء وان أرادوا الشياطين فلأنهم شركاؤهم في الكفر وقرناؤهم في الغي و(ندعوا) بمعنى نعبد (فان قلت) لم قالوا (انكم لكاذبون) وكانوا يعبدونهم على الصحة (قلت) لما كانوا غير راضين بعبادتهم فكأن عبادتهم لم تكن عبادة والدليل عليه قول الملائكة كانوا يعبدون الجن يعنون أن الجن كانوا راضين بعبادتهم لا نحن فهم المعبودون دوننا أو كذبوهم في تسميتهم شركاء وآلهة تنزيهاً لله من الشرك وان أريد بالشركاء الشياطين جاز أن يكونوا كاذبين في قولهم انكم لكاذبون كما يقول الشيطان اني كفرت بما أشركتمون من قبل (وألقوا) يعني الذين ظلموا الى الله السلم الاستسلام لأمر الله وحكمه بعد الاباء والاستكبار في الدنيا (وضل عنهم) وبطل عنهم (ما كانوا يفترون) من أن لله شركاء وأنهم ينصرونهم ويشفعون لهم حين

الخطاب ثم عاد كلامه (قال وقيل ان ما يقي الحر يقي البرد فدل ذكره عليه) قال أحمد والاول أظهر ألا ترى الى تقديم امتنانه بالظلال التي تقي من الصهارى في قوله تعالى جعل لكم مما خلق ظلالاً فدل على ان الاهم عند المخاطبين وقاية الحر فامتن الله عليهم بأعظم نعمه موقعاً عندهم وقول القائل ان ما يقي الحر يقي البرد مشهود عليه بالعرف فان الذي يتقى به الحر من القمصان رقيقها ورفيعها وليس ذلك من لبوس البرد بل لو لبس الانسان في كل واحد من الفصلين القيظ والبرد لباس الآخر لعد من الثقلاء

• قوله تعالى ان الله يأمر بالعدل والاحسان الآية (قال العدل الواجب والاحسان الندب) قال أحمد في جعله ما تحت الامر ما يدل لمن قال ان صيغة الامر أعني هذه المبنية من الهمزة والميم والراء لا صيغة أفعل تتناول القبيلين بطريق التواطؤ وموضوعها القدر المشترك بينهما من الطلب والله أعلم • عاد كلامه (قال وانما كان الواجب عدلا لان الله تعالى عدل فيه على عباده الخ) قال أحمد وهذه ولجة من الاعتزال ومعتقد المعتزلة استحالة تكليف ما لا يطاق لانه ظلم وجور وذلك على الله محال والحق والسنة ان كل قضاء الله عدل وان تكليف ما لا يطاق جائز عليه وعدل منه لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون بل التكاليف كلها على خلاف الاستطاعة على مقتضى توحيد أهل السنة المعتقدين ان كل موجود بقدرة الله تعالى حدث ووحده لا شريك له في ملكه وكيف يكون شريكه عبدا مسخرا في قبضة ملكه هذا هو التوحيد المحض واذا كان العبد مكلفا بما هو من فعل الله فهذا عين التكليف بما لا يطاق ولكن ذلك عدل من الله تعالى وحكمته البالغة قائمة على المكلف بما خلقه له من التأتي والتيسر في الافعال الاختيارية التي هي (٦٩٣) محال التكاليف والله الموفق

الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون ويوم نبعث في كل أمة شهيدا عليهم من أنفسهم وجئنا بك شهيدا على هؤلاء ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون وأوفوا بعهد الله اذا عاهدتم ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا ان الله يعلم ما تفعلون

كذبوهم وتبرؤا منهم (الذين كفروا) في أنفسهم • وحملوا غيرهم على الكفر يضاعف الله عقابهم كما ضاعفوا كفرهم وقيل في زيادة عذابهم حيات أمثال البخت وعقارب أمثال البغال تلسع احداهن اللسعة فيجد صاحبها حمتها أربعين خريفا وقيل يخرجون من النار الى الزمهرير فيبادرون من شدة برده الى النار (بما كانوا يفسدون) بكونهم مفسدين الناس بصدهم عن سبيل الله (شهيدا عليهم من أنفسهم) يعني نبيهم لانه كان يبعث أنبياء الامم فيهم منهم (وجئنا بك) يا محمد (شهيدا على هؤلاء) على أمتك (تبيانا) بيانا بليغا ونظير تبيان تلقاء في كسر أوله وقد جوز الزجاج فتحه في غير القرآن (فان قلت) كيف كان القرآن تبيانا (لكل شيء) (قلت) المعنى أنه بين كل شيء من أمور الدين حيث كان نصا على بعضها واحالة على السنة حيث أمر فيه باتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم وطاعته وقيل وما ينطق عن الهوى وحثا على الاجماع في قوله ويتبع غير سبيل المؤمنين وقد رضي رسول الله صلى الله عليه وسلم لامته اتباع أصحابه والاقتداء بآثارهم في قوله صلى الله عليه وسلم أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم وقد اجتهدوا وقاسوا ووطؤا طرق القياس والاجتهاد فكانت السنة والاجماع والقياس والاجتهاد مستندة الى تبيان الكتاب فمن ثم كان تبيانا لكل شيء • العدل هو الواجب لان الله تعالى عدل فيه على عباده فجعل ما فرضه عليهم واقعا تحت طاقتهم (والاحسان) الندب وانما علق أمره بهما جميعا لان الفرض لا بد من أن يقع فيه تفريط فيجبره الندب ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن علمه الفرائض فقال والله لا زدت فيها ولا نقصت أفلح ان صدق فعقد الفلاح بشرط الصدق والسلامة من التفريط وقال صلى الله عليه وسلم استقيموا ولن تحصوا فليس ينبغي أن يترك ما يجبر كسر التفريط من النوافل • والفواحش ما جاوز حدود الله (والمنكر) ما تنكره العقول (والبغي) طلب التطاول بالظلم وحين أسقطت من الخطب لعنة الملاعين على أمير المؤمنين رضي الله عنه أقيمت هذه الآية مقامها ولعمري انها كانت فاحشة ومنكرا وبغيا ضاعف الله لمن سنها غضبا ونكالا وخزيا اجابة لدعوة نبيه وعاد من عاداه وكانت سبب اسلام عثمان بن مظعون • عهد الله هي البيعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم على الاسلام ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله (ولا تنقضوا) أيمان البيعة (بعد توكيدها) أي بعد توثيقها باسم الله وأكد ووكد لغتان فصيحتان والاصل الواو والهمزة بدل (كفيلا) شاهدا ورقيبا لان الكفيل مراع لحال المكفول به مهيمن

• عاد كلامه (قال وانما قرنهما في الامر لان الفرض لا يعرى من خلل وتفريط يجبره الندب الخ) قال أحمد وهذه نكتة حسنة يجاب بها عن قول القائل لم حكم عليه الصلاة والسلام بفلاح المصر على ترك السنن فيقال المحكوم بفلاحه لاجله انما هو الصدق في سلامة الفرائض من خلل النقص والزيادة والله أعلم • عاد كلامه (قال والفواحش ما جاوز حدود الله والمنكر ما تنكره العقول) قال أحمد وهذه أيضا لفتة الى الاعتزال ولو قال والمنكر ما أنكره الشرع لوافق الحق ولكنه لا يدع بدعة المعتزلة في التحسين والتقبيح بالعقل والله الموفق • عاد كلامه (قال والبغي طلب التطاول بالظلم) قال أحمد وأصل موضوعه الطلب ومنه ابتغاء وجه الله ابتغاء مرضاة الله ولكن صار مطلقه خاصا بطلب الظلم عرفا • عاد كلامه (قال وحين أسقطت من الخطب لعنة الملاعين على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه الخ) قال أحمد ولعل المعوض بهذه الآية عن تلك الهناة لاحظ التطبيق بين ذكر النهي عن البغي فيها وبين الحديث الوارد في ان المناصب لعلي باغ حيث يقول عليه الصلاة والسلام لعمار وكان من حزبه تقتلك الفئة الباغية والله أعلم وقتل مع علي يوم صفين

* قوله تعالى ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة (قال معناه على طريقة الالجاء والقسر) قال أحمد وهذا تفسير اعتزالي قد قدم أمثاله في أخوات هذه الآية وغرضه الفرار من الحق المستفاد من تعليق المشيئة بلو الدالة على أن مشيئة الله تعالى لايمان الخلق كلهم ما وقعت وأنه انما شاء منهم الافتراق والاختلاف في ايمان وكفر وتصديق وتكذيب كما وقع منهم ولو شاء شمولهم بالايمان لوقع فيصادم الزمخشري هذا النص ويقول قد شاء جعلهم أمة واحدة حنيفة مسلمة ولكن لم يقع مراده فاذا قيل له فلم تحمل المشيئة في الآية قال على مشيئة ايمانهم قسرا لا اختيارا وهذه المشيئة لم تقع اتفاقا عاد كلامه (قال ومما يدل على أن الله لم يبن الأمر على الاجبار وانما بناه على الاختيار قوله تعالى (٦٩٤) ولتسئلن عما كنتم تعملون ولو كان هو المضطر للهداية والضلال لما أثبت لهم ما يسئلون

ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا تتخذون أيمانكم دخلا بينكم أن تكون أمة هي أربى من أمة انما يبلوكم الله به وليبينن لكم يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن يضل من يشاء ويهدي من يشاء ولتسئلن عما كنتم تعملون ولا تتخذوا أيمانكم دخلا بينكم فتزل قدم بعد ثبوتها وتذوقوا السوء بما صددتم عن سبيل الله ولكم عذاب عظيم ولا تشتروا بعهد الله ثمنا قليلا انما عند الله هو خير لكم ان كنتم تعلمون ما عندكم ينفد وما عند الله باق ولنجزين الذين صبروا أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة

عليه (ولا تكونوا) في نقض الايمان كالمرأة التي أنحت على غزلها بعد أن أحكمته وأبرمته فجعلته (أنكاثا) جمع نكث وهو ما ينكث فتله قيل هي ريطة بنت سعد بن تيم وكانت خرقاء اتخذت مغزلا قدر ذراع وصنارة مثل أصبع وفلكة عظيمة على قدرها فكانت تغزل هي وجواريها من الغداة الى الظهر ثم تأمرهن فينقضن ما غزلن (تتخذون) حال و(دخلا) أحد مفعولي اتخذ يعني ولا تنقضوا أيمانكم متخذيها دخلا بينكم أي مفسدة ودغلا (أن تكون أمة) بسبب أن تكون أمة يعني جماعة قريش (هي أربى من أمة) هي أزيد عددا وأوفر مالا من أمة من جماعة المؤمنين (انما يبلوكم الله به) الضمير لقوله أن تكون أمة لأنه في معنى المصدر أي انما يختبركم بكونهم أربى لينظر أتتمسكون بحبل الوفاء بعهد الله وما عقدتم على أنفسكم ووكدتم من أيمان البيعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم أم تغترون بكثرة قريش وثروتهم وقوتهم وقلة المؤمنين وفقرهم وضعفهم (وليبينن لكم) انذار وتحذير من مخالفة ملة الاسلام (ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة) حنيفة مسلمة على طريق الالجاء والاضطرار وهو قادر على ذلك (ولكن) الحكمة اقتضت أن يضل (من يشاء) وهو أن يخذل من علم أنه يختار الكفر ويصمم عليه (ويهدي من يشاء) وهو أن يلطف بمن علم أنه يختار الايمان يعني أنه بنى الأمر على الاختيار وعلى ما يستحق به اللطف والخذلان والثواب والعقاب ولم يبنه على الاجبار الذي لا يستحق به شيء من ذلك وحققه بقوله (ولتسئلن عما كنتم تعملون) ولو كان هو المضطر الى الضلال والاهتداء لما أثبت لهم عملا يسئلون عنه * ثم كرر النهي عن اتخاذ الأيمان دخلا بينهم تأكيدا عليهم واظهارا لعظم ما يركب منه (فتزل قدم بعد ثبوتها) فتزل أقدامكم عن محجة الاسلام بعد ثبوتها (وتذوقوا السوء) في الدنيا بصدودكم (عن سبيل الله) وخروجكم من الدين أو بصدكم غيركم لأنهم لو نقضوا أيمان البيعة وارتدوا لاتخذوا نقضها سنة لغيرهم يستنون بها (ولكم عذاب عظيم) في الآخرة * كان قوم ممن أسلم بمكة زين لهم الشيطان لجزعهم مما رأوا من غلبة قريش واستضعافهم المسلمين وايذائهم لهم ولما كانوا يعدونهم ان رجعوا من المواعيد أن ينقضوا ما بايعوا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فثبتهم الله (ولا تشتروا) ولا تستبدلوا (بعهد الله) وبيعة رسول الله صلى الله عليه وسلم (ثمنا قليلا) عرضا من الدنيا يسيرا وهو ما كانت قريش يعدونهم ويمنونهم ان رجعوا (انما عند الله) من اظهاركم وتغنيمكم ومن ثواب الآخرة (خير لكم) مما عندكم من أعراض الدنيا (ينفد وما عند الله) من خزائن رحمته (باق) لا ينفد * وقرئ لنجزين بالنون والياء (الذين صبروا) على أذى المشركين ومشاق الاسلام (فان قلت) لم وحدت القدم ونكرت (قلت) لاستعظام أن تزل قدم واحدة عن طريق الحق بعد أن ثبتت عليه فكيف بأقدام كثيرة (فان قلت) (من) متناول في نفسه للذكر والأنثى فما معنى تبيينه بهما (قلت) هو مبهم صالح على الاطلاق للنوعين الا أنه اذا ذكر كان الظاهر تناوله للذكور فقيل (من ذكر أو أنثى) على التبيين ليعم الموعد النوعين جميعا (حياة طيبة) يعني في الدنيا

وهو

عنه (قال أحمد أما أهل السنة الذين يسميهم المصنف مجبرة فهم من الاجبار بمعزل لأنهم يثبتون للعبد قدرة واختيارا وأفعالا وهم مع ذلك يوحدون الله حق توحيده فيجعلون قدرته تعالى هي الموجدة والمؤثرة وقدرة العبد مقارنة تحسب تمييزا بين الاختياري والقسري وتقوم بها حجة الله على عبده والله الموفق * قوله تعالى فتزل قدم بعد ثبوتها (قال ان قلت لم وحد القدم ونكرها الخ) قال أحمد ومن جنس افادة التنكير ههنا للتقليل افادته له في قوله تعالى وتعيها أذن واعية وفي قوله عز وجل اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد تنكير الأذن والنفس تقليلا للواعي من الناس لما يقتضي بسداده والناظر من الخلق في أمر معاده والله الموفق

وهو الظاهر لقوله (ولنجزينهم) وعده الله ثواب الدنيا والآخرة كقوله فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة وذلك أن المؤمن مع العمل الصالح موسرا كان أو معسرا يعيش عيشا طيبا إن كان موسرا فلا مقال فيه وإن كان معسرا فمعه ما يطيب عيشه وهو القناعة والرضا بقسمة الله وأما الفاجر فأمره على العكس إن كان معسرا فلا إشكال في أمره وإن كان موسرا فالحرص لا يدعه أن يتهنأ بعيشه وعن ابن عباس رضي الله عنه الحياة الطيبة الرزق الحلال وعن الحسن القناعة وعن قتادة يعني في الجنة وقيل هي حلاوة الطاعة والتوفيق في قلبه ❊ لما ذكر العمل الصالح ووعد عليه وصل به قوله (فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله) إيذانا بأن الاستعاذة من جملة الأعمال الصالحة التي يجزل الله عليها الثواب والمعنى فإذا أردت قراءة القرآن فاستعذ كقوله إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وكقولك إذا أكلت فسم الله (فإن قلت) لم عبر عن إرادة الفعل بلفظ الفعل (قلت) لأن الفعل يوجد عند القصد والإرادة بغير فاصل وعلى حسبه فكان منه بسبب قوي وملابسة ظاهرة وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قرأت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت أعوذ بالسميع العليم من الشيطان الرجيم فقال لي يا ابن أم عبد قل أعوذ بالله من الشيطان الرجيم هكذا أقرأنيه جبريل عليه السلام عن القلم عن اللوح المحفوظ (ليس له سلطان) أي تسلط وولاية على أولياء الله يعني أنهم لا يقبلون منه ولا يطيعونه فيما يريد منهم من اتباع خطواته (إنما سلطانه) على من يتولاه ويطيعه (به مشركون) الضمير يرجع إلى ربهم ويجوز أن يرجع إلى الشيطان على معنى بسببه وغروره ووسوسته ❊ تبديل الآية مكان الآية هو النسخ والله تعالى ينسخ الشرائع بالشرائع لأنها مصالح وما كان مصلحة أمس يجوز أن يكون مفسدة اليوم وخلافه مصلحة ❊ والله تعالى عالم بالمصالح والمفاسد فيثبت ما يشاء وينسخ ما يشاء بحكمته وهذا معنى قوله (والله أعلم بما ينزل قالوا إنما أنت مفتر) وجدوا مدخلا للطعن فطعنوا وذلك لجهلهم وبعدهم عن العلم بالناسخ والمنسوخ وكانوا يقولون إن محمدا يسخر من أصحابه يأمرهم اليوم بأمر وينهاهم عنه غدا ويأتيهم بما هو أهون ولقد افتروا فقد كان ينسخ الأشق بالأهون والأهون بالأشق والأهون بالأهون والأشق بالأشق لأن الغرض المصلحة لا الهوان والمشقة (فإن قلت) هل في ذكر تبديل الآية بالآية دليل على أن القرآن إنما ينسخ بمثله ولا يصح بغيره من السنة والإجماع والقياس (قلت) فيه أن قرآنا ينسخ بمثله وليس فيه نفي نسخه بغيره على أن السنة المكشوفة المتواترة مثل القرآن في إيجاب العلم فنسخه بها كنسخه بمثله وأما الإجماع والقياس والسنة غير المقطوع بها فلا يصح نسخ القرآن بها ❊ وفي ينزل ونزله وما فيهما من التنزيل شيئا فشيئا على حسب الحوادث والمصالح إشارة إلى أن التبديل من باب المصالح كالتنزيل وأن ترك النسخ بمنزلة إنزاله دفعة واحدة في خروجه عن الحكمة ❊ (روح القدس) جبريل عليه السلام أضيف إلى القدس وهو الطهر كما يقال حاتم الجود وزيد الخير والمراد الروح المقدس وحاتم الجواد وزيد الخير والمقدس المطهر من المآثم وقرئ بضم الدال وسكونها (بالحق) في موضع الحال أي نزله ملتبسا بالحكمة يعني أن النسخ من جملة الحق (ليثبت الذين آمنوا) ليبلوهم بالنسخ حتى إذا قالوا فيه هو الحق من ربنا والحكمة حكم لهم بثبات القدم وصحة اليقين وطمأنينة القلوب على أن الله حكيم فلا يفعل إلا ما هو حكمة وصواب (وهدى وبشرى) مفعول لهما معطوفان على محل ليثبت والتقدير تثبيتا لهم وإرشادا وبشارة وفيه تعريض بحصول أضداد هذه الخصال لغيرهم وقرئ ليثبت بالتخفيف ❊ أرادوا بالبشر غلاما كان لحويطب بن عبد العزى قد أسلم وحسن إسلامه اسمه عائش أو يعيش وكان صاحب كتب وقيل هو جبر غلام رومي كان لعامر بن الحضرمي وقيل عبدان جبر ويسار كانا يصنعان السيوف بمكة ويقرآن التوراة والإنجيل فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا مر وقف عليهما يسمع ما يقرآن فقالوا يعلمانه فقيل لأحدهما فقال بل هو يعلمني وقيل هو سلمان الفارسي ❊ واللسان اللغة ❊ ويقال ألحد القبر ولحده وهو ملحد وملحود إذا أمال حفره عن الاستقامة فحفر في شق منه ثم استعير لكل إمالة عن استقامة فقالوا ألحد فلان في قوله وألحد في دينه ومنه الملحد لأنه أمال مذهبه عن الأديان كلها لم يمله عن دين إلى دين والمعنى لسان الرجل الذي

ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون إنما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون وإذا بدلنا آية مكان آية والله أعلم بما ينزل قالوا إنما أنت مفتر بل أكثرهم لا يعلمون قل نزله روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا وهدى وبشرى للمسلمين ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر لسان الذي يلحدون إليه

يميلون قولهم عن الاستقامة اليه لسان (أعجمى) غير بين (وهذا) القرآن (لسان عربى مبين) ذو بيان وفصاحة ردا لقولهم وابطالا لطعنهم وقرئ يلحدون بفتح الياء والحاء وفى قراءة الحسن اللسان الذى يلحدون اليه بتعريف اللسان (فان قلت) الجملة التى هى قوله لسان الذى يلحدون اليه أعجمى ما محلها (قلت) لا محل لها لانها مستأنفة جواب لقولهم ومثله قوله الله أعلم حيث يجعل رسالته بعد قوله واذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما أوتى رسل الله (ان الذين لا يؤمنون بآيات الله) أى يعلم الله منهم أنهم لا يؤمنون (لا يهديهم الله) لا يلطف بهم لانهم من أهل الخذلان فى الدنيا والعذاب فى الآخرة لا من أهل اللطف والثواب (انما يفترى الكذب) رد لقولهم انما أنت مفتر يعنى انما يليق افتراء الكذب بمن لا يؤمن لانه لا يترقب عقابا عليه (وأولئك) اشارة الى قريش (هم الكاذبون) أى هم الذين لا يؤمنون فهم الكاذبون أو الى الذين لا يؤمنون أى أولئك هم الكاذبون على الحقيقة الكاملون فى الكذب لان تكذيب آيات الله أعظم الكذب أو أولئك هم الذين عادتهم الكذب لا يبالون به فى كل شئ لا تحجبهم عنه مروءة ولا دين أو أولئك هم الكاذبون فى قولهم انما أنت مفتر (من كفر) بدل من الذين لا يؤمنون بآيات الله على أن يجعل وأولئك هم الكاذبون اعتراضا بين البدل والمبدل منه والمعنى انما يفترى الكذب من كفر بالله من بعد ايمانه واستثنى منهم المكره فلم يدخل تحت حكم الافتراء ثم قال (ولكن من شرح بالكفر صدرا) أى طاب به نفسا واعتقده (فعليهم غضب من الله) ويجوز أن يكون بدلا من المبتدا الذى هو أولئك على ومن كفر بالله من بعد ايمانه هم الكاذبون أو من الخبر الذى هو الكاذبون على وأولئك هم من كفر بالله من بعد ايمانه ويجوز أن ينتصب على الذم وقد جوزوا أن يكون من كفر بالله شرطا مبتدا ويحذف جوابه لان جواب من شرح دال عليه كأنه قيل من كفر بالله فعليهم غضب الا من أكره ولكن من شرح بالكفر صدرا فعليهم غضب روى أن ناسا من أهل مكة فتنوا فارتدوا عن الاسلام بعد دخولهم فيه وكان فيهم من أكره فأجرى كلمة الكفر على لسانه وهو معتقد للايمان منهم عمار وأبواه ياسر وسمية وصهيب وبلال وخباب وسالم عذبوا فأما سمية فقد ربطت بين بعيرين ووجئ فى قبلها بحربة وقالوا انك أسلمت من أجل الرجال فقتلت وقتل ياسر وهما أول قتيلين فى الاسلام وأما عمار فقد أعطاهم ما أرادوا بلسانه مكرها فقيل يا رسول الله ان عمارا كفر فقال كلا ان عمارا ملئ ايمانا من قرنه الى قدمه واختلط الايمان بلحمه ودمه فأتى عمار رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبكى فجعل النبى صلى الله عليه وسلم يمسح عينيه وقال مالك ان عادوا لك فعد لهم بما قلت ومنهم جبر مولى الحضرمى أكرهه سيده فكفر ثم أسلم مولاه وأسلم وحسن اسلامهما وهاجرا (فان قلت) أى الامرين أفضل أفعل عمار أم فعل أبويه (قلت) بل فعل أبويه لان فى ترك التقية والصبر على القتل اعزازا للاسلام وقد روى أن مسيلمة أخذ رجلين فقال لاحدهما ما تقول فى محمد قال رسول الله قال فما تقول فى قال أنت أيضا فخلاه وقال للآخر ما تقول فى محمد قال رسول الله قال فما تقول فى فقال أنا أصم فأعاد عليه ثلاثا فأعاد جوابه فقتله فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أما الاول فقد أخذ برخصة الله وأما الثانى فقد صدع بالحق فهنيئا له (ذلك) اشارة الى الوعيد وأن الغضب والعذاب يلحقانهم بسبب استحبابهم الدنيا على الآخرة واستحقاقهم خذلان الله بكفرهم (وأولئك هم الغافلون) الكاملون فى الغفلة الذين لا أحد أغفل منهم لان الغفلة عن تدبر العواقب هى غاية الغفلة ومنتهاها (ثم ان ربك) دلالة على تباعد حال هؤلاء عن حال أولئك وهم عمار وأصحابه ومعنى ان ربك لهم أنه لهم لا عليهم بمعنى أنه وليهم وناصرهم لا عدوهم وخاذلهم كما يكون الملك للرجل لا عليه فيكون محميا منفوعا غير مضرور (من بعد ما فتنوا) بالعذاب والاكراه على الكفر وقرئ فتنوا على البناء للفاعل أى بعد ما عذبوا المؤمنين كالحضرمى وأشباهه (من بعدها) من بعد هذه الافعال وهى الهجرة والجهاد والصبر (يوم تأتى) منصوب برحيم أو باضمار اذكر (فان قلت) ما معنى النفس المضافة الى النفس (قلت) يقال لعين الشئ وذاته نفسه وفى نقيضه غيره والنفس الجملة كما هى فالنفس الاولى هى الجملة والثانية عينها وذاتها فكأنه قيل يوم يأتى كل انسان يجادل عن ذاته لا يهمه شأن غيره كل يقول نفسى نفسى ومعنى المجادلة عنها

أعجمى وهذا لسان عربى مبين ان الذين لا يؤمنون بآيات الله لا يهديهم الله ولهم عذاب أليم انما يفترى الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله وأولئك هم الكاذبون من كفر بالله من بعد ايمانه الا من أكره وقلبه مطمئن بالايمان ولكن من شرح بالكفر صدرا فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم ذلك بأنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة وأن الله لا يهدى القوم الكافرين أولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم وأولئك هم الغافلون لا جرم أنهم فى الآخرة هم الخاسرون ثم ان ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا ثم جاهدوا وصبروا ان ربك من بعدها لغفور رحيم يوم تأتى كل نفس تجادل عن نفسها وتوفى كل نفس ما عملت وهم لا يظلمون

* قوله عز وجل فأذاقها الله لباس الجوع والخوف (قال ان قلت الاذاقة واللباس استعارتان فما وجه صحة ايقاع الاذاقة على اللباس الخ) قال أحمد وهذا الفصل من كلامه مما يحق على علماء البيان أن يكتبوه بذوب التبر لا بالحبر وقد تنظر لهما جميعا في قوله تعالى أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين فاستعير الشراء لاختيارهم الضلالة (٦٩٧) على الهدى وقد كانوا متمكنين من اختياره عليها ثم جاء ملاحظا للشراء المستعار قوله فما ربحت تجارتهم فاستعمل التجارة والربح لمناسبة ذلك لاستعارة الشراء ثم جاء ملاحظا للحقيقة الاصلية المستعار لها قوله وما كانوا مهتدين فانه مجرد عن الاستعارة اذ لو قيل أولئك الذين ضلوا وما كانوا مهتدين لكان الكلام حقيقة معرى عن ثوب الاستعارة والنظر الى المستعار في بابه كترشيح المجاز في بابه ومنه

اذا الشيطان قصع في قفاها * تنفقناه بالحبل التؤام

فجعل الشيطان في قفاها قاصعا ثم نافقا ثم جعله مستخرجا بالحبل المحكم المثنى كما يستخرج الحيوان من جحره والشوط في هذا الفن البديع قطعي والله الموفق

لا عتدادهم كقولهم هؤلاء أضلونا ما كنا مشركين ونحو ذلك (وضرب الله مثلا قرية) أي جعل القرية التي هذه حالها مثلا لكل قوم أنعم الله عليهم فأبطرتهم النعمة فكفروا وتولوا فأنزل الله بهم نقمته فيجوز أن تراد قرية مقدرة على هذه الصفة وأن تكون في قرى الاولين قرية كانت هذه حالها فضربها الله مثلا لمكة انذارا من مثل عاقبتها (مطمئنة) لا يزعجها خوف لان الطمأنينة مع الامن والانزعاج والقلق مع الخوف (رغدا) واسعا * والانعم جمع نعمة على ترك الاعتداد بالتاء كدرع وأدرع أو جمع نعم كبؤس وأبؤس وفي الحديث نادى منادي النبي صلى الله عليه وسلم بالموسم بمنى انها أيام طعم ونعم فلا تصوموا (فان قلت) الاذاقة واللباس استعارتان فما وجه صحتهما والاذاقة المستعارة موقعة على اللباس المستعار فما وجه صحة ايقاعها عليه (قلت) أما الاذاقة فقد جرت عندهم مجرى الحقيقة لشيوعها في البلايا والشدائد وما يمس الناس منها فيقولون ذاق فلان البؤس والضر وأذاقه العذاب شبه ما يدرك من أثر الضرر والالم بما يدرك من طعم المر والبشع وأما اللباس فقد شبه به لاشتماله على اللابس ما غشي الانسان والتبس به من بعض الحوادث وأما ايقاع الاذاقة على لباس الجوع والخوف فلأنه لما وقع عبارة عما يغشى منهما ويلابس فكأنه قيل فأذاقهم ما غشيهم من الجوع والخوف ولهم في نحو هذا طريقان لا بد من الاحاطة بهما فان الاستنكار لا يقع الا لمن فقدهما أحدهما أن ينظروا فيه الى المستعار له كما نظر اليه هاهنا ونحوه قول كثير

غمر الرداء اذا تبسم ضاحكا * غلقت لضحكته رقاب المال

استعار الرداء للمعروف لانه يصون عرض صاحبه صون الرداء لما يلقى عليه ووصفه بالغمر الذي هو وصف المعروف والنوال لا صفة الرداء نظرا الى المستعار له والثاني أن ينظروا فيه الى المستعار كقوله

ينازعني ردائي عبد عمرو * رويدك يا أخا عمرو بن بكر

لي الشطر الذي ملكت يميني * ودونك فاعتجر منه بشطر

أراد بردائه سيفه ثم قال فاعتجر منه بشطر فنظر الى المستعار في لفظ الاعتجار ولو نظر اليه فيما نحن فيه لقيل فكساهم لباس الجوع والخوف ولقال كثير ضافي الرداء اذا تبسم ضاحكا (وهم ظالمون) في حال التباسهم بالظلم كقوله الذين تتوفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم نعوذ بالله من مفاجأة النقمة والموت على الغفلة * وقرئ والخوف عطفا على اللباس أو على تقدير حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه أصله ولباس الخوف وقرئ لباس الخوف والجوع * لما وعظهم بما ذكر من حال القرية وما أوتيت به من كفرها وسوء صنيعها وصل بذلك الفاء في قوله (فكلوا) صدهم عن أفعال الجاهلية ومذاهبهم الفاسدة التي كانوا عليها بأن أمرهم بأكل ما رزقهم الله من الحلال الطيب وشكر انعامه بذلك وقال (ان كنتم اياه تعبدون) يعني تطيعون أو ان صح زعمكم أنكم تقصدون بعبادة الآلهة عبادته لانها شفعاؤكم عنده ثم عدد عليهم محرمات الله ونهاهم عن تحريمهم وتحليلهم بأهوائهم وجهالاتهم دون اتباع ما شرع الله على لسان أنبيائه * وانتصاب (الكذب) بلا تقولوا على ولا تقولوا الكذب لما تصفه ألسنتكم من البهائم بالحل والحرمة في قولكم ما في بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا من غير استناد ذلك الوصف الى وحي من الله أو الى قياس مستند اليه * واللام مثلها في قولك ولا تقولوا لما أحل الله هو حرام وقوله (هذا حلال وهذا حرام) بدل من الكذب ويجوز أن يتعلق بتصف على ارادة القول أي ولا تقولوا الكذب لما تصفه ألسنتكم فتقول هذا حلال وهذا حرام ولك أن تنصب الكذب بتصف وتجعل ما مصدرية وتعلق هذا حلال وهذا حرام بلا تقولوا على ولا تقولوا هذا حلال وهذا حرام لوصف ألسنتكم الكذب أي لا تحرموا ولا تحللوا لاجل قول تنطق به ألسنتكم

وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون ولقد جاءهم رسول منهم فكذبوه فأخذهم العذاب وهم ظالمون فكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا واشكروا نعمت الله ان كنتم اياه تعبدون انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به فمن اضطر غير باغ ولا عاد فان الله غفور رحيم ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام

* قوله عز وجل إن إبراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا إلى قوله ثم أوحينا إليك (قال في قوله أمة وجهان أحدهما أنه كان وحده أمة من الأمم الخ) قال أحمد ويقوى هذا الثاني قوله تعالى ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفا أى كان أمة تؤمه الناس ليقتبسوا منه الخيرات ويقتفوا آثاره المباركات حتى (٦٩٨) أنت على جلالة قدرك قد أوحينا إليك أن اتبع ملته ووافق سيرته والله أعلم * عاد كلامه (قال وفى ثم هذه ما فيها من تعظيم منزلة محمد صلى الله عليه وسلم الخ) قال

وتجول في أفواهكم لا لأجل حجة وبينة ولكن قول ساذج ودعوى فارغة (فإن قلت) ما معنى وصف ألسنتهم الكذب (قلت) هو من فصيح الكلام وبليغه جعل قولهم كأنه عين الكذب ومحضه فإذا نطقت به ألسنتهم فقد حلت الكذب بحليته وصورته بصورته كقولهم وجهها يصف الجمال وعينها تصف السحر وقرئ الكذب بالجر صفة لما المصدرية كأنه قيل لوصفها الكذب بمعنى الكاذب كقوله تعالى بدم كذب والمراد بالوصف وصفها البهائم بالحل والحرمة وقرئ الكذب جمع كذوب بالرفع صفة للألسنة وبالنصب على الشتم أو بمعنى الكلم الكواذب أو هو جمع الكذاب من قولك كذب كذابا ذكره ابن جني * واللام في (لتفتروا) من التعليل الذي لا يتضمن معنى الغرض (متاع قليل) خبر مبتدأ محذوف أى منفعتهم فيما هم عليه من أفعال الجاهلية منفعة قليلة وعقابها عظيم (ما قصصنا عليك) يعني في سورة الأنعام (بجهالة) في موضع الحال أى عملوا السوء جاهلين غير عارفين بالله وبعقابه أو غير متدبرين للعاقبة لغلبة الشهوة عليهم (من بعدها) من بعد التوبة (كان أمة) فيه وجهان أحدهما أنه كان وحده أمة من الأمم لكماله في جميع صفات الخير كقوله

وليس لله بمستنكر ... أن يجمع العالم في واحد

وعن مجاهد كان مؤمنا وحده والناس كلهم كفار والثاني أن يكون أمة بمعنى مأموم أى يؤمه الناس ليأخذوا منه الخير أو بمعنى مؤتم به كالرحلة والنخبة وما أشبه ذلك مما جاء من فعلة بمعنى مفعول فيكون مثل قوله قال إني جاعلك للناس إماما وروى الشعبي عن فروة بن نوفل الأشجعي عن ابن مسعود أنه قال إن معاذا كان أمة قانتا لله فقلت غلطت إنما هو إبراهيم فقال الأمة الذي يعلم الخير والقانت المطيع لله ورسوله وكان معاذ كذلك وعن عمر رضي الله عنه أنه قال حين قيل له ألا تستخلف لو كان أبو عبيدة حيا لاستخلفته ولو كان معاذ حيا لاستخلفته ولو كان سالم حيا لاستخلفته فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أبو عبيدة أمين هذه الأمة ومعاذ أمة قانت لله ليس بينه وبين الله يوم القيامة إلا المرسلون وسالم شديد الحب لله لو كان لا يخاف الله لم يعصه وهو ذلك المعنى أى كان إماما في الدين لأن الأئمة معلمو الخير والقانت القائم بما أمره الله * والحنيف المائل إلى ملة الإسلام غير الزائل عنه * ونفى عنه الشرك تكذيبا لكفار قريش في زعمهم أنهم على ملة أبيهم إبراهيم (شاكرا لأنعمه) روى أنه كان لا يتغدى إلا مع ضيف فلم يجد ذات يوم ضيفا فأخر غداءه فإذا هو بفوج من الملائكة في صورة البشر فدعاهم إلى الطعام فخيلوا له أن بهم جذاما فقال الآن وجبت مؤاكلتكم شكرا لله على أنه عافاني وابتلاكم (اجتباه) اختصه واصطفاه للنبوة (وهداه إلى صراط مستقيم) إلى ملة الإسلام (حسنة) عن قتادة هي تنويه الله بذكره حتى ليس من أهل دين إلا وهم يتولونه وقيل الأموال والأولاد وقيل قول المصلي منا كما صليت على إبراهيم (لمن الصالحين) لمن أهل الجنة (ثم أوحينا إليك) في ثم هذه ما فيها من تعظيم منزلة رسول الله صلى الله عليه وسلم وإجلال محله والإيذان بأن أشرف ما أوتي خليل الله إبراهيم من الكرامة وأجل ما أولي من النعمة اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم ملته من قبل أنها دلت على تباعد هذا النعت في المرتبة من بين سائر النعوت التي أثنى الله عليه بها (السبت) مصدر سبتت اليهود إذا عظمت سبتها والمعنى إنما جعل وبال السبت وهو المسخ (على الذين اختلفوا فيه) واختلافهم فيه أنهم أحلوا الصيد فيه تارة وحرموه تارة وكان الواجب عليهم أن يتفقوا في تحريمه على كلمة واحدة بعد ما حتم الله عليهم الصبر عن الصيد فيه وتعظيمه والمعنى في ذكر ذلك نحو المعنى في ضرب القرية التي كفرت بأنعم الله

لتفتروا على الله الكذب إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون متاع قليل ولهم عذاب أليم وعلى الذين هادوا حرمنا ما قصصنا عليك من قبل وما ظلمناهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ثم إن ربك للذين عملوا السوء بجهالة ثم تابوا من بعد ذلك وأصلحوا إن ربك من بعدها لغفور رحيم إن إبراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين شاكرا لأنعمه اجتباه وهداه إلى صراط مستقيم وآتيناه في الدنيا حسنة وإنه في الآخرة لمن الصالحين ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين إنما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه وإن ربك ليحكم

أحمد وإنما تفيد ذلك ثم لأنها في أصل وضعها لتراخي المعطوف عليه في الزمان ثم استعملت في تراخيه عنه في علو المرتبة بحيث يكون المعطوف أعلى رتبة وأشمخ محلا من المعطوف مثلا عليه فكأنه بعد أن عدد مناقب الخليل عليه السلام قال تعالى وههنا ما هو أعلى من ذلك كله قدرا وأرفع رتبة وأبعد رفعة وهو أن النبي الأمي الذي هو سيد البشر متبع ملة إبراهيم مأمور باتباعه بالوحي متلو أمره بذلك في القرآن العظيم ففي ذلك تعظيم لهما جميعا لكن نصيب النبي صلى الله عليه وسلم من هذا التعظيم أوفر وأكبر على ما مهدناه والله الموفق للصواب

مثلا أو غير ما ذكروه والله أعلم ومن سخط الله على العصاة والمخالفين بأوامره والخالعين ربقة طاعته (فان
قلت) ما معنى الحكم بينهم إذا كانوا جميعا محلين أو محرمين (قلت) معناه أنه يجازيهم جزاء اختلاف فعلهم في
كونهم محلين تارة ومحرمين أخرى ووجه آخر وهو أن موسى عليه السلام أمرهم أن يجعلوا في الاسبوع
يوما للعبادة وأن يكون يوم الجمعة فأبوا عليه وقالوا نريد اليوم الذي فرغ الله فيه من خلق السموات والارض
وهو السبت إلا شرذمة منهم قد رضوا بالجمعة فهذا اختلافهم في السبت لأن بعضهم اختاره وبعضهم اختار
عليه الجمعة فأذن الله لهم في السبت وابتلاهم بتحريم الصيد فيه فأطاع أمر الله الراضون بالجمعة فكانوا
لا يصيدون فيه وأعقابهم لم يصبروا عن الصيد فمسخهم الله دون أولئك وهو يحكم (بينهم يوم القيامة) فيجازي
كل واحد من الفريقين بما يستوجبه ومعنى جعل السبت فرض عليهم تعظيمه وترك الاصطياد فيه وقرئ
إنما جعل السبت على البناء للفاعل وقرأ عبد الله إنما أنزل السبت (الى سبيل ربك) الى الاسلام (بالحكمة)
بالمقالة المحكمة الصحيحة وهي الدليل الموضح للحق المزيل للشبهة (والموعظة الحسنة) وهي التي لا يخفى عليهم
أنك تناصحهم بها وتقصد ما ينفعهم فيها ويجوز أن يريد القرآن أي ادعهم بالكتاب الذي هو حكمة وموعظة
حسنة (وجادلهم بالتي هي أحسن) بالطريقة التي هي أحسن طرق المجادلة من الرفق واللين من غير فظاظة
ولا تعنيف (إن ربك هو أعلم) بهم فمن كان فيه خير كفاه الوعظ القليل والنصيحة اليسيرة ومن لا خير فيه
عجزت عنه الحيل وكأنك تضرب منه في حديد بارد * وسمى الفعل الأول باسم الثاني للمزاوجة والمعنى إن صنع
بكم صنيع سوء من قتل أو نحوه فقابلوه بمثله ولا تزيدوا عليه * وقرئ وإن عقبتم فعقبوا أي وإن قفيتم بالانتصار
فقفوا بمثل ما فعل بكم روي أن المشركين مثلوا بالمسلمين يوم أحد بقروا بطونهم وقطعوا مذاكيرهم ما تركوا
أحدا غير ممثول به إلا حنظلة بن الراهب فوقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على حمزة وقد مثل به وروي
فرآه مبقور البطن فقال أما والذي أحلف به لئن أظفرني الله بهم لأمثلن بسبعين مكانك فنزلت فكفر عن
يمينه وكف عما أراده ولا خلاف في تحريم المثلة وقد وردت الأخبار بالنهي عنها حتى بالكلب العقور * إما أن
يرجع الضمير في (لهو) الى صبرهم وهو مصدر صبرتم ويراد بالصابرين المخاطبون أي ولئن صبرتم لصبركم خير
لكم فوضع الصابرون موضع الضمير ثناء من الله عليهم بأنهم صابرون على الشدائد أو وصفهم بالصفة التي
تحصل لهم إذا صبروا عن المعاقبة وإما أن يرجع الى جنس الصبر وقد دل عليه صبرتم ويراد بالصابرين جنسهم
كأنه قيل والصبر خير للصابرين ونحوه قوله تعالى فمن عفا وأصلح فأجره على الله وأن تعفوا أقرب للتقوى ثم قال
لرسوله صلى الله عليه وسلم (واصبر) أنت فعزم عليه بالصبر (وما صبرك إلا بالله) أي بتوفيقه وتثبيته وربطه
على قلبك (ولا تحزن عليهم) أي على الكافرين كقوله ولا تأس على القوم الكافرين أو على المؤمنين وما فعل
بهم الكافرون (ولا تك في ضيق) وقرئ ولا تكن في ضيق أي ولا يضيقن صدرك من مكرهم والضيق
تخفيف الضيق أي في أمر ضيق ويجوز أن يكون الضيق والضيق مصدرين كالقيل والقول (إن الله مع
الذين اتقوا) أي هو ولي الذين اجتنبوا المعاصي (و) ولي (الذين هم محسنون) في أعمالهم وعن هرم بن
حيان أنه قيل له حين احتضر أوص فقال إنما الوصية من المال ولا مال لي وأوصيكم بخواتيم سورة النحل عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة النحل لم يحاسبه الله بما أنعم عليه في دار الدنيا وإن مات في يوم
تلاها أو ليلته كان له من الأجر كالذي مات وأحسن الوصية

﴿سورة الاسراء مكية وهي مائة وعشر آيات﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(سبحان) علم للتسبيح كعثمان للرجل وانتصابه بفعل مضمر متروك إظهاره تقديره أسبح الله سبحان ثم نزل
سبحان منزلة الفعل فسد مسده ودل على التنزيه البليغ من جميع القبائح التي يضيفها إليه أعداء الله

بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين واصبر وما صبرك الا بالله ولا تحزن عليهم ولا تك في ضيق مما يمكرون ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون

﴿سورة الاسراء مكية وهي مائة وعشر آيات﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

سبحان الذي أسرى

﴿القول في سورة الإسراء﴾ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى

و(أسرى) وسرى لغتان و(ليلا) نصب على الظرف (فان قلت) الاسراء لا يكون الا بالليل فما معنى ذكر الليل (قلت) أراد بقوله ليلا بلفظ التنكير تقليل مدة الاسراء وأنه أسرى به في بعض الليل من مكة الى الشام مسيرة أربعين ليلة وذلك أن التنكير فيه قد دل على معنى البعضية ويشهد لذلك قراءة عبد الله وحذيفة من الليل أي بعض الليل كقوله ومن الليل فتهجد به نافلة يعني الأمر بالقيام في بعض الليل واختلف في المكان الذي أسرى منه فقيل هو المسجد الحرام بعينه وهو الظاهر وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم بينا أنا في المسجد الحرام في الحجر عند البيت بين النائم واليقظان اذ أتاني جبريل عليه السلام بالبراق وقيل أسري به من دار أم هانئ بنت أبي طالب والمراد بالمسجد الحرام الحرم لاحاطته بالمسجد والتباسه به وعن ابن عباس الحرم كله مسجد وروي أنه كان نائما في بيت أم هانئ بعد صلاة العشاء فأسري به ورجع من ليلته وقص القصة على أم هانئ وقال مثل لي النبيون فصليت بهم وقام ليخرج الى المسجد فتشبثت أم هانئ بثوبه فقال ما لك قالت أخشى أن يكذبك قومك ان أخبرتهم قال وان كذبوني فخرج فجلس اليه أبو جهل فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم بحديث الاسراء فقال أبو جهل يا معشر بني كعب بن لؤي هلم فحدثهم فمن بين مصفق وواضع يده على رأسه تعجبا وانكارا وارتد ناس ممن كان آمن به وسعى رجال الى أبي بكر رضي الله عنه فقال ان كان قال ذلك فقد صدق قالوا أتصدقه على ذلك قال اني لأصدقه على أبعد من ذلك فسمي الصديق وفيهم من سافر الى ثم فاستنعتوه المسجد فجلي له بيت المقدس فطفق ينظر اليه وينعته لهم فقالوا أما النعت فقد أصاب فقالوا أخبرنا عن عيرنا فأخبرهم بعدد جمالها وأحوالها وقال تقدم يوم كذا مع طلوع الشمس يقدمها جمل أورق فخرجوا يشتدون ذلك اليوم نحو الثنية فقال قائل منهم هذه والله الشمس قد شرقت فقال آخر وهذه والله العير قد أقبلت يقدمها جمل أورق كما قال محمد ثم لم يؤمنوا وقالوا ما هذا الا سحر مبين وقد عرج به الى السماء في تلك الليلة وكان العروج به من بيت المقدس وأخبر قريشا أيضا بما رأى في السماء من العجائب وأنه لقي الأنبياء وبلغ البيت المعمور وسدرة المنتهى واختلفوا في وقت الاسراء فقيل كان قبل الهجرة بسنة وعن أنس والحسن أنه كان قبل البعث واختلف في أنه كان في اليقظة أم في المنام فعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت والله ما فقد جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن عرج بروحه وعن معاوية انما عرج بروحه وعن الحسن كان في المنام رؤيا رآها وأكثر الأقاويل بخلاف ذلك والمسجد الأقصى بيت المقدس لأنه لم يكن حينئذ وراءه مسجد (باركنا حوله) يريد بركات الدين والدنيا لأنه متعبد الأنبياء من وقت موسى ومهبط الوحي وهو محفوف بالأنهار الجارية والأشجار المثمرة وقرأ الحسن ليريه بالياء ولقد تصرف الكلام على لفظ الغائب والمتكلم فقيل أسرى ثم باركنا ثم ليريه على قراءة الحسن ثم من آياتنا ثم انه هو وهي طريقة الالتفات التي هي من طرق البلاغة (انه هو السميع) لأقوال محمد (البصير) بأفعاله العالم بتهذيبها وخلوصها فيكرمه ويقربه على حسب ذلك (ألا تتخذوا) قرئ بالياء على لئلا يتخذوا وبالتاء على أي لا تتخذوا كقولك كتبت اليه أن افعل كذا (وكيلا) ربا تكلون اليه أموركم (ذرية من حملنا) نصب على الاختصاص وقيل على النداء فيمن قرأ لا تتخذوا بالتاء على النهي يعني قلنا لهم لا تتخذوا من دوني وكيلا يا ذرية من حملنا (مع نوح) وقد يجعل وكيلا ذرية من حملنا مفعولي تتخذوا أي لا تجعلوهم أربابا كقوله ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا ومن ذرية المحمولين مع نوح عيسى وعزير عليهم السلام وقرئ ذرية من حملنا بالرفع بدلا من واو تتخذوا وقرأ زيد بن ثابت ذرية بكسر الذال وروي عنه أنه فسرها بولد الولد ذكرهم الله النعمة في انجاء آبائهم من الغرق (انه) ان نوحا (كان عبدا شكورا) قيل كان اذا أكل قال الحمد لله الذي أطعمني ولو شاء أجاعني واذا شرب قال الحمد لله الذي سقاني ولو شاء أظمأني واذا اكتسى قال الحمد لله الذي كساني ولو شاء أعراني واذا احتذى قال الحمد

بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا انه هو السميع البصير وآتينا موسى الكتاب وجعلناه هدى لبني اسرائيل ألا تتخذوا من دوني وكيلا ذرية من حملنا مع نوح انه كان عبدا شكورا

(قال ان قلت الاسراء لا يكون الا بالليل فما معنى ذكر الليل الخ) قال أحمد وقد قرن الاسراء بالليل في موضع لا يليق الجواب عنه بهذا كقوله فأسر بأهلك بقطع من الليل وكقوله تعالى فأسر بعبادي ليلا والظاهر والله أعلم ان الغرض من ذكر الليل وان كان الاسراء يفيده تصوير السير بصورته في ذهن السامع وكأن الاسراء لما دل على أمرين أحدهما السير والآخر كونه ليلا أريد افراد أحدهما بالذكر تثبيتا في نفس المخاطب وتنبيها على أنه مقصود بالذكر ونظيره في افراد أحد ما دل عليه اللفظ المتقدم مضموما لغيره قوله تعالى وقال الله لا تتخذوا الهين اثنين انما هو اله واحد فالاسم الحامل للتثنية دال عليها وعلى الجنسية وكذلك المفرد فاريد التنبيه لان أحد المعنيين وهو التثنية مراد مقصود وكذلك أريد لايقاظ ان الوحدانية هي المقصودة في قوله انما هو اله واحد ولو اقتصر على قوله انما هو اله لأوهم أن المهم اثبات الالهية له والغرض من الكلام ليس الا الاثبات للوحدانية والله أعلم

لله الذي حذاني ولو شاء أحفاني وإذا قضى حاجته قال الحمد لله الذي أخرج عني أذاه في عافية ولو شاء حبسه وروي أنه كان إذا أراد الإفطار عرض طعامه على من آمن به فإن وجده محتاجا آثره به (فإن قلت) قوله إنه كان عبدا شكورا ما وجه ملاءمته لما قبله (قلت) كأنه قيل لا تتخذوا من دوني وكيلا ولا تشركوا بي لأن نوحا عليه السلام كان عبدا شكورا وأنتم ذرية من آمن به وحمل معه فاجعلوه أسوتكم كما جعله آباؤكم أسوتهم ويجوز أن يكون تعليلا لاختصاصهم والثناء عليهم بأنهم أولاد المحمولين مع نوح فهم متصلون به فاستأهلوا لذلك الاختصاص ويجوز أن يقال ذلك عند ذكره على سبيل الاستطراد (وقضينا إلى بني إسرائيل) وأوحينا إليهم وحيا مقضيا أي مقطوعا مبتوتا بأنهم يفسدون في الأرض لا محالة ويعلون أي يتعظمون ويبغون (في الكتاب) في التوراة و(لتفسدن) جواب قسم محذوف ويجوز أن يجري القضاء المبتوت مجرى القسم فيكون لتفسدن جوابا له كأنه قال وأقسمنا لتفسدن وقرئ لتفسدن على البناء للمفعول ولتفسدن بفتح التاء من فسد (مرتين) أولاهما قتل زكريا وحبس أرمياء حين أنذرهم سخط الله والآخرة قتل يحيى بن زكريا وقصد قتل عيسى بن مريم (عبادا لنا) وقرئ عبيدا لنا وأكثر ما يقال عباد الله وعبيد الناس سنحاريب وجنوده وقيل بختنصر وعن ابن عباس جالوت قتلوا علماءهم وأحرقوا التوراة وخربوا المسجد وسبوا منهم سبعين ألفا (فإن قلت) كيف جاز أن يبعث الله الكفرة على ذلك ويسلطهم عليه (قلت) معناه خلينا بينهم وبين ما فعلوا ولم نمنعهم على أن الله عز وعلا أسند بعث الكفرة عليهم إلى نفسه فهو كقوله تعالى وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا بما كانوا يكسبون وكقول الداعي وخالف بين كلمهم وأسند الجوس وهو التردد خلال الديار بالفساد إليهم فتخريب المسجد وإحراق التوراة من جملة الجوس المسند إليهم • وقرأ طلحة فحاسوا بالحاء وقرئ فتجوسوا وخلل الديار (فإن قلت) ما معنى (وعد أولاهما) (قلت) معناه وعد عقاب أولاهما (وكان وعدا مفعولا) يعني وكان وعد العقاب وعدا لا بد أن يفعل (ثم رددنا لكم الكرة) أي الدولة والغلبة على الذين بعثوا عليكم حين تبتم ورجعتم عن الفساد والعلو قيل هي قتل بختنصر واستنقاذ بني إسرائيل أسراهم وأموالهم ورجوع الملك إليهم وقيل هي قتل داود جالوت (أكثر نفيرا) مما كنتم والنفير من ينفر مع الرجل من قومه وقيل جمع نفر كالعبيد والمعيز • أي الإحسان والإساءة كلاهما مختص بأنفسكم لا يتعدى النفع والضرر إلى غيركم وعن علي رضي الله عنه ما أحسنت إلى أحد ولا أسأت إليه وتلاها (فإذا جاء وعد) المرة (الآخرة) بعثناهم (ليسوءوا وجوهكم) حذف لدلالة ذكره أولا عليه ومعنى ليسوءوا وجوهكم ليجعلوها بادية آثار المساءة والكآبة فيها كقوله سيئت وجوه الذين كفروا وقرئ ليسوء والضمير لله تعالى أو للوعد أو للبعث ولنسوء بالنون وفي قراءة علي لنسوءن وليسوءن وقرئ لنسوءن بالنون الخفيفة • واللام في (وليدخلوا) على هذا متعلق بمحذوف وهو وبعثناهم ليدخلوا ولنسوءن جواب إذا جاء (ما علوا) مفعول ليتبروا أي ليهلكوا كل شيء غلبوه واستولوا عليه أو بمعنى مدة علوهم (عسى ربكم أن يرحمكم) بعد المرة الثانية إن تبتم توبة أخرى وانزجرتم عن المعاصي (وإن عدتم) مرة ثالثة (عدنا) إلى عقوبتكم وقد عادوا فأعاد الله إليهم النقمة بتسليط الأكاسرة وضرب الإتاوة عليهم وعن الحسن عادوا فبعث الله محمدا فهم يعطون الجزية عن يد وهم صاغرون وعن قتادة ثم كان آخر ذلك أن بعث الله عليهم هذا الحي من العرب فهم منهم في عذاب إلى يوم القيامة (حصيرا) محبسا يقال للسجن محصر وحصير وعن الحسن بساطا كما يبسط الحصير المرمول (للتي هي أقوم) للحالة التي هي أقوم الحالات وأسدها أو للملة أو للطريقة وأينما قدرت لم تجد مع الإثبات ذوق البلاغة التي تجده مع الحذف لما في إبهام الموصوف بحذفه من فخامة تفقد مع إيضاحه • وقرئ ويبشر بالتخفيف (فإن قلت) كيف ذكر المؤمنين الأبرار والكفار ولم يذكر الفسقة (قلت) كان الناس حينئذ إما مؤمن تقي وإما مشرك وإنما حدث أصحاب المنزلة بين المنزلتين بعد ذلك (فإن قلت) علام عطف (وأن الذين لا يؤمنون) (قلت) على أن لهم أجرا كبيرا على معنى أنه بشر المؤمنين ببشارتين اثنتين بثوابهم وبعقاب أعدائهم ويجوز أن يراد ويخبر بأن الذين لا يؤمنون معذبون • أي ويدعو الله عند غضبه بالشر على نفسه وأهله وماله كما يدعوه لهم بالخير كقوله ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير

وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب لتفسدن في الأرض مرتين ولتعلن علوا كبيرا فإذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا أولي بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعدا مفعولا ثم رددنا لكم الكرة عليهم وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيرا إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها فإذا جاء وعد الآخرة ليسوءوا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تتبيرا عسى ربكم أن يرحمكم وإن عدتم عدنا وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا كبيرا وأن الذين لا يؤمنون بالآخرة أعتدنا لهم عذابا أليما ويدع الإنسان بالشر دعاءه بالخير

• قوله تعالى بعثنا عليكم عبادا لنا أولي بأس شديد فجاسوا خلال الديار (قال إن قلت كيف جاز أن يبعث الله الكفرة الخ) قال أحمد هذا السؤال إنما يتوجه على قدري يوجب على الله تعالى بزعمه رعاية

ما يتوجه بعقله مصلحة وأما السني إذا سئل هذا السؤال أجاب عنه بقوله لا يسئل عما يفعل والله الموفق * قوله تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا (قال فيه معناه (٧٠٢) وما صح منا صحة تدعو إليها الحكمة أن نعذب قوما حتى نلزمهم الحجة ببعث الرسل الخ) قال أحمد وهذا السؤال أيضا إنما يتوجه على قدري يزعم أن العقل يرشد إلى وجوب النظر وإلى كثير من أحكام الله تعالى وإن لم يبعث رسول فيكلف بعقله ويرتب على ترك امتثال التكاليف استيجاب العذاب إذ العقل كاف عندهم في إيجاب المعرفة بل في جميع الأحكام بناء على قاعدة التحسين والتقبيح العقليين وأما السني فلا يتوجه عليه هذا السؤال فإن العقل عنده شرط في وجوب عموم الأحكام ولا تكليف عنده قبل ورود الشرائع وبعث الأنبياء وحينئذ يثبت الحكم وتقوم الحجة فلولا كما أبانت عنه هذه الآية التي يروم الزمخشري تحريفها عن مواقعها ليتمشى عليه وتنسد طرق الحيل بين يديه لأنه الكتاب العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه نعم العقل عمدة في حصول المعرفة لا في وجوبها وبين الحصول والوجوب بون بعيد والله الموفق

وكان الإنسان عجولا وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلا من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب وكل شيء فصلناه تفصيلا وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا من اهتدى فإنما يهتدي لنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها ولا تزر وازرة وزر أخرى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا

(وكان الإنسان عجولا) يتسرع إلى طلب كل ما يقع في قلبه ويخطر بباله لا يتأنى فيه تأني المتبصر وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه دفع إلى سودة بنت زمعة أسيرا فأقبل يئن بالليل فقالت له ما لك تئن فشكا ألم القد فأرخت من كتافه فلما نامت أخرج يده وهرب فلما أصبح النبي صلى الله عليه وسلم دعا به فأعلم بشأنه فقال صلى الله عليه وسلم اللهم اقطع يديها فرفعت سودة يديها تتوقع الإجابة وأن يقطع الله يديها فقال النبي صلى الله عليه وسلم إني سألت الله أن يجعل لعنتي ودعائي على من لا يستحق من أهلي رحمة لأني بشر أغضب كما يغضب البشر فلترد سودة يديها ويجوز أن يريد بالإنسان الكافر وأنه يدعو بالعذاب استهزاء ويستعجل به كما يدعو بالخير إذا مسته الشدة وكان الإنسان عجولا يعني أن العذاب آتيه لا محالة فما هذا الاستعجال وعن ابن عباس رضي الله عنهما هو النضر بن الحرث قال اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك الآية فأجيب له فضربت عنقه صبرا * فيه وجهان أحدهما أن يراد أن الليل والنهار آيتان في أنفسهما فتكون الإضافة في آية الليل وآية النهار للتبيين كإضافة العدد إلى المعدود أي فمحونا الآية التي هي الليل وجعلنا الآية التي هي النهار مبصرة والثاني أن يراد وجعلنا نيري الليل والنهار آيتين يريد الشمس والقمر فمحونا آية الليل أي جعلنا الليل ممحو الضوء مطموسه مظلما لا يستبان فيه شيء كما لا يستبان ما في اللوح الممحو وجعلنا النهار مبصرا أي تبصر فيه الأشياء وتستبان أو فمحونا آية الليل التي هي القمر حيث لم يخلق لها شعاعا كشعاع الشمس فترى به الأشياء رؤية بينة وجعلنا الشمس ذات شعاع يبصر في ضوئها كل شيء (لتبتغوا فضلا من ربكم) لتتوصلوا ببياض النهار إلى استبانة أعمالكم والتصرف في معايشكم (ولتعلموا) باختلاف الجديدين (عدد السنين) و) جنس (الحساب) وما تحتاجون إليه منه ولولا ذلك لما علم أحد حسبان الأوقات ولتعطلت الأمور (وكل شيء) مما تفتقرون إليه في دينكم ودنياكم (فصلناه) بيناه بيانا غير ملتبس فأزحنا عللكم وما تركنا لكم حجة علينا (طائره) عمله وقد حققنا القول فيه في سورة النمل وعن أبي عبيدة هو من قولك طار له سهم إذا خرج يعني ألزمناه ما طار من عمله والمعنى أن عمله لازم له لزوم القلادة أو الغل لا يفك عنه ومنه مثل العرب تقلدها طوق الحمامة وقولهم الموت في الرقاب وهذا ربقة في رقبته وعن الحسن يا ابن آدم بسطت لك صحيفة إذا بعثت قلدتها في عنقك * وقرئ في عنقه بسكون النون * وقرئ نخرج بالنون ويخرج بالياء والضمير لله عز وجل ويخرج على البناء للمفعول ويخرج من خرج والضمير للطائر أي يخرج الطائر كتابا وانتصاب كتابا على الحال * وقرئ يلقاه بالتشديد بالبناء للمفعول و (يلقاه منشورا) صفتان للكتاب أو يلقاه صفة ومنشورا حال من يلقاه (اقرأ) على إرادة القول وعن قتادة يقرأ ذلك اليوم من لم يكن في الدنيا قارئا و (بنفسك) فاعل كفى و (حسيبا) تمييز وهو بمعنى حاسب كضريب القداح بمعنى ضاربها وصريم بمعنى صارم ذكرهما سيبويه * وعلى متعلق به من قولك حسب عليه كذا ويجوز أن يكون بمعنى الكافي ووضع موضع الشهيد فعدي بعلى لأن الشاهد يكفي المدعي ما أهمه (فإن قلت) لم ذكر حسيبا (قلت) لأنه بمنزلة الشهيد والقاضي والأمير لأن الغالب أن هذه الأمور يتولاها الرجال فكأنه قيل كفى بنفسك رجلا حسيبا ويجوز أن يتأول النفس بالشخص كما يقال ثلاثة أنفس وكان الحسن إذا قرأها قال يا ابن آدم أنصفك والله من جعلك حسيب نفسك * أي كل نفس حاملة وزرا فإنما تحمل وزرها لا وزر نفس أخرى (وما كنا معذبين) وما صح منا صحة تدعو إليها الحكمة أن نعذب قوما إلا بعد أن (نبعث) إليهم (رسولا) فتلزمهم الحجة (فإن قلت) الحجة لازمة لهم قبل بعثة الرسل لأن معهم أدلة العقل التي بها يعرف الله وقد أغفلوا النظر وهم متمكنون منه واستيجابهم العذاب لإغفالهم النظر فيما معهم وكفرهم لذلك لا لإغفال الشرائع التي لا سبيل إليها إلا بالتوقيف والعمل بها لا يصح إلا بعد الإيمان (قلت) بعثة الرسل من جملة التنبيه على النظر والإيقاظ من رقدة الغفلة لئلا يقولوا كنا غافلين

وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا وكم أهلكنا من القرون من بعد نوح وكفى بربك بذنوب عباده خبيرا بصيرا من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموما

ولا بعثنا إليهم رسولا ينبههم على النظر في أدلة العقل (وإذا أردنا) وإذا دنا وقت إهلاك قوم ولم يبق من زمان إمهالهم إلا قليل أمرناهم (ففسقوا) أي أمرناهم بالفسق ففعلوا والأمر مجاز لأن حقيقة أمرهم بالفسق أن يقول لهم افسقوا وهذا لا يكون فبقي أن يكون مجازا ووجه المجاز أنه صب عليهم النعمة صبا فجعلوها ذريعة إلى المعاصي واتباع الشهوات فكأنهم مأمورون بذلك لتسبب إيلاء النعمة فيه وإنما خولهم إياها ليشكروا ويعملوا فيها الخير ويتمكنوا من الإحسان والبر كما خلقهم أصحاء أقوياء وأقدرهم على الخير والشر وطلب منهم إيثار الطاعة على المعصية فآثروا الفسوق فلما فسقوا حق عليهم القول وهو كلمة العذاب فدمرهم (فإن قلت) هلا زعمت أن معناه أمرناهم بالطاعة ففسقوا (قلت) لأن حذف ما لا دليل عليه غير جائز فكيف يحذف ما الدليل قائم على نقيضه وذلك أن المأمور به إنما حذف لأن فسقوا يدل عليه وهو كلام مستفيض يقال أمرته فقام وأمرته فقرأ لا يفهم منه إلا أن المأمور به قيام أو قراءة ولو ذهبت تقدر غيره فقد رمت من مخاطبك علم الغيب ولا يلزم على هذا قولهم أمرته فعصاني أو فلم يمتثل أمري لأن ذلك مناف للأمر مناقض له ولا يكون ما يناقض الأمر مأمورا به فكان محالا أن يقصد أصلا حتى يجعل دالا على المأمور به فكان المأمور به في هذا الكلام غير مدلول عليه ولا منوي لأن من يتكلم بهذا الكلام فإنه لا ينوي لأمره مأمورا به وكأنه يقول كان مني أمر فلم تكن منه طاعة كما أن من يقول فلان يعطي ويمنع ويأمر وينهى غير قاصد إلى مفعول (فإن قلت) هلا كان ثبوت العلم بأن الله لا يأمر بالفحشاء وإنما يأمر بالقصد والخير دليلا على أن المراد أمرناهم بالخير ففسقوا (قلت) لا يصح ذلك لأن قوله ففسقوا يدافعه فكأنك أظهرت شيئا وأنت تدعي إضمار خلافه فكان صرف الأمر إلى المجاز هو الوجه ونظير أمر شاء في أن مفعوله استفاض فيه الحذف لدلالة ما بعده عليه تقول لو شاء لأحسن إليك ولو شاء لأساء إليك تريد لو شاء الإحسان ولو شاء الإساءة فلو ذهبت تضمر خلاف ما أظهرت وقلت قد دلت حال من أسندت إليه المشيئة أنه من أهل الإحسان أو من أهل الإساءة فاترك الظاهر المنطوق به وأضمر ما دلت عليه حال صاحب المشيئة لم تكن على سداد وقد فسر بعضهم أمرنا بكثرنا وجعل أمرته فأمر من باب فعلته ففعل كثبرته فثبر وفي الحديث خير المال سكة مأبورة ومهرة مأمورة أي كثيرة النتاج وروي أن رجلا من المشركين قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم إني أرى أمرك هذا حقيرا فقال صلى الله عليه وسلم إنه سيأمر أي سيكثر وسيكبر * وقرئ آمرنا من أمر وأمره غيره وأمّرنا بمعنى أمرنا أو من أمر إمارة وأمّره الله أي جعلناهم أمراء وسلطناهم (كم) مفعول (أهلكنا) و(من القرون) بيان لكم وتمييز له كما يميز العدد بالجنس يعني عادا وثمود وقرونا بين ذلك كثيرا ونبه بقوله (وكفى بربك بذنوب عباده خبيرا بصيرا) على أن الذنوب هي أسباب الهلكة لا غير وأنه عالم بها ومعاقب عليها * من كانت العاجلة همه ولم يرد غيرها كالكفرة وأكثر الفسقة تفضلنا عليه من منافعها بما نشاء لمن نريد فقيد الأمر تقييدين أحدهما تقييد المعجل بمشيئته والثاني تقييد المعجل له بإرادته وهكذا الحال ترى كثيرا من هؤلاء يتمنون ما يتمنون ولا يعطون إلا بعضا منه وكثيرا منهم يتمنون ذلك البعض وقد حرموه فاجتمع عليهم فقر الدنيا وفقر الآخرة وأما المؤمن التقي فقد اختار مراده وهو غنى الآخرة فما يبالي أوتي حظا من الدنيا أو لم يؤت فإن أوتي فبها وإلا فربما كان الفقر خيرا له وأعون على مراده وقوله (لمن نريد) بدل من له وهو بدل البعض من الكل لأن الضمير يرجع إلى من وهو في معنى الكثرة * وقرئ يشاء وقيل الضمير لله تعالى فلا فرق إذا بين القراءتين في المعنى ويجوز أن يكون للمدعي على أن للعبد ما يشاء من الدنيا وأن ذلك لواحد من الدهماء يريد به الله ذلك وقيل هو من يريد الدنيا بعمل الآخرة كالمنافق والمرائي والمهاجر للدنيا والمجاهد للغنيمة والذكر كما قال صلى الله عليه وسلم فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه

* قوله تعالى وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا (قال حقيقة أمرهم أن يقول لهم افسقوا ولا يكون هذا فبقي أن يكون مجازا الخ) قال أحمد نص حسن إلا قوله إنهم خولوا النعم (٧٠٣) ليشكروا فإنه فرعه على قاعدة وجوب إرادة الله تعالى للطاعة والحق أنهم خولوها وأمروا بالشكر ففسقوا وكفروا على خلاف الأمر والأمر غير الإرادة على قاعدة أهل الحق والله الموفق * قوله عز وجل من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد إلى قوله عز وجل ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكورا (قال أي من كانت العاجلة همه ولم يرد غيرها كالكفرة وأكثر الفسقة الخ) قال أحمد ومثل ذلك التقييد ورد في الآية الأخرى وهي قوله تعالى من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وماله في الآخرة من نصيب فأدخل من المبعضة على حرث الدنيا وعين لطالب حرث الآخرة مراده وزاد عليه

(مدحورا) مطرودا من رحمة الله (سعيها) حقها من السعي وكفاءها من الاعمال الصالحة * وشرط ثلاث
شرائط في كون السعي مشكورا ارادة الآخرة بان يعقد بها همه ويتجافى عن دار الغرور والسعي فيما كلف
من الفعل والترك والايمان الصحيح الثابت وعن بعض المتقدمين من لم يكن معه ثلاث لم ينفعه عمله ايمان
ثابت ونية صادقة وعمل مصيب وتلا هذه الآية * وشكر الله الثواب على الطاعة (كلا) كل واحد من
الفريقين والتنوين عوض من المضاف اليه (نمد) هم نزيدهم من عطائنا ونجعل الآنف منه مددا للسالف
لا نقطعه فنرزق المطيع والعاصي جميعا على وجه التفضل (وما كان عطاء ربك) وفضله (محظورا) أي
ممنوعا لا يمنعه من عاص لعصيانه (انظر) بعين الاعتبار (كيف) جعلناهم متفاوتين في التفضل * وفي
الآخرة التفاوت أكبر لانها ثواب وأعواض وتفضل وكلها متفاوتة وروي أن قوما من الاشراف فمن دونهم
اجتمعوا بباب عمر رضي الله عنه فخرج الاذن لبلال وصهيب فشق على أبي سفيان فقال سهيل بن عمرو انما
أتينا من قبلنا انهم دعوا ودعينا يعني الى الاسلام فأسرعوا وأبطأنا وهذا باب عمر فكيف التفاوت في
الآخرة ولئن حسدتموهم على باب عمر لما أعد الله لهم في الجنة أكثر * وقرئ وأكثر تفضيلا وعن بعضهم أيها
المباهي بالرفع منك في مجالس الدنيا أما ترغب في المباهاة بالرفع في مجالس الآخرة وهي أكبر وأفضل
(فتقعد) من قولهم شحذ الشفرة حتى قعدت كأنها حربة بمعنى صارت يعني فتصير جامعا على نفسك الذم
وما يتبعه من الهلاك من إلهك والخذلان والعجز عن النصرة ممن جعلته شريكا له (وقضى ربك) وأمر
أمرا مقطوعا به (ألا تعبدوا) أن مفسرة ولا تعبدوا نهي أو بأن لا تعبدوا (وبالوالدين احسانا) وأحسنوا
بالوالدين احسانا أو بأن تحسنوا بالوالدين احسانا * وقرئ وأوصى وعن ابن عباس رضي الله عنهما ووصى
وعن بعض ولد معاذ بن جبل وقضاء ربك ولا يجوز أن يتعلق الباء في بالوالدين بالاحسان لان المصدر لا يتقدم
عليه صلته (اما) هي ان الشرطية زيدت عليها ما تأكيدا لها ولذلك دخلت النون المؤكدة في الفعل ولو
أفردت ان لم يصح دخولها لا تقول ان تكرمن زيدا يكرمك ولكن اما تكرمنه و(أحدهما) فاعل يبلغن
وهو فيمن قرأ يبلغان بدل من ألف الضمير الراجع الى الوالدين و(كلاهما) عطف على أحدهما فاعلا وبدلا
(فان قلت) لو قيل اما يبلغان كلاهما كان كلاهما توكيدا لا بدلا فما لك زعمت أنه بدل (قلت) لانه معطوف على
ما لا يصح أن يكون توكيدا للاثنين فانتظم في حكمه فوجب أن يكون مثله (فان قلت) ما ضرك لو جعلته
توكيدا مع كون المعطوف عليه بدلا وعطفت التوكيد على البدل (قلت) لو أريد توكيد التثنية لقيل
كلاهما فحسب فلما قيل أحدهما أو كلاهما علم أن التوكيد غير مراد فكان بدلا مثل الاول (أف) صوت يدل
على تضجر وقرئ أف بالحركات الثلاث منونا وغير منون الكسر على أصل البناء والفتح تخفيف للضمة
والتشديد كثم والضم اتباع كمنذ (فان قلت) ما معنى عندك (قلت) هو أن يكبرا ويعجزا وكانا كلا على ولدهما
لا كافل لهما غيره فهما عنده في بيته وكنفه وذلك أشق عليه وأشد احتمالا وصبرا وربما تولى منهما ما كانا
يتوليان منه في حال الطفولة فهو مأمور بأن يستعمل معهما وطأة الخلق ولين الجانب والاحتمال حتى
لا يقول لهما اذا أضجره ما يستقذر منهما أو يستثقل من مؤنهما أف فضلا عما يزيد عليه ولقد بالغ سبحانه
في التوصية بهما حيث افتتحها بأن شفع الاحسان اليهما بتوحيده ونظمهما في سلك القضاء بهما معا ثم
ضيق الامر في مراعاتهما حتى لم يرخص في أدنى كلمة تنفلت من المتضجر مع موجبات الضجر ومقتضياته
ومع أحوال لا يكاد يدخل صبر الانسان معها في الاستطاعة (ولا تنهرهما) ولا تزجرهما عما يتعاطيانه مما
لا يعجبك والنهي والنهر والنهم أخوات (وقل لهما) بدل التأفيف والنهر (قولا كريما) جميلا كما يقتضيه
حسن الأدب والنزول على المروءة وقيل هو أن يقول يا أبتاه يا أماه كما قال ابراهيم لابيه يا أبت مع كفره
ولا يدعوهما بأسمائهما فانه من الجفاء وسوء الأدب وعادة الدعار قالوا ولا بأس به في غير وجهه كما قالت
عائشة رضي الله عنها نحلني أبو بكر كذا * وقرئ جناح الذل والذل بالضم والكسر (فان قلت) ما معنى
قوله (جناح الذل) (قلت) فيه وجهان أحدهما أن يكون المعنى واخفض لهما جناحك كما قال

مدحورا ومن أراد
الآخرة وسعى لها سعيها
وهو مؤمن فأولئك
كان سعيهم مشكورا
كلا نمد هؤلاء وهؤلاء
من عطاء ربك وما كان
عطاء ربك محظورا
انظر كيف فضلنا بعضهم
على بعض وللآخرة
أكبر درجات وأكبر
تفضيلا لا تجعل مع الله
الها آخر فتقعد مذموما
مخذولا وقضى ربك ألا
تعبدوا الا اياه وبالوالدين
احسانا اما يبلغن عندك
الكبر أحدهما أو كلاهما
فلا تقل لهما أف
ولا تنهرهما وقل لهما
قولا كريما واخفض
لهما جناح الذل

واخفض جناحك للمؤمنين فأضافه الى الذل أو الذل كما أضيف حاتم الى الجود على معنى واخفض لهما جناحك
الذليل أو الذلول والثانى أن تجعل لذله أو لذله لهما جناحا خفيضا كما جعل لبيد للشمال يدا وللقرة زماما مبالغة
فى التذلل والتواضع لهما (من الرحمة) من فرط رحمتك لهما وعطفك عليهما لكبرهما وافتقارهما اليوم
الى من كان أفقر خلق الله اليهما بالامس * ولا تكتف برحمتك عليهما التى لا بقاء لها وادع الله بأن يرحمهما
رحمته الباقية واجعل ذلك جزاء لرحمتهما عليك فى صغرك وتربيتهما لك (فان قلت) الاسترحام لهما لا يصح
اذا كانا مسلمين (قلت) واذا كانا كافرين فله أن يسترحم لهما بشرط الايمان وأن يدعو الله لهما بالهداية
والارشاد ومن الناس من قال كان الدعاء للكفار جائزا ثم نسخ وسئل ابن عيينة عن الصدقة عن الميت فقال
كل ذلك واصل اليه ولا شىء أنفع له من الاستغفار ولو كان شىء أفضل منه لامركم به فى الابوين ولقد كرر الله
سبحانه فى كتابه الوصية بالوالدين وعن النبى صلى الله عليه وسلم رضا الله فى رضا الوالدين وسخطه فى سخطهما
وروى يعمل البار ما شاء أن يعمل فلن يدخل النار ويعمل العاق ما شاء أن يعمل فلن يدخل الجنة وروى
سعيد بن المسيب ان البار لا يموت ميتة سوء وقال رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان أبوى بلغا من الكبر
أنى ألى منهما ما وليا منى فى الصغر فهل قضيتهما قال لا فانهما كانا يفعلان ذلك وهما يحبان بقاءك وأنت تفعل
ذلك وأنت تريد موتهما وشكا رجل الى رسول الله أباه وأنه يأخذ ماله فدعا به فاذا شيخ يتوكأ على عصا فسأله
فقال انه كان ضعيفا وأنا قوى وفقيرا وأنا غنى فكنت لا أمنعه شيئا من مالى واليوم أنا ضعيف وهو قوى وأنا
فقير وهو غنى ويبخل على بماله فبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ما من حجر ولا مدر يسمع هذا الا بكى
ثم قال للولد أنت ومالك لابيك أنت ومالك لابيك وشكا اليه آخر سوء خلق أمه فقال لم تكن سيئة الخلق
حين حملتك تسعة أشهر قال انها سيئة الخلق قال لم تكن كذلك حين أرضعتك حولين قال انها سيئة الخلق قال
لم تكن كذلك حين أسهرت لك ليلها وأظمأت نهارها قال لقد جازيتها قال ما فعلت قال حججت بها على عاتقى قال
ما جزيتها ولو طلقة وعن ابن عمر أنه رأى رجلا فى الطواف يحمل أمه ويقول

انى لها مطيـــة لا تذعر * اذا الركاب نفرت لا تنفر
ما حملت وأرضعتنى أكثر * الله ربى ذو الجلال الاكبر

تظننى جزيتها يا ابن عمر فقال لا ولو زفرة واحدة وعنه عليه الصلاة والسلام اياكم وعقوق الوالدين فان الجنة
توجد ريحها من مسيرة ألف عام ولا يجد ريحها عاق ولا قاطع رحم ولا شيخ زان ولا جار ازاره خيلاء ان
الكبرياء لله رب العالمين وقال الفقهاء لا يذهب بأبيه الى البيعة واذا بعث اليه منها ليحمله فعل ولا يناوله الخمر
ويأخذ الاناء منه اذا شربها وعن أبى يوسف اذا أمره أن يوقد تحت قدره وفيها لحم الخنزير أوقد وعن حذيفة
أنه استأذن النبى صلى الله عليه وسلم فى قتل أبيه وهو فى صف المشركين فقال دعه يليه غيرك وسئل الفضيل
ابن عياض عن بر الوالدين فقال أن لا تقوم الى خدمتهما عن كسل وسئل بعضهم فقال أن لا ترفع صوتك
عليهما ولا تنظر شزرا اليهما ولا يريا منك مخالفة فى ظاهر ولا باطن وأن تترحم عليهما ما عاشا وتدعو لهما اذا
ماتا وتقوم بخدمة أودائهما من بعدهما فعن النبى صلى الله عليه وسلم ان من أبر البر أن يصل الرجل أهل ود
أبيه (بما فى نفوسكم) بما فى ضمائركم من قصد البر الى الوالدين واعتقاد ما يجب لهما من التوقير (ان تكونوا
صالحين) قاصدين الصلاح والبر ثم فرطت منكم فى حال الغضب وعند حرج الصدر وما لا يخلو منه البشر
أو لحمية الاسلام هنة تؤدى الى أذاهما ثم أبتم الى الله واستغفرتم منها فان الله غفور (للاوابين) للتوابين وعن
سعيد بن جبير هى فى البادرة تكون من الرجل الى أبيه لا يريد بذلك الا الخير وعن سعيد بن المسيب الاواب
الرجل كلما أذنب بادر بالتوبة ويجوز أن يكون هذا عاما لكل من فرطت منه جناية ثم تاب منها ويندرج
تحته الجانى على أبويه التائب من جنايته لوروده على أثره (وآت ذا القربى حقه) وصى بغير الوالدين من
الاقارب بعد التوصية بهما وأن يؤتوا حقهم وحقهم اذا كانوا محارم كالابوين والولد وفقراء عاجزين عن
الكسب وكان الرجل موسرا أن ينفق عليهم عند أبى حنيفة والشافعى لا يرى النفقة الا على الولد والوالدين

من الرحمة وقل رب
ارحمهما كما ربيانى صغيرا
ربكم أعلم بما فى نفوسكم
ان تكونوا صالحين فانه
كان للاوابين غفورا
وآت ذى القربى حقه

حسب وإن كانوا مياسير أولم يكونوا محارم كأبناء العم بحقهم صلتهم بالمودة والزيارة وحسن المعاشرة والمؤالفة
على السراء والضراء والمعاضدة ونحو ذلك (والمسكين وابن السبيل) يعني وآت هؤلاء حقهم من الزكاة وهذا
دليل على أن المراد بما يؤتى ذوي القربى من الحق هو تعهدهم بالمال وقيل أراد بذي القربى أقرباء رسول الله
صلى الله عليه وسلم * التبذير تفريق المال فيما لا ينبغي وإنفاقه على وجه الإسراف وكانت الجاهلية تنحر إبلها
وتتياسر عليها وتبذر أموالها في الفخر والسمعة وتذكر ذلك في أشعارها فأمر الله بالنفقة في وجوهها مما
يقرب منه ويزلف وعن عبد الله هو إنفاق المال في غير حقه وعن مجاهد لو أنفق مدا في باطل كان تبذيرا
وقد أنفق بعضهم نفقة في خير فأكثر فقال له صاحبه لا خير في السرف فقال لا سرف في الخير وعن عبد الله بن
عمرو مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بسعد وهو يتوضأ فقال ما هذا السرف يا سعد قال أوفي الوضوء سرف
قال نعم وإن كنت على نهر جار (إخوان الشياطين) أمثالهم في الشرارة وهي غاية المذمة لأنه لا شر من
الشيطان أو هم إخوانهم وأصدقاؤهم لأنهم يطيعونهم فيما يأمرونهم به من الإسراف أو هم قرناؤهم في النار
على سبيل الوعيد (وكان الشيطان لربه كفورا) فما ينبغي أن يطاع فإنه لا يدعو إلا إلى مثل فعله وقرأ الحسن
إخوان الشيطان وإن أعرضت عن ذي القربى والمسكين وابن السبيل حياء من الرد (فقل لهم قولا ميسورا)
ولا تتركهم غير مجابين إذا سألوك وكان النبي صلى الله عليه وسلم إذا سئل شيئا وليس عنده أعرض عن السائل
وسكت حياء * وقوله ابتغاء رحمة من ربك إما أن يتعلق بجواب الشرط مقدما عليه أي فقل لهم قولا سهلا
لينا وعدهم وعدا جميلا رحمة لهم وتطييبا لقلوبهم ابتغاء رحمة من ربك أي ابتغ رحمة الله التي ترجوها برحمتك
عليهم وإما أن يتعلق بالشرط أي وإن أعرضت عنهم لفقد رزق من ربك ترجو أن يفتح لك فسمى الرزق رحمة
فردهم ردا جميلا فوضع الابتغاء موضع الفقد لأن فاقد الرزق مبتغ له فكان الفقد سبب الابتغاء والابتغاء
مسببا عنه فوضع المسبب موضع السبب ويجوز أن يكون معنى وإما تعرضن عنهم وإن لم تنفعهم ولم ترفع
خصاصتهم لعدم الاستطاعة ولا يريد الإعراض بالوجه كناية بالإعراض عن ذلك لأن من أبى أن يعطي
أعرض بوجهه * يقال يسر الأمر وعسر مثل سعد الرجل ونحس فهو مفعول وقيل معناه فقل لهم رزقنا الله
وإياكم من فضله على أنه دعاء لهم ييسر عليهم فقرهم كأن معناه قولا ذا ميسور وهو اليسر أي دعاء فيه يسر
هذا تمثيل لمنع الشحيح وإعطاء المسرف وأمر بالاقتصاد الذي هو بين الإسراف والتقتير (فتقعد ملوما) فتصير
ملوما عند الله لأن المسرف غير مرضي عنده وعند الناس يقول المحتاج أعطى فلانا وحرمني ويقول المستغني
ما يحسن تدبير أمر المعيشة وعند نفسك إذا احتجت فندمت على ما فعلت (محسورا) منقطعا بك لا شيء عندك
من حسره السفر إذا بلغ منه وحسره بالمسألة وعن جابر بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس أتاه صبي
فقال إن أمي تستكسيك درعا فقال من ساعة إلى ساعة يظهر فعد إلينا فذهب إلى أمه فقالت له قل له إن أمي
تستكسيك الدرع الذي عليك فدخل داره ونزع قميصه وأعطاه وقعد عريانا وأذن بلال وانتظر فلم يخرج
للصلاة وقيل أعطى الأقرع بن حابس مائة من الإبل وعيينة بن حصن كذلك فجاء عباس بن مرداس وأنشأ يقول

أتجعل نهبي ونهب العبيـ ـد بين عيينة والأقرع
وما كان حصن ولا حابس * يفوقان جدي في مجمع
وما كنت دون امرئ منهما * ومن تضع اليوم لا يرفع

فقال يا أبا بكر اقطع لسانه عني أعطه مائة من الإبل فنزلت * ثم سلى رسول الله صلى الله عليه وسلم عما كان يرهقه
من الإضاقة بأن ذلك ليس لهوان منك عليه ولا لبخل به عليك ولكن لأن مشيئته في بسط الأرزاق وقدرها
تابعة للحكمة والمصلحة ويجوز أن يريد أن البسط والقبض إنما هما من أمر الله الذي الخزائن في يده فأما
العباد فعليهم أن يقتصدوا ويحتمل أنه عز وعلا بسط لعباده أو قبض فإنه يراعي أوسط الحالين لا يبلغ بالمبسوط
له غاية مراده ولا بالمقبوض عليه أقصى مكروهه فاستنوا بسنته * قتلهم أولادهم هو وأدهم بناتهم كانوا
يئدونهن خشية الفاقة وهي الإملاق فنهاهم الله وضمن لهم أرزاقهم وقرئ خشية بكسر الخاء وقرئ خطأ

والمسكين وابن السبيل
ولا تبذر تبذيرا إن
المبذرين كانوا إخوان
الشياطين وكان
الشيطان لربه كفورا
وإما تعرضن عنهم ابتغاء
رحمة من ربك ترجوها
فقل لهم قولا ميسورا
ولا تجعل يدك مغلولة
إلى عنقك ولا تبسطها
كل البسط فتقعد ملوما
محسورا إن ربك يبسط
الرزق لمن يشاء ويقدر
إنه كان بعباده خبيرا
بصيرا ولا تقتلوا أولادكم
خشية إملاق نحن
نرزقهم وإياكم إن قتلهم
كان خطأ كبيرا ولا
تقربوا الزنا إنه كان

وهو

فاحشة وساء سبيلا ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا فلا يسرف في القتل انه كان منصورا ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده وأوفوا بالعهد ان العهد كان مسئولا وأوفوا الكيل اذا كلتم وزنوا بالقسطاس المستقيم ذلك خير وأحسن تأويلا ولا تقف ما ليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا ولا تمش في الارض مرحا انك

وهو الاثم يقال خطئ خطأ كاثم اثما وخطأ وهو ضد الصواب اسم من أخطأ وقيل هو والخطء كالحذر والحذر وخطاء بالكسر والمد وخطاء بالفتح والمد وخطأ بالفتح والسكون وعن الحسن خطاء بالفتح وحذف الهمزة كالخطا وعن أبي رجاء بكسر الخاء غير مهموز (فاحشة) قبيحة زائدة على حد القبح (وساء سبيلا) وبئس طريقا طريقه وهو أن يغصب على غيره امرأته أو أخته أو بنته من غير سبب والسبب ممكن وهو الصهر الذي شرعه الله (الا بالحق) الا باحدى ثلاث الا بان تكفر أو تقتل مؤمنا عمدا أو تزني بعد احصان (مظلوما) غير راكب واحدة منهن (لوليه) للذي بينه وبينه قرابة توجب المطالبة بدمه فان لم يكن له ولي فالسلطان وليه (سلطانا) تسلطا على القاتل في الاقتصاص منه أو حجة يثبت بها عليه (فلا يسرف) الضمير للولي أي فلا يقتل غير القاتل ولا اثنين والقاتل واحد كعادة الجاهلية كانوا اذا قتل منهم واحد قتلوا به جماعة حتى قال مهلهل حين قتل بجير بن الحرث بن عباد بؤ بشسع نعل كليب وقال

كل قتيل في كليب غرة * حتى ينال القتل آل مرة

وكانوا يقتلون غير القاتل اذا لم يكن بواء وقيل الاسراف المثلة وقرأ أبو مسلم صاحب الدولة فلا يسرف بالرفع على انه خبر في معنى الامر وفيه مبالغة ليست في الامر وعن مجاهد أن الضمير للقاتل الاول وقرئ فلا تسرف على خطاب الولي أو قاتل المظلوم وفي قراءة أبي فلا تسرفوا رده على ولا تقتلوا (انه كان منصورا) الضمير اما للولي يعني حسبه أن الله قد نصره بان أوجب له القصاص فلا يستزد على ذلك وبان الله قد نصره بمعونة السلطان وباظهار المؤمنين على استيفاء الحق فلا يبغ ما وراء حقه واما للمظلوم لان الله ناصره حيث أوجب القصاص بقتله وينصره في الآخرة بالثواب واما للذي يقتله الولي بغير حق ويسرف في قتله فانه منصور بايجاب القصاص على المسرف (بالتي هي أحسن) بالخصلة أو الطريقة التي هي أحسن وهي حفظه عليه وتثميره (ان العهد كان مسئولا) أي مطلوبا يطلب من المعاهد أن لا يضيعه ويفي به ويجوز أن يكون تخييلا كانه يقال للعهد لم نكثت وهلا وفي بك تبكيتا للناكث كما يقال للموؤدة بأي ذنب قتلت ويجوز أن يراد أن صاحب العهد كان مسئولا * وقرئ (بالقسطاس) بالضم والكسر وهو القرسطون وقيل كل ميزان صغر أو كبر من موازين الدراهم وغيرها (وأحسن تأويلا) وأحسن عاقبة وهو تفعيل من آل اذا رجع وهو ما يؤول اليه (ولا تقف) ولا تتبع وقرئ ولا تقف يقال قفا أثره وقافه ومنه القافة يعني ولا تكن في اتباعك ما لا علم لك به من قول أو فعل كمن يتبع مسلكا لا يدري أنه يوصله الى مقصده فهو ضال والمراد النهي عن أن يقول الرجل ما لا يعلم وأن يعمل بما لا يعلم ويدخل فيه النهي عن التقليد دخولا ظاهرا لانه اتباع لما لا يعلم صحته من فساده وعن ابن الحنفية شهادة الزور وعن الحسن لا تقف أخاك المسلم اذا مر بك فتقول هذا يفعل كذا ورأيته يفعل وسمعته ولم تره ولم تسمع وقيل القفو شبيه بالعضيهة ومنه الحديث من قفا مؤمنا بما ليس فيه حبسه الله في ردغة الخبال حتى يأتي بالمخرج وأنشد

ومثل الدمى شم العرانين ساكن * بهن الحياء لا يشعن التقافيا

أي التقاذف وقال الكميت

ولا أرمي البري بغير ذنب * ولا أقفو الحواصن ان قفينا

وقد استدل به مبطل الاجتهاد ولم يصح لان ذلك نوع من العلم فقد أقام الشرع غالب الظن مقام العلم وأمر بالعمل به (أولئك) اشارة الى السمع والبصر والفؤاد كقوله * والعيش بعد أولئك الايام * و(عنه) في موضع الرفع بالفاعلية أي كل واحد منها كان مسئولا عنه فمسئول مسند الى الجار والمجرور كالمغضوب في قوله غير المغضوب عليهم يقال للانسان لم سمعت ما لم يحل لك سماعه ولم نظرت الى ما لم يحل لك النظر اليه ولم عزمت على ما لم يحل لك العزم عليه * وقرئ والفواد بفتح الفاء والواو قلبت الهمزة واوا بعد الضمة في الفؤاد ثم استصحب القلب مع الفتح (مرحا) حال أي ذا مرح وقرئ مرحا وفضل الاخفش المصدر على اسم الفاعل لما

* قوله تعالى وأوفوا بالعهد ان العهد كان مسئولا (قال أي يطلب من المعاهد أن يفي به ولا يضيعه الخ) قال أحمد كلام حسن الا لفظة التخييل فقد تقدم انكارها عليه وينبغي أن يعوض بالتمثيل والظاهر التأويل الاول ويكون المجرور الذي هو عنه حذف تعميما وقد ذكر في بقية الآية كل أولئك كان عنه مسئولا والله أعلم ويعضد تأويل سؤال العهد نفسه على وجه التمثيل وقوف الرحم بين يدي الله وسؤالها قاطعها وواصلها وقد ورد ذلك في الحديث الصحيح والله الموفق

قوله عز وجل ولا تمش فى الارض مرحا انك لن تخرق الارض ولن تبلغ الجبال طولا (قال معناه لن تجعل فيها خرقا الخ) قال أحمد وفى
هذا التهكم والتقريع لمن يعتاد هذه المشية كفاية فى الانزجار عنها ولقد حفظ الله عوام زمننا عن هذه المشية وتورط فيها قراؤنا وفقهاؤنا
بينا أحدهم قد عرف مسئلتين أو أجلس بين يديه طالبين أو شدا طرفا من رياسة دنيا اذ هو يتبختر فى مشيته ويترجح ولا يرى انه يطاول
الجبال ولكن يحك بيافوخه عنان السماء كأنهم يمرون على أولئك وهم عنها معرضون وما يبعد أن تقرأ القرآن أو يقرأ عليه وقسه عن
تدبره على مراحل والله ولى التوفيق (٧٠٨) قوله تعالى تسبح له السموات السبع والارض ومن فيهن وان من شئ الا يسبح بحمده
ولكن لا تفقهون تسبيحهم انه كان حليما غفورا (قال المراد تسبيحها

لن تخرق الارض ولن تبلغ الجبال طولا كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروها ذلك مما أوحى اليك ربك من الحكمة ولا تجعل مع الله الها آخر فتلقى فى جهنم ملوما مدحورا أفأصفاكم ربكم بالبنين واتخذ من الملائكة اناثا انكم لتقولون قولا عظيما ولقد صرفنا فى هذا القرآن ليذكروا وما يزيدهم الا نفورا قل لو كان معه آلهة كما تقولون اذا لابتغوا الى ذى العرش سبيلا سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا تسبح له السموات والارض ومن فيهن وان من شئ الا يسبح بحمده

فيه من التأكيد (لن تخرق الارض) لن تجعل فيها خرقا بدوسك لها وشدة وطأتك وقرئ لن تخرق بضم الراء
(ولن تبلغ الجبال طولا) بتطاولك وهو تهكم بالمختال ● قرئ سيئة وسيئه على اضافة سئ الى ضمير كل وسيآ
فى بعض المصاحف وسيآت وفى قراءة أبى بكر الصديق رضى الله عنه كان شأنه (فان قلت) كيف قيل سيئة
مع قوله مكروها (قلت) السيئة فى حكم الاسماء بمنزلة الذنب والاثم زال عنه حكم الصفات فلا اعتبار بتأنيثه
ولا فرق بين من قرأ سيئة وسيآ ألا ترى انك تقول الزنا سيئة كما تقول السرقة سيئة فلا تفرق بين اسنادها الى
مذكر ومؤنث (فان قلت) فما ذكر من الخصال بعضها سئ وبعضها حسن ولذلك قرأ من قرأ سيئه بالاضافة
فما وجه من قرأ سيئة (قلت) كل ذلك احاطة بما نهى عنه خاصة لا بجميع الخصال المعدودة (ذلك) اشارة
الى ما تقدم من قوله لا تجعل مع الله الها آخر الى هذه الغاية ● وسماه حكمة لانه كلام محكم لا مدخل فيه
للفساد بوجه وعن ابن عباس هذه الثمانى عشرة آية كانت فى ألواح موسى أولها لا تجعل مع الله الها آخر
قال الله تعالى وكتبنا له فى الالواح من كل شئ موعظة وهى عشر آيات فى التوراة ولقد جعل الله فاتحتها وخاتمتها
النهى عن الشرك لان التوحيد هو رأس كل حكمة وملاكها ومن عدمه لم تنفعه حكمه وعلومه وان بذ فيها
الحكماء وحك بيافوخه السماء وما أغنت عن الفلاسفة أسفار الحكم وهم عن دين الله أضل من النعم
(أفأصفاكم) خطاب للذين قالوا الملائكة بنات الله والهمزة للانكار يعنى أفخصكم ربكم على وجه الخلوص
والصفاء بأفضل الاولاد وهم الذكور لم يجعل فيهم نصيبا لنفسه واتخذ أدونهم وهى البنات وهذا خلاف
الحكمة وما عليه معقولكم وعادتكم فان العبيد لا يؤثرون بأجود الاشياء وأصفاها من الشوب ويكون أردؤها
وأدونها للسادات (انكم لتقولون قولا عظيما) باضافتكم اليه الاولاد وهى خاصة بالاجسام ثم بأنكم تفضلون
عليه أنفسكم حيث تجعلون له ما تكرهون ثم بأن تجعلوا الملائكة وهم أعلى خلق الله وأشرفهم أدون خلق
الله وهم الاناث (ولقد صرفنا فى هذا القرآن) يجوز أن يريد بهذا القرآن ابطال اضافتهم الى الله البنات لانه
مما صرفه وكرر ذكره والمعنى ولقد صرفنا القول فى هذا المعنى أو أوقعنا التصريف فيه وجعلناه مكانا
للتكرير ويجوز أن يشير بهذا القرآن الى التنزيل ويريد ولقد صرفناه يعنى هذا المعنى فى مواضع من
التنزيل فترك الضمير لانه معلوم وقرئ صرفنا بالتخفيف وكذلك (ليذكروا) قرئ مشددا ومخففا أى كررناه
ليتعظوا ويعتبروا ويطمئنوا الى ما يحتج به عليهم (وما يزيدهم الا نفورا) عن الحق وقلة طمأنينة اليه
وعن سفيان كان اذا قرأها قال زادنى لك خضوعا ما زاد أعداءك نفورا ● قرئ كما تقولون بالتاء والياء
و (اذا) دالة على أن ما بعدها وهو لابتغوا جواب عن مقالة المشركين وجزاء للو ومعنى (لابتغوا الى ذى
العرش سبيلا) لطلبوا الى من له الملك والربوبية سبيلا بالمغالبة كما يفعل الملوك بعضهم مع بعض كقوله لو كان
فيهما آلهة الا الله لفسدتا وقيل لتقربوا اليه كقوله أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة (علوا)
فى معنى تعاليا والمراد البراءة من ذلك والنزاهة ● ومعنى وصف العلو بالكبر المبالغة فى معنى البراءة والبعد
مما وصفوه به ● والمراد أنها تسبح له بلسان الحال حيث تدل على الصانع وعلى قدرته وحكمته فكأنها تنطق

بلسان الحال من حيث تدل على الصانع الخ) قال أحمد ولقائل أن
يقول فما يصنع بقوله كان حليما غفورا وهو لا يغفر للمشركين ولا يتجاوز عن جهلهم بذلك
وكفرهم وشركهم وانما يخاطب بهاتين الصفتين المؤمنون والظاهر أن المخاطب المؤمنون وأما عدم فقههم التسبيح الصادر من
الجمادات فكأنه والله أعلم من عدم العمل بمقتضى ذلك فان الانسان لو تيقظ حق التيقظ الى ان النملة والبعوضة وكل ذرة من ذرات
الكون تسبح لله وتنزهه وتشهد بجلاله وكبريائه وقهره وعمر خاطره بهذا الفهم لكاد ذلك يشغله عن القوت فضلا عن فضول الكلام
والافعال والعاكف على الغيبة التى هى فاكهة فى زماننا هذا لو استشعر حال اغتيابه فيها أن كل ذرة وجوهر من ذرات لسانه الذى يلقلقه

فى حفظ الله تعالى عليه مشغولة بلؤه بتقديس الله تعالى وتسبيحه وتخويف عقابه وارهاب جبروته وتيقظا لذلك حتى لتيقظ الكاد أن لا يتكلم بقية عمره فالظاهر والله أعلم ان الآية غا وردت حطا على الغالب فى أحوال الغافلين (٧٠٩) وان كانوا مؤمنين والله الموفق

ولكن لا تفقهون تسبيحهم انه كان حليما غفورا واذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفى آذانهم وقرا واذا ذكرت ربك فى القرآن وحده ولوا على أدبارهم نفورا نحن أعلم بما يستمعون به اذ يستمعون اليك واذ هم نجوى اذ يقول الظالمون ان تتبعون الا رجلا مسحورا انظر كيف ضربوا لك الامثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا وقالوا أئذا كنا عظاما ورفاتا أئنا لمبعوثون خلقا جديدا قل كونوا حجارة أو حديدا أو خلقا مما يكبر فى صدوركم فسيقولون من يعيدنا قل الذى فطركم أول مرة فسينغضون اليك رؤسهم ويقولون متى هو قل عسى أن يكون قريبا يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده وتظنون ان لبثتم الا قليلا

بذلك وكانه تنزه الله عز وجل مما لا يجوز عليه من الشركاء وغيرها (فان قلت) فما تصنع بقوله (ولكن لا تفقهون تسبيحهم) وهذا التسبيح معقول معلوم (قلت) الخطاب للمشركين وهم وان كانوا اذا سئلوا عن خالق السموات والارض قالوا الله الا أنهم لما جعلوا معه آلهة مع اقرارهم فكأنهم لم ينظروا ولم يقروا لان نتيجة النظر الصحيح والاقرار الثابت خلاف ما كانوا عليه فاذا لم يفقهوا التسبيح ولم يستوضحوا الدلالة على الخالق (فان قلت) من فيهن يسبحون على الحقيقة وهم الملائكة والثقلان وقد عطفوا على السموات والارض فما وجهه (قلت) التسبيح المجازى حاصل فى الجميع فوجب الحمل عليه والا كانت الكلمة الواحدة فى حالة واحدة محمولة على الحقيقة والمجاز (انه كان حليما غفورا) حين لا يعاجلكم بالعقوبة على غفلتكم وسوء نظركم وجهلكم بالتسبيح وشرككم (حجابا مستورا) ذا ستر كقولهم سيل مفعم ذو افعام وقيل هو حجاب لا يرى فهو مستور ويجوز أن يراد أنه حجاب من دونه حجاب أو حجب فهو مستور بغيره أو حجاب يستر أن يبصر فكيف يبصر المحتجب به وهذه حكاية لما كانوا يقولونه وقالوا قلوبنا فى أكنة مما تدعونا اليه وفى آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب كأنه قال واذا قرأت القرآن جعلنا على زعمهم (أن يفقهوه) كراهة أن يفقهوه أولان قوله وجعلنا على قلوبهم أكنة فيه معنى المنع من الفقه فكأنه قيل ومنعناهم أن يفقهوه يقال وحد يحد وحدا وحدة نحو وعد يعد وعدا وعدة و(وحده) من باب رجع عوده على بدئه وافعله جهدك وطاقتك فى أنه مصدر ساد مسد الحال أصله يحد وحده بمعنى واحدا وحده والنفور مصدر بمعنى التولية أو جمع نافر كقاعد وقعود أى يحبون أن تذكر معه آلهتهم لانهم مشركون فاذا سمعوا بالتوحيد نفروا (بما يستمعون به) من الهزؤ بك وبالقرآن ومن اللغو كان يقوم عن يمينه اذا قرأ رجلان من عبد الدار ورجلان منهم عن يساره فيصفقون ويصفرون ويخلطون عليه بالاشعار وبه فى موضع الحال كما تقول يستمعون بالهزؤ أى هازئين و(اذ يستمعون) نصب بأعلم أى أعلم وقت استماعهم بما به يستمعون (واذ هم نجوى) وبما يتناجون به اذ هم ذو نجوى (اذ يقول) بدل من اذ هم (مسحورا) سحر فجن وقيل هو من السحر وهو الرئة أى هو بشر مثلكم (ضربوا لك الامثال) مثلوك بالشاعر والساحر والمجنون (فضلوا) فى جميع ذلك ضلال من يطلب فى التيه طريقا يسلكه فلا يقدر عليه فهو متحير فى أمره لا يدرى ما يصنع لما قالوا أئذا كنا عظاما قيل لهم (كونوا حجارة أو حديدا) فرد قوله كونوا على قولهم كنا كأنه قيل كونوا حجارة أو حديدا ولا تكونوا عظاما فانه يقدر على احيائكم والمعنى أنكم تستبعدون أن يجدد الله خلقكم ويرده الى حال الحياة والى رطوبة الحى وغضاضته بعد ما كنتم عظاما يابسة مع أن العظام بعض أجزاء الحى بل هى عمود خلقه الذى يبنى عليه سائره فليس ببدع أن يردها الله بقدرته الى حالتها الاولى ولكن لو كنتم أبعد شئ من الحياة ورطوبة الحى ومن جنس ما ركب منه البشر وهو أن تكونوا حجارة يابسة أو حديدا مع أن طباعها الجساوة والصلابة لكان قادرا على أن يردكم الى حال الحياة (أو خلقا مما يكبر فى صدوركم) يعنى أو خلقا مما يكبر عندكم عن قبول الحياة ويعظم فى زعمكم على الخالق احياؤه فانه يحييه وقيل ما يكبر فى صدورهم الموت وقيل السموات والارض (فسينغضون) فسيحركونها نحوك تعجبا واستهزاء والدعاء والاستجابة كلاهما مجاز والمعنى يوم يبعثكم فتنبعثون مطاوعين منقادين لا تمتنعون وقوله (بحمده) حال منهم أى حامدين وهى مبالغة فى انقيادهم للبعث كقولك لمن تأمره بركوب ما يشق عليه فيتأبى ويمتنع ستركبه وأنت حامد شاكر يعنى أنك تحمل عليه وتقسر قسرا حتى انك تلين لين المسمح الراغب فيه الحامد عليه وعن سعيد بن جبير ينفضون التراب عن رؤسهم ويقولون سبحانك اللهم وبحمدك (وتظنون) وترون الهول فعنده تستقصرون مدة لبثكم فى الدنيا وتحسبونها يوما

فالحمد لله الذى كان حليما غفورا فهاذكلامه (قال ان قلت من فيهن يسبحون حقيقة وهم الملائكة الخ) قال احمد وقد تقدم نقلى عنه انه يأبى حمل اللفظ على حقيقته ومجازه دفعة واحدة عند آية السجدة فى النحل ولكن ظهر من كلامه ثم جعل السجود عبارة عن الانقياد وعدم الامتناع على القدرة فيكون متناولا للمكلفين وغير المكلفين بطريق التواطؤ وقد يكون أرادتم المجاز والله الموفق

وقل لعبادى يقولوا التى هى أحسن ان الشيطان ينزغ بينهم ان الشيطان كان للانسان عدوا مبينا ربكم أعلم بكم ان يشأ يرحمكم أو ان يشأ يعذبكم وما أرسلناك عليهم وكيلا وربك أعلم بمن فى السموات والارض ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض وآتينا داود زبورا قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه ان عذاب ربك كان محذورا وان من قرية الا نحن مهلكوها قبل يوم القيامة أو معذبوها عذابا شديدا كان ذلك فى الكتاب مسطورا وما منعنا ان نرسل بالآيات الا ان كذب بها الاولون وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها وما نرسل بالآيات

أو بعض يوم وعن قتادة تحاقرت الدنيا فى أنفسهم حين عاينوا الآخرة (وقل لعبادى) وقل للمؤمنين (يقولوا) للمشركين الكلمة (التى هى أحسن) وألين ولا يخاشنوهم كقوله وجادلهم بالتى هى أحسن وفسر التى هى أحسن بقوله (ربكم أعلم بكم ان يشأ يرحمكم أو ان يشأ يعذبكم) يعنى يقولوا لهم هذه الكلمة ونحوها ولا يقولوا لهم انكم من أهل النار وانكم معذبون وما أشبه ذلك مما يغيظهم ويهيجهم على الشر وقوله (ان الشيطان ينزغ بينهم) اعتراض يعنى يلقى بينهم الفساد ويغرى بعضهم على بعض ليقع بينهم المشارة والمشاقة (وما أرسلناك عليهم وكيلا) أى ربا موكولا اليك أمرهم تقسرهم على الاسلام وتجبرهم عليه وانما أرسلناك بشيرا ونذيرا فدارهم ومر أصحابك بالمداراة والاحتمال وترك المحاقة والمكاشفة وذلك قبل نزول آية السيف وقيل نزلت فى عمر رضى الله عنه شتمه رجل فأمره الله بالعفو وقيل أفرط ايذاء المشركين للمسلمين فشكوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت وقيل الكلمة التى هى أحسن أن يقولوا يهديكم الله يرحمكم الله وقرأ طلحة ينزغ بالكسر وهما لغتان نحو يعرشون ويعرشون وهو رد على أهل مكة فى انكارهم واستبعادهم أن يكون يتيم أبى طالب نبيا وأن يكون العراة الجوع أصحابه كصهيب وبلال وخباب وغيرهم دون أن يكون ذلك فى بعض أكابرهم وصناديدهم يعنى وربك أعلم بمن فى السموات والارض وبأحوالهم وبمقاديرهم وبما يستأهل كل واحد منهم وقوله (ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض) اشارة الى تفضيل رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله (وآتينا داود زبورا) دلالة على وجه تفضيله وهو أنه خاتم الانبياء وأن أمته خير الامم لان ذلك مكتوب فى زبور داود قال الله تعالى ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر أن الارض يرثها عبادى الصالحون وهم محمد وأمته (فان قلت) هلا عرف الزبور كما عرف فى قوله ولقد كتبنا فى الزبور (قلت) يجوز أن يكون الزبور وزبور كالعباس وعباس والفضل وفضل وأن يريد وآتينا داود بعض الزبر وهى الكتب وأن يريد ما ذكر فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم من الزبور فسمى ذلك زبورا لانه بعض الزبور كما سمى بعض القرآن قرآنا هم الملائكة وقيل عيسى بن مريم وعزير وقيل نفر من الجن عبدهم ناس من العرب ثم أسلم الجن ولم يشعروا أى ادعوهم فهم لا يستطيعون أن يكشفوا عنكم الضر من مرض أو فقر أو عذاب ولا أن يحولوه من واحد الى آخر أو يبدلوه و(أولئك) مبتدأ و(الذين يدعون) صفته و(يبتغون) خبره يعنى أن آلهتهم أولئك يبتغون الوسيلة وهى القربة الى الله تعالى و(أيهم) بدل من واو يبتغون وأى موصولة أى يبتغى من هو أقرب منهم وأزلف الوسيلة الى الله فكيف بغير الاقرب أو ضمن يبتغون الوسيلة معنى يحرصون فكأنه قيل يحرصون أيهم يكون أقرب الى الله وذلك بالطاعة وازدياد الخير والصلاح ويرجون ويخافون كما غيرهم من عباد الله فكيف يزعمون أنهم آلهة (ان عذاب ربك كان) حقيقا بأن يحذره كل أحد من ملك مقرب ونبى مرسل فضلا عن غيرهم (نحن مهلكوها) بالموت والاستئصال (أو معذبوها) بالقتل وأنواع العذاب وقيل الهلاك للصالحة والعذاب للطالحة وعن مقاتل وجدت فى كتب الضحاك بن مزاحم فى تفسيرها أما مكة فيخربها الحبشة وتهلك المدينة بالجوع والبصرة بالغرق والكوفة بالترك والجبال بالصواعق والرواجف وأما خراسان فعذابها ضروب ثم ذكرها بلدا بلدا (فى الكتاب) فى اللوح المحفوظ • استعير المنع لترك ارسال الآيات من أجل صارف الحكمة • وأن الاولى منصوبة والثانية مرفوعة تقديره وما منعنا ارسال الآيات الا تكذيب الاولين والمراد الآيات التى اقترحتها قريش من قلب الصفا ذهبا ومن احياء الموتى وغير ذلك وعادة الله فى الامم أن من اقترح منهم آية فأجيب اليها ثم لم يؤمن أن يعاجل بعذاب الاستئصال فالمعنى وما صرفنا عن ارسال ما يقترحونه من الآيات الا أن كذب بها الذين هم أمثالهم من المطبوع على قلوبهم كعاد وثمود وأنها لو أرسلت لكذبوا بها تكذيب أولئك وقالوا هذا سحر مبين كما يقولون فى غيرها واستوجبوا العذاب المستأصل وقد عزمنا أن نؤخر أمر من بعثت اليهم الى يوم القيامة • ثم ذكر من تلك الآيات التى اقترحها الاولون ثم كذبوا بها لما أرسلت فأهلكوا واحدة وهى ناقة صالح لان آثار هلاكهم فى بلاد العرب قريبة من حدودهم يبصرها صادرهم وواردهم (مبصرة) بينة وقرئ مبصرة بفتح الميم (فظلموا بها) فكفروا بها (وما نرسل بالآيات) ان أراد بها

الآيات

الآيات المقترحة فالمعنى لا نرسلها (الا تخويفا) من نزول العذاب العاجل كالطليعة والمقدمة له فان لم يخافوا وقع عليهم وان أراد غيرها فالمعنى وما نرسل ما نرسل من الآيات كآيات القرآن وغيرها الا تخويفا وانذارا بعذاب الآخرة (واذ قلنا لك ان ربك أحاط بالناس) واذكر اذ أوحينا اليك ان ربك أحاط بقريش يعني بشرناك بوقعة بدر وبالنصرة عليهم وذلك قوله سيهزم الجمع ويولون الدبر قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون وغير ذلك فجعله كأن قد كان ووجد فقال أحاط بالناس على عادته في أخباره وحين تزاحف الفريقان يوم بدر والنبي صلى الله عليه وسلم في العريش مع أبي بكر رضي الله عنه كان يدعو ويقول اللهم اني أسألك عهدك ووعدك ثم خرج وعليه الدرع يحرض الناس ويقول سيهزم الجمع ويولون الدبر ولعل الله تعالى أراه مصارعهم في منامه فقد كان يقول حين ورد ماء بدر والله لكأني أنظر الى مصارع القوم وهو يومئ الى الارض ويقول هذا مصرع فلان هذا مصرع فلان فتسامعت قريش بما أوحي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من أمر يوم بدر وما أري في منامه من مصارعهم فكانوا يضحكون ويسخرون ويستعجلون به استهزاء وحين سمعوا قوله ان شجرة الزقوم طعام الاثيم جعلوها سخرية وقالوا ان محمدا يزعم أن الجحيم تحرق الحجارة ثم يقول ينبت فيها الشجر وما قدروا الله حق قدره من قال ذلك وما أنكروا أن يجعل الله الشجرة من جنس لا تأكله النار فهذا وبر السمندل وهو دويبة ببلاد الترك تتخذ منه مناديل اذا اتسخت طرحت في النار فذهب الوسخ وبقي المنديل سالما لا تعمل فيه النار وترى النعامة تبتلع الجمر وقطع الحديد المحمر كالجمر باحماء النار فلا تضرها ثم أقرب من ذلك أنه خلق في كل شجرة نارا ولا تحرقها فما أنكروا أن يخلق في النار شجرة لا تحرقها والمعنى أن الآيات انما نرسل بها تخويفا للعباد وهؤلاء قد خوفوا بعذاب الدنيا وهو القتل يوم بدر فما كان ما (أريناك) منه في منامك بعد الوحي اليك (الا فتنة) لهم حيث اتخذوه سخريا وخوفوا بعذاب الآخرة وبشجرة الزقوم فما أثر فيهم ثم قال فيهم (ونخوفهم) أي نخوفهم بمخاوف الدنيا والآخرة (فما يزيدهم) التخويف (الا طغيانا كبيرا) فكيف يخاف قوم هذه حالهم بارسال ما يقترحون من الآيات وقيل الرؤيا هي الاسراء وبه تعلق من يقول كان الاسراء في المنام ومن قال كان في اليقظة فسر الرؤيا بالرؤية وقيل انما سماها رؤيا على قول المكذبين حيث قالوا له لعلها رؤيا رأيتها وخيال خيل اليك استبعادا منهم كما سمى أشياء بأساميها عند الكفرة نحو قوله فراغ الى آلهتهم أين شركائي ذق انك أنت العزيز الكريم وقيل هي رؤياه أنه سيدخل مكة وقيل رأى في المنام أن ولد الحكم يتداولون منبره كما يتداول الصبيان الكرة (فان قلت) أين لعنت شجرة الزقوم في القرآن (قلت) لعنت حيث لعن طاعموها من الكفرة والظلمة لان الشجرة لا ذنب لها حتى تلعن على الحقيقة وانما وصفت بلعن أصحابها على المجاز وقيل وصفها الله باللعن لان اللعن الابعاد من الرحمة وهي في أصل الجحيم في أبعد مكان من الرحمة وقيل تقول العرب لكل طعام مكروه ضار ملعون وسألت بعضهم فقال نعم الطعام الملعون القشب الممحوق وعن ابن عباس هي الكشوث التي تلتوي بالشجر تجعل في الشراب وقيل هي الشيطان وقيل أبو جهل ● وقرئ والشجرة الملعونة بالرفع على انها مبتدأ محذوف الخبر كانه قيل والشجرة الملعونة في القرآن كذلك (طينا) حال اما من الموصول والعامل فيه أأسجد على أأسجد له وهو طين أي أصله طين أو من الراجع اليه من الصلة على أأسجد لمن كان في وقت خلقه طينا (أرأيتك) الكاف للخطاب و(هذا) مفعول به والمعنى أخبرني عن هذا (الذي كرمت)ه (علي) أي فضلته لم كرمته علي وأنا خير منه فاختصر الكلام بحذف ذلك ثم ابتدأ فقال (لئن أخرتني) واللام موطئة للقسم المحذوف (لاحتنكن ذريته) لاستأصلنهم بالاغواء من احتنك الجراد الارض اذا جرد ما عليها أكلا وهو من الحنك ومنه ما ذكر سيبويه من قولهم أحنك الشاتين أي آكلهما (فان قلت) من أين علم أن ذلك يتسهل له وهو من الغيب (قلت) اما أن سمعه من الملائكة وقد أخبرهم الله به أو خرجه من قولهم أتجعل فيها من يفسد فيها أو نظر اليه فتوسم في مخايله أنه خلق شهواني وقيل قال ذلك لما علمت وسوسته في آدم والظاهر أنه قال ذلك قبل أكل آدم من الشجرة (اذهب) ليس من الذهاب الذي هو نقيض المجيء انما معناه امض لشأنك

الا تخويفا واذ قلنا لك ان ربك أحاط بالناس وما جعلنا الرؤيا التي أريناك الا فتنة للناس والشجرة الملعونة في القرآن ونخوفهم فما يزيدهم الا طغيانا كبيرا واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس قال أأسجد لمن خلقت طينا قال أرأيتك هذا الذي كرمت علي لئن أخرتني الى يوم القيامة لاحتنكن ذريته الا قليلا قال اذهب

● قوله تعالى وما جعلنا الرؤيا التي أريناك الا فتنة للناس والشجرة الملعونة في القرآن الآية (قال افتتانهم بالشجرة انهم حين سمعوا قوله ان شجرة الزقوم الخ) قال أحمد والعهدة في ذلك ان النار لا تؤثر احراقا في شيء ولكن الله تعالى أجرى العادة انه يخلق الحرق عند ملاقاة جسم النار لبعض الاجسام فاذا كان ذلك من فعل الله لا من فعل النار فلله تعالى أن لا يفعل الحرق في الشجرة التي في أصل الجحيم

الذي احتنكه خذلانا وتخلية وعقبه بذكر ما جره سوء اختياره في قوله (فمن تبعك منهم فإن جهنم جزاؤكم) كما قال موسى عليه السلام للسامري فاذهب فإن لك في الحياة أن تقول لا مساس (فإن قلت) أما كان من حق الضمير في الجزاء أن يكون على لفظ الغيبة ليرجع الى من تبعك (قلت) بلى ولكن التقدير فإن جهنم جزاؤهم وجزاؤك ثم غلب المخاطب على الغائب فقيل جزاؤكم ويجوز أن يكون للتابعين على طريق الالتفات وانتصب (جزاء موفورا) بما في فإن جهنم جزاؤكم من معنى تجازون أو بإضمار تجازون أو على الحال لأن الجزاء موصوف بالموفور والموفور الموفر يقال فر لصاحبك عرضه فرة * استفزه استخفه والفز الخفيف (وأجلب) من الجلبة وهي الصياح * والخيل الخيالة ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم يا خيل الله اركبي * والرجل اسم جمع للراجل ونظيره الركب والصحب * وقرئ ورجلك على أن فعلا بمعنى فاعل نحو تعب وتاعب ومعناه وجمعك الرجل وتضم جيمه أيضا فيكون مثل حدث وحدث وندس وندس وأخوات لهما يقال رجل رجل وقرئ ورجالك ورجالك (فإن قلت) ما معنى استفزاز إبليس بصوته وإجلابه بخيله ورجله (قلت) هو كلام وارد مورد التمثيل مثلت حاله في تسلطه على من يغويه بمغوار أوقع على قوم فصوت بهم صوتا يستفزهم من أماكنهم ويقلقهم عن مراكزهم وأجلب عليهم بجنده من خيالة ورجالة حتى استأصلهم وقيل بصوته بدعائه الى الشر وبخيله ورجله كل راكب وماش من أهل العيث وقيل يجوز أن يكون لإبليس خيل ورجال * وأما المشاركة في الأموال والأولاد فكل معصية يحملهم عليها في بابهما كالربا والمكاسب المحرمة والبحيرة والسائبة والإنفاق في الفسوق والإسراف ومنع الزكاة والتوصل الى الأولاد بالسبب الحرام ودعوى ولد بغير سبب والتسمية بعبد العزى وعبد الحرث والتهويد والتنصير والحمل على الحرف الذميمة والأعمال المحظورة وغير ذلك (وعدهم) المواعيد الكاذبة من شفاعة الآلهة والكرامة على الله بالأنساب الشريفة وتسويف التوبة ومغفرة الذنوب بدونها والاتكال على الرحمة وشفاعة الرسول في الكبائر والخروج من النار بعد أن يصيروا حمما وإيثار العاجل على الآجل (إن عبادي) يريد الصالحين (ليس لك عليهم سلطان) أي لا تقدر أن تغويهم (وكفى بربك وكيلا) لهم يتوكلون به في الاستعاذة منك ونحوه قوله إلا عبادك منهم المخلصين (فإن قلت) كيف جاز أن يأمر الله إبليس بأن يتسلط على عباده مغويا مضلا داعيا الى الشر صادا عن الخير (قلت) هو من الأوامر الواردة على سبيل الخذلان والتخلية كما قال للعصاة اعملوا ما شئتم (يزجي) يجري ويسير * والضر خوف الغرق (ضل من تدعون إلا إياه) ذهب عن أوهامكم وخواطركم كل من تدعونه في حوادثكم إلا إياه وحده فإنكم لا تذكرون سواه ولا تدعونه في ذلك الوقت ولا تعقدون رجاءكم به ولا تخطرون ببالكم أن غيره يقدر على إغاثتكم ولم يبد لإنقاذكم أحد غيره من سائر المدعوين ويجوز أن يراد ضل من تدعون من الآلهة عن إغاثتكم ولكن الله وحده هو الذي ترجونه وحده على الاستثناء المنقطع (أفأمنتم) الهمزة للإنكار والفاء للعطف على محذوف تقديره أنجوتم فأمنتم فحملكم ذلك على الإعراض (فإن قلت) بم انتصب (جانب البر) (قلت) بيخسف مفعولا به كالأرض في قوله فخسفنا به وبداره الأرض * وبكم حال والمعنى أن يخسف جانب البر أي يقلبه وأنتم عليه (فإن قلت) فما معنى ذكر الجانب (قلت) معناه أن الجوانب والجهات كلها في قدرته سواء وله في كل جانب برا كان أو بحرا سبب مرصد من أسباب الهلكة ليس جانب البحر وحده مختصا بذلك بل إن كان الغرق في جانب البحر ففي جانب البر ما هو مثله وهو الخسف لأنه تغييب تحت التراب كما أن الغرق تغييب تحت الماء فالبر والبحر عنده سيان يقدر في البر على نحو ما يقدر عليه في البحر فعلى العاقل أن يستوي خوفه من الله في جميع الجوانب وحيث كان (أو يرسل عليكم حاصبا) وهي الريح التي تحصب أي ترمي بالحصباء يعني أو إن لم يصبكم بالهلاك من تحتكم بالخسف أصابكم به من فوقكم بريح يرسلها عليكم فيها الحصباء يرجمكم بها فيكون أشد عليكم من الغرق في البحر (وكيلا) من يتوكل بصرف ذلك عنكم (أم أمنتم) أن يقوي دواعيكم ويوفر حوائجكم الى أن ترجعوا فتركبوا البحر الذي نجاكم منه فأعرضتم فينتقم منكم بأن يرسل (عليكم قاصفا) وهي الريح

التى

فمن تبعك منهم فإن جهنم جزاؤكم جزاء موفورا واستفزز من استطعت منهم بصوتك وأجلب عليهم بخيلك ورجلك وشاركهم في الأموال والأولاد وعدهم وما يعدهم الشيطان إلا غرورا إن عبادي ليس لك عليهم سلطان وكفى بربك وكيلا ربكم الذي يزجي لكم الفلك في البحر لتبتغوا من فضله إنه كان بكم رحيما وإذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون إلا إياه فلما نجاكم إلى البر أعرضتم وكان الإنسان كفورا أفأمنتم أن يخسف بكم جانب البر أو يرسل عليكم حاصبا ثم لا تجدوا لكم وكيلا أم أمنتم أن يعيدكم فيه تارة أخرى فيرسل عليكم قاصفا من الريح

---

* قوله تعالى وعدهم وما يعدهم الشيطان إلا غرورا الآية (قال المراد وعدهم المواعيد الكاذبة الخ) قال أحمد وهذا من تجري المصنف على السنة وتشبيهاته جعل المغفرة المقرونة بالمشيئة وإن لم تكن توبة للمؤمنين من مواعيد الشيطان مع العلم بأنها ثابتة بقواطع القرآن وعدا من الرحمن وكذلك الشفاعة المتفق

علينا بن أهل السنة والجماعة التي وعدها الصادق المصدوق وميزه الله تعالى بها عن كل مخلوق من مواعد الشيطان الباطلة وأمانيه الماحية اللهم ارزقنا الشفاعة واحشرنا في زمرة السنة والجماعة * قوله تعالى ولقد كرمنا بني آدم الى قوله عمن خلقنا تفضيلا (قال المراد فضلناهم على ما سوى الملائكة الخ) قال أحمد وقد بلغ الى حد من السفه يوجب الحد ولمنا لم ما اجلته الا من حيث العلم لا من حيث السفه والقدر الذي تختص به هذه الآية من حمل كثير على الجميع غير مستبعد ولا مستنكر ألا ترى انه ورد حمل قليل على العدم والزمخشري يحتاج لذلك في قوله تعالى فقليلا ما يؤمنون وأشباهه كثير وقد لهج الشاعر بذلك في قوله (٧١٣) * قليل بها الاصوات لا بغامها أي

أي لها قصيف وهو الصوت الشديد كأنها تتقصف أي تتكسر وقيل التي لا تمر بشيء الا قصفته (فيغرقكم) وقرئ بالتاء أي الريح وبالنون وكذلك نخسف ونرسل ونعيدكم قرئت بالياء والنون * التبيع المطالب من قوله فاتباع بالمعروف أي مطالبة قال الشماخ * كما لاذ الغريم من التبيع * يقال فلان على فلان تبيع بحقه أي مسيطر عليه مطالب له بحقه والمعنى أنا نفعل ما نفعل بهم ثم لا تجد أحدا يطالبنا بما فعلنا انتصارا منا ودركا للثار من جهتنا وهذا نحو قوله ولا يخاف عقباها (بما كفرتم) بكفرانكم النعمة يريد اعراضهم حين نجاهم * قيل في تكرمة ابن آدم كرمه الله بالعقل والنطق والتمييز والخط والصورة الحسنة والقامة المعتدلة وتدبير أمر المعاش والمعاد وقيل بتسليطهم على ما في الارض وتسخيره لهم وقيل كل شيء يأكل بفيه الا ابن آدم وعن الرشيد أنه أحضر طعاما فدعا بالملاعق وعنده أبو يوسف فقال له جاء في تفسير جدك ابن عباس قوله تعالى ولقد كرمنا بني آدم جعلنا لهم أصابع يأكلون بها فأحضرت الملاعق فردها وأكل بأصابعه (على كثير ممن خلقنا) هو ما سوى الملائكة وحسب بني آدم تفضيلا أن ترفع عليهم الملائكة وهم هم ومنزلتهم عند الله منزلتهم والعجب من المجبرة كيف عكسوا في كل شيء وكابروا حتى جسرتهم عادة المكابرة على العظيمة التي هي تفضيل الانسان على الملك وذلك بعد ما سمعوا تفخيم الله أمرهم وتكثيره مع التعظيم ذكرهم وعلموا أين أسكنهم وأنى قربهم وكيف نزلهم من أنبيائه منزلة أنبيائه من أممهم ثم جرهم فرط التعصب عليهم الى أن لفقوا أقوالا وأخبارا منها قالت الملائكة ربنا انك أعطيت بني آدم الدنيا يأكلون منها ويتمتعون ولم تعطنا ذلك فأعطناه في الآخرة فقال وعزتي وجلالي لا أجعل ذرية من خلقت بيدي كمن قلت له كن فكان ورووا عن أبي هريرة أنه قال المؤمن أكرم على الله من الملائكة الذين عنده ومن ارتكابهم أنهم فسروا كثيرا بمعنى جميع في هذه الآية وخذلوا حتى سلبوا الذوق فلم يحسوا ببشاعة قولهم وفضلناهم على جميع ممن خلقنا على أن معنى قولهم على جميع ممن خلقنا أشجى لحلوقهم وأقذى لعيونهم ولكنهم لا يشعرون فانظر الى تمحلهم وتشبثهم بالتأويلات البعيدة في عداوة الملأ الاعلى كأن جبريل عليه السلام غاظهم حين أهلك مدائن قوم لوط فتلك السخيمة لا تنحل عن قلوبهم * قرئ يدعو بالياء والنون ويدعى كل أناس على البناء للمفعول وقرأ الحسن يدعو كل أناس على قلب الالف واوا في لغة من يقول أفعو * والظرف نصب باضمار اذكر ويجوز أن يقال انها علامة الجمع كما في وأسروا النجوى الذين ظلموا والرفع مقدر كما في يدعى ولم يؤت بالنون قلة مبالاة بالاسم الاخير ضمير ليست الا علامة (بامامهم) بمن ائتموا به من نبي أو مقدم في الدين أو كتاب أو دين فيقال يا أتباع فلان يا أهل دين كذا وكتاب كذا وقيل بكتاب أعمالهم فيقال يا أصحاب كتاب الخير ويا أصحاب كتاب الشر وفي قراءة الحسن بكتابهم ومن بدع التفاسير أن الامام جمع أم وأن الناس يدعون يوم القيامة بأمهاتهم وأن الحكمة في الدعاء بالامهات دون الآباء رعاية حق عيسى عليه السلام واظهار شرف الحسن والحسين وأن لا يفتضح أولاد الزنا وليت شعري أيهما أبدع أصحة لفظه أم بهاء حكمته (فمن أوتي) من هؤلاء المدعوين (كتابه بيمينه فأولئك يقرؤن كتابهم) قيل أولئك لان من أوتي في معنى الجمع (فان قلت) لم خص

لا أصوتها ولا أن نبقيه على ما هو عليه ونقول ان المخلوق قسمان بنو آدم أحدهما وغيرهم من جميع المخلوقين القسم الآخر ولا شك ان غيرهم أكثر منهم وان لم يكونوا الاكثر منهم كثيرا ففي قوله وفضلناهم على كثير

فيغرقكم بما كفرتم ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعا ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا يوم ندعو كل أناس بامامهم فمن أوتي كتابه بيمينه فأولئك يقرؤن كتابهم

ممن خلقنا أي على غيرهم من جميع المخلوقين وذلك الاغيار كثير بلا مراء وذلك مرادف لقولك وفضلناهم على جميع من عداهم ممن خلقنا

فظاهر الآية ناد مع الاشعرية الذين سماهم مجبرة وتشدق في سبهم وشقشق العبارات في ثلبهم وما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد والله ولي التوفيق والتسديد * قوله تعالى يوم ندعو كل أناس بامامهم فمن أوتي كتابه بيمينه فأولئك يقرؤن كتابهم الآية (قال بامامهم معناه بمن ائتموا به من نبي أو كتاب أو دين الخ) قال أحمد ولقد استبدع بدعا لفظا ومعنى فان جمع الام المعروف أمهات وأما رعاية عيسى عليه السلام بذكر أمهات الخلائق ليذكر بأمه فيستدعي ان خلق عيسى من غير أب غميزة في منصبه وذلك عكس الحقيقة فان خلقه من غير أب كان له آية وشرفا في حقه والله أعلم

* عاد كلامه (قال وقد جوز وأن يكون الثاني بمعنى التفضيل الخ) قال أحمد أي لأنه من عمى القلب لا عمى البصر فجاز أن يبنى منه أفعل
* عاد كلامه (قال ومن ثم أمال أبو عمرو الأولى وفخم الثانية الخ) قال أحمد ويحتمل أن تكون هذه الآية قسيمة الأولى أي من أوتي كتابه بيمينه فهو الذي يبصره ويقرؤه ومن كان في الدنيا أعمى غير مبصر في نفسه ولا ناظر في معاده فهو في الآخرة كذلك غير مبصر في كتابه بل أعمى عنه أو أشد عمى مما كان في الدنيا على الاختلاف في التأويلين والله أعلم * قوله تعالى ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئاً قليلاً إذا لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات (قال المراد ضعف عذاب الحياة وضعف عذاب الممات الخ) قال أحمد أما تعليل المكيودة فالذي ينبغي أن يحمل عليه كونه (٧١٤) الواقع في علم الله تعالى لأن ما شاء عز وجل ما لم يكن لو كان كيف كان يكون فعلم تعالى أن الركون الذي كاد يحصل منه عليه السلام وإن كان ما حصل أمر قليل وخطب يسير فذلك إخبار من الله تعالى عن الواقع في علمه تقديراً فلا بد أن يحمل على المبالغة والتنبيه فإن ذلك لا يكون في الأخبار ألا ترى أنه لو كان الواقع كيدودة ركون كثير لكان تعليله خلفاً في الخبر ولا ينكر أن الذنب يعظم بحسب فاعله على ما ورد حسنات الأبرار سيئات المقربين وأما نقل الزمخشري عن مشايخه استعظام نسبة الفواحش والقبائح إلى الله عز وجل فقد استعظموا عظيماً يوصف حق على كل مسلم أن يستعظمه ولكنهم جهلوا باعتقاد أعم وصف ذاتياً للقبيح فلزمهم على ذلك أن كل فعل استقبح من العبد استقبح من الله تعالى وهم غالطون في ذلك فمعنى كون الفعل قبيحاً أن الله تعالى نهى عنه عبده وإن كان لله تعالى أن يفعله وهو حسن بالنسبة إليه لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون ألا ترى أن الملك يقبح منه أن يستقبح من عبده أن يجلس على كرسي الملك ونهاه عن ذلك ولا يستقبح ذلك من نفسه بل هو منه حسن جميل ولقد كان لمشايخه شغل باستعظام ما لزمهم من الاشتراك عن استعظام غيره مما هو توحيد محض وإيمان صرف ولكنهم زين لهم سوء اعتقادهم فرأوه حسناً والله الموفق

ولا يظلمون فتيلا ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلا وإن كادوا ليفتنونك عن الذي أوحينا إليك لتفتري علينا غيره وإذا لاتخذوك خليلا ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئاً قليلا إذا لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات ثم لا تجد لك علينا نصيرا

أصحاب اليمين بقراءة كتبهم كأن أصحاب الشمال لا يقرؤن كتبهم (قلت) بلى ولكن إذا اطلعوا على ما في كتابهم أخذهم ما يأخذ المطالب بالنداء على جناياته والاعتراف بمساويه أمام التنكيل به والانتقام منه من الحياء والخجل والانحصار وحبسة اللسان والتتعتع والعجز عن إقامة حروف الكلام والذهاب عن تسوية القول فكأن قراءتهم كلا قراءة وأما أصحاب اليمين فأمرهم على عكس ذلك لا جرم أنهم يقرؤن كتابهم أحسن قراءة وأبينها ولا يقنعون بقراءتهم وحدهم حتى يقول القارئ لأهل المحشر هاؤم اقرؤا كتابيه (ولا يظلمون فتيلا) ولا ينقصون من ثوابهم أدنى شيء كقوله ولا يظلمون شيئاً فلا يخاف ظلماً ولا هضماً (ومن كان في الدنيا أعمى فهو في الآخرة أعمى كذلك (وأضل سبيلا) من الأعمى والأعمى مستعار من لا يدرك المبصرات لفساد حاسته لمن لا يهتدي إلى طريق النجاة أما في الدنيا فلفقد النظر وأما في الآخرة فلأنه لا ينفعه الاهتداء إليه وقد جوزوا أن يكون الثاني بمعنى التفضيل ومن ثم قرأ أبو عمرو الأول ممالاً والثاني مفخماً لأن أفعل التفضيل تمامه بمن فكانت ألفه في حكم الواقعة في وسط الكلام كقولك أعمالكم وأما الأول فلم يتعلق به شيء فكانت ألفه واقعة في الطرف معرضة للإمالة روي أن ثقيفاً قالت للنبي صلى الله عليه وسلم لا ندخل في أمرك حتى تعطينا خصالاً نفتخر بها على العرب لا نعشر ولا نحشر ولا نجبي في صلاتنا وكل ربا لنا فهو لنا وكل ربا علينا فهو موضوع عنا وأن تمتعنا باللات سنة ولا نكسرها بأيدينا عند رأس الحول وأن تمنع من قصد وادينا وج فعضد شجره فإذا سألتك العرب لم فعلت ذلك فقل إن الله أمرني به وجاؤا بكتابهم فكتب بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من محمد رسول الله لثقيف لا يعشرون ولا يحشرون فقالوا ولا يجبون فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قالوا للكاتب اكتب ولا يجبون والكاتب ينظر إلى رسول الله فقام عمر بن الخطاب رضي الله عنه فسل سيفه وقال أسعرتم قلب نبينا يا معشر ثقيف أسعر الله قلوبكم ناراً فقالوا لسنا نكلم إياك إنما نكلم محمداً فنزلت وروي أن قريشاً قالوا له اجعل آية رحمة آية عذاب وآية عذاب آية رحمة حتى نؤمن بك فنزلت (وإن كادوا ليفتنونك) إن مخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة بينها وبين النافية والمعنى أن الشأن قاربوا أن يفتنوك أي يخدعوك فاتنين (عن الذي أوحينا إليك) من أوامرنا ونواهينا ووعدنا ووعيدنا (لتفتري علينا غيره) لتتقول علينا ما لم نقل يعني ما أرادوه عليه من تبديل الوعد وعيداً والوعيد وعداً وما اقترحته ثقيف من أن يضيف إلى الله ما لم ينزل عليه (وإذا لاتخذوك) أي ولو اتبعت مرادهم لاتخذوك (خليلا) ولكنت لهم ولياً وخرجت من ولايتي (ولولا أن ثبتناك) ولولا تثبيتنا لك وعصمتنا (لقد كدت تركن إليهم) لقاربت أن تميل إلى خدعهم ومكرهم وهذا تهييج من الله له وفضل تثبيت وفي ذلك لطف للمؤمنين (إذا) لو قاربت تركن إليهم أدنى ركنة (لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات) أي لأذقناك عذاب الآخرة وعذاب القبر مضاعفين (فإن قلت) كيف حقيقة هذا الكلام (قلت) أصله لأذقناك عذاب الحياة وعذاب الممات لأن العذاب عذابان عذاب في الممات وهو عذاب القبر وعذاب في حياة الآخرة وهو عذاب النار والضعف

وإن كادوا ليستفزونك من الأرض ليخرجوك منها وإذا لا يلبثون خلافك إلا قليلا سنة من قد أرسلنا قبلك من رسلنا ولا تجد لسنتنا تحويلا أقم الصلاة لدلوك الشمس إلى غسق الليل وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهودا ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا وقل رب أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك

يوصف به نحو قوله فآتهم عذابا ضعفا من النار يعني مضاعفا فكان أصل الكلام لأذقناك عذابا ضعفا في الحياة وعذابا ضعفا في الممات ثم حذف الموصوف وأقيمت الصفة مقامه وهو الضعف ثم أضيفت الصفة إضافة الموصوف فقيل ضعف الحياة وضعف الممات كما لو قيل لأذقناك أليم الحياة وأليم الممات ويجوز أن يراد بضعف الحياة عذاب الحياة الدنيا وبضعف الممات ما يعقب الموت من عذاب القبر وعذاب النار والمعنى لضاعفنا لك العذاب المعجل للعصاة في الحياة الدنيا وما نؤخره لما بعد الموت وفي ذكر الكيدودة وتقليلها مع اتباعها الوعيد الشديد بالعذاب المضاعف في الدارين دليل بين على أن القبيح يعظم قبحه بمقدار عظم شأن فاعله وارتفاع منزلته ومن ثم استعظم مشايخ العدل والتوحيد رضوان الله عليهم نسبة المجبرة القبائح إلى الله تعالى عن ذلك علوا كبيرا وفيه دليل على أن أدنى مداهنة للغواة مضادة لله وخروج عن ولايته وسبب موجب لغضبه ونكاله فعلى المؤمن إذا تلا هذه الآية أن يجثو عندها ويتدبرها فهي جديرة بالتدبر وبأن يستشعر الناظر فيها الخشية وازدياد التصلب في دين الله وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه لما نزلت كان يقول اللهم لا تكلني إلى نفسي طرفة عين (وإن كادوا) وإن كاد أهل مكة (ليستفزونك) ليزعجونك بعداوتهم ومكرهم (من الأرض) من أرض مكة (وإذا لا يلبثون) لا يبقون بعد إخراجك (إلا) زمانا (قليلا) فإن الله مهلكهم وكان كما قال فقد أهلكوا ببدر بعد إخراجه بقليل وقيل معناه ولو أخرجوك لاستؤصلوا عن بكرة أبيهم ولم يخرجوه بل هاجر بأمر ربه وقيل من أرض العرب وقيل من أرض المدينة وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما هاجر حسدته اليهود وكرهوا قربه منهم فاجتمعوا إليه وقالوا يا أبا القاسم إن الأنبياء إنما بعثوا بالشأم وهي بلاد مقدسة وكانت مهاجر إبراهيم فلو خرجت إلى الشأم لآمنا بك واتبعناك وقد علمنا أنه لا يمنعك من الخروج إلا خوف الروم فإن كنت رسول الله فالله مانعك منهم فعسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم على أميال من المدينة وقيل بذي الحليفة حتى يجتمع إليه أصحابه ويراه الناس عازما على الخروج إلى الشأم لحرصه على دخول الناس في دين الله فنزلت فرجع ● وقرئ لا يلبثون وفي قراءة أبي لا يلبثوا على إعمال إذا (فإن قلت) ما وجه القراءتين (قلت) أما الشائعة فقد عطف فيها الفعل على الفعل وهو مرفوع لوقوعه خبر كاد والفعل في خبر كاد واقع موقع الاسم وأما قراءة أبي ففيها الجملة برأسها التي هي إذا لا يلبثوا عطف على جملة قوله وإن كادوا ليستفزونك ● وقرئ خلافك قال

عفت الديار خلافهم فكأنما ● بسط الشواطب بينهن حصيرا

أي بعدهم (سنة من قد أرسلنا) يعني أن كل قوم أخرجوا رسولهم من بين ظهرانيهم فسنة الله أن يهلكهم ونصبت نصب المصدر المؤكد أي سن الله ذلك سنة ● دلكت الشمس غربت وقيل زالت وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أتاني جبريل عليه السلام لدلوك الشمس حين زالت الشمس فصلى بي الظهر واشتقاقه من الدلك لأن الإنسان يدلك عينه عند النظر إليها فإن كان الدلوك الزوال فالآية جامعة للصلوات الخمس وإن كان الغروب فقد خرجت منها الظهر والعصر والغسق الظلمة وهو وقت صلاة العشاء (وقرآن الفجر) صلاة الفجر سميت قرآنا وهو القراءة لأنها ركن كما سميت ركوعا وسجودا وقنوتا وهي حجة على ابن علية والأصم في زعمهما أن القراءة ليست بركن (مشهودا) يشهده ملائكة الليل والنهار ينزل هؤلاء ويصعد هؤلاء فهو في آخر ديوان الليل وأول ديوان النهار أو يشهده الكثير من المصلين في العادة أو من حقه أن يكون مشهودا بالجماعة الكثيرة ويجوز أن يكون وقرآن الفجر حثا على طول القراءة في صلاة الفجر لكونها مكثورا عليها ليسمع الناس القرآن فيكثر الثواب ولذلك كانت الفجر أطول الصلوات قراءة (ومن الليل) وعليك بعض الليل (فتهجد به) والتهجد ترك الهجود للصلاة ونحوه التأثم والتحرج ويقال أيضا في النوم تهجد (نافلة لك) عبادة زائدة لك على الصلوات الخمس وضع نافلة موضع تهجدا لأن التهجد عبادة زائدة فكان التهجد والنافلة يجمعهما معنى واحد والمعنى أن التهجد زيد لك على الصلوات المفروضة فريضة عليك خاصة دون غيرك لأنه تطوع لهم (مقاما محمودا) نصب على الظرف أي عسى أن يبعثك يوم القيامة فيقيمك مقاما محمودا أو ضمن

سلطانا نصيرا وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خسارا وإذا أنعمنا على الإنسان أعرض ونأى بجانبه وإذا مسه الشر

يبعثك فيه فيحمدك ويجوز أن يكون حالا بمعنى أن يبعثك ذا مقام محمود ومعنى المقام المحمود المقام الذي يحمد القائم فيه وكل من رآه وعرفه وهو مطلق في كل ما يجلب الحمد من أنواع الكرامات وقيل المراد الشفاعة وهي نوع واحد مما يتناوله وعن ابن عباس رضي الله عنهما مقام يحمدك فيه الأولون والآخرون وتشرف فيه على جميع الخلائق تسأل فتعطى وتشفع فتشفع ليس أحد إلا تحت لوائك وعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم هو المقام الذي أشفع فيه لأمتي وعن حذيفة يجمع الناس في صعيد واحد فلا تتكلم نفس فأول مدعو محمد صلى الله عليه وسلم فيقول لبيك وسعديك والشر ليس إليك والمهدي من هديت وعبدك بين يديك وبك وإليك لا ملجأ ولا منجى منك إلا إليك تباركت وتعاليت سبحانك رب البيت قال فهذا قوله عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا قرئ مدخل ومخرج بالضم والفتح بمعنى المصدر ومعنى الفتح أدخلني فأدخل مدخل صدق أي أدخلني القبر مدخل صدق إدخالا مرضيا على طهارة وطيب من السيئات وأخرجني منه عند البعث إخراجا مرضيا ملقى بالكرامة آمنا من السخط يدل عليه ذكره على أثر ذكر البعث وقيل نزلت حين أمر بالهجرة يريد إدخال المدينة والإخراج من مكة وقيل إدخاله مكة ظاهرا عليها بالفتح وإخراجه منها آمنا من المشركين وقيل إدخاله الغار وإخراجه منه سالما وقيل إدخاله فيما حمله من عظيم الأمر وهو النبوة وإخراجه منه مؤديا لما كلفه من غير تفريط وقيل الطاعة وقيل هو عام في كل ما يدخل فيه ويلابسه من أمر ومكان (سلطانا) حجة تنصرني على من خالفني أو ملكا وعزا قويا ناصرا للإسلام على الكفر مظهرا له عليه فأجيبت دعوته بقوله والله يعصمك من الناس فإن حزب الله هم الغالبون ليظهره على الدين كله ليستخلفنهم في الأرض ووعده لينزعن ملك فارس والروم فيجعله له وعنه صلى الله عليه وسلم أنه استعمل عتاب بن أسيد على أهل مكة وقال انطلق فقد استعملتك على أهل الله فكان شديدا على المريب لينا على المؤمن وقال لا والله لا أعلم متخلفا يتخلف عن الصلاة في جماعة إلا ضربت عنقه فإنه لا يتخلف عن الصلاة إلا منافق فقال أهل مكة يا رسول الله لقد استعملت على أهل الله عتاب بن أسيد أعرابيا جافيا فقال صلى الله عليه وسلم إني رأيت فيما يرى النائم كأن عتاب بن أسيد أتى باب الجنة فأخذ بحلقة الباب فقلقلها قلقالا شديدا حتى فتح له فدخلها فأعز الله به الإسلام لنصرته المسلمين على من يريد ظلمهم فذلك السلطان النصير * كان حول البيت ثلثمائة وستون صنما لكل قوم صنم بحيالهم وعن ابن عباس رضي الله عنهما كانت لقبائل العرب يحجون إليها وينحرون لها فشكا البيت إلى الله عز وجل فقال أي رب حتى متى تعبد هذه الأصنام حولي دونك فأوحى الله إلى البيت إني سأحدث لك نوبة جديدة فأملأ لك خدودا سجدا يدفون إليك دفيف النسور ويحنون إليك حنين الطير إلى بيضها لهم عجيج حولك بالتلبية ولما نزلت هذه الآية يوم الفتح قال جبريل عليه السلام لرسول الله صلى الله عليه وسلم خذ مخصرتك ثم ألقها فجعل يأتي صنما صنما وهو ينكت بالمخصرة في عينه ويقول جاء الحق وزهق الباطل فينكب الصنم لوجهه حتى ألقاها جميعا وبقي صنم خزاعة فوق الكعبة وكان من قوارير صفر فقال يا علي ارم به فحمله رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى صعد فرمى به فكسره فجعل أهل مكة يتعجبون ويقولون ما رأينا رجلا أسحر من محمد صلى الله عليه وسلم وشكاية البيت والوحي إليه تخييل وتمثيل (وزهق الباطل) ذهب وهلك من قولهم زهقت نفسه إذا خرجت * والحق الإسلام والباطل الشرك (كان زهوقا) كان مضمحلا غير ثابت في كل وقت (وننزل) قرئ بالتخفيف والتشديد (من القرآن) من للتبيين كقوله من الأوثان أو للتبعيض أي كل شيء نزل من القرآن فهو شفاء للمؤمنين يزدادون به إيمانا ويستصلحون به دينهم فموقعه منهم موقع الشفاء من المرضى وعن النبي صلى الله عليه وسلم من لم يستشف بالقرآن فلا شفاه الله * ولا يزداد به الكافرون (إلا خسارا) أي نقصانا لتكذيبهم به وكفرهم كقوله تعالى فزادتهم رجسا إلى رجسهم (وإذا أنعمنا على الإنسان) بالصحة والسعة (أعرض) عن ذكر الله كأنه مستغن عنه مستبد بنفسه (ونأى بجانبه) تأكيد للإعراض لأن الإعراض عن الشيء أن يوليه عرض وجهه والنأي بالجانب أن يلوي عنه عطفه ويوليه ظهره أو أراد الاستكبار لأن ذلك من عادة المستكبرين (وإذا مسه الشر) من فقر أو مرض أو

* قوله تعالى قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا (قال العجب من
التواشب ومن زعمهم ان القرآن قديم مع اعترافهم بانه معجز الخ) قال أحمد وعما بلك على حيد المصنف عن سنن المصنف انه
تدلس على الضعفة في مثل هذه المسئلة التي طبقت طبق الارض ظهورا وشيوعا ومع ذلك رضى لنفسه أن يتجاهل فيها عن معتقد القوم وذلك ان عقيدة أهل السنة ان مدلول
العبارات صفة قديمة قائمة بذات البارى تعالى يطلق عليها قرآن ويطلق أيضا على أدلتها وهى هذه الكلمات الفصيحة والآى الكريمة قرآن وان العجز عندهم الدليل
لا المدلول لكنهم يتحرزون من اطلاق القول بانه مخلوق لوجهين أحدهما انه اطلاق موهم والثانى ان السلف الصالح كفوا عنه فاقتفوا
آثارهم واقتبسوا انوارهم وكم من معتقد لا يطلق القول به خشية ايهام غيره مما لا يجوز اعتقاده فلا ربط بين الاعتقاد والاطلاق ولا
كرامة لمعتقد ذلك والمتعنت بارامه والله يقول الحق وهو يهدى السبيل

كان فسافى كل يعمل على شاكلته فربكم أعلم بمن هو أهدى سبيلا ويسئلونك عن الروح قل الروح من أمر ربى وما أوتيتم من العلم الا قليلا ولئن شئنا لنذهبن بالذى أوحينا اليك ثم لا تجد لك به علينا وكيلا الا رحمة من ربك ان فضله كان عليك كبيرا قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا ولقد صرفنا للناس فى هذا القرآن من كل مثل

منزلة من المنازل (كان يؤسا) شديد اليأس من روح الله انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون
* وقرئ وناء بجانبه بتقديم اللام على العين كقولهم راء فى رأى ويجوز أن يكون من ناء بمعنى نهض (قل كل
أحد (يعمل على شاكلته) أى على مذهبه وطريقته التى تشاكل حاله فى الهدى والضلالة من قولهم طريق
ذو شواكل وهى الطرق التى تشعبت منه والدليل عليه قوله (فربكم أعلم بمن هو أهدى سبيلا) أى أسد مذهبا
وطريقة * الاكثر على انه الروح الذى فى الحيوان سألوه عن حقيقته فأخبر انه من أمر الله أى مما استأثر
بعلمه وعن ابن بريدة لقد مضى النبى صلى الله عليه وسلم وما يعلم الروح وقيل هو خلق عظيم روحانى أعظم
من الملك وقيل جبريل عليه السلام وقيل القرآن و(من أمر ربى) أى من وحيه وكلامه ليس من كلام
البشر بعثت اليهود الى قريش أن سلوه عن أصحاب الكهف وعن ذى القرنين وعن الروح فان أجاب عنها
أو سكت فليس بنبى وان أجاب عن بعض وسكت عن بعض فهو نبى فبين لهم القصتين وأبهم أمر الروح وهو
مبهم فى التوراة فندموا على سؤالهم (وما أوتيتم) الخطاب عام وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
لما قال لهم ذلك قالوا نحن مختصون بهذا الخطاب أم أنت معنا فيه فقال بل نحن وأنتم لم تؤتوا من العلم الا قليلا
فقالوا ما أعجب شأنك ساعة تقول ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا وساعة تقول هذا فنزلت ولو أن
ما فى الارض من شجرة أقلام وليس ما قالوه بلازم لان القلة والكثرة تدوران مع الاضافة فيوصف الشئ
بالقلة مضافا الى ما فوقه وبالكثرة مضافا الى ما تحته فالحكمة التى أوتيها العبد خير كثير فى نفسها الا أنها
اذا أضيفت الى علم الله فهى قليلة وقيل هو خطاب لليهود خاصة لانهم قالوا للنبى صلى الله عليه وسلم قد أوتينا
التوراة وفيها الحكمة وقد تلوت ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا فقيل لهم ان علم التوراة قليل فى
جنب علم الله (لنذهبن) جواب قسم محذوف مع نيابته عن جزاء الشرط * واللام الداخلة على ان موطئة
للقسم والمعنى ان شئنا ذهبنا بالقرآن ومحوناه عن الصدور والمصاحف فلم نترك له أثرا وبقيت كما كنت لا تدرى
ما الكتاب (ثم لا تجد لك) بعد الذهاب (به من يتوكل علينا باسترداده واعادته محفوظا مستورا (الا رحمة من
ربك) الا أن يرحمك ربك فيرده عليك كأن رحمته تتوكل عليه بالرد أو يكون على الاستثناء المنقطع بمعنى ولكن
رحمة من ربك تركته غير مذهوب به وهذا امتنان من الله تعالى ببقاء القرآن محفوظا بعد المنة العظيمة فى
تنزيله وتحفيظه فعلى كل ذى علم أن لا يغفل عن هاتين المنتين والقيام بشكرهما وهما منة الله عليه بحفظ العلم
ورسوخه فى صدره ومنته عليه فى بقاء المحفوظ وعن ابن مسعود ان أول ما تفقدون من دينكم الامانة وآخر
ما تفقدون الصلاة وليصلين قوم ولا دين لهم وان هذا القرآن تصبحون يوما وما فيكم منه شئ فقال رجل كيف
ذلك وقد أثبتناه فى قلوبنا وأثبتناه فى مصاحفنا نعلمه أبناءنا ويعلمه أبناؤنا أبناءهم فقال يسرى عليه ليلا
فيصبح الناس منه فقراء ترفع المصاحف وينزع ما فى القلوب (لا يأتون) جواب قسم محذوف ولولا اللام
الموطئة لجاز أن يكون جوابا للشرط كقوله * يقول لا غائب مالى ولا حرم * لان الشرط وقع ماضيا أى لو
تظاهروا على أن يأتوا بمثل هذا القرآن فى بلاغته وحسن نظمه وتأليفه وفيهم العرب العاربة أرباب البيان
لعجزوا عن الاتيان بمثله والعجب من النواشب ومن زعمهم أن القرآن قديم مع اعترافهم بانه معجز وانما يكون
العجز حيث تكون القدرة فيقال الله قادر على خلق الاجسام والعباد عاجزون عنه وأما المحال الذى لا مجال
فيه للقدرة ولا مدخل لها فيه كثانى القديم فلا يقال للفاعل قد عجز عنه ولا هو معجز ولو قيل ذلك لجاز وصف
الله بالعجز لانه لا يوصف بالقدرة على المحال الا أن يكابروا فيقولوا هو قادر على المحال فان رأس مالهم المكابرة
وقلب الحقائق (ولقد صرفنا) رددنا وكررنا (من كل مثل) من كل معنى هو كالمثل فى غرابته وحسنه

* والكفور الجحود (فان قلت) كيف جاز (فأبى أكثر الناس الا كفورا) ولم يجز ضربت الا زيدا (قلت) لان
أبى متأول بالنفي كأنه قيل فلم يرضوا الا كفورا * لما تبين لهم اعجاز القرآن وانضمت اليه المعجزات الاخر والبينات
ولزمتهم الحجة وغلبوا أخذوا يتعللون باقتراح الآيات فعل المبهوت المحجوج المتحير فقالوا لن
نؤمن لك حتى وحتى (تفجر) تفتح وقرئ تفجر بالتخفيف (من الارض) يعنون أرض مكة (ينبوعا) عينا
غزيرة من شأنها أن تنبع بالماء لا تقطع يفعول من نبع الماء كيعبوب من عب الماء (كما زعمت) يعنون قول
الله تعالى ان نشأ نخسف بهم الارض أو نسقط عليهم كسفا من السماء * وقرئ كسفا بسكون السين جمع كسفة
كسدرة وسدر وبفتحها (قبيلا) كفيلا بما تقول شاهدا بصحته والمعنى أو تأتي بالله قبيلا وبالملائكة قبيلا
كقوله كنت منه ووالدي بريا فاني وقيار بها لغريب أو مقابلا كالعشير بمعنى المعاشر ونحوه لولا أنزل
علينا الملائكة أو نرى ربنا أو جماعة حالا من الملائكة (من زخرف) من ذهب (في السماء) في معارج السماء
فحذف المضاف * يقال رقي في السلم وفي الدرجة (ولن نؤمن لرقيك) ولن نؤمن لاجل رقيك (حتى تنزل علينا
كتابا) من السماء فيه تصديقك عن ابن عباس رضي الله عنهما قال عبد الله بن أبي أمية لن نؤمن لك حتى تتخذ
الى السماء سلما ثم ترقى فيه وأنا أنظر حتى تأتيها ثم تأتي معك بصك منشور معه أربعة من الملائكة يشهدون
لك أنك كما تقول وما كانوا يقصدون بهذه الاقتراحات الا العناد واللجاج ولو جاءتهم كل آية لقالوا هذا سحر كما
قال عز وجل ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون وحين أنكروا
الآية الباقية التي هي القرآن وسائر الآيات وليست بدون ما اقترحوه بل هي أعظم لم يكن الى تبصرتهم
سبيل (قل سبحان ربي) وقرئ قال سبحان ربي أي قال الرسول وسبحان ربي تعجب من اقتراحاتهم عليه (هل
كنت الا) رسولا كسائر الرسل (بشرا) مثلهم وكان الرسل لا يأتون قومهم الا بما يظهره الله عليهم من
الآيات فليس أمر الآيات الي انما هو الى الله فما بالكم تتخيرونها علي * أن الاولى نصب مفعول ثان لمنع
والثانية رفع فاعل له و (الهدى) الوحي أي وما منعهم الايمان بالقرآن وبنبوة محمد صلى الله عليه وسلم الا شبهة
تلجلجت في صدورهم وهي انكارهم أن يرسل الله البشر والهمزة في (أبعث الله) للانكار وما أنكروه
فلا انه هو المنكر عند الله لان قضية حكمته أن لا يرسل ملك الوحي الا الى أمثاله أو الى الانبياء ثم قرر ذلك
بانه (لو كان في الارض ملائكة يمشون) على أقدامهم كما يمشي الانس ولا يطيرون باجنحتهم الى السماء فيسمعوا
من أهلها ويعلموا ما يجب علمه (مطمئنين) ساكنين في الارض قارين (لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا)
يعلمهم الخير ويهديهم المراشد فاما الانس فما هم بهذه المثابة انما يرسل الملك الى مختار منهم للنبوة فيقوم
ذلك المختار بدعوتهم وارشادهم (فان قلت) هل يجوز أن يكون بشرا وملكا منصوبين على الحال من رسولا
(قلت) وجه حسن والمعنى له أجوب (شهيدا بيني وبينكم) على أني بلغت ما أرسلت به اليكم وأنكم كذبتم وعاندتم
(انه كان بعباده) المنذرين والمنذرين (خبيرا) عالما باحوالهم فهو مجازيهم وهذه تسلية لرسول الله صلى الله
عليه وسلم ووعيد للكفرة وشهيدا تمييز أو حال (ومن يهد الله) ومن يوفقه ويلطف به (فهو المهتد) لانه
لا يلطف الا بمن عرف أن اللطف ينفع فيه (ومن يضلل) ومن يخذل (فلن تجد لهم أولياء) أنصارا (على
وجوههم) كقوله يوم يسحبون في النار على وجوههم وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم كيف يمشون على
وجوههم قال ان الذي أمشاهم على أقدامهم قادر على أن يمشيهم على وجوههم (عميا وبكما وصما) كما كانوا في
الدنيا لا يستبصرون ولا ينطقون بالحق ويتصامون عن استماعه فهم في الآخرة كذلك لا يبصرون ما يقر
أعينهم ولا يسمعون ما يلذ مسامعهم ولا ينطقون بما يقبل منهم ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى
ويجوز أن يحشروا مؤفي الحواس من الموقف الى النار بعد الحساب فقد أخبر عنهم في موضع آخر انهم
يقرؤن ويتكلمون (كلما خبت) كلما أكلت جلودهم ولحومهم وأفنتها فسكن لهبها بدلوا غيرها فرجعت

فأبى أكثر الناس الا كفورا وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الانهار خلالها تفجيرا أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا أو تأتي بالله والملائكة قبيلا أو يكون لك بيت من زخرف أو ترقى في السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه قل سبحان ربي هل كنت الا بشرا رسولا وما منع الناس أن يؤمنوا اذ جاءهم الهدى الا أن قالوا أبعث الله بشرا رسولا قل لو كان في الارض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم انه كان بعباده خبيرا بصيرا ومن يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد لهم أولياء من دونه ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا وبكما وصما مأواهم جهنم كلما خبت زدناهم سعيرا

* قوله تعالى قل لو كان في الارض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا (قال معناه لو كانوا يمشون مشي الانس ولا يطيرون باجنحتهم الى السماء الخ) قال أحمد وقد اشتمل كلامه هذا على جواب حسن عن سؤال مقدر وهو قول القائل لا بمجرد وجود الملائكة في الارض يناسب ارسال الملك اليهم فما فائدة هذه الزيادة فيكون جوابه ما تقدم والله الموفق

ملهبة مستعرة كأنهم لما كذبوا بالإعادة بعد الإفناء جعل الله جزاءهم أن سلط النار على أجزائهم تأكلها وتفنيها ثم يعيدها لا يزالون على الإفناء والإعادة ليزيد ذلك في تحسرهم على تكذيبهم البعث ولأنه أدخل في الانتقام من الجاحد وقد دل على ذلك بقوله (ذلك جزاؤهم) إلى قوله (أئنا لمبعوثون خلقا جديدا) (فإن قلت) علام عطف قوله وجعل لهم أجلا (قلت) على قوله (أولم يروا) لأن المعنى قد علموا بدليل العقل أن من قدر على خلق السموات والأرض فهو قادر على خلق أمثالهم من الإنس لأنهم ليسوا أشد خلقا منهن كما قال أأنتم أشد خلقا أم السماء (وجعل لهم أجلا لا ريب فيه) وهو الموت أو القيامة فأبوا مع وضوح الدليل إلا جحودا * لو حقها أن تدخل على الأفعال دون الأسماء فلا بد من فعل بعدها في (لو أنتم تملكون) وتقديره لو تملكون تملكون فأضمرت تملك إضمارا على شريطة التفسير وأبدل من الضمير المتصل الذي هو الواو ضمير منفصل وهو أنتم لسقوط ما يتصل به من اللفظ فأنتم فاعل الفعل المضمر وتملكون تفسيره وهذا هو الوجه الذي يقتضيه علم الإعراب فأما ما يقتضيه علم البيان فهو أن أنتم تملكون فيه دلالة على الاختصاص وأن الناس هم المختصون بالشح المتبالغ ونحوه قول حاتم * لو ذات سوار لطمتني * وقول المتلمس

* ولو غير أخوالي أرادوا نقيصتي * وذلك لأن الفعل الأول لما سقط لأجل المفسر برز الكلام في صورة المبتدإ والخبر * ورحمة الله رزقه وسائر نعمه على خلقه ولقد بلغ هذا الوصف بالشح الغاية التي لا يبلغها الوهم وقيل هو لأهل مكة الذين اقترحوا ما اقترحوا من الينبوع والأنهار وغيرها وأنهم لو ملكوا خزائن الأرزاق لبخلوا بها (قتورا) ضيقا بخيلا (فإن قلت) هل يقدر لأمسكتم مفعول (قلت) لا لأن معناه لبخلتم من قولك للبخيل ممسك * عن ابن عباس رضي الله عنهما هي العصا واليد والجراد والقمل والضفادع والدم والحجر والبحر والطور الذي نتقه على بني إسرائيل وعن الحسن الطوفان والسنون ونقص الثمرات مكان الحجر والبحر والطور وعن عمر بن عبد العزيز أنه سأل محمد بن كعب فذكر اللسان والطمس فقال له عمر كيف يكون الفقيه إلا هكذا أخرج يا غلام ذلك الجراب فأخرجه فنفضه فإذا بيض مكسور نصفين وجوز مكسور وفوم وحمص وعدس كلها حجارة وعن صفوان بن عسال أن بعض اليهود سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال أوحى الله إلى موسى أن قل لبني إسرائيل لا تشركوا بالله شيئا ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا تسحروا ولا تأكلوا الربا ولا تمشوا ببريء إلى ذي سلطان ليقتله ولا تقذفوا المحصنة ولا تفروا من الزحف وأنتم يا يهود خاصة لا تعدوا في السبت (فاسأل بني إسرائيل) فقلنا له سل بني إسرائيل أي سلهم من فرعون وقل له أرسل معي بني إسرائيل أو سلهم عن إيمانهم وعن حال دينهم أو سلهم أن يعضدوك وتكون قلوبهم وأيديهم معك وتدل عليه قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم فسال بني إسرائيل على لفظ الماضي بغير همز وهي لغة قريش وقيل فسل يا رسول الله المؤمنين من بني إسرائيل وهم عبد الله بن سلام وأصحابه عن الآيات ليزدادوا يقينا وطمأنينة قلب لأن الأدلة إذا تظاهرت كان ذلك أقوى وأثبت كقول إبراهيم ولكن ليطمئن قلبي (فإن قلت) بم تعلق (إذ جاءهم) (قلت) أما على الوجه الأول فبالقول المحذوف أي فقلنا له سلهم حين جاءهم أو بسال في القراءة الثانية وأما على الأخير فبآتينا أو بإضمار اذكر أو يخبروك ومعنى إذ جاءهم إذ جاء آباءهم (مسحورا) سحرت فخولط عقلك (لقد علمت) يا فرعون (ما أنزل هؤلاء) الآيات إلا الله عز وجل (بصائر) بينات مكشوفات ولكنك معاند مكابر ونحوه وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا وقرئ علمت بالضم على معنى إني لست بمسحور كما وصفتني بل أنا عالم بصحة الأمر * وأن هذه الآيات منزلها رب السموات والأرض * ثم قارع ظنه بظنه كأنه قال إن ظننتني مسحورا فأنا أظنك (مثبورا) هالكا وظني أصح من ظنك لأن له أمارة ظاهرة وهي إنكارك ما عرفت صحته ومكابرتك لآيات الله بعد وضوحها وأما ظنك فكذب بحت لأن قولك مع علمك بصحة أمري إني لأظنك مسحورا قول كذاب وقال الفراء مثبور مصروف عن الخير مطبوع على قلبك من قولهم ما ثبرك عن هذا أي ما منعك وصرفك وقرأ أبي بن كعب وإن إخالك يا فرعون لمثبورا على إن المخففة واللام الفارقة (فأراد) فرعون أن يستفز موسى وقومه من

ذلك جزاؤهم بأنهم
كفروا بآياتنا وقالوا
أئذا كنا عظاما ورفاتا
أئنا لمبعوثون خلقا
جديدا أولم يروا أن الله
الذي خلق السموات
والأرض قادر على أن
يخلق مثلهم وجعل لهم
أجلا لا ريب فيه فأبى
الظالمون إلا كفورا
قل لو أنتم تملكون خزائن
رحمة ربي إذا لأمسكتم
خشية الإنفاق وكان
الإنسان قتورا ولقد
آتينا موسى تسع آيات
بينات فاسأل بني
إسرائيل إذ جاءهم
فقال له فرعون إني
لأظنك يا موسى
مسحورا قال لقد علمت
ما أنزل هؤلاء إلا رب
السموات والأرض
بصائر وإني لأظنك
يا فرعون مثبورا فأراد
أن يستفزهم من
الأرض فأغرقناه ومن
معه جميعا وقلنا من
بعده لبني إسرائيل

أرض مصر ويخرجهم منها أو ينفيهم عن ظهر الارض بالقتل والاستئصال فحاق به مكره بأن استفزه الله
باغراقه مع قبطه (اسكنوا الارض) التي أراد فرعون أن يستفزكم منها (فاذا جاء وعد الآخرة) يعني قيام
الساعة (جئنا بكم لفيفا) جمعا مختلطين اياكم واياهم ثم يحكم بينكم ويميز بين سعدائكم وأشقيائكم واللفيف
الجماعات من قبائل شتى (وبالحق أنزلناه وبالحق نزل) وما أنزلنا القرآن الا بالحكمة المقتضية لانزاله وما
نزل الا ملتبسا بالحق والحكمة لاشتماله على الهداية الى كل خير أو ما أنزلناه من السماء الا بالحق محفوظا
بالرصد من الملائكة وما نزل على الرسول الا محفوظا بهم من تخليط الشياطين (وما أرسلناك) الا لتبشرهم
بالجنة وتنذرهم من النار ليس اليك وراء ذلك شئ من اكراه على الدين أو نحو ذلك (وقرآنا) منصوب بفعل
يفسره (فرقناه) وقرأ أبي فرقناه بالتشديد أي جعلنا نزوله مفرقا منجما وعن ابن عباس رضي الله عنه انه
قرأه مشددا وقال لم ينزل في يومين أو ثلاثة بل كان بين أوله وآخره عشرون سنة يعني أن فرق بالتخفيف يدل
على فصل متقارب (على مكث) بالفتح والضم على مهل وتؤدة وتثبت (ونزلناه تنزيلا) على حسب الحوادث
(قل آمنوا به أولا تؤمنوا) أمر بالاعراض عنهم واحتقارهم والازدراء بشأنهم وأن لا يكترث بهم وبايمانهم
وبامتناعهم عنه وأنهم ان لم يدخلوا في الايمان ولم يصدقوا بالقرآن وهم أهل جاهلية وشرك فان خيرا
منهم وأفضل وهم العلماء الذين قرؤا الكتب وعلموا ما الوحي وما الشرائع قد آمنوا به وصدقوه وثبت عندهم
أنه النبي العربي الموعود في كتبهم فاذا تلي عليهم خروا سجدا وسبحوا الله تعظيما لأمره ولانجازه ما وعد في
الكتب المنزلة وبشر به من بعثة محمد صلى الله عليه وسلم وانزال القرآن عليه وهو المراد بالوعد في قوله (ان كان
وعد ربنا لمفعولا * ويزيدهم خشوعا) أي يزيدهم القرآن لين قلب ورطوبة عين (فان قلت) ان الذين أوتوا
العلم من قبله تعليل لماذا (قلت) يجوز أن يكون تعليلا لقوله آمنوا به أولا تؤمنوا وأن يكون تعليلا لقل على
سبيل التسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتطييب نفسه كأنه قيل تسل عن ايمان الجهلة بايمان العلماء
وعلى الاول ان لم تؤمنوا به لقد آمن به من هو خير منكم (فان قلت) ما معنى الخرور للذقن (قلت) السقوط
على الوجه وانما ذكر الذقن وهو مجتمع اللحيين لان الساجد أول ما يلقى به الارض من وجهه الذقن (فان
قلت) حرف الاستعلاء ظاهر المعنى اذا قلت خر على وجهه وعلى ذقنه فما معنى اللام في خر لذقنه ولوجهه قال
* فخر صريعا لليدين وللفم (قلت) معناه جعل ذقنه ووجهه للخرور واختصه به لان اللام للاختصاص
(فان قلت) لم كرر يخرون للاذقان (قلت) لاختلاف الحالين وهما خرورهم في حال كونهم ساجدين
وخرورهم في حال كونهم باكين * عن ابن عباس رضي الله عنهما سمعه أبو جهل يقول يا الله يا رحمن فقال انه
ينهانا أن نعبد الهين وهو يدعو الها آخر وقيل ان أهل الكتاب قالوا انك لتقل ذكر الرحمن وقد أكثر الله
في التوراة هذا الاسم فنزلت والدعاء بمعنى التسمية لا بمعنى النداء وهو يتعدى الى مفعولين تقول دعوته
زيدا ثم يترك أحدهما استغناء عنه فيقال دعوت زيدا والله والرحمن المراد بهما الاسم لا المسمى وأو
للتخيير فمعنى (ادعوا الله أو ادعوا الرحمن) سموا بهذا الاسم أو بهذا واذكروا هذا أو هذا * والتنوين في
(أيا) عوض من المضاف اليه و(ما) صلة للابهام المؤكد لما في أي أي أي هذين الاسمين سميتم وذكرتم (فله
الاسماء الحسنى) والضمير في فله ليس براجع الى أحد الاسمين المذكورين ولكن الى مسماهما وهو ذاته
تعالى لان التسمية للذات لا للاسم والمعنى أياما تدعوا فهو حسن فوضع موضعه قوله فله الاسماء الحسنى
لانه اذا حسنت أسماؤه كلها حسن هذان الاسمان لانهما منها ومعنى كونها أحسن الاسماء أنها مستقلة
بمعاني التحميد والتقديس والتعظيم (بصلاتك) بقراءة صلاتك على حذف المضاف لانه لا يلبس من قبل أن
الجهر والمخافتة صفتان تعتقبان على الصوت لا غير والصلاة أفعال وأذكار وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يرفع صوته بقراءته فاذا سمعها المشركون لغوا وسبوا فأمر بان يخفض من صوته والمعنى ولا تجهر حتى تسمع
المشركين (ولا تخافت) حتى لا تسمع من خلفك (وابتغ بين) الجهر والمخافتة (سبيلا) وسطا وروى أن
أبا بكر رضي الله عنه كان يخفي صوته بالقراءة في صلاته ويقول أناجي ربي وقد علم حاجتي وكان عمر رضي

اسكنوا الارض فاذا
وعد الآخرة جئنا بكم
لفيفا وبالحق أنزلناه
وبالحق نزل وما أرسلناك
الا مبشرا ونذيرا وقرآنا
فرقناه لتقرأه على
الناس على مكث
ونزلناه تنزيلا قل آمنوا
به أولا تؤمنوا ان الذين
أوتوا العلم من قبله اذا
يتلى عليهم يخرون
للاذقان سجدا
ويقولون سبحان ربنا
ان كان وعد ربنا لمفعولا
ويخرون للاذقان
يبكون ويزيدهم
خشوعا قل ادعوا الله
أو ادعوا الرحمن أيا ما
تدعوا فله الاسماء
الحسنى ولا تجهر
بصلاتك ولا تخافت بها
وابتغ بين ذلك سبيلا
وقل الحمد لله الذي لم يتخذ
ولدا ولم يكن له شريك
في الملك ولم يكن له

* قوله تعالى وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل (قال ان قلت كيف لاق وصفه بنفي الولد والشريك الخ) قال أحمد وقد لاحظ الزمخشري ههنا ما أغفله عند قوله تعالى الحمد لله الذي خلق السموات والارض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون وقد رددت هذا الوجه فيما تقدم بأن هذه الجملة لا يليق اقترانها بكلمة تحميد ولا تناسبها فان ذلك لو قلت ابتداء الحمد لله الذين كفروا به يعدلون لم يكن مناسبا والله أعلم

الله عنه يرفع صوته ويقول أزجر الشيطان وأوقظ الوسنان فأمر أبا بكر أن يرفع قليلا وعمر أن يخفض قليلا وقيل معناه ولا تجهر بصلاتك كلها ولا تخافت بها كلها وابتغ بين ذلك سبيلا بأن تجهر بصلاة الليل وتخافت بصلاة النهار وقيل بصلاتك بدعائك وذهب قوم الى أن الآية منسوخة بقوله ادعوا ربكم تضرعا وخفية وابتغاء السبيل مثل لانتحاء الوجه الوسط في القراءة (ولي من الذل) ناصر من الذل ومانع له منه لاعتزازه به أو لم يوال أحدا من أجل مذلة به ليدفعها بموالاته (فان قلت) كيف لاق وصفه بنفي الولد والشريك والذل بكلمة التحميد (قلت) لان من هذا وصفه هو الذي يقدر على ايلاء كل نعمة فهو الذي يستحق جنس الحمد وكان النبي صلى الله عليه وسلم اذا أفصح الغلام من بني عبد المطلب علمه هذه الآية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة بني اسرائيل فرق قلبه عند ذكر الوالدين كان له قنطار في الجنة والقنطار ألف أوقية ومائتا أوقية رزقنا الله بفضله العميم واحسانه الجسيم

﴿سورة الكهف مكية وهي مائة واحدى عشرة آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

* لقن الله عباده وفقههم كيف يثنون عليه ويحمدونه على أجزل نعمائه عليهم وهي نعمة الاسلام وما أنزل على عبده محمد صلى الله عليه وسلم من الكتاب الذي هو سبب نجاتهم وفوزهم (ولم يجعل له عوجا) ولم يجعل له شيأ من العوج قط والعوج في المعاني كالعوج في الاعيان والمراد نفي الاختلاف والتناقض عن معانيه وخروج شيء منه من الحكمة والاصابة فيه (فان قلت) بم انتصب (قيما) (قلت) الاحسن أن ينتصب بمضمر ولا يجعل حالا من الكتاب لان قوله ولم يجعل معطوف على أنزل فهو داخل في حيز الصلة فجاعله حالا من الكتاب فاصل بين الحال وذي الحال ببعض الصلة وتقديره ولم يجعل له عوجا جعله قيما لانه اذا نفى عنه العوج فقد أثبت له الاستقامة (فان قلت) ما فائدة الجمع بين نفي العوج واثبات الاستقامة وفي أحدهما غنى عن الآخر (قلت) فائدته التأكيد فرب مستقيم مشهود له بالاستقامة ولا يخلو من أدنى عوج عند السبر والتصفح وقيل قيما على سائر الكتب مصدقا لها شاهدا بصحتها وقيل قيما بمصالح العباد وما لا بد لهم منه من الشرائع وقرئ قيما * أنذر متعد الى مفعولين كقوله انا أنذرناكم عذابا قريبا فاقتصر على أحدهما وأصله (لينذر) الذين كفروا (بأسا شديدا) والبأس من قوله بعذاب بئيس وقد بؤس العذاب وبؤس الرجل بأسا وبآسة (من لدنه) صادرا من عنده وقرئ من لدنه بسكون الدال مع اشمام الضمة وكسر النون (ويبشر) بالتخفيف والتثقيل (فان قلت) لم اقتصر على أحد مفعولي أنذر (قلت) قد جعل المنذر به هو الغرض المسبوق اليه فوجب الاقتصار عليه والدليل عليه تكرير الانذار في قوله (وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا) متعلقا بالمنذرين من غير ذكر المنذر به كما ذكر المبشر به في قوله أن لهم أجرا حسنا استغناء بتقدم ذكره * والاجر الحسن الجنة (ما لهم به من علم) أي بالولد أو باتخاذه يعني أن قولهم هذا لم يصدر عن علم ولكن عن جهل مفرط وتقليد للآباء وقد شغلته آباؤهم من الشيطان وتسويله (فان قلت) اتخاذ الله ولدا في نفسه محال فكيف قيل ما لهم به من علم (قلت) معناه ما لهم به من علم لانه ليس مما يعلم لاستحالته وانتفاء العلم بالشيء اما للجهل بالطريق الموصل اليه واما لانه في نفسه محال لا يستقيم تعلق العلم به * قرئ كبرت كلمة وكلمة بالنصب على التمييز والرفع على الفاعلية والنصب أقوى وأبلغ وفيه معنى التعجب كأنه قيل ما أكبرها كلمة و(تخرج من أفواههم) صفة للكلمة

ولي من الذل وكبره تكبيرا

(سورة الكهف مكية وهي مائة واحدى عشرة آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا قيما لينذر بأسا شديدا من لدنه ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا حسنا ماكثين فيه أبدا وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا ما لهم به من علم ولا لآبائهم كبرت كلمة تخرج من أفواههم ان يقولون الا كذبا فلعلك باخع نفسك على آثارهم ان لم يؤمنوا

(القول في سورة الكهف)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله تعالى وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا ما لهم به من علم ولا لآبائهم (قال فيه ان قلت اتخاذ الله ولدا في نفسه محال فكيف قيل لهم الخ) قال أحمد قد مضى له في قوله تعالى وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا أن ذلك وارد على سبيل التهكم والا فلا سلطان على الشرك حتى ينزل ونظيره * ولا ترى الضب بها ينجحر * وقد قدمت حينئذ أن الكلام وارد على سبيل الحقيقة والاصل وأن نفي انزال السلطان تارة يكون لاستحالة انزاله ووجوده وتارة يكون لانه لم يقع وان كان ممكنا والله أعلم

● قوله عز وجل لنعلم أي الحزبين أحصى لما لبثوا أمدا (قال أعرب أحصى فعلا ماضيا أي لنعلم أيهم أضبط أمدا الخ) قال أحمد وقد حمل بعض النحاة بناء أفعل من المزيد فيه الهمز قياسا وادعى ذلك مذهبا لسيبويه وعلله بأن بناءه منه لا يغير نظم الكلمة وإنما هو تعويض همزة بهمزة

تقليدا استعظاما لاجترائهم على النطق بها وإخراجها من أفواههم فإن كثيرا مما يوسوسه الشيطان في قلوب الناس ويحدثون به أنفسهم من المنكرات لا يتمالكون أن يتفوهوا به بل يكظمون عليه تشوّرا من إظهاره فكيف بمثل هذا المنكر ● وقرئ كبرت بسكون الباء مع إشمام الضمة (فإن قلت) إلام يرجع الضمير في كبرت (قلت) إلى قولهم اتخذ الله ولدا وسميت كلمة كما يسمون القصيدة كلمة ● شبهه وإياهم حين تولوا عنه ولم يؤمنوا به وما تداخله من الوجد والأسف على توليهم برجل فارقه أحبته وأعزته فهو يتساقط حسرات على آثارهم ويبخع نفسه وجدا عليهم وتلهفا على فراقهم ● وقرئ باخع نفسك على الأصل وعلى الإضافة أي قاتلها ومهلكها وهو للاستقبال فيمن قرأ إن لم يؤمنوا وللمضي فيمن قرأ أن لم يؤمنوا بمعنى لأن لم يؤمنوا (بهذا الحديث) بالقرآن (أسفا) مفعول له أي لفرط الحزن ويجوز أن يكون حالا والأسف المبالغة في الحزن والغضب يقال رجل أسف وأسيف (ما على الأرض) يعني ما يصلح أن يكون زينة لها ولأهلها من زخارف الدنيا وما يستحسن منها (لنبلوهم أيهم أحسن عملا) وحسن العمل الزهد فيها وترك الاغترار بها ثم زهده في الميل إليها بقوله (وإنا لجاعلون ما عليها) من هذه الزينة (صعيدا جرزا) يعني مثل أرض بيضاء لا نبات فيها بعد أن كانت خضراء معشبة في إزالة بهجته وإماطة حسنه وإبطال ما به كان زينة من إماتة الحيوان وتجفيف النبات والأشجار ونحو ذلك ذكر من الآيات الكلية تزيين الأرض بما خلق فوقها من الأجناس التي لا حصر لها وإزالة ذلك كله كأن لم يكن ثم قال (أم حسبت) يعني أن ذلك أعظم من قصة أصحاب الكهف وإبقاء حياتهم مدة طويلة ● والكهف الغار الواسع في الجبل (والرقيم) اسم كلبهم قال أمية بن أبي الصلت

وليس بها إلا الرقيم مجاورا ● وصيدهم والقوم في الكهف همّد

وقيل هو لوح من رصاص رقمت فيه أسماؤهم جعل على باب الكهف وقيل إن الناس رقموا حديثهم نقرا في الجبل وقيل هو الوادي الذي فيه الكهف وقيل الجبل وقيل قريتهم وقيل مكانهم بين غضبان وأيلة دون فلسطين (كانوا) آية (عجبا) من آياتنا وصفا بالمصدر أو على ذات عجب (من لدنك رحمة) أي رحمة من خزائن رحمتك وهي المغفرة والرزق والأمن من الأعداء (وهيئ لنا من أمرنا) الذي نحن عليه من مفارقة الكفار (رشدا) حتى نكون بسببه راشدين مهتدين أو اجعل أمرنا رشدا كله كقولك رأيت منك أسدا (فضربنا على آذانهم) أي ضربنا عليها حجابا من أن تسمع يعني أنمناهم إنامة ثقيلة لا تنبههم فيها الأصوات كما ترى المستثقل في نومه يصاح به فلا يسمع ولا يستنبه فحذف المفعول الذي هو الحجاب كما يقال بنى على امرأته يريدون بنى عليها القبة (سنين عددا) ذوات عدد فيحتمل أن يريد الكثرة وأن يريد القلة لأن الكثير قليل عنده كقوله لم يلبثوا إلا ساعة من نهار وقال الزجاج إذا قل فهم مقدار عدده فلم يحتج أن يعد وإذا كثر احتاج إلى أن يعد ● أي يتضمن معنى الاستفهام فعلق عنه لنعلم فلم يعمل فيه ● وقرئ ليعلم وهو معلق عنه أيضا لأن ارتفاعه بالابتداء لا بإسناد يعلم إليه وفاعل يعلم مضمون الجملة كما أنه مفعول نعلم (أي الحزبين) المختلفين منهم في مدة لبثهم لأنهم لما انتبهوا اختلفوا في ذلك وذلك قوله قال قائل منهم كم لبثتم قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم قالوا ربكم أعلم بما لبثتم وكان الذين قالوا ربكم أعلم بما لبثتم هم الذين علموا أن لبثهم قد تطاول أو أي الحزبين المختلفين من غيرهم و(أحصى) فعل ماض أي أيهم ضبط (أمدا) لأوقات لبثهم (فإن قلت) فما تقول فيمن جعله من أفعل التفضيل (قلت) ليس بالوجه السديد وذلك أن بناءه من غير الثلاثي المجرد ليس بقياس ونحو أعدى من الجرب وأفلس من ابن المذلق شاذ والقياس على الشاذ في غير القرآن ممتنع فكيف به ولأن أمدا لا يخلو إما أن ينتصب بأفعل فأفعل لا يعمل وإما أن ينتصب بلبثوا فلا يسد عليه المعنى فإن زعمت أني أنصبه بإضمار فعل يدل عليه أحصى كما أضمر في قوله ● وأضرب منا بالسيوف القوانسا ● على نضرب القوانس فقد أبعدت المتناول وهو قريب حيث أبيت أن يكون أحصى فعلا ثم رجعت مضطرا إلى تقديره وإضماره (فإن قلت

بهذا الحديث أسفا إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا وإنا لجاعلون ما عليها صعيدا جرزا أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا إذ أوى الفتية إلى الكهف فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من أمرنا رشدا فضربنا على آذانهم في الكهف سنين عددا ثم بعثناهم لنعلم أي الحزبين أحصى لما لبثوا أمدا نحن نقص عليك نبأهم بالحق إنهم فتية آمنوا بربهم

● عن كلامه (قال وأيضا فلو كان للتفضيل لم يخل انتصاب أمدا إما بأفعل الخ) قال أحمد ولقائل أن ينصبه على التمييز كانتصاب العدد تمييزا في قوله تعالى وأحصى كل شيء عددا ويعضد حمله على أفعل التفضيل وروده في نظير الواقعة واختلاف لا جرم في مقدار اللبث وذلك في قوله تعالى إذ يقول أمثلهم طريقة إن لبثتم إلا يوما فأمثلهم طريقة هو أحصاهم لما لبثوا أمدا وكلا الوجهين جائز والله أعلم

كيف

وزدناهم هدى وربطنا
على قلوبهم اذ قاموا
فقالوا ربنا رب السموات
والارض لن ندعو من
دونه الها لقد قلنا اذا
شططا هؤلاء قومنا
اتخذوا من دونه آلهة
لولا يأتون عليهم بسلطان
بين فمن أظلم ممن افترى
على الله كذبا
واذ اعتزلتموهم وما
يعبدون الا الله فأووا
الى الكهف ينشر لكم
ربكم من رحمته ويهيئ
لكم من أمركم مرفقا
وترى الشمس اذا طلعت
تزاور عن كهفهم ذات
اليمين واذا غربت
تقرضهم ذات الشمال
وهم في فجوة منه ذلك
من آيات الله من يهد
الله فهو المهتد ومن
يضلل فلن تجد له وليا
مرشدا وتحسبهم أيقاظا
وهم رقود ونقلبهم ذات
اليمين وذات الشمال
وكلبهم باسط ذراعيه
بالوصيد لو اطلعت
عليهم لوليت منهم
فرارا ولملئت منهم رعبا

كيف جعل الله تعالى العلم باحصائهم المدة غرضا في الضرب على آذانهم (قلت) الله عز وجل لم يزل عالما بذلك وانما أراد ما تعلق به العلم من ظهور الامر لهم ليزدادوا ايمانا واعتبارا ويكون لطفا لمؤمني زمانهم وآية بينة لكفاره (وزدناهم هدى) بالتوفيق والتثبيت (وربطنا على قلوبهم) وقويناها بالصبر على هجر الاوطان والنعيم والفرار بالدين الى بعض الغيران وجسرناهم على القيام بكلمة الحق والتظاهر بالاسلام (اذ قاموا) بين يدي الجبار وهو دقيانوس من غير مبالاة به حين عاتبهم على ترك عبادة الصنم (فقالوا ربنا رب السموات والارض شططا) قولا ذا شطط وهو الافراط في الظلم والابعاد فيه من شط اذا بعد ومنه أشط في السوم وفي غيره (هؤلاء) مبتدأ و(قومنا) عطف بيان و(اتخذوا) خبر وهو اخبار في معنى انكار (لولا يأتون عليهم) هلا يأتون على عبادتهم فحذف المضاف (بسلطان بين) وهو تبكيت لان الاتيان بالسلطان على عبادة الاوثان محال وهو دليل على فساد التقليد وأنه لا بد في الدين من الحجة حتى يصح ويثبت (افترى على الله كذبا) بنسبة الشريك اليه (واذ اعتزلتموهم) خطاب من بعضهم لبعض حين صممت عزيمتهم على الفرار بدينهم (وما يعبدون) نصب عطف على الضمير يعني واذ اعتزلتموهم واعتزلتم معبوديهم (الا الله) يجوز أن يكون استثناء متصلا على ما روي أنهم كانوا يقرون بالخالق ويشركون معه كأهل مكة وأن يكون منقطعا وقيل هو كلام معترض اخبار من الله تعالى عن الفتية أنهم لم يعبدوا غير الله (مرفقا) قرئ بفتح الميم وكسر الفاء وهو ما يرتفق به أي ينتفع اما أن يقولوا ذلك ثقة بفضل الله وقوة في رجائهم لتوكلهم عليه ونصوع يقينهم واما أن يخبرهم به نبي في عصرهم واما أن يكون بعضهم نبيا (تزاور) أي تمايل أصله تتزاور فخفف بادغام التاء في الزاي أو حذفها وقد قرئ بهما وقرئ تزور وتزوار بوزن تحمر وتحمار وكلها من الزور وهو الميل ومنه زاره اذا مال اليه والزور الميل عن الصدق (ذات اليمين) جهة اليمين وحقيقتها الجهة المسماة باليمين (تقرضهم) تقطعهم لا تقربهم من معنى القطيعة والصرم قال ذو الرمة

الى ظعن يقرضن أقواز مشرف * شمالا وعن أيمانهن الفوارس

(وهم في فجوة منه) وهم في متسع من الكهف والمعنى أنهم في ظل نهارهم كله لا تصيبهم الشمس في طلوعها ولا غروبها مع أنهم في مكان واسع منفتح معرض لاصابة الشمس لولا أن الله يحجبها عنهم وقيل في متسع من غارهم ينالهم فيه روح الهواء وبرد النسيم ولا يحسون كرب الغار (ذلك من آيات الله) أي ما صنعه الله بهم من ازورار الشمس وقرضها طالعة وغاربة آية من آياته يعني أن ما كان في ذلك السمت تصيبه الشمس ولا تصيبهم اختصاصا لهم بالكرامة وقيل باب الكهف شمالي مستقبل لبنات نعش فهم في مقنأة أبدا ومعنى ذلك من آيات الله أن شأنهم وحديثهم من آيات الله (من يهد الله فهو المهتد) ثناء عليهم بأنهم جاهدوا في الله وأسلموا له وجوههم فلطف بهم وأعانهم وأرشدهم الى نيل تلك الكرامة السنية والاختصاص بالآية الساطعة وأن كل من سلك طريقة المهتدين الراشدين فهو الذي أصاب الفلاح واهتدى الى السعادة ومن تعرض للخذلان فلن يجد من يليه ويرشده بعد خذلان الله (وتحسبهم) بكسر السين وفتحها خطاب لكل أحد والايقاظ جمع يقظ كأنكاد في نكد قيل عيونهم مفتحة وهم نيام فيحسبهم الناظر لذلك أيقاظا وقيل لكثرة تقلبهم وقيل لهم تقلبتان في السنة وقيل تقلبة واحدة في يوم عاشوراء * وقرئ ويقلبهم بالياء والضمير لله تعالى وقرئ وتقلبهم على المصدر منصوبا وانتصابه بفعل مضمر يدل عليه وتحسبهم أيقاظا كأنه قيل وترى وتشاهد تقلبهم * وقرأ جعفر الصادق وكالبهم أي وصاحب كلبهم (باسط ذراعيه) حكاية حال ماضية لان اسم الفاعل لا يعمل اذا كان في معنى المضي واضافته اذا أضيف حقيقية معرفة كغلام زيد الا اذا نويت حكاية الحال الماضية * والوصيد الفناء وقيل العتبة وقيل الباب وأنشد

بأرض فضاء لا يسد وصيدها * علي ومعروفي بها غير منكر

* وقرئ ولملئت بتشديد اللام للمبالغة وقرئ بتخفيف الهمزة وقلبها ياء و(رعبا) بالتخفيف والتثقيل وهو الخوف الذي يرعب الصدر أي يملؤه وذلك لما ألبسهم الله من الهيبة وقيل لطول أظفارهم وشعورهم وعظم

أجرامهم وقيل لوحشة مكانهم وعن معاوية أنه غزا الروم فمر بالكهف فقال لو كشف لنا عن هؤلاء فنظرنا إليهم فقال له ابن عباس رضي الله عنه ليس لك ذلك قد منع الله تعالى منه من هو خير منك فقال لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا فقال معاوية لا أنتهي حتى أعلم علمهم فبعث ناسا وقال لهم اذهبوا فانظروا ففعلوا فلما دخلوا الكهف بعث الله عليهم ريحا فأحرقتهم وقرئ لو اطلعت بضم الواو (وكذلك بعثناهم) وكما أنمناهم تلك النومة كذلك بعثناهم ادكارا بقدرته على الإنامة والبعث جميعا ليسأل بعضهم بعضا ويعرفوا حالهم وما صنع الله بهم فيعتبروا ويستدلوا على عظم قدرة الله تعالى ويزدادوا يقينا ويشكروا ما أنعم الله به عليهم وكرموا به (قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم) جواب مبني على غالب الظن وفيه دليل على جواز الاجتهاد والقول بالظن الغالب وأنه لا يكون كذبا وإن جاز أن يكون خطأ (قالوا ربكم أعلم بما لبثتم) إنكار عليهم من بعضهم وأن الله أعلم بمدة لبثهم كأن هؤلاء قد علموا بالأدلة أو بإلهام من الله أن المدة متطاولة وأن مقدارها مبهم لا يعلمه إلا الله وروي أنهم دخلوا الكهف غدوة وكان انتباههم بعد الزوال فظنوا أنهم في يومهم فلما نظروا إلى طول أظفارهم وأشعارهم قالوا ذلك (فإن قلت) كيف وصلوا قولهم (فابعثوا) بتذكر حديث المدة (قلت) كأنهم قالوا ربكم أعلم بذلك لا طريق لكم إلى علمه فخذوا في شيء آخر مما يهمكم • والورق الفضة مضروبة كانت أو غير مضروبة ومنه الحديث أن عرفجة أصيب أنفه يوم الكلاب فاتخذ أنفا من ورق فأنتن فأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يتخذ أنفا من ذهب • وقرئ بورقكم بسكون الراء والواو مفتوحة أو مكسورة وقرأ ابن كثير بورقكم بكسر الراء وإدغام القاف في الكاف وعن ابن محيصن أنه كسر الواو وأسكن الراء وأدغم وهو غير جائز لالتقاء الساكنين لا على حده • وقيل المدينة طرسوس قالوا وتزودهم ما كان معهم من الورق عند فرارهم دليل على أن حمل النفقة وما يصلح المسافر هو رأي المتوكلين على الله دون المتكلين على الاتفاقات وعلى ما في أوعية القوم من النفقات ومنه قول عائشة رضي الله عنها لمن سألها عن محرم يشد عليه هميانه أوثق عليك نفقتك وما حكي عن بعض صعاليك العلماء أنه كان شديد الحنين إلى أن يرزق حج بيت الله وتعولم منه ذلك فكانت مياسير أهل بلده كلما عزم منهم فوج على الحج أتوه فبذلوا له أن يحجوا به وألحوا عليه فيعتذر إليهم ويحمد لهم بذلهم فإذا انصرفوا عنه قال لمن عنده ما لهذا السفر إلا شيئان شد الهميان والتوكل على الرحمن (أيها) أي أهلها فحذف الأهل كما في قوله واسأل القرية (أزكى طعاما) أحل وأطيب وأكثر وأرخص (وليتلطف) وليتكلف اللطف والنيقة فيما يباشره من أمر المبايعة حتى لا يغبن أو في أمر التخفي حتى لا يعرف (ولا يشعرن بكم أحدا) يعني ولا يفعلن ما يؤدي من غير قصد منه إلى الشعور بنا فسمى ذلك إشعارا منه بهم لأنه سبب فيه • الضمير في (إنهم) راجع إلى الأهل المقدر في أيها (يرجموكم) يقتلوكم أخبث القتلة وهي الرجم وكانت عادتهم (أو يعيدوكم) أو يدخلوكم (في ملتهم) بالإكراه العنيف ويصيروكم إليها والعود في معنى الصيرورة أكثر شيء في كلامهم يقولون ما عدت أفعل كذا يريدون ابتداء الفعل (ولن تفلحوا إذا أبدا) إن دخلتم في دينهم (وكذلك أعثرنا عليهم) وكما أنمناهم وبعثناهم لما في ذلك من الحكمة أطلعنا عليهم • ليعلم الذين أطلعناهم على حالهم (أن وعد الله حق) وهو البعث لأن حالهم في نومتهم وانتباههم بعدها كحال من يموت ثم يبعث و(إذ يتنازعون) متعلق بأعثرنا أي أعثرناهم عليهم حين يتنازعون بينهم أمر دينهم ويختلفون في حقيقة البعث فكان بعضهم يقول تبعث الأرواح دون الأجساد وبعضهم يقول تبعث الأجساد مع الأرواح ليرتفع الخلاف وليتبين أن الأجساد تبعث حية حساسة فيها أرواحها كما كانت قبل الموت (فقالوا) حين توفى الله أصحاب الكهف (ابنوا عليهم بنيانا) أي على باب كهفهم لئلا يتطرق إليهم الناس ضنا بتربتهم ومحافظة عليها كما حفظت تربة رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحظيرة (قال الذين غلبوا على أمرهم) من المسلمين وملكهم وكانوا أولى بهم وبالبناء عليهم (لنتخذن) على باب الكهف (مسجدا) يصلي فيه المسلمون ويتبركون بمكانهم وقيل إذ يتنازعون بينهم أمرهم أي يتذاكر الناس بينهم أمر أصحاب الكهف ويتكلمون في قصتهم وما أظهر الله من الآية فيهم أو يتنازعون بينهم تدبير أمرهم حين توفوا كيف يخفون مكانهم وكيف يسدون الطريق

وكذلك بعثناهم
ليتساءلوا بينهم قال قائل
منهم كم لبثتم قالوا لبثنا
يوما أو بعض يوم قالوا
ربكم أعلم بما لبثتم فابعثوا
أحدكم بورقكم هذه
إلى المدينة فلينظر أيها
أزكى طعاما فليأتكم
برزق منه وليتلطف
ولا يشعرن بكم أحدا
إنهم إن يظهروا عليكم
يرجموكم أو يعيدوكم في
ملتهم ولن تفلحوا إذا
أبدا وكذلك أعثرنا
عليهم ليعلموا أن وعد
الله حق وأن الساعة
لا ريب فيها إذ يتنازعون
بينهم أمرهم فقالوا ابنوا
عليهم بنيانا ربهم أعلم
بهم قال الذين غلبوا
على أمرهم لنتخذن
عليهم مسجدا

* قوله تعالى سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم ويقولون خمسة سادسهم كلبهم رجما بالغيب ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم قل ربي أعلم بعدتهم ما يعلمهم الا قليل (قال ان قلت لم دخلت الواو في الجملة الاخيرة الخ) قال أحمد وهو الصواب ٧٢٥ لا كمن يقول هي واو الثمانية فان ذلك أمر لا يستقر لمثبته قدم . ويعدون منها هذه الواو وفي قوله في الجنة وفتحت أبوابها بخلاف أبواب النار فانه قال فيها فتحت أبوابها قالوا لان أبواب الجنة ثمانية وأبواب النار سبعة وهب ان في اللغة واوا تصحب الثمانية فتختص بها فأين ذكر العدد في أبواب الجنة حتى ينتهي الى الثامن فتصحبه الواو وربما عدوا من ذلك والناهون عن المنكر وهو الثامن من قوله التائبون وهذا أيضا مردود بان الواو انما اقترنت بهذه الصفة لتربط بينها وبين الاولى التي هي الآمرون بالمعروف لما بينهما من التناسب والربط ألا ترى اقترانهما في جميع مصادرهما ومواردهما كقوله يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وكقوله وأمر بالمعروف وانه عن المنكر وربما عدها بعضهم من ذلك الواو في قوله ثيبات وأبكارا لانه وجدها مع الثامن وهذا غلط فاحش فان هذه واو التقسيم ولو ذهبت تحذفها فتقول ثيبات أبكارا لم يستقم الكلام فقد وضح ان الواو في جميع هذه المواضع المعدودة واردة لغير ما زعمه هؤلاء والله الموفق

سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم ويقولون خمسة سادسهم كلبهم رجما بالغيب ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم قل ربي أعلم بعدتهم ما يعلمهم الا قليل

ثم قالوا سو على باب كهفهم بنيانا روى أن أهل الانجيل عظمت فيهم الخطايا وطغت ملوكهم حتى عبدوا الاصنام وأكرهوا على عبادتها وممن شدد في ذلك دقيانوس فأراد فتية من أشراف قومه على الشرك وتوعدهم بالقتل فأبوا الا الثبات على الايمان والتصلب فيه ثم هربوا الى الكهف ومروا بكلب فتبعهم فطردوه فأنطقه الله فقال ما تريدون مني أنا أحب أحباء الله فناموا وأنا أحرسكم وقيل مروا براع معه كلب فتبعهم على دينهم ودخلوا الكهف فكانوا يعبدون الله فيه ثم ضرب الله على آذانهم وقبل أن يبعثهم الله ملك مدينتهم رجل صالح مؤمن وقد اختلف أهل مملكته في البعث معترفين وجاحدين فدخل الملك بيته وأغلق بابه ولبس مسحا وجلس على رماد وسأل ربه أن يبين لهم الحق فألقى الله في نفس رجل من رعيانهم فهدم ما سد به فم الكهف ليتخذه حظيرة لغنمه ولما دخل المدينة من بعثوه لابتياع الطعام وأخرج الورق وكان من ضرب دقيانوس اتهموه بانه وجد كنزا فذهبوا به الى الملك فقص عليه القصة فانطلق الملك وأهل المدينة معه وأبصروهم وحمدوا الله على الآية الدالة على البعث ثم قالت الفتية للملك نستودعك الله ونعيذك به من شر الجن والانس ثم رجعوا الى مضاجعهم وتوفى الله أنفسهم فألقى الملك عليهم ثيابه وأمر فجعل لكل واحد تابوت من ذهب فرآهم في المنام كارهين للذهب فجعلها من الساج وبنى على باب الكهف مسجدا ربهم أعلم بهم من كلام المتنازعين كأنهم تذاكروا أمرهم وتناقلوا الكلام في أنسابهم وأحوالهم ومدة لبثهم فلما لم يهتدوا الى حقيقة ذلك قالوا ربهم أعلم بهم أو هو من كلام الله عز وجل رد لقول الخائضين في حديثهم من أولئك المتنازعين أو من الذين تنازعوا فيهم على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهل الكتاب (سيقولون) الضمير لمن خاض في قصتهم في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهل الكتاب والمؤمنين سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهم فأخر الجواب الى أن يوحى اليه فيهم فنزلت اخبارا بما سيجري بينهم من اختلافهم في عددهم وأن المصيب منهم من يقول سبعة وثامنهم كلبهم * قال ابن عباس رضي الله عنه أنا من أولئك القليل وروى أن السيد والعاقب وأصحابهما من أهل نجران كانوا عند النبي صلى الله عليه وسلم فجرى ذكر أصحاب الكهف فقال السيد وكان يعقوبيا كانوا ثلاثة رابعهم كلبهم وقال العاقب وكان نسطوريا كانوا خمسة سادسهم كلبهم وقال المسلمون كانوا سبعة وثامنهم كلبهم فحقق الله قول المسلمين وانما عرفوا ذلك باخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم عن لسان جبريل عليه السلام وعن علي رضي الله عنه هم سبعة نفر أسماؤهم يمليخا ومكشليتيا ومشليتيا هؤلاء أصحاب يمين الملك وكان عن يساره مرنوش ودبرنوش وشاذنوش وكان يستشير هؤلاء الستة في أمره والسابع الراعي الذي وافقهم حين هربوا من ملكهم دقيانوس واسم مدينتهم أفسوس واسم كلبهم قطمير (فان قلت) لم جاء بسين الاستقبال في الاول دون الآخرين (قلت) فيه وجهان أن تدخل الآخرين في حكم السين كما تقول قد أكرم وأنعم تريد معنى التوقع في الفعلين جميعا وأن تريد بيفعل معنى الاستقبال الذي هو صالح له (رجما بالغيب) رميا بالخبر الخفي واتيانا به كقوله ويقذفون بالغيب أي يأتون به أو وضع الرجم موضع الظن فكأنه قيل ظنا بالغيب لانهم أكثروا أن يقولوا رجم بالظن مكان قولهم ظن حتى لم يبق عندهم فرق بين العبارتين ألا ترى الى قول زهير * وما هو عنها بالحديث المرجم * أي المظنون * وقرئ ثلاث رابعهم بادغام الثاء في تاء التأنيث وثلاثة خبر مبتدا محذوف أي هم ثلاثة وكذلك خمسة وسبعة ورابعهم كلبهم جملة من مبتدا وخبر واقعة صفة لثلاثة وكذلك سادسهم كلبهم وثامنهم كلبهم (فان قلت) فما هذه الواو الداخلة على الجملة الثالثة ولم دخلت عليها دون الاوليين (قلت) هي الواو التي تدخل على الجملة الواقعة صفة للنكرة كما تدخل على الواقعة حالا عن المعرفة في نحو قولك جاءني رجل ومعه آخر ومررت بزيد وفي يده سيف ومنه قوله تعالى وما أهلكنا من قرية الا ولها كتاب معلوم وفائدتها تأكيد لصوق الصفة بالموصوف والدلالة على أن اتصافه

فلا تمار فيهم إلا مراء ظاهرا ولا تستفت فيهم منهم أحدا ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غدا إلا أن يشاء الله واذكر ربك إذا نسيت وقل عسى أن يهدين ربي لأقرب من هذا

أمر ثابت متقرر وهذه الواو هي التي آذنت بأن الذين قالوا سبعة وثامنهم كلبهم قالوه عن ثبات علم وطمأنينة نفس ولم يرجموا بالظن كما غيرهم والدليل عليه أن الله سبحانه أتبع القولين الأولين قوله رجما بالغيب وأتبع القول الثالث قوله ما يعلمهم إلا قليل وقال ابن عباس رضي الله عنه حين وقعت الواو انقطعت العدة أي لم يبق بعدها عدة عاد يلتفت إليها وثبت أنهم سبعة وثامنهم كلبهم على القطع والثبات وقيل إلا قليل من أهل الكتاب والضمير في سيقولون على هذا لأهل الكتاب خاصة أي سيقول أهل الكتاب فيهم كذا وكذا ولا علم بذلك إلا في قليل منهم وأكثرهم على ظن وتخمين (فلا تمار فيهم) فلا تجادل أهل الكتاب في شأن أصحاب الكهف (إلا مراء ظاهرا) غير متعمق فيه وهو أن تقص عليهم ما أوحى الله إليك فحسب ولا تزيد من غير تجهيل لهم ولا تعنيف بهم في الرد عليهم كما قال وجادلهم بالتي هي أحسن (ولا تستفت) ولا تسأل أحدا منهم عن قصتهم سؤال متعنت له حتى يقول شيئا فترده عليه وتزيف ما عنده لأن ذلك خلاف ما وصيت به من المداراة والمجاملة ولا سؤال مسترشد لأن الله قد أرشدك بأن أوحى إليك قصتهم (ولا تقولن لشيء) ولا تقولن لأجل شيء تعزم عليه (إني فاعل ذلك) الشيء (غدا) أي فيما يستقبل من الزمان ولم يرد الغد خاصة (إلا أن يشاء الله) متعلق بالنهي لا بقوله إني فاعل لأنه لو قال إني فاعل كذا إلا أن يشاء الله كان معناه إلا أن تعترض مشيئة الله دون فعله وذلك مما لا مدخل فيه للنهي وتعلقه بالنهي على وجهين أحدهما ولا تقولن ذلك القول إلا أن يشاء الله أن تقوله بأن يأذن لك فيه والثاني ولا تقولنه إلا بأن يشاء الله أي إلا بمشيئة الله وهو في موضع الحال يعني إلا ملتبسا بمشيئة الله قائلا إن شاء الله وفيه وجه ثالث وهو أن يكون إن شاء الله في معنى كلمة تأبيد كأنه قيل ولا تقولنه أبدا ونحوه قوله وما يكون لنا أن نعود فيها إلا أن يشاء الله لأن عودهم في ملتهم مما لن يشاء الله وهذا نهي تأديب من الله لنبيه حين قالت اليهود لقريش سلوه عن الروح وعن أصحاب الكهف وذي القرنين فسألوه فقال ائتوني غدا أخبركم ولم يستثن فأبطأ عليه الوحي حتى شق عليه وكذبته قريش (واذكر ربك) أي مشيئة ربك وقل إن شاء الله إذا فرط منك نسيان لذلك والمعنى إذا نسيت كلمة الاستثناء ثم تنبهت عليها فتداركها بالذكر وعن ابن عباس رضي الله عنه ولو بعد سنة ما لم تحنث وعن سعيد بن جبير ولو بعد يوم أو أسبوع أو شهر أو سنة وعن طاوس هو على ثنياه ما دام في مجلسه وعن الحسن نحوه وعن عطاء يستثني على مقدار حلب ناقة غزيرة وعند عامة الفقهاء أنه لا أثر له في الأحكام ما لم يكن موصولا ويحكى أنه بلغ المنصور أن أبا حنيفة خالف ابن عباس رضي الله عنه في الاستثناء المنفصل فاستحضره لينكر عليه فقال أبو حنيفة هذا يرجع عليك إنك تأخذ البيعة بالأيمان أفترضى أن يخرجوا من عندك فيستثنوا فيخرجوا عليك فاستحسن كلامه ورضي عنه ويجوز أن يكون المعنى واذكر ربك بالتسبيح والاستغفار إذا نسيت كلمة الاستثناء تشديدا في البعث على الاهتمام بها وقيل واذكر ربك إذا تركت بعض ما أمرك به وقيل واذكره إذا اعتراك النسيان ليذكرك المنسي وقد حمل على أداء الصلاة المنسية عند ذكرها و(هذا) إشارة إلى نبأ أصحاب الكهف ومعناه لعل الله يؤتيني من البينات والحجج على أني نبي صادق ما هو أعظم في الدلالة وأقرب رشدا من نبأ أصحاب الكهف وقد فعل ذلك حيث آتاه من قصص الأنبياء والإخبار بالغيوب ما هو أعظم من ذلك وأدل والظاهر أن يكون المعنى إذا نسيت شيئا فاذكر ربك عند

* قوله تعالى ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غدا إلا أن يشاء الله (قال كان معناه إلا أن تعترض مشيئة الله دون فعله الخ) قال أحمد ولا بد من حمل الكلام على أحد الوجوه المذكورة ولولا ذلك لكان المعنى على الظاهر فاسدا إذ أي ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غدا إلا أن يشاء الله أن تقول هذا القول وليس الغرض ذلك وإنما الغرض النهي عن هذا القول إلا مقرونا بقول المشيئة وليت شعري ما معنى قول الزمخشري في تفسير الآية كان المعنى إلا أن تعترض المشيئة دونه ومعتقده أن مشيئة الله تعالى لا تعترض على فعل أحد فكم شاء من الأفعال فتركت وكم شاء من التروك ففعلت على زعم القدرية فلا معنى على أصلهم الفاسد لتعليق الفعل بالمشيئة قولا وهو غير متعلق بها وقوعا حتى أن قول القائل لأفعلن كذا إلا أن يشاء الله أن أفعله كذب وخلف بتقدير فعله إذا كان من قبيل المباح لأن الله تعالى لا يشاؤه على زعمهم الفاسد فإذا معتقدهم من قواعد الشرع فصفا صفقاه عاد كلامه (قال وقوله واذكر ربك إذا نسيت أي كلمة الاستثناء ثم تنبهت لها فتداركها بالذكر وعن ابن عباس ولو بعد سنة ما لم تحنث إلى قوله وعند عامة الفقهاء الخ) قال أحمد ظاهر الآية يقتضي الأمر بتدارك المشيئة نسيانه متى ذكرت ولو بعد الطول وأما حلها لليمين حينئذ فلا دليل عليه منها والله أعلم (قال ويجوز أن يكون المعنى واذكر ربك بالتسبيح الخ) قال أحمد ويؤيد هذا التأويل قوله تعالى أول القصة أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا فافتتح ذكر القصة بتقليل شأنها واستكثار ما عداها من عجائب آيات الله ثم ختمها بأمره عليه الصلاة والسلام بطلب ما هو أرشد وأدخل في الآية والله أعلم

* قوله تعالى ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا (قال معناه جعلنا قلبه غافلا عن الذكر الخ) قال أحمد هو يشعر بالهرب من الحق وهو أن المراد خذلناه وحديربه أن يشعر في اتباع هواه فان حمل أغفل على بابه صرفه الى الخذلان والا أخرجه بالكناية عن بابه الى باب أفعل للمصادفة ولا يتحرا على تفسير فعل أسنده الله الى ذاته بالمصادفة الى تفهيم وجدان الشئ بغتة عن جهل سابق وعدم علم * عاد كلامه (قال ويجوز أن يكون المعنى من أغفل ابله اذا الخ) قال أحمد وهذا التأويل فيه رقة حاشية ولطافة معنى وغرضه منه الخلاص مما

سبيانه أن يقول عسى ربي أن يهديني لشئ آخر بدل هذا المنسي أقرب منه (رشدا) وأدنى خيرا ومنفعة ولعل النسيان كان خيرة كقوله أو ننسها نأت بخير منها (ولبثوا في كهفهم ثلثمائة سنين) يريد لبثهم فيه أحياء مضروبا على آذانهم هذه المدة وهو بيان لما أجمل في قوله فضربنا على آذانهم في الكهف سنين عددا ومعنى قوله (قل الله أعلم بما لبثوا) أنه أعلم من الذين اختلفوا فيهم بمدة لبثهم والحق ما أخبرك الله به وعن قتادة أنه حكاية لكلام أهل الكتاب وقل الله أعلم رد عليهم وقال في حرف عبد الله وقالوا ولبثوا وسنين عطف بيان لثلثمائة وقرئ ثلثمائة سنين بالاضافة على وضع الجمع موضع الواحد في التمييز كقوله بالاخسرين أعمالا وفي قراءة أبي ثلثمائة سنة * تسعا تسع سنين لان ما قبله يدل عليه وقرأ الحسن تسعا بالفتح * ثم ذكر اختصاصه بما غاب في السموات والارض وخفي فيها من أحوال أهلها ومن غيرهم وأنه هو وحده العالم به * وجاء بما دل على التعجب من ادراكه المسموعات والمبصرات للدلالة على أن أمره في الادراك خارج عن حد ما عليه ادراك السامعين والمبصرين لانه يدرك ألطف الاشياء وأصغرها كما يدرك أكبرها حجما وأكثفها جرما ويدرك البواطن كما يدرك الظواهر (ما لهم) الضمير لاهل السموات والارض (من ولي) من متول لامورهم (ولا يشرك في حكمه) في قضائه (أحدا) منهم وقرأ الحسن ولا تشرك بالتاء والجزم على النهي * كانوا يقولون له ائت بقرآن غير هذا أو بدله فقيل له (واتل ما أوحي اليك) من القرآن ولا تسمع لما يهذون به من طلب التبديل فلا مبدل لكلمات ربك أي لا يقدر أحد على تبديلها وتغييرها انما يقدر على ذلك هو وحده واذا بدلنا آية مكان آية (ولن تجد من دونه ملتحدا) ملتجأ تعدل اليه ان هممت بذلك * قال قوم من رؤساء الكفرة لرسول الله صلى الله عليه وسلم نح هؤلاء الموالي الذين كان ريحهم ريح الضأن وهم صهيب وعمار وخباب وغيرهم من فقراء المسلمين حتى نجالسك كما قال قوم نوح أنؤمن لك واتبعك الارذلون فنزلت (واصبر نفسك) واحبسها معهم وثبتها قال أبو ذؤيب

فصبرت عارفة لذلك حرة * ترسو اذا نفس الجبان تطلع

(بالغداة والعشي) دائبين على الدعاء في كل وقت وقيل المراد صلاة الفجر والعصر وقرئ بالغدوة وبالغداة أجود لان غدوة علم في أكثر الاستعمال وادخال اللام على تأويل التنكير كما قال والزيد زيد المعارك ونحوه قليل في كلامهم * يقال عداه اذا جاوزه ومنه قولهم عدا طوره وجاء القوم عدا زيدا وانما عدي بعن لتضمين عدا معنى نبا وعلا في قولك نبت عنه عينه وعلت عنه عينه اذا اقتحمته ولم تعلق به (فان قلت) أي غرض في هذا التضمين وهلا قيل ولا تعدهم عيناك أو لا تعل عيناك عنهم (قلت) الغرض فيه اعطاء مجموع معنيين وذلك أقوى من اعطاء معنى فذ ألا ترى كيف رجع المعنى الى قولك ولا تقتحمهم عيناك مجاوزتين الى غيرهم ونحوه قوله تعالى ولا تأكلوا أموالهم الى أموالكم أي ولا تضموها اليها آكلين لها وقرئ ولا تعد عينيك ولا تعد عينيك من أعداه وعداه نقلا بالهمزة وتثقيل الحشو ومنه قوله * فعد عما ترى اذ لا ارتجاع له * لان معناه فعد همك عما ترى نهي رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يزدري بفقراء المؤمنين وأن تنبو عينه عن رثاثة زيهم طموحا الى زي الاغنياء وحسن شارتهم (تريد زينة الحياة الدنيا) في موضع الحال (من أغفلنا قلبه) من جعلنا قلبه غافلا عن الذكر بالخذلان أو وجدناه غافلا عنه كقولك أجبنته وأفحمته وأبخلته اذا وجدته كذلك أو من أغفل ابله اذا تركها بغير سمة أي لم نسمه بالذكر ولم نجعلهم من الذين كتبنا في قلوبهم الايمان وقد أبطل الله توهم المجبرة بقوله (واتبع هواه) * وقرئ أغفلنا قلبه باسناد الفعل الى القلب على معنى

رشدا ولبثوا في كهفهم ثلثمائة سنين وازدادوا تسعا قل الله أعلم بما لبثوا له غيب السموات والارض أبصر به وأسمع ما لهم من دونه من ولي ولا يشرك في حكمه أحدا واتل ما أوحي اليك من كتاب ربك لا مبدل لكلماته ولن تجد من دونه ملتحدا واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه

قدمناه لانه وان أبى خلق الله الغفلة في القلب فلا يأبى عدم كتب الايمان وغاعرضنا التنبيه على ان مقصد الزمخشري الحيد عن القاعدة المتقدمة والتأويل ايضا لا يه اذا اعياه الظاهر وهو عندنا ممكن فوجب الاعتصام به والله الموفق * عاد كلامه (قال وقد أبطل الله توهم المجبرة بقوله واتبع هواه) قال أحمد قد تقدم في غير ما موضع ان أهل السنة يضيفون فعل العبد الى الله تعالى من حيث كونه مخلوقا له والى العبد من حيث كونه مقرونا بقدرته واختياره ولا تنافي بين الاضافتين فبراهين السنة تتبعه أينما سلك وأية توجه ولا محيص له عنها بوجه

حسبت قلبه غافلا من أغفلته إذا وجدته غافلا (فرطا) متقدما للحق والصواب نابذا له وراء ظهره من قولهم فرس فرط متقدم للخيل (وقل الحق من ربكم) الحق خبر مبتدأ محذوف والمعنى جاء الحق وزاحت العلل فلم يبق إلا اختياركم لأنفسكم ما شئتم من الأخذ في طريق النجاة أو في طريق الهلاك وجيء بلفظ الأمر والتخيير لأنه لما مكن من اختيار أيهما شاء فكأنه مخير مأمور بأن يتخير ما شاء من النجدين. شبه ما يحيط بهم من النار بالسرادق وهو الحجرة التي تكون حول الفسطاط وبيت مسردق ذو سرادق وقيل هو دخان يحيط بالكفار قبل دخولهم النار وقيل حائط من نار يطيف بهم (بماء كالمهل) كقوله فاغتسلوا بالصليب وبيت كم والمهل ما أذيب من جواهر الأرض وقيل دردي الزيت (يشوي الوجوه) إذا قدم ليشرب انشوى الوجه من حرارته عن النبي صلى الله عليه وسلم هو كعكر الزيت فإذا قرب إليه سقطت فروة وجهه (بئس الشراب) ذلك (وساءت) النار (مرتفقا) متكأ من المرفق وهذا لمشاكلة قوله وحسنت مرتفقا وإلا فلا ارتفاق لأهل النار ولا اتكاء إلا أن يكون من قوله

إني أرقت فبت الليل مرتفقا * كأن عيني فيها الصاب مذبوح

(أولئك) خبر إن وإنا لا نضيع اعتراض ولك أن تجعل إنا لا نضيع وأولئك خبرين معا وتجعل أولئك كلاما مستأنفا بيانا للأجر المبهم (فإن قلت) إذا جعلت إنا لا نضيع خبرا فأين الضمير الراجع منه إلى المبتدإ (قلت) من أحسن عملا والذين آمنوا وعملوا الصالحات ينتظمهما معنى واحد فقام من أحسن مقام الضمير أو أردت من أحسن عملا منهم فكان كقولك السمن منوان بدرهم. من الأولى للابتداء والثانية للتبيين. وتنكير أساور لإبهام أمرها في الحسن. وجمع بين السندس وهو مارق من الديباج وبين الإستبرق وهو الغليظ منه جمعا بين النوعين. وخص الاتكاء لأنه هيئة المتنعمين والملوك على أسرتهم (واضرب لهم مثلا رجلين) أي ومثل حال الكافرين والمؤمنين بحال رجلين وكانا أخوين في بني إسرائيل أحدهما كافر اسمه قطروس والآخر مؤمن اسمه يهوذا وقيل هما المذكوران في سورة والصافات في قوله قال قائل منهم إني كان لي قرين ورثا من أبيهما ثمانية آلاف دينار فتشاطراها فاشترى الكافر أرضا بألف فقال المؤمن اللهم إن أخي اشترى أرضا بألف دينار وأنا أشتري منك أرضا في الجنة بألف فتصدق به ثم بنى أخوه دارا بألف فقال اللهم إني أشتري منك دارا في الجنة بألف فتصدق به ثم تزوج أخوه امرأة بألف فقال اللهم إني جعلت ألفا صداقا للحور ثم اشترى أخوه خدما ومتاعا بألف فقال اللهم إني اشتريت منك الولدان المخلدين بألف فتصدق به ثم أصابته حاجة فجلس لأخيه على طريقه فمر به في حشمه فتعرض له فطرده ووبخه على التصدق بماله وقيل هما مثل لأخوين من بني مخزوم مؤمن وهو أبو سلمة عبد الله بن عبد الأشد وكان زوج أم سلمة قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم وكافر وهو الأسود بن عبد الأشد (جنتين من أعناب) بستانين من كروم (وحففناهما بنخل) وجعلنا النخل محيطا بالجنتين وهذا مما يؤثره الدهاقين في كرومهم أن يجعلوها مؤزرة بالأشجار المثمرة يقال حفوه إذا أطافوا به وحففته بهم أي جعلتهم حافين حوله وهو متعد إلى مفعول واحد فتزيده الباء مفعولا ثانيا كقولك غشيته وغشيته به (وجعلنا بينهما زرعا) جعلناها أرضا جامعة للأقوات والفواكه ووصف العمارة بأنها متواصلة متشابكة لم يتوسطها ما يقطعها أو يفصل بينهما مع الشكل الحسن والترتيب الأنيق. ونعتهما بوفاء الثمار وتمام الأكل من غير نقص. ثم بما هو أصل الخير ومادته من أمر الشرب فجعله أفضل ما يسقى به وهو السيح بالنهر الجاري فيها. والأكل الثمر وقرئ بضم الكاف (ولم تظلم) ولم تنقص وآتت حمل على اللفظ لأن كلتا لفظه لفظ مفرد ولو قيل آتتا على المعنى لجاز. وقرئ وفجرنا على التخفيف. وقرأ عبد الله كل الجنتين آتى أكله برد الضمير على كل (وكان له ثمر) أي أنواع من المال من ثمر ماله إذا كثره وعن مجاهد الذهب والفضة أي كانت له إلى الجنتين الموصوفتين الأموال الدثرة من الذهب والفضة وغيرهما وكان وافر اليسار من كل وجه متمكنا من عمارة الأرض كيف شاء (وأعز نفرا) يعني أنصارا وحشما وقيل أولادا ذكورا لأنهم ينفرون معه دون الإناث. يحاوره يراجعه الكلام من حار يحور إذا رجع وسألته فما أحار كلمة

يعني

وكان أمره فرطا وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر إنا أعتدنا للظالمين نارا أحاط بهم سرادقها وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقا إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات إنا لا نضيع أجر من أحسن عملا أولئك لهم جنات عدن تجري من تحتهم الأنهار يحلون فيها من أساور من ذهب ويلبسون ثيابا خضرا من سندس وإستبرق متكئين فيها على الأرائك نعم الثواب وحسنت مرتفقا واضرب لهم مثلا رجلين جعلنا لأحدهما جنتين من أعناب وحففناهما بنخل وجعلنا بينهما زرعا كلتا الجنتين آتت أكلها ولم تظلم منه شيئا وفجرنا خلالهما نهرا وكان له ثمر فقال لصاحبه وهو يحاوره أنا أكثر منك مالا وأعز نفرا ودخل جنته

وهو ظالم لنفسه قال ما أظن أن تبيد هذه أبدا وما أظن الساعة قائمة ولئن رددت الى ربي لاجدن خيرا منها منقلبا قال له صاحبه وهو يحاوره أكفرت بالذي خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلا لكنا هو الله ربي ولا أشرك بربي أحدا ولولا اذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله لا قوة الا بالله ان ترن أنا أقل منك مالا وولدا فعسى ربي أن يؤتين خيرا من جنتك ويرسل عليها حسبانا من السماء فتصبح صعيدا زلقا أو يصبح ماؤها غورا فلن تستطيع له طلبا وأحيط بثمره فأصبح يقلب كفيه على ما أنفق فيها وهي خاوية على

* يعني قطروس أخذ بيد أخيه المسلم يطوف به في الجنتين ويريه ما فيهما ويعجبه منهما ويفاخره بما ملك من المال دونه (فان قلت) لم أفرد الجنة بعد التثنية (قلت) معناه ودخل ما هو جنته ماله جنة غيرها يعني أنه لا نصيب له في الجنة التي وعد المؤمنون فما ملكه في الدنيا هو جنته لا غير ولم يقصد الجنتين ولا واحدة منهما (وهو ظالم لنفسه) وهو معجب بما أوتي مفتخر به كافر لنعمة ربه معرض بذلك نفسه لسخط الله وهو أفحش الظلم * اخباره عن نفسه بالشك في بيدودة جنته لطول أمله واستيلاء الحرص عليه وتمادي غفلته واغتراره بالمهلة واطراحه النظر في عواقب أمثاله وترى أكثر الاغنياء من المسلمين وان لم يطلقوا نحو هذا ألسنتهم فان ألسنة أحوالهم ناطقة به منادية عليه (ولئن رددت الى ربي) اقسام منه على أنه ان رد الى ربه على سبيل الفرض والتقدير وكما يزعم صاحبه ليجدن في الآخرة خيرا من جنته في الدنيا تطمعا وتمنيا على الله وادعاء لكرامته عليه ومكانته عنده وأنه ما أولاه الجنتين الا لاستحقاقه واستئهاله وأن معه هذا الاستحقاق أين توجه كقوله ان لي عنده للحسنى لأوتين مالا وولدا * وقرئ خيرا منهما ردا على الجنتين (منقلبا) مرجعا وعاقبة وانتصابه على التمييز أي منقلب تلك خير من منقلب هذه لانها فانية وتلك باقية (خلقك من تراب) أي خلق أصلك لان خلق أصله سبب في خلقه فكان خلقه خلقا له (سواك) عدلك وكملك انسانا ذكرا بالغا مبلغ الرجال * جعله كافرا بالله جاحدا لانعمه لشكه في البعث كما يكون المكذب بالرسول صلى الله عليه وسلم كافرا (لكنا هو الله ربي) أصله لكن أنا فحذفت الهمزة وألقيت حركتها على نون لكن فتلاقت النونان فكان الادغام ونحوه قول القائل

وترمينني بالطرف أي أنت مذنب * وتقلينني لكن اياك لا أقلي

أي لكن أنا لا أقليك وهو ضمير الشأن والشأن الله ربي والجملة خبر أنا والراجع منها اليه ياء الضمير وقرأ ابن عامر باثبات ألف أنا في الوصل والوقف جميعا وحسن ذلك وقوع الالف عوضا من حذف الهمزة وغيره لا يثبتها الا في الوقف وعن أبي عمرو أنه وقف بالهاء لكنه وقرئ لكن هو الله ربي بسكون النون وطرح أنا وقرأ أبي بن كعب لكن أنا على الاصل وفي قراءة عبد الله لكن أنا لا اله الا هو ربي (فان قلت) هو استدراك لماذا (قلت) لقوله أكفرت قال لاخيه أنت كافر بالله لكني مؤمن موحد كما تقول زيد غائب لكن عمرا حاضر (ما شاء الله) يجوز أن تكون ما موصولة مرفوعة المحل على أنها خبر مبتدأ محذوف تقديره الامر ما شاء الله أو شرطية منصوبة الموضع والجزاء محذوف بمعنى أي شئ شاء الله كان ونظيرها في حذف الجواب لو في قوله ولو أن قرآنا سيرت به الجبال والمعنى هلا قلت عند دخولها والنظر الى ما رزقك الله منها الامر ما شاء الله اعترافا بأنها وكل خير فيها انما حصل بمشيئة الله وفضله وأن أمرها بيده ان شاء تركها عامرة وان شاء خربها وقلت (لا قوة الا بالله) اقرارا بأن ما قويت به على عمارتها وتدبير أمرها انما هو بمعونته وتأييده اذ لا يقوى أحد في بدنه ولا في ملك يده الا بالله تعالى وعن عروة بن الزبير أنه كان يثلم حائطه أيام الرطب فيدخل من شاء وكان اذا دخله ردد هذه الآية حتى يخرج * من قرأ أقل بالنصب فقد جعل أنا فصلا ومن رفع جعله مبتدأ وأقل خبره والجملة مفعولا ثانيا لترني وفي قوله (وولدا) نصرة لمن فسر النفر بالاولاد في قوله وأعز نفرا والمعنى ان ترني أفقر منك فأنا أتوقع من صنع الله أن يقلب ما بي وما بك من الفقر والغنى فيرزقني لايماني جنة (خيرا من جنتك) ويسلبك لكفرك نعمته ويخرب بستانك * والحسبان مصدر كالغفران والبطلان بمعنى الحساب أي مقدارا قدره الله وحسبه وهو الحكم بتخريبها وقال الزجاج عذاب حسبان وذلك الحسبان حساب ما كسبت يداك وقيل حسبانا مرامي الواحدة حسبانة وهي الصواعق (صعيدا زلقا) أرضا بيضاء يزلق عليها لاملاستها زلقا أو (غورا) كلاهما وصف بالمصدر (وأحيط) به عبارة عن اهلاكه وأصله من أحاط به العدو لانه اذا أحاط به فقد ملكه واستولى عليه ثم استعمل في كل اهلاك ومنه قوله تعالى الا أن يحاط بكم ومثله قولهم أتى عليه اذا أهلكه من أتى عليهم العدو اذا جاءهم مستعليا عليهم * وتقليب الكفين كناية عن الندم والتحسر لان النادم يقلب كفيه ظهرا لبطن كما كنى عن ذلك بعض الكف والسقوط في اليد ولانه في معنى الندم عدى تعديته بعلى كأنه قيل فأصبح يندم (على ما أنفق فيها) أي أنفق في عمارتها (وهي خاوية على

عروشها ويقول يا ليتني لم أشرك بربي أحدا ولم تكن له فئة ينصرونه من دون الله وما كان منتصرا هنالك الولاية لله الحق هو خير ثوابا وخير عقبا واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيما تذروه الرياح وكان الله على كل شيء مقتدرا المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير أملا ويوم نسير الجبال وترى الأرض بارزة وحشرناهم فلم نغادر منهم أحدا وعرضوا على ربك صفا لقد جئتمونا كما خلقناكم أول مرة بل زعمتم ألن نجعل لكم موعدا ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون يا ويلتنا مال هذا الكتاب لا يغادر

عروشها يعني أن كرومها المعرشة سقطت عروشها على الأرض وسقطت فوقها الكروم وقيل أرسل الله عليها نارا فأكلتها (يا ليتني) تذكر موعظة أخيه فعلم أنه أتى من جهة شركه وطغيانه فتمنى لو لم يكن مشركا حتى لا يهلك الله بستانه ويجوز أن يكون توبة من الشرك وندما على ما كان منه ودخولا في الإيمان • وقرئ ولم يكن بالياء والتاء وحمل ينصرونه على المعنى دون اللفظ كقوله فئة تقاتل في سبيل الله وأخرى كافرة يرونهم (فإن قلت) ما معنى قوله (ينصرونه من دون الله) (قلت) معناه يقدرون على نصرته من دون الله أي هو وحده القادر على نصرته لا يقدر أحد غيره أن ينصره إلا أنه لم ينصره لصارف وهو استيجابه أن يخذل (وما كان منتصرا) وما كان ممتنعا بقوته عن انتقام الله (الولاية) بالفتح النصرة والتولي وبالكسر السلطان والملك وقد قرئ بهما والمعنى هنالك أي في ذلك المقام وتلك الحال النصرة لله وحده لا يملكها غيره ولا يستطيعها أحد سواه تقريرا لقوله ولم يكن له فئة ينصرونه من دون الله أو هنالك السلطان والملك لله لا يغلب ولا يمتنع منه أو في مثل تلك الحال الشديدة يتولى الله ويؤمن به كل مضطر يعني أن قوله يا ليتني لم أشرك بربي أحدا كلمة ألجئ إليها فقالها جزعا مما دهاه من شؤم كفره ولولا ذلك لم يقلها ويجوز أن يكون المعنى هنالك الولاية لله ينصر بها أولياءه المؤمنين على الكفرة وينتقم لهم ويشفي صدورهم من أعدائهم يعني أنه نصر فيما فعل بالكافر أخاه المؤمن وصدق قوله عسى ربي أن يؤتيني خيرا من جنتك ويرسل عليها حسبانا من السماء ويعضده قوله (خير ثوابا وخير عقبا) أي لأوليائه وقيل هنالك إشارة إلى الآخرة أي في تلك الدار الولاية لله كقوله لمن الملك اليوم • وقرئ الحق بالرفع والجر صفة للولاية ولله وقرأ عمرو بن عبيد بالنصب على التأكيد كقولك هذا عبد الله الحق لا الباطل وهي قراءة حسنة فصيحة وكان عمرو بن عبيد من أفصح الناس وأنصحهم • وقرئ عقبا بضم القاف وسكونها وعقبى على فعلى وكلها بمعنى العاقبة (فاختلط به نبات الأرض) فالتف بسببه وتكاثف حتى خالط بعضه بعضا وقيل نجع في النبات الماء فاختلط به حتى روي ورف رفيفا وكان حق اللفظ على هذا التفسير فاختلط بنبات الأرض ووجه صحته أن كل مختلطين موصوف كل واحد منهما بصفة صاحبه • والهشيم ما تهشم وتحطم الواحدة هشيمة وقرئ تذروه الريح وعن ابن عباس تذريه الرياح من أذرى شبه حال الدنيا في نضرتها وبهجتها وما يتعقبها من الهلاك والفناء بحال النبات يكون أخضر وارفا ثم يهيج فتطيره الرياح كأن لم يكن (وكان الله على كل شيء) من الإنشاء والإفناء (مقتدرا) • الباقيات الصالحات أعمال الخير التي تبقى ثمرتها للإنسان وتفنى عنه كل ما تطمح إليه نفسه من حظوظ الدنيا وقيل هي الصلوات الخمس وقيل سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر وعن قتادة كل ما أريد به وجه الله (خير ثوابا) أي ما يتعلق بها من الثواب وما يتعلق بها من الأمل لأن صاحبها يأمل في الدنيا ثواب الله ونصيبه في الآخرة • قرئ تسير من سيرت ونسير من سيرنا وتسير من سارت أي تسير في الجو أو يذهب بها بأن تجعل هباء منبثا • وقرئ وترى الأرض على البناء للمفعول (بارزة) ليس عليها ما يسترها مما كان عليها (وحشرناهم) وجمعناهم إلى الموقف • وقرئ فلم نغادر بالنون والياء يقال غادره وأغدره إذا تركه ومنه الغدر ترك الوفاء والغدير ما غادره السيل • وشبهت حالهم بحال الجند المعروضين على السلطان (صفا) مصطفين ظاهرين يرى جماعتهم كما يرى كل واحد لا يحجب أحد أحدا (لقد جئتمونا) أي قلنا لهم لقد جئتمونا وهذا المضمر هو عامل النصب في يوم نسير ويجوز أن ينصب بإضمار اذكر والمعنى لقد بعثناكم كما أنشأناكم (أول مرة) وقيل جئتمونا عراة لا شيء معكم كما خلقناكم أولا كقوله ولقد جئتمونا فرادى • (فإن قلت) لم جيء بحشرناهم ماضيا بعد نسير وترى (قلت) للدلالة على أن حشرهم قبل التسيير وقبل البروز ليعاينوا تلك الأهوال العظائم كأنه قيل وحشرناهم قبل ذلك (موعدا) وقتا لإنجاز ما وعدتم على ألسنة الأنبياء من البعث والنشور (الكتاب) للجنس وهو صحف الأعمال (يا ويلتنا) ينادون هلكتهم التي

قوله تعالى هنالك الولاية لله الحق (٧٣٠) (قال قرئ بالرفع والجر صفة للولاية ولله تعالى الخ) قال أحمد وقد تقدم الإنكار عليه في مثل هذا القول منه يوهم أن القراآت موكولة إلى رأي الفصحاء واجتهاد البلغاء فيتفاوت في الفصاحة لتفاوتهم فيها وهذا منكر شنيع والحق أنه لا يجوز لأحد أن يقرأ إلا بما سمعه فوعاه متصلا إلى النبي صلى الله عليه وسلم متواترا كذلك من السماء فلا وقع لفصاحة الفصيح وما هو إلا ناقل كغيره ولكن الزمخشري لا يفوت هلكوها الثناء على رأس البدعة ومعدن الفتنة عمرو بن عبيد أول مصمم على إنكار القدر وهلم جرا إلى سائر البدع الاعتزالية فمن ثم أثنى عليه

صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك أحدا وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلا ما أشهدتهم خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم وما كنت متخذ المضلين عضدا ويوم يقول نادوا شركائي الذين زعمتم فدعوهم فلم يستجيبوا لهم وجعلنا بينهم موبقا ورأى المجرمون النار فظنوا أنهم مواقعوها ولم يجدوا عنها مصرفا ولقد صرفنا في هذا القرآن للناس من كل مثل وكان الإنسان أكثر شيء جدلا وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى ويستغفروا ربهم إلا أن تأتيهم سنة الأولين أو يأتيهم العذاب قبلا وما نرسل المرسلين إلا مبشرين ومنذرين ويجادل الذين كفروا بالباطل ليدحضوا به الحق واتخذوا آياتي

هلكوه خاصة من بين الهلكات (صغيرة ولا كبيرة) هنة صغيرة ولا كبيرة وهي عبارة عن الإحاطة يعني لا يترك شيأ من المعاصي إلا أحصاه أي أحصاها كلها كما تقول ما أعطاني قليلا ولا كثيرا لأن الأشياء إما صغار وإما كبار ويجوز أن يريد وما كان عندهم صغائر وكبائر وقيل لم يجتنبوا الكبائر فكتبت عليهم الصغائر وهي المناقشة وعن ابن عباس الصغيرة التبسم والكبيرة القهقهة وعن سعيد بن جبير الصغيرة المسيس والكبيرة الزنا وعن الفضيل كان إذا قرأها قال ضجوا والله من الصغائر قبل الكبائر (إلا أحصاها) إلا ضبطها وحصرها (ووجدوا ما عملوا حاضرا) في الصحف عتيدا أو جزاء ما عملوا (ولا يظلم ربك أحدا) فيكتب عليه ما لم يعمل أو يزيد في عقاب المستحق أو يعذبه بغير جرم كما يزعم من ظلم الله في تعذيب أطفال المشركين بذنوب آبائهم (كان من الجن) كلام مستأنف جار مجرى التعليل بعد استثناء إبليس من الساجدين كأن قائلا قال ما له لم يسجد فقيل كان من الجن (ففسق عن أمر ربه) والفاء للتسبيب أيضا جعل كونه من الجن سببا في فسقه لأنه لو كان ملكا كسائر من سجد لآدم لم يفسق عن أمر الله لأن الملائكة معصومون البتة لا يجوز عليهم ما يجوز على الجن والإنس كما قال لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون وهذا الكلام المعترض تعمده من الله تعالى لصيانة الملائكة عن وقوع شبهة في عصمتهم فما أبعد البون بين ما تعمده الله وبين قول من ضاده وزعم أنه كان ملكا ورئيسا على الملائكة فعصى فلعن ومسخ شيطانا ثم وركه على ابن عباس ومعنى فسق عن أمر ربه خرج عما أمره به ربه من السجود قال * فواسقا عن قصدها جوائرا * أو صار فاسقا كافرا بسبب أمر ربه الذي هو قوله اسجدوا لآدم (أفتتخذونه) الهمزة للإنكار والتعجب كأنه قيل أعقيب ما وجد منه تتخذونه (وذريته أولياء من دوني) وتستبدلونهم بي (بئس للظالمين بدلا) من الله إبليس لمن استبدله فأطاعه بدل طاعته (ما أشهدتهم) وقرئ ما أشهدناهم يعني أنكم اتخذتموهم شركاء لي في العبادة وإنما كانوا يكونون شركاء فيها لو كانوا شركاء في الإلهية فنفى مشاركتهم في الإلهية بقوله ما أشهدتهم خلق السموات والأرض لأعتضد بهم في خلقها (ولا خلق أنفسهم) أي ولا أشهدت بعضهم خلق بعض كقوله ولا تقتلوا أنفسكم (وما كنت متخذ المضلين) يعني وما كنت متخذهم (عضدا) أي أعوانا فوضع المضلين موضع الضمير ذما لهم بالإضلال فإذا لم يكونوا عضدا لي في الخلق فما لكم تتخذونهم شركاء لي في العبادة وقرئ وما كنت بالفتح الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمعنى وما صح لك الاعتضاد بهم وما ينبغي لك أن تعتز بهم وقرأ علي رضي الله عنه وما كنت متخذا المضلين بالتنوين على الأصل وقرأ الحسن عضدا بسكون الضاد ونقل ضمتها إلى العين وقرئ عضدا بالفتح وسكون الضاد وعضدا بضمتين وعضدا بفتحتين جمع عاضد كخادم وخدم وراصد ورصد من عضده إذا قواه وأعانه (يقول) بالياء والنون وإضافة الشركاء إليه على زعمهم توبيخا لهم وأراد الجن * والموبق المهلك من وبق يبق وبوقا ووبق يوبق وبقا إذا هلك وأوبقه غيره ويجوز أن يكون مصدرا كالمورد والموعد يعني وجعلنا بينهم واديا من أودية جهنم هو مكان الهلاك والعذاب الشديد مشتركا يهلكون فيه جميعا وعن الحسن موبقا عداوة والمعنى عداوة هي في شدتها هلاك كقوله لا يكن حبك كلفا ولا بغضك تلفا وقال الفراء البين الوصل أي وجعلنا تواصلهم في الدنيا هلاكا يوم القيامة ويجوز أن يريد الملائكة وعزيرا وعيسى ومريم وبالموبق البرزخ البعيد أي وجعلنا بينهم أمدا بعيدا تهلك فيه الأشواط لفرط بعده لأنهم في قعر جهنم وهم في أعلى الجنان (فظنوا) فأيقنوا (مواقعوها) مخالطوها واقعون فيها (مصرفا) معدلا قال * أزهير هل عن شيبة من مصرف * (أكثر شيء جدلا) أكثر الأشياء التي يتأتى منها الجدل إن فصلتها واحدا بعد واحد خصومة ومماراة بالباطل وانتصاب جدلا على التمييز يعني أن جدل الإنسان أكثر من جدل كل شيء ونحوه فإذا هو خصيم مبين * أن الأولى نصب والثانية رفع وقبلها مضاف محذوف تقديره (وما منع الناس) الإيمان والاستغفار (إلا) انتظار (أن تأتيهم سنة الأولين) وهي الإهلاك (أو) انتظار أن (يأتيهم العذاب) يعني عذاب الآخرة (قبلا) عيانا وقرئ قبلا أنواعا جمع قبيل وقبلا بفتحتين مستقبلا (ليدحضوا) ليزيلوا ويبطلوا من إدحاض القدم وهو إزلاقها وإزالتها عن موطئها

(قال قوله تعالى كان من الجن مستأنف تعليل لفسوقه الخ) قال أحمد ولحق معه في هذا الفصل غير أن قوله تعمده الله تعالى لفظة لا ترد ولا تليق فإن التعمد إنما يوصف به عرفا من يفعل في بعض الأحيان خطأ وفي بعضها تعمدا فاجتنابها في حق الله تعالى واجب والله الموفق

(وما أنذروا) يجوز أن تكون ما موصولة ويكون الراجع من الصلة محذوفاً أي وما أنذروه من العذاب أو
مصدرية بمعنى وإنذارهم * وقرئ هزأ بالسكون أي اتخذوها موضع استهزاء * وجدالهم قولهم للرسل ما أنتم
إلا بشر مثلنا ولو شاء الله لأنزل ملائكة وما أشبه ذلك (بآيات ربه) بالقرآن ولذلك رجع إليها الضمير مذكراً
في قوله أن يفقهوه (فأعرض عنها) فلم يتذكر حين ذكر ولم يتدبر (ونسي) عاقبة (ما قدمت يداه) من الكفر
والمعاصي غير مفكر فيها ولا ناظر في أن المسيء والمحسن لا بد لهما من جزاء ثم علل إعراضهم ونسيانهم بأنهم
مطبوع على قلوبهم وجمع بعد الإفراد حملاً على لفظ من ومعناه (فلن يهتدوا) فلا يكون منهم اهتداء البتة
كأنه محال منهم لشدة تصميمهم (أبداً) مدة التكليف كلها * وإذا جزاء وجواب فدل على انتفاء اهتدائهم
لدعوة الرسول بمعنى أنهم جعلوا ما يجب أن يكون سبب وجود الاهتداء سبباً في انتفائه وعلى أنه جواب
للرسول على تقدير قوله ما لي لا أدعوهم حرصاً على إسلامهم فقيل وإن تدعهم إلى الهدى فلن يهتدوا
(الغفور) البليغ المغفرة (ذو الرحمة) الموصوف بالرحمة ثم استشهد على ذلك بترك مؤاخذة أهل مكة عاجلاً
من غير إمهال مع إفراطهم في عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم (بل لهم موعد) وهو يوم بدر (لن يجدوا
من دونه موئلاً) منجى ولا ملجأ * يقال وأل إذا نجا ووأل إليه إذا لجأ إليه (وتلك القرى) يريد قرى الأولين
من ثمود وقوم لوط وغيرهم أشار لهم إليها ليعتبروا وتلك مبتدأ والقرى صفة لأن أسماء الإشارة توصف بأسماء
الأجناس و(أهلكناهم) خبر ويجوز أن يكون تلك القرى نصباً بإضمار أهلكنا على شريطة التفسير
والمعنى وتلك أصحاب القرى أهلكناهم (لما ظلموا) مثل ظلم أهل مكة (وجعلنا لمهلكهم موعداً) وضربنا
لإهلاكهم وقتاً معلوماً لا يتأخرون عنه كما ضربنا لأهل مكة يوم بدر والمهلك الإهلاك ووقته وقرئ لمهلكهم
بفتح الميم واللام مفتوحة أو مكسورة أي لهلاكهم أو وقت هلاكهم والموعد وقت أو مصدر (لفتاه) لعبده
وفي الحديث ليقل أحدكم فتاي وفتاتي ولا يقل عبدي وأمتي وقيل هو يوشع بن نون وإنما قيل فتاه لأنه كان
يخدمه ويتبعه وقيل كان يأخذ منه العلم (فإن قلت) (لا أبرح) إن كان بمعنى لا أزول من برح المكان
فقد دل على الإقامة لا على السفر وإن كان بمعنى لا أزال فلا بد من الخبر (قلت) هو بمعنى لا أزال وقد حذف
الخبر لأن الحال والكلام معاً يدلان عليه أما الحال فلأنها كانت حال سفر وأما الكلام فلأن قوله
(حتى أبلغ مجمع البحرين) غاية مضروبة تستدعي ما هي غاية له فلا بد أن يكون المعنى لا أبرح أسير حتى أبلغ
مجمع البحرين ووجه آخر وهو أن يكون المعنى لا يبرح مسيري حتى أبلغ على أن حتى أبلغ هو الخبر فلما حذف
المضاف أقيم المضاف إليه مقامه وهو ضمير المتكلم فانقلب الفعل عن لفظ الغائب إلى لفظ المتكلم وهو
وجه لطيف ويجوز أن يكون المعنى لا أبرح ما أنا عليه بمعنى ألزم المسير والطلب ولا أتركه ولا أفارقه حتى
أبلغ كما تقول لا أبرح المكان ومجمع البحرين المكان الذي وعد فيه موسى لقاء الخضر عليهما السلام وهو
ملتقى بحري فارس والروم مما يلي المشرق وقيل طنجة وقيل إفريقية ومن بدع التفاسير أن البحرين
موسى والخضر لأنهما كانا بحرين في العلم وقرئ مجمع بكسر الميم وهي في الشذوذ من يفعل كالمشرق
والمطلع من يفعل (أو أمضي حقباً) أو أسير زماناً طويلاً والحقب ثمانون سنة وروي أنه لما ظهر موسى
على مصر مع بني إسرائيل واستقروا بها بعد هلاك القبط أمره الله أن يذكر قومه النعمة فقام فيهم
خطيباً فذكر نعمة الله وقال إن الله اصطفى نبيكم وكلمه فقالوا له قد علمنا هذا فأي الناس أعلم قال أنا فعتب الله
عليه حين لم يرد العلم إلى الله فأوحى إليه بل أعلم منك عبد لي عند مجمع البحرين وهو الخضر وكان الخضر
في أيام أفريدون قبل موسى عليه السلام وكان على مقدمة ذي القرنين الأكبر وبقي إلى أيام موسى
وقيل إن موسى سأل ربه أي عبادك أحب إليك قال الذي يذكرني ولا ينساني قال فأي عبادك أقضى
قال الذي يقضي بالحق ولا يتبع الهوى قال فأي عبادك أعلم قال الذي يبتغي علم الناس إلى علمه عسى
أن يصيب كلمة تدله على هدى أو ترده عن ردى فقال إن كان في عبادك من هو أعلم مني فادللني عليه قال أعلم
منك الخضر قال أين أطلبه قال على الساحل عند الصخرة قال يا رب كيف لي به قال تأخذ حوتاً في

وما أنذروا هزواً ومن
أظلم ممن ذكر بآيات
ربه فأعرض عنها ونسي
ما قدمت يداه إنا جعلنا
على قلوبهم أكنة أن
يفقهوه وفي آذانهم
وقراً وإن تدعهم إلى
الهدى فلن يهتدوا إذاً
أبداً وربك الغفور
ذو الرحمة لو يؤاخذهم
بما كسبوا لعجل لهم
العذاب بل لهم موعد
لن يجدوا من دونه موئلاً
وتلك القرى أهلكناهم
لما ظلموا وجعلنا
لمهلكهم موعداً وإذ
قال موسى لفتاه لا
أبرح حتى أبلغ مجمع
البحرين أو أمضي حقباً
فلما بلغا مجمع بينهما

مكتل

• قوله تعالى قال أرأيت اذ أوينا الى الصخرة فاني نسيت الحوت (قال ان قلت كيف نسي يوشع ذلك ومثله لا ينسى الخ) قال أحمد وقد ورد في الحديث ان موسى عليه السلام لم ينصب ولم يقل لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا الا منذ جاوز (٧٣٣) الموضع الذي حده الله تعالى له فلعل الحكمة في انساء الله تعالى ليوشع ان يتيقظ موسى عليه السلام لمنة الله تعالى على المسافر في طاعة وطلب علم بالتيسير عليه وحمل الاعياء عنه وتلك سنة الله الجارية في حق من صحت له نية في عبادة من العبادات ان ييسرها ويحمل عنه مؤنتها ويتكفل به ما دام على تلك الحالة وموقع الايقاظ انه وجد بين حالة سفره للموعد وحالة مجاوزته وبا يسا والله أعلم وان كان موسى عليه السلام متيقظا لذلك فالمطلوب ايقاظ غيره من أمته بل من أمة محمد عليه الصلاة والسلام اذ قص علينا القصة فما أورد الله تعالى قصص أنبيائه ليسمر بها الناس ولكن ليشمر الخلق لتدبرها واقتباس أنوارها ومنافعها عاجلا وآجلا والله أعلم

مكتل فحيث فقدته فهو هناك فقال لفتاه اذا فقدت الحوت فأخبرني فذهبا يمشيان فرقد موسى فاضطرب الحوت ووقع في البحر فلما جاء وقت الغداء طلب موسى الحوت فأخبره فتاه بوقوعه في البحر فأتيا الصخرة فاذا رجل مسجى بثوبه فسلم عليه موسى فقال وأنى بأرضنا السلام فعرفه نفسه فقال يا موسى أنا على علم علمنيه الله لا تعلمه أنت وأنت على علم علمكه الله لا أعلمه أنا فلما ركبا السفينة جاء عصفور فوقع على حرفها فنقر في الماء فقال الخضر ما ينقص علمي وعلمك من علم الله مقدار ما أخذ هذا العصفور من البحر (نسيا حوتهما) أي نسيا تفقد أمره وما يكون منه مما جعل أمارة على الظفر بالطلبة وقيل نسي يوشع أن يقدمه ونسي موسى أن يأمره فيه بشيء وقيل كان الحوت سمكة مملوحة وقيل ان يوشع حمل الحوت والخبز في المكتل فنزلا ليلة على شاطئ عين تسمى عين الحياة ونام موسى فلما أصاب السمكة برد الماء وروحه عاشت وروي أنهما أكلا منها وقيل توضأ يوشع من تلك العين فانتضح الماء على الحوت فعاش ووقع في الماء (سربا) أمسك الله جرية الماء على الحوت فصار عليه مثل الطاق وحصل منه في مثل السرب معجزة لموسى أو للخضر (فلما جاوزا) الموعد وهو الصخرة لنسيان موسى تفقد أمر الحوت وما كان منه ونسيان يوشع أن يذكر لموسى ما رأى من حياته ووقوعه في البحر وقيل سارا بعد مجاوزة الصخرة الليلة والغد الى الظهر وألقي على موسى النصب والجوع حين جاوز الموعد ولم ينصب ولا جاع قبل ذلك فتذكر الحوت وطلبه وقوله (من سفرنا هذا) اشارة الى مسيرهما وراء الصخرة (فان قلت) كيف نسي يوشع ذلك ومثله لا ينسى لكونه أمارة لهما على الطلبة التي تناهضا من أجلها ولكونه معجزتين ثنتين وهما حياة السمكة المملوحة المأكول منها وقيل ما كانت الا شق سمكة وقيام الماء وانتصابه مثل الطاق ونفوذها في مثل السرب منه ثم كيف استمر به النسيان حتى خلفا الموعد وسارا مسيرة ليلة الى ظهر الغد وحتى طلب موسى عليه السلام الحوت (قلت) قد شغله الشيطان بوساوسه فذهب بفكره كل مذهب حتى اعتراه النسيان وانضم الى ذلك أنه ضري بمشاهدة أمثاله عند موسى عليه السلام من العجائب واستأنس باخوانه فأعان الالف على قلة الاهتمام (أرأيت) بمعنى أخبرني (فان قلت) ما وجه التئام هذا الكلام فان كل واحد من أرأيت و(اذ أوينا) و(فاني نسيت الحوت) لا متعلق له (قلت) لما طلب موسى عليه السلام الحوت ذكر يوشع ما رأى منه وما اعتراه من نسيانه الى تلك الغاية فدهش وطفق يسأل موسى عليه السلام عن سبب ذلك كأنه قال أرأيت ما دهاني اذ أوينا الى الصخرة فاني نسيت الحوت فحذف ذلك وقيل هي الصخرة التي دون نهر الزيت و(أن أذكره) بدل من الهاء في أنسانيه أي وما أنساني ذكره الا الشيطان وفي قراءة عبد الله أن أذكركه و(عجبا) ثاني مفعولي اتخذ مثل سربا يعني واتخذ سبيله سبيلا عجبا وهو كونه شبه السرب أو قال عجبا في آخر كلامه تعجبا من حاله في رؤية تلك العجيبة ونسيانه لها أو مما رأى من المعجزتين وقوله وما أنسانيه الا الشيطان أن أذكره اعتراض بين المعطوف والمعطوف عليه وقيل ان عجبا حكاية لتعجب موسى عليه السلام وليس بذاك (ذلك) اشارة الى اتخاذه سبيلا أي ذلك الذي كنا نطلب لانه أمارة الظفر بالطلبة من لقاء الخضر عليه السلام • قرئ نبغ بغير ياء في الوصل واثباتها أحسن وهي قراءة أبي عمرو وأما الوقف فالاكثر فيه طرح الياء اتباعا لخط المصحف (فارتدا) فرجعا في أدراجهما (قصصا) يقصان قصصا أي يتبعان آثارهما اتباعا أو فارتدا مقتصين (رحمة من عندنا) هي الوحي والنبوة (من لدنا) مما يختص بنا من العلم وهو الاخبار عن الغيوب (رشدا) قرئ بفتحتين وبضمة وسكون أي علما ذا رشد أرشد به في ديني (فان قلت) أما دلت حاجته الى التعلم من آخر في عهده أنه كما قيل موسى بن ميشا لا موسى بن عمران لان النبي يجب أن يكون أعلم أهل زمانه وامامهم

نسيا حوتهما فاتخذ سبيله في البحر سربا فلما جاوزا قال لفتاه آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا قال أرأيت اذ أوينا الى الصخرة فاني نسيت الحوت وما أنسانيه الا الشيطان أن أذكره واتخذ سبيله في البحر عجبا قال ذلك ما كنا نبغ فارتدا على آثارهما قصصا فوجدا عبدا من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علما قال له موسى هل أتبعك على أن تعلمن مما علمت رشدا قال انك لن تستطيع معي صبرا وكيف تصبر على ما لم تحط به

المرجوع إليه في أبواب الدين (قلت) لا غضاضة بالنبي في أخذ العلم من نبي مثله وعسى يغض منه أن يأخذه عمن دونه وعن سعيد بن جبير أنه قال لابن عباس إن نوفا ابن امرأة كعب يزعم أن الخضر ليس بصاحب موسى وأن موسى هو موسى بن ميشا فقال كذب عدو الله * نفى استطاعة الصبر معه على وجه التأكيد كأنها مما لا يصح ولا يستقيم وعلل ذلك بأنه يتولى أمورا هي في ظاهرها مناكير والرجل الصالح فكيف إذا كان نبيا لا يتمالك أن يشمئز ويمتعض ويجزع إذا رأى ذلك ويأخذ في الإنكار و(خبرا) تمييز أي لم يحط به خبرك أو لأن لم تحط به بمعنى لم تخبره فنصبه نصب المصدر (ولا أعصي) في محل النصب عطف على صابرا أي ستجدني صابرا وغير عاص أو لا في محل عطفا على ستجدني رجا موسى عليه السلام لحرصه على العلم وازدياده أن يستطيع معه صبرا بعد إفصاح الخضر عن حقيقة الأمر فوعده بالصبر معلقا بمشيئة الله علما منه بشدة الأمر وصعوبته وأن الحمية التي تأخذ المصلح عند مشاهدة الفساد شيء لا يطاق هذا مع علمه أن النبي المعصوم الذي أمره الله بالمسافرة إليه واتباعه واقتباس العلم منه بريء من أن يباشر ما فيه غميزة في الدين وأنه لا بد لما يستسمج ظاهره من باطن حسن جميل فكيف إذا لم يعلم * وقرئ فلا تسألني بالنون الثقيلة يعني فمن شرط اتباعك لي أنك إذا رأيت مني شيئا وقد علمت أنه صحيح إلا أنه غبي عليك وجه صحته فحميت وأنكرت في نفسك أن لا تفاتحني بالسؤال ولا تراجعني فيه حتى أكون أنا الفاتح عليك وهذا من آداب المتعلم مع العالم والمتبوع مع التابع (فانطلقا) على ساحل البحر يطلبان السفينة فلما ركبا قال أهلها هما من اللصوص وأمروهما بالخروج فقال صاحب السفينة أرى وجوه الأنبياء وقيل عرفوا الخضر فحملوهما بغير نول فلما لججوا أخذ الخضر الفأس فخرق السفينة بأن قلع لوحين من ألواحها مما يلي الماء فجعل موسى يسد الخرق بثيابه ويقول (أخرقتها لتغرق أهلها) وقرئ لتغرق بالتشديد وليغرق أهلها من غرق وأهلها مرفوع (جئت شيئا إمرا) أتيت شيئا عظيما من أمر الأمر إذا عظم قال داهية دهياء إدا إمرا (بما نسيت) بالذي نسيته أو بشيء نسيته أو بنسياني أراد أنه نسي وصيته ولا مؤاخذة على الناسي أو أخرج الكلام في معرض النهي عن المؤاخذة بالنسيان يوهمه أنه قد نسي ليبسط عذره في الإنكار وهو من معاريض الكلام التي يتقى بها الكذب مع التوصل إلى الغرض كقول إبراهيم هذه أختي وإني سقيم أو أراد بالنسيان الترك أي لا تؤاخذني بما تركت من وصيتك أول مرة يقال رهقه إذا غشيه وأرهقه إياه أي ولا تغشني (عسرا) من أمري وهو اتباعه إياه يعني ولا تعسر علي متابعتك ويسرها علي بالإغضاء وترك المناقشة وقرئ عسرا بضمتين (فقتله) قيل كان قتله فتل عنقه وقيل ضرب رأسه الحائط وعن سعيد بن جبير أضجعه ثم ذبحه بالسكين (فإن قلت) لم قيل حتى إذا ركبا في السفينة خرقها بغير فاء وحتى إذا لقيا غلاما فقتله بالفاء (قلت) جعل خرقها جزاء للشرط وجعل قتله من جملة الشرط معطوفا عليه والجزاء قال أقتلت (فإن قلت) فلم خولف بينهما (قلت) لأن خرق السفينة لم يتعقب الركوب وقد تعقب القتل لقاء الغلام * وقرئ زاكية وزكية وهي الطاهرة من الذنوب إما لأنها طاهرة عنده لأنه لم يرها قد أذنبت وإما لأنها صغيرة لم تبلغ الحنث (بغير نفس) يعني لم تقتل نفسا فتقتص منها وعن ابن عباس أن نجدة الحروري كتب إليه كيف جاز قتله وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتل الولدان فكتب إليه إن علمت من حال الولدان ما علمه عالم موسى فلك أن تقتل (نكرا) وقرئ بضمتين وهو المنكر وقيل النكر أقل من الإمر لأن قتل نفس واحدة أهون من إغراق أهل السفينة وقيل معناه جئت شيئا أنكر من الأول لأن ذلك كان خرقا يمكن تداركه بالسد وهذا لا سبيل إلى تداركه (فإن قلت) ما معنى زيادة لك (قلت) زيادة المكافحة بالعتاب على رفض الوصية والوسم بقلة الصبر عند الكرة الثانية (بعدها) بعد هذه الكرة أو المسألة (فلا تصاحبني) فلا تقاربني وإن طلبت صحبتك فلا تتابعني على ذلك وقرئ فلا تصحبني فلا تكن صاحبي وقرئ ولا تصحبني أي ولا تصحبني إياك ولا تجعلني صاحبك (من لدني عذرا) قد أعذرت وقرئ لدني بتخفيف النون ولدني بسكون الدال وكسر النون كقولهم في عضد عضد وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله أخي موسى استحيا فقال ذلك وقال رحمة الله علينا وعلى أخي موسى لو لبث مع صاحبه لأبصر أعجـ

خبرا قال ستجدني إن شاء الله صابرا ولا أعصي لك أمرا قال فإن اتبعتني فلا تسألني عن شيء حتى أحدث لك منه ذكرا فانطلقا حتى إذا ركبا في السفينة خرقها قال أخرقتها لتغرق أهلها لقد جئت شيئا إمرا قال ألم أقل إنك لن تستطيع معي صبرا قال لا تؤاخذني بما نسيت ولا ترهقني من أمري عسرا فانطلقا حتى إذا لقيا غلاما فقتله قال أقتلت نفسا زكية بغير نفس لقد جئت شيئا نكرا قال ألم أقل لك إنك لن تستطيع معي صبرا قال إن سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذرا فانطلقا حتى إذا أتيا

* قوله تعالى قال إنك لن تستطيع معي صبرا (قال نفى الاستطاعة على وجه التأكيد الخ) قال أحمد ومما يدل على أن موسى عليه السلام لفاجله على المبادرة بالإنكار الالتهاب وحمية الحق أنه قال حين خرق السفينة أخرقتها لتغرق أهلها ولم يقل لتغرقنا فنسي نفسه واشتغل بغيره في الحالة التي كل أحد فيها يقول نفسي نفسي لا يلوي على مال ولا ولد وتلك حالة الغرق فسبحان من جبل أنبياءه وأصفياءه على نصح الخلق والشفقة عليهم والرأفة بهم صلوات الله عليهم أجمعين وسلامه

الاعاجيب

﴿قوله تعالى أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر فأردت أن أعيبها وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا﴾ (قال إن قلت قوله أردت أن أعيبها مسبب عن خوف الغصب عليها الخ) قال أحمد وكأنه جعل السبب في إعابتها كونها لمساكين ثم بين مناسبة هذا السبب للمسبب بذكر عادة الملك في غصب السفن وهذا هو حد الترتيب في التعليل أن يرتب الحكم على السبب ثم يوضح المناسبة فيما بعد فلا يحتاج إلى جعله مقدما والنية تأخيره والله أعلم ولقد تأملت من فصاحة هذه الآي والمخالفة بينها في الأسلوب عجبا ألا تراه في الأولى أسند الفعل إلى ضميره خاصة بقوله فأردت أن أعيبها وأسنده في الثانية إلى ضمير الجماعة والمعظم نفسه في قوله فأردنا أن يبدلهما ربهما وخشينا أن يرهقهما ولعل إسناد الأول إلى نفسه خاصة من باب الأدب مع الله تعالى لأن المراد ثم عيب فتأدب بأن نسب الإعابة إلى نفسه وأما إسناد الثاني إلى الضمير المذكور فالظاهر أنه من باب قول خواص الملك أمرنا بكذا أو دبرنا كذا وإنما يعنون أمر الملك ودبر ويدل على ذلك قوله في الثالثة أراد ربك أن يبلغا أشدهما فانظر كيف تغايرت هذه الأساليب ولم تأت على نمط واحد مكرر يمجها السمع وينبو عنها ثم انطوت هذه المخالفة على رعاية الأسرار المذكورة فسبحان اللطيف الخبير

أهل قرية استطعما أهلها فأبوا أن يضيفوهما فوجدا فيها جدارا يريد أن ينقض فأقامه قال لو شئت لاتخذت عليه أجرا قال هذا فراق بيني وبينك سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبرا أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر فأردت أن أعيبها وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا وأما الغلام فكان أبواه مؤمنين

الأحاجيب (أهل قرية) هي أنطاكية وقيل الأبلة وهي أبعد أرض الله من السماء (أن يضيفوهما) وقرئ يضيفوهما يقال ضافه إذا كان له ضيفا وحقيقته مال إليه من ضاف السهم عن الغرض ونظيره زاره من الازورار وأضافه وضيفه أنزله وجعله ضيفه وعن النبي صلى الله عليه وسلم كانوا أهل قرية لئاما وقيل شر القرى التي لا يضاف الضيف فيها ولا يعرف لابن السبيل حقه (يريد أن ينقض) استعيرت الإرادة للمداناة والمشارفة كما استعير الهم والعزم لذلك قال الراعي

في مهمه قلقت به هاماتها ✱ قلق الفؤوس إذا أردن نصولا

وقال

يريد الرمح صدر أبي براء ✱ ويعدل عن دماء بني عقيل

وقال حسان

إن دهرا يلف شملي بجمل ✱ لزمان يهم بالإحسان

وسمعت من يقول عزم السراج أن يطفأ وطلب أن يطفأ وإذا كان القول والنطق والشكاية والصدق والكذب والسكوت والتمرد والإباء والعزة والطواعية وغير ذلك مستعارة للجماد ولما لا يعقل فما بال الإرادة قال

إذ قالت الأنساع للبطن الحق ✱ تقول سني للنواة طني ✱ لا ينطق اللهو حتى ينطق العود

وشكا إلي جملي طول السرى ✱ فإن يك ظني صادقا وهو صادقي ✱ ولما سكت عن موسى الغضب

تمرد مارد وعز الأبلق ✱ ولبعضهم ✱ يأبى على أجفانه إغفاؤه ✱ هم إذا انقاد الهموم تمردا

أبت الروادف والثدي لقمصها ✱ مس البطون وأن تمس ظهورا

قالتا أتينا طائعين ولقد بلغني أن بعض المحرفين لكلام الله تعالى ممن لا يعلم كان يجعل الضمير للخضر لأن ما كان فيه من آفة الجهل وسقم الفهم أراه أعلى الكلام طبقة أدناه منزلة فتمحل ليرده إلى ما هو عنده أصح وأفصح وعنده أن ما كان أبعد من المجاز كان أدخل في الإعجاز وانقض إذا أسرع سقوطه من انقضاض الطائر وهو انفعل مطاوع قضضته وقيل افعل من النقض كاحمر من الحمرة وقرئ أن ينقض من النقض وأن ينقاص من انقاصت السن إذا انشقت طولا قال ذو الرمة منقاص ومنكثب بالصاد غير معجمة (فأقامه) قيل أقامه بيده وقيل مسحه بيده فقام واستوى وقيل أقامه بعمود عمده به وقيل نقضه وبناه وقيل كان طول الجدار في السماء مائة ذراع كانت الحال حال اضطرار وافتقار إلى المطعم وقد لزتهما الحاجة إلى آخر كسب المرء وهو المسألة فلم يجدا مواسيا فلما أقام الجدار لم يتمالك موسى لما رأى من الحرمان ومساس الحاجة أن (قال لو شئت لاتخذت عليه أجرا) وطلبت على عملك جعلا حتى تنتعش وتستدفع به الضرورة وقرئ لتخذت والتاء في تخذ أصل كما في تبع وتخذ افتعل منه كاتبع من تبع وليس من الأخذ في شيء (فإن قلت) (هذا) إشارة إلى ماذا (قلت) قد تصور فراق بينهما عند حلول ميعاده على ما قال موسى عليه السلام إن سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني فأشار إليه وجعله مبتدأ وأخبر عنه كما تقول هذا أخوك فلا يكون هذا إشارة إلى غير الأخ ويجوز أن يكون إشارة إلى السؤال الثالث أي هذا الاعتراض سبب الفراق والأصل هذا فراق بيني وبينك وقد قرأ به ابن أبي عبلة فأضيف المصدر إلى الظرف كما يضاف إلى المفعول به (لمساكين) قيل كانت لعشرة إخوة خمسة منهم زمنى وخمسة يعملون في البحر (وراءهم) أمامهم كقوله تعالى ومن ورائهم برزخ وقيل خلفهم وكان طريقهم في رجوعهم عليه وما كان عندهم خبره فأعلم الله به الخضر وهو جلندى (فإن قلت) قوله فأردت أن أعيبها مسبب عن خوف الغصب عليها فكان حقه أن يتأخر عن السبب فلم قدم عليه (قلت) النية به التأخير وإنما قدم للعناية ولأن خوف الغصب ليس هو السبب وحده ولكن مع كونها

نخشينا أن يرهقهما طغيانا وكفرا فأردنا أن يبدلهما ربهما خيرا منه زكاة وأقرب رحما وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة وكان تحته كنز لهما وكان أبوهما صالحا فأراد ربك أن يبلغا أشدهما ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك وما فعلته عن أمري ذلك تأويل ما لم تسطع عليه صبرا ويسئلونك عن ذي القرنين قل سأتلوا عليكم منه ذكرا إنا مكنا له في الأرض وآتيناه من كل شئ سببا فأتبع سببا حتى إذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حمئة ووجد عندها قوما قلنا يا ذا القرنين إما أن تعذب وإما أن تتخذ فيهم حسنا قال أما من ظلم فسوف نعذبه ثم يرد إلى ربه فيعذبه عذابا نكرا

لما كان كذلك كان بمنزلة قولك زيد ظني مقيم ● وقيل في قراءة أبي وعبد الله كل سفينة صالحة ● وقرأ الجحدري وكان أبواه مؤمنان على أن كان فيه ضمير الشأن (فخشينا أن يرهقهما طغيانا وكفرا) فخفنا أن يغشي الوالدين المؤمنين طغيانا عليهما وكفرا لنعمتهما بعقوقه وسوء صنيعه ويلحق بهما شرا وبلاء أو يقرن بإيمانهما طغيانه وكفره فيجتمع في بيت واحد مؤمنان وطاغ كافر أو يعديهما بدائه ويضلهما بضلاله فيرتدا بسببه ويطغيا ويكفرا بعد الإيمان وإنما خشي الخضر منه ذلك لأن الله تعالى أعلمه بحاله وأطلعه على سر أمره وأمره إياه بقتله كاخترامه لمفسدة عرفها في حياته وفي قراءة أبي فخاف ربك والمعنى فكره ربك كراهة من خاف سوء عاقبة الأمر فغيره ويجوز أن يكون قوله فخشينا حكاية لقول الله تعالى بمعنى فكرهنا كقوله لأهب لك ● وقرئ يبدلهما بالتشديد ● والزكاة الطهارة والنقاء من الذنوب ● والرحم الرحمة والعطف وروي أنه ولدت لهما جارية تزوجها نبي فولدت نبيا هدى الله على يديه أمة من الأمم وقيل ولدت سبعين نبيا وقيل أبدلهما ابنا مؤمنا مثلهما ● قيل اسما الغلامين أصرم وصريم والغلام المقتول اسمه الحسين واختلف في الكنز فقيل مال مدفون من ذهب وفضة وقيل لوح من ذهب مكتوب فيه عجبت لمن يؤمن بالقدر كيف يحزن وعجبت لمن يؤمن بالرزق كيف يتعب وعجبت لمن يؤمن بالموت كيف يفرح وعجبت لمن يؤمن بالحساب كيف يغفل وعجبت لمن يعرف الدنيا وتقلبها بأهلها كيف يطمئن إليها لا إله إلا الله محمد رسول الله وقيل صحف فيها علم والظاهر لإطلاقه أنه مال وعن قتادة أحل الكنز لمن قبلنا وحرم علينا وحرمت الغنيمة عليهم وأحلت لنا أراد قوله تعالى والذين يكنزون الذهب والفضة (وكان أبوهما صالحا) اعتداد بصلاح أبيهما وحفظ لحقه فيهما وعن جعفر بن محمد الصادق كان بين الغلامين وبين الأب الذي حفظا فيه سبعة آباء وعن الحسن بن علي رضي الله تعالى عنهما أنه قال لبعض الخوارج في كلام جرى بينهما بم حفظ الله مال الغلامين قال بصلاح أبيهما قال فأبي وجدي خير منه فقال قد أنبأنا الله أنكم قوم خصمون (رحمة) مفعول له أو مصدر منصوب بأراد ربك لأنه في معنى رحمهما (وما فعلته) وما فعلت ما رأيت (عن أمري) عن اجتهادي ورأيي وإنما فعلته بأمر الله ● ذو القرنين هو الإسكندر الذي ملك الدنيا قيل ملكها مؤمنان ذو القرنين وسليمان وكافران نمروذ وبختنصر وكان بعد نمروذ واختلف فيه فقيل كان عبدا صالحا ملكه الله الأرض وأعطاه العلم والحكمة وألبسه الهيبة وسخر له النور والظلمة فإذا سرى يهديه النور من أمامه وتحوطه الظلمة من ورائه وقيل نبيا وقيل ملكا من الملائكة وعن عمر رضي الله عنه أنه سمع رجلا يقول يا ذا القرنين فقال اللهم غفرا أما رضيتم أن تتسموا بأسماء الأنبياء حتى تسميتم بأسماء الملائكة وعن علي رضي الله عنه سخر له السحاب ومدت له الأسباب وبسط له النور وسئل عنه فقال أحب الله فأحبه وسأله ابن الكواء ما ذو القرنين أملك أم نبي فقال ليس بملك ولا نبي ولكن كان عبدا صالحا ضرب على قرنه الأيمن في طاعة الله فمات ثم بعثه الله فضرب على قرنه الأيسر فمات فبعثه الله فسمي ذا القرنين وفيكم مثله قيل كان يدعوهم إلى التوحيد فيقتلونه فيحييه الله تعالى وعن النبي صلى الله عليه وسلم سمي ذا القرنين لأنه طاف قرني الدنيا يعني جانبيها شرقها وغربها وقيل كان له قرنان أي ضفيرتان وقيل انقرض في وقته قرنان من الناس وعن وهب لأنه ملك الروم وفارس وروي الروم والترك وعنه كانت صفحتا رأسه من نحاس وقيل كان لتاجه قرنان وقيل كان على رأسه ما يشبه القرنين ويجوز أن يلقب بذلك لشجاعته كما يسمى الشجاع كبشا لأنه ينطح أقرانه وكان من الروم ولد عجوز ليس لها ولد غيره ● والسائلون هم اليهود سألوه على جهة الامتحان وقيل سأله أبو جهل وأشياعه والخطاب في (عليكم) لأحد الفريقين (من كل شئ) أي من أسباب كل شئ أراده من أغراضه ومقاصده في ملكه (سببا) طريقا موصلا إليه والسبب ما يتوصل به إلى المقصود من علم أو قدرة أو آلة ● فأراد بلوغ المغرب (فأتبع سببا) يوصله إليه حتى بلغ وكذلك أراد المشرق فأتبع سببا وأراد بلوغ السدين فأتبع سببا وقرئ فاتبع ● وقرئ حمئة من حمئت البئر إذا صارت فيها الحمأة وحامية بمعنى حارة وعن أبي ذر كنت رديف رسول الله صلى الله عليه وسلم على جمل فرأى الشمس حين غابت فقال يا أبا ذر أتدري أين تغرب هذه فقلت الله ورسوله

أعلم

أعلم قال فإنها تغرب في عين حامية وهي قراءة ابن مسعود وطلحة وابن عمر وابن عمرو والحسن وقرأ ابن عباس حمئة وكان ابن عباس عند معاوية فقرأ معاوية حامية فقال ابن عباس حمئة فقال معاوية لعبد الله بن عمرو كيف تقرأ قال كما يقرأ أمير المؤمنين ثم وجه الى كعب الاحبار كيف تجد الشمس تغرب قال في ماء وطين كذلك نجده في التوراة وروى في ثأط فوافق قول ابن عباس وكان ثمة رجل فأنشد قول تبع

فرأى مغيب الشمس عند مآبها * في عين ذي خلب وثأط حرمد

أي في عين ماء ذي طين وحمأ أسود ولا تنافي بين الحمئة والحامية فجائز أن تكون العين جامعة للوصفين جميعا كانوا كفرة فخيره الله بين أن يعذبهم بالقتل وأن يدعوهم الى الاسلام فاختار الدعوة والاجتهاد في استمالتهم فقال أما من دعوته فأبى الا البقاء على الظلم العظيم الذي هو الشرك فذلك هو المعذب في الدارين (وأما من آمن وعمل) ما يقتضيه الايمان (فله جزاء الحسنى) وقيل خيره بين القتل والاسر وسماه احسانا في مقابلة القتل فله جزاء الحسنى فله أن يجازى المثوبة الحسنى أو فله جزاء الفعلة الحسنى التي هي كلمة الشهادة وقرئ فله جزاء الحسنى أي فله الفعلة الحسنى جزاء وعن قتادة كان يطبخ من كفر في القدور وهو العذاب النكر ومن آمن أعطاه وكساه (من أمرنا يسرا) أي لا نأمره بالصعب الشاق ولكن بالسهل المتيسر من الزكاة والخراج وغير ذلك وتقديره ذا يسر كقوله قولا ميسورا وقرئ يسرا بضمتين * وقرئ مطلع بفتح اللام وهو مصدر * والمعنى بلغ مكان مطلع الشمس كقوله * كأن مجر الرامسات ذيولها * يريد كأن آثار مجر الرامسات (على قوم) قيل هم الزنج * والستر الابنية وعن كعب أرضهم لا تمسك الابنية وبها أسراب فاذا طلعت الشمس دخلوها فاذا ارتفع النهار خرجوا الى معايشهم وعن بعضهم خرجت حتى جاوزت الصين فسألت عن هؤلاء فقيل بينك وبينهم مسيرة يوم وليلة فبلغتهم فاذا أحدهم يفرش أذنه ويلبس الاخرى ومعي صاحب يعرف لسانهم فقالوا له جئتنا تنظر كيف تطلع الشمس قال فبينا نحن كذلك اذ سمعنا كهيئة الصلصلة فغشي علي ثم أفقت وهم يمسحونني بالدهن فلما طلعت الشمس على الماء اذا هي فوق الماء كهيئة الزيت فأدخلونا سربا لهم فلما ارتفع النهار خرجوا الى البحر فجعلوا يصطادون السمك ويطرحونه في الشمس فينضج لهم وقيل الستر اللباس وعن مجاهد من لا يلبس الثياب من السودان عند مطلع الشمس أكثر من جميع أهل الارض (كذلك) أي أمر ذي القرنين كذلك أي كما وصفناه تعظيما لامره (وقد أحطنا بما لديه) من الجنود والآلات وأسباب الملك (خبرا) تكثيرا لذلك وقيل لم نجعل لهم من دونها سترا مثل ذلك الستر الذي جعلنا لكم من الجبال والحصون والابنية والاكنان من كل جنس والثياب من كل صنف وقيل بلغ مطلع الشمس مثل ذلك أي كما بلغ مغربها وقيل تطلع على قوم مثل ذلك القبيل الذي تغرب عليهم يعني أنهم كفرة مثلهم وحكمهم مثل حكمهم في تعذيبه لمن بقي منهم على الكفر واحسانه الى من آمن منهم (بين السدين) بين الجبلين وهما جبلان سد ذو القرنين ما بينهما قرئ بالضم والفتح وقيل ما كان من خلق الله تعالى فهو مضموم وما كان من عمل العباد فهو مفتوح لان السد بالضم فعل بمعنى مفعول أي هو مما فعله الله تعالى وخلقه والسد بالفتح مصدر حدث يحدثه الناس وانتصب بين على أنه مفعول به مبلوغ كما انجر على الاضافة في قوله هذا فراق بيني وبينك وكما ارتفع في قوله لقد تقطع بينكم لانه من الظروف التي تستعمل أسماء وظروفا وهذا المكان في منقطع أرض الترك مما يلي المشرق (من دونهما قوما) هم الترك (لا يكادون يفقهون قولا) لا يكادون يفهمونه الا بجهد ومشقة من اشارة ونحوها كما يفهم البكم وقرئ يفقهون أي لا يفهمون السامع كلامهم ولا يبينونه لان لغتهم غريبة مجهولة (يأجوج ومأجوج) اسمان أعجميان بدليل منع الصرف وقرئا مهموزين وقرأ رؤبة آجوج ومأجوج وهما من ولد يافث وقيل يأجوج من الترك ومأجوج من الجيل والديلم (مفسدون في الارض) قيل كانوا يأكلون الناس وقيل كانوا يخرجون أيام الربيع فلا يتركون شيئا أخضر الا أكلوه ولا يابسا الا احتملوه وكانوا يلقون منهم قتلا وأذى شديدا وعن النبي صلى الله عليه وسلم في صفتهم لا يموت أحد منهم حتى ينظر الى ألف ذكر من صلبه كلهم قد حمل السلاح وقيل هم على صنفين طوال مفرطو الطول وقصار

وأما من آمن وعمل صالحا فله جزاء الحسنى وسنقول له من أمرنا يسرا ثم أتبع سببا حتى اذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا كذلك وقد أحطنا بما لديه خبرا ثم أتبع سببا حتى اذا بلغ بين السدين وجد من دونهما قوما لا يكادون يفقهون قولا قالوا يا ذا القرنين ان يأجوج ومأجوج مفسدون في الارض فهل نجعل لك خرجا على أن تجعل بيننا وبينهم سدا قال

مفرطو لقصره * قرئ خرجا وخراجا أي جعلا نخرجه من أموالنا ونظيرهما النول والنوال * وقرئ سدا وسدا بالفتح والضم (ما مكني فيه ربي خير) ما جعلني فيه مكينا من كثرة المال واليسار خير مما تبذلون لي من الخراج فلا حاجة بي اليه كما قال سليمان صلوات الله عليه فما آتاني الله خير مما آتاكم قرئ بالادغام وبفكه (فأعينوني بقوة) بفعلة وصناع يحسنون البناء والعمل وبالآلات (ردما) حاجزا حصينا موثقا والردم أكبر من السد من قولهم ثوب مردم رقاع فوق رقاع * قيل حفر الاساس حتى بلغ الماء وجعل الاساس من الصخر والنحاس المذاب والبنيان من زبر الحديد بينهما الحطب والفحم حتى سد ما بين الجبلين الى أعلاهما ثم وضع المنافيخ حتى اذا صارت كالنار صب النحاس المذاب على الحديد المحمي فاختلط والتصق بعضه ببعض وصار جبلا صلدا وقيل بعد ما بين السدين مائة فرسخ * وقرئ سوّى وسووى وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن رجلا أخبره به فقال كيف رأيته قال كالبرد المحبر طريقة سوداء وطريقة حمراء قال قد رأيته * والصدفان بفتحتين جانبا الجبلين لانهما يتصادفان أي يتقابلان وقرئ الصدفين بضمتين والصدفين بضمة وسكون والصدفين بفتحة وضمة * والقطر النحاس المذاب لانه يقطر و(قطرا) منصوب بافرغ وتقديره آتوني قطرا أفرغ عليه قطرا فحذف الاول لدلالة الثاني عليه * وقرئ قال ائتوني أي جيئوني (فما اسطاعوا) بحذف التاء للخفة لان التاء قريبة المخرج من الطاء وقرئ فما اصطاعوا بقلب السين صادا وأما من قرأ بادغام التاء في الطاء فملاق بين ساكنين على غير الحد (أن يظهروه) أن يعلوه أي لا حيلة لهم فيه من صعود لارتفاعه وانملاسه ولا نقب لصلابته وثخانته (هذا) اشارة الى السد أي هذا السد نعمة من الله و(رحمة) على عباده أو هذا الاقدار والتمكين من تسويته (فاذا جاء وعد ربي) يعني فاذا دنا مجيء يوم القيامة وشارف أن يأتي * جعل السد (دكا) أي مدكوكا مبسوطا مسوى بالارض وكل ما انبسط من بعد ارتفاع فقد اندك ومنه الجمل الادك المنبسط السنام وقرئ دكاء بالمد أي أرضا مستوية (وكان وعد ربي حقا) آخر حكاية قول ذي القرنين (وتركنا) وجعلنا (بعضهم) بعض الخلق (يموج في بعض) أي يضطربون ويختلطون انسهم وجنهم حيارى ويجوز أن يكون الضمير ليأجوج ومأجوج وأنهم يموجون حين يخرجون مما وراء السد مزدحمين في البلاد وروي يأتون البحر فيشربون ماءه ويأكلون دوابه ثم يأكلون الشجر ومن ظفروا به ممن لم يتحصن منهم من الناس ولا يقدرون أن يأتوا مكة والمدينة وبيت المقدس ثم يبعث الله نغفا في أقفائهم فيدخل في آذانهم فيموتون (وعرضنا جهنم) وبرزناها لهم فرأوها وشاهدوها (عن ذكري) عن آياتي التي ينظر اليها فأذكر بالتعظيم أو عن القرآن وتأمل معانيه وتبصرها ونحوه صم بكم عمي (وكانوا لا يستطيعون سمعا) يعني وكانوا صما عنه الا أنه أبلغ لان الاصم قد يستطيع السمع اذا صيح به وهؤلاء كأنهم أصميت أسماعهم فلا استطاعة بهم للسمع (عبادي من دوني أولياء) هم الملائكة يعني أنهم لا يكونون لهم أولياء كما حكى عنهم سبحانك أنت ولينا من دونهم * وقرأ ابن مسعود أفظن الذين كفروا وقراءة علي رضي الله عنه أفحسب الذين كفروا أي أفكافيهم ومحسبهم أن يتخذوهم أولياء على الابتداء والخبر أو على الفعل والفاعل لان اسم الفاعل اذا اعتمد على الهمزة ساوى الفعل في العمل كقولك أقائم الزيدان والمعنى أن ذلك لا يكفيهم ولا ينفعهم عند الله كما حسبوا وهي قراءة محكمة جيدة * النزل ما يقام للنزيل وهو الضيف ونحوه فبشرهم بعذاب أليم (ضل سعيهم) ضاع وبطل وهم الرهبان وعن علي رضي الله عنه كقوله عاملة ناصبة وعن مجاهد أهل الكتاب وعن علي رضي الله عنه أن ابن الكواء سأله عنهم فقال منهم أهل حروراء وعن أبي سعيد الخدري يأتي ناس بأعمال يوم القيامة هي عندهم في العظم كجبال تهامة فاذا وزنوها لم تزن شيأ (فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا) فنزدري بهم ولا يكون لهم عندنا وزن ومقدار وقيل لا يقام لهم ميزان لان الميزان انما يوضع لاهل الحسنات والسيئات من الموحدين وقرئ فلا يقيم بالياء (فان قلت) الذين ضل سعيهم في أي محل هو (قلت) الاوجه أن يكون في محل الرفع على هم الذين ضل سعيهم لانه جواب عن السؤال ويجوز أن يكون نصبا على الذم أو جرا على البدل (جهنم) عطف بيان لقوله جزاؤهم * الحول التحول يقال حال من مكانه حولا كقولك عاد في حبها عودا

ما مكني فيه ربي خير فأعينوني بقوة أجعل بينكم وبينهم ردما آتوني زبر الحديد حتى اذا ساوى بين الصدفين قال انفخوا حتى اذا جعله نارا قال آتوني أفرغ عليه قطرا فما اسطاعوا أن يظهروه وما استطاعوا له نقبا قال هذا رحمة من ربي فاذا جاء وعد ربي جعله دكاء وكان وعد ربي حقا وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض ونفخ في الصور فجمعناهم جمعا وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين عرضا الذين كانت أعينهم في غطاء عن ذكري وكانوا لا يستطيعون سمعا أفحسب الذين كفروا أن يتخذوا عبادي من دوني أولياء انا أعتدنا جهنم للكافرين نزلا قل هل ننبئكم بالاخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه فحبطت أعمالهم فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا ذلك جزاؤهم جهنم بما كفروا واتخذوا آياتي ورسلي هزوا

إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا خالدين فيها لا يبغون عنها حولا قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا قل انما أنا بشر مثلكم يوحى الي انما الهكم اله واحد فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا

يعني لا مزيد عليها حتى تنازعهم أنفسهم الى أجمع لاغراضهم وأمانيهم وهذه غاية الوصف لان الانسان في الدنيا في أي نعيم كان فهو طامح الطرف الى أرفع منه ويجوز أن يراد نفي التحول وتأكيد الخلود * المداد اسم ما تمد به الدواة من الحبر وما يمد به السراج من السليط ويقال السماد مداد الارض والمعنى لو كتبت كلمات علم الله وحكمته وكان البحر مدادا لها والمراد بالبحر الجنس (لنفد البحر قبل أن تنفد) الكلمات (ولو جئنا بمثل البحر مدادا لنفد أيضا والكلمات غير نافدة و (مددا) تمييز كقولك لي مثله رجلا والمدد مثل المداد وهو ما يمد به وعن ابن عباس رضي الله عنه بمثله مدادا وقرأ الاعرج مددا بكسر الميم جمع مدة وهي ما يستمده الكاتب فيكتب به * وقرئ ينفد بالياء وقيل قال حيي بن أخطب في كتابكم ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا ثم تقرؤون وما أوتيتم من العلم الا قليلا فنزلت يعني أن ذلك خير كثير ولكنه قطرة من بحر كلمات الله (فمن كان يرجو لقاء ربه) فمن كان يؤمل حسن لقاء ربه وأن يلقاه لقاء رضا وقبول وقد فسرنا اللقاء أو فمن كان يخاف سوء لقائه * والمراد بالنهي عن الاشراك بالعبادة أن لا يرائي بعمله وأن لا يبتغي به الا وجه ربه خالصا لا يخلط به غيره وقيل نزلت في جندب بن زهير قال للنبي صلى الله عليه وسلم اني أعمل العمل لله فاذا اطلع عليه سرني فقال ان الله لا يقبل ما شورك فيه وروي أنه قال لك أجران أجر السر وأجر العلانية وذلك اذا قصد أن يقتدى به وعنه صلى الله عليه وسلم اتقوا الشرك الاصغر قالوا وما الشرك الاصغر قال الرياء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الكهف من آخرها كانت له نورا من قرنه الى قدمه ومن قرأها كلها كانت له نورا من الارض الى السماء وعنه صلى الله عليه وسلم من قرأ عند مضجعه قل انما أنا بشر مثلكم كان له من مضجعه نورا يتلألأ الى مكة حشو ذلك النور ملائكة يصلون عليه حتى يقوم وان كان مضجعه بمكة كان له نورا يتلألأ من مضجعه الى البيت المعمور حشو ذلك النور ملائكة يصلون عليه حتى يستيقظ والله أعلم

﴿تم الجزء الاول ويليه الجزء الثاني أوله سورة مريم﴾

فهرست الجزء الاول من تفسير الكشاف

تمت

Hommage de l'auteur

[illegible] XXIX, 8–12

Geschichte des Qorāns von Th. Nöldeke. 2. Auflage völlig umgearbeitet von F. Schwally. Zweiter Teil. Die Sammlung des Qorāns mit einem literarhistorischen Anhang über die muhammedanischen Quellen und die neuere christliche Forschung. Leipzig, [illegible] Verlagsbuchhandlung. 1919. (Pr. M. 10).

[illegible], van wiens hand in 1909 het eerste deel van het boven genoemde werk het licht zag [illegible] het tweede deel voltooid, toen de dood hem in Februari 1919 uit zijn werk wegrukte. Aan de goede zorgen van H. Zimmern en [illegible] welverzorgd [illegible].

[illegible] merkelijke vermeerdering van bronnenmateriaal en [illegible]

[illegible] het aandeel, dat Muhammed aan het op schrift stellen en redigeeren van zijn openbaringen moet gehad hebben, en acht het waarschijnlijk, dat er, behalve het [illegible] Qur'an [illegible] te loor gaan bewaarden. Na den dood van den Profeet [illegible] om [illegible]

[illegible] verdienste van het verzamelen van den Qur'an [illegible] tot in tal van tradities gewa[illegible] Muhammed's leven het bewaren in het geheugen bedoeld is, en op de gebrekkige Qur'ankennis van het over[illegible] [illegible] De overleveringen, die een verzameling door

[illegible] stand laten komen, moeten als [illegible] vinding beschouwd worden. Uitvoerig behandelt Schw. de berichten omtrent de eerste verzameling, die van Zaid b. Thâbit. Hij komt tot de slotsom, dat de voor[illegible] zij geschiedde op last hetzij van Abû Bakr hetzij van 'Umar zeer aanvechtbaar is. In een paragraaf over den vorm dier verzameling [illegible] naast die van Zaid opkwamen en hier en daar geza[illegible] 'Abd Allâh b. Mas'ûd. De eigenaardige [illegible] deze beide recensies en in de kanonieke brengen Schw. [illegible] 'Umar's dochter Ḥafṣa, d[illegible]

In zijn onderzoek nopens [illegible] stelt Schw. de „herrschende" [illegible] te afwijkende overleveringen [illegible] van de eerste, van welke niet veel meer nauwkeurig [illegible] Ḥafṣa [illegible] Zaid [illegible] van Ḥafṣa [illegible]

De [illegible] van Westersch[illegible] letters aan [illegible] Zijn ze van [illegible]

[illegible] dat moet ook de [illegible] gemerkt [illegible] Prof. [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] heeft [illegible] [illegible] vers *L* [illegible] XV 40 r 14 [illegible] ed. Horovitz, II vs [illegible] S[illegible] [illegible] [illegible] teksten aanwezig [illegible] [illegible] Prof. [illegible] werk [illegible]

De [illegible] door [illegible] ten laste gelegd [illegible] beschuldigingen op gee[illegible]

[illegible] historische kritiek [illegible] kwamen [illegible] Prof. [illegible] vijandelijk Abū Bakr [illegible] de [illegible] 'Alī [illegible] of [illegible] den naam van 'Alī [illegible] [illegible] dat [illegible] steuning was. Van [illegible] dat er niets aan [illegible] Qur'ān [illegible] brak. In den kano[illegible] Sji'ieten en Sji'ietisch [illegible] plaatsen te ontdekken, die de meerwaardigheid van 'Alī en zijn geslacht en hun „recht" op de [illegible] heette [illegible] te toonen.

Van de Sūra's die verdonkeremaand zouden zijn, is er een bekend [illegible] de Sūra „De twee Lichten",

van [illegible] Schw. tekst en vertaling geeft. [illegible] [illegible] haar [illegible] [illegible] [illegible]

De [illegible] optreden [illegible] [illegible] tekst [illegible] [illegible] gebrekkige [illegible] eigenaardigheid der [illegible] [illegible] [illegible] Schw. [illegible] [illegible] [illegible]

[illegible] der Moslims [illegible] de eigenaardigheid der eerste [illegible] [illegible] van Allah, [illegible] den Profeet.

[illegible] is van Nöldeke's [illegible] helft van het werk [illegible] Schw. [illegible] de Mo[illegible] [illegible] Oo[illegible] [illegible] op het [illegible] [illegible] Hadith en de biographie van den Profeet bleven er tal van Arabische [illegible] en bronnen Schw. [illegible] bezien. Na [illegible] over de wijze van overleveren van historische stof, waarin de schr. o. a. het vroege opkomen [illegible] Arabisch [illegible] wil brengen met het optreden der pleitgenooten (rdwî), staat hij stil bij de beschrijvers van het leven van den Profeet, de op hen uitgebrachte kritiek, de byzondere beteekenis en de eigenaardigheid hunner werken en de daarin verwerkte bronnen. Dan geeft Schw. een kenschetsing van [illegible] Hadith en van de werken, waarin hij is vervat, met [illegible]

Alvorens over te [illegible] werken [illegible] [illegible] over den Qur'an [illegible] [illegible] de schr. [illegible] haar eigenaardig [illegible] van Nöldeke [illegible] die zich in deze exegese [illegible] gelden [illegible] wordt hij een

[illegible]

vervat in de biographieën van Muhammed en in traditie-werken [illegible]

de beteekenis van at-Ṭabarī's beroemden commentaar [illegible]

[illegible] 654, S. 178 als zijn sterfjaar wordt opgegeven [illegible]

[illegible] al-Ḥisān fī Tafsīr al-Qur'ān (Algiers 1923—7) had gewaagd [illegible]

Afzonderlijk [illegible] op dit gebied van de Sjī'ietische gezindheid [illegible] te bespeuren zou zijn en dat de „eigenlijke schiitische Tendenz.... erst später in die [illegible]" (S. 179), zouden we den schr. niet willen toegeven. De hier genoemde schrijver van een Tafsīr, Zeyād b. al-Mundir werd ook van Imāmietische zijde om zijn extreme opvattingen [illegible]

In [illegible] behandelen, over de inleidingen in den Qur'ān, van welke [illegible] besproken wordt, [illegible] bronnen tot de kennis van den Qur'ān [illegible] komen.

In de twee [illegible] een werk [illegible] onderzoek van Westers [illegible] aard der Traditie en [illegible] Trofeet, over hun ontstaan [illegible] gemeente en zijn openbaringen over de [illegible]

[illegible] het werk [illegible]

[illegible] hoewel er nog op dat gebied [illegible]

[illegible] S. 17 Anm. [illegible] Ahl-[illegible] S. 18 [illegible] p. v. „Sure 7." — S. 22, 7 v. u.: l. „Nacht-[illegible]" l. p. v. „Vorgängers." — S. 25, 8 v. u.: Bij de hier [illegible] S. 31 [illegible] Anm. [illegible] *Miftâh as-Sa'âda* [illegible] gegeven kunnen zijn naar de uitgave van Haiderabad 1329. — S. 34, 17 juister ware „Qunût al-Fadjr" l. p. v. „Du'â' al-Fadjr". — S. 15[illegible], 4 v. u.: l. „553" l. p. v. „653". — S. 184, 3 v. u. l. „Wetzstein I 103" l. p. v. „Wetzstein I 94" (Ahlwardt, *Verzeichn.* No. 910)
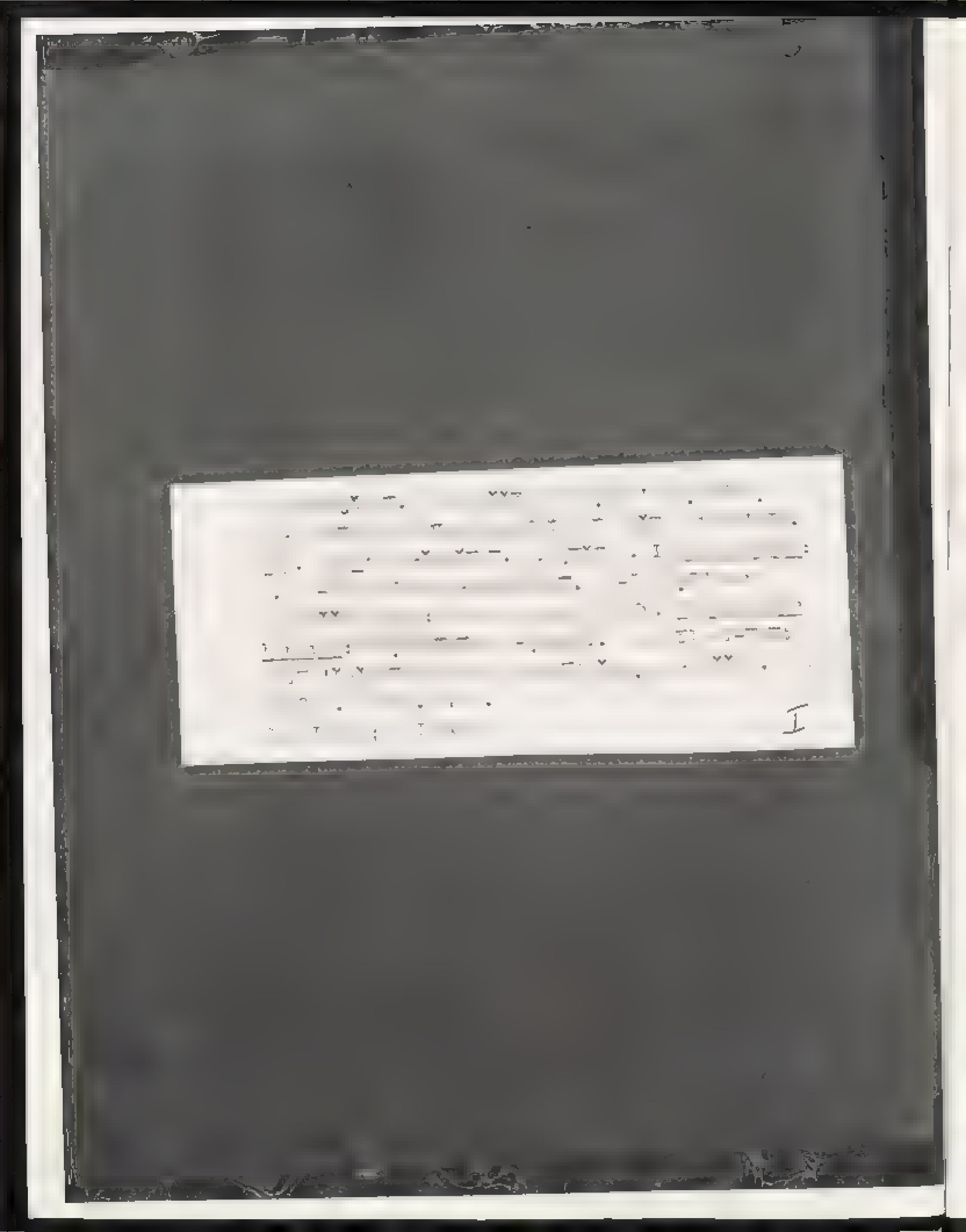
Leiden [illegible] van Arendonk